

المختار من

تاريخ الجبيري

اختيار
محمّد زكي البقاعي

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية
رقم التصنيف
رقم التسجيل : ١/٢٢٤٨٥

الطبعة الثانية
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المطلع على الخطوب الماضية ليتأسى اذا لحقه مصاب،
ويتذكر بحوادث الدهر انما يتذكر أولو الألباب ..
فانها حوادث غريبة في بابها ، متنوعة في عجائبها .
وسميته «عجائب الآثار» ، في التراجم والأخبار» .
وانا لنرجو ممن اطلع عليه ، وحل بمحل القبول
لديه ، ألا ينسانا من صالح دعواته ، وأن يغضى عما
عثر عليه من هفواته

اعلم أن التاريخ علم يبحث فيه عن معرفة أحوال
الطوائف وبلدانهم ، ورسومهم وعاداتهم ، وصنائعهم
وأناسبهم ووفياتهم .

وموضوعه أحوال الأشخاص الماضية من
الأنبياء والأولياء والعلماء والحكماء والشعراء
والملوك والسلاطين وغيرهم

والغرض منه الوقوف على الأحوال الماضية من
حيث هي ، وكيف كانت ، وفائدة العبرة بتلك
الأحوال ، والتنصح بها ، وحصول ملكة التجارب
بالوقوف على تقلبات الزمن ليحترز العاقل عن
مثل أحوال الهالكين ، من الأمم المذكورة السالفين ،
ويستجلب حيار أفعالهم ، ويتجنب سوء أقوالهم ،
ويزهد في القاني ، ويجتهد في طلب الباقي ..

وأول واضح له في الاسلام عمر بن الخطاب رضى
الله عنه وذلك حين كتب أبو موسى الأشعري الى
عمر أنه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندرى
على أيها نعمل . فقد قرأنا صكا محله شعبان ..

الحمد لله القديم الأول ، الذى لا يزول ملكه
ولا يتحول . خالق الخلائق ، وعالم الذرات
بالحقائق . مفضى الأمم ، ومحيى الرمم ، ومعيد
النعم ، ومبيد النقم ، وكاشف الغمم ، وصاحب
الجود والكرم .. لا اله الا هو ، كل شئ هالك الا
وجهه ، له الحكم واليه ترجعون .

وأشهد أن لا اله الا الله تعالى عما يشركون ،
وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الى الخلق
أجمعين ، المنزل عليه نبأ القرون الأولين . صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه وسلم ما تعاقبت الأيام
والليالي ، وتداولت السنون والأعوام .

وبعد ، فيقول الفقير عبد الرحمن بن حسن
الجبرتي الحنفى غفر الله له ولوالديه ، وأحسن
اليهما واليه :

انى كنت سوت أوراقا في حوادث آخر القرن
الثانى عشر وما يليه ، وأوائل الثالث عشر الذى
نحن فيه .. جمعت فيها بعض الوقائع اجمالية ،
وأخرى محققة تفصيلية . وغالبها محن أدركناها ،
وأمرور شاهدناها . واستطردت في ضمن ذلك سوابق
سمعتها ، ومن أفواه الشيخة (١) تلقيتها ، وبعض
تراجم الأعيان المشهورين ، من العلماء والأمراء
المعتبرين ، وذكر لتمع من أخبارهم وأحوالهم ، وبعض
تواريخ مواليدهم ووفياتهم فأجبت جمع شملها
وتقييد شواردها في أوراق متسقة النظام ، مرتبة
على السنين والأعوام : ليسهل على الطالب النبيه
المراجعة ، ويستفيد ما يرومه من المنفعة . ويعتبر

(١) الشيخة : جع شيخ .

وقال أصحاب التواريخ ان العرب فى الجاهلية كانت تستعمل شهور الألهة ، وتقصد مكة للحج . وكان حجهم وقت عاشر الحجة كما رسمه سيدنا ابراهيم عليه الصلاة والسلام .

ولكن لما كان « الحج » لا يقع فى فصل واحد من فصول السنة ، بل يختلف موقعه منها بسبب تفاضل ما بين السنة الشمسية والقمرية ، ووقوع أيام الحج فى الصيف تارة وفى الشتاء أخرى — وكذا فى الفصلين الآخرين — أرادوا أن يقع حجهم فى زمان واحد لا يتغير ، وهو وقت ادراك الفواكه والغلال ، واعتدال الزمن فى الحر والبرد .. ليسهل عليهم السفر ، ويتجروا بما معهم من البضائع والأرزاق مع قضاء مناسكهم .

فشكوا ذلك الى أميرهم وخطيبهم فقام فى الموسم ، عند اقبال العرب من كل مكان ، فخطب ثم قال : أنا أنشأت لكم فى هذه السنة شهرا أزيد ف تكون السنة ثلاثة عشر شهرا ، وكذلك أفعل فى كل ثلاث سنين أو أقل — حسبما يقتضيه حساب وضعته — ليأتى حجكم وقت ادراك الفواكه والغلال فتقصدوننا بما معكم منها .

فوافقت العرب على ذلك ومضت الى سبيلها . فنسأ المحرم وجعله كيبسا ، وآخره الى صفر ، وصفر الى ربيع الأول ، وهكذا .. فوقع الحج فى السنة الثانية فى عاشر المحرم ، وهو ذو الحجة عندهم وآخر السنة . فوقع فى السنة الأولى محرمان : الأول رأس السنة ، والآخر فى النسيء ، وعدة الشهور ثلاثة عشر .

وبعد انقضاء سنتين أو ثلاث ، وانهاء نوبة الكيبس — أى الشهر الذى كان يقع فيه الحج — وانتقاله الى الشهر الذى بعده ، قام فيهم خطيبا وتكلم بما أراد ثم قال : « انا جعلنا الشهر الفلانى ،

فلما ندرى أى الشعبانين : أهو الماضى أم القابل ! وقيل : رفع لعمر صك محله شعبان فقال : أى شعبان : هذا هو الذى نحن فيه ، أو الذى هو آت ؟ ثم جمع وجوه الصحابة رضى الله عنهم وقال : ان الأموال قد كثرت ، وما قسمناه غير مؤقت . فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك ؟

فقال له الهرمزان — وهو ملك الأهواز وقد أسر عند فتوح فارس وحمل الى عمر وأسلم على يديه : ان للعجم حسابا يسمونه « ماه روز » ، ويسندونه الى من غلب عليهم من الأكاسرة . فعربوا لفظة « ماه روز » بـ « مورخ » ومصدره « التاريخ » ، واستعملوه فى وجوه التصريف .

.. وقيل ان تواريخ الفرس غير مسندة الى مبدأ معين ، بل كلما قام منهم ملك ابتدأوا التاريخ من لدن قيامه وطرحوا ما قبله . فاتفقوا على أن يجعلوا تاريخ دولة الاسلام من لدن هجرة النبى صلى الله عليه وسلم ، لأن وقت الهجرة لم يختلف فيه أحد ، بخلاف وقت ولادته ووقت مبثته صلى الله عليه وسلم .

وكان للعرب فى القديم من الزمان بأرض اليمن والحجاز تواريخ يتعارفونها خلفا عن سلف الى زمن الهجرة . فلما هاجر صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة ، وظهر الاسلام ، وعلت كلمة الله تعالى ، اتخذت هجرته مبدأ لتاريخها ، وسميت كل سنة باسم الحادثة التى وقعت فيها . وتدرج هذا الى سنة سبع عشرة من الهجرة فى زمن عمر . فكان اسم :

السنة الأولى : سنة الاذن (بالرحيل من مكة الى المدينة)

السنة الثانية : سنة الأمر (أى الأمر بالقتال) الى آخره ...

من السنة الفلانية الداخلة ، للشهر الذى بعده .
ولهذا فسر النسيء بالتأخير ، كما فسر بالزيادة

وكانوا يديرون النسيء على جميع شهور السنة
بالنوبة ، حتى يكون لهم مثلاً فى سنة محرمان ، وفى
أخرى صفران ، ومثل هذا بقية الشهور . فاذا آلت
النوبة الى الشهر المحرم قام لهم خطيباً فينبئهم أن
هذه السنة قد تكرر فيها اسم الشهر الحرام ،
فيحرم عليهم واحداً منها بحسب رأيه على مقتضى
مصلحتهم .

فلما انتهت النوبة فى أيام النبى صلى الله عليه
وسلم الى ذى الحجة ، وتم دور النسيء على جميع
الشهور ، حج صلى الله عليه وسلم فى تلك السنة
حجة الوداع ، وهى السنة العاشرة من الهجرة ،
لموافقة الحج فيها عاشر الحجة . ولهذا لم يحج
صلى الله عليه وسلم فى السنة التاسعة حين حج أبو
بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ، لوقوعه فى
عاشر ذى القعدة .

فلما حج صلى الله عليه وسلم حجة الوداع
خطب وأمر الناس بما شاء الله تعالى ، ومن جملة :
« ألا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله
السموات والأرض » — يعنى رجوع الحج الى
الموضع الأول كما كان فى زمن سيدنا ابراهيم
صلوات الله تعالى عليه

ثم تلا قوله تعالى : « ان عدة الشهور عند الله
اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات
والأرض ، منها أربعة حرم . ذلك الدين القيم ،
فلا تظلموا فيهين أنفسكم ، وقاتلوا المشركين
كافة كما يقاتلونكم كافة . واعلموا أن الله مع
المتقين . انما النسيء زيادة فى الكفر ، يضل به الذين
كفروا : يحلون عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة
ما حرم الله فيخلوا ما حرم الله . زين لهم سوء
أعمالهم ، والله لا يهدى القوم الكافرين . »

ومنع العرب من هذا الحساب ، وأمر بقطعه
والاستمرار بوقوع الحج فى أى زمان أتى من
فصول السنة الشمسية .. فصارت سنوهم دائرة فى
الفصول الأربعة ، والحج واقع فى كل زمان منها
كما كان فى زمن ابراهيم الخليل عليه السلام .

وفى التاريخ علم يندرج فيه علوم كثيرة : لولا
ما ثبتت أصولها ، ولا تشعبت فروعها .. وأما
الكتب المصنفة فيه فكثيرة جداً .. وهذه (الكتب)
صارت أسماء من غير مسميات ، فانا لم نر من
ذلك كله الا بعض أجزاء مدشنة بقيت فى بعض
خزائن الأوقاف بالمدارس ، مما تداولته أيدي
الصحافيين وباعها القومة والمباشرون ، ونقلت الى
بلاد المغرب والسودان ، ثم ذهبت بقايا البقايا فى
الفتن والحروب ، وأخذ الفرنسيين ما وجدوه الى
بلادهم ..

ولما عازمت على جمع ما كنت سودته أردت أن
أوصله بشيء قبله .. وكنت ظفرت بتاريخ من تلك
الفروع ، لكنه على نسق فى الجملة مطبوع ،
لشخص يقال له أحمد چلبى بن عبد الغنى مبتدئاً
فيه من وقت تملك بنى عثمان للديار المصرية (٩٢٣
هـ — ١٥١٧ م) ، وينتهى ، كغيره مما ذكرناه ، الى
خمسین ومائة وألف هجرة (١٧٣٧ م) ..

.. فرجعنا الى النقل من أفواه الشیخة المسنين ،
وصكوك دفاتر الكتبة والمباشرين ، وما انتقش على
أحجار ترب المقبورين ..

ولم أقصد بجمعه خدمة ذى جاه كبير ، أو طاعة
وزير أو أمير . ولم أداهن فيه دولة بنفاق ، أو
مدح أو ذم مباین للأخلاق .. لميل نفسانى ، أو
غرض جسمى ..

مقدمة

اعلم أن الله تعالى لما خلق الأرض ودحاها ، وأخرج منها ماءها ومرعاها ، وبث فيها من كل دابة وقدر أقواتها .. أحوج بعض الناس الى بعض في ترتيب معاشهم ومآكلهم ، وتحصيل ملابسهم ومسكنهم . لأنهم ليسوا كسائر الحيوانات التي تحصل ما تحتاج اليه بغير صنعة .

فإن الله تعالى خلق الانسان ضعيفا لا يستقل وحده بأمر معاشه ، لاحتياجه الى غذاء ومسكن ، ولباس وسلاح . فجعلهم الله تعالى يتعاقدون ويتعاونون في تحصيلها وترتيبها : بأن يزرع هذا لذلك ، ويخبز ذاك لهذا . وعلى هذا القياس تتم سائر أمورهم ومصالحهم .

وركز في نفوسهم الظلم والعدل . ثم منست الحاجة بينهم الى سائس عادل ، وملك عالم ، يضع بينهم ميزانا للعدالة ، وقانونا للسياسة توزن به حركاتهم وسكناتهم ، وترجع اليه طاعتهم ومعاملاتهم ، فأنزل الله كتابه بالحق ، وميزانه بالعدل . كما قال تعالى : « الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان » .

وقال علماء التفسير : المراد بالكتاب والميزان : العلم والعدل ..

عنها في الشرعة بالصراف المستقيم . وقوله تعالى : « أن ربي على صراط مستقيم » اشارة الى أن العدالة الحقيقية ليست الا لله تعالى . فهو العادل الحقيقي الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ، ووضع كل شيء على مقتضى علمه الكامل ، وعدله الشامل .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « بالعدل قامت السموات والأرض » اشارة الى عدل الله تعالى الذي جعل لكل شيء قدرا .. لو فرض فارض زائدا عليه أو ناقصا عنه لم ينتظم الوجود على هذا النظام بهذا التمام والكمال .

.. روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ان أحب الناس الى الله تعالى يوم القيامة ، وأقربهم منه : امام عادل . وان أبغض الناس الى الله تعالى ، وأشدهم عذابا يوم القيامة : امام جائر » .

فمن عدل في حكمه ، وكف عن ظلمه .. نصره الحق ، وأطاعه الخلق ، وصفت له النعمى ، وأقبلت عليه الدنيا .. فتهنأ بالعيش ، واستغنى عن الجيش (١)

وملك القلوب ، وأمن الحروب ، وصارت طاعته

(١) يريد الجيش يتخذ الحاكم للبطش بشعبه ، لا للذود عن هذا الشعب وحمل أمانته .

أمرأتي شيئاً ، فلم ينصح لهم ويجتهد — كنصيحته
وجهده لنفسه — كبه الله على وجهه يوم القيامة
في النار » .

اللهم بحرمة سيد الأنام ، يسر لنا حسن الختام .
واصرف عنا سوء القضاء ، وانظر لنا بعين الرضاء .

فرضا ، وظلت رعيته جنداً ، لأن الله تعالى ما خلق
شيئاً أحلى من العدل ، ولا أروح إلى القلوب من
الانصاف ، ولا أمر من الجور ، ولا أشنع من
الظلم .

روى ابن يسار عن أبيه أنه قال : سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا أيما وال ولي من

وهذا أوان انشقاق كرائم طلع الشماريخ
عن زهر فجل التاريخ

مجل الثاريخ

وفي خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب اقتتحت الدبار المصرية والبلاد الشامية ولم تزل في النيباة أيام الخلفاء الراشدين ودولة بنى أمية وبنى العباس، الى أن ضعفت الخلافة العباسية بعد قتل المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد سنة ٢٤٧ هـ (٨٦١ م) ، وتغلب على النواحي كل متملك لها

فانفرد أحمد بن طولون بمملكة مصر والشام ، وكذلك أولاده من بعده

ثم دولة الاخشيد ، وبعده كافور أبو المسك ممدوح المتنبي .

ولما مات (كافور) قدم جوهر القائد من قبل المعز الفاطمي من المغرب (الى مصر) ، فملكها من غير ممانع ، وأسس القاهرة في سنة ٣٦١ (٩٧١ م) . وقدم المعز الى مصر بجنوده وأمواله ، ومعه رمم آباءه وأجداده محمولة في توايت ، وسكن بالقصرين ، وادعى الخلافة لنفسه دون العباسيين .

وأول ظهور أمر الفاطميين في سنة ٢٧٠ هـ (٨٨٣ م) . فظهر عبد الله بن عبيد الملقب بالمهدى — وهو جد بنى عبيد الخلفاء المصريين العبيديين الروافض — باليمن . وأقام على ذلك الى سنة ٢٧٨ هـ (٨٩١ م) ، فحج في تلك السنة ، واجتمع بقيلة من كنانة فأعجبهم حاله ، فصحبهم الى مصر ، ورأى منهم طاعة وقوة ، فصحبهم الى المغرب ، فمنا شأنه وشأن أولاده من بعده ، الى أن حضر المعز لدين الله أبو تميم معد بن اسماعيل بن القائم بين المهدي الى مصر ، وهو أولهم فملكوا نيفاً ومائتين من السنين الى أن ضعف أمرهم في أيام العاضد وسوء

أرسل الله رسوله الأكرم ، سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ، بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . وأمره بالصدع والاعلان ، والتطهير من عبادة الأوثان .

ولم يزل هذا الدين القويم من حين بعث النبي صلى الله عليه وسلم يزيد وينمو ، ويتعالى ويسمو ، حتى تم ميقاته ، وقربت من النبي وفاته فلما قبض صلى الله عليه وسلم قام بالأمر بعده أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، ثم عمر رضى الله عنه ، ثم عثمان رضى الله عنه ، ثم على كرم الله وجهه ولم تصف له الخلافة بمغالبة معاوية — رضوان الله عليهم أجمعين — في الأمر .

وبموت على تمت مدة الخلافة التي نص عليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « الخلافة بعدى ثلاثون سنة ، ثم تكون ملكا عضوضا »

وبخلافة معاوية كان ابتداء دولة الأمويين .

وانقرضت (دولة الأمويين) بظهور أبي مسلم الخراساني واطهاره دولة بنى العباس . فكان أولهم السفاح وظهرت دولتها الظهور التام ، وبلغت القوة الزائدة ، والضخامة العظيمة .

ثم أخذت (دولة العباسيين) في الانحطاط بتغلب الأتراك والديلم .

ولم تزل منحطة ، وليس للخلفاء في آخر الأمر الا الاسم فقط ، حتى ظهرت فتنة التتار التي آبادت العالم . وخرج هولاءكو خان ، وملك بغداد ، وقتل الخليفة المعتصم وهو آخر خلفاء بنى العباس ببغداد .

العصا ، ووقعت حروب بين الفريقين أبلى فيها
الناصر يوسف وأخوه شمس الدولة بلاء حسنا ،
وانجلت الحروب عن نصرتهما .

فعند ذلك ملك الناصر القصر ، وضيق على
الخليفة ، وجلس أقاربه ... وخطب للمستفيء
العباسي بمصر ، وسهر الإشارة بذلك الي بغداد .
ومات العاضد قهرا .

وأظهر الناصر يوسف الشريعة المحمدية ، وأظهر
الأقليم من البدع والتشيع والعقائد الفاسدة ،
وأظهر عقائد أهل السنة والجماعة ...

ولما توفي نور الدين الشهيد انضم اليه (الى
صلاح الدين) ملك الشام . وواصل الجهاد واستخلص
ماتغلب عليه الافرنج من السواحل وبيت المقدس ،
بعدما أقام بيد الافرنج نيفا واحسدى وتسعين
سنة ... وتوفي صلاح الدين سنة ٥٨٩ (١١٩٣ م) ،
ولم يترك الا أربعين درهما ...

ثم استمر الأمر في أولاده وأولاد أخيه الملك
العادل

وحضر الافرنج أيضا الى مصر في أيام الملك الكامل
ابن العادل ، وملكوا دمياط وهدموها ، فحاربهم
شهورا حتى أجلاهم . وعمرت بعد ذلك دمياط
هذه الموجودة في غير مكانها - وكانت تسمى
بالمنشية .

وفي أيام الملك الصالح نجم الدين أيوب
- ابن الكامل - حضر الافرنج وملكوا دمياط ،
وزحفوا الى فارمكور . واستمر الملك الصالح
يحاربهم أربعة عشر شهرا وهو مريض ، وانحصر
جهة الشرق ، وأنشأ المدينة المعروفة بالمنصورة ،
ومات بها سنة ٦٤٧ هـ (١٢٤٩ م) ، والحرب قائمة .

وأخفت زوجته شجرة الدر موته ودبرت الأمور
حتى حضر ابنه توران شاه من حصن كيفا ،
وانهزمت الافرنج ، وأسر ملكهم ... وكانوا طائفة
الفرسيس .

سياسة وزيره شاور ، فتمسكت الافرنج بلاد
السواحل الشامية ، وأظهر بالشام نور الدين محمود
ابن زنكى ، فاجتهد في قتال الافرنج واستخلاص
ما استولوا عليه من بلاد المسلمين .

وجهاز (نور الدين) أسد الدين شيركوه بعساكر
لأخذ مصر ، فحاصرها نحو شهرين ، فاستتجد
العاضد بالافرنج ، فحضروا من دمياط ، فرحل أسد
الدين الى الصعيد ، فجبى خراجا ورجع الى
الشام .

وقصد الافرنج الديار المصرية في جيش عظيم
وملكوا بليس - وكانت اذ ذاك مدينة حصينة .

ووقعت حروب بين الفريقين ، فكانت الغلبة فيها
على المصريين ، وأحاطوا بالأقليم برا وبحرا وضربوا
على أهله الضرائب .

ثم ان الوزير شاور أشار بحرق الفسناط ، فأمر
الناس بالجلأ عنها ، وأرسل عبيده بالشعل والنفوط
فأوقدوا فيها النار فاحترقت عن آخرها ، واستمرت
النار بها أربعة وخمسين يوما .

وأرسل الخليفة العاضد يستنجد نور الدين ،
وبعث اليه بشعور نسائه ... فأرسل اليه جندا
كثيفا وعليهم أسد الدين شيركوه وابن أخيه
صلاح الدين يوسف ، فارتحل الافرنج عن البلاد ،
وقبض أسد الدين على الوزير شاور الذى أشار
بحرق المدينة وصلبه .

وخلع العاضد على أسد الدين الوزارة ، فلم
يلبث أن مات بعد خمسة وستين يوما ، فولى
العاضد مكانه ابن أخيه صلاح الدين ، وقلده
الأمر ، ولقبه « الملك الناصر » ... فبذل لله همته ،
وأعمل حيلته ، وأخذ في اظهار السنة ، واخفاء
البدعة : فقتل أمره على الخليفة العاضد ، فأبطن
له فتنة أثارها في جنده ليتوصل بها الى هزيمة
الأكراد واخراجهم من بلاده . فتفاقم الأمر ، وانشقت

والملك الصالح هذا هو أول من اشترى الممالك واتخذ منهم جندا كثيفا ، وبنى لهم قلعة الروضة ، وأسكنهم بها ، وسماهم « البحرية » . ومقدمهم الفارس أقطاي .

ولما انهزم الافرنج ، ومات الصالح ، وتملك ابنه توران شاه ، استوحش من ممالك أبيه واستوحشوا منه ، فتعصبوا عليه وقتلوه بفارسكور ، وقلدوا في السلطنة شجرة الدر ثلاثة أشهر ثم خلعت ... وهى آخر الدولة الأيوبية . ومدة ولايتهم احدى وثمانون سنة .

ثم تولى سلطنة مضر عز الدين أيبك التركمانى الصالحى سنة ٦٤٨ (١٢٥٠ م) ، وهو أول الدولة التركية بمصر .

ولما قتل ولوا ابنه المظفر على . فلما وقعت حادثة التتار العظمى خلع المظفر لصغره ، وتولى الملك المظفر قطز ، وخرج بالساكر المصرية لمحاربة التتار ، فظهر عليهم ، وهزمهم ، ولم تقم لهم قائمة بعد ذلك ... بعد أن كانوا ملكوا معظم المعمور من الأرض ، وقهروا الملوك وقتلوا العباد وأخربوا البلاد . وفى سنة ٦٥٤ (١٢٥٦ م) ، ملكوا سائر بلاد الروم بالسيف وفى البحر .

فلما فرغوا من ذلك جميعه نزل هولاءكو خان — وهو ابن طلون بن جنكيز خان — على بغداد ، وذلك سنة ٦٥٦ (١٢٥٨ م) ، وهى اذذاك كرسى مملكة الاسلام ودار الخلافة ، فملكها ، وقتلوا ونهبوا وأسروا من بها من جمهور المسلمين والفقهاء والعلماء والأئمة والقراء والمحدثين وأكابر الأولياء والصالحين ، وفيها خليفة رب العالمين ا وإمام المسلمين ، وابن عم سيد المرسلين ... فقتلوه وأهله وأكابر دولته ، وجرى فى بغداد ما لم يسمع بمثله فى الافاق .

ثم ان هولاءكو خان أمر بعد القتل فبلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف وزيادة .

ثم تقدم التتار الى بلاد الجزيرة واستولوا على جران والرها وديار بكر فى سنة ٦٥٧ (١٢٥٨ م) ، ثم جاوزوا الفرات ونزلوا على حلب فى سنة ٦٥٨ (١٢٥٩ م) ، واستولوا عليها وأحرقوا المساجد ، وجرت الدماء فى الأزقة ، وفعلوا ما لم يتقدم مثله .

ثم وصلوا الى دمشق ، وسلطانها الناصر يوسف ابن أيوب ، فخرج هاربا وخرج معه أهل القدرة . ودخل التتار الى دمشق وتسلموها بالأمان ... ثم غدروا بهم .

وتعدوها فوصلوا الى نابلس ، ثم الى الكرك وبيت المقدس ، فخرج سلطان مصر ... فالتقاهم عند عين جالوت ، فكسرهم وشردهم وولوا الأديار ، وطمع الناس فيهم يتخطفونهم ، ووصلت البشائر بالنصر فطار الناس فرحا ...

ودخل المظفر الى دمشق مؤيدا منصورا ، وأجبه الخلق محبة عظيمة .

وساق بيبرس خلف التتار الى بلاد حلب فطردهم . وكان السلطان وعده بحلب ثم رجع عن ذلك ، فتأثر بيبرس وأضر له الغدر ... وكذلك السلطان ، وأسر ذلك الى بعض خواصه فأطلع بيبرس ، فساروا الى مصر وكل منهم محترس من صاحبه فاتفق بيبرس مع جماعة من الأمراء على قتل المظفر فقتلوه فى الطريق .

وتسلطن بيبرس ودخل مصر سلطانا ، وتلقب بالملك الظاهر ، وذلك سنة ٦٥٨ (١٢٦٠ م) ، والظاهر بيبرس أحد الممالك البحرية .

وعندما استقر بالقلعة أبطل المظالم والمكوس وجميع المنكرات ، وجيز الحج بعد انقطاعه اثنتى

عشرة سنة بسبب فتنة التتار وقتل الخليفة ومناقشة
أمير مكة مع التتار .

واستقر الملك للظاهر بيبرس حتى مات بدمشق
في ٢٧ المحرم سنة ٦٧٦ هجرية (٣٠ يونيه ١٢٧٧ م).
وكان من أعظم الملوك شهامة وصرامة وإقيادا
للشرع ، وله فتوحات وعمارات مشهورة ، ومآثره
حميدة ، ومنها رد الخلافة لبنى العباس . وذلك أنه
لما جرى ماجرى على بغداد ، وقتل الخليفة ،
وبقيت ممالك الاسلام بلا خلافة ثلاث سنوات ،
حضر شخص من أولاد الخلفاء الفارين في الواقعة
الى عرب العراق ، فركب الظاهر للقائه ومعه القضاة
وأهل الدولة ، فأثبت نسبه على يد قاضى القضاة ،
ثم بويغ بالخلافة ، فبايعه السلطان (هو الملك
الظاهر بيبرس نفسه) وقاضى القضاة ، ثم الكبار
على مراتبهم ، ولقب بالمستنصر ، وركب يوم الجمعة
وعليه السواد (وهو شعار العباسيين) الى جامع
القلعة ، وخطب خطبة بليغة ذكر فيها شرف بنى
العباس ، ودعافيا للسلطان (أى بيبرس) وللمسلمين ،
ثم صلى بالناس ، ورسم بعمل خلعة خليفية الى
السلطان ، وكتب له تقليدا وقرىء بظاهر القاهرة
بحضرة الجمع . وألبس الخليفة السلطان الخلعة
بيده ، وفوض اليه الأمور ، وركب السلطان
بالخلعة ، والتقليد محمول على رأسه ، ودخل من
باب النصر . وزينت القاهرة والأمراء مشاة بين
يديه ...

ثم انه عزم (أى الخليفة المستنصر) على التوجه
الى العراق ، فخرج معه السلطان وشيعه الى
دمشق ، وجهاز معه ملوك الشرق : صاحب الموصل ،
وصاحب سنجار والجزيرة ، وغرم عليه وعليهم ألف
ألف دينار وستين ألف دينار . وسافروا حتى تجاوزوا
هيت ، فلاقاهم التتار فحاربوهم ، فعدم الخليفة
ولم يعلم له خبر .

وبعد أيام حضر شخص آخر من بنى العباس

الى دمشق ، فكاتب صاحب دمشق السلطان في
شأنه ، فأرسل يستدعيه فأرسله فلما قدم الى
القاهرة — ومعه ولده وجماعته — أكرمه الملك
الظاهر وبايعوه بالخلافة كما سبق للمستنصر ،
وأنزله بالبرج الكبير بالقلعة .

واستمرت الخلافة (العباسية) بمصر ، وأقام
الحاكم فيها نيافا وأربعين سنة .

ولما مات الملك الظاهر ، تولى بعده ابنه الملك
السعيد ، ثم أخوه الملك العادل — وكان صغيرا
والأمر لقلالون — فخلعه واستبد بالملك ، ولقب
بالمملك المنصور قلالون . وهو صاحب اليمارستان
المنصوري والمدرسة والقبعة التى دفن بها . وله
فتوحات بسواحل البحر الرومى (البحر الأبيض
المتوسط) . ونه مصافات مع التتار وغير ذلك .
تولى سنة ٦٧٨ (١٢٧٩ م) ، ومات أواخر سنة ٦٨٩
(١٢٩٠ م) ، وكانت مدته احدى عشرة سنة .

وتولى بعده ابنه الملك الأشرف . وكان بطلا
شجاعا ذا همة عالية ، ورياسة مرضية . خانه
أمرأؤه وغدروه وقتلوه بترانة جهة البحيرة
سنة ٦٩٣ (١٢٩٣ م) (١) .

ولما مات الأشرف تولى بعده أخوه الملك
الناصر محمد بن قلالون وعمره تسع سنين ،
فأقام سنة وخلعه مملوك أبيه زين الدين كتبغا .

فلما تولى زين الدين كتبغا الملك باسم « الملك
العادل » ثار الأمير حسام الدين لاجين نائب
السلطنة على العادل .

وتسلطن (حسام الدين) عوضه . فثار عليه

(١) فى هذه الأيام كانت بوادر النهضة فى أوروبا قد أخذت تلوح
بشائرها . فكان « روجر بيكون » ، مثلا ، مكبا على تعلم اللغة
العربية ، ينهل مما كتب علماء العرب فى « البصريات » (علم
الضوء) مما مكنته من صنع العدسات ، ويستلهم من كيميائهم
ما توصل به الى صنع البارود !

مملوك كان لم يكاد يقتلته حتى قتل أيضا .

استدعى الناصر (الذى خلع من قبل ونفى فى الكرك) ، فقدم وأعيد الى السلطنة مرة ثانية ، فأقام عشر سنوات وخمسة أشهر محجورا عليه ، والقائم بتدبير الدولة الأميران بيرس الجاشنكير ، وسلاّر نائب السلطنة . فأظهر الناصر أنه يريد الحج بعياله ، فوافقه الأميران على ذلك ، فتوجه الى الكرك ونزل بقلعتها ، وصرح بأنه ثنى عزمه عن الحج ، واختار الإقامة بالكرك ، وترك السلطنة ليستريح ، وكتب الى الأمراء بذلك ، وسأل أن ينعم عليه بالكرك والشوبك .

وتسلطن بيرس الجاشنكير وتلقب بالملك المظفر . وكتب للناصر (الملك السابق) تقليدا بنبأية الكرك . فعندما وصله التقليد أظهر البشر وخطب باسم المظفر على منبر الكرك ...

فلم يتركه المظفر ، وأخذ يناكذه ، ويطلب منه من معه من المماليك الذين اختارهم للإقامة عنده ، والخيول التى أخذها من القلعة ، والمال الذى أخذه من الكرك . وهدده ، فحنق لذلك وكتب الى نواب الشام يشكو ما هو فيه ، فحشوه على أخذ ملكه ، ووعدوه بالنصرة ، فتحرك لذلك وسار الى دمشق ، وأمت النواب اليه ، وقدم الى مصر ، وفر بيرس (المظفر) ، وطلع الناصر الى القلعة يوم عيد الفطر سنة ٧٠٩ (١٣١٠ م) فأقام فى الملك ٣٢ سنة و٣ أشهر . ومدة سلطنته ٤٣ سنة و٨ أشهر و٩ أيام .

وكان ملكا عظيما جليلا كفوا للسلطنة ، ذا دهاء ، محبا للعدل والعمارة وطابت مدته ، وشاع ذكره ، وطار صيته فى الآفاق ، وخطب له فى بلاد بعيدة . وقد أسقط المكوس من أعمال الممالك المصرية والشامية ، وأبطل الرشوة وعاقب عليها ، فلا يقلد المناصب الا مستحقها بعد التروى والامتحان

واتفاق الرأى ، ولا يقضى الا بالحق ... فكانت أيامه سعيدة ، وأفعاله حميدة .

وفى أيامه كثرت العمائر حتى يقال : ان مصر والقاهرة زادتا فى أيامه أكثر من النصف ، وكذلك القرى بحيث صارت كل بلدة من القرى القبلية والبحرية مدينة على أفرادها .

وحضر فى أوائل دولته القان غازات بجنود التتار ، فخرج اليهم بعساكر مصر وهزمهم مرتين . وقد قال فيه الصفي الحلى ، من قصيدة طويلة :

الناصر السلطان من خضعت له

كل الملوك مشارقا ومغاربا

ملك يرى تعب المكارم راحة

وبعد راحات الفراغ متاعبا

ترجى مكارمه ويخشى بطشه

مثل الزمان : مسالما ومحاربا

فاذا سطا ملأ القلوب مهابة

واذا سخا ملأ العيون مواها

كالليث : يحشى غابه بزئيره

طورا ، وينشب فى القنص مغالبا

كالسيف : يبدى للتواظر منظرا

طلقا ، ويمضى فى الهياج مضاربا

كالسيل : تحمد منه عذبا واصلا

وبعد قوم عذابا واصبا

كالبحر : يهدى للنفوس نقائسا

منه ، ويبدى للعيون عجائبا

يا أها الملك العزيز ، ومن له

شرف يجر على النجوم ذوايبا

أصلحت بين المسلمين بهيمة

تذر الأجانب بالوداد أقاربا

ووهبتهم زمن الأمان ... فمن رأى

ملكا يكون له الزمان مواها ؟

المقيمون بمصر يفعلون فعلهم ، حتى ينتقوا نظام الدولة ، ويزيلوا السلطان والأمراء .

ولما خرج السلطان وبعد عن مصر آثاروا الفتنة بعد أن استمالوا طائفة من المماليك السلطانية ، وفعلوا ما فعلوه ، ونادوا بموت السلطان ، وولوا ابنه وثار أيضا أصحابهم على السلطان في العقبة ، فانهزم طالبا المجد إلى مصر . وجرى ما هو مسطر في الكتاب من ذبح الأمراء واختفاء السلطان وخنقه ، وتمكن هؤلاء الأجلاب من الدولة ، ووصل كل صعلوك منهم لمزاج الملوك ، وأزالوا عز الدولة القلاونية ، وأخذوا لأنفسهم الأمريات والمناصب ، وأصبح الذين كانوا بالأمس أسفل الناس ... ملوك الأرض يجيى إليهم ثمرات كل شيء !

ثم وقعت فيهم حوادث وحروب أسفرت عن ظهور برقوق البركسى ، أحد مماليك بلغا العمرى وكان غاية في الدهاء والمكر ، فلم يزل يدبر لنفسه حتى عزل ابن الأشرف وأخذ السلطنة لنفسه والأشرف هذا هو آخر دولة المماليك البحرية .

وبرقوق هو أول ملوك الجراكسة بمصر . وبعده ابنه فرج واستمر الملك فيهم وفي أولادهم إلى الأشرف قانصوه الغورى .

وابتداء دولتهم سنة ٧٨٤ (١٣٨٢ م) ، وانقضاؤها سنة ٩٢٣ (١٥١٧ م) ، فتكون مدة دولتهم ١٣٩ سنة .

وسبب انقضاء دولة المماليك الجراكسة ، فتنة السلطان سليم شاه بن عثمان ، وقدمه إلى الديار المصرية ، فخرج إليه سلطان مصر قانصوه الغورى فلاقاه عند مرج دابق بحلب . وخامر عليه أمراؤه : خير بك ، والغزالي ، فخذلوه وفقدوه .

وتولى من أولاد السلطان الناصر ، وأولاد أولاده ، اثنا عشر سلطانا :

منهم السلطان حسن صاحب الجامع بسوق الخيل بالرميلة . ومن شاهده عرف علو همته بين الملوك .

ومنهم الملك الأشرف شعبان . وهو الذى أمر الأشراف بوضع العلامة الخضراء في عمامتهم . وفي ذلك يقول بعضهم :

جعلوا لأبناء النبى علامة

ان العلامة شأن من لم يشهر

نور النبوة في كريم وجوههم

يغنى الشريف عن الطراز الأخضر

وفي أيام الأشرف هذا قدمت الافرنج إلى الاسكندرية على حين غفلة ، ونهبوا أموالها ، وأسروا نساءها . ووصل الخبر إلى مصر فتجهز الأشرف وسار بعساكره فوجدهم قد ارتحلوا عنها وتركوها . ويقال ان الفرساوى الذى يكون في أذنه قرط ... أمه أصلها من النساء المأسورات في تلك الواقعة !

وفي أيامه كثر عبث المماليك الأجلاب ، فأمر بإخراجهم من مصر ، فتجمعوا وعصوا ، فحاربهم وقتلهم فانهزموا ، فقبض على كثير منهم ، فقتل منهم طائفة ، وغرق منهم طائفة ، ونفى منهم طائفة ، وبقي منهم بمصر طائفة التجأوا إلى بعض الأمراء .. وكانوا أرذل مذكور في الاقليم المصرى !

فلما عزم الأشرف على الحج ، انتهزوا عند ذلك الفرصة ، وكتبوا أمرهم ، ومكروا مكرمهم ، وتواعدوا مع أصحابهم الذين بصحبة السلطان أنهم يشيرون الفتنة مع السلطان في العقبة ، وكذلك

بأجمعهم اقتسموا قسمين ، واحتربوا بأسرهم
حزبين : فرقة يقال لها « قفارية » . وأخرى تدعى
« قاسمية » .

ولذلك أصل مذكور ، وفي بعض سير المتأخرين
مسطور .. لا بأس بإيراده في المسامرة ، تمييزا
للمعرض في مناسبة المذاكرة :

وهو أن السلطان سليم شاه ، لما بلغ من ملك
الديار المصرية مناه ، قال يوما لبعض جلسائه :
يا هل ترى هل بقى أحد من الجراكسة نراه ؟

فقال له خير بك : نعم أيها الملك العظيم . هناك
رجل قديم ، يسمى سودون الأمير ، طاعن في السن
كبير ، رزقه الله تعالى بولدين شهيدين بطلين ،
لا يضاهيهما أحد في الميدان . فلما حصلت هذه
القضية ، تنحى وحبس ولديه بالدار ، وعكف على
العبادة .

فقال السلطان : هذا والله رجل عاقل ينبغي لنا
أن نذهب لزيارته .

ثم ركب في الحال الى أن وصل اليه ، ودخل
عليه . فعندما عرف أنه السلطان بادر لمقابلته وسلم
عليه ، فأمره بالجلوس الى أن اطمأن خاطره .
وسأله عن سبب عزلته ، فأجابه أنه لما رأى في دولتهم
اختلال الأمور ، وترادف الظلم والجور ، « فتنحيت
عن حال الغرور ، وتباعدت عن نار الشرور ، ومنعت
ولدى عن التدخل في الأهوال ، وحبستهما عن
مباشرة القتال ، خوفا عليهما لما أعلمه فيهما من
الاقدام .. » .

ثم أحضر ولديه قاسما وذا الفقار ، وأخرجهما
من محبسهما . فنظر اليهما السلطان ، فرأى فيهما
مخايل الفرسان الشجعان ..

ثم ركب السلطان سليم عائدا الى مكانه .
وأصبح ثالى يوم ، فركب السلطان مع القوم .
وخرج الى الخلا ، بجمع من الملا . وجلس ببعض

ولم يزل حتى تملك السلطان سليم الديار
المصرية والبلاد الشامية ، وأقام خير بك نائبا بها
كما هو مسطر ومفصل في تواريخ المتأخرين ، مثل
« مرج الزهور » لابن اياس ، وابن زبيل (١) .
ولما خلاص أمر مصر للسلطان سليم .. رجع الى
بلاد ، وأخذ معه الخليفة العباسى ، واقطعت
الخلافة والمبايعه ، وأخذ صحبتة ما اقتناه من أرباب
الصنائع التى لم توجد فى بلاده بحيث انه فقد من
مصر نيف وخمسون صنعة (٢) ..

ولما توفى السلطان سليم تولى بعده السلطان
سليمان .. ولم تزل البلاد منتظمة فى سلوكهم ،
ومنفادة تحت حكمهم ، من ذلك الأوان الذى
استولوا عليها فيه ، الى هذا الوقت الذى نحن فيه ،
وولاية مصر نوابهم ، وحكامها أمراؤهم .

وكانوا فى صدر دولتهم من خير من تقلد أمور
الأمة بعد الخلفاء المهديين .. فانظروا ، يا أخى ،
وتأمل .. ويضيق صدرى ولا ينطق لسانى ! وليس
الحال ببجهول ، حتى يفصح عنه اللسان بالقول ..
وقد أحرصنى العجز أن أفتح قفا ، أفغير الله أبتغى
حكما ؟

وكانوا قديما على صحة

فقد داخلتهم حروف العلل

وفى أثناء الدولة العثمانية ، ونوابهم وأمراؤهم
المصرية ، ظهر فى عسكر مصر سنة جاهلية ، وبدعة
شيطانية .. زرعت فيهم النفاق ، وأسست فيما بينهم
الشقاق . ووافقوا فيها أهل الحرف اللثام ، فى
قولهم « سعد » و « حرام » . وهو أن الجند

(١) هى كتب حافلة مستندة - بالذات - الى قراء
« كتاب الشعب » .

(٢) لقد رأت مصر من أيام السود ما رأت ، وهانت من السلب
والنهب ما حالت .. ولكنها لم تشهد أسوأ مما فعل بها سليم
بقلته هذه ، ولم ينل من تراثها ماد ما نال هذا الجلف الفشوم !

القصور ، ونبه على جميع أصناف العساكر بالحضور .

وطلب الأمير سودون وولديه ، فحضروا بين يديه . فقال لهم : أتدرون لم طلبتكم ؟ فقالوا : لا يعلم ما فى القلوب ، الا علام الغيوب .

فقال : أريد أن يركب قاسم وأخوه ذو الفقار ، ويترامحا ويتسابقا بالخيال فى هذا النهار .

فامتلا أمره ، فنزلا وركبا ورمحا ولعبا ، وأظهرا من أنواع الفروسية الفنون ، حتى شخصت فيهما العيون . ثم أشار اليهما ، فنزلا عن فرسيهما ، وصعدا الى أعلى المكان ، فخلع عليهما السلطان .

ثم خرج فى اليوم التالى ، وحضر الأمراء والعسكر المتوالى . فأمرهم أن ينقسموا بأجمعهم قسمين ، وينحازوا بأسرهم فريقين : قسم يكون رئيسهم ذا الفقار ، والثانى أخوه قاسم الكرلى ، وأضاف الى ذى الفقار أكثر فرسان العثمانيين ، والى قاسم أكثر الشجعان المصريين . وميز الفقارية بلبس الأبيض من الثياب ، وأمر القاسمية أن يتميزوا بالأحمر فى الملبس والركاب . وأمرهم أن يركبوا فى الميدان على هيئة المتحاربين ، وصورة المتنازدين المتخاصمين . فأذعنوا بالانقياد ، وعلوا على ظهور الجياد . وساروا بالخيال ، وانحدروا كالسيل . وانعطفوا متسابقين ، ورمحوا متلاحقين . وتناوبوا فى النزال ، واندفعوا كالجبال ، وارتفعت الأصوات ، وكثرت الصيحات .. وكاد الخرق يتسع على الراقع . وقرب أن يقع القتل والقتال ، فنودى فيهم عند ذلك بالانفصال ..

فمن ذلك اليوم افترق أمراء مصر وعساكرها فرقتين ، واقتسموا بهذه الملعبة حزين . واستمر كل منهما على محبة اللون الذى ظهر فيه ، وكره اللون الآخر فى كل ما يتلبسون فيه .. حتى أوالى

المتناولات ، والماكولات والمعروبات .. والفقارية يميلون الى « نصف سعد » والعثمانيين ، والقاسمية لا يألون الا « نصف حرام » والمصريين . وصار فيهم قاعدة لا يتطرقها اختلال ، ولا يمكن الانحراف عنها بحال من الأحوال (١)

ولم يزل الأمر يفشو ويزيد ، ويتوارثه السادة والعبيد ، حتى تجسم ولما ، وأهرقت فيه الدماء . فكم خربت بلاد ، وقتلت أمجاد ، وهدمت دور ، وأحرقت قصور ، وسييت أحرار ، وقهرت أخيار !

وفيل غير ذلك ، وأن أصل القاسمية ينسبون الى قاسم بيك الدفتردار تابع مصطفى بيك ، والفقارية نسبة الى ذى الفقار بيك الكبير . وأول ظهور ذلك من سنة ١٠٥٠ (١٦٤٠ م) . والله أعلم بالحقائق .

واتفق أن قاسم بيك المذكور أنفأ فى بيته قاعة جلوس ، وتأتق فى تحسينها ، وعمل فيها ضيافة لذى الفقار بيك أمير الحج المذكور ، فأتى عنده وتغدى عنده بطائفة قليلة .

ثم قال له ذو الفقار بيك : وأنت ايضا ضيفى فى غد .

وجمع ذو الفقار مماليكه فى ذلك اليوم - صناجق وأمراء واختيارية - وحضر قاسم بيك بجمع من طائفته ، فدخل قاسم بيك عنده فى البيت . وأوصى ذو الفقار أن لا أحد يدخل عليهما الا بطلب ، الى أن فرشوا السباط ، وجلس صحبتهم على السباط .

فقال قاسم بيك : حتى يقعد الصناجق والاختيارية !

(١) صحت هذه القصة ام لم تصح .. فلا تزال سياسة « فرق تسد » هى المفتاح السحري لعاد يبريد أن يعجنم على صدأمة من الأمم !

وكانت الفقارية موصوفة بالكثرة والكرم ،
والقاسمية بكثرة المال والبخل .

وكان الذى يتميز به أحد الفريقين من الآخر
إذا ركبوا فى المواكب أن يكون يبرق الفقارى
أبيض ، ومزاريقه برمانه .. ويبرق القاسمية أحمر ،
ومزاريقه بجلبة ... ولم يزل الحال على ذلك .

فقال ذو الفقار : انهم يأكلون بعدنا . هؤلاء
جبيهم مماليكى ، عندما أموت يترحمون على ،
ويدعون لى .. وأنت قاعتك تدعو لك بالرحمة !
لكونك ضيعت المال فى الماء والطين !

فعند ذلك تبه قاسم بك ، وشرع ينشئ
اشراقات كذلك .

مطلع اليوميات

استهل القرن الثانى عشر (الهجرى) وهو يوازى المدة الواقعة بين ١٦٨٨ و ١٧٨٦ م)
وأمرء مصر فقارية وقاسمية .

الفقارية : ذو الفقار بيك ، وإبراهيم بيك أمير الحج ، ودرويش بيك ، وإسماعيل بيك ،
ومصطفى بيك قزلار ، وأحمد بيك قزلار بجدة ، ويوسف بيك القرد ، وسليمان بيك
بارم ذيله ، ومرجان جوز بيك (وكان أصله قهوجى السلطان محمد ، عملوه صنجقا
فقاريا بمصر) - الجميع تسعة ، وأمر الحج منهم .

والقاسمية : مراد بيك الدفتردار ، ومملوكه أبو ظبيك ، وإبراهيم بيك أبو شنب ،
وقانصوه بيك ، وأحمد بيك منوفية ، وعبد الله بيك .

ونواب مصر : من طرف السلطان سليمان بن عثمان فى أوائل القرن : حسن باشا
السلحدار سنة ١٠٩٩ - ١١٠١ هجرية . والسلطان فى ذلك الوقت السلطان سليمان ،
ابن إبراهيم خان .

امارة الحج : وتقلد إبراهيم بيك أبو شنب اماره الحج . وإسماعيل بيك دفتردار -
وذلك سنة ١٠٩٩ هجرية . . .

يوميات البحري

أوانه على العادة . ثم عزل حسن باشا ونزل الى بيت محمد بيك حاكم جرجا المقتول . وتولى قيطاس بيك قائمقام فكانت مدته هذه المرة سنة واحدة وتسعة أشهر .

سنة ١١٠١ هجرية

المحرم

١٦ منه (٢٠ أكتوبر ١٦٨٩ م)
تولى أحمد باشا وحضر من طريق البر — وكان سابقا كنتخدا ابراهيم باشا الذي مات بمصر (١) — وطلع الى القلعة .
ووصل أغا بطلب ألفى عسكري وعليهم صنجق يكون عليهم سردارا ، فعينوا مصطفى بيك حاكم جرجا سابقا .

جمادى الآخرة

منتصفه (٢٦ مارس ١٦٩٠ م)
سافر مصطفى بيك ومعه الألفا عسكري . وفي هذا التاريخ سافرت تجريدة عظيمة الى ولاية البحيرة والبهنسا وعليهم صنجقان . وسافر أيضا خلفهم اسماعيل بيك ، وجميع الكشاف وكنتخدا الباشا وأغوات البلكات وكنتخدا الجاوشية وبعض اختيارية . وحاربوا ابن وافي وعربانه مرارا ، ثم وقعت وقعة كبيرة فهزم فيها الأحزاب وولوا منهزمين نحو الفرق .

(١) تولى في ١٢ جمادى الآخرة سنة ١١٠٢ هـ (١٣ مارس ١٦٩١ م) فكانت مدة ولايته سنة وستة أشهر . ومن مآثره ترميم الجامع المؤيدى . وقد كان تدامى للسقوط .

سنة ١٠٩٩ هجرية

ذو الحجة

آخره (٢٥ أكتوبر ١٦٨٨) :

حصلت واقعة عظيمة بين ابراهيم بيك بن ذى الفقار وبين العرب الحجازيين ، خلف جبل الجيوشى . وقتلوا كثيرا من العرب ونهبوا أرزاقهم ومواشيهم . وأحضر منهم أسرى كثيرة ، ووقفت العرب فى طريق الحج تلك السنة بالشرفة . فقتلوا من الحج خلقا كثيرا وأخذوا نحو ألف جمل بأحمالها ، وقتلوا خليل كنتخدا الحج فعين عليهم خمسة أمراء من الصناجق فوصلوا الى العقبة وهرب العربان .

سنة ١١٠٠ هجرية

جمادى الآخرة

٤ منه (٢٦ مارس ١٦٨٩ م) :

خفق الباشا كنتخداه بعد أن أرسله الى دير الطين ، على أنه يتوجه الى جرجا لتحصيل الغلال ، وذلك لذنوب ثقله عليه .

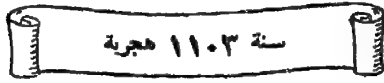
شعبان

(مايو ١٦٨٩ م)

تعب المحابيس العرقانة ، وهرب المسجونون منها .

وفيه غلت الأسعار مع زيادة النيل وطلوعه فى

أحمد بن السلطان إبراهيم ، فزنت مصر ثلاثة أيام
وضربت مدافع من القلعة .



صفر

١٣ منه (٥ نوفمبر ١٦٩١ م) :

ورد نجاب من مكة وأخبر بأن الشريف سعد
تغلب على محسن وتولى إمارة مكة . فأرسل
الباشا عرضا الى السلطنة بذلك .

ربيع الأول

٨ منه (٢٩ نوفمبر ١٦٩١ م) :

ورد مرسوم مضمونه ولاية نظر الدشايش
والحرمين لأربعة من الصناجق ، فتولى : إبراهيم
بيك بن ذى الفقار أمير الحج حالا عوضا عن أغات
مستحفظان ، ومراد بيك الدفتردار على المحمدية
عوضا عن كتحدا مستحفظان ، وعبد الله بيك على
وقف الخاصكية عوضا عن كتحدا العزب ،
واسماعيل بيك على أوقاف الحرمين عوضا عن
باشجاويش مستحفظان ، فألبسهم على باشا قفاطين
على ذلك .

رمضان

مستهل (١٧ مايو ١٦٩٢ م) :

حضر من الديار الرومية الشريف سعد بن زيد
بولاية مكة وتوجه الى الحجاز .

شوال

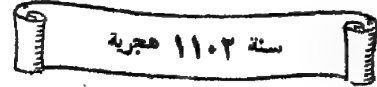
(يونيو ١٦٩٢ م)

فيه سافر على كتحدا أحمد باشا المنوفى الى
الروم .

وفيه تقلد اسماعيل بيك الدفتردارية عوضا
عن مراد بيك .

وأما قيطاس بيك (١) وحسن أغا بلفية وكتخدا
الباشا .. فانهم صادفوا جمعا من العرب في طريقهم ،
فأخذوهم ونهبوا مالهم وقطعوا منهم رؤوسا ثم
حضروا الى مصر .

وفى أيامهم كانت وقعة ابن غالب شريف مكة
ومحاربته بها مع محمد بيك حاكم جدة ، فكانت
الهزيمة على الشريف .



رجب

١٥ منه (١٤ مايو ١٦٩١) :

حضر قانصوه بيك - تابع قيطاس بيك
(المتوفى) - من سفره بالخرينة مكان كتحدا الباشا
المتولى قائمقام بعد موت سيده فألبس قانصوه بيك
دفتردار .

ثم ورد مرسوم بولاية على كتحدا الباشا
قائمقام وأذن بالتصرف الى آخر مسرى (٦ الحجة
١١٠٢ / أول سبتمبر ١٦٩١ م) فكانت مدة
تصرفه أربعة وتسعين يوما .

رمضان

٢٢ منه (١٩ يونية ١٦٩١) :

تولى على باشا وحضر من البحر الى القلعة .
وحصر صحبته ترخان وأقام بمصر الى أن توجه
الى الحج ورجع على طريق الشام .

ذوالقعدة

٢٢ منه (١٧ أغسطس ١٦٩١) :

حضر قرا سليمان من الديار الرومية (٢) ومعه
مرسوم مضمونه : الخبر بجلوس السلطان

(١) تولى في ١٤ رجب سنة ١١٠٢ هـ (١٣ مايو ١٦٩١ م)

(٢) يعنى بالديار الرومية : مقر الخلافة الاسلامية ...

استنبول

١٣ منه (٢٨ يونيو ١٦٩٢ م) :

قتل جلب خليل كتحدا مستحفظان ببابهم .
وحصلت في بابهم فتنة أثارها كجك محمد ، وأخرجوا
سليم أفندي من بلکہم ورجب كتحدا والبسوہما
الصنجقية .

٢٣ منه (٨ يوليو ١٦٩٢) :

أبطل كجك محمد الحمايات من مصر ، باتفاق
السبع بلکات ، وأبطلوا جميع ما يتعلق بالعزب
والانكشارية من الحمايات بالشعور وغيرها . وكتب
بذلك « بيورلدی » (١) ، ونادوا به في الشوارع .

ذوالقعدة

غرة (١٥ يوليو ١٦٩٢) :

قبض الباشا على سليم أفندي وخنقه بالقلعة
ونزل الى بيته محمولاً في تابوت .

وتغيب رجب كتحدا ثم استعفى من الصنجقية
فرفعوها عنه وسافر الى المدينة

سنة ١١٠٤ هجریة

ربيع الأول

١٨ منه (٢٧ نوفمبر ١٦٩٢ م) :

ورد مرسوم بتزيين الأسواق بمصر وضواحيها
بمولودين توأمين رزقهما السلطان أحمد سمي
أحدهما : سليمان والآخر ابراهيم .

شعبان

١٢ منه (١٨ أبريل ١٦٩٣ م) :

سافر حسين بيك أبو يدك بألف نفر من العسكر
لاحقاً بابراهيم بيك أبي شنب ، الذي سافر في
أواخر ربيع الأول (أوائل ديسمبر ١٦٩٣ م) للقلعة
كرید .

(١) « بيورلدی » أي موافقة .

سنة ١١٠٥ هجریة

رمضان

١٢ منه (٧ مايو ١٦٩٤) :

هبّت ریح شديدة وتراب أظلم منه الجو . وكان
الناس في صلاة الجمعة ، فظن الناس أنها القيامة .
وسقطت المركب التي على منارة جامع طولون
وهدمت دور كثيرة .

سنة ١١٠٦ هجریة

جمادى الآخرة

١٢ منه (٢٨ يناير ١٦٩٥ م) :

حضر الشريف أحمد بن غالب أمير مكة مطرودا
من الشريف سعد .

رجب

٢٨ منه (٤ مارس ١٦٩٥ م) :

ورد الخبر بجلوس السلطان مصطفى بن
محمد (١) .

شعبان

٤ منه (٢٠ مارس ١٦٩٥ م) :

ورد مرسوم بضبط أموال نذير آغا ، واسماعيل
آغا الطواشين ، فسجنوهما بيباب مستحفظان
وضبطوا أموالهما وختموها .

١٢ منه (٢٨ مارس ١٦٩٥ م) :

طلع أحمد بيك بموكب مسافرا باش على ألف
عسكري الى أنكروس .

(١) في ٢٢ جمادى الآخرة تسلط السلطان مصطفى خان الثاني
بعد وفاة السلطان أحمد خان الثاني وله من العمر ٥٤ سنة
حكم منها ٤ سنوات و٨ أشهر .

{ التوقيعات الإلهائية سنة ١١٠٦ هـ }

٢٧ منه (١٢ أبريل ١٦٩٥ م) :

طلع اسماعيل بيك بألف عسكرى لمحافظة
رودس بموكب الى بولاق . فأقام بها ثلاثة أيام ، ثم
سافر الى الاسكندرية .

شمال

٥ منه (١٩ مايو ١٦٩٥ م) .

أنهى أرباب الأوقاف والعلماء والمجاورون
بالأزهر الى على باشا : امتناع الملتزمين من دفع
خراج الأوقاف وخراج الرزق المرصدة على المساجد ،
وما يلزم من تعطيل الشعائر .. فأمر الملتزمين بدفع
ماعليهم من غير توقف ، فامتثلوا

وفي هذا الشهر أرسل الباشا الى مراد بيك
الدفتردار بعمل جمعية في بيته بسبب غلال الأنبار .
فاجتمعوا وتشاوروا في ذلك فوقع التوافق « أن
البلاد الشرافى تبقى غلالها الى العام القابل . وأما
الرى فيدفع ملتزموها ماعليهم » وأخذوا أوراقا
يبيع بالثمن ، اشترها الملتزمون من أرباب
الاستحقاق ، عن الجراية مائة وخمسون نصفا .
وغلقت الملتزمون ماعليهم بشراء الوصلات .

١٢ منه (٢٦ مايو ١٦٩٥ م) :

ورد الخبر من منفلوط بأن الشريف فارس
بن اسماعيل التبتلاوى قتل عبد الله بن وافي شيخ
عرب المغاربة .

ذوالقعدة

١١ منه (٢٣ يونيو ١٦٩٥ م) .

ورد أنما بمرسوم ببيع متاع نذير أغا
واسماعيل أغا المعتقلين ، وضبط أثمانهما ، ماعدا

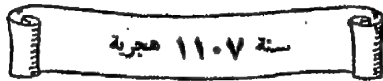
الجواهر والذخائر التى اختلسوها من السرايا ، فانها
تبقى بأعيانها ، وأن يفحص عن أموالهما وأماناتهما
وأن يسجن في قلعة الينكجرية ، ففعل بهم ذلك وبلغ
اثمان المبيعات ألفا . وأربعمائة كيس خلاف الجواهر
والذخائر فانها جهزت مع الأموال صحبة الخزينة
على يد سليمان بيك كاشف ولانة المنوفية .

ذوالحجّة

(يوليو ١٦٩٥ م) :

فيه : سافر الناس من مكة الى دار السلطنة .
وشكوا من ظلم الشريف سعد .. فعين اليه محمديك
نائب جدة واسماعيل باشا نائب الشام فوردا
بصحبة الحج فتحاربوا معه ونزعوه ونهت العسكر
منزله وولوا الشريف عبد الله بن هاشم على مكة .
ثم بعد عود الحج ، رجع سعد وتغلب وطرد
عبد الله ابن هاشم .

وفي هذه السنة قصر مد النيل وهبط بسرعة
فشرقت الأراضي ووقع الغلاء والفناء (١)
وفيها : وقعت مصالحات في المال الميرى
بسبب الرى والشرافى .



المحرم

منتصفه (٢٦ أغسطس ١٦٩٥ م) :

اجتمع الفقراء والشحاذون ، رجالا ونساء
وصبيانا ، وطلعوا الى القلعة ووقفوا بحوش الديوان
وصاحوا من الجوع فلم يجبه أحد ، فرجموا
بالأحجار فركب الوالى وطردهم . فنزلوا الى الرميطة

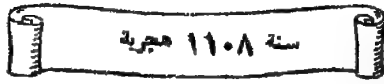
(١) يذكر صاحب التوفيقات الالهامية ان ثمن اردب القمح
بلغ في بولاق ١٢٠ نصف لفة وبالرميطة ١٨٠ نصف لفة
والشعير ١٢٠ والفول كذلك .

الغلاء ، وأعقب ذلك وباء عظيم ، فأمر الباشا بيت المال أن يكفن الفقراء والغرياء فصاروا يحملون الموتى من الطرقات ويذهبون بهم الى مغسل السلطان عند سبيل المؤمن الى أن انقضى أمر الوباء ، وذلك خلاف من كفنه الأغنياء وأهل الخير من الأمراء والتجار وغيرهم .

رجب

١٧ منه (٢١ فبراير ١٦٩٦ م) :

نفلد قبطاس بيك تابع أمير الحج ذى الفقار بيك ، الصنجدية عوضا عن ابن سيده ابراهيم بيك . وفيه ورد الافراج عن نذير أغا ورتب له خمسمائة عثمانى وخمس جرايات وعشر علائف فى ديوان مصر . واستمر رفيقه اسماعيل أغا فى السجن . وفى هذا الشهر ورد مرسوم بطلب ألفين من العسكر وأميرهم مراد بيك .



ربيع الأول

١٢ منه (١٠ أكتوبر ١٦٩٦ م) :

ورد أمر بتزین أسواق مصر سرورا بملود للسلطان وسى محمودا .
وورد أيضا الخبر باستشهاد مراد بيك .

رمضان

١٣ منه (٥ أبريل ١٦٩٧ م) :

قامت العساكر على يأسف اليهودى وقتلوه وجروه من رجله وطرحوه فى الرميلى ، وقامت الرعايا فجمعوا خطبا وأحرقوه ، وذلك يوم الجمعة بعد الصلاة .. وسبب ذلك أنه كان ملتزما بدار الضرب فى دولة على باشا المنفصل . ثم طلب الى اسلامبول

ونهبوا حواصل الغلة التى بها وكالة القمح وحاصل كتخد الباشا وكان ملأنا بالشعير والفلول . وكانت هذه الحادثة ابتداء الغلاء حتى ينع الأردب من القمح بستمائة نصف فضة ، والشعير ثلاثمائة ، والفلول بأربعمائة وخمسين ، والأرز بثمانمائة نصف فضة وأما العدس فلا يوجد وحصل شدة عظيمة بمصر وأقاليمها . وحضر أهالى القرى والأرياف حتى امتلأت بهم الأزقة ، واشتد الكرب حتى أكل الناس الجيف ، ومات الكثير من الجوع . وخلت القرى من أهلها ، وخطف الفقراء الخبز من الأسواق ومن الأفران ومن على رؤوس الخبازين . ويذهب الرجالن والثلاثة مع طبق الخبز يحرسونه من الخطف وبأيديهم العصى حتى يخبزوه بالفرن ثم يعودون به

٢٨ منه (٨ سبتمبر ١٦٩٥ م) :

عزل على باشا وكانت مدته أربع سنوات وثلاثة أشهر وأياما . ونزل الى منزل أحمد كتخد العزب المطل على بركة الفيل .

وفيه حضر مسلم اسماعيل باشا من الشام ، وجعل ابراهيم بيك أبا شنب قائمقام .

صفر

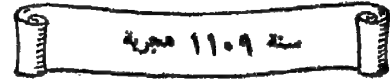
١٧ منه (٢٧ سبتمبر ١٦٩٥ م) :

تولى اسماعيل باشا وحضر من البر وطلع الى القلعة بالموكب على العادة (١) . ورأى مافيه الناس من الكرب والغلاء . فأمر بجمع الفقراء والشحاذين بقراميدان ، فلما اجتمعوا أمر بتوزيعهم على الأمراء والأعيان... كل انسان على قدر حاله وقدرته . وأخذ لنفسه جانبا ولأعيان دولته جانبا ، وعين لهم ما يكفيهم من الخبز والطعام صباحا ومساء الى أن انقضى

(١) يذكر صاحب التوفيقات الالهية ان تولية اسماعيل باشا

فى اول رجب ١١٠٧ هـ (٥ فبراير ١٦٩٦ م)

وسئل عن أحوال مصرف أملى أمورا ، والتزم بتحصيل
الخزينة زيادة عن المعتاد ، وحسن بمكره أحداث
محدثات . ولما حضر مصر تلقته اليهود من بولاق
وأطلعوه الى الديوان . وقرئت الأوامر التي حضر بها
ووافق الباشا على اجرائها وتنفيذها ، وأشهر النداء
بذلك في شوارع مصر ، فاغتم الناس وتوجه التجار
وأعيان البلد الى الأمراء وراجعوهم في ذلك ،
فركب الأمراء والصناع وطلعوا الى القلعة
وقاوضوا الباشا فجابوهم بما لا يرضيهم ، فقاموا عليه
قومة واحدة وسألوه أن يسلمهم اليهودى فامتنع من
تسليمه فأغلظوا عليه وصموا على أخذه منه .
فأمرهم بوضعه في العرقانة ولا يشوشوا عليه حتى
ينظروا في أمره ، ففعلوا به كما أمرهم ، فقامت الجند
على الباشا وطلبوا أن يسلمهم اليهودى المذكور
ليقتلوه فامتنع ، فمضوا الى السجن وأخرجوه
وفعلوا به ما ذكر .



سفر

(أغسطس ١٦٩٧ م)

فيه : وردت سكة دينار عليها طرة ، فجمع الباشا
الأمراء ، وأحضر أمين الضربخانة ، وسلمها له
وأمره أن يطبع بها ، وأن يكون عيار الذهب ٢٢
قيراطا ، والوزن كل مائة شريفى مائة وخمسة عشر
درهما ، وسعر الأبي طرة مائة وخمسة عشر نصفا .
وفيه : لبس عبد الرحمن بيك على ولاية جرجا
وتوجه إليها .

ربيع الأول

١٢ منه (٢٨ سبتمبر ١٦٩٧ م) :

قامت العسكر المصرية وعزلوا الباشا فكانت
مدة اسماعيل باشا سنتين ، وتقلد مصطفى بيك
قائمقام مصر .

منتصفه (٢٧ يناير ١٦٩٨ م) :

حضر حسين باشا من سيدا وطلع الى القلعة
في موكب عظيم .

رمضان

١٩ منه (٣١ مارس ١٦٩٨ م) :

ورد مرسوم بطلب تجهيز ألى نفر من العسكر
وعليهم يوسف بيك المسلمانى ، ف قضى أشغاله
وسافر .

ذو الحجة

منتصفه (٢٤ يونية ١٦٩٨ م) :

خرج اسماعيل باشا الى العادلية^(١) ليسافر وكان
قد حاسبه حسين باشا فتأخر عليه خمسون ألف
أردب دفع عنها خمسين كيسا وباع منزله وبلاد
البدرشين التى كان قد وقفها وتوجه الى بغداد .



جمادى الآخرة

آخرها (٢ يناير ١٦٩٩ م) :

ظهر رجل من أهل الفيوم يدعى بالعلمى ، قدم
الى القاهرة وأقام بنظر القهوة المواجهة لسبيل المؤمن
فاجتمع عليه كثير من العوام ، وأدعوا فيه الولاية .
وأقبلت عليه الناس من كل جهة ، واختلط النساء
بالرجال . وكان يحصل بسببه مفاسد عظيمة ، فقامت
عليه العسكر وقتلوه بالقلعة ودفن بناحية مشهد
السيدة نفيسة .

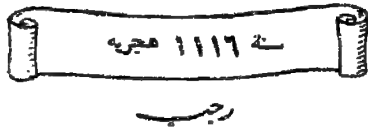
شوال

١٤ منه (١٥ ابريل ١٦٩٩ م) :

كانت واقعة المغاربة من أهل تونس وفاس .
وذلك أن من عادتهم أن يحملوا كسوة الكعبة التى

(١) هى الوايلية الا ٥٠

وفي هذه السنة ، أمر الباشا بقطع السقائب
والدكاكين لأجل توسعة الطريق والاسواق ، مصر
ذلك . ثم أمر بقطع الأرض وتمهيدها فحفروا نحو
خراع أو أكثر من الأسواق ففعل ذلك



(نوفمبر ١٧٠٤ م) :

في هذا الشهر عزل قره محمد باشا من ولاية
مصر .. فكانت مدة ولايته خمس سنوات . ومن أهم
مآثره : تعمير الأربعين الذي بجوار باب قراميدان .
وأنشأ فيه جامعا بخطبة ، وتكية للفقراء الخلوتية من
الأروام^(١) وأسكنهم بها . وأنشأ تجاهها مطبخا ودار
ضيافة للفقراء ، وفي علوها مكتبا للأطفال يقرأون
فيه القرآن ، ورتب لهم ما يكفيهم ، وأنشأ فيها بينها
وبين البستان المعروف بالغورى حماسا فسيحا
مفروشا بالرخام الملون ، وجدد بستان الغورى ،
وغرس فيه الأشجار ، ورمم قاعة الغورى التى
بالبستان .

شعبان

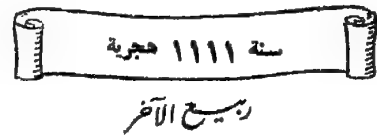
٦ منه (٤ ديسمبر ١٧٠٤ م)

تولى رامى محمد باشا^(٢) ، وكان تبولى
الوزارة في زمن السلطان مصطفى واتصل عنها
وجعل محافظا بجزيرة قبرص ، ثم حضر منها واليا
على مصر وطلع الى القلعة .

(١) يعنى بالاروام ... الاتراك

(٢) يخالف الحاج مصطفى بن ابراهيم - في كتابه « تاريخ
وقائع مصر » ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ١٤٠٢ - تاريخ
الجبرى وصاحب التوفيقات الالهامية في تاريخ تولية محمد
رامى باشا فيذكر انه تولى مصر في سنة ١١١٧ هـ (١٧٠٥ م)
ويقول أيضا انه دخل مصر في موكب عظيم وطلع الى قلعة
الجبيل ، وعمل له الانكشافية فنك مدافع من الابراج .

تعمل كل سنة للبيت الحرام ، ويمرون بها في وسط
القاهرة ، وتحمل المغاربة جانبا منها للتبرك بها
ويضربون كل من رأوه يشرب الدخان في طريق
مروهم ، فرأوا رجلا من أتباع مصطفى كتخدا
القازدغلى ، فكسروا أنبوتته وتشاجروا معه وشجوا
رأسه . وكان في مقدمتهم طائفة منهم مسلحون ، وزاد
التشاجر ، واتسعت القضية ، وقام عليهم أهل السوق .
وحضر أوده باشة البوابة فقبض على أكثرهم ،
ووضعهم في الحديد وطلع بهم الى الباشا وأخبروه
بالقضية ، فأمر بسجنهم بالعرقانة ، فاستمروا حتى
سافر الحج من مصر ومات منهم جماعة في السجن
ثم أفرج عن باقيهم .



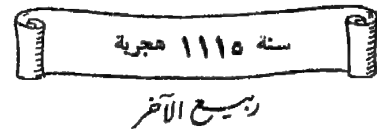
منتصفه (١٠ أكتوبر ١٦٩٩ م) :

حضر الى مصر قره محمد باشا المتولى عليها
وهو كتخدا اسماعيل باشا .



(٢٨ مايو ١٧٠٢ - ١٦ مايو ١٧٠٣)

فيها ولاية (قره محمد باشا) ، حصلت حادثة
الفضة المقصوفة والتسعيرة .



١٧ منه (٣٠ اغسطس ١٧٠٣ م) :

وردت الأخبار بوفاة السلطان مصطفى
خان الثانى^(١) .

(١) توفى السلطان مصطفى خان الثانى بن السلطان محمد
الرابع وله من العمر ٤٠ سنة حكم منها ٨ سنوات و٨ اشهر
وتسلطن بعد السلطان احمد الثالث بن السلطان محمد الرابع .
(التوفيقات الالهامية)

١٧ منه (١٥ ديسمبر ١٧٠٤ م) :

تقلد قيطاس بيك إمارة الحج عوضا عن أيوب بيك .

رجب

٦ منه (١٤ أكتوبر ١٧٠٦ م) :

عزل محمد رامى باشا وحضر مسلم على باشا (١) .

٩ منه (١٧ أكتوبر ١٧٠٦ م) :

نزل محمد باشا رامى من القلعة في موكب عظيم . وسكن بمنزل أحمد كتحدا العزب سابقا المثل على بركة الفيل بالقرب من حمام السكران .

شعبان

٩ منه (١٦ نوفمبر ١٧٠٦ م) :

وصل على باشا من طريق البحر ، وذهبت اليه الملاقاة على العادة ، وأرسل بساحل بولاق وهو في نحو ألف ومائتى نفس خلاف الأتباع .

١٢ منه (١٩ نوفمبر ١٧٠٦ م) :

ركب بالموكب وطلع الى القلعة وضربوا المدافع لتدومته .

في آخره (اوائل ديسمبر ١٧٠٦ م) :

وقعت فتنة بين العزب والمتفرقة .. وسببها : أن شخصا من بلك العزب ، يسمى محمد أفندى كاتب صغير سابقا ، ثم بعد عزله تولى خليفة في ديوان المقابلة ، وحصل له تهمة عزل بها من المقابلة . ثم عمل سردار بالاسكندرية على طائفة العزب وعمل كتحدا القبودان .. وركب في المراكب وأشيع أنه غرق في البحر ، فحلوا اسمه وماله من التعلقات في يابه وغيره . وبعد مده حضر الى مصر وطلع الى الديوان . وصحح اسمه الذى في العزب وجراياته وتعلقاته ،

(١) بسميه صاحب التوفيقات الالهية والحاج مصطفى بن ابراهيم في كتابه - وقائع مصر القاهرة - على مسلم باشا

وفي تلك السنة توقف النيل عن الزيادة ، فضج الناس وابتهلوا بالدعاء وطلب الاستسقاء . واجتمعوا على جبل الجيوثى وغيره من الأماكن المعروفة بإجابة الدعاء ، فاستجاب الله لهم . فروى بعض البلاد وهبط سريعا فحصل الغلاء . وبلغ سعر الأردب من القمح والبول ٢٤٠ فضة ، والعدس ٢٠٠ نصف فضة ، والشعير ١٠٠ نصف فضة ، والأرز ٤٠٠ نصف فضة ، واللحم الضانى الرطل ٣ أنصاف فضة ، والجاموسى والبقرى بنصفى فضة ، والسمن القنطار بستمائة نصف فضة ، والزيت بثلاثمائة وخمسين . والدجاجة بثمانية أنصاف فضة . والبيض كل ثلاث بيضات بنصف . والرطل الشمع الدهن بثمانية أنصاف فضة ... وكثر الشحاذون في الأزقة .

سنة ١١١٧ هجرية

(٢٥ أبريل ١٧٠٥ - ١٤ أبريل ١٧٠٦)

اشتد فيها الغلاء (١) .

وفيها أنشأ الأمير الجوريجى جامع الهيايم بالحنفى .

سنة ١١١٨ هجرية

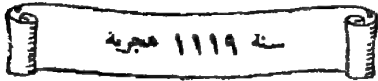
في هذه السنة لم يأت من اليمن ولا من الهند مراكب ، فشح القماش الهندى ، وغلا البن حتى بلغ القنطار ٢٧٥٠ نصفاً . وغلا الشاش ، فبيع الفرحات

(١) أخبار هذا العام نقلناها من التوفيقات الالهية .

ذو الحجة

٢ منه (٧ مارس ١٧٠٧ م) :

عزل على آغا مستخفظان وتولى عوضه رضوان آغا كتحدا الجاوشية سابقا وركب بالشعار المعلوم وقطع ووصل وأمر أهل الأسواق أن يدمغوا الأبطال في دار الضرب بالدمغة السلطانية ، وجعلوا على كل دمغة نصف فضة فتحصل من ذلك مال له سورة .



المحرم

١٧ منه (٢٠ أبريل ١٧٠٧ م) :

توفي اسماعيل بك الدفتردار وولى أيوب بك عوضه وهو الذى كان أمير الحج سابقا .

صفر

٦ منه (٩ مايو ١٧٠٧ م) :

ورد مرسوم من السلطان أحمد بأن يكون عيار الذهب اثنين وعشرين قيراطا ، وكانوا يقطعونه على ستة عشر .

٩ منه (١٢ مايو ١٧٠٧ م) :

ورد أمر بحبس محمد باشا رامى ويبيع كامل ما يملكه من متاع وملبوس وغيره ، فحبس بقصر يوسف صلاح الدين ، وابطال والى البحر الذى يتولى من باب العزب .

وفيه وصل الحجاج وقد تأخروا الى نصف صفر .. بسبب دخول مراكب الهند وشراء ما بها من الأقمشة .

ربيع الأول

(يونيو ١٧٠٧ م) :

حبس جماعة من أتباع الباشا وهم : الكتخدا والخازندار وغيرهم من أرباب الكلمة .

ربقى له بعض نعلماء لم يقدر على خلاصها .. ولم يساعد أهل بابه وأهباوا أمره . فتعبر خاطره منهم : وذهب الى تلك المتفرقة : وانضم اليهم وسألهم أن يخرجوه من العزب ويدخلوه فيهم . وجعل يركب معهم كل يوم للديوان ويمر على باب العزب . فبينما هو ذات يوم طالع الى الديوان ، اذ وقف له جماعة من العزب ، وقبضوا على لجام فرسه وأنزلوه من على فرسه وجسوه في بابهم ، وبلغ الخبر المتفرقة وهم في الديوان وحضر محمد أمين بيت المال في العزب : وكان في ذلك اليوم نائبا عن باشا جاويز لتعرضه فعاتبه جماعة المتفرقة على ما فعله جماعته ، فأغلظ عليهم في الجواب فقبضوا عليه من أطواقه : وأرادوا ضربه فدخل بينهم المصلحون وخلصوه من أيديهم ، فنزل الى باب العزب وأخبرهم بما فعله المتفرقة . فاجتمعت طائفة العزب ووقفوا على بابهم .. فلما مر عليهم اثنان من جماعة المتفرقة نازلين الى منازلها وهما : محمد الأبدال وصارى طلى . فلما حاذياهم هجم عليهما طائفة العزب هجمة واحدة وضربوهما ضربا مؤلما ، وأنزلوهما عن الخيل وشجوهما ونهبوا ما على الخيل من العدد وأخذوا ما عليهما من الملبوس . فلما وصل الخبر للمتفرقة اجتمعوا مع بقية الوجاقات وقعدوا في باب الينكجerie ، وأنهوا أمرهم الى الأغوات والصناجق وأهل الحل والعقد . واستمروا على ذلك ثلاثة أيام الى أن وقع التوافق على إخراج أربعة أنفار ... الذين كانوا سببا لاشعال نار الفتنة ونفيهم من مصر وهم : أحمد كتخدا العزب ومحمد أمين بيت المال والشريف محمد باشا أوده باشه ومحمد أفندى قاضى أوغلى الذى كان الباعث على ذلك ، فوافق على ذلك الجميع وصمموا عليه فسفروهم الى جهة الصعيد .

ربيع الآخر

١٨ منه (١٦ سبتمبر ١٧٠٧ م) :

تقلد ابراهيم بيك الدفتردارية عوضا عن أيوب بيك بموجب مرسوم سلطاني .

وفيه عزل رضوان أغا مستحفظان . وتولى أحمد أغا بن بكير افندي عوضا عنه .

وفيه : ورد أمر بإبطال نوبة محمد باشا وتقيته الى جزيرة رودس ، فنزل من يومه الى بولاق وأقام بها الى أن سافر .

رجب

أوله (٢٨ سبتمبر ١٧٠٧ م) :

ورد أمر بعزل على باشا وحبسه في قصر يوسف ، واستخلاص ماعليه من الديون الى تجار اسلامبول . وجعل ابراهيم بيك قائمقام ، وحبس على باشا ويبيت موجوداته .

ووقعت فتنة بباب الينكجيرية ، فعزلوا افرنج أحمد باشا أوده باشا وحسين أوده باشا ، ثم تفوهم الى الطينة بدمياط (١) .

ووردت الأخبار بولاية حسين باشا على مصر وقدمه الى الاسكندرية .

شعبان

٢٢ منه (١٩ نوفمبر ١٧٠٧ م) :

قدم حسين باشا الوالى الى مصر .

وفيه : سافر الشريف يحيى بن بركات الى مكة بمرسوم سلطاني .

وفيه : فر افرنج أحمد أوده باشا وحسين أغا من حبس الطينة ، ودخلا مصر ليلا فاختربا عند أغات

(١) يذكر صاحب التوفيقات الالهامية ان في هذا اليوم اجتهد الوالى في منع المسكر مما كانوا يفعلونه ، فنجوا من ذلك وقاموا عليه قومة واحدة ، وحاصروه بالقلمة ، ونهبت البلد ، واغلقت الحوانيت والخانات .

الجراكسة . والتجأ حسين الى باب التفكجية .

٢٥ منه (٢١ نوفمبر ١٧٠٧ م) :

طلع حسين باشا الى القلعة بانوكب المعتاد على العادة .

٢٦ منه (٢٢ نوفمبر ١٧٠٧ م) :

اجتمع الينكجيرة بالباب بأسلحتهم .. لما بلغهم قدوم افرنج أحمد الى مصر وقالوا : « لا بد من تقيته ورجوعه الى الطينة » فعاند في ذلك طائفة الجراكسة ، وامتنعوا من التسليم فيه وقالوا « لا بد من نقله من وجا قكم » وساعدهم بقية البلكات ، ولم يوافق الينكجيرية على ذلك ، ومكثوا يبابهم يومين وليتين ، وكذلك فعل كل بلك ببابه . فاجتمع كل العلماء والمشايخ على الصناجق والأعيان وخاطبوهم في حسم الفتنة . فوقع الاتفاق على أن يجعلوه صاحب طبليخانة ، وأرسلوا له القفاطين مع كتخدا الباشا وأرباب الدرك . وأحضروه الى مجلس الأغا وقرأوا عليه فرمان الصنجدية ، وان خالف يكون عليه بخلاف ذلك . فامتلل الأمر ولبس الصنجدية وطلع من منزل أغات الجراكسة بموكب عظيم الى منزله ونزل الى الصنجدى السلطاني والطبليخانة .

ذو الحجة

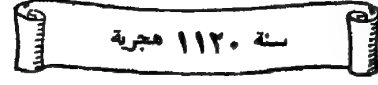
(مارس ١٧٠٨ م) :

فيه ورد أغا بطلب خازندار ابراهيم بك . الدفتردار . وسببه أنه أنهى الى السلطان أن خليل الخازندار المذكور آتاه رجل دلال بقوس ، فصار يجذبها ، ويتصرف فيها ، وكان بجانبه رجل من العشانيين فأخذ القوس من يد خليل ، وأراد جذبها فلم يستطع ، فتعجب من خليل ، وأخذ منه القوس وسافر بها الى الديار الرومية ليمتحن بها أهل ذلك الفن ، فلم يقدر أحد على جذبها . واتصل خبرها بالسلطان فطأها لجذبها ، فلم يستطع .

بذلك ، فأرسل أعوانه وقبضوا على ذلك المملوك وأحضروه اليه ، فأمر بحبسه في سجن الشرطة فلما بلغ محمد جاويش سجن مملوكه حضر هو وأولاده وأتباعه الى باب صاحب الشرطة لخلاص مملوكه ، فتفاوضا في الكلام وحصل بينهما مشاجرة ، فقبض عثمان أوده باشا على محمد جاويش المذكور وأودعه في السجن ، وركب الى باش أوده باشا ، وهو اذ ذاك سليمان بن عبد الله وطلع الى كتخدا مستحفظان وعرض القصة فلم يرضوا له بذلك وأمره باطلاقه ، فرجع وأخرج محمد جاويش ومملوكه من السجن . وفي ثاني يوم الحادثة اجتمعت طائفة الجاويشية مع طائفة المتفرقة والثلاث بلوكات الأسباهية والأمراء والصناجق والأغوات في الديوان ، وطلبوا نفي عثمان أوده باشا المذكور فلم توافقهم الإنكجيرية على ذلك ، فطلعوا الى الديوان وطلبوا عثمان المذكور للدعوى عليه ، فحضر وأقيمت الدعوى بحضرة الباشا والقاضي ، فأمر القاضي بحبس عثمان كما حبس محمد جاويش ، فلم يرض الأخصام بذلك وقالوا « لا بد من عزله ونفيه » فلم توافقهم الإنكجيرية ، فطلب العسكر من الباشا أمرا بنفيه ، فتوقف في ذلك ، فنزلوا مغضبين واجتمعوا بمنزل كتخدا الجاويشية وأنزلوا مطبخهم من نوبة خاناه الى منزل كتخدا الجاويشية صالح أغا وأقاموا به ثلاثة أيام ليلا ونهارا وامتنعوا من التوجه الى الديوان ، ثم اجتمع أهل البلوكات وتحالفوا أنهم على قلب رجل واحد ، واتفقوا على نفي عثمان أوده باشا . ثم اجتمعوا على الصناجق واتفقوا على أن يكونوا معهم على طائفة الإنكجيرية لأنهم لم يعتبروهم . وأرسل الأسباهية مكاتبات لأنفارهم المحافظين مع الكشف بالولايات بأمرهم بالحضور .

وفي ذلك اليوم عزل أوده باشا البوابة وولى خلافه .

فتمجب من صعوبتها ، فقال له الرجل ان بمصر مملوكا عند ابراهيم بك أوترها وصار يجذبها حتى تجمع طرفاها ، وعنده أيضا مكحلة ثلاثون درهما يرمى بها الهدف وهو راح على ظهر الحصان فأمر السلطان باحضاره ، فجهزه ابراهيم بك وأرسله .



شوال

١٨ منه (٣١ ديسمبر ١٧٠٨ م) (١) :

اجتمع عسكر بالديوان وأنهوا الى الباشا أن محمد بك حاكم جرجا أنزل عربان المغاربة وأمنهم ، وهذا يؤدي الى الفساد ، فعزلوه وولوا آخر اسمه محمد من أتباع قيطاس بك جعلوه صنجقا وألبسوه على جرجا ، وهو الذي عرف بقطامش .

١٩ منه (١ يناير ١٧٠٩ م) :

ورد محسن زاده أخو كتخدا الوزير ، فأدخله حسين باشا بموكب حافل وطلع الى القلعة وأبرز مرسوما بعزل ايواز بك وتولية محمد باشا محسن زاده في منصبه ، فأنزله في غيط قراميدان الى أن سافر صحبة الحاج الشريف .

ذوالقعدة

١٤ منه (٢٥ يناير ١٧٠٩ م) :

وقف مملوك لرجل يسمى محمد أغا الحلبي على دكان قصاب بباب زويلة ليشتري منه لحما فتشاجر مع حمار عثمان أوده باشا البوابة فأعلم عثمان

(١) وقع في هذه السنة (اي سنة ١١٢٠ هـ) حوادث بين الأمراء نشأ عنها حروب بينهم استمرت نحو ثمانين يوما بين الفتارية والقاسمية . وكانوا اذ ذاك يخرجون في كل يوم الى خارج القاهرة قريبا من المحل المعروف بقبة الهزب فيتحاربون الى أن تدنو الشمس من الغروب ثم يرجعون الى منازلهم .

السيد اسماعيل الخشاب : تاريخ وقائع بمصر من سنة ١١٠٠ هـ : مخطوطة بدار الكتب المصرية ، مكتبة تيمور .

الجمعة ٢٨ منه (٨ فبراير ١٧٠٩ م) :

حضر الى طائفة الينكجرية من أخبرهم أن
العسكر يريدون قتالهم ، فأرسلوا القابجية الى
أنفارهم ليحضروا الى الباب بآلة الحرب ، فاجتمعوا
وانزعج أهل الأسواق وأقفل غالبهم دكاكينهم ثم
اطمأنوا بعد ذلك وجلسوا في دكاكينهم ، واستمر
أهل الوجاقات الستة يجتمعون ويتشاورون في
أبوابهم وفي منزل محمد أغا المعروف بالشاطر
ومنزل ابراهيم بك الدفتردار . وأما الينكجرية
فانهم كانوا يجتمعون بالباشا فقط .

ذواحجة

الأحد ١٤ منه (٢٤ فبراير ١٧٠٩ م) :

قدم محمد بك الذى كان بالصعيد فى جند
كثيف وأتباع كثيرة وطلع الى ديوان مصر على عادة
حكام الصعيد المعزولين ، ولبس الخلع السلطاني
ونزل الى بيته بالصليبة . ثم ان أهل الوجاقات الستة
اجتمعوا واتفقوا على ابطال المظالم المتجددة بمصر
وضواحيها وكتبوا ذلك فى قائمة واتفقوا أيضا :

أن من كان له وظيفة بدار الضرب والأنبار
والتعريف بالبحرين أو المذبح لا يكون له جامكية
فى الديوان ولا ينتسب لوجاق من الوجاقات .

وآلا يحتسب أحد من أهل الأسواق فى الوجاقات .
وأن ينظر المحتسب فى أمورهم ويحرر موازينهم
على العادة .

وأن يركب معه نائب من باب القاضى مباشرة
معه .

وآلا يتعرض أحد للمراكب التى يبحر النيل التى
تحمل غلال الأنبار .

وأن يحمل الغلال المذكورة جميع المراكب التى
يبحر النيل ولا تختص مركب منها بباب من أبواب
الوجاقات .

وأن كل ما يدخل مصر من بلاد الأمان باسم
الأكل لا يؤخذ عليه عشر .

وآلا يباع شئ من قسم الحيوانات والقهوة الى
جنس الأفرنج .

وآلا يباع رطل البن بأزيد من سبعة عشر نصفاً
فضة .

وأرسلوا القائمة المكتوبة الى الباشا ليأخذوا
عليها « بيورلدى » (١) وينادى به فى الأسواق .
فتوقف الباشا فى اعطاء « البيورلدى » . ولما بلغ
الانكشارية ما فعل هؤلاء اجتمعوا ببابهم وكتبوا
قائمة نظير تلك القائمة بمظالم الخردة ومظالم
اسباهية الولايات وغيرها وأرسلوها الى الباشا
فعرضها على أهل الوجاقات فلم يعتبروها ، وقالوا
لا بد من اجراء قائمتنا وابطال ما يجب ابطاله منها
من المظالم .

الأحد ٢١ منه (٣ مارس ١٧٠٩ م) :

اجتمع أهل الوجاقات ومعهم الصناجق بباب
العزب وقاضى العسكر وقيب الأشراف بالديوان
عند الباشا ، وأرسلوا الى الباشا أن يكتب لهم
« بيورلدى » بابطال ما سألوه فيه والمناداة به .
وان لم يفعل ذلك أنزلوه ، ونصبوا عوضه حاكماً
منهم وعرضوا ذلك على الدولة ، فلما تحقق الباشا
منهم ذلك كتب لهم ما سألوه ، وكتب لهم القاضى
أيضا حجة على موجبه ، ونزل بهم المحتسب وصاحب
الشرطة ونائب القاضى وأغا من تباع الباشا ونادوا
بذلك فى الشوارع .

غاياته (١٢ مارس ١٧٠٩ م) :

كسف جرم الشمس فى الساعة الثامنة ، واستمر
سبع عشرة درجة ثم انجلت .

(١) موافقة

تقلد اماره الحج قيطاس بك مقررًا على العادة في صبيحة المولد النبوي في كل سنة ، وكان أشيع أن بعض الأمراء سعى على منصب اماره الحج . فلما بلغ الينكجيرية ذلك اجتمعوا ببابهم لأبسين سلاحهم وجلسوا خارج الباب الكبير على طريق الديوان بناء على أنه ان لبس شخص اماره الحج خلاف قيطاس بك لا يمكنه من ذلك . فلما رأى الصناجق والأمراء ذلك منهم خافوهم وقالوا : « هذه أيام تحصيل الخزينة ، ونخشى وقوع أمر من هؤلاء الجماعة يؤدي الى تعطيل المال » . فاجتمع رأى الصناجق وأهل الوجاقات الستة على نفى ستة أشخاص من الينكجيرية الذين بأيديهم الحل والعقد ، ويخرجونهم من مصر الى بلاد التزامهم تسكينًا للفتنة حتى يأتي جواب العرض .

فلما بلغ الينكجيرية ما دبروه اجتمعوا في بابهم ، في عددهم وعددهم ، فلم يلتفتوا الى فعلهم وقالوا : « لا بد من فقههم أو محاربتهم » . واجتمعوا كذلك في أبوابهم ، واستعد الينكجيرية في بابهم وشحنوه بالأسلحة والذخيرة والمدافع ، فحصل لأهل البلد خوف وانزعاج ، وأغلقوا الدكاكين ، وقفل الجاوشية مطبخهم من القلعة من النوبة الى منزل كتخدا الجاوشية ، وأقام طائفة الينكجيرية منهم طوائف محافظين على أبواب القلعة وباب الميدان والصحراء الذي بالمطبخ الموصل الى القرافة خوفاً من أن العسكر يستميلون الباشا وينزلونه بالميدان لأنهم كانوا أرسلوا له كتخدا الجاوشية وطلبوا منه النزول الى قراييدان ليتداعوا مع الينكجيرية على يد قاضى العسكر ، فلم تمكنهم الينكجيرية من ذلك ، وحصل لكتخدا الجاوشية ومن معه مشقة في ذلك اليوم من المذكورين عند عودهم من عند الباشا ، وما خلصوا الا بعد جهد عظيم .

السبت ٤ منه (١٦ مارس ١٧٠٩ م) :

اجتمع الينكجيرية عند أغاتهم وتحالفوا أنهم على قلب رجل واحد ، واجتمع أنفارهم جميعا بالفيظ المعروف بخمسين كتحدا وتحالفوا كذلك .

٧ منه (١٩ مارس ١٧٠٩ م) :

اجتمع أهل الوجاقات بمنزل ابراهيم بك الدفتردار وتصالخوا على أن يكونوا كما كانوا عليه من المصافاة والمحبة بشرط أن ينفذوا جميع ما كتب في القائمة ونودي به ، ولا يتعرضوا في شيء منه فلم يستمر ذلك الصلح .

السبت ١١ منه (٢٣ مارس ١٧٠٩ م) :

وقع في الجامع الأزهر فتنة بعد موت الشيخ النشترتي (١) ، ثم ان الينكجيرية قالوا : لا نوافق على نقل دار الضرب الى الديوان حتى تكتبوا لنا حجة بأن ذلك لم يكن لخيانة صدرت منا ولا تخوف عليها . فامتنع أخصامهم من اعطاء حجة بذلك . ثم توافق أهل البلوكات الستة على أن يعرضوا في شأن ذلك الى باب الدولة ، فان أقرها في مكانها رضوا به ، وان أمر بنقلها قفلت . فاجتمعوا هم وقيب الأشراف ومشايخ السجاسيد وكتبوا العرض المذكور ووضعوا عليه ختمهم ما عدا الينكجيرية فانهم امتنعوا من الختم ، ثم أمضوه من القاضى وأرسلوه مع أنفار من البلوكات وأغا من طرف الباشا . وأما الينكجيرية فانهم اجتمعوا ببابهم وكتبوا عرضا من عند أنفسهم الى أرباب الحل والعقد من أهل وجاقهم بالديار الرومية ، وعينوا للسفيرة على افندى كاتب مستحفظان سابقا ، وأحمد جوريجي ، وجهزوهم للسفر .

(١) توفي في ١١٢٠ هـ (١٧٠٨ م)

٢٠ منه (٢٠ مايو ١٧٠٩ م) :

اجتمع الصناجق والعسكر واختاروا محمد بيك الذى كان بالصعيد لحصار القلعة من جهة القرافة على جبل الجيوشى بالمدافع والعسكر ، ففعل ما أمروا به ، وخافت العسكر وقوع نهب بالمدينة فعينوا مصطفى أغا أغات الجراكسة يطوف فى أسواق البلد وشوارعها كما كان يفعل فى زمن مزل الباشا .

السبت ٢٢ منه (١ يونية ١٧٠٩ م) :

اجتمع الأمراء الصناجق والأسباهية بالرميلة وعينوا أحمد بك المعروف بافرنج أحمد أغات التفكجية ليحاصروا طائفة الينكجيرية من بابهم المتوصل منه الى المحجر وباب الوزير، ويمنعوا من يصل اليهم بالأمداد . وأما الينكجيرية الذين كانوا بالقاهرة فاجتمعوا بباب الشرطة ، واتفقوا على أن يدهموا العسكر المحافظين بالباب ويكشفوهم ويدخلوا الى باب الينكجيرية . فلما بلغ الصناجق ذلك والعسكر عينوا ابراهيم الشهير بالوالى ، ومصطفى أغات الجبجية فى طائفة من الاسباهية فنزلوا الى باب زويلة^(١) . ولما بلغ خبرهم الينكجيرية الذين كانوا قد تجمعوا فى باب الشرطة تفرقوا فجلس مصطفى أغا محل جلوس الأوده باشا ، و ابراهيم بك فى محل جلوس العسس ، وانتشرت طوائفهم فى نواحي باب زويلة والخرق^(٢) ، واستمروا ليلة الأحد على هذا المنوال فطلع فى صباحها تقيب الأشراف والعلماء وقاضى العسكر وأرباب الأثاير واجتمعوا بالشيخونيتين بالصليية وكتبوا فتوى بأن الينكجيرية ان لم يسلموا فى نفى المظلوين والا جاز محاربتهم ، وأرسلوا الفتوى صحة جوخدار

من طرف القاضى الى باب الينكجيرية . فلما قرئت عليهم تراخت عزائمهم وفشلوا عن المحاربة وسلموا فى نفى المظلوين بشرط ضمانهم من القتل ، فضمنهم الأمراء الصناجق وكتبوا لهم حجة بذلك ، فلما وصلتهم الحجة أنزلوا الأنفار الثمانية المظلوين الى أمير اللواء ايواز بك^(١) ورضوان أغا^(٢) ، فتوجهوا بهم الى بولاق ومن هناك سافروا الى بلاد الريف .

ربيع الآخر

١٩ منه (٢٨ يونية ١٧٠٩ م) :

ورد أمير آخور صغير من الديار الرومية ، وطلع الى القلعة ، وأبرز مرسومين قرنا بالديوان بمحضر الجمع : أحدهما بإبطال المظالم والحمايات بموجب القائمة المعروضة من العسكر ونفى عطاء الله المعروف ببولاق ، وأحمد جلبى بن يوسف أغا ، وأن يحاسبوا تجار القهوة على مرابعة العشرة اثنى عشر بعد رأس المال والمصاريف . والأمر الثانى بنقل دار الضرب من قلعة الينكجيرية الى حوش الديوان ، وبناء قنطرة اللاهون بالفيوم ، وأن يحسب ما يصرف عليهما من مال الخزينة العامة .

وفى يوم تاريخه : برز أمر من الباشا برفع صنجقية أحمد بك الشهير بافرنج أحمد بك^(٣) والحاقه بوجاق الجميلة . واجتمع أعيان مستحفظان بمنزل أحمد كتخدا المعروف بشهر اغلان ، وأرسلوا خلف افرنج أحمد وتصالحو معه وتعاهدوا على الصدق وأن لا يغدرهم ولا يغدروه ، ومضوا معه الى الباب الجملى ، وأخذوا عرضه ، وركب العمار وطلع الى باب مستحفظان فى جم غفير من الأوده باشية وبقر باش أوده باشا كما كان سابقا وعاد الى منزله .

(١) من طائفة القاسمية .

(٢) من طائفة القاسمية .

(٣) كان جبلا عنيذا . نسبت عنه الفتنة الكبرى التى نجمت منها حروب طويلة بين طوائف المالكة .

(١) بناء أمير الجيوش بدر الجمالى سنة ١٨٥ هـ .

(٢) هو ميدان « باب الخلق » حتى قريب ، وميدان أحمد ماهر الآن . وهو يبدأ من آخر شارع تحت الربع وينتهى أول شارع نهط المدة بجوار مسجد السلطان شاه .

٣٠ منه (٨ يولية ١٧٠٩) :

رجع الأنصار الثمانية المنفيون وأخرجوهم من
وجاق الينكجيرة ووزعوهم على أهل الوجاقات
اطلاع الأمراء الصناجق والأغوات .

جمادى الأولى

أوله (٩ يولية ١٧٠٩ م) :

أرسل القاضي فأحضر مشايخ الحرف وعرفهم
أنه ورد أمر يتضمن أن لا يكون لأحد من أرباب
الحرف والصنائع علاقة ولا نسبة في أحد الوجاقات
السبع ، فأجابوه بأن أغلبهم عسكري وابن عسكري
وقاموا على غير امتثال ، ثم بلغ القاضي أنهم أجمعوا
على إيقاع مكروه به ، فخافهم وترك ذلك وتغافل
عنه ولم يذكره بعد .

جمادى الآخرة

١٥ منه (٢٢ اغسطس ١٧٠٩ م) :

تم بناء دار الضرب التي أحدثوها بحوش
الديوان ، وضرب بها السكة ، وكان محلها قبل
ذلك معمل البارود ، وقتل معمل البارود الى محل
بجوارها .

وفيه لبس ابراهيم بيك أبوشنب (١) أميرا على
الحاج عوضا عن قيطاس بيك ، وتولى قيطاس بيك
دفتردارية مصر عوضا عن ابراهيم بيك بموجب
مرسوم ورد بذلك من الأعتاب .

رمضان

١٩ منه (٢٢ نوفمبر ١٧٠٩ م) :

ورد الخبر بعزل حسين باشا وولاية ابراهيم باشا
القبودان ، ووردت منه مكتابة بأن يكون حسين
باشا نائبا عنه الى حين حضوره . ولم نفوض أمر
النيابة الى أحد من صناجق مصر كما هو المعتاد .

(١) من طائفة القاسمية الدين نفى عليهم ابراهيم كتحفنا -
استاذ طائفة المماليك الابراهيمية . (محمد رفعت رمضان - على
بك الكبير من ١٧) .

شوال

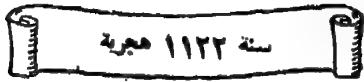
(ديسمبر ١٧٠٩ م) :

ترادفت الأمطار وسالت الأودية حتى زاد بحر
النيل بمقدار خمسة أذرع وتغير لونه لكثرة تمازجة
الطفل للماء في الأودية ، واستمرت الأمطار تنزل
وتنسكب الى آخر الشهر .

ذوالقعدة

١٥ منه (١٦ يناير ١٧١٠ م) :

نزل حسين باشا من القلعة بموكب عظيم وأمامه
الصناجق والأغوات الى منزل الأمير يوسف أغا
دار السعادة بسويقة عصفور ، ووصل ابراهيم
باشا القبودان وطلع الى القلعة في منتصف الحجة .



المحرم

في منتصفه (١٦ مارس ١٧١٠ م) :

اجتمع أهل البلوكات السبعة بسبيل على باشا (١)
بجوار الامام الشافعي ، واتفقوا على تقي ثلاثة
أنفار من بينهم ، فنفوا في يوم الخميس من اختيارية
الجاوشية : قاسم أغا ، وعلى أفندي كاتب الحوالة ،
ومن وجاق المتفرقة : على أفندي المحاسبجي .
وسببه أنهم اتهموهم بأنهم يجتمعون بالبasha في كل
وقت ويمسرفونه بالأحوال ، وأنهم أغروه بقطع
الجوامك المكتسبة بأماء أولاد وعيال ، والجوامك
المرتبة على الأوقاف . واتفق أنه مات جماعة
فضبط جوامكهم المرتبة على أولاد وعيال للمحلول
وأن العسكر راجموه في ذلك فلم يوافقهم على
ذلك وأيضا راجعه الاختيارية المرة بعد المرة فقال :
لا أسلم الا لمن ينقل اسمه الى أحد الوجاقات
السبعة ، فمن نقل اسمه فاني لا أعارضه ، قرضوا

(١) غريب مشهد الامام الشافعي من وقف الأمير علي باشا
انشاء على باشا سنة ١٠١٣ هـ .

شعبان

١٠ منه (٤ أكتوبر ١٧١٠ م) :

وصل خليل باشا الكوسج ، وكان بصيدا من أعمال الشام فقدم بالبر

ذوالقعدة

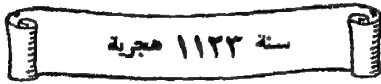
١٢ منه (٢ يناير ١٧١١ م) :

ورد أمر بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى وعليهم صنجق لسفر الموسقو ، وكانت النوبة على محمد بيك حاكم جرجا حالا ، فتعذر سفره ، فأقيم بدله اسماعيل بيك (١) تابع ذى الفقار بيك ققلدوه الصنجقية .

ذوالحجة

١٢ منه (أول فبراير ١٧١١ م) :

أمد محمد بيك اسماعيل بيك بأربعين كيسا مصرية وجعله بدلا عنه وألبس القفطان .



المحرم

الخميس مستهله (١٩ فبراير ١٧١١ م) :

(الموافق ١٤ من أمشير — ٧ شباط الرومى) .

فى ذلك اليوم انتقلت الشمس الى برج الحوت . وفيه : نزل اسماعيل بيك بموكب وشق فى وسط القاهرة الى بولاق .

١٥ منه (٥ مارس ١٧١١ م) :

سافر اسماعيل بيك بالعسكر .

الجمعة ١٦ منه (٦ مارس ١٧١١ م) :

اجتمعت طائفة مصطفى كتحدا القزدغلى (٢)

(١) اسماعيل بيك زوج شقيقة حسن اغا بلفية ، وهما من الامراء القنارية .

(٢) انحدرت المالك الابراهيمية من القازدغلية ، واستلهم ابراهيم كتحدا تابع سليمان كتحدا القازدغلى تابع مصطفى كتحدا الكبير جد القازدغلية .

(محمد رفعت ومفان : على بك الكبير ص ١٧)

بذلك وأخذوا منه فرمانا ، فورد بعد ذلك سلحدار الوزير وعلى يده أوامر بإبطال المرتبات ، وأن من عاقد فى ذلك يؤدبه الحاكم ، فأذعنوا بالطاعة ، فأراد الباشا نفي الثلاثة أنفار من اختيارية العزب ، فلم توافق العسكر . ثم اتفق العسكر على كتابة عرض بالاستعفاف بإبقاء ذلك ، وسافر به سبعة أنفار من الأبواب السبعة .

ربيع الأول

الخميس غايته (٢٩ مايو ١٧١٠ م)

تقلد الأمير ايواز بيك اماره الحج عوضا عن ابراهيم بيك لضعف مزاجه ووهن قوته .

بمادى الأولى

اوائله (اوائل يوليه ١٧١٠ م) :

ورد من الديار الرومية مرسوم قرىء بالديوان مضمونه أن وزن الفضة المصرية زائد فى الوزن عن وزن اسلامبول ، والأمر بقطع الزائد ، وأن تضرب سكة الجنزولى ظاهرة ، ويحرر عياره على ثلاثة وعشرين قيراطا .

رجب

٢ منه (٢٧ اغسطس ١٧١٠ م) :

حصلت زلزلة فى الساعة الثامنة .

وفيه ورد مرسوم بإبقاء المرتبات التى عرض فى شأنها كما كانت ولكن لا يكتب بعد اليوم فى التذاكر أولاد وعيال ولا ترتب على جهة وقف .

١٥ منه (٩ سبتمبر ١٧١٠ م) :

ورد عزل ابراهيم باشا ، وولانة خليل باشا واقامة أيوب بيك قائمقام . ونزل ابراهيم باشا من القلعة الى منزل عباس اغا بيركة الفيل فكانت مدته ثمانية أشهر .

ومعه من أعيان الينكجرية خمسة عشر نفرا ،
واتفقوا أنهم لا يرضون أفرنج أحمد باشا أوده
باشا . فاما أن يلبس الضلعة أو يكون جريجيا في
الوجاق ، وإن لم يرض بأحد الأمرين يخرج
المذكورون من الوجاق ويذهبون الى أى وجاق
شاءوا . وكان الاجتماع بباب العزب ، وساعدهم
على ذلك أربع باب البلكات الستة ، وصمموا أيضا
على رجوع الثمانية أنظار الذين كانوا أخرجوهم من
باب الينكجرية ، ومشت الصناجق بينهم والاختيارية
وصاروا يجتمعون تارة بمنزل قيطاس بيك الدفردار ،
وتارة بمنزل ابراهيم بيك أمير الحج سابقا . ثم
أجمع رأى الجميع على نقل الثمانية أنظار
المذكورين ومن انضم اليهم من الوجاقات الى باب
العزب ، وأن يخرجوا أنظارا كثيرة من مصر منفين
منهم : ثلاثة من الكتحدائية وعشرة من الجريجية
والباقي من الينكجرية ، وعرضوا في شأن ذلك
للباشا ، فاتفق الأمر على أن من كان منهم مكتوبا
لسفر الموسقو فليذهب مع المسافرين ومن لم يكن
مكتوبا فيعطى عرضه ويذهب الى باب العزب .
وحضر كاتب العزب والينكجرية في المقابلة وأخرجوا
من كان اسمه في السفر وما عداهم أعطوهم عرضهم
وتفرقوا عن ذلك . ووقع الحث على سفر من خرج
اسمه في المسافرين وعدم اقامتهم بمصر ، وأن
يلحقوا بالمسافرين بشعر الاسكندرية .

سفر

١٣ منه (٢ أبريل ١٧١١ م) :

قدم ركب الحج صحبة أمير الحج ايواز بيك .
وفيه : اجتمع حسن جاويش القزدغلى الذى كان
سردار القطار والأمير سليمان جريجى تابع القزدغلى
سردار الصرة ، و ابراهيم جريجى سردار جداوى ،
وطلبوا عرضهم من باب مستحفظان ، فذهب
اليهم اختيارية بابهم واستعطفوهم فلم يوافقوهم

ثم طلب موسى جريجى تابع ابن الأمير مرزا أن
يخرج أيضا من الوجاق وينقلوا اسمه من الجملة
فلم يوافقهم رضوان أغا ، فذهب موسى جريجى الى
ابراهيم بيك وايواز بيك وقيطاس بيك ، وسألهم
أن يتشفعوا له في ذلك فلم يوافق رضوان أغا ،
فاتفق رأيهم أن يعرضوا للباشا بأن يعزل رضوان
أغا المذكور ويتولى على أغات الينكجرية سابقا ، وأن
يعزل سليمان كتحدا الجاويشية ، ويولى عوضه
اسماعيل أغا تابع ابراهيم بيك ، فامتنع الباشا من
ذلك . وكان اختيارية الجملة توافقوا مع الأمراء
الصناجق على عزل رضوان أغا . فلما رأوا امتناع
الباشا أخذوا الصندوق من منزل رضوان أغا .
 واجتمعوا بمنزل باشجاويش ، واجتمع أهل كل
وجاق ببابهم ، واستمروا على ذلك أياما . وأما
الينكجرية الذين انتقلوا الى العزب فانهم اجتمعوا
بباب العزب وقطعوا الطريق الموصلة الى
القلعة ، ومنعوا من يريد الطلوع الى باب الينكجرية
من العسكر والأتباع ، ولم يبق في الطريق الموصلة
الى القلعة الا باب المطبخ ، ثم توجهوا للسواقى
لأجل منع الماء عن القلعة ، فمنعهم العسكر من
الوصول اليها ، فكسروا خشب السواقى التى
بعرى اليسار ، وقطعوا الجبال والقواديس . ثم أن
نفرا من أنصار الينكجرية أراد الطلوع من طريق
الحجر فضربوه وشجوا رأسه ومنعوه ، فمضى من
طريق الجبل ودخل من باب المطبخ واجتمع بأفرنج
أحمد وبقيّة الينكجرية وعرفهم حاله ، فأخذ جماعة
منهم وعرضوا أمره على خليل باشا وقاضى
العسكر . فقال : هؤلاء صاروا بغاة خارجين عن
الطاعة حيث فعلوا ذلك ومنعونا الماء والزاد
وأخافوا الناس وسلبوهم ، فقد جاز لنا قتالهم
ومحاربتهم .

١٧ منه (٦ أبريل ١٧١١) :

ثم أن أحمد أوده باشا استأذن الباشا في محاربة

باب العزب وضربهم بالمدافع والمكاحل فأذن له في ذلك .

ومن ذلك الوقت تمسوق القاضي عن النزول وأخافوه ، واستمر مع الباشا الى انقضاء الفتنة مدة سبعين يوما . ورجع افرنج أحمد وشرع في المحاربة وضرب على باب العزب بالمدافع وذلك من بعد الزوال الى بعد الغشاء ، وقتل من طائفة العزب أربعة أنفار بالمحجر .

ثم في صبيحة ذلك اليوم اجتمع من الأمراء الصناجق الأمير ايواز بيك أمير الحاج والأمير ابراهيم بيك أبو شنب وقافصوه بيك ومحمود بيك ومحمد بيك تابع قيطاس بيك الدفتردار ، واتفقوا على أن يلبسوا آلة الحرب ويذهبوا الى الرميطة معونة للعزب على النكجرية ، فأخبروا أن أيوب بيك ركب مدافع على طريق المارين على منزله وعلى قلعة الكبش ، وربما أنهم اذا طلوعوا الى الرميطة يذهب أيوب بيك وينهب منازلهم ، فامتنعوا من الركوب وجلسوا في منازلهم بسلاحهم خوفا من طارق

واستمر افرنج أحمد يحارب ثلاثة أيام بلياليها ، واجتمع على رضوان أغا طائفة من نفره ، وتذاكروا فيمن كان سببا لاثارة الفتنة فقالوا : سليم جرجي ومحمد افندى بن طلق ويوسف افندى وأحمد جرجي توالى . فقالوا : لا نرضى هؤلاء الأربعة بعد اليوم أن يكونوا اختيارية علينا . ثم ركبوا وتوجهوا الى منزل قيطاس بيك ، وأرسلوا من كل بلوك اثنين من الاختيارية الى منزل أيوب بيك يطلبون رضوان أغا ، فأركبوه في موكب عظيم ، وكتبوا تذاكر للأربعة الاختيارية المذكورين بأنهم يلزمون بيوتهم ولا يركبوا لأحد ولا يجتمع بهم أحد . ثم ركب رضوان أغا الى منزل أيوب بيك وتذاكروا في الصلح ، وكتبوا تذكرة لأحمد أوده

باشا بابطال الحرب فأبى الصلح ، فكتبوا عرضا الى الباشا عن لسان الصناجق وأغوات الوجاقات الخمسة برفع المحاربة فأرسل الباشا الى النكجرية فامثلوا أمره وأبطلوا الحرب وضرب المدافع .

ثم ان الصناجق والأغوات أرسلوا يطلبون جماعة من اختيارية النكجرية ليتكلموا معهم في الصلح فأجابوا الى الحضور غير أنهم تعللوا بانقطاع الطريق من العسكر المقيمين بالمحجر ، فأرسلوا الى حسن كتخدا العزب ، فأرسل اليهم من أحضرهم وخلت الطريق . فاجتمع رأي النكجرية على ارسال حسن كتخدا سابقا وأحمد بن مقر كتخدا سابقا أيضا فاجتمعوا بالعسكر والصناجق بمنزل اسماعيل بيك ، وحضر معهم جميع أهل الحل والعقد ، وتشاوروا في اخماد هذه الفتنة ، وأرسلوا الى باب النكجرية فقالوا : « نحن لا نأبى الصلح بشرط أن هؤلاء الثمانية الذين كانوا سببا لاثارة هذه الفتنة لا يكونون في باب العزب ، بل يذهبون الى وجقاتهم الأصلية ولا يقيمون فيه ، وأن يسلموا الأمير حسن الأخميمي للباشا يفعل فيه رآيه » فأبى أهل باب العزب ذلك ولم يرضوه ، فأرسل الأمراء الصناجق كتختاتهم الى افرنج أحمد ومعهم اختيارية الوجاقات الخمسة يشفعون عنده بأن الأنفار الثمانية يزعمون كما ذكرتم الى وجقاتهم ويعفون من النفي ومن طلب الأمير حسن . فلم يوافق افرنج أحمد على ذلك وقال : « ان لم يرضوا بشرطى والا حاربتهم ليلا ونهارا الى أن أخفى آثار ديار العزب » . ففرقوا على غير صلح .

ربيع الأول

٤ منه (٢٢ ابريل ١٧١١ م) :

ثم اجتمع الأمراء الصناجق والأغوات بمنزل ابراهيم بيك بقناطر السباع ، وتذاكروا في اجراء الصلح على كل حال ، وكتبوا حجة على أن من

صدر منه بعد اليوم ما يخالف رضا الجماعة يكون خصم الجماعة المذكورين جميعا . وكلموا أيوب بيك أن يرسل الى أفرنج أحمد بصورة الحال ، وأن يمنع المحاربة الى تمام الأمر المشروع ، فبطل الحرب نحو خمسة عشر يوما .

وأخذ أفرنج أحمد مدة هذه الأيام في تحصين جوانب القلعة وعمل متاريس ونصب مدافع وتعبية ذخيرة وجبخانه وملاؤا الصهاريج . وحضر في أثناء ذلك محمد بيك حاكم الصعيد ، ونزل بالبساتين فأقام ثلاثة أيام ودخل في اليوم الرابع ومعه السواد الأعظم من العرب والمغاربة والهواره ، ونزل بيت آق بردى بالرميلة ، وحارب من جامع السلطان حسن (١) من منزل يوسف أغات الجراكسة سابقا ، فلم يظفر وقتل من جماعته نحو ثلاثين نفرا وظهر عليه محمد بيك المعروف بالصغير تابع قبطاس بيك مع من انضم اليه من أتباع إبراهيم بيك وأبواز بيك ومماليكه ، وكانوا تترسوا في ناحية سوق السلاح (٢) ووضعوا المتاريس في شبانك الجامع ، وانتقل من محله وذهب الى طولون وتترس هناك وهجم على طائفة العزب الذين كانوا بسبيل المؤمنين على حين غفلة وصحبته ذو الفقار تابع أيوب بيك فوقع بينهم مقتلة عظيمة من الفريقين ، فلم يطق العزب المقاومة فتركوا السبيل وذهبوا الى باب العزب وربط محمد بيك جماعة من عسكره في مكانهم .

ثم ان الشيخ الخليفى طلع الى باب الينكجربة وتكلم مع أحمد أوده باشا والاختيارية في أمر الصلح ، فقام عليه أفرنج أحمد وأسمعه مالا يلىق ، وأرسل الى الطيحية وأمرهم بضرب المدافع على

(١) تجاه قلعة الجبل ، ابتدأ عمارته السلطان حسن سنة

(٢) هذا السوق فيما بين المدرسة الظاهرية وبين قصر بشتالة . استجد فيما بعد الدولة الناطمية في خط بين القصرين وجبل لبيع القنس والنشاب .

حين غفلة ، فانزعج الناس وقاموا وقام الشيخ ومضى . وأما سكان باب العزب فانهم أخذوا ما أمكنهم من أمتعتهم وتركوا منازلهم ونزلوا المدينة وتفرقوا في حارات القاهرة ، وحصل عند الناس خوف شديد ، وأغلقوا الوكائل والخانات والأسواق ، ورحل غالب السكان القريبين من القلعة مثل جهة الرملة والحطابة والحجر خوفا من هدم المنازل عليهم . وكان الأمر كما ظنوه فان غالبها هدم من المدافع واحترق ، والذي سلم منها حرقه عسكر طوائف الينكجربة بالنار ، ولم يصب باب العزب شيء من ذلك ما عدا مجلس الكتخدا فانه انهدم منه جانب وكذلك موضع الأغا لا غير . ثم ان أفرنج أحمد توافق مع أيوب بيك وعينوا عمر أغات جراكسة وأحمد أغا تفكيجيان ورضوان أغا جيليان فقمعدوا بمن انضم اليهم بالمدرسة بقوصون وجامع مزادة بسوق العزى (١) وجامع قجماس بالدرب الأحمر ليقطعوا الطريق على العزب . واختار أفرنج أحمد نحو تسعين نفرا من الينكجربة وأعطى كل شخص دينارا طرلى وأرسلهم بعد الغروب الى الأماكن المذكورة .

فأما رضوان أغا فانه تعلل واعتذر عن الركوب . وأما أحمد أغا فانه توجه الى المحل الذى عين له ، فتحارب مع طائفة من الصناجق والعزب فى الجنايبكية . وأما الذين ربطوا بجامع مزادة فلم يأتهم أحد الى الصباح فأخذوا الفطور من الذاهبين به الى باب العزب .

وفى أثناء ذلك نزل رجل أوده باشا من العزب من السلطان حسن يريد منزله ، فقبض عليه طائفة من الأخصام وسلبوه ثيابه وتركوه بالقيص وأرسلوه الى أفرنج أحمد . فلما بلغ العزب ذلك أرسلوا طائفة

(١) نسبة الى الأمير عز الدين أيك العزى تقيب الجبوى . وهو خارج باب زويلة ، قريبا من قلعة الجبل ، فيما بين الجبل الجديد والحارات وبركة النيل وبين قلعة الجبل .

كتخذا الساكن بالداودية بطائفة من العزب فتملكوا ذلك الموضع وجلسوا به

ثم ان طائفة من المتفرقة والأسباهية هجموا على منزل الأمير قرا اسماعيل كتخدا مستحفظان ، فدخلوا من بيت مصطفى بيك بن ايواز وتقبوا الحائط بينه وبين منزل قرا اسماعيل كتخدا ، فلما وصل الخبر الى العزب عينوا له ييرقا من عسكر العزب ورئيسهم أحمد جرجي تابع ظالم على كتخدافلم يمكنه الدخول من جهة الباب فخرق صدر دكان وتوصل منه الى منزل أحمد افندي كاتب الجراكسة سابقا ، ثم تقبوا منه محلا توصلوا منه الى منزل اسماعيل كتخدا ودخلوا على طائفة البغاة فوجدوهم مشغولين في نهب أثاث المنزل المذكور ، فهجموا عليهم هجمة واحدة ، فألقوا ما بأيديهم من السلب ورجعوا القهقري الى المحل الذي دخلوا منه من بيت مصطفى بيك ، فتبعوهم وتقاتل الفريقان الى أن كانت الدائرة على المتفرقة والأسباهية ، ونهب العزب منزل مصطفى بيك لكونه مكن البغاة من الدخول الى منزله ، ولكونه كان مصادقا لأيوب بيك .

ثم ان أحمد جرجي المذكور أتتقل بمن معه من العسكر الى قوصون ودخل جامع الماس^(١) وتحصن به ، وكان محمد بيك حاكم جرجا يمر من هناك ويمضى الى الصليية ، فأتتهز أحمد جرجي فرصة ، وهو أنه وجد منزل حسين كتخدا الجزائري خاليا فدخل فيه فرأى داخله قصرا متصلا بمنزل محمد كتخدا عزبان المعروف بالبيرقدار بعلو دهليز منزله وطبقاته تشرف على الشارع . فكمن فيه هو وطائفة ممن معه ليغتال محمد بيك اذا مر به . واذا بمحمد بيك قد خرج من عطفة الحطب مبارا الى جهة الصليية فضربوه بالبندق فأصيب أربعة من طائفته قتلوا ، فظن أن الرصاص أتاه من منزل محمد

(١) هذا الجامع بالشارع خارج باب زويلة ، بناء الأمير سيف الدين الماس العاجب ، وكمل في سنة ٧٢٠ هـ .

منهم الى المقيمين بجامع مزادة فدخلوا من بيت الشريف يحيى بن يركات وتقبوا منزل عمر كتخدا مستحفظان اذ ذاك وما بجواره من المنازل الى أن وصلوا منزل مراد كتخدا ، فبمجرد ما رأهم العسكر الذين بجامع مزادة فروا .

وأما عمر أغات جراكسة المقيم بجامع قجساس فانه وزع أتباعه جهة باب زويلة وجهة التبانة^(١) ، فحصل لأهل تلك الخطة خوف شديد ، خصوصا من كان بيته بالشارع . فأرسلت العزب صالح جرجي الرزاز بجملة من عسكر العزب ومن انضم اليهم من النكجيرة الذين اقبلوا الى العزب ، كأتباع الأمير حسن باشجاويش سابقا والأسير حسن جاويش تابع القزدغلي والأمير حسن جلب كتخدا ، وجماعة محمد جاويش كدك ، فحاربوا منع من بجامع قجساس ، واستولى صالح جرجي عليه وعلى المتاريس التي بشبايكه ، وملك الأمير حسن جاويش تابع القزدغلي جامع المرداني وأقام به ، وحسن جاويش جلب أقام بجامع أصلم وانتشرت طوائفهم بتلك الأخطاط والأماكن فاطمان الساكنون بها . وأما عمر أغا الجراكسة فانه لما فر من جامع قجساس ذهب الى جامع المؤيد^(٢) داخل باب زويلة . ثم ان محمد بيك أرسل بطلبه فركب ومر على أحمد أغا التفكجية ، فأركبه معه وذهبا الى محمد بيك الصعيدي بالصليية . وحصل لأهل خط قوصون خوف عظيم بسبب اقامة أحمد أغا بالسلمانية ، ورحل غالبهم من المنازل ، فلما رحل عنهم اطمأنوا وتراجعوا .

وحضرت طائفة من المتفرقة الى محل أحمد أغا التفكجية ، وعملوا متاريس على رأس عطفة الحطب ومكثوا هناك أياما قلائل ثم رحلوا عنها فأتى على

(١) هذا من عند الفارق التي بجوار جامع طارف باشا وتسمى اول شلوع باب الوزير بجوار جامع ابراهيم اغا .

(٢) بجوار باب زويلة من داخله . انشاء السلطان الملك المؤيد ابو النصر .

الأشراف بحيلة واحتبسوه عندهم ، وأغلقوا جميع أبواب القلعة ماعدا باب الجبل ، وامتنع الناس من النزول من القلعة والطلوع إليها إلا من الباب المذكور . واستمر أفرنج أحمد ومن معه يضربون المدافع على باب العزب ليلا ونهارا ، وباب العزب خلق كثيرون منتشرون حوله ، وما قارب من الحارات ، ورتبوا لهم جوامك تصرف عليهم كل يوم .

فلما طال الأمر اجتمع الأمراء الصناجق بجامع بشتك (١) بدرب الجماميز ، واتفقوا على عزل الباشا واقامة قائمقام من الأمراء : فأقاموا قانصوه بيك قائمقام نائبا . وولوا أغوات البلكات وهم الأسباهية الثلاثة ، فولوا على الجميلية صالح أغا ، وعلى الجراكسة مصطفى أغا ، وعلى التفكجية محمد أغا ابن ذى الفقار بيك ، واسماعيل أغا جعلوه كتنخدا الجاوشية ، وعبد الرحمن أغا متفرقة باشا ، وقلدوا الزعامة الأمير حسن الذى كان زعيما وعزله الباشا بعبد الله أغا . فلما أحكموا ذلك وبلغ الخبر طائفة الينكجيرية الذين بالقلعة توجهوا الى خليل باشا وأخبروه بالصورة ، فكتب لأغوات البلكات الثلاث ومتفرقة باشا يأمرهم بمحاربة الصناجق ومن معهم لكونهم بغاة خارجين على نائب السلطان . ثم اتفق مع أفرنج أحمد على اتخاذ عسكر جديد يقال لهم مردن كچدى ويعطى لكل من كتب اسمه خمسة دنائير وخمسة عثمانة ، فكتبوا ثمانمائة شخص وعلى كل مائة بيرقدار ورئيس يقال له أغات السردن كچدى .

ثم ان محمد بيك الصعيدي اتفق مع أفرنج أحمد بأن يهجم على طائفة العزب من طريق قراميدان ويكسر باب العزب المتوصل منه الى قراميدان ويهجم على العزب . ووصل خبر ذلك الى العزب فامتعدوا له وكنوا قريبا من الباب المذكور ، فلما كان بعد العشاء الأخيرة هجموا على الباب المذكور وكان العزب أحضروا شيئا كثيرا من حطب القرطم وطلوه بالزيت والقار والكبريت . فلما تكامل

(١) انشئ في سنة ٧٣٦ هـ

كتخذوا البيرقدار فوقف على بابه وأضرم النار فيه ، فاحترق أكثر المنزل ونهبوا ما فيه من أثاث ومتاع ثم ان النار اتصلت بالأماكن المجاورة له والمواجهة فاحترقت البيوت والرباع والدكاكين التى هناك من الجهتين من جامع الماس الى تربة المنظر يمينها وشمالا وأفسدت ما بها من الأمتعة ، والذى لم يحترق نهبته البغاة . وخرجت النساء حواسر مكشفات الوجوه ، فاستولى أحمد جريجي على جامع الماس ، وعلى كتخدا الساكن بالداودية أقام بالمدرسة السليمانية . وأما أطراف القاهرة وطرقها فانها تعطلت من المارة وعلى الخصوص طريق بولاق ومصر العتيقة والقرافة لكون أيوب بيك أرسل الى حبيب الدجوى يستعين به ، فحضر منهم طائفة ، وكذلك أخلاط الهوارة (١) الذين حضروا من الصعيد صحبة محمد بيك فاحتاطوا بالأطراف يسلبون الخلق ، واستاقوا جمال السقائين حتى كاد أهل مصر يموتون عطشا .

وصار العسكر فرقتين : ايواز بيك (٢) وقيطاس بيك (٣) الدفتردار وابراهيم بيك أمير الحاج سابقا ، ومحمد بيك وقانصوه بيك وعثمان بيك بن سليمان بيك ومحمود بك ، وبلكات الأسباهية الثلاثة والجاوشية والعزب عصبة واحدة وأيوب بيك ومحمد بيك الكبير وأغوات الأسباهية من غير الأنفار ومحمد أغا متفرقة باشا وأهل بلكه وسليمان أغا كتخدا الجاوشية وبلك الينكجيرية المقمين بالقلعة صحبة أفرنج أحمد والباشا وقاضى العسكر الجميع عصبة واحدة . وأخذوا عندهم قيب

(١) اختلف المؤرخون في أصل مرب الهوارة ويذكر المقرئ في كتابه « البيان والاعراب » ما يارض مصر من الأعراب « م ٢٣-٨٥ ان الظاهر يرفقوا قطع كبيرهم أرضا بناحية جرجا حوالى سنة ٧٨٢ هـ وكانت غرابا فعبروها

(٢) والد الأمير اسماعيل بيك وأصل اسمه « موسى » تعرفت بامواج التركية الى ايواز وهو جركسى الجنس قاسمى ، تابع مراد بيك الدفتردار . تولى الإمارة في سنة ١١٠٧ هـ (١٦٩٥ م)

(٣) منولوك ابراهيم بيك ذى الفقار كريدلى الجنس تولى إمارة الحج ١١١٧ هـ (١٧٠٥ م) .

عسكر محمد بيك أوقدوا النار في ذلك الحطب ، فأضاء لهم قراميدان وصار كانهار ، ثم ضربوهم بالبندق ففروا ، فصار كل من ظهر لهم ضربوه ، فقتلوا منهم طائفة كثيرة وولوا منهزمين .

ثم ان قانصوه بيك (١) صار يكتب بيورلديات وأوامر ويرسلها الى محمد بيك الصعيدي يأمره بالتوجه الى ولايته آمنا على نفسه وتحصيل ماعليه من الأموال السلطانية ، فأرعد وأبرق .

ثم ان جماعة من العزب أخذوا حسن الوالى المولى من طرف قائمقام مصر وذهبوا -- وصحبتهم جماعة من أتباع الأمراء الصناجق -- الى باب الوالى ليملكوه . فلما بلغ الخبر عبد الله أغا الوالى أخذ فرشه وفر الى بيت أيوب بيك وفر الأوده باشا أيضا فلما لم تجد العزب أحدا في بيت الوالى توجهوا للمنزل عبد الله الوالى لينهبوه ، فقام عليهم جماعة من أتباع سليمان كتخدا الجاوشية ومن بجوارهم من الجند فهزموا العزب وقتلوا منهم رجلا ، فأقام حسن الوالى بباب قيطاس بيك الدفتردار ، فلما اتسع الخرق أرسل الباشا الى ابراهيم بيك وايواظ بيك وقيطاس بيك يطلبهم الى الديوان ليتداعوا مع الينكجرية . فلما حضر تابع الباشا وقرأ عليهم الفرمان أجابوا بالسمع والطاعة ، واعتذروا عن الطلوع بانقطاع الطرق من الينكجرية وترتيب المدافع ولولا ذلك لتوجهنا اليه . فلما يس الباشا منهم اتفق مع أيوب بيك (٢) ومن انضم اليه من العسكر على محاربتهم وبرز الجميع الى خارج البلد .

ربيع الأول

٣ منه (٢١ ابريل ١٧١١ م) :

أرسلوا أيوب بيك ومحمد بيك الى المزبان

(١) تابع قيطاس بيك الكبير الدفتردار .

(٢) كان من تسبب في ائارة الفتنة مع الفرنج احمد . بولى الإمارة سنة ١١٠٧ هـ وطلع بالحج عشر مرات . مات سنة ١١٢٤ هـ (١٧١٢ م)

ليأخذوا جنال السقائين وحيرهم ، ومنع الماء عن البلد فأخذوا جميع ما وجدوه ، فعز الماء ووصل ثمن القرية خمسة أنصاف فضة . فأمر الأمراء الآخرون طائفة من العسكر أن يركبوا الى جهة قصر العيني ويستخلصوا الجبال ممن نهبهم ، فتوجهوا وجلسوا بالمصاطب ينتظرون من يمر عليهم بالجبال . فلما بلغ محمد بيك حضورهم هناك جمع طائفة هواره وهجموا عليهم وهم غير مستعدين ، فاندھشوا ودافعوا عن أنفسهم ساعة ثم فروا ، وتأخر عنهم جماعة لم يجدوا خيلهم لكون سواسهم أخذوها وفروا فقتلهم محمد بيك وأرسل رؤوسهم للباشا فأنسر سرورا عظيما وأعطى ذهابا كثيرا . فلما رجع المنهزمون الى منزل قانصوه بيك وايواظ بيك لم يسئل بهم ذلك ، واتفقوا على البروز اليهم .

ربيع الآخر

الاثنين ١٤ منه (١ يونيو ١٧١١ م) :

خرج الفريقان الى جهة قصر العيني والروضة فتلاقيا وتحاربا وتقاتلا قتالا عظيما تجندلت فيه الأبطال وقتل من الجند خاصة زيادة عن الأربعمائة نفر من الفريقين خلاف العربان والهواره وغيرهم .

وقصد ايواظ بيك محمد بيك الصعيدي فانهزم الى جهة المجرة فساق خلفه . وكان الصعيدي قد أجلس أنفارا فوق المجرة مكيدة وحذرا ، فضربوا علي ايواظ بيك بالرصاص ليردوه فأصيب برصاصة في صدره فسقط عن جواده وتفرقت جموعه وأخذ الأخصام رأسه وبينما القوم في المعركة اذ ورد عليهم الخبر بموت ايواظ بيك فالكسرت نفوسهم وذهبوا في طلبه لوجوده مقتولا مقطوع الرأس ، فحملة أتباعه . حم القوم الى منازلهم .

ولما قطعوا رأس ايواظ بيك وذهبوا بها الى محمد بيك قال : هذه رأس من ؟ قالوا : رأس قلينهم (١) ايواظ بيك ، فأخذها وذهب بها عند

(١) رميمهم

جعلتموه قائمقام وحجة من نائب الشرع الذى أقمتموه أيضا عن الذى سقطت عدالته ، أنه سقط عنه حلوان البلاد ، ونحن نصرف الحلوان على العسكر والله يعطى النصر لمن يشاء من عباده . ففعلوا ذلك وراضوا أمورهم فى الثلاثة أيام ونهيا الفريقان للمبارزة .

السبت ١٩ منه (٦ يونيو ١٧١١ م) :

خرجوا فى هذا اليوم ، وكان أيوب بيك حصن منزله ، فاتفق رأيهم على محاربة العسكر المجتمعة أولا ثم محاصرة المنزل ، فخرج أيوب بيك على جهة طولون ووقعت حروب وأمور ، ثم رجعوا الى منازلهم .

فلما رأى طائفة العزب تطاول الأمر وعدم التوصل الى القلعة وامتناع من فيها ، وضرب المدافع عليهم ليلا ونهارا ، أجمع رأيهم على أن يولوا كتحدا على الينكجيرية ويجلسوه بباب الوالى بطائفة من العسكر وينادوا فى الشوارع بأن كل من كانت له علوفة فى وجاقات مستحفظان يأتى تحت البيرق بالبوابة ، ومن لم يأت بعد ثلاثة أيام ينهب بيته . ففعلوا ذلك وعملوا حسن جاويز قرب المرحوم جلب خليل كتحدا لكونها نوبته ، وألبسه قانصوه بيك قائمقام ققطانا وركب وأمامه الوالى والبيرق والعسكر والمنادى أمامه ينادى بما ذكر الى أن نزل بيت الوالى وأحضروا الأودة باشا المتولى اذ ذاك وأجلسوه محله ، وطاف البلد بطائفته وكذلك العسكر .

الخميس ٢٤ منه (١١ يونيو ١٧١١ م) :

هجمت الينكجيرية من البذرمة على باب العزب ، ومعهم محمد بيك الكبير وكتحدا الباشا وأفرنج أحمد فعندما نزل أولهم من البذرمة وكان العزب قد أععدوا فى الزاوية التى تحت قصر يوسف مدفعين ملائين بالرش والفلوس الجدد — فضربوا عليهم فوق محمد أغا سركدك والبيرقدار وأثار منهم فولوا منهزمين يظا بعضهم

أيوب بيك ورضوان ، فقال أيوب بيك : هذه رأس من ؟ قال : رأس قليد هم . فبكى أيوب بيك وقال : حرم علينا عيش مصر . قال محمد بيك : هذا رأس قليد هم وراحت عليهم . قال له أيوب بيك : أنت رييت فين ؟ أما تعلم أن ايواظ بيك وراءه رجال وأولاد ومال ، وهذه الدعوة ليس للقاسمية فيها جنانية . والآن جرى الدم فيطلبون ثأرهم ويصرفون مالا ولا يكون الا مايريده الله .

ولما ذهبوا بالرأس الى الباشا فرح فرحاشديدا وظن تمام الأمر له ولمن معه ، وأعطى ذهباً وبقاشيش ، ودفنوا ايواظ بيك ، وطلبوا من أيوب بك الرأس فأرسلها لهم بعدما سلخها الباشا فدفنوها مع جثته .

ثم ان أيوب بيك كتب تذكرة وأرسلها الى ابراهيم أبو شنب يعزبه فى ايواظ بك . ويقول له : ان شاء الله تعالى بعد ثلاثة أيام نأخذ خاطر الباشا ويقع الصلح . وأرادوا بذلك التشييط حتى يأخذوا من الباشا دراهم يصرفونها ويرتبوا أمرهم .

وأما ما كان من أمر أتباع ايواظ بيك فركب يوسف الجزار وأخذ معه اسماعيل بن ايواظ بيك المتوفى وأحمد كاشف وذهبوا عند قانصوه بيك فوجدوا عنده ابراهيم بيك وأحمد بيك مملوكه وقيطاس بيك وعثمان بيك بارم ذيله ومحمد بيك الصغير المعروف بقطامش جالسين وعليهم الحزن والسكابة . فلما استقر بهم الجلوس بكى قيطاس بيك . فقال له يوسف الجزار : وايش فائدة البكاء ؟ دبروا أمركم . قالوا : كيف العمل ؟ قال يوسف الجزار : « هذه الواقعة ليس لنا فيها علاقة . أنتم فقارية فى بعضكم ، واننا الآن انجرحنا ومات منا واحد خلف ألفا وخلف مالا . اعملونى صنجقا وأمير حاج وسر عسكر واعملوا ابن سيدى اسماعيل صنجقا يفتح بيت آييه وفيه البركة . وأعطينى فرمانا من الذى

بعضا ، فأخذت العزب رموس المقتولين فأرسلوها الى قانصوه بيك .

الخميس ٢٤ منه (١١ يونيو ١٧١١ م) :

ثم ان قائمقام والصناجق اتفقوا على تولية على أغا مستحفظان لضبطه واهتمامه . فلما أرسلوا له أبى أن يقبل ذلك ، فتغيب من منزله ، فركب يوسف بيك الجزار ومحمد بيك الصغير وعثمان بيك في عدة كبيرة ودخلوا على منزل على أغا فلم يجدوه ، وأخبروا بالمكان الذى هو فيه فطلبوه ، فأتى بعد امتناع وتخوف ، وتوجه معهم الى قائمقام فألبسه قفطان الأغاوية .

وعاد الى منزله بالقفطان يقدمه العسكر مشاة بالسلاح والملازمون معلنين بالتكبير وبلفظ الجلالة كما هي عادتهم في المواكب .

وفي صبيحة ذلك اليوم عين قائمقام بمعرفة حسن كخددا مستحفظان طائفة من العسكر الى بولاق صحبة أحمد جرجى ليجلسوه في التكية وصحبته والى بولاق وأغا من المتفرقة عوضا عن أغات الرسالة الذى بها من جانب الباشا ، فأجلسوه في منزله ونهبوا ما وجدوه لأغات الرسالة الأول من فرش وأمتعة وخيل وغير ذلك .

السبت ٢٦ منه (١٣ يونيو ١٧١١ م) :

في الصباح خرج الفريقان الى خارج القاهرة من باب قناطر السباع واجتمعوا بالقرب من قصر العيني ومعهم المدافع وآلات الحرب ، فتحارب الفريقان من ضحوة النهار الى العصر ، وقتل من الفريقين من دنا أجله وأيوب بيك ومحمد بيك بالقصر ، ثم تراجع الفريقان الى داخل البلد ، وتأخرت طائفة من العزب فأتى اليهم محمد بيك الصعيدى واحتاط بهم وحاصرهم . وبلغ الخبر قانصوه بيك فأرسل اليهم يوسف بيك ومحمد بيك وعثمان بيك فتقاتلوا مع محمد بيك الصعيدى

وهزموه وتبعوه الى قنطرة السد (١) .

وقد كان أيوب بيك داخل التكية المجاورة لقصر العيني فلما رأى الحرب ركب جواده ونجا بنفسه ، فبلغ يوسف بيك أنه بالتكية فقصده واحتاطوا بالقصر فأخبرهم الدراويش بذهابه فلم يصدقوهم ، ونهبوا القصر وأخربوه وأحرقوه وعادوا الى منازلهم .

وفي صبيحة يوم الأحد ذهب يوسف بيك الجزار ونهب غبط افريج أحمد الذى بطريق بولاق ، ثم اجتمعوا في محل الحرب وتحاربوا ولم يزالوا على ذلك . وفي كل يوم يقتل منهم لاس كثير .

جمادى الأولى

في ٢ منه (١٨ يونيو ١٧١١ م) :

اجتمع الأمراء الصناجق بمنزل قائمقام وتنازعوا بسبب تطاول الحرب وامتداد الأيام ، ثم اتفقوا على أن ينادوا في المدينة بأن من له اسم في وجاق من الوجاقات السبعة ولم يحضر الى بيت أغات نهب ماله وقتل . وأمهلوهم ثلاثة أيام ونودى بذلك في عصرتها .

وكتب قائمقام بيورلدى الى من في القلعة من طائفة النكجيرية والكتخدائية والجرجية والأوده باشية والنفر بأننا أمهلناكم ثلاثة أيام ، فمن لم ينزل منكم بعدها ولم يمثل فنبها داره ، وهدمناها ، وقتلنا من ظفرنا به . ومن فر رفعنا اسمه من الدفتر ... فتلاشى أمرهم واختلفت كلمتهم .

٤ منه (٢٠ يونيو ١٧١١ م) :

خرج الأمراء والأغوات الى محل الحرب ، وأرسلوا طائفة كبيرة من العسكر المشاة لمحاصرة منزل أيوب بيك ، فتحارب الفرسان الى آخر النهار . وأما الرجالة فأنهم تسلقوا من منزل ابراهيم بيك

(١) من أهم بناطير الخليج الكبير ، وهي التي كان يتوصل بها الى منشأة المهراني وغيرها من شاطئ الخليج الغربي .
(الدكتور عبد الرحمن زكى - القاهرة)

وتوصلوا الى منزل عمر آغا الجراكسة فتحاربوا مع من فيه الى أن أخلوه ودخلوا فيه وشرعوا ليلا في قبة الربيع المبنى على علو منزل أيوب بيك ، فنتقبوه وكننوا فيه .

٦ منه (٢٢ يونيو ١٧١١ م) :

اجتمع العساكر بمنزل قائمقام بالأسلحة وآلات الحرب ، وأرسلوا طائفة الى جبل الجيوشي فركبوا مدافع على محل الباشا ، ومدافع على قلعة المستحفظان ، وأحاطوا بالقلعة من أسفل ، وضربوا ستة مدافع على الباشا ، ورموا بنادق . فنصب الباشا يرقا أبيض يطلب الأمان . وفر من كان داخل القلعة من العسكر . فبعضهم نزل بالجبال من السور وبعضهم خرج من باب المطبخ . فعند ذلك هجمت العساكر الخارجية على الباب ودخلوا الديوان ، فأرسل الباشا القاضي وتقيب الأشراف يأخذان له أمانا من الصناجق والعسكر ، فتلقوهما وأكرموهما وسألوهما عن قصدهما فقالا لهم : « ان الباشا يقرئكم السلام ويقول لكم : انا كنا اغترنا بهؤلاء الشياطين وقد فروا . والمراد أن تعلمونا بمطلوبكم فلا نخالفكم » . فقالوا لهما : « أعلموه أن الصناجق والأمراء والأغوات والعسكر قد اتفقوا على عزله ، وأن قاصوه بيك قائمقام . وأما الباشا فانه ينزل ويسكن في المدينة الى أن نعرض الأمر على الدولة ويأتينا جوابهم » .

فأرسل القاضي نائبه الى الباشا يعرفه عن ذلك فأجابه بالطاعة واستأمنهم على نفسه وماله وأتباعه ، وركب من ساعته في خواصه يقدمه قائمقام وأغات مستحفظان عن يمينه وأغات المتفرقة عن شماله واختيارية الوجاقات من خلفه وأمامه . ونزل من باب الميدان وشق من الرميعة على الصليبة والعاملة قد اصطفت يشافهونه بالسب واللعن الى أن دخل بيت على آغا الخازندار بجوار المظفر . وهجم العسكر على باب مستحفظان فملكوه ونهبوا بعض أسباب حسين آغا مستحفظان .

وخرج حسين آغا من باب المطبخ ، فلما رأ يوسف بيك أشار الى العسكر فقطعوه وقطعوا اسماعيل افندي بالمحجر ، وكذلك عمر أغات الجراكسة بحضرة اسماعيل بن ايواض . وخازنداره ذو الفقار وقع في عرض بلديه على خازندار وحسن كتحدا الجلفي ، فحماء من القتل .

وذو الفقار هذا هو الذي قتل اسماعيل بيك ابن ايواض وصار أميراً ، فقتلوه بباب العزب ، ونزل أفرنج أحمد وكجك أحمد أوده باشا الى المحجر متسكرين ففرهما الجالسون بالمحجر فقبضوا عليهما وذهبا بهما الى باب العزب ، وقطعوا رؤوسهما ، وذهبا بهما الى بيت ايواز بيك ، وطلع على آغا الى محل حكمه وطلع حسن كتحدا من باب الوالي وأمامه العساكر بالأسلحة الى باب مستحفظان والبيرق أمامه ، ونزل جاويز الى أحمد كتحدا يرمقن . فوجده في بيت اسماعيل كتحدا عزبان فأخذه وطلع به الى الباب فختقوه وأخذوه الى منزله في تابوت ، وركب على آغا وأمامه الملازمون بالبيرشان فطاف البلد وأمر بتنظيف الأتربة وأحجار المتاريس وبناء النقوب ، وألبس قائمقام أغوات البلكات السبعة قفاطين وطلع الذين كانوا بباب العزب من السكجيرة الى بابهم وعدتهم ستمائة انسان .

١١ منه (٢٧ يونيو ١٧١١ م) :

لبس يوسف بيك الجزائر (١) على امارة الحاج ، ومحمود بيك على السويس ، وسين يوسف بيك المذكور ومصطفى أغات الجراكسة للتجريدة على الشرقية .

في ١٤ منه (٣٠ يونيو ١٧١١ م) :

لبس محمد بيك الصغير على ولاية الصعيد ،

(١) تابع الأمير ايواض بيك ، تقلد الامارة والصنحية في سنة ١١٢٣ هـ (١٧١١ م) ودولى الدفتردارية سنة ١١٢٧ هـ (١٧١٥ م) وقع له مع العرب عدة وقائع وقتل منهم الوفا ولذلك سمي بالجزار .

وخرج من بيته بموكب الى الاثر ، وصحبته الطوائف الذين عينوا معه من السبعة بلكات بسردارياتهم وبيارقهم وعدتهم خمسمائة نفر . منهم مئتان من الينكجيرية والعزب ، وثلاثمائة نفر من الخمسة بلكات أعطوا لكل نفر من المائتين ألف نصف فضة ترحيلة ، ولكل شخص من الثلاثمائة ، ألف وخمسمائة نصف فضة .

١٥ منه (١ يوليو ١٧١١ م) :

في الصباح حملوا حملة واحدة على منزل أيوب بيك وضربوا البنادق فلم يجدوا من يمنعهم بل فر كل من فيه وركب أيوب بيك وخرج هاربا من باب الجبل فلم يعلم أين يتوجه . فملكوا منزله ونهبوه مع كونه كان مستعدا وركب في أعالي منزله المدافع ، وفي قلعة الكبش فأرسل له أفرنج أحمد بيرقا وعساكر فلم يفده ذلك شيئا ونهبوا أيضا منزل أحمد أغا التفكجية بعدما قتلوه بييت قائمقام ولحق من لحق بأيوب بيك وفر الجميع الى جهة الشام .

وفر محمد بيك الى جهة الصعيد ووقع النهب في بيوت من كان من حزبهم ونهبوا بيت يوسف أغا ناظر الكسوة سابقا وبيت محمد أغا متفرقة باشا وبيت محمد بيك الكبير وأحرقوه وبيت جرجى القونلى وأحرقوا بيت أيوب بيك وما لاصقه من الربع والدكاكين .

جمادى الآخرة

في ٤ منه (٢٠ يوليو ١٧١١ م) :

سافر الجميع ، وكان محمد بيك الكبير خرج مقبلا وصحبته الهوارة ، فخرج وراءه يوسف بيك الجزار وعثمان بيك بارم ذيله ومحمد بيك قطامش فوصلوا دير الطين ، فلاقاهم شيخ الترايين فأخبرهم أنه مر من ناحية التين نصف الليل ، فرجموا الى منازلهم .

وبلغهم في حال رجوعهم أن خازندار رضوان أغا تخلف عند الدراويش بالتكية فقبضوا عليه وقطعوا دماغه .

ولم يزل محمد بيك الصعيدى حتى وصل اخميم وصحبته الهوارة وقتل ما بها من الكشاف ونهب البلاد وفعل أفعالا قبيحة ، ثم ذهب الى أسيوط فأرسل الى قائمقام جرجا فتصرف في جميع تعلقاته وأرسلها اليه نقودا ، ونزل مختفيا الى بحرى ، ومر من البابا نصف الليل . ولم يزل سائرا الى دمياط ، ونزل في مركب أفرنجى وطلع الى حلب ، ووصل خبره الى السردار ، فجمع السردارة والعسكر ولحقوه على البرج فلم يدركوه . ثم انه ركب من حلب وذهب الى دار السلطنة من البر . وكان أيوب بيك ومحمد أغا متفرقة وكتخدا الجاويشية سليمان أغا وحسن الوالى وصلوا قبله وقابلوا الوزير ، وأعلموه بقصتهم ، وعرضوا عليه الفتوى وعرض الباشا والقاضى ، فأكرمهم وأنزلهم في مكان ورتب لهم تعيينا ، ثم أتاهم محمد بيك ، وقابل معهم الوزير أيضا فخلع عليه وولاه منصبا . وأما رضوان أغا فانه تخلف ببلاد الشام ومحمد أغا الكور صحبته .

في ٧ منه (٢٣ يولييه ١٧١١ م) :

تقلد محمد بيك بن اسماعيل بيك بن ايواظ بيك الصنجقية ، ثم انهم اجتمعوا في بيت قائمقام ، وكتبوا عرضحال بصورة ما وقع ، وطلبوا ارسال باشا واليا على مصر ، وذكروا فيه أن الخزنة تصل صحبة محمد بيك الدالى ، وانتضت الفتنة وما حصل بها من الوقائع . واستمر خليل باشا بمصر حتى حضر والى باشا وحاسبوه .

في اواخره (اوائل سبتمبر ١٧١١ م) :

تولى على مصر والى باشا قوصلها وطلع الى القلعة

رمضان

(اكتوبر - نوفمبر ١٧١١ م) :

فيه : جلس رجل رومى يسط الناس بجامع المؤيد ، فكثر عليه الجمع ، وازدحم المسجد ، وأكثرهم أترك . ثم انتقل من الوعظ ، وذكر ما يفعله أهل مصر بضرائح الأولياء ، وايقاد الشموع والقناديل على قبور الأولياء ، وتقبييل أعتابهم ، وفعل ذلك كفر يجب على الناس تركه ، وعلى ولاية الأمور السعى في ابطال ذلك . وذكر أيضا قول الشعرانى في طبقاته ان بعض الأولياء اطلع على اللوح المحفوظ ، أنه لا يجوز ذلك ، ولا تطلع الأنبياء — فضلا عن الأولياء — على اللوح المحفوظ ، وأنه لا يجوز بناء القباب على ضرائح الأولياء والتكيا ، ويجب هدم ذلك . وذكر أيضا وقوف الفقراء بباب زويلة في ليالي رمضان

فلما سمع حزبه ذلك خرجوا بعد صلاة التراويح ، ووقفوا بالنبايت والأسلحة ، فهرب الذين يقفون بالباب ، فقطعوا الجوخ والأكر المعلقة وهم يقولون : أين الأولياء ؟ فذهب بعض الناس الى العلماء بالأزهر وأخبروهم بقول ذلك الواعظ ، وكتبوا فتوى وأجاب عليها الشيخ أحمد النفاوى (١) والشيخ أحمد الخليفى (٢) بأن كرامات الأولياء لا تنقطع بالموت ، وأن

(١) ولد ببلدة نغرة ونشأ بها . وانتهت اليه الرئاسة في مذهب واخذ منه الأيمان . توفى سنة ١١٢٥ هـ (١٧١٣ م)

(٢) العلامة الشيخ أبو العباس احمد الشهير بالخليفى الضرير اسله من الترقى وخدم جده أبو الخير واقام بمنية موسى من اعمال المنوفية . وولد بها الشيخ ونشأ . وكان نفيها نحويا .

توفى في سنة ١١٢٧ هـ (١٧١٥ م) .

انتكاره اطلاق الأولياء على اللوح المحفوظ لا يجوز ، ويجب على الحاكم زجره عن ذلك . وأخذ بعض الناس تلك الفتوى ودفعها الى الواعظ وهو في مجلس وعظه . فلما قرأها غضب وقال : يا أيها الناس ، ان علماء بلدكم أفتوا بخلاف ما ذكرت لكم ، واني أريد أن أتكلم معهم وأباحثهم في مجلس قاضى العسكر . فهل منكم من يساعدنى على ذلك وينصر الحق ؟ فقال له الجماعة : نحن معك لا نفارقك . فنزل عن الكرسي ، واجتمع عليه من العامة زيادة عن ألف نفس ، ومر بهم من وسط القاهرة الى أن دخل بيت القاضى قريب العصر ، فانزعج القاضى ، وسألهم عن مرادهم فقدموا له الفتوى ، وطلب منه اجضار المفتين والبحث معها ، فقال القاضى : اصرفوا هؤلاء الجموع ثم نحضرهم ونسمع دعواكم . فقالوا : ما تقبول في هذه الفتوى ؟ قال : هي باطلة . فطلبوا منه أن يكتب لهم حجة يبطالها . فقال : ان الوقت قد ضاق ، والشهود ذهبوا الى منازلهم . وخرج الترجمان ، فقال لهم ذلك فضربوه ، واختفى القاضى بحريمه ، فما وسع النائب الا أنه كتب لهم حجة حسب مرادهم .

٢٠ منه (١ نوفمبر ١٧١١ م) :

اجتمع الناس وقت الظهر بالمؤيد لسماع الوعظ على عادتهم ، فلم يحضر لهم الواعظ ، فأخذوا يسألون عن المانع من حضوره ، فقال بعضهم : أظن أن القاضى منعه من الوعظ . فقام رجل منهم وقال : أيها الناس ، من أراد أن ينصر الحق فليقم معى ، فتبعه الجهم الغفير فمضى بهم الى مجلس القاضى .

فلما رأهم القاضى ومن في المحكمة طارت عقولهم من الخوف ، وفر من بها من الشهود ، ولم يبق الا القاضى فدخلوا عليه ، وقالوا له : أين

الجاويشية الى جامع المؤيد فلم يجدوا منهم أحدا ،
وجبل يفحص ويفتش على أفراد المتعصين ، فمن
فقر به أرسله الى باب أغاته ف ضربوا بعضهم ونفوا
بعضهم وسكنت الفتنة .

سـ شـ ذـ

(نوفمبر - ديسمبر ١٧١١ م) :

قلدوا أحمد بيك الأعسر (١) - تابع ابراهيم
بيك - صنجقية ، وزادوه كشوفية البحيرة . وكان
قانسوه بيك ، قبل وصول الباشا ، رسم
باخراج تجريدة الى هواره المفسدين الذين أنوا
الى مصر صحبة محمد بيك الصعيدى ، ورجعوا
صحبه وأخربوا أخميم وقتلوا الكشاف وأمير
التجريدة محمد بيك قطامش وصحبته ألف عسكرى ،
وأعطوا كل عسكرى ثلاثة آلاف نصف فضة من
مال البهار سنة تاريخه ، وأن يكون محمد بيك
حاكم جرجا عن سنة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ،
وقضى أشغاله ويرز خيامه الى الآثار ، ثم طلب الوجه
القبلى الى أن وصل الى أسيوط فقبض على كل
من وجده من طرف محمد بيك الصعيدى وقتله ،
ومنهم حسين أوده باشا بن دقماق . ثم انتقل الى
منفلوط وهربت طوائف الهواره بأهلها الى الجبل
الغربى ، وأنت اليه هواره بحرى صحبة الأمير
حسن فأخبروه بما وقع لهم ، وساروا صحبه الى
جرجا ، فنزل بالصيوان وأبرز فرمانا قرىء بحضرة
الجمع باهراق دم هواره قبلى ، وأمر بالركوب
عليهم الى اسنا ، وتسلب عليهم هواره بحرى ونهبوا
مواشيهم وأغنامهم ومتاعهم وطواحينهم ، واشتفوا
منهم ، وكل من وجده منهم قتلوه .

ل فى سيره حتى وصل قنا وقوص ثم

رجع جرجا .

(١) من ممالك ابراهيم بيك أبى شنب القاسمى . قتل فى
سنة ١١٤٢ هـ (١٧٢٩ م) فى واقعة الهنسا .

شيخنا ؟ فقال : لا أدرى . فقالوا له : قم واركب
معنا انى الديوان ، ونكلم الباشا فى هذا الأمر ،
ونسأله أن يحضر لنا أخصامنا الذين أقتوا بقتل
شيخنا ، وتباحث معهم فإن ألبتوا دعواهم فجوا من
أيدينا والا قتلناهم . فركب القاضى معهم مكرها
وتبعوه من خلفه وأمامه الى أن طلوعوا الى الديوان
فسأله الباشا عن سبب حضوره فى غير وقته . فقال :
انظر الى هؤلاء الذين ملأوا الديوان والحوش فهم
الذين أتوا بى ، وعرفه عن قصتهم ، وما وقع منهم
بالأمس واليوم ، وأنهم ضربوا الترجمان وأخذوا
منى حجة قهرا ، وأتوا اليوم وأركبولى قهرا .

فأرسل الباشا الى كتخدا الينكجيرية وكتخدا
العزب ، وقال لهما : اسألوا هؤلاء عن مرادهم .
فقالوا : نريد احضار النفزاوى والخليفى ليبحثا
مع شيخنا فيما أفتيا به عليه ، فأعطاهم الباشا
بيورلدا على مرادهم ونزلوا الى المؤيد ، وأتوا
بالواعظ وأصعدوه الى الكرسى فصار يعظهم
ويحرضهم على اجتماعهم فى غد بالمؤيد ويذهبون
بجميعتهم الى القاضى وحضهم على الانتصار للدين
وقمع الدجالين واقترقوا على ذلك .

وأما الباشا فانه لما أعطاهم البيورلدى ، أرسل
بيورلدا الى ابراهيم بيك وقيطاس بيك يعرفهم
ماحصل وما فعله العامة من سوء الأدب ، وقصدهم
تجريك الفتن وتحقيرنا نحن والقاضى . وقد عزمتم
أنا والقاضى على السفر من البلد .

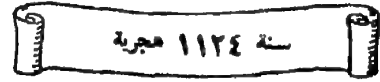
فلما قرأ الأمراء ذلك لم يقر لهم قرار وجمعوا
الصناجق والأغوات بيت الدفتردار وأجمعوا رأيهم
على أن ينظروا هذه العصابة من أى وجاق ويخرجوا
من حقهم وينفى ذلك الواعظ من البلد ، وأمروا
الأغا أن يركب ، ومن رآه منهم قبض عليه وأن
يدخل جامع المؤيد ويترد من يسكنه من السفط .

فلما كان صبيحة ذلك اليوم ركب الأغا وأرسل

ثم ان هواره قبلى التجأوا الى ابراهيم بك أبو شنب ، والتمسوا منه أن يأخذ لهم مكتوبا من قيطاس بيك بالأمان ، ومكتوبا الى حاكم الصعيد كذلك ، وفرمانا من الباشا بموجب ذلك . فأرسل الى قيطاس بيك تذكرة صحبة احمد بيك الأسير يترجى عنده ، فأجاب الى ذلك وأرسلوا به محمد كاشف كنفخا ، وبرجوع التجريدة والعفو عن الهواره ، ورجع محمد كاشف والتجريدة وصحبته التقادى والهدايا ، وأرسلوا الى ابراهيم بيك مركب غلال وخيولا مثمنة وأغناما .

في اواخره (اوائل ديسمبر ١٧١١ م) :

ورد أغا من الدولة وعلى يده مرسومات منها محاسبة خليل باشا واستعجال الخزينة وبيع بلاد من قتل في أيام الفتنة وكذلك أملاكهم .



المستم

في ٢ منه (١١ فبراير ١٧١٢ م) :

ورد مرسوم سلطاني بطلب ثلاثة آلاف من العساكر المصرية الى الغزو .

في ٨ منه (١٦ فبراير ١٧١٢ م) :

تشاجر رجل شريف مع تركى فى سوق البندقانيين . ف ضرب التركى الشريف فقتله ، ولم يعلم أين ذهب ، فوضع الأشراف المقتول فى تابوت وطلعوا به الى الديوان وأثبتوا القتل على القاتل .

في ١٠ منه (١٨ فبراير ١٧١٢ م) :

قامت الأشراف وقفلوا أسواق القاهرة ، وصاروا يرجمون أصحاب الدكاكين بالحجارة ، ويأمرونهم بقفل الدكاكين ، وكل من لقوه من الرعية أو من أمير يضربونه ، ومكتوا على ذلك

بومهم . وأصبحوا كذلك يوم الجمعة ، وأرسلوا خيرا للأشراف القاطنين بقصر مصر ليحضروا ، واجتمعوا بالمشهد الحسينى ، ثم خرجوا وأمامهم يبرق وذهبوا الى منزل قيطاس بيك الدفتردار ، فخرج عليهم أتباعه بالسلاح فطردوهم وهزموهم فلما تفاقم أمرهم تحركت عليهم العساكر وركب أغوات الاسباهية الثلاثة وأغات الينكجيرية فى عددهم وعددهم وطاقوا البلد ، فعند ذلك تفرقت الجمعية ورجع كل الى مكانه ونادوا بالأمن والأمان ، وفتحت الدكاكين ، ثم اجتمع رأى الأمراء ، على نفى طائفة من أكابر الأشراف فتشفع فيهم المشايخ والعلماء فحفوا عنهم .

وفى هذا الشهر : وقع تلج بقرىتى مرسنا وعشما (١) من بلاد المنوفية ، كل قطعة منه مقدار نصف رطل وأقل وأكثر ، ثم نزلت صاعقة أحرقت مقدارا عظيما من زرع الناحية وقتلت أناسا .

ربيع الأول

في ٨ منه (١٥ ابريل ١٧١٢ م) :

سافر مصطفى بيك تابع يوسف أغا من بولاق بالعسكر صحبة المعينين للغزو ، وحضرت العساكر الذين كانوا فى سفر الموسيقى صحبة سردارهم اسماعيل بيك ، ولما عادوا الى اسلامبول بالنصر وضعوا على رؤوسهم ريشا فى عائمهم سمة لهم . ودخلوا مصر وعلى رؤوسهم تلك الريش المسماة بالشلنجات . ومات أميرهم اسماعيل بيك باسلامبول .

في ٢٢ منه (٢٩ ابريل ١٧١٢ م) :

قبل الغروب خرجت فرتينة بريح عاصف أظلم منها الجو ، وسقط منها بعض المنازل .

(١) الان تابعتان لمرکز الشهداء منوفية .

ربيع الآخر

في ثمرته (٨ مايو ١٧١٢ م) :

ورد أغا ومعه مرسوم مضمونه حصول الصلح بين السلطنة والموسقو ورجوع العسكر المصرى . ولما رجعوا أخذوا منهم ثلثى النفقة ، وتركوا لهم الثلث . وكذلك التراقى من الجوامك التى تعطى للسرارية وأصطحاب الدركات .

في ١٨ منه (٢٥ مايو ١٧١٢ م) :

ورد قابجى باشا وعلى يده مرسوم بتقليد قيطاس بيك الدفتردار أميرا على الحج ، عوضا عن يوسف بيك الجزائر ، وأن يكون ابراهيم بيك بشناق المعروف بأبى شنب دفتدارا ، فامثلوا ذلك ولبسوا الخلع . ورسوم آخر بإنشاء سفيتين يبحر القلزم لحمل غلال الحرمين ، وأن يجهزوا الى مكة مائة وخمسين كيسا من الأموال السلطانية برسم عمارة العين على يد محمد بيك بن حسين باشا . ثم ان قيطاس بيك اجتمع بالأمرء وشكا اليهم احتياجه لدرهم يستعين بها على لوازم الحاج ومهمات ، فعرضوا ذلك على الباشا وطلبوا منه أن يده بخمسين كيسا من مال الخزينة ، ويعرض فى شأنها بعد تسليمها الى الدولة ، وان لم يمضوا ذلك يحصلوا من الوجاقات بدلا عنها .

وفي يوم الاربعاء ٢٥ منه (١ يونيو ١٧١٢ م) :

وصل من طريق الشام باشا معين لمحافظة جدة يسمى خليل باشا ، فدخل القاهرة فى كبكة عظيمة وعساكر رومية كثيرة يقال لهم سارجة سليمان ، وجمال محملة بالأنقال يتقدمهم ثلاثة ييارق . وخرج لملاقاته الباشا وقيطاس بيك أمير الحج فى طائفة عظيمة من الأمرء والأغوات والصناجق ، وقابلوه

وأنزلوه بالغيط المعروف بحسن بيك ، ومدوا هناك ساطا عظيما حافلا ، وقدموا له خيولا وساروا معه الى أن دخلوا المدينة فى موكب عظيم الى أن أنزلوه بمنزل المرحوم اسماعيل بيك — المتوفى بسفر الموسقو — بجوار الحنفى . ثم لم يزل هناك حتى سافر فى أواخر رجب من سنة تاريخه ، وخرج بموكب عظيم أيضا .

شعبان

فى منتصفه (١٧ سبتمبر ١٧١٢ م) :

تقلد أحمد بيك الأعسر على ولاية جرجا عوضا عن محمد بيك الصغير المعروف بقطامش ، ثم ورد أمر بتقليد امارة الحج لمحمد بيك قطامش عوضا عن سيده ، وطلع بالحج سنة أربع وعشرين ورجع سنة خمس وعشرين ، وذلك من فعل قيطاس بيك سرا . وتقلد ولاية جرجا مصطفى بيك قزلار .

فى ٢٠ منه (٢٢ سبتمبر ١٧١٢ م) :

تقلد محمد بيك المعروف بجركس ، تابع ابراهيم بيك أبى شنب الصنجدية ، وكذلك قيطاس تابع قيطاس بيك أمير الحج .

شوال

فى ١٠ منه (١٠ نوفمبر ١٧١٢ م) :

ورد عبد الباقي افندى وتولى كتحداية ولى باشا ومعه تقرير للباشا على ولاية مصر .

ذوالقعدة

فى ١٣ منه (١٢ ديسمبر ١٧١٢ م)

ورد أيضا مرسوم صحة أغا معين يطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى لسفر الموسقو لتقضهم المهادنة ، وقرىء ذلك بالديوان بحضرة الجمع ، فألبسوا حسين بيك المعروف بشلاق سردار عوضا

عن عثمان بيك بن سليمان بيك بآرم ذيله ، وقضى
أشغاله وسافر فى أوائل المحرم .

سنة ١١٣٥ هجرية

المحرم

فى أوله (٢٨ يناير ١٧١٣ م) :

ورد أيضا آغا باستعجال الخزينة .

سفر

(مارس ١٧١٣) :

رجع الحجاج صحبة محمد بيك قطامش ،
وانتهت رياسة مصر الى قيطاس بيك ومحمد بك
وحسن كتحدا النجدلى وكور عبد الله وابراهيم
الصابونجى ، فسولت لقيطاس بيك نفسه قطع بيت
القاسمية ، وأخذ يدبر فى ذلك ، وأغرى سالم بن
حبيب ، فهجم على خيول اسماعيل بيك بن ايواظ
بيك فى الربيع ، وجهم أذئاب الخيول ومعارفها
ماعد الخيول الخاصة فانها كانت بدوار الوسية .
ودهب ولم يأخذ منها شيئا .

وحضر فى صبحها أمير آخور فأخبروه ، وكان
عنده يوسف بيك الجزار فإلفه وسكن حدته ،
وأشار عليه بتقليد حسن أبى دفة قائمقام الناحية ،
ففعل ذلك وجرت له مع ابن حبيب أمور .

ثم انه كتب عرضحالا أيضا على لسان الأمير
منصور الخيبرى يذكر فيه أن عرب الضعفاء أخربوا
السوادى وقطعوا درب الفيوم ، وأرسل ذلك
العرضحال صحبة قاصد يأمنه فخته منصور
وأرسله الى الباشا صحبة البكارى خفير القراقة
فلما طلع قيطاس بيك فى صبحها الى الباشا واجتمع
باقى الأمراء ، وكان قيطاس بيك رتب مع الباشا

أمرا سرا وأغراه وأطمعه فى القاسمية وما يؤول اليه
من حلوان بلاد ابراهيم بيك ويوسف بيك وابن
ايواظ بيك وأتباعهم .

فلما استقر مجلسهم دخل البكارى بالعرضحال ،
فأخذه كاتب الديوان وقراه على أسمع الحاضرين
فأظهر الباشا الحدة وقال : أنا أذهب لهؤلاء المفاسيد
الذين يخربون بلاد السلطان ويقطعون الطريق

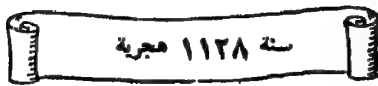
فقال ابراهيم بيك : أقل ما فىنا يخرج من حقهم .
وانحط الكلام على ذهاب ابراهيم بيك واسماعيل
بيك ويوسف بيك وقيطاس بيك وعثمان بيك
ومحمد بيك قطامش ، وكان قانصوه بيك فى
بنى سويف فى الكشوفية وأحمد بيك الأسر فى
اقليم البحيرة . فلما وقع الاتفاق على ذلك خلع
عليهم الباشا قفاطين ، ونزلوا فأرسلوا خيامهم
ومطابخهم الى تحت أم خنان بير الجيزة ، وعدوا
بعد العصر ونزلوا بخيلهم . واتفق قيطاس بيك مع
عثمان بيك أنهم يعدون خلفهم بعد المغرب ،
ويكونون أكلوا العشاء وعلقوا على الخيول . وعندما
ينزلون الى الصيوان يتركون الخيول ملجئة ،
والماليك والطوائف بأسلحتها ، فاذا أتى الينا
الثلاثة صناجق تقتلهم ثم نركب على طوائفهم
وخيولهم مربوطة فنقتل كل من وقع ، ونخلص ثأر
الفقارية الذين قتلهم خال ابراهيم بيك فى الطرانة .

فلما فعلوا ذلك وعدوا وأوقدوا المشاعل —
وذلك وقت العشاء — ونزلوا بالصيوان ، قال
ابراهيم بيك ليوسف بيك واسماعيل بيك : قوموا بنا
نذهب عند قيطاس بيك . قالوا له : أنت فيك الكفاية .
فذهب ابراهيم بيك وهو ماش ولم يخطر بباله شئ
من الخيانة . فلما دخل عندهم وسلم وجلس ،
سأله قيطاس بيك عن رفقاءه ، فقال : أنهم جالسون
محلهم ، فلم يتم ما أرادوه فيهم من الخيانة ، فعند
ذلك قام محمديك وعثمان بيك الى خيامهما وقلعا

يوسف بيك الجزار قائمقام ، وخلع على ابن سيده اسماعيل بيك .

ولما حضر الباشا الى الحى وطلع الى العادلية ، أحضر الأمراء تقادهم ، وقدم له اسماعيل بيك مقدمة عظيمة وأحبه الباشا واختص به ، ومال قلبه الى فرقة القاسمية فقلدهم المناصب والكشوفيات ، وحضر مرسوم بامارة الحج لاسماعيل بيك بن ايواظ بيك وعابدين باشا ، وهو الذى قتل قيطاس بيك بقراميدان . وهرب محمد بيك قطامش تابعه بعد قتل سيده الى بلاد الروم وأقام هناك مدة ثم عاد الى مصر .

وفى ولايته تقلد عبدالله كاشف ، وصارى على ، وعلى الأرمنى (١) ، واسماعيل كاشف صناعجق الأربعة ايواظية . وتقلد منهم أيضا عبد الرحمن أغا ولجه أغات جميلة ، واسماعيل أغا كتحدا ايواظ بيك كتحدا جوشيية . ومن أتباع ابراهيم بيك أبى شنب (٢) : قاسم الكبير ، وابراهيم فارسكور ، وقاسم الصغير ، ومحمد جلبى بن ابراهيم بيك أبى شنب وجركس محمد الصغير . وخمسهم صناعجق . واستقر الحال ، وطلع بالحج الأمير اسماعيل بيك بن ايواظ سنة سبع وعشرين وسنة ثمان وعشرين فى أمن وأمان وسخاء ورخاء .



(٢٧ ديسمبر ١٧١٥ — ١٥ ديسمبر ١٧١٦ م) :

ورد أغا من اسلامبول وعلى يده مرسوم بطلب ثلاثة آلاف من العسكر المصرى وعليهم أمير قادر ، وكانت النوبة على محمد بيك جركس الكبير . فلما اجتمعوا بالديوان ، وقرىء المرسوم ، خلع الباشا على محمد بيك جركس القفطان ، ونزل الى داره فطوى القفطان وأرسله الى سيده ابراهيم بيك ،

(١) يعرف أيضا بالشامى من أتباع ايواظ بيك .

(٢) أمه مملوك مراد بيك القاسمى وخشداش ايواظ بيك .

سلاحهما وعلما لجامات الخيل وعلقا مخالى التبن ورجعا اليهما ، فقال قيطاس بيك لابراهيم بيك : اركبوا أتمم الثلاثة فى غد ، وانصبوا عند وسيم (١) ، ونحن نذهب الى جهة سقارة فنطرد العرب فيأتون الى جهتم ، فاركبوا عليهم ، فأجابه الى ذلك ثم قام وذهب الى رفقائه فأخبرهم بذلك ، وباتوا الى الصباح .

وفى الصباح حملوا وساروا الى جهة وسيم — كما أشار اليهم قيطاس بيك — فنزلت اليهم الزيدية بالفطور ، فسألوهم عن العرب فقالوا لهم : الوادى فى أمن وأمان بحمد الله ... لا عرب ولا جرب ولا شر .

وأما قيطاس بيك ومن معه فإنه رجع الى مصر وأرسل الى ابن حبيب بأن يجمع نصف سعدو عرب بلى ويرسلهم مع ابنه سالم يدهمون الجماعة بناحية وسيم ويقتلونهم ، فتلكا ابن حبيب فى جمع العربان لصداقة قديمة بينه وبين ابراهيم بيك ، وحضر لهم رجل من الأجناد كان تخلف عنهم لعذر حصل له ، فأخبرهم برجوع قيطاس بيك ومن معه الى مصر ، فركب ابراهيم بيك ويوسف بيك واسماعيل بيك ونزلوا بالجيزة عند أبى هريرة (٢) وصحبتهم خيالة الزيدية وباتوا هناك وعدوا فى الصباح الى منازلهم سالمين .

ربيع الأول

فى غرته (٢٨ مارس ١٧١٣ م) :

حصل طاعون وكان ابتداءؤه فى القاهرة .

جمادى الآخرة

فى أواخره (بولية ١٧١٣ م) :

وصل عابدين باشا الى الإسكندرية ، وتقلد

(١) وسيم بمركز الجيزة .

(٢) له مقام ومسجد بمدينة الجيزة .

ويقول له : عندك خلافي صناعق كثيرة فاني قشلان (١) ، فتكدر خاطره .

ثم أرسل اليه صحبة أحمد بيك الأعسر عشرين كيسا فاستقلها ، فأعطاه أيضا وصولا بعشرة أكياس على الطرانة ، فجهز حاله وركب الى قصر الحلبي بالموكب ، وأحضر عنده الحريم ، فأقام أياما في حظه وصفائه ... والأغا المعين يستعجل السفر . وفي كل يوم يأتيه فرمان من الباشا بالاستعجال والذهاب وهو لا يبالي بذلك .

ثم ان الباشا تكلم مع ابراهيم بيك في شأن ذلك . فلما نزل الى بيته أرسل اليه أحمد بيك الأعسر وقاسم بيك الكبير فأخبراه بتقريب الباشا والاستعجال . فقال في جوابه : جلوسى هنا أحسن من اقامتى تحت الطرانة حتى يدفعوا الى العشرة أكياس ، فلا أرتحل حتى تأتيني العشرة أكياس ، ورمى لهم الوصول . فرجع أحمد بيك الى ابراهيم بيك وأخبره بمقالته ، ورد اليه الوصول ، فما وسعه الا أنه دفع ذلك القدر اليه نقدا وقال : سوف يخرب هذا بيتى بعناده . فلما وصله ذلك نزل الى المراكب وسافر ، ثم ورد مسلم على باشا وأخبر بولايته مصر عن سنة ١١٢٩ .

سنة ١١٢٩ هجرية

(١٦ ديسمبر ١٧١٦ — ٤ ديسمبر ١٧١٧)

اجتمعوا بالديوان ، وتقلد ابراهيم بيك أبوشنب قائمقام ، ونزل الى بيته ، وخلع عن أحمد بيك الأعسر ، وجعله أمين السباط ، ونزل عابدين باشا من القلعة عند ما وصل الخبر بوصول على باشا الى الاسكندرية ، وسافرت اليه أرباب الخدم والعكاكيز ، وسافر عابدين باشا قبل حضور على باشا الى مصر .

وحضر على باشا ، وطلع الى القلعة على الرسم

(١) لفظ مامي معناه « فقير » .

المعتاد ، واستقر في ولاية مصر والأمور سالحة ، والفتن ساكنة ، ورياسة مصر للأمير ابراهيم بيك أبى شنب الكبير والأمير اسماعيل بيك بن ايواض بيك ومحمد كتنخدا جدك مستحفظان و ابراهيم جوربجي الصابونجي عزبان وأتباع حسن جاويش القازدغلي ، وهم عثمان أوده باشا وسليمان أوده باشا تابع مصطفى كتنخدا وخلافهم من رؤساء باب العزب وباقي البلكات .

في أواخر هذه السنة ورد قابجي وعلى يده مرسوم بطلب ثلاثة آلاف من عسكر مصر وعليهم أمير لسفر الجهاد ، وكان الدور على محمد بيك بن ايواض أخى اسماعيل بيك ، فعلم أخوه أنه خفيف العقل ، فلا يستر نفسه في السفر ، فقلد أحمد كاشف صنجقية ، وجعله أمير العسكر ، وجعل مملوكه على الهندي كتنخداه .

سنة ١١٣٠ هجرية

(٥ ديسمبر ١٧١٧ — ٢٣ نوفمبر ١٧١٨)

حضر محمد جركس من السفر فوجد سيده ابراهيم بيك توفى وأمير مصر اسماعيل بيك ، فتاقت نفسه للرياسة ، فضم اليه جماعة من الفقارية : مثل حسين أبو يدك ، وذى الفقار تابع عمر أغا وأصلان وقيلان ومن يلوذ بهم من أمثالهم ، واتخذ لهم سراجا قبيحا يقال له الصيفى .

وكان الدفتردار في ذلك الوقت أحمد بيك الأعسر تابع ابراهيم بيك أبى شنب ، وكلما رأى تحرك محمد بيك جركس لاثارة الفتن يهدى عليه ويلطفه ويطفئ نارته .

وكان ذو الفقار لما قتل سيده عمر أغا وأراد اسماعيل بيك قتله أيضا في ذلك اليوم ، فوقع على خازندار حسن كتنخدا الجلفى وحماه من القتل ، وأخرج له حسن كتنخدا حصاة في قمن العروس بالمحلول عن سيده ، وهى شركة اسماعيل بيك بن ايواض . ولم يقدر حسن كتنخدا أن يذكر اسماعيل

بيك في فائظها لملمه بكراته لذي الفقار ويريد قتله .

فلما مات حسن كتحدا الجلفى (١) ، وحضر محمد بيك جركس من السفر ، انضم اليه ذو الفقار المذكور وخاطب في شأنه اسماعيل بيك ، فلم يقد ، ولم يرض أن يعطيه شيئا من فائظه . وتكرر هذا مرارا حتى ضاق خناق ذي الفقار من الفشل ، فدخل على محمد بيك جركس في وقت خلوة ، وشكا اليه حاله ، وفاوضه في اغتيال اسماعيل بيك ، فقال له : « افعل ما تريد » . فأخذ معه في ثاني يوم أصلان وقيلان وجماعة خيالة من الفقارية ، ووقفوا لاسماعيل بيك في طريق الرميطة عند سوق الغلة وهو طالع الى الديوان ، فمر اسماعيل بيك وصحبته يوسف بيك الجزار واسماعيل بيك جرجا وصارى على بيك (٢) ، فرموا عليهم بالرصاص فلم يصب منهم الا رجل قواس . ورمح اسماعيل بيك ومن بصحبته الى باب القلعة ، ونزل هناك ، وكتب عرضا حلالا ملخصه الشكوى من محمد بيك جركس ، وأنه جامع عنده المفسدين ويريد اثاره الفتن في البلد وأرسله الى الباشا صحبة يوسف بيك ... فأمر على باشا بكتابة فرمان خطابا للوجاقات باحضار محمد بيك جركس وان أبي فحاربوه واقتلوه .

فلما وصل الخبر الى جركس ركب مع المنضمين اليه — فقارية وقاسية — ووصل الى الرميطة ، فصادف الموجهين اليه ، فحاربهم وحاربوه . وقتل حسين بيك أبويك (٣) وآخرون . وانهزم جركس ، وتفرق من حوله ، ولم يتمكن من الوصول الى داره ، فذهب على طريق الناصرية ، ولم يزل سائرا حتى وصل الى شبرا ولم يبق صحبته سوى مملوكين ، فلاقاه جماعة من عرب الجزيرة وقبضوا عليهم ،

(١) كان انسانا خيرا له بر ومعروف وصداقات توفي يوم الاربعاء ٩ شوال ١١٢٤ هـ (٩ نوفمبر ١٧١٢ م)

(٢) يقال له « على بيك الأصفر » لأن صاري بمعنى الأصفر وهو من اتباع ايواظ بيك .

(٣) حسين بيك ارتؤود المعروف بابى يدك . كان أصله لقا جراكسة .

وأخذوا سلاحهم وأتوا بهم الى بيت اسماعيل بيك ابن ايواظ بيك . وكان عند أحمد كتحدا أمين البحرين (١) والصابونجي ، فأشاروا عليه بقتله فلم يرض وقال : « انه دخل بيتي » ، وخلع عليه فروة سمور ، وأعطاه كسوة ، وذهب ونفاه الى جزيرة قبرص . ورجع العسكر الذين كانوا بالسفر واستشهد أمير العسكر أحمد بيك فقلدت الدولة على كتحدا الهندي صنجا عوضا عن مخدومه أحمد بيك ، وأعطوه نظر الخاصكية قيد الحياة ، وأطلقوا له بلاده من غير حلوان . فلما وصلوا الى مصر عمل له يوسف بيك الجزار سقاطا بالحلى ، ثم ركب وطلع الى القلعة وخلع الباشا على بيك الهندي خلعة السلامة ، ونزل الى بيت اسماعيل بيك ، وأنعم عليه بتقاسيط بلاد فائظها اثنا عشر كيسا ، واستمر صنجا وناظرا على الخاصكية .

وفي هذه السنة : حصلت حادثة ببولاك ، وهي أن سكان حارة الجوابر تشاجروا مع بعض الجمالة أتباع أوسية أمير الحج ، فحضر اليهم أمير أخور فضربوه . ووصل الخبر الى الأمير اسماعيل بيك فأرسل اليهم أغات الينكجيرية والوالى فضربوهم ، فركب الصنjq بطائفته وقتلوا منهم جماعة وهرب باقيهم ، وأخرجوا النساء بمتاعهن وسمروا الدرب من الجهتين . وكانت حادثة مهولة واستمر الدرب مقفولا ومسمرا نحو سنتين .

وفي هذه السنة أيضا : كان موسم سفر الخزينة — وأميرها محمد بيك بن ابراهيم بيك أبوشنب ، وكان وصل اليه الدور — وخرج بالموكب وأرباب المناصب والسادرة . ولما وصل الى اسلامبول ، واجتمع بالوزير ورجال الدولة ، وشى اليهم في حق اسماعيل بيك بن ايواظ ، وعرفهم أنه ان استمر أمره بمصر ادعى السلطنة بها وطرده النواب ، فان الأمراء وكبار الوجاقات والدفتردار وكتحدا الجاوشية صاروا كلهم أتباعه ومماليكه ومماليك

(١) كان من الاعيان المشهورين ، نافذ الكلمة وافر الحرمة . عمل ماش اوده باشا ثم تولى الكتحداية وعمل أمير البحرين .

أبيه ، وعلى باشا المتولى لا يخرج عن مراده في كل شيء ، ونفى وأبعد كل من كان ناصحا في خدمة الدولة : مثل جركس ومن يلوذ به ، وعمل للدولة أربعة آلاف كيس على ازالة اسماعيل بيك والباشا وتونية وال آخر يكون صاحب شهامة ... فأجابوه الى ذلك . وكان قبل خروجه من مصر أوصى قاسم بيك الكبير على احضار محمد بيك جركس ، فأرسل اليه وأحضره خفية واختفى عنده .

ثم ان أهل الدولة عينوا رجب باشا أمير الحج الشامي ، ورسوموا له عند حضوره الى مصر أن يقبض على علي باشا ويحاسبه ويقتله ، ثم يحتال على قتل اسماعيل بيك بن ايواظ وعشيرته ماعدا على بيك الهندي (١) . ورجع محمد بيك بن أبي شنب الى مصر ، وعمل دفتردارا ، وحضر مسلم رجب باشا ومعه الأمر بحبس علي باشا بقصر يوسف وقائمية الى أحمد بيك الأعسر . وبعد أيام وصل الخبر بوصول رجب باشا الى العريش .

سنة ١١٣١ هجرية

(٢٤ نوفمبر ١٧١٨ — ١٢ نوفمبر ١٧١٩)

تقلد ابراهيم بيك فارسكور أمين السباط ، وطلع اسماعيل بيك أميرا بالحج ، وذلك عند وصول رجب باشا الى العريش . ثم حضر الى مصر ، وعملوا له الشنك والموكب على العادة . فلما استقر بالقلعة أحضر اليه ابن علي باشا وخازن داره وكاتب خزينته والروزنامجي ، وأمرهم بعمل حسابه ، ثم قطع رأسه فللا وسلحها وأرسلها الى الباب ، ودفن علي باشا بمقام أبي جعفر الطحاوي بالقرافة ، ويعرف قبره بعلي باشا المقاوم . وأمر بضبط جميع مخلفاته ، ثم أحضر نه محمد جركس خفية ، وأمر الأغا والوالي بالمناذاة عليه وكل من آواه يشنق على باب داره ، ثم اختلى به وقال له : كيف العمل

(١) الأمير علي بيك المعروف بالهندي من متولك أحمد بيك تابع ايواظ بيك الكبير .

والتدبير في قتل ابن ايواظ بيك وجماعته ؟ فقال له : « الرأي في ذلك أن ترسل الى العرب يقفون في طريق الوشاشة فانهم يرسلون يعرفونكم بذلك » . فأرسلوا لهم عبد الله بيك . وبعد عشرة أيام أرسلوا يوسف بيك الجزار ومحمد بيك بن ايواظ بيك واسماعيل بيك جرجا وعبد الرحمن آغا ولجه أغات الجميلية ، فعندما يرتحلون من البركة يقتل اسماعيل بيك الدفتردار كتخدا الجاوشية ، وعند ذلك أنا أظهر ، وتقلد إمارة الحج الى محمد بيك بن اسماعيل بيك ونرسله بتجريدة الى ابن ايواظ بيك يقتلونه مع جماعته . وهذا هو الرأي والتدبير ... ففعلوا ذلك ولم يتم ، بل اختفى اسماعيل بيك ودخل الى مصر ، ثم ظهر بعد أن دبر أموره وعزل رجب باشا وأنزلوه الى بيت مصطنعي كتخدا عزبان ، وفسد تدبيره ، وكتبوا عرضحال بصورة الواقع وأرسلوه الى اسلامبول . وكان رجب باشا أخذ من مال دار الضرب مائة وعشرين كيسا صرفها على التجريدة .

سنة ١١٣٣ هجرية

(٢ نوفمبر ١٧٢٠ — ٢١ أكتوبر ١٧٢١)

وصل محمد باشا النشاندجي ، فعندما استقر بالقلعة طلب من رجب باشا المائة وعشرين كيسا . وقلد إمارة الحج لمحمد بيك اسماعيل فطلع بالحج سنة ثلاث وستة أربع وثلاثين .

ثم حضر مرسوم بالأمان والعفو لاسماعيل بيك ابن ايواظ بيك وقرىء بالديوان .

سافر رجب باشا ، وسكن الحال مع التنافر والحد الباطني الكامن في نفس محمد بيك جركس وابن أستاذ محمد بيك أبي شنب لاسماعيل بيك ابن ايواظ ، وهو يسامح لهم ، ويتغافل عن أفعالهم وقبائحهم ، ويسوس أموره معهم ، وكل عقدة عقدوها بمكرهم حلها بحسن رأيه وسياسته وجودة رأيه ، وجرت بينه وبينهم أمور ووقائع ومخاضات

سالم ، وأخذ صيوانه ، ونزل البركة ، وربط خيوله هو ومن معه في الغيطان ، فأكلوا ستة وثلاثين فدان برسيم في ليلة واحدة .

ثم إن الباشا أرسل الى أمير الحج بالرجوع وعينوا عبد الله بيبك وحمزة بيبك وخلييل أغا . وأرسل اسماعيل بيبك صحبتهم خمسمائة جندي من أتباعه ومن البلكات ، ومعهم فرمان لجميع العرب بالتعمير في أوطانهم ماعدا سالم بن حبيب وأخوته ومن يلوذ به . وسافرت لهم التجريدة ، وارتحل ابن حبيب ، وسار الى جهة غرة ونهبت التجريدة ما في طريقهم من البلاد ، وأرسل الباشا اليهم فرمانا بالعودة فرجعوا من غير طائل .

رجب

في ١٣ منه (١٩ أبريل سنة ١٧٢٣ م) :

فيه : ورد أغا من الديار الرومية ، وعلى يده مرسوم وسيف وقطان للشريف يحيى شريف مكة ، وتقرير للباشا على السنة ، وأغاوية المتفرقة لعبد الغفار أفندي ... ولم يسبق نظير ذلك ، وأن أغاوية المتفرقة تأتي من الديار الرومية .

وسبب ذلك أن حسن أفندي والد عبد الغفار (١) أفندي ، كان عنده طواشي أهداه الى السلطنة ، فأرسل ذلك الأغاوية المتفرقة الى ابن سيده ، فألبسه الباشا القفطان على ذلك ، فحصل بسبب ذلك فتنة في الوجاق . وسبب ذلك أن وجاقهم فرقان ظاهران بخلاف غيره ، والظاهر منهما ستة أشخاص من الاختيارية وهم : سليمان أغا الشاطر وعلى أغا وعبد الرحمن أغا القاشقجي وخلييل أغا وإبراهيم كاتب المتفرقة سابقا وكبيرهم محمد أغا السنبلارين (٢) وهم من طرف محمد بيبك جركس . لكن لما ظهر اسماعيل بيبك انحطت كلمتهم ، وظهرت كلمة الذن من طرف اسماعيل بيبك .

(١) أغا بن حسن أفندي تقلد أيام ابن إيالة افطرية المتفرقة بموجب مرسوم ورد من الدولة .

(٢) كان إقات وجاق المتفرقة وصاحب وجاعة ومات مغتولا بالفرمان محمد بيبك جركس .

وجميعيات ومصالحات . ولم يزل اسماعيل بيبك ظاهرا عليهم حتى خانوه واغتالوه بالقلعة على حين غفلة على يد ذى الفقار تابع عمر أغا وأصلان وقيلان ومن معهم . وقتلوا معه اسماعيل بيبك جرجا وعبد الله أغا كتحدا الجاوشية .



ربيع الآخر

في ١٧ منه (٢٥ يناير ١٧٢٣ م) :

ورد أغا من الديار الرومية وعلى يده مرسوم بدفع ستين كيسا الى باشة جدة ليشتروا بها مركبا هنديا لحمل غلال الحرمين عوضا عن مركب غرقت قبل هذا التاريخ . وحضر صحبة ذلك الأغا تاجر عظيم من تجار الشوام ومعهم أتباعه ، ووصل الجميع على خيل البريد الى أن وصلوا الى بركة الحاج ، فنزلوا ليأخذوا لهم راحة لكونهم وصلوا أرض الأمان ، وفارقهم الأغا ... فنزل عليهم سالم بن حبيب فمراهم ، وأخذ ما معهم . وكان صحبة سالم عرب الجزيرة ومغاربة .

وسبب ذلك أنه لما طرد من دجوة (١) وذهب الى الصعيد ، فنزل الى قيطاس بيبك ، وجمع عليه عربان القبائل وحاربه وقتل أولاده ... فرجع من خلف الجبل ، وقعد بالبركة وقطع الطريق . فلما وصل الخبر بذلك الى مصر ، نزل اليه أمير الحج وكاشف القليوبية حمزة بيبك ، تابع ابن ايواظ ، وعينوا صحبتهم عرب الصوالحة — وهم نصف حرام — فنزل أمير الحج بالمسبك وجلس هناك ، وابن حبيب (٢) نازل في المساطب التي بعد البركة وناصر صيوان كاشف شرق اطيح ، وكان نهبه وهو متوجه الى قبلى ... فان الكاشف لما أقبل عليه سالم فرمحه عليه — وكان في قلة — فهزمه

(١) قرية صغيرة من مديرية القليوبية كان يسكنها ابن حبيب .

(٢) حبيب بن سعد أعظم المشايخ قلدوا بالقليوبية خاصة والوجه البحري عامة ، وهو كبير نصف سعد وليس لهم أصل مذكور في قبائل العرب . وكان ظهوره في لوائل القرن الثامن عشر .

(محمد رفعت ومضان — على بيبك الكبير ص ٢٥)

فلما تولى عبد الغفار الأغاوية لحق أولئك الحقد والحسد ، وتناجوا فيما بينهم على أن يملكوا الباب فاجتمعوا بأنفسارهم وملكوا الباب ، فهرب عبد الغفار أغا إلى بيت اسماعيل بيك ، وكان عنده الجماعة الآخرون ، فدخل عليهم عبد الغفار أغا وأخبرهم بما حصل . فأشار عليهم اسماعيل بيك أن يذهبوا إلى بيت أحمد جلبى ويجعلوه محل الحكم . وأرسل أولئك الطرف فطلبوا محمد أغا أبطال وباكير أغا تابع اسماعيل بيك الكبير ، ومصطفى أغا — وكانوا منفقين من بابهم إلى العزب وكانوا كبراءهم — وخرجوا منهم في واقعة جركس فأبوا من الحضور إليهم ، فلما أبوا عليهم عملوا القاشقجى باش اختيار عوضا عن أبطال ، وعزلوا وولوا على مرادهم .

وطلع في صبحها اسماعيل بيك إلى الديوان ، وصحبته على بيك ، وأمير الحج ، وأخبروا الباشا بفعل القاشقجى فأرسل الباشا اثنين أغوات ، ومن كل وجاق اثنين اختيارية لينظروا الخبر ، ففرعوا عليهم ، فرجعوا وأخبروا الباشا والأمراء ، فأرسل لهم فرمانا بنفيهم إلى الكشيدة ، فأبوا وصموا على عدم ذهابهم إلى الكشيدة وأقام الأمراء عند الباشا إلى الغروب . ثم أنهم نزلوا ووعدوا الباشا أنهم في غد يفصلون هذا الأمر ، وإن لم يتشلوا حاربناهم .

فلما كان في ثانى يوم عملوا جمعية ، واتفقوا على توزيع الستة أنفار على الستة وجاقات ، وكتبوا من الباشا ست فرمانات لكل فرد منهم فرمان . فكان كذلك ، وتفرقوا في الوجاقات .

نزل اسماعيل بيك بن ايواظ إلى بيته بعد اقامته في باب العزب ثلاثة أيام في طائفته ومماليكه وصناجقه ، بحيث أن أوائل الطائفة دخلوا إلى البيت قبل ركوبه من باب العزب . وكان خلفه نحو المائتين بالطرايش الكشف ، وتمم الأمر على مراده ثم تحقق الخبر ، فظهر له أن أصل هذه الفتنة

من اسماعيل أغا بن الدالى ، فطلع في ثانى يوم إلى الديوان ، وألبس اسماعيل أغا أغاوية العزب .

وفيه من الحوادث في أيام محمد باشا : أن في أول الحماسين طلع الناس على جرى العادة في ذلك لاستشاق النسيم في نواحي الخلاء ، وخرج سرب من النساء إلى ناحية الأربكية ، وذهب منهن طائفة إلى غبط الأعجام تجاه قنطرة الدكة ... فحضر اليهن جماعة سراجون وبأيديهم السيوف من جهة الخليج — وهم سنكارى — وهجموا عليهن ، وأخذوا ثيابهن وما عليهن من الحلى والحلل .

ثم أن الخفراء وأوده باشا القنطرة حضروا اليهن بعد ذهاب أولئك السراجين ، فأخذوا ما بقى ، وكملوا بقية النهب . وجميع من كان هناك من النساء من الأكابر ومن جملة ماضاع حزام جوهر ، وبشت جوهر ، قالوا إن الحزام قيمته تسعة آكياس والبشت خمسة آكياس .

ومن جملة من كان هناك آمنة الجنكية ، وصحبته امرأة من الأكابر ، فعروهما ، وأخذوا ما عليهما ، وكان لها ولد صغير ، وعلى رأسه طاقية عليها جواهر وبنادقة وزوج أساور جوهر وخلخال ذهب بندقى قديم وزنه أربعمئة مثقال . ومن جملة ما أخذوا لباس شيكة من الحرير الأصفر ، والقصب الأصفر ، وفي كل عين من الشيكة لؤلؤة ، في كل لؤلؤة شريط مخيش ، والدكة كذلك . وأخذوا أزهرن وفرجياتهن ، وأرسلن إلى بيوتهن فأتين ثياب يستترن بها ، وذهبن .

وكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث .

ثم أن في ثانى يوم قدموا عرضا إلى الباشا ، وأخذوا على موجه فرمانا إلى آغات البنكجيرية على أنه توجه — وصحبته الوالى وأوده باشا البوابة — فذهبوا إلى محل الواقعة ، وأحضروا أهل الحطة ، فشهدوا على أن هذه الفعلة من الخفراء بيد أوده باشا مركز القنطرة ، وهو الذى

أرسل السراجين والعمارة . فقبضوا على الخفراء والأوده باشا ، وسئلوا فألكرؤا ، فحبس الأوده باشا في بابه ، والخفراء في العرقانة ، وأمر الباشا الوالي بعقابهم ، فلما رأوا آلة العذاب أقروا أن ذلك من فعل الأوده باشا ، فأخذوا منه مالا كثيرا وثقوه الى أبي قبر .

ونادى الأغا والوالي على النساء لا يذهبن الى الفيطان بعد اليوم ولا يركبن الحمير .

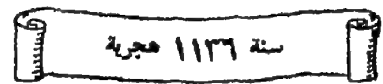
شعبان (مايو سنة ١٧٢٣ م) :

ورد عرضحال من مكة بأن يحيى الشريف ، وعلى باشا والى جدة ، وعسكر مصر الذين عينوا صحبة أحمد بيك المسلماني ، وأهل مكة ، تحاربوا مع الشريف سبارك شريف مكة سابقا — وكان معه سبعة آلاف من العرب اليمانية — ووقع بينهم مقتلة عظيمة ، وسقط على باشا من على ظهر جواده إلا أن أحمد بيك أدركه وأنقذه بجواده ، وقتل من العرب زيادة عن ألفين وخمسمائة ، ومن العسكر نحو الخمسين . وكان الباشا قتل من الأشراف اثني عشر شخصا ، وكانوا في جيرة الشريف يحيى .

وقلد محمد بيك خازن داره رضوان صنجدية ، وجعله أمين السباط ، وأخذ الخاصكية من على بيك الهندي وأعطاها لرضوان المذكور ، وأبطل الخط الشريف الذي بيده بالخاصكية قيد حياته .

ذو القعدة . (أفسطس سنة ١٧٢٣ م) :

تقلد الصنجدية على أغا الأرمني الذي عرف بأبي العزب ، وكذلك على أغا صنجدية وأمين العنبر وحاكم جرجا ، وكمل بذلك صناجق مصر أربعة وعشرين صنجدقا ، وكانوا في المعتاد القديم اثنين وعشرين ، وكتخدا الباشا ، وقبطان الأسكندرية .



(١ أكتوبر ١٧٢٣ — ١٩ سبتمبر ١٧٢٤)

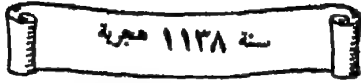
تحيلوا على قتل عبد الله بيك ومحمد بيك بن

ايواض وابراهيم بيك بن الجزار في أيام ولاية محمد باشا، وقلدوا ذا الفقار قاتل اسماعيل بيك (١) الصنجدية وكشوفية المنوفية ، وانضم اليه من كان خاملا من الفقارية وبدأ أمرهم في الظهور .. فمن انضم اليه مصطفى بيك بلفيه ، ومحمد بيك أمير الحج — وهو ابن اسماعيل بيك الفقاري — واسماعيل بيك الدالي وقيطاس بك الأعور ، واسماعيل بيك ابن سيده ، ومصطفى بيك قزلار وخلافهم ... اختيارية وأغوات من الوجاقلية ونظم أمورهم ، وقضى لوازمه وأشغاله ، وجعل مصطفى أفندي الديماطي كاتب تركي ، وعزم على السفر الى المنوفية وركب في موكب حافل وصحبته من ذكر من الفقارية .

وكان رجب كتخدا ومحمد جاويش الداودية متوجهين الى بيت محمد بيك جركس — وكان لهما الكلمة دون القازدغلية (٢) — فصادفا موكب ذي الفقار ، فوقفا ونظرا الى الراكبين معه من الفقارية فتغير خاطرهما على جركس . ولما دخلا على جركس نظر اليهما فرآهما منفعلين فسألهما عن سبب انفعالهما . فأخبراه بما رأيا ، وقال : « ان دام هذا الحال قتلنا الفقارية » . فقال : « يكون خيرا » ثم أمر الصيفي بقتل أصلان وقيلان ، فوطب (جهز) معه سراجا يشق به ، وأمره أن يقف في سلالم المقعد . فعندما علم بحضورهما أحدث الصيفي مشاجرة مع ذلك السراج ، وفزع عليه بالطبنجة ، فهرب السراج من أمامه ، فجرى الصيفي خلفه . فأخرج ذلك السراج طبنجته أيضا ورفع زناده . فقال أصلان : « عيب ا » فأفرغها فيه . وفرغ أيضا الصيفي طبنجته في قيلان ، وذلك بسلام المقعد بيت جركس ، ومسح الخدم الدم ، وأخذوا خيولهما وأرسلوا المقتولين الى بيوتهما في تابوتين . ثم ان محمد بيك جركس طلع الى القلعة ، وطلب من الباشا فرمانا بتجريدة يرسلها الى ذي الفقار

(١) أصله جليبي من اشارات اسماعيل بيك بن ايواض .

(٢) استلام ابراهيم كتخدا ، كنجاويش الينجيري لم تولى الكتخدالية والفصل عنها بعد ثلاثة اشهر .



سنة ١١٣٨ هـ

جمادى الآخرة

في ٧ منه (١٠ فبراير ١٧٢٦ م) :

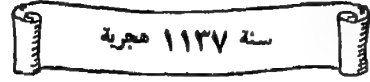
كان هروب جركس وخروجه من مصر ، وكتبوا
فرمانات لسائر الجهات باهدار دم محمد بيك جركس
أيما وجد ، لأنه عاص ، ومفسد ، وأهل شر ...
وذلك حسب طلب المصريين .

ثم أن محمد باشا والى مصر خلع على جماعة ،
وقلدهم أمريات ... وسكن الحال ، وانتهت الرئاسة
بمصر الى ذى الفقار بيك وعلى بيك الهندى . وحضر
محمد بيك قطامش الى مصر من الديار الرومية فلم
يتمكن من الدفتردارية ، لأن على بيك الهندى
تقلدها .

فاتفق أن جمعا من فرقة القاسمية كانوا يجتمعون
فى كل ليلة عند واحد منهم يعملون حظا ويشربون
شرابا . فاجتمعوا فى ليلة عند على بيك أبى العذب
فلما أخذ الشراب من عقولهم تأوه مصطفى بيك بن
ايواظ وقال : يموت العزيز ، أخو الكبير والصغير ،
ويصير الهندى مملوكنا سلطان مصر ، ونأكل من
تحت يده والباشا فى قبضته — وكان النيل قريب
الوفاء — فقال على بيك : « أنا أقتل الباشا يوم
جبر البحر » . وكل واحد من الجماعة التزم بقتل
واحد ، وقرأوا الفاتحة . وكان معهم مملوك أصله
من ممالك عبد الله بيك ، ولما قتل سيده هرب الى
الهندى ، وأقام فى خدمته أياما . فلما تقلد مصطفى
بيك الصنجدية أخذه من على بيك الهندى . فلما
سمع منهم ذلك القول ذهب الى على بيك الهندى
وأخبره ، فأرسله الى ذى الفقار فأخبره أيضا ،
فبعثه الى الباشا فأخبره .

فلما كان يوم الديوان ، وطلع على بيك أبو
العذب ، فقبض عليه الباشا وقتله تحت ديوان
قايتباى وأحاط بداره ونهب ما فيها ، وأرسل فى
الوقت فرمانا الى الأغا بالقبض على باقى الجماعة ،

ومن معه من الفقارية ، فامتنع الباشا وقال : « رجل
خاطر بنفسه بمعرفتكم وإطلاعكم . كيف انى
أعطيكم بعد ذلك فرماña بقتله ؟ » . فقام جركس
ونزل الى بيته ، ولم يطلع بعد ذلك الى الديوان ،
وأهملوا الدواوين والباشا . فلما ضاق خناق الباشا
أبرز مرسوما برفع صنجدية جركس ، وكتب فرمانات
للمشايع والوجاقلية بذلك ينعمهم من الذهاب اليه .



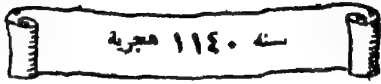
سنة ١١٣٧ هـ

(٢٠ سبتمبر ١٧٢٤ — ٨ سبتمبر ١٧٢٥)

فى أواخر هذه السنة بلغ هذا الخبر الى جركس ،
فتدارك الأمر ، وعمل جمعيات ، ورتب أمورا ،
 واجتمعوا بالرملة وحوالى القلعة ، وعزلوا الباشا
وأنزلوه وأسكنوه فى بيت ابن الدالى ... فكانت
مدته أربع سنوات . وأرسلوا له محمد بيك بن أبى
شنب فخلع عليه ، وجعلوه قائمقام ، وأخذوا منه
فرمانا بالتجريدة على ذى الفقار ، وجعلوا ابراهيم
بيك فارسكور أمير العسكر وكاشف المنوفية .

ووصل الخبر الى ذى الفقار بيك بما حصل من
مصطفى بيك بلفيه ، فوزع طوائفه فى البلاد ودخل
الى مصر خفية الى بيت أحمد أوده باشا مطرباز .
فلما سافر ابراهيم بيك بالتجريدة لم يجده ،
فضببط موجوداته ، وتحقق من المخبرين أنه دخل
الى مصر ، وأرسل الخبر بذلك لجركس .. فأمر
لهلوية الوالى والصيفى بالفحص والتفتيش عليه ،
وأرسلوا عرضحال محضرا بما نمقوه وبنزول الباشا .

وكان محمد باشا أرسل قبل ذلك مكاتبات
لرجال الدولة بما حصل بالتفصيل . فلما وصل
عرض المصريين عينوا على باشا واليا جديدا الى
مصر بتدبير مكيدة وصحبته قبودان وقابجى يطلب
الأربعة الآلاف كيس التى جملها محمد بيك بن أبى
شنب حلوانا على بلاد السوارية .



(١٩ أغسطس ١٧٢٧ — ٦ أغسطس ١٧٢٨)

ولم يزل محمد بيك في سيره حتى دخل الى رشيد واختفى في وكالة ، ووصل خبره الى حسين جرجى الخشاب ، فقبض عليه وقتله بعد أن استأذن في ذلك ، وتقلد في نظير ذلك الصنحية وكشوفية البحيرة .

ثم حضر محمد بيك جركس من غيبته بيلاد الافرنج ، وطلع على درنه وأرسل مركبه التي وصل فيها الى الاسكندرية ، وحضر اليه أمراؤه الذين تركهم من قبل جهة قبلى ، فركب معهم ونزل الى البحيرة ليصل الى الاسكندرية ، فصادف حسين بيك الخشاب ففر منه ، وغنم جركس خيامه وخيوله وجماله ، ثم رجع الى الفيوم ، ونزل على بنى سوف . ثم ذهب الى القطيعة قرب جرجا ، واجتمع عليه القاسمية المشردون ، فحاربه حسين بيك حاكم جرجا والسدارة ، وقتل حسن بيك وطائفته ، واستولى على وطاقهم وعازقهم ووصلت أخباره الى مصر فجمع ذو الفقار بيك جميعه ، وأخرج فرمانا بسفر تجريدة .. فسافر اليه عثمان بيك وعلى بيك قطامش وعساكره فتلاقوا معه بوادى البهنسا ، فكانت الهزيمة على التجريدة ، واستولى محمد بيك جركس ومن معه على عرضهم وخيامهم ، وحال بينهم الليل ، ورجع المهزومون الى مصر .. فجمع ذو الفقار الأمراء وانفقوا على التشهيل والخراج تجريدة أخرى ، فاحتاجوا الى مصروف ، فطلبوا فرمانا من الباشا بمبلغ ثلثمائة كيس من الميرى عن السنة القابلة ، فامتنع عليهم ، فركبوا عليه وأنزلوه وقلدوا محمد بيك قطامش قائمقام ، وأخذوا منه فرمانا بمطوبهم ، وجهزوا أمر التجريدة، واهتموا فيها اهتماما زائدا ، ورتبوا

فقبضوا على مصطفى بيك بن ايواظ وأركبوه حمارا — وصحبته مقدمه — وأحضره الى الباشا فأمر بقتله ، وقتل معه مقدمه أيضا ، واختفى الباقر . وأخذ ذو الفقار فرمانا بنفى هانم بنت ايواظ بيك ، وأم محمد بيك بن أبى شنب ، وعظية على بيك ... فمائع عثمان جاويش القازدغلى في ذلك واستقبه ، وضمن غائلتهم ، وألزمهم أن لا يخرجوا من بيوتهم ورتب لهم كفائتهم .

فلما حصل ذلك ضعف جانب القاسمية ، وانفرد على بيك الهندى — وكان ذو الفقار أرسل الى الشام — فأحضر رضوان أغا ومحمد أغا الكور فجعلوا رضوان أغا أغات الجميلة — ومحمد بيك الجزار غائب باقليم المنوفية — فعند ذلك اغتصموا الفرصة ، وتحرك محمد بيك قطامش في طلب الدفتردارية ، فدبروا أمرهم مع يوسف جرجى عزبان البركاوى ورضوان أغا وعثمان جاويش القازدغلى ، وقتلوا على بيك الهندى وذا الفقار قانصوه ، وأرسلوا الى محمد بيك الجزار تجريدة — وأميرها اسماعيل بيك قيطاس وهو باقليم المنوفية — وقلدوا مصطفى أفندى الدميماطى صنحية وجعلوه حاكم جرجا ، وقبضوا على سليمان بيك أبى شنب ، وقضى اسماعيل بيك أشغاله وسافر بالتجريدة الى المنوفية ، وأخذ صحبته عريان نصف سعد ، وساروا الى محمد بيك الجزار ، وكان لما وصل الخبر ، أخذ ما يعز عليه وترك الوطاق وارتحل الى جسر سديمة ، فلحقوه هناك وحاربوه وحاربهم وقتل بينهم أجناد وعرب وحمل نفسه الى الليل ، ثم أخذ معه مملوكين وبعض احتياجات ، ونزل في مركب ، وسار الى رشيد ، وترك أربعة وعشرين مملوكا ، فأخذوا الهجن وساروا ليللا مبحرين حتى جاوزوا وطاق اسماعيل بيك ، وتخلف عنهم مملوك ماشى ، فذهب الى وطاق اسماعيل بيك قيطاس وعرفه بمكانهم ، فأرسل اليهم كتخداه بطائفة فردوهم وأخذهم عنده فأقاموا في خدمته .

أرباب الفضائل ، وله ديوان شعر جيد .. وكان انسانا خيرا صالحا منقادا الى الشريعة ، أبطل المنكرات والخماير ومواقف الخواطي والبوط من بولاق وباب اللوق وطولون ومصر القديمة ، وجعل للوالى والمقدمين عوضا عن ذلك فى كل شهر كيسا من كشوفيات الباشاوات ، وكتب بذلك حجة شرعية وفيها لمن كل من تسبب فى رجوع ذلك .

سنة ١١٤٤ هجرية

(٦ يولية ١٧٣١ — ٢٣ يونية ١٧٣٢)

فى أواخر هذه السنة عزل عبد الله باشا ، وأمراء مصر فى هذا العام محمد بيك قطامش ، وتابعه على بيك قطامش ، وعثمان جاويش القازدغلى ، ويوسف كتخدا البركاوى ، وعبد الله كتخدا القازدغلى ، وسليمان كتخدا القازدغلى ، وحسن كتخدا القازدغلى ، ومحمد كتخدا الداودية ، وعلى بيك ذو الفقار ، وعثمان بيك ذو الفقار ، خشدائه .

سنة ١١٤٥ هجرية

(٢٤ يونية ١٧٣٢ — ١٣ يونية ١٧٣٣)

وصل مسلم محمد باشا السلحدار فأخبر بولاية محمد باشا السلحدار ، وقدم من البصرة .

سنة ١١٤٦ هجرية

(١٤ يونية ١٧٣٣ — ٢ يونية ١٧٣٤)

استمر محمد باشا واليا على مصر ، ثم عزل وتولى عثمان باشا الحلبي . ووصل المسلم بقائمقامية الى على بيك ذو الفقار ، فطلع الى الديوان ، ولبس القفطان من عثمان باشا ونزل الى

أشغالهم ، وخرجوا . وجرت أمور وحروب ، وقتل من جماعة جركس سليمان بيك ، ثم وقعت الهزيمة على جركس .

سنة ١١٤٢ هجرية

(٢٧ يولية ١٧٢٩ — ١٦ يولية ١٧٣٠)

وصل الى مصر باكير باشا ، وطلع الى القلعة ، فمكث أشهرها وعزله العساكر فى أواخر السنة . وحصل بمصر فى أيام هذه التجاريد ضنك عظيم ، وثار جماعة القاسمية المختفون بالمدينة ودبروا مكرهم — ورئيسهم فى ذلك الوقت سليمان أغا أبو دفية — ودخل منهم طائفة على ذى الفقار بيك وقت العشاء فى رمضان وقتلوه . وكان محمد بيك جركس جهة الشرق ينتظر موعدهم معه ، فقتل الله بموت جركس خارج مصر ، وموت ذى الفقار داخلها . ولم يشعر أحدهما بموت الآخر — وكان بينهما خمسة أيام — وثار أتباع ذى الفقار بالقاسمية ، وظهروا عليهم وقتلوهم وشردوهم ، ولم يقم منهم قائم بعد ذلك الى يومنا هذا .

واقترضت دولة القاسمية من الديار المصرية .

وظهرت دولة الفقارية ، وتفرع منها طائفة القازدغلية .

سنة ١١٤٣ هجرية

(١٧ يولية ١٧٣٠ — ٥ يولية ١٧٣١)

وبهذا كان اقراض فرقة القاسمية ، وظهور أمر الفقارية ، وخلع السلطان أحمد من السلطنة ، وولاية محمود خان . ووالى مصر اذ ذاك عبد الله الكبورلى — نسبة الى كبور بلدة بالروم — وحضر الى مصر فى السنة الخالية ، وكان من

تفرقة البقائش على الخدم وأرباب الملاعب ،
وقدم له قدام : خيول وهدايا وجواد .

رمضان

(فبراير ١٧٢٥ م)

في أوائله ظهر بالجامع الأزهر رجل تكرر
وادعى النبوة ، فأحضروه بين يدي الشيخ أحمد
العمادى (١) ، فسأله عن حاله . فأخبره أنه كان في
شرين فنزل عليه جبريل وعرج به الى السماء ليلة
سبع وعشرين رجب ، وآله صلى بالملائكة ركعتين ،
وأذن له جبريل . ولما فرغ من الصلاة أعطاه جبريل
ورقة وقال له : أنت نبى مرسل ، فانزل وبلغ الرسالة
واظهر المعجزات . فلما سمع الشيخ كلامه قال له :
« أنت مجنون » . فقال : « لست بمجنون وإنما
أنا نبى مرسل » . فأمر بضربه فضربوه وأخرجوه
من الجامع ، ثم سمع به عثمان كتحدا فأخضره
وسأله ، فقال مثل ما قاله للشيخ العمادى ، فأرسله
الى المارستان . فاجتمع عليه الناس والعامة رجالا
ونساء ، ثم أنهم أخفوه عن أعين الناس . ثم طلبه
الباشا فسأله فأجاب به بشل كلامه الأول ، فأمر
بحبسه في العرقانة ثلاثة أيام .

ثم جمع العلماء وسألوه فلم يتحول عن كلامه ،
فأمروه بالتوبة فامتنع وأصر على ما هو عليه فأمر
الباشا بقتله فقتلوه بحوش الديوان وهو يقول
« فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل » . ثم
أنزلوه والقوه بالرميلة ثلاثة أيام .

ذوالحجّة

٢٤ منه (١٧ مايو ١٧٢٥ م) :

اشيع في الناس بمصر بأن القيامة قائمة يوم

(١) الامام العالم استاذ الحققين ، مالكي . كان فقيها محمدا
نحويا منطقيا ، توفي في ٧ جمادى الاولى ١١٥٥ هـ (١٠ يوليو -
١٧٤١ م) .

بيته وحضر اليه الأمراء وهنوه ، وخلع على اسماعيل
بيك أبى قلتج أمين السباط ، ووصل عثمان باشا
الى العرش ، وتوجهت اليه الملائكة وأرباب الخدم ،
وحضر اليه العبادلية وعملوا له هبتكا وطلع الى
القلمة وخلع الخلع .

وورد قابجي باشا بالسكة وابطال سكة الذهب
الفندقلى ، وضرب الزر محبوب كامل وصرفه بمائة
نصف ففة وعشرة أنصاف ، وكذلك سكة النصف
محبوب وصرفه خمسة وخمسون ، وزاد في
الفندقلى الموجود بأيدي الناس اثني عشر نصف
فضة فصار يصرف بمائة نصف وستة وأربعين
نصفا . وحضر مرسوم ايضا بتمين صنjq للوجه
القبلى بتحرير النصارى واليهود وما عليهم من
الجزية في كل بلد المال (١) : أربعمائة نصف
وعشرين نصفا ، والوسط : مائتين وسبعين ،
والدون (٢) مائة ، فتشاوروا فيمن ينزل بصحبة
الأغا والكاتب من الأمراء الصناجق لتحرير بلاد
قبلى . فقال حسين بيك الخشاب : « أنا مسافر
بمنصب جرجا وينزل بصحبتى الأغا المصين ،
وانظروا من يذهب الى بحرى » . فقال محمد بك
قطاش : « كل إقليم يتقيد بتحريره الكاشف المتولى
عليه ومعه الأغا والكاتب » . فاتفق الراى على ذلك .

سنة ١١٤٧ هجرية

شعبان

(يناير ١٧٢٥ م) :

عمل اسماعيل بيك بن محمد بيك الدالى مهما
لزواج ولده ، ودعا عثمان باشا الى منزله الذى
ببركة الفيل . وعندما حضر الباشا واستقر به
الجلوس وضع بين يديه مندبلا فيه ألف دينار برسم

(١) لفظ عامى معناه : الجيد .

(٢) لفظ عامى معناه : الرديء .

سنة واحدة وخمسة أشهر وتولى بعده باكير باشا
وهى ولايته الثانية .

شمال

في ٢٤ منه (٢٧ مارس ١٧٣٦ م) :

قدم باكير باشا من جدة الى السويس من
القلم ، لأنه كان واليا عليها بعد انفصاله من مصر .
ولما ركب بالموكب كان خلفه من أتباعه نحو الثلاثين
خيالا ملبسة بالزروخ المذهبة ، وله من الأولاد
خمسة ركبوا أمامه في الموكب ، وصرخت العمامة
في وجهه من جهة فساد المعاملة ، وهى الاخشاش
والمرادى والمقصوص والفندقلى ... فان الاخشاش
صار بستة عشر جديدا ، والمرادى باثنى عشر ،
والمقصوص بثمانية جدد . وصار صرف الفندقلى
بثلثمائة نصف ، والجنزلى بمائتين ، وغلت بسبب
ذلك الأسعار ، وصار الذى كان بالمقصوص
بالديوانى .. فلم يلتفت الباشا لذلك .

ذوالقعدة

(مارس - أبريل ١٧٣٦) .

ورد أغا وعلى يده مرسوم بطلب سفر ثلاثة
الاف عسكرى لمحافظة بغداد وأن يكون العسكر
من أصحاب العتامة ، ولا يرسلوا عسكرا من
فلاحى القليوية والجيزة والبحيرة وشرق أطنج
والمنصورة . فقلدوا أمير السفر مصطفى بك أباطه
حاكم جرجا سابقا ، وسافر حسن بك الدالى
بالخزينة وارتحل من العادلية فى منتصف الحجة ،
وكان خروجه بالموكب فى أوائل رجب .

ذوالحجة

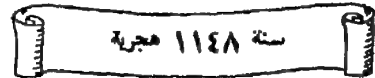
فى يوم الخميس ٥ منه (١٧ أبريل ١٧٣٦ م) :

ركب مصطفى بك بموكب السفر وسافر فى
المحرم .

الجمعة سادس عشرين الحجة (١٩ مايو ١٧٣٥ م)
وفشا هذا الكلام فى الناس قاطبة حتى فى القرى
والأرياف ، وودع الناس بعضهم بعضا ، ويقول
الانسان لرفيقه : « بقى من عمرنا يومان » . وخرج
الكثير من الناس والمخاليع (١) الى الغيطان
والمنتزهات ، ويقول لبعضهم البعض : دعونا نعمل
حظا ولودع الدنيا قبل أن تقوم القيامة .

وطلع أهل الجيزة نساء ورجالا ، وصاروا
يغتسلون فى البحر ومن الناس من غلاه الحزن
وداخله الوهم ، ومنهم من صار يتوب من ذنوبه
ويدعو ويبتل ويصلى ، واعتقدوا ذلك ووقع
صدقه فى نفوسهم ، ومن قال لهم خلاف ذلك ، أو
قال : هذا كذب ، لا يلتفتون لقوله ، ويقولون هذا
صحيح ! وقاله فلان اليهودى وفلان القبطى ، وهما
يعرفان فى الجفور والزائرات ولا يكذبان فى شيء
بقولانه .

وقد أخبر فلان منهم على خروج الريح الذى
خرج فى يوم كذا ، وفلان ذهب الى الأمير الفلانى
وأخبره بذلك وقال له : احبسنى الى يوم الجمعة .
وان لم تقم القيامة فاقتلنى .. ونحو ذلك من
وساوسهم . وكثر فيهم الهرج والمرج الى يوم الجمعة
المعين المذكور فلم يقع شيء . ومضى يوم الجمعة ،
وأصبح يوم السبت فانتقلوا يقولون : فلان العالم
قال ان سيدى أحمد البدوى والدسوقى والشافعى
تشفعوا فى ذلك وقبل الله شفاعتهم ، فيقول الآخرون :
اللهم اتقنا بهم فاننا ما أخى لم نشبع من الدنيا
وشارعون لعمل حظ ، ونحو ذلك من الهذيان .



(٢٤ مايو ١٧٣٥ - ١١ مايو ١٧٣٦)

فيها عزل عثمان باشا بعد أن أقام فى ولاية مصر

(١) المرتعاه .

في ١٠ منه (٢٢ أبريل ١٧٣٦ م) :

فيه : يوم الأضحية ، قبل أذان العصر ، خرجت ريح سوداء غريبة أظلمت منها الدنيا وحجبت نور الشمس ، فغرق منها مراكب ، وسقطت أشجار — ومن جملتها شجرة جيز عظيمة بناحية الشيخ قمر — وهدمت دور قديمة ، وشجرة اللبخة بديوان مصر القديمة ثم أعقبها بعد العشاء مطر عظيم . ووصل أيوب بيك أمير سفر العجم ، وطلع الى الديوان وألبسه الباشا قفطان القسوم والسدادرة وأصحاب الدركات . وكانت مدة غيابه سنتين وثلاثة أشهر .

وفي أيامه : ورد آغا وعلى يده مراسيم وأوامر : منها ابطال مرتبات أولاد وعيال ، ومنعها ابطال التوجيهات وأن المال يقبض الى الديوان ويصرف من الديوان ، وأن الدفاتر تبقى بالديوان ولا تنزل بها الا فائدة الى بيوتهم فلما قرئ ذلك قال القاضي . « أمر السلطان لا يخالف ويجب اطاعته » . فقال الشيخ سليمان المنصوري : « يا شيخ الاسلام : هذه المرتبات فعل نائب السلطان ، وفعل النائب كفعل السلطان ، وهذا شيء جرت به العادة في مدة الملوك المتقدمين ، وتداولته الناس وصار يباع ويشري ، ورتبوه على خيرات ومساجد وأسبلة ، ولا يجوز ابطال ذلك ، واذا بطل بطلت الخيرات ، وتعطلت الشعائر المرصدة لها ذلك ، فلا يجوز لأحد يؤمن بالله ورسوله أن يبطل ذلك ، وإن أمر ولي الأمر بابطاله لا يسلم له ويخالف أمره ، لأن ذلك مخالفة للشرع ، ولا يسلم للإمام في فعل ما يخالف الشرع ولا لنائبه أيضا » . فسكت القاضي ، فقال الباشا : « هذا يحتاج الى المراجعة » . ثم قال الشيخ سليمان : « وأما التوجيهات ففيها تنظيم وصلاح وأمر في محله » ، وانقض الديوان على ذلك .

ووقع الطاعون المسمى بطاعون كو ، ويسمى

أيضا الفصل العائق يأخذ على الرائق ، ومات به كثير من الأعيان وغيرهم بحيث مات من بيت عثمان كتحدا القازدغلي فقط مائة وعشرون نفسا ، وصارت الناس تدفن الموتى بالليل في المشاعل

ووقع في أيامه الفتنة التي قتل فيها عدة من الأمراء وسببها : أن صالح كاشف زوج هانم بنت ايواظ بيك كان ملتجئا الى عثمان بيك ذي الفقار ، وتزوج بنت ايواظ بيك بعد يوسف بيك الخائن — وكان من القاسمية — فحرضته على طلب الامارة والصنجدية ، وتأخذ له فائز عشرين كيسا ، وكلم عثمان بيك في شأن ذلك فوعده بيلوغ مراده ، وخاطب محمد بيك قيطاس المعروف بقظامش — وهو اذ ذاك كبير القوم في ذلك — فلم يجبه ، وقال له : تريد أن تفتح بيتا للقاسمية فيقتلوا على غفلة .. هذا لا يكون أبدا ما دمت حيا . وكان عثمان بيك المذكور أخذ كشوفية المنصورة فأنزل فيها صالح كاشف قائمقام . فلما كمل السنة ورجع ، تحركت الهمة الى طلب الصنجدية ، وعاود عثمان بيك في الخطاب ، وهو كذلك تكلم مع محمد بيك فصمم على الامتناع فوقع على الأغوات والاختيارية فلم يجب ولم يرض ، ووافقه على الامتناع على بيك تابع المذكور و خليل افندي . فذهب صالح كاشف الى عثمان كتحدا القازدغلي (١) واتفق معه على قتل الثلاثة ، وقال له : اعمل تدييرا في قتلهم . فذهب الى رضوان بيك أمير الحج سابقا وسليمان بيك الفراش ، فاتفق معهما على قتل الثلاثة في بيت محمد بيك الدفتردار باطلاع باكير باشا . وعرفوا محمد بيك بذلك فرضي وكتب فرمانا بالجمعية في بيت الدفتردار بسبب الحلوان والخزينة ... فركبوا بعد العصر الى بيت

(١) تابع حسن جاويش القازدغلي ، والد عبد الرحمن كتحدا صاحب السراير . اشتهر ذكره ونما صيته . وممر الجامع المعروف به بالازبكية ، وبني زاوية الميان بالازهر .

محمد بيك قطامش ، وركبوا معه الى بيت الدفتردار ، وصحبته على بيك وصالح بيك و خليل افندى وأغات الجميلية وعلى صالح جرجي واختيار من الأسباهية ويوسف كتحدا البركاوى ، وحضر عثمان بيك ذو الفقار وعثمان كتحدا القازدغلى وأحمد كتحدا الخربوطلى وكتخدا الجاوشية وأغات المتفرقة وعلى جلبى الترجمان . فلما تكاملت الجمعية أمر محمد بيك قطامش بكتابة عرضحال ، وقال للكاتب : اكتب كذا وكذا ، فطلع الى خارج — وصحبته كتحدا الجاوشية ومتفرقة باشا — وجلس يكتب فى المعرض وقد قرب الغروب ، فأرادوا الانصراف فوقف الدفتردار وقال : « هاتوا شربات » وكان ذلك القول هو الاشارة مع صالح كاشف وعثمان كاشف مملوك سليمان بيك ، ففتحوا باب الحزانة وخرج منها جماعة بطرايش وهم شاهروال سلاح فوقف محمد بيك قطامش على أقدامه وقال : « هى خونة » فضربه الضارب بالمقرابينة فى صدره ، ووقع الضرب ، وهاج المجلس فى دخنة البارود وظلام الوقت .. فلم يعلم القاتل من المقتول . وعندما سمع كتحدا الجاوشية أول ضربة ، وهو جالس مع الأفندى الكاتب ، نزل مسرعا وركب ، وعلى الترجمان ألقى بنفسه من شباك الجنيينة وعثمان بيك ذو الفقار أصابه سيف فقطع شاشه وقاووقه ، ودفعه صالح كاشف فنجأ بنفسه الى أسفل ، وركب حصان بعض الطوائف وخرج من باب البركة . وأصيب باش اختيار مستحفظان البرلى بجراحة قوية ، فأرسلوه الى منزله ومات بعد ثلاثة أيام .

ثم أوقدوا الشموع وثلثمقدوا المقتولين ، وإذا هم محمد بيك قطامش ، وعلى بيك تابعه وصالح بيك ، وعثمان بيك كتحدا القازدغلى وأحمد كتحدا

الخربوطلى (١) ويوسف كتحدا البركاوى (٢) و خليل أفندى ، وأغات الجميلية وعلى صالح جرجي والأسباهية تسعة عشرة ، وباش اختيار الذى مات بعد ذلك فى بيته .. فعسروا المقتولين من ثيابهم وقطعوا رؤوسهم ، وأتوا بهم جامع السلطان حسن فوجدوه مغلوقا فأحرقوا ضرفة الباب الذى جهة سوق السلاح ووضعوا الرؤوس العشرة على البسطة ، ووضعوا عند كل رأس شيئا من التبن ، ووطنوا أنهم غالبون . وطلع صالح كاشف الى الباشا من باب الميدان فخلع عليه الصنجدية ، فطلب منه دراهم يفرقها فى العسكر المجتمعين اليه فقال له : « انزل لأشغالك وأنا أرسل اليك ما تطلب » . فنزل الى السلطان حسن فوجد محمد كتحدا الداودية حضر بأتباعه وجماعته هناك يظن أنهم غالبون . وعندما بلغ الخبر سليمان كتحدا الجلفى ركب فى جماعته بعد المغرب ، وطلع الى باب العزب وكان كتحدا الوقت اذ ذاك أحمد كتحدا الشراق يوسف كتحدا البركاوى ، فطرق الباب . فقال التفكجية : « من هذا ؟ » فعرفهم عن نفسه . فقال الكتحدا : « قولوا له أنت توليت الكتحداية وتعرف القانون ، وإن الباب لا يفتح بعد الغروب ، فإن كان له حاجة يأتى فى الصباح » .

وأما عثمان بيك فانه لما خرج من باب البركة وشاشه مقطوع لم يزل سائرا الى باب الينكجيرية فوجده ملآن جاوشية وواجب رعايا ونفسر . وطلع عندهم عمر جلبى بن على بيك قطامش فأخذه حسن جاويش النجدلى ، ومعه طائفة ، وطلع به الى الباشا — بعد نزول صالح كاشف — فخلع عليه صنجدية أبيضه ، وأعطاه فرمانا بالخروج من حق الذين قتلوا الأمراء وحرقوا باب المسجد ونزل .

(١) هو الذى مرر الجامع المعروف باللكهاني بمطلة خورمقدم بغضت المقادير .

(٢) كان اصله جرجيا بباب العزب .

ذلك مجيء خشداشك سليمان كتحدا بعد المغرب
بطائفته يملك باب العزب « فحلف بالله العظيم
لم يكن عنده خبر بشيء من ذلك ، ولا بمجيء
سليمان كتحدا الى الباب . ولكن أى شيء جاء
بمحمد كتحدا . الداودية الى السلطان حسن .

ثم انهم أنزلوا باكير باشا وعزلوه وطبخوا
عليه حلوان بلاد المقتولين ، وكتبوا عرض محضر
وسفروه صحبة سبعة أنفار فحضر مصطفى أغا
أمير اخور كبير ومعه مرسوم من الدولة بضبط
متروكات المقتولين فمكث بمصر شهرين .
ثم ورد أمر بولايته على مصر وتوجيه باكير
باشا الى جدة

سنة ١١٥٢ هجرية

(١٠ ابريل ١٧٣٩ — ٢٨ مارس ١٧٤٠)

أقام مصطفى باشا واليا بمصر الى هذه السنة .
تولى بعده سليمان باشا الشامى الشهير بابن
العظم . ولما استقر في ولاية مصر أراد ايقاع فتنة
بين الأمراء . فضم اليه عمر بيك بن على بيك
قطامش . فأرسل اليه من يأمنه على سره . واتفق
معه على قتل عثمان بيك ذى الفقار و ابراهيم بيك
قطامش وعبد الله كتحدا قازدغلى وعلى كتحدا
الجلفى ، وهم اذ ذاك أصحاب الرئاسة بمصر .
ووعده نظير ذلك امارة مصر والحج ، وأن يعطيه
من بلادهم فائظ عشرين كيسا فجمع عمر بيك
خليل أغا وأحمد كتحدا عزبان و ابراهيم جاويش
قازدغلى ، واختلى بهم وعرفهم بالمقصود ، وتكفل
أحمد كتحدا بقتل على كتحدا و خليل أغا بعثمان بيك
وابراهيم جاويش بعبد الله كتحدا ، واذا انفرد
ابراهيم بيك أخذوه بعد ذلك بحيلة وقتلوه في
الديوان .

ثم ان أحمد كتحدا أغرى بعلى كتحدا لاط

فرد على كتحدا الوقت وصحبته حسن جاويش
النجدلى ومعهم يرق وأنفار وواجب رعيا من
المحجر خلف جامع المحمودية وبيت الحصرى وزاوية
الرفاعى .

سنة ١١٤٩ هجرية

في هذه السنة عزل باكير باشا وتولى مكانه
مصطفى باشا .

رجب

الجمعة ه منه (٩ نوفمبر ١٧٣٦ م) :

ليلة مولد الرفاعى : عملوا مترز على باب
الدرب قبالة باب السلطان حسن ، وضربوا عليهم
بالرصاص ، وكذلك من باب العزب وبيت الأغا وكان
أغات العزب عبد اللطيف أفندى وروزنامجى مصر
سابقا . وأما صالح بيك فانه انتظر وعد الباشا فلم
يرسل له شيئا ، فأخذ رضوان بيك وعثمان كاشف
ومملوك سليمان بيك واختفوا في خان الخليلى ،
واختفى أيضا محمد بيك اسماعيل . ومحمد كتحدا
الداودية ندم على ما فعل ، فركب بجماعته وذهب
الى بيت مصطفى بيك الدمياطى فوجده مقفولا
فطرق الباب فلم يجبه أحد . فذهب الى بيت
ابراهيم بيك بلفيه ودخل هناك .

ولما بطل الرمى من السلطان حسن هجم حسن
جاويش فلم يجد به أحدا . ولما طلع النهار ذهبوا
الى بيت الدفتردار فنهبوه ، ونهبوا أيضا بيت
رضوان بيك ، وذهبوا الى سليمان بيك فقتلوه
وقطعوا رأسه ، ونهبوا البيت وأتوا الى الباب .
ثم أن السبعة وجاقات اجتمعوا في بيت على
كتحدا الجلفى وقالوا له : « أنت بيت سر يوسف
كتحدا اليركاوى ، ولا يفعل شيئا الا باطلاعك ،
وعندك خبر بقتل أمرائنا وأعياننا والشاهد على

جمادى الأولى

١٠ منه (٢٤ يوليو ١٧٤١ م) :

نزل سليمان باشا الى بيت البيرقدار ، وعمل على باشا أول ديوان بقرا ميدان بحضرة الجيم الفقير ، وقرىء مرسوم الولاية بحضرة الجميع . ثم قال الباشا : « أنا لم آت الى مصر لأجل اثاره فتن بين الأمراء واغراء ناس على ناس ، وإنما أتيت لأعطي كل ذى حق حقه . وحضرة السلطان اعطاني المقاطعات ، وأنا أنعمت بها عليكم فلا تتعبوني في خلاص المال والغلال » . وأخذ عليهم حجة بذلك وانقض المجلس .

ثم انه سلم على الشيخ البكرى وقال له : « أنا بعد غد ضيفك » . ثم ركب وطلع الى السراية ، وأرسل الى الشيخ البكرى هدية وأغناما وسكرا وعسلا ومريبات . ونزل اليه في الميعاد وأمر ببناء رصيف الجنيينة التى فى بيتهم ، وكان له فيه اعتقاد عظيم لرؤيا منامية رآها فى بعض سفراته .

وكانت أيامه أمنا وأمانا ، والفتن ساكنة ، والأحوال مطمئنة .

ثم عزل ونزل الى قصر عثمان كتخدا القازدغلى بين بولاق وقصر العينى .

ثم تولى يحيى باشا ، ودخل الى مصر وطلع الى القلعة فى موكب على العادة ، وطلع اليه على باشا وسلم عليه . ونزل هو الآخر وسلم على على باشا بالقصر . ودعاه عثمان بيك ذو الفقار وعمل له وليمة فى بيته . وقدم له تقادم كثيرة وهدايا . ولم يتفق نظير ذلك فيما تقدم أن الباشا نزل الى بيت أحد من الأمراء فى دعوة ، وإنما كان الأمراء يعملون لهم الولائم بالتقصير فى الخلاء مثل قصر العينى أو المقياس .

ابراهيم قُتِلَ على كِتْخدا عند بيت أقبرى وهو طالع الى السديوان . وبلغ الخبر عثمان بيك ، فتدارك الأمر ، وفحص عن القضية حتى انكشف له سرها وعمل شغله وقتل أحمد كِتْخدا . وعندما قتل على كِتْخدا ظن الباشا تمام المقصد ، فأراد أن يملك باب الينكجيرية بحيلة ، وأرسل مائتى تفكجى ومعهم مطرجى وجوخدار — وهم مستعدون بالأسلحة — فمنعهم التفجكية من العبور . وطلب الكِتْخدا شخصين من أعيانهم يسألهما عن مرادهم ، فقالا : أن الباشا « مقصر فى حقنا ولم يعطنا علائقنا » فأرسل معهم باش جاويش بالسلام على الباشا من الاختيارية والوصية بهم . فقبل ذلك ولم يتمكن من مراده .

ثم ان حسين بيك الخشاب طلع الى باب العزب ، وتحيل فى نزول أحمد كِتْخدا من الباب وملك هو الباب . واجتمعوا بعد ذلك وأمروا الباشا بالنزول الى قصر يوسف ، فركب وأراد أن يدخل الى باب الينكجيرية فرفعوا عليه البنادق فدخل الى قصر يوسف فوجده خرابا . فأخذ حرسن جاويش النجدلى خاطر الينكجيرية على نزوله ببيت الأغا .

وانتقل الأغا الى السرجى فأقام الباشا الى أن نزل بيت البيرقدار وسافر بعد ذلك

جمادى الأولى

(يوليو — اغسطس ١٧٤٠ م) :

كانت ولاية سليمان باشا على مصر الى شهر جمادى الأولى من هذه السنة .

ثم تولى بعده الوزير على باشا حكيم أوغلى — وهى توليته الأولى بمصر — فدخل مصر فى جمادى الأولى . ومكث الى عاشر جمادى الأولى سنة أربع وخمسين ومائة وألف (٢٤ يولية ١٧٤١ م)

في ٢٠ منه (٩٠ سبتمبر ١٧٤٣ م) :

أقام يحيى باشا في ولاية مصر (١) الى أن عزل في هذا التاريخ .

تولى بعده محمد باشا اليدكشي وحضر الى مصر وطلع الى القلعة .

وفي أيامه كتب فرمان بإبطال شرب الدخان في الشوارع وعلى الدكاكين وأبواب البيوت .

ونزل الأغا والوالي فنادوا بذلك . وشددوا في الانكار والنكال بمن يفعل ذلك من عال أو دون وصار الاغا يشق البلد في التبديل كل يوم ثلاث مرات ، وكل من رأى في يده آلة الدخان عاقبه وربما أطعمه الحجر الذي يوضع فيه الدخان بالنار .

وفي أيامه أيضا قامت العسكر بطلب جرياتهم وعلائقهم من الشون ، ولم يكن بالشون أردب واحد . فكتب الباشا فرمانا بعمل جمعية في بيت على بيك الديماطي الدفتردار ، لينظروا الغلال في ذمة أي من كان يخلصونها منه . فلما كانوا في ثاني يوم اجتمعوا ، وحضر الروزنامجي وكاتب الغلال والقلقات وأخبروا أن بذمة ابراهيم بيك قطامش أربعين ألف أردب . والمذكور لم يكن في الجمعية وانتظروه فلم يأت ، فأرسلوا له كتخدا الجاوشية وأغات المتفرقة ، فامتنع من الحضور في الجمهور وقال : « الذي له عندي حاجة يأتي الى عندي » ، فرجعوا وأخبروهم بما قال . فقال العسكر : « نذهب اليه ونهدم بيته على دماغه » فقام وكيل دار السعادة وأخذ معه من كل بك اثنين اختياريين وذهبوا الى ابراهيم بيك قطامش . فقال له الوكيل : « أي شيء هذا الكلام ؟ » والعسكر قائمة على

اختياريتها . قال : « والمراد أي شيء وليس عندي غلال ؟ » قال له الوكيل : « نجعلها مئنة بقدر معلوم » فثمنوا القمح بستين نصف فضة الأردب والشعير بأربعين . فقال ابراهيم بيك : « يصبروا حتى يأتي شيء من البلاد » . قال الوكيل : « العسكر لا يصبروا ويحصل من ذلك أمر كبير » . فجمعوا مبلغ ليكون فبلغ ثمانين كيسا . فرهن عند الوكيل بلدين لأجل معلوم ، وكتب بذلك تمسك وأخذ التقاسيط ، ورجع الوكيل الى محل الجمعية ، وأحضر مبلغ الدراهم . . . وكل من كان عليه غلال أورد بذلك السعر . وهذه كانت أول بدعة ظهرت في تمين غلال الأنبار للمستحقين .

في ٢١ منه (١٠ سبتمبر ١٧٤٣ م) :

الثلاثاء : حصلت فتنة بين عثمان بيك شيخ البلد والبكوات انتهت بفرار عثمان بيك الى سوريا ومنها الى الآستانة فولى بروحه حتى توفاه الله وقد أحرقت الأهالي بيت عثمان بيك واقتسموا أمواله وتركته بمصر . وبعد مقتلة عظيمة بين البكوات تولى ابراهيم كخيا مشيخة البلد ، ومضى رضوان بيك أميرا للحج (١) .

(٣ فبراير ١٧٤٥ - ٢٣ يناير ١٧٤٦)

استمر محمد باشا في ولاية مصر حتى عزل في هذه السنة . ووصل مسلم محمد باشا راغب .

وتقلد ابراهيم بيك بلفيه قائمقام . وخلع عليه محمد باشا القفطان ، وعلى محمد بيك أمين السماط . ثم ورد الساعى من اسكندرية فأخبره بورود حضرة محمد باشا راغب الى ثغر الاسكندرية . فنزل أرباب العكاكيز للاقاته ، وحضروا صحبتته

(١) نقلنا أخبار هذا اليوم من « التوفيقات الإلهامية » .

(١) حكم يحيى باشا مصر لمدة سنتين .

الى مصر . وطلع الى القلعة ، وحصل بينه وبين
حسين بيك الخشاب محبة ومودة ، وحلف له أنه
لا يخونه . ثم أسر اليه أن حضرة السلطان يريد
قطع بيت القظامشة والدمياطية . فأجاب الى ذلك .
واختلى بابراهيم جاويش وعرفه بذلك . فقال له
الجاويش : « عندك توابع عثمان بيك قرقاش
وذو الفقار كاشف ، وهم يقتلون خليل بيك وعلى
بيك الدمياطى فى الديوان » . فقال له : « يحتاج
يكون صحبتهم أناس من طرفك ، والا فليس لهم
جسارة على ذلك » فقال له : « أنا أتكلم مع عثمان
أنا أبى يوسف يطلب شرهم لأنه من طرفى » .

فلما كان يوم الديوان ، وطلع حسين بيك الخشاب
وقرقاش وذو الفقار وجماعته ، وطلع على بيك
الدمياطى وصحبته محمد بيك ، وطلع فى أثرهم خليل
بيك أمير الحج وعمر بيك بلاط ، فجلسوا بجانب
المحاسبة ، فحضر عثمان أغا أغاب المتفرقة عند خليل
بيك ، فقال له : « لماذا لم تدخل عند الباشا ؟ » .
فقال له : « قد تركناه لك » . فقال : « كأنى لم
أعجبك » . واتسع بينهما الكلام ، فسحب
أبو يوسف النمشة وضرب خليل بيك . وإذا
بالجماعة كذلك أسرعوا وضربوا عمر بيك بلاط
فقتلوه ، ودخلوا برأسيهما الى الباشا . فقام على
بيك الدمياطى ومحمد بيك ونزلا ماشيين ودخلا
الى نوبة الجاويشية . فأرسل الباشا للاختيارية
يقول لهم : « انهما مطلوبان للدولة وأخذهما
وقطع رأسيهما أيضا » . وكتبوا فرمانا الى
الصناجق والأغوات واختيارية السبعة وجاقات
بأن ينزلوا بالليارق والمدافع الى ابراهيم بيك وعمر
بيك وسليمان بيك الألتى . وكان سليمان بيك
دهشور مسافرا بالخرينة فنزلت الليارق والمدافع ،
فضربوا أول مدفع عند قنطرة سنقر . فحمل الثلاثة
أحمالهم وخرجوا بهجنهم وعازقهم الى جهة قبلى ،

ودخل المساكر الى بيت ابراهيم بيك فنهوه ،
وكذلك بيت خليل بيك ، وذهبوا الى بيت على
بيك فوجدوا فيه صنجقا من الصناجق ملكه بما
فيه ، ولم يتعرضوا ليوسف بيك ناظر الجامع
الأزهر ، ورفعوا صنجقية محمد بيك صنجق ستة .
وماتت ستة أيضا وذهب الى طندتا وعمل فقيرا
بضريح سيدى أحمد البدوى .

ولما رجع سليمان بيك دهشور من الروم ، رفعوا
صنجقيه ، وأمره بالاقامة برشيد ، وقلدوا
عثمان كاشف صنجقية ، وكذلك كجك أحمد
كاشف ، وقلدوا محمد بيك أباطة اشراق حسين
بيك الخشاب دفتردارية مصر . واقضت تلك الفتنة .

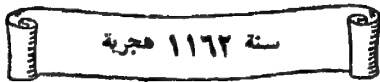
ثم ان الباشا قال لحسين بيك الخشاب :
« مرادى ان نعمل تدييرا فى قتل ابراهيم جاويش
قازدغلى ورضوان كتحدا الجلفى ، وتصير أنت
مقدام مصر وعظيمها » . فاتفق معه على ذلك ،
وجمع عنده على بيك جرجا وسليمان بيك — مملوك
عثمان بيك ذى الفقار — وقرقاش وذو الفقار
كاشف .. ودار القال والقال ، وسعى المناقون ،
وعلم ابراهيم جاويش ورضوان كتحدا مايراد
بهما ، فحضر ابراهيم جاويش عند رضوان كتحدا ،
وامتلا باب النكرجية وباب العزب بالمسكر
والأودة باشية .

واجتمعت الصناجق والأغوات السبعة فى سبيل
المؤمنين ، والاسباهية بالرميلة ، وأرسلوا يطلبون
فرمانا من الباشا بالركوب على بيت حسين بيك
الخشاب الذى جمع عنده المفاسيد أعداءنا ،
وقصده قطعنا .

فلما طلع كتحدا الجاويشية ومتفرقة باشا
الى راغب باشا وطلبوا منه فرمانا بذلك .
فقال الباشا : « رجل نفذ أمر مولانا السلطان ،
وخطر بنفسه ، ولم ينكسر عليه مال ولا غلال .
كيف أعطيكم فرمانا بقتله ؟ الصلح أحسن

الى الصعيد . وعمر بيك بن على بيك وصحبته
طائفة من الصناجق هربوا الى أرض الحجاز .
كانت مدة محمد باشا راغب في ولاية مصر
سنتين ونصفا .

ثم سافر الى الديار الرومية وتولى الصدارة ،
وكان انسانا عظيما عالما محققا ، وكان أصله رئيس
الكتاب



المحتم

غرته (٢٢ ديسمبر ١٧٤٨ م) :

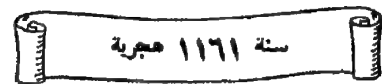
وصل أحمد باشا — المعروف بكور وزير
— فطلع الى ثغر الاسكندرية ، ووصلت السعاة
ببشائر قدومه ، فنزلت اليه الملاقاة وأرباب العكاكيز
وأصحاب الخدم ، مثل كتخدا الجاوشية ، وأغات
المتفرقة ، والترجمان ، وكاتب الحوالة وغيرهم
واجتمع في رشيد براغب باشا ، وسافر في
المركب التي حضر فيها أحمد باشا .

وحضر الى مصر ، وطلع بالموك المعتاد الى
القلعة ، وضربوا له المدافع والشنك من أبراج
الينكجرية ، وعمل الديوان ، وخلع الخلع على
الأمراء والأعيان والمشايخ

وخلصت رياسة مصر وامارتها الى ابراهيم
جاويش ورضوان كتخدا ، وقلد ابراهيم جاويش
مملوكه على أغا — وهو الذي عرف بالغزاوي
— صنجقا ، وكذلك حسين أغا — وهو الذي عرف
بكشكش (١) — وكذلك قلد رضوان كتخدا أحمد
أغا خازنداره صنجقا ، فصار لكل واحد منهما
ثلاثة صناجق : وهم عثمان وعلي وحسين

(١) كان ذائع الصيت واسع الحيلة . سافر اميرا للحج أربع
مرات دون ان يؤدى عوائد العريان .

ما يكون » . فرجعوا وردوا عليهم بجواب
الباشا . فأرسلوا له من كل تلك اثنين اختيارية
بالعرضحال . فان أبى فقولوا له : « ينزل ويولى
قائمقام ونحن نعرف خلاصنا مع بعضنا » . فنزل
بكامل أتباعه من قراميدان لما صار في الرميطة ،
فأراد أن ينزل على شيخون الى بيت حسين بيك
الخشاب يكرئك معه فيه . واذا بالعزب المرابطين في
السلطان حسن ردوه بالنار ، فقتل أغا من أغواته
.. فنزل على بيت آقبردى الى بيت ذى عرجان
تجاه المظفر ، فأرسلوا له ابراهيم بيك بلقية —
صحبة كتخدا الجاوشية — خلع عليه قفطان
القائمقائية ورجع الى بيته ، وأخذوا منه فرمانا
بجبر المدافع والبيارق من ناحية الصليية وسارت
الصناجق تتقدمهم عمر بيك أمير الحاج ومحمد
بيك الدالى و ابراهيم بيك بلقيه ويوسف بيك
قطامش وحزبه بيك وعثمان بيك أبو سيف وأحمد
بيك بن كجك محمد واسماعيل بيك جلفى وعثمان
بيك وأحمد بيك قازدغلية ورضوان بيك خازندار
عثمان كتخدا قازدغلى كان ، واحتاطوا ببيت حسين
بيك الخشاب ومحمد بيك أباطه من الأربع جهات .
فحارب بالبندق من الصباح الى الظهر حتى وزع مايعز
عليه ، وحمل أثقاله وطلع من باب السر على زين العباد
وذهب الى جهة الصعيد فدخل العسكر الى بيته
فلم يجدوا فيه شيئا ولا الحريم



(٢ يناير ١٧٤٨ — ٢١ ديسمبر ١٧٤٨)

في آخر هذه السنة (١) هرب ابراهيم بيك قطاس

(١) في هذه السنة قامت فتنة بين الدماطة ورئيسهم على بيك
الدماطى وبين القطاشنة ورئيسهم ابراهيم بيك قطامش ، وبعد
حروب انتصرت الدماطة على اخصامهم .
(التوفيقات الالهامية)

الابراهيمية ، واسماعيل وأحمد ومحمد الرضوانية ،
ثم ان ابراهيم جابوش عمل كتحدا الوقت ثلاثة
أشهر وانفصل عنها .

وحضر عبد الرحمن كتحدا القازدغلي من الحجاز
وعمل كتحدا الوقت بباب مستحفظان سنتين .
وشرع في عمل الخيرات وبناء المساجد وأبطل
الخمائر .

أقام في ولاية مصر الى عاشر شوال سنة ثلاث
وستين ومائة وألف (١٢ سبتمبر ١٧٥٠ م) . وكان
من أرباب الفضائل وله رغبة في العلوم الرياضية .
ولما وصل الى مصر استقر بالقلعة ،
وقابله صدور العلماء في ذلك الوقت ، وهم :
الشيخ عبد الله الشبراوى — شيخ الجامع الأزهر
— والشيخ سالم النفراوى ، والشيخ سليمان
المنصورى ... فتكلم معهم وناقشهم وباحثهم ،
ثم تكلم معهم في الرياضيات فأحجموا وقالوا :
لا نعرف هذه العلوم ! فتعجب وسكت ...

... ودخل الشيخ الشبراوى عند الباشا
يحادثه ، فقال له الباشا : المسموع عندنا بالديار
الرومية أن مصر منبع الفضائل والعلوم ، وكنت
في غاية الشوق الى المجيء اليها . فلما جئتها
وجدتها كما قيل «تسمع بالمعدي خير من أن تراه !»
فقال الشيخ : هي ، يا مولانا ، كما سمعتم :
معدن العلوم والمعارف .

فقال : وأين هي ... وأتم أعظم علمائها ؟ وقد
سألتكم عن مطلوبى من العلوم ، فلم أجد عندكم
منها شيئا . وغاية تحصيلكم الفقه والمعقول
والوسائل : وبذتم المقاصد .

فقال له الشيخ : نحن لسنا أعظم علمائها ،
وانما نحن المتصدرون لخدمتهم وقضاء حوائجهم
عند أرباب الدولة والحكام . وغالب أهل الأزهر
لا يشتغلون بشئ من العلوم الرياضية الا بقدر

الحاجة الموصلة الى علم الفرائض والموارث ،
كعلم الحساب والغبار .

فقال له (الباشا) : وعلم الوقت كذلك من
العلوم الشرعية ، بل هو من شروط صحة العبادة .
كالعلم بدخول الوقت ، واستقبال القبلة ، وأوقات
الصوم ، والأهلة ، وغير ذلك .

فقال (الشيخ) : لهم . معرفة ذلك من فروض
الكفاية ... اذا قام به البعض ، سقط عن الباقين .
وهذه العلوم تحتاج الى لوازم وشروط وآلات
وصناعات وأمور ذوقية ، كركة الطبيعة ، وحسن
الوضع ، والخط والرسم والتشكيل ، والأمور
الطاردية ! وأهل الأزهر بخلاف ذلك ... غالبهم
فقراء وأخلط مجتمعة من القرى والآفاق ، فيندر
فيهم القابلية لذلك .

فقال (الباشا) : وأين البعض !

فقال (الشيخ) : موجودون في بيوتهم ...
يسمى اليهم .

ثم أخبره عن الشيخ الوالد (أى الشيخ حسن
الجبرتي والد المؤلف) ، وعرفه عنه ، وأطنب في
ذكره .

فقال : أتمس منكم ارساله عندي .

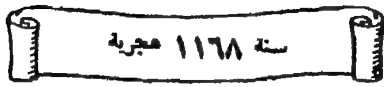
فقال : يا مولانا ، انه عظيم القدر ، وليس هو
تحت أمرى ...

فقال : وكيف الطريق الى حضوره ؟

قال : تكتبون له ارسالية مع بعض خواصكم ،
فلا يسعه الامتناع .

ففعل ذلك ، وطلع اليه ، ولبي دعوته ، وسر
برؤيته ، واغتبط به كثيرا . وكان يتردد اليه يومين
في الجمعة ، هما السبت والأربعاء . وأدرك منه
مأموله بالبر والاكرام الزائد الكثير ، ولازم المطالعة
عليه مدة ولايته . وكان يقول : لو لم أغنم من مصر
الا اجتماعى بهذا الأستاذ .. لكفاني !

سترتنا عند هذا الباشا . قاته لولا وجودك كنا
جميعا عنده حيرا .
رحم الله الجميع .



(١٨ أكتوبر ١٧٥٤ — ٦ أكتوبر ١٧٥٥)

في هذه السنة أخذ أتباع ابراهيم كخدا يدبرون
في اغتيال رضوان كخدا ، وازالته ، وسعت فيهم
عقارب القتن .

قتنه رضوان كخدا لذلك ، فاتفق مع أغراضه
وملك القلعة والأبواب والمحودية وجامع السلطان
حسن . واجتمع اليه جمع كثير من أمرائه وغيرهم
ومن انضم اليهم ، وكاد يتم له الأمر . فسمى عبد
الرحمن كخدا والاختيارية في اجراء الصلح ،
وطلع بعضهم الى رضوان كخدا ، وقالوا له :
هؤلاء أولاد أخيك . وقد مات وتركهم في كفك
مثل الأيتام ، وأنت أولى بهم من كل أحد ، وليس
من المروءة والرأى أن تناظرهم أو تخاصمهم ، فأنك
صرت كبير القوم وهم في قبضتك أي وقت . فلا
تسمع كلام المنافقين .

فلم يزالوا به حتى انخدع لكلامهم وصدقهم
واعتقد نصحتهم ، لأنه كان سليم الصدر . ففرق
الجمع ونزل الى بيته الذي بقوصون . فاغتمسوا
عند ذلك الفضة ، وبيتوا أمرهم ليلا ، وملكوا
القلعة والأبواب والجهات وهو في غفلته ، آمن في
بيته ، مطمئن من قبلهم ، ولا يدري ما خبيء له
فلم يشعر الا وهم يضربون عليه بالمدافع ،
وكان المزين يحلق له رأسه ، فسقطت على داره
الجلل ، فأمر بالاستعداد ، وطلب من يركن اليهم ،
فلم يجد أحدا ، ووجدهم قد أخذوا حوله الطرق
والنواحي ، فحارب فيهم الى قرب الظهر
وخامر عليه أتباعه ، فضربه مملوكه صالح

ومما اتفق له — لما طالع « ربع الدستور »
وأثقنه — طالع بعد « وسيلة الطلاب » في استخراج
الأعمال بالحساب ، وهو مؤلف دقيق للعلامة
المرديني . فكان الباشا يحتلى بنفسه ، ويستخرج
منه ما يستخرجه بالطرق الحسابية ، ثم يستخرجه
من « التجيب » ، فيجده مطابقا
فاتفق له عدم المطابقة في مسألة من المسائل ،
فاشتغل ذهنه وتحير فكره الى أن حضر اليه الأستاذ
في الميعاد ، فاطلعه على ذلك ، وعلى السبب في عدم
المطابقة ، فكشف له غلة ذلك بديها . فلما انجلي
وجهها على مرآة عقله ، كاد يطير فرحا ، وحلف أن
يقبل يده ، ثم أحضر له فروة من ملبوسة السمور ،
باعها المرحوم بثمانمائة دينار ، ثم اشتغل عليه برسم
المزاويل والمنحرفات حتى أثقنها ، ورسم على اسمه
عدة منحرفات ، على ألواح كبيرة من الرخام صناعة
وحفرا بالازميل ، كتابة ورسا ، وعمل له تاريخا
منظوما نقشه عليها ، وهو هذا :

مزولة متقنة نظيرها لا يوجد
راسمها حاسبها هذا الوزير الأمجد
تاريخها : أثقنها وزير مصر أحمد
٥٥٧ ٢٢٣ ٣٣٠ ٥٣

= ١١٦٣ هجرية (١)

ولصب واحدة من هذه المزاويل بالجامع الأزهر
في ركن الصحن على يسار الداخل ، وأخرى بسطح
جامع الامام الشافعي ، وأخرى بمشهد السادات
الوفائية ، وغير ذلك

وكان المرحوم الشيخ عبد الله الشبراوي كلما
تلاقى مع المرحوم الوالد يقول له : سترك الله كما

(١) كان هذا النوع من التاريخ بالنظم مألولا لدى ادباء ذلك
العصر . واسمه أن الحروف الابجدية في حسابهم فظائر رقمية :
فلان في تناظر واحدا ، وهكذا حتى الياء من حروف « ابجد هو »
حتى « ، فتناظر الياء عشرة . والكاف تناظر مشرين ، وهكذا
حتى القاف من حروف « كلمن سمسق ق » ، فتناظر القاف مائة .
والراء تناظر مائتين ، وهكذا حتى الفين من حروف « رشت ثخذ
ضظح » ، فتناظر الفين الفا .

أنصاف ، والفحم قنطاره بأربعين نصفاً ، والبصل قنطاره بسبعة أنصاف . وقس على ذلك .
وقد أدركت بقايا تلك الأيام ، وذلك أن مولدى كان فى سنة ١١٦٧ (١٧٥٣ - ١٧٥٤ ميلادية) . ولما صرت فى سن التمييز رأيت الأشياء على ما ذكر الا قليلا . وكنت أسمع الناس يقولون : الشيء القلائى زاد سعره عما كان فى سنة كذا ، وذلك فى مبادئ دولة ابراهيم كخدنا وحدث الاختلال فى الأمور .

وكافت مصر اذ ذاك محاسنها باهرة ، وفضائلها ظاهرة ، ولأعدادها القاهرة . . يعيش رغدا بها الفقير ، وتتسع للجليل والحقير .

وكان لأهل مصر سنن وطرائق فى مكارم الأخلاق لا توجد فى غيرها . منها أن فى كل بيت من بيوت جميع الأعيان مطبخين : أحدهما أسفل رجالى ، والثانى فى الحريم . فيوضع فى بيوت الأعيان السماط فى وقتى العشاء والغداء مستطيلا فى المكان الخارج ، مبذولا للناس ، ويجلس بصدوره أمير المجلس وحوله الضيفان ، ومن دولهم مماليكه وأتباعه . ويقف الفراشون فى وسطه يفرقون على الجالسين ، ويقربون اليهم ما بعد عنهم من القلايا والمحمرات . ولا ينعون فى وقت الطعام من يريد الدخول أصلا ، ويرون أن ذلك من المعاييب ، حتى أن بعض ذوى الحاجات عند الأمراء اذا حجبهم الخدام انتظروا وقت الطعام ودخلوا فلا يمنهم الخدم فى ذلك الوقت . فيدخل صاحب الحاجة ، ويأكل ، وينال غرضه من مخاطبة الأمير لأنه اذا نظر على سماطه شخصا لم يكن رآه قبل ذلك ، ولم ينهب بعد الطعام ، عرف ان له حاجة فيطلبه ويسأله عن حاجته ، فيقيضها له . وان كان محتاجا واساه بشىء .

ولهم عادات وصدقات فى أيام المواسم ، مثل أيام أول رجب ، والمعراج ، ونصف شعبان ، وليالى

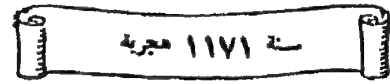
الصغير برصاصة من خلف الباب الموصل لبيت الراحة فأصابته فى ساقه ، وهرب مملوكه الى الأخصام ، وكانوا وعدوه بامرية ان هو قتل سيده . فلما حضر اليهم وأخبرهم بما فعله ، أمر على بيك بقتله ، وقال : هذا خائن ، وليس فيه خير افسنغوا فيه ، وأمروا بنفيه .

ولما أصيب رضوان كخدنا طلب الخيول وركب فى خاصته ، وخرج من قبة قبة فى ظهر البيت ، وتألّم من الضربة لأنها كسرت عظم ساقه ، فسار الى جهة البساتين ، وهو لا يصدق بالنجاة . فلم يتبعه أحد ، ونهبوا داره . ثم ركب وسار الى جهة الصعيد ، فمات بشرق أولاد يحيى ، ودفن هناك ، فكانت مدته — بعد قسيمه — قريبا من ستة أشهر .

ولما مات تفرقت صنائقه ومماليكه فى البلاد ، وسافر بعضهم الى الحجاز من ناحية القصير ، ثم ذهبوا من الحجاز الى بغداد ، واستوطنوها ، وتناسلوا وماتوا ، وانقضت دولتهما فكانت مدتهما نحو سبع سنوات . . ومصر فى تلك المدة هادئة من الفتن والشور ، والاقليم البحرى والقبلى آمن وأمان ، والأسعار رخيّة ، والأحوال مرضية ، واللحم الضانى المجروم من عظمه رطله بنصفين ، والجاموسى بنصف ، والسمن البقرى عشرته بأربعين نصف فضة ، واللبن الحليب عشرته بأربعة أنصاف ، والرطل الصابون بخمسة أنصاف ، والسكر المنعاد كذلك ، والمكرر قنطاره بألف نصف ، والعسل القطر قنطاره بمائة وعشرين نصفاً وأقل ، والرطل البن القهوة باثنى عشر نصفاً ، والتمر يجلب من الصعيد فى المراكب الكبار ويصب على ساحل بولاق مثل عرم الغلال ، ويباع بالكيل والأرداب . والأرز أردبه بأربعمائة نصف ، والعسل النحل قنطاره بخسمائة نصف ، وشمع العسل رطله بخمسة وعشرين نصفاً ، وشمع الدهن بأربعة

رمضان ، والأعياد ، وعاشوراء ، والمولد الشريف .. يطبخون فيها الأرز باللبن والزردة ، ويملاون من ذلك قصاعا كثيرة ويفرقون منها على من يعرفونه من المحتاجين .

ولهم غير ذلك صدقات وصلات لمن يلوذ بهم ويعرفون منه الاحتياج ، وذلك خلاف ما يعمل ويفرق من الكعك المحشو بالسكر والعجينة ، والشرك .. على المدافن والترب في الجمع والمواسم وكذلك أهل القرى والأرياف فيهم من مكارم الأخلاق ما لا يوجد في غيرهم من أهل قرى الأقاليم . فان أقل من فيهم اذا نزل به ضيف — ولو لم يعرفه — اجتهد وبادر بقراه في الحال ، وبذل وسعه في اكرامه ، وذبح له ذبيحة في العشاء ، وذلك ما عدا مشايخ البلاد والمشاهير والمقادم .. فان لهم مضاف واستعدادات للضيوف ومن ينزل عليهم من السفار والأجانب ، ولهم مساميح وأطيان في نظير ذلك خلفا عن سلف



رجب

(مارس ١٧٥٧ م) :

استمر مصطفى باشا في ولاية مصر الى هذا التاريخ

وفي تلك السنة نزل مطر كثير سالت منه السيول واعقبه الطاعون المسمى « بقارب شيخه الذي أخذ المليح والمليحة » ، مات به الكثير من الناس المعروفين وغيرهم ما لا يحصى .

ومات في تلك السنة الحاج أحمد بن محمد الشرايبي ، وكان من أعيان التجار المشتهرين كآسلافه ، وبيته المشهور بالازبكية ، بيت المجده والفخر والعز ، ومماليكهم وأولاد مماليكهم من أعيان مصر .

ومنهم يوسف بك الشرايبي ، وكان في غاية الغنى والرفاهية والنظام ومكارم الأخلاق ، والاحسان للخاص والعام ، ويتردد الى منزلهم العلماء والفضلاء ، ومجالسهم مشحونة بكتب العلم النفيسة : للاعارة والتغير ، وانتفاع الطلبة ، ولا يكتبون عليها وقفية ، ولا يدخلونها في موارثهم ، ويرغبون فيها ، ويشترونها بأعلى ثمن ، ويضعونها على الرفوف والخزائن والخورقَات ، وفي مجالسهم جميعا ، فكل من دخل الى بيتهم من أهل العلم الى أى مكان يقصد الاعارة (يعنى الاستعارة) أو المراجعة وجد بغيته ومطلوبه في أى علم كان من العلوم ، ولو لم يكن الطالب معروفا ولا يمتنعون من يأخذ الكتاب بتمامه : فان رده في مكانه رده ، وان لم يرده واختص به أو باعه لايسأل عنه . وربما بيع الكتاب عليهم واشتروه مرارا ويعتدرون عن الجاني بضرورة الاحتياج وخبزهم وطعامهم مشهور بغاية الجودة والاعتقان والكثرة . وهو مبذول للقاصي والداني ، مع السعة والاستعداد .

ومن أوضاعهم وطرائفهم أنهم لايتزوجون الا من بعضهم البعض ، ولا تخرج من بيتهم امرأة الا للمقبرة !

فاذا عملوا عرسا أولموا الولائم ، وأطعموا الفقراء والقراء على نسق اعتادوه . وتنزل العروس من حريم أبيها الى مكان زوجها بالنساء الخالص والمغانى والچنك (الراقصات) ، ترفها ليلا بالشموع ... وباب البيت مغلق عليهن ، وذلك عندما يكون الرجال في صلاة العشاء بالمسجد الأزبكي المقابل لسكنهم

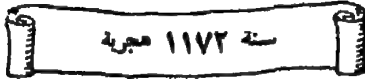
وبيتهم يشتمل على اثني عشر مسكنا ، كل مسكن بيت متسع على حدته .

وكان الأمراء بمصر يترددون اليهم كثيرا من غير سبق دعوة . وكان رضوانا كئخدا يتفصح عند

متسقة معروفة من دون الخطوط ، لاتخفى . وكتب بخطه ذلك كثيرا مثل مقامات الحريري وكتب أدبية ورسائل في الرياضيات والرسميات وغير ذلك .

وبالجملة فقد كان فريدا في ذاته وصفاته وصناعته ، لم يخلف بعده مثله ..

وكان حانوته تجاء جامع المرداني ، بالقرب من درب الصباغ .

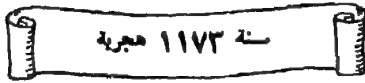


(٤ سبتمبر ١٧٥٨ — ٢٤ أغسطس ١٧٥٩)

أخذ الطاعون ينقر في تلك السنة . وكان قوة عمله في رجب وشعبان .

وولد للسلطان مصطفى مولود في تلك السنة ، وورد الأمر بالزينة في تلك الأيام ، فكانت أبرد من يخ (١) . وهذا المولود هو السلطان سليم المتولي الآن (أى زمن الجبرتي) .

ولما قتل حسين بيك القازدغلي ، المعروف بالصابونجي ، وتعين في الرئاسة بعده على بيك الكبير ، أحضر خشداشينه المنفين واستقر أمرهم .



(٢٥ أغسطس ١٧٥٩ — ١٢ أغسطس ١٧٦٠)

تقلد على بك الكبير اماراة الحج فبيت مع سليمان بيك الشابوري وحسن كتخدا الشعراوي و خليل جاويش حيضان مصلى ، وأحمد جاويش المجنون ، واتفق معهم على قتل عبد الرحمن كتخدا في غيبته ، وأقام عوضه في مشيخة البلد خليل بيك الدفتردار . فلما سافر استشعر عبد الرحمن كتخدا بذلك فشرع في نفى الجماعة المذكورين ، فأغرى

(١) هو خليط الملح المجروش بالبحر . ومن اقوالهم : « شيان مثل يخ : شيخ يتصايب ، وصبي يتمشىخ » .

الحاج أحمد الشرايبي في كثير من الأوقات ، مع الكمال والاحتشام ، ولا يصحبه في ذلك المجلس الا اللطفاة من ندمائه .

واذا قصده الشعراء بمدح لا يأتونه في الغالب الا في مجلسه لينالوا فضيلتين ، ويحرزوا جائزتين ا

وكان من سنتهم أنهم يجعلون عليهم كثيرا منهم ، وتحت يده الكتاب والمستوفي والجابي ، فيجمع لديه جميع الايراد من الالتزام والعقار والجامكية ، ويسدد الميرى ، ويصرف لكل انسان راتبه على قدر حاله وقانون استحقاقه ، وكذلك لوازم الكساوى للرجال والنساء في الشتاء والصيف ، ومصروف الجيب في كل شهر . وعند تمام السنة يعمل الحساب ، ويجمع ما فضل عنده من المال ، ويقسمه على كل فرد بقدر استحقاقه وطبقته .

واستمروا على هذا الرسم والترتيب مدة مديدة ، فلما مات كبارهم وقع بينهم الاختلاف ، واقتسموا الايراد ، واختص كل فرد منهم بنصيبه يفعل به ما يشتهى ، وتفرق الجمع ، وقلت البركة ، وانعزل المحبون ، وصار « كل حزب بما لديهم فرحون » .

ومات في تلك السنة أيضا الرجل الفاضل النبيه ، الذكى المتقن ، المثقن الفريد ، الأسطى ابراهيم السكاكينى .

كان انسانا حسنا عطارديا ، يصنع السيوف والسكاكين ، ويجيد سقيها وجلاءها ، ويصنع قراباتها ، ويسقطها بالذهب والفضة . ويصنع المقاشط الجيدة الصناعة والسقى والتطعيم ، والبركرات للصناعة ، وأقلام الجدول الدقيقة الصنعة المخرمة ، وغير ذلك .

وكان يكتب الخط الحسن الدقيق بطريقة

بهم على بيك بلوط قبن ... فنفى خليل جاويش
حيضان مصلى واحمد جاويش الى الحجاز من
طريق السويس على البحر ، ونفى حسن كتحدا
الشعراوى وسليمان بيك الشابورى — مملوك
خشدائه — الى فارسكور .

فلما وصل على بيك ، وهو راجع بالحج الى
العقبة ، وصل اليه الخبر .. فكتم ذلك ، وأمر
بعمل شنك يوهم من معه بأن الهجان أتاه بخبر
سار . ولم يزل سائرا الى أن وصل الى قلعة
نخل ، فانحاز الى القلعة ، وجمع الدويدار وكتخدا
الحج والسدادة ، وسلمهم الحجاج والمحمل ،
وركب فى خاصته وسار الى غزة .. وسار الحجاج
من غير أمير الى أن وصلوا الى أجروود ، فأقبل عليهم
حسين بيك كشكش ومن معه يريد قتل على بيك ،
فلم يجده فحضر بالحجاج ، ودخل بالمحمل الى مصر ،
واستمر على بيك بغزة نحو ثلاثة أشهر وأكثر ،
وكاتب الدولة بواسطة باشا الشام فأرسلوا اليه
واحد أغا ، ووعدوه ومنوه وتحيلوا عليه حتى
استصفوا ما معه من المال والأقمشة وغير ذلك .

ثم حضر الى مصر بسعاية نسييه على كتحدا
الخربلى وأغراضه . ومات بعد وصوله الى مصر
بشماية أيام . يقال ان بعض خشدائينه شغله بالسم
حين كان يطوف عليهم للسلام .

وفى تلك السنة حضر مصطفى باشا واليا على
مصر ونزل الى القبة متوجها الى جلة فأقام هناك .

سنة ١١٧٤ هجرية

(١٣ افسطس ١٧٦٠ — ١ افسطس ١٧٦١)

استمر مصطفى باشا واليا الى آخر هذه السنة .
وحضر فى آخرها أيضا أحمد باشا كامل المعروف
بصبطلان ، وكان ذا شهامة وقوة مراس ، فدقق

فى الأحكام ، وصار يركب وينزل ويكشف على
الأنبار والغلال ، فتعصب عليه الأمراء ، وأصعدوا
مصطفى باشا المعزول ، وعرضوا فى شأنه الى الدولة
.. وسافر بالعرض الشيخ عبد الباسط السنديونى ،
ووجه مصطفى باشا خازن داره الى جدة وكيلاه عنه .
ولما وصل العرض الى الدولة — وكان الوزير
اذ ذاك محمد باشا راغب — فوجهوا أحمد باشا
المنفصل الى ولاية قنذية ومصطفى باشا الى حلب ،
ووجهوا باكير باشا والى حلب الى مصر ، وأقام
نحو شهرين ومات ، ودفن بالقرافة .

وتقلد فى امارة الحج حسين بيك كشكش ، وقد
وقف له العرب فى مضيق ، وحضر اليه كباروهم ،
وطلبوا مطالبهم وعوائدهم ، فأحضر كاتبه الشيخ
خليل كاتب الصرة والصراف وأمرهم بدفع
مطلوبات العرب ، فذهبوا معه الى خيته وأحضر
المال وشرع الصراف يعد لهم الدراهم ،
فضرب عند ذلك مدفع الثيل . فقال
لهم حينئذ : « لا يمكن فى هذا الوقت فاصبروا
حتى ينزل الحج فى المحطة يحصل المطلوب » .

وسار الحج حتى خرج من ذلك المضيق الى
الوسع ، ورتب مماليكه وطوائفه ، وحضر العرب
— وفيهم كبيرهم هزاع — فأمر بقتلهم ، فنزلوا
عليهم بالسيوف فقتلوه عن آخرهم ، وفيهم نيف
وعشرون كبيرا من مشايخ العربان المشهورين خلاف
هزاع المذكور . وأمر بالرحيل وضربوا المدفع
وسار الحج ، وتفرق قبائل العرب ولساؤهم
يصرخون بطلب الثأر ... فتجمعت القبائل من كل
جهة ، ووقفوا بطريق الحجاج وفى المضائق ، وهو
يسوق عليهم من أمام الحج وخلفه ، ويحاربهم
ويقاتلهم بمماليكه وطوائفه حتى وصل الى مصر
بالحج سالما ، ومعه رؤوس العربان محملة على
الجمال ، ودخل المدينة بالمحمل والحجاج
منصورا مؤبدا .

مهما عظيما احتفل به للغاية ببركة القيل — وكان ذلك في أيام النيل — فعلوا على معظم البركة أخشابا مركبة على وجه الماء يمشى عليها الناس للفرجة، واجتمع بها أرباب الملاحى والملاعب وبهلوان الحبل وغيره من سائر الأصناف والفرج والمتفرجون والبياعون من سائر الأصناف والأنواع . وعلقوا القناديل والوقدات على جميع البيوت المحيطة بالبركة — وغالبها سكن الأمراء والأعيان ، أكثرهم خشداشين بعضهم البعض وممالك ابراهيم كئخدا أبى العروس — وفى كل بيت منهم ولائم وعزائم وضيافات وسماعات وآلات وجميعيات . واستمر هذا الفرح والمهم مدة شهر كامل ، والبلد مفتحة ، والناس تغدو وتروح ليلا ونهارا للحظ والفرجة من جميع النواحي .

ووردت على على بيك الهدايا والصلات من اخوانه الأمراء والأعيان : لاختيارية والوجاقلية والتجار والمباشرين والأقباط والافرنج والأروام واليهود ، والمدينة عامرة بالخير ، والناس مطمئنة ، والمكاسب كثيرة ، والأسعار رضية ، والقرى عامرة . وحضرت مشايخ البلدان ، وأكابر العربان ، ومقدام الأقاليم والبنادر بالهدايا والأغنام والجواميس والسمن والعسل ، وكل من الأمراء الابراهيمية كأنه صاحب الفرح ، والمشار اليه من بينهم صاحب الفرح . على بيك

وبعد تمام الشهر زفت العروس فى موكب عظيم شقوا به من وسط المدينة بأنواع الملاعب والبهلوانات والچنك والطبول ومعظم الأعيان والجاويفية والملازمين والسعاة والأغوات أمام الحريمات ، وعليهم الخلع والتخاليق المثنة ، وكذلك المهاترة والطحالون ، وغيرهم من المقدمين والخدم والجاويفية والركبدارية والعروس فى عربة .

وكان الخازندار لعلى بيك فى ذلك الوقت محمد

فاجتمع عليه الأمراء من خشداشينه وغيرهم وقال له على بيك بلوط قبن : « انك أفسدت علينا العرب ، وأخربت طريق الحج ، ومن يطلع بالحج فى العام القابل بعد هذه الفعلة التى فعلتها ؟ » . فقال : « أنا الذى أسافر بالحج فى العام القابل ومنى للعرب أصطفل » . فطلع أيضا فى السنة الثانية ، وتجمع عليه العرب ، ووقفوا فى كل طريق ومضيق وعلى رؤوس الجبال ، واستعدوا له بما استطاعوا من الكثرة من كل جهة ... فصادمهم وقتلهم وحاربهم ، وصار يكر ويفر ، ويحلق عليهم من أمام الحج ومن خلفه حتى شردهم وأخافهم وقتل منهم الكثير . ولم يبال بكثرتهم مع ما هو فيه من القلة ، فانه لم يكن معه الا نحو الثلاثمائة مملوك خلاف الطوائف والأجناد وعسكر المغاربة . وكان يبرز لحربهم حامرا رأسه مشهورا حسامه ، فيشتت شملهم ويفرق جمعهم ، فهابوه وانكمشوا عن ملاقاته ، وانكفوا عن الحج ... فلم تهم للعرب معه بعد ذلك قائمة ، فحج أربع مرات أميرا بالحج آخرها سنة ست وسبعين ومائة وألف (١٧٦٢ م) . ورجع سنة سبع وسبعين ومائة ألف (١٧٦٣ م) . ولم يتعرض له أحد من العرب ذهابا وإيابا بعد ذلك .

وكذلك أخاف العربان الكائنين حوالى مصر ويقطعون الطريق على المسافرين والفلاحين ويسلبون الناس ، فكان يخرج اليهم على حين غفلة فيقتلهم ، وينهب مواشيهم ، ويرجع بننائهم ورؤوسهم فى أشناف (١) على الجمال ... فارتدعوا وانكفوا عن أفاعيلهم ، وأمنت السبل وشاع ذكره بذلك .

وفى هذه المدة ظهر شأن على بيك بلوط قبن ، واستفحل أمره ، وقلد اسماعيل بيك الصنجقية وجعله اشراقه ، وزوجه هانم بنت سيده وعمل لها

(١) جمع « شنفة » وهى شبكة مصنوعة من جبال لمليظة تحمل فيها الإشياء على الجمال .

معه حسن كتحدا الشمرأوى أيضا « فكتبوه وأخرجوا فرمانا بذلك ونقوهم . واستمروا في نقيهم وعمل أحمد جاویش وقادا بالحرم المدنى ، و خليل جاویش أقام أيضا بالمدينة ، والشابورى وحسن كتحدا جهة فارسكور والسرو ورأس الخليج . وأخذ على بيك يهد لنفسه ، واستكثر من شراء الممالك ، وشرع في مصادرة الناس ، وبتحليل على أخذ الأموال من أرباب البيوت المدخرة والأعيان المستورين مع الملاطفة ، وادخال الوهم على البعض بمثل النفي والتعرض الى الفائز ببعض المقتضيات ونحو ذلك .

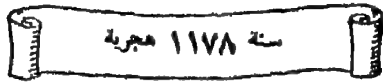
جمادى الأولى

في ١٩ منه (٢٧ ديسمبر ١٧٦٠ م) : هبت ريح عظيمة شديدة نكباء غربية غرق منها بالأسكندرية ثلاثة وثلاثون مركبا في مرسى المسلمين وثلاثة مراكب في مرسى النصارى ، وضجت الناس ، وناج البحر هياجا شديدا ، وتلف بالنيل بعض مراكب ، وسقطت عدة أشجار .



(١٢ يولييه ١٧٦٣ - ٣٠ يونيه ١٧٦٤)

طلع على بيك أميرا بالحج . فيها تمكن على بيك من استلام مشيخة البلد في القاهرة (١) .



(١ يولييه ١٧٦٤ - ١٩ يونيه ١٧٦٥)

رجع على بيك بالحج في أوائل هذه السنة في أبهة عظيمة ، وأرخص مملوكه محمد الخازندار لحيته على زمزم . فلما رجع قلده الصبجية

(١) نقلنا هذا الخبر من التوقيعات الإلهامية .

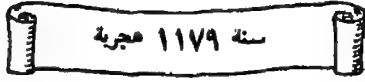
بيك أبو الذهب ماشى بجانب العربى وفي يده عكاز ، ومن خلفها أولاد خزنات الأمراء ، ملبسين بالزرد والغرد ، والثامات الكشميرى ، مقلدين بالقصى والنشاب ، وبأيديهم المزاريق الطوال ، وخلف الجميع النوبة التركية والنفيرات .

فمن ذلك الوقت اشتهر أمر على بيك ، وشاع ذكره ، ولما صيته ، وقلد أيضا مملوكه على بيك المعروف بالسروجية . ولما كان عبد الرحمن كتحدا ابن سيدهم ومركز دائرة دولتهم ، انضوى الى ممالاته ومال هو الآخر الى صداقته ، ليقوى به على أرباب الرياسة من اختيارية الوجاقات ، وكل منهما يريد تمام الأمر لنفسه حتى أن عبد الرحمن كتحدا لما أراد نفي الجباعة المتقدم ذكرهم بيت مع بعض المتكلمين وصوروا على أحمد جاویش المجنون ما يقتضى فيه . ثم عرضوا ذلك على عبد الرحمن كتحدا فمانع في ذلك ، وأظهر الغيظ ، وأصبح في ثانى يوم اجتمع عنده الاختيارية والصناجق على عادتهم ، فلما تكامل حضور الجميع تكلم عبد الرحمن كتحدا فقال : « ان على بيك سافر الى الحجاز ولا بد من كبير تجتمع فيه الكلمة » ، فقال له : « رأى ماتراه » . فقال على بيك : « هذا يكون شيخ البلد وكبيرها ، وأنا أول من أطاعه وآخر من عصاه » . فقالوا « سمعنا وأطعنا ونحن كذلك » .

وأصبح عبد الرحمن كتحدا غاديا الى بيت على بيك ، وكذلك باقى الأمراء والاختيارية . وصار الجميع والديوان في بيته من ذلك اليوم ، وليس الخلعة من الباشا على ذلك .

ثم انهم طلعوا أيضا في ثانى يوم الى الديوان ، واجتمعوا بباب الينكجerie ، وكتبوا عرضحال بنفى أحمد جاویش و خليل جاویش وسليمان بيك الشابورى . فقال عبد الرحمن كتحدا : « واكتبوا

ورتب له على بيك مابصره ، وجعل له فائظا في كل سنة عشرة أكياس ، فأقام برشيد مدة ، حتى حضرت أخبار وصول الباشا الجديد .



(٢٠ يونيو ١٧٦٥ - ٨ يونيو ١٧٦٦)

حضر حمزة باشا الى ثغر الاسكندرية ، فأرسلوا الى صالح بيك جماعة يعيونه من رشيد ويذهبون به الى دمياط يقيم بها ، وذلك لئلا يجتمع بالباشا فلما وصلت اليه الأخبار بذلك ركب بجماعته ليلا ، وسار الى جهة البحيرة ، وذهب من خلف جبل الفيوم الى جهة قبلى فوصل الى مسة ابن حصيب ، فأقام بها ، واجتمع عليه أناس كثيرة من الذين شردهم على بيك ونفاهم في البلاد ، وبنى له أبنية ومتاريس . وكان له معرفة وصداقة مع شيخ العرب همام وأكابر الهوارة وأكثر البلاد الجارية في التزامه جهة قبلى ، واجتمع عليه الكثير منهم ، وقدموا له التقادم والذخيرة وما يحتاج اليه . ولما حضر حمزة باشا الى مصر طلع القلعة فعرضوا له أمر صالح بيك ، وأنه قاطع الطريق ومانع وصول الغلال والميرى ، وأخذوا فرماا بالتجريد عليه . وتقلد حسين بيك كشكش حاكم جرجا وأمير التجريدة (١) ، وشرعوا في التشهيل والخروج . فسافر حسين بيك كشكش ، وصحبته محمد بيك أبو الذهب وحسن بيك الأزيكاوى ، فالتظموا مع صالح بيك لطمة صغيرة ، ثم توجه وعدى الى شرق أولاد يحيى ، وكان حسين بيك شبكه - مملوك حسين بيك كشكش - نفاه على بيك الى قبلى ، فلما ذهب

(١) استصدر على بيك أمرا من الباشا بالتجريد على صالح بيك بحجة أنه قاطع الطريق ومانع وصول الغلال والميرى ثم عهد برياسة التجريدة الى حسين بيك كشكش ومسلمه محمد بيك أبى الذهب وحسن بيك الأزيكاوى ، وكان فرغه من ذلك بلر الشقاق بين حسين بيك وصالح بيك .

(رلعت ومفان - على بيك الكبير من ٢٦)

— وهو الذى عرف بأبى الذهب — ثم قلد مملوكه أيوب آغا ورضوان قرابته وابراهيم شلاق بلفيه وذا الفقار وعلى بيك الحبشى صنابق أيضا .

واقضت تلك السنة وأمر على بيك يتزايد ، وشهلوا أمور الحج على العادة ، وقبضوا الميرى ، وصرفوا العلوفات والجامكية والصرة وغلال الحرمين والأبنار . وخرج المحمل على القانون المعتاد ، وأميره حسن بيك رضوان .

ولما رجعوا من البركة بعد ارتحال الحج ، طلع على بيك وخشداشينه وأغراضه ، وملكوا أبواب القلعة ، وكتبوا فرماا ، وأخرجوا عبد الرحمن كتخدا (١) وعلى كتخدا الخزبلى وعمر جاويش الداودية ورضوان جرجى الرزاز وغيرهم منفيين فأما عبد الرحمن كتخدا فأرسلوه الى السويس ليذهب الى الحجاز ، وعينوا للذهاب معه صالح بيك ليوصله الى السويس ، ونفوا باقى الجماعة الى جهة بحرى .

وارتجت مصر في ذلك اليوم ، وخصوصا لخروج عبد الرحمن كتخدا ، فانه كان أعظم الجميع وكبيرهم وابن سيدهم ، وله الصولة والكلمة والشهرة ، وبه ارتفع قدر الينكجارية على المزب ، وكان له عزوة كبيرة وممالك وأتباع وعساكر مغاربة وغيرهم ، حتى ظن الناس وقوع فتنة عظيمة في ذلك اليوم ، فلم يحصل شيء من ذلك سوى ما نزل بالناس من البهنة والتعجب . ثم أرسل الى صالح بيك فرماا نفيه الى غزة فوصل اليه الجاويش في اليوم الذى نزل فيه عبد الرحمن كتخدا في المركب وسافر ، وذهب صالح بيك الى غزة فأقام بها مدة قليلة ، ثم أرسلوا له جماعة وتقلوه من غزة وحضروا به الى ناحية بحرى وأجلسوه برشيد ،

(١) كان أكبر مناس على بيك ، واشتد ساعد على بيك بعد نفي عبد الرحمن كتخدا وانصاره ، فأخذ يثير الفتن ويسرى البغض على البعض الآخر حتى أضاعف شوكة الانرياء .

صالح ييك الى قبلى ، انضم اليه وركب معه . فلما توجه حسين ييك بالتجريدة وعدى صالح ييك شرق أولاد يحيى (١) انفصل عنه وحضر الى سيده حسين ييك ، وانضم اليه كما كان .

ورجع محمد ييك وحسن ييك الى مصر وتخلف حسين ييك عن الحضور يريد الذهاب الى منصبه بجرجا ، وأقام فى المنيا . فأرسل اليه على ييك فرمانا بنفيه الى جهة عينها له ، فلم يمتثل لذلك ، وركب فى مماليكه وأتباعه وأمرائه وحضر الى مصر ليلا فوجد الباب الموصل لجهة قناطر السباع مغلوقا ، فطرقه فلم يفتحه فكسره ودخل وذهب الى بيته . وبقي الأمر بينهم على المسألة أياما ، فأراد على ييك أن يشغله بالسلم بيد عبد الله الحكيم ، وقد كان طلب منه معجونا للباءة ، فوضع له السلم فى المعجون ، وأحضره له ، فأمره أن يأكل منه أولا فتلصقا واعتذر فأمر بقتله . وكان عبد الله الحكيم هذا نصرايا روميا يلبس على رأسه قلب سمور . وكان وجيها ، جميل الصورة ، فصيحاً متكلما يعرف التركية والعربية والرومية والظليانية .

وعلم حسين ييك أنها من غريمه على ييك ، فتأكدت بينهما الوحشة ، وأضر كل منهما لصاحبه السوء . وتوافق على ييك مع جماعته على غدر حسين ييك أو اخراجه فواقوه ظاهرا . واشتغل حسين ييك على اخراج على ييك ، وعصب خشداثينه وغيرهم ، وركبوا عليه المدافع ... فكرتك فى بيته وانتظر حضور المتوافقين معه ، فلم يأتهم أحد وتحقق تفاقم عليه ، فعند ذلك أرسل اليهم يسألهم عن مرادهم فحضر اليه منهم من يأمره بالركوب والسفر . فركب وأخرجوه منيا الى الشام ومعه مماليكه وأتباعه ، وذلك فى أواخر شهر رمضان سنة ١١٧٩ ، وأقام بالعادية ثلاثة أيام حتى عملوا

(١) أولاد يحيى قرية من قرى جرجا فى شرق النيل كانت حاضرة ثلاث مساجد ونخيل (حطت على مبارك - ٦٠٠ م) .

حسابه وحساب أتباعه ، وهم مخيطون بهم من كل جهة بالعسكر والمدافع حتى فرغوا من الحساب ، واستخلصوا مابقى على طرفهم ثم سافروا الى جهة غزوة .

وكافت العادة فيمن ينفى من أمراء مصر أنه اذا خرج الى خارج فعلوا معه ذلك ، ولا يذهب حتى يوفى جميع مايتأخر بذمته من ميرى وخلافه . وان لم يكن معه ما يوفى ذلك باع أثاث داره ومتاعه وخيوله ولا يذهب الا خالص الذمة .

وسافر صحبة على ييك أمراؤه ، وهم : محمد ييك وأيوب ييك ورضوان ييك وذو الفقار ييك وعبد الله أغا الوالى وأحمد جاويش وسليمان جاويش وغيطاس كئندا وباقي أتباعه .

واستقر خليل ييك كبير البلد مع قسيمه حسين ييك كشكش وباقي جماعتهم وحسن ييك جوجو ، وعزلوا عبد الرحمن أغا ، وقلدوا قاسم أغا الوالى أغات مستحفظان . وورد الخبر من الجهة القبلىة بأن صالح ييك رجع من شرق أولاد يحيى الى المنيا واستقر فيها وحصنها . فعند ذلك شرعوا فى تشهيل تجريدة وبرزوا الى جهة البساتين .

وفى تلك الأيام رجع على ييك ومن معه على حين غفلة ، ودخل الى مصر فنزل ببيت حسين ييك كشكش ، ومحمد ييك نزل عند عثمان ييك الجرجاوى ، وأيوب ييك دخل منزل ابراهيم أغا الساعى ... فاجتمع الأمراء بالآثار ، وعملوا مشورة فى ذلك ، فاقتضى الرأى بأن يرسلوه الى جدة ، وقال بعضهم : « اسمعوا نصحنى واقتلوه وارتاحوا منه فانه ان دام حيا أنعبكم ولا يبقى منكم أحدا » . فقالوا : « لا يصح ! انه أخونا ودخل الى بيوتنا » فأرسلوا له بذلك . وقال : « لا أخرج من بيت سيدى الا أن يكون جهة بحرى » . فاجتمع الرأى بأن يعطوه النوسات (١) ويذهب اليها... فضى بذلك

(١) تسمى نوسا النبط (تامة لمرکز أجا بمديرية الدقهلية)

شمال

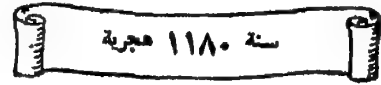
في ٢ منه (٣ مارس ١٧٦٧ م) :

ركب الأمراء الى قراميدان ليهنثوا الباشا بالعيد ، وكان معتاد الرسوم القديمة أن كبار الأمراء يركبون بعد الفجر من يوم العيد — وكذلك أرباب العكاكيز — فيطلعون الى القلعة ، ويمشون أمام الباشا من باب السراية الى جامع الناصر بن قلاوون فيصلون صلاة العيد ، ويرجعون كذلك ، ثم يقبلون أتكه ويهنثونه وينزلون الى بيوتهم فيهنئ بعضهم بعضا على رسمهم واصطلاحهم .

وينزل الباشا في ثاني يوم الى الكشك بقراميدان ، وقد هيئت مجالسه بالفرش والمساند والستور ، واستعد فراشو الباشا بالتطلى والقهوة والشربات والقماقم والمباخر . ورتبوا جميع الاحتياجات واللوازم من الليل ، واصطفت الخدم والجاويشة والسعاة والملازمون ، وجلس الباشا بذلك الكشك ، وحضرت أرباب العكاكيز والخدم قبل كل أحد ثم يأتي الدفتردار وأمير الحج والأمراء الصناجق والاختيارية وكتخدا الينكجيرة والعزب وأصحاب الوقت والمقادم والأودة باشية واليمقات والجربجية فيهنثون الباشا ويعيدون عليه على قدر مراتبهم بالقانون والترتيب ثم ينصرفون .

فلما حضروا في ذلك اليوم المذكور ، وهنا الأمراء الصناجق الباشا ، وخرجوا الى دهليز القصر يريدون النزول .. وقف لهم جماعة ، وسحبوا السلاح عليهم ، وضربوا عليهم بنادق ، فأصيب عثمان بيك الجرجاوى بسيف في وجهه ، وحسين بيك كشكش أصيب برصاصة فقتل من شقه . وسحب الآخرون سلاحهم وسيوفهم ، واحتاط بهم ممالئهم ، ونظ أكثرهم من حائط البستان وتنفذوا من الجهة الأخرى ، وركبوا خيولهم وهم لا يصدقون بالنجاة ، وأركبوا عثمان بيك حصانه وهو يقول :

وذهب الى النوسات وأقام بها . وأرسلوا محمد بيك وأيوب بيك ورضوان بيك الى قبلى بناحية أسيوط وجهاتها . وكان هناك خليل بيك الأسيوطي فانضموا اليه وصادقوه . وسفروا التجريدة الى صالح بيك فهزمت ، فأرسلوا له تجريدة أخرى — وأميرها حسن بيك جوجو ، وكان منافقا — فلم يقع بينهم الا بعض مناوشات ورجعوا أيضا كأنهم مهزومون ، وأرسلوا له ثالث ركبة فكانت الحرب بينهم سجالا ، ورجعوا كذلك بعد أن اصططحوا مع صالح بيك على أن يذهب الى جرجا .



جمادى الأولى

(أكتوبر ١٧٦٦ م) :

كان الصلح مع صالح بيك على أن يذهب الى جرجا ويأخذ ما يكفيه هو ومن معه ويمكث بها ويقوم بدفع المال والغلل .

شعبان

في ٢ منه (٣ يناير ١٧٦٧ م) :

اتهموا حسن بيك الأزيكاوى أنه يرسل على بيك وعلى بيك يرأسله ، فقتلوه في ذلك اليوم بقصر العيني ، ورسموا بنفى خشداشينه وهم : حسن بيك أبو كرش ومحمد بيك الماوردي وسليمان أغا كتخدا الجاويشية سيد الثلاثة — وهو زوج أم عبد الرحمن كتخدا ، وكان مقيما ببصر القديمة ، وقد صار مسنا — فسفروهم الى جهة بحرى ، وتخلوا من اقامة على بيك بالنوسات ، فأرسلوا له خليل بيك السكران فأخذه وذهب به الى السويس ليسافر الى جدة من القلزم ، وأحضر له المركب لينزله فيها .

باب العزب ! باب العزب ! » وقد قطع السيف وجهه وحنكه . وذهبوا به الى باب العزب وأنزلوه فمكث هنيهة ومات ، فشاوه الى بيته وغسلوه وكفنوه وخرجوا بجنازته ودفنوه . وانجرح أيضا اساعيل بيك أبو مدفع ومحمود بيك وقاسم آغا ، ولكن لم يمت منهم الا عثمان بيك وباتوا على ذلك .

فلما أصبحوا اجتمعوا وطلعوا الى الأبواب وأرسلوا الى الباشا يأمره بالنزول فنزل الى بيت أحمد بيك كشك بقوصون . وعند نزوله ومروره بباب العزب ، وقف له حسين بيك كشكش وأسمعه كلاما قبيحا .

ثم أنهم جعلوا خليل بك بلفيه قائمقام (١) ، وقلدوا عبد الرحمن آغا مملوك عثمان بيك صنجقا عوضا عن سيده . ولسبت هذه النكتة الى حمزة باشا ، وقيل انها من على بيك الذي بالنوسات ومراسلاته الى حسن بيك جوجو ، فبيت مع أنصار من الخلفية وأخفاهم عنده مدة أيام وتواعدوا على ذلك اليوم . وذهبوا الى الكشك بقراميدان — وكانوا نحو الأربعين — فاختلفوا واتفقوا على ثاني يوم بدھليز بيت القاضي ، وتفرقوا الا أربعة منهم ثبتوا على ذلك الاتفاق وفعلوا هذه الفعلة . وبطل أمر العيد من قراميدان من ذلك اليوم وتهدم القصر وخرب ، وكذلك الجنيحة ماتت أشجارها وذهبت لضارتها .

ولما حصلت هذه الحادثة أرسلوا حمزة بيك الى على بيك فوجده في المركب بالغاطس ينتظر اعتدال الريح للسفر ، فرده الى البر وأركبه بماليكه وأتباعه ، ورجع الى جهة مصر ومر من الجبل وذهب الى جهة شرق أطفيح ثم الى أسيوط بقبلى ، ورجع حمزة بيك الى مصر .

ثم ان على بيك اجتمعت عليه المنايا وهوارة

وخلافهم ، وأراد الانضمام الى صالح بيك فنفر منه ، فلم يزل يخادعه . وكان على كتحدا الخربطلى هناك منفا من قبله وجعله سفيرا فيما بينه وبين صالح بيك هو و خليل بيك الأسيوطى وعثمان كتحدا الصابونجي فأرسلهم فلم يزالوا به حتى جنح لقولهم ، فعند ذلك أرسل اليه محمد بيك أبو الذهب فلم يزل به حتى انخدع له واجتمع عليه بكفالة شيخ العرب همام وتحالفا وتعاقدا وتعاهدا على الكتاب والسيف ، وكتبوا بذلك حجة واتفق مع على بيك أنه اذا تم لهم الأمر أعطى لصالح بيك جهة قبلى قيد حياته ، واتفقوا على ذلك بالمواثيق الأكيدة وأرسلوا بذلك الى شيخ العرب همام فانسر بذلك ورضى به مراعاة لصالح بيك . وأمدهم عند ذلك همام بالعطايا والمال والرجال ، واجتمع عليهم المتفرقون والمشردون من الغز والأجنساد والهواراة والشجعان ولما جموعا كثيرة وحضروا الى المنيا ، وكان بها خليل بيك السكران ، فلما بلغه قدومهم ، ارتحل منها وحضر الى مصر هاربا واستقر على بيك وصالح بيك وجماعتهم بالمنيا وبنوا حولها أسوارا وأبراجا وركبوا عليها المدافع وقطعوا الطريق على المسافرين المبحرين والمقبلين . وأرسل على بيك الى ذى الفقار بيك وكان بالمنصورة وصحبته جماعة كشف فارتحلوا ليلا وذهبوا الى المنيا . فعمل الأمراء جنعية وعزموا على تشهيل تجريدة وتكلموا وتشاوروا في ذلك فتكلم الشيخ الحفناوى (١) في ذلك المجلس وأفحمهم بالكلام ومانع في ذلك وقال : « أخبرتم الأقاليم والبلاد . في أى شىء هذا الحال وكل ساعة خصام ونزاع وتجاريد ؟ على بيك هذا رجل أخوكم وخشداشكم ، أى شىء يحصل اذا أتى وقعد في بيته واصطلحتم مع بعضكم

(١) الشيخ محمد بن سالم الحفناوى الشافعى الخلوى ، ولد سنة ١١٠٠ هـ ببلدة حفنا من قرى بلبيس ، هادته الملوك وقصده الأمير والمملوك . يقال انه مات بالسقم .

(١) أى يحكم لحين حضور الباشا الجديد .

ولبس سارى عسكرها حسين بيك كشكش
وشرعوا فى التشهيل . واضطروهم الحال الى مصادرة
التجار ، واحضر خليل بيك التواخذ وهم : ملا
مصطفى واحمد آغا الملطيلى وقرا ابراهيم وكاتب
البهار ، وطلب منهم مال البهار معجلا فاعتذروا ،
فصرخ عليهم وسبهم فخرجوا من بين يديه واخذوا
فى تشهيل المطلوب وجمع المال من التجار .

وفيه : برز حسين بيك خيامه للسفر
وخرج صحبته ستة من الصناجق وهم حسن بيك
جوجو وخليل بيك السكران وحسن بيك شبكة
واسماعيل بيك ابو مدفع وهمزة بيك وقاسم بيك
واسرعوا فى الارتحال

فى ٢٠ منه (١٤ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

اخرج خلفهم ايضا خليل بيك تجريدة اخرى
وفيهما ثلاثة صناجق ووجاقلية وعسكر مغاربة
وسافروا ايضا فى يومها . وبعد ثلاثة ايام ورد
الخبر بوقوع الحرب بينهم بياضة تجاه بنى سوف
فكانت الهزيمة على حسين بيك ومن معه . وقتل
على آغا الميجى وخلافه ، وقتل من ذلك الطرف
ذو الفقار بيك .

٢٤ منه (١٨ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

رجع المهزومون فى ثانى يوم الكسرة ، وهم
فى أسوأ حال .

٢٥ منه (١٩ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

طلعوا الى أبواب القلعة وطلبوا من الباشا
فرمانا بالتجريدة على على بيك وصالح بيك ومن
معهم وطلبوا مائتى كيس من الميرى يصرفونها فى
اللوازم فامتنع الباشا من ذلك

٢٦ منه (٢٠ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

حضر الخبر بوصول القادمين الى غمازة .
وكان الوجاقلية وحسن بيك جوجو ناصيين خيامهم
جهة اليسارين فارتحلوا ليلا وهربوا . وتفخيل عزل
خليل بيك وحسين بيك ومن معهما وتحيروا فى

وارحتم أنفسهم والناس ؟ » . وحلف أنه لا يسافر
أحد بتجريدة مطلقا وان فعلوا ذلك لا يحصل لهم
خير أبدا . فقالوا : « انه هو الذى يحرك الشر
ويريد الانفراد بنفسه ومماليكه ، وان لم نذهب
اليه أتى هو النساء وفعل مراده فينا » . فقال لهم
الشيخ « أنا أرسل اليه مكاتبة فلا تتحركوا بشئ
حتى يأتى رد الجواب » . فلم يسمعهم الا الامثال .
فكتب اليه الشيخ مكتوبا وبخه فيه وزجره
ونصحه ووعظه وأرسلوه اليه . فلم يلبث الشيخ
بعد هذا المجلس الا أياما ومرض ورمى باليدم .
وتوفى الى رحمة الله تعالى . فيقال انهم أشغلوه
وسموا ليتمكنوا من أغراضهم



ربيع الآخر

فى غرته (٢٧ افسطس ١٧٦٧ م) :

ورود الخبر بوصول محمد باشا راقم (١) الى
الاسكندرية . وحضر الى مصر وطلع الى القلعة .

بمادى الأولى

فى ١١ منه (٥ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

اجتمعوا بالديوان وقلدوا حسن بيك رضوان
دفتردار مصر .

فى ١٥ منه (٩ اكتوبر ١٧٦٧ م) :

قلدوا خليل بيك بلفيه أمير الحج وقاسم آغا
صنجقا . وكتبوا فرمانا بطلوع التجريدة الى قبلى .

(١) كان من خطة الدولة العثمانية إيقاد نار الفتنة بين البكوات
لوقعت فتنة بين أمراء المماليك قتلوا بعضهم بعضا كما حدث فى
ولاية ابن المظم سنة ١١٥٢ هـ (١٧٣٩ م) . وهنا نرى راقم
باشا يمشد خصوم على بيك ويساعد على ارسال حملة لمقاومته
تحت رياسة حسين بيك كشكش ويجمع لهذه الحملة المال . كما
نجدته يتقابل على بيك بعد التصاره على جيش حسين بيك كشكش
ويخلع عليه ويقره شيخا للبلد .

(اعادته موفى - فتح مصر الحديث ص ٢٩)

أمرهم وتحققوا الادبار والزوال وأرسل الباشا الى الوجاقلية يقول لهم « كل وجاق يلزم بابه » .
٢٧ منه (٢١ أكتوبر ١٧٦٧ م) :

حضر على بيك وصالح بيك ومن معهم الى البساتين فازداد تحيرهم وطلعوا الى الأبواب فوجدوها مغلقة . فرجعوا الى قراميدان وجلسوا هناك ثم رجعوا .

وفي الليل تسحب كثير من الأمراء والأجناد وخرجوا الى جهة على بيك وكان حسن بيك المعروف بجوجو يناقض الطرفين ويراسل على بيك وصالح بيك سرا ويكاتبهما . وضم اليه بعض الأمراء مثل قاسم بيك خشداشه ، واسماعيل بيك زوج هانم بنت سيدهم وعلى بيك السروجي وجن على — وهو خشداش ابراهيم بيك بلفيه — وكثير من أعيان الوجاقلية ، ويرسلون لهم الأوراق في داخل الأقصاب التي يشربون فيها الدخان .

٢٩ منه (٢٣ أكتوبر ١٧٦٧ م) :

هرب الأمراء الذين بمصر وهم خليل بيك شيخ البلد وأتباعه وحسين بيك كشكش وأتباعه وهم نحو عشرة صناجق وصحبتهم مماليكهم وأجنادهم عدة كثيرة .

وفي الصباح خرج الأعيان وغيرهم لملاقاة القادمين . ودخل في ذلك اليوم على بيك وصالح بيك وصناجقهم ومماليكهم وأتباعهم وجميع من كان منفيا بالصعيد قبل ذلك من أمراء ووجاقلية وغيرهم . وحضر صحبتهم على كتف الخربطلى وخليل بيك الأسوطى وقلده على بيك الصنجدية مجددا وضربت النوبة في بيته ثم أعطاه كشوفية الشرقية .

جماري الآخرة

٢ منه (٢٦ أكتوبر ١٧٦٧ م) :

طلع على بيك وصالح بيك وباقي الأمراء

القادمين والذين تخلفوا عن الذاهبين مثل حسين بيك جوجو واسماعيل بيك زوج هانم وجن على وعلى بيك السروجي وقاسم بيك والاختيارية والوجاقلية وغيرهم الى الديوان بالقلعة . فخلع الباشا على على بيك واستقر في مشيخة البلد كما كان ، وخلع على صناجقه خلع الاستمرار أيضا في اماراتهم كما كانوا ونزلوا الى بيوتهم . وثبت قدم على بيك في اماره مصر ورئاستها في هذه المرة ، وظهر بعد ذلك الظهور التام ، وملك الديار المعرية ، والأقطار الحجازية ، والبلاد الشامية ، وقتل المتبردين ، وقطع المعاندين ، وشتت شمل المنافيين ، وخرق القواعد ، وخرم العوائد ، وأخرب البيوت القديمة ، وأبطل الطرائق التي كانت مستقيمة .

ثم انه حضر سليمان أغا كتخدا الجاويشيه وصناجقه الى مصر وعزم على نفى بعض الأعيان وإخراجهم من مصر ، فعلم أنه لا يتمكن من أغراضه مع وجود حسن بيك جوجو وأنه مادام حيا لا يصفو له الحال . فأخذ يدبر على قتله فبيت مع أتباعه على قتله ، فحضر حسن بيك جوجو وعلى بيك جن على عند على بيك ، وجلسوا معه حصه من الليل وقام ليذهب الى بيته فركب وركب معه جن على ومحمد بيك أبو الذهب وأيوب بيك ليذهبوا أيضا الى بيوتهم لاتحاد الطريق . فلما صاروا في الطريق التي عند بيت الشابوري خلف جامع قوصون ، سحبوا سيوفهم وضربوا حسن بيك وقتلوه وقتلوا معه أيضا جن على ورجعوا وأخبروا سيدهم على بيك .

رجب

٨ منه (٣٠ نوفمبر ١٧٦٧ م) :

أصبح على بيك مالكا للأبواب ، ورسم بنفى قاسم بيك واسماعيل بيك أبي مدفع وعبد الرحمن

(أبريل ١٧٦٨ م)

فيه وصلت أخبار عن حسين بك كشكش (١) و خليل بيك ، أنهم لما وصلوا الى غزة جمعوا جموعا ، وأنهم قادمون الى مصر . فشرع على بيك في تشهيل تجريدة عظيمة ، وبرزوا وسافروا .

ثم ورد الخبر بعد ثلاثة أيام أنهم عرجوا الى جهة دمياط ، ونهبوا منها شيئا كثيرا ، ثم حضروا الى المنصورة ونهبوا منها كذلك . فأرسل على بيك يأمر التجريدة بالذهاب اليهم ، وأرسل لهم أيضا عسكريا من البحر ، قتلوا معهم عند الديرص والجراح من أعمال المنصورة عند سنود . فوقع بينهم وقعة عظيمة ، وانهمزمت التجريدة وولوا راجعين ، وقتل في هذه المعركة سليمان جرجي باش اختيار جميلان ، وأحمد طنان جراكسة ، وعمر أغا جاووشان أمين الثنون — وكانوا صدور الوجاقات .

ولم يزالوا في هزيمتهم الى دجوة . فلما وصل الخبر بذلك الى على بيك اهتم لذلك ونزل الباشا وخرج الى قبة باب النصر خارج القاهرة ، وجمع الوجاقلية والعلماء وأرباب السجاجيد ، وأمر الباشا بأن كل من كان وجاقليا أو عليه عتامة يشهل نفسه ويطلع الى التجريدة أو يخرج عنه بدلا .

واجتهد على بيك في تشهيل تجريدة عظيمة أخرى ، وكبيرها محمد بيك أبو الذهب ، وسافروا في أوائل المحرم ، واجتمعوا بالتجريدة الأولى .. وسار الجميع خلف حسين بيك و خليل بيك ومن معهم . وكانوا عدوا الى بر الغريبة بعد أن هزموا التجريدة . فلو قدر الله أنهم لما كسروا التجريدة ساقوا خلفهم ، كما فعل على بيك وصالح بيك ،

(١) عاد من غزة بعد ثمانية أشهر في جيش من فرسان المالبطة والدروز ومشاة المغاربة (رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ٢١)

بيك واسماعيل بيك كتخدا عزبان ومحمد كتخدا زنور ومصطفى جاویش تابع مصطفى جاویش الكبير مملوك ابراهيم كتخدا و خليل جاویش درب الحجر .

سؤال

في ١١ منه (أول مارس ١٧٦٨ م) :

أخرج أيضا نحو الثلاثين شخصا من الأعيان و ثقاهم في البلاد . وفيهم ثمانية عشر أميرا من جماعة الفلاح (١) وفيهم على كتخدا وأحمد كتخدا الفلاح و ابراهيم كتخدا مناو وسليمان أغا كتخدا جاووشان الكبير وصناجقه حسن بيك أبو كرش ومحمد بيك الماوردي وخلافهم مقادم وأوده باشية ، فنفي الجميع الى جهة قبلى . وأرسل سليمان أغا كتخدا الجاويشية الى السويس ليذهب الى الحجاز من القلزم واستمر هناك الى أن مات .

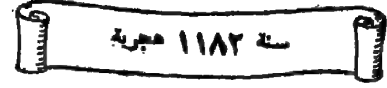
وفيه : قبض على بيك على الشيخ يوسف بن وحيش وضربه علة قوية وثفاه الى بلدة جناح (٢) فلم يزل بها الى أن مات . وكان من دهاة العالم ، وكان كاتباً عند عبد الرحمن كتخدا القازدغلى ، وله شهرة وسعة في السعى وقضاء الدعاوى والشكاوى والتحيلات والمداهنات والتلييسات وغير ذلك .

(١) جماعة الفلاح استأذهم الحاج صالح الفلاح من قرية الراهب بالنوفية . ولد (١١٦٧ هـ) وتربى بمصر على كتخدا الجلفى ولم يزل ينتقل في الأطوار حتى صار من أرباب الاموال واشترى المالك والبعد والجوارى بزوحهم من بعضهم ويشترى لهم الدور والارباد ويدخلهم الوجاقات والبلكات بالصانعات والرشوات لأرباب الحل والمقد والتكلمين وتنقلوا حتى طلبوا بالنائب الجلية كتخدات واختيارية وامراء طلبخانات وجاويشية وأزدهاشية وصار لهم اتباع ومالكيك .

(٢) رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ١٦

(٢) قرية تابعة الآن لمركز بسيون غربية .

لدخلوا الى مصر من غير مائع .. ولكن لم يرد الله تعالى لهم ذلك .



المحرم

الخميس ٢ منه (١٩ مايو ١٧٦٨ م) (١) :

سافرت التجريدة الميمنة الى بحرى بسبب الامراء المتقدم ذكرهم ، وهم حسين بيك و خليل بيك ومن معهم . وقد بذل جهده على بيك حتى شغل أمرها ولوازمها في أسرع وقت ، وأميرها ومسر عسكرها محمد بيك أبو الذهب .

فلما وصلوا الى ناحية دجوة وجدوهم عدوا الى مسجد الخضر ، فعدوا خلفهم .. فوجدوهم قد ذهبوا الى طنطا وكرنكوا بها ، فتبعوهم الى هناك وأحاطوا بالبلدة من كل جهة .

منتصفه : (١ يونيو ١٧٦٨ م) :

وقعت الحرب بينهم ، ولم تزل قائمة بين الفريقين حتى فرغ ما عندهم من الجبخانه والبارود ... فعند ذلك أرسلوا الى محمد بيك وطلبوا منه الأمان ، فأعطاهم الأمان وارتفع الحرب بين الفريقين وكاتبهم محمد بيك وخادعهم ، والتزم لهم باجراء الصلح بينهم وبين مخدمه على بيك ، فأنخدعوا له وصدقوه ، وانحلت عزائمهم ، واختلفت آراؤهم ، وسكن الحال تلك الليلة .

ثم ان محمد بيك أرسل في ثلثي يوم الى حسين بيك استدعيه ليعمل معه مشورة فحضر عنده بمفرده وصحبته خليل بيك السكران تابعه فقط . فلما

(٢) في هذه السنة طلب الباب العالي ١٢ الف نفر لمحاربة الروسيا فاوقعت المماليك والباشا الفتن في حق علي بيك فورد لورمان شاهاني بقتله وارسل رأسه الى الاستانة لكنه لم يفسد حيث علم بذلك على بيك وتربص لحامل الفرمان ورفقائه الأربعة وقتلوا بأمره وأعلن استقلال مصر وكتب الى امير عكا بذلك .

(التوفيقات الالهامية)

وصلوا الى مجلسه لم يجدوه . فعندما استقر بهما الجلوس دخل عليهما جماعة وقتلوهما (١) .

وحضر في اثرهما حسن بيك شبكة ولم يعلم ما جرى لسيدته . فلما قرب من المكان أحس قلبه بالشر فأراد الرجوع فعاقه رجل سائس يسمى مرزوق وضربه بنبوت فوقع الى الأرض فلحقه بعض الجند واحتز رأسه . فلما علم بذلك خليل بيك الكبير ومن معه ، ذهبوا الى ضريح سيدي أحمد البدوي والتجنوا الى قبره ، واشتد بهم الخوف ، وعلموا أنهم لاحقون باخوانهم ، فلما فعلوا ذلك لم يقتلوهم وأرسل محمد بيك يستشير سيده في أمر خليل بيك ومن معه فأمر بنفيه الى ثغر الاسكندرية وخنقوه بعد ذلك بها .

الجمعة ١٧ منه (٣ يونيو ١٧٦٨ م) :

رجع محمد بيك وصالح بيك والتجريدة ، ودخلوا المدينة من باب النصر في موكب عظيم ، وأمامهم الرؤوس محمولة في صوان من فضة ، والخدم يقولون « صلوا على محمد » ، وصالح بيك ظاهر بوجهه الاقباض والتعيس ، وغدتها ستة رؤوس . وهى : رأس حسين بيك و خليل بيك السكران وحسن بيك شبكة وحمزة بيك واسماعيل بيك أبى مدفع وسليمان أغا الوالى .

سفر

١٤ منه (٣٠ يونيو ١٧٦٨ م) :

حضر نجاب الحج واطمان الناس .

١٧ منه (٣ يوليو ١٧٦٨ م) :

وصل الحجاج بالسلامة ، ودخلوا المدينة —
— وأمير الحج خليل بيك بلفيه — وسر الناس

(١) يذكر الأستاذ رفعت رمضان انه قتل في هذه الكيدة مع حسين بك خمسة من صناعته ايضا .

بسلامة العجاج ، وكانوا يظنون تعبهم بسبب هذه الحركات والوقائع .

١٨ منه (٤ يوليو ١٧٦٨ م) :

أخرج على ييك جملة من الأمراء من مصر ، وتلى بعضهم الى الصعيد وبعضهم الى العجاج ، وأرسل البعض الى الفيوم ، وفيهم محمد كتحدا - تابع عبد الله كتحدا - وقرا حسن كتحدا وعبد الله كتحدا تابع مصطفى باش اختيار مستحفظان ، وسليمان جاويش ومحمد كتحدا الجردلى وحسن افندى الباقرجى وبعض اوده باشيه وعلى جريجى وعلى افندى الشرف جمليان .

وفيه : صرف على ييك الجامعة .

وفيه : أرسل على ييك وقبض على أولاد سعد الخادم بفريح سيدى أحمد البدوي ، وصادروهم ، وأخذ منهم أموالا عظيمة لا يقدر قدرها ، وأخرجهم من البلدة ، ومنعهم من سكناها ومن خدمة المقام الأحمدي . وأرسل الحاج حسن عبد المعطى وقيدته بالسدنة عوضا عن المذكورين ، وشرع فى إنشاء الجامع والقبة والسبيل والقيسارية العظيمة ، وأبطل منها مظالم أولاد الخادم والحمل والنشالين والحرمية والعيارين وضمان البغايا والخواطى وغير ذلك .

ربيع الأول

٩ منه (٢٤ يولية ١٧٦٨ م) :

حضر قايى من الديار الرومية بمرسوم وقبطان وسيف لعلى ييك من الدولة .

وفيه : وصلت الأخبار بموت خليل ييك الكبير بشر الاسكندرية مخنوقا .

١٢ منه (٢٧ يولية ١٧٦٨ م) :

نزل الباشا الى بيت على ييك باستدعائه ، فتنهى عنده ، وقدم له تقادم وهدايا .

ربيع الآخر

١٨ منه (١ سبتمبر ١٧٦٨ م) :

اجتمع الأمراء بنزل على ييك على المادة - وفيهم صالح ييك - وقد كان على ييك بيت مع أتباعه على قتل صالح ييك . فلما انتهى المجلس وركب صالح ييك ، ركب معه محمد ييك وأيوب ييك ورضوان ييك وأحمد ييك بشناق ، المعروف بالجزار ، وحسن ييك الجداوى ، وعلى ييك الطنطاوى ... وأحلق الجميع بصالح ييك ، ومن خلفهم الجند والماليك والطوائف .. فلما وصلوا الى مضيق الطريق عند المغارق بسوقة عصفور ، تأخر محمد ييك ومن معه عن صالح ييك قليلا ، وأحدث له محمد ييك حماقة مع مأساه ، وسحب سيفه من غمده سراعا وضرب صالح ييك (١) وسحب الآخرون سيوفهم ، ما عدا أحمد ييك بشناق ، وكبلوا قتلته ووقع طريقا على الأرض . ورمح الجماعة الضاربون وطوائفهم الى القلعة . وعندما رأى ماليك صالح ييك وأتباعه ما نزل بسيدهم خرجوا على وجوههم .

ولما استقر الجماعة القاتلون بالقلعة ، وجلسوا مع بعضهم يتحدثون ، عاتبوا أحمد ييك بشناق على عدم ضربه معهم صالح ييك ، وقالوا له : « لماذا لم تجرد سيفك وتضرب مثلنا ؟ » فقال : « بل ضربت معكم » . فكذبوه ، فقال له بعضهم : « أربا سيفك » ، فامتنع وقال : « ان سيفى لا يخرج من غمده لأجل الفرجة » ، ثم سكتوا .. وأخذ فى نفسه منهم ، وعلم أنهم سيخبرون سيدهم بذلك فلا يأمن غائلته .

(١) ويبدو صالح ييك تخلص على ييك من آخر منجب كان يحفل له بنافسه فى ضيافة البلد ، واستقرت الأمور وسلمت أحوالها لعلى ييك الذى أصبح شيخ البلد وسيدها العلمى .

وذلك أن أحمد بيك (١) هذا لم يكن مملوكا لعلى بيك ، وإنما كان أصله من بلاد بشتاق ... حضر الى مصر في جملة أتباع على باشا الحكيم عندما كان واليا على مصر في سنة تسع وستين ومائة وألف (١٧٥٥ م) فأقام في خدمته الى سنة احدى وسبعين ومائة وألف (١٧٥٧ م) . وتلبس صالح بيك بأمارة الحج في ذلك التاريخ ، فاستأذن أحمد بيك المذكور على باشا في الحج وأذن له ، فخرج مع صالح بيك وأكرمه وأجبه وألبسه زى المصريين ورجع صحبته . وتنقلت به الأحوال ، وخدم عند عبد الله بيك على ، ثم خدم عند على بيك فأعجبه شجاعته وفروسيته فرقاه في المناصب حتى قلده الصنحية وصار من الأمراء المعدودين ، فلم يزل يراعى منة صالح بيك السابقة عليه .

فلما عزم على بيك على خيانة صالح بيك وغدره خصصه بالذكر ، وأوصاه أن يكون أول ضارب فيه لما يعلمه فيه من العصبية له ، فقبل له : ان أحمد بيك أسر ذلك الى صالح بيك وحذره غدر على بيك اياه فلم يصدقه لما بينهما من العهود والأيمان والمواثيق . ولم يحصل منه ما يوجب ذلك ولم يعارضه في شيء ، ولم يتكر عليه فعلا . فلما اختلى صالح بك بعلى بيك أشار اليه بما بلغه ، فحلف له على بيك بأن ذلك نفاق من المخبر ولم يعلم من هو .

(١) يقول الاستاذ رفعت رمضان (ص ٢٤) : "الثابت أن على بيك عمل بسبب ذلك مداه أحمد بيك بشتاق (الشهر بالجزائر) . وبين ذلك أن على بيك عرض الجزار ليمين حرسهم على قتل صالح بيك . ولما كان الجزار من اخلص الناس لصالح بيك - لفضل الآخر عليه أيام كان متفيا بالصعيد - فقد اعتلوا لعلى بيك فقتل هذا فيظهه وقصص امانه اكباره لشهامته وأكد له انه انما كان يختبر اخلاصه واستشف أحمد نيات على بيك الحقيقية فاسرع واسرها الى صالح بيك الذى اتركها ظاهرا وأستكرها باطنا لما كان بينه وبين على بيك من المواثيق . كما أن على بيك امرع بعمل الموقف لهذا صالح بيك باخلاص الجزار وموه عليه قائلا : بينى لك ياأخى ان تختبر وجمالك ايضا لئلا يكون بينهم خيانة وأنا قد اختبرت الجزار فوجدته نصوصا .

فلما حصل ما حصل ، ورأى مراقبة الجماعة له ومناقشتهم له عند استقرارهم بالقلعة ... تخيل وداخله الوهم وتحقق في ظنه تجسيم القضية . فلما نزلوا من القلعة وانصرفوا الى منازلهم ، تفكر تلك الليلة ، وخرج من مصر ، وذهب الى الاسكندرية وأوصى حريمه بكتمان أمره ما أمكنهم حتى يتباعد عن مصر . فلما تأخر خضوره بمنزل على بيك وزكوبه ، سألوا عنه ، فقيل لهم : انه متوغل ، فحضر اليه في ثانى يوم محمد بيك ليعوده وطلب الدخول اليه ، فلم يمكنهم منه فدخل الى محل مبيته فلم يجده في فراشه ، فسأل عنه حريمه . فقالوا : لا نعلم له محلا ، ولم يأذن لأحد بالدخول عليه وقتشوا عليه فلم يجده .

وأرسل على بيك عبد الرحمن آغا وأمره بالتنقيش عليه وقتله ، فأحاط بالبيت - وهو بيت شكره فرم - وفتش عليه في البيت والخطة فلم يجده . وهو قد كان هرب ليلة الواقعة في صورة جزائري مغربي ، وقصص لحيته ، وسعى بمفرده الى شلقان ، وسافر الى بحرى ووصل السعاة بحبره الى على بيك بأنه بالاسكندرية فأرسل بالقبض عليه فوجدوه نزل بالقبطانة واحتفى بها وكان من أمره ما كان بعد ذلك ، وهو أحمد باشا الجزار الشهير الذكر الذى تملك عكا ، وتولى الشام وامارة الحج الشامي ، وطار صيته في الممالك .

وفيه عين على بيك تجريدة على سويلم بن حبيب (١) وعرب الجزيرة ، فنزل محمد بيك بتجريدة الى عرب الجزيرة ، وأيوب بيك الى سويلم . فلما

(١) ورث سويلم بن حبيب وشقيقه سالم شهرة تردد صداها في أنحاء الوجه البحري وانتهت اليه علامة جميع القبائل هناك وهابه الجميع لجرائه وشدة بأسه وأغاطوا أماله بهالة من الخيال (رفعت رمضان - على بيك الكبير ص ٥)

رجب

متنصفه (٢٥ نوفمبر ١٧٦٨ م)

وصل آغا من الديار الرومية ، وعلى يده مرسوم بطلب عسكر للسفر ، فاجتمعوا بالديوان وقروا المرسوم . وكان على ييك أحضر سليمان ييك الشابورى من تقيته بناحية المنصورة ، وكان متفيا هناك من سنة اثنتين وسبعين ومائة وألف (١٧٥٨ م) .

وفى يوم الثلاثاء ، عملوا الديوان بالقلمسة ، ولبسوا سليمان ييك الشابورى أمير السفر الموجه الى الروم ، وأخذوا فى تشييله . وسافر مع محمد ييك أبو الذهب بتجريدة — ومعه جملة من الصناجق والمقاتلين — لمنايذة شيخ العرب همام . فلما قربوا من بلاده ترددت بينهم الرسل ، واصطلحوا معه على أن يكون لشيخ العرب همام من حدود برديس ولا يتعدى حكمه لما بعدها ، واتفقوا على ذلك . ثم بلغ شيخ العرب أنه ولد لمحمد ييك مولود ، فأرسل له بالتجاوز عن برديس أيضا انعاما منه للمولود ، ورجع محمد ييك ومن معه الى مصر .

وفيه : قبض على ييك على الشيخ أحمد الكتبي المعروف بالسقط وضربه علة قوية ، وأمر بنفيه الى قبرص . فلما نزل الى البحر الرومى ذهب الى اسلمابول ، وصاهر حسن أفندى قطه مسكين المنجم ، وأقام هناك الى أن مات . وكان المذكور من دهاة العالم يسعى فى القضاء والدعاوى ، يحيى الباطل ، ويبطل الحق بحسن سبكه وتداخله .

فى ١٧ منه (٢٧ نوفمبر ١٧٦٨ م) :

حصلت قلقة من جهة والى مصر محمد باشا . وكان أراد أن يحدث حركة فوشى به كتخدها عبد الله ييك الى على ييك ، فأضبحوا وملكوا الأبواب والرميلة والحجر وحوالى القلعة ، وأمره

ذهب أيوب ييك الى دجوة (١) فلم يجدوا بها أحدا وكان سويلم : باثنا فى سندنهور وباقى الحباية متفرقين فى البلاد ، فلما وصله الخبر ركب من سندنهور وهرب بمن معه الى البحيرة ، والتجأ الى الهنادى .. ونهبوا دوائره ومواشيه ، وحضروا بالمنهوبات الى مصر . واحتج عليه بسبب واقعة حسين ييك و خليل ييك لما أتيا الى دجوة بعيد واقعة الديرى والجراح قدم لهم التقادم ، وباعدهم بالكلف والذبالح ونحو ذلك . والغرض الباطنى اجتهاده فى ازالة أصحاب المظاهر كائنا ما كان .

الاثنين ١٩ منه (٢ سبتمبر ١٧٦٨ م) :

أمر على ييك باخراج على كتخدا الخربوطلى منفيا ، وكذلك يوسف كتخدا مملوكه وثقى حسن أفندى درب الشمسى واخوته الى السويس ليذهبوا الى الحجاز ، وسليمان كتخدا الجلقى ، وعثمان كتخدا عزبان المنفوخ . وكان خليل ييك الأسىوطى بالشرقية ، فلما سمع بقتل صالح ييك هرب الى غزة .

بمادى الأولى

٥ منه (١٧ سبتمبر ١٧٦٨ م) :

طلع على ييك الى القلعة . وقلد ثلاثة صناجق من أتباعه ، وكذلك وجاقلية ، وقلد أيوب ييك تابعه ولاية جرجا وحسن ييك رضوان أمير حج .

بمادى الآخرة

(أكتوبر — نوفمبر ١٧٦٨ م)

قلد اسماعيل ييك الدقتردارية وصرف الموابج فى ذلك اليوم .

(١) دجوة قرية صغيرة من مديرية القليوبية واقعة على الضفة الغربية للفرع ومياط وكانت مركز حرب اولاد حبيب .
(على مباركة - المخطوط ج ١ ص ١٠١)

بالنزول ، فنزل من باب الميدان الى بيت أحمد بك
كشك ، وأجلسوا عنده الحرسجية ..

شعبان

د غوته (١١ ديسمبر ١٧٦٨ م) :

تقلد على بك قائممقامية عوضا عن الباشا .

الخميس ٥ منه (١٥ ديسمبر ١٧٦٨ م) :

أرسل على بك عبد الرحمن أغا مستحفظان الى
رجل من الأجناد يسمى اسماعيل أغا من القاسمية
وأمره بقتله ، وكان اسماعيل هذا منفيا جهة بحرى ،
وحضر الى مصر قبل ذلك وأقام بيته جهة الصليبية ،
وكان مشهورا بالشجاعة والفروسية والاقدام . فلما
وصل الأغا اخذاه بيته وطلبه ، ونظر الى الأغا واقفا
بأتباعه ينتظروه . علم أنه يطلبه ليقتله كغيره ، لأنه
تقدم قتله لأناس كثيرة على هذا النسق بأمر على
بك . فامتنع من النزول ، وأغلق بابه ، ولم يكن
عنده أحد سوى زوجته ، وهى أيضا جارية تركية ،
وعمر بندقيته وقرابيته وضرب عليهم ، فلم
يستطيعوا العبور اليه من الباب ، وصارت زوجته
تصر له وهو يضرب حتى قتل منهم أناسا وانجرح
كذلك . واستمر على ذلك يومين وهو يحارب
وحده . وتكاثروا عليه وقتلوا من أتباعه — وهو
ممتنع عليهم — الى أن فرغ منه البارود والرصاص ،
ونادوه بالأمان فصدقهم ونزل من الدرج . فوقف
له شخص وضربه وهو نازل من الدرج ، وتكاثروا
عليه وقتلوه وقطعوا رأسه ظلما رحمه الله تعالى .

فى ١٩ منه (٢٩ ديسمبر ١٧٦٨ م) :

صرفت الموابج على الناس والفقراء .

فى ٢٨ منه (٧ يناير ١٧٦٩ م) :

خرج موكب السفر الموجه الى الروم فى تجهل

زائد .

رمضان

فى ١٠ منه (١٨ يناير ١٧٦٩ م) :

قبض على بك على المسلم اسحق اليهودى ،
معلم الديوان ييولاق ، وأخذ منه أربعين ألف
محبوب ذهب وضربه حتى مات . وكذلك صادر أناسا
كثيرة فى أموالهم من التجار مثل العشوى والكمين
وغيرها . وهو الذى ابتدع المصادرات وسلب
الأموال من مبادئ ظهوره واقتدى به من بعده .

شوال

(فبراير ١٧٦٩ م) :

وفيه : هيا على بك هدية حاقله وخيولا مصرية
جيدا ، وأرسلها الى اسلابول للسلطان ورجال
الدولة . وكان المتسفر بذلك ابراهيم أغا سراج
باشا ، وكتب مكاتبات الى الدولة ورجالها ،
والتس من الشيخ الوالد (١) أن يكتب له
أيضا مكاتبات لما يعتقده من قبول كلامه وإشارته
عندهم . ومضمون ذلك الشكوى من عثمان بك
ابن العظم والى الشام ، وطلب عزله عنها بسبب
افضام بعض المصريين المطرودين اليه ومعاوته
لهم ، وطلب منه أن يرسل من طرفه أناسا
مخصوصين . فأرسل الشيخ عبد الرحمن العريشى
ومحمد أفندى البردلى فسافروا مع الهدية وغرضه
بذلك وضع قدمه بالقطر الشامى أيضا .

ذوالقعدة

فى ١٢ منه (٢٠ مارس ١٧٦٩ م) :

رسم بنفى جماعة من الأمراء أيضا ، وفيهم
ابراهيم أغا الساعى اختيار متفرقة ، واسماعيل
أفندى جاويشان و خليل أغا باشجاويشان جمليان
وباشجاويش تفكجيان ومحمد أفندى جراكسبة
ورضوان بك تابع حسن بك رضوان والزغراني .

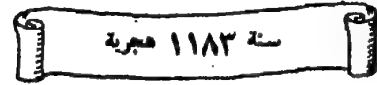
(١) يقصد والده الجبرى

العادية لملاقاته ، ونصبوا خيامهم ودخل بالموكب .
وفيه : أخرج على بيك حسن بيك رضوان
وأتباعه الى مسجد وصيف ثم نقل منها الى المحلة
الكبرى فأقام سنين .

وفيه : أرسل على بيك تجريدة الى سويلم
ابن حبيب والهنادى بالبحيرة وباش التجريدة
اسماعيل بيك . وذلك أن ابن حبيب لما رحل من
دجوة ، ذهب الى البحيرة وانضم الى عرب الهنادى .
وكان المتولى على كشوفية البحيرة عبد الله بيك ،
تابع على بيك ، فحاربوه وحاربهم حتى قتل عبد الله
بيك المذكور في المعركة ونهبوا متاعه ووطاقه .

وكان أحمد بيك بشناق لما خرج من مصر
هاربا ، بعد قتل صالح بيك ، ذهب الى الروم
فصادف هناك جماعة من الهربانيين ، ومنهم يحيى
السكرى وعلى أغا المعمار وعلى بيك الملط وغيرهم ،
وزينوا بسبب المفرضين لعلى بيك بدار السلطنة
فنزلوا في مركبين الى درة فوصلوها متفرقين ،
فالتى وصلت أولا بها يحيى السكرى وعلى المعمار
والملط ، فركبوا عندما وصلوا الى درة ، وذهبوا
الى الصعيد ووصلت المركب الأخرى بعد أيام وبها
أحمد بيك بشناق فطلع الى عند الهنادى . فلما وصل
اسماعيل بيك ومن معه بالتجريدة تعاربوا مع الحباية
ووصلت المركب الأخرى بعد أيام وبها أحمد بيك
بشناق فطلع الى عند الهنادى . فلما وصل اسماعيل
بيك ومن معه بالتجريدة فتعاربوا مع الحباية
والهنادى — ومعهم أحمد بيك بشناق — ثلاثة
أيام . وكان سويلم بن حبيب منعزلا في خيمة
صغيرة عند امرأة بدوية بعيدا عن المعركة ، فذهب
بعض العرب وعرف الأمراء بمكانه ، فكبسوه
وقتلوه وقطعوا رأسه ورفعوها على رمح .. واشتهر
ذلك فارتفع الحرب من بين الفريقين وتفرق الهنادى
وعرب الجزيرة والصوالة وغيرهم ، وراحت كسرة
على الجميع ، ولم يبق لهم قائم من ذلك اليوم .

فأرسل منهم الى دمياط ورشيد واسكندرية وقبلى ،
وأخذ منهم دراهم قبل خروجهم ، واستولى على
بلادهم وفرقها في أتباعه . وكانت هذه طريقته فيمن
يخرجه : يستصفي أموالهم أولا ، ثم يخرجهم ويأخذ
ببلادهم واقطاعهم فيفرقها على مماليكه وأتباعه الذين
يؤمرهم في مكانهم . ونفى أيضا ابراهيم كتحدا
جدك وابنه محمد الى رشيد ، وكان ابراهيم هذا
كتخده ثم عزله وولاه الحسبة ، فلما تفاه ولى
مكانه في الحسبة مصطفى أغا .



المختصر

(مايو ١٧٦٩ م) :

فيه : أخرج على بيك عثمان أغا الوكيل من مصر
منفيا الى جهة الشام ، وكذلك أحمد أغا أغات
الجوالى وأغات الضربخانة الى جهة الروم . وكان
أحمد أغا هذا رجلا عظيما ذا غنية كبيرة وثروة
زائدة ، فصاحده على بيك في ماله وأمره بالخروج
من مصر ، فأحضر المطربازية والدالين والتجار
وأخرج متاعه وذخائره وباعها بسوق المزاد بينهم ،
فبيع موجوده من أمتعة وثياب وجواهر وتحف
وأسلحة وكتب وأشياء نفيسة وهو ينظر اليها
ويتحسر ، ثم سافر الى جهة الاسكندرية .

وفيه : توفي محمد باشا الذى كان بقصر عبد
الرحمن كتخدا بشاطيء النيل، ولعله مات مسموما ،
ودفن بالقرافة الصغرى عند مدافن الباشوات بالقرب
من الامام الشافعى .

ونزل الحج ودخل الى مصر مع أمير الحج
خليل بيك بلفيا في أمن وأمان .

صفر

(يونيو ١٧٦٩ م) :

وصل باشا من طريق البر ، وطلع الأمراء الى

وثقيب أحمد بيك بشناق فلم يظهر الا بعد مدة
بيلاد الشام .

وفيه : تقلد أيوب بيك على منصب جرجا ،
وخرج مسافرا ومعه عدة كبيرة من العساكر
والأجناد ، فوصلوا الى قرب أسيوط . فوردت
الأخبار باجتماع الأمراء المنافى وتملكهم أسيوط
وتحصنهم بها .

وكان من أمرهم أنه لما ذهب محمد بيك
أبوالذهب الى جهة قبلى لمناذبة شيخ العرب همام (١)
كما تقدم ، وجرى بينهما الصلح على أن يكون لهما
من حدود برديس (٢) وتم الأمر على ذلك ورجع
محمد بيك الى مصر ، وأرسل على بيك يقول له :
« انى أمضيت ذلك بشرط أن تطرد المصريين الذين
عندك ، ولا تبقى منهم أحدا بدائرترك فجمعهم
وأخبرهم بذلك . وقال لهم : « اذهبوا الى أسيوط
واملكوها قبل كل شيء فان فعلتم ذلك كان لكم
بها قوة ومنعة ، وأنا أمدكم بعد ذلك بالمال
والرجال » فاستصوبوا رأيه وبادروا وذهبوا الى
أسيوط — وكان بها عبد الرحمن كاشف من طرف
على بيك وذى الفقار كاشف — وقد كانوا حصنوا
البلدة وجهاتها ، وبنوا كرائك والبوابة ، وركب
عليها المدافع .. فتحيل القوم ليلا وزحفوا الى
البوابة ، ومعهم أنصاخ وأحطاب ، جعلوا فيها
الكبريت والزيت ، وأشعلوها وأحرقوا الباب ،
وهجموا على البلدة ، فلم يكن له بهم طاقة لكثرتهم
وهم جماعة صالح بيك وباقي القاسمية ، وجماعة
الخشاب ، وجماعة الفلاح ، وجماعة مناو ، ويحيى
السكرى وسليمان الجلفى وحسن كاشف ترك

(١) هو شيخ العرب همام بن يوسف الهوارى . ويقدر ماكانت
هبة سويلم بن حبيب في الوجه البحرى تقسم على الرحبة من
طنيناه ونجوره ، كانت هبة همام بن يوسف في الوجه القبلى
تقوم على الامجاب بشهامته وتقدير مجموعة الصفات النادرة التى
كونت شخصيته الفذة . (رفعت رمضان - على بيك الكبير ص ٢٨)
(٢) كان سبق صلح سنة ١١٤٩ هـ (١٧٢٦ م) عقده همام
مع ابراهيم كخيا ، مؤداه التنازل لهما من الزمام برديس وفريوط

وحسن بيك أبو كرش ومحمد بيك الماوردى
وعبد الرحمن كاشف من خشدشين صالح بيك —
وكان من الشجعان — ومحمد كتخدا الجلفى وعلى
بيك الملط — تابع خليل بيك — وجماعة كشكش
وغيرهم ، ومعهم كبار الهوارة وأهالى الصعيد —
فملكوا أسيوط وتحصنوا بها ، وهرب من كان
فيها .

وردت الأخبار بذلك الى على بيك فعين
للسفر ابراهيم بيك بلقيا ومحمد بيك أبو شنب
وعلى بيك الطنطاوى ، ومن كل وجاق جماعة
وعساكر ومغاربة ، وأرسل الى خليل بيك القاسمى
المعروف بالأسيوطى فأحضره من غزة ، وطلع هو
وابراهيم بيك — تابع محمد بيك — بعساكر أيضا ،
وعزل الباشا وأنزله وجسه بيت ايواظ بيك عند
الزير المعلق . ثم سافر محمد بيك أبو الذهب
ورضوان بيك وعدة من الأمراء والصنائق ، وضم
اليهم ما جمعه وجلبه من العساكر المختلفة الأجناس
من دلاة ودروز ومتاولة وشوام ، وسافر الجميع
برا وبحرا حتى وصلوا الى أيوب بيك ، وهو
يرسل خلفهم في كل يوم بالامداد والجحانات
والذخيرة والبقسماط ، وذهب الجميع الى أن
وصلوا قرب أسيوط ، ونصبوا عرضيهم عند
جزيرة منقباط ، وتحققوا وصول محمد بيك ومن
معه ، وفرحوا بذلك لأنهم كانوا رأوا في زائرات
الرمل سقوطه في المعركة ، ثم أجمعوا رأيهم على
أن يدهمهم آخر الليل ، فركبوا في ساعة معلومة ،
وسار بهم الدليل في طوق الجبل ، وقصدوا النزول
من محل كذا على ناحية كذا من العرضى ، فتاه
وضل بهم الدليل حتى تجاوزوا المكان المقصود
بنحو ساعتين ، وأخذوا جهة العرضى فوجدوه قبلهم
بذلك المقدار ، وعلموا فوات القصد ، وأن القوم
متى علموا حصولهم خلفهم ملكوا البلدة من غير
مانع قبل رجوعهم من المكان الذى أتوا منه ، فما

وسمهم الا الذهاب اليهم ومصادمتهم على أى وجه كان ، فلم يصلوهم الا بعد طلوع النهار .

وتيقظ القوم واستعدوا لهم فالتطموا معهم — وهم قليلون بالنسبة اليهم — ووقع الحرب ، واشتد الجلال ، وبذلوا جهدهم فى الحرب ، ويصرخ الكثير منهم بقوله : « أين محمد بيك ! » فبرز اليهم محمد بيك أبو شنب وهو يقول : « أنا محمد بيك » .. فقصدوه وقتلوه وقتلهم حتى قتل ، وسقط جواد يحيى السكرى فلم يزل يقاتل ويدافع حصّة طويلة حتى تكاثروا عليه وقتلوه ، وعبد الرحمن كاشف القاسمى يحارب بمدفع يضربه وهو على كتفه . وانجلت الحرب عن هزيمتهم ونصرة المصريين عليهم ، وذلك عند جبانة أسبوط (١) ، فتشتتوا فى الجهات ، وانضموا الى كبار الهوارة ، وملاك المصريون أسبوط ، ودفنوا القتلى ومحمد بيك أبو شنب . واغتم محمد بيك أبو الذهب لموته ، وفرح لوقوع الزايرة عليه ومفاداته له لأنه كان يعلم ذلك أيضا . وأقاموا بأسبوط أياما ، ثم ارتحلوا الى قبلى بقصد محاربة همام والهوارة . واجتمع كبار الهوارة مع من انضم اليهم من الأمراء المهزومين .. فراسل محمد بيك اسماعيل أبو عبد الله — وهو ابن عم همام — واستماله ومنّاه ، وواعده برياسة بلاد الصعيد عوضا عن شيخ العرب همام ، حتى ركن الى قوله ، وصدق تمويهاته ، وتقاعس وتشبط عن القتال وخذل طوائفه .

ولما بلغ شيخ العرب همام ما حصل ورأى فشل القوم ، خرج من فرشوط ، وبعد عنها مسافة ثلاثة أيام ومات مكموذا مقهورا ، ووصل محمد بيك ومن معه الى فرشوط فلم يجدوا مانعا فملكوها ونهبوها وأخذوا جميع ما كان بدوائر

(١) وكانت معركة أسبوط من احسن المواقع فى تاريخ على بيك ، وهى التى اكدت له النصر ، فأصبح سيد الوجهين وصاحب النفوذ المطلق فى جميع أنحاء مصر .
(ولغت رمضان — على بيك الكبير — من ٥٢) .

همام وأقاربه وأتباعه من ذخائر وأموال وغلال ، وزالت دولة شيخ العرب همام من بلاد الصعيد من ذلك التاريخ كأنها لم تكن .

ورجع الأمراء الى مصر ومحمد بيك أبو الذهب ، وصحبته درويش بن شيخ العرب همام ، فانه لما مات أبوه ، وانكسر ظهر القوم بموته ، وعلموا أنهم لانبجاح لهم بعده .. أشاروا على ابنه بمقابلة محمد بيك وانفضلوا عنه وتفرقوا فى الجهات ، فمنهم من ذهب الى درنة ، ومنهم من ذهب الى الروم ، ومنهم من ذهب الى الشام . وقايا درويش بن همام محمد بيك ، وحضر صحبته الى مصر ، وأسكنه فى مكان بالرجبة المقابلة لبيته ، وصار يركب ويذهب لزيارة المشاهد ويتفرج على مصر ويتفرج عليه الناس ويعدون خلفه وأمامه لينظروا ذاته ، وكان وجيها طويلا أبيض اللون أسود اللحية جميل الصورة .. ثم ان على بيك أعطاه بلاد فرشوط والوقف بشفاعه محمد بيك ، وذهب الى وطنه فلم يحسن السير والتدبير ، وأخذ أمره فى الانحلال ، وحاله فى الاضمحلال ، وأرسل من طالبه بالأموال والذخائر فأخذوا ما وجدوه ، وحضر الى مصر والتجأ الى محمد بيك فأكرمه وأنزله بمنزل بجواره ، فلم يزل مقيما به حتى خرج محمد بيك من مصر مغاضبا لأستاذه فلحق به وسافر الى الصعيد .

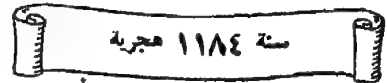
وخلص الاقليم المصرى بحرى وقبلى الى على بيك وأتباعه . فشرع فى قتل المنافى الذين أخرجهم الى البنادر مثل دمياط ورشيد والاسكندرية والمنصورة ، فكان يرسل اليهم ويختفهم واحدا بعد واحد .. فخلق على كتخدا الخربطلى برشيد ، وحمزة بيك — تابع خليل بيك — بزفتا وقتلوا معه سليمان أغا الوالى واسماعيل بيك أبا مدفع بالمنصورة وعثمان بيك — تابع خليل بيك — هرب الى مركب البيليك فحماء وذهب الى اسلامبول

ومات هناك . ونفى أيضا جماعة وأخرجهم من مصر ، وفيهم سليمان كخذنا المشهدى و ابراهيم افندى جليان . ومات الباشا المنفصل بالبيت الذى نزل فيه ولحق بمن قبله .

رمضان

أوله (٢٩ ديسمبر ١٧٦٩ م) :

اتفق أن على بيك صلى الجمعة الأولى من رمضان بجوامع الدأودية ، فخطب الشيخ عبد ربه ودعا للسلطان ثم دعا لعلى بيك . فلما انقضت الصلاة ، وقام على بيك يريد الانصراف ، أحضر الخطيب — وكان رجلا من أهل العلم يغلب عليه البلبه والصلاح — فقال له : « من أمرك بالدعاء باسمى على المنبر ؟ أقبل لك أنى سلطان ؟ » فقال : « نعم أنت سلطان وأنا أدعو لك » . فأظهر الغيظ وأمر بضربه ، فبطحوه وضربوه بالعصى . فقام بعد ذلك متألما من الضرب . وركب حمارا وذهب الى داره وهو يقول فى طريقه : « بدأ الاسلام غربيا وسيعود كما بدأ » . ثم ان على بيك أرسل اليه فى ثانى يوم بدراهم وكسوة واستسمحه .



فيها ورد على على بيك ، الشريف عبد الله (١)

(١) هو الشريف عبد الله بن حسين بن يحيى بن بركات . وقد نخل على بيك تلك الحادثة سببا مباشرا لاعداد حملة كان الغرض انظاهرى منها مساعدة الشريف عبد الله ، بينما كان غرضه الحقيقى منها تعيين شريف لكه يخلص لمصلحته ويضمن بطاعته ولاه ذلك الجزء الهام من الدولة الاسلامية . الا ان وجود شريف فى مكة من صنائع الدولة العثمانية كان مشارا لمتاعب جمة قد تؤدى الى قساد أسمر الحج وسخط الحجاج من مصر والشرق وتضعف من مركزه فى مصر اذا اقترن وجوده فى الحكم بتلك المتاعب تتعيين شريف من صنائعه كان عاملا أساسيا فى نظره يضمن به هدوء الاحوال . ويدخل فى اغراضه أيضا الشهرة التى يحوزها بحمايته للحرمين الشريفين وما كان سيفيده من نفوذ فى مصر ، وهيبة بلاد المغرب والسودان وبلاد الشام وما يليها بتأمين الحج للمسلمين .

(ولعت رمضان - على بيك الكبير من ١٣٨ - ١٣٩)

من أشراف مكة ، وكان من أمره أنه وقع بينه وبين ابن عمه الشريف أحمد ، أخى الشريف مساعد (١) ، منازعة فى اماره مكة بعد وفاة الشريف مساعد ، فتغلب عليه الشريف أحمد واستقل بالامارة ، وخرج الشريف عبد الله هاربا ، وذهب الى ملك الروم واستنجد به ، فكتب له مكاتبات لعلى بيك بالمعونة والوصية والقيام معه ، وحضر الى مصر بتلك المكاتبات فى السنة الماضية .

وكان على بيك مشتغلا بتمهيد القطر المصرى ، ووافق ذلك غرضه الباطنى : وهو طمعه فى الاستيلاء

(١) يذكر الاستاذ ولعت رمضان فى كتابه «على بيك الكبير» ١٣٩ أن رواية الجبرتي هذه تحتاج الى تصحيح . فيقول « وايراد المسألة على تلك الصورة يحتمل اخطاء تاريخية : اولها انه جعل وفاة الشريف مساعد فى ١١٨٣ هـ والواقع أن الشريف مساعد توفى فى يوم الاربعاء لثلاث بقين من شهر المحرم سنة اربع وثمانين ومائة والى ، وكانت ولايته تسع عشرة سنة الا ثلاثة أشهر . (ابن دحلان ص ٢٠٠ - ٢٠١) ثم عاد فذكر (أى الجبرتي) أنه وقع بين الشريف عبد الله وابن عمه الشريف احمد أخى الشريف مساعد منازعة فى اماره مكة بعد وفاة الشريف مساعد فاستنجد عبد الله بملك الروم الذى أوصى به على بيك . وهذه الرواية تحتمل غموضا يؤدى الى الخطأ ، فقد وقع تنافس حقا على اماره مكة بين الشريفين احمد وعبد الله ، ولكنه ليس عبد الله الذى يقصده فان هذا تولى الشرافة فعلا ولم يحضر الى مصر ، وانما الذى استعان بعلى بيك هو ابن عمه عبد الله بن حسين من آل بركات .

وسجل ماحدث انه بعد عودة الحمل المصرى صحبة أبى الذهب عام ١١٨٣ هـ ثم انتصار الشريف مساعد على عبد الله بن حسين غر هذا عقب الصلح الى على بيك يستنجد له للمرة الثانية . وبينما كان على بيك يعد الحملة تولى الشريف مساعد قبل وصول الحملة المصرية الى بلاد العرب فى المحرم ١١٨٤ هـ (ابريل ١٧٧٠ م) .

وكان قد عقد البيمة لأخيه الشريف عبد الله بن سعيد . فما كاد عبد الله هذا يتولى الشرافة حتى نازعه أخوه الشريف احمد ابن سعيد وقال : « انا لها ، انا لها » فنزل له عن الشرافة وقلده اياها ١١٨٤ هـ . وهكذا قدر أن تاتى الحملة المصرية لخلع الشريف مساعد فلا تجده فتضطر فيما بعد الى خلع الشريف احمد .

(ابن دحلان ص ٣٠٢ ، ومرمى التواريخ حوادث سنة ١١٨٧ هـ) . وقد انفرد الجبرتي بذكره أن الشريف عبد الله استنجد بملك الروم فكتب له مكاتبات لعلى بيك بالمعونة والوصية والقيام معه . ومن المعجب أن السلطان العثمانى بعث الى على بيك بمثل هذا الرجاء فى اواخر ١١٨٣ هـ واول ١١٨٤ هـ (١٧٧٠ م) ، وهى السنة التى وضعت فيها اطماعه ونواياه . فهل كان يريد من ذلك ان يغربه على ان يقذفه بغضه وجيشه فى بلاد المرب لينهكه ويقتضى على قوته كما طلب ذلك من محمد على فيما بعد ، ام ان الجبرتي اورد ذلك مجرد الابراء دون نعت ؟ وهو المرجح .

وفي هذا الشهر ابتداء القحط والشدة بمصر
بسبب المصاريف المتسببة عن هذه الحرب ، فإن
هذه التجربة تكلفت ٢٦ مليون فرك (١)

ربيع الآخر

في ٩ منه (٢ أغسطس ١٧٧٠ م) :

وصل نجاب الى مصر من الديار الحجازية ،
وأخبر بدخول محمد بيك ومن معه الى مكة
وانهزام الشريف أحمد وخروجه هاربا (٢) . ونهب
المصريون دار الشريف ومن يلوذ به ، وأخذوا منها
أشياء كثيرة من أمتعة وجواهر وأموال لها قدر .

وجلس الشريف عبد الله في اماره مكة ، ونزل
حسن بيك الى بندر جدة وتولى امارتها عوضا عن
الباشا الذي تولاها من طرف ملك الروم ، ولذلك
عرف بالجداوى .. وأقام محمد بيك أياما بمكة ثم
عزم على المسير والرجوع الى مصر ، ووصلت
الأخبار والبشائر بذلك ، وأرسلت اليه الملاقاة
بالعقبة وخلافها .

رجب

اوائله (اواخر أكتوبر ١٧٧٠ م) :

لما ورد الخبر بوصوله الى العقبة خرجت
الأمراء الى بركة الحج والدار الحمراء لانتظار
قدومه .

في ٨ منه (٢٨ أكتوبر ١٧٧٠ م) :

وصل ودخل الى مصر في موكب عظيم وأتت
اليه العلماء والأعيان للسلام وقصدته الشعراء
بالتصائيد والتهانى .

(١) نقلنا هذا الخبر من التوقيعات الإلهامية .

(٢) حرب الى الطائف . ويقول ابن دحلان ص ٢٠٣ : « كان

هروبه في منتصف ربيع الأول ١١٨٤ هـ (٩ يوليو ١٧٧٠ م) .

على الممالك . فأنزله في مكان ، وأكرمه ورتب له
كفائته ، وأقام بمصر حتى تم أغراضه بالقطر ،
وخلص له قبلى وبحرى ، وقتل من قتله ، وأخرج
من أخرجه — فالتفت عند ذلك الى مقاصده
البعيدة ، وأمر بتجهيز الذخائر والاقامات ، وعمل
البقساط الكثير حتى ملأوا منه المخازن ببولاق
ومصر القديمة والقصور البرانية وبيوت الأمراء
المنافى الخالية . ثم عبوا ذلك وأرسل مع باقى
الاحتياجات واللوازم من الدقيق والسمن والزيت
والعسل والسكر والأجبان فى البر والبحر ،
واستكتب أصناف العساكر أترাকা ومغاربة وشواما
ومتاولة ودروزا وحضارمة ويمانية وسودانا
وحبوشا ودلاة وغير ذلك ، وأرسل منهم طوائف
فى المقلدمات والمشاة ، أنزلوهم من القلزم فى المراكب
وصحبتهم الجيخانات والمدافع وآلات الحرب .

صفر

(يونيو ١٧٧٠ م) :

خرجت التجربة ، بعد دخول الحجاج ، فى
تجمل زائد ، ومهيا عظيم . وسارى عسكرها محمد
بيك أبو الذهب ، وصحبته حسن بيك ومصطفى
بيك وخلافهم (١) .

ربيع الأول

في ٢٢ منه (١٦ يوليو ١٧٧٠ م) :

وردت الأخبار من الأقطار الحجازية بوقوع
حاربة عظيمة بين المصريين وعرب ينبع وخلافهم
من قبائل العربان والأشراف ، ووقعت الهزيمة على
المذكورين ، وانتصر عليهم المصريون ، وقتل وزير
الينبع (٢) المتولى من طرف شريف مكة ، وقتل معه
خلائق كثيرة .

(١) يذكر ابن دحلان ص ٢٠٠ أنه كان بالحيلة ثلاثة متناحق
ولادة ثلاث من العسكر وخلائق مدلما .

(٢) كان درويش أبا وزير يسع فى هذا الوقت (ابن دحلان -

ص ٢٠٢)

في منتصفه (٤ نوفمبر ١٧٧٠ م) :

عزل على بيك عبد الرحمن أغا مستحفظان .
وقلده عوضه سليم أغا الوالى ، وقلده
عوض الوالى موسى أغا من أتباعه ، وأمر عبد
الرحمن أغا بالسفر الى ناحية غزة — وهى أول
حركاته الى جهة الشام — وأمره بقتل سليط شيخ
عربان غزة . فلم يزل يتحيل عليه حتى قتله هو
واخوته وأولاده . وكان سليط هذا من العصاة
العتاة ، له سير وأخبار .

وفيه : زاد اهتمام على بيك بالتحرك على جهة
الشام ، واستكثر من جمع طوائف العساكر ، وعمل
القبضات والبارود والذخائر والمؤن وآلات الحرب ،
وأمر بسفر تجريدة وأميرها اسماعيل بيك (١) ،
وصحبته على بيك الطنطاوى وعلى بيك الحبشى ،
فبرزوا الى جهة العادلية ، وخرجوا بما معهم من
طوائف العسكر والمماليك والأحمال والخيام
والجبخانات والعربات والضوية وقرب الماء الكثيرة
على الجبال والكرارات والمطابخ والطبول والزمور
والتقاير وغير ذلك . فلما تكامل خروجهم أقاموا
بالعادلية أياما حتى قضوا لوازمهم وارتحلوا
وسافروا الى جهة الشام .

في ٢١ منه (١٠ نوفمبر ١٧٧٠ م) :

برزت تجريدة أخرى ، وعليها سليمان بيك
وعمر كاشف وجملته كثيرة من العساكر ، فنزلوا من
طريق البحر على دمياط .

ذوالقعدة

في ١٠ منه (٢٥ فبراير ١٧٧١ م) :

وردت أخبار من جهة الشام ، وأشيع وقوع
حرايات بينهم وبين حكام الشام وأولاد العظم .

(١) لاسماعيل بيك مواقف مشهورة منها : القضاء على سويلم
ابن حبيب ، وانتصاراته في الحجاز ، وتأثيره على ابن الذهب في
حملة الشام ، ثم توليه الشهاقة لهما بعد .

في منتصفه (٢ مارس ١٧٧١ م) :

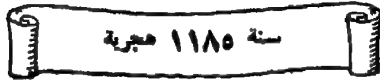
خرجت تجريدة أخرى ، وسافرت على طريق البر
على النسق .

في ١٧ منه (٤ مارس ١٧٧١ م) :

طلب على بيك حسن أغا تابع الوكيل
والروزنامجى وباش قلفه واسماعيل أغا الزعيم
وآخرين ، وصادروهم في نحو أربعمئة كيس بعد
مأعوقهم أياما .

في أواخره (أوائل مارس ١٧٧١ م) :

عمل على بيك دراهم على القرى ، وقرر على كل
بلد مائة ريال وثلاثة ريالات حق طريق ،
فضجت الناس من ذلك ، وطلب من النصارى
القبض مائة ألف ريال ، ومن اليهود أربعين ألفا ،
وقبضت جميعها في أسرع وقت .



وفيها : أخرج على بيك تجريدة عظيمة ، وسر
عسكرها وأميرها محمد بيك أبو الذهب وأيوب
بيك ورضوان بيك وغيرهم كشاف وأرباب مناصب
ومماليكهم وطوائفهم وأتباعهم ، وعساكر كثيرة من
المغاربة والترك والهنود واليمنية والمتاوله . . .
وخرجوا في تجمل زائد واستعداد عظيم ، ومعهم
الطبول والزمور والذخائر والأحمال والخيام
والمطابخ والكرارات والمدافع والجبخانات ومدافع
الزنبلك على الجمال ، وأجناس المالم ألوفاً
مؤلفة . وكذلك أنزلوا الاحتياجات والأثقال
وشحنوا بها السفن ، وسافرت من طريق دمياط
في البحر . (١)

(١) كان على بيك يطمع في أن تمتلك البندقية جزر الدولة
العثمانية في البحر الأبيض . وأرسل الى البندقية يعرض محالفته
ومساعدته لها لتكون قاعدة حربية له . فردت جمهورية البندقية
شاكراً ومعتذرة . وقام بهذه الرسالة يعقوب الأرمنى أحد معاونى
على بك . (رفعت رمضان — على بيك الكبير ص ١٦٠) .

فلما وصلوا الى الديار الشامية ، حاصروا يافا وضيقوا عليها حتى ملكوها بعد أيام كثيرة ، ثم توجهوا الى باقى المدن والقرى وحاربهم النوب والولاة وهزموهم وقتلوهم وفروا من وجوههم واستولوا على الممالك الشامية الى حد حلب .

ربيع الأول

(يونية - يولية ١٧٧١ م) :

وردت البشائر بذلك فنودى بالزينة ، فزينت مصر وبولاق ومصر العتيقة زينة عظيمة ثلاثة أيام بلياليها وعملت وقدرات وأحبال قناديل وشموع بالأسواق وسائر الجهات ، وعملوا ولائم ومغانى وآلات وطبولاً وشنكا وحراقات .

وتعظم على بيك في نفسه ولم يكتف بذلك ، فأرسل الى محمد بيك يأمره بتقليد الأمراء المناصب والولايات على البلاد التى افتتحوها وملكوها ، وأن يستمر في سيره ويتعدى الحدود ، ويستولى على الممالك الى حيث شاء ، وهو يتابع اليه ارسال الامدادات واللوازم والاحتياجات ، ولا يشنون عنانهم عما يأمرهم به (١) .

فعند ذلك جمع محمد بيك أمراءه وخشداشيته الكبار في خلوة وعرض عليهم الأوامر ، فضاقت نفوسهم ، وسئمو الحرب والقتال والعربة وذلك أمافي نفس محمد بيك أيضا . ثم قال لهم : « ماتقولون ؟ » . قالوا : « وما الذى نقوله والرأى لك ، فأنت كبيرنا ، ونحن تحت أمرك وإشارتك ولا نخالفك فيما تأمر به » . فقال : « ربما يكون

رأى مخالفا لأمر أستاذنا » . قالوا : « ولو مخالفا لأمره فنحن جميعا لانخرج عن أمرك وإشارتك » . فقال : « لا أقول لكم شيئا حتى تتحالف جميعا وتعاهد على الرأى الذى يكون بيننا » . ففعلوا ذلك ، وتعاهدوا وحلفوا على السيف والكتاب .

ثم انه قال لهم : « ان أستاذكم يريد أن تقطعوا أعماركم في العربة والحرب والأسفار والبعد عن الأوطان ، وكلما فرغنا من شيء فتح علينا غيره . فرأى أن نكون على قلب رجل واحد ونرجع الى مصر ولا نذهب الى جهة من الجهات ، وقد فرغنا من خدمتنا ، وان كان يريد غير ذلك من الممالك يولى أمراء غيرنا ويرسلهم الى ما يريد ، ونحن يكفيننا هذا القدر ونرتاح في بيوتنا وغنجد عيالنا » . فقالوا جميعا : « ونحن على رأيك » . وأصبحوا راحلين وطالين الى مصر (١) .

رجب

اواخره (اوائل نوفمبر ١٧٧١ م) :

حضرُوا على خلاف مراد مخدومهم (٢) ، وبقي الأمر على السكوت . ثم ان على بيك قلد أيوب بيك امارة جرجا وقضى أشغاله وسافر الى الصعيد بطائفته وأتباعه .

اقضى شعبان ورمضان (نوفمبر وديسمبر ١٧٧١ م) : وعلى بيك مصمم على رجوع محمد

(١) حاول كثير من الكتاب والمؤرخين تحليل هذا الانسحاب فمتهم من ينسب ذلك الى اسماعيل بيك ليله الى الدولة العثمانية وحده لا الى الذهب لبحرته على عدم اطاعته لأوامر على بيك . ومنهم من ينسبه الى ابن الذهب نفسه ، فكان يدبر وسيلة للقضاء على على بيك منذ زمن طويل وأنه كان يبدد لنفسه طريق الحكم والسلطان عندما تنفج الثمرة . وقد حانت الفرصة لعاد لاقتالها .

(٢) ولعل رمضان - على بيك الكبير من ١٧٤) .

(٣) روج أبو الذهب اشاعة قبيل الانسحاب بوفاء على بيك . ابتكرها بنفسه وروجها أنصاره بقصد اغراء الجند على مرملة العودة الى مصر .

(المصدر السابق ص ١٧٦) .

(١) ذكر الرحالة فولني - ثلاثة ايام في مصر وبر الشام - ترجمة أدوار البستاني « ان الاضاعات توارثت بان مدد الحملة المصرية ٦٠.٠٠٠ مقاتل وان الاوربيين دهموا لضخامة تلك الحملة لظنهم ان كفاءة الجندي المصري لا تقل من نظيره الروسى أو البروسى . ثم ذكر ان الجيش كان معدوم النظام فرسانه مختلفو السلاح والليس وخبولهم مختلفة الألوان والأحجام ، لا يسرون في صفوف منظمة لم وفق تولى خاص » .

بيك إلى جهة الشام ، وذلك مصمم على خلاف ذلك ، وبدت بينهما الوحشة الباطنية .

شذال

في ٤ منه (١٠ يناير ١٧٧٢ م) :

في هذه الليلة : بيت على بيك مع على بيك الطنطاوى وخلافه ، واتفق معهم على غدر محمد بيك .. فركبوا عليه ليلا وأحاطوا بداره ، ووقفت له العساكر بالأسلحة في الطرق . فركب في خاصته وخرج من بينهم وذهب إلى فاحية البساتين وارتحل إلى الصعيد (١) فحضر إليه بعض الأمراء أصحاب المناصب ، وعلى كاشف ، تابع سليمان افندى كاشف ، شرق أولاد يطيى ، وقدموا له ما معهم من الخيام والمال والاحتياجات . ولم يزل في سيره حتى وصل إلى جرجا ، واجتمع عليه أيوب بيك خشدائه ، وأظهر له المصافاة والمؤاخاة ، وقدم له هدايا وخيولا وخياما .. فلم يلبث إلا وقد أحضر عيون محمد بيك الذين أرصدهم بالطريق رجلا ومعه مكاتبة من على بيك ، خطابا لأيوب بيك ، يأمره ويستحثه على عمل الحيلة وقتل محمد بيك بأي وجه أمكنه ويعبده أمارته وبلاده وغير ذلك .

فلما قرأ المراسلة وفهم مضمونها أكرم الرجل وقال له : « تذهب إليه بالكتاب وأتني بجوابه ولك مزيدا لأكرام » . فذهب ذلك الساعى وأوصل الكتاب إلى أيوب بيك وطلب منه رد الجواب

(١) أمر على بيك بإغلاق أبواب القاهرة ، فأغلقت ، وأمر الحرس بعدم السماح لكائن من كان بولوجها داخلا أو خارجا ، وبهيات النفوس لحدث على وشك الوقوع دون أن يعلموا كنهه . ثم مهد إلى على بيك طنطاوى وأتباعه في تنفيذ الخطة . ولكن أبا الذهب كان أسعد حظا ، فقد نجح في اختراق الحصار الذى ضرب حول منزله ثم أمر حراس أحد الأبواب أن يفتحوه بأمر على بيك حتى يقوم بأداء رسالة خطيرة أمره بها مولاه ، وبذلك تمكن من الفرار إلى الصعيد .

(رفعت رمضان - على بيك الكبير من ١٧٩)

وأعطاه الجواب وذكر فيه أنه مجتهد في تميم الغرض ، ومتربح حصول الفرصة ، فحضر به إلى محمد بيك .

فعند ذلك استعد محمد بيك وتحقق خيافته ونفاقه . فاتفق مع خاصته وأمرائه بالاستعداد والوثوب ، وأنه إذا حضر إليه أيوب بيك أخذ أرباب المناصب نظراءهم وتحفظوا عليهم . فلما حضر في صباحها أيوب بيك جلس معه في خلوة ، وأخذ كل من الخازندار والكتخدا والجوخدار والسلحدار نظراءهم من جماعة محمد بيك .

ثم قال محمد بيك يخاطب أيوب بيك : « يا هل ترى نحن مستمرون على الأخوة والمصافاة والصداقة والعهد واليمين الذى تعاقدنا عليه بالشام ؟ » . قال : « نعم وزيادة » . قال : « ومن نكث ذلك وخان اليمين ونقض العهد ؟ » . قال : « يقطع لسانه الذى حلف به ويده التى وضعها على المصحف » . فعند ذلك قال له : « بلغنى أنه أتاك كتاب من أستاذنا على بيك » ، فجدد ذلك . فقال : « لعل ذلك صحيح وكتبت له الجواب أيضا » . قال : « لم يكن ذلك أبدا ، ولو أثنى منه جواب لأطلعك عليه ولا يصح أنى أكتبه عنك أو أرد له جوابا » .

فعند ذلك أخرج له الجواب من جيبه ، وأحضر إليه ذلك الرسول .. فسقط في يده ، وأخذ يتنصل بيارد العذر . فعند ذلك قال له : « حيث لا تصح مرافقتك معى وقم فاذهب إلى سيدك » . وأمر بالقبض عليه وأنزلوه إلى المركب ، وأحاط بوطاقه وأسبابه وتفرقت عنه جموعه . فلما صار وحيدا في قبضته أحضر عبد الرحمن أغا ، وكان اذ ذاك بناحية قبلى ، وانضم إلى محمد بيك فقال له : « اذهب إلى أيوب بيك واقطع يده ولسانه كما حكم على نفسه بذلك » . فأخذ معه المشاعلى وحضر إليه في السفينة وقطعوا يمينه ثم شبكوا في لسانه سنارة

وجذبوه ليقطعوه ، فتخلص منهم وألقى بنفسه الى البحر فغرق ومات (١)

وكان قصد محمد بيك أن يفعل به ذلك ويرسله على هذه الصورة الى سيده بمصر . ثم انهم أخرجوه وغسلوه وكفنوه ودفنوه . فعند ما وقع ذلك أقبلت الأمراء والأجناد المتفرقون بالأقاليم على محمد بيك ، وتحققوا عند ذلك الخلاف بينه وبين سيده ، وقد كانوا محجبين عن الحضور اليه ويظنون خلاف ذلك ، وحضرا اليه جميع المنافى وأتباع القاسمية والهوارة الذين شردهم على بيك وسلب نعمتهم ، فأنعم عليهم وأكرمهم وتلقاهم بالبشاشة والمحبة ، واعتذر لهم وواساهم وقلدهم الخدم والمناصب ، وهم أيضا تقيّدوا بخدمته وبذلوا جهدهم في طاعته .

ووصلت الأخبار بذلك الى مصر ، وحضر اليه كثير من ممالك أيوب بيك وأتباعه سوى من انضم منهم والتجأ الى محمد بيك وأتباعه . فعند ذلك نزل بعلى بيك من القهر والغيظ المكثوم ما لا يوصف ، وشرع في تشهيل تجريدة عظيمة وأميرها وسر عسكرها اسماعيل بيك ، واحتفل بها احتفالا كثيرا ، وأمر بجمع أصناف العساكر ، واجتهد في تنجيز أمرها في أسرع وقت .

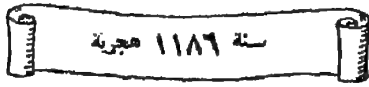
ذوالقعدة

في أواخره (أوائل مارس ١٧٧٢ م) :

سافروا برا وبحرا ، فلما التقى الجمعان خامر اسماعيل بيك وانضم بمن معه من الجموع الى محمد بيك وصاروا حزبا واحدا ، ورجع الذين لم يميلوا — وهم القليل — الى مصر . فعند ذلك اشتد الأمر بعلى بيك ، ولاحت على دولته لوائح

(١) يموت أيوب بيك تغير الموقف السياسي في مصر ، ذلك ان أبا الذهب أصبح محورا تحت حوله جميع العناصر المعارضة لعلى بيك .

الزوال ، وكاد يموت من الغيظ والقهر . وقلد سبعة صناعق ، والكل مزلقون ، وساهم أهل مصر السبع بنات (١) وهم : مصطفى بيك وحسن بيك ومراد بيك وحزوه بيك ويحيى بيك وخليل بيك كوسه ومصطفى بيك أوده باشا . وعمل لهم برقا وداقما ولوازم وطبلخانات في يومين ، وضم اليهم عساكر وطوائف ومماليك وأتباعا وبرز بنفسه الى جهة البساتين ، وشرع في تشهيل تجريدة أخرى — وأميرها على بيك الطنطاوى — وأخرج الجيخانات والمدافع الكثيرة ، وأمر بعمل متاريس من البحر الى جهة الجبل



المحتم

(أبريل ١٧٧٢ م) :

فيه : خرج على بيك الى جهة البساتين (٢) في أواخر العام الماضى وعمل متاريس ونصب عليها المدافع من البحر الى الجبل ، واجتهد في تشهيل تجريدة وأميرها على بيك الطنطاوى وصحبته باقى الأمراء الذين قلدهم

منتصفه (١٨ أبريل ١٧٧٢ م) :

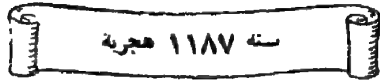
عدوا لمحاربة محمد بيك أبى الذهب واسماعيل بيك ومن معهما ، وكانوا سائرين يريدون مصر .. فتلاقوا معهم عند بياضة (٣) ، ووقعت بينهم معركة قوية ظهر فيها فضل القاسمية — وخصوصا أتباع صالح بيك وعلى أغسا

(١) مزلقون أى متزينون ناعمون . وسُميتهم بالسبع بنات كناية من منتهى الترف وعدم الصلاحية لجهاد الحرب .

(٢) البساتين : قرية جنوبي مصر القديمة على الضفة الشرقية للنيل ، يستغل معظم أهلها بقطع الأحجار . وعندما كان يعبر المسافرون من الصعيد الى الوجه البحرى من الضفة الغربية الى الضفة الشرقية ، وذلك يحدث بسهولة لوجود عدة جرد في مرض النيل تجاه البساتين .

(٣) تجاه بنى سويف الى الشمال .

المذكور بيد رزق النصارى ، وهى قروش مفرد ومجوز ، وقطع صفار تصرف بعشرة أنصاف وخمسة أنصاف ونصف قرش ، وكان أكثرها نحاسا وعليها علامة على بيك .



فيها تواترت الأخبار والارجافات بمجىء على بيك (١) من البلاد الشامية بجنود الشام وأولاد الظاهر عمر . فتها محمد بيك للقاءه ، وبرز خيامه الى جهة العادلية ، ونصب الصيوان الكبير هناك — وهو صيوان صالح بيك — وهو فى غاية العظم والاتساع والعلو والارتفاع ، وجميعه بدوائر من جوخ صاية ، وبطاته بالأطلس الأحمر ، وطلائمه وعساكره من نحاس أصفر مموه بالذهب ، فأقام يومين حتى تكامل خروج العسكر ، ووصل الخبر بوصول على بيك بجنوده الى الصالحية .

سفر

فى ٥ منه (٢٨ ابريل ١٧٧٣ م) :

ارتحل محمد بيك فالتقى مع على بيك فى الصالحية . وتحاربا فكانت الهزيمة على على بيك (٢) ، وأصابته جراحة فى وجهه فسقط عن جواده ، فاحتاطوا به وحملوه الى مخيم محمد بيك . وخرج اليه وتلقاه وقبل يده ، وحمله من تحت ابطة حتى أجلسه بصيوانه (٣)

(١) لم يكد يصل على بيك الى الشام حتى أصابته حمى شديدة لغرط ملاقاته من الجهد والاعياء . وقد أرسل له حليفه ظاهر طبيبه ووزيره ابراهيم الصباغ . فشفى بعد ثلاثة أسابيع (ميخائيل نقولا المكاوي - تاريخ الشيخ ظاهر العمر ص ١٣٠)
(٢) كان لخيانة المرتزقة من مشاة المغاربة اثر اساسى فى هزيمة الصالحية ، وهى أهم المواقف الثلاث الحاسمة فى تاريخ على بيك . (رفعت رمضان - على بيك الكبير - ص ١٩٦)
(٣) الواقع انه رغم منالسه محمد بيك لسيده - تلك المنافسة غير الشريفة - فانه كان يحله ويحترمه .

المعار (١) - ووقعت الهزيمة على عسكر على بيك ، وساق خلفهم القبالى مسافة ، فمانعوا عن أنفسهم ، وعدوا على دير الطين ، وكان على بيك مقيما به .

فلما حصل ما حصل اشتد القهر بالمذكور ، وتحير فى أمره ، وأظهر التجلد ، وأمر بالاستعداد وترتيب المدافع ، وأقام الى آخر النهار ، وتفرق عنه غالب عساكره من المغاربة وغيرهم وحضر محمد بيك الى البر المقابل لعل على بيك ونصب صيوانه وخيامه تجاهه فتفكر على بيك فى أمره ، وركب عند الغروب وسار الى جهة مصر ، ودخل من باب القرافة ، وطلع الى باب العزب فأقام به حصّة من الليل ، وأشيع بالمدينة أن مراده المحاصرة بالقلمة . ٢٥ منه (٢٨ ابريل ١٧٧٢ م) :

ثم انه ركب الى داره ، وحمل حموله وأمواله ، وخرج من مصر ، وذهب الى جهة الشام ، وصحبته على بيك الطنطاوى ، وباقى صناعقه ومماليكه وأتباعه وطوائفه (٢) .

الخميس ٢٦ منه (٢٩ ابريل ١٧٧٢ م) :

عدى محمد بيك الى بر مصر ، وأوقدوا النار فى ذلك اليوم فى الدير بعدما نهبوه ، ودخل محمد بيك الى مصر وصار أميرها . ونادى أصحاب الشرطة على أتباعه بأن لا أحد يأويهم ولا يتأويهم ، فكانت مدة غيبته سبعين يوما .

وأرسل عبد الرحمن أغا مستحفظان الى عبد الله كنخدا الباشا ، فذهب اليه بداره ، وقبض عليه وقطع رأسه . ونادى بابطال المعاملة التى ضربها

(١) من خشداشين صالح بيك الذى قتل فى عهد محمد على بيك انتم الى أبى الذهب واشترك فى معركة بياضة .

(٢) امر على بيك رجاله بتجهيز ماله ومناحه الخاص والاستعداد للرحيل . ثم أرسل أمرا الى المعلم رزق - وهو المتصرف فى شئون المالية المصرية - باحضار ما بالخزينة من مال . ولكن رزق كان قد اختفى .

(رفعت رمضان - على بيك الكبير - ص ١٨٤)

٨ منه (١ مايو ١٧٧٣ م) :

قتل على بيك الطنطاوى وسليمان كئخدا وعمر جاويش وغيرهم .

٩ منه (٢ مايو ١٧٧٣ م) :

وصل خبر ذلك الى مصر فى الصباح ، وحضروا اليها ، وأنزل محمد بيك أستاذة فى منزله البكائن بالأزبكية بدرب عبد الحق ، وأجرى عليه الأطباء مداواة جراحاته .

فى ١٥ منه (٨ مايو ١٧٧٣ م) :

وصل الحجاج ودخلوا الى مصر وأمير الحج ابراهيم بيك محمد .

وفى تلك الليلة : توفى الأمير على بيك وذلك بعد وصوله بسبعة أيام ... قيل انه سم فى جراحاته فغسل وكفن ، ودفنوه عند أسلافه بالقرافة .

وعلى بيك الكبير هو مملوك ابراهيم كئخدا ، تابع سليمان جاويش ، تابع مصطفى كئخدا القزذغلى . تقلد الامارة والصنجدية بعد موت أستاذة سنة ١١٦٨ هـ (١٧٥٤ - ١٧٥٥ م) .

وكان قوى المراس ، شديد الشكية ، لا يرضى لنفسه بدون السلطنة العظمى بديلا . فيما قال : أنا لا أتقلد الامارة الا بسيفى لا بمعونة أحد .

وكان يلقب بـ « جن على » ، وكان يلقب أيضا بـ « بلوط قبن » .

وقد قتل منافسيه من الرؤساء والأقران وباقي الأعيان ، وفرق جمعهم فى القرى والبلدان ، وتبعهم خنقا وقتلا ، وأبادهم فرعا وأصلا . واستأصل كبار خشداشينه وقبيلته . وأخرم القوانين الجسيمة ، والعوائد المرتبة . وحارب كبار العربان .

واستكثر من شراء الممالك ، وجمع العسكر من جميع الأجناس ، وخلص له الاقليم المصرى من

الاسكندرية الى أسوان ، ونفذ أغراضه بالبلاد الحجازية والشام ، ومنع ورود الولاة العثمانيين . وكان يطلع كتب الأخبار والتواريخ وسير الملوك المصرية . وكان لا يجالس الا أهل الوقار والحشمة والمسنيين .

وتتبع المفسدين الذين يتدخلون فى القضايا والدعاوى — بأخذ الرشوات والجمالات — وعاقبهم بالضرب الشديد ، حتى أن الشخص كان يسافر بمفرده ليلا — راكبا أو ماشيا ، ومعه حمل الدراهم والدنانير — ويبيت فى الغيط أو البرية آمنا مطمئنا ، لا يرى مكروها أبدا .

وكان عظيم الهية . فقد اتفق لأناس أن ماتوا فرقا من هيئته ! وكان صحيح الفراسة ، شديد الحنق ، ولا يحتاج فى التفهيم الى ترجمان أو من يقرأ له الصكوك والوثائق ، بل يقرأها بنفسه .

وهو الذى أقام المسجد الجامع والقبة على مقام سيدى أحمد البدوى ، وما يجاورها من الحوانيت للتجار ، وسميت هناك بالغورية . ورتب بالمسجد عدة من الفقهاء والمدرسين والطلبة والمجاورين ، وجعل لهم خبزا وجرايات فى كل يوم .

وهو الذى جدد أيضا قبة الانام الشافعى رضى الله عنه ، وكشف ما عليها من الرصاص القديم من أيام الملك الكامل الأيوبرى فى القرن الخامس وقد تشعث وصدىء لطول الزمان ، فجدد ما تحته من خشب القبة البالى بغيره من الخشب النقى الحديث ، ثم جعلوا عليه صفائح الرصاص المسبوك الجديد المثبت بالمسامير العظيمة .. وهو عمل كثير ، وجدد نقوش القبة من داخل بالذهب واللازورد والأصباغ . وكتب بافرينها تاريخا منظوما بخط صالح افندى . وهدم أيضا الميضاة التى كانت من عمارة عبد الرحمن كئخدا ، وكانت صغيرة مشنة الأركان ، ووسعها ، وعمل عوضها هذه الميضاة الكبيرة . وهى مربعة مستطيلة (١) متسعة وبجانبيها حنفية

وبزائيز يصب منها الماء . وحول الميضأة كراسى راحة بحيطان متسعة تجرى مياهها الى بعضها ، وماؤها شديد الملوحة !

ومن انشاءه أيضا العمارة العظيمة التي أنشأها بشاطئ النيل ببولاق ، حيث دكك الحطب ، تحت ريع الخرنوب ، وهي عبارة عن قيسارية عظيمة بياين ، يسلك منها من بحرى الى قبلى وبالعكس ، وخانا عظيما يعلوه مساكن من الجهتين ، وبخارجه حوانيت وشونة غلال ، حيث مجرى النيل ، ومسجد متوسط . فحفروا أساس جميع هذه العمارة حتى بلغوا الماء ، ثم بنوا لها خنازير مثل المنارات من الأحجار والدبش والمؤن ، وغاصوا بها فى ذلك الخندق حتى استقرت على الأرض الصحيحة ، ثم ردموا ذلك الخندق المحتوى على تلك الخنازير بالمؤن والأحجار (١) . واستعلوا عليه بعد ذلك بالبناء المحكم بالحجر النحيت ، وعقدوا العقود والقواصر ، والأعمدة والأخشاب المتينة ..

.. وبعد موته لم تزل الأرض تعلق ، والأتربة تزيد فيما بين زاوية تلك العمارة الى شون الغلال ، ويزيد نموها فى كل سنة حتى صار لا يركبها الماء الا فى سنين الفرق ! ثم فحش الأمر وبنى الناس دورا وقهاوى فى بحرى العمارة ، وسبحوا الى جهة قرب الماء مغرين ، وألقوا أتربة العماير وما يحفرونه حول ذلك . واقتدى بهم الترابة وغيرهم ، ولم يجدوا مانعا ولا رادعا .. وكلما فعلوا ذلك هرب الماء وضعف جريانه ، وربت الأرض وعلت وزادت حتى صارت كيمانا تنقبض النفوس من رؤيتها ، وتمتلئ المنافس من عجاجها ، وخصوصا فى وقت الهجير .. بعد أن كانت نزهة للناظرين .

ولقد أدركنا فيما قبل ذلك تيار النيل يندفع من

(١) الهى هذا قريبا مما فعل اليوم ، بعد مائتين من السنين ؟

ناحية بولاق التكرور الى تلك الجهة ، ويمر بقم تحت جدران الدور والوكائل القبلية وساحل الشد ووكالة الأيزار وخضرة البصل وجامع السنانة ود الخرنوب الى الجيعانية وينعطف الى قصر الحد والشيخ فرج صيفا وشتاء ولا يعوقه عائق ولا يقدر أحد أن يرمى بساحل النيل شيئا التراب . فان اطلع الحاكم على ذلك نكل به أو بخفير تلك الناحية !

وهذا شيء قد تودع منه ، ومن أمثاله . وآ من أدركنا فيه هذا الالتفات والتفقد للأمور الجزئى التى يترتب بزيادتها الضرر العام عبد الرحمن مستحفظان ، فانه كان يحذو طريق الحك السابقين ..

وتضاعف الحال حتى أن بعض الطرق الموص الى بولاق استدت بتراكم الأتربة التى يلقيها آ الأطراف خارج الدروب ، ولا يجدون من يمنع أو يردعهم . وقدرت علو الأرض — بسبب ه العمارة — زيادة عن أربع قامات . فأننا كنا نعد درج وكالة الأيزارين من ناحية البحر ، عندما ساكنين بها قبل هذه العمارة ، نيفا وعشرين درجا وكذلك سلم قيطون .. وقد غابت جميعها تح الأرض ، وغطتها الأتربة .. والله عاقبة الأمور .

ومن انشاء على ييك الكبير داره المطلة بركة الأزبكية بدرب عبد الحق ، التى مات بها والحوض والساقية والطاحون بجوارها .

وبالجملة فأخباره ووقائعه وسيرته لو جمعت مبدأ أمره الى آخره لكنت مجلدات . وقد ذكر فيما تقدم لمعا من ذلك بحسب الاقتضاء ، مما استحضره الذهن القاصر ، والفكر المشوش الفا بتراكم الهموم ، وكثرة الغوم ، وتزايد المحن واختلاط الفتن ، واختلال الدول ، وارتفاع السفلى

سنة ١١٨٩ هجرية

فيها عزم محمد بيك أبو الذهب على السفر والتوجه الى البلاد الشامية بقصد محاربة الظاهر عمر ، واستخلاص ما بيده من البلاد . فبرز خيامه الى العادلية ، وفرق الأموال والتراجل على الأمراء والعساكر والماليك ، واستعد لذلك استعدادا عظيما في البحر والبر ، وأنزل بالمرابك النخيرة والجبخانة والمدافع والقنابر والمدفع الكبير المسمى « أبو مايله » ، الذي كان سبكه في العام الماضي .

المحرم

أوائله (أوائل مارس ١٧٧٥ م) :

سافر محمد بيك أبو الذهب بجموعه وعساكره ، وأخذ صحبته ... مراد بيك ، وإبراهيم بيك طنان ، وإسماعيل بيك - تابع إسماعيل بيك الكبير لاغير ، وترك بمصر إبراهيم بيك ، وجعله عوضا عنه في إمارة مصر ، وإسماعيل بيك وباقي الأمراء ، والباشا الذي بالقلعة ، وهو مصطفى باشا النابلسي ، وأرباب العكاكيز والخدم والوجاقية . ولم يزل في سيره حتى وصل الى جهة غزة ، وارتجت البلاد لوروده ، ولم يقف أحد في وجهه . وتحصن أهل يافا بها ، وكذلك الظاهر عمر تحصن بمكا .

فلما وصل الى يافا ، حاصرها وضيق على أهلها ، وامتنعواهم أيضا عليه ، وحاربوه من داخل ، وحاربهم من خارج ، ورمى عليهم بالمدافع والمكاحل والقنابر عدة أيام وليال . فكانوا يصعدون الى أعلى السور ويسبون المصريين وأميرهم سبا قبيحا . فلم يزالوا بالحرب عليها حتى تقبوا أسوارها ، وهجموا عليها من كل ناحية ، وملكوها عنوة ، ونهبوها

ولعل العود يخضر بعد الذبول ، ويطلع النجم بعد الأفول ، أو يسم الدهر بعد كشارة أنيابه ، أو يلحظنا من نظر المتغابي في ايابه .

زمن كالأحلام تقضى بعده

زمن نعلل فيه بالأحلام

ولله في خلقه من قديم الزمان عادة . وانتظار الفرج عبادة . نسأله اقتشاع المصائب ، وحسن العواقب (١) .

ربيع الأول

في ١٧ منه (٨ يونيو ١٧٧٣ م) :

وصل الوزير خليل باشا والى مصر .

الخميس ١٩ منه (١٠ يونيو ١٧٧٣ م) :

طلع خليل باشا الى القلعة في موكب عظيم ، وضربوا له مدافع وشنكا من الأبراج . وكان وصوله من طريق دمياط فعمل الديوان وخلع الخلع .

سنة ١١٨٨ هجرية

(١٤ مارس ١٧٧٤ - ٣ مارس ١٧٧٥ م)

استهلت ووالى مصر خليل باشا محجور عليه .. ليس له في الولاية الا الاسم والعلامة على الأوراق ، والتصرف الكلى للأمير الكبير محمد بيك أبو الذهب والأمراء وأعيان الدولة مناليكه واشراقاته ، والوقت في هدوء وسكون وأمن ، والأحكام في الجملة مرضية ، والأسعار رخيصة ، وفي الناس بقية ، وستائر الحياء عليهم مرخية .

وما الدهر في حال السكون بساكن

ولكنه مستجمع لوثوب

(١) نعم ينطلق قلم الجبرني من اسار السرد التاريخي ، بين من نفس مريرة تنفعل بالأحداث الجسم التي مرت بالبلاد في اهلها ..

وقبضوا على أهلها ، وربطوهم في الحبال والجنائز .
وسبوا النساء والصبيان وقتلوهم عن آخرهم .
ولم يميزوا بين الشريف والنصراني واليهودي ،
والعالم والجاهل والعامي والسوقي ، ولا بين الظالم
والمظلوم .. وربما عوقب من لا جنى ، وبنوا من
رءوس القتلى عدة صوامع ووجوهها بارزة تنسف
عليها الأتربة والرياح والزواجع ، ثم ارتحل عنها
طالباً عكاً .

فلما بلغ الظاهر عمر ما وقع بيافاً ، اشتد خوفه ،
وخرج من عكاً هارباً ، وتركها وحصونها .. فوصل
إليها محمد بيك ودخلها من غير مانع وأذعنت له
بأقى البلاد ودخلوا تحت طاعته وخافوا سطوته .
وداخل محمد بيك من الغرور والفرح ما لا مزيد
عليه ، وما آل به إلى الموت والهلاك . وأرسل
بالبشائر إلى مصر والأمراء بالزينة فنودي بذلك ،
وزينت مصر وبولاق والقاهرة وخارجها زينة
عظيمة ، وعمل بها وقعات وشنكات وحراقات
وأفراح ثلاثة أيام بلياليها .

ربيع الآخر

أوائله (يونيو ١٧٧٥ م) :

عند انقضاء ذلك ، ورد الخبر بموت محمد بيك ،
واستمر في كل يوم يفشون الخبر وينمو ويندوتناقل
ويتأكد ، حتى وردت الساعة بتصحيح ذلك . وشاع
في الناس وصاروا يتعجبون ويتلون قوله تعالى :
« حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذا هم
مبلسون » (١) .

وذلك أنه لما تم الأمر وملك البلاد المصرية
والشامية ، وأذن الجميع لطاعته .. وقد كان أرسل
إسماعيل أغا — أخا على بيك الغزاوي — إلى
اسلامبول يطلب أميرة مصر والشام ، وأرسل
صحبه أموالاً وهدايا ، فأجيب إلى ذلك وأعطوه

(١) آية ٤٤ ، سورة الانعام .

التقاليد والخلع واليرق والداقم ، وأرسل له
المراسلات والبشائر بتمام الأمر ، فوافاه ذلك يوم
دخوله عكاً ، فامتلاً فرحاً وحم بدنه في الحال . .
فأقام محبوماً ثلاثة أيام ومات ليلة الرابع .

ووافى خير موته اسماعيل أغا عندما تهيأ ونزل
في المراكب يريد المسير إلى مخدمه ، فانتقض الأمر
وردت التقاليد وباقي الأشياء .

ولما تم له أمر يافاً وعكاً وباقي البلاد والثغور ..
فرح الأمراء والأجناد الذين بصحبته برجعهم إلى
مصر ، وصاروا متشوقين للرحيل والرجوع إلى
الأوطان . فاجتمعوا إليه في اليوم الذي نزل به
مأزله في ليلته ، فتبين لهم من كلامه عدم العود ،
وأنة يريد تقليدهم المناسبات والأحكام بالديار
الشامية وبلاد السواحل ، وأمرهم بإرسال المكاتبات
إلى بيوتهم وعيالهم بالبشارات ... بما فتح الله عليهم
وما سيفتح لهم . ويطنوهم ويطلبوا احتياجاتهم
ولو أزمهم المحتاجين إليها من مصر . فعند ذلك
اغتموا وعلموا أنهم لا يراحم لهم ، وأن أملة غير
هذا ، وذهب كل إلى مخيمه يفكر في أمره . وأقاموا
على ذلك ثلاثة أيام التي تمرض فيها ، وأكثرهم
لا يعلم بمرضه ، ولا يدخل إليه إلا بعض خواصه ،
ولا يذكرون ذلك إلا بقولهم في اليوم الثالث انه
منحرف المزاج .

فلما كان في صبح الليلة التي مات بها نظروا
إلى صيوانه وقد انهدم ركنه ، وأولاد الخزنة في
حركة . ثم زاد الحال وجردوا على بعضهم السلاح
بسبب المال ، وظهر أمر موته ، وارتبك العرضي ،
وحضر مراد بيك فصددهم وكفهم عن بعضهم ،
وجمع كبراءهم وتشاوروا في أمرهم وأرضى
خواطريهم ، خوفاً من وقوع الفشل فيهم ، وتشتتهم
في بلاد الغربة ، وطمع الشاميين وشمايتهم فيهم .
واتفق رأيهم على الرحيل ، وأخذوا رمة سيدهم

باشا عزت الكبير وأمرأؤها ابراهيم ومراد بيك ،
مملوكا محمد بك أبى الذهب ، وخشداشينهما ..

سفر

٧ منه (٢٨ مارس ١٧٧٦) :

وصل الحج الى مصر ، ودخل الركب ، وأمير
الحج يوسف بيك .

ليلة الجمعة ٩ منه (٣٠ مارس ١٧٧٦) :

وقع حريق بالأزبكية — وذلك في نصف
الليل — احترق فيها عدة بيوت عظام .. وكان شيئا
مهولا . ثم انها عمرت في أقرب وقت . والذي لم
يقدر على العمارة باع أرضه فاشترها القادر
وعمرها ، بحيث انه لم يأت النيل القابل الا وهى
أحسن وأبهج مما كانت عليه .

وفيها : سقط ربع بسوق الغورية ، ومات فيه
عدة كثيرة من الناس تحت الردم . ثم ان عبد
الرحمن أغا مستحفظان أخذ تلك الأماكن من أربابها
شراء ، وأنشأ الحوانيت والربع علوها والوكالة
المعروفة الآن بوكالة الزيت ، والبوابة التى يسلك
منها من السوق .

وفيها : حضر جماعة من الهنود ، ومعهم فيل
صغير ذهبوا به الى قصر العيني ، وأدخلوه الى
الاسطبل الكبير ، وهرع الناس للفرجة عليه ، ووقف
الخدم على أبواب القصر يأخذون من المتفرجين
دراهم ، وكذلك سواسه الهنود جمعوا بسببه دراهم
كثيرة . وصار الناس يأتون اليه بالكعك وقصب
السكر ، ويتفرجون على مصه فى القصب ، وتناوله
بخرطوم . وكان الهنود يخاطبونه بلسانهم ،
يفهمون كلامه ، واذا أحضروه بين يدي كبر
كلموه فيبرك على يديه ويشير بالسلاط بخرطومه .

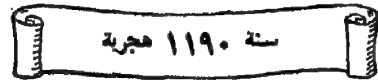
صحبتهما لما تحقق عندهم أنهم ان دفنوه هناك فى
بعض المواضع أخرجه أهل البلاد ونشوه وأحرقوه
ففسلوه وكفنوه ولفوه فى المشمعات ووضعوه
فى عربة وارتحلوا به طالبين الديار المصرية (١) .

ربيع الآخر

٢٤ منه (٢٤ يونيو ١٧٧٥ م)

وصلوا فى ستة عشر يوما أواخر النهار ،
فأرادوا دفنه بالقرافة . وحضر الشيخ الصعدي
فأشار بدفنه فى مدرسته تجاه الأزهر ، فحفروا له
قبرا فى اللوان الصغير الشرقى وبنيه ليلا ، ولما
أصبح النهار عملوا له مشهدا وخرجوا بجنازته من
بيته الذى بقوصون ، ومشى أمامه المشايخ والعلماء
والأمراء وجميع الأحزاب والأوراد وأطفال المكاتب ،
وأمام نعشه مجامر العنبر والعود ستر على رائيحه
وتنته .. حتى وصلوا به الى مدفنه ، وعملوا عنده
ختمات وقراءات وصدقات عدة ليال وأيام نحو
أربعين يوما .

واستقر أتباعه أمراء مصر ورؤيسهم ابراهيم
بيك ومراد بيك وباقيهم الذين أمرهم فى حياته
ومات عنهم يوسف بيك وأحمد بيك الكلارجى
ومصطفى بيك الكبير وأيوب بيك الكبير وذوالفقار
بيك ومحمد بيك طبال ورضوان بيك ، والذين
تأمروا بعده أيوب بيك الدفتردار وسليمان بيك
الأغا و ابراهيم بيك الوالى وأيوب بيك الصغير
وقاسم بيك الموسقى وعثمان بيك الشرقاوى ومراد
بيك الصغير وسليم بيك أبو دياب ولاجين بيك .



كان السلطان فى هذه السنة السلطان عبد الحميد
ابن أحمد خان العثماني . ووالى مصر الوزير محمد

(١) وعده عاقبة المعتدين !

(أكتوبر - نوفمبر ١٧٧٦ م) :

تعصب مراد بيك وتغير خاطره على ابراهيم بيك
طنان ، ونفاه الى المحلة الكبيرة ، وفرق بلاده على
من أحب ، ولم يبق له الا القليل .

ذواحجة

أوائله (يناير ١٧٧٧) :

شرع الأمير اسماعيل كتخدا في عمل مهم لزواج
ابنته (أى حفل عرس أو « فرح ») . وكان قبل
هذا حصل بينه وبين مراد بيك منازعة . ومبها أن
مراد بيك أراد أن يأخذ من اسماعيل بيك السرو
ورأس الخليج ، فوقع بينهما غصاصة كاد يتولد منها
فتة ، فسعى في الصلح بينهما ابراهيم بيك ،
فاصطلحا على غل .

وشرع في اثر ذلك اسماعيل بيك في عمل الفرح ،
فاجتمعوا يوم السبت في وليمة عظيمة ، ووقف مراد
بيك وفرق المحارم والمناذيل على الحاضرين ،
ويطوف بنفسه على أقدامه ، وعمل المهم أياما كثيرة .

ونزل محمد باشا عزت (١) — باستدعاء — الى
بيت اسماعيل بيك . وعندما وصل الى حارة قوصون
نزل الأمراء بأسرهم مشاة على أقدامهم للملاقاته ،
فمشوا جميعا أمامه على أقدامهم ، وبأيديهم المباخر
والقمائم . ولم يزالوا كذلك حتى طلوعوا الى
المجلس .

ووقعوا في خدمته مثل المماليك ! حتى اتقضى
الطعام والشرابات ، وقدموا له الهدايا والتقدم
والحيول الكثيرة المسومة .

وكانت هذه الزفة من المواكب الجليلة ، ومشى

(١) الدوالي التركي .

فيها الفيل وعليه خلعة جوخ أحمر .. فكان ذلك من
النواذر !

وفي هذه السنة مات الأمير عبد الرحمن كتخدا ،
وهو ابن حسن جاويش القازدغلي ، أستاذ سليمان
جاويش ، أستاذ ابراهيم كتخدا مولى جميع الأمراء
المصريين الموجودين الآن

وتولى كتخدا الوقت سنتين ، وشرع في بناء
المساجد ، وعمل الخيرات ، وإبطال المنكرات ..
فأبطل خمائير حارة اليهود .

وأول عماراته السبيل والكتاب الذي يعلوه بين
القصرين ، وجاء في غاية الظرف ، وأحسن المباني .
وأشأ جامع المغاربة ، وعمل عند بابه ميلا وكتابا
وميضاة تفتح بطول النهار . وأشأ تجاه باب الفتوح
مسجدا غريفا بمنارة وصهريج ، ومدفن السيدة
السطوحية . وأشأ بالقرب من تربة الأزيكية
سقاية ، وحوضا لسقى الدواب ، ويعلوه كتاب ،
وفي الخطابة كذلك ، وعند جامع الدشطوطى كذلك .

وأشأ وزاد في مقصورة الجامع الأزهر مقدار
النصف طولاً وعرضاً ، يشتمل على خمسين عموداً
من الرخام ، تحمل مثلها من السوائك المقصورة
المرتفعة المتسعة من الحجر المنحوت ، وسقف أعلاها
بالخشب النقى ، وبنى به معراباً جديداً ومنبراً ،
وأشأ له باباً عظيماً جهة حارة كتامة . وبنى بأعلاه
مكتباً بقناطر معقودة على أعمدة من الرخام لتعليم
الأيام من أطفال المسلمين القرآن . وبداخله رجة
متسعة ، وصهريج عظيم ، وسقاية لشرب العطاش
المارين . وعمل لنفسه مدفنًا بتلك الرجة ، وعليه
قبة معقودة ، وتركيبية من رخام بديعة الصنعة .
وبها أيضاً رواق مخصوص بمجاورين الصعائدة
المنقطعين لطلب العلم ، يسلك اليه من تلك الرجة
بدرج يصعد منه الى الرواق ، وبه مرافق ومنافع

ومطبخ ومخادع وخزائن كتب . وبنى بجانب ذلك الباب منارة ، وأنشأ بابا آخر جهة مطبخ الجامع ، وعليه منارة أيضا .. وغير ذلك .

وعمر أيضا المشهد النفيسى ، ومسجده ، وبنى صهرجا على هذه الهيئة الموجودة ، وجعل لزيارة النساء طريقا بخلاف طريق الرجال .

وبنى أيضا مشهد السيدة زينب بقناطر السباع ، ومشهد السيدة سكينة بخط الخليفة ، والمشهد المعروف بالسيدة عائشة بالقرب من باب القرافة ، والسيدة فاطمة والسيدة رقية ، والجامع والرباط بحارة عابدين ، وكذلك مشهد أبو السفود الجارحى على الضفة التى هو عليها الآن ، ومسجد شرف الدين الكردى بالحسينية ، والمسجد بخط الموسكى . وبنى للشيخ الحنفى دارا بجوار ذلك المسجد ، بنفذ اليه من داخل . وجدد المارستان المنصورى .

وله عمائر كثيرة ، وقناطر ، وجسور ، فى بلاد الأرياف ، وبلاد الحجاز ، حين كان مجاورا هناك . وبنى القناطر بطندتا فى الطريق الموصلة الى محلة مرحوم .

ورتب للعميان الفقراء الأكسية الصوف المسماة بالزعايط ، فيفرق عليهم جملة كثيرة من ذلك عند دخول الشتاء فى كل سنة ، فيأتون الى داره أفواجا فى أيام معلومة ، ويعودون مسرورين بتلك الكساوى ، وكذلك المؤذنون يفرق عليهم جملة من الاحرامات الطولونية ، يرتدون بها وقت التسبيح فى ليالى الشتاء .

وكذلك يفرق جملة من الخبر المحلاوى والبز الصعيدى والملايات والأخفاف والبوايج القيصرى على النساء الفقيرات والأرامل . ويخرج عند بيته فى ليالى رمضان وقت الافطار عدة من القصاع الكبار المملوءة بالشريد المسقى بمرق اللحم والسمن

للفقراء المجتمعين ، ويفرق عليهم هبر اللحم النضيج ، فيعطى لكل فقير جطله وحصته فى يده ، وعندما يفرغون من الأكل يعطى كل واحد منهم رغيفين ونصف قضة برسم سحوره .. الى غير ذلك .

وبلغت عدة المساجد التى أنشأها وجددها ثمانية عشر مسجدا ، وذلك خلاف الزوايا ، والأسبله ، والسقايات ، والمكاتب ، والأحواض ، والقناطر ، والمربوط للنساء الفقيرات والمنقطعات .

وكان له فى هندسة الأبنية ، وحسن وضع العمار ، ملكة يقتدر بها على ما يرومه من الوضع . وضم لوقفه ثلاث قرى من بلاد الأرز بناحية رشيد وهى : تقينة وديبى وحصة كنامة ، وجعل إيرادها وما يتحصل من غلة أرزها لمصارف الخيرات وطعام الفقراء والمنقطعين . وزاد فى طعام المجاورين بالأزهر ومطبخهم الهريسة فى يومى الاثنين والخميس . وقد تعطل غالب ذلك فى هذا التاريخ الذى نحن فيه لغاية سنة ١٢٢٠ هجرية (١٨٠٥ م) ، بسبب استيلاء الخراب ، وتوالى المحن ، وتعطل الأسباب . ولم يزل هذا شأنه ، الى أن استفحل أمر على بيك ، وأخرجه منفيًا الى الحجاز ، فأقام هنالك اثنتى عشرة سنة .

فلما سافر يوسف بيك أميرا بالحج فى السنة الماضية ، صمم على احضاره صحبته الى مصر ، فأحضره فى تختروان ، وقد استولى عليه الحمى والهرم ، وكرب الغربة ، فدخل الى بيته مريضا فأقام أحد عشر يوما ومات . ولم يخلف بعده مثله .. رحمه الله !

ومن مساويه ، قبول الرشا ، والتحيل على مصادرة بعض الأغنياء فى أموالهم . واقتدى به فى ذلك غيره ، حتى صارت سنة مقررة ، وطريقة مسلوكة ليست منكرا !

وكان سليط اللسان ، ويتصنع الحماقة ... فقفر
الله لنا وله .



ربيع الأول

في أوائله (أبريل ١٧٧٧ م) :

ورد أغا من الديار الرومية يطلب عساكر لسفر
المعجم ، فاجتمع الأمراء وتشاوروا في ذلك ، فاتفق
رأيهم على احضار ابراهيم بيك طنان ، فأحضروه
من المحلة وقلدوه اماراة ذلك .

جمادى الأولى

في أوائله (يونية ١٧٧٧ م) :

وقعت حادثة في طائفة المغاربة المجاورين بالجامع
الأزهر . وذلك أنه آل اليهم مكان موقوف ، وجحد
واضعوا اليد ذلك ، والتجأ الى بعض الأمراء ،
وكتبوا فتوى في شأن ذلك . واختلفوا في ثبوت
الوقف بالاشاعة ، ثم أقاموا الدعوى في المحكمة ،
ولبت الحق للمغاربة ، ووقع بينهم منازعات ،
وعزلوا شيخهم ، وولوا آخر . وكان المندفع في
الخصومة واللسانة شيخا منهم يسمى الشيخ عباس ،
والأمير الملتجئ اليه الخصم يسمى يوسف بيك .
فلما تراقعوا وظهر الحق على خلاف غرض الأمير ،
حقن لذلك ، ونسبهم الى ارتكاب الباطل ، فأرسل
من طرفه من يقبض على الشيخ عباس المذكور من
بين المجاورين ، فطردوا المئين ، وشتموهم وأخبروا
الشيخ أحمد الدردير ، فكتبوا مراسلة الى يوسف
بيك ، تتضمن عدم تعرضه لأهل العلم ، ومعاذة
الحكم الشرعى ، وأرسل صحبة الشيخ عبد الرحمن
الفرنوى وآخر .

فعندما وصلوا اليه وأعطوه التذكرة ، نهزمهم
وأمر بالقبض عليهم ، وسجنهم بالحبس .

ومن سيناته العظيمة التى طار شررها ، وتضاعف
ضررها ، وعم الاقليم خرابها ، وتعدى الى جميع
الدنيا هبابها ... معاضدته لعلى بيك ليقوى به على
أرباب الرأسة . فلم يزل يلقى بينهم الفتن ، ويفرى
بعضهم على بعض ، ويسلط عليهم على بيك المذكور ،
حتى أضعف شوكات الأقوياء ، وأكد العداوة بين
الأصفياء ، واشتد ساعد على بيك .. فعند ذلك
التفت اليه ، وكتب بنابه عليه ، وأخرجه من مصر ،
وأبعده عن وطنه .. فلم يجد عند ذلك من يدافع
عنه ، وأقام هذه المدة في مكة غريبا وحيدا

وأخرج أيضا — في اليوم الذى أخرجه فيه —
نيفا وعشرين أميرا من الاختيارية كما تقدم .

فعند ذلك ، خلا لعلى بيك وخشداشينه الجو ..
فباضوا وأفرخوا ، وامتد شرهم الى الآن الذى
نحن فيه .

فهو الذى كان السبب — بتقدير الله تعالى — في
ظهور أمرهم .

فلو لم يكن له من المساوى الا هذه ، لكفاه !
ولما رجع من الحجاز متعرضا ، ذهب اليه
ابراهيم بيك ومراد بيك ، وباقى خشداشينهم .
ليمدوده — ولم يكن رأيهم قبل ذلك ، فكان من
وصايته لهم :

كونوا مع بعضكم ...

واضبطوا أمركم ...

ولا تدخلوا الأعادى بينكم ...

وهذا يدل عن قوله : أوصيكم بتقوى الله
تعالى ، وتجنبوا الظلم ، وافعلوا الخير ... فان
الدنيا زائلة ... وانظروا حالى ومآلى !

هكذا أخبرنى من كان حاضرا في ذلك الوقت .

ووصل الخبر الى الشيخ الدردير وأهل الجامع ،
فاجتمعوا في صبحها وأبطلوا الدروس والأذان
والصلوات ، وقفلوا أبواب الجامع ، وجلس
المشايع في القبلة القديمة ، وطلع الصغار على
النارات . يكثرزون الصياح والدعاء على الأمراء !

وأغلق أهل الأسواق القريبة الحوانيت . وبلغ
الأمراء ذلك ، فأرسلوا الى يوسف بيك فأطلق
المسجونين ، وأرسل ابراهيم بيك - من طرفه -
ابراهيم أغا بيت المال .. فلم يأخذ جوابا

وحضر الأغا الى الغورية ، ونزل هناك ونادى
بالأمان ، وأمر بفتح الحوانيت ، فبلغ مجاورى
المغاربة ذلك ، فذهب اليه طائفة منهم ، وتبعهم
بعض العوام وبأيديهم العصي والمساوق ، وضربوا
أتباع الأغا ، ورجموهم بالأحجار .. فركب عليهم ،
وأشهر فيهم السلاح هو ومماليكه ، فقتل من
مجاورى المغاربة ثلاثة أنفار ، وانجرح منهم كذلك ،
ومن العامة

وذهب الأغا ، ورجع الفريق الآخر ، وبقي
الهرج الى ثانى يوم ، فحضر اسماعيل بيك والشيخ
السادات وعلى أغا كتندا الجاوشية ، وغيرهم ..
فنزّلوا الأشرفية ، وأرسلوا الى أهل الجامع تذكرة
بانقضاء الجمع ، وتمام المطلوب ، وكان ذلك
عند الغروب .. فلم يرضوا بمجرد الوعد ، وطلبوا
الجامكية والجربة ، فركبوا ورجعوا

وأصبح يوم الأربعاء والحال على ما هو عليه ،
واسماعيل بيك مظهر الاهتمام لنصرة أهل
الأزهر ، فحضر مع الشيخ السادات ، وجلسوا
بالجامع المؤيدى ، وأرسلوا للمشايع تذكرة
صحبة الشيخ ابراهيم السندوبى ، ملخصها أن
اسماعيل بيك تكفل بقضاء أشغال المشايخ وقضاء
حوائجهم ، وقبول فتواهم ، وصرف جماكهم
وجراياتهم .. وذلك بضمان الشيخ السادات له .

فلما حضر الشيخ ابراهيم بالتذكرة ، وقراها
الشيخ عبد الرحمن العريشى جهارا وهو قائم على
أقدامه ، وسمعوها ، أكثروا من الهرج واللفظ ،
وقالوا : هذا كلام لا أصل له !

وترددت الارساليات ، والذهاب والمجيء بطول
النهار ، ثم اصطلحوا وفتحوا الجامع في آخر
النهار ، وأرسلوا لهم في يوم الخميس جانبا من
دراهم الجامكية .

ومن جملة ما اشترطوه في الصلح ، عدم مرور
الأغا والوالى والمحتسب من حارة الأزهر ... وغير
ذلك شروط لم ينفذ منها شيء !

وعمل ابراهيم بيك ناظرا على الجامع عوضا
عن الأغا ، وأرسل من طرفه جنديا للمطبخ ،
وسكن الاضطراب .

وبعد مضى أربعة أيام من هذه الحادثة ،
مر الأغا ، وبعده والى كذلك ، فأرسل المشايخ
الى ابراهيم بيك يخبرونه ، فقال : ان الطريق يمر
بها البر والقاجر ، ولا يستغنى الحكام عن
المرور !

جمادى الآخرة

١٢ منه (١٨ يولية ١٧٧٧ م) :

قبض الأغا على انسان شريف من أولاد البلد
يسمى حسن المدابغى ، وضربه حتى مات . وسبب
ذلك أنه كان في جملة من خرج على الأغا بالغورية
يوم فتنة الجامع !

١٤ منه (٢٠ يولية ١٧٧٧ م) :

خرج اسماعيل بيك جهة العادلية مغضبا .
وسبب ذلك أن مراد بيك زاد في العسف
والتعدي ، خصوصا في طرف اسماعيل بيك .
وابراهيم بيك ينمى بينهم في الصلح .

واجتمعوا في آخر مجلس عند ابراهيم بيك ،
فتكلم اسماعيل بيك كلاما مفحما ، وقال :

أنا تارك لكم مصر ، وإمارتها ، وجاعلكم مثل
أولادي ، ولا أريد الا المعيشة وراحة السر ،
وأتم لا تراعون لى حقا

فحضر في هذه الأيام الى اسماعيل بك مرك
غلل ، فأرسل مراد بيك وأخذ مافيا ا

تم اتفق مراد بيك مع بعض أغراضه ، أنهم
يركون من غدا الى اسماعيل بيك ، ويدخلون
عليه في بيته ، ويقتلونه .

فعلم اسماعيل بيك بذلك ، فركب في الصباح
وخرج الى القادية بمسد أن عزل بيته وحريمه
ليلا ، وجلس بالاشبكية .

وركب مراد بيك ذاهبا الى اسماعيل بيك ،
فوجده قد خرج الى الاشبكية وكان ابراهيم
بيك طلع الى قصر العيني ، فذهب الى مراد بيك .

ولما أتي خروج اسماعيل بيك ، ركب يوسف
بيك وخرج اليه ومعه آخرون ، ووصل الخير الى
ابراهيم بيك ومراد بيك ومن انضم اليهم فركبوا
وحضروا الى القلعة ، وملكوا الأبواب ، وامتلات
الرميلة والميدان بснаكرهم ، واضطربت المدينة ،
وأغلق الناس الدكاكين ، وصحبهم جماعة الى
باب النصر ، وقتحوا الباب ، وطرردوا الوالى ،
واشتد الحال ، وعظمت الفتنة ، فأراد الباشا اجراء
الصلح ، فأرسل أنوب أغا ورجع بجواب : عدم
رضاهم بالصلح

وفي يوم الأربعاء ، دخل عبد الرحمن أغا من
باب النصر ، وشق من وسط المدينة وأمامه المنادى
ينادى على الناس برفع بضائعهم من الحوائيت .
فرفع الناس بواقي بضائعهم من الدكاكين .
وخرجوا من باب زويلة الى الدرب الأحمر ،

الى جامع المرداني ، ثم زحفوا الى التبانة ، الى
قرب المحجر ، وعملوا هناك متاريس ، ولاحت
لوائح الخذلان على من بالقلعة ودخل عليهم
الليل ، وانكف الفريقان ، وأصبح يوم الخميس ،
فدخل الكثير من البرانيين الى المدينة شيئا
فشيئا ، ورابطوا في جميع الجهات ... حتى
انحصروا بالقلعة ، وأخذوا يقبضون عليهم . فلما
شاهدوا الغلبة فيهم ، نزلوا من باب الميدان ،
وذهبوا جهة البساتين الى الصعيد ، فتخلف عنهم
فريق ، وخرج المتخلفون الى اسماعيل بيك
ويوسف بيك ، وطلبوا منهم الأمان ، وانضموا
اليهم

وعندما أتي نزل ابراهيم بيك ، ومراد بيك
من القلعة ، هجم الرابطون بالمحجر وسوق
السلاح ، على الرميلة ، ونهبوا خيامهم
وفي الخميس بعد العصر ، دخل اسماعيل بك ،
ويوسف بيك من باب النصر ، وتوجهوا الى
بيوتهم

وأصبح يوم الجمعة ، فشق عبد الرحمن أغا ،
ونادى بالأمان ، والبيع والشراء ، وراق الحال ...
٢٢ منه (٢٨ يولية ١٧٧٧ م) :

طلع اسماعيل بيك ويوسف بيك الى الديوان ،
فخلع الباشا عليهما خلعتي سمور ، واستقر
اسماعيل بيك شيخ البلد ومدير الدولة .

رجب

٤ منه (٨ اغسطس ١٧٧٧ م - ٤ مسرى ١٢٩٣) :
نودي بوفاء النيل ، ونزل الباشا وكسر السد
على العادة . وجرى الماء في الخليج ، وعاد الباشا
الى القلعة

رمضان

منتصفه (١٧ أكتوبر ١٧٧٧ م) :

ولدت امرأة مولودا يشبه خلقة الفيل ... مثل وجهه وآذانه ، وله نابان خارجان من فمه . وأبوه رجل جمال ، وامراته لما رأت الفيل — وكانت في أشهر وحامها — تقلت شبهه في ولدها ، وأخذ الناس يتفرجون عليه في البيوت والأزقة !!

٢٩ منه (٢١ أكتوبر ١٧٧٧ م) :

ركب امراء اسماعيل بيك وصناجقه وعساكره في آخر الليل ، واحتاطوا ببيت اسماعيل بيك الصغير — أخى على بيك الفزاوى — فركب في مماليكه وخاصته ، وخرج من البيت ، فوجدوا الطرق كلها مسدودة بالمسكر والأجناد ، فنخل من عطفة الفرن يريد الفرار ، وخرج على جهة قنطرة عمر شاه ، فوجد المسكر والأجناد أمامه وخلفه ، فصار يقاتلهم ويتخلص منهم من عطفة الى عطفة ، حتى وصل الى عطفة اليبديق ، وأصيب بسيف على عاتقه ، وسقطت سماته ، وصار مكشوف الرأس الى أن وصل الى تجاه درب عبد الحق بالأزبكية ، فلاقاه عثمان بيك — أحد صناجق اسماعيل بيك — فرده ، وسقط فرسه ، واحتاطوا به ، فنزل على دكان في أسوأ حال ، مكشوف الرأس ، والدم خارج من كركه ، فمصبوا رأسه بعمامة رجل جمال ، وأخذ عثمان بيك الى بيته ، وتركه وذهب الى بيده ، فأخبره ، فخلع عليه فروة وفرسا . وأرسلوا اليه الوالى ، فخنته ، ووضعوه في تابوت ، وأرسلوه الى بيته ، فبات به ميتا ، وأخرجوه في صبحها في مشهد ، ودفنوه ...

وكان اسماعيل بيك قد استوحش منه ، وظهر عليه في أحكامه وأوامره ، وكلما أبرم شيئا عارضه

فيه ، وازدحم الناس على بيته ، وأقبلت اليه أرباب الحكومات والدعاوى ، وصار له عزوة كبيرة ، وانغم اليه كشاف واختيارية ، وحدثته نفسه بالانفراد .

وتخيل منه اسماعيل بيك ... فتركه وما يفعله ، وأظهر أنه مرمود في عينيه ، واقطع بالحريم من أول شهر رمضان ، ثم سافر في أواخره الى النيل لزيارة سيدى أحمد الهدوى ، ثم رجع وبيت مع أتباعه ومن يثق به ، وقاموا عليه وقتلوه ... كما ذكر .

ولما اقضى أمره ، شرع اسماعيل بيك في ابعاد وتقى من كان يلوذ به ، وينتمى اليه .

ذوالقعدة

٨ منه (٨ ديسمبر ١٧٧٧ م) :

سافرت تجريدة لجهة الصعيد للأمراء القباالى ، لأنهم تقوا واستولوا على البلاد ، وقبضوا الخراج ، وملكوا من جرجا الى فوق ، وحسن بيك أمير الصعيد مقيم ، وليس فيه قدرة على مقاومتهم . ومنعوا ورود الضلال ، حتى غلا سرها .

٢١ منه (٢١ ديسمبر ١٧٧٧ م) :

خرج اسماعيل بيك الى ناحية دير الطين ، وعزم على التوجه بنفسه الى قبلى ، وأرسل الباشا فرمات لساير الأمراء ، والوجاقلية ، وأمرهم جميعا بالسفر . فخرجوا جميعا ، ونصبوا وطاقتهم عند المعادى ، ونزل الباشا وجلس بقصر العينى .

٢٧ منه (٢٧ ديسمبر ١٧٧٧ م) :

عسدى اسماعيل بيك الى البر الثانى ، وترك بمصر عبد الرحمن أنغا مستحفظان كغدا ، ورضوان بيك بلفيا ، وعثمان بيك طبل وإبراهيم بيك قشقة

والسقوف والأخشاب والرواشن ، والخرط
والأدهان ... ثم يوسوس له شيطانه فيهدمها الى
آخرها وينبئها ثانيا على وضع آخر ، وهكذا ..
كان دأبه !

واتفق أنه ورد اليه من بلاده القبلية ثمانون
ألف أردب غلال ، فوزعها بأسرها على الموانة في
ثمن الجبس والجير ، والأحجار والأخشاب ،
والحديد وغير ذلك !

وكان فيه حدة زائدة ، وتخليط في الأمور
والحركات ، ولا يستقر بالمجلس .. بل يقوم ويقعد ،
ويصرخ ويروق حاله في بعض الأوقات .. فيظهر
فيه بعض انسانية . ثم يتغير ويتعكر من أدنى
شيء !

ولما مات سيده محمد بيك ، وتولى امانة
الحج ، ازداد عتوا وعسفا وانحراقا ، خصوصا
مع طائفة الفقهاء والمتعلمين ، لأمور تقمها عليهم .

ومن هذه الأمور .. أنه اتفق أن الشيخ عبد
الباقى ، ابن الشيخ عبد الوهاب العفيفى ، طلق
على زوج بنت أخيه في غيابه ، على يد الشيخ حسن
الجداوى المالكى — على قاعدة مذهبه — وزوجها
من آخر .

وحضر زوجها من القيوم ، وذهب الى ذلك
الأمير ، وشكا له الشيخ عبد الباقي ، فطلبه فوجده
غائبا في منية عفيف ، فأرسل اليه أعوانا أهانوه ،
وقبضوا عليه ، ووضعوا الحديد في رقبته ورجليه ،
وأحضره في صورة منكرة ، وجبسه في حاصل
أرباب الجرائم من الفلاحين ...

فركب الشيخ على الصعيدي العدوى ، والشيخ
الجداوى ، وجماعة كثيرة من المتعلمين ، وذهبوا
اليه .

صهره ، وحسين بيك ، ومقدام الأبواب ، لحفظ
البلد . فكان المقام يدورون بالطوف في الجهات
ليلا ونهارا .. مع هدوء سر الناس ، وسكون
الحال ، في مدة غياب الجميع !

ذوالحجّة

٦ منه (٤ يناير ١٧٧٨ م) :

وصلت مكاتبات من اسماعيل بيك ، ومن الأمراء
الذين بصحبته ، بأنهم وصلوا الى المنية ، فلم يجدوا
بها أحدا من القبليين ، وأنهم في أسوط ، ومعهم
اسماعيل أبو على من كبار الهوارة .

وفي هذه السنة مات الأمير يوسف بيك الكبير
— وهو من أمراء محمد بيك أبو الذهب — أمره
في سنة ١١٨٦ هجرية ، وزوجه بأخته ، وشرع في
بناء داره على بركة الفيل ، داخل درب الحمام ،
تجاه جامع الناس .

وكان يسلك اليها من هذا الدرب ، ومن طرق
الشيخ الظلام ، وكان هذا الدرب كثير العطف ،
ضيق المسالك ، فأخذ بيوته — بعضها شراء ،
وبعضها غصبا — وجعلها طريقا واسعة وعليها بوابة
عظيمة . وأراد أن يجعل أمام باب داره رحبة
متسعة ، فعارضه جامع خير بيك حديد ، فعزم على
هدمه ونقله الى آخر الرحبة ، فسأل المرحوم الوالد
(والد المؤلف) ، وكان يعتقد ، ويخج الى قوله ،
فقال له : لا يجوز ذلك . فامتثل وتركه على حاله

واستمر يعمر في تلك الدار نحو خمس سنوات ،
وأخذ بيت الداودية الذى بجواره ، وهدمه جميعه ،
وأدخله فيها ، وصرف في تلك الدار أموالا عظيمة ،
فكان يبنى الجهة منها حتى يتمها بعد تبليطها
وترخيصها بالرخام البدقي الخرفة المحكم الصنعة ،

وخطبه الشيخ الصعدي ، وقال له : ماهذه
الأفعال ، وهذا التجارى ؟

فقال له : أفعالكم يامشايع أقبح .. !
فقال له : هذا قول فى مذهب المالكية ،
معمول به .

فقال : من يقول ان المرأة تطلق زوجها اذا غاب
عنها ، وعندها ماتنفقه ، وما تصرفه ، ووكيله يعطيها
ما تطلبه ، ثم يأتى من غيبته فيجدها مع غيره ؟ !

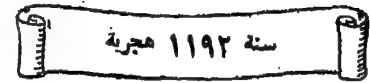
فقالوا له : نحن أعلم بالأحكام الشرعية ..
فقال : لو رأيت الشيخ الذى فسخ الزواج !
فقال الشيخ الجداوى : أنا الذى فسخت الزواج
على قاعدة مذهبي ...

فقام على أقدامه وصرخ وقال : والله أكر
رأسك !

فصرخ عليه الشيخ على الصعدي ، وسببه ،
وقال له :

لعنك الله ! ولعن اليسرجى الذى جاء بك ! ومن
باعك ! ومن اشتراك ! ومن جعلك أميرا ! !

فتوسط بينهم الحاضرون من الأمراء ، يسكتون
حدثه ، وأحضروا الشيخ عبد الباقي من الحبس ،
فأخذوه وخرجوا وهم يسبونوه ، وهو يسمعهم .. !



المحترم

٧ منه (٥ فبراير ١٧٧٨ م) :

حضر اسماعيل كتخدا عزبان وبعض صناع
اسماعيل بيك .

٩ منه (٧ فبراير ١٧٧٨ م) :

وصل اسماعيل بيك ، وعدى من معادى

الخيرى ، ودخل الى مصر ، وذهب الى بيته ، وكثر
الهرج فى الناس بسبب حضوره ، ومن وصل قبله
— على هذه الصورة — ثم تبين الأمر بأن حسن
بيك الجداوى وخشداشينه وجماعة الفلاح بأسرهم ،
وكشاف ومماليك وأجناد ، ومغاربة : خامر الجميع
على اسماعيل بيك ، والتفوا على ابراهيم بيك ومراد
بيك ومن معهم . فعند ذلك ركب اسماعيل بيك
بمن معه وطلب مصر ، حتى وصلها فى أسرع وقت
وهو فى أشد ما يكون من القهر والغيتظ . وفى الصباح
أرسل اسماعيل بيك ومنع المعادى من التعدية .

وفى يوم الاثنين ، طلعوا الى القلعة ، وعملوا
ديوانا عند الباشا ، وحضر الموجودون من الأمراء
والوجاقلية والمشايع . وتناووزوا فى هذا الشأن ،
فلم يستقر رأى على شىء ، ونزلوا الى بيوتهم ،
وشرعوا فى توزيع أمتيحتهم وتعزل يسوتهم .
واضطربت أحوالهم .

١٤ منه (١٢ فبراير ١٧٧٨ م) .

نزل اسماعيل بيك وصناعه بالعادية ، فى هذه
الليلة ، وباتت الناس فى وجل .

١٥ منه (١٣ فبراير ١٧٧٨ م) :

أشيع خروج اسماعيل بيك ومن معه ، ووقع
التهب فى بيوتهم وركبوا فى صبح ذلك اليوم
رذهبوا الى جهة الشام ، فكانت مدة اماره اسماعيل
بيك وأتباعه على مصر — فى هذه المرة — ستة
أشهر وأياما .

وعدى مراد بيك ومصطفى بيك وآخرون ، فى
ذلك اليوم ، وكذلك ابراهيم أغا الوالى — الذى
كان فى أيامهم — وشق المدينة ونادى بالأمان ،
وأرسل ابراهيم بيك يطلب من الباشا فرمانا بالأذن
بالدخول .

١٧ منه (١٢ يونية ١٧٧٨ م) :

ركب مراد بيك وخرج الى مرمى الشباب منتفخا من القهر ، مفكرا في أمره مع العلوية . فحضر اليه عبد الرحمن بيك وعلى بيك الحبشى من العلوية ، فعندما أراد عبد الرحمن بيك القيام ، عاجله مراد بيك ومن معه .. وقتلوه .. وفر على بيك الحبشى وغطى رأسه بفوقانيته ، وانزوى شجر الجميز ، فلم يروه .

فلما ذهبوا ، ركب وسار مسرعا حتى دخل على حسن بيك الجداوى في بيته ، وركب مراد بيك وذهب الى بيته ، واجتمع على حسن بيك أغراضه ، وعشيرته ، وأحمد بيك شنن ، وسليمان كتخد ، وموسى آغا الوالى ، وحسن بيك رضوان أمير الحج ، وحسن بيك سوق السلاح ، وإبراهيم بيك بلفيا ... وكرنكوا في بيت حسن بيك الجداوى بالداودية ، وعملو متاريس في ناحية باب زويلة ، وناحية باب الخرق والسروجية والفتنرة الجديدة . واجتمع على مراد بيك خشداثينه وعشيرته وهم مصطفى بيك الكبير مصطفى بيك الصغير وأحمد بيك الكلارجى . وركب إبراهيم بيك من قبة العزب ، وطلع الى القلعة ، وملك الأبواب ، وضرب المدافع على بيت حسن بيك الجداوى ، ووقع الحرب بينهم ، وأغلقت الأسواق والحوانيت ، واستمر الضرب بين الفريقين في الأزقة والحارات . ويزحفون على بعضهم تارة ، ويتأخرون أخرى ، وينقبون البيوت على بعضهم ، فحصل الضرر للبيوت الواقعة في حيزهم ، من النهب والحرق والقتل . ثم ان المحمدية تسلق منهم طائفة من الخليج ، وطلعوا من عند جامع الحين من بين المتاريس ، وفتحوا بيت عبد الرحمن آغا من ظاهره ، وملكوه ، وركبوا عليه المدافع ، وضربوا على بيت الجداوى ، فعند ذلك عاين العلوية القلب . فركبوا ، وخرجوا من باب زويلة الى باب النصر . والمحمدية

فكتب لهم الباشا فرمانا وأرسله صحبة ولده وكتخدائه ، وهو سعيد بك .

٢١ منه (١٩ فبراير ١٧٧٨ م) :

طلع إبراهيم بيك وأتباعه الى الديوان ، فخلع الباشا على إبراهيم بيك ، واستقر في مشيخة البلد كما كان ، واستقر أحمد بك شنن صنجقا كما كان ، وقتل عثمان آغا خازن دار إبراهيم بيك صنجقية — وهو الذى عرف بالأمير — وقتلوا مصطفى كاشف المنوفية صنجقية أيضا ، وعلى كاشف أغات مستحفظان ، وموسى آغا — من جماعة على بيك — واليا كما كان أيام سيده .

في لواخره (مارس ١٧٧٨ م) :

وردت أخبار بأن إسماعيل بيك ومن معه وصلوا الى غزة . واستقر المذكورون بمصر ، علوية ، ومحمدية ، والعلوية شاذة على المحمدية ، ويرون المنة لأنفسهم عليهم ، والفضيلة لهم بخامرتهم معهم . ولولا ذلك مدخلوا مصر ، ولا يمكن المحمدية التصرف في شيء الا بأذنهم وإراهم ، بحيث صاروا كالمجور عليهم ، لا ياكلون الا ما فضل عنهم .

جداوى الأولى

٨ منه (٤ يونية ١٧٧٨ م) :

حضر الى مصر إبراهيم بيك أوده باشا من غزه مفارقا لإسماعيل بيك ، وقد كان أرسل قبل وصوله يستأذن في الحضور ، فأذنوا له . وحضر وجلس في بيته ، وتخلل منه رضوان بيك ، وقصد فيه فالتجأ الى مراد بيك وانضم اليه ، وقال له مراد بيك : لا تخش من أحد . فحسرك ذلك ماكن في صدور العلوية .

الخلا . فلخل المدينة ، وذهب الى بيت ابراهيم
يك فوجده جالسا مع مراد يك ، فاستجار بابراهيم
يك فأجاره وأمنه ، ومكث في بيته خسة أيام وهو
كالمختل في عقله مما قاماه من معاناة الموت مرارا .
ثم رسما له أن يذهب الى جدة وأرسلوه الى
السويس في محفة . فلما نزل بالركب أمر الرئيس
أن يذهب به الى القصير فامتنع ، فأراد قتله ، فذهب
بالركب الى القصير . فطلع الى الصعيد .

مماوى الآخرة

فيه : حضر الى مصر سليمان كتخدا الشرايى ،
كتخدا اسماعيل يك ، وعلى يده مكاتبة من
اسماعيل يك مضمونها : يريد الاذن بالتوجه الى
أخميم أو الى السرو ورأس الخليج ، يقيم هناك ،
ويبقى ابراهيم يك بمشقة بمصر رهينة ، ويكون
وكيله في تعلقاته وقبض فائضه والصلح أحسن
وأولى . فعملوا ديوانا وأحضروا المشايخ والقاضى
وعرضوا عليهم تلك المكاتبة ، واشتوروا في ذلك ،
فانحط الرأي بأن يرسلوا له جوابا بالسفر الى جدة
من السويس ويطلقوا له في كل ستة أربعين كيسا
وستة آلاف أردب غلال وحبوب ، وأن يرسل
ابراهيم يك صهره كما قال الى مصر ويكون وكيله
عنه ، ومن بصحبته من الأمراء يحضرون الى مصر
بالأمان ويقيمون برشيد وديباط والمنصورة . .
ونحو ذلك . وأرسلوا المكاتبة صعبة سليم كاشف
تبرلك أخى اسماعيل يك المقتول وآخرين .

وفيه : رسما بنفى ابراهيم يك أوده باشه
وسليمان كتخدا الشرايى وكان أشيع تقليد ابراهيم
يك الصنحية في ذلك اليوم وتها لذلك وحضر
في الصباح عند ابراهيم يك . فلما دخل رأى عنده
مراد يك فاخليا معه . فأخرج ابراهيم يك من
جيبه مكتوبا مسكوه عليه من اسماعيل يك خطا

خلفهم ، شاهرين السيوف يحجون بالخيول . فلما
خرجوا الى الخلا ، التقوا معهم ، فقتل حسن يك
رضوان أمير الحج ، وأحمد يك شتن ، وابراهيم
يك بلفيا المعروف بشلاق ، وغيرهم أجناد وكشاف
ومماليك . وفر حسن يك الجداوى ورضوان
يك ، ولم يقتل أحد من المحدثين ، سوى مصطفى
يك الكبير ، أصابته رصاصة في كتفه ، انقطع
بسببها أياما ثم شفى . وأما حسن يك ورضوان
يك فهربا في طائفة قليلة ، وخرج عليهم العربان
فقاتلوهما قتالا شديدا ، وتفرقا من بعضهما ،
وتخلص رضوان يك وذهب في خاصته الى شين
الكوم . وأما حسن يك الجداوى فلم تزل العرب
تحاوره حتى أضعفوه ، وتفرق من حوله . وشيخ
العربان سعد صحصاح يتبعه ويقول له :

أين تذهب يا ابن الملعون .. ونحو ذلك . ثم
حلق عليه رتيمة شيخ عرب بلى ، فتقنطر به الحصان
في ملة كنان ، فقبضوا عليه وأخذوا سلاحه ،
وعروه وكتفوه ، وصفعه رتيمة على قفاه
ووجهه اثم سحبوه بينهم ماشيا على أقدامه وهو
صاف ، وأرسلوا له كاشفا . فلما حضر اليه وواجهه ،
لاطفه ، فقال له :

الى أين تذهب بى ؟ فقال له : محل ماتريد .
فلما دخل الى مصر سار الى بولاق ، ودخل بيت
الشيخ أحمد الدمنهورى ، فركب جماعة كثيرة من
المحمدية وذهبوا الى بولاق ، وطلبوه ، فامتنع
من اجابته . فلم يجسروا على أخذه قهرا من بيت
الشيخ ، فدخله الوهم ، وطلع الى السطح ، ونط
الى سطح آخر . ولم يزل حتى نزل بالقرب من وكالة
الكتان ، فصادف بعض المماليك فضربه ، وأخذ
حصانه وركبه ، وذهب راجعا بمفرده ، وأشيع هروبه

فركبت اليه الأجناد ، وحلقوا عليه الطرق ، فصار
يقاتل من يدركه . ولم يجد طريقا مسلوكا الى

رجب

٢١ منه (١٥ أغسطس ١٧٧٨ م - ١٠ مسرى ١٤٩٤) :
كان وفاء النيل المبارك . وزاد النيل في هذه
السنة زيادة مفرطة . حتى انقطعت الطرقات من كل
ناحية واستمر الى آخر توت (اكتوبر ١٧٧٨ م) .

شعبان

٢٢ منه (١٥ سبتمبر ١٧٧٨ م) :

حضر من أخير أن جماعة من الأجناد حضروا
من ناحية غزة وصحبته عبد الرحمن أغا مستحفظان
على الهجن ، ومروا من خلف الجرة ، وذهبوا الى
قبلى ، وتخلف عنهم عبد الرحمن أغا في حلوان
لفرض من الأغراض ، ينتظره من مصر . فركب من
ساعته مراد بيك في عدة ، وذهبوا الى حلوان ليلا
على حين غفلة واحتاطوا بها وبدار الأوسية وقبضوا
على عبد الرحمن أغا وقطعوا رأسه . ورجع مراد بيك
وشق المدينة ، والرأس أمامه على رمح . ثم أحضروا
جثته الى بيته الصغير بالكعكيين ، وغسلوه وكفنوه ،
وخرجوا بجنازته وصلوا عليه بالماردانى . ثم
ألقوا به الرأس في الرميطة ، ودفنوه بالقرافة ،
ومضى أمره .

رمضان

في اواخره (اكتوبر ١٧٧٨ م) :

هرب رضوان بيك على شبين الكوم وذهب الى
قبلى . فلما فعل ذلك عينوا ابراهيم بيك الوالى ،
فنزله الى رشيد وقبض على على بيك الحبشى
وسليمان كتحدا وقتلها ، وأما ابراهيم بيك أوده
باشه فهرب الى القبطان واستجار به .

له ، مضمونه : أنه بلغنا ما صنعت في ايقاع الفتنة
بين الجماعة ، وهلاك الطائفة الخائنة . . وفيه : أن
ياخذ من الرجل المهود كذا من النقود يوزعها على
جهات كتها له . . وربنا يجمعنا في خير . فلما
تناوله من ابراهيم بيك وقراه قال في الجواب :
كل منكم لا يجهل مكاييد اسماعيل بيك ، وأنكر
ذلك بالكلية . فلم يقبلوا عذره ، ولم يصدقوه ،
وقام وذهب الى بيته ، فأرسلوا خلفه محمد كتحدا
أبازلة ، فأخذه وصحبته مملوك كان فقط ، ونزل به الى
بولاق وثقوه الى رشيد ، وكذلك نفوا سليمان
كتحدا الشرايبي واحتاطوا بوجود ابراهيم بيك .

١١ منه (٧ يولية ١٧٧٨ م) :

وصل ابراهيم باشا والى جدة ، وذهب الى
العادية وجلس هناك بالقصر حتى شهلوه ، وسفروه
الى السويس بعد ما ذهبوا اليه وودعوه .

١٩ منه (١٥ يولية ١٧٧٨ م) :

ركب الأمراء وطلعوا الى باب الينكجيرية والعزب
وأرسلوا الى الباشا كتحدا الجاويشية وأغات
المتفرقة والترجمان وكاتب حوالة ، وبعض
الاختيارية ، يأمرونه بالنزول الى بيت حسن بيك
الجدوى ، وهو بيت الداوودية . فلما قالوا له ذلك
قال : وأى شئ مذلبى حتى أعزل ، فرجعوا وأخبروهم
بمقالة الباشا ، فأمرؤا أجنادهم بالركوب ، فطلعوا
الى حوش الديوان واجتمعوا به حتى امتلا منهم ،
فارتعب الباشا منهم ، فركب من ساعته ونزل من
القلعة الى بيت الداوودية ، وأحضروا الجمال وعزلوا
متاعه في ذلك اليوم . فكانت مدة ولايته سنتين
وثلاثة أشهر .

شوال

١٩ منه (١٠ نوفمبر ١٧٧٨ م) :

خرج المحمل والحجاج صحبة أمير الحج رضوان بيك بلفيا .

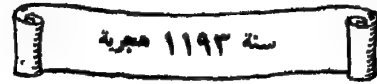
٢٧ منه (١٨ نوفمبر ١٧٧٨ م) :

سافر المحمل من البركة .

ذوالقعدة

١٥ منه (٤ ديسمبر ١٧٧٨ م) :

نزل أرباب العكاكيز وهم على كتفها جاجان وأغات المتفرقة والترجمان ، وكان حواله وأرباب الخدم ، وسافروا لملاقة الباشا الجديد .



المحرم

السبت ٥ منه (٢٣ يناير ١٧٧٩ م) :

وصل الى مصر اسماعيل باشا والى مصر ، وبات ببر اباب ليلة السبت المذكور ، وركب الأمراء فى صبحها وقابلوه ، ورجعوا وعدى الآخر وركب الى العادلية وجلس بالقصر ، وتولى أمر السماط مصطفى بيك الصغير .

الثلاثاء ٩ منه (٢٧ يناير ١٧٧٩ م) :

ركب الباشا بالوكب ودخل من باب النصر ، وشق القاهرة وطلع الى القلعة ، وعملوا له شنكا ومدافع ، ووصل الخبر بنزول اسماعيل بيك الى البحر وسفره من الشام الى الروم .. وغاب أمره .

ربيع الأول

فى اواخره (ابريل ١٧٧٩ م) :

وفعت حادثة بالجامع الأزهر بين طائفة الشوام

وطائفة الأتراك بين المغرب والعشاء . فهجم الشوام على الأتراك وضربوهم . فقتلوا منهم شخصا وجرحوا منهم جماعة . فلما أصبحوا ذهب الأتراك الى ابراهيم بيك ، وأخبروه بذلك ، فطلب الشيخ عبد الرحمن العرايشى مفتى الحنفية ، والتكلم على طائفة الشوام وسأله عن ذلك ، فأخبره عن أسماء جماعة ، وكتبهم فى ورقة ، وعرفه أن القاتلين تغييوا وهربوا ، ومتى ظهر وا أحضرهم اليه .. ولما توجه من عنده تفحص ابراهيم بيك عن مسميات الأسماء ... فلم يجد لهم حقيقة ! . فأرسل الى الشيخ أحمد العروسى شيخ الأزهر وأحضر بقية المشايخ وطلب الشيخ عبد الرحمن فتغيب ، ولم يجده ، فاغتاط ابراهيم بيك ومراد بيك وعزلوه عن الاقتاء ، وأحضروا الشيخ محمد الحريرى وألبسوه خلعة ليكون مفتى الحنفية عوضا عن الشيخ عبد الرحمن ، وحشوا خلفه بالطلب ليخرجوه من البلدة متفياقشف فيه شيخ السادات ، وهرب طائفة الشوام بأجمعهم ، وسمر الأغا رواقهم ، ونادوا عليهم . واستمر الأمر على ذلك أياما ، ثم منعوا المجادلة والطبيرة . من دخول الرواق ، ويقطع من خبزهم مائة رغيف تعطى للأتراك ذية المقتولين ، وكتب بذلك محضر باتفاق المشايخ والأمراء ، وفتحوا الرواق ، ومرض الشيخ العريشى من قهره .. وتوفى .

جمادى الآخرة

(يونية ١٧٧٩ م) :

جاءت الأخبار بأن حسن بيك ورضوان بيك قوى أمرهم ، وجمعوا جموعا ، وحضروا الى دجرجا ، والتف عليهم أولاد همسام والجفافة واسماعيل أبو على . فتجهز مراد بيك وسافر قبله أيوب بيك الصغير . ثم سافر هو أيضا . فلما قربوا من دجرجا ، ولى القبالي وصعدوا الى فوق ، فأقام مراد بيك فى دجرجا الى أوائل رجب . وقبض على

اسماعيل أبى على وقتله ونهب ماله وعبيده ، وفرق
بلاده على كشافه وجماعته .

رجب

١٥ منه (٢٩ يولية ١٧٧٩ م) :

ظهر بمصر وضواحيها مرض . سموه بأبى الركب ،
ونشأ في الناس قاطبة حتى الأطفال . وهو عبارة عن
حمى ، ومقدار شدته ثلاثة أيام . وقد يزيد على
ذلك ، وينقص بحسب اختلاف الأمزجة ، ويحدث
وجعا في المفاصل والركب والأطراف ، ويوقف حركة
الأصابع وبعض ورم ، ويبقى أثره أكثر من شهر ،
ويأتى الشخص على غفلة ، فيسخن البدن ويضرب
على الانسان دماغه وركبه ، ويذهب بالعرق
والحمام .. وهو من الحوادث الغريبة .

٢٠ منه (٣ افسطس ١٧٧٩ م) :

وصل مراد بيك من ناحية قبلى ، وصحبته
منهوبات وأبقار وأغنام كثيرة .

٢٢ منه (٥ افسطس ١٧٧٩ م - ٢ مسرى ١٤٩٥) :

أوفى النيل المبارك . ثم زاد في ليلتها زيادة كثيرة
حتى علا على السد وجرى الماء في الخليج بنفسه .
وأصبح الناس فوجدوا الخليج جاريا ، وفيه
المراكب . فلم تحصل الجمعية ، ولم ينزل الباشا
على العادة .

شعبان

في اواخره (سبتمبر ١٧٧٩ م)

وصل الى مصر قابجى باشا ويده أوامر بعزل
اسماعيل بيك عن مصر ، ويتوجه الى جدة . وأن
ابراهيم باشا والى جدة ، يأتى الى مصر . وفرمان
آخر بطلب الخزينة .

شوال

(اكتوبر - نوفمبر ١٧٧٩ م) :

فيه : وصلت الأخبار بموت على بيك السروجى
وحسن بيك سوق السلاح بغزة .

١٨ منه (٢٩ اكتوبر ١٧٧٩ م) :

عمل موكب المحمل ، وخرج الحجاج وأمير الحج
مراد بيك ، وخرج في موكب عظيم وطلب كثير
وتفاخر . وماجت مصر وماجت ، في أيام خروجه ،
بسبب الاطلاب ، وجمع الأموال ، وطلب الجمال
والبغال والحمير . ولغصبوا بفال الناس ، ومن
وجدوه راكبا على بغلة أنزلوه عنها ، وأخذوها منه
قهرا . فان كان من الناس المعتبرين أعطوه ثمنها
والا فلا ، وغلت أسعارها جدا .

ولم يعهد حج مثل هذه السنة في كل شيء .
وسافر فيه خلائق كثيرة من سائر الأجناس ، وسافر
صحبة مراد بيك أربعة صناجق ، وهم : عبد الرحمن
بيك عثمان ، وسليمان بيك الشابورى ، وعلى بيك
المالطى ، وذو الفقار بيك ، وأمراء وأغوات ..
وغير ذلك أكابر كثيرة وأعيان وتجار .

وفيه : حضر واحد أغا وعلى يده تقرير لاسماعيل
باشا على مصر كما كان .. وكان — لما أتمه العزل —
نزل من القلعة في غرة رمضان ، وصام رمضان
في مصر العتيقة . ولما انقضى رمضان تحول الى
العادية ليتوجه الى السويس ويذهب الى جدة
— حسب الأوامر السابقة — فقدّر الله بموت
ابراهيم باشا ، وحضر التقرير له بالولاية ثانيا .

ذوالقعدة

٦ منه (١٥ نوفمبر ١٧٧٩ م) :

ركب اسماعيل باشا الى القلعة من باب الجبل .
بعد التقرير له بالولاية ثانيا .

بكليته ... الا أنه كان رئيسا عاقلا ، صاحب
طبيعة ، ويحب المؤانسة والمسامرة .

سنة ١١٩٤ هجرية

سفر

١١ منه (١٧ فبراير ١٧٨٠ م) :

١٠ منه (١١ أغسطس ١٧٨٠ م - ٧ مسرى ١٢٩٦) :

أوفى النيل المبارك ، وكسر السد في صباحها ،
بحضرة ابراهيم بيك قائمقام مصر والأمراء

وفي أواخره (أغسطس ١٧٨٠ م) :

شرع الأمراء في تجهيز تجريدة ، وسفرها الى
جهة قبلى ، لاستفحال أمر حسن بيك ورضوان
وانه انضم اليهم كثير من الأجناد وغيرهم ، وذهب
اليهم جماعة اسماعيل بيك . فعندما تحققوا ذلك ،
أخذوا في تجهيز تجريدة وأميرها مراد بيك وصحبته ،
وطلبوا الاحتياجات واللوازم ، وحصل منهم
الضرر . وطلب مراد بيك الأموال من التجار
وغيرهم .. مصادرة ، وجمعوا المراكب ، وعطلوا
الأسباب ، وبرزوا بخيامهم الى جهة البساتين .

شوال

٢٠ منه (١٩ أكتوبر ١٧٨٠ م) :

كان خروج المحمل والحجاج صحة أمير الحج
مصطفى بيك الصغير

سنة ١١٩٥ هجرية

المحرم

١٥ منه (١١ يناير ١٧٨١ م) :

قبض ابراهيم بيك على ابراهيم أنبا بيت المال ،
المعروف بالمسلماني ، وضربه بالنابيت حتى مات
وأمر بالقائه في بحر النيل ، فألقوه وأخرجوه عيناله
بعد أيام من عند شبرا فأتوا به الى بيته وغسلوه
وكفنوه ودفنوه .. ولم يعلم لذلك سبب .

دخل الحجاج الى مصر وأمير الحج مراد بيك ،
ووقف لهم العربان في الصفرة والجديدة ، وحضروا
الحجاج بين الجبال وحاربوهم نحو عشر ساعات
ومات كثير من الناس والغز والأجناد ، ولهبت
بضائع وأحمال كثيرة ، وكذلك من الجبال
والدواب . والعرب بأعلى الجبال ، والحج
أسفل ... كل ذلك والحج سائر .

رجب

٣ منه (٥ يولية ١٧٨٠ م) :

اجتمع الأمراء ، وأرسلوا الى الباشا أرباب
العكاكيز ، وأمره بالنزول من القلعة معزولا .
فركب في الحال ونزل الى مصر العتيقة ، ونقلوا
عزاله ومتاعه في ذلك اليوم واستلموا منه
الضربخانة ، وعمل ابراهيم بيك قائمقام مصر .
فكانت مدة ولاية اسماعيل باشا - في هذه
المررة - ثمانية أشهر تنقص ثلاثة أيام

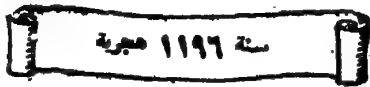
وكان أصله رئيس الكتاب باسلامبول ، وكان
مراد بيك .. هذا ، أصله من مماليكه ! فباعه
لبعض التجار في معاوضة ، وحضر الى مصر ولم
يزل حتى صار أميرها . وحضر سيده هذا في أيام
امارته ... وهو - مراد بيك - الذي عزله من
ولايته ، ولكن كان يتأدب معه ، ويهابه كثيرا ،
ويذكر سيادته عليه . وكان هذا الباشا أعوج العنق
للغاية ، وكان قد خرج له خراج فعالجه بالقطع
فعجزت العروق ، وقصرت ، فاعوج عنقه ، وصارت
لحيته عند صدره ، ولا يقدر على الالتفات الا

فقلت له : كيف وصلت الى هذه اليثيمة ؟
وما مقدار ما دفعته فيها من المهر والقيمة ؟

فأخبرني أنه اشتراها من ابن الشيخ بعشرين
ريالا .. وكتاب المجسطي ، وكتاب التبصرة ، وشرح
التذكرة ، ونسخة البارع في غاية الجودة ، وزيج
ابن الشاطر ، وغير ذلك من الكتب التي لا توجد
في خزائن الملوك .. وكلها بمثل ذلك الثمن
البخس ...

فقضيت أسفا ! وأخذ الجميع مع ما أخذ ،
وذهب الى بلاده .

وهكذا حال الدنيا !



من

(اواخر يناير واول فبراير ١٧٨٢ م) :

نزل مراد بيك وشرح (ا) بالاقاليم البحرية ،
وطاف البلاد بالشرقية ، وطلب منهم أموالا ، وفرد
عليهم مقادير من المال عظيمة ، وكلنا وحق طسرق
معينين .. وغير ذلك ما لا يوصف !

ثم نزل الى الغريبة وفعل بها كذلك ، ثم المنوفية

شعبان

في منتصفه (٢٦ يولية ١٧٨٢ م) :

ورد آغا بطلب محمد باشا ملك الى الباب
ليتولى الصدارة ، فنزل من القلعة الى قصر العيني ،
وأقام بقية شهر شعبان ، ونزل في غرة رمضان
وسافر الى الاسكندرية .. فكانت مدة ولايته ١٣
شهرًا ونصفا .

وهاداه الأمراء ولم يعاسبوه على شيء . ونزل
في غاية الاعزاز والاكرام .

وكان من أفاضل العلماء ، متضلعا من مسائل

وكان عنده ، من جملة كتبه ، زيج الراصد
لغنيك السمرقندي ، نسخة شريفة بخط العجم
(الخط الفارسي) ، في غاية الجودة والصحة
والإتقان ، وعليها تقييدات وتحريرات وفوائد
شريفة لا يسبح الدهر بمثل تلك النسخة . وكنت
كثيرا ما أسمع من المرحوم الوالد ذكرها ومدحتها ،
ويقول : ليس في الدنيا الا نسختي ونسخة الشيخ
ابراهيم الزمزمي ونسخة حسن افندي قطه مسكين
ولا يعتمد على غيرهم في الصحة ، لأنهم كتبوا
وصححوا في عهد الراصد

ونسخة الوالد مکتوب عليها بخط رستم شاه
ما نصه : « قد اشترينا هذا الكتاب في دار سلطنة
هراة باثني عشر ألف دينار » .. وتحت ذلك اسمه
وختمه .

فلما كان في سنة ست وتسعين ورد علينا بعض
الحجاج الجزائرية وسألني عن كتب يشتريها —
من جملتها الزيج المذكور — وأرغبني في زيادة
الثمن ، فلم تسمح نفسي في شيء من ذلك .

ثم سافر الى الحج ورجع وأتاني ، ومع خادمه
دزمة كبيرة فوضعها بين أيدينا وفتحها وأخرج منها
نسخة الزيج المذكورة ، وفرجني عليها ، وقال :
أيها أحسن ؟ نسختك التي ضننت بها ، أو هذه ؟
.. وكنت لم أرها قبل ذلك . فرأيتها شقيقتها ،
وتزيد عنها في الحسن صغر حجما ، وكثرة
التقييدات بهامشها ، وطيارات كثيرة بداخلها في
المسائل المعضلة — مثل التسييرات والانتهايات
والنمودارات وغير ذلك — وجميعها بحسن الخط
والوضع ، فرأيتها المخدرة التي كشف عنها القناع ،
وانما هي المعشوقة بالسمع (١) ..

(١) حين تدلهم الحوادث ، وتدمم الخطوب ، وتتوالى الكوارث
على أمة يكتنفها الظلام الحالك من جميع جنباتها ونواحيها .. لم
تجد — تحت رماد تكباتها المتكاثف — هذا الوهج المقدس من حب
العلم ، وهذا الاقتتان والشغف بكتبه .. تعلم أن هدهامة لن تغيب
لها جدوة ، ولن ينطفئ لها نور ، ولن يخبر لها شمع ...

الفنون ، ويجب المذاكرة والمباحثة والمسامرة
وأخبار التواريخ وحكايات الصالحين وكلام القوم .
وكان طاعنا في السن ، منور الشبية ، متواضعا .

رمضان

اواسطه (اواخر افسطس ١٧٨٢ م) :

حصر الباشا الجديد ، ونزل اليه الملائقة .

شوال

١٠ منه (١٨ سبتمبر ١٧٨٢ م) :

— طلع الباشا الجديد الى قصر العيني ، فبات به
وركب بالموكب في صباحها ، وممر من جهة الصليية ،
وطلع الى القلعة .. وذلك على خلاف العادة .

وفيه : جاءت الأخبار على أيدي السفارالواصلين
من اسلامبول بأنه وقع بها حريق عظيم لم يسمع بمثله .
واحترق منها نحو الثلاثة أرباع ، واحترق خلق
كثير في ضمن الحريق ، وكان أمرا مهولا .

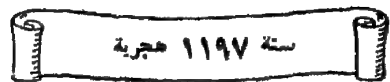
وبعد ذلك حصل بها فتنة أيضا ، ونفوا الوزير
عزت محمد باشا وبعض رجال الدولة .

ذوالقعدة

ليلة ١٨ منه (٢٥ أكتوبر ١٧٨٢ م) :

هرب سليم بيك و ابراهيم بيك قشطة ، وتبعهم
جماعة كبيرة نحو الثمانين ، فخرجوا ليلا على الهجن
وجرائد الخيل ، وذهبوا الى الصعيد .

وأصبح الخبر شائعا بذلك ، فارتبك ابراهيم
بيك ومراد بيك . ونادى الأغا والوالى بترك
الناس المشى بعد العشاء .



فيها تسحب أيضا جماعة من الكشاف والماليك ،
وذهبوا الى قبلى .

فشرعوا في تجهيز تجريدة ، وعزم مراد بيك على
السفر ، وأخذ في تجهيز اللوازم ، فطلب الأموال ،
فقبضوا على كثير من مساتير الناس والتجار
والمتسبين .. وحبسوهم وصادروهم في أموالهم ،
وسلبوا ما بأيديهم .. فجمعوا من المال ما جاوز
الحد ، ولا يدخل تحت الحد .

ربيع الآخر

في منتصفه (٢٠ مارس ١٧٨٣ م) :

برز مراد بيك للسفر ، وأخرج خيامه الى جهة
البساتين ، وخرج صحبته الأمير لاجين بيك ،
وعثمان بيك الشرقاوى ، وعثمان بيك الأشقر ،
وسليمان بيك أبو نبوت .. وكشافهم وماليكهم
وطوائفهم ، وسافروا بعد أيام .

جمادى الآخرة

في اواخره (اواخر مايو ١٧٨٣ م) :

وردت الأخبار بأن رضوان بيك — قرابة على
بيك — حضر الى مراد بيك وانضم اليه . فلما
فعل ذلك انكسرت قلوب الآخرين وانخذلوا
ورجعوا القهقري ، ورجع مراد بيك أيضا الى
مصر ، وترك هناك مصطفى بيك ، وعثمان بيك
الشرقاوى ، وعثمان بيك الأشقر

رجب

٢٦ منه (٢٧ يونية ١٧٨٣ م) :

اتفق مراد بيك و ابراهيم بيك على تقى جماعة
من خشداشينهم ، وهم ابراهيم بيك والوالى ،
وأيوب بيك الصغير ، وسليمان بيك الأغا
ورسموا لأيوب بيك أن يذهب الى المنصورة فأبى
وامتنع من الخروج ، فذهب اليه حسن كتخدا
الجربان — كتخدا مراد بيك — واحتال عليه ،
فركب وخرج الى غيط مهمشة ، ثم سافر الى
المنصورة .

وأما ابراهيم بيك الوالى فركب بضوائفه ومماليكه وعدى الى بر الجيزة ، فركب خلفه على بيك أباطة ولاچين بيك ، وحجزوا هجته وجماله عند المعادى ، وعدوا خلفه فأدركوه عند الأهرام ، فاحتالوا عليه وردوه الى قصر العينى ، ثم سفروه الى ناحية السرو ورأس الخليج .

وأما سليمان بيك فانه كان غائبا باقليم الغربية والمنوفية يجمع من الفلاحين فردا وأموالا ومظالم ! فلما بلغه الخبر رجع الى منوف ، فحضر اليه المعينون لنفيه ، وأمره بالذهاب الى المحلة الكبرى ، فركب بجماعته وأتباعه فوصل الى مسجد الخضر ، فاجتمع بأخيه ابراهيم بيك الوالى هناك ، فأخذته صحبته وذهبوا الى جهة البحيرة .

في غايته (اول يولية ١٧٨٣ م) :

طلع الأمراء الى الديوان ، وقلدوا خمسة من أغوات الكشاف صناجق ، وهم : عبد الرحمن خازندار ابراهيم بيك سابقا ، وقاسم أغا كاشف المنوفية سابقا (وعرف بالموستو) وهو من ممالك محمد بيك واشراق ابراهيم بيك ، وحسين كاشف (وعرف بالثفت بمعنى اليهودى) ، وعثمان كاشف ، ومصطفى كاشف السلحدار .. وهؤلاء الثلاثة من حُرَف مراد بيك .

شعبان

(يولية ١٧٨٢ م) .

وردت الأخبار من ثغر سكندرية بوصول باشا الى الثغر — واسمه محمد باشا السلحدار — واليا على مصر ، فنزل الباشا القديم من القلعة الى القصر بشاطيء النيل .

في اواخره (اواخر يولية ١٧٨٣ م) :

وصل سلحدار الباشا الجديد بحلقة قائمماتية لابراهيم بيك .

وفيه : وصلت الأخبار بأن سليمان بيك

وابراهيم بيك رجعوا من ناحية البحيرة الى طندتا ، وجلسوا هناك ، وأرسلوا جوابات الى الأمراء بمصر بذلك ، وأنهم يطلبون أن يعينوا لهم ما يعيشون به .

وفيه : أرسلوا خلعة الى عثمان بيك الشرقاوى بأن يستقر حاكما بجرجا ، وطلبوا مصطفى بيك ، وسليمان بك أبا نبوت ، وعثمان بيك الأشفر للحضور لمصر ... فحضرُوا واستقر عثمان بيك الشرقاوى بجرجا

رمضان

في غرقه (٣١ يولية ١٧٨٣ م) :

هرب سليمان بيك الأغا ، وابراهيم بيك الوالى من طندتا وعدوا الى شرقية بلبيس ، ومروا من خلف الجبل ، وذهبوا الى الصعيد . ورجع على كتحدا ، ويحيى كتحدا سليمان بيك ، الى مصر بالحملة والجمال وبعض ممالك وأجناد .

في اواخره (اواخر اغسطس ١٧٨٣ م) :

هرب أيضا أيوب بيك من المنصورة وذهب الى الصعيد أيضا . وتواترت الأخبار بأنهم اجتمعوا مع بعضهم واتفقوا على العصيان . فأرسلوا لهم محمد كتحدا أباطه ، وأحمد أغا جميليان ، وطلبوهم الى الصلح ، ويعينون لهم أماكن يقيمون بها ويرسلون لهم احتياجاتهم . فأبوا ذلك . فطلبوا عثمان بيك الشرقاوى ومصطفى بيك للحضور فامتنعا أيضا ، وقالوا : لا نحضر ولا نصطلىح الا ان رجع اخواننا رجعا معهم ، ويردون لهم امرياتهم وبلادهم وبيوتهم ، ويطلقوا من سنجقوه وأمره عوضهم .

فلما حضر الجواب بذلك شرعوا في تجهيز تجريدة ، وأخذوا يفتشون أماكن الأمراء المذكورين ، فأخذوا ما وجدوه بمنزل مصطفى بيك.

للسلام على ابراهيم ييك فقط في الخلاء . ولم
يذهب الى أحد من القادمين .

وسكن الحال على ذلك أياما ، وشرع ابراهيم
بيك في اجراء الصلح وصفاء خاطر بينهم وبين
مراد ييك ، وأمرهم بالذهاب اليه ، وسلموا عليه ،
ثم ركب هو الآخر اليهم — ما عدا الثلاثة المعزولين
— وكل ذلك وهو ينقل في متاع بيته وتعزله
ما فيه .

ثم انه ركب في يوم الجمعة وعدى الى جزيرة
الذهب ، وتبعه كشافه وطوائفه ، وأرسل الى
بولاق وأخذ منها الأرز والغلة والشعير والبقسماط
وغير ذلك ، فأرسل له ابراهيم ييك لاجين ييك
وسليمان ييك أبا نبوت ليردوه عن ذلك .. فنهرهم
وطردهم .. فرجعوا !

ثم انه عدى الى ناحية الشرق وذهب الى قبلى ،
وتبعه أغراضه وأتباعه وحملته من البر والبحر .

وفي هذه السنة قصر مد النيل وانهبط قبل
الصليب بسرعة ، فشرقت الأراضى القبلية والبحرية
وعزت الفلال بسبب ذلك ، وبسبب نهب
« الأمراء » ، وانقطاع الوارد من الجهة القبلية .
وشطح سعر القمح الى عشرة ريات الارdeb .
واشتد جوع الفقراء .

ووصل مراد ييك الى بنى سويف ، وأقام هناك
وقطع الطريق على المسافرين ، ونهبوا كل ما مر
بهم في المراكب الصاعدة والهابطة ..

واتهموا أناسا بأمانات وودائع لمصطفى ييك
وعثمان ييك الشرقاوى ، منهم الدالى ابراهيم
وغيره ، فجمعوا بهذه « النكتة ١ » أموالا كثيرة ..
حقا وباطلا ..

سؤال

٢٠ منه (١٨ سبتمبر ١٧٨٣ م) :

كان خروج المحمل والحجاج ، وأمير الحج
مصطفى ييك الكبير .

ولما اقتضى أمر الحج برروا للتجريدة —
وأمرها ابراهيم ييك الكبير — وجمعوا المراكب
وحجزوها من أربابها ، وعطلوا أسباب التجارة
والمسافرين ، وجمعوا الأموال — كما تقدم —
من المصادرات والملتزمين والفلاحين وغير ذلك ..
وكان أمرا مهولا أيضا !

وبعد أيام وصل الخبر بأن ابراهيم ييك ضمهم
للصلح واصطلح معهم ، وأنه واصل صحبتهم
جميعا .

ذوالقعدة

١٦ منه (١٣ أكتوبر ١٧٨٣ م) :

حضر ابراهيم ييك ، ووصل بعده الجماعة ،
ودخلوا الى مصر ، وسكنوا في بيوت صغار —
ما عدا عثمان ييك ومصطفى ييك فانهم نزلوا
في بيوتهم .

وحضر صحبتهم أيضا على ييك وحسين ييك
الاسماعيلية ، فلم يعجب مراد ييك ما فعله ابراهيم
بيك ، ولكن أسره في نفسه ، ولم يظهره . وركب

إذا وصل فساد الحكام الى مثل هذا ، فهل ندهش إذا صار
البلاد مطعما للفرقة والعادين ؟

يوميات الجبرتي

الراحة فيكم ، وبراحتكم تراح الناس وتأمين السبل .

فأظهر الامتثال ، ووعد بالحضور بعد أيام . وقال لهم :

« اذا وصلتكم الى بنى سوف ، ترسلون لى عثمان بيك الشرقاوى وأيوب بيك الدفتردار لأشترط عليهم شروطى . فان قبلوها ، توجهت معهم . والا عرفت خلاصى معهم ! » . وانفصلوا عنه على ذلك ... وودعوه وسافروا .

صفر

٢٣ منه (١٧ يناير ١٧٨٤ م) :

حضر المذكورون الى مصر .

وصل الحجاج الى مصر .

٢٥ منه (١٩ يناير ١٧٨٤ م) :

دخل أمير الحج مصطفى بيك بالمحمل .

ربيع الأول

مستهل (٢٤ يناير ١٧٨٤ م) :

خرج الأمراء الى ناحية معادى الخيري ، وحضر مراد بيك الى بر الجيزة وصحبته جمع كبير من الفرز والأجناد والعربان والفوغاء من أهل الصعيد والهواره . ونصبوا خيامهم ووطأهم قبالتهم فى البر الآخر ، فأرسل اليه ابراهيم بيك ، عبد الرحمن بيك عثمان وسليمان بيك الشابورى وآخرين فى مركب . فلما عدوا اليه ، لم يأذن لهم فى مقابلته ، وطردهم . ونزل أيضا كتخدا الباشا

سنة ١١٩٨ هجره
المحرم

فيه : (ديسمبر ١٧٨٢ م) :

سافر مراد بيك الى مينة ابن خصيب مغضبا .. وجلس هناك .

وفيه : حضر الى مصر محمد باشا والى مصر ، فأنزله بقصر عبد الرحمن كتخدا بشاطىء النيل . فأقام به يومين ، ثم عملوا له موكبا وطلع الى القلعة من تحت الريح على الدرب الأحمر .

فى منتصفه (١٠ ديسمبر ١٧٨٢ م) :

اتفق رأى ابراهيم بيك والأمراء الذين معه على ارسال محمد افندى البكرى ، والشيخ أبى الأنوار شيخ السادات ، والشيخ احمد العروسى شيخ الأزهر الى مراد بيك ... ليأخذوا خاطره ، ويطلبوه للصلح مع خشداشينه ، ويرجع اليهم ، ويقبلوا شروطه ما عدا اخراج أحد من خشداشينهم . فلما سافروا اليه وواجهوه ، وكلموه فى الصلح ، فتعلل بأعذار ، وأخبر أنه لم يخرج من مصر الا هروبا ، وخوفا على نفسه ، فانه تحقق عنده توافقههم على غدره . فان ضمتهم وحلفتم لى بالأيمان أنه لا يحصل لى منهم ضرر ... وافقتكم على الصلح ، والا .. فدعوني بعيدا عنهم .

فقالوا له : لسنا نطلع على القلوب ، حتى نحلف ونضمن ! ولكن الذى نظنه ، ونعتقد ، عدم وقوع ذلك بينكم ، لأنكم اخوة ، ومقصودنا

وصحبته اسماعيل أفندي الخلوتى فى مركب آخر ، ليتوجهوا اليه أيضا لجريان الصلح . فلما توسطوا البحر ، ووافق رجوع الأولين ، ضربوا عليهم بالمدافع ، فكادت تفرق بهم السفن ، ورجعوا وهم لا يصدقون بالنجاة .

فلما رأى ذلك ابراهيم بيك ، ونظر امتناعه عن الصلح ، وضربه بالمدافع ... أمر هو الآخر بضرب المدافع عليهم نظير فعلهم ، وكثر الرمى بينهم من الجهتين على بعضهم البعض ، وامتنع كل من الفريقين عن التعدية الى الجهة الأخرى ، وحجزوا المعادى من الطرفين . واستمر الحال بينهم على ذلك من أول الشهر الى عشرين منه ... واشتد الكرب والضنك على الناس وأهل البلاد ، وانقطعت الطرق القبلية والبحرية برا وبحرا ، وكثر تعدى المفسدين ، وغلت الأسعار ، وشح وجود الغلال ، وزادت أسعارها .

وفى تلك المدة كثر عبث المفسدين ، وأفحش جماعة مراد بيك فى النهب والسلب فى بر الجزيرة ، وأكلوا الزروع ، ولم يتركوا على وجه الأرض عودا أخضر ، وعين لقبض الأموال من الجهات ، وغرامات الفلاحين

وظن الناس حصول الظفر لمراد بيك ، واشتد خوف الأمراء بمصر منه ، وتحدث الناس بعزم ابراهيم بيك على الهروب .

٢٧ منه (١٩ فبراير ١٧٨٤ م) .

أرسل ابراهيم بيك المذكور خمسة من الصنائق وهم : سليمان بيك الأغا وسليمان بيك أبو نبوت وعثمان بيك الأشقر و ابراهيم بيك الوالى وأيوب بيك ، فعدوا الى البر الآخر بالقرب من البابة ليلا ، وساروا مشاة ، فصادفوا طابورا ف ضربوا عليهم بالبندق فانهزموا منهم ، وملكوا مكانهم ، وذلك بالقرب من بولاق التكرور . كل

ذلك والرمى بالمدافع متصل من عرضى ابراهيم بيك ثم عدى خلفهم جماعة أخرى ومعهم مدفعان ، وتقدموا قليلا قليلا من عرضى مراد بيك ، وضربوا على العرضى بالمدفعين فلم يجبه أحد . فباتوا على ذلك وهم على غاية من الحذر والخوف . وتتابع بهم طوائفهم وخيولهم .

فلما ظهر نور النهار نظروا فوجدوا العرضى خاليا وليس به أحد ، وارتحل مراد بيك ليلا وترك بعض أثقاله ومدافعه . فذهبوا الى العرضى وأخذوا ما وجدوه ، وجلسوا مكانه ، ونهب أوباشه المراكب التى كانت محجوزة للناس ، وعدى ابراهيم بيك ، وتتابعوا فى التعدية ، وركبوا خلفهم الى الشيمى ، فلم يجدوا أحدا .

فأقاموا هناك أربعة أيام ، ورجع ابراهيم بيك وبقية الأمراء الى مصر . ودخلوا بيوتهم ، وانقضت هذه الفتنة الكدابة على غير طائل ، ولم يقع بينهم مصاف ولا مقاتلة ، وهرب مراد بيك ، وذهب بمن معه يهلكون الزرع حصادا ، ويسعون فى الأرض فسادا .

جمادى الأولى

فى أواخره (حوالى منتصف ابريل ١٧٨٤ م) :

اتفق رأى ابراهيم بيك على طلب الصلح مع مراد بيك . فسافر لذلك لاجين بيك وعلى أغا كئخدا جاووجان . وسبب ذلك ، أن عثمان بيك الشرقاوى وأيوب بيك ومصطفى بيك وسليمان بيك و ابراهيم بيك الوالى ، تحزبوا مع بعضهم ، وأخذوا ينقضون على ابراهيم بيك الكبير . واستخفوا بشأنه ، وقعدوا له كل مرصد . وتخل منهم وتحرز ، وجرت مشاجرة بين أيوب بيك وعلى أغا كئخدا جاووجان بحضرة ابراهيم بيك ، وسبه وشتمه وأمسك غماته ، وحل قولانه وقال له « ليس هذا المنصب مخلدا عليك » . فاغتاظ

بيك وليمة ، وعزم من بصحبته ، وأحضر لهم آلات
الطرب ، واستمروا على ذلك الى آخر النهار ...

١١ منه (٣١ مايو ١٧٨٤ م) :

وفي ثاني يوم اجتمعوا عند ابراهيم بيك وقالوا
له : « كيف يكون قدوم مراد بيك ؟ ولعله
لا يستقيم حاله معنا ا » .

فقال لهم : « حتى يأتي ... فان استقام معنا
فيها ، والا آكون — أنا وأتم — عليه » .

فتحالفوا وتعاهدوا وأكدوا الموائيق .

فلما كان يوم الجمعة وصل مراد بيك الى
غمازة ، فركب ابراهيم بيك على حين غفلة وقت
القائلة في جماعته وطائفته ، وخرج الى ناحية
الساتين ، ورجع من الليل وطلع الى القلعة وملك
الأبواب ومدرسة السلطان حسن والرميلة
والصلبية والتبانة ، وأرسل الى الأمراء الخمسة
يأمرهم بالخروج من مصر ، وعين لهم أماكن
يذهبون اليها ، فمنهم من يذهب الى دياط ، ومنهم
من يذهب الى المنصورة وفارسكور ... فامتنعوا
من الخروج واتفقوا على الكرنكة والخلاف ...
ثم لم يجدوا لهم خلاصا بسبب أن ابراهيم بيك
ملك القلعة وجهاتها ، ومراد بيك واصل يوم تاريخه
وصحبته السواد الأعظم من العساكر والعربان .

ثم انهم ركبوا وخرجوا بجمعيتهم الى ناحية
القليوبية ، ووصل مراد بيك لزيارة الامام
الشافعي . فعندما بلغه خبر خروجهم ذهب من
فوره من خلف القلعة ، ونزل على الصحراء ،
وأسرع في السير حتى وصل الى قناطر أبي المنجاء
ونزل هناك ، وأرسل خلفهم جماعة فلحقوهم عند
شبرا شهاب .

وأدركهم مراد بيك ، والتطموا معهم ، فتقنطر
مراد بيك بفرسه ، فلحقوه وأركبوه غيره ... فعند

ابراهيم بيك لذلك وكنمه في نفسه ، وعز عليه
على أغا لأنه كان بينه وبينه محبة أكيدة ، ولا
يقدر على فراقه ، فشرع في اجراء الصلح بينه
وبين مراد بيك ، فاجتمع اليه الأمراء وتكلموا معه
وقالوا له : كيف تصنع .. ؟ قال : نصطليح مع
أخيها .. أولى من التشاحن ، ونزيل الغل من بيننا
لأجل راحتنا وراحة الناس ، ويكون كواحد منا ،
وان حصل منه خلل آكون أنا وأتم عليه . وتحالفوا
على ذلك ، وسافر لاجين بيك وعلى أغا .

وبعد أيام حضر حسن كتخدا الجربان — كتخدا
مراد بيك — الى مصر ، واجتمع بابراهيم بيك ،
ورجع ثانيا . وأرسل ابراهيم بيك صحبته ولده
ومرزوق بيك طفلا صغيرا ، ومعه الدادة والمرضة .
فلما وصلوا مراد بيك أجاب بالصلح ، وقدم لمرزوق
بيك هدية وتقادم ، ومن جملة بقرة ... ولا بنتها
رأسان ا

وحضر بهما الى مصر ، وشاع خبرها ، فذهبت
بصحبة أخيها وصديقنا مولانا السيد اسماعيل
الوهبي الشهير بالخشاب — فوصلنا الى بيت أم
مرزوق بيك الذي بحارة عابدين ، ودخلنا الى
اسطبل مع بعض السواس ، فرأينا بقرة مصفرة
اللون بياض ، وابتنتها خلفها سوداء ولها رأسان
كاملا الأعضاء ، وهي تأكل بقم أحد الرأسين
وتشتر (تجتر) بقم الرأس الثاني ... فتعجبنا من
عجيب صنع الله وبديع خلقته ... فكانت من
العجائب الغريبة المؤرخة ا

رجب

في ١٠ منه (٣٠ مايو ١٧٨٤ م) :

حضر مرزوق بيك وصحبته حسن كتخدا
الجربان ، فأوصله الى أبيه ، ورجع ثانيا الى
مراد بيك .

وشاع الخبر بقدوم مراد بيك ، وعمل مصطفى

ذلك ولى واجعا . وانجرح بينهم جماعة قلائل ،
وأصيب سليمان بيك برصاصة تفلت من كتفه
ولم يمت .

ورجع مراد بيك ومن معه الى مصر على غير
طائل ، وذهب الأمراء الخمسة المذكورون وعدوا
على وردان ، وكان بصحبته رجل من كبار العرب
— يقال له طرهونه — يدهم على الطريق الموصلة
الى جهة قبلى ، فسار بهم فى طريق مقفرة ليس بها
ماء ولا حشيش يوما وليلة حتى كادوا يهلكون من
العطش . وتأخر عنهم أناس من طوائفهم وانقطعوا
عنهم شيئا فشيئا الى أن وصلوا الى ناحية سقارة ،
فراوا أنفسهم بالقرب من الأهرام فضاقت خناقهم
وظنوا الوقوع ، فأحضروا الهجن وأرادوا الركوب
عليها والهروب ويتركوا أثقالهم ، فقامت عليهم
طوائفهم فقالوا لهم : كيف تذهبون وتركونا مشتين؟
وصار كل من قدر على خطف شئ أخذه وهرب ،
فسكنوا عن الركوب وانتقلوا من مكانهم الى
مكان آخر .

وفى وقت الكبكة ركب ملوك من ممالكهم
ويضر الى مراد بيك — وكان بالروضة — فأعلمه
بالعبر ، فأرسل جماعة الى الموضع الذى ذكره
له ، فلم يجدوا أحدا ، فرجعوا .

واغتم أهل مصر لذهابهم الى جهة قبلى لما
يترتب على ذلك من التعب وقطع الجالب ، مع
وجود القحط والفلاء . وبات الناس فى غم
شديد ..

٢١ منه (١٠ يونية ١٧٨٤) :

شاع الخبر بالقبض عليهم . وكان من أمرهم
أنهم لما وصلوا الى ناحية الأهرام ، ووجدوا
أنفسهم يقابلين البلد ، أحضروا الدليل وقالوا له :
انظر لنا طريقا نسلك منه ... فركب لينظر فى
الطريق ، وذهب الى مراد بيك وأخبره بمكانهم ،

فأرسل لهم جماعة ، فلما نظروهم مقبلين عليهم
ركبوا الهجن وتركوا أثقالهم وولوا هارين .

وكانوا آكمنوا لهم كميناً ، فخرج عليهم ذلك
الكمين ومسكوا بزمامهم من غير رفع سلاح ولا
قتال ، وحضروا بهم الى مراد بيك بجزيرة الذهب
فباتوا عنده . ولما أصبح النهار أحضر لهم مراد
بيك مراكب وأنزل كل أمير فى مركب وصحبته
خمس ممالك وبعض خدام ، وسافروا الى جهة
بحرى فذهبوا بعثمان بيك وأيوب بيك الى
المنصورة ، ومصطفى بيك الى فارسكور ،
وابراهيم بيك الوالى الى طندتا ، وأما سليمان بيك
فاستمر ببولاق التكرور حتى برأ جرحه .

رمضان

منتصفه (٢ اغسطس ١٧٨٤) :

اتفق الأمراء المنفيون على الهروب الى قبلى ،
فأرسلوا الى ابراهيم بيك الوالى لياتى اليهم من
طندتا ، وكذلك الى مصطفى بيك من فارسكور .

وتواعدوا على يوم معلوم بينهم ، فحضر ابراهيم
بيك الى عثمان بيك وأيوب بيك خفية فى
المنصورة . وأما مصطفى بيك فانه نزل فى المراكب
وعدى الى البر الشرقى بعد الغروب ، وركب وسار
فركب خلفه رجل يسمى طه شيخ فارسكور
— وكان بينه وبين مصطفى بيك حزازة — وأخذ
صحبه رجلا يسمى الأشقر فى نحو ثلاثمائة فارس
وعدوا خلفه فلحقوه آخر الليل والطريق ضيقة بين
البحر والأرز المزروع ... فلم يتمكنهم الهروب ولا
القتال . فأراد الصنجق أن يذهب بمفرده فدخل
فى الأرز بفرسه فانغرس فى الطين فقبضوا عليه
هو وجماعته ، فمروهم وأخذوا ما كان معهم
وساقوهم مشاة الى البحر ، وأنزلوهم المراكب
وردوهم الى مكانهم محتفظين عليهم . وأرسلوا
الخبر الى مصر بذلك .

وركب من البرية راجعا الى مصر ، وروى
واياه ... فلم يسع مراد بيك الا الدفع وتشهيل
الحج ، وعاد الى مصر وخرج الى قصره بالروضة ،
وأرسل الى الجماعة الذين بالوجه القبلى . فلما
علم ابراهيم بيك بذلك أرسل اليه يستعطفه ،
وترددت بينهما الرسل من العصر الى بعد
العشاء ...

ونظر ابراهيم بيك فلم يجد عنده أحدا من
خشداشيته ، واجتمعوا كلهم على مراد بيك ...
فضاق صدره وركب الى الرميطة فوقف بها ساعة
حتى أرسل الحملة صحبة عثمان بيك الأشقر وعلى
بيك أباطة ، وصبر حتى ساروا وتقدموا عليه مسافة
ثم سار نحو الجبل وذهب الى قبلى وصحبته
على أغا كتخدا الجاوشية ، وعلى أغا مستحفظان ،
والمحتسب وصناجقه الأربعة .

فلما بلغ مراد بيك ركوبه وذهابه ركب خلفهم
حصاة من الليل ثم رجع الى مصر وأصبح منفردا
بها . وقلد قائد أغا أغات مستحفظان ، وصالح أغا
الوالى القديم وجعله كتخدا الجاوشية ، وحسن
أغا كتخدا ، ومصطفى بيك محتسب . وأرسل الى
محمد كاشف الألفى ليحضر مصطفى بيك من محبسه
ببغداد اسكندرية ، ونادى بالأمان فى البلاد ، وزيادة
وزن الخبز ، وأمر بإخراج الغلال المخزونة لتباع
على الناس .

ذوالقعدة

هـ منه (٢٠ سبتمبر ١٧٨٤ م) :

فى ليته حضر مصطفى بيك ونزل فى بيته أميرا
وصنجقا على عادته كما كان .

وفيه : قلد مراد بيسك مملوكه محمد كاشف
الألفى صنجقا ، وكذلك مصطفى كاشف الأخميمى
صنجقا أيضا .

وأما الجماعة الذين فى المنصورة فانهم انتظروا
الى بيك فى الميعاد فلم يأتهم ، ووصلهم الخبر
ساعا وقع له مركب عثمان بيك وابراهيم بيك
وساروا ، وتخلف أيوب بيك بالمنصورة . فلما
قربوا من مصر سبقتهم الرسل الى سليمان بيك
فركب من الحيزة وذهب اليهما وذهبا الى قبلى ،
وأرسل مراد بيك محمد كاشف الألفى وأيوب
كاشف ، فأخذا مصطفى بيك من فارسكور وتوجها
به الى بئر الاسكندرية ، وسجنوه بالبرج الكبير
— وعرف من أجل ذلك بالاسكندرانى .
وأخضروا أيوب بيك الى مصر وأسكنوه فى
بيت صغير . وبعد أيام رده الى بيته الكبير وردوا
له الصنجدية أيضا فى منتصف شوال .

شوال

الاثنين ٦ شوال (٢٣ أغسطس ١٧٨٤ م - ١٩ مسرى
١٥٠٠ ق) :

كان وفاء النيل المبارك . ونزل الباشا يوم
الثلاثاء فى عربة ، وكسر السد على العادة .

٢١ شوال (٧ سبتمبر ١٧٨٤ م) :

كان خروج الحمل صحبة أمير الحج
مصطفى بيك الكبير فى موكب حقير جدا
بالنسبة للمواكب المتقدمة ، ثم ذهب الى
البركة فى يوم الخميس ، وقد كان تأخر
له مبلغ من مال الصرة وخلافها ، فطلب ذلك من
ابراهيم بيك فأحاله على مراد بيك من الميرى الذى
طرفه وطرف أتباعه ، فقال : نعم طرفى ذلك ، لكنه
قبض فردة البلاد واختص بها ، ولم يأخذ منها الا
قدرا يسيرا . وكانوا قبل ذلك قرروا فردة على
البلاد وقبضها ابراهيم بيك ولم يأخذ منها مراد
بيك الا أقل من مأموله — وقصده يقطع ما عليه
من الميرى — لذلك فلم يلتفت ابراهيم بيك لقوله
وأحال عليه أمير الحج .

١٧ منه (٢ أكتوبر ١٧٨٤ م) :

حضر عثمان بك الشرقاوى ، وسليمان بك الأغا ، وإبراهيم بك الوالى ، وسليمان بك أبو نبوت ... وكان مراد بك أرسل يستدعيهم كما تقدم .

فلما حضروا الى مصر سكنوا بيوتهم كما كانوا على امارتهم .

فى اواخره (اوائل أكتوبر ١٧٨٤ م) :

وصل واحد أغا من الدولة ويده مقرر للبasha على السنة الجديدة . فطلب البasha الأمراء لقراءته عليهم ، فلم يطلع منهم أحد ، وأهمل ذلك مراد بك ولم يلتفت اليه .

ذو الحجة

١٤ منه (٢٩ أكتوبر ١٧٨٤ م) :

رسم مراد بك بنفى رضوان بك — قرابة على بك الكبير — الذى كان خامر على اسماعيل بك وحسن بك الجداوى ، وحضر مصر صحة مراد بك ، وانضم اليه وصار من خاصته . فلما خرج إبراهيم بك من مصر أشيع أنه يريد صلحه مع اسماعيل بك وحسن بك ، فصار رضوان بك كالجملة المعترضة ... فرسم مراد بك بنفيه فسافر من ليته الى الاسكندرية .

١٥ منه (٣٠ أكتوبر ١٧٨٤ م) :

أرسل مراد بك الى البasha وأمره بالنزول ، فأنزله الى قصر العيني معزولا ، وتولى مراد بك قائم مقام ، وعلق الستور على بابه — فكانت ولاية هذا البasha أحد عشر شهرا ، سوى الخمسة الأشهر التى أقامها بشفر اسكندرية . وكانت أيامه كلها شذائد ومحن وغلاء .

فى اواخره (اوائل نوفمبر ١٧٨٤ م) :

شرع مراد بك فى اجراء الصلح بينه وبين إبراهيم بك . فأرسل له سليمان بك الأغا ، والشيخ أحمد الدردير ، ومرزوق بك ولده ... فتهيأوا وسافروا فى ثامن عشر منه (١٢ نوفمبر ١٧٨٤ م) .

وانقضت هذه السنة — كالتى قبلها — فى الشدة والغلاء ، وقصور النيل ، والفتن المستمرة ، وتواتر المصادرات والمظالم من الأمراء ، وانتشار أتباعهم فى النواحي لجبى الأموال من القرى والبلدان ، واحداث أنواع « المظالم » (ويسمونها مال الجهات) ، ودفع المظالم والفردة ... حتى أهلكوا الفلاحين ، وضاق ذرعهم ، واشتد كربهم ، وطفشوا من بلادهم ...

فحولوا الطلب على الملتزمين ، وبعثوا اليهم المعينين فى بيوتهم ، فاحتاج مسائير الناس لبيع أمتعتهم ودورهم ومواشيهم بسبب ذلك ... مع ما هم فيه من المصادرات الخارجة عن ذلك ، وتتبع من يشم فيه رائحة الفنى فيؤخذ ويحبس ويكلف بطلب أضعاف ما يقدر عليه .

وتوالى طلب السلف من تجار البن والبهار غنن المكوسات المستقبلية . ولما تحقق التجار عدم الرد استعوضوا خساراتهم من زيادة الأسعار !

ثم مدوا أيديهم الى الموارث ... فاذا مات الميت أحاطوا بموجوده ، سواء كان له وارث أو لا ؟

وصار « بيت المال » من جملة المناصب التى يتولاها شرار الناس بجملة من المال يقوم بدفعه فى كل شهر ! ... ولا يعارض فيما يفعل فى الجزئيات وأما الكليات فيختص بها الأمير ... فحل بالناس ما لا يوصف من أنواع البلاء الا من تداركه الله

برحمته ، أو اختلس شيئا من حقه ، فإن اشتهروا عليه عوقب على استخراجة ...

وفسدت النيات ، وتغيرت القلوب ، وتقرت الطباع ، وكثر الحسد والحقد في الناس لبعضهم البعض ... فليستع الشخص عورات أخيه ، ويدلى به الى الظالم ... حتى خرب الاقليم ، واقتطعت الطرق ، وعربت أولاد الحرام ، وفقد الأمن ، ومنعت السبل الا بالخفارة وركوب الفرر .

وجلا الفلاحون من بلادهم من الشراقي والظلم ، وانتشروا في المدينة بنسائهم وأولادهم يصيحون من الجوع ، ويأكلون مايترساقط في الطرقات من قشور البطيخ وغيره ... فلا يجد الزبال شيئا يكتسه من ذلك ...

واشتد بهم الحال حتى أكلوا الميتات من الخيل والحمير والجمال . فاذا خرج حمار ميت تراحموا عليه وقطعوه وأخذوه ، ومنهم من يأكله نيئا من شدة الجوع !

ومات الكثير من الفقراء بالجوع ... هذا والغلاء مستمر ، والأسعار في الشدة ، وعز الدرهم والدينار من أيدي الناس ، وقل التعامل الا فيما يؤكل ... وصار سر الناس وحديثهم في المجالس ذكر المأكول والقمح والسمن ونحو ذلك لا غير ! ولولا لطف الله تعالى ، ومجيء الغلال من نواحي الشام والروم ، لهلكت أهل مصر من الجوع !

وبلغ الأردب من القمح ألفا وثلاثمائة نصف فضة ، والفول والشعير قريبا من ذلك . وأما بقية الحبوب والأبزار فقل أن توجد .

واستمر ساحل الفلة خاليا من الغلال بطول السنة ، والشون كذلك مقفولة ، وأرزاق الناس وخلائفهم مقطوعة . وضاع الناس بين صلحهم وغبنهم ، وخروج طائفة ورجوع الأخرى . ومن

خرج الى جهة قبض أموالها وغلالها . واذا مثل المستقر في شيء تغل بما ذكر . ومحصل هذه الأفاعيل — بحسب الظن الغالب — أنها حيل على سلب الأموال والبلاد ، وفخاخ ينصبونها ليصيدوا بها اسماعيل بك !

وفي أواخره أيضا وصلت مكاتبة من الديار الحجازية عن الشريف سرور ووكلاء التجار — خطابا للأمرء والعلماء — بسبب منع غلال الحرمين وغلال المتجر ، وحضور المراكب مغيرة بالأثرية ... والشكوى من زيادة المكوسات عن الحد .

فلما حضرت قرىء بعضها وتفوفل عنها ، وبقي الأمر على ذلك ...

وممن مات في هذه السنة السيد الفاضل على بن عمر بن محمد بن علي ... ويتصل نسبه — في الجد الخامس عشر — بالقطب سيدى عبد الرحيم القناوى الشريف الحسينى .

ولد بقنسا ، وقدم مصر ، وتلقن الطريقة عن الأستاذ الحنفى ثم حُبب اليه السياحة ، فورد الحرمين ، وركب من جدة الى سورت ، ومنها الى البصرة وبغداد ، وزار من بهما من المشاهد الكرام ، ثم دخل المشهد فزار أمير المؤمنين على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، ثم دخل خراسان ، ومنها الى غزنين وكابل وقندهار ، واجتمع بالسلطان أحمد شاه فأكرمه وأجزل له العطاء ، ثم عاد الى الحرمين ، وركب من هناك الى بحر سيلان ، فوصل الى بنارس واجتمع بسلطانها ، وذهب الى بلاد جاوة ، ثم رجع الى الحرمين ، ثم سار الى اليمن ، ودخل صنعاء واجتمع بإمامها ، ودخل زيد واجتمع بمشايخها وأخذ عنهم واستأنسوا به ، وصار يعقد لهم حلق الذكر على طريقتهم وأكرمهم ثم عاد الى الحرمين ، ثم الى مصر وذلك سنة

اثنتين وثمانين . وكانت مدة غيبته نحو عشرين سنة ا

ثم توجه في آخر هذه السنة الى الصعيد ، واجتمع بشيخ العرب همام — رحمه الله تعالى — وأكرمه اكراما زائدا .

ودخل قنا ، فزار جده ، ووصل رحمه . ومكث هناك شهورا ثم رجع الى مصر ، وتوجه الى الحرمين من القلزم ، وسافر الى اليمن ، وطلع الى صنعاء ، ثم عاد الى كوكبان — وكان امامها اذ ذلك العلامة السيد ابراهيم بن أحمد الحسيني .

واتنظم حاله ، وراج أمره ، وشاع ذكره ، وتلقن منه الطريقة جماعة من أهل زيد .

واستمال بحسن مذكرته ومداراته طائفة من الزيدية ببلدة تسمى « زممر » — وهي بلدة باليمن بالجيال . وهم لا يعرفون الذكر ولا يقولون بطرق الصوفية ... فلم يزل بهم حتى أجبه ، وأقام حلقة الذكر عندهم وأكرموه .

ثم رجع من هناك الى جدة ، وركب من القلزم الى السويس ، ووصل مصر سنة أربع وتسعين . فنزل بالجمالية ، فذهبت اليه بصحبة شيخنا السيد مرتضى ، وسلمنا عليه .

وكنت أسمع به ولم أره قبل ذلك اليوم ، فرأت منه كمال المودة ، وحسن المعاشرة ، وتمام المروءة ، وطيب المفاكحة .

وسمعت منه أخبار رحلته الأخيرة . وترددنا عليه وتردد علينا كثيرا . وكان ينزل في بعض الأحيان الى بولاق ، وبقيم إياها بزاوية على يلك بصحبة العلامة الشيخ مصطفى الصاوي والشبغ بدوى الهيتنى .

وحضر الى منزلى ببولاق مرارا — باستدعاء وبدون استدعاء .

ثم تزوج بمصر . وأتى اليه ولده السيد مصطفى من البلاد زائرا .

وما زال على حاله في عبادة وحسن توجه الى الله ، مع طيب معاشرة ، وملازمة الأذكار ، صحبة العلماء الأخيار ، حتى تمرض بيلة الاستسقاء مدة وتوفى ليلة الثلاثاء غرة جمادى الأولى من السنة . وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بالقرافة بين يدي شيخه الحنفى .

وكان ابنه غائبا فحضر بعد مدة من موته ، فلم يحصل من ميراثه الا شيئا نزرأ .. وذهب ما جمعه في سفراته حيث ذهب ...

ومات الوجه النيسل ، والجليل الأصل ، السيد حسين باشجاوش الأشراف ، ابن ابراهيم كتحدا تفكحيان ، ابن مصطفى افندى الخطاط . كان انسانا حسنا جامعاً للفضائل واللفظ والمزايا . واقتنى كتباً كثيرة في الفنون — وخصوصا في التاريخ .

وكان مألوف الطباع ، ودودا ، شريف النفس ، مهذب الأخلاق ... فلم يخلف بعده مثله رحمه الله تعالى .

ومات الأمير الجليل ابراهيم كتحدا البركاوى . وأصله مملوك يوسف كتحدا عزبان البركاوى .

نشأ في سيادة سيده ، وتولى في مناصب وجاقهم ، وقرأ القرآن في صغره ، وجود الخط ، وحجب اليه العلم وأهله .

ولما مات سيده كان هو المتعين في رئاسة بيتهم دون خشداشيه — لرأسته وشهامته — ففتح بيت سيده ، وانضم اليه خشداشيه وأتباعه ، واشترى الممالك ودربهم في الآداب والقراءة وتجويد الخط .

في ١٩ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٨٤ م) :

سافر أيضا أحمد بك الكلارجي وسليم أغا أمين البحرين .

في ٢٠ منه (٣ ديسمبر ١٧٨٤ م) :

وصلت الأخبار بأن إبراهيم بك تقض الصلح الذي حصل ، وقيل ان صلحه كان مدهانة لأغراض لا تتم له بدون ذلك . فلما تمت احتج بأشياء أخرى ، وتقض ذلك .

صفر

في ٦ منه (١٩ ديسمبر ١٧٨٤ م) :

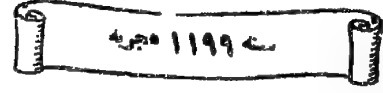
حضر الشيخ الدردير وأخبر بما ذكر ، وأن سليمان بك وسليم أغا استمروا معه .

في منتصفه (٢٨ ديسمبر ١٧٨٤ م) :

وصل الحجاج مع أمير الحج مصطفى بك . وحصل للحجاج في هذه السنة مشقة عظيمة من الفلاء وقيام العربان بسبب عوائدهم القديبة والجديبة . ولم يزوروا المدينة المنورة — على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام — لمسبب السبل ، وهلك عالم كثير من الناس والبهائم من الجوع ، وانقطع منهم جانب عظيم ، ومنهم من نزل في المراكب الى القلزم وحضر من السويس الى القصير ، ولم يبق الا أمير الحج وأتباعه وورقت العربان لحجاج المغاربة في سطح العقبة ، وحصروهم هناك ، ونهبوهم وقتلوهم عن آخرهم ، ولم ينج منهم الا نحو عشرة أنفار .

وفي أثناء نزول الحج وخروج الأمراء للملاقة أمير الحج ، هرب إبراهيم بك الوالي — وهو أخو سليمان بك الأغا — وذهب الى أخيه بالمنة ، وذهب صحبته من كان بصير من أتباع أخيه . وسكن الحال أياما .

وأدرك محاسن الزمن الماضي . وكان يته ماوى الفضلاء وأهل المعارف والمزايا والخطاطين . واقتنى كتب كثيرة جدا في كل فن وعلم ، حتى ان الكتاب المعلوم اذا احتيج اليه لا يوجد الا عنده ... ويعبر للناس ما يرومونه من الكتب للانتفاع في المطالعة والنقل — رحمه الله تعالى .



الحمد

استهل العام بيوم الاثنين المبارك ، وأرخه أديب العصر الشيخ قاسم بقوله :

يا أهل مصر استبشروا
فالله فرج كل هم

وأتى الرخاء مؤرخا :

عام بفضل الله عم
١١١ ٩١٢ ٦٦ ١١٠
= ١١٩٩

فكان الفأل بالمنطق ، وأخذت الأشياء في الانحلال قليلا .

في ٧ منه (٢٠ نوفمبر ١٧٨٤ م) :

جاءت الأخبار بأن الجماعة المتوجهين لإبراهيم بك في شأن الصلح — وهم : الشيخ الدردير وسليمان بك الأغا ومرزوق جلبي — اجتمعوا بإبراهيم بك ، فتكلموا معه في شأن ذلك . فأجاب بشروط منها أن يكون هو على عادته ، أمير البلد ، وعلى أغا كتحدا الجاويشية في منصبه . فلما وصل الرسول بالمكاتبة ، جمع مراد بك الأمراء وعرفهم ذلك ، فأجابوا بالسمع والطاعة ، وكتبوا جواب الرسالة وأرسلوها صحبة الذي حضر بها .

وفي اواخره (يناير ١٧٨٥ م) :

سافر ايوب بيك الكبير وايوب بيك الصغير بسبب تجديد الصلح . فلما وصلوا الى بنى سويف ، حضر اليهم سليمان بيك الأغا وعثمان بيك الأشقر بامستدعاء منهم ثم أجاب ابراهيم بيك الى الصلح ، ورجعوا جميعا الى المنية .

ربيع الأول

في اوائله (يناير ١٧٨٥ م) :

حضر حسن أغا بيت المال بمكاتبات بذلك . وفي أثر ذلك حضر ايوب بيك الصغير وعثمان بيك الأشقر ، فقابلا مراد بيك ، وقدم مراد بيك لعثمان بيك تقادم . ثم رجع ايوب بيك الى المنية ثانية .

ربيع الآخر

في ٤ منه (١٤ فبراير ١٧٨٥ م) :

وصل ابراهيم بيك الكبير — ومن معه من الأمراء — الى معادى الخيرى بالبر الغربى . فعدى اليه مراد بيك وباقي الأمراء والوجاقلية والمشايخ ، وسلموا عليه ، ورجعوا الى مصر ، وعدى في اثرهم ابراهيم بيك .

في ٥ منه (١٥ فبراير ١٧٨٥ م) :

حضر ابراهيم بيك الى مصر ، ودخل الى بيته ، وحضر اليه في عصرتها مراد بيك في بيته ، وجلس معه حصة طويلة .

في ١٠ منه (٢٠ فبراير ١٧٨٥ م) :

عمل الديوان ، وحضرت لابراهيم بيك الخلع من الناشا فلبسها بحضرة مراد بيك والأمراء والمشايخ . وعند ذلك قام مراد بيك وقبل يده وكذلك بقية الأمراء ، وتقلد على أغا كحدا الجاوشية كما كان ، وتقلد على أغا أغات

مستحفظان كما كان . فاغتاز لذلك قائد أغا الذى كان ولاء مراد بيك ، وحصل له قلق عظيم ، وصار يتراعى على الأمراء ويقع عليهم في رجوع منصبه ، وصار يقول : ان لم يردوا الى منصبى والا قتل على أغا . وصمم ابراهيم بيك على عدم عزل على أغا ، واستوحش على أغا وخاف على نفسه من قائد أغا . ثم ان ابراهيم بيك قال : ان عزل على أغا لا يتولاها قائد أغا أبدا . ثم انهم لبسوا سليم أغا أمين البحرين ، وقطع منها أمل قائد أغا ، وما وسعه الا السكوت .

جمادى الآخرة

في اوائله (ابريل ١٧٨٥ م) :

طلب عثمان بيك الشرقاوى ولادة جرجا فلم يرض ابراهيم بيك وقال له : « نحن نعطيك كذا من المال واترك ذلك ، فان البلاد خراب وأهلها ماتوا من الجوع » .

منتصفه (٢٥ ابريل ١٧٨٥ م) :

خرج عثمان بيك المذكور ، بمماليكه وأخواده ، مسافرا الى الصعيد بنمسه ، ولم يسمع لقواهم ، ولم يلبس تقليدا لذلك على العادة ... فأرسلوا له جماعة ليردوه فأبى من الرجوع .

الخميس ١٨ منه (٢٨ ابريل ١٧٨٥ م) :

مات على بيك أباطة الايراهيمى فانزعج عليه ابراهيم بيك ، وكان الأمراء خرجوا بأجمعهم الى ناحية قصر العبنى ومصر القديمة خوفا من ذلك . فلما مات على بيك وكثير من مماليكهم ، داخلهم الرعب ورجعوا الى بيوتهم .

الاحد ٢١ منه (١ مايو ١٧٨٥ م) :

طلعوا الى القلعة ، وخلصوا على لاجين بيك

وجعلوه حاكم جرجا ، ورجع ابراهيم بيك الى بيته أيضا ، وكان اذ ذلك قائمقام .

وفيه : كثر الموت بالطاعون وكذلك الحميات ، ونسى الناس أمر الغلاء . وفيه مات سليمان بيك أبو نبوت بالطاعون . وفي منتصف رجب خف أمر الطاعون .

شعبان

منتصفه (٢٣ يونيه ١٧٨٥ م) :

ورد الخبر بوصول باشا مصر الجديد الى ثغر اسكندرية ، وكذلك باشا جدة .

ووقع قبل ورودهما بأيام فتنة الاسكندرية بين أهل البلد وأغات القلعة والسردار بسبب قتل من أهل البلد قتله بعض أتباع السردار ، فثار العامة وقبضوا على السردار وهانوه وجرسوه على حمار ، وحلقوا نصف لحيته ، وطافوا به البلد وهو مكشوف الرأس وهم يضربونه ويصففونه بالعمالات .

وفيه : وقعت فتنة بين عربان البحيرة . وحضر منهم جماعة الى ابراهيم بيك وطلبوا منه الاعانة على أخصامهم فكلهم مراد بيك في ذلك ، فركب مراد بيك وأخذهم صحبته ونزل الى البحيرة فتواطأ معه الأخصام وأرشوه سرا ، فركب ليلا وهجم على المستعنين به وهم في غفلة مطمئنون ، فقتل منهم جماعة كثيرة ، ونهب مواشيهم وابلهم وأغنامهم ، ثم رجع الى مصر بالفنائم .

غايته (٧ يولية ١٧٨٥ م) :

حضر باشا جدة الى ساحل بولاق ، فركب على أغا كتخدا الجاويشية وأرياب العكاكيز وقابلوه وركبوا صحبته الى العادلية ليسافر الى السويس .

رمضان

ثورته (٨ يوليو ١٧٨٥ م) :

ثار فقراء المجاورين والقاطنين بالأزهر ، وقفلوا أبواب الجامع ، ومنعوا منه الصلوات — وكان ذلك يوم الجمعة فلم يصل فيه ذلك اليوم .

وكذا أغلقوا مدرسة محمد بيك المجاورة له ، ومسجد المشهد الحسيني ، وخرج العيمان والمجاورون يرمحون بالأسواق ويخطفون ما يجدونه من الخبز وغيره . وتبعهم في ذلك الجميدية وأراذل السوق . وسبب ذلك قطع رواتبهم وأخبارهم المعتادة .

واستمروا على ذلك الى بعد العشاء . فحضر سليم أغا أغات مستحفظان الى مدرسة الأشرفية ، وأرسل الى مشايخ الأروقة والمشار اليهم في السفاهة ، وتكلم معهم ووعدهم ، والتزم لهم بإجراء رواتبهم ، فقبلوا منه ذلك وفتحوا المساجد .

شوال

الأحد ٨ منه (١٤ أغسطس ١٧٨٥ م) الموافق ٩ مسرى :

كان وفاء النيل ، وكانت زيادته كلها في هذه التسعة أيام فقط ، ولم يزد قبل ذلك شيئا ، واستمر بطول شهر أيب وماؤه أخضر ، فلما كان أول شهر مسرى زاد في ليلة واحدة أكثر من ثلاثة أذرع . واستمرت دفعات الزيادة حتى أوفى أذرع الوفاء يوم التاسع .

وفيه : وقع جسر بحر أبي المنجا بالقليوبية ، فعينوا له أميرا فأخذ معه جملة أخشاب ونزل وصحبته ابن أبي الشوارب شيخ قليوب ، وجمعوا الفلاحين ودقوا له أوتادا عظيمة ، وغرقوا به نحو خمسة مراكب ، واستمروا في معالجة سده مدة أيام فلم ينجع من ذلك شيء . وكذلك وقع بجسر مويس .

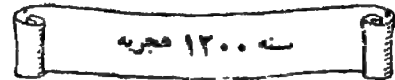
٢٢ منه (٢٨ أغسطس ١٧٨٥ م) :

خرج أمير الحج مصطفى بيك بالمحمل والحجاج .

ذوالقعدة

١٨ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٨٥ م) :

سافر كتخدا الجاوشية وصحبته أرباب الخدم الى الاسكندرية لملاقاة الباشا . والله تعالى أعلم .



المحرم

الجمعة أوله (٤ نوفمبر ١٧٨٥) :

في ذلك اليوم وصل الباشا الجديد الى بر انبابة — واسمه محمد باشا يكن — فبات هناك ليلة الجمعة .

وفي الصباح ذهب اليه الأمراء وسلموا عليه على العادة ، وعدوا به الى قصر العيني فجلس هناك الى يوم الاثنين .

الاثنين ٤ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٥ م) :

ركب الباشا بالموكب ، وشق من الصليبة ، وطلع الى القلعة ، واستبشر الناس بقدومه .

صفر

الخميس ١٢ منه (١٥ ديسمبر ١٧٨٥) :

حضر مبشر الحج بمكاتيب العقبة ، وأخبر أن الحجاج لم يزوروا المدينة أيضا في هذه السنة مثل العام الماضي بسبب طمع أمير الحج في عدم دفع العوائد للعربان وصرة المدينة ، وأن أحمد باشا أمير الحج الشامي أكد عليه في الذهاب وأنعم عليه بجملة من المال والعليق والذخيرة ، فاعتسل بأن الأمراء بمصر لم يوفوا له العوائد ولا الصرة في العام الماضي وهذا العام . واستمر على امتناعه .

وحضر الشريف سرور ، شريف مكة ، وكلية بحضرة أحمد باشا وقال : « اذا كان كذلك فنكتب عرض محضر ونخبر السلطان بتقصير الأمراء ، ونضع عليه خطك وختمك ... وللسلطان النظر بعد ذلك » . فأجاب الى ذلك ، ووضع خطه وختمه ، وسار متوجها الى الديار المصرية . ووقع الضجيج والعيول في الحجاج لعدم زيارتهم المدينة . فلما وصل الجاويش بهذه الأخبار اغتم الناس ، وأظهر ابراهيم بيك الفيظ على أمير الحج ، وحلف لا يخرج الى ملاقاته وأرسل الى مراد بيك — وكان بالقصر جهة العادلية — فأحضره وقال له كذلك ، ثم اختلوا مع بعضهم في العشية وتحدثوا بالنجوى بينهم ، وحضر اليهم الجاويش في صباحها فخلعوا عليه كالعادة ، ورجع بالملاقة ، وخرج الأمراء في ثاني يوم الى خارج بأجمعهم ونصبوا خيامهم

الاثنين ١٦ منه (١٩ ديسمبر ١٧٨٥) :

وصل الحجاج ودخلوا الى مصر ، ونزل أمير الحج بالحنلاطة بباب انصر ، ولم ينزل بالحصوة أولا على العادة .

الثلاثاء ١٧ منه (٢٠ ديسمبر ١٧٨٥) :

دخل أمير الحج بالمحمل بموكب دون المعتاد ، وسلم المحمل الى الباشا .

الأربعاء ١٨ منه (٢١ ديسمبر ١٧٨٥ م) :

اجتمع الأمراء ببنت ابراهيم بيك ، وأحضروا مصطفى بيك أمير الحج ، وتشاجر معه ابراهيم بيك ومراد بيك بسبب هذه الفعلة وكتابة العرضحال ، وادعوا عليه أنه تسلم جميع الملائل ، وطلبوا منه حساب ذلك ، وقالوا له : « فضحتنا في مصر وفي الحجاز وفي الشام وفي الروم وجميع الدنيا » . واستمروا على ذلك الى قرب المساء .

ثم ان مراد بيك أخذ أمير الحج الى بيته فبات عنده .

وفي صباحها حضر ابراهيم بيك عند مراد بيك ، وأخذ أمير الحج الى بيته ووضع في مكان محجورا عليه ، وأمر الكتاب بحسابه فحسابوه فاستقر في طرفه مائة ألف ريال وثلاثة آلاف ، وذلك خلاف ما على طرفه من الميري .

الجمعة ٢٠ منه (٢٣ ديسمبر ١٧٨٥) :

طلع ابراهيم بيك الى القلعة وأخبر الباشا بما حصل ، وأنه حبسه حتى يوفى ما استقر بدمته ، فاستمر أياما وصالح وذبح الى بيته سكرما .

وفي ذلك اليوم — بعد صلاة الجمعة — ضج مجاورو الأزهر بسبب أخبازهم ، وقتلوا أبواب الجامع ، فحضر اليهم سليم أغا والتزم لهم بأجراء روايتهم بكرة تاريخه ، فسكنوا وفتحوا الجامع وانتظروا ثاني يوم فلم تأتهم شئ فأغلقوه ثانيًا وصعدوا على المنارات يصيحون ، فحضر سليم أغا بعد العصر ونجز لهم بعض المطالبات وأجرى لهم الجراية أياما ثم انقطع ذلك . وتكرر الغلق والفتح مرارا .

وفي ليلة خروج الأمراء الى ملاقاته الحاج ، ركب مصطفى بيك الاسكندري وأحمد بيك الكلارجي وذبحا الى جهة الصعيد ، والتفوا على عثمان بيك الشراوى ولاجين بيك ، وتقاسما الجهات والبلاد ، وأفحشوا في ظلم العباد .

ربيع الأول

منتصفه (١٦ يناير ١٧٨٦ م) :

شرع مراد بيك في السفر الى جهة بحري بقصد القبض على رسلان والنجار قطاع الطريق ، فسافر . وسمع بحضوره المذكوران فهربا فأحضر ابن حبيب وابن حمد وابن فودة وألزمهم باحضارها

فاعتذروا اليه ، فحبسهم ثم أطلقهم على مال ... وذلك بيت القصيد ١ وأخذ منهم رهائن ثم سار الى طملوها وطلب أهلها برسلان ، وقال لهم انه يأوى عندكم ، ثم نهب القرية وسلب أموال أهلها وسبى نساءهم وأولادهم ، ثم أمر بهدمها وحرقتها عن آخرها . ولم يزل ناصبا وطاقه عليها حتى أتى على آخرها هدمًا وحرقًا وجرفًا بالجراريف حتى محوا أثرها وسووها بالأرض ، وفرق كشافه في مدة اقامته عليها في البلاد والجهات نجبي الأموال ، وقرر على القرى ما سولته له نفسه ، ومنع من الشفاعة وبث المعينين لطلب السكف الخارجة عن المعقول ، فاذا استوفوها طلبوا حق طرقيهم ، فاذا استوفوها طلبوا المقرر ... وكل ذلك طلبا حثيثا والا أحرقوا البلدة ونهبوها عن آخرها .

ولم يزل في سيره على هذا النسق حتى وصل الى رشيد ، فقرر على أهلها جملة كبيرة من المال وعلى التجار وبياعين الأرز ، فهرب غالب أهلها . وعين على الاسكندرية صالح أغا كتحدا الجاوشية سابقا ، وقرر له حق طريقه خمسة آلاف ريال .

وطلب من أهل البلاد مائة ألف ريال . وأمر بهدم الكنائس . فلما وصل الى الاسكندرية هرب تجارها الى المراكب وكذلك غالب النصارى ، فلم يجد الا قنصل الموسقو فقال : « أنا أدفع لكم المطلوب بشرط أن يكون بموجب فرمان من الباشا أحاسب به سلطانكم » . فانكف عن ذلك ، وصالحوه

على كراء طريقه ، ورجع ، وارتحل مراد بيك من رشيد . ولما وصل الى جيجون هدمها عن آخرها ، وهدم أيضا كفر دسوق ، واستمر — هو ومن معه — يعيثون بالأقاليم والبلاد حتى أخربوها وأتلفوا الزروعات !!

« فى غد نجمع أهالى الأطراف والحارات وبوينا
ومصر القديمة وأركب معكم ، ونهيب بيوتهم
ينهبون بيوتنا ، ونموت شهداء أو ينصرتنا
عليهم » .

فلما كان بعد المغرب حضر سليم أغا مستحضرا
ومحمد كتحدا أرثوود الجلفى كتحدا ابراهيم بيك
وجلسوا فى الغورية ، ثم ذهبوا الى الشيخ الدرة
وتكلموا معه وخافوا من تضاعف الحال ، وقا
للشيخ : « اكتب لنا قائمة بالمنهوبات ونأتى بها ،
محل ما تكون » .

واتفقوا على ذلك وقروا الفاتحة وانصرفوا
وركب الشيخ فى صباحها الى ابراهيم بيك
وأرسل الى حسين بيك فأحضره بالمجلس وكلم
فى ذلك ، فقال فى الجواب : « كلنا نهابون ا و آ .
تتهب ، ومراد بيك يتهب ، وأنا أتهب كذلك I
وانقض المجلس وبردت القضية I I

وفى عقبها بأيام قليلة : حضر من ناحية قب
سليمة وبها تمر وسمن وخلافه ، فأرسل سليم
بيك الأغا وأخذ ما فيها جميعه وادعى أن له عب
أولاد وافى مالا منكسرا . ولم يكن ذلك لأوا
وافى وانما هو لجباة تسبون فيه من مجاور
الصعايدة وغيرهم ، فتعصب مجاورو الصعايد
وأبطلوا دروس المدرسين ، وركب الشيخ الدرة
والشيخ العروسى والشيخ محمد المصيلحى وآخره
وذهبوا الى بيت ابراهيم بيك وتكلموا معه بحض
سليمان بيك كلاما كثيرا مفحما ، فاحتج سليم
بيك بأن ذلك متاع أولاد وافى وأنا أخذته بقيه
من أصل مالى عندهم . فقالوا : « هذا لم ي
لهم » ، والما هو لأربابه ، وهم ناس فقراء . ه
كان لك عند أولاد وافى شيء فخذ منهم » . ه
بعضه وذهب بعضه I

وصلت الأخبار بقدومه الى زنكلون ، ثم ثنى
عنايه وعرج على جهة الشرق يفعل بها فعله بالمنوفية
والغربية . وأما صناعته الذين تركهم بمصر فانهم
تسلطوا على مصادرات الناس فى أموالهم —
وخصوصا حسين بيك المعروف بشفت (بمعنى
يهودى) — فانه تسلط على هجم البيوت ونهبها
بأدنى شبهة .

وفى عصر هذا اليوم : ركب حسين بيك المذكور
بجنوده وذهب الى الحسينية وهجم على دار شخص
يسمى أحمد سالم الجزار متولى رئاسة دراويش
الشيخ اليومى ، ونهبه — حتى مصاغ النساء
والفراش — ورجع ... والناس تنظر اليه I

وكذلك أرسل جماعة من سراجينه بطلب الخواجا
محمود بن حسن محرم ، فلاطفهم وأرضاهم
بدرهم ، وركب الى ابراهيم بيك فأرسل له
كنخداه وكنخداه الجاوشية فتلفقوا به وأخذوا
خاطرهم وصرفوه عنه ، وعبى له الخواجا هدية بعد
ذلك وقدمها اليه .

الجمعة ٢ منه (٣ مارس ١٧٨٦ م) :

فى الصباح ثارت جماعة من أهالى الحسينية
بسبب ما حصل فى أمس من حسين بيك ، وحضروا
الى الجامع الأزهر ومعهم طبول ، والتف عليهم
جماعة كثيرة من أوباش العامة والجميدية وبأيديهم
نبايت ومساق وذهبوا الى الشيخ الدردير
فوسهم وساعدهم بالكلام ، وقال لهم : « أنا
معكم » . فخرجوا من نواحي الجامع وقللوا أبوابه
وصمد منهم طائفة الى أعلى المنازل يصيحون
ويضربون بالطبول ، واتشروا بالأسواق فى حالة
منكرة وأغلقت الخوانيت . وقال لهم الشيخ الدردير :

١٠ منه (١١ مارس ١٧٨٦ م) :

قدم مراد بيك من ناحية الشرق . ودخل في
ليلتها من المنهوبات من الجمال والأغنام والأبقار
والجواميس وغير ذلك شيء كثير يجلب عن الحصر !
وفيه : سافر أيوب بيك الى ناحية قبلى لمصلحة
الأمراء الغضاب وهم : مصطفى بيك ، وأحمد بيك
الكلارجى ، وعثمان بيك الشرقاوى ، ولاجين
بيك ... لأنهم بلغوا قصدهم من البلاد وظلم
العباد !

جداى الآخرة

منتصفه (١٥ ابريل ١٧٨٦ م) :

حضر عثمان بيك الشرقاوى من ناحية قبلى .
وفيه : أنعم مراد بيك على بعض كشافه بفردة
دراهم على بلاد المنوفية ... كل بلد مائة وخمسون
ريالا ..

وفيه : اجتمع الناس بطندتا لعمل مولد سيدى
أحمد البدوى المعتاد المعروف ببولد الشربابليه .
وحضر كاشف الغريبة والمنوفية على جارى العادة ،
وكاشف الغريبة من طرف ابراهيم بيك الوالى
المولى أمير الحج ، فحصل منه عسف ، وجعل على
كل جبل يباع في سوق المولد نصف ريال فرانسة .
فأغار أعوان الكاشف على بعض الأشراف وأخذوا
جمالهم ... وكان ذلك في آخر أيام المولد . فذهبوا
الى الشيخ الدردير - وكان هناك بقصد الزيارة
- وشكوا اليه ما حل بهم ، فأمر الشيخ بعض
أتباعه بالذهاب اليه ، فامتنع الجماعة من مخاطبة
ذلك الكاشف ، فركب الشيخ بنفسه وتبعه جماعة
كثيرة من العامة .

فلما وصل الى خيمة كتبخا الكاشف دعاه
فحضر اليه - والشيخ راكب على بغلته - فكلبه
ووبخه وقال له « أتمم ماتخافوا من الله ! » .
ففى أثناء كلام الشيخ لكتبخا الكاشف هجم

على الكتبخا رجل من عامة الناس وضربه بنبوت .
فلما عاين خدامه ضرب سيدهم هجموا على العامة
بنبايتهم وعصيتهم وقبضوا على السيد أحمد
الصافى تابع الشيخ وضربوه عدة نبايت ، وهاجت
الناس على بعضهم . ووقع النهب في الخيم وفي
البلد ، ونهبت عدة دكاكين ، وأسرع الشيخ في
الرجوع الى محله ، وراق الحال بعد ذلك (١) .
وركب كاشف المنوفية - وهو من جماعة
ابراهيم بيك الكبير - وحضر الى كاشف الغريبة ،
وأخذه وحضر به الى الشيخ ، وأخذوا بخاطره ،
وصالحوه ونادوا بالأمان .

وانقض المولد ورجع الناس الى أوطانهم ،
وكذلك الشيخ الدردير . فلما استقر بمنزله حضر
اليه ابراهيم بيك الوالى وأخذ بخاطره أيضا ،
وكذلك ابراهيم بيك الكبير وكتبخا الجاوشية .

في ١٧ منه (١٧ ابريل ١٧٨٦ م) :

ركب حسين بيك الشفت وقت القائلة وحضر
الى بيت صغير بسوق الماطين وصحبته امرأة ،
فصعد اليه ، وتقب في حائط ، وأخرج منه برمة
ملوئة ذهبا ... فأخذها وذهب .

ونجى ذلك أن هذا البيت كان لرجل زيات في
السنين الخالية ، فاجتمعت لديه هذه الدنانير ،
فوضعها في برمة من الفخار وأفرج لها تقبا في كف
الحائط ووضعها فيه ، وبني عليها وسواها بالجبس .
وكانت هذه المرأة ابنة صغيرة تنظر اليه . ومات
ذلك الرجل ، وبيعت الدار بعد مدة ووقفها الذى
اشتراها .

وتداولت الأعوام ، وآل البيت الى وقف المشهد
الحسينى ، وسكنه الناس بالأجرة ، ومضى على

(١) من الجلى أن الشعب كان ملئ الصدر بالحفيظة والحق
والفصب على هذا الفساد . وواضح أنه كان يحاول - بين الحين
والحين - الانتفاض على ذلك الحكم الجائر . ولكن هبوط مستوى
الرعى العام ، وعدم وجود زعامة تلتف حول رأيها فكرة
الجماعة ... كانا سببا في انطفاء الثورات فور اشتغالها .

مع غيم مطبق ، وأظلم منها الجو ، واستمرت من الظير إلى الغروب .

٢٩ منه (٢٩ أبريل ١٧٨٦ م) :

حضر مصطفى بك أيضا .

وفي هذا الشهر تقب الشطار حاصلا في وكالة المسيرة التي يباب الشربة ، وكان يظهر الحاصل المذكور قهوة متخربة ، فتسلق إليها بعض الحرامية ، ونقبوا الحاصل ، وأخذوا منه صندوقا في داخله اثنا عشر ألف بندقي ، عنها ثلاثون ألف ريال في ذلك الوقت . وفيه من غير جنس البندقي أيضا ذهب ودرهم وثياب حرير وطرح النساء الحلاوى التي قال لها « الحبر » .

وبعد أيام قبضوا على رجلين ، أحدهما فطاطرى والآخر مخاللاتي — بتعريف الخفراء ، بعد حبسهم ومعاقتهم — فأخذوا منهما شيئا واستمرا محوسين .

رجب

غرفته (٣٠ أبريل ١٧٨٦ م) :

عزم مراد بك على التوجه الى سد خليج منوف المعروف بالقرعونية ، وكان منذ سنين لم يحسن ، واندفع اليه الشرقي حتى تهور وشرق بسببه بحر دمياط وتعطلت مزارع الأرز .

وفيه : وصلت الأخبار من ثغر الاسكندرية بأنه ورد اليها مركب البيليك ، وذلك على خلاف العادة . ثم حضر عقبه أيضا قليون آخر فيه أحمد باشا والى جدة ، ثم تعقبهما آخر وفيه غلال كثيرة . نقلوها الى الثغر وشرعوا في عدل بقسمات فكثرت اللفظ بمصر بسبب ذلك .

في ١٠ منه (٩ مايو ١٧٨٦ م) :

ورد مططرى من البر ، وقابجى من البحر ، ومعهما مكاتبات .

ذلك نحو الأربعين عاما وتلك المرأة تتخيل ذلك في ذهنها وتكتمه ولا يمكنها الوصول الى ذلك المكان بنفسها . وقلت ذات يدها واحتاجت ، فذهبت الى حريم حسين بيك المذكور وعرفت من القضية . وأخير الأمير بذلك فقال : « لعل بعض الساكنين أخذها » . فقالت : « لا يعرفها أحد غيرى » . فأرسل الى ساكن الدار وأحضره وقال له : « أخل دارك في غد وانتظرى ولا تفزع من شيء » . ففعل الرجل ، وحضر الصنjq وصحبته المرأة ، فأرته الموضع فتقبوه وأخرجوا منه تلك البرمة ، وأعطى صاحب المكان « احسانا » ، وركب وصاحب المكان بتعجب .

وركب أيضا قبل ذلك وذهب الى بيت رجل يقال له الشيخ عبد الباقي أبو قلبطة لبلا ، وأخذ منه صندوقا مودعا عنده أمانة لنصر بن شديد البدوى شيخ عرب الحويطات يقال ان فيه شيئا كثيرا من الذهب العين وغيره

وهجم أيضا على بيت بالقرب من المشهد الحسينى في وقت القائلة ، وكان ذلك البيت مفقولا وصاحبه غائب ، فحلح الباب وطلع اليه ولحق منه عشرة أكاس مملوءة ذهبا وخرج وأغلق الباب كما كان : وركب هو ومماليكه والأكاس في أحضانهم على قرايس سروج الخيل ، وهو بجملتهم يحمل كيسا أمامه والناس تنظرهم .

في ٢٠ منه (٢٠ أبريل ١٧٨٦ م) :

حصر أنوب بيك ولاجين بيك وأحمد بيك من ناحية فلى ، ودخلوا بيوتهم بالمنهوبات والمواشى . وتأخر مصطفى بك .

٢٧ منه (٢٧ أبريل ١٧٨٦ م) :

هبّت رياح عاصفة جنوبية نسفت رمالا وأتربة

الخميس ١٢ منه (١١ مايو ١٧٨٦ م) :

قرئت المكاتبات بالدبوان . ومضمونها طلب
الخزائن المنكسرة وتشهيل مرتبات الحرمين من
الغلال والصرر في السنين الماضية ، واللوم
على عدم زيارة المدينة . وفيه الحث والوعد والوعيد
والأمر بصرف العلقات وغلل الأنبار ، وفيه المهلة
ثلاثون يوما . فكثر لفظ الناس والقال والقليل .

وأشيع ورود مراكب أخرى الى نجر
الاسكندرية ، وأن حسن باشا القبطان واصل أيضا
في أثر ذلك وصحبه عساكر محاربون .

وفيه : حضر معلم ديوان الاسكندرية . قيل انه
هرب ليلا .

ثم ان ابراهيم بيك أرسل يستحث مراد بيك في
الحضور من سد الفرعونية ، ثم بعث اليه على أغا
كتحدا جاووجان ، والمعلم ابراهيم الجوهري ،
ومسلمان أغا الحنفى ، وحسن كتحدا الجربان ،
وحسن أفندى شقبون كاتب الحوالة سابقا وأفندى
الدبوان حالا ... فأحضروه الى مصر يوم الثلاثاء
ولم يتم سد الترعة بعد أن غرق فيها عدة مراكب
ومراسى حديد وأخشاب أخذوها من أربابها من غير
ثمن ، وفرد على البلاد الأموال وقبض أكثرها ...
وذهب ذلك جميعه من غير فائدة ثم ان الأمراء
عملوا جمعيات وديوانا بيت ابراهيم بيك وتشاوروا
في تنجيز الأوامر . وفي أثناء ذلك تشحطت الغلال ،
وارتفع القمح من المسواحل والمرصات ، وغلا
سعره وقل وجوده حتى امتنع بيع الخبز من
الأسواق ، وأغلقت الطواوين فنزل سليم أغا ،
وهجم المخازن ، وأخرج الغلال ، وضرب القمح
والمسبيين ومنعهم من زيادة الأسعار ، فظهر القمح
والخبز بالأسواق وراق الحال وسكنت الأقاويل .

وفي هذا الشهر - أعنى شهر رجب - حصلت
عدة حريقات ، منها حريقتان في ليلة واحدة :

أحدهما بالأزبكية ، وأخرى بخططنا بالصناديقية .
وظهرت النار من دكان رجل صناديقى - وهى
مشحونة بالأخشاب والصناديق المدهونة - عند
خان الجبلية . فرعت النار فى الأخشاب ووجت فى
ساعة واحدة ، وتعلقت بشبابيك الدور ، وذلك بعد
حصنة من الليل .

وهاج الناس والسكان ، وأسرعوا بالهدم وصب
المياه ، وأحضر الوالى القصارين حتى طفت .

وفيه أيضا أن امرأة تعلقت برجل من المجاذيب
يقال له الشيخ على البكرى ، مشهور ومعتقد عند
العوام .

وهو رجل طويل ، حليق اللحية ، يمشى عريان ،
وأحيانا يلبس قميصا وطاقية ، ويمشى حافيا ...
فصارت هذه المرأة تمشى خلفه أينما توجه ، وهى
يأزارها ، وتخطأ فى ألفاظها ، وتدخل معه الى
اليوت ، وتطلع الحريمات .

واعتقدها النساء ، وهادوها بالدراهم والملابس ،
وأشاعوا أن الشيخ « لحظها » وجذبها ، وصارت
من الأولياء .

ثم ارتقت فى درجات الجذب ، وثقلت عليها
الشربة ، فكشفت وجهها ، ولبست ملابس كالرجال .
ولازمته أينما توجه ، ويتبعها الأطفال والصغار ،
وهوام العوام .

ومنهم من اقتدى بهما أيضا ، ونزع ثيابه ،
وتحنجل فى مشيه ! وقالوا انه اعترض على الشيخ
والمرأة ، فجذبه الشيخ أيضا ، أو أن الشيخ لمسه
فصار من الأولياء .

وزاد الحال ، وكثر خلفهم أوباش الناس ،
والصغار ، وصاروا يخطفون أشياء من الأسواق ،
ويصير لهم فى مرورهم ضجة عظيمة .
وإذا جلس الشيخ فى مكان وقف الجميع ،

وازدحم الناس للفرجة عليه . وتصعد المرأة على دكان أو علوة ، وتتكلم بفاحش القول ، ساعة بالعربي ، ومرة بالتركي ... والناس تنصت لها ، وقبلون بدها ! ويتبركون بها ! وبعضهم يضحك ، ومنهم من يقول : الله ... الله ... وبعضهم يقول : دستور يا أسادي ! .. وبعضهم يقول : لا تعترض بشيء ...

فمر الشيخ في بعض الأوقات — على مثل هذه الصورة والضجة — ودخلوا من باب بيت القاضي الذي من ناحية بين القصرين . وبذلك العطفة سكن أحد الأجناد يقال له جعفر كاشف ، فقبض على الشيخ ، وأدخله الى داره ، ومعه المرأة وباقي المجاذيب ، فأجلسه وأحضر له شيئا يأكله ، وطرده الناس عنه ، وأدخل المرأة والمجاذيب الى الحبس ، وأطلق الشيخ لحال سبيله ، وأخرج المرأة والمجاذيب فضربهم ، وعذربهم ، ثم أرسل المرأة الى المارستان ، وربطها عند الحائنين ، وأطلق باقي المجاذيب بعد أن استغاثوا وتابوا ولبسوا ثيابهم ... وطارت الشربة من رؤوسهم !

وأصبح الناس يتحدثون بقصتهم . واستمرت المرأة محبوسة بالمارستان حتى حدثت الحوادث فخرجت وصارت شحقة على انفرادها ، وبعثتها الناس والنساء ، وجمعت عليها الجمعيات وموالد وأشياء ذلك !

وفيه ورد الخبر من الديار الشامية بحصول طاعون عظيم في بلادهم ، وحصل عندهم أيضا قحط وغلاء في الأسعار .

شعبان

٢ منه (٢١ مايو ١٧٨٦ م) :

ركب سليم أغا في عصرته الى جامع السلطان حسن بن قلاوون الذي بسوق السلاح ، وأحضر

معه فعلة وفتح باب المسجد المسدود — وهو الباب الكبير الذي من ناحية سوق السلاح — فهدموا الدكاكين التي حدثت أسفله والبناء الذي يصدر الباب . وكانت مدة سده في هذه المرة احدى وخمسين سنة ، وكان سببها المقتلة التي قتل فيها الأحد عشر أميرا بيت محمد بك الدفتردار في سنة ١١٤٩ هـ (١٧٣٦ م) .

وسبب فتحه أن بعض أهل الخطة تذاكر مع الأغا في شأنه وأعلمه بحصول المشقة على الناس المسلمين في الدخول اليه من باب الرميطة . وربما فاتهم حضور الجماعة في مسافة الذهاب ، وأن الأسباب التي سد الباب من أجلها قد زالت وانقضت وليست ، فاستأذن سليم أغا ابراهيم بك ومراد بك في فتحه فأذنا له ففتح وصنع له بابا جديدا عظيما ، وبنى له سلاله ومصاطب ، وأحضر نظاره وأمرهم بالصرف عليه ، ويأتي هو في كل يوم يباشر العمل بنفسه ، وعمروا ما تشعث منه ونظفوا حيطانة ورخامه ، وظهر بعد الحفاء ، وازدحم الناس للصلاة فيه ، وآتوا اليه من الأماكن البعيدة .

٥ منه (٤ يونيو ١٧٨٦ م) :

توفي مصطفى بك المرادي المجنون .

٢٠ منه (١٨ يونيو ١٧٨٦ م) :

كثر الارجاف بمجيء مراكب الى الاسكندرية وعساكر وغير ذلك .

رمضان

٥ منه (٢ يوليو ١٧٨٦ م) :

حضر واحد أغا من الديار الرومية وعلى يده مكتبة بالحث على المطلوبات ، فطلع الأمراء الى القلعة ليلا واجتمعوا بالباشا وتكلموا مع بعضهم كلاما كثيرا ، وقال مراد بك للباشا : « ليس لكم

١٠ منه (٧ يوليو ١٧٨٦ م) :

سافروا في هذه الليلة

وفيها : ركب ابراهيم بيك بعد الافطار وذهب الى مراد بيك وجلس معه ساعة ثم ركبوا وطلعوا الى القلعة ، وطلع ايضا المشايخ باستدعاء من الأمراء وهم : الشيخ البكرى والشيخ السادات والشيخ العروسى والشيخ الدردير والشيخ الحريرى ... وقابلوا الباشا وعرضوا عليه العرضحالات . وكان المشى لبعضها الشيخ مصطفى الصاوى وغيره ، فأعجبهم انشاء الشيخ مصطفى وأمروا بتغيير ما كان من انشاء غيره . وانخضع مراد بيك في تلك الليلة لباشا جدا ، وقبل أنكه وركبتيه ويقول له : « ياسلطان ! نحن في عرضك في تسكين هذا الأمر ودفعه عنا . ونقوم بما علمنا ونرتب الأمور وننظم الأخوال على النواين القديمة » . فقال الباشا « ومن يضمنكم ويتكفل بكم ! » . قال : « أنا الضامن لذلك ، ثم ضماني على المشايخ والاختبارية » .

١٢ منه (١٠ يوليو ١٧٨٦ م) :

وصلت الأخبار بوصول حسن باشا القبطان الى نجر الاسكندرية . وكان وصوله يدم نائره (٧ يوليو ١٧٨٦) قبل العصر وصحبته عدة مراكب ، فزاد الاضطراب وكثر اللفظ فتمعوا أمر العرضحالات وأرسلوها مسجلة ساجدار باشا والطبرى وواحد أغا ، ودفعوا لكل فرد منهم ألف ريال وسافروا من يومهم .

وفيه : وردت الأخبار بأن مشايخ عرب الهنادى والبحيرة ذهبوا الى الاسكندرية وقابلوا أحمد باشا الجداوى فالبسهم خلعاً وأعطاهم دراهم وكذلك أهل دمهور .

وفيه : حضرت صدقات من مولاي محمد ، صاحب المغرب ، ففرقت على فقراء الأزهر ، وخدمة الأضرحة والمشايخ المقتين ، والشيخ البكرى ،

عندنا الا حساب . أمهلونا الى بعد رمضان ، وحاسبنا على جميع ما هو في طرفنا .. نوره . وأرسل الى من وصل الى الاسكندرية يرجعون الى حيث كانوا ، والا فلا نشهل حجاً ولا صرة ولا ندفع شيئاً ... وهذا آخر الكلام » .

كل ذلك و ابراهيم بيك يلاطف كلا منهما . ثم اتفقوا على كتابة عرضحال من الوجاقلية والمشايخ ويذكر فيه أنهم أقبلوا وتابوا ورجعوا من المخالفة والظلم والطريق التي ارتكبوها ، وعليهم القيام باللوازم ، وقرروا على أنفسهم مصلحة يقومون بدفعها لقبطان باشا والوزير وباشة جدة ، وقدرها ثلثمائة وخمسون كيساً . وقاموا على ذلك ونزلوا الى بيوتهم .

ليلة ٧ منه (٤ يوليو ١٧٨٦ م) :

جمع ابراهيم بيك المشايخ وأخبرهم بذلك الاتفاق ، وشرعوا في كتابة العرضحالات ، أحدها للدولة وآخر لقبطان باشا ، بالمهلة حتى يأتي الجواب ، وآخر لباشة جدة الذى فى الاسكندرية .

وفى صباحها : وردت مكاتبة من أحمد باشا الحزار يخبر فيها بالحركة والتحذير وأخبار بورود مراكب أخرى بالاسكندرية ومراكب وصلت الى دمياط ... فزاد اللفظ والقتال والقبل .

وفيه : ركب سليمان آغا مستحفظان ونادى فى الأسواق على الأروام والقليونية والأتراك بأنهم يسافرون الى بلادهم . ومن وجد منهم بعد ثلاثة أيام قتل .

وفيه : اتفق رأى ابراهيم بيك ومراد بيك أنهم يرسلون لاجين بيك ومصطفى بيك السلحدار الى رشيد لأجل المحافظة والاتفاق مع عرب الهنادى ويطلبون أحمد باشا والى جدة ليأتى الى مصر ويذهب الى منصبه .

والشيخ السادات ، والعمرين ... على يد الباشا ، بموجب قائمة ومكاتبة .

١٥ منه (١٢ يوليو ١٧٨٦ م) :

حضر مصطفى جرجي باش سراجين مراد بيك سابقا وسردار ثغر رشيد حالا . وكان السبب في حضوره أنه حضر الى رشيد أحد القباطين وصحبه عدة وافرة من العسكر ، فطلع الى بيت السردار المذكور وأعطاه مكاتبة من حسن باشا خطابا للأمراء بمصر وأمره بالتوجه بها فحضر بتلك المكاتبة مضمونها التطين ببعض ألفاظ .

وفيه : اتفق رأى الأمراء على ارسال جماعة من العلماء والوجاقية الى حسن باشا ، فتعين لذلك الشيخ أحمد العروسي والشيخ محمد الأمير والشيخ محمد الحريري . ومن الوجاقية اسماعيل أفندي الخلوتي وابراهيم أغا الورداني . وذهب صحبتهم أيضا سليمان بيك الشاوري . وأرسلوا صحبتهم مائة فرق بن ، ومائة قنطار سكر ، وعشر بقج ثياب هندية ، وتفاصيل وعودا وعبرا وغير ذلك .

١٨ منه (١٥ يوليو ١٧٨٦ م) :

سافروا على أنهم يجتمعون به ويكلمونه ويسألونه عن مراده ومقصده ، ويذكرون له أمثالهم وطاعتهم وعدم مخالفتهم ورجوعهم عما سلف من أفاعيلهم ، ويذكرونه حال الرعية وما توجه الفتن من الضرر والتلف .

١٩ منه (١٦ يوليو ١٧٨٦ م) :

حضر تفكجي باشا من طرف حسن باشا وذهب الى ابراهيم بيك وأفطر معه وخلق عليه خلعة سمور وأعطاه مكاتبات ، وكان صحبتته محمد أفندي حافظ من طرف ابراهيم بيك أرسله الأمراء قبل ذلك بأنام عندما بلغهم خبر القادمين ليستوعب الأحوال . ثم

ان ذلك التفكجي جلس مع ابراهيم بيك حصه من الليل وذهب الى محليه ، وحضر على أغا كتخدا الجاوشية فركب مع ابراهيم بيك وطلعا الى الباشا في سادس ساعة من الليل ، ثم نزلا وسافر التفكجي في صباحها وصحبته الحافظ .

وكان فيما جاء به ذلك التفكجي طلب ابراهيم بيك أمير الحج ، فلم يرض بالذهاب وقال أيضا لابراهيم بيك : « ان حضرة الباشا بلغه أنكم تستعدون للحرب ، ولصبتكم مدافع وغير ذلك ، وأنا لم أر شيئا من ذلك » .

فقال له ابراهيم بيك : « معاذ الله اتنا نحارب رجال دولة سلطاننا أو نعصى عليه ولا يليق ذلك » .

فقال : « انكم أرسلتم تقولون له أنكم تبتسم ورجعتم عن الأفعال المتقدمة ، ثم انكم أرسلتم أمراء منكم ينهبون البلاد ويطلبون الكلف الزائدة — ومن جعلتها أردبا بن ... والبن لا يطلع الا في بلاد اليمن ا » . فقال له : « هذا كلام المنافقين » .

وكان لاجين بيك ومصطفى بيك — لما سافرا للمحافظة بعد التوبة يومين — فعلوا أفاعيلهم بالبلاد ، وطلبوا هذه الكلف ، وحرقوا وردان ... فضجت أهالي البلاد . وذهبوا الى عرض حسن باشا وشكوا ما نزل بهم ، فأخذ بخواطرهم وكتب لهم فرمانا برفع الخراج عنهم سنتين ، وأرسل مع ذلك التفكجي العتاب واللوم في شأن ذلك ويقول لهم : « أرسلوا لهم وارفعوهم عن خلق الله تعالى » ... فلم يفعلوا .

وفي تلك الليلة : ذهب سليم أغا الى ناحية باب الشرية وقبض على الحافظ اسحاق وأخذته على صورة أرباب الجرائم من أسافل الناس ، وذهب به الى بولاك ، فلحقه مصطفى بيك الاسكندراوى ورده .

٢١ منه (١٨ يوليو ١٧٨٦ م) :

وصلت الأخبار بورود حسن باشا الى ثغر رشيد يوم سادس عشره (١٣ يوليو ١٧٨٦) ، وأنه كتب عدة فرمانات بالعربي وأرسلها الى مشايخ البلاد وأكابر العربان والمقادم ، وحق طريق المعينين بالفرمانات ثلاثون نصفافضة لاغير ، وذلك من نوع الخداع والفساد وجذب القلوب ، ومثل قولهم أنهم يقرروا مال الفدان سبعة أنصاف ونصف نصف ، حتى كادت الناس تطير من الفرح ، وخصوصا الفلاحين لما سمعوا ذلك . وأنه يرفع الظلم ويمشي على قانون دفتر السلطان سليمان وغير ذلك .

وكان الناس يجهلون أحكامهم ... فمالت جميع القلوب اليهم وانحرفت عن الأمراء المصرية وتمنوا سرعة زوالهم .

... سورة ذلك فرمان — وهو الذي أرسل الى أولاد جيب من جملة ما أرسل :

« صدر هذا فرمان الشريف ، الواجب القبول والتشريف ، من ديوان حضرة الوزير المعظم ، والدستور المكرم ، على الهمة . وناصر المظلوم على من ظلم ، مولانا العزيز : غازى حسن باشا ، صارى عسكر السفر البحرى المنصور حالا ، ودوناته همايون : أبدت سيادته السنية ، وزادت رتبته العلية ... الى مشايخ العرب أولاد جيب بناحية دجوة ، وفقهم الله تعالى ...

« نعرفكم أنه بلغ حضرة مولانا السلطان — نصره الله — ماهو واقع بالقطر المصرى من الجور والظلم للفقراء وكافة الناس ، وأن سبب هذا خائنو الدين ابراهيم بيك ومراد بيك وأتباعهما ، فتعينا بحط شريف من حضرة مولانا السلطان — أيده الله — بعساكر منصوره بحرا لدفع الظلم ولايقاع الانتقام من المذكورين ، وتعين عليهم عساكر منصوره برا بسارى عسكر عليهم من حضرة مولانا السلطان نصره الله .

« وقد وصلنا الى ثغر اسكندرية ثم الى رشيد فى ١٦ رمضان (١٣ يوليو ١٧٨٦) ، فحررنا لكم هذا فرمان لتحضروا وتقابلونا وترجعوا الى أوطانكم مجبورين مسرورين ان شاء الله تعالى .
« فحين وصوله اليكم تعملوا به وتعتمدوه .
والحذر ثم الحذر من المخالفة .. وقد عرفناكم » .

ثم ان الأمراء زاد قلقهم واجتمعوا في ليلتها بيت ابراهيم بيك وعمنوا بينهم مشورة في هذا الأمر الذى دهمهم ، وتحققوا اتساع الخرق ، والنيل آخذ في الزيادة .

ف عند ذلك تجاهروا بالمخالفة ، وعزموا على المحاربة . واتفق الرأي على تشهيل تجريدة وأميرها مراد بيك ، فيذهبون الى جهة قوة ، ويمنعون الطريق ، ويرسلون الى حسن باشا مكاتبات بتحريض الحساب والقيام بغلاق المطلوب . ويرجع من حيث أتى . فان امتثل والا حاربناه ، وهذا آخر الكلام .

ثم جمعوا المراكب ، وعبوا الذخيرة والقساط . وذلك كله فى يوم الثلاثاء والأربعاء . وتقلوا عزالهم ومتاعهم من الثياب الكبار الى اماكن لهم صغار جهة المشهد الحسينى والشوانى والأزهر ، وعطلوا القناديل والتعاليق المعدة لمهرجان رمضان . وزاد الارجاج ، وكثر اللفظ ، ولاحت عليهم لوائح الخذلان ، ورخص أسعار الغلال بسبب بيعهم الغلال المخزونة عندهم ... كما قيل : مصائب قوم عند قوم فوائد ...

٢٤ منه (٢١ يوليو ١٧٨٦ م) :

خرج مراد بيك والأمراء المسافرون معه الى ناحية بولاق ، وبرزوا خيامهم ، وعدوا في ليلتها الى بر انبابة ، ونصبوا وطاقهم هناك .

وتعين للسفر — صحبة مراد بيك — مصطفى

مصر قوم ضعاف ، وبيوت الأمراء مختلطة بينوت الناس .

فقال : « لا تخسوا من شيء . فإن أول ما أوصاني مولانا السلطان أوصاني بالرعية . » وقال : « ان الرعية وديمة الله عندي . وأنا استودعتك ما أودعني الله تعالى . » فدعوا له بخير ...

ثم قال : « كيف ترضون أن يملككم مملوكان كافران ، وترضونهم حكاما عليكم يسومونكم بالعباد والظلم ؟ لماذا لم تجتمعوا عليهم وتخرجوهم من بينكم ؟ » .

فأجابه اسماعيل أفندي الخلوتي بقوله : « يا سلطانم ! هؤلاء عصابة شديدي البأس ويد واحدة » .

فغضب من قوله ونهره وقال : « تخوفني بآسهم ؟ » .

فاستدرك وقال : « انما أعنى بذلك أنفسنا ، لأنهم — بظلمهم — أضعفوا الناس » . ثم أمرهم بالانصراف .

واجتمعوا عليه مرة ثالثة — بعد صلاة الجمعة — فاستأذنوه في السفر فقال لهم . « في غد أكتب لكم مكاتبة للرعية تقرأونها على الملا في الجامع الأزهر » فقال له الشيخ العروسي : « هذا أمر لا يمكننا فعله في هذا الوقت » . فقبل عذره وقال : « يكفي الاستفاضة » .

ثم تركهم بومين وكتب لهم مكاتبات وسلمها ليد سليمان بيك الشابوري وأمرهم بالانصراف ، فودعوه وساروا . وأخفيت تلك المكاتبات .

غايته (٢٧ يوليو ١٧٨٦ م) :

أرسل الباشا عدة أوراق الى أفراد المشايخ ، وذكر أنها وردت من صدر الدولة . وأما

بيك الداوودية الذي عرف بالاسكندراني ، ومحمد بيك الأتلي ، وحسين بيك الشفت ، ويحيى بيك ، وسليمان بيك الأغا ، وعثمان بيك الشراوى ، وعثمان بيك الأشقر .

وركب ابراهيم بيك بعد المغرب وذهب اليهم وأخذ بخاطرهم ورجع ، فأقاموا في بر ابيابة يوم الجمعة ، حتى تكامل خروج المسكر . وأخذ مراد بيك ما احتاحه من ملائيل الحج جمالا وبقد اط وغيره ... حتى الذي قبض من مال الصرة .

وأرسلوا في ليلتها على أغا كتجدا الجاوشية ، وسليمان أغا الخنفي الى الباشا ، وطلبوا منه الدراهم التي كانوا استخلصوها من مصطفى بيك أمير الحج وأدعوها عند الباشا ، فدفعها لهم بتمامها .

٢٦ منه (٢٣ يوليو ١٧٨٦ م) :

سافر مراد بيك من بر ابيابة وأصبح معه سلام أغاسي الباشا ليكون سفيرا بينه وبين قبطان باشا .

٢٨ منه (٢٥ يوليو ١٧٨٦ م) :

في ليلتها سافر مصطفى بيك الكبير أيضا ولحق بمراد بيك .

٢٩ منه (٢٦ يوليو ١٧٨٦ م) :

في الليل حضر المشايخ ومن معهم من ثعرو شيد ، فوصلوا الى بولاق بعد الغشاء ، وباتوا هناك وذهبوا الى بيوتهم في الصباح ، فأخبروا أنهم اجتمعوا على حسين باشا ثلاث مرات ... الأول للسلام ، فقابلهم بالاجلال والتعظيم ، وأمر لهم بمكان نزلوا فيه ، ورتب لهم ما يكفيهم من الطعام المهيأ في الافطار والسحور ، ودعاهم في ثاني يوم وكلهم كلمات قليلة .

وقال له الشيخ العروسي : « يا مولانا ... رعة

في مثل هذا الوقت — فانه كان يخاف ذلك جدا ،
وخصوصا لما أشيع أمر الفرمانات التي أرسلها
الباشا للمشايخ ، وتسامع بها الناس ...

وفي وقت ركوب ابراهيم بيك من بيت الشيخ
البكرى حصلت زعجة عظيمة ببركة الازيكية
وصيها أن مملوكا أسود ضرب رجلا من زراع
المقائيء فجرحه ، فوقع الصباح من رفقاءه واجتمع
عليهم خلق كثير من الأوباش . وزاد الحال حتى
امتلات البركة من المخلوقات ، وكل منهم سأل
عن الخبر من الآخر ، ويختلفون أنواعا من
الأكاذيب .

فلما رجع ابراهيم بيك الى داره أرسل من طرد
الناس ، وفحصوا عن أصل القضية ، وفتشوا على
الضارب فلم يجدوه فأخذوا المضروب فطيوا
خاطرهم وأعطوه دراهم ا

وفيه : أرسل مراد بيك بطلب ذخيرة وبقساط ،
وركب أيوب بيك الصغير وذهب الى مصر العتقة
وعثمان بيك الطنبورجي الى بولاق ، ونزلوا جملة
مدافع ومنها « الغضبان » و « أبو ماطة » . وكان
أيوب بيك هذا متمرضا عدة شهور ومنقطعا في
الحريم ، فغرق وشفى في ساعة واحدة .

هـ منه (أول اغسطس ١٧٨٦ م)

كان مولد السيد أحمد البدوي ببولاق ، وكراء
مشايخ الأشراف المراكب ليسافروا فيها فأخذوها
بأجمعها لأجل الذخيرة والمدافع ، ووسفوها
وأرسلوا منها جملة .

٦ منه (٢ اغسطس ١٧٨٦ م) :

حضرت مراكب من مراكب الغائبين ، وفيها
ممالك ومجاريح وأجناد ، وأخبروا بكسرة مراد
بيك ومن معه ، وأصبح الخبر شائعا في المدينة

العرضحالات التي أرسلوها صحة السلحدار
والططري فانهما لما وصلا الى الاسكندرية واطلع
عليها حسن باشا حبزها ومنع المراسلة الى
اسلامبول ، وقال : « أنا دستور مكرم ... والأمر
بنفوض الى في أمر مصر » . وسأل السلحدار عن
الأوراق التي من صدر الدولة هل أرسلها الباشا
الى أربابها . فأخبره أنه خاف من اظهارها ، فاشتد
غضبه على الباشا وسبه بقوله : « خائن ، منافق ! »
فلما رجع السلحدار في تاريخه وأخبر الباشا ...
فعمد ذلك أرسلها كما تقدم .

سؤال

٢ منه (٢٩ يوليو ١٧٨٦ م) :

أشيع أن مراد بيك ملك مدينة قوة وهرب من
بها من المسكر ووقع بينهم مقتلة عظيمة ، وأنه
أحد المراكب التي وجدها على ساحلها ... ثم ظهر
عدم صحة ذلك .

٢ منه (٣٠ يوليو ١٧٨٦ م) :

نزلت الكسوة من القلعة على العادة الى المشهد
الحسيني ، وركب ابراهيم بيك الكبير و ابراهيم
بيك أمير الحج الى قراميدان ، ونزل الباشا كذلك ،
وأكد على أمير الحج في التشهيل ، فاعتذر اليه
بتعطيل الأسباب ، فوعده بالمساعدة .

٤ منه (٢١ يونيو ١٧٨٦ م) :

أشاعوا اشاعة مثل الأولى مصطنعة ، وأظهروا
البشر والسرور .

وركب ابراهيم بيك في ذلك اليوم ، وذهب
الى الشيخ البكرى ، وعيد عليه ، ثم الى الشيخ
العروسي ، والشيخ الدودير .. وصار يحكي لهم ،
وتصاغر في نفسه جدا ، وأوصاهم على المحافظة ،
وكف الرعية عن أمر يحدثونه ، أو قومة أو حركة

وثبت ذلك . ورجعت المراكب بما فيها ، وأخبروا عما وقع وهو أنه لما وصل مراد بيك الى الرحمانية فعدى سليمان بيك الأغا وعثمان بيك الشرقاوى والألفى الى البر الشرقى فحصل بينهم اختلاف وغضب بعضهم ورجع القهقرى فكان ذلك أول الفشل ثم تقدموا الى محلة العلويين فأخلوا منها الأروام فدخلوا اليها وملكوها . وأرسلوا الى مراد بيك يطلبون منه الامداد ، فأمر بعض الأمراء بالتعدي اليهم فامتنعوا وقالوا : « نحن لا تفارقك ونموت تحت أقدامك » فحقن منهم وأرسل عوضهم جماعة من العرب ثم ركبوا وفصدوا أن يتقدموا الى فوة ، فوجدوا أمامهم طائفة من العسكر ناصبين متاربسين فلم تمكثهم التقدم لوعر الطريق وضيق الجسر وكثرة القنى ومزارع الأرز ، فتراموا بالبنادق فرمح سليمان بيك فعثر بقناة وسقط فحصلت فيهم خسعة وظنوها كسرة ، فرجعوا القهقرى ودخل الرعب في قلوبهم ورجعت عليهم العرب نهبويهم فعدوا الى البر الآخر .

وكان مراد بيك مستقرا في مكان توصل اليه من طريق ضيقة لا تسمع الا لفارس بمفرده ، فأشاروا عليه بالانتقال من ذلك المكان ... وداخلهم الخوف وتخلوا تحلات !

وما زالوا في نقض واپرام الى الليل ، ثم أمر بالارتحال فحملوا حملاتهم ورجعوا القهقرى وما زالوا في سيرهم وأشيع فيهم الانهزام وتطارت الأخبار بالكسرة ، وتيقن الناس أن هذا أمر الهى ليس بفعل فاعل .

وفه : حصلت كرشة من ناحة الصاغة . وسببها عبد مملوك أراد الركوب على حمار بعض المكارية فازدحم عليه الحمار ، ورمحوا خلفه .. فصارت كرشة ! ورمحت الصغار .. فأغلقت الدكاكين بالأشرية والغورية والعقادين وغير ذلك .

ثم تبين أن لا شيء ، ففتح الناس الدكاكين ا وفى ذلك اليوم حضر أناس من الممالك مجاريح ، وزاد الارجاف فنزل الباشا وقت الغروب الى باب العزب وأراد ابراهيم بيك أن يملك أبواب القلعة فلم يتمكن من ذلك وأرسل الباشا فطلب القاضى والمشايع فطلع البعض وتأخر البعض الى الصباح ، وبات السيد البكرى عند الباشا بباب العزب ، وكان له بها مندوحة ذكرها بعد ذلك الباشا لحسن باشا وشكره عليها وأحبه وذهب للسلام عليه عند قدومه دون غيره من بقية المشايخ .

٧ منه (٣ اغسطس ١٧٨٦ م) :

في الصباح طلوعوا بأجمعهم — وكذلك جماعة الوجدالية — ونصب الباشا البيرق على باب العزب ونزل جاووش مستحفظان وجاوش العزب وأمامهم القابجية والمناداة على الألفاشات وغيرهم ، وكل من كان طائعا لله وللسلطان يأتي تحت البيرق ، فطلع عليه جميع الألفاشات والتجار وأهل خان الخليلي وعامة الناس ، وظهرت الناس المخفيون والمستضعفون والذين أنحلهم الدهر ، والذي لم يجد ثياب زيه استعار ثيابا وسلاحا حتى امتلات الرميطة وقراميدان من الخلائق ، وأرسل محمد باشا يستحث حسن باشا في سرعة القدوم ويخبره بما حصل . وكان قصد حسن باشا التأخر حتى يسافر الحج وتأنى العساكر البرية ، فاقتضى الحال ولزم الأمر في عدم التأخر .

وأما ابراهيم بيك فانه اشتغل في نقل عزاله ومتاعه بطول الليل في بيوته الصغار ، فلم يترك الا فرش مجلسه الذي هو جالس فيه ، ثم انه جلس ساعة وركب الى قصر العيني وجلس به .

وأما ابراهيم بيك — أمير الحج — فانه طلع الى باب العزب وطلب الأمان ، فأرسل له الباشا فرمانا بالأمان وأذن له في الدخول .

على الناس بالطلوع ... فطلعوا ، واجتمعت
الخلائق زيادة على اليوم الأول ، وحضر أهالي
بولاق ، ونزل الأغا ، فنادى بالأمن والأمان ...
وفي ذلك اليوم ، قبل العصر ، ركب عثمان
خازن دار مراد بيك سابقا ، وذهب الى سيده ...
وكان من جملة من أخذ فرمانا بالأمان . فلما نزل
الى داره أخذ ما يحتاجه وذهب ، فلما بلغ الباشا
هروبه ، اغتاط من فعله .

ثم ان الباشا تخيل من ابراهيم بيك أمير
الحج ، فأمر بالتبول الى بيته ، فنزل الى جامع
السلطان حسن ، وجلس به ، فأرسل له الباشا
بالذهاب الى منزله .. فذهب

وفي صبح ثاني يوم : ركب سليمان بيك وأيوب
بيك الكبير والصغير وخرجوا الى مضرب النشاب ،
وركب ابراهيم بيك أمير الحج وذهب الى بولاق
وأحب أن يأخذ الجمال من المناخ فمنعه عسكر
المغاربة ، ثم ذهب عند رفقاءه بمضرب النشاب .

فلما بلغ الباشا ذلك أرسل لهم فرمانا بالعود ،
فطردوا الرسول ومزقوا فرمانا وأقاموا بالمصاطب
حتى اجتمعت عليهم طوائفهم وركبوا ولحقوا
باخوانهم . فلما حصل ذلك اضطربت البلد
وتوهموا صعودهم على الجبل بالمدافع ، ويضربوا
على القلعة ، وغير ذلك من التوهمات .

وركب قائد أغا بعد صلاة الجمعة وعلى أغا
خازن دار مراد بيك سابقا وصحبته جملة من
المماليك والعسكر .. وهم بالطرايش ويدهم مكاحل
البندق والقرايينات وفتائلها موقودة ، فوصلوا
الى الرميّة ، فضربوا عليهم مدفعين ، فرجعوا الى
ناحية الصليبة ونزلوا الى باب زويلة ومروا على
الفورية والأشرفية وبين القصرين ، وطلعوا من باب
النصر وأمامهم المناداة : أمان واطمئنان ! حكم
مارسم ابراهيم بيك ومراد بيك ... وحكم الباشا
بطلال ! !

وكذلك حضر أيوب بيك الكبير وأيوب بيك
الصغير وكتخدا الجاويشية وسليمان بيك الشايفوري
وبند الرحمن بيك عثمان وأحمد جاويش المجنون
ومحمد كتخدا أز نور ومحمد كتخدا أباطة وجماعة
كثيرة من الغز والأجناد وكذلك رضوان بيك بلفيا ،
فكان كل من حضر لطلب الأمان فان كان من
الأمراء الكبار فانه يقف عند الباب ويطرقة ويطلب
الأمان ويستمر واقفا حتى يأتيه فرمان الأمان ويؤذن
له في الدخول من غير سلاح .. وإن كان من الأصغر
فانه يستمر بالرميلة أو قراميدان أو يجلس على
المصاطب .

فلما تكامل حضور الجميع ، أبرز الباشا خطا
شريفا وقرأه عليهم وفيه المأمورات المتقدمة ذكرها ،
وطلب ابراهيم بيك ومراد بيك فقط ، وتأمين كل
من يطلب الأمان ، واستمر أمير الحج على منصبه .
ثم انه خلع على حسن كاشف — تابع حسن بيك
قصة رضوان — وقلده أغات مستحفظان . وخلع
على محمد كتخدا أز نور وقلده الزعامة . وقلد
محمد كتخدا أباطة أمين احتساب . ونزلوا الى
المدينة ونادوا بالأمان والبيع والشراء . وكذلك
نزل الأمراء الى دورهم — ما عدا ابراهيم بيك أمير
الحج ، فان الباشا عوقه عنده ذلك اليوم . وكذلك
أذنوا للناس بالتوجه الى أماكنهم بشرط الاستعداد
والاجابة وقت الطلب . ولم يتأخر الا المحافظون
على الأبواب . وأما مراد بيك فانه حضر الى بر
انبابة واستمر هناك ذلك اليوم ثم ذهب في الليل
الى جزيرة الذهب وركب ابراهيم بيك ليلا وذهب
الى الآثار .

وفي عصر ذلك اليوم : نزل الأغا ونبه على الناس
بالطلوع الى الأبواب .

وفيه : حضر سليمان بيك الأغا ، وطلب
الأمان ، فأعطوه فرمان الأمان وذهب الى بيته .
وأصبح يوم الخميس فنزلت القابجية ، ونهت

فلما سمع الناس ذلك ورأوه على تلك الصورة
انزعجوا وأغلقوا الدكاكين المفتوحة وهاجت الناس
وحاصوا حبة عظيمة وكثر فيهم اللغط .

ولما بلغ الباشا هروب المذكورين حصن القلعة
والمحمودية والسلطان حسن ، وأرسل الأغسا
قنادى على الاضاشات بالطلوع الى القلعة .

وفي تلك الليلة : ضرب المنسر كفر الطامعين ،
ونهبوا منه عدة أماكن ، وقتل بينهم أشخاص ،
واقطعت الطرق حتى الى بولاق ومصر القديمة ،
وصارت التعدي من عند رصيف الخشاب .

وفي يوم السبت ركب ابراهيم بيك وحسين بيك
وأوتا الى المناخ أيضا .

وأرادوا أخذ الجمال فنعهم المغاربة ، وقيل
أخذوا منهم جملة . وعربدوا في ذلك اليوم عريضة
عظيمة من كل ناحية ، وأرسل الباشا قبل المغرب
فطلب تجار المغاربة فاجتمعوا وطلعوا بعد العشاء
وباتوا بالسييل الذى فى رأس الرملة . وشدد
الباشا فى اجتماع الاضاشات ومن ينسب للوجاقات
فقلل له ان منهم من لا يملك قوت يومه ، وسبب
تفرقهم الجوع وعدم النفقة . فطلب أغات مستحفظان
وأعطاه أربعة آلاف ريال لينفقها فيهم .

وفيه : عدى مراد بيك من جزيرة الذهب الى
الآثار ، وكان ابراهيم بيك ركب الى حلوان وضربها
وأحرقها بسبب أن أهل حلوان نهبوا مركبا من
مراكبه .

ولما عدى مراد بيك الى البر الشرقى أرسل
الى ابراهيم بيك فحضر اليه واصططح معه لأن
ابراهيم بيك كان مغتاظا منه بسبب سفرته وكسرتة ،
فان ذلك كان على غير مراد ابراهيم بيك وكان
قصده أنهم يستمرون مجتمعين ومنضمين واذا
وصل القبطان أخلوا من وجهه ان لم يقدرُوا على

دفعه أو مصالحته ، وتركوا له البلد ومصيره
الرجوع الى بلاده فيعودون بعد ذلك بأى طريق
كان ، وكان ذلك هو الرأى فلم يستل مراد بيك
وقال : « هذا عين الجبن » . وأخذ فى أسباب
الخروج والمعاربة ، ولم يحصل من ذلك الا ضياع
المال والفشل والانهازم الذى لا حقيقة له ...
وكان الكائن .

ولما اصطلحا تفرقت طوائفهما يعيشون فى
الجهات ويخطفون ما يجدونه فى طريقهم من جمال
السقائين وحمبر الفلاحين ، وبعضهم جلس فى مرمى
النشاب ، وبعضهم جهة بولاق ، ونهبوا نحو عشرين
مركبا كانت راسية عند الشيخ عثمان ، وأخذوا
ما كان فيها من الغلال والسمن والأغنام والتمر
والعسل والزيت .

١١ منه (٧ اغسطس ١٧٨٦ م) :

زاد تنطيطهم وهجومهم على البلد من كل
ناحية ، ويدخلون أحزابا ومتفرقين . ودخل قائد
أغا وأتى الى بيته الذى كان سكن فيه وسكنه
بعده حسن آغا المتولى — وهو بيت قصبة رضوان
— فوجد بابه مغلوقا ، فأراد كسره بالبلط فأعياه .
وخاف من طارق فذهب الى باب آخر من ناحية
القريبة ف ضرب عليه الحراس بنادق فرجع بقهره
يخطف كل مصادفه . ولم يزالوا على هذه الفعال
الى بعد الظهر من ذلك اليوم .

وأشتد الكرب ، وضاق خناق الناس ، وتعطلت
أسبابهم ، ووقع الصياح فى أطراف الحارات من
الحرامية والسراق والمناسر نهارا ، والأغا والوالى
والمحتسب مقيمون بالقلعة لا يجسرون على النزول
منها الى المدينة .

وتوقع كل الناس نهب البلد من أوباشها ، وكل
ذلك والمآكل موجودة والغلال معرمة كثيرة بالرقع ،

ورخصت أسعارها ، والأخباز كثيرة ، وكذلك أنواع الكعك والفطير .

وأشيع وصول مراكب القبطان الى شلقان ، ففرح الناس وطلعوا المنارات والأسطحة العالية ينظرون الى البحر ، فلم يروا شيئا ، فاشتد الانتظار وزاغت الأبصار .

فلما كان بعد العصر سمع صوت مدافع على بعد ، ومدافع ضربت من القلعة ، ففرحوا واستبشروا وحصل بعض الاطمئنان . وصعدوا أيضا على المنارات فرأوا عدة مراكب وتقارير وصلت الى قرب ساحل بولاق ، ففرح الناس وحصل فيهم ضجيج .

وكان مراد بيك وجماعة من صناعه وأمرائه قد ذهبوا الى بولاق ، وشرعوا في عمل متاريس جهة السبئية ، وأحضروا جملة مدافع على عجل ، وجمعوا الأخشاب وحطب الذرة وأفراد وغيرها ، فوردت مراكب الأروام قبل اتمامهم ذلك فتركوا العمل وركبوا في الوقت ورجعوا ، وضجت الناس وصرخت الصبيان وزغررت النساء ، وكسروا عجل المدافع ...

وفيه : أرسل الأمراء مكاتبة الى المشايخ والوجاقات يتوسلون بهم في الصلح ، وأنهم يتوبون ويعودون الى الطاعة ، فقرئت تلك المكاتبات بحضرة الباشا ، فقال الباشا : « ياسبحان الله ! كم يتوبون ويعودون ! ولكن كتبوا لهم جوابا معلقا على حضور قبطان باشا » .. فكتبوه وأرسلوه .

١٢ منه (٨ اغسطس ١٧٨٦ م) :

في وقت العشاء وصل حسن باشا القبطان الى ساحل بولاق ، وضربوا مدافع لقدمه ، واستبشر الناس وفرحوا وظنوا أنه مهدي الزمان ، فبات في مراكبه الى الصباح وطلع بعض أتباعه الى القلعة وقابلوا الباشا .

ثم ان حسن باشا ركب من بولاق وحضر الى مصر من ناحية باب الخرق ، ودخل الى بيت ابراهيم بيك وجلس فيه وصحبه أتباعه وعسكره ، وخلفه الشيخ الأترم المغربي ومعه طائفة من المغاربة ، فدخل بهم الى بيت يحيى بيك ، وراق الحال وفتحت أبواب القلعة واطمأن الناس ، ونزل من بالقلعة الى دورهم . وشاع الخبر بذهاب الأمراء المصرية الى جهة قبلى من خلف الجبل ، فسافر خلفهم عدة مراكب وفيها طائفة من العسكر واستولوا على مراكب من مراكبهم وأرسلوها الى ساحل بولاق ، وأنفذ حسن باشا رسلا الى اسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى يطلبهما للحضور الى مصر .

وفيه : خرجت جماعة من العسكر ففتحوا عدة بيوت من بيوت الأمراء ونهبوها ، وتبعهم في ذلك البعيدية وغيرهم فلما بلغ القبطان ذلك أرسل الى والى والأغا وأمرهم بمنع ذلك وقتل من يفعله ولو من أتباعه ثم ركب بنفسه وطاق البلد وقتل نحو ستة أشخاص من العسكر وغيرهم وجد معهم منهوبات فأنكفوا عن النهب ، ثم نزل على باب زويلة وشق من الغورية ودخل من عطفة الحراطين على باب الأزهر وذهب الى المشهد الحسينى فزاره ونظر الى الكسوة ، ثم ركب وذهب الى بيت الشيخ البكرى بالأزبكية فجلس عنده ساعة ، وأمر بتسمير بيت ابراهيم بيك الذى بالأزبكية وبيت أبوب بيك الكبير وبيت مراد بيك ، ثم ذهب الى بولاق ورجع بعد الغروب الى المنزل ، وحضر عنده محمد باشا مخففا واختلى معه ساعة

١٣ منه (٩ اغسطس ١٧٨٦ م) :

ذهب اليه مشايخ الأزهر وسلموا عليه ، وكذلك التجار وشكوا اليه ظلم الأمراء ، فوعدهم بحير واعتذر اليهم باشتغاله بمهمات الحج وضيق الوقت وتعطل أسبابه .

الدلالة وعلى رأسه هيئة قلب من جلد السمور ،
ولابس عباءة بطراز ذهب ، وكان قبل ذلك يركب
بهيته المعتادة ، وهي هيئة القباطين ، وهي فوقانية
جوخ صاية بدلاية حرير على صدره ، وعلى رأسه
طربوش كبير يعمم بشال أحمر ، وفي وسطه سكينه
كبيرة ، ويديه مخصرة لطيفة هيئة حربة بطرفها
مشعب حديد على رسم الجلالة .

وفيه : نادى الأغا على كل من كان سراجا
بظالا ، أو فلاحا أو قواسا بظالا ... يسافر الى
بلده . ومن وجد بعد ثلاثة أيام يستحق العقوبة .
وفيه أيضا : نودى على طائفة النصارى بألا
يركبوا الدواب ، ولا يستخدموا المسلمين ، ولا
يشتروا الجوارى والعبيد ، ومن كان عنده شيء من
ذلك باعه أو أعتقه ، وأن يلزموا زيهم الأصلي من
شد الزنار والزنوط .

وفيه : أرسل حسن باشا الى القاضى وأمره
بالكشف عن جميع ما أوقفه المعلم ابراهيم الجوهري
على الديور والكنائس من أطيان ورزق وأملاك ..
والمقصود من ذلك كله استجلاب الدراهم
والمصالح .

١٥ منه (١١ أغسطس ١٧٨٦ م - الموافق ٦ مسرى) :
نودى على طائفة النصارى بالأمان ، وعدم
التعرض لهم بالأيذاء . وسببه تسلط العامة
والصغار عليهم ...

وفيه : كثر تعدى العساكر على أهل الحرف :
كالقهوجية ، والحمامية ، والمزنيين ، والخياطين ...
وغيرهم . فأتى أحدهم الى الحمامى ، أو القهوجى ،
أو الخياط ... ويقطع سلاحه ويعلقه ، ويرسم
ركنه في ورقة أو على باب دكان ، وكأنه صيره
شريكه وفي حمايته . ويذهب حيث شاء ، أو
يجلس متى شاء ... ثم يحاسبه ، ويقاسمه في
المكسب . وهذه عادتهم : اذا ملكوا بلدة ذهب كل

وفيه : عمل الباشا الديوان وقلد حسن أغا
مستحفظان صنجدية ، وخلع على على بك جركس
الاسماعيلى صنجدية كما كان في أيام سيده اسماعيل
بيك ، وخلع على غيطاس كاشف - تابع صالح
بيك - صنجدية ، وخلع على قاسم كاشف - تابع
أبى سيف - صنجدية أيضا . وخلع على مراد
كاشف - تابع حسن بيك الأذربكاوى - صنجدية ،
وخلع على محمد كاشف - تابع حسين بيك
كشكش - صنجدية ، وقلد محمد أغا أرثوود
الوالى أغات الجمليان ، وقلد موسى أغا الوالى -
تابع على بيك - أغات تفكجية ، وخلع على باكير
أغا تابع محمود بيك وجعله أغات مستحفظان ،
وخلع على عثمان أغا الجلفى وقلده الزعامة عوضا
عن محمد أغا .

ولما تكامل لبسهم التفت اليهم الباشا ونصحهم
وحذرهم وقال للجواقلية : « الزموا طرائقكم
وقوانينكم القديمة ، ولا تدخلوا بيوت الأمراء
الصناجق الا لمقتض ، واكتبوا قوانينكم بملفاتكم
وعوائدكم أمضيها لكم » .

ثم قاموا وانصرفوا الى بيوتهم ، ونزل الأغا
وأمامه المناداة بالتركى والعربى بالأمان على أتباع
الأمراء المتوارين والمخفيين ... وكل ذلك تدبير
وترتيب الاختيارية . وقلدوا من كل بيت أميرا لثلا
يتعصبوا لأنفسهم ولا تتحد أغراضهم .

وفيه : أرسل حسن باشا الى نواب القضاء
وأمرهم أن يذهبوا الى بيوت الأمراء ويكتبوا
ما يجدونه من متروكاتهم ويودعوه في مكان من
البيت ويختتموا عليه ففعلوا ذلك .

وفي تلك الليلة : وردت خمس مراكب رومسية
وضربوا مدافع وأجبيوا بمثلها من القلعة .

١٤ منه (١٠ أغسطس ١٧٨٦ م) :

ركب حسن باشا وذهب الى بولاق وهو بزي

كتخدا حسن باشا — فضربت لهم مدافع من القلعة .

وفيه : قبضوا على ثلاثة من العسكر أفسدوا بالنساء بناحية الرميلة ، فرفعوا أمرهم — وأمر الخطافين — الى القبطان ، فأمر بقتلهم ، فضربوا أعناق ثلاثة منهم بالرميلة ، وثلاثة في جهات متفرقة ...

وفيه : نودى بإبطال شركة العسكر لاهل الحرف ، ومن أتاها عسكري يشاركه ، أو أخذ شيئا بغير حق ، فليمسك ، ويضرب ، وتوثق أكتافه ، ويؤتى به الى الحاكم .

وحضر الوائى — وصحبته الجاويش — وقبض على من وجده منهم بالحمامات والقهاوى . طردهم وزجرهم ... وذلك بسبب تشكى الناس . فلما حصل ذلك اطمأنوا وارتاحوا منهم .

١٧ منه (١٢ اغسطس ١٧٨٦ م) :

خلعوا على محمديك ، — نابع الجرف — وجعلوه كاشفا على البحيرة .

وفيه : جاء الخبر عن الأمراء أن جماعة من العرب نحو الألف اتفقوا أنهم يكبسون عليهم ليلا ويتناونهم وينهبونهم ، فذهب رجل من العرب وأخبرهم بذلك الاتفاق ، فأخلوا من خيامهم وركبوا خيولهم وكنوا بمرأى من وفاقهم . فلما جاءت العربان وجدوا الخيام خالية فاشتغلوا بالنهب ... فكبس عليهم الأمراء من كمينهم فلم ينج من العرب الا من طال عمره .

وفيه : نودى على طائفة النساء ألا يجلسن على حوانيت البصياغ ، ولا فى الأسواق الا بقدر الحاجة .

١٨ منه (١٤ اغسطس ١٧٨٦ م) :

عملوا الديوان ، وقلدوا مراد بك أمير الحج . وسماء حسن باشا « محمدا » ... كراهة فى اسم

ذى حرفة الى حرفته التى كان يحترفها فى بلده ، ويشارك البلدى فيها ... فقتل على أهل البلدة هذه الفعلة لتكلفتهم ما لا ألفوه ولا عرفوه .

وفيه : اجلسوا على أبواب المدينة رجلا أوده باشا ، ومعه طائفة من العسكر نحو الثلاثين أو العشرين .

وفيه : نودى بوفاء النيل ، فأرسل حسن باشا فى صبح يوم الجمعة كتخداه والوالى ، فكسر السد على حين غفلة ، وجرى الماء فى الخليج ولم يعمل له موسم ولا مهرجان مثل العادة ، بسبب القلقة وعدم انتظام الأحوال ، والخوف من هجوم الأمراء المصرية ، فانهم لم يزالوا يقيمون جهة حلوان .

وفيه : نودى بتوقيف الأشراف ، واحترامهم ، ورفع شكواهم الى نقيب الأشراف ، وكذلك المنسوبون الى الأبواب ... ترفع الى وجاهه .

وان كان من أولاد البلدة فالى الشرع الشريف (١)

وفيه : مرت جماعة من العسكر على سوق الفسورية فخطفوا من الدكاكين أمتعة وأقتسة ، فهاجت أهل الدكاكين ، والناس المارون ، وأغلقت الحوانيت ، وثارت كرشة الى باب زويلة ... وصادف مرور الوالى ، فقبض على ثلاثة منهم ، واستخلص ما بأيديهم ، وهرب الباقون .

وكان الوالى والاغا ، كل منهما صحبته ضابطان من جنس العسكر

وفيه : نودى بمنع القواسة وأسافل الناس من لبس الشيلان الكشميرى ، والتختم أيضا !

وفيه : وصلت مراكب القباطين الواردين من جهة دمياط الى ساحل بولاق — وفيهم اسماعيل

(١) أى ان السارق من السادة الأشراف ، يشكى الى نقيب الأشراف ! والسارق من « المنسوبين الى الأبواب » ، ترفع الشكوى فيه الى « وجاهه » أما السارق من « أولاد البلد » ، فتقطع يده !

مراد بيك ، فصار يكتب في الامضاء « محمد بيك حسن » .

وكان هذا اليوم هو ثاني يوم ميعاد خروج المحمل من مصر ، فان مقتاده في هذه العصور سابع عشر شوال .

٢٠ منه (١٦ اغسطس ١٧٨٦ م) :

كتبت فرمانات لشيخ العرب أحمد بن حبيب بغفر البرين والموارد من بولاق الى حد دمياط ورشيد على عادة أسلافه — وكان ذلك مرفوعا عنهم من أمام علي بيك — ونودي له بذلك على ساحل بولاق

وفيه : أخرجت خبايا وودائع للأمراء من بيوتهم الصغار ، لهم ولأتباعهم وختم أيضا على أماكن ، وتركت على ما فيها ووقع التفتيش والفحص على غيرها ، وطلبوا الغفراء فجمعوهم وحبسوهم ليدلوا على الأماكن التي في العطف والحارات .

وطلبت زوجة ابراهيم بيك ، وجست في بيت كتخدا الجاوشية — هي وضرتها أم مرزوق بيك — حتى صالحوا بجملة من المال والمصاغ ، خلاف ما أخذ من المستودعات عند الناس .

وطولبت زليخا — زوجة ابراهيم بيك — بالتاج الجوهري وغيره

وطلبت زوجة مراد بيك ، فاختمت .

وطالب من السيد البكري ودائع مراد بيك فسلمها

٢٢ منه (١٨ اغسطس ١٧٨٦ م) :

عمل الباشا دبوانا وخلع على علي أغا كتخدا انجاوشية وقتله صنحقا ودفتردار وشيخ البلد ومشير الدولة ، فصار صاحب الحل والعقد واليه المرجع في جميع الأمور الكلبة والجزئية . وقتل محمد أغا الترجمان وجعله كتخدا الجاوشية عوضا عن المذكور ، وخلع على سليمان بيك الشابوري

وقلده صنحقا كما كان أيضا في الدهور السالفة ، وخلع على محمد كتخدا ابن أباطة المحتسب وجعله ترجمانا عوضا عن محمد أغا الترجمان ، وخلع على أحمد أغا بن ميلاد وجعله محتسبا عوضا عن ابن أباطة .

٢٣ منه (١٩ اغسطس ١٧٨٦ م) :

ركب المشايخ الى حسن باشا ، وتشفعوا عنده في زوجة ابراهيم بيك ، وذلك بإشارة علي بيك الدفتردار .. فأجابهم بقوله : « تدفع ما على زوجها للسلطان وتخلص » .

فقالوا له : « النساء ضعاف . وينبغي الرفق بهن » .

فقال : « ان أزواجهن لهم مدة سنين ينهبون البلاد ، ويأكلون أموال السلطان والرعية وقد خرجوا من مصر على خيولهم ، وتركوا الأموال عند النساء فان دفعن ما على أزواجهن تركت سيبلهن . والا أذقنهن العذاب » .

وانقض المجلس وقاموا وذهبوا .

وفيه : ورد الخبر عن الأمراء أنهم ذهبوا الى أسيوط وأقاموا بها .

٢٤ منه (٢٠ اغسطس ١٧٨٦ م) :

حصل التشديد والتفتيش والفحص عن الودائع ، وبودى في الأسواق بأن كل من كان عنده وديعة أو شيء من متاع الأمراء الخارجين ، ولا يظهره ولا يقر عليه في مدة ثلاثة أيام .. قتل من غير معاودة ان ظهر بعد ذلك !

وفيه : طلب حسن باشا من التجار المسلمين والاfrican والأقباط دراهم سلفة لتشهيل لوازم الحج ، وكتب لهم وثائق وأجلهم ثلاثين يوما ، وفردوها على أفرادهم — بحسب حال كل تاجر — وجمعوها .

وفيه : حصلت كائنة على ابن عياد المغربي ببولاق ، وقتله اسماعيل كتخدا حسن باشا .

وفيه : نادوا على النساء بالمنع من النزول في
مراكب الخليج والأزبكية وبركة الرطلى .
وفيه : كتبوا مكاتبات — من حسن باشا ،
ومحمد باشا الوالى ، والمشايخ ، والوجاقات —
خطابا لاسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى ..
باستعجالهم للحضور الى مصر .

٢٥ منه (٢١ أغسطس ١٧٨٦ م) :

نودى على النساء ألا يخرجن الى الأسواق .
ومن خرجت بعد اليوم ، شنت .. فلم ينتهين !!
أحضر حسن باشا المطربازية واليسرجية وأخرج
جوارى ابراهيم بيك وباقى الأمراء بيضا وسودا
وجبوشا ونودى عليهن بالبيع والمزاد فى حوش
البيت ... فبيعوا بأبخس الأثمان على العثمانية
وعسكرهم .
وفى ذلك عبرة لمن اعتبر ..

٢٦ منه (٢٢ أغسطس ١٧٨٦ م) :

أحضروا أيضا عدة جوار من بيوت الأمراء ومن
مستودعات كانوا مودعين فيها ، وأخذوا جوارى
عثمان بيك الشرقاوى من بيته ، ومحظيته التى فى
بيته الذى عند حيشان المصلى ، فأخرجوها بيد
القليونجية . وكذلك جوارى أيوب بيك الصغير
وما فى بيوت سليمان أغا الحنفى من جوار وأمتعة ،
وكذلك بيوت غيره من الأمراء ، وأحاطوا بعدة
بيوت بدرب الميضاة بالصليية وطيون ودرب
الحمام وحارة المغاربة وغيرهم فى عدة أخطاط فيها
ودائع وأغالل ، فأخذوا بعضها وختموا على باقيها ،
وأحضروا الجوارى بين يدى حسن باشا فأمر
ببيعهم ، وكذلك أمر ببيع أولاد ابراهيم بيك مرزوق
وعديله ، والتشديد على زوجاته .

ثم ان شيخ السادات ركب الى الشيخ أحمد
الدردير ، وأرسلوا الي الشيخ أحمد العروسى

والشيخ محمد الحريرى فحضروا وتشاوروا فى هذا
الأمر ، ثم ركبوا وطلعوا الى القلعة وكلموا محمد
باشا وطلبوا منه أن يتكلم مع قطان باشا فقال لهم :
« ليس لى قدرة على منعه ، ولكن اذهبوا اليه
واشفعوا عنده » . فالتبسوا منه المساعدة فأجابهم
وقال : « اسبقونى وأنا آكون فى أثركم » .

فلما دخلوا على القبطان وحضر أيضا محمد باشا
وخطبوه فى شأن ذلك — وكان المخاطب له شيخ
السادات — قال له : « انا سررنا بتقدمك الى مصر
لما ظنناه فك من الانصاف والعدل . وان مولانا
السلطان أرسلك الى مصر لاقامة الشريعة ومنع
الظلم . وهذا الفعل لايجوز . ولا يحل بيع الأحرار
وأمهات الأولاد » . ونحو ذلك من الكلام .

فاغتاظ وأحضر أفندى ديوانه وقال : « اكتب
أسماء هؤلاء حتى أرسل الى السلطان وأخبره
بمعارضتهم لأوامر » .

ثم التفت اليهم وقال : « أنا أسافر من عندهم
والسلطان يرسل لكم خلافى فتظنوا فعله أما
كفاكم أنى كل يوم أقتل من عساكرى طائفة على
أيسر شئ مراعاة وشفقة ؟ ولو كان غيرى لنظرتم
فعل العسكر فى البيوت والأسواق والناس ! » .
فقالوا له : « انما نحن شافعون ، والواجب علينا
قول الحق » .

وقاموا من عنده وخرجوا ، وتغير خاطره من
ذلك الوقت على شيخ السادات .

وفيه : قبض اسماعيل — كتحدا حسن باشا —
على الحاج سليمان بن ساسى التاجر ، وجماعة من
طيون ، وألزمه بخمسمائة كيس .. فولول واعتذر
بعجزه عن ذلك . فلم يقبل ولطمه على وجهه ،
وشدد عليه .. فراجعوه وتشفعوا فيه ، الى أن
قررها مائة كيس . فحلف أنه لا يملك الا ثلاثمائة

فرق بن - وليس له غيرها . فأرسل وختم عليها في حواصلها .

واستبر في الاعتقال حتى غلق المائة كيس . على نفسه منها خمسون ، ومثلها على الملوكية . وسبب ذلك حادثة ابن عباد ، لأنهم أولاد بلاده . ولما قتله بيولاقي ، ورجع وهو في حدته ، فدخل الى خان الثرايبي ، فوجد الحاج سليمان المذكور جالسا بالخان مع التجار ، فقال له : « بلغ منكم - يا جرية - حتى تقتلوا عسكر السلطان ! ان ابن عباد قتل من طائفتي شخصين ودبتهما تلزمكم . وهي خمسمائة كيس ، تحضرونها في غد ، والا قتلتم عن آخركم ! » .

فلما أصبح فعل معهم ما ذكر ، وهذا محض ظلم وبغى !

٢٧ منه (٢٢ أغسطس ١٧٨٦ م) .

كان خروج المحل صحبة أمير الحج محمد بيك المبدول بالموكب على العادة ، ماعدا طائفة الينكجيرية والعزب خونا من احتلال العثمانية بهم ، وحضر حسن باشا القبطان الى مدرسة الغورية لأجل الفرجة المشاهدة ، ولم يزل جالسا حتى مر الموكب والمحمل . ولما مرت عليه طوائف الأشاير كانت تقف الطائفة منهم تحت الشباك ويترأون الفاتحة ، فيرسل لهم ألف نصف فضة في قرطاس .

ولما انقضى أمر ذلك ركب بجماعة قليلة : وازدحت الناس للفرجة عليه - وكان لابسا على هيئة ملوك العجم ، وعلى رأسه تاج من ذهب مزرد ، مخروطة الشكل ، وعليه عصاة لضيعة من حشيري مرصعة بالجواهر ، ولها ذوائب على آذانه وحواجبه ، وعليه عباءة لطخ قصب أصفر !

٢٨ منه (٢٤ أغسطس ١٧٨٦ م) :

نودى على النصاري واليهود بأن يغيروا أسماءهم

التي على أسماء الأنبياء - كإبراهيم وموسى وعيسى ويوسف واسحاق - وأن يحضروا جميع ما عندهم من الجوارى والعبيد ، وأن لم يفعلوا وقع التفتيش على ذلك في دورهم وأماكنهم ، فصالحوا على ذلك بمال فحصل الغنى ، وأذن لهم أن يبيعوا ما عندهم من الجوارى والعبيد وبقيضوا أثمانها لأنفسهم ولا يستخدموا المسلمين ، فأخذ جوا ما عندهم وباعوا بعضه وأودعوه عند معارفهم من المسلمين (١) .

وفيه : حضر مبشر بتقرير الباشا على السنة الجديدة . وحضر الباشا الجديد الى بولاقي .

٢٩ منه (٢٥ أغسطس ١٧٨٦ م) :

أرسل حسن باشا القبطان جملة من العسكر البحرية وصحبهم اسماعيل كتحدا الى غرب البحيرة لكونهم خاضروا مع المصرية ووقع الحلف بينهم وبين قبيلتهم ، ثم حضروا مع أخصامهم بين يدي القبطان واسطبلحوا ثم نكثوا وتحاربوا مع بعضهم فحضرت الفرقة الأولى واستجدوا بحسن باشا فأرسل لهم اسماعيل كتحدا بطائفة من العسكر في المراكب فهربوا ورجع اسماعيل كتحدا ومن معه على الفور .

وفيه : وصلت العساكر البرية صحبة عابدي باشا ودرويش باشا الى بركة الحج وكان أمير الحج مقبلا بالحجاج بالمعادلة ، ولم يذهبوا الى البركة على العادة بسبب قدوم هؤلاء .

(١) حكى جانب جراف مرورون جهلاء ... يلبسون ما يحسن الحكماء والسفهاء ، ويلعب أحدهم لبشده حفلا أو لعبة ... يردده الناس للفرجة فيه .
... حين استطاعوا الاحتفاظ بهذا المستوى من الرفاهية ، لابد لهم من ابتزاز الأثريين .
وسواء موجات ابتزازهم . فتدخل أحيانا صورة الاضطهاد الديني .

وما نحسب أن للدين دخلا في ذلك أبدا ... فلم يكن هؤلاء الخدام الفاشمين دأب الا أن « ينزلوا القمام بطائفة - أي طائفة - من بصل المدوا على مال ... فيحصل الغنى ! » ... ولم ينتج طموحهم غير ذلك دينا ...

السبت غرته (٢٦ أغسطس ١٧٨٦ م) :

الباشا ، وطلب مطلوبه ، فيعرض عليه الجوارى من مكان عند باب الحرم . فاذا أعجبه جارية ، أو أكثر ، حضر صاحبها الذى اشتراها ، فيخبره برأس ماله ، ويقول : « وأنا آخذ مكسى كذا » ، فلا يزيد ولا يتقص . فإن أعجبه الثمن دفعه ، والا تركها وذهب .

ثم وقع التشديد على ذلك ، وأحضروا الدلائل والنحاسين ، القدم والجدد ، واستدلوا منهم على الميوعات .

وفيه : جمع القبطان الهندسين ليستخير منهم عن الخيايا والدفائن التى صنعوها فى البيوت وغيرها .

الاثنين ٢ منه (٢٨ أغسطس ١٧٨٦ م) :

أمر القبطان الأمراء والصناع والوجاقية أن يذهبوا للسلام على عابدى باشا ودرويش باشا .. فذهب الصناع أولا بسائر أمتاعهم ، طه انفعهم ، وتلاههم الوجاقية ... فسلموا ورجعوا من البساتين ، وكلاهما فى جيع كثير .

الثلاثاء ٤ منه (٢٩ أغسطس ١٧٨٦ م) :

حضر عابدى باشا عند القبطان ، وسلم عليه ، ثم طلع الى القلعة وسلم على محمد باشا المتولى ، ثم نزل وخرج الى مخيمه بالبساتين .

وفيه : قرر على بيوت النصارى الذين خرجوا بصحبة الأمراء المصرية مبلغ دراهم مجموع متفرقها خمسة وسبعون ألف ريال .

وفيه : أمر أيضا باحصاء بيوت جميع النصارى ودوزهم وما هو فى ملكهم ، وأن يكتب جميع ذلك فى قوائم ، ويقرر عليها أجرة مثلها فى العام ، وأن يكشف فى السجل على ما هو جار فى أملاكهم .

ثم قرر عليهم أيضا خمسمائة كيس ، فوزعوها

ارتحل الحجاج من العادلية ، وحضر عابدى باشا ودرويش باشا الى العادلية ، وخرج حسن باشا الى ملاقاتهم ، ودخلت طوائف عساكرهما الى المدينة وهم بهينات مختلفة وأشكال منكرة ، وراكبون خيولا وأكاديش كأمشال دواب الطواحين وعلى ظهورها لبايد شبه البراذع متصله بكفل الاكديش ، وبعضهم بطراطير سود طوال شبه الدلاة . والبعض معمم ببوشية ملونة مفشولة على طربوش واسع كبير مخيط عليه قطعة فماش لابسا فى دماغه — والطربوش مقلوب على قفاه — مثل حزمة البراطيش : وهم لابسون زبوط وبشوت محزمين عليها ... وصورهم بشعة ، وعقائدهم مختلفة ، وأشكالهم شتى ، وأجناسهم متفرقة ، ما بين أكراد ولاوند ودروز وشوام ... ولكن لم يحصل منهم ايداء لأحد ، واذا اشتروا شيئا أخذوه بالمصلحة ، فماتوا بالخيام عند سيل قىماز تلك الليلة .

الأحد ٢ منه (٢٧ أغسطس ١٧٨٦ م) :

ركب عابدى باشا ودرويش باشا ، وذهبوا الى البساتين من خارج البلد . فمروا بالصحراء وباب الوزير ، وأجروا عليهم الرواتب من الخبز واللحم والأرز والسمن وغيره .

وفيه : نودى على النصارى باحضار ما عندهم من الجوارى والعبيد ساعة تاربعه . ثم نزلت العساكر وهجمت على بيوت النصارى ، واستخرجوا ما فيها ... فكان شئ كثيرا . وأحضروهم الى القبطان فأخرجوهم الى المزاد وباعوهم ، واشترى غالبهم العسكر ، وصاروا يبيعونهم على الناس بالمرايحة .

فاذا أراد انسان أن يشتري جارية ذهب الى بيت

على أفرادهم . وحصل لفقرائهم الضرر الزائد .
وفيل انهم حسبوا لهم الجوارى المأخوذة منهم
من أصل ذلك ... على كل رأس أربعون ريالاً .
وفرر أيضاً على كل شخص ديناراً جزية :
العمال كالدون ... وذلك خارج عن الجزية
الديوانية المقررة !

الخميس ٦ منه (٢١ أغسطس ١٧٨٦ م) :

عمل محمد باشا ديواناً ، وخلق على مصطفى
أغا - تابع حسن أغا ، تابع عثمان أغا وكيل دار
السعادة سابقاً -- وقلده وكيل دار السعادة كأستاذ
أستاذه ... وكانت شاغرة من أيام على بيك .
وفيه أيضاً : سمحوا في جمرك البهار والسلخانة
لباب النيكجرية كما كان قد ساء . وكان ذلك مرفوعاً
عنهم من أيام فهور على بيك .

وفيه : انتقل عابدى باشا ودرويش باشا من
ناحية البساتين الى قصر العيني بتأطىء النيل ،
وجلسوا هناك .

وفيه : دفع قطان باشا بعض دراهم السلفة
التي كان اقترضها من التجار ، فدفعت مال الافريج
جانبا لتجار المعاربة ... بفلاق الباقي ..

وفيه : قبض القبطان على راهب من رهبان
النصارى ، واستخلص منه صندوقاً من ودائع
النصارى .

وفيه أيضاً : قبض على شخص من الأجناد من
بينه بحوشقدم ، وأخرجوا من داره زلعتين
مسدودتين في كل واحدة منهما يرفعها ثمانية من
الرجال العتالين بالآلة ، لا يعلم ما فيها ...

الجمعة ٧ منه (١ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

عمل شيخ السادات عزومة لحسن باشا عند تربة
أجداده بالقرافة .

وفيه : حضر قاصد من طرف اسماعيل بيك وعلى
يده مكاتبات من المذكور يجبر فيها بأنه وصل الى
دجرجا وقصده الاقامة هناك لأجل المحافظة في تلك
الجهة حتى تسافر العسكر ، فاذا التقوا مع الأمراء
وكسروهم وهزموهم يكون هو ومن معه في
أققيتهم وقت الحرب ومائناً عند الهزيمة .

السبت ٨ منه (٢ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

قبض القبطان على المعلم واصف وحبيه وضربه
وطالبه بالأموال . وواصف هذا أحد الكتاب
المباشرين المشهورين ، ويعرف الايراد والمصاريف ،
وعنده نسخ من دفتر الروزنامة ، ويحفظ الكليات
والجزئيات ، ولا يخفى عن ذهنه شيء من ذلك ،
ويعرف التركى .

الأحد ٩ منه (٣ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

قبض على بعض نساء المعلم ابراهيم الجوهري
من بيت حسن أغا كتحداً على بيك أمين احتساب
سابقاً ، فأقرت على خبايا أخرجوا منها أمتعة
وأواني ذهب وفضة وسروجا وغير ذلك .

الاثنين ١٠ منه (٤ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حصلت جمعية بالحكمة بسبب جمرك البهار .
وذلك أن ابراهيم بيك شيخ البلد أخذ من التجار
في العام الماضى مبلغاً كبيراً من حساب الباشا ،
وذلك قبل حضوره من نهر الاسكندرية ، فلما
حضر دفعوا له البواقي وحاسبهم وطالبهم بذلك
المبلغ فماتلوا ووعدوه الى حضور المراكب .

فلما حضرت المراكب في أوائل رمضان من هذه
السنة أحضرهم وطالبهم ، فلم يزالوا يسوفونه
ويعتذرون له - وذلك خوفاً من ابراهيم بيك -
ويعيندون القول على ابراهيم بيك فيقول لهم
لاتفضحوني ، ويلالطهم ويداهنهم كما هي عادته ،
وبالباشا يطالبهم ... فلما ضاق خناقهم أخبروه أن

ابراهيم بيك أن يكون قائما مقامه ووكلا عنه الى حين حضوره ... فكلون فعل او كبل كالأصل ، وتحلص ذمة التجار ، وليس للباشا مطاسمهم ، ومطالته على ابراهيم بيك ... على أن ذلك ليس حقا شرعا .

وكتب القاضى اعلا ما بذلك وأرسله الى الباشا ، وانقض المجلس على دماغ الباشا !

الخميس ١٣ منه (٧ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

تعبى للسفر عدة من العساكر البحرية في المراكب ، ولحقت بالمراكب السابقة .

الجمعة ١٤ منه (٨ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر أحمد باشا - والى جدة - الذى كان مقبلا بغير الاسكندرية ، الى ثغر بولاق . فذهب لملاقاته على بيك الدفتر دار ، وكتبا الحاشية ، وأرباب الخدم . فركب صحبهم . ووجه الى ناحية العادلية ، وجلس هناك بالقصر .

السبت ١٥ منه (٩ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر حسن باشا ، وعابدى باشا ، ودرويش باشا الى بيت الشيخ الكرى بالأريكة باستدعاء ، وجلسوا هناك الى العصر . وقدم لهم تقادم وهدايا . وحضروا اليه في مراكب من الخليج .

الأحد ١٦ منه (١٠ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

أحضروا عند حسن باشا رجلا من الأجناد يسمى رشوان كاشف من ممالك محمد بيك أبى الذهب ، فأمر برمى عنقه .. ففعلوا به ذلك وعلقوا رأسه قبالة باب البيت .

قيل ان سبب ذلك أنه كان يجرأ أبام الحركة ، فلما خرج رفقاؤه حضر الى مصر وطلب الأمان فأمنوه ، ولم يزل بمصر الى هذا الوقت ، فحدثته نفسه بالهروب الى قبلى فركب جواده وخرج

ابراهيم بيك بطلب ذلك ويقول : « أنا محتاج لذلك في هذا الوقت . ووالدى الباشا يمهل وأنا أحاسبه به بعد ذلك » ... ولم يجبروه أنه أخذه ، فلم يرض ولم يقبل ، وصار يرسل الى ابراهيم بيك يشكو له من التجار ومطلهم ، فيرسل ابراهيم بيك مع رسوله معينين من سراجينه يقولون للتجار : « ادفعوا مطلوبات الباشا » فاذا حضر اليه التجار تملق لهم ويقول : « اشترؤا لحيثى واشترؤنى » ... فلم يزل التجار في حيرة بينهما .

وفصد ابراهيم بيك أن التجار يدفعون ذلك انقدر ثانيا الى الباشا ، وهم يثاقونه خوفا من أن يقهرهم في الدفع . ثم حصلت الحركات المذكورة وحضور القبطان وخروج ابراهيم بيك واخوانه ، فبقى الأمر على السكوت . فلما راق الحال وانما أن الباشا أرسل بطالب التجار بالبلغ ، وهو أربعة وأربعون ألف ريال فرانسة . فعند ذلك أفصحوا له عن حقيقة الأمر ، وأنهم دفعوا ذلك لابراهيم بيك قبل حضوره الى مصر ، فاشند غظه وقال : « ومن أمركم بذلك ، ولا يلزمنى . ولا بد من أخذ عوائدى على الكامل » . ثم انهم ذهبوا الى حسن باشا واستجاروا به فأمرهم أن يترافعوا الى الشرع . فاجتمعوا يوم الأحد فى المحكمة ، وأقام الباشا من حهته وكلا وأرسله صحة أنقار من الوجاقلة ، واجتمعت التجار حتى ملأوا المحكمة . وطلبوا حضور العلماء .. فلم يحضروا . وانقض المجلس بغير تمام .

ثم حضر التجار فى ثامن يوم ، وحضر العلماء .. ولم يحضر وكبل الباشا .

ثم أبرز التجار رجعة بختم ابراهيم بيك وتسلمه المبلغ مؤرخة فى ١٢ شعبان أيام قائمقاميته ووكالته عن الباشا ، وأبرزوا فتاوى أيضا . وسئل العلماء فأجابوهم بقولهم : « حيث ان الباشا أرسل فرمانا

فقبض عليه المحافظون وأحضروه الى حسن باشا فأمر برمي عنقه . وقيل ان السبب غير ذلك .

وفيه : وصلت مراسلة من كبير العساكر البحرية وأخبروا أنهم وقع بينهم وبين الأمراء القبالي لطة ورموا على بعضهم مدافع وقنابر من المراكب ، فانتقل المصريون من مكانهم وترفعوا جهة الجبانة ، وصار البلد حائلا بين الفريقين ، وساحل أسبوط طرد لايحمل المراكب ، ومن الناحية الأخرى جزيرة تعوقهم عن التقرب اليهم ، وصوروا صورة ذلك وهيته في كاغد لأجل المشاهدة ، وأرسلوها مع الرسول .

وفيه : عمل الديوان بالقلعة ، وتقلد قاسم بيك أبو سيف ولاية جرجا وسارى عسكر التجريدة المعينة ضجة عابدى باشا ودرويش باشا ، ومعهم من الصناجق أيضا على بيك جركس الاسماعيلى وغيظاس بيك المصالحى ومحمد بيك كشكش ، ومن الوجاقلية خمسمائة نفر ... وأخذوا في التجهيز والسفر .

الاثنين ١٧ منه (١١ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر الى ساحل بولاق أغا من الدمار الرومية ، وهو أمير اخور ، وعلى يده مثالات وخلع وهو جواب عن الرسالة بالأخبار الحاصلة ، وخروج الأمراء .. فركب أغات مستحفظان ، ومن له عادة بالركوب للملاقاته ، وطلع حسن باشا ، وعابدى باشا ، وأحمد باشا الجداوى ، ودرويش باشا ، والأمراء ، والصناجق ، والوجاقات ، والقاضى ، والمشايع .. واجتمعوا بالقلعة ، وحضر الأغا من بولاق بالموكب ، والنوبة خلفهم ، ونقبة الأغوات وهم يحملون بقجا على أيديهم ، والمكاتبات فى أكياس حرير على صدورهم .

ولما دخلوا باب الديوان قام الباشوات والأمراء على أقدامهم ، وتلقوهم ، ثم بدأوا بقراءة المرسوم

المخاطب به حسن باشا ، فقرأوه ، ومضمونه التبجيل والتعظيم لحسن باشا ، وحسن الشاء عليه بما فعله من حسن السياسة ، والوصبة على الرعية ، وصرف العلائف والغلال .

وفيه : ذكر اسماعيل بيك وحسن بيك والتحريض والتأكيد على القتل والانتقام من العصاة ..

ولما فرغوا من قراءة ذلك ، أخرجوا الخامة المخصوصة به ، فلبسها — وهى فروة سمور وققطان أصفر مقصب مفروق الأكام — فلسه من فوق .. وسيف محوهر تقلد به

ثم قرأوا المرسوم الثانى ، وهو خطاب لمحمد باشا بكن ، المتولى . ومعه الخطاب للقاضى والعلماء والأمراء والوجاقلية ، والثناء على الجميع ، والنسق المتقدم فى المرسوم السابق . ثم لبس الخلة المخصوصة به — وهى فروة وققطان .

ثم قرأوا المرسوم الثالث ، وهو خطاب لأحمد باشا ، والى جدة ، بمثل ذلك . ولبس خلعتة أيضا — وهى فروة وققطان .

ثم قرأ المرسوم الرابع ، وفيه الخطاب لعابدى باشا ، ومضمونه ما تقدم . ولبس أيضا خلعتة وفروته .

ثم قرأ المرسوم الخامس ، ومضمونه الخطاب لدرويش باشا ، وذكر ما تقدم . ولبس خلعتة .

ثم مرسوم بالخطاب لعلى بيك الدفتردار ، ومضمونه الشاء عليه من عدم التأخر عن الاجابة والنسق .

ثم فرمان ثان ، وهو خطاب لأمير الحج ، والوصية بتعلقات الحج ..

فما فرغوا من ذلك الا بعد الظهر ، ثم ضربوا مدافع كثيرة ، ودخلوا الى داخل ، وجلسوا مع بعضهم ساعة ، ثم ركبوا ونزلوا الى أماكنهم . وكان ديوانا عظيما ، وجمعة كبيرة لم تمهد قبل

ذلك . ولم يتفق أنه اجتمع في ديوان خمسة باشوات في آن واحد ..

الأربعاء ١٩ منه (١٣ سبتمبر ١٧٨٦) :

عمل الباشا ديوانا ، وخلع على باكير أغا مستحفظان وقلده صنجقا ، وخلع على عثمان أغا الوالى وقلده أغات مستحفظان عوضا عن باكير أغا

الخميس ٢٠ منه (١٤ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

خلع الباشا على اسماعيل كاشف من أتباع كشكش وقلده واليا عوضا عن عثمان أغا المذكور ، وأقر أحمد أفندى الصفائى في وظيفته روزنامجى أفندى على عادته ، وكانوا عزموا على عزله وأرادوا نصت غيره فلم يتهأ ذلك .

وفيه : وصل ابراهيم كاشف من طرف اسماعيل بيك وحسن بيك ، وأخبر بقدمهما ، وأنها وصلا الى شرق أولاد يحيى ، وأرسلا يستأذنان في المقام هناك بالجمعية ، حتى تصل العساكر المعينة فيكولوا معهم .. فلم يجبه حسن باشا الى ذلك ، وحثه على الحضور فيقاله ، ثم يتوجه من مصر ثانيا ، ثم أجيئ الى المقام حتى تأتيهم العساكر .

وأخبرا أيضا أن الأمراء القبلين لم يزالوا مقيمين بساحل أسيوط على رأس المجرور ، وبنوا هناك متاريس ونصبوا مدافع ، وأن المراكب راسية تجاههم ولا تستطيع السير في ذلك المجرور الا باللبان .. لقوة التيار ومواجهة الريح للمراكب .

وفيه : استعفى على بيك جركس الاسماعيلى من السفر ، فأعفى .. وعين عوضه حسن بيك رضوان .

وأنفق حسن باشا على العسكر : فأعطى لكل أمير خمسة عشر ألف ريال ، وللوجاقلية سبعة عشر ألف ريال .

وأنفق عابدى باشا في عسكره النفقة أيضا : فأعطى لكل عسكرى خمسة عشر قرشا .. ففضبت طائفة الدلاة ، فاجتمعوا بأسرهم وخرجوا الى العادلية يريدون الرجوع الى بلادهم . وحصل في وقت خروجهم زعجة في الناس . وأغلقت الحوانيت ولم يعرفوا ما الخبر !

ولما بلغ حسن باشا خبرهم ركب بعسكره وخرج يريد قتلهم . وخرج معه المصريون ، وركب عابدى باشا أيضا ولحقه عند قصر قايماز — وكان هناك أحمد باشا الجداوى ، فنزل اليه أيضا ، واجتمعوا اليه ، واستعطفوا خاطره ، وسكنوا غضبه ، وأرسلوا الى جماعة الدلاة فاسترضوهم وزادوا لهم في نفقتهم ، وجعلوا لكل نفر أربعين قرشا .. وردوهم الى الطاعة .

ورجع حسن باشا وعابدى باشا الى أماكنهم قبيل الغروب .

وفي صبح ذلك اليوم سافر اسماعيل كتخددا بطائفة من العسكر في البحر الى جهة قبلى .

وفيه (أعنى يوم الخميس) : أخرجوا جملة غلال من حواصل بيوت الأمراء الخارجين .. فأخرجوا من بيت أيوب بيك الكبير ، وبيت أحمد أغا الجميلية ، وسليمان بيك الأغا ، وغيرهم .

وفيه أيضا : أخذت عدة ودائع من عدة أماكن ، وتشاجر رجل جندى مع خادمه ، وضربه وطرده ، ولم يدفع له أجرته .. فذهب ذلك الخادم الى حسن باشا ، ورفع اليه قصته ، وذكر له أن عنده صندوقا مملوءا من الذهب من ودائع الغائبين . فأرسل صحبته طائفة من العسكر فدلهم على مكانه فأخرجوه وحملوه الى حسن باشا .. وأمثال ذلك .

الجمعة ٢١ منه (١٥ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

فتحوا بيت المعلم ابراهيم الجوهري وباعوا

ما فيه وكان شيئا كثيرا من فرش ومصاغ وأوان
وغير ذلك .

السبت ٢٢ منه (١٦ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

برز عابدى باشا ودرويش باشا وأخرجا خيامهما
الى البساتين قاصدين السفر .

وفيه : ركب على بيك الدفتردار وذهب الى
بولاق ، وفتح الحواصل وأخرج منها الغلال لأجل
البقسماط والعليق .

الاحد ٢٣ منه (١٧ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

نودى على الغز والأجناد والأتباع البطالين أن
يخدموا عند الأمراء .

الاثنين ٢٤ منه (١٨ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

سافر عابدى باشا ودرويش باشا .

وأخرج الأمراء الصناجق خيامهم ، ونصبوا
مكان المرتحلين .

وفيه حضر باشا من ناحية الشام — وهو أمير كبير
من أمراء شين أغلى — وصحبته نحو ألف
عسكري ، فنزل بهم بالعادية .

الثلاثاء ٢٥ منه (١٩ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

دخلت عساكر المذكور الى القاهرة ، وأميرهم
توجه الى ناحية البساتين من نواحي باب الوزير .

وفيه : غمز على مكان بيت انوب بيك الكبير
مسدود الباب ، ففتح وأخرج منه أشياء كثيرة ،
وكذلك بيت المعلم ابراهيم الحوهرى مكان مرتفع
مهدوم الدرج ، وكان ذلك المكان لولده وقد مات
من نحو ستين . فلما مات هدم الدرج التى يتوصل
منها اليه حزنا عليه وتركه بما فيه ، فصعدوا اليه
وأخرجوا منه أشياء كثيرة من فرش وأمتعة مزركشة
وأواني ذهب وفضة وصينى وغير ذلك فأحضرت

جميعها الى حسن باشا وباعها بين يديه بالمزاد فى
عدة أيام .

وفيه : قتل حسن باشا شخصين من عسكر عابدى
باشا ، تخلفا عنه ، فقبض عليهما وأحضرهما اليه ،
فأمر بقتلهما ، ففعلوا بهما ذلك تجاه الباب .

الخميس ٢٧ منه (٢١ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

سافر أمير شين أغلى بمساكره جهة قبلى .

الجمعة ٢٨ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

نودى بفرمان بمنع زفاف الأطفال للختان فى
يوم الجمعة بالطبول . وسبب ذلك أن حسن باشا
صلى بجامع المؤيد شيخ ، الذى بباب زويلة ، فعندما
شرع الخطيب فى الخطبة واذا بضجة عظيمة وطبول
مرعجة ، فقال الباشا : « ما هذا ؟ » فأخبروه بذلك
فأمر بمنع ذلك فى مثل هذا الوقت .

ذو الحجة

الاثنين غرته (٢٥ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

أشيعت أخبار وروايات ووقائع بين الفريقين وأن
جماعة من القبالي حضروا بأمان عند اسماعيل بيك .

الثلاثاء ٢ منه (٢٦ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر الى مصر ، فيض الله افندى ، رئيس
الكتاب ، فتوجه الى حسن باشا ، فتلقاه بالاجلال
والتعظيم ، وقابله من أول المجلس . ثم طلع الى
القلعة وقابل محمد باشا أيضا ، ثم نزل الى دار
أعدت له ، ثم انتقل الى دار بالقلعة عند قصر يوسف .

الخميس ٤ منه (٢٨ سبتمبر ١٧٨٦ م) :

حضر أغا ، وعلى يده تقرير لمحمد باشا على
السنة الجديدة ، فركب من بولاق الى العادية ،
وأخرج اليه أرباب الخدم والدفتردار وأغات
مستحفظان ، وأغات العزب والوجاقية ، ودخل

اسماعيل بيك أيضا — وسكنوا في دارهم التي
ميركة الأزبكية .

الخميس ١٨ منه (١٢ أكتوبر ١٧٨٦ م) :

حضر عثمان بيك طبل الاسماعيلى ، فذهب
عند على بيك الدفتردار . وتوجه صحبته الى حسن
باشا ، فسأله عن أحوال العسكر ، وأخبره أنهم
محتاجون لنفقة وذخيرة ، وأن عساكر عابدى باشا
ثعبانون بسبب قلة النفقة ، وحاصل عندهم قلقه ،
وأن الأمراء القبالي ترفعوا الى طحطا .. فأمر حسن
باشا بتشغيل بقسماط واحتياجات ، وأوصل عثمان
بيك مائتين وسبعين كيسا يرسم النفقة .

الاحد ٢١ منه (١٥ أكتوبر ١٧٨٦ م) :

سافر عثمان بيك المذكور ، وأرسلوا خلفه
المراكب المشحونة بالبقسماط والشعير والسمن
والزيت .

٢٤ منه (١٨ أكتوبر ١٧٨٦ م) :

خلع على أحمد جاويش المجنون ، وتقلد كتحدا
مستحفظان .

في اواخره (اواخر أكتوبر ١٧٨٦ م) :

أرسل عابدى باشا مكاتبة حضرت له من الأمراء
القبالي . وصورتها — وهى جواب عن رسالتهم ،
وهى باللغة التركية ، وحاصل ما فهمته من ذلك :
« أنكم تخاطبوننا بالكفرة والمشركين والظلمة
والعصاة .

« واتنا — بحمد الله تعالى — موحسون ،
واسلامنا صحيح ، وحينما بيت الله الحرام .

« وتكفير المؤمن كفر ، ولسنا عصاة ولا مخالفين .
وما خرجنا من مصر عجزا ولا جبنًا من الحرب الا
طاعة للسلطان ولنائبه ، فانه أمرنا بالخروج حتى
تسكن الفتن وحققنا للدماء ، ووعدنا أنه يسعى لنا

بموكب عظيم من باب النصر ، وشق القاهرة ،
وطلع الى القلعة .

السبت ٦ منه (٣٠ سبتمبر ١٧٨٦ م) .

نودى بأن من كانت له دعوة وانقضت حكومتها
في الأيام السابقة ، لاتعاد ولا تسمع ثانيا ، وسبب
ذلك تسلط الناس على بعضهم فى التداعى .

وفيه : ردت السلفة التى كانت أخذت من تجار
المغارية ، وهى آخر السلف المدفوعة .

الأربعاء ١٠ منه (٤ أكتوبر ١٧٨٦ م) :

كان عيد النحر ، وفيه وردت أخبار من الجهة
القبليّة بوفوع مقتلة عظيمة بين الفريقين ، وقتل
من المصرية عمر كاشف الشرقية ، وحسن كاشف
وسليمان كاشف ، ثم انحازت العسكر الى المراكب ،
ورجع الأمراء الى وطاقهم ، فاغتم حسن باشا
لتسادى أمرهم ، وكان يرجو انقضاءه قبل دخول
الشتاء ويأخذ رؤوسهم ويرجع بهم الى سلطانه
قبل هبوط النيل لسير المراكب الرومية .. حتى انه
سنع من فتح الترع التى من عاداتها الفتح بعد
الصليب — كبحر أبى المنجا ومويس والقرنين —
خوفا من نقص الماء فتتعوق المراكب الكبار .

وفيه : حضر واحد ططرى ، وعلى يده مرسوم ،
فطلب حسن باشا محمد باشا المتولى فنزل اليه وجمع
الديوان عنده ، فقرأ عليهم ذلك المرسوم وحاصله :
الحث والتشديد والاجتهاد فى قتل العصاة ،
والفحص عن أموالهم وموجوداتهم ، والانتقام ممن
تكون عنده ودبة ولا يظهرها ، وعدم التفریط فى
ذلك .. وطلب حلوان عن البلاد ، فأنظ ثلاث
سنوات .

وفيه : حضر ابراهيم بيك قشظة الاسماعيلى —
وصحبته زوجته ، ابنة اسماعيل بيك ، وحريم

في الصلح .. فخرجنا لأجل ذلك ولم نرض بأشهار
السلاح في وجوهكم ، وتركنا بيوتنا وحريتنا في
عرض السلطان ، ففعلتم بهم ما فعلتم ، ونهبتهم
أموالنا وبيوتنا ، وهتكتم أعراضنا وبعتم أولادنا
وأحرارنا وأمهات أولادنا .. وهذا الفعل ماسعنا
به ولا في بلاد الكفر ..

« وما كفاكم ذلك حتى أرسلتم خلفنا العساكر
يخرجونا من بلاد الله ، وتهددونا بكثرتكم . وكم
من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، وأن عساكر
مصر أمرها في الحرب والشجاعة مشهور في سائر
الأقاليم ، والأيام بيننا .

« وكان الأولى لكم الاجتهاد والهمة في خلاص
البلاد التي غصبها منكم الكفار واستولوا عليها ،
مثل بلاد القرم والودن واسماعيل وغير ذلك » .
وأمثال هذا القول ، وتخشين الكلام تارة
وتليينه أخرى . وفي ضمن ذلك آيات وأحاديث
وضرب أمثال وغير ذلك .

فأجابهم عابدى باشا ونقض عليهم ، ونسب
كاتبتهم الى الجهل بصناعة الانشاء ، وغير ذلك منا
يطول شرحه .

وانقضت هذه السنة وما وقع بها من الحوادث
الغريبة .

ومات في هذه السنة الشيخ العلامة المحقق ،
والفهامة المدقق ، شيخنا الشيخ محمد بن موسى
الجنابى ، المعروف بالشافعى . وهو مالكى
المذهب . أحد العلماء المعدودين ، والجهابذة
المشهورين . تلقى عن مشايخ عصره ، ولازم
الشيخ الصميدى ملازمة كلية ، وصار مقرئه
ومعيدا لدروسه .

وأخذ عن الشيخ خليل المغربى والسيد البليدى .
وحضر على الشيخ يوسف العفنى والملوى .

وتنهر في المعقول والمنقول ، ودروس الكتب
المشهورة الدقيقة ، مثل : « المغنى » لابن هشام ،
والأشمونى ، والفاكهى ، والسعد ، وغير ذلك .
وأخذ علم الصرف عن بعض علماء الأروام
وعلم الحساب والجبر والمقابلة وشباك ابن الهائم
عن الشيخ حسين المحلاوى .

واشتهر فضله في ذلك وألف فيها رسائل .
وله في تحويل النقود بعضها الى بعض رسالة
نقيسة تدل على براعته وغوصه في علم الحساب .
وكان له دقائق وجودة استحضار في استخراج
المجهولات وأعمال الكسورات والقسمه
والجذورات ، وغير ذلك من قسمة الموارث
والمناسخت والأعداد الصم والحل والموازن ...
ما انفرد به عن نظائره ...

وكان مهذب الأخلاق جدا ، متواضعا ، لا يعرف
الكبر ولا التصنع أصلا ، يلبس أى شئ من الثياب
الناعمة والخشنة ، ويذهب بعماره الى جهة
بولاق وبشترى البرسيم ويحمله عليه ويرك
فوقه ، ويحمل طبق المعجين الى الفرن على رأسه ،
ويذهب في جوالج اخوانه .

ولما بنى محمد بك أبو الذهب مسجده تجاه
الأزهر تقرر في وظيفة خزن الكتب ليابة عن محمد
أفندى حافظ ، مضافة الى وظيفة تدريس مع
المشايخ المقررين ... فلزم التقييد بها ، وينوب
عنه أخوه الشيخ حسن في غيابه .

وكان أخوه هذا ينسخ أجزاء القرآن بخط
حسن في غاية السرعة ، ويتحدث مع الناس وهو
يكتب من حفظه ولا يغلط .

ولم يزل المترجم (أى صاحب السيرة) يملئ
ويفيد ، ويبدى وبعيد ، مقبلا على شأنه ، ملحوظا
بين أقرانه ، حتى وافاه الحمام في سابع عشرين
جمادى الآخرة من السنة مطعوناً (١) . وصلى عليه

(١) أى انه مات بالطاعون .

بالأزهر في مشهد حافل ، ودفن بترية المجاورين .

ومات فيها أيضا الأجل المكرم أحمد بن عيساد
المغربى الجربى .

كان من أعيان أهل تونس ، وتولى بها
الدواوين ، وأثرى ، فوقع بينه وبين اسماعيل
كتخدا حمودة — باشة تونس — أمور أوجبت
جلاءه عنها . فنزل في مركب بأهله وأولاده وماله ،
وحضر الى اسكندرية . فلما علم به القبطان أراد
القبض عليه ، وأخذ أمواله ، فشنع فيه نعمان
أفندى قاضى الشر — وكان له محبة مع القبطان
--- فأفرج عنه ، فأهدى ابن عساد لنعمان أفندى
ألف دينار في نظير شفاعته كما أخرنى بذلك نعمان
أفندى المذكور .

ثم حضر الى مصر ، وسكن بولاق بشاطئ
النيل بجوار دارنا التي كانت لنا هناك ، ومعه ابنه
صغيرا ، ونحو اثنتى عشرة سرية من السراى
الحسان ، طوال الأجسام ، وهن لايسات ملابس
الجزائر بهيئة بديعة تفتن الناسك . وكذلك عدة
من الغلمان المماليك ... كأننا أفرغ الجميع في
قالت الحمال .. وهم الجميع بذلك الزى !

وسحبته أيضا صناديق كثيرة ، وتحائف
وأمتعة ... فأقام بذلك المكان متجمعا عن الناس ،
لايخرج من البيت قط ، ولا يحاط أحد من
أهل البلدة ، ولا يعاشر الا بعض أفراد من أبناء
جنسه ذئبونه في النادر . فأقام نحو ثمانى سنوات .
ومات أكثر جواريه ومماليكه وعبيده .

وخرج بعده من تونس اسماعيل كتخدا أيضا
فارا من حمودة باشا ابن على باشا ، وحضر الى
مصر ، وحج ، ورجع الى اسلامبول واتصل بحسن
باشا ولازمه فاستوزره وجعله كتخداه .

فلما حضر حسن باشا الى مصر أرسل اليه ابن
عياد مقدمة وهدية فقبلها .

وحضر أيضا في أثره اسماعيل كتخداه المذكور ،
فأغراه به لما في نفسه منه من سابق العداوة .
والظلم كمين في النفس : القوة تظهره ، والضعف
يخفيه .

فأرسل حسن باشا بطلب ابن عياد للحضور اليه
بأمان فاعتذر وامتنع ، فسكت عنه أياما ثم أرسل
يستقرض منه مالا فأبى أن يدفع شيئا ، ورد الرسل
أقبح رد ، فرجعوا وأخبروا اسماعيل كتخداه —
وكان بخان الشرايى بسبب المطلوب من التجار
— فحقق لذلك وتحرك كامن مافى قلبه من العداوة
السابقة ، وركب في الحال وذهب الى بولاق
ودخل الى بيته وناداه ، فأجابه بأحسن الجواب ،
وأبى أن ينزل اليه ، وامتنع في حرمه ، وقال له :
« أما كفاك أنى تركت لك تونس حتى آتيتنى الى
هنا ؟ » ... وضرب عليه بنادق الرصاص ، فقتل
من أتباعه شخصين ، فهجم عليه اسماعيل كتخداه ،
وطلعوا اليه وتكاثروا عليه وقتلوه ، وقطع رأسه ،
وأراد قتل ولده أيضا فوقعت عليه أمه فتركوه .
وأخرجوا جثته خارج الزقاق ، فآلقوها في طريق
المسارة . وأخرجوا ساءه وخدمه واحتاطوا
بالبيت وختموا عليه .

ورجع اسماعيل كتخداه الى خان الشرايى وهو
ملطخ بالدم ، وبه الحاج سليمان الساسى ... قلطمه
على وجهه وقال : « بلغ منكم — باجريون —
تفعلون هذه الفعال ، وتحاربون رجال الدولة ؟ »
... وقبض عليه وصادره ..

وما الدهر ، في حال السكون ، بساكن
ولكنه مستجمع لوثوب

الاثنين ٧ منه (٣٠ أكتوبر ١٧٨٦ م) :

حضر اسماعيل بيك في تطريدة الى مصر ، فركب بمفرده وهو ملثم بمنديل . وحضر عند حسن باشا وقابله ، وهو أول اجتماعه به . فجلس معه مقدار درجتين لا غير ، واستأذنه في القيام ، فخلع عليه فروة سمور وقام وذهب الى بيت مملوكه على بيك جركس ، وهو بيت أيوب بيك الصغير الذي في الجبانية .

وكان السبب في حضوره على هذه الصورة أنه في يوم الخميس ٣ المحرم (٢٦ أكتوبر ١٧٨٦ م) التقوا مع الأمراء القبليين واتفقوا معهم عند المنشية ، فكان بينهم وقعة عظيمة وقتل من الفريقين جملة كبيرة وأبلى فيها المصريون البحرية والقبليّة مع بعضهم ، وتنحت عنهم العساكر العثمانية ناحية ، وهجمت القبالي ، وألقوا بأنفسهم في نار الحرب ، وطلب كل غريم غريمه . ثم اندفعت العثمانية مع البحرية وظهر من شجاعة عابدى باشا ما تحدث به الفريقان في شجاعته .

وأصيب اسماعيل بيك برشة رصاص دخلت في فمه وطلعت من خده ، فولى منهزما ، وألقى نفسه في البحر ، وركب في قنجة ، وحضر الى مصر على الفور ، ولم يدر ماذا جرى بعده .

فلما حضر على هذه الصورة وأشيع وقوع الكسرة والهزيمة على التجريدة اضطربت الأقاويل ، واختلفت الروايات ، وكثرت الأكاذيب ، وأربح العثمانيون ، وأرسل حسن باشا الرسل لاحتضار العساكر التي بالاسكندرية وكذلك أرسل الى بلاد الروم .

السبت ١٢ منه (٤ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر حسن بيك الحداوى ، وجماعة من الوحاقات والعساكر ، فذهب حسن بيك الى حسن باشا ، وقابله — وقد أصيب بسيف على يده — فخلع عليه فروة ، ثم ذهب الى بيته القديم .. وهو بيت الداودية .

وكذلك حضر بقية الأمراء الصناجق ، وأصيب قاسم بيك بضربة جرحت أنفه

وكذلك حضر عابدى باشا ، وطلع الى قصر العينى وأقام به .

وفيه : حضر ططرى وعلى بده مرسوم بعزل محمد باشا عن ولاية مصر وولاية عابدى باشا مكانه ، وأن محمد باشا يتوجه الى ولاية ديار بكر عوضا عن عابدى باشا . فشرع عابدى باشا فى نقل عزاله الى بولاق ، فتحدث الناس أن ذلك من فعل حسن باشا لأن بينهما أمورا باطنية .

الاثنين ١٤ منه (٦ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

عمل حسن باشا دبوانا فى بيته اجتمع فيه جميع الأمراء والصناجق والمشايخ ، وأبس اسماعيل بيك خلعة وجعله شيخ البلد وكبيرها ، وأبس حسن بيك خلعة وفلده أمير الحج . ثم قال يخاطب الجمع : « هذا اسماعيل بيك حضر اليكم وصار كبيركم ، فشدوا عزمكم وتأهبوا لقتال أخصامكم وكل انسان يقاتل عن نفسه .. فسكتوا جميعا ولم يجيبوه فقال أحمد جرجى أرثوؤد : « كيف يخرجون من غير مصروف ؟ وكل انسان يلزمه أتباع وخدم ودواب » . فقال : « الذى يأكله الانسان فى يوم يقسمه على يومين » . فخرجوا من مجلسه وهم كاظمون لفيظهم .

هذا واسماعيل بيك متلمل من جرحه ،

والسيد عثمان الحمامي يعالجه ، وأخرج من عنقه ست عشرة زردة من زرد الزرخ ، فإن الرصاص لما أصابه منعه الزرخ من الغوص في الجسد فغاص نفس الزرد ، فأخرجه السيد عثمان بالآلة واحدة بعد واحدة بغاية المشقة والألم ، ثم عالجه بالأدهان والمراهم حتى برىء في أيام قليلة .

وفيه : حضر الى اسماعيل بيك رجل بدوى وأخبر أن الجماعة القبليين زحفوا الى بحرى ووصلت أوائلهم الى بنى سويف ، وأخبر أنه مات منهم مصطفى بيك الداوودية ، ومصطفى بيك السلحدار ، وعلى أغا — خازن دار مراد بيك سابقا — ونحو خمسة عشر أميرا من الكشاف ، وأن نفوسهم قويت على الحرب .

الثلاثاء ١٥ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر اسماعيل أغا كمشيش — وكان ممن تخلف في الأمر عند القبليين — فأفرجوا عنه وأرسلوا معه مكاتبة يذكرون فيها طلب الصلح وتوبتهم السابقة .. واستعدادهم للحرب ان لم يجابوا في ذلك .

الأربعاء ١٦ منه (٨ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نزل محمد باشا من القلعة ، وذهب الى بولاق .

الخميس ١٧ منه (٩ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نودى على النفر والألضائات والأجناد والممالك بأن يتبع كل شخص متبوعه وبابه . ومن وجد بعد ثلاثة أيام بطالا — ولم يكن معه ورقة — يستحق العقوبة .. وكذلك حضور الغائبين بالأرياف .

وفيه : أخذ أحمد باشا القبطان — المعروف بحماجي أوغلى — المراكب الرومية التى بقيت في النيل وجملته تقاير وصعد بهم الى ناحية دير الطين قريبا من التين ، وشرعوا في عمل متاريس وحفر

حنادق هناك ، ونقلوا جملة مدافع أيضا .

وكان أشيع طلوع عابدى باشا الى القلعة في ذلك اليوم فلم يطلع ، وحضر عند حسن باشا وتكلم معه كلاما كثيرا وقال : « كيف أطلع وأتسلطن في هذا الوقت والأعداء زاحفون على البلاد ، وأولاد أخى قتلوا في حربهم ؟ ولا أطلع حتى آخذ بثأرهم أو أموت » .

ثم قام من عنده ورجع الى قصر العبنى .

وفيه : سافر عمر كاشف الشغراوى لملاقاة لحجاج الى القلزم ، وحضرت مكاتيب الجبل على العادة القديمة ، وأخبروا بالأمن والراحة .

الجمعة ١٨ منه (١٠ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

خرج رضوان بيك بلفيا ، وسليمان بيك الشابورى ، وعبد الرحمن بيك عثمان .. وبرزوا خيامهم ناحية البساتين .

وفيه : عمل حسن باشا ديوانا ، وخلع على ثلاثة أشخاص من أمراء حسن بيك الجداوى وقلدهم صناجق وهم : شاهين وعلى وعثمان .

وفيه : حضر الى مصر ذو الفقار الخشاب — كاشف الفيوم ، المعروف بأبى سعده .

السبت ١٩ منه (١١ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

خرج غالب الأمراء الى ناحية البساتين ، وورد الخبر عن القبليين أنهم لم يزالوا مقيمين في ناحية بنى سويف .

وفيه : أنفق حسن باشا ثلث النفقة على العسكر . فأعطى اسماعيل بيك عشرين ألف دينار ، وحسن بيك خمسة عشر ألفا ، ولكل صنجق عشرة آلاف ، ولكل طائفة وجاق أربعة آلاف .. فاستقل الينكجارية حصتهم ، وكتبوا لهم عرضحال يطلبون الزيادة في نفقتهم .

أنه ان وقع منهم شيء من ذلك ليكون سببا في خراب مصر سبع ستوات ولا يبقى بها أحد .

وانقض الديوان ووقع الاتفاق على أن يكتبوا لهم جوابا عن رسالتهم ، ملخصها : ان كان قصدهم الصلح والأمان وقبول التوبة فانهم يجابون الى ذلك . ويحضر ابراهيم بيك ومراد بيك ويأخذ لهم حضرة القبطان أمانا شافيا من مولانا السلطان ويوجه لهم مناصب أينما يريدون في غير الاقليم المصرى يتعيشون فيها بعيالهم وأولادهم وما شاءوا من ماليكهم وأتباعهم . وأما بقية الأمراء فان شاءوا حضروا الى مصر وأقاموا بها ، وكانوا من جملة عسكر السلطان ، وان شاءوا عينوا لهم أماكن من الجهات القبلية يقيمون بها ، وان أبوا ذلك فليستعدوا للحرب والقتال .

الثلاثاء ٢٢ منه (١٤ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

قبض حسن باشا على عمر كاشف الذى سكنه بالشيخ الظلام ، وعلى محمد أغا البارودى ، وأمر بحبسهما عند اسماعيل بيك . وسبب ذلك المكاتبات التى تقدم ذكرها مع اسماعيل أغا كمشيش .

الأربعاء ٢٣ منه (١٥ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

سافر محمد افندى مكتوبجى حسن باشا بالمكاتبة الى القبلين .

وفيه : قتل رجل من عسكر القليونجية رجلا بربريا ، فاجتمعت طائفة البرابرة وأخذوا قتيلاهم ، وذهبوا به الى حسن باشا ، فأحضر القليونجية القاتل ... وقتله .

الخميس ٢٤ منه (١٦ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

نزل الأغا والجاوشية ونادوا على جيسم اللاضاشات بالذهاب الى بولاق ليسافروا فى المراكب سحبة الوجاقلية ، وكل من بات فى بيته استحق

وفيه : طلب حسن باشا دراهم سلفة من التجار فوزعوها على أفرادهم ، فحصل لفقرائهم الضرر وهرب أكثرهم وأغلقوا حوانيتهم وحواصلهم فصاروا يسرونها وكذلك البيوت ، وطلبوا أيضا الخيول والبغال والحمير وكبسوا البيوت والأماكن لاستخراجها . وعزت الخيول جدا وغلث أثمانها .

الاثنين ٢١ منه (١٣ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

قبض حسن باشا على اسماعيل أغا كمشيش وأمر بقتله ، وأخرجوه من بين يديه وعلى رأسه دفة ، فشفع فيه الوجاقلية فعفا عنه من القتل وسجنوه .

وسبب ذلك أنه أحضر صحبته عدة مكاتيب سرا خطابا لبعض أقتار ، فظهروا على ذلك .. فوقع له ما وقع .

وفيه : عمل حسن باشا ديوانا عظيما جمع فيه الأمراء والأعيان وفرأوا مكاتبات أرسلها القبلون يطلبون الصلح والأمان ، ويذكرون لعابدى باشا ما نهى له فى المعركة ، وأن يرسل قائمة بذلك ويردون له ما ضاع بتمامه . فقال عابدى باشا لحسن بيك الجداوى : « ما تقول فى هذا الكلام ؟ » قال : « أقول لا نأخذه الا بالسيف كما أخذه منا بالسيف » . فقال : « وهذا جوابى » .

ثم ان حسن بيك قال لحسن باشا : « يامولانا ، الراى أن لا يصحبنا أحد من المحمدية مطلقا ، فانهم أعداؤنا فيلحقنا منهم الضرر » . فأجابه الى ذلك وأمر بجمع خيولهم .

ثم ان حسن باشا قال يخاطب الأمراء خطابا عاما : « اسمعوا ! ربما تحدثكم نفوسكم وتقولون هؤلاء عثمانية لا نملكهم بلادنا ، أو أنهم مقصرون معنا فى النفقة ، والمصرية غرضهم مع بعضهم .. فتذهبوا معنا ثم يقع منكم الخيانة والمخامرة » . ثم حلف

العقوبة . وطاف الأغا عليهم يخرجهم من أماكنهم ويقف على الخانات ويسأل عمن بها منهم ويأمرهم بالخروج . فأغلق الناس حوانيتهم ، وبطل سوق خان الخليلى فى ذلك اليوم ، وخرج منهم جماعة ذهبوا الى بولاق ، ومنهم من طلع الى الأبواب حسب الأمر . وحصل لفقرائهم كرب شديد لكونهم لم يأخذوا نفقة ، بل رسموا لهم أنهم يأكلون على سباط بلعهم ، ويلقون على دوابهم ... وطعامهم البقماط والأرز والعدس لاغير ، وذلك لعزة اللحم وعدم وجوده ، فإن اللحم الضانى بالمدينة بثلاثة عشر نصف فضة ان وجد ، والجاموسى بشمانية أنصاف . وزاد سعر الغلة بعد الانحطاط ، وكذلك السمن والزيت .

وفيه : نقل محمد أغا البارودى وعمر كاشف من بيت اسماعيل بيك ، وحبسا بباب مستحفظان بالقلعة .

وفيه : أرسل القبالي أحد أولاد أخى عابدى باشا ، وكان مأسورا عندهم ، وأرسلوا صحبته منهوبات عابدى باشا ، وجملة من العساكر المجروحين وأنشأوا على كل عسكرى بدينار .

الأحد ٢٧ منه (١٩ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر محمد افندى المكتوبجى من عند الجماعة — وصحبته على أغا مستحفظان — بجواب الرسالة السابق ذكرها ، فأخبر أنهم ممثلون لجميع ما يؤمرون به ما عدا السفر الى غير مصر ، فإن فراق الوطن صعب .

ويذكر عنهم أنه لم يشق عليهم شيء أعظم من تمكن أخصامهم من البلاد — أعنى اسماعيل بيك وحسن بيك — وذلك هو السبب الحاض لهم على القدوم والمحاربة .

فإن لم يقبل منهم ذلك فإلقصده أن يبرز لحربهم

أخصامهم ومن العساكر العثمانية ... « فتكون الغلبة لنا ، أو علينا . فإن كانت علينا ، وظفروا بنا ، استحقوا الامارة دوننا . وإن كانت لنا ، وظفروا بهم ، فالأمر لكم بعد ذلك : ان شئتم قبلتم توبتنا ، ورددتهم لنا مناصبنا ، وشرطتم علينا شروطكم ، فقمنا بها قياما لا تتحول عنه أبدا ما بقينا . وإن شئتم ، فوجهتمونا الى أى جهة ، امتثلنا ذلك »

فلما ذكرا ذلك لحسن باشا ، قال لعل أغا : « أنا ما جئت الى مصر لأعمل لهم على قدر عقولهم . وإنما السلطان أمرنى بما أمرت به . فإن كانوا مطيعين ، فليمتثلوا الأمر . والا فسيقولون وبال عصيانهم » .

وكتب لعل أغا جوابا بذلك ، وخلع عليه فروة سمور ، وسافر من وقته ورجع الى أصحابه ، وصحبته شخص من طرف الباشا .

ولما ذهب اليهم محمد افندى المكتوبجى أنعموا عليه وأكرموه ، وأعطاه مراد بيك خاصة ألف ريال ، فجعل يشى عليهم ، ويمدح مكارم أخلاقهم

صفر

الخميس اوله (٢٣ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضرت خزينة حسن باشا من ثغر الاسكندرية فدفعت باقى النفقة للعسكر والأمراء .

وفيه : وصل الخبر ، أن الأمراء القبالي زحفوا الى بحرى ، ووصلت أوائلهم الى براخيزة وآخرهم بالرقق ، وفرضوا الكلف على بلاد الجيزة .

وفيه خرجت خيام اسماعيل بيك وحسن بيك الى ناحية طرا ، وحجزوا المعادى والمراكب ، وانحازت كلها الى البر الشرقى .

وفيه : طلب اسماعيل بيك دراهم سلفة من التجار ، فاعتذروا بقلّة الموجود بأيديهم ، وأغنياؤهم جلوا الى الحجاز ولم يدفعوا له شيئا . وادعى على تجار

البن ، بمبلغ دراهم باقى حساب من مدته السابقة ،
فصالحوه عنها بأربعة آلاف دينار .

الجمعة ٢ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

لودى على المحمدية المقيمين بمصر أنهم يذهبون
الى اسماعيل بيك ويقابلونه : سواء كان جنديا ،
أو أميرا ، أو مملوكا ... ومن تأخر استحق
العقوبة . وقبض على أنفار منهم ، وسجنوا بالقلعة ،
وختم على دورهم ... من جملتهم جعفر كاشف ،
الساكن عند بيت القاضى من ناحية بين القصرين .
وفيه : حضر الأغا الذى كان بصحبة على آغا المتوجه
بالرسالة ، وحضر بجوابات من القبالي ملخصها :
اننا طلبنا العفو مرارا فلم تغفوا ، ولم تقبلوا توبتنا .
وحيث كان كذلك ، فالله أولى وبه الاعانة .

السبت ٢ منه (٢٥ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

خرج حسن باشا ، واسماعيل بيك ، وحسن بيك ،
وبقية الأمراء ، وبرزوا الى نواحي البساتين
وفى تلك الليلة — أعنى ليلة الأحد — وقعت
حادثة لشخص من الأجناد يقال له اسماعيل كاشف ،
بيته فى عطفة بخط الخيمة ، قتله مماليكه .
وسبب ذلك — على ما سمعنا — قصيره فى
حقهم ، وفى تصرفه عدة حصص جارية فى التزامه .
فكتب تقاسيها بتمامها باسم زوجته ، ولم يكتب
لهم شيئا من ذلك .

وكان جبارا ظالما ، معدودا فى جملة كشف مراد
بيك . فلما حصلت المناذاة على المحمدية ، ذهب الى
اسماعيل بيك وقابله ، فطرده وأمره بلزوم بيته
والأ بخرج منه ... فذهب الى بيته وأرسل الى
اسماعيل بيك حصانين بعددهما : أحدهما مركوبه ،
والثانى لأحد مماليكه . وأرسل معها درعين على
سبل التقدم والهدية ، ليستميل خاطره .

وكان مملوكه صاحب الحصان غائبا فى شغل ،
فلما حضر فلم يجد الجواد ، سأل عنه فأخبره
خشدائه بصورة الحال ، فدخل الى سيده وسأله
فنهزه وشتمه فخرج مقهورا ، وجلس يتحدث مع
رفيقه ، فقالوا لبعضهم : « هذا الرجل سيدنا ...
لا نرى منه الا الأذى ، ولا نرى منه احسانا ، ولا
حلاوة لسان . وكذلك الحصص كتبها لزوجته ،
ولم يفعل معنا خيرا عاجلا ولا آجلا » .

وحملهم الفيظ على أنهم دخلوا عليه بعد العشاء
وقتلوه ، فصرخت زوجته من أعلى ، ونزلت اليهم
فقتلوا أيضا ، هى وجارتها ، فسعت الجيران
وكرر العائط .

وحضر الوالى فوقف المملوكان وضربا عليه
بنادق الرصاص ، وقبوا بيوت الجيران ، ونطوا
منها ...

فلم يزل حتى قبض عليهما وقتلها على رأس
العطفة ، وأصبح الخبر شائعا بين الناس بذلك .

الأحد ٤ منه (٢٦ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

حضر نجاب الحج ، وأخبر أن العرب وقفت
للحجاج فى طريق المدينة ، وحاربوهم سبعة أيام ،
وانجرح أمير الحج وقتل غالب أتباعه ، وخازنداره ،
ومن الحجاج نحو الثلث ، ونهبوا غالب حملهم
بسبب عوائلهم القديمة .

الاثنين ٥ منه (٢٧ نوفمبر ١٧٨٦ م) :

شق الأغا وأمامه المنادى يقول :

ان ابراهيم بيك ومراد بيك مطرودا السلطان ،
ومن كان مختفيا أو غائبا ، وأراد الظهور أو الحضور
فليظهر أو يحضر ، وعليه الأمان ، ولا بأس عليه ،
ومن خالف فلا يلومن الا نفسه .

وفيه : انتقل عساكر القليونجية ، وعدوا الى البر
الغربي ، ونصبوا هناك متاريس . وأما الأمراء

عمره ، وسلم نفسه أو اقتداها ، الى غير ذلك .
وأخذوا المحمل أيضا ولم يردوه .

الاثنين ١٢ منه (٤ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

دخل أمير الحج المذكور وخلفه محمل زوروه
من المحامل القديمة ، وأشاعوا رجوعه بالكذب ..
وفيه : هجم القبليون على المتارس ، وأرادوا
أن يملكوها في غفلة آخر الليل ، لعلمهم أن الأمراء
والباشا ذهبوا الى مصر ، واشتغلوا بالحجاج
وكان حسن باشا ، أمس ذلك اليوم ، لما بلغه
حضور الحجاج ، ركب من فوره ، وذهب الى
العادية ، فقابل أمير الحج ورجع من ليلته الى
الوطاق فلما هجموا على المتارس ، كان المتارسون
مستيقظين ، فضربوا عليهم المدافع من البر والبحر ،
من الفجر الى شروق الشمس ، فرجعوا الى مكانهم
من غير طائل ثم هجموا أيضا يوم الثلاثاء بعد
الظهر ، فضربوا عليهم ورحموا .

الأربعاء ١٤ منه (٦ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

ركب الأمراء القبليون ، وحملوا أحمالهم ،
وصعدوا الى دهشور ، وحلّسوا هناك ، وحضر
منهم جماعة من الأجناد بأمان ، وانضموا الى
البحرين .

٢٠ منه (١٢ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

حضر أحمد كتحدا على ، ومعه بعض كشاف ،
وممالك

وفه : حصل العفو عن الألفاضات وغيرهم من
المتمشين

وسبب ذلك أنه لما زاد الخلاح في طلبهم ، وصار
الأغا يكثر من تكرار المناذاة والتفتيش عليهم في
الحانات والمساكن ، وكل من صادفه بالغ في أذاه ...
ضاق ذرعهم من ذلك ، وشكا بعضهم للاختيارية ،

القبليون ، فانهم أخرجوا أثقالهم من المراكب
وظلموها بأجمعها الى البر ، وتركوا المراكب تذهب
الى حال سبيلها ، وانجازوا جميعا عند الأهرام .

الأحد ١١ منه (٣ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

نزل الحجاج ودخلوا مصر على حين غفلة ، وهم
في أسوأ حال من العرى والجوع ، ونهبت جميع
أحمال أمير الحج وأحمال التجار ، وجمالهم وأثقالهم
وأمتعتهم ، وأسر العرب جميع النساء بالأحمال .
وكان أمرا شنيعا جدا .

ثم ان الحجاج استغاثوا بأحمد باشا الجزار أمير
الحج الشامي ، فتكلم مع العرب في أمر النساء ،
فأحضرهن عرابا ليس عليهن الا القمصان ،
وأجلسوهن جميعا في مكان .

وخرجت الناس أفواجا ، فكل من وجد امرأته
أو أخته أو أمه أو بنته وعرفها ، اشراها ممن
هي في أسره ، وصارت المرأة من ساء العرب تمنوق
الأربعة من الجبال والحمة بأحمالها ، فلا تجد
مانعا وسبب ذلك كله ، رعونة أمير الحج فانه
لما أراد أن توجه بالحجاج الى المدينة ، أرسل الى
العرب ، فحضر اليه جماعة من أكابرهم ، فدفع لهم
عوائد سبتين ، وفسط البواقي على السنين
المستقلة بموجب فرمان ، وحجز عنده أربعة
أشخاص رهائن ، فدا له أن كواهم بالنار في
وجوههم ، فبلغ ذلك أصحابهم ، ففعدوا للحجاج
في الطريق فبلغ أمير الحج ذلك ، فذهب من طريق
أخرى ، فوجدهم رابطين فيها أيضا ، فقاتلوه قتالا
هينا ، ففر هاربا ، وترك الحجاج والعرب ، فنهبوا
حملته ، وقتلوا مماليكه ، ولم يبق معه الا القليل
فهرب بمن نقى معه ، واختفى عن الحجاج ثلاثة أيام
ولم يره أحد . وفعلت العرب في الحجاج ما فعلوه ،
وأخذوا ما أخذوه ، فلم ينج منهم الا من طال

بعضهما ، فسعى فيض الله أفندي الرئيس بينهما في إزالة ذلك .

ثم ذهب محمد باشا الى حسن باشا ، واجتمع معه في قصر الآثار .

وفيه : حضرت مكاتبة من القبالي يطلبون الأمان ، وآذ يعينوا لهم أماكن في الجهة القبليّة يقيمون بها ويعيشون هناك ، فأجيبوا الى ذلك ، ويختاروا مكانا يريدونه ، بشرط أن يكونوا جماعة قليلة ، ويحضر باقي الأمراء والعسكر الى مصر بالأمان ، فلم يرضوا بالافتراق ، ولم يجابوا الا بمثل الجواب الأول ، واستقروا ناحية بني سويف ، ورجعت عنهم عرب الهنادى وفارقوهم .

ربيع الأول

الجمعة اوله (٢٢ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

فيه : حضر ططرى من الدولة ، وعلى يده مثال لحسن باشا بأن يقيم بمصر ، ولا يخرج مبع العساكر بل يستمر محافظا في المدينة ، فتحقق الناس اقامته ، وعدم سفره .

وفيه : شرع الأمراء في التعدد الى الجهة الغربية . فأول من عدى على بيك الدفتردار ، فعدى الى الشسمى بأثقاله . وكذلك بقية الأمراء صاروا في كل يوم يعدى منهم جماعة .

وفيه : شرع حسن باشا في عمل « شركفلك » ، فشرعوا في عمله على ساحل بولاق تجاه الديوان . وهو عبارة عن متريز مصنوع من أخشاب متبندة على مقصات من خشب ، وهى قطع مفصلات ، يجمعها أغربة من حديد ، وعلى تلك المدادات عدة حراب حديد مسرة عليها ، محددة الأطراف ، وبين كل مقصين — سفل الأخشاب الممتدة — مدفع موضوع على شبه بسطة من الخشب ، ومساحة ذلك نحو أربعمئة وخمسين دراعا . وهو يوضع

فتكلموا مع حسن باشا — وكان المخاطب له أحمد جريجى أرثوود اختيار تفكجيان — فقال له :

« يا سلطانم ! الجماعة الألفاضات مكروبون من هذا الحال . وغالبهم فقراء . ومنهم من لا يملك قوته . وما أعطيتوهم نفقة » .

فقال : « لست هذه الحادثة أحدثناها ... بل ذلك أمر قديم . لأنهم نتسبون الى الوجاقات » فقال له : « نعم . ولكن العادة القديمة كان كل وجاق له دفتر وفيه عدة معدودة منهم ولهم جدكات وعوائد وكسوى ... وهذا الأمر بطل من مدة سنين » .

فلما فهم حقيقة الحال أعفاهم وأمر الأغا فنادى عليهم بالعفو ، وكل من كان له عادة قديمة تتبعها ويكتب اسمه في الدفتر ، يأخذ جذك .. فاطمأنوا لذلك ...

ثم ترك هذا الأمر ، وقعدوا في حوائثهم ، وسكنت نفوسهم ...

اواخره (ديسمبر ١٧٨٦ م) :

أمر حسن باشا بمطالبة محمد باشا المزعول ، فذهب اليه أرباب الحدم والمكايز ، واختيارية الوجاقات ، والأفندية ، وذهبوا اليه بولاق ، وتحاسبوا معه ، ودققوا عليه في الحساب ، فطلع عليه ألف ومائتان وخمسة وعشرون كيسا ، فطلب أن يخصم منها باقى عوائده التى بذمهم الأمراء وغيرهم . فعرفوا حسن باشا عن ذلك ، فلم يقبل وقال :

« ان كان له شىء عند أحد يأخذه منه ، ولا بد من احضار الدراهم التى طلعت عليه ، فالى محتاج الى ذلك في المصاريف اللازمة للعسكر » فشددوا عليه في الطلب ، فضاق خناقه ، واعتذر وبكى ، وكتب على نفسه تمسكا بذلك ، واستوحشا من

تسعيرة ، وينادون بها ، ومن خالفة ، أو احتكر شيئاً
قتل .

السبت ١٦ منه (٦ يناير ١٧٨٧ م) :

اجتمعوا في باب مستحفظان ، وحضر الشيخ
العروسي أيضا واتفقوا على تسعيرة ، في الخبز
واللحم والسمن وغير ذلك ، وركب الأغا وبيجنيه
المحتسب ، ونادوا في الأسواق ، فجعلوا اللحم
الضائي ثمانية أنصاف ، وكان بعشرة ، والجاموسي
بسته ، بعد سبعة ، والسمن المسلي بثمانية عشر ،
والزبد بأربعة عشر ، والخبز عشرة أواق بنصف
فضة ، وهكذا . فعزت الأشياء ، وقل وجود اللحم ،
وإذا وجد كان في غاية الرذالة ، مع مافيه من العظم
والكبد والفشة والكرشة .

السبت ٢٣ منه (١٣ يناير ١٧٨٧ م) :

سافر محمد باشا المنفصل من بولاق الى رشيد .

اواخره (يناير ١٧٨٧ م) :

وصل الخبر بأن رضوان بيك قرابة علي بيك
الكبير المنافق ، وعلى بيك الملط ، وعثمان بيك ،
وجماعة علوية ، حضروا الى عرض التجريدة ،
وأخذوا الأمان من اسماعيل بيك وعابدي باشا .
وأنهم قادمون الى مصر ، وأن القبالي استقروا
بوادى طحطا مكانهم الأول ، الذي قاتلوا فيه .

ربيع الآخر

الخميس ٥ منه (٢٥ يناير ١٧٨٧ م) :

وصل المذكورون الى مصر ، وقابلوا حسن
باشا ، وتوجهوا الى بيوتهم .

وفيه : ألبسوا أوده باشا بوابه ، وكان شاعرا
من أيام علي بيك الكبير لحوا من ثمان عشر سنة .

الأحد ٨ منه (٢٨ يناير ١٧٨٧ م) :

ضربوا مدافع كثيرة رمت الضحى ، وكان أشيع

على هياث مختلفة ، مربعا ومدورا ، والعسكر من
داخله متحصنون به ، وإذا هجمت عليه الخيول
رشقت بها تلك الحراب .

الاثنين ٤ منه (٢٥ ديسمبر ١٧٨٦ م) :

ركبت طوائف العسكر والوحدات ، ومروا
بنظامهم من تحت قصر الآثار ، وحسن باشا ينظرهم
فأعجبهم نظامهم وترتيبهم وحسن زينهم ، ثم تتابعوا
في التعدي .

الاثنين ١١ منه (اول يناير ١٧٨٧ م) :

سافر عابدي باشا ، بمن بقي معه من العسكر .

الخميس ١٤ منه (٤ يناير ١٧٨٧ م) :

كسف جرم القمر جميعه . وكان ابتداءه من
رابع ساعة الى ثامن ساعة من الليل .

منتصفه (٥ يناير ١٧٨٧ م) :

حضرت عساكر من الأضات ، مثل قبرص وقرمان
وغير ذلك . وجاء الخبر عن الأمراء القبالي ، أنهم
وصلوا الى أسوط ، وتخلف عنهم جملة من المالك
والأتباع في نواحي المنيا وغيرها . فمنهم من حضر
الى مصر ، ومنهم من اختفى في البلاد .

وفيه : اشتكت الناس من غلاء الأسعار ، وتكلم
الشيخ العروسي مع حسن باشا بسبب ذلك ،
وقال له :

« في زمن العصاة ، كان الأمراء نهبون وأخذون
الأشياء من غير ثمن . والحمد لله هذا الامر ارتفع
من مصر بوجودكم ، وما عرفنا موجب الغلاء أى
شيء » .

فقال : « أنا لا أعرف اصطلاح بلادكم ا » .

وتشاور مع الاختيارية في شأن ذلك ، فوقع
الاتفاق على عمل جمعية في باب الشكجيرة ،
واحضار الأغا والمحتسب والمعلمين ، ويعملون

أهلها . فانه بلغنى أنه تعين مع حسن باشا : كذا كذا ألف من الجنس الفلانى ، وكذا كذا ألف من جنس العسكر الفلانى ، وأهم متأخرون فى الحضور عنه تحت الاحتياج ، وكذلك فى عساكر البر ، الواصلة من الجهة الشامية ، ومعهم ثمانون ألف ثور ، ومائة ألف جاموس ، برسم جر المدافع . وفى المدافع ما يسجبه خمسون ثورا ... » . ونحو ذلك ، حتى أدخل عليهم الوهم وظنوا صدقه .. !

وانحلت عرا الناس عنهم ، وخصوصا بما مناهم به من اقامة العدل ، ومنع الظلم والجور ، وغير ذلك ، حتى جذب قلوب العالم وتحولوا عن الأمراء ، وتمنوا زوالهم . فى أسرع وقت ، وهيج الناس وأثارهم قبل وصول حسن باشا ، وملك القلعة ، ومهد له الأمور ... فجراه ، بعد تمكنه ، بالخدلان والعزل ، والحساب والتدقيق ، وغير ذلك .

الأربعاء ٣ منه (٢١ فبراير ١٧٨٧ م) :

ورد نجاب ، وصحبتة مكتوب ، من عابدى باشا الى حسن باشا ، وأخبر بوقوع الحرب بين الفريقين ، فى يوم الجمعة ٢٨ ربيع الآخر ، عند الأمير ضار ، وكانت الهزيمة على القبالى . ولكن بعد أن كسروا الجردة مرتين ، وهجموا على « شركفك » ، فضربوا عليهم من داخله بالمدافع والبنادق ، وقتل لاجين بيك عند شركفك ، وقتل الكثير من عرب الهنادى ، وقبض على كبيرهم أسيرا . ومات من المصاحين للعسكر ذو الفقار الخشاب وجماعة من الوجاقلية : منهم على جربجى الشهيد . وكانت الحرب بينهم نحو ست ساعات ، وكانت وقعة عظيمة وقتل من الفريقين ما لا يحصى .

وكان حضور هذا النجاب على الفور من غير تحقيق فلما ورد ذلك ، سر الباشا سرورا كثيرا ، وأمر بعمل شنك ، فضربوا مدافع كثيرة من قصر

فى أمسه أن التجريدة نصرت . وقتل من القبالى أناس كثيرة . فلما سمع الناس تلك المدافع ، ظنوا تحقيق ذلك ، وكثرت الأكاذيب والأقاويل ، ثم تبين أن لا شيء ، وأنها بسبب رجوع بعض مراكب رومية من ناحية الفشن ، بسبب قلة ماء النيل . ومن عادتهم أنهم اذا وصلوا للمرساة ، ضربوا مدافع فيجابوا بشلها

منتصفه (٤ فبراير ١٧٨٧ م) :

حضر محمد كتحدا الأشقر بسبب تجهيز ذخيرة ولوازم ومصاريف ، فهيتت ، وأرسلت ، وكذلك قبل ذلك مرارا كثيرة ، وأخبر أن التجريدة وصلت الى دجرجا ، وأن القبالى ارتحلوا منها وصعدوا الى فوق ، وتبعدوا عن البلد نحو ست ساعات . ثم انقطعت الأخبار .

جمادى الأولى

فيه : زاد قلق حسن باشا بسبب تأخر الجوابات وطول المدة .

وفيه : عين حسن باشا ، على محمد باشا برشيد ، وشدد عليه فى طلب الدراهم . وضايقوه حتى باع أمتعته وحوائجه ، وغلق ماعليه ، وتوفيت زوجته ، فحزن عليها حزنا شديدا مع ما هو فيه من الكرب ، ولم يفده من فعائله وهمته التى فعلها بمصر عند قدوم حسن باشا شيء ، وجازاه بعد ذلك بأقبح المجازاة ! فانه لولا أفاعيله وتمويهاته وأكاذبه ، ما تمكن حسن باشا من دخول مصر . فانه كان يعظم الأمر على الأمراء المصريين ، وبهول تهويلات كثيرة عليهم ، وعلى المشايخ ، واختيارية الوجاقات ويقول :

« اياكم والعناد ... واياكم أن توقعوا حربا ، فانكم تخربون بلادكم ، وتكونون سبيا فى هلاك

لما تسامعوا بذلك ، لينظروا ماشاع وثبت في أذهانهم من أن تحته كنزا ، وهو مرصود على شيء من العجائب ، أو نحو ذلك ، وإن الباشا يريد الكشف عن أمره . فلما حصل ذلك الازدحام ، ووجده الحمالون ثقيلًا جدًا — وهم لا يعرفون صناعة جر الأثقال — وحركوه عن مكانه يسيرًا ، وبلغ الباشا ما حصل من ازدحام العامة ، أمر بتركه . فتركوه ومضوا ، فذهب العامة في أكاذيبهم كل مذهب : فمنهم من يقول أنهم لما حركوه ، وأرادوا جره ، رجع بنفسه ثانياً ، ومنهم من يقول غير ذلك من السخافات .

الثلاثاء ١٦ منه (٦ مارس ١٧٨٧ م) :

وصل نيف وثلاثون رأساً من قتلى القبليين ، فألقوهم عند باب القلعة بالرميلة ، على سرير من جريد النخل ، وأبقوهم ثلاثة أيام . ثم دفنوهم ، ووجد فيهم رأس عزوز كتبخدا عزبان .

وفي ذلك اليوم أمر الباشا بشنق رجلين من الغيطانية تشاجرا مع طائفة من العسكر وضرباهم ، وأخذوا سلاحهم . ورفعت الشكوى إلى الباشا فأمر بشنق الغيطانية ظلماً على الشجرة التي عند القنطرة فيما بين طريق مصر القدية وطريق الناصرية .

السبت ٢٠ منه (١٠ مارس ١٧٨٧ م) :

تقلد حسن أغا — كتبخداً على بيك الدفتردار ، المعروف بحسن جلبى — الحسبة ، وعزل ابن ميلاد .

الاثنين ٢٢ منه (١٢ مارس ١٧٨٧ م) :

نظر أصحاب الدرك عدة هجانة مرت من ناحية الجبل ، معهم أمتعة وثياب مرسلة إلى القبالي ، من نسائهم . فركبوا خلفهم ، فلم يدركوهم ، وأشاعوا أنهم قبضوا عليهم من غير أصل . ووصل خبرهم حسن باشا ، فاغتاط على الأغا والوالى ، وأمرهما

العينى والقلعة ، وضربوا النوبة السلطانية في برج القلعة ، وكذلك نوبة حسن باشا تحت القصر ، وأرسل المبشرين إلى الأعيان ، كالشيخ البكرى ، والشيخ السادات ، وأكابر الوجاقات ، وحضروا جميعاً للتهنئة .

وفي عصر ذلك اليوم أحضر آلات اللهو والضرب ، فضربوا نوبة بين يديه ، وعمل في ليلتها شنكا وحرقة صواريخ وتقوطا ، وابتهج ابتهاجاً عظيماً ، وسكن ما كان به من الوجل .

السبت ٦ منه (٢٤ فبراير ١٧٨٧ م) :

حضرت عدة مكاتبات من أمراء التجريدة ، فأخبروا فيها بتلك الواقعة ، وأن القبالي صعدوا ، بعد الهزيمة ، إلى عقبة الهو على جرائد النخل . فلم يصعدوا خلفهم ، لصعوبة المسلك على الأحمال والأثقال ، وأنهم منتظرون حضور مراكبهم وما فيها من الذخيرة ، فيحملوا الأحمال ، ويسيروا بأجمعهم خلفهم من الطريق المستقيم ، التي توصل إلى خلف العقبة . وأخبروا أيضاً ، أنهم استولوا على حملاتهم ومتاعهم ، حتى يسح الجمل وعليه النقاقير بخمسة ريالات ونحو ذلك .

ومن الحوادث في هذه الأيام : وقوع الموت الذريع في الأبقار ، حتى صارت تتساقط في الطرقات . ومات لابن بسيونى غازى ، بناحية سندبون خاصة ، مائة وستون ثوراً . وقس على ذلك .

الأربعاء ١٠ منه (٢٨ فبراير ١٧٨٧ م) :

طلب الباشا حوضاً ليعمله حنفية ، فأخبره الحاضرون ، وعرفوه بالحوض الذى تحت الكباش ، المعروف بالحوض المرصود . فأمر باحضاره ، فأرسلوا إليه الرجال والحمالين ، وأرادوا رفعه من مكانه ، وازدحمت عليه الناس من الرجال والنساء ،

وفي هذا الشهر عمت البلوى بموت الأبقار والثيران ، في سائر الاقليم البحرى ، ووصل الى مصر ، حتى انها صارت تتساقط في الطرقات وغيطن المرعى ، وجافت الأرض منها : فمنها ما يدركونه بالذبح ، ومنها ما يموت . ورخص سعر اللحم البقرى جدا لكثرة ، حتى صار يباع بمصر ، آخر النهار ، كل رطلين بنصف فضة .. مع كونه سمنا غير هزيل . وعافته الناس ، وبعضهم كان يخاف من آكله .

وأما الأرناق فكان يباع فيها بالأحمال ، ويبتع البثرة بما خلفها .. بدينار . وكثر عويل الفلاحين وبكاؤهم على البهائم ، وعرفوا بموتها قدر نعمتها ؛ وغلا سعر السمن واللبن والأجبان ، بسبب ذلك ، لقلتها .

جمادى الآخرة

الأربعاء ١ منه (٢١ مارس ١٧٨٧ م) :

كان يوم النوروز السلطاني ، وانتقال الشمس لبرج الحمل .

الأحد ٥ منه (٢٥ مارس ١٧٨٧ م) :

حضر حمامجى أوغلى ، وأخبر أن القبلى ذهبوا الى أبريم ، وأن الباشا والوقاجلية والعسكر رجعوا الى اسنا ، وأرسلوا يستشيرون الباشا في الذهاب خلفهم ، أو الرجوع أو الإقامة .

الاثنين ٦ منه (٢٦ مارس ١٧٨٧ م) :

سافر حمامجى أوغلى بالجوابات ، الى الجهة القبلىة ، وفيها الأمر بحضور عابدى باشا ، واسماعيل بيك ، وباقى الأمراء الى مصر ، وأن حسن بيك ومحمد بيك الميدون ، ويحيى بيك ، يقيمون بامنا محافظين .

بالذهاب الى بيوتهم ، ويسمرونها عليهم . ففعلوا ذلك ، وقبضوا على الأنغوات الطواشية والسقائين ، وحصلت ضجة في البلد ، بين الظهر والعصر ، بسبب ذلك . وفرت زوجة ابراهيم بيك الى بيت شيخ السادات .

ثم ان رضوان بيك قرابة على بيك تشنغ في تسمير البيوت ، فقبضت شفاعته ، وأرسل لمعادى الحبيرى والجيزة ، ومنعهم من التعدية ، وحجزوهم الى البر الترى .

الثلاثاء ٢٤ منه (١٤ مارس ١٧٨٧ م) :

وردت بجابة وعلى أيديهم مكاتبات من عابدى باشا ، يخبر فيها بأن بحبى بيك ، وحسن كتحدا الجربان ، حضرا اليه بأمان ، وخلع عليهم فراوى ، وصحتهم عدة من انكشاف والماليك ، وذلك بعد أن وصلوا الى اسنا ، وان القبلى ذهبوا الى ناحية أبريم فتخلف عنهم المذكورون .

الخميس ٢٦ منه (١٦ مارس ١٧٨٧ م) :

حضر اسماعيل القبطان ، ، كان بصحبته حمامجى أوغلى ، وأخبر أن العسكر العثمانية ملكوا أسوان ، وأن الأمراء القبلى ذهبوا الى أبريم ، وأنهم في أسوأ حال ، من العري والجوع ، وغالب مماليتهم لأيسون الزعابيط مثل الفلاحين ، وتخلف عنهم كثير من أتباعهم : فمنهم من حضر الى عابدى باشا بأمان ، ومنهم من تشتت في البلاد ، ومنهم من قتل الفلاحون ، وغير ذلك من المبالغات .

في اواخره (النصف الثانى من مارس ١٧٨٧ م) :

خلع حسن باشا على رضوان بيك العلوى وقلده كشوفية الغريبة ، وتاد على بيك الملط كشوفية المنوفية ، وقرر لها على كل بلد أربعة آلاف نصف فضة ، ونزلا الى طنطا لأجل خفارة مولد السيد أحمد البدوى .

الخميس ١٦ منه (٥ ابريل ١٧٨٧ م) :

نودى على النساء ، ألا يخرجن الى موسم
الخمسين المعروف عند القبطة بالنسيم ، وذلك يوم
الاثنين صبيحة عيدهم .

الاثنين ٢٠ منه (٩ ابريل ١٧٨٧ م) :

نودى بإبطال المعاملة بالذهب التي اقلى التجديد ،
راستمرت المناذاة على النساء في عدم خروجهن الى
الأسواق . وسبب ذلك وقائعهن مع العسكر ، منها
أنهم وجدوا بيت يوسف بيك سكن حمامجي
أوغلي نحو سبعين امرأة مقتولة ومدفونة
بالأسطبلات ، ومن النساء من لعبت على العسكر
وأخذت ثيابه ، وأمثال ذلك ، فنودى عليهن
بسبب ذلك ، فتضرر المحترفات منهن ، مثل
البالات ، والذيات ، وبياعات الغزل والقطن ،
والكتان ، ثم حصل الاطلاق وسوخوا في الخروج .

السبت ٢٥ منه (١٤ ابريل ١٧٨٧ م) :

حضرت نجابة من قبلى ، وحضر أيضا حمامجي
أوغلي ، وأخبروا أن الباشا والأمراء وصلوا
الى ديجرجا .

اواخره (النصف الثاني من ابريل ١٧٨٧ م) :

وصل جماعة من الوجاقلية ، وحضر على كاشف
الشعراوى ، ولبس قفطانا على كشوفية الشرقية .

رجب

الخميس استهله (١٩ ابريل ١٧٨٧ م) :

قبض سجين باشا على أحمد قبودان ، المعروف
بحمامجي أوغلي ، وجبسه وحبس أيضا تابعه عثمان
التوقلى ، وكان يسعى معه في الخبائث ، وكذلك
رجل يقال له مصطفى خوجه .

الأربعاء ٧ منه (٢٥ ابريل ١٧٨٧ م) :

نودى على النساء ، أنهن اذا خرجن لحاجة ،
يخرجن في كمالهن ، ولا يلبسن الحبرات الصنل ،
ولا الأفرنجي ، ولا يربطن على رؤوسهن العمائم
المعروفة بالقازدغلية ، وذلك من مبتدعات نساء
القازدغلية . وذلك أنهن يربطن الشاشات الملونة
المعروفة بالمديورات ، ويجعلنها شبه الكعك ، ويملنها
على جباههن ، مقوصات بطريقة معلومة لهن .
وصار لهن نساء يتولين صناعة ذلك بأجرة على
قدر مقام صاحبها ، ومنهن من تعطى الصناعة لذلك
دينارا أو أكثر أو أقل ، وفعل ذلك جميع النساء
حتى الجوارى السود !

الاحد ١١ منه (٢٩ ابريل ١٧٨٧ م) :

حضر عابدى باشا ، واسماعيل بيك ، وعلى بيك
الدفتدار ، ورضوان بيك بلفيا ، وحسن بيك
رضوان ، ومحمد بيك كشكش ، وعبد الرحمن
بيك عثمان ، وسليمان بيك الشايبورى ، وباقي
الوجاقلية .. الى مصر ، وذهبوا الى بيوتهم ، وبات
الباشا في مصر القديمة .

الاثنين ١٢ منه (٣٠ ابريل ١٧٨٧ م) :

ركب عابدى باشا ، وطلع الى القلعة من غير
موكب ، وطلع من جهة الصليية ، وذلك قبل أذان
الظهر بنحو خمس درجات . فلما استقر بها ضربوا
له مدافع من الأبراج . وبعد انقضاء المدافع ،
أرعدت السماء رعودا متتابعة الى العصر ، وأمطرت
مطرا غزيرا . وذلك في الرابع والعشرين من برمودة
القبطى والتاسع عشر من نيسان الرومى .

وأما حسن بيك الجداوى ، فانه تخلف بقنا
هو وأتباعه ، وكذلك عثمان بيك ، وسليم بيك
الاسماعيلى . باسنا ، ، وعلى بيك جركس بأرمنت ،
وعثمان بيك وشاهين بيك الحسينى ، وبهى بيك ،

أفندى المكتوبجى ، سليمان كاشف قنبور ،
والشيخ سليمان الفيومى .

وفيه : تقلد غيطاس بيك اماره الحج .

وفيه : قررت المظالم على البلاد ، وهى المعروفة
برفع المظالم . وكان حسن باشا عندما قدم الى مصر
أبطلها ، وكتب برفعها فرمات الى البلاد . فلما
حضر اسماعيل بيك ، حسن له اعادتها ، فأعيدت ،
وسموها التحرير ، وكتب بها فرمات ، وعينت بها
المعينون ، وتفرقوا فى الجهات والأقاليم بطلبها مع
ما يتبعها من الكلف ، وحق الطرق وغيرها . فدهى
الفلاحون وأهل القرى بهذه الداهية ثانيا ، على
مناهم فيه من موت البهائم ، وهيف الزرع ،
وسلاطة الفيران الكثيرة على غيطان الغلة والمقائى ،
وغیرها ، وما هم فيه من تكلف المشاق الطارىء
عليهم أيضا ، بسبب موت البهائم فى الدراس ،
وإدارة السواقى بأيديهم وعوافيهم ، أو بالحميز أو
الخیل أو الجمال ، لمن عنده مقدرة على شرائها ،
وغلت أثمانها بسبب ذلك الى الغاية . فتغيرت قلوب
الخلق جميعا على حسن باشا ، وخاب ظنهم فيه ،
وتمنوا زواله ، وفشا شر جماعته وعساكره
القليونية فى الناس ، وزاد فسقهم وشرهم
وطمعهم ، فاتتهكوا حرمة المصر وأهله الى الغاية .

الأربعاء ٥ منه (٢٣ مايو ١٧٨٧ م) :

توفى أحمد كنخدا المجنون ، وقلدوا مكانه فى
كنخدائته مستحفظان رضوان جاویش تابعه ،
عوضا عنه .

وفيه : قتل عثمان التوقلى بالرميلة رفيق حمامجى
أوغلى بعد أن عرقب بأنواع العذاب مدة حبسه ،
واستصفيت منه جميع الأموال التى كان يملكها
واختلسها ، ودل على غيرها حمامجى أوغلى ، واستمر
حمامجى أوغلى فى الترسيم .

وباكير بيك ، ومحمد بيك المبدول .. كذلك تخلفوا
متفرقين فى البنادر لأجل المحافظة . وقاسم بيك
أبو سيف فى منصبه بدرججا .

وأراد الباشا واسماعيل بيك أن يبقوا طائفة
من الوجاقلية ، ومعهم طائفة من العسكر . فأبوا
وقالوا : « حتى نذهب الى مصر ونعدل حالنا ،
وبعد ذلك نأتى » .

وفيه : وصل الخبر بأن القبالي رجعوا الى
أسوان ، وشرعوا فى التعدة الى اسنا . فأرسل
اسماعيل بيك الى الاختيارية ، فحضرهوا عنده بعد
العصر ، وتكلموا فى شأن ذلك ، بحضرة على بيك
أيضا .

الثلاثاء ١٣ منه (اول مايو ١٧٨٧ م) :

اجتمعوا فى صبح ذلك اليوم ، وانفصل المجلس
كلالول .

اواخره (حوالى منتصف مايو ١٧٨٧ م) :

وصل الخبر بأنهم زحفوا الى بحرى ، وأن
حسن بيك تأخر عنهم .

شعبان

السبت اوله (١٩ مايو ١٧٨٧ م) :

جاء الخبر أن القبالي وصلوا الى درججا ، وأن
حسن بيك والأمراء وصلوا فى التأخر الى المنية .
وعملت جمعيات ودواوين بسبب ذلك ، وشرعوا فى
طلوع تجريدة . ثم وقع الاختلاف بين الباشا
والأمراء ، واستقر الأمر بينهم فى الراى ، أن
يراسلوهم فى الصلح ، وأنهم يقيمون فى البلاد التى
كانت بيد اسماعيل بيك وحسن بيك ، ويرسلوا
أيوب بيك الكبير والصغير ، وعثمان بيك الأشقر ،
وعثمان بيك المرادى ، يسكونوا بمصر رهائن ،
وكتبوا بذلك مكاتبات ، وأرسلوها صحبة محمد

وفيه : قبض على سراج متوجها الى قبلى ومعه دراهم وأمتعة وغير ذلك ، فأخذت منه ، ورمى عنقه ظلما بالرميعة .

رمضان

الأحد مستهله (١٧ يونية ١٧٨٧ م) :

اختصرت الأمراء من وقدة القناديل في البيوت عن العادة .

وفيه : عبي اسماعيل بيك هدنة جبلية وأرسلها الى حسن باشا ، وهي سبع فروق بن ، وخمسون تفصيلة هندي عال مختلفة الأجناس ، وأربعة آلاف نصفية دنائير نقد مطروقة ، وجملة من بخور العود والعنبر ، وغير ذلك . فأعطى للشياطين ، على سبيل الانعام ، أربعة عشر قرشا رومية ، عنها خمسمائة وستون نصف قضة .

الأحد ٨ منه (٢٤ يونية ١٧٨٧ م) :

حضر حسن بيك الجداوى الى مصر .

الثلاثاء ١٠ منه (٢٦ يونية ١٧٨٧ م) :

حضر المحمل صحبة رجل من الأشراف ، وذلك أنه لما وقع للحجاج من العربان ما وقع في العام الماضي ، ونهبوا الحجاج ، وأخذوا المحمل ، بقى عندهم ، الى أن جيش عليهم الشريف سرور ، وحاربهم وقتلهم قتالا شديدا ، وأفنى منهم خلائق لا تحصى ، واستخلص منهم المحمل ، وأرسله الى مصر صحبة ذلك الشريف . وقيل ان الشريف الذى حضر به ، هو الذى اقتداه من العرب بأربعمائة ريال نرايسة . فلما حضر خرج الى ملاقاته الأثاير ، والمحملدارية ، وأرباب الوظائف ، ودخلوا به أيضا من باب النصر وأمامه الأثاير والطبول والزمر ، وذلك الشريف راك أمامه أيضا .

وفيه : وقعت بعد أذان العصر ساعتين حادثة

مهولة مزعجة بخط البندقائين ، وذلك أن رجلا عطارا ، سسمى أحمد ميلاد ، وحاتوته تجاه خان البهار ، اشترى جانب بارود انكليزى من الفرنج فى برميلين وبطة ، ووضعها فى داخل الحانوت .. فحضر اليه جماعة من أهل الينبع وساموه على جانب بارود ، وطلبوا منه شيئا ليروه وبجربوه . فأحضر البطة ، وصب منها شيئا فى المنقد الذى يعذ فيه الدراهم ، ووضعوه على قطعة كاغد ، وأحضروا قطعة ندى ، وطيروا ذلك البارود عن الكاغد فأعجبهم ، ومن خصوصية البارود الانكليزى ، اذا وضع منه شيء على كاغد ، وطبر .. فالنار لا تؤثر فى الكاغد ، ثم رموا بالقطعة اليدك على مصطبة الحانوت ، وشرع بزق لهم ، وهم يضعونه فى ظرفهم ، ويتساقط فيما بين ذلك من حباته ، وانتشر بعضها الى ناحية اليدك ، وهم لا يشعرون ، فاشتعلت تلك الحبات ، واتصلت بما فى أيديهم ، وبالبطة ، ففرقت مثل المدفع العظيم ، واتصلت النار بذنك البرميلين كذلك .. فارتفع عقد الحانوت وما جاوره ، بما على تلك العقود من الأبنية والبيوت والربيع والطباق ، فى الهواء ، والتهبت بأجمعها نارا ، وسقطت بمن فيها من السكان على من كان أسفلها من الناس الواقفين والمارين ، وصارت كوما يظن من لم يكن رآه قبل ذلك ، أنه له مائة عام .. وذلك كله فى طرفة عين ، بحيث ان الواقف فى ذلك السوق أو المار ، لم يمكنه الفرار ، والبعيد أصيب فى بعض أعضائه ، اما من النار واما من الردم .

وكان السوق فى ذلك الوقت مزدحما بالناس ، خصوصا وعصرية رمضان ، وذلك السوق مشتمل على غالب حوائج الناس ، وبه حوائث العطارين والزيتاين والقبائية والصارف وياعى الكنافة والقطائف والبطيخ . والعبداوى ، ودكاكين المزنيين ، والقهاوى . وغالب جيران تلك الجهة

وسكان السبع فاعات وشمس الدولة .. باتون في تلك الحصنة ، ويجلسون على الحوانيت لأجل التسلى . والحاصل أن كل من كان حاصلًا بتلك البقعة في ذلك الوقت — سواء كان غالياً : أو متسفلاً ، أو ماراً ، أو واقفاً لحاجة ، أو حالاً — أصيب البتة .

وكان ذلك العطار يبيع غالب الأصناف : من رصاص وقصدير ، ونحاس وكحل ، وكبريت ، وعنده موازين شبه الجلال . فلما اشتعل ذلك البارود . صارت تلك الجلال ، وقطع الرصاص ، والكحل ، والمغناطيس .. تتطاير مثل جلل المدافع ، حتى أحرقت واجهة الربع المقابل لها .

وكان خان البهار مفقولا متحرباً . وبابه كبير مسمارى ، فضدمه بعض الجلال وكسره ، واشتعل بالنار ، واتصل بالضيق التى تعلو ذلك الخان . ووقعت ضحة عظيمة . وكل من كان قريباً وسلم ، أسرع بطلب الفرار والنحاة ، وما يدرى أى شيء القضية !

فلما وقعت تلك الضجة ، وصرخت النساء من كل جهة ، وانزعجت الناس انزعاجاً شديداً ، وارتعت الأرض ، واتصلت الرجة الى نواحي الأزهر والمشهد الحسينى ، وظنوها زلزلة — شرع تجار خان الحمزاوى فى ثقل بضائعهم من الحواصل ، فان النار تطايرت اليه من ظاهره

وحضر الأغا والوالى : فتسلم الأغا جهة الحمزاوى ، وتسلم والى جهة شمس الدولة ، وتسعوا النار حتى أخذوها . وختموا على دكاكين الناس التى بذلك الخط ، وأرسلوا فختموا بيت أحمد ميلاد الذى خرجت النار من حانوته ، بعد أن أخرجوا منه النساء ، ثم أخرجوا عنهم بأمر اسماعيل بك

وأحضروا فى صبحها نحو المائتى فاعل ، وشرعوا

فى نبش الأتربة وإخراج القتلى ، وأخذ ما يجدونه من الأسباب والأمتعة ، وما فى داخل الحوانيت من البضائع والتتود ، وما سقط من الدور من قرش وأوان ومصاغ النساء ، وغير ذلك شيء كثير .. حتى الحوانيت التى لم يصبها الهدم فتحوها وأخذوا ما فيها ، وأصحابها ينظرون ، ومن طلب شيئاً من متاعه يقال له : هو عندنا حتى تثبته .. هذا اذا كان صاحبه ممن يخاطب ويصغى اليه ...

وقيامة قائمة ! ومن يقرأ ومن يسمع !؟

ووقت أتباعهم بالنبايت من كل جهة بطردوق الناس ، ولا يمكنون أحداً من أخذ شيء .

وأما القتلى ، فإن من كان فى السوق ، أو قريباً من تلك الحانوت والنار ، فانه احترق . ومن كان فى العلو من الطباقي ، انهرس . ومنهم من احترق بعضه وانهرس باقى .

واذا ظهر وكان عليه شيء أو معه شيء .. أخذوه ، وان كانت امرأة ، جردوها ، وأخذوا حليها ومصاغها . ثم لا يمكنون أقاربهم من أخذهم الا بدراهم يأخذونها ؛ وكأنما فتح لهم باب الغنمة ! على حد قول الشاعر : « مصائب قوم عند قوم فوائد ! »

ولما كشفوا عن أحمد ميلاد وحانوته ، وجدوه تمزق واخترق وصار قطعاً مثل الفحم ، فجمعوا منه ست قطع ، وأخذوا شيئاً كثيراً من حانوته ، ودراهم وودائع كانت أسفل الحانوت ، لم تصبها النار ، وكنم عليها الردم والتراب .

وكذلك حانوت رجل زبات انهدم على صاحبه . فكشفوا عنه ، وأخرجوه متاً ، وأخذوا من حانوته مبلغ دراهم ١ وكذلك من بيت صباغ الحرير بجوار الحمزاوى انهدمت داره أيضاً ، وأخذوا ما فيها ، ومن جملتها صندوق ضمه دراهم لها صورة ، ونحو ذلك .

واستمر الحال على ذلك أربعة أيام ، وهم في حفر ونبس ، وأخرج قتلى وجنائز ، وبلغت القتلى التي أخرجت نيفا عن مائة نفس .. وذلك خلاف من بقى تحت الردم : منهم امام الزاوية المجاورة لذلك ، فانها انحسفت أيضا على الامام ، وبقى تحت الردم .

ولم يجدوا بقية أعضاء أحمد ميلاد ، وفقدوا دماغه فجمعوا أعضاءه ووضعوها في كيس قماش ودفنوه ، وسدوا على تلك الخطة من الجهتين ، وتركوها كما هي مدة أيام ، ونظفت وعمرت بعد ذلك فكانت هذه الحادثة من أعظم الحوادث المزعجة المؤرخة .. وما راء كمن سمعا !

الخميس ١٢ منه (٢٨ يونية ١٧٨٧ م) :

حضر الرسل من عند القبليين ، وحضر أيوب بيك الكبير رهينة عن المماليك المحمدية ، وعثمان بيك الطنبرجى عن مراد بيك ، وعبد الرحمن بيك عن ابراهيم بيك . فذهبوا الى حسن باشا وقابلوه ، وكذلك قابلوا عابدى باشا ، ثم اجتمع الأمراء عند حسن باشا وتكلموا في شأن هؤلاء الجماعة وقالوا :

« هؤلاء ليسوا المطلوبين ، ولم يأت الا أيوب بيك الكبير من المطلوبين ، ولم يأت عثمان بيك الأشقر ، وأيوب بيك الصغير » .

فاتفق الرأي على إعادة الجواب . فكتبوا جوابات أخرى وأرسلوها صحة سلحدار حسن باشا .

وفي هذا الشهر أخذت القرصان ثلاثة غلايين ، وفيها أناس من أتباع الدولة وأعيانها .

وفيه : وصل الخبر بوقوع حريق عظيم ببندر جدة ، وتوفى أحمد باشا واليها .

وفيه : عبي على بيك الدفتردار كساوى للأمراء ، فأرسل الى اسماعيل بيك وحسن بيك الجداوى ورضوان بيك ، وباقي الصناجق والأمراء ، حتى

لحريمهم وأتباعهم . وأرسل أيضا لطائفة الفقهاء وفيه : فتح السفر من جهة الموسقو ، وتقلد باكير قبطان باشا قائمقام عن حسن باشا .

وفي منتصفه : وقعت حادثة بشعر بولاق بين طائفة القليوبجية والفلاحين باعة البطيخ .. وذلك ان شخصا قليونجيا ساوم على بطيخة ، وأعطاه دون ثمنها ، فامتنع وتشاجر معه ، فوكزه المسكرى بسكين ، فزق الفلاح على شيعته ، وزق الآخر على رفقائه .. فاجتمع الفريقان ، ووقع بينهم مقتلة كبيرة ، قتل فيها من الفلاحين نحو ثلاثين انسانا ، ومن القليوبجية نحو أربعة .

الأحد ٢٢ منه (٨ يولية ١٧٨٧ م) :

قررت تفريدة على بلاد الأرياف ، أعلى وأوسط وأدنى : الأعلى خمسة وعشرون ألف نصف فضة ، والأوسط سبعة عشر ألفا ، والأدنى تسعة آلاف . وذلك خلاف ما يتبعها من الكلف ، وحق الطرق .

وفيه : رفعوا خفارة البحرين عن ابن حبيب ، وكذلك الموارد ، والتزم بها رضوان بيك ، على خمسين كيسا يقوم بها في كل سنة لطرف الميرى . وسبب ذلك منافسة وقعت بينه وبين ابن حبيب ، فانه لما تولى المنوفية ومر على دجوة ، أرسل له ابن حبيب مقدمة فاستقبلها . ثم أرسل اليه بعد ارتحاله من الناحية يطلب منه جمالا ، وأشياء ، فامتنع ابن حبيب ، فأرسل يطلبه ليقابله ، فلم يذهب اليه واعتذر . ولما رجع نزل اليه ابنه على بالضيافة ، فعاتبه على امتناع أبيه من مقابلته ، وأضر له في نفسه ، وتكلم معه حسن باشا في رفع ذلك عنهم والتزم بالقدر المذكور — وطريقة العثمانية الميل الى الدنيا بأى وجه كان ! — فأخرج فرمانا بذلك .

سؤال

٢ منه (١٨ يولية ١٧٨٧ م) :

برزت الأمراء الميعون لجمع الفردة وهم : سليم بيك الاسماعيلى للفرية ، وشاهين بيك الحسينى لاقليم المنصورة ، وعلى بيك الحسينى لاقليم المنوفية ، ومحمد بيك كشكش للشرقية ، وعثمان بيك الحسينى للبحيرة ، وعثمان كاشف الاسماعيلى للفيوم ، ويوسف كاشف الاسماعيلى للبهنسا ، وأحمد كاشف للجيزة .

٨ منه (٢٤ يولية ١٧٨٧ م) :

حضر سلحدار الباشا ، ومليمان كاشف قنبور ، المسافران بالجوابات الى الأمراء القبلين . وذلك أنهم أرسلوا بطلب بلاد أخرى زيادة على ماعينوا لهم وقالوا : « ان هذه البلاد لا تكفنا » .

فأمر لهم حسن باشا بخسة بلاد أخرى ، فقال اسماعيل بيك : « اطلبوا منهم حلوانها » .

فقال اسماعيل كاشف قنبور : « اجعلوا ما أخذ من بيوتهم في نظير الحلوان » . فقال : « كذلك » .

١٠ منه (٢٦ يولية ١٧٨٧ م) :

حضر قاصد من الحجاز بمراسلة من الشريف سرور ، يخبر فيها بعضيان عرب حرب وغيرهم ، وعودهم على الطريق ، ومنعهم السبل ، ويحتاج أن أمير الحج يكوّن في قوة واستعداد ، وأن الحرب قائمة بينهم وبين الشريف ، وخرج اليهم في نحو خمسة عشر ألفا .

منتصفه (٢١ يولية ١٧٨٧ م) :

كمل عمارة التكية المجاورة لقصر العيني المعروفة بتلية البكتاشية ، وكانت موفوفة على

طائفة من الأعجاس المعروفين بالبكتاشية ، وكانت قد تلاشى أمرها وآلت الى الخراب ، وصارت في غاية من القذارة ومات شيخها وتنازع مشيختها رجل أصله من سراجين مراد بيك ، وغلام يدعى أنه من ذرية مشايخها المقبورين ، فغلب على الغلام ذلك الرجل لاتسابه الى الأمراء ، وسافر الى اسكندرية فصادف محيى حسن باشا ، واجتمع به ، وهو بهيئة الدراويش — وهم يملون لذلك النوع — وصار من أخصائه لكونه من أصل عقيدته ، وحضر صحبته الى مصر ، وصار له ذكر وشهرة ، ويقال له الدراويش صالح . فشرع في تعبير التكية المذكورة من رشوات مناصب المكوس التى توسط لأربابها مع حسن باشا . فعمرها وبني أسوارها وأسوار الغبطان الموقوفة عليها ، المحيطة بها ، وأنشأ بها صهربا في فسحة القبة ، ورتب لها تراتيب ومطبخا ، وأنشأ خارجها مصلى باسم حسن باشا .

فلما تم ذلك عمل ولبة ، ودعا جميع الأمراء ، فحصل عندهم وسوسة واعتذروا وركبوا بعد العصر بجميع ممالكهم وأتباعهم وهم بالأسلحة متحذرين ، فمد لهم سباطا وجلسوا عليه ، وأوهموا الأكل لظنهم الضعام مسموما ، وقاموا وتفرقوا في خارج القصر والمراكب ، وعمل شنك وحرقة نفوط وبارود ، ثم ركبوا في حصة من الليل وذهبوا الى بيوتهم .

١٩ منه (٤ اغسطس ١٧٨٧ م) :

وصل باشة جده الى بولاق ، وركب حسن باشا والأمراء ، وذهبوا للسلام عليه .

وفه حضرت بشارة من شريف مكة بنصرته على العرب ، وهزيمتهم ، وأنه قتل منهم نحو الثلاثة آلاف ، فاطمأن الناس .

وفيه : مرضى عابدى باشا .

٢٤ منه (٩ اغسطس ١٧٨٧ م) :

خرج المحمل وأمير الحج غيطاس بك ، في موكب محقق ، بدون النكجارية والعزب ، مثل العام الماضي . فخرجوا الى الحصوة ، وأقاموا هناك ، ولم يذهبوا الى البركة .

الثلاثاء غايته (١٤ اغسطس ١٧٨٧ م) :

ارتحل الحجاج من الحصوة الى البركة بعد العصر ، وارتحلوا في ضحوة يوم الأربعاء غرة شهر ذى القعدة .

ذوالقعدة

الجمعة ٣ منه (١٧ اغسطس ١٧٨٧ م) : الموافق ١٢ مسرى القبطى :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، ونودى بذلك ، وعمل الشنك ، وركب حسن باشا فى صبحها ، وكسروا السد بحضرته . وجرى الماء فى الخليج ، ولم يحضر عابدى باشا لمرضه .

الاثنين ٦ منه (٢٠ اغسطس ١٧٨٧ م) :

نودى على الممالك ألا يخرجوا من بيوت أسيادهم ، ولا يركبوا على انفرادهم ويمشوا فى المدينة .

وكان من السنن السابقة فى آداب الممالك ألا يركبوا من بيوت أسيادهم منفردين أبدا ، فترك ذلك فى جملة المتروكات ، وتزوج الممالك ، وصار لهم بيوت وخدم ، ويركبون ويفدون ويروحون ، ويشربون الدخان وهم راكبون فى الشارع الأعظم ، وفى أيديهم شبكات الدخان من غير انكار ، وهم فى الرق ، ولا يخطرون ببالهم خروجهم عن الأدب لعدم انكار أسيادهم ، وترخيصهم لهم فى الأمور . فإذا مات بعض الأعيان ، يادر أحد الممالك الى

سيده الأمير صاحب الشوكة وقبل يده ، وطلب منه أن ينعم عليه بزوجة الميت ، فيجيبه الى ذلك ، فيركب فى الوقت والساعة ويذهب الى بيت المتوفى — ولو قبل خروج جنازته — وينزل فى البيت ويجلس فيه ، ويتصرف فى تعلقاته ، ويحوزه ويملكه بما فيه ، ويقوم بمجلس الرجال ينتظر انقضاء العدة ، ويأمر وينهى ، ويطلب الغذاء والعشاء والقطور ، والقهوة والشربات من الحریم ، ويتصرف تصرف الملاك . وربما وافق ذلك غرض المرأة . فإذا رآته شابا مليحا قويا ، وكان زوجها المقبور بخلاف ذلك ، أظهرت له المخبات والمدخرات ، فيصبح أميرا من غير تأمر ، وتتعدد عنده الخيول والخدام ، والفراشون والأصحاب ، ويركب ويذهب ويجىء الى بيت سيده ، وفى حاجاته وغير ذلك .

فجرى يوما بمجلس حسن باشا ذكر ركوب الممالك على انفرادهم فى الأسواق ، بحضرة بعض الاختيارية ، فقالوا : « انه قلة أدب ، وخلاف العادة القديمة التى رأيناها وترينا عليها » . فقال الباشا : « اكتبوا فرمانا بمنع ذلك » . ففعلوا ذلك ، ونادوا به ... من قبيل الشغل الفارغ !

٧ منه (٢١ اغسطس ١٧٨٧ م) :

نقل عابدى باشا فى المرض وأشيع موته .

١١ منه (٢٥ اغسطس ١٧٨٧ م) :

حضر حسين بك المعروف بشفت ، من قبلى فى جملة الرهائن ، وقابل الباشا ، وأقام ببصر .

منتصفه (٢٩ اغسطس ١٧٨٧ م) :

عوفى عابدى باشا من مرضه ، وشرعوا فى طلب المال الشتوى ، فضج الملتزمون ، وتكلم الوجاقلية فى الديوان وقالوا :

« من أين لنا ما نسقته ، وما صدقنا بخلاص

ذوا الحجة

الجمعة مستهله (١٤ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

فيه : حضر الأغا وعلى يده مقرر لعابدى باشا على السنة الجديدة

وفيه أيضا : قوى عزم حسن باشا على السفر الى بلاد الروم ، وأعطى لاسماعيل بيك جملة مدافع وقناير وآلات حرب ، وصنع له قليونا صغيرا ، وقرر ألفا وخمسمائة عسكرى يقيمون بمصر

الخميس ١٤ منه (٢٧ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

عمل حسن باشا دبوانا بالقصر ، وحضر عنده عابدى باشا والمشايخ ، وسائر الأمراء ، بسبب قراءة مراسيم حضرت من الدولة فقرأوا منها ثلاثة وفيها طلب حسن باشا الى الديار الرومية ، بسبب حركة السفر الى الجياد ، وأن المسقو زحفوا على البلاد ، واستولوا على مابقى من بلاد القرم وغيرها . والثانى فيه ذكر العفو عن ابراهيم بيك ، ومراد بيك من القتل ، وأن يقيم ابراهيم بيك بقنا ومراد بيك باسنا ، ولا اذن لهم فى دخول مصر جملة كافية . وفيه : نودى على صرف الريال الفرائسة بمائة نصف فضة ، وكان وصل الى مائة وعشرة . فتضرر الناس من ذلك .

الجمعة ٢٢ منه (٥ اكتوبر ١٧٨٧ م) :

ركب الأمراء بأسرهم لوداع حسن باشا ، وكان فى عزمه النزول فى المراكب بعد صلاة الجمعة . فلما تكاملوا عنده ، قبض على الرهائن وهم : عثمان بيك المرادى المسروف بالطنبرجى ، ومصين بيك شفت ، وعبد الرحمن بيك الابراهيمى . ثم أمر بالقبض على حسن كتحدا الجرياد ، وسليمان كاشف قنبر ، فهرب حسن كتحدا وفاق جواده ، فتبعه جماعة من المسكر . فلم يزل رامحا ، وهم

المظالم ، والصيفى ، والفردة ؟ ولم يبق عندنا ، ولا عند الفلاحين شيء ، أعطونا الجامكية ، ثم ندفعها لكم فى المال الشتوى . فانهط الرأى على كتابة رجع الجامكية ، وفرح الناس بذلك . ثم تبين أن لا أحد يأخذ رجعة الا بقدر ما عليه من الميرى ، وأن زاد له شيء يبقى له وديعة بالدفتى ، وأن لم يكن له جامكية يدفع ما عليه نقدا . فصار بعض الملتزمين يأتى بأسماء برائسة ، وينسبها لنفسه ، لأجل غلاق المطلوب منه ، فانفضح ذلك أيضا بالنسبة له ، ومراجعة الدفتى . ثم منموا كتابة الرجوع ، وصار الأفسندية يتكشفون على الدفاتر ويسلون ويسددون بأنفسهم : فمن زاد له شيء تبقى بالدفتى ، ومن زاد عليه شيء طلب منه .

٢٠ منه (٣ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

ذهب الأمراء الى حسن باشا وهم : اسماعيل بيك ، وحسن بيك ، وعلى بيك ، وباقى الأمراء . فتكلم معهم بسبب الأموال التى جعلها عليهم ، والميرى المطلوب منهم ، ومن أتباعهم ، وقال لهم : « أنا مسافر بعد الأضحى ، ولا بد من تشميل المطلوبات » . فاعتذروا وطلبوا المهلة ، فشنع عليهم ووبخهم بالكلام التركى ، ومن جملة ما قال لهم :

« أقم وجوهكم مثل الخيط ا » وأمال ذلك . فخرجوا من عنده وهم فى غاية من القهر ، وكان ذلك باغراء اسماعيل بيك . ولما ذهب اسماعيل بيك الى بيته ، طلب أمراءه ، وشنع عليهم ، كما شنع عليه الباشا . وحلف أن كل من تبقى عليه شيء — ولو ألف درهم — ملعه للباشا يقطع رأسه .

الخميس لحايته (١٢ سبتمبر ١٧٨٧ م) :

طلعوا عند عابدى باشا ، فطالبهم بالميرى أيضا ، وشنع عليهم — وخصوصا قاسم بيك أبو سيف — وحلف أنه يجبسهم حتى يدفعوا ما عليهم ،

ومات في هذه السنة الامام العلامة ، واللودعي
الفهامة ، لسان المتكلمين ، وأستاذ المحققين ،
الفقيه النبيه ، المستحضر الأصولي ، المنطقي
الفرضي الحسوب ، الشيخ عبد الباسط السنديولي
الشافعي .

تفقه على أشياخ العصر المتقدمين ، وأجازه
أكابر المحدثين . ولازم الشيخ محمد الدفري ، وبه
تخرج في الفقه وغيره ، وأنجب ودرس ، وأفاد
وأقنى في حياة شيوخه .

وكان حسن اللقاء ، جيد الحافظة ، يملئ
دروسه عن ظهر قلبه وحافظته ، عجيب الاستحضار
للفروع الفقهية والعقلية والنقلية .

وما شاهدته من استحضاره أنه وردت فتوى
في مسألة مشكلة في الماسخة ، فتصدى لتحريرها
وقسمتها جماعة من الأفاضل — ومنهم الشيخ
محمد الشافعي الجناحي ... وناهيك به في هذا
الفن ! — وتعبوا فيها يوما وليلة حتى حرروها
على الوجه المرضي ، ثم قالوا : « دعنا نكتبها في
سؤال على يباض ونرسلها للتصديق للافتاء ،
وننظر ماذا يقولون في الجواب ... ولو بالمهلة » .

ففعلوا ذلك وأرسلوها للشيخ المترحم مع بعض
الناس وهو لا يعلم بشيء مما عانوه . فغاب الرسول
مدة لطيفة وحضر بالجواب على الوجه الذي تعب
فيه الجماعة يوما وليلة ... فقضوا عجا من جودة
استحضاره ، وحدة ذهنه ، وقوة فهمه ...

الا أنه كان قليل الورع عن بعض سفاسف
الأموار !

اتفق أنه تنازع مع عجوز في فدان ونصف طين
مدة سنين ، وأهين بسببها مرارا في أيام مشيخة
الشيخ عبد الله الشبراوي والهيخ الحفني .

ورأته مرة يتداعى معها عند شيخنا الشيخ
أحمد العروسي ، فناهه الشيخ العروسي عنها ،
ولامه فلم يته ، فاحتد الشيخ وقال : « والله لو

خلفه ، حتى دخل بيت حسن بيك الجداوي ، ودخل
الى باب الحرم . وكان حسن بيك بالقصر ، فرجع
العسكر ، وأخبروا الباشا بحضرة اسماعيل بيك .
فطلب حسن بيك وسأله اسماعيل بيك فقال :

« ان كان في بيتي خذوه » . فأرسلوا
وأحضروه ، ووضعوه صحبة المقيدين .

وقد عزلوا عثمان أغا مستحفظان ، وقتلوا محمد
كاشف — المعروف بالمتيم ، كتبتا اسماء بيك ...
أغات مستحفظان .. عوضه !

السبت ٢٣ منه (٦ أكتوبر ١٢٩٢ هـ) .

سافر حسن باشا من مصر وأخذ معه الرهائن ،
وسافر صحبته ابراهيم بيك قشقة ليشيعة الى
رشييد ، وزار في طريقه سيدي أحمد البدوي
بطندتا . ولم يحصل من مجيئه الى مصر ، وذهابه
منها الا الضرر . ولم يطل بدعة ، ولم يرفع مظلمة ،
بل تقصرت به المظالم ، والحوادث . فانهم كانوا
يفعلونها قبل ذلك مثل السرقة ، ويخافون من
انشاعتها ، وبلوغ خبرها الى الدولة ، فينكرون
عليهم ذلك ...

وخابت فيه الآمال والظنون . وهلك بقدمه
البهائم التي عليها مدار نظام العالم ، وزاد في
المظالم « التحرير » . لأنه كان عندما قدم أبطل رفع
المظالم ، ثم أعاده بإشارة اسماعيل بيك ، وسماه
التحرير ، فجعله مظلمة زائدة ، وبقي قال رفع
المظالم والتحرير . فصار يقبض من البلاد خلاف
أموال الخراج عدة أقلام منها المضاف ، والبراني ،
وعوائد الكشوفية ، والفرد المتعددة ، ورفع المظالم
والتحرير ، ومال الجهات ، وغير ذلك ...

ولومات حسن باشا بالاسكندرية أو رشيد
لهلك عليه الاقليم أسفا ! وبنوا على قبره مزارا وقبة
وضريحا بقصد الزيارة ! !

بياعين القطن والبطانة والقماش والمنجدين ، واليهود وغير ذلك . فانزعج الناس ، وأغلقوا وكأل البن والغورية ودكاكين الميدان .

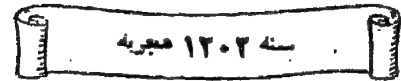
السبت ١٥ منه (٢٧ أكتوبر ١٧٨٧ م) :

اجتمع جملة من الطوائف المذكورة ، وحضروا الى الجامع الأزهر ، وضجوا واستغاثوا من هذا النازل . وحضر الشيخ الغروسي ، فقاموا في وجهه وأرادوا قفل أبواب الجامع ، فمنعهم من ذلك ، فصاحوا عليه وسبوه ، وسحبوه بينهم الى جهة رواق الشوام فمنع عنه المجاورون ، وأدخلوه الى الرواق ، ودافعوا عنه الناس ، وقللوا عليه باب الرواق ، وصحبته طائفة من المتعممين ، وكتبوا عرضا الى اسماعيل بيك بسبب ذلك ، وأرسلوه صحبة الشيخ سليمان الفيومي ، وانتظروه حتى رجع اليهم ومعه تذكرة من اسماعيل بيك مضمونها الأمان والنفو عن الطوائف المذكورة . وفيها أن هذا المطلوب انما هو على سبيل القرض والسلفة من القادر على ذاك فلما قرئت عليهم التذكرة ، قالوا . « هذه مخادعة . وعند ما ينقض الجمع ، وتفتح الدكاكين ، بأخذونا واحدا بعد واحد » . ثم قام الشيخ وركب ، وحمله الجهم الفقير ، والغوغاء ، وبعض المجاورين .. يدفع الناس عنه بالعصى ، والعامية يصيحون عليه ، ويسمعونه الكلام غير اللائق ، الى أن وصل الى باب زويلة ، فنزل بجامع المؤبد ، وأرسل الى اسماعيل بيك يحضره بهذا الحال .

فحقن اسماعيل بيك ، وظن أنها مفتعلة من الشيخ ، وأنه هو الذي أغرام على هذه الأفعال فأجابته الرسل ، وحلفوا له ببراءته من ذلك ، وليس قصده الا الخلاص منهم . فقال : « أنا أرسلت اليهم بالأمان ، ودعوهم ينفضوا . وما أحد يطالبهم بشيء » .

كان هذا الفدان ونصف لى في الجنة ، ونازعنى هذه العجوز عليه ... لتركته لها ! » .

ولم يزل ينازعها وتنازعه الى أن مات ! وغير ذلك أمور يستحى من ذكرها في حق مثله ... وبذلك قلت وجهته بين نظرائه .. توفي في أول جمادى الآخرة من السنة ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بتربة المجاورين . رحمه الله ، وغفر لنا وله



المحترم

السبت مستهله (١٣ أكتوبر ١٧٨٧ م) :

عزل المحتسب ، وتولى آخر يسمى يوسف أغا الخريتاي . وتولى عثمان بيك طبل الاسماعيلى على درججا .

وفيه : انفرد اسماعيل بيك الكبير في أمارة مصر ، وصار يده العقد والحل والایرام والنقض ، واستوزر محمد أغا البارودى وجعله كتخداه . واستمر اسماعيل كتخدا حسن باشا بمصر ، لقبض بواقى المطلوبات ، وسكن بيت حسن كتخدا الجربان بباب اللوق .

وفيه : قبض اسماعيل بيك على الحاج سليمان ابن ماسى ، وحبس به بيت محمد أغا البارودى ، وصادره في خمسين كيسا .

في ٥ منه (١٧ أكتوبر ١٧٨٧ م) :

طلب اسماعيل بيك دراهم قرضة مبلغا كبيرا ، فوزعوا منها جانبا على تجار البن والبهار ، وجانبا على الذين يقرضون البن بالمراوحة للمضطرين ، وجانبا على نصارى القبط ، وعلى الأروام والشوام ، وعلى طوائف المفساربة بطولون والغورية ، وعلى المتسبيين في الغلال بالسواحل والرقع ، وكذلك

فانتفضوا وتفرقوا .

ومضى على ذلك يومان .. فأرسلوا الى أهل الصاغة ، والجواهرجية ، والنحاسين ، وطالبوهم بالقرر والموزع عليهم ، فلم يجدوا بدا من الدفع . ثم طالبوا وكالة الجلابة .. وتطرق الحال الى باقى الناس ، حتى يباعين الفسيخ . ومجموع ذلك نحو اثنتين وسبعين حرفة .

وفيه : حضر على كاشف من جهة قبلى ، وقد كان سافر بعد سفر حسن باشا برسالة الى الأمراء القبالي ، وأخبر أنهم مستقرون فى أماكنهم ، ولم يتحركوا .

٢٦ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

سافر أمير الأزم بالملاقة الى الحج ، وكان من عادته السفر فى أول الشهر . ولم يحضر فى هذه السنة نجاب الجبل ، وأخذوا من بلاد أمير الحج بلدين ، وأخذوا أيضا بيته الذى كان سكن به . فلما استقر بحيى بيك بمصر أخذه وسكنه لكونه زوج بنت صالح بيك ، وهو بيت أبيها ، وهو أحق به .

مصر

الاثنين اوله (١٢ نوفمبر ١٧٨٧) :

فيه : كملت القيسارية التى عمرها اسماعيل بيك بجانب السبيل الذى بسويقة لاجين ، فأنشأ بها احدى وعشرين حانوتا وقهوة ، وجعلها مربعة الأركان — وهذا السبيل من انشاء سيده ابراهيم كتحدا — ولما أتمها نقل اليها سوق درب الجماميز بعد العصر ، وانتقل اليه الدلالون والناس والقماشون فى عصرية يوم الثلاثاء ثانية . وبطل سوق درب الجماميز من ذلك اليوم .

وليس لاسماعيل بيك من المحاسن الا نقل هذا السوق من تلك الجهة ووضعه فى هذه الجهة ، كما لا يخفى .

الثلاثاء ٢ منه (١٣ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

اشتد العسف فى الرعية بسبب طلب السلفة ، وتعدى الحال الى يباعين المخلل والصوفان ، وتضرر الفقراء من ذلك .

الأحد ٧ منه (١٨ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

سافر محمد باشا والى جدة الى السويس .

السبت ١٣ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

طلع اسماعيل بيك والأمراء الى الديوان بالقلعة ، وأخرج قوائم مزاد البلاد التى تأخر على ملتزميها الميرى ، فتصدر لشرائها كتخداه محمد أغا البارودى ، فاشتري نحو سبعين بلدا . وفى الحقيقة هى راجعة الى مخدومه ، يفرقها على من يشاء من أغراضه .. فشرع أولا فى طلب الشتوى ، وزاد على من أخذ البلاد سنة ونصفا . ثم ادعى ان حسن باشا أخذ سنة من الحلوان ، ودخلت فى حسابه ، وطلب سنة ونصفا أخرى ، وطلب المال الصينى أيضا . فعجز الملتزمون ، ففعل هذه الفعلة ، وأخرج قوائم مزادهم الى الديوان ، واستخلصها من ملتزميها .

وفى تلك الليلة حضرت جماعة من ثشاف النواحي القبلية ، وأخبروا أن الأمراء القبالي حضروا الى أسيوط ، وأوائهم تعدى منفلوط . فهرب من كان هناك من الكشف وغيرهم ، وحضروا الى مصر . فلما تحققت هذه الأخبار ، طلع فى صباحها اسماعيل بيك الى الديوان ، واجتمع الأمراء والوجاقلية والمشايخ . فتكلم اسماعيل بيك وقال :

« يا أسيادنا يا مشايخ ، يا أمراء ، ويا وجاقلية ، ان الجماعة القبليين نقضوا عهد السلطان ، وانتقلوا من أماكنهم ، وزحفوا على البلاد ، فهمل الواجب قتالهم ودفعتهم ؟ »

قالوا : « نعم » .

فقال :

« ان المخالفين اذا تقفوا عهد السلطان ، ولزم

الحال الى قتالهم ، يصرف على المقاتلين من العسكر من خزنة السلطان ، وليس هنا خزينة ، فكل منكم يقتل عن نفسه .

فأجابه اسماعيل أفندى الخلوتى وقال :
« ونحن أى شىء تبغى عندنا ، حتى نصرفه ، وقد صرنا كلنا شحاتين لا فملك شيئا » .
فقال له الباشا :

« هذا الكلام لابناسب ، ولا ينبغي أنك تكسر قلوب العسكر بمثل هذا الكلام ، والأولى أن تقول لهم : أنا وأنتم شىء واحد ، ان جعت جوعوا معى ، وان شبعتم اشبعوا معى » .

ثم انبط الراى بينهم على أن يكتبوا عرضا للدولة ، والاخبار عن تقضيمهم ، وعرضا لهم بالتحذير . وقال الباشا :

« لرسل نعلم الدولة ، وننظر ما يكون الجواب . فان زحفوا قبل مجىء الجواب ، خرجنا اليهم وقتلناهم » .

ثم كتبوا فرمانات لجميع الغز والأجناد الغائبين بالأرباب بالحضور ، وبكى اسماعيل بيك بالجلوس ، ونهذه فى بكائه فقال له الاختيارية :

« لا تبك نايبك ا » ثم كتبوا مكاتبة من الباشا ، ومن الوجاقلية والمشايخ ، وأرسلوها صحة واحد من طرف الباشا ، وسراج من طرف اسماعيل بيك ، وأرسلوا الى محمد باشا المسافر الى جدة بالرجوع من السويس الى مصر بأمر من الدولة .

الأحد ١٤ منه (٢٥ نوفمبر ١٧٨٧ م) :
حضر جاويش الحاج من العقبة .

الأربعاء ١٧ منه (٢٨ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

نهبوا على ممالك الأمراء القبليين ، وكشافهم الكائنين بمصر ، بالاجتماع والحضور . فأرسل كل من كان مستخدما عنده جماعة من الأمراء والصناجق وغيرهم ، فجمعهم فى مكان فى بيته . ومن كان غائبا

فى حاجة ، أرسلوا اليه وأحضروه . فلما تكاملوا أخذوا خيولهم وأسلحتهم ، وأبقوهم فى الترسيم . وأما على بيك الدفتردار ، فانه لم يسلم فيمن عنده ، وكان متقطعا فى الحريم لصداق برأسه ووجع فى عينيه من مدة شهرين .

الجمعة ١٩ منه (٣٠ نوفمبر ١٧٨٧ م) :

كان نزول الحجاج ودخولهم الى مصر ، وكانوا أغلقوا أبواب مصر ، وأجلسوا عليها حرسية ، فلم يدخل الحجاج الا من باب النصر فقط ... فتضرر الناس من الازدحام فى ذلك الباب .

وارتاح الحجاج فى هذا العام ، ولم يحصل لهم تعب ، وزاروا المدينة الشريفة :

وفيه : نزل الأغا ، وصحبته كتحدا الباشا ، وأمامهما المزاودة على كل من كان مختفيا من أتباع الأمراء القبليين ومماليكهم .. بالظهور ، ويطلعوا يقابلوا الباشا . وكل من ظهر عنده أحد بعد ثلاثة أيام ، فانه يستأهل الذى يجرى عليه .

وفيه : قيسوا على جماعة من الممالك والأجناد — وهم الذين كانوا فى الترسيم — وأنزلوهم فى مراكب ، وأرسلوهم الى ثغر اسكندرية ، وحبسوهم بالبرج ، ومنهم جماعة بأبى قير .

وكان على بيك توقف فى تسليم المتسبين اليه ، فلم يزل به اسماعيل بيك حتى سلم فيهم .

السبت ٢٠ منه (اول ديسمبر ١٧٨٧ م) :

دخل أمير الحج غيطاس بيك ، وصحبته المحمل .

وفيه : قال اسماعيل بيك للمشايخ :

« اكتبوا للدولة يرسلوا لنا عساكر » .

فقال الشيخ العروسى :

« لا يحتاج الى ذلك ، فان العساكر الرومية لا تنفع بين العساكر المصرية ، والأولى استجلاب خواطر الجند بالاحسان اليهم ، والذى تعطوه للأغراب أعطوه لأهل بلادكم أولى » .

القبليين ، وهو الذي من طرف الباشا ، وصحبته
آخر من طرف اسماعيل بيك ، وعلى يدهما
جوابان : أحدهما خطاب للباشا ، والثاني خطاب
للمشايع .

واجتمعوا صباح ذلك انبوم بالديوان ، وقرأوا
الجوابات . وملخصها : أنكم نسبتمونا لنقض العهود .
والحال أن النقض حصل منكم بشيئين اخواتنا
الرهائن ، وذهابهم مع قبطان باشا الى الروم .
وما فعلتم في بيوتنا وحريتنا . ولا حصل ذلك ،
احتد البعض منا ، وزحفوا الى بحرى ، فركبنا
خلفهم نردهم ، فلم يمثلوا ، فأعنا معهم ... وكلام
هذا معناه .

فلما قرأوا ذلك بحضرة الجمع ، اقتضى الراى
كتابة مراسلة أخرى من الباشا والمشايع . وفيها
الملاطفة في الخطاب والاعتذار ، وأرسلوها .
وأخذوا في الاهتمام والتشهيل ..

رابع الأول

٢ منه (١٢ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

ركب الأغا ، وشق الأسواق ، وصار يقف على
الوكائل والخانات ، ويفتش على الألفاشات ،
ودخل سوق خان الخليلي ، ونبه على أفرادهم ،
وقال لهم : « في غد أحضر في التبديل . وكل من
وجدته من غير ورقة جسدك ، فعلت به وفعلت ،
وقطعت آذاله أو آتفه » .

وفيه : عزل أحمد أفندي الصفائي الروزنامجي عن
الروزنامه لمرضه ، وتقلد أحمد أفندي — المعروف
بأبي كلبة قلعة الأنبار — روزنامجي ، عوضا عنه .

٦ منه (١٦ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

أرسلوا بجوابات الرسالة الشيخ أحمد بن يونس ،

وفيه : شرع اسماعيل بيك في طلب تفريضة من
البلاد والقرى ، فجعلوا على كل بلد مائة دينار
وعشرة ، خلاف مايتبع ذلك من الكلف وحق الطرق
وغير ذلك ، وعين لقبضها خازن داره وغيره .

وفيه : قبضوا على باقي ممالك الأمراء القبلية
وأجنادهم ، وأنزلوهم المراتب أيضا ، وبعضهم
أنزلوه عريانا ليس عليه سوى القميص والصدري
واللباس ، وطاقيّة أو طربوش معمم عليه بحمرة
أو منديل ، ونحو ذلك .

ولم تزل الحرسجية مقيميين على الأبواب ،
وحصل منهم الضرر للناس والرعية ، والمتسببين
والفلاحين الواردين من القرى بالجبن والسمن
والتبن ، ونحو ذلك . وكل من أراد العبور من باب
منعوه من الدخول حتى يأخذوا منه دراهم ، ولو
كان بنفسه !

الأحد ٢٨ منه (٩ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

نزل الأغا ، وأمامه والي ، وأودة باشة البوابة ،
وأمامهم المناداة على جميع الألفاشات المنتسبين الى
الوجاقات ، بأنهم يأخذون لهم أوراقا من أبوابهم
وكل من وجد ، وليس معه ورقة بعد ثلاثة أيام ،
يحصل له مزيد الضرر . وييسد المنادى فرمان من
الباشا .

وفيه : ركب اسماعيل بيك ونزل الى بولات
ليتفرج على « شركفلك » الذي صنعه وتبشغله . وقد
زاد في صنعه عما فعله حسن باشا ، بأن ركبه على
عجل يجروانه ، وزاد في اتقانه . وسبك جلا كثيرة
للمدافع ... فلما رآه أعجبه ، وشرع أيضا في عمل
شركفلكين اثنين ، وجهر ذخيرة عظيمة من بقسمات
وغنيره .

الاثنين ٢٩ منه (١٠ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

حضر الرسول الذي كان توجه بالرسالة للأمراء

وكتبوا لهم أيضا سمهود وبرديس ، زيادة على ما بأيديهم من البلاد . والحال أن الجميع بأيديهم .
٧ منه (١٧ ديسمبر ١٧٨٧ م) :

حضر عابدى باشا ، واسماعيل بيك ، الى بيت الشيخ البكرى باستدعاء ، بسبب المولد النبوى . فلما استقر بهم الجلوس ، التفت الباشا الى جهة حارة النصرى وسأل عنها ، فقبل له : انها بيوت النصرى . فأمر بهدمها ! والمناداة عليهم من ركوب الحمير ! فسعوا فى المصالحة ، وتمت على خمسة وثلاثين ألف ريال : منها على الشوام سبعة عشر ألفا ، وباقيها على الكتبة !

٢٨ منه (٧ يناير ١٧٨٨ م) :

حضر الشيخ أحمد يونس والذى توجه صحبته من طرف الباشا ، واجتمعوا فى صباحها بالدبوان عند الباشا ، وقرأوا المكاتبات ، مضمونها الجواب السابق ، وعدم الرجوع ، وأنها طالبون أخصامهم ، وأما الباشا والوجاقلية والمشايخ فليس لهم علاقة فى شئ من ذلك ، وليس لهم الا أمراء تخدمهم ، أيا من كان .

ثم ان الشيخ احمد يونس قال للباشا : « يامولانا .. ملخص الكلام أنكم لو أعطيتهم من الاسكندرية الى اسوان ، مايرضيهم الا دخول مصر » .

فقال الباشا : « أنا عندى فتوى من شيخ الاسلام باسلامبول على جواز قتالهم ، وكذلك أريد فتوى من علماء مصر بموجب ذلك ، وأخرج اليهم وأقاتلهم ، وأبذل نفسى ومالى .. » . فوعده بذلك .

٣٠ منه (٩ يناير ١٧٨٨ م) :

حضر الشيخ المرومى الى الجامع الأزهر ، وكتبوا سؤالا مضمونه :

« ما قولكم .. دام فضلكم .. فى جماعة أمراء وكشاف ، تغلبوا على البلاد المصرية ، وحصل منهم الفساد والافساد ، ومنعوا خراج السلطان ، وأكلوا حقوق الفقراء والحرمين ، ومنعوا زيارة النبی عليه الصلوة والسلام ، وقطعوا علوفات الفقراء ، وجاكنى المستحقين والأنبار ، وأرسل لهم السلطان يأمرهم وينهاهم ، فلم يطيعوا ، ولم ينتثلوا . وكرر عليهم أوامره ، فلم ينتهوا ، فعين عليهم عساكره ، وأخرجهم من البلاد . ثم ان نائبه صالحهم ، وفرض لهم أماكن ، وعاهدهم على ألا يتعدوها حقنا للدماء ، وقطعا للنزاع ، وسكونا للفتن . وأخذ منهم رهائن على ذلك ، ورجع لمخدومه . فعند ذلك تحركوا ثانيا ، وزحفوا على البلاد ، وسعوا فى ايقاع الفساد ، وقطعوا الطرق ، ونقضوا المعهود . فهل يجوز لنائب السلطان دفعهم وقتالهم ، بشرط عدم ازالة الضرر بالضرر ... أم كيف الحال .. ؟ » .

وكتبوا بجواز قتالهم ، ودفعهم ، ويجب على كل مسلم المساعدة ، وطلعوا بها الى الباشا .

ربيع الآخر

اوله (١٠ يناير ١٧٨٨ م) :

كتب الباشا فرمانا ، على موجب الفتوى ، ونزل به أغات مستحفظان ، ونادى به جهارا ، وكذلك التنبيه على جميع الوجاقلية باتباع أبوابهم ، وحضور الغائبين منهم ، والاستعداد للخروج .

٢ منه (١٢ يناير ١٧٨٨ م) :

اتفق اسماعيل بيك على الأمراء الصناجق ، وأرسل لهم الترحيلة . فأرسل الى حسين بيك الجداوى ثمانية عشر ألف ريال ، فغضب عليهما وردها ، ووبخ محمد كتخدا البارودى ، وركب مغضبا وخرج الى نواحي العادلية . فركب اليه فى

وتقلدها عثمان أفندي العباسي على رشوة دفعها
وضاع على أحمد أفندي مادفعة من الرشوة
الأربعاء ٢١ منه (٣٠ يناير ١٧٨٨ م) :

حضر امام الباشا وعلى كاشف ، وأخبرا أن
ابراهيم بيك حضر عند مراد بيك بالمنيا ، وأن
جماعة من صناعهم ، وأمرائهم ، وصلوا الى
بنى سويف وبحريها وأنهم قالوا في الجواب :
« اننا تركنا لهم الجهة البحرية ، وأخذنا الجهة
القبليّة فان قاتلونا عليها قاتلناهم ، وان انكفوا
عنا فلسنا واصلين اليهم ، ولا طالبين منهم مصر ،
ونعقد الصلح على ذلك ، فيرسلوا لنا بعض المشايخ
والاختيارية بتوافق معهم على أمر يحسن السكوت
عليه » .

فعملوا دبوانا اجتمع به الجميع ، وتحالفوا
واتفقوا على ارسال جواب صحبة قاصد من طرف
الباشا ، مضمونه :

انهم يرسلون من جهةهم أميرين كبيرين ، فهما
الكفاءة لفصل الخطاب ، ليحصل معهما التوافق ،
ونرسل صحبتهما ما أشاروا به ...

الاثنين ٢٦ منه (٤ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر واحد بشلى وعلى يده مكاتبات من
حسن باشا خطابا الى الباشا واسماعيل بيك وعلى
بيك وحسن بيك ورضوان بيك واسماعيل كتبه
والشيخ البكرى . وأخبر بوصول عسكر أرثود
الى ثغر الاسكندرية ، وعليهم كبير ومعه هدية
الى الأمراء .

الخميس ٢٩ منه (٧ فبراير ١٧٨٨ م) :

طلع الأمراء الى الديوان ، وتكلموا من جهة
النفقة . فقال قاسم بيك : أما أنا فلا يكفيني
خمسون ألف ريال . فقال له اسماعيل بيك :
فعلى هذا أمثالك . ويحتاج حسن بيك ورضوان

صحبها اسماعيل بيك ، وعلى بيك الدفتردار
وصالحه ، وزاداه في الدراهم حتى رضى ، وتكلم
مع اسماعيل بيك في تشديده على الرعية والالضاشات
وقال له :

« لاي شيء تعصب هؤلاء الناس ؟ ان كنت
تريد تخرجهم سحرة ، ومن غير نفقة ، فما أحد
يقاقل سحرة .. وان كنت تعطيم نفقة فالذى تعطيه
لهم ، أعطه للفرسان المقاتلين وأما الوجاقات فليس
عليهم الا درك البلد والقلعة » .

الخميس ٨ منه (١٧ يناير ١٧٨٨ م) :

سافر امام الباشا ، وعلى كاشف — من طرف
اسماعيل بيك — بجوابات للأمراء القبليين ،
حاصلها . اما الرجوع الى أماكنهم على موجب
الاتفاق والصلح ، بشرط أن تدفعوا ميرى البلاد
التي تعدتكم عليها ، والا ... فنحن أيضا ننقض
الصلح بيننا وبينكم .

ثم وصل الخبر بأن ابراهيم بيك ارتحل من
طحطا غرة الشهر (١٠ يناير ١٧٨٨) وحضر الى
المنيا عند قسيمة مراد بيك ، وأن مراد بيك فرق
البلاد من بحرى المنيا على أتباعه وأتباع الأمراء
الذين بصحبته . ثم وقع التراخي في أمر التجريدة ،
وحصل التواني والاهمال والترك ، وخرجت
الخيول الى المراعى .

الجمعة ١٦ منه (٢٥ يناير ١٧٨٨ م) :

نزل عابدى باشا الى بولاق ، وركب اليه
اسماعيل بيك وبقيّة الأمراء ، وأمامه مدافع الزمبلك
على الجمال ، فتفرج على الشر كفلكات ، وسيروا
أمامه الثلاثة غلايين الى مصر القديمة ، وضربوا
مدافعها .. ثم عاد وطلع الى القلعة .

الثلاثاء ٢٠ منه (٢٩ يناير ١٧٨٨ م) :

عزل احمد أفندي أبو كلبه من الروزنامة ،

يك وعلى يك كل واحد مائة ألف ، فلازم أنا
نرسل الى السلطان يرسل لكم خزانته حتى تكفيكم .
فرد عليه على يك وقال : « أنا صرفت على
التجريدة الأولى ، وشملت أربع باشوات والأمراء
والأخناد ، وأنت من جملتهم ، وما صادرت أحدا
في نصف فضة » .

فاغتاز اسماعيل بيك وقال : « اعمل كبير البلد ،
وافعل مثل ما فعلت ، وأنا أعطيك المال الذي تحت
يدى .. الذي جمعته من الناس . خذنه واصرفه
بمعرفتك » .

وفام من المجلس منتورا ، فرد الباشا واختلى
به وبعلى بيك وحسن بيك ورضوان بيك ساعة
زمانية ، وتشاوروا مع بعضهم ، ثم قاموا ونزلوا .

جمادى الأولى

مستهل (٨ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر ططرى وبيده مرسومات ، فاجتمعوا
بالديوان وفرأوها : أحدها يطلب مشاق ويدك
والثاني بسبب الجماعة القبلية ان كانوا مقيمين
بالأماكن التي عينها لهم حسن باشا فلا تعرضوا
لهم ، وان كانوا زحفوا وتعدوا وقضوا ، فاخرجوا
اليهم ، وقتلوههم ، وان احتجتم عساكر أرسلنا
لكم . والثالث مقرر لعابدى باشا على السنة
الجديدة . والرابع بالوصية على الفقراء وغلال
الحرمين والأنبار والجامكية ... وأمثال ذلك من
الكلام الفارغ ...

وفيه ورد الخبر بموت محمد باشا يكن المنفصل
عن ولاية مصر .

٣ منه (١٠ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر المرسل من الجهة القبلية — وصحته
صالح أغا الوالى — بجوابات حاصلها أنهم يطلبون
من طحطا الى قبلى ، ويطلبون حريمهم ، وأن يردوا

لهم ما أخذوه من بلادهم . وكذلك يطلبون اتباعهم
ومماليكهم الذين أرسلوهم الى الاسكندرية .
فان أجيبوا الى ذلك لا ينعبدوا بعدها على شيء
أصلا .

فلما قرئت المكاتبه بحضرة الجمع فى الديوان ،
قال اسماعيل بيك للباشا : لا يمكن ذلك ، ولا
يتصور أبدا والا افعلوا ما بدا لكم ، ولا علاقة لى ،
ولا أكتب فرمانا . فابى أخاف على نفسه ان زدتهم
على ما أعطاهم حسن باشا . ولا بد من دفعهم
الميرى .

ثم كتبوا لهم جوابا وسافر به صالح أغا المذكور
وأخر من طرف اسماعيل بيك .

٨ منه (١٥ فبراير ١٧٨٨ م) :

وقع بين أهل بولاق وبين العسكر معركة ،
بسبب افسادهم وتعذيبهم ، وفسنهم مع النساء ،
وأذية السوق وأصحاب الحوانيت ، وخطفهم الأشياء
بدون ثمن ، فاجتمع جمع من أهل بولاق ، وخرجوا
الى خارج البلدة يريدون الذهاب الى الباشا ،
يشكون ما نزل بهم من البلاء . فلما علم عسكر
القليونجية ذلك ، اجتمعوا بأسلحتهم وحضروا
اليهم ، وقتلوههم ، واهزم القليونجية . فنزل الأغا
وتلافى الأمر ، وأخذ يحاظر العامة ، وسكن الفتنة ،
وحاطب العسكر ووبخهم على أفعالهم فقالوا له :
« وكيلك فلان وفلان ، هما اللذان يسلطاننا
على هذه الأفعال » .

فأحضر أحدهما وقتله وفر الآخر .

١٧ منه (٢٤ فبراير ١٧٨٨ م) :

حضر صالح أغا بجواب ، وأخبر بصلح الأمراء
القبلية . على أن يكون لهم من أسيوط وما فوقها ،
ويقوموا بدفع ميرى البلاد وغلالها ، ولا يتعدوا
بعد ذلك ، وأنهم يطلبون أناسا من كبار الوجاقات
والعلماء ليقع الصلح بأيديهم . فعزل الباشا ديوانا ،

الجمعة ٦ منه (١٤ مارس ١٧٨٨ م) :

سحبوا الشراكفلكات من بولاق ، وذهبوا بها الى الوطاق ، وشرع اسماعيل بيك في عمل متاريس عند طرا والمصرة ، وكذلك في بر الجيزة ، وجمع البنائين والفعلة والرجال ، وأمر بحفر خندق ، وبنى أبراجا من حجر ، وحيطانا لتصف المدافع والمتاريس في البرين .

الاثنين ٩ منه (١٧ مارس ١٧٨٨ م) :

تكامل خروج الأمراء . وفي تلك الليلة هرب بعض الأجناد والكشاف الى قلبي . فأرسل اسماعيل بيك آغات مستحفظان ، فأحاط بدورهم ، وأخرج حريمهم منها ونهبها عن آخرها وأكثره متاع النساء .

الأربعاء ١١ منه (١٩ مارس ١٧٨٨ م) :

نزل الأغا ، ونادى على جميع الافاشات والأقار بالطلوع الى القلعة ، وبأخذ كل شخص ألف فضة .

الخميس ١٢ منه (٢٠ مارس ١٧٨٨ م) :

حضر الشيخ محمد الأمير ومن بصحبته ، وأخبروا أنهم تركوا ابراهيم بيك ومراد بيك في بني سويف ، وأربعة من الأمراء وهم : سليمان بيك الأغا ، وابراهيم بيك الوالي ، وآيوب بيك الصغير ، وعثمان بيك الشرقاوى بزاية المصلوب ، وحاصل جوابهم :

« ان يكن صلحا فليكن كاملا ، وتعد معهم بالبلد عند عيالنا ، وبصير كلنا اخوة ، وتقيم تأرنا في ثأرهم ، ودمنا في دمهم ، وعفا الله عما سلف . فان لم يرضوا بذلك ، فليستعدوا للقاء ... وهذا آخر الجواب والسلام » . وأرسلوا جوابات بمعنى ذلك الى المشايخ ، وعلى أنهم يسعون في الصلح ، أو يخرجوا لهم على الخيل كما هي عادة المصريين في الحروب .

وأحضر الأمراء والمشايخ واففقوا على ارسال الشيخ محمد الأمير واسماعيل أفندي الخلوتى وآخرين ، وسافروا يوم الأربعاء ١٩ منه (٢٦ فبراير ١٧٨٨ م)

٢٥ منه (٣ مارس ١٧٨٨ م) :

هبث رياح عاصفة جنوبية حارة واستمرت اثني عشر يوما .

جمادى الاخرة

الأحد مستهله (٩ مارس ١٧٨٨ م) :

ورد الخبر بأن جماعة من الأمراء القبليين حضروا الى بني سويف .

الثلاثاء ٣ منه (١١ مارس ١٧٨٨ م) :

وصل الخبر بأن مراد بيك حضر أيضا الى بني سويف ، في نحو الأربعين ، فشرع المصريون في التشهيل والاهتمام ، وأخرجوا خيامهم ووطاقهم الى ناحية البساتين .

الخميس ٥ منه (١٣ مارس ١٧٨٨ م) :

طلع الأمراء الى الباشا وتكلموا معه ، وأخبروه بما ثبت عندهم من زحف الجماعة الى بحرى ، وطلبوه للنزول صحبتهم ، فقال لهم :

« حتى ترجع الرسل بالجواب ، أو نرسل لهم جوابا آخر وننظر جوابهم » . فامتلوا الى رأيه . فكتب مكتوبا مضمونه : انكم طلبتم الصلح مرارا وأجبناكم بما طلبتم ، أعطيناكم ما سألتكم ، ثم بلغنا أنكم زحفتكم ورجعتم الى بني سويف ، فما عرفنا أى شىء هذا الحال ... والقصد أنكم تعرفونا عن قصدكم ، وكيفية حضوركم ، وان كنتم تقضتم الصلح والا لا ... فترجعوا الى ما حددناه لكم ، وما وقع عليه الاتفاق .

وأرسله صحة مرسل من طرفه .

الأحد ١٥ منه (٢٣ مارس ١٧٨٨ م) :

حضر شخصان من الططر ، ودخلا من باب النصر ، وأظهرا أنهما وصلا من الدمار الرومية على طريق الشام وعلى يديهما مرسومات أحصلها الاخبار بحضور عساكر برية وعليهم بائشا كبير وذلك أيضا لا أصل له .

ونودي في ذلك اليوم بالحروج الى المتاريس ، وكل من خرج طلع أولا الى القلعة ويأخذ نفقة من باب مستخفان ، وقدرها خمسة عشر ريالا . فطلع منهم جملة ، وأخذوا نفقاتهم ، وخرجوا الى المتاريس بالجيزة .

الاثنين ١٦ منه (٢٤ مارس ١٧٨٨ م) :

نزل الباشا من القلعة ، وذهب الى قصر الآثار ، ونصب وطاقه هناك ولم يأخذ معه ذخيرة ولا كلارا ، بل تكفل بمصرفه اسماعيل بيك وختم كلاره قبل نزوله .

الأربعاء ٢٥ منه (٢ إبريل ١٧٨٨ م) :

وردت مكاتبات من الديار الحجازية وأخبروا فيها ب وفاة الشريف سرور شريف مكة ، وولاية أخيه الشريف غالب .

الأحد ٢٩ منه (٦ إبريل ١٧٨٨ م) :

مات ابراهيم بيك قشطه صهر اسماعيل بيك ، مطعونا .

وفيه : عزل اسماعيل بيك المعلم يوسف كساب ، الجبركي بديوان بولاق ، ونفاه الى بلاد الفرنج . وقيل انه غرقه ببحر النيل ، وقلد مكانه مخائيل كحيل على عشرين ألف ريال .. دفعها .

رجب

مستهله (٧ إبريل ١٧٨٨ م) :

.. نادى المنادى بالخروج ، وهدد من تغلف ،

وفي هذه الأيام : حصل وقف حال وضيق في المعاش ، وانقطاع للطرق ، وعدم أمن ، ووقوف العربان ، ومنع السبل وتعطيل أساب ، وعسر في الأسفار يرا وبحرا ، فاقضى رأى الشيخ العروسي أنه يجتمع مع المشايخ ، ويركون الى الباشا ويتكلمون معه في شأن هذا الحال .

فاستشعر اسماعيل بيك بذلك ، فدبج أمرا و« صور ا » حضور ططرى من الدولة وعلى يده مرسوم ..

الجمعة ١٣ منه (٢١ مارس ١٧٨٨ م) :

أرسل الباشا في عصر هذا اليوم للمشايخ والوجاقلة ، وجمعهم ، وقرأوا عليهم ذلك الفرمان ومضمونه :

الحث والأمر والتشديد ، على محاربة الأمراء القسالى ، وطردهم وإبعادهم ..

فلما فرغوا من ذلك تكلم الشيخ العروسي وقال : « أخبرونا عن حاصل هذا الكلام ، فانا لا نعرف بالتركي » فأخبروه فقال :

« ومن المانع لكم من الخروج ، وقد ضاق الحال بالناس ، ولا تقدر أحد من الناس أن يصل الى بحر النيل ، وقربة الماء بحسبة عشر نصف فضة ... وحضرة اسماعيل بيك مشغول ببناء جيطان ومتارس ، وهذه ليست طرقة المضربين في الحروب ، بل طريقتهم المصادمة وانفصال الحرب في ساعة ، اما غالب أو مغلوب . وأما هذا الحال ، فانه يستدعى طولا ... وذلك يقتضى الحراب والتعطيل ووقف الحال » .

فقال الباشا :

« أنا ماقلت لكم هذا الكلام أولا . وثانبا هيا شهلوا أحوالكم ، وبهوا على الخروج يوم الاثنين وأنا قبلكم » .

واستمروا مترمين بالبرين ، وبعض الأمراء ناحية طرا ، وبعضهم بمصر القديمة في خلاعاتهم ، وبعضهم بالجيزة كذلك ، الى أن ضاق الحال بالناس ، وتعطلت الأسفار ، واقطع الجالب من قبلى وبحرى .

وأرسل اسماعيل بيك الى عرب البحيرة والهنادى ، فحضرُوا بجمعهم وأخلطهم ، وانتشروا في الجهة الغربية من رشيد الى الجيزة . ينهبون البلاد ، ويأكلون الزروع ، ويضربون المراكب في البحر ، ويقتلون الناس . حتى قتلوا في يوم واحد من بلد النجيلة نيفا وثلاثمائة انسان . وكذلك فعل عرب الشرق والجزيرة بالبر الشرقى ، وكذلك رسلان وباشا النجار بالمنوفية . فتعطل السير برا وبحرا .. ولو بالخفارة . حتى أن الانسان يخاف أن يذهب من المدينة الى بولاق أو خارج باب النصر !

• منه (١١ ابريل ١٧٨٨ م) :

نهب سوق انبابة .

وفيه : قتل حمزة كاشف ، المعروف بالدويدار ، جنّ نصرانيا روميا صائغا .. اتهمه مع حريمه فقبض عليه ، وعذبه أباما ، وقلع عينيه وأسنانه ، وقطع أنفه وشفتيه وأطرافه حتى مات ... بعد أن استأذن فيه حسن بيك الجداوى ..

وعندما قبض عليه أرسل حسن بيك ونهب حانوته من جوهر ومصاغ ومتاع الناس ، وغير ذلك . وطلق الزوجة بعد أن أراد قتلها ، فهربت عند المست نفيسة زوجة مراد بيك .

وفيه : تشاجر شخص من أولاد البلد ، يقال له ابن البسطى ببيع الصينى مع رجل نظرونى ، فشكاه النظرونى الى محمد كاشف - تابع احمد كتبخدا المجنون - فأرسل اليه يطلبه .. فامتنع عليهم ، فأرادوا القبض عليه قهرا ، فغلب عليهم

فلما كان في صباحها اجتمع أهل حارة الشباب بباب الشعرية ، وخرجوا ومعهم ييارق وأعلام ، وخلفهم النساء يتدبن ويصرخن وينعين . وحضروا الى الجامع الأزهر . وبعد حصة طلبوا الى العرضى خارج مصر ، فخرجوا ، فأظهر اسماعيل بيك الغيظ والتأسف ، وأخذ بخاطرهم ، ووعدهم بأخذ الثأر ممن تسبب في قتله ، وأمر باحضار النظرونى ، فتغيب ، فأمر بالتفتيش عليه .

واقض الجمع ، وبردت القضية وراحت على من راح ، والأمر لله وحده !

٦ منه (١٢ ابريل ١٧٨٨ م) :

أخذ اسماعيل بيك فرمانا من الباشا بفردة على البلاد لسليم بيك أمير الحج ، ليستعين بها على الحج ، وقرر على كل بلد مائة ريال وجملا .

٨ منه (١٤ ابريل ١٧٨٨ م) :

اجتمع الأمراء والوجاقية والمشايخ بقصر العينى ، فأظهر لهم اسماعيل بيك فرمان ، وعرفهم احتياج الحال . لذلك . فقام الاختيارية ، وأغلظوا عليه ومانعوا في ذلك .

١٢ منه (١٨ ابريل ١٧٨٨ م - الموافق ١٢ برمودة ١٥٠٤ ق) :

أمطرت السماء صباح ذلك اليوم .

١٦ منه (١٩ أبريل ١٧٨٨ م) :

هبّت رياح جنوبية باردة قوية . واثارت غباراً كثيراً واستمرت الى ثانى يوم .

١٧ منه (٢٣ أبريل ١٧٨٨ م) :

وصل نحو الألف من عسكر الأرنؤود الى ساحل بولاق ، وعليهم كبير يسمى اسماعيل باشا ، فخرج اسماعيل بيك ، وحسن بيك ، وعلى بيك ورسوان بيك ، للملاقاة ، ومدوا له سباطا عند مكان الحلى القديم .

١٨ منه (٢٤ أبريل ١٧٨٨ م) :

أمطرت السماء من بعد الفجر الى العشاء ، وأطبق الغيم قبل الغروب ، وأرعد رعدا قويا ، وأبرق برقاً ساطعاً ، ثم خرجت فرتونة نكباء شرقية شمالية ، واستمر البرق والمطر يتسلسل غالب الليل وكان ذلك في ١٧ برمودة . فسبحان الفعال لما يريد !

٢٠ منه (٢٦ أبريل ١٧٨٨ م) :

كان عيد النصارى . وفيه تقررت الفرقة المذكورة ، وسافر لقبضها سليم بيك أمير الحج ، ولم يعد س قيام الوجاقلية وسعيهم في ابطالها شيء . فانهم لما عارضوا في ذلك فتح عليهم طلب المساعدة : وليس بأيدي المتزمين شيء يدفعونه فقال : اذا كان كذلك فاننا نقبضها من البلاد ا فلم يسعهم الا الاجابة .

٢١ منه (٢٧ أبريل ١٧٨٨ م) :

حضر الى ثغر بولاق أغا أسود ، وعلى يده مقرر لعابدى باشا ، وخلعة لشريف مكة فطلع عابدى باشا الى القلعة ، وعمل ديوانا في يوم الثلاثاء ، واجتمع بالأمراء والمشايخ والقاضى وقرأوا المقرر . ووصل صحبة الأغا المذكور ألف قرش رومى ، أرسلها حضرة السلطان تفرق على طلبة العلم بالأزهر ويقرأون له صحيح البخارى ، ويدعون له بالنصر !

٢٣ منه (٢٩ أبريل ١٧٨٨ م) :

سفر سليم بيك ، ونزل الى القليوبية . وفيه قتل اسماعيل باشا كبير الأرنؤود ، رئيس عسكره وكان بخشاد ويخاف من سطوته . قيل انه أراد أن يأخذ العسكر ويذهب بهم الى الأمراء القبليين رغبة في كثرة عطائهم ، فطالبه بنفقة ، وألح عليه ، وقال له : ان لم تعطهم والا هربوا حيث شاءوا . فحضر عنده وقاوضه في ذلك فلاطفه وأكرمه واحتلى به واعتاله ، وقطع رأسه وألقاه من الشباك لجماعته

٢٥ منه (أول مايو ١٧٨٨ م) :

كتبوا قائمة بأسماء المجاورين والطلبة ، وأخبروا الباشا أن الألف قرش لا تكفى طائفة من المجاورين . فزادها ثلاثة آلاف قرش من عنده ، فوزعوها بحسب الحال : أعلى وأوسط وأدنى . فخص الأعلى : عشرون قرشا ، والأوسط عشرة ، والأدنى أربعة . وكذلك طوائف الأروقة بحسب الكثرة والقلّة .

ثم أجضروا أجزاء البخارى وقرأوه ، وصادف ذلك زيادة أمر الطاعون والكروب المختلفة ا

٢٨ منه (٤ مايو ١٧٨٨ م) :

توفى صاحبنا حسن أفندى قلعة الغربية وتقلد عوضه صهره مصطفى أفندى ميسو كاتب اليومية . وفيه : توفى أيضا خليل أفندى البغدادى الشطرنجى .

شعبان

الأربعاء اوله (٧ مايو ١٧٨٨ م) :

عدى بعض الأمراء بخيامهم الى البر الغربى ، ثم رجعوا في ثانيه ، ثم عدى البعض ورجع البعض . وكل ذلك ايهامات بالسفر وتمويهات من اسماعيل بيك . وفي الحقيقة قصده عدم الحركة . وضافت

أنفس المقيمين بالتاريس ، وقلقوا من طول المدة ،
وتفرق غالبيتهم ، ودخلوا المدينة .

الأحد ٥ منه (١١ مايو ١٧٨٨ م) :

حضر الى مصر رجل هندي ، قيل انه وزير
سلطان الهند حيدر بيك ، وكان قد ذهب الى
اسلامبول بهدية الى السلطان عبد الحميد ، ومن
جلبتها : منبر وقبلة مصنوعان من العود القافلي
صنعة بديعة ، وهما قطع مفصلات يجمعها شناكل
وأغرية من فضة وذهب ، وسرير يسع ستة أنفار ،
وطائران يتكلمان باللغة الهندية .. خلاف البيغا
المشهور . وأنه طلب منه امدادا يستعين به على
حرب أعدائه الانكليز المجاورين لبلاده ، فأعطاه
مرسومات الى الجهات بالأذن لمن يسير معه ، فسار
الى الاسكندرية ، ثم حضر الى مصر ، وسكن
بيولاقي . وهو رجل كالمقعد يجلس على كرسي من
فضة ، ويحمل على الأعناق .

وقد ماتت العساكر التي كانت معه ، ويريد
اتخاذ غيرها من أى جنس كان . وكل من دخل
فيهم برسم الخدمة وسموه بعلامة في جبهته لاتزول ،
فنفرت الناس من ذلك .

وملابسهم مثل ملابس الإفرنج ، وأكثرها من
شيت هندي مقمطة على أجسامهم ، وعلى رأسهم
شقات أفرنجية .

٧ منه (١٢ مايو ١٧٨٨ م) :

رجع الأمراء والوجاقية الى بيوتهم ، وأشاعوا
أن الأمراء القبليين رحلوا ورجعوا القهقري الى
قبلي .

١٠ منه (١٦ مايو ١٧٨٨ م) :

خرجوا ثانيا ، وأشيع حضورهم الى الشيمي .

الجمعة ١٧ منه (٢٣ مايو ١٧٨٨ م) :

في ليلتها خرج الأمراء بعد الغروب ، وأشيع
وصول القبليين ، وهجومهم على التاريس .

وفي صبح ذلك اليوم حصلت زعجة وضجة ،
وهرب الناس من القرافتين ، ونودي بالخروج ،
فلم يخرج أحد . ثم برد هذا الأمر .

وفي تلك الليلة ضربوا أعناق خمسة أشخاص
من أتباع الشرطة ، يقال لهم « البصصاصون » .
وسبب ذلك أنهم أخذوا عملة وأخفوها من حاكمهم ،
واختصوا بها دونه ، ولم يشركوه معهم .

الاثنين ٢٧ منه (٢ يونيو ١٧٨٨ م) :

مات محمد أغا مستحفظان ، المعروف بالمتيم .

الأربعاء ٢٩ منه (٤ يونيو ١٧٨٨ م) :

كسفت الشمس وقت الضحوة الكبرى ، وكان
النكسف منها نحو الثلاثة أرباع . وأظلم الجو الا
يسيرا ، ثم انجلي ذلك عند الزوال .

رمضان

٣ منه (٧ يونيو ١٧٨٨ م) :

قلدوا اسماعيل بيك ، خازندار اسماعيل بيك —
الذي كان زوجه باحدى زوجات أحمد كخد
المجنون — أغات مستحفظان ، وقلدوا خازندار
حسن بيك الجداوى واليا ، عوضا عن اسماعيل
أغا الجزائرلى .. لعزله .

في ١٢ منه (١٦ يونيو ١٧٨٨ م) :

حضر ابراهيم كاشف من اسلامبول ، وكان
اسماعيل بيك أرمنه بهدية الى الدولة ، فأوصلها
ورجع الى مصر بجوابات القبول ، وأنه لما وصل
الى اسلامبول ، وجد حسن باشا نزل الى المراكب
مسافرا الى بلاد الموسقو ، وبينه وبين اسلامبول

وحصلت زعجة في بولاق تلك الليلة ، وأغلقت
الدكاكين ، وقتل من القليونية نحو العشرين ،
ومن المغاربة دوز ذلك .

فلما بلغ اسماعيل بيك ذلك اغتاض ، وأرسل الى
المغاربة يأمرهم بالانتقال من مكانهم ، فانتقلوا الى
القاهرة وسكنوا بالحنات .

فلما كان ثاني يوم ، نزل الأغا والوالى وناديا
في الأسواق على المغاربة الحجاج بالحروج من
المدينة الى ناحية العادلية ، ولا يقيموا بالبلد ،
وكل من آواهم يستاهل ما يجرى عليه .. فاستنعوا
من الحروج وقالوا :

« كيف نخرج الى العادلية ونموت فيها
عطشا ! » ، وذهب منهم طائفة الى اسماعيل كتحدوا
حسن باشا ، فأرسل الى اسماعيل بيك بالروضة
يترجى عنده فيهم . فامتنع ولم يقبل الشفاعة وحلف
أن كل من مكث منهم بعد ثلاثة أيام قتله . فتجمعوا
أحزابا واشتروا أسلحة ، وذهب منهم طائفة الى
الشيخ العروسي ، والشيخ محمد بن الجوهري .
فتكلموا مع اسماعيل بيك : فنأدى عليهم بالأمان .

اواخره (اوائل يولية ١٧٨٨ م) :

ورد خبر من دمياط ، بأن النصارى أخذوا من
على ثغر دمياط اثني عشر مركبا .

شوال

الثلاثاء ٤ منه (٨ يولية ١٧٨٨ م) :

حفد سليم بيك من سرحته .

الأربعاء ٨ منه (٩ يولية ١٧٨٨ م) :

أرسل الأغا بعض أتباعه بطلب شخصين من
عسكر القليونية ، من ناحية بين السورين ،
بسبب شكوى رفعت اليه فيهما . فضرب أحدهما
أحد المعينين .. فقتله ، فقبضوا عليه ، ورموا عنقه
أيضا بجانبه .

نحو أربع ساعات . فذهب اليه وقابله ورجع معه
في شكترية الى اسلامبول ، وطلع الهدية بحضرته .

وقد كان أشيع هناك بأن ابراهيم بيك ، ومراد
بيك ، دخلا الى مصر وخرج من فيها ، وحصل
هناك هرج عظيم بسبب ذلك . فلما وصل ابراهيم
كاشف هذا بالهدية ، حصل عندهم اطمئنان وتحققوا
منه عدم صحة ذلك الخبر .

في ٢٤ منه (٢٨ يونية ١٧٨٨ م) :

نهب العرب قافلة التجار والحجاج الواصلة من
السويس ، وفيها شيء كثير جدا من أموال التجار
والحجاج . ونهب فيها التجار خاصة ، ستة آلاف
جمل ، مابين قماش وبهار ، وبن وأقمشة وبضائع .
وذلك خلاف أمتعة الحجاج ، وسلبهم حتى ملابس
أبدانهم ، وأسروا النساء وأخذوا ما عليهن . ثم
باعوهن لأصحابهن عرابا . وحصل لكثير من الناس
وغالب التجار الضرر الزائد ، ومنهم من كان جميع
ماله بهذه القافلة فذهب جميعه ، ويرجع عرابا ، أو
قتل وترك مرميا .. !

في ٢٥ منه (٢٩ يونية ١٧٨٨ م) :

وقع بين طائفة المغاربة الحجاج النازلين بشاطيء
النيل ببولاق ، وبين عسكر القليونية مقاتلة ،
وسبب ذلك .. أن المغاربة نظروا بالقرب منهم جماعة
من القليونية المتقيدين بقليون اسماعيل بيك ،
ومعهم نساء بتعاطون المنكرات الشرعية . فكلهم
المغاربة ونهوه عن فعل القبيح ، وخصوصا في مثل
هذا الشهر ، أو أنهم يتباعدون عنهم .. فضربوا عليهم
طبنجات . فثار عليهم المغاربة ، فهرب القليونية
الى مراكزهم ، فط المغاربة خلفهم ، واشتبكوا
معهم ، ومسكوا من مسكوه ، وذبحوا من ذبحوه ،
ورموا الى البحر ، وقطعوا جبال المراكب ، ورموا
صواربها .

السبت ٨ منه (١٢ يولية ١٧٨٨ م) :

نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة الى المشهد الحسيني على العادة .

الثلاثاء ١١ منه (١٥ يولية ١٧٨٨ م) :

في ثالث ساعة من الليل ، حصلت زعجة عظيمة ، وركب جميع الأمراء وخرجوا الى المتاريس . وأشيع أن الأمراء القبلين عدوا الى جهة الشرق ، وركب الوالى والأغا ، وصاروا يفتحون الدروب بالعتلات ، ويخرجون الأجناد من بيوتهم الى العرضى وباتوا بقية الليل فى كربة عظيمة ، وأصبح الناس هائجين ، والمناداة متتابعة على الناس والألضاشات والأجناد والعسكر بالخروج ، وظن الناس هجوم القبلين ودخلهم المدينة .

فلما كان أواخر النهار حصلت سكتة ، وأصبحت القضية باردة : ونظر أن بعضهم عدى الى الشرق وقصدوا الهجوم على المتاريس فى غفلة من الليل ، فسبق المين بالحبر ، فوقع ماذكر . فلما حصل ذلك رجعوا الى بياضة ، وشرعوا فى بناء متاريس ، ثم تركوا ذلك وترفعوا الى فوق : ولم يزل المصريون مقيمين بطرا ماعدا اسماعيل بيك ، فانه رجع بعد يومين لأجل تشييل الحج .

السبت ٢٢ منه (٢٦ يولية ١٧٨٨ م) :

خرج سليم بيك أمير الحج بموكب المحمل . وكان مثل العام الماضى فى قلة ، بل أقل ، بسبب اقامة الأمراء بالمتاريس .

ذوالقعدة

١ منه (٣ اغسطس ١٧٨٨ م) :

فى ذلك اليوم رسموا بنفى سليمان بيك الشاورى الى المنصورة ، وتقاسموا بلاد .

وفيه : رجع الأمراء من المتاريس الى مصر

وفيه : حضر طائفة العربان الذين نهبوا القافلة

الى مصر ، وهم من العييدة ، وقابلوا اسماعيل بيك ، وصالحوه على مال .. وكذلك الباشا ، واتفقوا على شيل ذخيرة أمير الحج ، وخلع عليهم . ولما نهبت القافلة ، اجتمع الأكابر والتجار ، وذهبوا الى اسماعيل بيك ، وشكوا اليه ما نزل بهم ... فوبخهم ، وأظهر الشماتة فيهم !

وقال لهم : « أأنتم ناس أكابر . أنا أطلب العرب لشيل الذخيرة ، وأنتم تحجزوهم لأنفسكم ، وترغبوهم فى زيادة الأجرة لأجل أغراضكم ومتاجرهم ، وتعطلوا أشغال الدولة ، ولا تستأذنون أحدا .. فجزاؤكم ما حل بكم » .

ثم ذهبوا الى الباشا أيضا ، وكلموه فقال لهم مثل ذلك ، وقال أيضا : « انه بلغنى أنكم تختلسون الكثير من المحزوم والبضاعة ، وتأتون بها من غير جمرک ولا عشور ، فوقع لكم ذلك قصاصا بركة جدى لأنى شرف ! وأنتم أكلتم حقى » .

فأجابه بعضهم — وهو السيد باكير — وقال له : « يا مولانا الوزير ، جرت العادة أن التجار يفعلون ذلك ، ويقولون ما أمكنهم . وعلى الحاكم التفتيش والفحص ! » .

فاغتاز من جوابه ، وقال : « انظروا هذا ... كيف يجاوبنى ويشافهنى ، ويرد على الكلام والخطاب ! ما رأيت مثل أهل هذه البلدة ، ولا أقل حياء منهم ! » وصارت بده ترتعش من الغيظ ، وخرجوا من بين يديه آيسين .. والحاضرون يلففون له القول يأخذون بغضبه ، وهو لا ينجلى عنه الغيظ ، وهو يقول : « كيف أن مثل هذا العامى السوقي برد على هذا الجواب ؟! ولولا خوفى من الله لفعلت به وفعلت .. » . فلو قال له أن حقا هذا الذى تدعيه مكس وظلم ، أو نحو ذلك .. لقتاه بالفعل ... والأمر لله وحده !

وانفصل الأمر على ذلك .

التقديمة كما كانوا ، ولم يبق بها الا المرابطون قبل ذلك .

٢ منه (٤ اغسطس ١٧٨٨ م) :

ثار جماعة الشوام وبعض المغاربة بالأزهر على الشيخ العروسي ، بسبب الجراية ، وقللوا في وجهه باب الجامع وهو خارج يريد الذهاب ، بعد كلام وصياح ، ومنعوه من الخروج ، فرجع الى رواق المغاربة ، وجلس به الى الغروب . ثم تخلص منهم وركب الى بيته . ولم يفتحوا الجامع ، وأصبحوا فخرجوا الى السوق ، وأمروا الناس بغلق الدكاكين ، وذهب الشيخ الى اسماعيل بيك وتكلم معه فقال له :

« أنت الذى تأمرهم بذلك وتريدون بذلك تحريك الفتن علينا ، ومنكم أناس يذهبون الى أخصامنا ويعودون » فتبرأ من ذلك ، فلم يقبل .

وذهب أيضا ، وصحبته بعض المتعممين ، الى الباشا بحضرة اسماعيل بيك . فقال الباشا مثل ذلك ، وطلب الذين يثيرون الفتن من المجاورين ، ليؤدبهم وينفيهم ، فمانعوا في ذلك ، ثم ذهبوا الى على بيك الدفتردار — وهو الناظر على الجامع — فتلافى القضية ، وصالح اسماعيل بيك ، وأجروا لهم الأخباز بعد مشقة وكلام من جنس ما تقدم ، وامتنع الشيخ العروسي من دخول الجامع أياما ، وقرأ درسه بالصالحية .

١٤ منه (١٦ اغسطس ١٧٨٨ م) :

أوفى النيل أذرعته ، وركب الباشا فى صباحها ، وكسر سد الخليج .

٢٠ منه (٢٢ اغسطس ١٧٨٨ م) :

انفتح سد ترعة موسى ، فأحضر اسماعيل بيك ، عمر كاشف الشعراوى — وهو الذى كان تكفل بها ، لانه كاشف الشرقية — ولامسه ، ونسبه

للتقصير فى تمكينها ، وألزمه بسدها .. فاعتذر بعدم الامكان ، وخصوصا وقد عزل من المنصب ، وأعوانه صاروا مع الكاشف الجديد . فاغتاظ منه ، وأمر بقتله . فاستجار برضوان كتخدا مستحفظان ، فشفع فيه ، وأخذته عنده ، وسعى فى جريسته ، وصالح عليه .

٢١ منه (٢٣ اغسطس ١٧٨٨ م) :

أحضروا سليمان بيك الشابورى من المنصورة .

ذواحجة

الثلاثاء غرته (٢ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

حضر قليونان روميان الى بحر النيل ببولاق ، يشتمل أحدهما على واحد وعشرين مدفعا ، والثانى أقل منه ، اشتراهما اسماعيل بيك .

وفيه : زاد سعر الغلة ضعف الثمن بسبب انقطاع الجالب .

الاثنين ١٤ منه (١٥ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

عمل الباشا ديوانا بقصر العينى ، وتشاوروا فى خروج تجريدة ، وشاع الجبر بزحف القبليين .

الأربعاء ١٦ منه (١٧ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

عمل الباشا ديوانا بقصر العينى ، جمع به سائر الأمراء والوجاقلية والمشايخ ، بسبب شخص ألقى ، حضر بمكاتبات من قزال الموسيقى . ولحضوره نبأ ينبغى ذكره ، كما نقل الينا ، وهو : أن قرال الموسيقى لما بلغه حركة العثملى فى ابتداء الأمر على مصر ، أرسل مكاتبة الى أمراء مصر ، على يد القنصل المقيم بشعر الاسكندرية ، يحذروهم من ذلك ، ويحضهم على تحصين الشعر ، ومنع حسن باشا من العبور . فحضر القنصل الى مصر واختلى بهم ، وأطلعهم على ذلك فأهملوه ، ولم يلتفتوا اليه ، ورجع من غير رد .

جواب - وورد حسن باشا ، فعند ذلك انتبهوا ، وطلبوا القنصل ، فلم يجدوه ، وجرى ما جرى ، وخرجوا الى قبلى ، وكتبوا القنصل ، فأعاد الرسالة الى قراله وركب هجانا واجتمع بهم ورجع .

وصادف وقوع الواقعة بالمنشية فى السنة الماضية وكانت الهزيمة على المصريين ، وشاع الخبر فى الجهات بعودهم .

وقد كان أرسل لنجدتهم عسكريا من قبله ومرائب ومكاتبات. صحبة هذا الألجى ، فحضر الى نعر دباط فى أواخر رمضان ، فرأى انعكاس الأمر ، فعربد بالشعر وأخذ عدة تقاير ، ورجع الى مرساه وأقام بها ، وكتب قراله وعرفه صورة الحال . وأن من بمصر الآن من جنسهم أيضا ، وإن العثملى لم يزل مقهورا معهم . فأجمع رأيه على مكاتبة المستقرين وامدادهم ، فكتب اليهم وأرسلها صحبة هذا الألجى ، وحضر الى دباط ، وأتخذ الخبر سرا بوضوله ، وطلب الحضور بنفسه ، فأعلموا الباشا بذلك سرا وأرسلوا اليه بالحضور .

فلما وصل الى شلقان ، خرج اليه اسماعيل بيك فى تطريدة كأل لم يشعر به أحد ، وأعد له منزلا ببولاق ، وحضر به ليلا وأزله بذلك القناق . ثم اجتمع به صحبة على بيك ، وحسن بيك ، ورضوان بيك ، وقرأوا المكاتبات بينهم . فوصل اليهم عند ذلك جماعة من أتباع الباشا ، وطلبوا ذلك الألجى عند الباشا .. وذلك بإشارة خفية بينهم وبين الباشا ، فركبوا معه الى قصر العينى ، وأرسل الباشا فى تلك الليلة التنايه لحضور الدينوان فى صباحها . فلما تكاملوا ، أخرج الباشا تلك المراسلات وقرئت فى المجلس ، والترجمان يفسرها بالعربى ، وملخصها : « خطاها الى الأمراء المصرية .. باله بلغنا صنع ابن عثمان الخائن الغدار معكم ، ووقوع القتلى فيكم ، وقصده أن يعضكم يقتل بعضا ، ثم

لايسقى على من يبقى منكم ، ويملك بلادكم ، ويفعل بها عوائده من الظلم والجور والخراب . فانه لا يضع قدمه فى قطر الا ويعمه الدمار والخراب . فتيقظوا لأنفسكم ، واطردوا من حل ببلادكم من العثمانية ، وارفعوا بندرتنا ، واختاروا لكم رؤساء منكم ، وحصنوا ثغوركم ، وامنعوا من يصل اليكم منهم .. الا من كان بسبب التجارة ، ولا تخشوه فى شيء ، فنحن نكفيكم مؤتته ، وانصبوا من طرفكم حكاما بالبلاد الشامية كما كانت فى السابق ، ويكون لنا أمر بلاد الساحل ، والواصل لكم كذا وكذا مركبا ، وبها من كذا العسكر والمقاتلين . وعندنا من المال والرجال ما تطلبون ، وزيادة على ما تظنون . »

فلما قرئ ذلك ، اتفقوا على ارسالها الى الدولة ، فأرسلت فى ذلك اليوم ، صحبة مكاتبة من الباشا والأمراء ، وأنزلوا ذلك الألجى فى مكان بالقلعة مكرما ..

الاثنين ٢١ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٨٨ م) :

وجهوا خمسة من المراكب الرومية الى جهة قبلى ، وأبقوا اثنين ، وأرسلوا بها عثمان بيك طبل الاسماعيلى وعساكر رومية . والله أعلم .

ومات فى هذه السنة الامام العلامة ، أحد المتصدرين ، وأوحد العلماء التبشرين ، حلال المشكلات ، وصاحب التحقيقات ، الشيخ حسن بن غالب الجداوى المالكى الأزهرى .

ولد بالجديدة فى سنة ثمان وعشرين ومائة وألف - وهى قرية قرب رشيد وبها لثا .

وقدم الجامع الأزهر ، فتفقه على بلديه الشيخ فمس الدين محمد الجداوى ، وعلى ألقه المالكية فى عصره : السيد محمد بن محمد السلامونى ، وحضر على الشيخ على خضر العمروسى ، وعلى

سدى على — فزادت شهرته ، ووفدت عليه الناس ، وأطعم الطعام ، واستعمل مكارم الأخلاق ... ثم تزوج بنت المعلم درع الجزار بالحسينيه ، وسكن بها ، فجيش عليه أهل الناحية ، وأهـل النجدة والزعارة والشطارة ، وصار له بهم بجدة ومنعة على من يخالفه أو يعانده .. ولو من الحكام . وتردد الى الأمير محمد بيك أبى الذهب قبل استقلاله بالإماره ، وأحبه وحضر مجالس دروسه فى شهر رمضان بالمشهد الحسينى . فلما استبد بالأمر لم يزل يراعى له حق الصحبة ، وبقبل شفاعته فى المهمات ، ويدخل عليه من غير استئذان فى أى وقت أراد ... فزادت شهرته ، ونفذت أحكامه وقضاياه .

واتخذ سكنا على بركة جناق أيضا . ولما بنى محمد بيك جامعه كان هو المتعين فيه بوظيفة رآسة التدريس والافتاء رمشيحة الشافعية ، وثالث ثلاثة المقتنين الذين قررهـم الأمير المذـرر وقصر عليهم الافتاء ، وفرض لهم أمكنة يجلسون فيها أنشأها لهم بظاهر الميضاة بجوار التكية التى جعلها لطلبة الأتراك بالجامع المذكور حصه من النهار فى ضحوة كل يوم للافتاء بعد القائهم دروس الفقه . ورتب لهم مايكفيهم ، وشرط عليهم عدم قبول الرشا والجعالات ... فاستمروا على ذلك أيام حياة الأمير .

واجتمع المترجم بالشيخ صادومة المشعوذ ، ونوه بشانه عند الأمراء والناس ، وأبرزه لهم فى قالب، الولاية ، وجعل شعوذته وسيمياه من قبيل الخوارق والكرامات .. الى أن اتضح أمره ليوسف بيك ، فتحامل عليه وعلى قرينه الشيخ المترجم من أجله ، ولم يتمكن من ايذاءهما فى حياة سيده .

فلما مات سيده قبض على الشيخ صادومة وألقاه فى بحر النيل ، وعزل المترجم من وظيفة المحمدية والافتاء ... فانكسف باله ، وخذ مشعال

السيد محمد البليدى والشيخ على الصعيدى . أخذ عنهم الفنون بالاتقان ، ومهر فيها. حتى عد من الأعيان ، ودس فى حياة شيوخه وأفتى . وهو شيخ بهى الصورة ، طاهر السريرة ، حسن السيرة ، فصيح اللهجة ، شديد العارضة ، يفيد الناس بتقريره الفائق ، ويحل المشكلات بذهنه الرائق . وحلقه درسه عليها الخفر ، وما يلقيه كأنه ثار جواهر ودرر .

وكان ينزل الى بلده الجديدة فى كل سنة مرة ، ويقيم بها أياما ، ويجتمع عليه أهل الناحية ويهادونه ويفصلون على يديه قضاياهم ودعاوبهم وموارثهم ، ويؤخرون وقائهم الحادثة بطول السنة الى حضوره ، ولا يثقون الا بقوله ... ثم يرجع الى مصر بما اجتمع لديه من الأرز والسمن والعسل والقمح وغير ذلك مايكفى عياله الى قابل مع الحشمة والعفة ...

ومات الامام العالم العلامة ، الفقيه المحدث النحوى ، الشيخ حسن الكفراوى الشافعى الازهرى .

ولد ببلدة كفر الشيخ حجازى بالقرب من المحلة الكبرى . فقرأ القرآن ، وحفظ المتون بالمحلة ، ثم حضر الى مصر وحضر شيوخ الوقت — مثل الشيخ أحمد السجاعى والشيخ عمر الطحلاوى والشيخ محمد الحنفى والشيخ على الصعيدى — ومهر فى الفقه والمقول ، وتصدر ودرس وأفتى واشتهر ذكره .

ولازم الاستاذ الحنفى ، وتداخل فى القضايا والدعاوى ، وفصل الخصومات بين المتنازعين ، وأقبل عليه الناس بالهدايا والجعالات ، ونما أمره ، وراش جناحه ، وتجل بالملابس وركوب البغال ، وأحلق به الأتباع ، واشترى بيت الشيخ عمر الطحلاوى بحارة الشوانى — بعد موت ابنه

وتزوج وتزيا يزي أولاد البلد ، وتحلى بذوقهم ،
ونظم الشعر الحسن ...

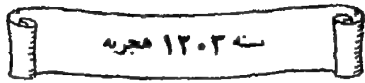
ومات صاحبنا الشاب الصالح العفيف الموفق
الشيخ مصطفى بن جاد .

ولد بمصر ، ونشأ بالصحراء بعمارة السلطان
قايتباي . ورغب في صناعة تجليد الكتب وتذهيبها ،
فعانى ذلك ومارسه عند الأسطى أحمد الدقوسى
حتى مهر فيها ، وفاق أستاذه ، وأدرك دقائق الصنعة
والتذهيبات والتقوشات بالمذهب المحلول والفضة
والأصباغ الملونة ، والرسم والجداول والأطباع
وغير ذلك .

وانفرد بدقيق الصنعة بعد موت الصناع الكبار .
مثل الدقوسى وعثمان افندى ابن عبدالله — عتيق
المرحوم الوالد — والشيخ محمد الشناوى .

وكان لطيف الذات ، خفيف الروح ، محبوب
الطباع ، مألوف الأوضاع ، ودودا مشفقا ، عفيفا
صالحا ...

ولم يزل مقبلا على شأنه ، قانعا بصناعته ،
يستسخ بعض الكتب ويبيعها ليربح فيها ، الى أن
وافاه الحمام ... عوضنا الله فيه خيرا ، فانه كان بى
رءوفا ، وعلى شفيقا ، ولا يصبر عنى يوما كاملا ،
مع حسن العشرة والمودة والمحبة ... لا لغرض من
الأغراض .. ولم أر بعده مثله (١) .



المحترم

الخميس اوله (٢ أكتوبر ١٧٨٨ م) :

فيه : زاد اجتهد اسماعيل بك في البناء عند

(١) ان الجبرى ، وقد انطلق يوق الصداقة حقها ، لم يستطع
ان يحبس قلمه عن الانطلاق في وصف مكارم الاخلاق ، التى
ما اجتمعت لصانع الا وفقه الله فاصبح في ممله فنانا ، يذكر قته
وقضله بعد حين اشرف على قرنين من الزمان ...

ظهوره بين أقرانه الا قليلا ... حتى هلك يوسف
بك قبل تمام الحول ، ونسيت القضية ، وبطل
أمر الوظيفة والتكية ، وتراجع حاله .. لا كالأول .

ووافاه الحمام بعد أن تمرض شهورا وتعلل ،
وذلك في عشرين شعبان من السنة .

ومن مؤلفاته اعراب الآجرومية ، وهو مؤلف
نافع مشهور بين الطلبة .

وكان قوى البأس ، شديد المراس ، عظيم
الهمة والشكيمة ، ثابت الجنان عند العظام ، يغلب
على طبعه حب الرياسة ، والحكم والسياسة ،
ويحب الحركة بالليل والنهار ، ويميل السكون
والقرار .. وذلك مما يورث الخلل ، ويوقع في
الزلل ..

فان العلم اذا لم يقرن بالعمل ، ويصاحبه
الخوف والوجل ، ويجمل بالتقوى ، ويزين
بالعفاف ، ويحل باتباع الحق والانصاف ... أوقع
صاحبه في الخذلان ، وصيره مثله بين الأقران ..

اللهم الطف بنا ، ووفقنا ، وارحمنا ، وأحسن
عاقبتنا ، وقنا ، واكفنا شر أنفسنا ، يا أرحم
الراحمين ، اللهم آمين .

ومات أيضا العلامة الأديب ، واللوزعى اللبيب ،
المتقن المتفنن ، الشيخ محمد بن على المعروف
بالشافعى التونسى ، نزيل مصر .

ولد بتونس سنة ١١٥٢ ، ونشأ في قراءة
القرآن وطلب العلم . وقدم الى مصر سنة ١١٧١ ،
وجاور بالأزهر برواق المغاربة ، وحضر علماء
العصر في الفقه والمقولات ، ولازم دروس الشيخ
على الصعيدى وأبى الحسن القلمى التونسى شيخ
الرواق .

وعاشر اللطفاء والنجباء من أهل مصر ، وتخلق
بأخلاقهم ، وطالع كتب للتاريخ والأدب ، وصار له
ملكة في استحضار المناسبات الغريبة والنكات ،

طرا ، وأنشأ هناك قلعة بحافة البحر ، وجعل بها مساكن ومخازن وحواصل ، وأنشأ حيطانا وأبراجا وكرانك ، وأبنية ممتدة من القلعة الى الجبل ، وأخرج اليها الجبخانه والخيرة وغير ذلك .

الجمعة ٩ منه (١٠ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

سافر عثمان كتخدا عزبان الى اسلامبول بعرضحال بطلب عسكر ، واذن باقتناع مصاريف من الخزينة .

السبت ٢٤ منه (٢٥ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

سافر اسماعيل باشا باش الأرثوود بجماعته ، ولحقوا بالغلايين ... والجماعة القبليون مترسون بناحية الصول ، وعاملون سبعة متاريس ، والمراكب وصلت الى أول متراس ، فوجدوهم مالكين مزم الجبل ، فوقفوا عند أول متراس ومدافعهم تصيب المراكب ، ومدافع المراكب لا تصيبهم ، وهم ممتنعون بأنفسهم الى فوق . وانخرقت المراكب عدة مرات ، وطلع مرة من أهل المراكب جماعة أرادوا الكس على المتراس الأول ، فخرج عليهم كمين من خلف مزرعة الذرة المزروع ، فقتل من طائفة المغاربة جماعة ، وهرب الباقون ، ونصت رءوس القتلى على مزاريق ليراها أهل المراكب .

الاثنين ٢٦ منه (٢٧ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

سافر أيضا عثمان بيك الحسنى ، وامتنع ذهاب السفار وإياهم الى الجهة القبلية ، وانقطع الوارد ، وشطح سعر الغلة . وبلغ النيل غايته في الزيادة ، واستمر على الأراضى من غير نقص ، الى آخر شهر بابة القبطى ... وروى جميع الأراضى

الثلاثاء ٢٧ منه (٢٨ اكتوبر ١٧٨٨ م) :

حضر مراجع من عند القبليين ، وعلى يده مكاتبات بطلب صلح ، وعلى أنهم يرجعون الى البلاد التى عينها لهم حسن باشا ، ويقومون بدفع

المال والغلال للميرى ، ويطلقون السبل للمسافرين والتجار ... فانهم سئموا من طول المدة ، ولهم مدة شهور منتظرين اللقاء مع أخصامهم ، فلم يخرجوا اليهم ... فلا يكونون سببا لقطع أرزاق الفقراء والمساكين .

فكتبوا لهم أجوبة للاجابة لمطلوبهم ، بشرط ارسال رهائن ، وهم : عثمان بيك الشرقاوى ، وابراهيم بيك الوالى ، ومحمد بيك الأنفى ، ومصطفى بيك الكبير .

ورجع الرسول بالجواب ، وصحبته واحد بشلى من طرف الباشا .

صفر

غرفته (١ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

حضر جماعة مجاريح .

في ٢ منه (٢ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

حضر المرسال الذى توجه بالرسالة ، وصحبته سليمان كاشف من جماعة القبليين ، والبشلى وآخر من طرف اسماعيل باشا الأرثوودى ، وأخبروا أن الجماعة لم يرضوا بارسال رهائن . ثم أرسلوا لهم على كاشف الجيزة وصحبته رضوان كتخدا باب التفكجية ، وتلففوا معهم على أن يرسلوا عثمان بيك الشرقاوى وأيوب بيك .. فامتنعوا من ذلك ، وقالوا من جملة كلامهم :

« لعلكم تظنون أن طلبنا فى الصلح عجز ، أو أننا محصورون ، وتقولون بينكم فى مصر : انهم يريدون بطلب الصلح التحيل على التعدية الى البر الغربى ، حتى يملكوا الاتساع . واذا قصدنا ذلك أى شىء يمنعنا فى أى وقت شئنا ؟ . وحيث كان الأمر كذلك ، فنحن لانرضى الا من حد أسيوط ، ولا نرسل رهائن ، ولا تتجاوز محلنا » .

في ٧ منه (٧ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

فلما رجع الجواب بذلك ، أرسل الباشا فرمانا الى

اسماعيل باشا بمحاربتهم ، فبرز اليهم بعساكره ،
وجميع العسكر التى بالمراكب ، وحملوا عليهم
حملة واحدة .

٨ منه (٨ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

أخلوا لهم ، وملكوا منهم متراسين ، فخرج
عليهم كمين بعد أن أظهروا الهزيمة . فقتل من
العساكر جملة كبيرة .

٩ منه (٩ نوفمبر ١٧٨٨ م) .

ثم وقع الحرب بينهم ، واستمرت المدافع تضرب
بينهم من الجهتين ، والحرب قائمة بينهم سجلا ،
وكل من الفريقين يعمل النجل وينصب الشباك على
الآخر . ويكنم ليلا فيجد الرصد ، ولم تنفصل
بينهم الحرب على شيء .

مستصفه (١٥ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

شرع اسماعيل بيك فى عمل تفريدة على البلاد ،
فقررروا الأعلى عشرين ألف فضة ، والأوسط خمسة
عشر ، والأدنى خمسة آلاف . وذلك خلاف حق
الطرق وما يتبعها من الكلف ، وعمل ديوان ذلك
فى بيت على يبك الدفتردار بحضرة الوجاقلية ،
وكتبت دفاترها وأوراقها فى مدة ثلاثة أيام .

ربيع الأول

مستهله (٣٠ نوفمبر ١٧٨٨ م) :

الحال على ما هو عليه . وحضر رسول من القليلين
بطلب الصلح ، ويطلبون من حد أسىوط الى فوق
شرقا وغربا ، ولا يرسلون رهاثن . ووصل ساع
من نغر الاسكندرية بالبشارة لاسماعيل كتخدا
حسن باشا بولاية مصر ، وأن اليرق والداقم
وصل ، والقبحى والكتخدا ، وأرباب المناصب
وصلوا الى الثغر ، فردهم الريح عندما قربوا من

المرساة الى جهة قبرص ، فشرع عابدى باشا فى
نقل متاعه من القلعة .

ولما حضر الرسول بطلب الصلح رضى
المصرية بذلك ، وأعادوه بالجواب .

٤ منه (٣ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر أحمد آغا ، أغات الجمالية المعروف
بشويكار ، لتقرير ذلك . فعمل عابدى باشا ديوانا
اجتمع فيه الأمراء والمشايخ والاختيارية ، وتكلم
أحمد آغا ، وقال :

« نأخذ من أسىوط الى قبلى شرقا وغربا بشرط
أن ندفع ميرى البلاد من المال والغلال ، ونطلق
سراح المراكب والمسافرين بالغلال والأسباب ...
وكذلك أتم لاتمنعون عنا الواردين بالاحتياجات
الا ما كان من آلة الحرب ... فلكم منعه .

» وبعد أن يتقرر بيننا وبينكم الصلح ، نكتب
عرض محضر منا ومنكم الى الدولة ، وننظر ما يكون
الجواب . فان حضر الجواب بالعفو لنا ، أو تعيين
أماكن لنا .. لانخالف ذلك ، ولا تعدى الأوامر
السلطانية ، بشرط أن ترسلوا لنا فرمان الذى
يأتى بعينه نطلع عليه .

فأجيبوا الى ذلك كله ، ورجع أحمد آغا بالجواب
صبيحة ذلك اليوم ، صحبة عبد الله جاويش ،
وشهر حوالة والشيخ بدوى من طرف المشايخ .

وحصر فى أثر ذلك مراكب غلال ، وانفصلت
الأسعار ، وتواجدت الغلال بالرقع ، وكثرت يعد
انقشاعها .

ثم وصلت الأخبار بأن القبليين شرعوا فى
عمل جسر على البحر ، من مراكب مرصوصة
ممتدة من البر الشرقى الى البر الغربى ،
وثبتوه وسمروه بسامير ورباطات ، وثقلوه
بمراس وأحجار مراكوزة بقرار البحر ،
وأظهروا أن ذلك لأجل التعدية . ورجعت المراكب ،

١٩ منه (١٨ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

عمل الباشا ديوانا جمع فيه الأمراء والمشايخ
والاختيارية والقاضى ، فتكلم الباشا ، وقال :
« انظروا ياناس ! هؤلاء الجماعة ما عرفنا لهم حالا ،
ولا ديناً ، ولا قاعدة ، ولا عهداً ، ولا عقداً
انا رأينا النصارى اذا تعاقسوا على شىء
لا يتقصونه ، ولا يختلون عنه بدقيقة . وهؤلاء
الجماعة كل يوم لهم صلح ونقض وتلاعب ، وأننا
أجبناهم الى ما طلبوا ، وأعطيناهم هذه الملكة
العظيمة ، وهى من ابتداء أسبوط الى منتهى النيل
شرقا وغربا . ثم انهم نكثوا ذلك ، وأرسلوا
يحتجون بحجة باردة . واذا كنت أنا معزولا ، فان
الذى يتولى بعدى لا ينقض فعلى ، ولا يطله .
ويقولون فى جوابهم : نحن عصاة وقطاع طريق ...
وحيث أقروا على أنفسهم بذلك ، وجب قتالهم
أم لا ؟ » .

فقال القاضى والمشايخ : « يجب قتالهم بمجرد
عصيانهم وخروجهم عن طاعة السلطان » .
فقال : « اذا كان الأمر كذلك ، فانى أكتب لهم
مكاتبة ، وأقول لهم : اما أن ترجعوا وتستقروا على
ما وقع عليه الصلح ، واما أن أجهز لكم عساكر ،
وأنتقم عليهم من أموالكم ، ولا أحد يعارضنى فيما
أفعله ... والا تركت لكم بلدتكم وسافرت منها ،
ولو من غير أمر الدولة ! » .

فقالوا جميعا : « نحن لا نخالف الأمر » .
فقال : « أضع القبض على نسائهم وأولادهم
ودورهم وأسكن نساءهم وحريمهم فى الوكائل ،
وأبيع تملقاتهم وبلادهم وما تملكه نساؤهم ، واجمع
ذلك جميعه ، وأنفقه على العسكر . وان لم يكف
ذلك ... تمته من مالى » .
فقالوا : « سمعنا وأطعنا » .
وكتبوا مكاتبة خطابا لهم بذلك ، وختم عليها
الباشا والأمراء وأرسلوها .

وصحبتها العسكر المحاربون ، واسماعيل باشا
الارنؤودى ، وعثمان بيك الحسنى ، والقليونية
وغيرهم ، وأشيع تقرير الصلح وصحته .

١٠ منه (٩ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

أخبر بعض الناس قاضى العسكر ، أن بمدفن
السلطان الفورى ، بداخل خزانة فى القبة ، آثارا
للنبي صلى الله عليه وسلم : وهى قطعة من قميصه ،
وقطعة عضا ، وميل . فأحضر مباشر الوقف ، وطلب
منه احضار تلك الآثار ، وعمل لها صندوقا ووضعها
فى داخل بقعة ، وضمخها بالطيب ، ووضعها على
كرسى ، ورفعها على رأس بعض الأتباع ، وركب
القاضى ، والنائب ، وصحبه بعض المتعممين مشاة
بين يديه ، يجهرون بالصلاة على النبي صلى الله
عليه وسلم ، حتى وصلوا بها الى المدفن ووضعوها
فى داخل الصندوق ، ورفعوها فى مكانها بالخزانة .

١٧ منه (١٦ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر شهر حوالة ، وعبد الله جاويش ، وأخبروا
بأنهم لما وصلوا الى الجماعة ، تركوهم ستة أيام
حتى ، تمسوا شغل الجسر ، وعدوا عليه الى البر
الغريب ، ثم طلبوهم ... فعدوا اليهم ، وتكلموا
معهم ، وقالوا لهم :

« ان عابدى باشا قرر معنا الصلح على هذه
الصورة ، وتكفل لنا بكامل الأمور . ولكن بلغنا فى
هذه الأيام أنه معزول من الولاية ... وكيف يكون
معزولا ونعقد معه صلحا ؟ ... هذا لا يكون الا اذا
حضر اليه مقرر ، أو تولى غيره يكون الكلام
معه » .

وكتبوا اليه جوابات بذلك ، ورجع بها الجماعة
المرسلون ، وأشيع عدم التمام ... فاضطربت
الأمور ، وارتفعت اللالال ثانيا ، وغلا سعرها ،
وشح الخبز من الأسواق .

٢٣ منه (٢٢ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

نزل الأغا ونادى فى الأسواق بأن كل من كان عنده ودعة للأمراء القبلين يردها لأربابها ، فانه ظهر بعد ثلاثة أيام عند أحد شئ استحق العقوبة . وكل ذلك تدير اسماعيل بيك .

٢٥ منه (٢٤ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر هجان وباش سراجين ابراهيم بيك ، وآخر أن الجماعة عزموا على الارتحال والرجوع وفك الجسر ... فعمل الباشا ديوانا فى صحتها ، وذكروا المراسلة ... وضمن الباشا غائلتهم ، وضمن المشايخ غائلة اسماعيل بيك وكتبوا مصرا بذلك وختموا عليه ، وأرسلوه صحبة مصطفى كتحدا باش اختبار عزبان ... وتحقق رفع الحر ، وورود بعض المراكب ، وانحلت الأسعار قليلا .

ربيع الآخر

فى مستهله (٣٠ ديسمبر ١٧٨٨ م) :

حضر شيخ السادات الى بيته الذى عمره بحوار المشهد الحسينى ، وشرع فى عمل المولد ، واعتنى بذلك . ونادوا على الناس بفتح الحوانيت بالليل ، ووقود القناديل من باب زويلة الى بين القصرين . وأحدثوا سيارات وأشابر ومواكب ، وأحمال قناديل ومشاعل وطبولا وزمورا ... واستمر ذلك خمسة عشر يوما وليلة .

٤ منه (٢ يناير ١٧٨٩ م) :

حضر عابدى باشا استدعاء الشيخ له ، فتعدى بيت الشيخ ، وصلى الجمعة بالمسجد ، وخلع على الشيخ وعلى الخطيب . ثم ركب الى قصر العيني .

وفيه : وصل طبرى من الديار الرومية وعلى يده مرسومات ، فعملوا فى صباحها ديوانا بقصر العيني ، وقرئت المرسومات ، فكان مضمون أحدها :

تقريرا لعابدى باشا على ولاية مصر ، والثانى : الأمر والحث على حرب الأمراء القبلين ، وابعادهم من القطر المصرى . والثالث : بطلب الأفرنجى المرهون الى الديار الرومية .

فلما قرئ ذلك ، عمل عابدى باشا شنكا ومدافع من القصر والمراكب والقلعة ، وانكشف بال اسماعيل كتحدا ، بعد أن حضر اليه المبشر بالمنصب ، وأظهر البشر والعظمة ، وأنفذ المبشرين ابلا الى الأعيان ، ولم يصبر الى طلوع النهار ، حتى أنه أرسل الى محمد أفندى البكرى المبشر فى خامس ساعة من الليل ، وأعطاه مائة دينار ، وحضر اليه الأمراء والعلماء فى صباحها للتهنئة . وثبت ذلك عند الخاص والعام . وقتل عابدى باشا عزاله وحرمه الى القلعة .

١٢ منه (١٠ يناير ١٧٨٩ م) :

رجع مصطفى كتحدا من ناحية قبلى ، ويده جوابات ، وأخبر أن ابراهيم بيك الكبير ترفع الى قبلى ، وصحبته ابراهيم بيك الوالى ، وسليمان بيك الأغا ، وأيوب بيك . وملخص الجوابات : أنهم طالبون من حد المنيا .

١٤ منه (١٢ يناير ١٧٨٩ م) :

عمل الباشا ديوانا حضرة المشايخ والأمراء ، فلم يحصل سوى سفر الأفرنجى .

فى اواخره (اواخر يناير ١٧٨٩ م) :

حضر سراج باشا ابراهيم بيك ، ويده جوابات ، يطلبون من حد منفلوط فأجيبوا الى ذلك ، وكتبت لهم جوابات بذلك ، وسافر السراج المذكور .

جمادى الأولى

غوته (٢٨ يناير ١٧٨٩ م) :

قلدوا غيطاس بيك اماره الحج .

في ٣ منه (٣٠ يناير ١٧٨٩ م) :

وصل ططريون من البر على طريق دميساط بمكاتبات ، مضمونها : ولاية اسماعيل كتحدا حسن باشا على مصر ، وأخبروا أن حسن باشا دخل الى اسلامبول في ربيع الأول ، ونقض ما أبرمه وكيل عابدي باشا ، وألبس قابجي كتحدا اسماعيل المذكور بحكم نيابته عنه قفطان المنصب ثالث ربيع الآخر .

وتعين قابجي الولاية ، وخرج من اسلامبول بعد خروج الططر يومين . وحضر الططر في مدة ثلاثة وعشرين يوما فلما وصل الططر ، سر اسماعيل كتحدا سرورا عظيما ، وأنفذ المبشرين الى بيوت الأعوان .

وفه : ورد الخبر بانتقال الأمراء القبليين الى المنيا ، وسافر رضوان بيك الى المنوفة ، وقاسم بيك الى الشرقية ، وعلى بيك الحسنى الى الغربية .

٢٠ منه (١٦ فبراير ١٧٨٩ م) :

جمع اسماعيل بيك الأمراء والوجاقلة ، وقال لهم : يا اخواننا ، ان حسن باشا أرسل بطلب منى ناقي الحلوان فمن كان عنده بقية فليحضر بها ويدفعها فأحضروا حسن افندى شقبون ، افندى الديوان ، وحسبوا الذي طرف اسماعيل بيك وجماعته ، فبلغ ثلثمائة وخمسين كبا . وطلع على لرف حسن بيك وأتباعه نحو أربعمئة كيس ، وعلى طرف على الدفتردار مائة وستين كبا .

وكانوا أرسلوا الى على بيك ، فلم يأت . فقال لهم حسن بيك : « أى شئ هذا العجب ؟ ! الأغراض بلاد على بيك فارسكور ، وبرميال وسرس الليانة حلوانهم قليل ! » .

وزاد اللفظ والكلام ، فقام من بينهم اسماعيل بيك ونزل وركب الى جزيرة الذهب .. وكذلك

حسن بيك خرج الى قبة العزب ، وعلى بيك ذهب الى قصر الجلفى بالشيخ قمر .. وأصبح على بيك فركب الى الباشا ، ثم رجع الى بيته .

ثم ان على بيك قال : لابد من تحرير حسابي ، وما تعاطيته وما صرفته من أيام حسن باشا الى وقتنا ، وما صرفته على أمير الحج تلك السنة .

وادعى أمير الحج - الذى هو محمد بيك المبدولى - ببواق ، ووقع على الجداوى . فاجتمعوا بيت رضوان كتحدا - تابع المجنون - وحضر حسن ، كتحدا على بيك ، وكيلا عن مخدومه ، ومصطفى أغا الوكيل وكلا عن اسماعيل بيك . وحرروا الحساب .. فطلع على طرف على بيك ثلاثة وعشرون كيسا ، وطلع له ببواق في البلاد نيف وأربعون كيسا .

جمادى الآخرة

في مسهله (٢٧ فبراير ١٧٨٩ م) :

حضر فرمان من الدولة بنفى أربعة أغوات ، وهم : عريف أغا ، وعلى أغا ، وادريس أغا ، واسماعيل أغا ... فحقق لذلك جوهر - أغا دار السعادة - وشرع في كتابة مراقبة .

١٠ منه (٨ مارس ١٧٨٩ م) :

وصل فرمان لاسماعيل كتحدا وخوط فيه بلفظ الوزارة ..

١١ منه (٩ مارس ١٧٨٩ م) :

عمل اسماعيل باشا المذكور ديوانا في بيته بالأزبكية . وحضر الأمراء والمشايخ ، وقرأوا المكاتبه . وفيها الأمر بحساب عابدي باشا .

وبعد انقضاء الديوان ، أمر الروزنامجي والأفندية بالذهاب الى عابدي باشا ، وتحرير حساب الستة أشهر ، من أول توت الى برمهات ،

لأنها مدة اسماعيل باشا ، وما أخذوه زيادة عن عوائده . وأخذ منه الضربخانة ، وسلمها الى خازن داره ، وقطعوا راتبه من المذبح .

وفي عصرتها : أرسل الى الوجاقلية والاختارية . فلما حضروا قال لهم اسماعيل باشا : بلغنى ألكم جميعتم ثمانمائة كيس ، فما صنعتهم بها ؟ فقالوا : دفعناها الى عابدى باشا ، وصرفها على العسكر . فقال : لاى شئ ؟ قالوا : لقتل العدو . قال : والعدو قتل ؟ قالوا : لا . قال : حيثئذ اذا احتاج الحال ، ورجع العدو ، اطلب منكم كذلك قدرها ا قالوا : ومن أين لنا ذلك ؟ قال : اذن اطلبوها منه ، واحفظوها عندكم فى باب مستحفظان لوقت الاحتياج ا

وفيه : تواترت الأخبار باستقرار ابراهيم بيك بمنفلوط ، وبنى له بها دارا ، وصحبه أبوب بيك . وأما مراد بيك وبقية الصناجق ، فانهم ترفعوا الى فوق .

١٢ منه (١٠ مارس ١٧٨٩ م) :

حضر حسن كتنخدا الجربان من الروم . وكان اسماعيل بيك أرسل يتشفع فى حضوره بسعاية محمد أغا البارودى ، وعلى أنه لم يكن من هذه القبيلة ، لأنه ملوك حسن بيك أبى كرش ، وحسن بيك ملوك سليمان أغا كتنخدا الجاويشية . ولما حضر اخبر أن الأمراء الرهائن أرسلوهم الى شنق قلعة منفين بسبب مكاتبات وردت من الأمراء القبالي الى بعض متكلمى الدولة — مثل القزلار ، وخلافه — بالسعى لهم فى طلب العفو .

فلما حضر حسن باشا ، وبلغه ذلك ، تفاهم واسقط رواتبهم . وكانوا فى منزلة واعزاز ، ولهم رواتب وجمكية : لكل شخص خمسمائة قرش فى الشهر .

فى ٢٠ منه (١٨ مارس ١٧٨٩ م) :

تحرر حساب عابدى باشا ، فطلع لاسماعيل باشا نحو ستمائة كيس ، فتجاوز له عن نصفها ، ودفع له ثلاثمائة كيس ، وطلع عليه لطرف الميرى نحوها ، أخذوا بها عليه وثيقة ، وسامحه الأمراء من حسابهم معه ، وهادوه وأكرموه ، وقدموا له تقادم ، وأخذ فى أسباب الارتحال والسفر ، وبرز خيامه الى بركة الحج .

فى اواخره (اواخر مارس ١٧٨٩ م) :

ورد الخبر مع الساعة بوصول الأطواخ لاسماعيل باشا ، واليرى والداقم الى نجر الاسكندرية .

رجب

الاثنين ٣ منه (٣٠ مارس ١٧٨٩ م) :

سافر عابدى باشا من البر على طريق الشام الى ديار بكر ، ليجمع العساكر الى قتال الموسقو ، وذهب من مصر بأموال عظيمة ، وسافر صحبته اسماعيل باشا الأرثوودى ، وأبقى اسماعيل باشا من عسكر القليونية والأرثوودية من اختارهم لخدمته ، وأضافهم اليه .

الاثنين ١٠ منه (٦ ابريل ١٧٨٩ م) :

وصلت الأطواخ والداقم الى الباشا ، فابتهج لذلك ، وأمر بعمل شنك وحراقة ببركة الأزيكية . وحضر الأمراء الى هناك ، ونصوا صواري وتعاليق ، وعملوا حراقة ووقدة ليلتين .

الجمعة ١٤ منه (١٠ ابريل ١٧٨٩ م) :

ركب الباشا وذهب الى مقابر الامام الشافعى . فزاره ، ورجع الى قبة العزب خارج باب النصر . ونودى فى ليلتها على الموكب .

السبت ١٥ منه (١١ ابريل ١٧٨٩ م) :

فى صبحه خرج الأمراء والوجاقلية والعساكر

الخميس ٢٧ منه (٢٣ ابريل ١٧٨٩ م) :

ورد مرسوم من الدولة ، فعمل الباشا الديوان في ذلك اليوم ، وقرأوه . وفيه :

الأمر بقراءة صحيح البخارى بالأزهر ، والدعاء بالنصر للسلطان على الموسقو ، فانهم تغلبوا ، واستولوا على قلاع ، ومدن عظيمة من مدن المسلمين ، وكذلك يدعون له بعد الاذان في كل وقت . وأمر الباشا بتقرير عشرة من المشايخ من المذاهب الثلاثة بقرأون البخارى في كل يوم . ورتب لهم في كل يوم مائتين نصف فضة ، لكل مدرس عشرون نصفاً من الضربخانة ، ووعدهم بتقريرها لهم على الدوام بفرمان .

وفيه : شرع الباشا في تبييض حيطان الجامع الأزهر بالنورة والمغرة .

الأحد ٣٠ منه (٢٦ ابريل ١٧٨٩ م) :

حضر الشيخ العروسي والمشايع ، وجلسوا في القبلة القديمة جلوساً عاماً ، وقرأوا أجزاء من البخارى ، واستداموا على ذلك بقية الجمعة . وقرر اسماعيل بيك أيضاً عشرة من الفقهاء كذلك بقرأون أيضاً البخارى نظير العشرة الأولى . وحضر الصناع وشرعوا في البياض والدهان وجلاء الأعمدة ، وبطل ذلك الترتيب .

شعان

في ٢ منه (٢٨ ابريل ١٧٨٩ م) :

نودى بإبطال التعامل بالزيوف المغشوشة ، والذهب الناقص ، وان الصيارفة يتخذون لهم مقصات يقطعون بها الدراهم الفضة المنحسة وكذلك الذهب المغشوش الخارج . واذا كان الدينار ينقص ثلاثة قرايط ، يكون بطالاً ، ولا يتعامل به ، وانما يباع لليهود الموردين بسعر

الرومية والمصرية ، واجتمع الناس للفرجة . وانتظم الموكب أمامه ، وركب بالشعار القديم ، وعلى رأسه الطلخان والقفطان الأطلس ، وأمامه السعاة والجاويشية والملازمون وخلفه النوبة التركية . وركب أمامه جميع الأمراء بالشعار والبيلاشانات بزيئهم ونظامهم القديم المعتاد ، وشق القاهرة في موكب عظيم .

ولما طلع الى القلعة ضرب له المدافع من الأبراج . وكان ذلك اليوم متراكم الغيوم ، وسح المطر من وقت ركوبه الى وقت جلوسه بالقلعة ... حتى ابتلت ملابسه وملابس الأمراء والعسكر وحوائجهم ، وهم مستبشرون بذلك .

وكان ذلك اليوم خامس برمودة القبطى .

الثلاثاء ١٨ منه (١٤ ابريل ١٧٨٩ م) :

عمل الديوان . وطلع الأمراء والمشايع ، وطلع الجهم الكثير من الفقهاء ، ظانين وطماعين في الخلع . فلما قرئ التقرير في الديوان الداخل ، خلع على الشيخ العروسي والشيخ البكرى والشيخ الحريرى والشيخ الأمير ، والأمراء الكبار فقط .

ثم ان اسماعيل بيك التفت الى المشايخ الحاضرين وقال : « تفضلوا يا أسيادنا ، حصلت البركة » ، فقاموا وخرجوا .

الخميس ٢٠ منه (١٦ ابريل ١٧٨٩ م) :

أمر الباشا المحتسب بعمل تسعيرة ، وتنقيص الأسعار ، فنقصوا سعر اللحم نصف فضة ، وجعلوا الضانى : بستة أنصاف ، والجاموسى بخمسة ، فشح وجوده بالأسواق ، وصاروا يبيعونه خفية بالزيادة ، ونزل سعر الغلة الى ثلاثة ريال ونصف الأردب ، بعد تسعة ونصف .

ومواشيهم ثم تداركوا أمرهم ، وصالحوه بسعى
الوسائط بدراهم ، ودفعوها ، ورجعوا الى وطنهم ،
ولكن بعد خرابها ، وهدمها .

وفيه : أرسل الباشا سلحداره بخطاب للأمراء
القبالي يطلب منه الغلال والمال الميرى حكم الاتفاق .

رضان

في ٤ منه (٢٩ مايو ١٧٨٩ م) :

وصل الى مصر أغا معين بإجراء السكة والخطبة
باسم السلطان سليم شاه ، فعمل الباشا ديوانا ،
وقرأ المرسوم الوارد بذلك ، بحضرة الجمع .
والسبب في تأخيره لهذا الوقت : الاهتمام بأمر
السفر ، واشتغاله رجال الدولة بال عزل ، والتولية .

وورد الخبر أيضا بعزل حسن باشا من رئاسة
البحر الى رئاسة البر ، وتقلد الصدارة ، وتولى
عوضه قبطان باشا حسين الجردلى ، وأخبروا
أيضا بقتل بستجى باشا .

وفي أوائله : فتحوا ميرى سنة خمسة (أى سنة
١٢٠٥ هـ) مقدم معجلة .

اواخره (النصف الثانى من يونية ١٧٨٩ م) :

حضر عثمان كتحدا عزبان من الديار الرومية ،
ويده أوامر ، وفيها : الحث على محاربة الأمراء
القبالي ، والخطاب للوجاقية ، وباقى الأمراء بأن
يكونوا مع اسماعيل بيك بالمساعدة ، والاذن لهم
بصرف ما يلزم صرفه من الخزينة ، مع تسهيل
الخزينة للدولة .

شخال

١٠ منه (٤ يوليو ١٧٨٩ م) :

وصل طبرى ، وعلى يده أوامر منها : حسن
عيار الحاملة من الذهب ، والفضة ، وأن يكرر

المصاغ الى دار الضرب ، ليعاد جديدا ، فلم يمثل
الناس لهذا الأمر ، ولم يوافقوا عليه ، واستمروا
على التعامل بذلك فى المبيعات وغيرها ، لأن غالب
الذهب على هذا النقص وأكثر ، واذا يسمع على
سعر المصاغ ، خسروا فيه قريبا من النصف ، فلم
يسهل بهم ذلك ، ومشوا على ما هم عليه مصطلحون
فيما بينهم

وفي أوائله أيضا : تواترت الأخبار بموت
السلطان عبد الحميد فى الحادى عشر من رجب ،
وجلوس ابن أخيه السلطان مصطفى مكانه ، وهو
السلطان سليم خان ، وعمره نحو الثلاثين سنة .
وورد فى اثر الاشاعة ، صحة التجار والمسافرين ،
دراهم وعليها اسمه وطرته ، ودعى له فى الخطبة
أول جمعة فى شعبان المذكور .

الثلاثاء ٩ منه (٥ مايو ١٧٨٩ م) :

حضر على بيك الدفتردار من ناحية دجوة .
وسبب ذهابه اليها أن أولاد حبيب قتلوا عبدا
لعلى بيك بمسبة عفيف ، بسبب حادثة هناك . وكان
ذلك العبد موصوفا بالشجاعة والفروسية ، فعز
ذلك على على بيك فأخذ فرمانا من الباشا بركوبه
على أولاد حبيب ، وتحرب بلدهم ، ونزل اليهم
وصحبته باكير بيك ، ومحمد بيك المبدول . وعندما
علم الحبايية بذلك ، وزعوا متاعهم ، وارتحلوا
من البلد ، وذهبوا الى الجزيرة .

فلما وصل على بيك ومن معه الى دجوة ، لم
يجدوا أحدا ، ووجدوا دورهم خالية ، فأمرؤا
بهدمها ، فهدموا مجالسهم ، ومقاعدهم ، وأوقدوا
فيها النار ، وعملوا فردة على أهل البلد ، وما حولها
من البلاد ، وطلبوا منهم كلنا وحق طرق ،
وتفحصوا على ودائعهم ، وأمااتهم ، وغلالهم فى
جيرة البلاد ، مثل : طحلة وغيرها ، فأخذوها ،
وأحاطوا بزرعهم ، وما وجدوه بالنواحي من بهائمهم

عابسة ... فيشأغلهم ويلطفهم ، ويلين خواطرهم
بالأكرام ، فلا يزدادون الا قسوة وفظاظة . فيعدهم
على وقت آخر ، فيسمعون قبيح القول ، ويشتطون
في أجرة طريقهم .

وربما لم يجدوا صاحب الدار أو يكون مسافرا :
فيدخلون الدار — وليس فيها الا النساء —
ويحصل منهم ما لا خير فيه من الهجوم عليهن .
وربما نططن من الحيطان ، أو هربن الى بيوت
الجيران !

وسافر رضوان بك — قرابة على بك الكبير
— الى المنوفية ، وأنزل بها كل بلية ، وعسف
بالقرى عسفا غنيفا قبيحا ... بأخذ البلص
والتساويف ، وطلب الكلف الخارجة عن المعقول ...
الى أن وصل الى رشيد . ثم رجع الى مولد السيد
البدوي بطندتا ، ثم عاد . وفي كل مرة من مروره
يستأنف العسف والجور .

وكذلك قاسم بك بالشرقية ، وعلى بك الحسنى
بالغربية .

وقلد اسماعيل بك مصطفى كاشف ، المرباط
بقلمة طرا . فعسف بالمسافرين الداهين والآيين الى
جهة قبلى : فلا تمر عليه سفينة ، صاعدة أو منحدرة
الا طلبها اليه ، وأمر باخراج ما فيها ، وتفتيشها
بحجة أخذهم الاحتياجات للأمراء القبلين من
التياب وغيرها ، أو ارسالهم أشياء أو دراهم
ليوتهم . فان وجد في السفينة شيئا من ذلك ، نهب
ما فيها من مال المسافرين والمتسبين ، وأخذ عن
آخره ، وقبض عليهم وعلى الرئيس ، وجسهم ،
ونكل بهم ، ولا يطلقهم الا بمصلحة ! وان لم يجد
شيئا فيه شبهة ، أخذ من السفينة ما اختاره ،
وحجزهم فلا يطلقهم الا بمال يأخذهم منهم !

وتحقق الناس فعله ، فصانعوه ابتداء .. تقية
لشره ، وحفظا لالمهم ومتاعهم . فكان الذى يريد

عيار الذهب المصرى تسعة عشر قيراطا ، ويصرف
بمائة وعشرين نصفا ، بنقص أربعة أنصاف عن
الواقع فى الصرف بين الناس . والاسلامبولى بمائة
وأربعين ، وبنقص عشرة . والفندقلى بمائتين ،
بنقص خمسة . والريال الفسرانية بمائة ، بنقص
خمس أيضا . والمغربى بخمسة وتسعين ، بنقص
خمس أيضا ، وهو المعروف بأبى مدفع . والبندقى
بمائتين وعشرة ، بنقص خمسة عشر .
فتزل الأغا والوالى ، ونادى بذلك ، فحضر الناس
حصة من أموالهم .

فى غايته (٢٣ يوليه ١٧٨٩ م) :

خرج أمير الحج غيطاس بك بالمحمل وركب
الحجاج .

ذوالقعدة

منتصفه (٧ أغسطس ١٧٨٩ م) :

أوى النيل المبارك أذرع الوفاء ، ونزل الباشا
الى فم الخليج . وكسر السد بحضرته على العادة .

واقضى هذا العام بحوادثه .

وحصل فى هذه السنة الازدلاف ، وتداخل العام
الهلالى فى الخراجى .. ففتحوا طلب المال الخراجى
القابل قبل أوانه ، لضرورة الاحتياج ، وضيق
الوارد بتعطيل الجهة القبلية ، واستيلاء الأمراء
الخارجين عليها .

ووجه اسماعيل بك الطلب من أول السنة بياقى
الطلوان الذى قرره حسن باشا ، ثم المال الشتوى ،
ثم الصيفى . وفى أثناء ذلك ، المطالبة بالفرد المتوالية
المقررة على البلاد من الملتزمين . ووجه على الناس
قباح الرسل ، والمعنين من السراجين والدلاة ،
وعسكر القليونية ... فيدهمون الانسان ،
ويدخلون عليه فى بيته — مثل التجريدة — الخمسة
والعشرة بأيديهم البنادق والأسلحة ، بوجوه

كلهما من الذهب البندقى الكسر ١ والرأس
والرسمات كلها من الحرير المصنوع بالمخيش ،
وسلوك الذهب وشمارىخ المرجان والزمرد ، وجميع
الشراب من القصب المخيش ١ وبها تعاليق المرجان
والمعادن ... صناعة يدعية ، وكلفة ثمينة ... أقاموا
فى صناعة ذلك عدة أيام بيت محمد أغا البارودى ١

واشتري كثيرا من الأواني والقصور الصينى
الأسكى معدن ، وملاها بأنواع الشرابات المصنوع
من السكر المكرر : كشراب البنفسج ، والورد ،
والحمض ، والصندل المطيب بالمسك ، والعنبر وماء
الورد ، والمربيات الهندية : مثل مربى القرقل ،
وجوز بوا ، والبساسة ، والزنجبيل والكابلى .
وأرسل ذلك مع الخزينة بالبحر ، صحبة عثمان
كتخدا عزبان ، ومعها عدة خيول من الجياد ،
وأقمشة هندية ، وعود وعنبر ، وطرائف ، وأرز
وبن ، وأفوايه ، وماء الورد المكرر ، وغير ذلك ١

ولم يتفق لأحد ، فيما تقدم من أمراء مصر ، أن
أرسل مثل ذلك ، ولم نسمع به ، ولم نره فى تاريخ ..
فان نهاية ما رأينا أن الأثرية يضعونها فى ظروف
من الفخار التى قيمة الطرف منها خمسة أنصاف
أو عشرة ... حتى الذى يصنعه شربلى باشا ، الذى
يأتى من اسلامبول لحصوص السلطان . وأما هذه
فأقل ما فيها يساوى مائة دينار ... وأكثر من ذلك ١

ومات فى هذه السنة العلامة الماهر الحسوب ،
الفلكى أبو الاتقان ، الشيخ مصطفى ... الخياط
صناعة .

أدرك الطبقة الأولى من أرباب الفن — مثل
رضوان أفندى ، ويوسف الكلاجرى ، والشيخ
محمد النشلى ، والكرتلى ، والشيخ رمضان
الحوانكى ، والشيخ محمد الغمرى ، والشيخ الوالد
حسن الجبرتى — وأخذ عنهم ، وتلقى منهم ، ومهر فى

اللمع الى قبلى ، بتجارة أو متاع ، يذهب اليه
بعض الوسائط ، ويصالحه بما يطيب به خاطره ،
ويبر سلام ، فلا يتعرض له .

وكذلك الواصلون من قبلى : يأتون طائعين الى
تحت القلعة ، ويطلع اليه الرئيس والمسافرون ،
فيصالحونه .

وعلم الناس هذه القاعدة ، واتبعوها ، وارتاحوا
عليها فى الجملة ، واستعوضوا الخسارة من غلو
الائمان . وكذلك فعل نساء سائر الأمراء القبلين ،
وهادينه ، وأرشوه عن ارسالهن الى أزواجهن من
الملابس والأمتعة سرا ... حتى كن فى الآخر يرسلن
اليه ما يرمن ارساله ، وهو يرسله بمعرفة ١ وتأتى
أجوبتهم على يده الى بيوتهن خفية . واتخذ له يدا
وجميلا ، وطوقهم منته بذلك .

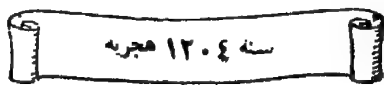
وشاع فى بلاد الأرثود ورجال الروملى ، رغبة
اسماعيل بيك فى العساكر .. فوفدوا عليه بأشكالهم
المختلفة ، وطلباعهم المنحرفة ، وعدم أديانهم ،
وانعكاس أوضاعهم . فأسكن منهم طائفة بالجيزة ،
وطائفة ببولاق ، وطائفة بصرقا القديسة . وأجرى عليهم
التفقات والعلوفات . وجلب له الياسرجية المماليك ،
فاشتري منهم عدة وافرة — وأكثرهم عسزق
ومشنبون ، وأجناس غير معهودة — واستعملهم من
أول وهلة فى القروسية ، ولم يدربهم فى آداب ولا معرفة
دين ولا كتاب ... كل ذلك حرصا على مقاومة
الأعداء ، وتكثير الجيش . وتابع ارسال الهدايا
والأموال والتحف الى الدولة ، وأحضر السروجية
والصواغ والعقادين ، فصنعوا ستة سروج للسلطان
وأولاده — وذلك قبل موت السلطان عبد الحميد
— على طريقة وضع سروج المصريين بعبايات
مزركشة . وهى مع السرج والقصة والقربوس
مرصعة بالجواهر والبروق والذهب ١ والركابات ،
واللجامات ، والبلامات . والشمارىخ ، واللاسلس ..

وقام له الأستاذ بأوده ومصرفه ولوازم عياله مدة اشتغاله بذلك ، وأجازه على ذلك اجازة سنية ... أخبرنى من لفظه أنه أقام يصرف من فضل ذلك أشهرا بعد تمام المطلوب .

وله مؤلفات وتحريرات نافعة في هذا الفن ، منها « جداول حل عقود مقومات القمر بطريق الدر اليتيم » لابن المجدى — وهو عبارة عن تسهيل ماصنفه العلامة رضوان أفندى في كتابه « أسنى المواهب » في عشرة كراريس — جمع فيه تعديل الحاصة المعدلة بالمركز للوسط ، فيجمع مع الوسط في سطر ، وفي الأصل يجمع في سطرين . ولا يخفى ما فيه من سهولة العمل ... يعلم ذلك من له دربة بالفن .

ولم يزل مشتغلا بالنفع والحساب والافادة — مع اشتغاله بصناعة الخياطة وتفصيل الثياب — وهو جالس في زاوية المكان يكتب ويمارس مع الطلبة ... والصناع بوسط المكان يفصلون الثياب ويحيطونها ، ويباشرهم أيضا فيما يلزم مباشرة ، الى أن توفى في هذه السنة في بيته جهة الرملة وقد جاوز التسعين (١) .

ومات سلطان الزمان ، السلطان عبد الحميد بن أحمد خان . وتولى بعده ابن أخيه السلطان سليم ابن مصطفى ، وفقه الله تعالى آمين



المحترم

فيه : وصلت الأخبار بأن الموسقو أغاروا على عدة قلاع وممالك اسلامية منها جهات الأوزى ،

(١) ان شعبا يجعد فيه « خياط » من الدوافع ما يدفعه الى الجمع بين مهنته والاشتغال بالمعلم — في غياهب هذا الفساد المستشري — لهم فمبى حى لن يموت ...

الحساب والتقويم وحل الأزياج والتحاويل ، والحل والتركيب ، وتحاويل السنين ، وتداخل التواريخ الخمسة ، واستخراج بعضها من بعض ، وتوابعها وكبائسها وبسائطها ومواسمها ، ودلائل الأحكام والمناظرات ، ومظنات الكسوف والحسوف ، واستخراج أوقاتها وساعاتها ودقائقها ... مع الضبط والتحرير ، وصحة الحدس وعدم الخطأ . وأقر له أشياخه ومعاصروه بالافتقار والمعرفة ، وانفرد بعد أشياخه ، ووفد عليه طلاب الفن وتلقوا عنه وأنجبوا — وأجلهم عصرنا وشحننا العلامة المتقن الشيخ عثمان بن سالم الوردانى ، أطال الله بقاءه ونفع به .

ولازم المترجم المرحوم الوالد مدة مديدة ، وتلقى عنه ، وحج معه في سنة ١١٥٣ ، وسعته يقول عنه : « الشيخ مصطفى فريد عصره في الحسابات ، والشيخ محمد النشلى في الرسيمات ، وحسن أفندى قطة مسكين في دلائل الأحكام » .

وكان في كل عام يستخرج دستور السنة من مقومات السيارة ، ومواقع التواريخ ، وتوافيع القبط ، والمواسم والأهلة ، وبعرّب السنة الشمسية لنفع العامة ، ونقل منها سخا كثيرة يتناولها الخاص والعام يعلمون منها الأهلة وأوائل الشهور العربية والقبطية والرومية والعبرانية ، والتوابع والمواسم ، وتحاويل البروج ، وغير ذلك .

والتمس منه الأستاذ سيدى أبو الأمداد أحمد ابن وفا تحريك الكواكب الثابتة لغاية سنة ١١٨٠ فأجابه الى ذلك ، واشتغل به أشهرا حتى أتم حساب أطوالها وعروضها وجهاتها ، ودرجات مرها ، ومطالع غروبها وشروقها وتوسطها ، وأبعادها ومواضعها بأفق عرض مصر ... بغاية التحقيق والتدقيق ، على أصول الرصد الجديد السمرقندى .

بمقتضى ما يأتى به من المرسومات ، ولا نخالف
أمر السلطان .

جمادى الأولى

فى هذا الشهر : وردت أخبار بعزل وزير
الدولة ، وشيخ الاسلام ، وأغات اليكجرية
ونقيهم ، وأن حسن باشا تولى الصدارة وهو
بالسفر ، وأنه محصور بمكان يقال له اسماعيل ،
لأن الموسقو أغاروا على ماوراء اسماعيل ، وأخذوا
مابعده من البلاد ، ثم انه هادن الموسقو ، وصالحهم
على خمسة أشهر الى خروج الشتاء . وأن السلطان
أحضر الأمراء المصرية الرهائن المنفيين بقلعة
« ليميا » ، وهم : عبد الرحمن بيك اليراهيمى ،
وعثمان بيك المرادى ، وسليمان كاشف . وأما
حسين بيك فانه مات بلبيا .

ولما حضروا أنزلوهم فى قناقات ، وعين لهم
رواتب ، ويحضرهم السلطان فى بعض الأحيان
الى المبدان ، ويعملوا رماحة بالخيل ، وهو ينظر
اليهم ، ويعجبه ذلك ، ويعطيهم انعاما !

وورد الخبر أيضا ، أن صالح أغا وصل الى
اسلامبول ، فصالح على الأمراء القبلى ، وتم
الأمر بواسطة نعمان أفندى منجم باشا ، ومحمود
بيك ، وأرسلوا بالأوراق الى حسن باشا ، فحق
لذلك ، ولم يمضه ، وانحرف على نعمان أفندى ،
ومحمود بيك ، وأمر بعزلها من مناصبها ، ونقيهما
واخراجهما من دار السلطنة ، فنفى نعمان أفندى
الى أماسيه ، ومحمود بيك الى جهة قريبة من
اسلامبول ، وشاطط طيخهم ، وسافر صالح أغا من
اسلامبول .

شعبان

فيه : ورد الخبر بموت حسن باشا . وكان موته
فى منتصف رجب وكأنه مات مقهورا من الموسقو .

وكانت تغل على اسلامبول كالصعيد على مصر ،
وأن اسلامبول واقع بها غلاء عظيم .

اواخره (النصف الثانى من اكتوبر ١٧٨٩ م) :

حضر واحد أغا ، وييده مرسومات بسبب
الأمراء القبليين ، بأنهم ان كانوا تعدوا الجهات
التي صالحوا عليها حسن باشا ، ولم يدفعوا المال ،
ولا الغلال ، فلزم من محاربتهم ، ومقاتلتهم . وان
لم يمتثلوا ، يخرجوا اليهم ويقاتلوهم ، فان السلطان
أقسم بالله أنه يزيل الفريقين ، ولا يقبل عذرهم
فى التأخير .

فقرأوا تلك المرسومات فى الديوان ، ثم أرسلوها
مع مكاتبات صحبة واحد مصرلى ، وآخر من طرف
الأغا القادم بها ، وآخر من طرف الباشا .

ربيع الآخر

فى اوائله (حوالى منتصف نوفمبر ١٧٨٩ م) :

رجع الرسل بجوابات من الأمراء القبليين ،
ملخصها : أنهم لم يتعدوا ما حددوه مع حسن
باشا ، الا بأوامر من عابدى باشا ، فانه حدد لنا
من منفلوط . ثم ان اسماعيل بيك بنى حاجزا ،
وقلاعا ، وأسوارا بطرا ، وذلك دليل وقربة على
أن ماوراء ذلك يكون لنا ، وأنه اختص بالأقاليم
البحرية ، وترك لنا الأقاليم القبلية ، ولا مزية
للأمراء الكائنين بمصر علينا ، فانه يجمعنا وياهم
أصل واحد ، وجنس واحد ، وان كنا ظلمة فهم
أظلم منا !

وأما الغلال والمال ، فإننا أرسلنا لهم جانب
غلال ، فلم ترجع المراكب التي أرسلناها ثانيا .
فيرسلوا لنا مراكب ، ونحن نعييها ونرسلها .
وذكروا أيضا أنهم أرسلوا صالح أغا كخدا
الجاوشية سابقا الى اسلامبول ، ونحن فى انتظار
رجوعه بالجواب ، فعند رجوعه يكون العمل

رمضان

١٢ منه (٢٦ مايو ١٧٩٠ م) :

حصلت زلزلة لطيفة في سادس ساعة من الليل .
وفيه أيضا : وصل ثلاثة اشخاص من الديار
الرومية ، فأخذوا ودائع كانت لحسن باشا بمصر ،
فتسلموها ممن كانت تحت أيديهم ، ورجعوا .

شذال

الجمعة ١٢ منه (٢٦ يونيه ١٧٩٠ م) :

قبل الفجر احترق بيت اسماعيل بيك عن آخره .

٢٥ منه (٨ يوليو ١٧٩٠ م) :

عزل حسن كتحدا المحتسب من الحسبة ،
وقلدوها رضوان أغا محرم من وفاق الجاوشية ،
فأهوى حسن أغا أنه كان متكفلا بجراية الجامع
الأزهر ، فان كان المتولى تكفل بها مثله ، استمر
فيها ، والا ردوا له المنصب ، وهو يقوم بها
للمجاورين كما كان . فلما قالوا لرضوان أغا
ذاك ، لم يسمع الا القيام بذلك ... وهى دسيئة
شيطانية ، لا أصل لها . فان أخياز الجامع الأزهر
لها جهات بعضها معطل ، والنظر عليه على بيك
الدقتر دار ، وحسن أغا كتحدها يصل ويقطع من
أى جهة أراد من الميرى أو من خلافه . قدس هذه
الدسيئة يريد بها تعجيز المتولى ليرجع اليه
المنصب . ومعلوم أن المتولى لم يتقلد ذلك الا
برشوة دفعها ، وبلزم من نزوله عنها ضياع غرامته ،
وجرسته بين أقرانه . فما وسعه الا القيام بذلك ،
وفردها على مظالم الحسبة التى يأخذها من السوق ،
وبدفعها للجاز ب صنع بها خبزا للمجاورين ،
والمنقطمين فى طلب العلم ليكون قوتهم وطعامهم
من الظلم ، والسحت المكرر ، وذلك نحو خمسة
آلاف نصف فضة فى كل يوم . واشتهر ذلك وعلمه .

العلماء والمجاورون وغيرهم . وربنا طالبوه
بالتنكر ، أو اعتذروا بقولهم « الضرورات تبيح
المحظورات ا » .

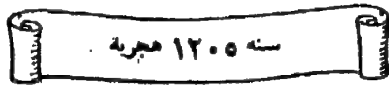
ذو الحجة

السبت ٣ منه (١٤ اغسطس ١٧٩٠ م) :

أوفى النيل أذرعه ، وكسر السد بحضرة الباشا
والأمراء على العبادة ، وجرى الماء فى الخليج .
وفيه : وقعت واقعة بين عسكر القليونجية
والأرتوودية بسوق السلاح ، وقتل بينهم جماعة
من الفريقين ، ثم تحزبوا أحزابا ، فكان كل من
واجه حزبا من الطائفة الأخرى ، أو اتفرد ببعض
منها .. قتلوه ، ووقع بينهم ما لا خير فيه . وداخل
الناس الخوف من ذلك ، فيكون الانسان مارا
بالطريق ، فلا يشعر الا وكثرة وطائفة مقبلة
وبأيديهم البنادق والرصاص ، وهم قاصدون طائفة
من أخصامهم بلغهم أنهم فى طريق من الطرق .
واستمر هذا الأمر بينهم نحو خمسة أيام ، ثم
أدرك القضية اسماعيل بيك وصالحهم .

فى اواخره (اوائل سبتمبر ١٧٩٠ م) :

حضر جماعة من الأرتوود الى بيت محمد أغا
البارودى ، وقبضوا منه مبلغ دراهم من علوفتهم ،
ونزلوا من عند الخليج المرخم ، وازدحموا فى
المركب ، فانقلبت بهم ، وغرق منهم نحو ستة
أنفار ، وقيل تسعة ، وطلع من طلع فى أسوأ حال .



المحترم

١١ منه (٢٠ سبتمبر ١٧٩٠ م) :

ورد أغا وعلى يده تقرير لاسماعيل باشا على
السنة الجديدة ، فعملوا له موكبا ، وطلع الى

القلعة ، وقرى المتمر بحضرة الجمع ، وضربوا له مدافع .

وفيه : قبض اسماعيل بيك على المعلم يوسف كساب معلم الدواوين ، وأمر بتفريقه في بحر النيل .

وفيه : نفوا صالح أغا ، أغات الأرثوود . قيل ان السبب في ذلك أنه تواطأ مع الأمراء القبالي بواسطة المعلم يوسف المذكور ، على أنه يملكهم المراكب الرومية ، والقلاع التي بناحية طرا ، والجيزة ، وعملوا له مبلغا من المال التزم به الذمى يوسف ، وكتب على نفسه تمسكا بذلك .

وفيه : كثر تمدي أحمد أغا الوالى على أهل الحسينية ، وتكرر قبضه واذاؤه لأناس منهم بالحبس والضرب . وأخذ المال ، بل ونهب بعض البيوت .

الجمعة ٢٢ منه (١ أكتوبر ١٧٩٠ م) :

أرسل أحمد أغا الوالى أعوانه بطلب أحمد سالم الجزار شيخ طائفة البيومية ، وله كلمة وصوله بتلك الدائرة ، وأرادوا القبض عليه . فثارت طوائفه على أتباع الوالى ، ومنعوه منهم ، وتحركت حيثهم عند ذلك ، وتجمعوا وانضم اليهم جمع كثير من أهل تلك النواحي وغيرها ، وأغلقوا الأسواق ، والدكاكين ، وحضروا الى الجامع الأزهر ، ومعهم طبول ، وقفلوا أبواب الجامع ، وصعدوا على المنارات ، وهم يصرخون ، ويصيحون ، ويضربون على الطبول ، وأبطلوا الدروس فقال لهم الشيخ العروسي :

« أنا أذهب الى اسماعيل بيك في هذا الوقت ، وأكلمه في عزل الوالى » . وتخلص منهم بذلك ، وذهب الى اسماعيل بيك ، فاعتذر بأن الوالى ليس من جماعته ، بل هو من جماعة حسن بيك

الجدوى ، وأمر بعض أتباعه بالذهاب اليه ، واختاره بجمع الناس والمشايخ وطلبهم عزل الوالى ، فلم يرض بذلك . وقال :

« ان كان أنا أعزل الوالى تأبى ، يعزل هو الآخر الأغا تابعه ، ويعزل رضوان كتحدا المجنون من المقاطعة ، ويرفع مصطفى كاتنف من طرا ، ويطرد عكر القلونية ، والأرثوود ! » وترددت بينهم الرسل بذلك .

ثم ركب حسن بيك وخرج الى ناحية العادلية مثل المنقضب ، وصار أحمد أغا الوالى يركب بجماعة كثيرة ، ويشق من المدينة ليغيب العامة ، وكذلك تجمع من العامة خلائق كثيرة ، ووقع بينه وبينهم بعض مناوشات في مروره ، وانجرح بينهم جماعة ، وقتل شخصان . ثم ركب المشايخ وذهبوا الى بيت محمد أفندي البكرى ، وحضر هناك اسماعيل بيك ، وطيب خاطرهم ، والتزم لهم يعزل الوالى . ومر الوالى في ذلك الوقت على بيت الشيخ البكرى ، وكثير من العامة مجتمع هناك ، ففرع فيهم بالسيف ، وفرق جمعهم ، وسار من بينهم ، وذهب في طريقه ، ثم زاد الحال ، وكثرت غوغاء الناس ، ومشوا طوائف يأمرؤن بغلق الدكاكين .

سفر

الثلاثاء ٢ منه (١٢ أكتوبر ١٧٩٠ م) :

اجتمع بالأزهر الكثير منهم واستمرت القضية ، ثم طلع اسماعيل بيك ، والأمراء الى القلعة ، واصطلحوا على عزل الوالى والأغا ، وجعلوا صنجقين ، وقلدوا خلافتهم الأغا من طرف اسماعيل بيك ، والوالى من طرف حسن بيك .

ونزل الوالى الجديد من الديوان الى الأزهر ، وقابل المشايخ الحاضرين واسترضاهم ، ثم ركب

الى بيته ، وانقض الجمع . وكأنها طلعت بأيديهم ..
والدى كان راكب حمار ، ركب فرسا !

ه منه (١٤ أكتوبر سنة ١٧٩٠ م) :

غيبت السماء غيما مطبقا ، وسحت أمطار غزيرة
كأفواه القرب ، مع رعد شديد الصوت ، ويرق
متتابع متصل قوى اللمعان يخطف بالابصار ،
مستديم الاشتعال .. كل ذلك والأمطار نازلة حتى
سقطت الدور القديمة على الناس ، ونزلت السيول
من الجبل ، حتى ملأت الصحراء ، وخارج باب
النصر ، وهدمت التراب ، وخسفت القبور .
وصادف ذلك اليوم دخول الحجاج الى المدينة ،
فحصل لهم غداة المشقة ، وأخذ السيل صيوان أمير
الحج بما فيه ، وانحدر به من الحصوة الى بركة
الحج ، وكذلك خيام الأمراء وغيرهم . وسالت
السيول من باب النصر ، ودخلت البلد ، وامتلات
الوكائل بالمياه ، وكذلك جامع الحاكم ، وقتلت
أناس في حواصل الخانات ، وصار خارج باب
النصر بركة عظيمة متلاطمة الأمواج ، وانهدم من
دور الحسينية أكثر من النصف . وكان أمرا مهولا
جدا ...

وفيه : حصل أيضا كائنة عبد الوهاب افندى
بشناق الواعظ . وذلك انه مات رجل من البشناقة
من أهل بلده — وكان قد جعله وصيا على تركته —
فاستولى عليها ، واستأصلها . وكان للرجل المتوفى
تركة بناحية الاسكندرية . فسافر المذكور الى
الاسكندرية وحاز باقى التركة أيضا ، ورجع الى
مصر . وحضر الوارث وطالبه بتركة مورثه ، فأظهر
له شيئا لزرا ، فذهب الوارث الى القاضى ، فدعاه
القاضى وكلمه فى ذلك .

فقال له : « أنا وصى مختار ، وأنا مصدق ،
وليس عندى خلاف ماسلمته له » .

فقال له القاضى : « انه يدعى عليه بكذا وكذا ،
وعنده اثبات ذلك » .

وطال بينهما الكلام ، وتطاول على القاضى ،
واستجمله فطلع القاضى الى الباشا وشكا له ،
فأمر باحضاره ... فحضر فى جمع الديوان ، وناقشوه
فلم يتزلزل عن عناده الى أن نسب الكل الى
الانحراف عن الحق .

فحقق الباشا منه ، وأمر برفعه من المجلس .
فقبضوا عليه ، وجروه وضربوه ، ورموا بتاجه
الى الأرض ، وحسوه فى مكان .

وصادف أيضا ورود مكتوب من ناحية المدينة
من مفتيها كان أرسله المذكور اليه لاسب من
الأسباب ، وذكر فيه الباشا بقوله « التعيس
الحربى » ، وكذلك الأمراء بنحو ذلك ، فأرسله
المفتى ، وأعاده على يد بعض الناس الى اسماعيل
بيك ، حقدًا منه عليه لكرهه خفية بينهما سابقة ،
وأوصله اسماعيل بيك أيضا الى الباشا ... فازداد
غیظا ، وأرعد وأبرق ، وأحضر بشناق افندى من
محبسه وقت القائلة ، وأراه ذلك المكتوب ...
فسقط فى يده واعتذر . فطمه على وجهه وتنف
لحيته ، وأراد أن يضربه بخنجره فشغف فيه أكابر
أتباعه ، ثم أخذوه وسجنوه . وأمر بمحاسنه عنى
ما أخذ من التركة — فحوسب وطولب ، وبقي
بالجس حتى وفى ما طلع عليه . وشغف فيه على بينك
الدقتردار وخلصه من الترسيم .

اواخره (اوائل نوفمبر ١٧٩٠ م) :

قلدوا أحمد بيك الوالى كشوفية الدقهلية ،
وعثمان بيك الحسنى الغربية وشاهين بيك شرقية
بليبس ، وعلى بيك جركس المنوفية ، وصار جماعة
أحمد بيك وأتباعه عند سفرهم يتخطفون دواب
الناس من الأسواق ، وخيول الطواحين . ولما

سرحوا في البلاد حصل منهم ما لا خير فيه من ظلم
الفلاحين ، مما هو معلوم من أفعالهم .. !

ربيع الأول

نوفمبر ١٧٩٠ م

فيه : كمل بناء بيت اسماعيل بيك وبياضه ،
وأتمه على هيئة متقنة وترتيب في الوضع ، وقفل
اليه قطع الأعمدة العظام التي كانت ملقاة في مكان
الجامع الناصري الذي عند فم الخليج ، وجعلها
في جدرانه ، وبني به مقعدا عظيما متسعا ، ليس
له مثيل في مقاعد بيوت الأمراء في ضخامته ،
وعظمه ، وهو في جهة البركة ، وغرس بجانبه
بستانا عظيما ، وظن ان الوقت قد صفا له ..

جمادى الأولى

يناير ١٧٩١ م

ابتدأ أمر الطاعون ، وداخل الناس منه وهم
عظيم .

وفيه : قلدوا عبد الرحمن بيك عثمان ، وحملوه
صنحق الخزينة ، وشرعوا في تشهيله . واجتهد
اسماعيل بيك في سفر الخزينة على الهيئة القديمة ،
ولبس المناصب والسادرة وأرباب الخدم . وقد
بطل هذا الترتيب والنظام من ثيف وثلاثين سنة ،
فأراد اسماعيل بيك اعادته ليكون له بذلك منقبة
ووجاهة عند دولة بني عثمان ، فلم يرد الله بذلك
وعاجله الرجز .

وفي أواخره ، أشيع في الناس أن في ليلة السابع
والعشرين نصف الليل تحصل زلزلة عظيمة ،
وتستمر سبع ساعات . ونسبوا هذا القول الى
أخبار بعض الفلكيين من غير أصل ، واعتقده
الخاصة فضلا عن العامة ، وصموا على حصوله
من غير دليل لهم على ذلك .

فلما كانت تلك الليلة خرج غالب الناس الى
الصحراء والى الأماكن المتسعة : مثل بركة الأزيكية
والفيل وخلافهما ، ونزلوا في المراكب ، ولم يبق في
بيته الا من ثبته الله ، وباتوا ينتظرون ذلك الى
الصباح ، فلم يحصل شيء ، وأصبحوا يتضحكون
على بعضهم !

وكم ذا يمصر من المضحكات
ولكنه ضحك كالبكا

رجب

مارس ١٧٩١ م

فيه : زاد أمر الطاعون ، وقوى عمله بطول
شهرى رجب وشعبان ، وخرج عن حد
الكثرة ، ومات به ما لا يحصى من الأطفال ،
والشبان ، والجواري ، والعبيد ، والماليك ،
والأجناد ، والكشاف ، والأمراء ، ومن أمراء
الألوف الصناجق نحو اثني عشر صنقعا ، ومنهم :
اسماعيل بيك الكبير المشار اليه ، وعسكر
القليونية ، والأرتوود الكائنون ببولاك ، ومصر
القديمة ، والجيزة ... حتى كانوا يحفرون حفرا لمن
بالجيزة بالقرب من مسجد أبي هريرة ، ويلقونهم
فيها ، وكان يخرج من بيت الأمير في المشهد الواحد
الخسة ، والستة ، والعشرة وازدحموا على
الحوائث في طلب العدد ، والمفسلين ، والحمالين ،
ويقف في انتظار المغسل أو المغسلة الخمسة
والعشرة ، تتضاربون على ذلك ، ولم يبق للناس
شغل الا الموت وأسبابه ، فلا تجد الا مريضا أو
ميتا ، أو عائدا ، أو معزيا ، أو مشيعا ، أو راجعا
من صلاة حنازة ، أو دفن ، أو مشغولا في تجهيز
ميت ، أو باكيا على نفسه موهوما . ولا تبطل صلاة
الجنائز من المساجد ، والمصليات ، ولا صلى الا
على أربعة أو خمسة ، أو ثلاثة ، ونادر جدا من
يشتكى ولا يموت . ونادر أيضا ظهور الطعن .

ولم يكن يسمى، بل يكون الانسان جالسا، فيرتعش من البرد، فيدثر، فلا يفيق الا مغلطا، أو يموت من تهاؤه، أو ثاني يوم، وربما زاد، أو نقص، أو كان بخلاف ذلك .. !! واستمر الطاعون الى أوائل رمضان، ثم ارتفع ولم يقع بعد ذلك الا قليلا نادرا، ومات الأغا، والوالي في أثناء ذلك، فولوا خلافتها، فماتا بعد ثلاثة أيام، فولوا خلافتها، فماتا أيضا، واتفق أن الميراث انتقل ثلاث مرات في جمعة واحدة !

ولما مات اسماعيل بيك تنازع الرئاسة حسن بيك الجداوى، وعلى بيك الدفتردار، ثم اتفقوا على تأمير عثمان بيك طبل تابع اسماعيل بيك على مشيخة البلد، وسكن بيت سيده، وقلدوا حسن بيك قصبة رضوان أمير حجج. ثم انهم أظهروا الخوف، والتوبة، والاقلاع، وابطال الحوادث والمظالم، وزيادات المكوس، ونادوا بذلك، وقلدوا أمراء عوضا عن المتبوريين من مماليكهم.

رمضان

غرفة (٤ مايو ١٧٩١ م) :

حضر طبرى وعلى يده مرسوم بعزل اسماعيل باشا، وأن يتوجه الى المورة، وأن باشة المورة، محمد باشا الذى كان بجدة في العام الماضى، المعروف بعزت هو والى مصر. فعملوا الديوان، وقرئت المرسومات، فقال الأمراء :

« لانرضى بذهابك من بلدنا، وأنت أحسن لنا من الغريب الذى لانعرفه ». فقال :

« وكيف يكون العمل، ولا يمكن المخالفة » ، فقالوا :

« نكتب عرضحال الى الدولة، ونرجو تمام ذلك ». فقال :

« لا يتم ذلك، فان المتولى، كأنكم به وصل

الى الاسكندرية ». وعزم على النزول صبح تاريخه :

ثم انهم اتفقوا على كتابة عرضحال بسبب تركه اسماعيل بيك، خوفا من حضور معين بسبب ذلك، وعين للسفيرة الشيخ محمد الأمير .

١٥ منه (١٨ مايو ١٧٩١ م) :

نزل الباشا من القلعة الى بولاق، وقصد السفر على القور، وطلب المراكب، وأنزل بها متاعه وورقه. فلما رأوا منه العجلة، وعدم التأني، وقصدهم تأخير، الى حضور الباشا الجديد، ويحاسب على مادخل في جهته، فاجتمعوا عليه صجبة الاختيارية، وكلموه في التأني، فعارضهم، وعاندهم وصمم على السفر من الغد، فأغلظوا عليه في القول، وقالوا له :

« هذا غير مناسب، يقال ان الباشا أخذ مال مصر وهرب » ، فقال :

« وأى شيء أخذته منكم : ». قالوا له :

« لا بد من عمل حساب، فان الحساب لا كلام فيه، ولا يد من التأني، حتى نعمل الحساب » ، فقال :

« أنا أبقي عندكم الكتخدا، فحاسبوه نيابة عنى. والذى يطلع لكم في طرفي خذوه منه ». فلم يرضوا بذلك. فقال :

« أنا لا بد من سفرى، اما السوم، أو غدا » ، فقاموا من عنده على غير رضا، وأرسلوا والى، والأغا يناديان على ساحل البحر، على المراكب، بأن كل من سافر بشيء من متاع الباشا أو بأحد من أتباعه، يستاهل الذى يجرى عليه، وطردوا النواتية من المراكب، ولم يتركوا في كل مركب الا شخصا واحدا نوتيا فقط، وتركوا عند بيت الباشا جماعة حراس.

وفيه : حضر خازن دار الباشا الجديد وأخبر
بوصول مخدمه الى ثغر الاسكندرية ، ومعه خلع
القائمقامية لعثمان بيك طبل ، ومكاتبة الى الأمراء
بعدم سفر الملاقاة ، وأرباب الخدم على العسادة ،
وأخبر أنه واصل الى رشيد في البحر بالنقاير ،
فنزل لملاقاته أغات المتفرقة فقط .

١٦ منه (١٨ يونية ١٧٩١ م) :

فيه : أرسلوا ثانيا وحجروا على الباشا المعزول
ونكتوا عزاله من المراكب وحبسوا النواتية ونادوا
عليه ثانيا مرة .

وفيه : تواردت الأخبار بأن الأمراء القبالي
تحركوا الى الحضور الى مصر ، فانه لما حصل
ماحصل ، من موت اسماعيل بيك والأمراء ،
حضر مراد بيك من أسبوط الى المنيا ، وانتشر باقى
الأمراء فى المقدمة ، وعدى بعضهم الى الشرق ،
ووصلت أوائلهم الى كفر العياط . وأما ابراهيم
بيك فانه لم يزل مقيما بمنفلوط ، ومنتظرا ، تحال
الحجاج ، ثم يسير الى جهة مصر ، فأرسلوا على
بيك الجديد الى طرا عوضا عن مصطفى كاشف ،
وأرسلوا صالح بيك الى الجيزة ، وأخذوا فى
الاهتمام .

وفيه : حفر خندق من البحر الى المتارس ،
وفردوا فلاحين على البلاد للحفر ، مع اشتغالهم
بأمور الحج ، ودعواهم تقص مال الصرة ، وتعطيل
الجامكية المضافة لدفتر الحرمين ، وتوجيه المعينين
من القليونجية على الملتزمين .

الأحد ٢٤ منه (٢٦ يونية ١٧٩١ م) :

حضر السيد عمر أفندى مكرم الأسبوطى
بمكاتبة من الأمراء القبليين خطابا الى شيخ البلد
والمشايع وللباشا سرا .

وفيه : سافر اسماعيل باشا المنفصل من بولاق
بعد أن أدى ما عليه .

وفيه : حضر خازن دار الباشا الجديد وأخبر
بوصول مخدمه الى ثغر الاسكندرية ، ومعه خلع
القائمقامية لعثمان بيك طبل ، ومكاتبة الى الأمراء
بعدم سفر الملاقاة ، وأرباب الخدم على العسادة ،
وأخبر أنه واصل الى رشيد في البحر بالنقاير ،
فنزل لملاقاته أغات المتفرقة فقط .

وفيه : رفعوا مصطفى كاشف من طرا ، وعملوه
كتخد عثمان بيك ، شيخ البلد .

وفيه : أشيع بأن عبد الرحمن بيك الابراهيمى
حضر من طريق الشام ، ومر من خلف الجيسل ،
وذهب الى سيده بالسميد .

شمال

الجمعة غرته (٣ يونية ١٧٩١ م) :

حضر الباشا الجديد الى ساحل بولاق ، فعملوا
له سقالة ، وركب الأمراء ، وعدوا الى ير انبابة ،
وسلموا عليه ، وعدى صحبتهم ، وركب الى قصر
العينى .

الاثنين ٤ منه (٦ يونية ١٧٩١ م) :

فيه : أوكب (الباشا الجديد) - فى موكب
أقل من العادة بكثير - الى القلعة من ناحية
الصليية ، وضربوا له مدافع من القلعة .

وفيه : سافر الشيخ محمد الأمير بالعرض حال ،
وكانوا أخرؤا سفره الى أن وصل الباشا الجديد ،
وغيروه بعد أن عرضوا عليه الأمر ، ثم انهم عملوا
حساب الباشا المعزول ، فطلع عليه للباشا المتولى
مائتا كيس ، من ابتداء منصبه وهو ١٧ رجب ،
وللأمراء مبلغ أيضا ، فسدد ذلك : بعضه أوراق
وبعضه نقد ، وبعضه أمتعة ، وأذنوا له بالسفر ،
فشرع فى نزول متاعه بالمراكب بطول يومى الخميس
والجمعة ، وأراد أن يسافر يوم السبت . ففى تلك
الليلة ، وصل بشلى من الروم ، ويده مرسوم ،

الاثنين ٢٥ منه (٢٧ يونية ١٧٩١ م) :
خرج المحمل صحبة أمير الحج حسن بيك
قصة رضوان .

الثلاثاء ٢٦ منه (٢٨ يونية ١٧٩١ م) :

اجتمعوا بالديوان عند الباشا ، وقرئت المكاتبات
الواصلة من الأمراء القبلين ، فكان حاصلها :
« اننا في السابق طلبنا الصلح مع اخواننا ،
والصفح عن الأمور السالفة ، فأبى المرحوم اسماعيل
بيك ، ولم يطمئن لطرفنا ، وكل شيء نصيب ،
والأمور مرهونة بأوقاتها . والآن اشتقنا الى عيالنا ،
وأوطاننا ، وقد طالت علينا الغربة ، وعزمنا على
الحضور الى مصر على وجه الصلح ، ويبدنا أيضا
مرسوم من مولانا السلطان ، وصل اليها صحبة
عبد الرحمن بيك بالعفو والرضا ، والماضي لا يعاد ،
ونحن أولاد اليوم ، وأن آسيادنا المشايخ يضمنون
غائلتنا » !

فلما قرئت تلك المكاتبة ، التفت الباشا الى
المشايخ ، وقال :

« ما تقولون ؟ » . فقال الشيخ العروسي :

« ان كان التفاهم بينهم وبين أمرائنا المصرية
الموجودين الآن ، فانا نترجى عندهم . وان كان
ذلك بينهم وبين السلطان ، فالأمر لنايب مولانا
السلطان » .

ثم اتفق الرأي على كتابة جواب حاصله :

« ان الذى يطلب الصلح ، يقدم الرسالة بذلك
قبل قدومه ، وهو بمكانه . وذكرتم أنكم تائبون ،
وقد تقدم منكم هذا القول مرارا ، ولم نر له أثرا ،
فان شرط التوبة رد المظالم ، وأنتم لم تفعلوا ذلك ،
ولم ترسلوا ما عليكم من الميرى في هذه المدة .
فان كان الأمر كذلك ، فترجعوا الى أماكنكم ،
وترسلوا المال والغلال ، وترسل عرضحال الى

الدولة بالاذن لكم ، فان الأمراء الذين بمصر لم
يدخلوها بسيوفهم ، ولا بقوتهم ، وانما السلطان هو
الذى أخرجكم ، وأدخلهم . واذا حصل الرضا فلا
مانع لكم من ذلك ، فانا الجميع تحت الأمر » .
وعلم على ذلك الجواب الباشا ، والمشايخ ،
وسلموه الى السيد عمر ، وسافر به في يوم
الثلاثاء المذكور .

ثم اشتغلوا بمهمات الحج ، وادعوا قصص مال
الصرة ستين كيسا ، ففردوها على التجار ودكاكين
الغورية ، وارتحل الحج من الحصوة ، وصحبته
الركب القاسى .
وذلك في يوم السبت غايته . وبات بالبركة .
وارتحل في غرة ذى القعدة .

ذوالقعدة

غرة (٢ يولية ١٧٩١ م) :

عملوا الديوان بالقلعة ، ورسوموا بنفى من كان
مقيما بمصر من جماعة القبلين ، فنفوا : أيوب بيك
الكبير ، وحسن كتخدا الجربان الى طندتا ، وكتبوا
فرمانا بخروج الغريب ، وفرمانا آخر بالأمن والأمان ،
وأخذهما الوالى والأغا ، ونادوا بذلك في صبحها
في شوارع البلد ، ونهبوا على تعيير الدروب ،
وقتل أبواب الأطراف ، وأجلسوا عند كل مركز
حراسا .

٥ منه (٦ يولية ١٧٩١ م) :

نزل الأغا ، وأمامه المنادة بفرمان على الأجناد
والطوائف والمماليك بالخروج الى الخلا .
وفيه : وضل قاصد من الديار الرومية ، وهو
أغا معين بطلب تركة اسماعيل بيك ، وباقي الأمراء
الهالكين بالطاعون ، فأنزلوه بيت الزعفرانى .
وكررنا المنادة بالخروج الى ناحية طرا ، وكل
من تأخر بعد الظهر يستحق العقوبة .

١٨ منه (١٩ يولية ١٧٩١ م) :

أصبح الصباح ، فلم يخرج أحد من الناس ،
وأشيع أن الأمراء القبلين ، نزلوا أئقألهم فى
المراكب ، وتمنعوا الى قبلى ، ويقولون ان قصدهم
الرجوع . وبقى الأمر على السكوت بطول النهار ،
والناس فى بهتة ، والأمراء متخيلون من بعضهم
البعض ، وكل من على بيك الدفتردار ، وحسن
بيك الجداوى يسىء الظن بالآخر . ولم يخطر
بالبال مخامرة عثمان بيك طبل ، ولا الباشا ، فان
عثمان بيك تابع اسماعيل بيك الخصم الكبير ، وقد
تعين عوضه فى امارة مصر ، ومشىختها ... والباشا
لم يكن من الفرقين .

فلما كان الليل تحول الباشا والأمراء ، وخرجوا
الى ناحية العادلية ، وأخرجوا شركلك صحبتهم ،
وجملة مدافع ، وعملوا متاريس ، فما فرغوا من
عمل ذلك الا ضحوة النهار من يوم الجمعة ، وهم
واقفون على الخيول ، فلم يشعروا الا والأمراء
القبالى ، نازلون من الجبل بخيولهم ، ورجالهم ،
لكنهم فى غاية من الجهد والمشقة . فلما نزلوا
وجدوا الجماعة ، والمتاريس أمامهم ، فتشاور
المصريون مع بعضهم فى الهجوم عليهم ، فلم يوافق
عثمان بيك على ذلك ، وثبطهم عن الاقدام ،
ورجعوا جميع الحملة الى مصر ، ووقفوا على
جرائد الخيل ، فتمنع القبليون وتباعدوا عنهم ،
ونزلوا عند سبيل علام يأخذون لهم راحة حتى
يتكاملوا .

فلما تكاملوا ، ونصبوا خيامهم ، واستراحوا
الى العصر ، ركب مصطفى كاشف — صهر حسن
كتخدا على بيك ، وهو من مماليك محمد بيك
الألفى — وصحبته نحو خمسة مماليك ، وذهب
الى سيده ، ثم ركب محمد بيك المبدول أيضا
بأتباعه وذهب الى ابراهيم بيك ، ثم ركب قاسم
بيك بأتباعه وذهب الى مراد بيك ، لأنه فى الأصل

وفى تلك الليلة — وقت المغرب — طلع الأمراء
الى الباشا ، وأشاروا عليه بالنزول والتوجه الى
ناحية طرا ، فنزل فى صباحها وخرج الى ناحية طرا
كما أشاروا عليه .

وكذلك خرج الأمراء ، وطاف الأغا والوالى
بالشوارع وهما يناديان على الألفاشات المنتسبين
الى الوجاقات بالصعود الى القلعة ، والباقي بالخروج
الى متاريس الجيزة .

وطلع الأوده باشا والاختيارية ، وجلسوا فى
الأبواب .

٧ منه (٨ يولية ١٧٩١ م) :

أشيع أن الأمراء القبلين يريدون التخريم من
وراء الجبل الى جهة العادلية ، فخرج أحمد بيك ،
وصالح بيك تابع رضوان بيك الى جهة العادلية ،
وأقاموا هناك للمحافظة بتلك الجهة ، وأرسلوا
أيضا الى عرب العائد فحضرُوا أيضا هناك .

وفيه : وصل القبلون الى حلوان ، ونصموا
وطاقهم هناك ، وأخذ المصريون حذرهم من خلف
متاريس طرا .

٩ منه (١٠ يولية ١٧٩١ م) :

توجه المشايخ الى ناحية طرا ، وسلموا على
الباشا ، والأمراء ، ورجعوا ، وذلك بإشارة الأمراء
ليشاع عند الأخصام أن الرعية والمشايخ معهم .
وبقى الأمر على ذلك الى يوم الثلاثاء التالى .

١٧ منه (١٨ يولية ١٧٩١ م) :

نزل الأغا والوالى ، وأمامهم المنادة على الرعية ،
والعامة الكافة بالخروج فى صبح الخميس صجة
المشايخ ولا يتأخر أحد . وحضر الشيخ العروسى
الى بيت الشيخ البكرى ، وعملوا هناك جمعية ،
وخرج الأغا من هناك ينادى فى الناس ، ووقع
الهرج والمرج !

باسلامبول ، وقاسم بيك الموسقو ، وكشافهم ،
وأغواتهم .

وأما مراد بيك فانه دخل من على طريق الصحراء ،
ونزل على الرميلا ، وصحبته عثمان بيك الاسماعيلى ،
شيخ البلد ، وأمراؤه ، وهم : محمد بيك الألفى ،
وعثمان بيك الطنبرجى — الذى كان باسلامبول
أيضا — وكشافهم ، وأغواتهم .

واستمر انجرارهم الى بعد الظهر خلاف من
كان متأخرا ، أو منقطعا ، فلم يتم دخولهم الا فى
ثانى يوم .

وأما مصطفى آغا الوكيل ، فانه التحا الى الباشا ،
وكذلك مصطفى كاشف طرا ... فأخذها الباشا
صحبه ، وطلعا الى القلعة ، ودخل الأمراء الى
بيوتهم ، وباتوا بها ، ونسوا الذى جرى .

وأكثر البيوت كان بها الأمراء المهالكون
بالطاعون ، وبقي بها سائهم ، ومات غالب نساء
الغائبين ، فلما رجعوا وجدوها عامرة بالحريم ،
والجوارى ، والخدم ، فتزوجوهن ، وجددوا
فراشهم ، وعملوا أعراسهم . ومن لم يكن له بيت ،
دخل ما أحب من البيوت ، وأخذ بهما فيه من غير
مانع ، وجلس فى مجالس الرجال ، وانتظر تمام
العدة ان كان بقى منها شئ ... وأورثهم الله أرضهم
ودنارهم وأموالهم وأزواجهم !

وفيه : ركب سليم آغا وفادى على طائفة
القلونجية والأرتوود والشوام بالسفر ، ولا يتأخر
منهم أحد وكل من وجد بعد ثلاثة أيام استحق
ما نزل به

ثم ان المالك صاروا كل من صادفوه منهم ،
أو رأوه أهانوه ، وأخذوا سلاحه .. فاجتمع منهم
طائفة وذهبوا الى الباشا فأرسل معهم شخصا من
الدلاة أنزلهم الى بولاق فى المراكب . وصار أولاد
البلد والصغار يسخرون بهم ، ويصفرون عليهم
بطول الطريق .

من أتباعه ، ثم ركب مصطفى كاشف الغزاوى —
وهو أخو عثمان بيك طبل شيخ البلد — وذهب
أيضا اليهم ، واستوثق لأخيه . فكتب له ابراهيم
بيك بالحضور ، فلم يتمكن من الحضور الا بعد
العشاء الأخيرة ، حتى انقرد عن حسن بيك ،
وعلى بيك

فلما فعل ذلك وفارقهما سقط فى أيدهما ،
وغشى على على بيك ، ثم أفاق . وركب مع حسن
بيك وصناجقه وهم : عثمان بيك ، وشاهين بيك ،
وسليم بيك المعروف بالدرجى الذى تأمر عوضا
عن على بيك الحبشى ، ومحمد بيك كشكش ،
وصالح بيك الذى تأمر عوضا عن رضوان بيك
العلوى ، وعلى بيك الذى تأمر عوضا
عن سليم بيك الاسماعيلى — وذهب الجميع من
خلف القلعة على طريق طرا ، وذهبوا الى قبلى ،
حيث كانت أخصامهم — فسبحان مقلب الأحوال !

ولما حضر عثمان بيك ، وقابل ابراهيم بيك ،
أرسله مع ولده مرزوق بيك الى مراد بيك ، فقابله
أيضا ، ثم حضرت اليهم الوجاقلية والاختيارية ،
وقابلوهم ، وسلموا عليهم .

٢١ منه (٢٢ يولية ١٧٩١ م) :

شرع أتباعهم فى دخول مصر بطول الليل .

ولما طلع النهار ، دخلت أتباعهم بالحملات ،
والجمال شئ كثيرا جدا ، ثم دخل ابراهيم بيك ،
وشق المدينة ، ومعه صناجقه ومماليكه — وأكثرهم
لابسون الدروع — ثم دخل بعده سليمان بيك ،
والأغا ، وأخوه ابراهيم بيك الوالى ، ثم عثمان
بيك الشرقاوى ، وأحمد بيك الكلارجى ، وأيوب
بيك الدفتردار ، ومصطفى بيك الكبير ، وعلى آغا ،
وسليم آغا ، وقائد آغا ، وعثمان بيك الأشقر
الابراهيمى ، وعبد الرحمن بيك الذى كان

وسكن مراد بيك بيت اسمايل بيك - وكأنه
كان ينيه من أجله !

٢٢ منه (٢٣ يولية ١٧٩١ م) :

طاف الأغاوهويناى على القلونية والارنود .

٢٦ منه (٢٧ يولية ١٧٩١ م) :

صعد الأمراء الى القلعة ، وقابلوا الباشا -
وكانوا لم يروه ولم يرههم قبل ذلك اليوم - فخلع
عليهم الخلع ، ونزلوا من عنده ، وشرعوا فى تجهيز
تجريدة الى الهارين ، لأنهم حجزوا ما وجدوه من
مراكبهم ، وأمتعتهم . وكتب الباشا عرضحال فى
ليلة دخولهم ، وأرسله صحة واحد طبرى الى
الدولة بحقيقة الحال ، وعينوا للتجريدة ابراهيم
بيك الوالى ، وعثمان بيك المردى متقلدا امارة
الصعيد ، وعثمان بيك الأشقر . وأحضر مراد بيك
حسن كتحدا على بيك بأمان ، وقابله ، وقيده
بتشهيل التجريدة ، وعمل بالقسماط ، ومصروف
البيت من اللحم والخبز والسمن وغير ذلك ، ووجه
عليه المطالبحتى صرف ما جمعه وخواه ، وباع متاعه
وأملأكه ورهنها ، واستدان . ولم يزل حتى مات
بقهره ، وقلدوا على أنما مستحفظان سابقا ، وجعلوه
كتخدا الجاوشية .

ذوالحجة

٢١ منه (٢١ اغسطس ١٧٩١ م : ١٧ مصرى ١٥٠٧ ق) :

أوفى النيل أذرعه ، ونزل الباشا الى قصر السد ، وحضر
القاضى والأمراء ، وكسر السد بحضرتهم ، وعملوا
الشنك المعتاد ، وجرى الماء فى الخليج ، ثم توقفت
الزيادة ، ولم يزد بعد الوفاء الا شيئا قليلا ، ثم
نقص واستمر يزيد قليلا ، وينقص الى الصليب ،
فضجت الناس ، وتشحطت الغلال ، وزاد سعرها ،
وانكبوا على الشراء ، ولاحت لوائح الغلاء .
وفيه : شرع الأمراء فى التعدى على أخذ البلاد

من أربابها من الوجاقلية وغيرهم ، وأخذوا بلاد
أمير الحج .

وفيه : صالح الباشا الأمراء على مصطفى أغا
الوكيل ، وأخلوا له داره ، وقد كان سكن بها
عثمان بيك الأشقر ، فأخلأها له ابراهيم بيك ،
ونزل من القلعة اليها ، ولازم ابراهيم بيك
ملازمة كلية

وكذلك مصطفى كاشف الذى كان بطرا لازم
مراد بيك واختص به ، وصار جليسه ونديه .

ومات فى هذه السنة شيخنا ، علم الأعلام ،
والساحر اللالع بالأفهام ، الذى جاب فى اللغة
والحديث كل فج ، وخاض من العلم كل لج ..
الشيخ أبو الفيض السيد محمد بن محمد بن محمد
ابن عبد الرازق ، الشهير بمرتضى الحسينى
الزبيدى الحنفى .

ولد سنة ١١٤٥ (١٧٣٣ م) ، ونشأ بيلاده ،
وارتحل فى طلب العلم ، وحج مرارا . واجتمع
بكثير من الشيوخ والعلماء .. وقرأ على الشيخ
عبد الرحمن العيدروس مختصر السعد ، ولازمه
ملازمة كلية ، وألبسه الحرقة ، وأجازوه بمروياته
ومسموعاته .

قال : وهو الذى شوقنى الى دخول مصر : بما
وصفه لى من علمائها وأمرائها وأدبائها وما فيها
من المشاهد الكرام .. فاشتقت نفسى لرؤياها ،
وحضرت مع الركب ، وكان الذى كان ..

ورد الى مصر فى تاسع صفر سنة ١١٦٧ (١٧٥٢ م)
وسكن بخان الصاغة ، وحضر على كثير من
مشايخها ، وتلقى عنهم ، وأجازوه ، وشهدوا بعلمه
وفضله وجودة حفظه .

واعتنى بشأنه اسمايل كتحدا عزبان ، ووالاه
ببره حتى راج أمره ، وتروثق حاله ، واشتهر ذكره
عند الخاص والعام ، ولبس الملابس الفاخرة ،

وركب الخبول المسومة . وسافر الى الصعيد ثلاث مرات ، واجتمع بأكابره وأعيانه وعلمائه .

وكذلك ارجل الى الجهات البحرية — مثل دمياط ورشيد والمنصورة وباقي البنادر العظيمة — مرارا ، حين كانت مزينة بأهلها ، عامرة بأكابرها . وأكرمه الجميع . واجتمع بأكابر النواحي وأرباب العلم والسلوك ، وتلقى عنهم ، وأجازوه وأجازهم . وصنف عدة رحلات في انتقالاته في البلاد القبلية والبحرية تحتوى على لطائف ومحاورات ومدائح — نظما ونثرا — لو جمعت لكانت مجلدا ضخما .

وشرع في شرح القاموس (١) حتى أتمه في عدة سنين في نحو أربعة عشر مجلدا ، وسماه « تاج العروس » .

ولما أكمله أولم وليمة حافلة ، جمع فيها طلاب العلم وأشياخ الوقت ، بغيط المعدية ، وذلك في سنة ١١٨١ (١٧٦٧ م) ، وأطلعهم عليه ، واغبطوا به ، وشهدوا بفضل وسعة اطلاعه ورسوخه في علم اللغة ، وكتبوا عليه تقاريرهم نثرا ونظما . وكتب للمرحوم الوالد — بسأله الاجازة والتقريب — بقوله :

أمولاي ، بحر العلم ، يامن سنأؤه
فوق صياء الشمس في الشرق والغرب
ويا وراث النعمان فتحها وحكمة
وزهدا له قد شاع في البعد والقرب
عبيدكم الظمان قد جاء يرتعبي
« ملاحظة » منها يفوز قضا الأرب
ويسأل في هذا الكتاب اجازة
بتقريبه ، حتى يفوق على الكتب
حباك اله العرش منه كرامة
وعيشا هنيئا في أمان بلا كيرب

(١) هو معجم « القاموس المحيط » للفيروزآبادي . وهو من أهم مراجع اللغة العربية . و « تاج العروس » في شرح القاموس للزبيدي ... له أكبر نصيب من اسمه .

ولما أنشأ محمد بيك أبو الذهب جامعه المعروف به بالقرب من الأزهر ، وعمل فيه خزانة للكتب ، واشترى جملة من الكتب ووضعها بها .. أنهموا اليه « شرح القاموس » هذا ، وعرفوه أنه اذا وضع بالخزانة كمل نظامها ، وانفردت بذلك دون غيرها . ورغبوه في ذلك فطلبه . وعرضه عنه مائة ألف درهم فضا ، ووضعها فيها .

وقد رغب الناس في معاشرته لكونه غريبا ، وعلى غير صورة العلماء المصريين وشكلهم ، ويعرف باللغة التركية والفارسية — بل وبعض لسان الكرج — فانجذبت قلوبهم اليه ، وتناقلوا خبره وحديثه ..

.. ودعاه كثير من الأعيان الى بيوتهم ، وعملوا من أجله ولائم فاخرة . فيذهب اليهم — مع خواص الطلبة والمقرء والمستملى وكاتب الأسماء — فيقرأ لهم شيئا من الأجزاء الحديثة .. بحضور الجماعة وصاحب المنزل وأصحابه وأحبابه وأولاده — وبناته ونسأؤه من خلف الستائر — وبين أيديهم مجامر البخور بالعنبر والعود مدة القراءة ، ثم يخمون ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، على النسق المعتاد .

ويكتب الكاتب أسماء الحاضرين والسامعين — حتى النساء والصبيان والبنات — واليوم والتاريخ ، ويكتب الشيخ تحت ذلك : « صحيح ذلك » .

وهذه كانت طريقة المحدثين في الزمن السابق . يقول الحقير (يعنى الجبرتي نفسه) : انى كنت مشاهدا وحاضرا في غالب هذه المجالس والدروس ، ومجالس آخر خاصة بمنزله وبسكنه القديم بخان الصاغة ، وبمنزلنا بالصناديق وببلاق ، وأماكن آخر كنا نذهب اليها للنزاهة — مثل غيط المعدية والأزبكية وغير ذلك — فكنا نشغل غالب الأوقات بسرود الأجزاء الحديثة وغيرها ، وهو كثير ، بثبوت

المسموعات على النسخ ، وفي أوراق كثيرة موجودة الى الآن .

ولما حضر محمد باشا عزت الكبير رفع شأنه عنده ، وأصعده اليه ، وخلع عليه فروة سمور ، ورتب له تعيينا من كلاره لكفايته من لحم وسمن وأرز وحطب وخبز ، ورتب له علوفة جزيلة بدفتر الحرمين والسائرة ، وغلالا من الأنبار .

وانهى الى الدولة شأنه ، فأناه مرسوم بمرتب جزيل بالضربخانة ، وقدره مائة وخمسون نصفا فضة في كل يوم .. فعظم أمره ، واتشر صيته .. وطار ذكره في الآفاق ، وكان به ملوك النواحي من الترك والحجاز والهند واليمن والشام والبصرة والعراق وملوك المغرب والسودان وفزان والجزائر والبلاد البعيدة .

وكرت عليه الوفود من كل ناحية ، وترادفت عليه منهم الهدايا والصلات والأشياء الغريبة ا

وأرسلوا اليه من أغنام فزان — وهى عجينة الخلقة ، عظيمة الجثة ، يشبه رأسها رأس العجل — وأرسلها الى أولاد السلطان عبد الحميد ، فوقع لهم موقعا ا

وكذلك أرسلوا له من طيور البيضاء والجوارى والبييد والطواشية .. فكان يرسل من طرائف الناحية ، الى الناحية المستغرب ذلك عندها .. ويأتيه في مقابلها أضعافها ا

وأناه من طرائف الهند وصنعاء اليمن وبلاد سرت وغيرها أشياء نفيسة ، وماء الكادي والمريبات والعود والعنبر والمطرشاه بالأرطال ا

وصار له عند أهل المغرب شهرة عظيمة ، ومنزلة كبيرة ، واعتقاد زائد .. وربما اعتقدوا فيه القبطانية العظمى .. حتى ان أحدهم اذا ورد الى مصر حاجا ولم يزره ولم يصله بشئ .. لا يكون حجه كاملا ا فإذا ورد عليه أحدهم سأله عن اسمه ولقبه

وبلده وخطه وصناعته وأولاده ، وحفظ ذلك أو كتبه . ويستخير من هذا عن ذاك — بلطف ورقة — فاذا ورد عليه قادم من قابل سأله عن اسمه وبلده فيقول له فلان من بلدة كذا .. فلا يخلو اما أن يكون عرفه من غيره سابقا ، أو عرف جاره . أو قريه ، فيقول له : « فلان طيب ؟ » . فيقول : « نعم سيدى » . ثم يسأله عن أخيه فلان ، وولده فلان ، وزوجته ، وابنته ، ويشير له باسم حارته وداره وما جاورها .. فيقوم ذلك المغربى ويقعد ، ويتقبل الأرض تارة ويسجد تارة ، ويعتقد أن ذلك من باب الكشف الصريح ا

فتراهم ، في أيام طلوع الحج ونزوله ، مزدحمين على باب من الصباح الى الغروب . وكل من دخل منهم قدم بين يدي نجواه شيئا : اما موزونات فضة أو تمرا أو شعرا .. على قدر فقره وغناه ا

وبعضهم يأتيه بمراسلات وصلات من أهل بلاده وعلمائها وأعيانها ، ويلتمسون منه الأجوبة : فمن ظفر منهم بقطعة ورقة — ولو بمقدار الأنملة — فكأنما ظفر بحسن الخاتمة وحفظها معه كالتياسة ، ويرى أنه قد قبل حجه .. والا فقد باء بالخيبة والندامة ، وتوجه عليه اللوم من أهل بلاده ، ودامت حسرته الى يوم ميعاده ا .. وقس على ذلك شما لم يقل ..

ولما حضر حسن باشا الى مصر ، لم يذهب اليه .. بل حضر هو لزيارته ، وخلع عليه فروة تليق بمقامه . وقدم له حصانا مرخا بسرج وعباءة ، قيمته ألف دينار ، أعده وهياه قبل ذلك .

وكانت شفاعته عنده لا ترد . وان أرسل اليه ارسالية في شئ تلقاها بالقبول والاحلال ، وقبل الورقة — قبل أن يقرأها — ووضعها على رأسه ، ونفذ ما فيها في الحال ا

ونظمه كثير ، وثره بحر غزير ، وفضله شهير ، وذكره مستطير .

وكنيت كثيرا ما أجتلى وجهه ووداده ، وأوقد نار
الفكرة بقدرح وارى زناده ، وأستظل بدوحه المريح .
وأستمد من بحره السريع ، وأسامره بما يذكرنا
عهود الرقتين ، وأنتزه من صفات فضله وذاته في
الربيعين ..

وكانت بالعراق لنا لال

سرقناهن من رب الزمان

جعلناهن تاريخ الليالي

وعنوان المسرة والأماني

وبالجملة فانه كان في جمع المعارف صدرا لكل
ناد ، حتى فوض الدهر منه رفيع العماد ، وأذنت
شمسه بالزوال ، وغربت بعد ما طلعت من مشرق
الاقبال ...

وزهرة الدنيا وان أنعت

فانها تسفى بباء الزوال

وكانت صفته : ربة نحيف البدن ، ذهبي اللون
متناسب الأعضاء ، معتدل اللحية قد وخطه الثوب
في أكثرها ، مترفها في ملبسه ، وبتمم — مثل أهل
مكة — عمامة منحرفة بشاش أبيض ، ولها عذة
مرخية على قفاه ، ولها حبكة وشرارب حرير
طولها قرب من فتر ، وطرفها الآخر داخل شئ
العمامة وبعض أطرافه ظاهر .

وكان لطيف الذات ، حسن الصفات ، بشوشا
بسوما ، وفورا محتشما ، مستحضرا للنواثر
والمناسبات ، ذكيا لودعا ، فطنا المصيا ، رؤوف
فضله نضير ، وما له في سنة الحفظ فظير .

جعل الله مثواه قصور الجنان ، وصريحه مطاف
وفود الرحمة والغفران .

ومات في هذه السنة الأمير المبجل ، والنبيه
المفضل ، على بن عبد الله ، الرومي الأصملي ،

مولي الأمير أحمد كتحدا صالح . اشتراه سيده
سفيرا ، فتربى في الحرير ..

وأقرأه القرآن وبعض متون الفقه ، وتعلم
الفروسية ورعى السهام ، وترقى حتى عمل
خازندارا عنده .

وكان بيته سوردا للأفاضل .. فكان يكرمهم
ويحترمهم ويتعلم منهم الفلم ، ثم أعنته وأنزله
حاكما في بعض ضياعه ، ثم رقاء الى أن عمله
رئيسا في باب المتفرقة ، وتوجه أميرا على طائفته
صحة الخزانة الى الأبواب السلطانية .. مع
شهادة وصرامة ، ثم عاد الى مصر .

وكان ممن يعتقد في شيخنا السيد على المقدسي ،
ويجتمع به كثيرا ، وكان له حافظه جيدة في
استخراج الفروع . وأتقن فن رمي النشاب الى
أن صار أستاذًا فيه .

وانفرد في وقته في صنعة القسي والسهام
والدهانات .. فلم يلحقه أهل عصره .

وأضر بعينه ، وعالجهما كثيرا فلم يشفه ..
فصبر واحتسب . ومع ذلك فإرد عليه أهل قننه
وبسألونه فيه ، ويستبدون على قوله .

ولقد آتاه — وهو في عذة الضرارة — رجل من
أهل الروم اسمه حسن ، فأنزله في بيته وعلمه
هذه الصنعة حتى فاق ، في زمن قليل ، أقرانه ،
وبلم له أهل عصره .. وحششد طلب منه أن
بأذن له فيها ..

واجتمع أهل الصنعة في منزله لعضور هذا
المجلس ، فأرسل الى شيخنا السيد محمد برتضي
وطلب منه شيئا يناسب المجلس ، فكتب — عن
لسانه :

« الحمد لله الذي علم الانسان ما لم يعلم ،
وهدي بفيض فضله الى الطريق الأقوم .

« والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد

النبي الأكرم ، المنصور لدين الحق بالسيف
والسنان المقوم ، وعلى آله وصحبه ما رمى
مجاهد في سبيل الله سهما وإلى الجنة فندم .
« أما بعد .. فيقول الفقير إلى الله تعالى على
ابن عبد الله -- مولى المرحوم أحمد كنفذا صالح
-- نحمد الله ذنوبه ، ونستغفر عيوبه ، ورحم من مضى
من صلته ، وجعل البركة في عقبه وخلقه ؛

« اعلموا -- اخواني في الله ورسوله -- أن كل
منفعة لها شيخ وأستاذ . وقد قالوا : « منة بلا
أستاذ ، يدر كها الفساد » . وأن منة القوس
والنشاب ، بين الأقران والأصحاب ، على سر
الأحقاب .. شريفة ، وطريقة بين السلف والخلف
متقبولة شريفة ، إذ بها تصير باب الجهاد ، وتفتح
قلاع أهل الكفر والعدا .

« وقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم في
الكتاب ، بأعداد القوة ، وفسر ذلك برسى
النشاب (١) .. حيث قال حين ذكره : « وأعدوا لهم
ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به
عدو الله وعدوكم » .

(ثم دليل السيف مرتضى في منة هذه الاجازة
وسبب ، الى أن يقول :)

(١) مضى الله تعالى في كتابه الحكيم على التتال في سبيله
ودعا بجماله صلى الله عليه وسلم الى الجهاد املاء لكلمة الحق .
ولكن الخطر ، كل الخطر ، هو أن يفسر « السيد محمد مرتضى »
هذه الآية الكريمة بأن « اعداد القوة » يقتصر على الرمي
والنشاب . . .

فالذا كان الرمي بالنشاب آخر ما انتهت اليه العقول من مظاهر
القوة في رايه ، على السدوة الاخرى من البحر الأبيض المتوسط
كان قوم يقيدون للشرق كيدا ، ويهددون له تدبرا .
وابناء الشرق يشقون بقيادة فكر « يقدمون بين ايديهم موزونات
الفضة ، وبلغمون منهم الاحوية . . . تمن ظفر منهم بقطعة ورقة
... ولو بقليل الامثلة -- فكانما ظفر بحسن الخاتمة ، وحفظها
صحة كالتيمة ! » .

ثم لا يتورع هؤلاء « الرعاة » أنفسهم من تفسير آيات الله في
القتال واحاديث رسوله في الجهاد . . . بان اداهاها في الرمي
بالنشاب ، والقرن التاسع عشر . . . قرن البخار والكهرباء . . .
سائر الابواب ، ولم يبق على حملة نابليون على مصر الا بضعة
لشوم !

« فلما رأيت هذا الاتفاق في منتهى ، والاذعان
بمحسن سرفته ، والاحكام -- مع التقه في سائر
الأوقات -- لأصول صناعته ، صدرت مني هذه
الاجازة الخاصة له بشهادة الاخوان في هذه
الصنعة الشريفة اليماني ، كما أجازني به
الشيخ الصالح الكامل الماهر البارع المرحوم
عبد الله أفندي ابن محمد البهنوي ، بحق أخذه
لذلك عن شيخه المرحوم الحاج علي الألباني ،
عن شيخه محمد الاسطنبولي ، باسناده المتصل
الى عبد الرحمن الفزاري ، والامام صاحب
الاختيار مؤلف « الايضاح » المعروف بالطبري ،
بحق أخذهما عن أئمة هذا الفن المشهورين :
ظاهر البغلي ، واسحق الرفاء ، وأبي هاشم
البوردي .. بأسيادهم المتصلة عن شيخ الى
شيخ الى أن ينتهي ذلك الى سيدنا اسماعيل
عليه الصلاة والسلام -- وحسبك من علو سنده
ينتهي الى هذا الامام !

« وأوصيه -- كما أوصي اخواني ونسبي --
المخالطة بالأدب الجميل ، وتواضع النفس ،
وحملها على مكارم الأخلاق ، وآلا يرفع نفسه
على أحد ، وآلا يحقر أحدا من خلق الله ، وأن
يجعل دأبه لزوم الصمت ، والقناعة بالقليل ، مع
المداومة على ذكر الله .. بالسكينة والوقار ، وأن
يسمى الله في أول مسكه في صنعه ، ويستبد من
الله القوة والعول ، ولا يضجر ، ولا يأس من روح
الله ، ولا يئس نفسه ولا قوسه ولا سهامه ، ولا
يحدث نفسه بالهجز .. فانه يصل الى ما وصل
اليه غيره ، فإن الرجال بالهمم .. ففي الحديث :
« المؤمن القوي أحب الى الله من المؤمن
الضعيف ، وفي كل خير » . وأن يديم النظر الى
معرفة الصيوب العارضة للنفس والسهام ، وعقد
الأوتار ، ويتساعد لذلك ، وكيفية ازالة العيب
ان حدث ، ويعرف من أي حدث ، وآلا يبيح

اليه ، وجعله أمين الشون والضربخانة وغيرهما ،
فعظم شأنه ، وارتفع قدره ، وطار صيته بالأقاليم
المضرة .

وصار الايراد اليه ، والمصرف من يده ، فيصرف
جماكي العسكر ولوازم الدولة وهداياها ،
ومصاريف العمائر والتجاريد ، واحتياجات أمير
الحج من اللوازم ، من الجمال والأرحال والقرب
والخيث والعليق والذخيرة التي تسافر في البحر
والبر ، وعوائد العرب وكساويهم ، والهجن
والبغال ، وأرباب الصيت وغير ذلك . وإذا كان
وقت خروج المحمل ، فلا يرى أمير الحج الا جميع
احتياجاته ولوازمه حاضرة مهيأة على أتم ما يكون .
وزوج ابنة سيده لخازن داره على أغا ، وعمل
لها مهما عظيما عدة أيام . وحضر اسماعيل بيك
والأمراء والأعيان ، وأرسلوا اليه الهدايا العظيمة ،
وكذلك جميع التجار والنصارى والكتاب القبط
ومشايع البلدان .

وبعد تمام أيام العرس ولياليه بالسماعات والآلات
والملاعب والتقوطة ، عملوا للعروس زفة بهيئة لم
يسبق نظيرها ، ومشي جميع أرباب الحرف وأرباب
الصنائع ، مع كل طائفة عربية ، وفيها هيئة صناعتهم
ومن يشتغل فيها مثل : القهوجى بآلته وكانونه ،
والحلوانى والفطاطرى والحباك والقزاز بنوله ..
حتى مبيض النحاس والحيطان والمعاجينى ،
وبياعين البز وأرباب الملاهى والنساء المنفانى
وغيرهم — كل طائفة فى عربة — وكان مجموعها
نيفا وسبعين حرفة ، وذلك خلاف الملاعب
والبهالوين والرقاصين والجنك . ثم الموكب وبعده
الأغوات والحريم ، والملازمون والسعاة
والجاوشية . وبعدها عربة العروس من صناعة
الافرنج ، بديعة الشكل ، وبعدها ممالك الخزنة
والملبسون الزروخ ، وبعدهم النوبة التركية
والنفيرات .

سلاح الجهاد لكافر ، ويفتش دين من يشتري
ان كان رجلا ، أو صبيا فيحتاج ذلك الى اذن والده
.. فاذا علم اسلامه ووثق فيأخذ عليه العهد ألا
يرمى به مسلما ، ولا معاهدا ولا كلبا ولا شيئا
من ذوات الأرواح .. الا أن يكون صيدا أو ما
يجب قتله .

« وألا يعلم صنعته الا لأهله الذى يثق بدينه .
فقد روى أنه لايجل منع العلم عن مستحقه ،
ويجب اعطاؤه بحقه .. سيما ان كان عارفا بقدر
العلم ، راغبا فيه ، طالبا لوجه الله تعالى .. لا
للمباهاة والمفاخرة .

« ويجب عليه أن يروض تلامذته ويؤلف بينهم ،
ويعرضهم على العمل ، ولا يعاتبهم الا فى خلوة
.. وهو — مع ذلك — لازم الهيئة ، كثير
السكوت ، متأن فى الأمور ، غير عجول للجواب .
« والتقوى أصل كل شيء ، وهى رأس مال
الانسان .

« ونختم الكلام بالحمد والثناء للرب المالك
المنان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد
ولد عدنان ، وعلى آله وصحبه الأعيان »
وكان عند المترجم كتب نفيسة فى كل فن .
رحمه الله .

ومات فى هذه السنة الأمير محمد أغا البارودى
— وهو ملوك أحمد أغا ، ملوك ابراهيم كتحدا
القازدغلى — رباه سيده وجعله خازن داره ، وعقد
له على ابنته . فلما توفى سيده ، طلقها وتزوج
بزوجة سيده — هانم بنت ابراهيم كتحدا من
الست البارودية — وهى أم أولاده .

وتقيد بخدمة اسماعيل بيك ، وتداخل معه ،
حتى نصبه فى كتحداية ، وأحبه ، واحتوى على
عقله ، فسلم له قياده فى جميع أشغاله ، وارتاح



١٢٠٦ هـ

المحرم

الأربعاء مستهل (٢١ أغسطس ١٧٩١ م) :

عينوا صالح أغا ، كئخدا الجاويشية ، الى السفر الى الديار الرومية ، وصحبته هدية ، وشربات ، وأشياء . وصالح أغا هذا هو الذى بعثوه قبل ذلك لاجراء الصلح على يد نعمان أفندى ، وعمود بيك ، وكاد أن يتم ذلك ، وأفسد ذلك حسن باشا ، ونفى نعمان أفندى بذلك السبب وذلك قبل موت حسن باشا بأربعة أيام فلما رجعوا الى مصر فى هذه المرة عينوه أيضا للارسالية السابقة ومعرفته بالأوضاع . وكان صالح أغا هذا عندما حضروا الى مصر ، سكن بيت البارودى ، وتزوج بزوجه .

٥ منه (٤ سبتمبر ١٧٩١ م) :

ركب الأمراء لوداع صالح أغا ، ونزل من مصر القديمة .

وفيه : هبط النيل ، ونزل مرة واحدة ، وذلك فى أيام الصليب ، ووقف جريان الخليج والترع وشرقت الأراضى ، فلم يرو منها الا القليل جدا ، فارتفعت الغلال من السواحل ، والرقع ، وضجت الناس ، وأيقنوا بالقط ، ويشسوا من رحمة الله . وغلا سعر الغلة من ريالين الى ستة ، وضجت الفقراء وعضوا على الحكام ، فصار الأغا يركب الى الرقع والسواحل ، ويضرب المتسبين فى الغلة ، ويسمرهم فى آذانهم ثم صار ابراهيم بيك يركب الى بولاق ، ويقف بالساحل ، وسعر الغلة بأربعة ريال الأردب ، ومنهم من الزيادة على ذلك ، فلم ينبجع .

وكذلك مراد بيك كرر الركوب ، والتعريح على عدم الزيادة ، فيظهرون الامتثال وقت مرورهم ، فاذا التفقوا عنهم ، باعوا بمرادهم ، وذلك مع كثرة ورود الغلال ، ودخول المراكب ، وغالبها للأمراء ، وينقلونها الى المخازن والبيوت .

سمانت زفة غريبة الوضع ، لم يتفق مثلها بعدها . ومات فى غرة رمضان ، وبموته ارتفع الطاعون ا وقيل :

واذا كان منتهى العمر موتا
فسواء طويله والقصير

ومات الصنو الوجيه ، والفريد النبيه ، محمد آفندى ابن سليمان أفندى ابن عبد الرحمن أفندى ابن مصطفى أفندى ككليويان (ويقال لها فى اللغة العامية جيليان) .

نشأ فى عفة وصلح وخير وطلب العلم ، وعالى الجزئيات والرياضيات ، ولازم الشيخ المرحوم الوالد (١) ، وقرا عليه كثيرا من الحسابيات والفلكيات ، والهيئة والتقويم ، ومهر فى ذلك ، واقتنم فى عداد أرباب المعارف ، واشترى كتب كثيرة فى الفن ، واستكتب وكتب بخطه الحسن ، واقتنى الآلات والمستطرفات ، وحسب وقوم الدساتير السنوية — عشرة أعوام مستقبلة — بأهلتها وتواريخها وتوابعها .

ورسم كثيرا من الآلات الغريبة والمنحرفات ، وكان شغله وحسابه فى غابة الضبط والصحة والحسن .

وكان لطيف الذات ، مهذب الأخلاق ، قليل الادعاء ، جميل الصحة وقورا .

ومات أيضا بالطاعون فى شعبان ، وتبددت كتبه والآلات .

ومات أيضا ، النبيه اللطيف ، والمفرد العفيف ، أحمد أفندى الوزان بالضربخانة . وكان انسانا حسنا ، جميل الأوضاع ، مترهف الطباع ، محتشما وقورا ، ودودا محبوبا لجميع الناس .

(١) والد الشيخ عبد الرحمن الجبرى .

صفر

اوائله (اوائل اكتوبر ١٧٩١ م) :

وصل قاصد وعلى يده مرسوم بالعفو والرضا عن الأمراء ، فعملوا الديوان عند الباشا ، وقرأوا المرسوم ، وصورة ما بنى عليه ذلك : أنه لما حضر السيد عمر أفندى بمكاتبتهم السابقة الى الباشا ، ويترجون وساطته في اجراء الصلح ، فأرسل مكاتبة في خصوص ذلك من عنده ، وذكر فيها أن من بمصر من الأمراء لاطاقة لهم بهم ، ولا يقدرّون على منهم ، ودفعهم : أنهم واصطلحون ، وداخلون على كل حال . فكان هذا المرسوم جوابا عن ذلك ، وقبول شفاعة الباشا ، والاذن لهم بالدخول بشرط التوبة والصلح بينهم ، وبين اخوانهم . فلما فرغوا من قراءة ذلك ضربوا شنكا ومدافع .

الثلاثاء ١٢ منه (١١ اكتوبر ١٧٩١ م)

حضر الشيخ الأمير الى مصر من الديار الرومية ، ومعه مرسومات خطابا للباشا ، والأمراء . فركب المشايخ ولاقوه من بولاق ، وتوجه الى بيته ، ولم يأت للسلام عليه أحد من الأمراء ، وأنعمت عليه الدولة بألف قرش ، ومرتب بالضربخانة قرش في كل يوم ، وقرأ هناك البخارى عند الآثار الشرفية بقصد النصرة !!

ربيع الأول

(نوفمبر ١٧٩١ م)

فيه : عمل المولد النبوى بالأزيكية ، وحضر مراد بيك الى هناك ، واصطلح مع محمد أفندى البكرى ، وكان منحرفا عنه بسبب وديعته التى كان أودعها عنده ، وأخذها حسن باشا .

فلما حضر الى مصر ، وضع يده على قرية كان اشترأها الأفندى من حسن جلبي بن على بيك الغزاوى ، وطلب من حسن جلبي ثمن القرية الذى

قبضه من الشيخ ، ليستوفى بذلك بعض حقه . وطال النزاع بينهما بسبب ذلك ، ثم اصطلحا على قدر قبضه مراد بيك منهما . وحضر مراد بيك الى الشيخ فى المولد ، وعمل له وليمة ، واستمر عنده حصّة من الليل ، وخلع على الشيخ قروّة سمور . وفيه : عملوا ديوانا عند الباشا ، وكتبوا عرضحال بتعطيل الميرى بسبب شراقي البلاد . وفيه : سافر محمد بيك الألفى الى جهة شرقية بليس .

وفيه : حضر ابراهيم بيك الى مسجد أستاذه للكشف عليه ، وعلى الخزانة ، وعلى ما فيها من الكتب ، ولازم الحضور اليه ثلاثة أيام ، وأخذ مفتاح الخزانة من محمد أفندى حافظ ، وسلمه لنديمه محمد الجراحى ، وأعاد لها بعض وقفها المرصد عليها بعد أن كانت آلت الى الحراب ، ولم يبق بها غير البواب أمام الباب .

ربيع الآخر

(ديسمبر ١٧٩١ م)

قرروا تفرّدة على تجار القورية ، وطيلون ، وخان الخليلى ، وقبضوا على أنفار أنزلوهم الى التكية ببولاق ليلا فى المشاعل ، ثم ردوهم . ووزع كبار التجار ما تقرر عليهم على فقرائهم بقوائم ، وناكد بعضهم بعضا ، وهرب كثير منهم ، فسمروا دورهم وحوانيتهم ، وكذلك فعلوا بكثير من مسابير الناس ، والوجاقلية ، وضج الخلائق من ذلك .

جمادى الأولى

مستهلّه (٢٧ ديسمبر ١٧٩١ م) :

كتبوا فرمانا بقبض مال الشراقي ، ونودى به فى النواحي . واتقضى شهر كيهك القبطى ، ولم ينزل من السماء قطرة ماء ، فحرثوا المزرع ببعض الأراضى التى طشها الماء ، وتولدت فيها الدودة ،

وكرثت الفيران جدنا ، حتى أكلت الثمار من أعلى الأشجار ، والذي سلم من الدودة من الزرع ، أكله القار .. ولم يحصل في هذه السنة ربيع للبهايم (١) الا في النادر جدا ، ورضى الناس بالعليق (٢) ، فلم يجدوا التبن ، وبلغ حمل الحمار من قصل التبن الأصفر الشبيه بالكناسة — الذي يساوى خمسة أنصاف قبل ذلك — مائة نصف . ثم انقطع مرور الفلاحين بالكلية بسبب خطف السواس ، وأتباع الأجناد ، فصار يباع عند العلافين من خلف الضبة ، كل حقان بنصفين ... الى غير ذلك !!

وفيه : حضر صالح أغا من الديار الرومية .

شوال

(مايو - يونية ١٧٩٢ م)

فيه : سافر صالح أغا بهدية ، ومكاتبات الى الدولة ورجالها .

ذوالقعدة

(يونية - يوليه ١٧٩٢ م)

فيه : وردت الأخبار بعزل الصدر الأعظم يوسف باشا ، وتولية محمد باشا ملكا . وكان صالح أغا قد وصل الى الاسكندرية ، فغيروا المكاتبات وأرسلوها اليه .

وفيه : حضر أغا بتقرير لوالى مصر على السنة الجديدة ، وطلع الموكب الى القلعة وعملوا له شنكا .

ذوالحجة

في اواخره (حوالى منتصف اغسطس ١٧٩٢ م) : شرع ابراهيم بيك في زواج ابنته عديلة هانم للأمير ابراهيم بيك المعروف بالوالى — أمير الحج

(١) لى لزاعة البرسيم .

(٢) بعض الغول أو الثمير أو اللوة توضع للماشية على التبن .

سابقا — وغمر لها بيتا مخصوصا ، بجوار بيت الشيخ السادات ، وتغالوا في عمل الجهاز ، والحلى ، والجواهر وغير ذلك من الأواني ، والفضيات ، والذهبيات . وشرعوا في عمل الفرح ببركة الفيل ، ونصبوا صواري أمام البيوت الكبار ، وعلقوا فيها القناديل ، ونصبوا الملاعب والملاهي ، وأرباب الملاعب . وفردت التفريد على البلاد ، وحضرت الهدايا والتقدم من الأمراء والأكابر ، والتجار . ودعا ابراهيم بيك الباشا ، فنزل من القلعة ، وحضر صحبتته خلع وفراو ، ومصاغ للعروس من جوهر ، وقدم اه ابراهيم بيك تسعة عشر من الخيل منها عشرة معددة ، وسبعة لؤلؤ ، وأقمشة هندية ، وشبقات دخان مجوهره ، وعملوا الزفة في رابع المحرم . وخرجت من بيت أبيها في عربة غريبة الشكل صناعة الافرنج ، في هيئة كمال من غير ملاعب ولا خزعلات ، والأمراء والكشاف وأعيان التجار مشاة أمامها .

وفيه : حضر عثمان بيك الشرقاوى ، وصحبته رهاثن حسن بيك الجداوى — وشاهين بيك وآخرون — وسكن في مكان صغير .

وفيه : وصلت الأخبار بأن على بيك انفصل من حسن بيك ومن معه ، وسافر على جهة القصير ، وذهب الى جدة .

ومات في هذه السنة السيد السند الامام الفهامة المعتمد ، فريد عصره ، ووحيد شامه ومصره ، الوارد من زلال المعارف على معينها ، المؤيد بأحكام شريعة جده .. حتى أبان صبح يقينها ، السيد العلامة أبو المودة محمد خليل ابن السيد العارف ، الذى ينتهى نسبه الى السيد محمد مراد بن على الحسينى الحنفى الدمشقى .

لم نر له ، لكن سمعنا خبره ، ووردت علينا منه

بالمدينة ، حتى ملأوا الأسواق والأزقة ، رجلا ونساء وأطفالا ، يكون ويصيحون ليلا ونهارا من الجوع ، وبسوت من الناس في كل يوم جملة كثيرة من الجوع ١١

وفيه أيضا : هبط النيل قبل الصليب بعشرة أيام ، وكان ناقصا عن ميعاد الري نحو ذراعين ، فارتجت الأحوال ، وانقطعت الآمال . وكان الناس ينتظرون الفرج بزيادة النيل ، فلما نقص انقطع أملهم ، واشتد كربهم ، وارتفعت الغلال من السواحل والعربات ، وغلت أسعارها عما كانت . وبلغ الأردب ثمانية عشر ريالا ، والشعير بخمسة عشر ريالا ، والفول بثلاثة عشر ريالا ، وكذلك باقى الحبوب ، وصارت الأوقية من الخبز بنصف فضة . ثم اشتد الحال حتى بيع ربع الويبة بريال . وآل الأمر الى أن صار الناس يفتشون على الغلة ، فلا يجدونها . ولم يبق للناس شغل ، ولا حكاية ، ولا سمر بالليل والنهار في مجالس الأعيان وغيرهم الا مذاكرة القمح والفول والأكل ونحو ذلك .

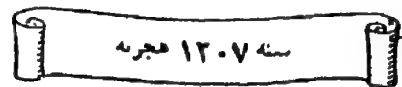
وشعت النفوس ، واحتجب المساتير ، وكثر الصياح والعيول ليلا ونهارا ، فلاتكاد تقع الأرجل الا على خلائق مطروحين بالأزقة . واذا وقع حمار أو فرس ، تراحموا عليه ، وأكلوه نيئا ، ولو كان متنا .. حتى صاروا يأكلون الأطفال ١١

ولما انكشف الماء ، وزرع الناس البرسيم ، ونبت .. أكلته الدودة ، وكذلك الغلة فقلب أصحاب المقدرة الأرض ، وحرثوها ، وسقوها بالماء من السواقي ، والنظالات ، والشواذيف ، واشتروا لها التقاوى بأقصى القيم ، وزرعوها فأكله الدود أيضا . ولم ينزل من السماء قطرة ، ولا أندية ، ولا صقيع ، بل كان في أوائل كيهك شرودات ، وأهوية حارة ثقيلة . ولم يبق بالأرياف الا القليل من الفلاحين ، وعمهم الموت والجلاء ١

مكائنات ، ووشى طروسه المحبرات ، وتناقل النينا أوصافه الجميلة ، ومكالم أخلاقه الجلييلة . كلف شامة الشام ، وغرة الليالى والأيام أورد عوده بالشام وأثر ، ونشأ بها في حجر والده والدهر أبيض أزهر ، وقرأ القرآن ، وطالع في العلوم والأديبات واللغة التركية ، والانشاء والتوقيع . وكان رحمه الله مغرما بصيد الشوارد ، وقيد الأوابد ، واستعلام الأخبار ، وجمع الآثار ، وتراجم المصريين ، على طريق المؤرخين .

وراسل فضلاء البلدان البعيدة ، والتمس من كل جمع تراجم أهل بلاده ، وأخبار أعيان أهل القرن الثانى عشر . وكان هو السبب الأعظم الداعى لجمع هذا التاريخ على هذا النسق (١) .

وفي حلب الشهباء ، عصفت رياح المنية بروضه الخصب ، وهصرت يد الردى يانع غصنه الرطيب ، فاحتضر بأمر الملك المقتدر ، وذلك في أواخر صفر من هذه السنة ، وهو مقبل الشيبية ، ولم يحلف بعده في الفضائل والمكارم مثله رحمه الله .



المحرم .

(أغسطس - سبتمبر ١٧٩٢ م)

استهل الأمر في شدة من الغلاء ، وتناح المظالم ، وخرب البلاد . وشتات أهلها ، وانتشارهم

(١) يذكر المؤلف الشيخ عبد الرحمن الجبري عن « الترجمة » انه كان يجمع تراجم كبار العلماء والافاضة ، وكانت تتم الرسالة من طريق المرحوم الشيخ السيد محمد مرتضى .

ولما مات « الترجمة » ظهر الشيخ عبد الرحمن الجبري بالأوراق التي كان جمعها ، وهي نحو مئتين كرايس ، ذكر فيها شيوخه ومن أخذ منه أو ساجله ، أو جالسه من وليق وصاحب ، وسماه « المجموع المختص » .

ويقول المرحوم الشيخ عبد الرحمن الجبري : « ورد علينا من « الترجمة » نفرت الهمة ، وطرح تلك الأوراق في زوايا الأهمال مدة طويلة ، حتى كادت تتلف وتضيع ، الى أن حصل مندى باعث في نفسى على جمعها - مع ضم الرنانع والحوادث المتجددات - على هذا النسق » .

ربيع الأول

في أواخره (١٥ نوفمبر ١٧٩٢ م) :

حضر صالح أغا من الديار الرومية ، وعلى يده مرسومات بالغو ، وثلاث خلع : أحداها للباشا ، والأخريان لابراهيم بيك ومراد بيك . فاجتمعوا بالديوان وقرأوا المرسومات ، وضربوا مدافع . وأحضر صحبته صالح أغا وكالة دار السعادة ، وانتزعها من مصطفى أغا ، واستولى على ملايلها .

وفيه : وصلت غلال رومية ، وكثرت بالساحل ، فحصل للناس الطمئنان وسكون . ووافق ذلك حصاد الذرة ، فنزل السعر إلى أربعة عشر ريالاً .. الأردب . وأما التبن فلا يكاد يوجد ، وإذا وجد منه شيء ، فلا يقدر من يشتريه على إيصاله لداره أو دابته ، بل يبادر لخطفه السواس ، وأتباع الأجناد في الطريق . وإذا سمعوا واستشعروا بشيء منه في مكان ، كبسوا عليه وأخذوه قهراً فكان غالب منونة الدواب قصب الذرة الناشف . ويرح الكثير من الفقراء والشحاذين في نواحي الجصور ، فيجمعون ما يمكنهم جمعه من الحشيش اليابس ، والنجيل الناشف ، ويأتون به ، ويطوفون به الأسواق ، ويبيعونه بأعلى الأثمان . ويتضارب على شرائه الناس ، وإن صادفهم السواس ، والقواصة خطفوه من على رؤوسهم وأخذوه قهراً !

وفيه : وصلت الأخبار بأن على بيك الدفتردار لما سافر من القصير ، طلع على المويلح ، وركب من هناك مع العرب إلى غزة ، وأرسل سرا إلى مصر ، وطلب رجلاً خصانياً من أتباعه .. فذهب إليه صحنه الهجان ، بطلوبات وبعض احتياجات .

ولما وصل إلى جهة غزة أرسل إلى أحمد باشا الجزائر يعلمه بوصوله . فأرسل للملاقاته خيلاً ورجالاً ، فذهب إليه ، وصحبته نحو الثلاثين قرأ

لاغير . فلما وصل إلى قرب عكا خرج إليه أحمد باشا ، ولاقاه ، ووجهه إلى حيفا ، ورتب لهم بها رواتب .

وأما مراد بيك فانه خرج إلى بر الجيزة من أول السنة ، وجلس في قصر اسماعيل بيك الذي عمره هناك ، واشتغل بعمل جبخانة وآلات حرب وبارود وجلل وقنابر ، وطلب الصناع والحدادين ، وشرع في إنشاء مراكب وغلايين رومية ، وزاد في بناء القصر ووسعه ، وأنشأ به بستانا عظيماً وغير ذلك .

وسافر عثمان بيك الشرقاوى إلى ثغر الاسكندرية ، وجبى الأموال في طريقه من البلاد .

ربيع الآخر

الأربعاء ٢٧ منه (١٢ ديسمبر ١٧٩٢ م - ٥ كيهك ١٥٠٩ ق) :

أمطرت السماء مطراً متوسطاً ، وفرح به الناس .

جمادى الأولى

السبت أوله (١٥ ديسمبر ١٧٩٢ م) :

عدى مراد بيك من بر الجيزة ، فدخل إلى بيته وأخبروا عن عثمان بيك الشرقاوى أنه رجع إلى رشيد .

الثلاثاء ٤ منه (١٨ ديسمبر ١٧٩٢ م) :

حضر المذكور إلى مصر .

الخميس ٦ منه (٢٠ ديسمبر ١٧٩٢ م) :

خرج مراد بيك وابراهيم بيك وباقي أمرائهم إلى جهة العادلية ، فأقاموا أياماً قليلة ، ثم ذهب مراد بيك إلى ناحية أبي زعبل . وكذلك ابراهيم بيك والى ، وصحبته جماعة من الأمراء إلى ناحية الجزيرة . وفي وقت خروجهم نهب أتباعهم ماصدقوه من الدواب ، وصاروا يكبسون الوكائل

التي يباب الشعرية ، ويأخذون ما يجدونه من جمال
الملاحين السفارة وحيرهم لها .

فأما مراد بيك فإنه لما وصل الى أبي زعبل ،
وجد هناك طائفة من عرب الصوالحة في خيشهم ،
لا جنية لهم — فنهبهم وأخذ أموالهم ومواشيهم ،
وقتل منهم نحو خمسة وعشرين شخصا ، ما بين
علمان وشيوخ ! وأقام هناك يوما ، وقبض على
مشايخ البلد « أبو زعبل » ، وجسهم ، وقرر
عليهم غرامة أحد عشر ألف ريال . ولم يقبل فيهم
شفاعة أستاذهم ، وشتته ، وضربه بالعصا . وأما
عرب الجزيرة ، فانهم ارتحلوا من أماكنهم .

شعبان

(مارس - أبريل ١٧٩٣ م)

وقع الاهتمام بسد خليج الفرعونية بسبب
احتراف البحر الشرقي ، ونضوب مائه ، وظهرت
بالنيل كيما نزل هائلة من حد المقياس الى البحر
المالح ، وسار البحر الغربي سلسول جدول تخوضه
الأولاد الصغار ، ولا يمر به الا صغار القوارب .
وانقطع الجالب من جميع النواحي الا ما تحمله
المراكب الصغار بأضعاف الأجرة ، وتعطلت دواوين
المكوس فأرسلوا الى سد الترعة رجلا مسلماني ،
وصحبته جماعة من الأفرنج ، وأحضروا الأخشاب
العظيمة ، ورتبوا عمل السد قريبا من كفر الخضرة ،
وركبوا آلات في المراكب ، ودقوا ثلاثة صفوف
خوابير من أخشاب طوال . فلما أتموا ذلك كانت
الصناع فرغت من تطبيق ألواح في غاية الثخن
شبه البوابات العظام وهي مسمرة بمسامير عظيمة
ملحومة بالرصاص ، وصفائح الحديد مثقوبة
بثقوب مقامة على ما يوازيها من نجوش منجوشة
بالخوابير المركوزة في الماء ، فاذا نزلوا ببوابة الحموها
بتلك الخوابير ، وتبعتهم الرجال بالجوابي المملوءة
بالحصى والرمل من أمام ، ومن خلف . وتبع ذلك

الرجال الكثيرة بغلقان الأتربة والطين ، ففعلوا
ذلك حتى قارب التمام ، ولم يبق الا اليسير ،
ثم حصل القصور في العمل بسبب أن المباشر على
ذلك أرسل لمراد بيك بالحضور ليكون اتمامها
بحضرته ، ويخلع عليه ، ويعطيه ما وعده به من
الانعام ، فلم يحضر مراد بيك ، وغلبهم الماء ،
وتلف جانب من العمل . وكان أيوب بيك الصغير
حاضرا ، وفي نفسه أن لا يتم ذلك لأجل بلاده ،
فأصبح مرتحلا ، وتركوا العمل ، وانفض الجمع !
وقد أقام العمل في ذلك من أوائل شعبان الى
أواسط شوال . ثم نزل اليها جماعة آخرون ،
وطلبوا جملة مراكب موسوقة بالأحجار ، وشروعوا
في عمل سد المكان القديم عن فم الترعة ، ودقوا
أيضا خوابير كثيرة ، وألقوا أحجارا عظيمة .
وفرغت الأحجار ، فأرسلوا بطلب غيرها ، فلم
يسعفهم القطاعون ، فشرعوا في هدم الأبنية
القديمة ، والجوامع التي بساحل النيل ، وقلعوا
أحجار الطواحين التي بالبلاد القريبة من العمل .
واستمروا على ذلك حتى قويت الزيادة ، ولم يتم
العمل ، ورجعوا كالأول ، وذهب في ذلك من
الأموال والغرامات والسخرات ، وتلف من المراكب
والأخشاب والحديد ، ما لا يحصى ، ولا يعد !!

شوال

أوائله (حوالى منتصف مايو ١٧٩٣ م) :

ورد الخبر بأن على بيك سافر من عند أحمد
باشا الى اسلامبول ، صحبة قابجي معين . فلما
قرب من اسلامبول ، أرسلوا من وجهه الى برصا
ليقيم بها ، ورتبوا له كفايته .. في كل شهر خمسمائة
قرش رومى .

ومات في هذه السنة الأجل الصالح ، النأسك

المسلك العارف ، الشيخ محمد بن عبد الحافظ
أخندى أبو ذاكر الخلوتى الحنفى .

أخذ الطريق عن السيد مصطفى السبكى
والشيخ الحنفى . وحضر الفقه على العلامة الشج
محمد الدلجى والشيخ أحمد الحماقى ، وأدرك
الأسقاطى والمنصورى . ولم يتزوج قط ، وكف
بصره ، وانقطع فى بيته احدى وعشرين سنة بمفرده ،
وليس عنده قريب ولا غريب ، ولا جارية ولا عبد ،
ولا من يخدمه فى شىء مطلقا ..

وبيته متسع — جهة التبانة — وبابه مفتوح
دائما . وعنده الأغنام والدجاج والأوز والبط ،
والجميع مطلوقون فى الحوش وهو يباشر علقهم
وأطعامهم وسقيهم الماء بنفسه ، ويطبخ طعامه بنفسه
.. وكذلك يغسل ثيابه .

واشتهر فى الناس بأن الحن تخدمه — وليس
يبعيد ! — لأنه كان من أهل المعارف والأمرار ،
ويأتى اليه الكثير من الطلبة للاخذ عنه ، والتلقى
منه .

وكان له يد طولى فى كل شىء ، ومشاركة
جيدة فى العلوم والمعارف والأسماء والروحانيات
والأوقاف ، واستحضار تام فى كل ما يسأل عنه .
وعنده عدة كثيرة من السنابير (القلط) ويعرفها
بالواحدة بأسمائها وأنسابها وألوانها وقول :
« هذه تحفة بنت بستانه ، وهذه كمونة بنت
ياسمين ، وهذه فلانة أخت فلانة !! »

توفى — رحمة الله — فى شهر شوال من هذه
السنة .

ومات أيضا المجذوب المعتقد ، السيد على
البكرى (١) . لقام سنين متحردا ، ويمشى فى
الأسواق عريانا ، ويخلط فى كلامه ، ويبدى نبوت

(١) سبب نسبهم هذه .. انهم كانوا يسكنون بسوقه البكرى
.. وليس لانهم من البكرية .

طويل يصحبه معه فى غالب أوقاته — وقد تقدم
ذكره وذكر المرأة التى تبعتها المعروفة بالشيخة أمونة .
وكان يخلق لحيته وندس فيه اعتقاد عظيم .

فينصتون الى تخليطاته ، ويوجهون المناظرة
ويؤولونها على حسب أغراضهم ، ومقتضيات
أحوالهم .. ووقائعهم ا .

وكان له أخ من مساتير الناس ، فحجر عليه ،
ومنعه من الخروج ، وألبسه ثيابا ، ورغب الناس فى
زيارته ، وذكر مكاشفاته وخوارق كراماته !

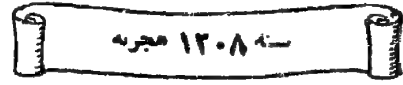
فأقبل عليه الناس من كل ناحية ، وترددوا لزيارته
من كل جهة ، وآتوا اليه بالهدايا والنذور .. وجروا
على عوائدهم فى التقليد ..

وازدحم عليه الخلائق — وخصوصا النساء —
فراج بذلك أمر أخيه واتسعت ذنياه ، ونصبه شبكة
لصده ، ومنعه من خلق لحيته فنبئت وعظمت ،
وسمن بدنه وعظم جسمه .. من كثرة الأكل
والراحة !

وقد كان قبل ذلك عريانا شقبا ، يبيت غالب
لياليه بالجوع طاويا من غير أكل ، بالأزقة فى الشتاء
والصيف . وقيد به من يخدمه ويراعيه فى منامه
ويقظته ، وقضاء حاجته ، ولا يزال يحدث نفسه ،
ويخلط فى ألفاظه وكلامه ، وتارة يضحك وتارة
يشتم .. ولا بد من مصادفة بعض الألفاظ لما فى نفس
بعض الزائرين وذوى الحاجات .. فيعدون ذلك
كشفا وإطلاعا على ما فى نفوسهم وخطوات قلوبهم
ويحتمل أن يكون كذلك ! ! فانه كان من البله
المجاذيب المستغرقين فى شهود حالهم .

ولم يزل هذا خاله .. حتى توفى فى هذه السنة ،
 واجتمع الناس لمشهده من كل ناحية ، ودفنوه
بمسجد الشرايى — بالقرب من جامع الرومى —
فى قطعة من المسجد ، وعملوا على قبره مقصورة
ومماما للزيارة ، واجتمعوا عند مدفنه فى ليال

ومبيدات ، وقراء ومنشدين ، وتزدهم عنده
أصناف الخلائق .. ويختلط النساء بالرجال .
ومات أخوه أيضا بعده بنحو سنتين .



المحرم

١٦ منه (٢٤ أغسطس ١٧٩٣ - ١٨ مسرى
١٥٠٩ ق) :

أوفى النيل أذرعه . وانحلت الأسعار ، وبورك
في رمى القلال ، حتى أن القدان الواحد زكا
بقدر خمسة أفدنة !

وبلغ النيل الى الزيادة المتوسطة وثبت الى أول
بابة ، وشمل الماء غالب الأرض بسبب التفتات الناس
لسد المجارى ، وحفر الترع ، واصلاح الجسور .

صفر

أوائله (أوائل سبتمبر ١٧٩٣ م) :

وصل قابجى من الديار الرومية بطلب مال
المصالحة والحلوان ، فأنزلوه في دار ، وهادوه ،
ورتبوا له مصروفا .

ومن الحوادث أن الناس انتظروا جاويز الحج ،
وتشوقوا لحضوره .

ولم يذهب اليهم في هذه السنة ملاقة بالوش
ولا بالألزم .

وأرسل ابراهيم بيك هجانا يستخير عن الحجاج ،
فذهب .

ليلة ٢٣ منه (٣٠ سبتمبر ١٧٩٣ م) .

رجع الهجان وأخبر أن العرب تجمعوا على الحج
من مسائر النواحي ، عند مغاير شعيب ، ونهبوا
الحجاج ، وكسروا المحمل ، وأحرقوه ، وقتلوا
غالب الحجاج والمغاربة معهم ، وأخذوا أحمالهم ،
ودوابهم ، ونهبوا أبقالهم ، وانجرح أمير الحج ،

وأصابه ثلاث رصاصات ، وغاب خبره ثلاثة
أيام ، ثم أحضره العرب ، وهو عريان في أسوأ
حال ، وأخذوا النساء بأحمالهن ، والذي تبقى
منهم أدخلوه الى قلعة العقبة ، وتركهم الهجان بها
من غير ماء ، ولا زاد ، فنزل بالناس من الغم
والحزن تلك الليلة مالا مزيد عليه !

٢٧ منه (٤ أكتوبر ١٧٩٣ م) :

عينوا محمد بيك الألفى وعثمان بيك الأشقر ،
ليساقرا بسبب ذلك ، فخرجا ، وخطف أتباعهم في
ذلك اليوم مصادقوه من الجمال والبغال والحمير
وقرب السقائين التى تنقل الماء من الخليج ،
ولهبوا الخبز من الطواوين والمخابز ، والكعك
والعيش من الباعة !

وفى يوم خروجهم وصل جماعة من الحجاج ،
ودخلوا في أسوأ حال من العرى والجوع والتعب .
فلما وصلوا الى نخل تلاقوا مع باقى الحججاج
على مثل ذلك ، ووجدوا أمير الحج ذهب
الى غزة ، وصحبه جماعة من الحجاج ، وأرسل
يطلب الأمان . ولم يزوروا المدينة في هذه السنة .
وأرسل من صرة المدينة اثنين وثلاثين ألف ريال
مع عرب حرب .

وضاع في هذه الحادثة من الأموال والمحزوم
شئ كثير جدا ، وأخبروا أن موسم هذا العام كان
من أعظم المواسم ، لم يتفق مثله من مدة مديدة .

ربيع الأول

الاثنين اوله (٧ أكتوبر ١٧٩٣ م) :

دخل باقى الحججاج على مثل حالة من وصل منهم
قبل ذلك .

الثلاثاء ٢ منه (٨ أكتوبر ١٧٩٣ م) :

عملوا الديوان بالقلعة ، واجتمع الأمراء
والوجاقلية والمشايخ ، وقرء المرسوم الذى

وحضرة بصبغة الأغا ، فكان مضمونه طلب العلوان والخزينة ، وقدر ذلك تسعة آلاف وأربعمائة كيس ، وعشرة آلاف وخمسة وأربعون نصفاً فضة تسلم ليد الأغا المعين من غير تأخير .

وفيه : عملوا على زوجات أمير الحج ثلاثين ألف ريال ، وأرسلوا الى بيت حسن كاشف المعمار ، فأخذوا ما فيه من الغلال وغيرها ، لأنه قتل في معركة العرب مع الحجاج ، وألبسوا زوجته الخاتم قهراً عنها ، ليزوجوها لمملوك من ممالك مراد بيك ، وهى بنت على أغا المعمار ، ووجدت على زوجها وجدا عظيماً ، وأرسلت جماعة لاحضار رمتة من قبره الذى دفن فيه فى صندوق على هيئة تابوت .

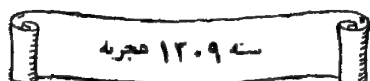
وقد تخيلوا من حضوره ، وظنوا ظنوناً ...

جمادى الآخرة

٢ منه (٦ يناير ١٧٩٤ م) :

طلع يوسف باشا الى القلعة باستدعاء من الباشا المتولى ، فجلس عنده الى بعد الظهر ، ونزل فى موكب حافل الى محله بقصر العيني وأرسل له ابراهيم بيك ومراد بك مع كتخدائهم هدية ، وهى خمسمائة أردب قمح ، ومائة أردب أرز ، وتعميات أقمشة هندية وغير ذلك .

وأقام بالقصر أياماً ، وقضوا أشغاله ، وهياؤا له اللوازم والمراكب بالسويس . وركب فى أواسط جمادى الآخرة وذهب الى السويس ليسانفر الى جدة من القلزم



لم يقع بها شيء من الحوادث الخارجية سوى جور الأمراء وتتابع مظالمهم واتخذ مراد بيك الجيزة سكناً ، وزاد فى عمارته ، واستولى على غالب بلاد الجيزة : بعضها بالثمن القليل ، وبعضها غصباً ، وبعضها معاوضة واتخذ صالح أغا أيضاً له داراً بجانبه ، وعمرها وسكنها بحريمه ليكون قريباً من مراد بيك .

وفيه : شرع الأمراء فى عمل تفريضة على البلاد بسبب الأموال المطلوبة ، وقرروها : عال ، وهو أربعمائة يال .. ووسط ، وهو ثلاثمائة .. والدون ، مائة وخمسون ، وكتبوا أوراقها على الملتزمين ليحصلوها منهم .

الخميس ٤ منه (١٠ أكتوبر ١٧٩٣ م) :

سافر حسن ، كتحداً أبوب بيك ، بأمان لثمان بيك ليحضره من غزة . ووصل المستفرون بجسدة حسن كاشف المعمار .

جمادى الأولى

٢٠ منه (٢٤ ديسمبر ١٧٩٣ م) :

وصل عثمان بيك طبل الاسماعلى أمير الحج الى مصر مكسوف البال ، ودخل الى بيته .

وفيه : حضر الصدر الأعظم يوسف باشا الى الاسكندرية ليتوجه الى الحجاز ، فاعتنى الأمراء بشأنه ، وأرسلوا له ملاقة ، وتقادم ، وهدايا ، وفرشوا له قصر العيني ، ووصل الى مصر ، وطلع من المراكب الى قصر العيني ، وأرسلوا له تقادم

الحزم

٢٧ منه (٢٤ اغسطس ١٧٩٤ م - ٢٠ صرى ١٥١٠ ق) .

أوفى النيل أثره ، وكسر السد بحضرة باشا والأمرء ، وجرى الماء فى الخليج .

سفر

(سبتمبر ١٧٩٤ م)

ورد الخبر بوصول صالح باشا والى مصر ، الى اسكندرية ، وأخذ محمد باشا فى أهبة السفر ، ونزل وسافر الى جهة اسكندرية .

ربيع الأول

٢٠ منه (١٥ أكتوبر ١٧٩٤ م) :

وصل صالح باشا الى مصر وطلع الى القلعة .

(أواخره أكتوبر وأوائل نوفمبر ١٧٩٤ م) :

ورد الخبر بوصول تقليد الصدارة الى محمد باشا عزت - المنفصل عن مصر - وورد عليه التقليد وهو باسكندرية . وكان صالح أغا الوكيل ذهب ضحيته ليشيعه الى اسكندرية ، فأنعم عليه بفرمان مرتب على الضريخانة باسم حريمه ألف نصف فضة فى كل يوم .

ربيع الآخر

١٥ منه (٩ نوفمبر ١٧٩٤ م - ٢ هاتور ١٥١١ ق) :

أمطرت السماء مطرا غزيرا قبل الفجر . وكان ذلك بعيد بابة القبطى .

ذو الحجة

(يونية - يولية ١٧٩٥ م)

وقع به من الحوادث أن الشيخ الشرقاوى له حصة فى قرية بشرقية بليس ، حضر اليه أهلها ، وشكوا من محمد بيك الألفى ، وذكروا أن أتباعه حضروا اليهم وظلموهم ، وطلبوا منهم ما لا قدرة

لهم عليه ، واستأثوا بالشيخ . فاغتاظ ، وحضر الى الأزهر ، وجمع المشايخ ، وقفلوا أبواب الجامع ، وذلك بعدما خاطب مراد بيك ، وإبراهيم بيك ، فلم يديا شيئا .. ففعل ذلك فى ثانى يوم ، وقفلوا الجامع ، وأمرؤا الناس بفتح الأسواق والحوانيت .

ثم ركبوا فى ثانى يوم ، واجتمع عليهم خلق كثير من العامة ، وتعوهم ، وذهبوا الى بيت الشيخ السادات ، وازدحم الناس على بيت الشيخ من جهة الباب والبركة ، بحيث يراهم إبراهيم بيك . وقد بلغه اجتماعهم ، فبعث من قبله أيوب بيك الدفتردار فحضر اليهم ، وسلم عليهم ، ووقف بين يديهم ، وسألهم عن مرادهم . فقالوا له :

« نريد العدل ، ورفع الظلم والجور ، واقامة الشرع ، وإبطال الحوادث والمكوسات التى ابتدعوها وأحدثتموها » .

فقال : « لا يمكن الاجابة الى هذا كله ، فاننا ان فعلنا ذلك ضاقت علينا المعاش والنفقات » . فقيل له : « هذا ليس بعذر عند الله ولا عند الناس ، وما الباعث على الاكثار من النفقات وشراء الممالك ، والأمير يكون أميراً بالاعطاء ، لا بالأخذ » . فقال : « حتى أبلغ » .

وانصرف ، ولم يعد لهم بجواب ، وانفض المجلس ، وركب المشايخ الى الجامع الأزهر . واجتمع أهل الأطراف من العامة والرعية ، وابتأوا بالمسجد ، وأرسل إبراهيم بيك الى المشايخ يعضدهم ، ويقول لهم : « أنا معكم ، وهذه الأمور على غير خاطرى ، ومرادى » . وأرسل الى مراد بيك يخيفه عاقبة ذلك . فبعث مراد بيك يقول :

« أجيئكم الى جميع ما ذكرتموه الا شيئين : ديوان بولاق ، وطلبكم المنكر من الجامكية . وتبطل ما عدا ذلك من الحوادث والظلم ، ونُدفع لكم جامكية سنة تاريخه أثلاثا » .

ومات في هذه السنة ، الفمى المعلم ابراهيم
الجوهري ، رئيس الكتبة الاقباط بمصر . وادرك
من العظلة ونفاذ الكلمة وعظم النصيت والشهرة --
مع طول المدة بمصر -- ما لم يسبق لمثله من ابناء
جنسه فينا نعلم .

واول ظهوره من ايام المعلم رزق -- كاتب على
يك الكبير -- ولما مات على يك والمعلم رزق ،
ظهر امره ونما ذكره ، في ايام محمد يك فلما
اهفت ايام محمد يك وترأس ابراهيم يك ،
قلده جميع الأمور ، فكان هو المشار اليه في
الكليات والجزئيات .. حتى دفاتر الزوفاة والميري
وجميع الايراد والمنصرف ، وجميع الكتبة والسيارف
من تحت يده واشارته .

وكان من دعاة العالم ودهاتهم ، لايعزب عن
ذهنه شيء من دقائق الأمور ، ويدارى كل انسان
بما يليق به من المداواة ، ويحاذي ويهادي ويواسي
ويفعل مايجب انجذاب القلوب والمحبة ، ويهادي
ويبعث الهدايا العظيمة والشموع الى بيوت الأمراء .
وعند دخول رمضان يرسل الى غالب ارباب
المظاهر ، ومن دونهم ، الشموع والهدايا والأرز
والسكر والكساوى .

وعمرت في ايامه الكنائس ودبور النصارى ،
واوقف عليها الأوقاف الجليلة والأطيان ، ورتب
لها المرتبات العظيمة والأرزاق الدارة والفلال .

وحزن ابراهيم يك لموته ، وخرج في ذلك اليوم
الى قصر العيني حتى يشاهد جنازته ، وهم ذاهبون
به الى المقبرة ، وتأسف على فقدته تأسفا زائدا
وكان ذلك في شهر ذى القعدة من السنة .

سنة ١٢١٠ هـ

(١٧٩٥ - ١٧٩٦ م)

لم يقع بها شيء من الحوادث التى يمتنى

ثم طلب أربعة من المشايخ عنهم بأسمائهم ،
فذهبوا اليه بالجيزة ، فلاحظهم ، والتس منهم
السمى في الصلح على ماذكر . ورجعوا من عنده ،
وباتوا على ذلك تلك الليلة .

وفي اليوم الثالث حضر الباشا الى منزل ابراهيم
يك ، واجتمع الأمراء هناك . وأرسلوا الى المشايخ ،
فحضر الشيخ السادات ، والسيد النقيب ، والشيخ
الشرقاوى ، والشيخ البكرى ، والشيخ الأمير .
وكان المرسل اليهم رضوان ، كتخدا ابراهيم يك ،
فذهبوا معه ، ومنعوا العامة من السعى خلفهم . ودار
الكلام بينهم ، وطال الحديث ، وانحط الأمر على أنهم
تابوا ورجعوا ، والتزموا بما شرطه العلماء عليهم ،
وانعقد الصلح على أن يدفعوا سيمائة وخمسين
كيسا موزعة ، وعلى أن يرسلوا غلال الحرمين ،
ويصرفوا غلال الشون ، وأموال الرزق ، ويبتلوا
رفع المظالم المحدثة ، والكشوفيات والتفاريذ
والمكوس ، ما عدا ديوان بولاق ، وأن يكفوا
اتباعهم عن امتداد أيديهم الى أموال الناس .
ويرسلوا صرة الحرمين . والعوائد المقررة من قديم
الزمان ، ويسيروا في الناس سيرة حسنة .

وكان القاضى حاضرا بالمجلس ، فكتب حجة
عليهم بذلك ، وفرمن عليها الباشا ، وختم عليها
ابراهيم يك ، وأرسلها الى مراد يك فختم عليها
ايضا ، وانجلت الفتنة ورجع المشايخ ، وحول كل
واحد منهم وأمامه وخلفه جملة عظيمة من العامة .
وهم بنادون : « حسب مارسم ساداتنا العلماء :
بأن جميع المظالم والحوادث والمكوس بطلاة من
مملكة الديار المصرية » ١

وفرح الناس ، وظنوا صحته ، وفتحت الأسواق ،
وسكن الحال على ذلك نحو شهر ، ثم عاد كل
ما كان مما ذكر ... وزيادة ١

ونزل عقيب ذلك مراد يك الى دمياط ، وصرب
عليها الضرائب العظيمة وغير ذلك .

بتقييدها ، سوى مثل ما تقدم من جور الأمراء
والمظالم ..

ومات في هذه السنة ، العمدة العلامة ، والرحلة
الفهامة ، الفقيه الفاضل ، ومن ليس له في الفضل
منازل ، الشيخ حسن بن سالم الهوارى المالكي ،
أحد طلبة شيخنا الشيخ الصفيدي . وبعد وفاة
شيخه ولى مشيخة رواق الصعايدة .

وكان فيه صلابة زائدة ، وقوة جنان وشدة
تجارى . واشترى خرابة بسوق القشاشين —
بالقرب من الأزهر — وعمرها دارا لسكنه ، وتعدي
حدوده وحاف على أماكن جيرانه ، وهدم مكتب
المدرسة السنانية ، وكان مكتبا عظيما ذا واجهتين
وعמודين وأربع بوائك وزاوية ، جداره من الحجر
النحيت ، عجيبة الصنعة في البروز والاتقان .
فهدمه وأدخله في بنائه من غير تحاش أو خشية
لوم مخلوق ، أو خوف خالق .

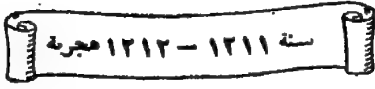
وأوقف أعوانه من الصعايدة المنتسبين للمجاورة
وطلب العلم ، يسخرون من يمر بهم من حمير
الترايين ، وجمال الأعيان المارين عليهم ،
فيستعملونها في نقل تراب الشيخ .. لأجل التبرك :
أما قهرا أو محاباة .

وكذلك المؤن ، حتى تممها على هذه الصورة ،
وسكن فيها ، وأحرق به الجلاوزة من الطلبة
يفدون ويروحون في الخصومات والدعاوى ،
ويأخذون الجمالات والرشوات ، من المحق والمبطل ،
ومن خالف عليهم ضربوه وأهانوه .. ولو عظيما ،
من غير مبالاة ولا حياء !

ومن عزلهم أو لامهم كفروه ، ونسبوه الى الظلم
والتعدي والاستهزاء بأهل العلم والشرعة . وزاد
الحال ، وصار كل من رؤساء الجماعة شيخا على
انفراد ، يجلس في ناحية ببعض الحوانيت ، يقضى
ويأمر وينهى .

وفحش الأمر الى أن نادى عليهم حاكم الشرطة ..
فانكفوا .

ومرض شيخهم بالتشنج شهورا وتوفي ،
رحمه الله .



(١٧٩٦ - ١٧٩٨ م)

لم يقع فيهما من الحوادث التي تتشوف لها
النفوس ، أو تشتاق اليها الحواطر ، فتقيد في بطون
الطروس .. سوى ما تقدمت اليه الاشارة ، من
أسباب نزول النوازل ، وموجبات ترادف البلاء
المتراسل ، ووقوع الانذارات الفلكية ، والآيات
المخوفة السماوية .. وكلها أسباب عادية وعلامات ،
من غير أن ينسب لتلك الآثار تأثيرات .

فبالنظر في ملكوت السموات والأرض يستدلون ،
وبالنجم هم يهتدون ... فمن أعظم ذلك ، حصول
الخسوف الكلى في منتصف شهر الحجة (٣١ مايو
١٧٩٨ م) ختام سنة اثنى عشرة بطالع مشرق
الجوزاء ... المنسوب اليه اقليم مصر .

وحضر طائفة الفرنسيين اثر ذلك في أوائل السنة
التالية .. كما سيأتى خبر ذلك مفصلا ان شاء الله
تعالى .

وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون

« صدق الله العظيم »

وهي أولى سننى الملاحم العظيمة ، والحوادث الجسيمة ، والوقائع النازلة ، والنوازل الهائلة ، وتضاعف الشرور ، وترادف الأمور ، وتوالى المحن ، واختلال الزمن ، وانعكاس المطبوع ، وانقلاب الموضوع ، وتتبع الأحوال ، واختلاف الأحوال ، وفساد التدبير ، وحصول التكمير ، وعموم الخراب ، وتواتر الأسباب . وما كان ربك مهلك القرى يظلم وأهلها مصلحون .

المحترم

٨ منه (٢٢ يونية ١٧٩٨ م) :

حضر إلى الثغر عشرة مراكب من مراكب الانكليز ، ووقفت على البعد بحيث يراها أهل الثغر . وبعد قليل حضر خمسة عشر مركبا أيضا ، فانتظر أهل الثغر ما يريدون ، وإذا بقايق صغير واصل من عندهم وفيه عشرة أنفار ، فوصلوا البر واجتمعوا بكبار البلد — والرئيس اذ ذاك فيها والمشار اليه بالأبرام والنقض السيد محمد كريم (١) — فكللهم واستخبرهم عن غرضهم ، فأخبروا أنهم انكليز حضروا للتفتيش على الفرنسيين لأنهم خرجوا بعمارة عظيمة يريدون جهة من الجهات ، ولا ندرى أين قصدهم . فربما دهموكم فلا تقدرؤن على دفعهم ولا تتمكنون من منعهم . فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول ، وظن أنها مكيدة وجاوبهم بكلام خشن . فقالت رسل الانكليز « نحن نقف بمراكبنا في البحر محافظين على الثغر لانحتاج منكم الا الامداد بالماء والزاد بثمنه » . فلم يجيبوهم لذلك وقالوا : « هذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيين ولا لغيرهم عليها سبيل .. فاذهبوا عنا » . فعندها

(١) الغالب على الظن انه مغربي الاصل استوطنت اسرته الاسكندرية . وكان في اول أمره تباينا بين البضائع اشهر ذكره حتى احبه الناس . قلده مراد بيك أمر الديوان والجمارك والثغر .

عادت رسل الانكليز ، وأقلعوا في البحر ليمتاروا من غير الاسكندرية ... وليفرض الله أمرا كان مفعولا .

ثم ان أهل الثغر أرسلوا الى كاشف البحيرة ليجمع العربان ويأتى معهم للمحافظة بالثغر .

١٠ منه (٢٤ يونية ١٧٩٨ م) :

وردت مكاتبات على يد السعاة من ثغر الاسكندرية (تفيد ما تقدم) . فلما قرئت هذه المكاتبات بمصر حصل بها اللفظ الكثير من الناس ، وتحدثوا بذلك فيما بينهم ، وكثرت المقالات والأراجيف .

في ١٢ منه (٢٧ يونية ١٧٩٨ م) :

وردت مكاتبات مضمونها أن المراكب التي وردت الثغر عادت راجعة ، فاطمان الناس ، وسكن القليل والقال . وأما الأمراء فلم يهتموا بشيء من ذلك ، ولم يكثرثوا به اعتمادا على قوتهم وزعمهم أنه اذا جاءت جميع الافرنج لا يقفون في مقابلتهم ، وأنهم يدوسولهم بخيولهم ا

٢٠ منه (٤ يولية ١٧٩٨ م) :

وردت مكاتبات من الثغر ومن رشيد ودمهور بأن في يوم ثامن عشره (٢ يولية ١٧٩٨ م)

وردت مراكب و عمارات للفرنسيين كثيرة ، فأرسوا في البحر ، وأرسلوا جماعة يطلبون القنصل (١) وبعض أهل البلد . فلما نزلوا اليهم عوقوهم عندهم . فلما دخل الليل تحولت منهم مراكب الى جهة العجمي (٢) ، وطلعوا الى البر ، ومعهم آلات الحرب والساكر ، فلم يشعر أهل الثغر وقت الصباح الا وهم كالجراد المنتشر حول البلد ، فعندها خرج أهل الثغر وما انضم اليهم من العربان المجتمة وكاشف البحيرة ، فلم يستطيعوا مدافعتهم ، ولا أمكنهم ممانعتهم ولم يثبتوا لحربهم ، وانهمز الكاشف ومن معه من العربان ، ورجع أهل الثغر الى الترمس في البيوت والحيطان ، ودخلت الافرنج البلد ، واثبت فيها الكثير من ذلك العدد (٣) .

كل ذلك وأهل البلد لهم بالرمي يدافعون ، وعن أنفسهم وأهلهم يقاتلون ويமானعون ... فلما أعياهم الحال ، وعلموا أنهم مأخوذون بكل حال ، وليس ثم عندهم للقتال استعداد ، لخلو الأبراج من آلات الحرب والبارود وكثرة العدو وغلبته ... طلب أهل الثغر الأمان ، فأمنوهم ، ورفعوا عنهم القتال ومن حصونهم أنزلوهم ، ونادى الفرنسيين بالأمان في البلد ، ورفع بنديراته عليها ، وطلب أعيان الثغر فحضروا بين يديه ، فالزمهم بجمع السلاح واحضاره اليه ، وأن يضعوا الجوكر في صدورهم فوق ملبوسهم .

(١) كان القنصل في هذا الوقت ابن اخ «ماجالون» القنصل السابق لفرنسا في مصر .

(حافظ موفى - فتح مصر الحديث ص ٨٠)

(٢) قرية لصيد السمك صغيرة تبعد حوالى الاربعة ايام الى غرب الاسكندرية . وكانت خطة بوناپرت توزيع قواته لانزالها الى البر في جملة مواقع والاستيلاء في وقت واحد على الاسكندرية ودمياط ثم التوغل من هذين المركزين في الدلتا والوصول الى القاهرة بسرعة (دكتور محمد نؤاد شكرى - الحملة الفرنسية وظهور محمد على ص ١٢٤) .

(٣) لم يغسر الفرنسيون في فتح الاسكندرية اكثر من نحو لومين قتلا ، مع لمانين الى مائة من الجرحى .

(حافظ موفى - فتح مصر الحديث ص ١٠٤)

والجوكر ثلاث قطع من جوخ أو حرير أو غير ذلك ، مستديرة في قدر الريال سوداء وحمراء وبيضاء ، توضع بعضها فوق بعض بحيث تكون كل دائرة أقل من التى تحتها حتى تظهر الألوان الثلاثة كالدوائر المحيط بعضها ببعض .

ولما وردت هذه الأخبار مصر ، حصل للناس انزعاج ، وعول أكثرهم على الفرار والهجاج .

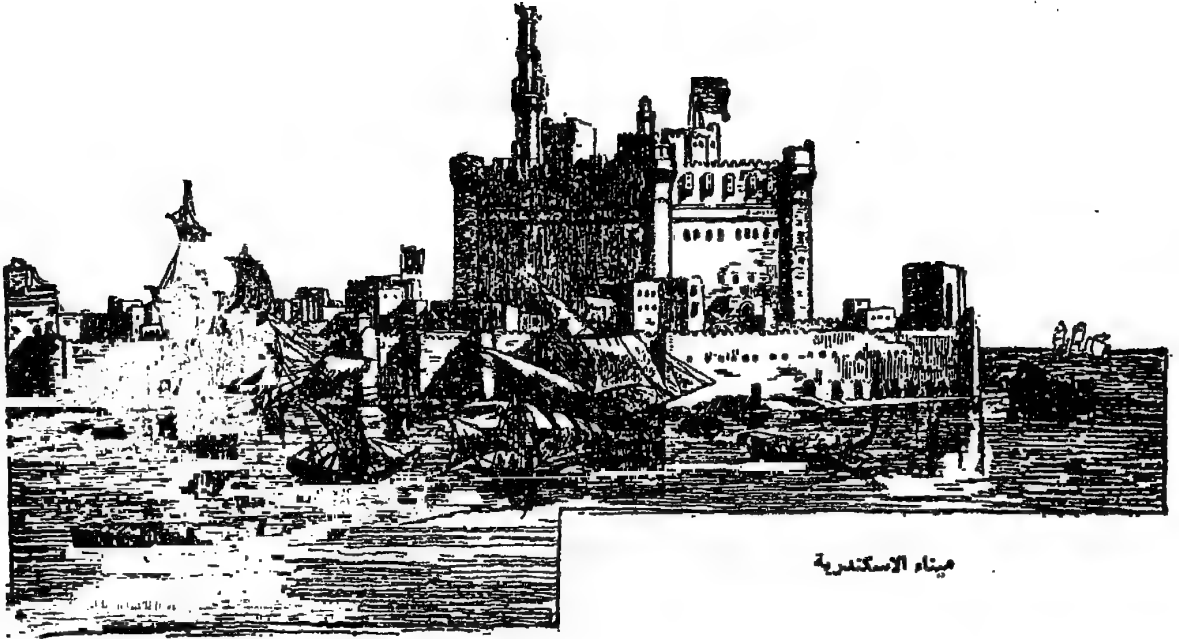
وأما ما كان من حال الأمراء بمصر ، فإن ابراهيم بيك ركب الى قصر العيني وحضر عنده مراد بيك من الجيزة لأنه كان مقيما بها ، واجتمع باقى الأمراء والعلماء والقاضى ، وتكلموا في شأن هذا الأمر الحادث ، فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مكاتبة بخبر هذا الحادث الى اسلا مبول ، وأن مراد بيك يجهز العساكر ويخرج لملاقاتهم وحربهم . وانقض المجلس على ذلك ، وكتبوا المكاتبة ، وأرسلها بكر باشا مع رسوله على طريق البر (١) ، ليأتيه بالترىاق من العراق (٢) وأخذوا في الاستعداد للثغر وقضاء اللوازم والمهمات في مدة خمسة أيام ، فصاروا يصادرون الناس ويأخذون أغلب ما يحتاجون اليه بدون ثمن .

ثم ارتحل مراد بيك بعد صلاة الجمعة . وبرز خيامه ووطاقه الى الجسر الأسود ، فمكث به يومين حتى تكامل العسكر وصنابقه وعلى باشا الطرابلسى وناصف باشا - فانهم كانوا من أخصائه ومقيمين معه بالجيزة - وأخذ معه عدة كثيرة من المدافع والبارود ، وسار من البر مع العساكر الخيالة . وأما الرجال - وهم اللدائشات القلنجية والأروام والمغاربة - فانهم ساروا في البحر مع الغلايين الصغار التى أنشأها الأمير المذكور .

ولما ارتحل من الجسر الأسود أرسل الى

(١) بطريق البر .

(٢) هو مثل شمسى قديم ، نسه : « على مايجى الترياق من العراق ، يكون الليل مات »



ميناء الاسكندرية

الوحشة من القلوب وحصول الاستئناس .
والثاني — الخوف من الدخيل في البلد .

وفي يوم الاثنين وردت الأخبار بأن الفرنسيين
وصلوا الى دمنهور ورشيد ، وخرج معظم أهل
تلك البلاد على وجوههم ، فذهبوا الى فوة
ونواحيها ، والبعض طلب الأمان وأقام ببلده وهم
العقلاء .

وقد كانت الفرنسيين — حين حلولهم
بالاسكندرية — كتبوا مرسوما وطبعوه وأرسلوا
منه نسخا الى البلاد التي يقدمون عليها .. تطمينا
لهم . ووصل هذا المكتوب مع جملة من الأسارى
الذين وجدوهم بمالطة ، وحضروا صحبتهم ،
وحضر منهم جملة الى بولاق — وذلك قبل وصول
الفرنسيين يوم أو يومين — ومعهم منه عدة نسخ
ومنها مقاربة وفيهم جواميس ، وهم على شكلهم
من كفار مالطة ، ويعرفون باللفات .

وصورة ذلك المكتوب :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله لا ولد
له ولا شريك له في ملكه .

« من طرف الفرنساوية المبني على أساس

مصر يأمر بعمل سلسلة من الحديد في غاية الثخن
والمتانة ، طولها مائة ذراع وثلاثون ذراعا ، لتنصب
على البغاز عند برج مغيزل من البر الى البر لمنع
مراكب الفرنسيين من العبور لبحر النيل — وذلك
باشارة على باشا — وأن يعزل عندها جسر من
المراكب وينصب عليها متاريس ومدافع ، ظنا منهم
أن الأفرنج لا يقدر أن يقاتلهم في البر ، وانهم
يعبرون في المراكب ويقاتلونهم وهم في المراكب ،
وانهم يصابرونهم ويحاولونهم في القتال حتى
تأتيهم النجدة .

وكان الأمر بخلاف ذلك ... فان الفرنسيين عندما
ملكوا الاسكندرية ، ساروا على طريق البر الغربي
من غير ممانع . وفي أثناء خروج مراد بيك والحركة
... بدت الوحشة في الأسواق ، وكثر الهرج بين
الناس والارجاف ، واقتطعت الطرق ، وأخذت
الحرامية في كل ليلة تطرق أطراف البلد ، واقتطع
مشى الناس من المرور في الطرق والأسواق من
المغرب ، فنادى الأغا والوالي بفتح الأسواق
والقهاوى ليلا ، وتعليق القناديل على البيوت
والدكاكين ، وذلك لأمرين : الأول — ذهاب

الحرية والتسوية السرعسكر الكبير أمير الجيوش
الفرنساوية بوابرته يعرف أهالي مصر جميعهم
أن من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون في
البلاد المصرية يتعاملون بالذل والاحتقار في حق
المة فرنساوية ، ويظلمون تجارها بأنواع الايذاء
والتعدي . فحضر الآن ساعة عقوبتهم ، وأخرنا من
مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين
من بلاد الأبازة والجراكسة يفسدون في الاقليم
الحسن الأحسن الذي لا يوجد في كرة الأرض
كلها .

« فأما رب العالمين القادر على كل شيء ، فانه
قد حكم على اقضاء دولتهم .
« يا أيها المصريون ... »

« قد قيل لكم اننى مازلت بهذا الطرف الا
بقصد ازالة دينكم ، فذلك كذب صريح ... فلا
تصدقوه ، وقولوا للمفترين اننى ما قدمت اليكم الا
لأخلص حقكم من يد الظالمين ، واننى — أكثر
من الممالك — أعبد الله سبحانه وتعالى ، وأحترم
نبيه والقرآن العظيم .

« وقولوا أيضا لهم ان جميع الناس متساوون
عند الله ، وأن الشيء الذى يفرقهم عن بعضهم هو
العقل والفضائل والعلوم فقط ، وبين الممالك
والعقل والفضائل تضارب ... فماذا يميزهم عن
غيرهم حتى يستوجبوا أن يملكوا مصر وحدهم ،
ويختصوا بكل شيء أحسن فيها : من الجوارى
الحسان ، والخيول العتاق ، والمساكن المفرحة .

« فإن كانت الأرض المصرية التزاما للممالك ،
فليرونا الحجة التى كتبها الله لهم ! ولكن رب العالمين
رعوف وعادل وحليم .

« ولكن بعونه تعالى ، من الآن فصاعدا ،
لا يئأس أحد من أهالي مصر عن الدخول في المناصب
السامية ، وعن اكتساب المراتب العالية فالعلماء

والفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الأمور
وبذلك يصلح حال الأمة كلها .

« وسابقا كان في الأراضي المصرية المدن العظمى
والخلجان الواسعة ، والمتجر المتكاثر ... وما
ذلك كله الا الظلم والطمع من الممالك .

« أيها المشايخ والقضاة ، والأئمة والجريج
وأعيان البلد ... »

« قولوا لأممكم ان فرنساوية ه
ايضا مسلمون مخلصون ، واثبات
أنهم قد نزلوا في رومية الكبرى ، وخربوا فيه
كرسى البابا الذى كان دائما يحث النصارى
محاربة الاسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطمروا
منها الكوالرية (١) الذين كانوا يزعمون أن
تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين .

« ومع ذلك فرنساوية في كل وقت من الأوامر
صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثما
وأعداء أعدائه . أدام الله ملكه .. ومع ذلك
الممالك امتنعوا من اطاعة السلطان ، غير ممت
لامره ، فبا أطاعوا أصلا الا لطمع أنفسهم .

« طوبى ثم طوبى لأهالي مصر الذين يتت
معنا بلا تأخير ! فيصلح حالهم ، وتعالى مراتبهم
« طوبى أيضا للذين يتمدون في مساكنهم
مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين ، فاذا عر
بالأكثر تسارعوا اليها بكل قلب !

« لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون
الممالك في محاربتنا فلا يجدون بعد ذلك طريقة
الخلاص ولا يبقى منهم أثر !

« المادة الأولى : جميع القرى الواقعة في
قرية بثلاث ساعات عن المواضع التى يمر

(١) « الكفالرية » ، مأخوذة من الكلمة الاخرنجية التى
« فارس » . وهم طائفة - من مخلفات الحروب الصليبية
استقرت في مالطة ...

عسكر الفرنساوية ، فواجب عليها أن ترسل للسرا
عسكر من عندها وكلاء كيما يعرف المشار اليه
أنهم أطاعوا وأنهم نصبوا علم الفرنساوية الذى هو
أبيض وكحلى وأحمر .

« المادة الثانية : كل قرية تقوم على العسكر
الفرنساوى تحرق بالنار .

« المادة الثالثة : كل قرية تطيع العسكر
الفرنساوى أيضا تنصب صنجاق السلطان
العثمانى .. محبنا دام بقاءه .

« المادة الرابعة : المشايخ فى كل بلد يختمون
حالا جميع الأرزاق والبيوت والأماكن التى تتبع
الممالك ، وعليهم الاجتهاد التام لتلا يضيغ أدلى
شىء منها .

« المادة الخامسة : الواجب على المشايخ
والعلماء والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وظائهم .
وعلى كل أحد من أهالى البلدان أن يبقى فى مسكنه
مطمئنا ، وكذلك تكون الصلاة قائمة فى الجوامع
على العادة .

« والمصريون بأجمعهم ينبغى أن يشكروا الله
سبحانه وتعالى لانقضاء دولة الممالك قائلين
بصوت عالى : أدام الله اجلال السلطان العثمانى !
أدام الله اجلال العسكر الفرنساوى ! لعن الله
الممالك ! وأصلح حال الأمة المصرية .

« تحريرا بمعسكر اسكندرية فى ١٣ شهر
سيدور من اقامة الجمهور الفرنساوى » .
يعنى فى آخر شهر المحرم سنة ١٢١٣ هجرية .

٢٢ منه (٦ يولية ١٧٩٨ م) :

وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا الى
نواحي قوة ثم الى الرحمانية .

ص

الاحد غرة (١٥ يولية ١٧٩٨ م) :

وردت الأخبار بأن فى يوم الجمعة ٢٩ من المحرم

(١٣ يولية ١٧٩٨ م) ، التقى العسكر المصرى
مع الفرنسيس ، فلم تكن الا ساعة وانهمز
مراد بيك ومن معه . ولم يقع قتال صحيح ،
وانما هى مناوشة من طلائع العسكرين
بحيث لم يقتل الا القليل من الفريقين ،
واحترقت مراكب مراد بيك بما فيها من الجبخانه
والآلات الحربية ، واحترق بها رئيس الطبجية
خليل الكردلى ... وكان قد قاتل فى البحر قتالا
عجيبا . فقدر الله أن عقلت نار بالقلم وسقط منها نار
الى البارود فاشتعلت جميعها بالنار . واحترق
المركب بما فيه من المحاربين وكبيرهم وتطايروا فى
الهواء . فلما عاين ذلك مراد بيك داخله الرعب ،
وولى منهزما ، وترك الأتقال والمدافع ، وتبعته
عساكره . ونزلت المشاة فى المراكب ورجعوا طالين
مصر .

ووصلت الأخبار بذلك الى مصر ، فاشتد
انزعاج الناس ، وركب ابراهيم بيك الى ساحل
بولاق ، وحضر الباشا والعلماء ورؤوس الناس ،
وأعملوا رأيهم فى هذا الحادث العظيم . فاتفق رأيهم
على عمل متاريس من بولاق الى شبرا ، ويتولى
الاقامة ببولاق ابراهيم بيك وكشافه ومماليكه
وقد كانت العلماء عند توجه مراد بيك تجتمع
بالأزهر كل يوم ، ويقراون البخارى وغيره من
الدعوات ، وكذلك مشايخ فقراء الأحمدية
والزفاعة والبراهمة والقادرية والسعدية ، وغيرهم
من الطوائف وأرباب الأشاير ، ويعملون لهم
مجالس بالأزهر .. وكذلك أطفال المكاتب ويذكرون
الاسم اللطيف وغيره من الأسماء .

الاثنين ٢ منه (١٦ يولية ١٧٩٨ م) :

حضر مراد بيك الى بر انبابة ، وشرع فى عمل

متاريس هناك ممتدة الى بشتيل (١) . وتولى ذلك هو وصناجقه وأمرأه وجماعة من خشدائينه ، واحتفل في ترتيب ذلك وتنظيمه بنفسه هو وعلى باشا الطرابلسي ونصوح باشا . وأحضروا المراكب الكبار والقبلايين التي أنشأها بالجيزة ، وأوقفها على ساحل انبابة ، وشحنها بالعاكر والمدافع فصار البر الغربى والشرقى ملوئين بالمدافع والعاكر والمتاريس والخيالة والمشاة .

ومع ذلك فقلوب الأمراء لم تطمئن بذلك ، فانهم من حين وصول الخبر لهم من الاسكندرية ، شرعوا في نقل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة الى البيوت الصغار التي لا يعرفها أحد ، واستمروا طول الليالى ينقلون الأمتعة ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم ، وأرسلوا البعض منها لبلاد الأرياف ، وأخذوا أيضا في تهليل الأحمال واستحضار دواب للشيل وأدوات الارتحال . فلما رأى أهل البلدة منهم ذلك ، داخلهم الخوف الكثير والفرع ، واستعد الأغنياء وأولو المقدرة للهروب . ولولا أن الأمراء منعوهم من ذلك وزجروهم ، وهددوا من أراد النقلة ، لما بقى بمصر منهم أحد .

وفي يوم الثلاثاء ٣ منه (١٧ يولية ١٧٩٨ م) :

نادوا بالتقير العام وخروج الناس للمتاريس ، وكرروا المناداة بذلك كل يوم . فأغلق الناس الدكاكين والأسواق ، وخرج الجميع لبر بولاق .. فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات ، يجمعون الدراهم من بعضهم ، وينصبون لهم خياما أو يجلسون في مكان خرب أو مسجد ، ويرتبون لهم فيما يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم

(١) كانت قوات مراد بك تمتد منتشرة من بشتيل وانبابة الى الاهرامات وكان جيشه يتألف من نحو الخمسين ألفا من المالكين ومن انضم اليهم من الانكشارية وغيرهم وهذا عدا العريان الذين تالفت منهم الى حد كبير مسيرة الجيش الممتدة الى الاهرامات . (دكتور محمد لؤى شكري - الحملة الفرنسية و ظهور محمد على ص ١٢٨)

التي جمعوها من بعضهم . وبعض الناس يتطوع بالاتفاق على البعض الآخر ، ومنهم من يجهز جماعه من المغاربة أو الشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك بحيث أن جميع الناس بذلوا وسعهم ، وفعلوا ما في قوتهم وطاقاتهم ، وسحت نفوسهم باتفاق أموالهم ، فلم يشح في ذلك الوقت أحد بشيء يملكه ، ولكن لم يسعفهم الدهر .

وخرجت الفقراء وأرباب الأثاير بالطبول والزمر والأعلام والكاسات وهم يضجرون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة . وصعد السيد عمر أفندى تقيب الأشراف الى القلعة ، فأنزل منها بيرقا كبيرا أسته العمامة اليرق النبوى : فنشره بين يديه من القلعة الى بولاق ، وأمام وحوله ألوف من العمامة بالنبايت والعصى يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح ، ومعهم الطبول والزمر وغير ذلك .

وأما مصر ، فانها باقية خالية الطرق ، لاتجد بها أحدا سوى النساء في البيوت والصغار وضعفاء الرجال الذين لا يقدرزون على الحركة ، فانهم مستترون مع النساء في بيوتهم . والأسواق مصفرة ، والطرق مجفرة من عدم الكس والرش . وغلا سعر البارود والرصاص بحيث يبع الرطل من البارود بستين نصفا ، والرصاص بتسعين ، وغلا جنس أنواع السلاح ، وقل وجوده .. وخرج معظم الرعايا بالنبايت والعصى والمساوق ، وجلس مشايخ العلماء بزواية على بك ببولاق يدعوون ويتهللون الى الله بالنصر ، وأقام غبرهم من الرعايا البعض بالبيوت ، والبعض بالزوايا ، والبعض في الخيام .

ومحصل الأمر أن جميع من بمصر من الرجال تحول الى بولاق ، وأقام بها من حين نصب ابراهيم بك العرضى هناك ، الى وقت الهزيمة ، سوى القليل من الناس الذين لا يجدون لهم مكانا ولا



ثم في كل يوم تكثر الاشاعة بقرب الفرنسيين الى مصر ، ويختلف الناس في الجهة التي يقصدون المجيء منها ، فمنهم من يقول : « ايهام واصلون من البر الغربي » ، ومنهم من يقول : « بل يأتون من الشرقى » ، ومنهم من يقول : « بل يأتون من الجهتين » . هذا وليس لأحد من أمراء العساكر همة أن يبعث جاسوسا أو طليعة تناوشهم القتال قبل دخولهم وقربهم ووصولهم الى فناء مصر . بل كل من ابراهيم بيك ومراد بيك جمع عسكره ، ومكث مكانه لا ينتقل عنه ، ينتظر مايفعل بهم . وليس ثمة قلعة ولا حصن ولا معقل وهذا من سوء التدبير واهمال أمر العدو .

الجمعة ٦ منه (٢٠ يولية ١٧٩٨ م) :

وصل الفرنسيين الى الجسر الأسود .

السبت ٧ منه (٢١ يولية ١٧٩٨ م) (١) :

وصلوا الى أم دسار (٢) فعمدها اجتمع العالم

(١) في هذا اليوم عين كليبر السيد محمد الفرياني في وظيفة محافظ (حاكم) الاسكندرية بعد القبض على حاكمها السيد محمد كريم .

(عبد الرحمن الرافعي - تاريخ الحركة القومية - ج ١ ص ١٩١)

(٢) مع ذلك كان امراء المالكي يركبون الجبل والفر ، وكانوا ايضا يمثلون الحرس على النجاة والنخاض في اشد الاوقات حرجا ، لبيما كان الجيش الفرنسى زاحفا على العاصنة لم يكن مراد بيك وابراهيم بيك على وفاق بل كان يباعد بينهم التنافس القديم على السلطة . ولم يخف هذا التنافس على الفرنسيين فقد علم به نابليون وهو في أم دسار يرسم الخطط ويستطلع اخبار القوة التي سيواجهها . فهناك وصلته اخبار الجفاء الذي بين مراد بيك وابراهيم بيك .

(عبد الرحمن الرافعي - الحركة القومية - ج ١ ص ١٩٢)

ماوى ، فيرجعون الى بيوتهم يبيتون بها ثم يصبحون الى بولاق . وأرسل ابراهيم بيك العربان المجاورة لمصر ، ورسم لهم أن يكونوا في المقدمة بنواحي شبرا وما والاها . وكذلك اجتمع عند مراد بيك الكثير من عرب البحيرة والجيزة والصعيد والخيبرية والقيعان وأولاد على والهندادى وغيرهم وفي كل يوم يتزايد الجمع ، ويعظم الهول ، ويضيق الحال بالفقراء الذين يحصلون اقواتهم يوما فيوما لتعطل الأسباب واجتماع الناس كلهم في صعيد واحد . واقطعت الطرق ، وتعدى الناس بعضهم على بعض لعدم التفات الحكام واشتغالهم بما دهمهم .

واما بلاد الأرياف فانها قامت على ساق قتل بعضهم بعضا ، ونهب بعضهم بعضا وكذلك العرب غارت على الأطراف والنواحي وصار قطر مصر من أوله الى آخره في قتل ونهب واخافة طريق وقيام شر واغارة على الأموال وافساد المزارع ، وغير ذلك من أنواع الفساد الذي لا يحصى .

وطلب أمراء مصر .. التجار من الافرنج بمصر : فحبسوا بعضهم بالقلعة وبعضهم باماكن الأمراء ، وصاروا يفتشون في محال الافرنج على الأسلحة وغيرها . وكذلك يفتشون بيوت النصارى الشوام والأقباط والأروام والكنائس والأديرة على الأسلحة . والعامه لا ترضى الا أن يقتلوا النصارى واليهود فيمنعهم الحكام عنهم ، ولولا ذلك المنع لقتلتهم العامة وقت الفتنة .

العظيم من الجند والرعايا والفلاحين المجاورة بلادهم لمصر . ولكن الأجناد متنافرة قلوبهم ، منحلة عزائمهم ، مختلفة آراؤهم ، حريصون على حياتهم وتنعمهم وزفاهيتهم ، مختالون في ريشهم ، مغترون بجمعهم ، محترون شأن عدوهم ، مرتبكون في رويتهم ، مغمورون في غفلتهم . وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم . وقد كان الظن بالفرنسيين أن يأتوا من البرين ، بل أشيع في عرضى إبراهيم بيك ، أنهم قادمون من الجهتين ، فلم يأتوا إلا من البر الغربى .

ولما كان وقت القائلة ، ركب جماعة من العساكر التى بالبر الغربى ، وتقدموا الى ناحية بشتيل — بلد مجاورة لانبابة — فتلاقوا مع مقدمة الفرنسيين ، فكروا عليهم بالخيول . فضر بهم الفرنسيين بينادقهم المتتابعة الرمى ، وأبلى الفرقتان ، وقتل أيوب بيك الدفتردار (١) وعبد الله كاشف الجرف (٢) وعدة كثيرة من كشاف محمد بيك الألفى ومماليكهم ، وتبعهم طابور من الأفرنج في نحو الستة آلاف ، وكيرة ديزيه الذى ولى على الصعيد بعد تملكهم .

وأما بونايرته الكبير فانه لم يشاهد الواقعة بل حضر بعد الهزيمة ، وكان بعيدا عن هؤلاء بكثير (٣) . ولما قرب طابور الفرنسيين من متاريس مراد بيك ترامى الفرقتان بالمدافع ، وكذلك العساكر المحاربون البحرية ، وحضر عدة وافرة من عساكر

(١) مدبر الشؤون المالية .

(٢) من البكوات المماليك .

(٣) يقول الاستاذ الراحل (تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢١٦) « هذا ما رواه الجبرى من هذا الدور من المعركة ، ولا يمكننا ان نمر على قوله ان بونايرته الكبير لم يشاهد الواقعة دون ان نبدي شيئا من الدهشة لانه كيف تصور الجبرى ان بونايرته لم يشاهد الواقعة مع انه قائدها ورأس خطتها ومدبر الامر فيها ؟ ولا ندري من اين جاء الجبرى انه لم يحضر الا بعد الهزيمة وكان بعيدا من هؤلاء بكثير .. مع ان بونايرته كان في القلب يرقب حركات القتال ويتتبع كل صغيرة وكبيرة فيه ... على أى وجه قلبنا الرواية لا نجد ليثا لها وكل ما نقوله فيها انها خطأ » .

الأرناؤود من دمياط ، وطلعوا الى انبابة وانضموا الى المشاة وقاتلوا معهم في المتاريس .

فلما عين وسمع عسكر البر الشرقى القتال ، ضج العامة والغوغاء من الرعية وأخلط الناس بالصياح ورفع الأصوات بقولهم : « يارب وبيا لطيف ويارجال الله » ونحو ذلك ، وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم ! فكان العقلاء من الناس يصرخون عليهم ويأمرونهم بترك ذلك ، ويقولون لهم « أن الرسول والصحابه والمجاهدين ، انما كانوا يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب لا يرفع الأصوات والصراخ والنباح » فلا يستمعون ولا يرجعون عما هم فيه ، ومن يقرأ ومن يسمع ! وركب طائفة كبيرة من الأمراء والأجناد من العرضى الشرقى (١) — ومنهم إبراهيم بيك الوالى (٢) — وشرعوا في التعدي الى البر الغربى في المراكب ، فتزاحموا على المعادى لتكون التعدي من محل واحد — والمراكب قليلة جدا — فلم يصلوا الى البر الآخر حتى وقعت الهزيمة به على المحاربين . هذا والريح النكباء اشتد هبوبها ، وأمواج البحر في قوة اضطرابها ، والرمال يعلو غبارها وتنسفها الريح في وجوه المصريين ، فلا يقدر أحد أن يفتح عينيه من شدة الغبار وكون الريح من ناحية العدو ، وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه .

ثم ان الطابور الذى تقدم لقتال مراد بيك انقسم على كيفية معلومة عندهم في الحرب ، وتقارب من المتاريس بحيث صار محيطا بالعسكر من خلفه وأمامه ، ودق طبوله ، وأرسل بنادقه المتتالية والمدافع . واشتد هبوب الريح ، وانعقد الغبار ، وأظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الرياح ،

(١) يعنى جيش إبراهيم بيك الذى كان سرايلا بالبر الشرقى للنيل .

(٢) صهر إبراهيم بيك رئيس المماليك .



نابليون بونابرت



مراد بيك

وكان من جملة من ألقى نفسه في البحر سليمان بيك ، المعروف بالأغاء ، وأخوه ابراهيم بيك الوالى ، فأما سليمان بيك فنجوا وغرق ابراهيم بيك الصغير وهو صهر ابراهيم بيك الكبير .

ولما انهزم العسكر الغربى حول الفرنسيين المدافع والبنادق على البر الشرقى وضربوها . وتحقق أهل البر الآخر الهزيمة فقامت فيهم ضجة عظيمة ، وركب فى الحال ابراهيم بيك والباشا والأمراء والعسكر والرعايا وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هى لم يأخذوا منها شيئا .

فأما ابراهيم بيك والباشا والأمراء فساروا الى جهة العادلية . وأما الرعايا فهاجوا وماجوا ذاهبين الى جهة المدينة ودخلوها أفواجا أفواجا ، وهم جميعا فى غاية الخوف والفرع وترقب الهلاك ، وهم يضجون بالعويل والنحيب ويبتهلون الى الله من شر هذا اليوم العصيب ، والنساء يصرخن بأعلى أصواتهن من البيوت وقد كان ذلك قبل الغروب .

فلما استقر ابراهيم بيك بالعادلية أرسل يأخذ حريمه ، وكذلك من كان معه من الأمراء فأركبوا النساء : بعضهن على الخيول ، وبعضهن على البغال ، والبعض على الحمير والجمال ، والبعض ماش كالجوارى والخدم . واستمر معظم الناس طول

وصمت الأسماع من توالى الضرب بحيث خيل للناس أن الأرض تزلزلت ، والسماء عليها سقطت . واستمر الحرب والقتال نحو ثلاثة أرباع ساعة . ثم كانت هذه الهزيمة على العسكر الغربى (١) ، ففرق الكثير من الخيالة فى البحر لاحاطة العدو بهم وظلام الدنيا ، والبعض وقع أسيرا فى أيدي الفرنسيين وملكوا المتاريس . وفر مراد بيك ومن معه الى



أحمد العاليك بهرب

الجيزة ، فصعد الى قصره ، وقضى بعض أشغاله فى نحو ربع ساعة ، ثم ركب وذهب الى الجهة القبلىة .. وبقيت القتلى والسيب والأمتعة والأسلحة والفرش ملقاة على الأرض . ببر إنبابة تحت الأرجل .

(١) يعنى جيش مراد بيك لانه بالبر الغربى .

من قبالة قصره ليصحبه معه الى جهة قبلى ، فمشوا به قليلا ووقف ، لقلة الماء ، فى الطين . وكان به عدة وافرة من آلات الحرب والجحانة فأمر بحرقه أيضا ، فصعد لهيب النار من حة الجيزة وبولاق .. فظنوا بل أيقنوا أنهم أحرقوا البلدين فهاجوا واضطربوا زيادة عما هم فيه من القزع والروع والجزع ، وخرج أعيان الناس وأفندية الوجاقات وأكابرهم وتقيب الأشراف وبعض المشايخ القادرين .

فلما عاين العامة والرعية ذلك ، اشتد ضجرهم وخوفهم ، وتحركت عزائمهم للهروب واللاحق بهم . والحال أن الجميع لا يدرون أى جهة يسلكون ، وأى طريق يذهبون ، وأى محل يستقرون .. فلاحقوا وتسابقوا وخرجوا من كل حذب ينسلون ، ويبيع الحمار الأعرج أو البغل الضعيف بأضعاف ثمنه ، وخرج أكثرهم ماشيا أو حاملا متاعه على رأسه وزوجته حاملة طفلها ، ومن قدر على مركوب أركب زوجته أو ابنته ومشى هو على أقدامه .

وخرج غالب النساء ماشيات حاسرات وأطفالهن على أكتافهن ييكن فى ظلمة الليل ، واستمروا على ذلك طول ليلة الأحد وصبحها ، وأخذ كل انسان ما قدر على حمله من مال ومتاع .

فلما خرجوا من أبواب البلد وتوسطوا الفلاة ، تلقتهم العربان والفلاحون ، فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحمالهم بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر به عورته أو يسد جوعته . فكان ما أخذته العرب شيئا كثيرا يفوق الحصر بحيث أن الأموال والذخائر التى خرجت من مصر فى تلك الليلة أضعاف مابقى فيها بلا شك ، لأن معظم الأموال عند الأمراء والأعيان وحريمهم ، وقد أخذوه صحبتهم .

وغالب مساتير الناس وأصحاب المقدرة أخرجوا أيضا ما عندهم . والذى أفعده العجز ، وكان عنده

الليل خارجين من مصر .. البعض بحريمه ، والبعض نجو بنفسه ، ولا يسأل أحد عن أحد ، بل كل واحد مشغول بنفسه عن أبيه وابنه فخرج تلك الليلة معظم أهل مصر .. البعض لبلاد الصعيد ، والبعض لجهة الشرق — وهم الأكثر — وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لا يقدر على الحركة . متثالا للقضاء متوفعا للمكروه ، وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده وما تنفقه على حمل عياله وأطفاله ويصرفه عليهم فى الغربة ... فاستسلم للمقدور ، والله عاقبة الأمور .

والذى أزعج قلوب الناس بالأكثر أن فى عشاء تلك الليلة ، شاع فى الناس أن الأفرنج عدوا الى بولاق وأحرقوها ، وكذلك الجيزة ، وأن أولهم وصل الى باب الحديد يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنساء .

وكان السبب فى هذه الاشاعة أن بعض القلنجية ، من عسكر مراد بيك الذى كان فى الغليون بمرسى انبابة ، لما تحقق الكسرة ، أضرم النار فى الغليون الذى هو فيه . وكذلك مراد بيك لما رحل من الجيزة أمر بانجرار الغليون الكبير



زوجة احد البكوات



مجوم البدو على المهاجرين

مغربى يعرف لغتهم .. وآخر صحبته (١) ، فغابا وعادا فأخبرا أنهما قابلا كبير القوم وأعطياه الرسالة ، فقرأها عليه ترجمانه ، ومضمونها الاستفهام عن قصدهم . فقال على لسان الترجمان : « وأين عظماءؤكم ومشايخكم ؟ لم تأخروا عن الحضور إلينا لترتب لهم ما يكون فيه الراحة ؟ » ولطمهم وبش في وجوههم . فقالوا : « نريد أمانا منكم » . فقال : « أرسلنا لكم سابقا » يعنون الكتاب المذكور . فقالوا : « وأيضا لأجل اطمئنان الناس » . فكتبوا لهم ورقة أخرى مضمونها :

« من معسكر الجيزة لأهل مصر ... »

« اتنا أرسلنا لكم فى السابق كتابا فيه الكفاية ، وذكرنا لكم أننا ما حضرنا الا بقصد ازالة الممالك الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار ، وأخذ مال التجار ومال السلطان .

« ولما حضرنا الى البر الغربى ، خرجوا إلينا ، فقابلناهم بما يستحقونه ، وقتلنا بعضهم ، وأسروا بعضهم . ونحن فى طلبهم حتى لم يبق أحد منهم بالقطر المصرى .

(١) فى كتب الفرنسيين ان الدين فكروا فى فتح باب المغاربة هم جماعة من تجار الافرنج فى القاهرة ، وذكروا انهم اجتمعوا بكخيا الوالى - نائبه - واقنعوه بضرورة ذلك .
(حافظ عوض - فتح مصر الحديث ص ١٢٧)

مايمز عليه من مال أو مصاغ ، أعطاه لجاره أو صديقه الراحل . ومثل ذلك أمانات وودائع الحجاج من المغاربة والمسافرين ، فذهب ذلك جميعه . وربما قتلوا من قدروا عليه أو دافع عن نفسه ومتاعه ، وسلبوا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن ، وفيهن الخوندات والأعيان .. فمنهم من رجع من قريب - وهم الذين تأخروا فى الخروج وبلغهم ما حصل للسابقين - ومنهم من جازف متكلا على كثرته وعزوته وخفارتة ، فسلم أو عطب . وكانت ليلة وصباحها فى غاية الشناعة جرى فيها ما لم يتفق مثله فى مصر ، ولا سمعنا بما شابه بعضه فى تواريخ المتقدمين . فما راء كمن سمع ا ولما أصبح يوم الأحد المذكور ، والمقيمون لا يدرون مايفعل بهم ، ومتوقعون حلول الفرنسيين ووقوع المكروه ، ورجع الكثير من الفارين وهم فى أسوأ حال من العرى والفرع .. تبين أن الافرنج لم يعدوا الى البر الشرقى ، وأن الحريق كان فى المراكب . فاجتمع فى الأزهر بعض العلماء والمشايخ وتشاوروا ، فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مراسلة الى الافرنج وينتظروا ما يكون من جوابهم ... ففعلوا ذلك وأرسلوها صحبة شخص

« وأما المشايخ والعلماء وأصحاب المرتبات والرعية فيكونون مطمئنين ، وفي مساكنهم مرتاحين » ...

الى آخر ما ذكرته .

ثم قال لهم : « لا بد أن المشايخ والشوربجية يأتون الينا لترتب له ديوانا لتتخبه من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الأمور » .

ولما رجع الجواب بذلك اطمأن الناس ، وركب الشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان القيومى وآخرون الى الجيزة فتلقاهم وضحك لهم . وقال : « أتم المشايخ الكبار » فأعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا . فقال : « لئى شئ يهربون ؟ اكتبوا لهم بالحضور ، ونعمل لكم ديوانا لأجل راحتكم وراحة الرعية وأجراء الشريعة » . فكتبوا منه عدة مكاتبات بالحضور والأمان . ثم انفصلوا من معسكرهم بعد العشاء وحضروا الى مصر ، واطمأن برجعهم الناس ، وكانوا فى وجل وخوف على غيابهم .

وأصبحوا فأرسلوا الأمان الى المشايخ ، فحضر الشيخ السادات والشيخ الشرقاوى والمشايخ ، ومن انضم اليهم من الناس الفارين من ناحية المطرية . وأما عمر أفندى تقيب الأشراف فانه لم يطمئن ولم يحضر ، وكذلك روزنامجى والأفندية .

وفى ذلك اليوم اجتمعت الجميدية وأوباش الناس ونهبوا بيت ابراهيم بيك ومراد بيك اللذين بخطة قوصون وأحرقوها ، ونهبوا أيضا عدة بيوت من بيوت الأمراء وأخذوا ما فيها من فرش ونحاس وأمتعة وغير ذلك وباعوه بأبخس الأثمان .

الثلاثاء ١٠ منه (٢٤ يولية ١٧٩٨ م) :

عدت الفرنساوية الى بر مصر (١) وسكن بونا برته

(١) يذكر حافظ موسى أن دخول نابليون القاهرة كان يوم الاربعاء ١١ صفر (٢٥ يوليو) .

بيت محمد بيك الألفى بالأزبكية ، بخط الساكت ، الذى أنشأه الأمير المذكور فى السنة الماضية ، وزخرفه وصرف عليه أموالا عظيمة ، وفرشه بالفرش الفاخرة . وعند تمامه وسكنه فيه ، حصلت هذه الحادثة فأخلوه وتركوه بما فيه . فكأنه انما كان ينيه لأمر الفرنسيين . وكذلك حصل فى بيت حسن كاشف جركس بالناصرة .

ولما عدى كبيرهم وسكن بالأزبكية ، استمر غالبهم بالبر الآخر ، ولم يدخل المدينة الا القليل منهم ، ومشوا فى الأسواق من غير سلاح ولا تعد ، بل صاروا يضاحكون الناس ويشترون ما يحتاجون اليه بأعلى ثمن .. فiaخذ أحدهم الدجاجة ويعطى صاحبها فى ثمنها ريال فرانسة ، ويأخذ البيضة بنصف فضة قياسا على أسعار بلادهم وأثمان بضائعهم (١) .

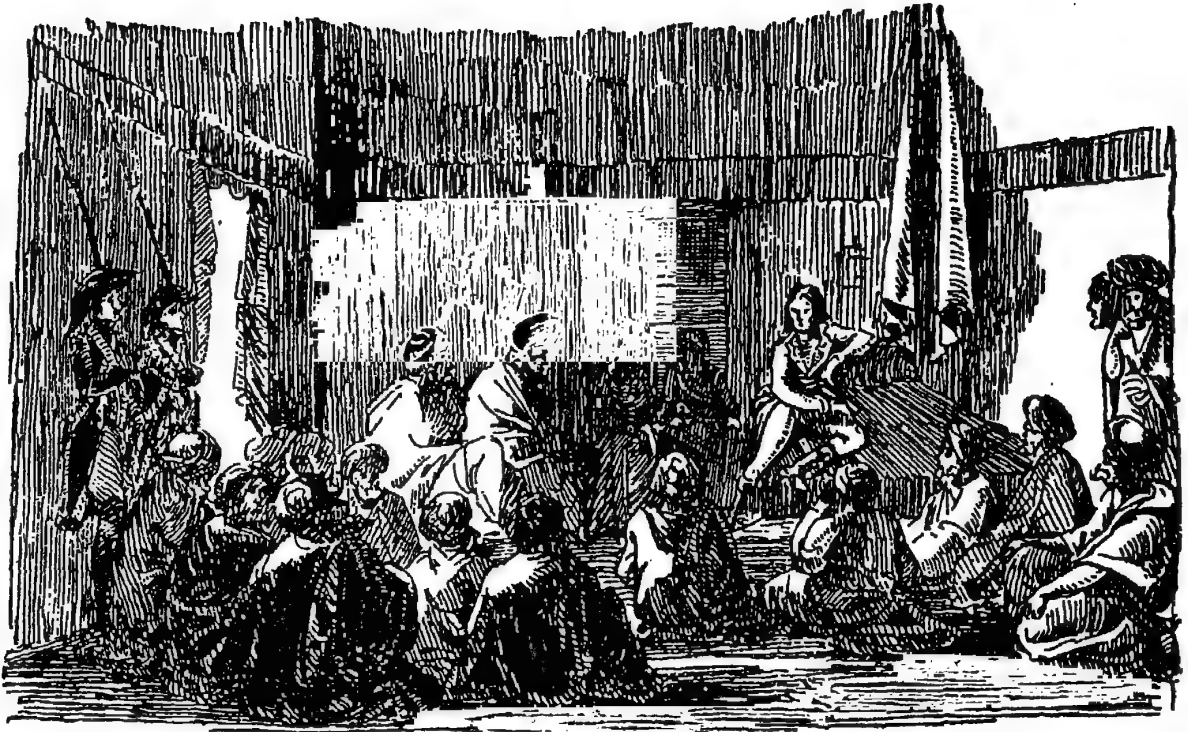
فلما رأى العامة منهم ذلك ، أنسوا بهم ، واطمأنوا لهم ، وخرجوا اليهم بالكعك وأنواع القطير والخبز والبيض والدجاج وأنواع المأكولات وغير ذلك .. مثل السكر والصابون والدخان والبن ، وصاروا يبيعون عليهم بما أحبوا من الأسعار ، وفتح غالب السوق الحوانيت والقهاوى (٢)

الخميس ١٢ منه (٢٦ يولية ١٧٩٨ م) :

أرسلوا بطلب المشايخ والوجاقلية عند قائم مقام صارى عسكر ، فلما استقر بهم الجلوس خاطبهم وتشاوروا معهم فى تعيين عشرة أنفار من المشايخ للديوان وفصل الحكومات . فوقع الاتفاق على الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ خليل البكرى

(١) للاستفاضة راجع ما كتبه كاتب فرنسى فى وصف الأيام الاولى التى أمقت دخول نابليون مدينة القاهرة فى كتاب فتح مصر الحديث لأحمد حافظ موسى (ص ١٥٢)

(٢) يذكر حافظ موسى أن هؤلاء الجنود قد امتلأت جيوبهم من ذهب المالك ولصقتهم وأن الأموال التى يبتاعون بها البضائع ليست أموالهم



بونابرت يرأس اجتماع شيوخ القاهرة

المناسب لجنس المالك ، فعرفوهم أن سوق مصر لا يخافون الا من الأتراك ، ولا يحكمهم سواهم ! ومؤلا المذكورون من بقايا البيوت القديمة الذين لا يتجاسرون على الظلم كغيرهم . وقلدوا ذا الفقار — كئخدا محمد بيك — كئخدا بونابرت ، ومن أرباب المشورة الخواجه موسى ... كانوا وكلاء الفرنسيوا ووكيل الديوان حنا بينو .

وفيه : اجتمع أرباب الديوان عند رئيسه . فذكر لهم ماوقع من نهب البيوت فقالوا له : « هذا فعل الجعيدية وأوباش الناس » . فقال : « لاي شيء يفعلون ذلك ؟ وقد أوصيناكم بحفظ البيوت والختم عليها » . فقالوا : « هذا أمر لاقدرة لنا على منعه ، وانما ذلك من وظيفة الحكام » . فأمروا الأغا والوالى أن ينادوا بالأمان وفتح الدكاكين والأسواق والمنع من النهب ، فلم يسمعو ولم ينتهوا . واستمر غالب الدكاكين والأسواق معطلة ، والناس غير مطمئنين . وفتح الفرنسيين بعض

والشيخ مصطفى الصاوى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ محمد المهدي والشيخ موسى السرمى والشيخ مصطفى الدمنهورى والشيخ أحمد العريشى والشيخ يوسف الشبرخيتى والشيخ محمد الدواخلى (١) .

وحضر ذلك المجلس أيضا مصطفى كئخدا بكر باشا والقاضى ، وقلدوا محمد أغا المسلمانى أغات مستحفظان ، وعلى أغا الشعراوى والى الشرطة ، وحسن أغا محرم أمين احتساب . وذلك باشارة أرباب الديوان ، فانهم كانوا مستنعين من تقليد

(١) يذكر الدكتور محمد فؤاد شكرى فى كتاب « عبد الله جاك سين » أن بونابرت أصدر أمره بتأسيس الديوان فى ٢٥ يوليو ١٧٩٨ م . وأن المجلس تالف من عشرة من المصريين هم : الشيخ الشرقاوى رئيسا والشيخ البكرى والشيخ الصاوى نائبين للرئيس والشيخ المهدي سكرتيرا والشيخ الفيومى والشيخ السرمى والشيخ الدمنهورى والشيخ العريشى والشيخ الشبرخيتى والشيخ الدواخلى أعضاء . كما ضم الديوان اليه ممثلين من جالية الأتراك فى هذه البلاد ثلاثة من الأوربيين ، هم كاف ، وولار ، ومودوف . وعين مونج نومسيرا فرنسيا وكلف بالاشراف على أعمال الديوان . فلم يكن أعضاؤه من المصريين وحدهم .

ابراهيم بيك الكبير ، وسكن مجلون (١) بيت مراد بيك على رصيف الخشاب ، وسكن بوسليك مدير الحدود بيت الشيخ البكرى القديم .

ويجتمع عنده النصارى القبط كل يوم ، وطلبوا الدفاتر من الكتبة

ثم ان عساكرهم صارت تدخل المدينة شيئا فشيئا حتى امتلأت منها الطرقات ، وسكنوا فى البيوت ... ولكن لم يشوشوا على أحد ، ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها ... ففجر السوق ، وصغروا أقراص الحبز ، وطحنوه بترابه .

وفتح الناس عدة دكاكين بجوار مساكنهم يبيعون فيها أصناف المأكولات : مثل الفطير والكعك والسك المقلى واللحوم والفراخ المحمرة وغير ذلك .

وفتح نصارى الأروام عدة دكاكين لبيع أنواع الأثرية ، وخمامير وقهاوى .

وفتح بعض الافرنج البلدين بيوتا يصنع فيها أنواع الأطعمة والأشربة على طرائقهم فى بلادهم . فيشتري الأغنام والدجاج والخضارات والأسماك والعسل والسكر وجميع اللوازم ... ويطبخه الطباخون ، ويصنعون أنواع الأطعمة والحلاوات . ويعمل على بابه علامة لذلك يعرفونها بينهم . فاذا مرت طائفة بذلك المكان تريد الأكل دخلوا الى ذلك المكان ، وهو يشتمل على عدة مجالس — دون وأعلى — وعلى كل مجلس علامته ومقدار الدراهم التى يدفعها الداخل فيه . فيدخلون الى ما يريدون من المجالس ، وفى وسطه دكة من الخشب — وهى الخوان التى يوضع عليها الطعام ، وحولها كراسى — فيجلسون عليها ، ويأتيهم

(١) مجالون الذى قام بأعمال القنصلية الفرنسية نائباً من معه ، وقابل بونابرت فى عرض البحر قبل النزول الى الشواطئ المصرية .

(دكتور محمد فؤاد شكرى — ميد الله جاك منه من ١٠٢)

البيوت المغلوقة التى للأمراء ودخلوها وأخذوا منها أشياء وخرجوا وتركوها مفتوحة .. فعندما يخرجون منها يدخلها طائفة الجعيدية ويستأصلون ما فيها . واستمروا على ذلك عدة أيام .

ثم انهم تتبعوا بيوت الأمراء وأتباعهم وختموا على بعضها وسكنوا بعضها . فكان الذى يخاف على داره من جماعة الوجاقلية أو من أهل البلد ، يعلق له بنديرة على باب داره ، أو يأخذ له ورقة من الفرلسيس بخطهم يلصقها على داره .

وفيه : قلدوا برطلمين النصرانى الرومى — وهو الذى تسميه العامة « فرط الرمان » — كتخدا مستحفظان .

وركب بموكب من بيت صارى عسكر ، وأمامه عدة من طوائف الاجناد والبطالين مشاة بين يديه ، وعلى رأسه حشيشة من الحرير الملون . وهو لابس فروة بز عادة ، وبين يديه الخدم بالحرايب المفضضة .

ورتب له بيوك باشى وقلقات عينوا لهم مراكز بأخطاط البلد يجلسون بها

وسكن المذكور بيت يحيى كاشف الكبير بجارة عابدين ، أخذه بمسا فيه من فرش ومتاع وجوار وغير ذلك .

والمذكور من أسافل نصارى الأروام العسكرية القاطنين بمصر ، وكان من الطبجية عند محمد بيك الألفى ، وله حانوت بخط الموسيقى يبيع فيه القوارير الزجاج أيام البطالة

وقلدوا أيضا شخصا أفرنجيا وجعلوه أمين البحرين ، وآخر جعلوه أغات الرسالة . وجعلوا الديوان بيت قائد أغا بالأزبكية قرب الرومى ، وسكن به رئيس الديوان ، وسكن روتوى — قائممقام مصر — بيت ابراهيم بيك البوالى المطل على بركة النيل ، وسكن شيخ البلد بيت

الفراشون بالطعام على قوانينهم ، فيأكلون ويشربون على نسق لا يتعدونه .

وبعد فراغ حاجتهم يدفعون ما وجب عليهم — من غير قص ولا زيادة — ويذهبون لحالهم .
وفيه : تشفع أرباب الديوان في أسرى الممالك ، فقبلوا شفاعتهم وأطلقوهم ، فدخل الكثير منهم الى الجامع الأزهر ، وهم في أسوأ حال ، وعليهم الثياب الزرق المقطعة ، فمكثوا به يأكلون من صدقات الفقراء المجاورين به ، ويتكفون المارين .
وفي ذلك عبرة للمعتبرين !

السبت ١٤ منه (٢٨ يولية ١٧٩٨ م) :

اجتمعوا بالديوان وطلبوا دراهم سلفة — وهى مقدار خمسمائة ألف ريال — من التجار المسلمين والنصارى والقطب والشوام وتجار الأفرنج أيضا . فسألوا التخفيف . فلم يجابوا ، فأخذوا في تحصيلها .
وفيه : نادوا من أخذ شيئا من نهب البيوت يحضر به الى بيت قائم مقام ، وان لم يفعل وظهر بعد ذلك ، حصل له مزيد الضرر . ونادوا أيضا على نساء الأمراء بالأمان ، وأنهن يسكن بيوتهن ، وان كان عندهن شيء من متاع أزواجهن بظهرنه ، فان لم يكن عندهن شيء من متاع أزواجهن يصالحن على أنفسهن ويأمن في دورهن . فظهرت الست قبيصة زوجة مراد بيك وصالحت عن نفسها وأتباعها من نساء الأمراء والكشاف ببلغ قدره مائة وعشرون ألف ريال فرنسا ، وأخذت في تحصيل ذلك من نفسها وغيرها . ووجهوا عليها الطلب ، وكذلك بقية النساء ، بالوسايط المتداخلين في ذلك كنصارى الشوام والأفرنج البلديين وغيرهم ، فصاروا يعملون عليهن ارهاصات وتخريفات ، وكذلك مصالحات على الغز والأجناد المخففين والغائبين والفارين ... فجمعوا بذلك أموالا كثيرة ، وكتبوا للغائبين أوراقا بالأمان بعد المصالحة . ويختتم على تلك الأوراق المقيدون بالديوان .

الأحد ١٥ منه (٢٩ يولية ١٧٩٨ م) :

طلبوا خيول والجمال والسلاح .. فكان شيئا كثيرا ، وكذلك الأبقار والأشوار ، فحصل فيها أيضا مصالحات ، وأشاعوا التفتيش على ذلك ، وكسروا عدة دكاكين بسوق السلاح وغيره ، وأخذوا ما وجدوه فيها من الأسلحة .. هذا وفي كل يوم ينقلون على الجمال والحمير من الأمتعة والفرش والصناديق والسروج وغير ذلك مما لا يحصى ، ويستخرجون الخبايا والودائع ، ويطلبون البنائين والمهندسين والخدام الذين يعرفون بيوت أسيادهم ، بل يذهبون بأنفسهم ويدلونهم على أماكن الخبايا ومواضع الدفائن ، ليصير لهم بذلك قربة ووجاهة ، ووسيلة ينالون بها أغراضهم .

وفيه : قبضوا على شيخ الجميدية ، ومعه آخر ، وبندقوا عليهما بالرصاص بركة الأزبكية ، ثم على آخرين أيضا بالرماية . وأحضر النهابون أشياء كثيرة من الأمتعة التى نهبوها عند ما داخلهم الخوف ، ودل بعضهم على بعض .

الثلاثاء ١٧ منه (٣١ يولية ١٧٩٨ م) :

طلبوا أهل الحرف من التجار والأسواق ، وقرروا عليهم دراهم — على سبيل القرض والسلفة — مبلغا يعجزون عنه ، وأجلوا لها أجلا مقداره ستون يوما . فضجوا واستغاثوا وذهبوا الى الجامع الأزهر والمشهد الحسينى ، وتشفعوا بالمشايخ .. فتكلموا لهم ولطفوها الى نصف المطلوب ، ووسموا لهم في أيام المهلة .

وفيه : شرعوا في تكسير أبواب الدروب والبوابات النافذة . وخرج عدة من عساكرهم يخلعون ويقلعون أبواب الدروب والعطف والطارات ، واستمروا على ذلك عدة أيام . ودخل الناس من ذلك وهم وخوف شديد ، وظنوا ظنونا ، وحصل عندهم فساد مخيلة ووسوسة ، تجسست في نفوسهم بالفاظ نطقوا بها ، وتصوروا حقيقتها وتناقلوها فيما بينهم كقولهم :

حجاج الفلاحين مع العرب ، فأوصلوهم الى بلادهم
بالغربة والمنوفية والقليوبية وغيرها . وكذلك فعل
الكثير من الحجاج ، فتفرقوا في البلاد بحريهم ،
ومنهم من أقام ببليس . وأما أمير الحج صالح بيك
فانه لحق بابراهيم بيك وصحبته جماعة من التجار
وغيرهم .

٢٨ منه (١١ اغسطس ١٧٩٨ م) :

ملك الفرنساوية مدينة ببليس من غير قتال ،
وبها من بقى من الحجاج ، فلم يشوشوا عليهم
وأرسلوهم الى مصر ، وصحبته طائفة من
عساكرهم ، ومعهم طبل .

الاحد غايته (١٢ اغسطس ١٧٩٨ م) :

جاء الرائد ليلا الى الأمراء بالمنصورة ، وأخبرهم
بوصول الافرنج وقربهم منهم . فركبوا نصف
الليل وترفعوا الى جهة القرن ، وتركوا التجار
وأصحاب الأتقال ... فلما طلع النهار حضر اليهم
جماعة من العربان ، واتفقوا معهم على أنهم يحملونهم
الى القرن ، وحلفوا لهم ، وعاهدوهم على أنهم
لا يخونونهم .

فلما توسطوا بهم الطريق ، تقضوا عهدهم ،
وخانوهم ، ونهبوا حولهم ، وتقاسموا متاعهم
وعروهم من ثيابهم — وفيهم كبير التجار السيد
أحمد المحروقي ، وكان ما يخصه نحو ثلاثمائة
ألف ريال فرانسه تقودا ومتجرا من جميع الأصناف
الحجازية — وصنعت العرب معهم ما لا خير فيه

ولحقهم عسكر الفرنساوية .. فذهب السيد أحمد
المحروقي الى سارى عسكر وواجهه — وصحبته
جماعة من العرب المنافقين — فشكاه لملك به
وباخوانه .. فلامهم على تقلهم وركونهم الى المماليك
والعرب . ثم قبض على أبى خشبة شيخ بلد
القرن ، وقال له : « عرفنى عن مكان المنهويات » .
فقال : « أرسل معى جماعة الى القرن » . فأرسل

« ان عساكر الفرنسيين عازمون على قتل المسلمين
وهم في صلاة الجمعة » . ومنهم من يقول غير
ذلك .. وذلك بعد أن كان قد حصل عندهم بعض
اطمئنان ، وفتحوا بعض الدكاكين . فلما حصلت
هاتان التكتتان ، انكمش الناس ثانيا ، وارتجفت
قلوبهم .

٢٠ منه (٣ اغسطس ١٧٩٨ م) :

حضرت مكاتيب الحجاج من العقبة ، فذهب
أرباب الديوان الى بائى العسكر وأعلموه بذلك ،
وطلبوا منه أمانا لأمير الحج ، فامتنع وقال : لا أعطيه
ذلك الا بشرط أن يأتى فى قلة ، ولا يدخل معه
مماليك كثيرة ولا عسكر .

فقالوا له : ومن يوصل الحجاج ؟ فقال لهم : أنا
أرسل لهم أربعة آلاف من العسكر يوصلونهم الى
مصر .

فكتبوا لأمير الحج مكاتبة بالملاطفة ، وأنه يحضر
بالحجاج الى الدار الحمراء .. وبعد ذلك يحصل
الخير .. فلم تصل اليهم الجوابات حتى كاتبهم
ابراهيم بيك يطلبهم للحضور الى جهة ببليس ..
فتوجهوا على ببليس ، وأقاموا هناك أياما .

وكان ابراهيم بيك ومن معه ارتحل من ببليس
الى المنصورة ، وأرسلوا الحريم الى القرن .

٢٣ منه (٦ اغسطس ١٧٩٨ م) :

خرجت طائفة من العسكر الفرنساوى الى جهة
العادلية ، وصار فى كل يوم تذهب طائفة بعد أخرى
ويذهبون الى جهة الشرق .

الأربعاء ٢٥ منه (٨ اغسطس ١٧٩٨ م) :

فى هذه الليلة خرج كبيرهم بونايرته — وكانت
أوائهم وصلت الى الخائكة وأبى زعل — وطلبوا
كلفة من أبى زعل ... فامتنعوا . فقاتلوهم
وضربوهم وكسروهم ونهبوا البلدة وأحرقوها
وارتحلوا الى ببليس .

وأما الحجاج فانهم نزلوا ببليس ، واكثر

معه جماعة دلهم على بعض الأحمال ، فأخذها
الافرنج ورفعوها ، ثم تبعوه الى محل آخر ،
فأوهمهم أنه يدخل ويخرج اليهم أحمالا كذلك ..
فدخل وخرج من مكان آخر وذهب هاربا !

فرجع أولئك العسكر بجمل ونصف جمل لاغير ،



معركة ابن قمر البحرية

بيك وعدة من الأمراء والماليك وتحاربوا معهم
ساعة أشرف فيها الفرنسيين على الهزيمة لكونهم
على الخيول ، وإذا بالخبر وصل الى ابراهيم بيك
بأن العرب مالوا على الحملة يقصدون نهبا ...
فعند ذلك فر بمن معه على أثره ، وتركوا قتال
الفرنسيين ، ولحقوا بالعرب وجلوهم عن متاعهم
وقتلوا منهم عدة ، وارتحلوا الى قطيا ، ورجع
صاري عسكر الى مصر .

وقالوا : « هذا الذي وجدناه ، والرجل فر من
أيدينا » . فقال صاري عسكر : « لابد من تحصيل
ذلك » . فطلبوا منه الاذن في التوجه الى مصر ،
فأصبح معهم عدة من عسكره أوصلوهم الى
مصر ، وأمامهم طبل ، وهم في أسوأ حال ...
وصحبتهم أيضاً جماعة من النساء اللاتي كن خرجن
ليلة الحادثة ، وهن أيضاً في أسوأ حالة ... تسكب
عند مشاهدتهن العبرات !

ربيع الأول

الثلاثاء ٢ منه (١٤ اغسطس ١٧٩٨ م) :

وصل الفرنسية الى نوحى القرين . وكان
ابراهيم بيك ومن معه وصلوا الى الصالحية
وأودعوا مالهم وحريمهم هناك ، وضمنوا عليها
العربان وبعض الجند . فأخبر بعض العرب
الفرنساوية بمكان الحملة . فركب صاري عسكر
وأخذ معه الخيالة ، وقصد الاغارة على الحملة .
وعلم ابراهيم بيك بذلك أيضا ، فركب هو وصالح

الخميس ٤ منه (١٦ اغسطس ١٧٩٨ م) :

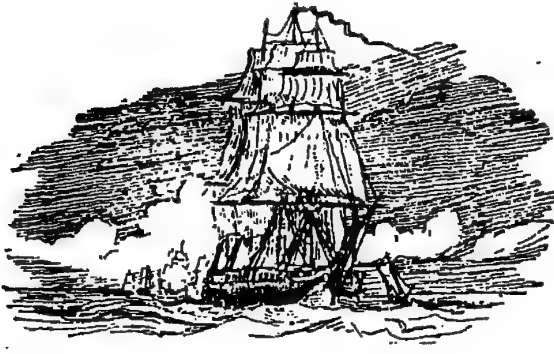
دخل صاري عسكر مصر ليلا بعد أن ترك عدة
من عساكره متفرقين في البلاد .

الجمعة ٥ منه (١٧ اغسطس ١٧٩٨ م) :

كان وفاء النيل المبارك ، فأمر صاري عسكر
بالاستعداد وتزوين العقبة كالعادة ، وكذلك زينوا
عدة مراكب وغلايين ، ونادوا على الناس بالخروج
الى النزهة في النيل والمقياس والروضة على عادتهم .

كما أشار ، وردها الى صاحبها ... فانكف الناس
عن التكلم في شأن ذلك .

والواقع أن الانكليز حضروا في اثرهم الى
الشرق ، وحاربوا مراكبهم فسالوا منهم ، وأحرقوا
القايق الكبير المسمى بنصف الدنيا (١) ، وكان به



السفينة « الشرق »

أموالهم وذخائرهم وكان مصفحا بالنحاس الأصفر .
واستمر الانكليز بمراكبهم بميناء الإسكندرية
يغدون ويروحون يرصدون الفرنسيين (٢) .

وفي ذلك اليوم سافر عدة من عساكرهم الى
بحرى والى الشرقية . ولما جرى الماء في الخليج
منعوا دخول الماء الى بركة الأزبكية ، وسدوا
قنطرة الدكة بسبب وطاقهم ومدافعهم وآلتهم التى
فيها .

وفيه : سأل صارى عسكر عن المولد النبوى ولماذا
لم يعملوه كعادتهم . فاعتذر الشيخ الكرى بتعطيل
الأمر وتوقف الأحوال . فلم يقبل وقال : « لا بد

(١) بريد البارجة اوريان (الشرق) ، ولعلها سميت في مصر
(نصف الدنيا) إشارة الى عظمتها او إشارة الى ان اسمها (الشرق)
ومن الشرق والغرب تتكون الدنيا .

(الرافى - تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢٢٥)

(٢) كانت تقدم اسطول الاميرال نلسن منذ اقتربته من خليج
ابى قير سفينة مصرية . والمروج ان هذه السفينة كانت تقل
جماعة من البحارة المصريين تقدموا ليرشدوا الاسطول الانجليزى
الى مسالك البحر في تلك الجهة ، يساعدهم بذلك على الاسطول
الفرنسى .

(الرافى - تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢٢٠)

وأرسل صارى عسكر أوراقا لكتخدا الباشا
والقاضى وأرباب الديوان وأصحاب المشورة
والتولين للمناصب وغيرهم بالحضور في صباحها .
وركب صحبتهم بموكبه وزينته وعساكره وطبوله
وزموره الى قصر قنطرة السد ، وكسروا الجسر
بحضرتهم ، وعملوا شنك مدافع ونفوطا حتى جرى
الماء في الخليج ، وركب - وهم صحبتهم - حتى
رجع الى دازه . وأما أهل البلد فلم يخرج منهم
أحد تلك الليلة للتنزه في المراكب على العادة سوى
النصارى الشوام والقبط والأروام والافرنج
البلدين ونسائهم (١) ، وقليل من الناس البطالين
حضروا في صباحها .

وفيه : تواترت الأخبار بحضور عدة مراكب من
الانكليز الى نهر الاسكندرية ، وأنهم حاربوا
مراكب الفرنساوية الراسية بالميناء . وكانت أشيعت
هذه الأخبار قبل ، وتحدث الناس بها .. فصعب
ذلك على الفرنساوية .

واتفق أن بعض النصارى الشوام قتل عن رجل
شريف ، يسمى السيد أحمد الزرو من أعيان التجار
بوكالة الصابون ، أنه تحدث بذلك ، فأمروا
باحضاره وذكروا له ذلك ، فقال : « أنا حكيت
ما سمعته من فلان النصرانى » . فأحضروه أيضا
وأمروا بقطع لسانيهما أو يدفع كل واحد منهما مائة
ريال فرانسه نكالا لهما وزجرا عن الفضول فيما
لايعنيهما . فتشفع المشايخ .. فلم يقبلوا . فقال بعضهم:
أطلقوهما ونحن نأتيكم بالدراهم ... فلم يرضوا .
فأرسل الشيخ مصطفى الصاوى وأحضر مائتى ريال
ودفعها في الحضرة . فلما قبضها الوكيل ردها ثانيا
اليه ، وقال : فرقها على الفقراء . فأظهر أنه فرقها

(١) اراد نابليون الاحتفال بوفاء النيل لاختفاء مقامه الحزن
الذى كانت تخرج في قلوب الفرنسيين لضياع اسطولهم في معركة
ابى قير البحرية - وكانت قد اذيعت في ذلك اليوم نفسه - وتهدد
الفرنسيون من اذاعوها بأشد انواع العقاب .

(ميد الرحمن الرافى تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ٢٦٨)

من ذلك « . وأعطى له ثلاثمائة ريال فرانسه معاونة .
وأمر بتعليق تعاليق وأحبال وقناديل .

واجتمع الفرنسيون يوم المولد ولعبوا ميادينهم ،
وضربوا طبولهم ودبابتهم ، وأرسل الطبلخانة
الكبيرة الى بيت الشيخ البكرى ، واستمروا
يضربونها بطول النهار والليل بالبركة تحت داره
— وهى عبارة عن طبالات كبار مثل طبالات النوبة
التركية ، وعدة آلات ومزامير مختلفة الأصوات
مطربة — وعملوا فى الليل حراقة نفوط مختلفة
وسوارىخ تصعد فى الهواء .

وفيه : ألبس الشيخ البكرى فروة ، وتقلد نقابة
الأشراف ، « نودى فى المدينة بأن كل من كان له
دعوى على شريف فليرفعها الى النقيب .
وفيه : ورد الخبر بأن ابراهيم بك والأمراء
المصرية ... استقروا بغزة .

الاثنين ١٥ منه (٢٧ أغسطس ١٧٩٨ م) :

سافر عدة كبيرة من عسكر الفرنسيون الى
جهة الصعيد وكبيرهم ديزيه ، وصحبته يعقوب
القبضى ، ليعرفهم الأمور ويطلعهم على المخبات .

وفيه : حضر القاصد الذى كان أرسله كبير
الفرنساوية بمكاتبات وهدية الى أحمد باشا الجزائر
بعكا — وذلك عند استقرارهم بمصر — وصحبته
أنفار من النصارى الشوام فى صفة تجار ومعهم
جانب أرز ، ونزلوا من ثغر دمياط فى سفينة من
سفائن أحمد باشا . فلما وصلوا الى عكا وعلم بهم
أحمد باشا ، أمر بذلك الفرنسيون فنقلوه الى بعض
النقاير ، ولم يواجهه ولم يأخذ منه شيئا ، وأمره

بالرجوع من حيث أتى ، وعوق عنده نصارى الشوام
الذين كانوا بصحبته .

وفيه : حضر جماعة من عسكر الفرنسيون الى بيت
رضوان كاشف بباب الشعرة وصحبته ترجمان
ومهندس ... فانزعجت زوجته . وكانت قبل ذلك
بأيام صالحت على نفسها ويبتها بألف ريال وثلاثمائة
ريال ، وأخذت منهم ورقة ألصقتها على باب دارها ،
وردت ما كانت وزعت من المال والمتاع عند
معارفها .. واطمأنت .

فلما حضر اليها الجماعة المذكورون قالوا لها : « بلغ
صارى عسكر أن عندك أسلحة وملابس للمماليك » .
فأنكرت ذلك ، فقَالوا : « لازم من التفتيش » .
فقالت : « دونكم » . فطمعوا الى مكان وفتحوا
مخبة فوجدوا بها أربعة وعشرين شروالا
وبلكات وأمتعة وغير ذلك . ووجدوا فى أسفلها
مخبة أخرى بها عدة كثيرة من الأسلحة والبنادق
والطبنجات وصناديق بارود وغير ذلك ...
فاستخرجوا جميع ذلك ، ثم نزلوا الى تحت السلالم ،
وفجروا الأرض وأخرجوا منها دراهم كثيرة
وحجاب ذهب فى داخله دنائير . ثم أنزلوا صاحبة



ميناء دمياط

هنالك الخلعة بحضرة مشايخ الديوان ، والتزم
بونابرت بتسهيل مهمات الحج وعلل محلا جديدا .
وفيه : سأل أصحاب الحصص الالتزام في التصرف
في حصصهم ، فطلبوا منهم حلوانا ... فلم يرتضوا
بذلك . فواعدتهم لتسام التحرير والاملاء ، وقالوا :
« كل من كان له التزام وتفسيط ناطق باسمه ،
يحضره ويمليه » . ففعلوا ذلك في عدة أيام .

وفيه : قدروا فريضة من المال على القرى
والبلاد . ونشروا بذلك أوراكا ، وذكروا فيها أنها
تحتسب من المال . وقيدوا بذلك الصيارف من
القبط ، ونزلوا في البلاد — مثل الحكام —
يجسون ويضربون ويشددون في الطلب .

وفيه : طلب صارى عسكر بونابرت المشايخ .
فلما استقروا عنده ، نهض بونابرت من المجلس
ورجع ويده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان ، كل
طيلسان ثلاثة عروض : أبيض وأحمر وكحلى .
فوضع منها واحدا على كتف الشيخ الشرقاوى
فرمى به الى الأرض واستغنى ، وتغير مزاجه
واتقنع لونه ، واحتد طبعه .

فقال الترجمان : يامشايخ أتم صرتم أحبابا
لصارى عسكر ، وهو يقصد تعظيمكم وتشريفكم
بزيه وعلاماته ، فان تميزتم بذلك ، عظمتكم العساكر
والناس ، وصار لكم منزلة في قلوبهم فقالوا له :
لكن قدرنا يضيع عند الله وعند اخواننا من المسلمين .
فاغتاپ لذلك ، وتكلم بلسانه ، وبلغ عنه بعض
الترجمين أنه قال عن الشيخ الشرقاوى : انه لا يصلح
للرياسة ، ونحو ذلك . فلألفه بقية الجماعة ،
واستغفوه من ذلك . فقال : ان لم يكن ذلك فلازم
من وضعكم الجوكار في صدوركم — وهى العلامة
التي يقال لها الوردية — فقالوا : أمهلونا حتى
تتروى في ذلك ... وانتقروا على اثني عشر يوما .

وفي ذلك الوقت حضر الشيخ السادات
باستدعاء ، فصادفهم منصرفين . فلما استقر



مملوك مدهج بالسلاح

الدار ، ومعها جارية بيضاء ، وأخذوهما مع
الجوارى السود وذهبوا بهن ... فأقمن عندهم
ثلاثة أيام ، ونهبوا ما وجدوه بالدار من فرش
وأمتعة . ثم قرروا عليها أربعة آلاف ريال أخرى ،
قامت بدفعها ... وأطلقوها . فرجعت الى دارها .
وبسبب هذه الحادثة شددوا في طلب الأسلحة ،
ونادوا بذلك ، وأنهم بعد ثلاثة أيام يفتشون
البيوت .. وقال الناس : ان هذه حيلة على نهب
البيوت : ثم بطل ذلك .

السبت ٢٠ منه (اول سبتمبر ١٧٩٨م) :

قلدوا مصطفى بك كتخدا الباشا على اماره
الحج ، فحضروا الى المحكمة عند القاضى ، ولبس

الجلوس ، بش له وضاحكه صارى عسكر ، ولاطفه فى القول الذى يعرّبه الترجمان ، وأهدى له خاتم الماس ، وكلفه الحضور فى الغد عنده ، وأحضر له جوكار أوثقه بفراجه ... فسكت وسايره ، وقام وانصرف . فلما خرج من عنده رفعه ... على أن ذلك لا يخل بالدين !

وفى ذلك اليوم . نادى جماعة القلقات على الناس بوضع العلامات المذكورة المعروفة بالنوردة - وهى اشارة الطاعة والمحبة - فأنف غالب الناس من وضعها ، وبعضهم رأى أن ذلك لا يخل بالدين اذ هو مكره ، وربما ترتب على عدم الامثال الضرر .. فوضعها !

ثم فى عصر ذلك اليوم نادوا بإبطالها من العامة ، وألزموا بعض الأعيان ومن يريد الدخول عندهم لحاجة من الحاجات بوضعها ، فكانوا يضعونها اذا حضروا عندهم ، ويرفعونها اذا انفصلوا عنهم ، وذلك أيام قليلة ، وحصل ما يأتى ذكره ، فتركت .

وفى أواخره كان انتقال الشمس لبرج الميزان ، وهو الاعتدال الخريفى ، فشرع الفرنساوية فى عمل عيدهم بركة الأزبكية . وذلك اليوم كان ابتداء قيام الجمهور ببلادهم ، فجعلوا ذلك اليوم عيداً وتاريخاً .. فنقلوا أخشاباً ، وحفروا حفراً ، وأقاموا بوسط بركة الأزبكية صاريًا عظيمًا بآلة وبناء ، وردموا حوله تراباً كثيراً عالياً بمقدار قامه ، وعملوا فى أعلاه قالباً من الخشب محدد الأعلى ، مربع الأركان ، ولبسوا باقيه على سمت القالب قمائشاً نخينا طلوه بالحجرة الجزعة ، وعملوا أسفله قاعدة نقشوا عليها تصاوير سواد فى بياض ، ووضعوا قبالة باب الهواء بالبركة شبه بوابة كبيرة عالية من خشب مققص ، وكبسوها بالقماش المدهون مثل لون الصارنى .

وفى أعلى القوصرة طلاء أبيض ، وبه تصاوير

بالأسود ، مصور فيه مثل حرب الممالك المصرية معهم ، وهم فى شبه المنهزمين ... بعضهم واقع على بعض ، وبعضهم ملتفت الى خلف .

وعلى موازاة ذلك من الجهة الأخرى بناحية قنطرة الدكة التى يدخل منها الماء الى البركة ، مثال بوابة أخرى على غير شكلها لأجل حراقة البارود ، وأقاموا أخشاباً كثيرة منتصبة مصطفة منها الى البوابة الأخرى ، شبه الدائرة ، متسعة محيطه بمعظم فضاء البركة بحيث صار عمود الصارى الكبير المنتصف المذكور فى المركز ، وربطوا بين تلك الأخشاب جبالاً ممتدة ، وعلقوا بها صفين من القناديل ، وبين ذلك تماثيل لحراقة البارود أيضا ... وأقاموا فى عمل ذلك عدة أيام

ربيع الآخر

الأربعاء أوله (١٢ سبتمبر ١٧٩٨ م) :

وردت الأخبار بأن مراد بك ومن معه لما بلغهم ورود الفرنسيين عليهم ، رجفوا الى جهة القيوم . وأن عثمان بك الأشقر عدى الى البر الشرقى وذهب من خلف الجبل الى أستاذة ابراهيم بك بغزة . وخرج جماعة من الفرنساوية الى جهة الشرق ، ومعهم عدة جمال وأجمال ، فخرج عليهم الغز والعرب الذين يصحبونهم ، فأخذوا منهم عدة جمال بأحمالها ولم يلحقوهم .

الجمعة ٣ منه (١٤ سبتمبر ١٧٩٨ م) :

حضرت مكاتبة من ابراهيم بك خطاباً للمشايخ وغيرهم مضمونها : أنكم تكونون مطمئنين ومحافظين على أنفسكم والرعية ، وأن حضرة مولانا السلطان وجه لنا عساكر وان شاء الله تعالى عن قريب نحضر عندكم .

فلما وردت تلك المكاتبة - وقد كان سأل عنها بونايرته - فأرسلوها له ، وقرئت عليه . فقال : الممالك كذابون .

نصفين ، ويرفعونها بالعتالين إلى هناك . فاجتمع مع ذلك شيء كثير جدا ، وامتأل من رصيف الخشاب إلى قريب وسط البركة .

السبت ١١ منه (٢٢ سبتمبر ١٧٩٨ م) :

كان يوم عيدهم الموعود به ، فضربوا في صبيحته مدافع كثيرة ، ووضعوا على كل قائم من الخشب نديرة من بنديراتهم الملونة ، وضربوا طبولهم . واجتمعت عساكرهم بالبركة ، الخيالة والرجالة ، واصطفوا صفوفًا على طرائقهم المعروفة بينهم ، ودعوا المشايخ وأعيان المسلمين والقبط والشوام ... فاجتمعوا ببيت صاري عسكرونا برته ، وجلسوا حصة من النهار ، ولبسوا في ذلك اليوم ملابس الاقتحار ، ولبس المسلم جرجس الجوهري لركة ، يطرز قصب على أكثافها إلى أكمامها ، وعلى صدرها شمسات قصب بأزرار ، وكذلك فلبس .. وتعموا بالعمائم الكشميري ، وركبوا البغال الفارحة ، وأظهروا البشر والسرور في ذلك اليوم إلى الغاية .

ثم نزل عظمائهم — وصحبهم المشايخ والقاضي ، وكثخدا الباشا — فركبوا وذهبوا عند الصاري الكبير الموضوع بوسط البركة .. وقد كانوا فرشوا في أسفله سطا كثيرة

ثم ان العساكر لعبوا ميدانهم ، وعملوا هيئة حربهم ، وضربوا البنادق والمدافع .. فلما انقضى ذلك اصطفت العساكر صفوفًا حول ذلك الصاري ، وقرأ عليهم كبير قسوسهم ورقة بلغتهم لا يدري معناها الا هم ، وكأنها كالوصية أو النصيحة أو الوعظ . ثم قاموا وانقض الجمع .

ورجع صاري عسكر إلى داره فمد سباطا عظيما للحاضرين .

فلما كان عند الغروب ، أوقدوا جميع القناديل التي على الحبال والتماثيل والأحبال التي على

ووافق أيضا أنه حضر أغا رومي — وكان معوقا بالاسكندرية — فمر بالشارع ، وذهب لزيارة المشهد الحسيني ، فشاهده الناس فاستغربوا هيئته ، وفرحوا برؤيته ، وقالوا : هذا رسول الجي حضر من عند السلطان بجواب إلى الفرنسيين يأمرهم بالخروج من مصر .

واختلفت رواياتهم وآراؤهم وأخبارهم ، وتجمعوا بالمشهد الحسيني ، وتبع بعضهم بعضا . وصادف ذلك أن بونا برته في ذلك الوقت بلغه مما نقل وتناقل بين الناس ، أنه ورد مكتوب إلى المشايخ أيضا وأخفوه . فركب من فورده ، وحضر إلى بيت الشيخ السادات بالمشهد الحسيني — وكان الوقت بعد الظهر — فدخل على حين غفلة — ولم يكن تقدم له مجيء — وهو في كبكة وخيول كثيرة وعساكر ... فانزعج الشيخ — وكان منحرف المزاج — ونزل إليه ، وهو لا يعرف السبب في مجيئه في مثل هذا الوقت على هذه الصورة ... فعندما شاهده سأل عن ذلك المكتوب ، فقال : لا علم لي بذلك . ولم يكن بلغه الخبر . ثم جلس مقدار ساعة ، وركب ومر بعسكره وطوافيه من باب المشهد ... والناس قد كثر ازدحامهم بالجامع والخطة ، وهم يلفطون ويخلطون . فلما نظروه ، وشاهدوا جمعيتهم ، داخله أمر من ذلك ، فصاحوا بأجمعهم ، وقالوا بصوت عال : « الفاتحة » !

فشخص إليهم وصار يسأل من معه عن ازدحامهم ، فلفطوا له القول ، وقالوا له : انهم يدعون لك وذهب إلى داره ...

وكانت لكمة غريبة ، وساعة اتفاقية عجيبة كاد ينشأ منها فتنة !

وفيه : شرعوا في خلع البوابات والدروب الغير النافذة أيضا . ونقلوا الجميع إلى بركة الأزبكيه ، عند رصيف الخشاب ، والبوابة الكبيرة يقطعونها

عندهم في ناحية من البيوت ، وصحبتها جماعة من النساء المسلمات والنساء الفرنجيات .

فلما أصبح النهار ركب المشايخ الى كتخد الباشا والقاضي ، فركبا معا وذهبا الى بيت صاري عسكر الكبير .. فأحضرها وسلمها الى القاضي .. ولم يثبت عليها شيء من هذه الدعوى . وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسه ، وذهبت الى بيت لها مجاور لبيت القاضي وأقامت فيه لتكون في حمايته .



بيت القاضي

الخميس ٢٦ منه (٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م) .

نادوا في الأسواق بأن كل من كان عنده بغلة يذهب بها الى بيت قائم مقام بيركة القيل ويأخذ ثمنها ، وإذا لم يحضرها بنفسه تؤخذ منه قهرا ، ويدفع ثلثمائة ريال فرانسه ، وإن أحضرها باختياره يأخذ في ثمنها خمسين ريالا ، قلت قيمتها أو كثرت ، فغنم صاحب الخسيس ، وخسر صاحب النفيس . ثم ترك ذلك .

وفيه : نادوا بوقود قناديل سهارى بالطرق والأسواق ، وأن يكون على كل دار قنديل ، وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل ، وأن يلازموا الكسش والرش وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات . وفيه : نادوا على الأغراب من المغاربة وغيرهم والخدامين البطالين ليسافروا الى بلادهم وكل من وجد بعد ثلاثة أيام يستاهل الذى يجرى عليه . وكرروا المناداة بذلك ، وأجلوهم بعدما أربعا وعشرين ساعة . فذهبت جماعة من المغاربة الى

البيوت . وعند العشاء عملوا حراقة بارود وسواربخ ونفوط وشبه سواقى ودواليب من قار ، ومدافع كثيرة نحو ساعتين من الليل ، واستمرت القناديل موقدة حتى طلع النهار . ثم فكوا الحبال والتعاليق والتماثيل المصنوعة ، وبقيت البوابة المقابلة لباب الهواء ، والصارى الكبير وتحت جماعة ملازمون الاقامة عنده ليلا ونهارا من عساكرهم ، لأنه شعارهم ، وإشارة الى قيام دولتهم في زعمهم .

وفي ثانی ليلة : ركب كبيرهم الى بر الجيزة وسفر عساكر الى الجهة التى مر بها مراد بك . وكذلك الى جهة الشرقية ومعهم مدافع على عجل . وفيه : أرسل دبوى قائم مقام الى الست نفيسة ، وطلب منها احضار زوجة عثمان بك الطنبرجى . فأرسلت الى المشايخ تستغيث بهم . فحضر اليها الشيخ محمد المهدي والشيخ موسى السرسى ، وقصدوا منعها .. فلم يمكنهم ، فذهبوا صحبتها ، ونظروا في قصتها .

والسبب فى طلبها أنهم وجدوا رجلا فراشا معه جانب دخان وبعض ثياب ، فقبضوا عليه وقرروه ، فأخبر أنه تابعها وأنها أعطته ذلك ووعدته بالرجوع اليها لتسلمه شبكى دخان وفروه وخمسائة محبوب ليوصل ذلك الى سيده ... فهذا هو السبب فى طلبها .

فقالوا : وأين الفراش ؟ فبعثوا لاحضاره ، وسألوها ، فأنكرت ذلك بالمرة .. فانتظروا حضور الفراش الى بعد الغروب ... فلم يحضر . فقال لهم المشايخ : دعوها تذهب الى بيتها ، وفي غد نأتى ونحقق هذه القضية . فقال دبوى : « نو نو » ، ومعناه بلغتهم النفي ، أى لا تذهب . فقالوا له : دعها تذهب هي ونحن نبيت عوضا عنها .. فلم يرض أيضا ، وعالجوا في ذلك بقدر طاقتهم . فلما أسوا تركوها ومضوا .. فباتت

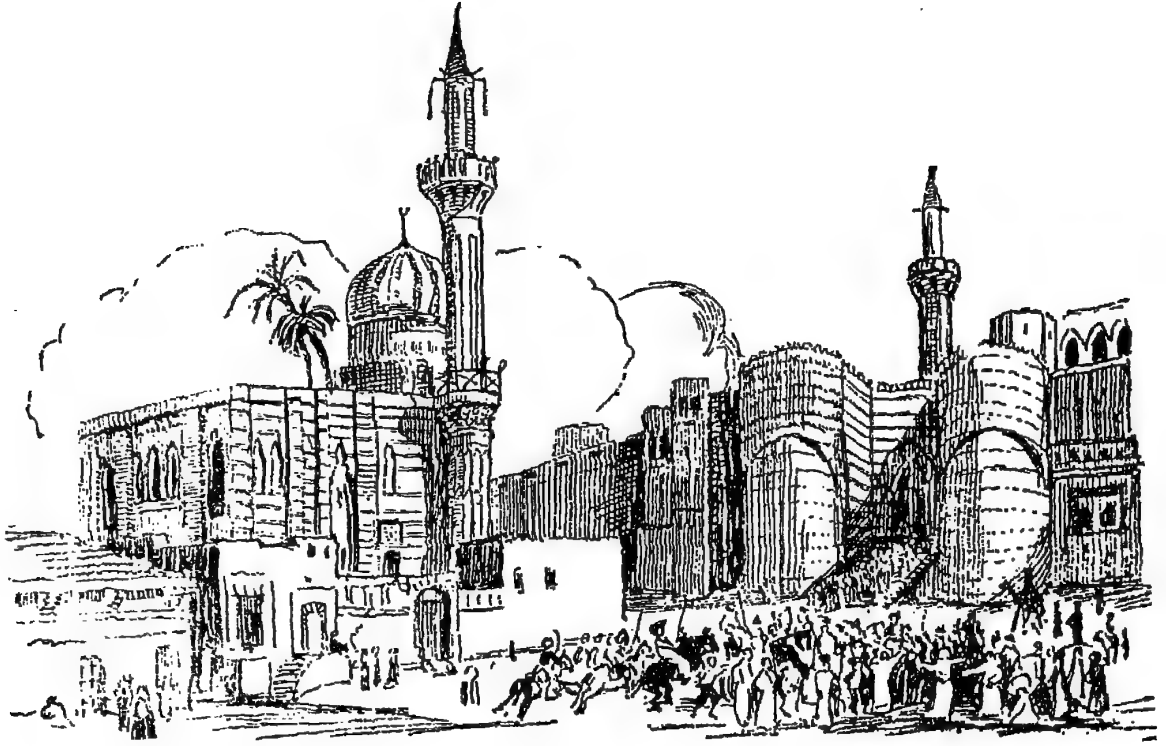
بالسجل .. طلب منه بعد ذلك الثبوت . ويدفع على ذلك الاشهاد ، بعد ثبوته وقبوله ، قدرا آخر ، ويأخذ بذلك تصحيحا ، ويكتب له بعد ذلك تمكين . وينظر بعد ذلك في قيمته ، ويدفع على كل مائة اثنين . فان لم يكن له حجة ، أو كانت ولم تكن مقيدة بالسجل ، أو مقيدة ولم يثبت ذلك التقييد .. فانها تضبط لديوان الجمهور وتصير من حقوقهم !! وهذا شيء متعذر . وذلك أن الناس انما وضعوا أيديهم على أملاكهم اما بالشراء ، واما بأيلولتها لهم من مورثهم ، أو نحو ذلك بحجة قرية أو بعيدة العهد ، أو بحجج أسلافهم ومورثيهم . فاذا طولبوا باثبات مضمونها ، تعسر أو تعذر لحادث الموت أو الأسفار ، أو ربما حضرت الشهود .. فلم تقبل . فان قبلت .. فعل به ما ذكر .

ومن جملة الشروط مقررات على الموارث والموتى ، ومقاديرها متنوعة في القلة والكثرة .. كقولهم : اذا مات الميت .. يشاورون عليه ، ويدفعون معلوما لذلك ، ويفتحون تركته بعد أربع وعشرين ساعة . فاذا بقيت أكثر من ذلك ... ضبطت للديوان أيضا ، ولا حق للورثة فيها . وان فتحت على الرسم باذن الديوان ... يدفع على ذلك الاذن مقررا . وكذلك على ثبوت الورثة ، ثم عليهم -- بعد قبض ما يخصهم -- مقرر . وكذلك من يدعى ديناً على الميت .. يثبت بديوان الحشريات . ويدفع على اثباته مقررا ، ويأخذ له ورقة يتسلم بها دينه . فاذا تسلمه .. دفع مقررا أيضا . ومثل ذلك في الرزق والأطيان بشروط وأنواع ، وكيفية أخرى غير ذلك . والهبات والمبايعات والدعاوى ، والمنازعات والمشاجرات والاشهادات -- الجزئيات والكيليات -- والمسافر كذلك لا يسافر الا بورقة ، ويدفع عليها قدرا . وكذلك المولود اذا ولد ... ويقال له « اثبات الحياة » . وكذلك المؤاجرات ، وقبض أجر الأملاك ... وغير ذلك .

صارى عسكر وقالوا له : أرنا طريقا للذهاب ، فان طريق البر غير مسلوكة ، والانجليز واقفون بطريق البحر يمنعون المسافرين ، ولا تقدر على المقام في الاسكندرية من الغلاء وعدم الماء بها ... فتركهم . وفيه : جعلوا ابراهيم أغات المتفرقة المعمار قبطان السويس . وسافر معه أنفار بيرق فرنساوى ، فخرج عليهم العربان في الطريق فنهبوهم وقتلوا ابراهيم أغا المذكور ومن بصحبته ولم يسلم منهم الا القليل . وفيه : أهمل أمر الديوان الذى يحضره المشايخ بيت قائد أغا . فاستمروا أياما يذهبون ، فلم يأتهم أحد ، فتركوا الذهاب .. فلم يطلبوا .

وفيه : شرعوا في ترتيب ديوان آخر وسموه محكمة القضايا ، وكتبوا في شأن ذلك طومارا وشرطوا فيه شروطا ، ورتبوا فيه ستة أنفار من النصارى القبط وستة أنفار من تجار المسلمين ، وجعلوا قاضيه الكبير ملطى القبطى الذى كان كاتبا عند أيوب بك الدفتردار ، وفوضوا اليهم القضايا في أمور التجار والعامه والموارث والدعاوى . وجعلوا لذلك الديوان قواعد وأركاناً من البدع السيئة ، وكتبوا نسخا من ذلك كثيرة ، أرسلوا منها الى الأعيان ، وألصقوا منها نسخا في مفارق الطرق ورؤوس العطف وأبواب المساجد ، وشرطوا في ضمنه شروطا ، وفي ضمن تلك الشروط شروطا أخرى ... بتعابير سخيفة يفهم منها المراد بعد التأمل الكثير ، لعدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية ...

ومحصله التخليل على أخذ الأموال . كقولهم بأن أصحاب الأملاك يأتون بحججهم وتمسكاتهم الشاهدة لهم بالتملك . فاذا أحضروها ، وبينوا وجه تملكهم لها اما بالبيع أو الانتقال لهم بالارث .. لا يكتفى بذلك ، بل يؤمر بالكشف عليهما في السجلات ، ويدفع على ذلك الكشف دراهم بقدر عبئونه في ذلك الطومار . فان وجد تمسكه مقيدا



ميدان الرميطة وجامع المحمودية وباب العرب

والنزول الى المدينة ليسكنوا بها . فنزلوا وأصعدوا الى القلعة مدافع ركزوها بعده مواضع وهدموا بها أبنية كثيرة ، وشرعوا في بناء حيطان وكراتك وأسوار ، وهدموا أبنية عالية ، وأعلوا مواضع منخفضة ، وبنوا على بدئات باب العرب بالرميطة وغيروا معالمها وأبدلوا محاسنها ومحو ما كان بها من معالم السلاطين وآثار الحكماء والمظماء وما كان في الأبواب العظام من الأسلحة والدرق والبلطه والحوذات والحراب الهندية وأكر الفداوية ، وهدموا قصر يوسف صلاح الدين ومحاسن الملوك والسلاطين ، ذوات الأركان الشاهقة والأعمدة الباسقة .

وفيه : عينت عساكر الى مراد بيك ، وذهبوا اليه ببحر يوسف جهة القيوم .

وفيه : نودى بأن كل من تشاجر مع نصراني أو يهودى أو تشاجر معه نصراني أو يهودى يشهد

وفيه : نادى أصحاب الدرك على العامة بترك الفضول والكلام في أمور الدولة . فاذا مر عليهم جماعة من العسكر مجروحين أو مهزمين ، لا يسخرون بهم ، ولا يصفقون عليهم كما هي عادتهم ا

وفيه : نهبوا أمتعة عسكر القلنجية الذين كانوا عسكرا عند الأمراء ، فأخذوا مكائنا بوكالة على بيك بساحل بولاق وبالجمالية . وأخذوا متاعهم ومتاع شركائهم محتجين بأنهم قاتلوا مع المماليك وهربوا معهم .

وفيه : أحضروا محمد كتخدا أبا سيف الذى كان سردارا بدمياط من طرف الأمراء المصريين . وكان سابقا كتخدا حسن بيك الجداوى . فلما حضر حبسوه في القلعة وحبسوا معه فراشا لابراهيم بيك .

وفيه : أمروا سكان القلعة بالخروج من منازلهم

أحد الخصمين على الآخر ويطلبه لبيت صارى
عسكر .

وفيه : قتلوا شخصين وطافوا برءوسهما وهم
ينادون عليهما ويقولون : « هذا جزاء من يأتي
بمكاتيب من عند الممالك أو يذهب اليهم بمكاتيب » .

وفيه : نهوا على الناس بالمنع من دفن الموتى
بالترب القريبة من المساكن كثرة الأزيكية
والرويعي ، ولا يدفنون الموتى الا في القرافات
البعيدة ، والذي ليس له تربة بالقرافة يدفن ميتة
في ترب الممالك . واذا دفنوا يبالغون في تسفيل
الحفر .

ونادوا أيضا بنشر الثياب والأمتعة والفرش
بالأسطحة عدة أيام ، وتبخير البيوت بالبخورات
المذهبة للعفونة ... كل ذلك للخوف من حصول
الطاعون وعدواه . ويقولون : ان العفونة تنجس
بأغوار الأرض . فاذا دخل الشتاء ، وبردت الأغوار
يسريان النيل والأمطار والرطوبات ... خرج ما كان
منجسا في الأرض من الأبخرة الفاسدة ، فيتعفن
الهواء ، فيحصل الوباء والطاعون .

ومن قولهم أيضا : ان مرض مريض لا بد من
الاخبار عنه ، فيرسلون من جتهم حكيم للكشف
عنه ان كان مرضه بالطاعون أو بغيره ، ثم يرون
رأبهم فيه .

السبت ١٨ منه (٢٩ سبتمبر ١٧٩٨ م) :

ذهبت جماعة من القواسمة الذين يخدمون
الفرنساوية وشرعوا في هدم التراكيب المبنية على
المقابر بتربة الأزيكية وتمهيدها بالأرض .

فشاع الخبر بذلك ، وتسامع أصحاب الترب
بتلك البقعة ، فخرجوا من كل حذب ينسلون —
وأكثرهم النساء الساكنات بحارات المدافع وباب
اللون وكوم الشيخ سلامة والقوالة والمناصرة

وقنطرة الأمير حسين وقلعة الكلاب ... الى أن
صاروا كالجراد المنتشر ، ولهم صياح وضجيج .
واجتمعوا بالأزيكية وولفوا تحت بيت ساري
عسكر . فنزل لهم المترجمون ، واعتذروا بأن
ساري عسكر لا علم له بذلك الهدم ، ولم يأمر
به ، وانما أمر بمنع الدفن فقط ... فرجعوا الى
أماكنهم ، ورفع الهدم عنهم .

وفيه : كتبوا من المشايخ كتابا ليرسلوه الى
السلطان وآخر الى شريف مكة . ثم انهم بصموا
منه عدة نسخ ولصقوها بالطرق والمفارق .. وصورته
— ملخصا بعد الصدور — ذكر ورودهم وقتالهم
مع الممالك وهروبهم . وأن جماعة من العلماء
ذهبت اليهم بالبر الغربي فأمنوهم . وكذلك الرعية
دون الممالك . وذكروا فيه أنهم من أخصاء
السلطان العثماني وأعداء أعدائه ، وأن السكة
والخطبة باسمه ، وشعائر الاسلام مقامة على ما هي
عليه . وباقيه بمعنى الكلام السابق ... من قولهم
انهم مسلمون وانهم يحترمون القرآن والنبي وانهم
أوصلوا الحجاج المتشتين وأكرمهم ، وأركبوا
الماشى ، وأطعموا الجياع ، وسقوا العطشان ،
واعتنوا بيوم الزينة : يوم جبر البحر ، وعملوا له
شأنا ورونقا استجلابا لسرور المؤمنين ، وأنفقوا
أموالا يرسم الصدقة على الفقراء . وكذلك اعتنوا
بالمولد النبوي ، وأنفقوا أموالا في شأن انتظامه .
واتفق رأينا ورأيهم على لبس حضرة الجنباب
المحترم مصطفى أغا كتخدا بكر باشا ، والى مصر
حالا . فاستحسننا ذلك لبقاء علفة الدولة العلية .
وهم أيضا مجتهدون في اتمام مهمات الحرمين ،
وأمرونا أن نعلمكم بذلك والسلام .

وفيه : وقعت حادثة جزئية من جملة الجزئيات :
وهي أن رجلا صيرفيا بجوار حارة الجوانية وقع
من لفظه أنه قال : « السيد أحمد البدوي بالشرق
والسيد ابراهيم الدسوقي بالغرب يقتلان كل من



صراف بالقاهرة

وفيه : سافر أيضا جماعة من الفرنسيين الى جهة مراد بيك ومن معه والتقوا معهم وتراموا ساعة ثم انهزموا عنهم وأطعموهم في أنفسهم فتبعوهم الى أسفل جبل اللاهون ثم خرجوا عليهم على مثل حالهم رجالا ، وتراموا معهم وأكمنوا لهم وثبتوا معهم ، وظهر عليهم المصريون وقتل من الفرنسياتى مقتلة كبيرة .

وفيه : سقطت البوابة المصنوعة ببركة الأزبكية المقابلة لباب الهواء التى كانوا وضعوها فى يوم عيدهم وقد تقدم شرحها ووصفها وسبب سقوطها أنهم لما منعوا الماء من دخوله للبركة ، وسدوا القنطرة — كما تقدم — علا الماء فى أرض البركة ، وتخلخت الأرض فسقطت تلك البوابة .

الجمعة ٢٤ منه (٥ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

نهبوا على المشايخ والأعيان والتجار ومن حضر من الأقطار بالحضور الى الديوان العام

ير عليهما من النصارى « وكان هذا الكلام بحضور من النصارى الشوام فجأوبه بعضهم وأسمعه قبيح القول ووقع بينهما التشاجر . فقام النصرانى وذهب الى دبوى وأخبره بالقصة . فأرسل وقبض على ذلك الصيرفى وجبسه وسمر خانوته ، وختم على داره . وتشفع فيه المشايخ عدة مرار . فأطلقوه بعد يومين ، وأرسلوه الى بيت الشيخ البكرى ليؤدب هناك بالضرب أو يدفع خمسمائة ريال فرانسه . فضرب مائة سوط ، وأطلق الى سبيله . وكذلك أفرجوا عن بقية المسجونين .

الاثنين ٢٠ منه (اول أكتوبر ١٧٩٨ م) :

طاف أصحاب الدرك على الأخطاط والوكائل فكتبوا أسماءها وأسماء البوابين وأمروهم ألا يسكنوا أحدا من الأغراب ولا يطلقوا أحدا يسافر بلا اذن من أغات مستحفظان .

الثلاثاء ٢١ منه (٢ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

عمل المولد الحسينى وكان من العزم تركه فى هذا العام ، قدس بعض المنافقين دسيئة عند الفرنسيين .

وذلك أنه وقعت المذاكرة بأن من المعتاد أن يعمل المولد الحسينى بعد مولد النبى فقال بونايرته : « ولم لم يعملوه ؟ »

فقال ذلك المنافق : « غرض الشيخ السادات عدم عمله ، الا اذا حضر المسلمون » فبلغ الشيخ السادات ذلك فشرع فى عمله على سبيل لاختصار ، وحضر صارى عسكر ، وشاهد الوقدة ، ورجع الى داره بعد العشاء .

وفيه : حضر علماء الاسكندرية وأعيانها كذلك رشيد ودمياط وبقية البنادر باستدعاء صارى عسكر ليحضروا الديوان الشارعين فيه ترتيب النظام الذى سبقت الاشارة اليه .

ومحكمة النظام بكرة تاريخه وذلك بيت مرزوق
بيك بحارة عابدين .

السبت ٢٥ منه (٦ أكتوبر ١٧٩٨ م) :-

في صبحه أعادوا التنبية بحضورهم بالديوان
القديم بينت قائد أغا بالأزبكية .

فتوجه المشايخ المصرية ، والذين حضروا من
الثغور والبلاد . وحضر الوجاقات ، وأعيان التجار ،
ونصارى القبط والشوام ، ومدبرو الديوان من
الفرنسيين ، وغيرهم جمعا موفورا .

فلما استقر بهم الجلوس ، شرع مالطى القبطى ،
الذى عملوه قاضيا ، في قراءة فرمان الشروط وفي
المناقشة — فابتدر كبير المدبرين في اخراج طومار
آخر ، وناولوه للترجمان .. فنشره وقراه .

وملخصه ومضمونه : الاخبار بأن قطر مصر هو
المركز الوحيد ، وأنه أخصب البلاد . وكان يجلب
اليه المتساجر من البلاد البعيدة ، وأن العلوم
والصنائع والقراءة والكتابة التى يعرفها الناس في
الدنيا — أخذت عن أجداد أهل مصر الأول .
ولكون قطر مصر بهذه الصفات ، طمعت الأمم في
تملكه : فملكه أهل بابل ، وملكه اليونانيون ،
والعرب ، والترك الآن . الا أن دولة الترك شددت
في خرابه ، لأنها اذا حصلت الثمرة ، قطعت عروقها
.. فلذلك لم يقبوا بأيدي الناس الا القدر اليسير ،
وصار الناس لأجل ذلك مختفين تحت حجاب الفقر ،
وقاية لأنفسهم من سوء ظلمهم .

ثم ان طائفة الفرنساوية — بعدما تمهد أمرهم ،
وبعد صيتهم بقيامهم بأمور الحروب — اشتاقت
أنفسهم لاستخلاص مصر مما هي فيه ، واراخه
أهلها من تغلب هذه الدولة ، المنعنة جهلا وغباوة
فقدموا وحصل لهم النصر . ومع ذلك لم يتعرضوا
لأحد من الناس ، ولم يعاملوا الناس بقسوة ، وأن
غرضهم تنظيم أمور مصر ، واجراء خلجانها التى

دثرت ، ويصير لها طريقان : طريق الى البحر الأسود
وطريق الى البحر الأحمر .. فيزداد خصبها وربيعها ،
ومنع القوى من ظلم الضعيف ، وغير ذلك ..
استجلابا لخواطر أهلها ، وإبقاء للذكر الحسن .
فالمناسب من أهلها ترك الشعب وإخلاص المودة ،
وأن هذه الطوائف المحضرة من الأقاليم يترتب على
حضورها أمور جليلة ، لأنهم أهل خبرة وعقل ..
فيسألون عن أمور ضرورية ، ويجيبون عنها فينتج
لنصارى عسكر من ذلك ما يليق صنعه ..

الى آخر ما سطروه من الكلام .

قلت : ولم يعجبني في هذا التركيب الا قوله :
« المنعنة جهلا وغباوة » بعد قوله : « اشتاقت
أنفسهم » . ومنها قوله بعد ذلك : « ومع ذلك لم
يتعرضوا لأحد » .. الى آخر العبارة .

ثم قال الترجمان : « نريد منكم يا مشايخ أن
تختاروا شخصا منكم يكون كبيرا ورئيسا عليكم ،
ممثلين أمره وإشارته » . فقال بعض الحاضرين :
« الشيخ الشرقاوى » . فقال : « نو ، نو ، وانما
ذلك يكون بالقرعة » . فعملوا قرعة بأوراق ، فطلع
الأكثر على الشيخ الشرقاوى .. فقال : « حينئذ
يكون الشيخ عبد الله الشرقاوى هو الرئيس » .
فما تم هذا الأمر حتى زالت الشمس ، فأذنوا لهم
في الذهاب ، وألزموهم بالحضور في كل يوم .

وفيه : وقعت كائنة الحاج محمد بن قيمو المغربى ،
التاجر الطرابلسى .. وهى أنه كان بينه وبين بعض
نصارى الشوام المترجمين منافسة ، فأنهى الى
عظماء الفرنسيين : أنه ذو مال ، وأنه شريك
عبد الله المغربى تابع مراد بيك . فأرسلوا بطلبه ،
فذهب الى بيت الشيخ عبد الله الشرقاوى —
لنسابة بينهما — فقال الشيخ للقواسمة المرسلين ،
بعد سؤالهم عن سبب طلبهم له ، فقالوا : « لدعوة
ليست شرعية » . فقال لهم : « في غد أحضروا
خصمه ، ويتداعى معه .. فان توجه الحق عليه

من ذلك أشياء : منها أمر المحاكم والقضايا الشرعية ، وحجج العقارات ، وأمر الموارث . وتناقشوا في ذلك حصة من الزمن ، وكتبوا هذه الأربعة أشياء .. أرباب ديوان الخاصة ، يدبرون رأيهم في ذلك ، وينظرون المناسب والأحسن ، وما فيه الراحة لهم وللرعية . ثم يعرضون ما دبروه يوم الخميس ، وما بين ذلك له مهلة . وانفض المجلس .

جمادى الأولى

الخميس مستهله (١١ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

اجتمعوا بالديوان ومعهم ما لخصوه واستأصلوه في الجملة . فأما أمر المحاكم والقضايا فالأولى إبقاؤها على ترتيبها ونظامها . وعرفوهم عن كيفية ذلك ، ومثل ذلك ما عليه أمر محاكم البلاد . فاستحسنوا ذلك إلا أنهم قالوا : يحتاج إلى ضبط المحاصيل وتقريرها على أمر لا يتعداه القضاة ولا نوابهم . فقررروا ذلك : وهو أنه إذا كان عشرة آلاف فما دونها يكون على كل ألف ثلاثون نصفاً ، وإذا كان المبلغ مائة يكون على الألف خمسة عشر ، فإن زاد على ذلك فعشرة . واتفقوا على تقرير القضاة ونوابهم على ذلك .

وأما حجج العقارات فانه أمر شاق طويل الذيل . فالمناسب فيه والأولى أن يجعلوا عليها دراهم من بادیء الرأى ليسهل تحصيلها ، وبحسن عليها السكوت . ويكون المحصول أعلى وأدنى وأوسط ، وبينوا القدر المناسب بتفصيل الأماكن . وكتبوه وأبقوه حتى يرى الآخرون رأيهم فيه . وانفض الديوان .

وفيه : نودى في الأسواق بنشر الثياب والأمتعة خمسة عشر يوماً ، وقيدوا على مشايخ الأخطاط والحارات والقلقات بالفحص والتفتيش ، فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين يدخلون البيوت للكشف عن ذلك .

الزمناء بدفعه » . فرجعت الرسل ، وتغيب الرجل لخوفه . فبعد مضي مقدار نحو ساعة ، حضر نحو الخمسين عسكرياً من الفرنسيين إلى بيت الشيخ وطالبوه به .. فأخبرهم أنه هرب . فلم يقبلوا غذره ، وألحوا في طلبهم ، ووقفوا بينادقهم ، وأرهبوا .. فركب المهدي والدواخلي إلى صاري عسكر ، وأخبروه بالقضية وبهروب الرجل . فقال : « ولأى شيء يهرب ؟ » فقالوا : « من خوفه » . فقال : « لولا أن جرمه كبير لما هرب . وأتم غيبتوه » . وأظهر الخنق والغيظ .. فإطفاه ، واستعظفا خاطر الترجمان .. فكلمه ، فسكن غيظه . ثم سأل عن منزله ومخزنه .. فأخبروه عنهما . فقال : « يذهب معكما من يختم عليهما ، حتى يظهر في غد » . فاطمأنوا لذلك ، ورجعوا عند الغروب ، وختموا على مخزنه ومنزله .

فلما أصبح النهار ، فلم يظهر الرجل ، أخذوا ما وجدوه فيهما من البضائع والأمانات .

الاثنين ٢٦ منه (٧ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

ذهبوا إلى الديوان ، وعملوا مثل عملهم الأول ، حتى تمسوا أسماء المنتخبين بديوان مصر من الثغور والمشايخ والوجاقلية والقط والشوام وتحار المسلمين . وذلك الترتيب غير ترتيب الديوان السابق .

الاثنين ٢٧ منه (٨ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

اجتمعوا بالديوان ، ونادى المنادى في ذلك اليوم بالأسواق على الناس باحضارهم حجج أملاكهم إلى الديوان والمهلة ثلاثون يوماً ، فإن تأخر عن الثلاثين يضاعف المقرر . ومهلة البلاد ستون يوماً .

ولما تكامل الجميع ، شرع مالطى في قراءة المنشور وتعداد ما به من الشروط مستور . وذكر

فتصعد المرأة الى أعلى الدار ، وتخبرهم عن صحة نشرهم الثياب ، ثم يذهبون بعد التأكد على أهل المنزل ، والتعذير من ترك الفصل .. وكل ذلك لأذهاب العقولة الموجبة للطاعون . وكتبوا بذلك أوراقا الصقوها بحيطان الأسواق ، على عاداتهم في ذلك .

وفيه : حضر الى بيت البكرى جم غفير من أولاد الكتائب والفقهاء والعيان والمؤذنين وأرباب الوظائف والمستحقين من الزمنى والمرضى بالمارستان المنصوري وأوقاف عبد الرحمن كتخدا ، وشكوا من قطع رواتبهم وخبزهم ، لأن الأوقاف تعطل لمرادها ، واستولى على نظارتها النصارى القبط والشوام وجعلوا ذلك مغنا لهم . فواعدهم على حضورهم الديوان ، وبنهوا شكواهم ، ويتشفع لهم .. فذهبوا راجعين .

وفيه : قدمت مراكب من جهة الصعيد وفيها عدة من العسكر مجروحون .

وفيه : وضعوا على التلال المحيطة بمصر ييارق ييغما ، فأكثر الناس من اللفظ ، ولم يعلموا سبب ذلك .

الأحد ٤ منه (١٤ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

اجتمعوا بالديوان وأخذوا فيما هم فيه فذكروا أمر الموارث .

فقال مالطى : « يا مشايخ أخبرونا عما تصنعونه في قسمة الموارث » ، فأخبروه بفروض الموارث الشرعية .

فقال : « ومن أين لكم ذلك » . فقالوا : « من القرآن » . وتلوا عليهم بعض آيات الموارث . فقال الأفرنج : « نحن عندنا لا نورث الولد ولورث البنت ، ونفعل كذا وكذا .. » بحسب تحسين عقولهم ، لأن الولد أقدر على التكسب من البنت .

فقال ميخائيل كحيل الشامى — وهو من أهل الديوان أيضا — « نحن والقبط يقسم لنا موارثنا المسلمون » . ثم التمسوا من المشايخ أن يكتبوا لهم كيفية القسمة ودليلها .. فسايروهم ، ووعدوهم بذلك ، وانفضوا .

وفيه : عزلوا محمداغا المسلمانى أغات مستحفظان وجعلوه كتخدا أمير الحج ، واستقروا بمصطفى أغا — تابع عبد الرحمن أغا مستحفظان سابقا — عوضا عنه ، ونودى بذلك .

الاثنين ٥ منه (١٥ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

عملوا لهم ديوانا وكتبوا لهم كيفية قسمة الموارث وفروض القسمة الشرعية وحصل الورثة ، والآيات المتعلقة بذلك . فاستحسنوا ذلك .

السبت ١٠ منه (٢٠ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

عملوا الديوان وأحضروا قائمة مقررات الأملاك والعقار : فجعلوا على الأعلى ثمانية فرانسة ، والأوسط ستة ، والأدنى ثلاثة . وما كان أجرته أقل من ريال فى شهر فهو معافى . وأما الوكائل والخانات والحمامات والمعاصر والسيارج والحوانيت فمنها ما جعلوا عليه ثلاثين وأربعين بحسب الخسة والرواج والامتاع . وكتبوا بذلك مناشير على عاداتهم وألصقوها بالمفارق والطرق ، وأرسلوا منها نسخا للأعيان ، وعينوا المهندسين ، ومعهم أشخاص لتمييز الأعلى من الأدنى . وشرعوا فى الضبط والإحصاء (١) ، وطافوا ببعض الجهات لتحرير القوائم ، وضبط أسماء أربابها .

ولما أشيع ذلك فى الناس ، كثر لغتهم واستعظموا ذلك ، والبعض استسلم للقضاء . فاتبذ جماعة من العامة وتناجوا فى ذلك . ووافقهم على ذلك

(١) انفض الديوان دون أن يستطيع تخفيف فداحة الضرائب التى استحدثها الفرنسيون : لذلك لم يجد ينفذ حتى نسبت له الثورة فى القاهرة .

(عبد الرحمن الرامى - الحركة القومية - ج ١ ص ١١٧)



معركة في شوارع القاهرة

وما حاذاها ، ولم يتمدوا جهة مساوها ،
وهدموا مساطب الحوانيت ، وجعلوا
أجبارها متاريس للكرنكة ، لتعوق هجوم
العدو في وقت المعركة . ووقف دون كل متراس
جمع عظيم من الناس . وأما الجهات البرانية
والنواحي الفوقانية فلم يفرع منها قازع ، ولم
يتحرك منها أحد ولم يسارع ، وكذلك شذ عن
الوفاق مصر العتيقة وبولاق ، وعذرهم الأكبر
قربهم من مساكن العسكر .

ولم تزل طائفة المحاربين في الأزقة مترسين .
فوصل جماعة من الفرنساوية ، وظهروا من ناحية
المناخلة وبنشقوا على متراس الشوائين ، وبهجة
من مقاربة الفحامين ، فقاتلوه حتى أجلوهم ، وعن
المناخلة أزالوهم .

وعند ذلك زاد الحال ، وكثر الرجز والزوال ،
وخرجت العامة عن الحد ، وبالفوا في القضية
بالمكس والطرء ، وامتدت أيديهم الى النهب
والخطف والسلب ... فهجموا على حارة الجوانية ،

بعض المتعمسين (١) ، الذي لم ينظر في عواقب
الأمر ، ولم يتفكر أنه في القبض مأسور فتجمع
الكثير من الفوغاء من غير رئيس يسوسهم ولا قائد
يقودهم !

الأحد ١١ منه (٢١ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

أصبحوا متحزين ، وعلى الجهاد عازمين ، وبرزوا
ما كانوا أخفوه من السلاح وآلات الحرب
والكفاح . وحضر السيد بدر ، وصحبته حشرات
الحسينية ، وزعر الحارات البرانية . ولهم صياح
عظيم وهول جسيم ويقولون بصياح في الكلام :
نصر الله دين الاسلام . فذهبوا الى بيت قاضي
العسكر وتجمعوا وتبعهم ممن على شاكلتهم نحو
الآلاف والأكثر . فخاف القاضي العاقبة وأغلق أبوابه
وأوقف حجابيه ، فرجموه بالحجارة والطوب وطلب
الهرب فلم يمكنه الهروب . وكذلك اجتمع بالآزهر
العالم الأكبر .

وفي ذلك الوقت حضر دوى بطائفة من فرسانه
وعساكره وشجعانه ، فمر بشارع الغورية ، وعطف
على خط الصنادقية وذهب الى بيت القاضي ، فوجد
ذلك الزحام فخاف وخرج من بين القصرين وباب
الزهومة ، وتلك الأخطاط بالخلائق مزحومة ،
فبادروا اليه وضربوه وأثخنوا جراحاته وقتل الكثير
من فرسانه وأبطاله وشجعانه . فعند ذلك أخذ
المسلمون حذرهم ، وخرجوا يهرعون ومن كل
حذب يسلبون ، ومسكوا الأطراف الدائرة بمعظم
أخطاط القاهرة : كباب الفتوح وباب النصر والبرقية
الى باب زويلة وباب الشعرية وجهة البندقانيين

(١) كان من هؤلاء المتعمسين بعض مباحي الأزهر الذين
اغضبهم مدم اشراك يونابرت اياهم في منظمات الحكومة
«الوطنية» الجديدة ومؤسساتها . وفضلا من ذلك فقد أصدر
السلطان فرمانا يحرض المسلمين على القيام ضد الكفرة
الفرنسيين . كما ان زعيمى الماليك « مراد وابراهيم » غلا يمينان
بالرسل الى الأزهر لتحريك الفتنة .

(دكتور فؤاد شكرى - ميد الله جاك مينو ص ١١٢)

النازل ، ويمنع عسكره من الرمي المتراسل ، ويكفهم
— كما انكف المسلمون — عن القتال . والحرب
خدعة وسجال !

فلما ذهبوا اليه ، واجتمعوا عليه — عاتبهم في
التأخير ، واتهمهم بالتقصير . فاعتذروا اليه ، فقبل
عذرهم ، وأمر برفع الرمي عنهم . وقاموا من عنده
وهم ينادون بالأمان في المسالك .

وتسامع الناس بذلك ، فردت فيهم الحرارة ،
وتسابقوا لبعضهم بالبشارة ، واطمأنت منهم
القلوب — وكان الوقت قبل الغروب — واقضى
النهار ، وأقبل الليل ، فغلب على الظن أن القضية
لها ذيل .

وأما أهل الحسينية والعطوف البرالية ، فلم يزالوا
مستمرين ، وعلى الرمي والقتال ملازمين . ولكن
خانهم المقصود ، وفرغ منهم البارود . والأفرنج
أنخنوهم بالرمي المتتابع .. بالقنابر والمدافع .
الى أن مضى من الليل نحو ثلاث ساعات ، وفرغت
من عندهم الأدوات ، فعجزوا عن ذلك ، وانصرفوا .
وكف عنهم القوم وانصرفوا .

وبعد هجمة من الليل ، دخل الأفرنج المدينة
كالسيل ، ومروا في الأزقة والشوارع ، لا يوجد
لهم ممانع ... كأنهم الشياطين أو جنـد ابليس ،
وهدموا ما وجدوه من المتاريس . ودخل طائفة من
باب البرقية ، ومشوا الى الغورية ، وكروا ،
ورجعوا ، وترددوا ، وما هجموا . وعلموا باليقين
أن لا دافع لهم ولا كمين . وتراسلوا أرسالا — ركبانا
ورجالا — ثم دخلوا الى الجامع الأزهر ، وهم راكبون
الخيول ، وبينهم المشاة كالوعول . وتفوقوا بصحنه
ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته ، وعاثوا
بالأروقة والحارات ، وكسروا القناديل والسهارات ،
وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ، ونهبوا
ما وجدوه من المتاع والأواني والقصاع والودائع

ونهبوا دور النصارى الشوام والأروام وما جاورهم
من بيوت المسلمين على التمام ، وأخذوا الودائع
والأمانات ، وسبوا النساء والبنات ، وكذلك نهبوا
خان الملايات وما به من الأمتعة والموجودات .
وأكثروا من المعاييب ، ولم يفكروا في العواقب ..
وباتوا تلك الليلة سهرانين ، وعلى هذا الحال
مستمرين ..

وأما الأفرنج فانهم أصبحوا مستعدين (١) وعلى
تلال البرقية والقلعة واقفين ، وأحضروا جميع الآلات
من المدافع والقنابر والبنات ، ووقفوا مستحضرين
ولأمر كبيرهم منتظرين .

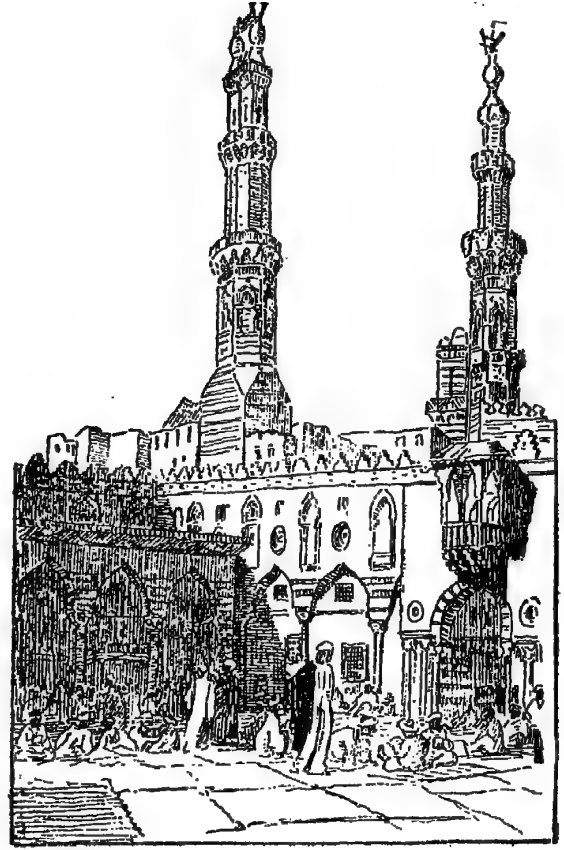
وكان كبير الفرنسيين أرسل الى المشايخ مراسلة
قلم يجيبوه عنها ، ومل من المطاولة . هذا والرمي
متتابع من الجهتين ، وتضاعف الحال ضعفين ...
حتى مضى وقت العصر ، وزاد القهر والحضر . فعند
ذلك ضربوا بالمدافع والبنات على البيوت
والحارات ، وتعمدوا بالخصوص الجامع الأزهر ،
وجرروا عليه المدافع والقنابر ، وكذلك
ما جاوره من أماكن المحاربين : كسوق الغورية ،
والفحامين . فلما سقط عليهم ذلك ورأوه ، ولم
يكونوا في عمرهم عابثوه ، نادوا : « ياسلام من هذه
الآلام ، باخفى الألفاف نجنا مما نخاف ! » . وهربوا
من كل سوق ، ودخلوا في الشقوق . وتتابع الرمي
من القلعة والكيमान .. حتى تزعزعت الأركان ،
وهدمت في مرورها حيطان الدور ، وسقطت في
بعض القصور ، ونزلت في البيوت والوكائل ،
وأصمت الأذان بصوتها الهائل .

فلما عظم هذا الخطب ، وزاد الحال والكرب ...
ركب المشايخ الى كبير الفرنسيين ليرفع عنهم هذا

(١) صدرت التعليمات الى الجنرال « بون » لهاجة
حي الأزهر وإطلاق مدافعه على الجامع الأزهر اذا اقتضى الأمر
ذلك . كما عهد الى الجنرال دومارتان بمحاصرة الجامع وقطع
السبل المؤدية اليه .

(دكتور نؤاد شكرى — عهد الله جالك مينو ص ١١٢)

تلك الجهة يهرعون ، وللتجاة بأنفسهم طالبون .
 واتهكوا حرمة تلك البقعة بعد أن كانت أشرف
 البقاع ، ويرغب الناس في سكنها ويودعون عند
 أهلها ما يخافون عليه الضياع . والفرنساوية لا يبرون
 بها الا في النادر ، ويحترمونها عن غيرها في الباطن
 والظاهر . فاقطب بهذه الحركة منها الموضوع ،
 وانخفض — على غير القياس — المرفوع . ثم
 ترددوا في الأسواق ، ووقفوا صفوفا مثينا وألوا .
 فان مر بهم أحد قتشوه ، وأخذوا مامعه ، وربما
 قتلوه . ورفعوا القتلى والمطروحين من الافرنج
 والمسلمين ، ووقف جماعة من الفرنسيين ، ونظفوا
 مراكز المتاريس ، وأزالوا ما بها من الأتربة والأحجار
 المتراكمة ، ووضعوها في ناحية ، لتصير طرق المرور
 خالية .



الجامع الأزهر

وتحزبت نصارى الشوام ، وجماعة أيضا من
 الأروام الذين انتهت دورهم بالحارة الجوانية ،
 ليشكوا لكبير الفرنسيين ما لحقهم من الرزية .
 واغتنموا الفرصة في المسلمين ، وأظهروا ما هو
 بقلوبهم كمين ، وضربوا فيهم المضارب ، وكانهم
 شاركوا الافرنج في النوايب اوما قصدتهم المسلمون
 ونهبوا ما لديهم الا لكونهم منسوين اليهم ... مع
 أن المسلمين الذين جاؤروهم ، نهبهم الزعر أيضا
 وسلبوهم . وكذلك خان الملايات المعلوم ، الذي
 عند باب حارة الروم ، وفيه بضائع المسلمين ،
 وودائع الغائبين .. فسكت المصاب على غصته ،
 واستعوض الله في قضيته ، لأنه ان تكلم لاتسمع
 دعواه ، ولا يلتفت الى شكواه !

واتدب برطلين للعسس على من حمل السلاح
 أو اختلس ، وبث أعوانه في الجهات ، يتجسسون
 في الطرقات ، فيقبضون على الناس بحسب
 أغراضهم ، وما ينهيه النصاري من أبغاضهم ،
 فيحكم فيهم بمراده ، ويعمل برأيه واجتهاده ،

والمخبآت بالدواليب والخزانات ، ودشتوا الكتب
 والمصاحف ، وعلى الأرض طرحوها ، وبأرجلهم
 ونعالهم داسوها . وأحدثوا فيه وتفوطوا ، وبالوا
 وتمخطوا ، وشربوا الشراب وكسروا أوانيهم ،
 وألقوها بصحنه ونواحيه ، وكل من صادفوه به
 عروه ، ومن ثيابه أخرجوه !

الثلاثاء ١٢ منه (٢٣ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

في الصباح اصطف منهم حزب بباب الجامع ...
 فكل من حضر للصلاة يراهم فيكر راجعا ويسارع .
 وتفرقت طوائفهم بتلك التواحي أفواجا ، واتخذوا
 السعي والطواف بها منهاجا ، وأحاطوا بها احاطة
 السوار ، ونهبوا بعض الديار بحجة التفتيش على
 النهب وآلة السلاح والضرب . وخرج سكان

كالضابطين ، ليكونوا للأمور كالراصدين ،
وبالأحكام متقيدين .

ثم انهم فحصوا على المتهمين في اثاره الفتنة .
فطلبوا الشيخ سليمان الجوسقى — شيخ طائفة
العميان — والشيخ أحمد الشراوى ، والشيخ
عبد الوهاب الشراوى ، والشيخ يوسف المصليحي ،
والشيخ اسماعيل البراوى ، وجسوم بيت
البكرى . وأما السيد بدر المقدسى ، فانه تغيب
ومافر الى جهة الشام ، وفحصوا عليه فلم يجدوه .
وتردد المشايخ لتخليص الجماعة المعوقين ...
فغولطوا .

واتهم أيضا ابراهيم أفندى كاتب البهار ، بأنه
جمع له جمعا من الشطار ، وأعطاهم الأسلحة
والمساوق — وكان عنده عدة من المالك المخفين ،
والرجال المعدودين — فقبضوا عليه ، وجسوه
بيت الأغا .

الأحد ١٨ منه (٢٨ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

توجه شيخ السادات وباقي المشايخ الى بيت
صارى عسكر الفرلسيس ، وتشفقوا عنده في
الجماعة المسجونين ببيت الأغا وقائمقام والقلمة .
فقبل لهم : « وسعوا بالكم ولا تستعجلوا » .
فقاموا وانصرفوا .

وفيه : نادوا في الأسواق بالأمان ، ولا أحد
يشوش على أحد .. مع استمرار القبض على
الناس ، وكبس البيوت بأدلى شبهة . ورد بعضهم
الأمعة التي نهبت للنصارى .

وفيه : توسط عمر القلقجي لمقاربة الفجامين ،
وجمع منهم ومن غيرهم عدة وافرة ، وعرضهم على
صارى عسكر . فاختار منهم الشباب وأولى القوة ،
وأعطاهم سلاحا وآلات حرب ، ورتبهم عسكر
— ورئيسهم عمر المذكور — وخرجوا وأمامهم
الطبل الشامي على عادة عسكر المغاربة ، وسافروا

ويأخذ منهم الكثير ، ويركب في موكبه ويسير ...
وهم موثقون بين يديه بالحبال ، ويسحبهم الأعوان
بالقهر والتسكال ، فيودعونهم السجونيات ،
ويطالبونهم بالتهويات ، ويقررونهم بالعقاب
والضرب ، ويسألونهم عن السلاح وآلات الحرب .
ويدل بعضهم على بعض ، فيضعون على المدلول
عليهم أيضا القبض .

وكذلك فعل مثل ما فعله ... اللعين الأغا ،
وتجبر في أفعاله وطغا . وكثير من الناس ذبحوهم ،
وفي بحر النيل قذفوهم .

ومات في هذين اليومين ، وما بعدها ، أمم
كثيرة لا يحصى عددها الا الله . وطال بالكفرة بغيهم
وعنادهم ، وقالوا من المسلمين قصدتهم ومرادهم .

الأربعاء ١٤ منه (٢٤ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

في الصباح ركب المشايخ أجمع ، وذهبوا لبيت
صارى عسكر وقابلوه ، وخاطبوه في العقول لطفوه .
واتمسوا منه أمافا كافيا ، وعفوا ينادون به باللغتين
شافيا ، لتطمئن بذلك قلوب الرعية ، ويسكن روعهم
من هذه الرزية . فوعدهم وعدا مشوبا بالتسويق ،
وطالبهم بالتبيين والتعريف
عن تسبب من المتعممين في
اثارة العوام ، وحرصهم على
الخلاف والقيام فغالطوه عن
تلك المقاصد . فقال على لسان
الترجمان : نحن نعرفهم
بالواحد . فترجوا عنده في
اخراج العسكر من الجامع
الأزهر ، فأجابهم لذلك
السؤال ، وأمر باخراجهم في
الحال .

وأبقوا منهم السبعين ،
ترجمان باللباس الرسمية أسكنوهم في الخطبة



الخميس ٢٢ منه (اول نوفمبر ١٧٩٨ م) :

سافر عدة من المراكب نحو الأربعين بها عسكر
الفرنسيس الى جهة بحرى .

السبت ٢٤ منه (٢ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

فى هذه الليلة حضر هجان من ناحية الشام ،
وعلى يده مكاتبات : وهى صورة فرمان وعليه طرة ،
ومكتوب من أحمد باشا الجزائر ، وآخر من بكر باشا
الى كتخدائه مصطفى بيك ، ومكتوب من ابراهيم
بيك خطابا للمشايخ .. وذلك كله بالعربى .
ومضمون ذلك — بعد براعة الاستهلال والآيات
القرآنية والأحاديث ، والآثار المتعلقة بالجهاد ،
ولعن طائفة الأفرنج ، والحط عليهم ، وذكر عقيدتهم
الفاسدة ، وكذبهم وتحيلهم .. وكذلك بقية
المكاتبات بمعنى ذلك — فأخذها مصطفى بيك
كتخدأ ، وذهب بها الى صارى عسكر .

فلما اطلع عليها ، قال : « هذا تزوير من ابراهيم
بيك ، ليوقع بيننا وبينكم العداوة والمشاحنة . وأما
أحمد باشا فهو رجل فضولى لم يكن واليا بالشام
ولا مصر ... لأن والى الشام ابراهيم باشا ، وأما
والى مصر فهو عبد الله باشا ابن العظم ، الذى هو
الآن والى الشام . فأنأ أعلم بذلك ، وسيأتى
بعد أيام والى ويقيم معه ، كما كانت الممالك مع
الولاة » .

وورد خبر أيضا باتصال محمد باشا عزت عن
الصدارة . وعزل كذلك أنفار من رجال الدولة .

وفى مدة هذه الأيام ... بطل الاجتماع بالديوان
المعتاد ، وأخذوا فى الاهتمام بتحسين النواحي
والجهات ، وبنوا أبنية على التلؤل المحيطة بالبلد ،
ووضعوا بها عدة مدافع وقنابر ، وهدموا أماكن
بالجيزة ، وحصنوها تحصينا زائدا ، وكذلك مصر
العتيقة ونواحي شبرا . وهدموا عدة مساجد :
منها المساجد المجاورة لقنطرة انبابة الرمة ، ومسجد

الى جهة بحرى ... بسبب أن بعض البلاد قام على
عسكر الفرنساوية وقت الفتنة .. وقتلوههم ،
وضربوا أيضا مركبين بها عدة من عساكرهم
فحاربوهم وقتلوههم .

فلما ذهب أولئك المغاربة سكنوا الفتنة وضربوا
عشا (١) وقتلوا كبيرها — المسمى بابن شعير — ولهبوا
داره ومتاعه وماله وبهائمه — وكان شيئا كثيرا
جدا — وأحضروا اخوته وأولاده وقتلوههم ، ولم
يتركوا منهم سوى ولد صغير جعلوه شيخا عوضا
عن أبيهم .

وسكن العسكر المغربى بدار عند باب سعادة ،
ورتبوا لهم من الفرنسيس جماعة يأتون اليهم فى
كل يوم ، ويدربونهم على كيفية حربهم وقانونهم ،
ومعنى اشاراتهم فى مصافاتهم . فيقف المعلم —
والتعلمون مقابلون له صفا وبأيديهم بنادقهم —
فيشير اليهم بالنفاظ بلغتهم ، كأن يقول :
« مردبوش » ، فيرفعونها قابضين بأكتفهم على
أسافلها ، ثم يقول : « مرش » ، فيمشون صفوفا ...
الى غير ذلك .

وقيه : سافر برطلمين الى ناحية سراقوس ،
ومعه جملة من العسكر بسبب الناس الفارين الى
جهة الشرق .. فلم يدركهم ، وأخذ من فى البلاد ،
وعسف فى تحصيلها ، ورجع بعد أيام .

الأربعاء ٢١ منه (٣١ أكتوبر ١٧٩٨ م) :

خاطب الشيخ محمد المهدي صارى عسكر فى
أمر ابراهيم أفندى كاتب البهار ، وتلطف به عمونة
بوسليك المعروف بمدير الحدود — وهو عبارة عن
الروزنامجى — ونقله من بيت الأغا الى داره وطلبوا
منه قائمة كشف عما يتعلق بالممالك بدفتر البهار .

(١) هى الآى ثابتة لمركز الشهادة متوفية .

الأزهر فتخيل الناس منهم المكروه ، ووقعت فيهم
كرشة ، وأغلقوا الدكاكين ، وتسابقوا الى الهروب
وذهبوا الى البيوت والمساجد . واختلفت آراؤهم ،
ورأوا في ذلك أفضية بحسب تخمينهم وظنهم
وقساد مخيّلهم . فذهب بعض المشايخ الى
صارى عسكر وأخبروه بذلك ، وتخوف الناس .
فأرسل اليهم وأمرهم بالذهاب .. فذهبوا
وتراجع الناس ، وفتحوا الدكاكين ، ومر الأغا
والوالى وبرطلين ينادون بالأمان . وسكن الحال
وقيل ان بعض كبرائهم حضر عند القلق الساكن
بالمشهد ، وجلس عنده حصة وهؤلاء كانوا أتباعه
ووقفوا ينتظرونه . ولعل ذلك قصدا للتخوف
والارهاب خشية من قيام فتنة لما أشيع قتل المشايخ
المذكورين . وهو الأرجح .

وفيه : كتبوا أوراقا وألصقوها بالأسواق
تتضمن العفو والتحذير من اثاره الفتنة ، وأن من
قتل من المسلمين في نظير من قتل من الفرنسيين .
وفيه : شرعوا في احصاء الأملاك والمطالبة
بالمقرر . فلم يعارض في ذلك معارض ، ولم يتقوه
بكلمة . والذي لم يرض بالتوت يرضى بحطبه !

وفيه أيضا : قلعوا أبواب الدروب والحارات
الصغيرة غير النافذة ، وهى التى كانت تركت
وسومح أصحابها ، وبرطلوا عليها ، وصالحوا
عليها قبل الحادثة ، وبرطلوا القلقات والوسايط
على ابقائها ، وكذلك دروب الحسينية . فلما
انقضت هذه الحادثة ، ارتجعوا عليها وقلعوها
وقللوها .. الى ما جمعه من البوابات بالأزبكية .
ثم كسروا جميعها وفصلوا أخشابها ، ورفعوا بعضها
على العربات الى حيث أعمالهم بالنواحي والجهات .
وباعوا بعضها حطباً للوقود ، وكذلك ما بها من
الحديد وغيره .

المقس - المعروف الآن بأولاد عنان - على الخليج
النصرى يساب البحر . وقطعوا نخيلاً كثيراً
وأشجاراً ، لعمل الحصون والتارس ، وهدموا
جامع الكازرولى بالروضة ، وأشجار الحيزة التى
عند أبى هريرة ... قطعوها ، وحفروا هناك خنادق
كثيرة ... وغير ذلك . وقطعوا نخيل جهة الحلى
وبولاق ، وخربوا دوراً كثيرة ، وكسروا شبايكها
وأبوابها ، وأخذوا أخشابها لاحتياج العمل ،
والوقود ، وغير ذلك

الاحد ٢٥ منه (٤ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

حضر جماعة من عسكر الفرنسيين الى بيت
البكرى نصف الليل ، وطلبوا المشايخ المحبوسين
عند صارى عسكر ليتحدث معهم . فلما صاروا
خارج الدار وجدوا عدة كبيرة فى انتظارهم فقبضوا
عليهم وذهبوا بهم الى بيت قائمقام بدرب الجاميز -
وهو الذى كان به دبوى قائمقام المقتول ، وسكنه
بعده الذى تولى مكانه - فلما وصلوا بهم هناك
عروهم من ثيابهم وصعدوا بهم الى القلعة ..
فسجنوهم الى الصباح ، فأخرجوهم وقتلوهم
بالبنادق ، وألقوهم من السور خلف القلعة
وتغيب حالهم عن أكثر الناس أياماً .

وفى ذلك اليوم : ركب بعض المشايخ الى مصطفى
بيك ، كتخدا الباشا ، وكلموه فى أن يذهب معهم
الى صارى عسكر ، ويشفع معهم فى الجماعة
المذكورين ... فلما منهم أنهم فى قيد الحياة . فركب
معهم اليه ، وكلموه فى ذلك ، فقال لهم الترجمان :
« اصبروا ما هذا وقته » ! وتركهم ، وقام ليذهب
فى بعض أشغاله . فنهض الجماعة أيضاً وركبوا
الى دورهم .

الثلاثاء ٢٧ منه (٦ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

حضر عدة من عسكر الفرنسيين ووقفوا بحارة

الخميس ٢٩ منه (٨ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

هجم المنصر على بوابة سوق طولون وكسروها ،
وعبروا منها الى السوق فكسروا القناديل وفتحوا
ثلاثة حوانيت وأخذوا ما بها من متاع المغاربة
التجار ، وقتلوا القلق الذى هناك ، وخرجوا
بدون مدافع ولا منازع !

وفيه : ذهب المشايخ الى صارى عسكر
وتشفعوا فى ابن الجوسقى شيخ العميان الذى قتل
أبوه — وكان معوقا ببيت البكرى — فشفعهم
فيه وأطلقوه .

جمادى الآخرة

السبت مستهله (١٠ نوفمبر ١٧٩٨ م) :

كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ وأرسلوها
الى البلاد وألصقوا منها نسخا بالأسواق
والشوارع (١) . وصورتها :

« نصيحة من كافة علماء الاسلام عصر المحروسة :
نعوذ بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، ولبرأ
الى الله من الساعين فى الأرض بالفساد .. نعرف
أهل مصر المحروسة من طرف الجعيدية وأشرار
الناس .. حركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر
الفرنساوية ، بعد ما كانوا أصحابا وأحبابا بالسوية .
وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ، ونهبت
بعض البيوت . ولكن حصلت ألطاف الله الخفية ،
وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش
بونابرت . وارتفعت هذه البلية .. لأنه رجل كامل
العقل ، عنده رحمة وشفقة على المسلمين ، ومحبة
الى الفقراء والمساكين ! ولولاه لكانت العساكر
أحرقت جميع المدينة ، ونهبت جميع الأموال ،
وقتلوا كامل أهل مصر .

(١) عبارة « على لسان المشايخ » لانهم منها ان المشايخ قد
كتبوها حقا ، او أنفردوا ... فاذا كانوا قد كتبوها ، فلا يبارك الله
فيهم ولا في أمثالهم !

« فعليكم ألا تحركوا الفتن ، ولا تطيعوا أمر
المفسدين ، ولا تسمعوا كلام المنافقين ، ولا تتبعوا
الأشرار ، ولا تكونوا من الخاسرين .. سفهاء
العقول الذين لا يقرأون العواقب .. لأجل أن
تحفظوا أوطانكم ، وتطمئنوا على عيالكم وأديانكم
فان الله سبحانه وتعالى يؤتى ملكه من يشاء ،
ويحكم ما يريد !

« ونخبركم أن كل من تسبب في تحريك هذه
الفتنة .. قتلوا عن آخرهم ! وأراح الله منهم العباد
والبلاد .

« ونصيحتنا لكم : ألا تلقوا بأيديكم الى
التهلكة ، واشتغلوا بأسباب معاشكم وأمور
دينكم ، وادفعوا الخراج الذى عليكم .. والدين
النصيحة ، والسلام ! »

وفيه : أمروا بقية السكان على بركة الأزبكية
وما حولها بالنقلة من البيوت ليسكنوا بها جماعتهم
المتباعدين منهم ليكون الكل فى حومة واحدة .
وذلك لما داخلهم من المسلمين .. حتى أن الشخص
منهم صار لا يمشى بدون سلاح ، بعد أن كانوا
من حين دخولهم البلد لا يمشون به أصلا الا
لفرض . والذى لم يكن معه سلاح يأخذ فى يده
عصا أو سوطا أو نحو ذلك .

وتنافرت قلوبهم من المسلمين ، وتحذروا منهم .
وانكف المسلمون عن الخروج والمرور بالأسواق
من الغروب الى طلوع النهار .

ومن جملة من انتقل من الدرب الأحمر الى
الأزبكية : كقرلى المسمى بأبى خشبة ، وهو يمشى
بها بدون معين ، ويصعد الدرج ، ويهبط منها
أسرع من الصحيح ، ويركب الفرس ويرمحه ،
وهو على هذه الحالة ، وكان من جملة المشار اليهم
فيهم ، والمدبر لأموار القلاع وصفوف الحروب ،
ولهم به عناية عظيمة واهتمام زائد .

كان يسكن بيت مصطفى كاشف طرا . وفى وقت

وقد تكرر منهم ذلك عدة مرات ، فاغتاز بذلك القبطة ..

وفيه : كتبوا عدة أوراق وأرسلوا منها نسخا للبلاد وألصقوا منها بالأخطاط والأسواق وذلك على لسان المشايخ أيضا ولكن تزيد صورتها عن الأولى .

وصورتها :

« نصيحة من علماء الاسلام بمصر المحروسة :
نخبركم يا أهل المدائن والأمصار من المؤمنين ،
وياسسكان الأرياف والعربان والفلاحين ، أن
ابراهيم بيك ومراد بيك ، وبقية دولة المماليك ،
أرسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات الى سائر الأقاليم
المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات ، وادعوا
أنها من حضرة مولانا السلطان ومن بعض وزرائه
بالكذب والبهتان . وبسبب ذلك حصل لهم شدة
الغم والكرب الزائد واغتازوا غيظا شديدا من
علماء مصر ورعاياها حيث لم يوافقوهم على الخروج
معهم ، ويتركوا عيالهم وأوطانهم . فأرادوا أن
يوقعوا الفتنة والشر بين الرعية والعسكر الفرنساوية
.. لأجل خراب البلاد ، وهلاك كامل الرعية ..
وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب
دولتهم وحزمانهم من مملكة مصر المحمية .
« ولو كانوا في هذه الأوراق صادقين بأنها من
حضرة سلطان السلاطين لأرسلها جهارا مع أغوات
معينين .

« ونخبركم أن الطائفة الفرنساوية — بالخصوص
عن بقية الطوائف الأفرنجية — دائما يحبون
المسلمين وملتهم ! ويبغضون المشركين وطبيعتهم ..
أحباب لمولانا السلطان ، قائمين بنصرته ، وأصدقاء
له ملازمون لمودته وعشرته ومعوته : يحبون من
والاه ويبغضون من عاداه . ولذلك بين الفرنساوية
والمسكوف غاية العداوة الشديدة ، من أجل
عداوة المسكوف القبيحة الرديئة !

الحادثة هجمت على الدار .. العامة ، ونهبوها وقتلوا
منها بعض الفرنساوية وفر الباقون . فأخبروا من
بالقلعة الكبيرة . فنزل منهم عدة وافرة ، وقف
بعضهم خارج الدار بعد أن طردوا المزدحمين ببابها



محمد

وضربوهم بالبندق ، ودخل الباقون قتلوا من
وجدوه بها من المسلمين ، وكانوا جملة كثيرة .
وكان بتلك الدار شيء كثير من آلات الصنائع
والنظارات الغربية ، والآلات الفلكية والهندسية ،
والعلوم الرياضية ، وغير ذلك مما هو معدوم النظير
.. كل آلة لا يعرف قيمتها الا من يعرف صنعها
ومنفعتها . فبدد ذلك كله العامة ، وكسروه قطعاً ،
وصعب ذلك على الفرنسيين جدا . وقاموا مدة
طويلة يفحصون عن تلك الآلات ، ويجعلون لمن
يأتيهم بها عظيم الجعالات .
ومن قتل في وقعة هذه الدار ، الشيخ محمد
الزهار .

الأربعاء ٥ منه (١٤ نوفمبر ١٧٩٨ م) :
أفرجوا عن ابراهيم أفندي كاتب البهار وتوجه
الى بيته .

السبت ٨ منه (١٧ نوفمبر ١٧٩٨ م) :
قتلوا أربعة أنصار من القبط منهم اثنان من
التجارين قبل انهم مسكروا في الحمارة ومروا في
سكركهم وفتحوا بعض الدكاكين وسرقوا منها أشياء

« والطائفة الفرنسية يماونون حضرة السلطان على أخذ بلادهم ان شاء الله تعالى ، ولا ييقون منهم بقية .

« فنصحكم أيها الأقاليم المصرية أنكم لا تحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ، ولا تعارضوا العساكر الفرنسية بشيء من أنواع الأذية ، فيحصل لكم الضرر والهلاك ، ولا تسمعوا كلام المفسدين ، ولا تطيعوا أمر المفسدين .. الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، فتصبخوا على ما فعلتم نادمين . وانما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل المتزمين لتكونوا بأوطانكم سالمين ، وعلى أموالكم وعيالكم آمنين مطمئنين .. لأن حضرة صارى عسكر الكبير أمير الجيوش .. بونا برته اتفق معنا على أنه لا ينازع أحدا في دين الاسلام ، ولا يعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ، ويرفع عن الرعية سائر المظالم ، ويختصر على أخذ الخراج ، ويزيل ما أحدثه الظلمة من المكارم .

« فلا تعلقوا آمالكم بإبراهيم ومراد ، وارجعوا الى مولاكم مالك الملك ، وخالق العباد فقد قال نبيه ورسوله الأكرم : الفتنه نائمة لعن الله من أبغضها بين الأمم ! عليه أفضل الصلاة والسلام (١) .

الخميس ١٣ منه (٢٢ نوفمبر ١٧٩٨ م) :
قتلوا شخصين عند باب زويلة أحدهما يهودى ولم يتحقق السبب في قتلها .

وفيه : أخرجوا من بيت نسيب إبراهيم كتعدا صناديق ضمنها مصاغ وجواهر وأوالى ذهب وفضة وأمتعة وملابس كثيرة .

السبت ١٥ منه (٢٤ نوفمبر ١٧٩٨ م) :
حضر جماعة من الفرنسية بباب زويلة وفتحوا بعض دكاكين السكرية وأخذوا منها سكرا وضاع على أصحابه .

(١) وعلى كاتبها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، الى ...
يعنون !

وفيه : دلوا على انسان عنده صندوقان ودبة لأيوب بيك الدفتردار فطلبوه وأمروه بإحضارهما فأحضرهما بعد الانكار والجحد عدة مرار ، فوجدوا ضمنهما أسلحة جواهر وسبح لؤلؤ وخناجر مجوهره وغير ذلك .

الخميس ٢٠ منه (٢٩ نوفمبر ١٧٩٨ م) :
كتبوا عدة أوراق مطبوعة وألصقوها بالأسواق مضمونها انه في يوم ٢١ منه قصدنا أن نظير مركبا ببركة الأزبكية في الهواء بحيلة فرنساوية ، فكثر لفظ الناس في هذا كعادتهم .

فلما كان ذلك اليوم قبل العصر ، تجمع الناس والكثير من الافرنج ليروا تلك العجيبة — وكنت بجملتهم — فرأيت قماشاً على هيئة الأوية على عمود قائم ، وهو ملون أحمر وأبيض وأزرق على مثل دائرة الغريال ، وفي وسطه مسرجة بها فتيلة مغموسة ببعض الأدهان . وتلك المسرجة مصلوبة بسلوك من حديد منها الى الدائرة ، وهى مشدودة بيكر وأحبال ، واطراف الأحبال بأيدي أناس قائمين بأسطحة البيوت القريبة منها .

فلما كان بعد العصر بنحو ساعة أوقدوا تلك الفتيلة فصعد دخانها الى ذلك القماش وملأه ، فانتفخ وصار مثل الكرة ، وطلب الدخان الصعود الى مركزه فلم يجد منفذاً فجذبها معه الى العلو ، فجذبوها بتلك الأحبال مساعدة لها حتى ارتفعت عن الأرض ، فقطعوا تلك الحبال فصعدت الى الجو مع الهواء ، ومشت هنيهة لطيفة ثم سقطت طارتها بالفتيلة ، وسقط أيضاً ذلك القماش ، وتناثر منها أوراق كثيرة من نسخ الأوراق المبسوطة .

فلما حصل لها ذلك انكسف طبعهم لسقوطها ، ولم يتبين صحة ما قالوه من أنها على هيئة مركب تسير في الهواء بحكمة مصنوعة ، ويجلس فيها أتار من الناس وبسافرون فيها الى البلاد البعيدة لكشف الأخبار وإرسال المراسلات ، بل ظهر

أنها مثل الطائرة التي يعملها الفراشون بالمواسم.
والأفراح .

وفي تلك الليلة : طاف منهم أنفار بالأسواق
ومعهم مقاطف بها لحوم مسمومة فأطعموها للكلاب
فمات منها جملة كثيرة . فلما طلع النهار وجد الناس
الكلاب مرمية وطرحى بالأسواق وهي موتى ،
فاستأجروا لها من أخرجها الى الكيمان . وسبب
ذلك أنهم لما كانوا يملكون بالأسواق في الليل ،
وهم سكوت ، كانت الكلاب تنبحهم وتعدو خلفهم .
ففعلوا بها ذلك ، وارتاحوا هم والناس منها .

الأربعاء ٢٦ منه (٥ ديسمبر ١٧٩٨ م) :

سافر عدة عساكر الى جهة مراد بيك ، وكذلك
الى جهة كرداسة (١) بسبب العربان ، وكذلك الى
السويس والصالحية . وأخذوا جمال السقائين
برواياها وحميرهم ، ولكن يعطونهم أجرتهم . فشح
الماء وغلا ، وبلغت القرية عشرة أنصاف فضة .

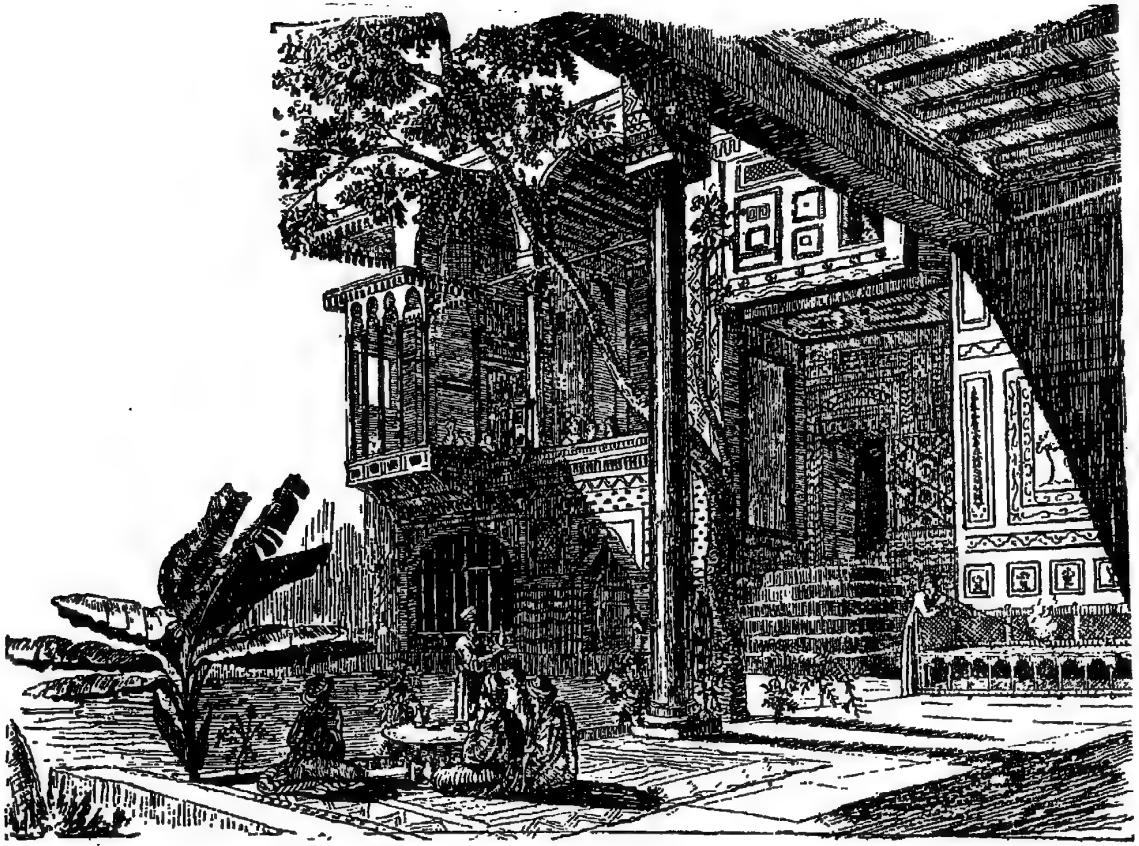
وفيه : ظفروا بعدة ودائع وخبايا بأماكن
متعددة بها صناديق وأمتعة وأسلحة وأواني صيني
وأواني نحاس ... قناطير ، وغير ذلك .

واقضى هذا الشهر وماحصل به من الحوادث
الكلية والجزئية التي لا يمكن ضبطها لكثرتها ،
منها : أنهم أحدثوا بغيط النوبى المجاور للأزبكية
أبنية على هيئة مخصوصة متنزهة يجتمع بها النساء
والرجال للهو والخلاعة في أوقات مخصوصة ،
وجعلوا على كل من يدخل اليه قدرا مخصوصا
يدفعه ، أو يكون مأذونا ويده ورقة . ومنها أنهم
هدموا وبنوا بالمقياس والروضة ، وهدموا أماكن
بالجيزة ، ومهدوا التل المجاور لقنطرة الليمون ،
وجعلوا في أعلاه طاحونا تدور في الهواء عجيبه ،
وتطحن الأراب من البر ، وهي بأربعة أحجار .
وطاحونا أخرى بالروضة تجاه مساطب النشاب .

(١) مركز الجيزة .

وهدموا الجامع المجاور لقنطرة الدكة ، وشرعوا في
ردم جهات حوالى بركة الأزبكية ، وهدموا الأماكن
المقابلة لبيت صارى عسكر .. حتى جعلوها رحبة
متسعة . وهدموا الدور المقابلة لها من الجهة الأخرى
والجنائن التي خلف ذلك ، وقطعوا أشجارها ،
وردموها مكانها بالأتربة الممهدة على خط معتدل
من الجهتين .. مبتدئا من حد بيت صارى عسكر ،
الى قنطرة المغربى . وجددوا القنطرة المذكورة —
وكانت آلت الى السقوط — وفعلوا بعدها كذلك
على الوضع والنسق ، بحيث صار جسرا عظيما
ممتدا ممهدا ، مستويا على خط مستقيم من
الأزبكية الى بولاق ، وينقسم بقرب بولاق قسمين :
قسما الى طريق أبى العلا ، وقسما يذهب الى جهة
التبانة وساحل النيل ، وبطريقه .. الطريق المسلوكة
الواصلة من طريق أبى العلا وجامع الخطيرى الى
ناحية المدابع .

وحفروا في جانبى ذلك الجسر ، من مبدأه الى
منتهاه ، خندقين ، وغرسوا بجانبه أشجارا
وسيسبانا ، وأحدثوا طريقا أخرى فيما بين باب
الحديد وباب العدوى ، عند المكان المعروف
بالشيخ شعيب ، حيث معمل الفواخير ، ورددموها
جسرا ممتدا ممهدا مستطيلا ، يبتدىء من الحد
المذكور ، وينتهى الى جهة المذبح خارج الحسينية .
وأزالوا ما يتخلل بين ذلك من الأبنية والغيطان
والأشجار والتلول ، وقطعوا جانبا كبيرا من التل
الكبير المجاور لقنطرة الحاجب ، ورددموها في طريقهم
قطعة من خليج بركة الرمللى ، وقطعوا أشجار
بستان كاتب البهار ، المقابل لجسر بركة الرمللى ،
وأشجار الجسر أيضا ، والأبنية التي بين
باب الحديد والرحبة التي بظاهر جامع
الحق . وساروا على المنخفض . بحيث صارت
طريقا مستعدة من الأزبكية الى جهة قبة
النصر ، المعروفة بقرية العزب ، جهة العادلية على



بيت قاسم بيك

المذكورتين ، ويدفعها أمامه ، فتجري على عجلتها بأدنى مساعدة ، الى محل العمل ، فيميلها باحدى يديه ، ويفرغ ما فيها من غير تعب ولا مشقة . وكذلك لهم فؤوس وقزم محكمة الصنعة ، متقنة الوضع وغالب الصناع من جنسهم ، ولا يقطعون الأحجار والأخشاب الا بالطرق الهندسية ، على الزوايا القائمة والخطوط المستقيمة .

وجعلوا جامع الظاهري ببرز خارج الحسينية قلعة ، ومنارته برجاً . ووضعوا على أسواره مدافع وأسكنوا به جماعة من العسكر ، وبنا في داخله عدة مساكن تسكنها العسكر المقيمة به .

وكان هذا الجامع معطل الشعائر من مدة طويلة ، وباع نظاره منه انقاضاً وعمداً كثيرة .

ومنها أنهم أحدثوا على التل المعروف بتل

خط مستقيم من الجهتين ، وقيدوا بذلك أنقاراً منهم يعمدون تلك الطرق ويصلحون ما يخرج منها عن قالب الاعتدال بكثرة الدوس وحوافر الخيول والبهال والحير ..

وفعلوا هذا الشغل الكبير ، والفعل العظيم في أقرب زمن . ولم يسخروا أحداً في العمل ، بل كانوا يعطون الرجال زيادة عن أجرتهم المعتادة : ويصرفونهم من بعد الظهر ، ويستعينون في الأشغال وسرعة العمل بالآلات القريبة المأخذ : السهلة التناول ، المساعدة في العمل وقلة الكلفة . كانوا يجعلون بدل الغلقان والقصاع عربات صغيرة ويدأها مستدان من خلف ، يملأها الفاعل تراباً أو طيناً أو أحجاراً من مقدمها بسهولة ، بحيث تسع مقدار خمسة غلقان ، ثم يقبض بيديه على خشبتها

ولقد ذهبت اليهم مرارا ، وأطلعوني على ذلك ... فمن جملة ما رأيته ، كتاب كبير يشتمل على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ومصورون به صورته الشريفة على قدر مبلغ علمهم واجتهادهم ، وهو قائم على قدميه ، ناظر الى السماء كالمهرب للخلقة ، ويده اليمنى السيف ، وفي اليسرى الكتاب ، وحوله الصحابة رضى الله عنهم بأيديهم السيوف . وفي صفحة أخرى صورة الخلفاء الراشدين ، وفي الأخرى صورة المعراج والبراق ، وهو — صلى الله عليه وسلم — راكب عليه من صخرة بيت المقدس ، وصورة بيت المقدس ، والحرم المكي والمدني ... وكذلك صورة الأئمة المجتهدين ، وبقية الخلفاء والسلاطين ..

ومثال اسلامبول وما بها من المساجد العظام : كأيا صوفية ، وجامع السلطان محمد ، وهيئة المولد النبوي ، وجمعية أصناف الناس لذلك . وكذلك السلطان سليمان ، وهيئة صلاة الجمعة فيه ، وأبي أيوب الأنصاري ، وهيئة صلاة الجنازة فيه . . . وصور البلدان والسواحل والبحار والأهرام ، وبرابي الصعيد ، والصور والأشكال ، والأقلام المرسومة بها .

وما يختص بكل بلد من أجناس الحيوان والطيور والنبات والأعشاب ، وعلوم الطب والتشريح والهندسيات ، وجر الأثقال .

وكثير من الكتب الاسلامية مترجم بلغتهم . ورأيت عندهم كتاب الشفاء للقاضي عياض ، ويعبرون عنه بقولهم « شفاء شريف » . والردة للبوصيري . ويحفظون جملة من آياتها ، وترجموها بلغتهم .

ورأيت بعضهم يحفظ سورا من القرآن . ولهم تطلع زائد للعلوم ، وأكثرها الرياضة ومعرفة اللغات ، واجتهاد كبير في معرفة اللغة والمنطق . ويدأبون في ذلك الليل والنهار .

العقارب بالناصرية ، أنية وكرانك وأبراجا ، ووضعوا فيها عدة من آلات الحرب والعساكر المراطين فيه ، وهدموا عدة دور من دور الأمراء ، وأخذوا أنقاضها ورخامها لابنتهم .

وأفردوا للمدبرين والفلكيين ، وأهل المعرفة والعلوم الرياضية : كالهندسة ، والهيئة ، والتقوشات ، والرسومات ، والمصورين ، والكتب ، والحساب ، والمنشئين .. حارة الناصرية . حيث الدرب الجديد وما به من البيوت ، مثل بيت قاسم بيك ، وأمير الحج المعروف بأبي يوسف ، وبيت حسن كاشف جركس القديم ، والحديد الذي أنشأه وشيده وزخرفه ، وصرف عليه أموالا عظيمة من مظالم العباد .. وعند تمام يياضه وفرشه حدثت هذه الحادثة ، ففر مع الفارين ، وتركه — فيه جملة كبيرة من كتبهم ، وعليها خزان ومباشرون يحفظونها ويحضرونها للطلبة ومن يريد المراجعة ، فيراجعون فيها مرادهم .

فتجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين ، ويجلسون في فسحة المكان المقابلة لمخازن الكتب على كراسي منصوبة موازية لتختات عريضة مستطيلة فيطلب من يريد المراجعة ما يشاء منها ، فيحضرها له المخازن .. فيتصفحون ، ويراجعون ، ويكتبون ، حتى أسأفهم من العساكر . وإذا حضر اليهم بعض المسلمين ، ممن يريد الفرجة ، لا يمنعونه الدخول الى أعز أماكنهم ، ويتلقونه بالبشاشة والضحك واطهار السرور بمجيئة اليهم ، وخصوصا اذا رأوا فيه قابلية أو معرفة أو تطلعا للنظر في المغارف ، بذلوا له مودتهم ومحبتهم ، ويحضرون له أنواع الكتب المطبوع بها أنواع التصاوير وكرات البلاد ، والأقاليم والحيوانات والطيور والنباتات ، وتواريخ القدماء ، وسير الأمم ، وقصص الأنبياء بتصاويرهم وآياتهم ومعجزاتهم وحوادث أمهم ، مما يحير الأفكار .

وعندهم كتب مفردة لأنواع اللغات ، وتصاريفها واشتقاقاتها . بحيث سهل عليهم نقل ما يريدون من أى لغة كانت . الى لغتهم فى أقرب وقت .

وعند « توت » الفلكى وتلامذته ، فى مكانهم المختص بهم ، الآلات الفلكية الغربية المتقنة الصنعة ، وآلات الارتفاعات البدعة ، العجيبة التركيب ، الغالية الثمن ، المصنوعة من الصفر الموه ، وهى تركيب بيراريم مصنوعة محكمة : كل آلة منها عدة قطع تركيب مع بعضها البعض برباطات وبراريم لطيفة ، بحيث إذا ركبت صارت آلة كبيرة أخذت قدرا من الفراغ ، وبها نظارات وتقوب ينفذ النظر منها الى المرئى . وإذا انحلل تركيبها وضعت فى ظرف صغير ... وكذلك نظارات للنظر فى الكواكب وأرصادها ، ومعرفة مقاديرها وأجرامها وارتفاعاتها واتصالاتها ومناظراتها ، وأنواع المنكبات والساعات التى تسير بثوانى الدقائق الغربية الشكل ، الغالية الثمن .. وغير ذلك .

وأفردوا لجساعة منهم بيت ابراهيم كتحدا السنارى ، وهم المصورون لكل شئ : ومنهم « أريجو » المصور ، وهو يصور صور الآدميين تصويرا نظن من يراه أنه يبرز فى الفراغ ، محسم يكاد ينطق . حتى انه صور صورة المشايخ ، كل واحد على حدته ، فى دائرة ، وكذلك غيرهم من الأعيان وعلقوا ذلك فى بعض مجالس صارى محسكر وآخر فى مكان آخر بصور الحيوانات والحشرات ، وآخر بصور الأسماك والحيتان بأنواعها وأسماؤها .

ويأخذون الحوان أو الحوت الغريب ، الذى لا يوجد ببلادهم ، فيضعون جسده بذاته فى ماء مصنوع حافظ للجسم ، فيبقى على حاله وهيئته : لا تتغير ولا يبلى ولو بلى زمتا طويلا .

وكذلك أفردوا أماكن للمهندسين ، وصناع الدقائق . وسكن الحكيم « روبا » بيت ذى الفقار كتحدا بجوار ذلك ، ووضع آلاته ومساحقه وأهوانه فى ناحية ، وركب له تنانير وكوائين . لتقطير المياه والأدهان ، واستخراج الأملاح ، وقصورا عظيمة ، وبرامات ، وجعل له مكانا أسفل وأعلى ، وبهما رفوف عليها القدور المملوءة بالتركيب والمعالجين ، والزجاجات المتنوعة . وبها كذلك عدة من الأطباء والجراحية .

وأفردوا مكانا فى بيت حسن كاشف جركس لصناعة الحكمة والطب الكيماوى ، وبنوا فيه تنانير مهندمة وآلات تقاطير عجيبة الوضع ، وآلات تصاعيد الأرواح ، وتقاطير المياه وخليصات المفردات ، وأملاح الأرمدة المستخرجة من الأعشاب والنباتات ، واستخراج المياه الجلاءة والحلافة . وجول المكان الداخل قوارير وأوان من الزجاج البلورى المختلف الأشكال والهيئات ، على الرفوف والسدلات . وبدخلها أنواع المستخرجات .

ومن أغرب ما رأيته فى ذلك المكان ، أن بعض المتقنين لذلك أخذ زجاجة من الزجاجات الموضوع فيها بعض المياه المستخرجة ، فصب منها شيئا فى كأس ، ثم صب عليها شيئا من زجاجة أخرى ، فعلا الماء ان ، وصعد منه دخان ملون حتى انقطع وجف ما فى الكأس ، وصار حجرا أصفر ، فقلبه على البرجات حجرا نابسا ، أخذناه بأدنا ونظرناه . ثم فعل كذلك شيئا أخرى فجد حجرا أزرق ، وبأخرى فجد حجرا أحمر نافونيا . وأخذ مرة شيئا قليلا جدا من غبار أبيض ، ووضع على السندال وضربه بالمطرقة بلطف ، فخرج له صوت هائل كصوت القربانة انزعجنا منه ، فضحكوا منا . وأخذ مرة زجاجة فارغة مستطيلة فى مقدار الشبر ، صفة الفم ، ففسمها فى ماء قراح موضوع فى صندوق من الخشب ، مصفح الداخل بالرصاص ،

الأمكنة صناع الأمور الدقيقة ، مثل : البركارات ،
وآلات الساعات ، والآلات الهندسية المتقنة ...
وغير ذلك .

رجب

٣ منه (١١ ديسمبر ١٧٩٨ م)

قتلوا شخصا من الأجناد يقال له مصطفى
كاشف من جماعة حسين بيك المعروف بشفت .

وكان قد فر مع الفارين ، ثم رجع من غير
استئذان وأقام أياما مستترا ببيت الشيخ سليمان
القيومي ، فسلمه لمصطفى أغا مستحفظان ليأخذ
له أمانا ، فأخبر الفرنسيين بشأنه ، وأغرامهم عليه .
فأمروه بقتله ... فقطع رأسه ، وطافوا بها ينادون
عليها بقولهم : هذا جزاء من يدخل الى مصر بغير
إذن الفرنسيين .

٥ منه (١٣ ديسمبر ١٧٩٨ م)

حضر كبير الفرنسيين الذى بناحية قليوب
وصحبته سليمان الشواربى شيخ الناحية وكبيرها .
فلما حضر حبسوه بالقلعة . قيل انهم عثروا له على
مكتوب أرسله وقت الفتنة السابقة الى سرياقوس
لينهض أهل تلك النواحي في القيام ويامرهم
بالحضور وقت أن يرى الغلبة على الفرنسيين .
ولما حبسوه حبسوا معه أربعة من الأجناد أيضا .
وفيه : أحدثوا مزمارا يضربونه في كل وقت ،
وقت الزوال ، لأن ذلك الوقت عندهم ابتداء
اليوم .

١٠ منه (١٨ ديسمبر ١٧٩٨ م)

نادوا في الأسواق بأن من أراد أن يشتري
فرسا أو حمارا فليحضر يوم الجمعة ١٣ منه (٢١
ديسمبر ١٧٩٨ م) ببولاقي ويشتري من الفرنسيات
ما أحب من ذلك . وكتبوا بذلك أوراقا وألقوها

وأدخل معها أخرى على غير هيتها ، وأنزلها في
الماء ، وأصعدها بحركة انحبس بها الهواء في
أحدهما ، وأتى آخر بفتيلة مشتعلة ، وأبرز ذلك
فهم الزجاجاة من الماء ، وقرب الآخر الشعلة اليها
في الحال ، فخرج ما فيها من الهواء المحبوس
وفرقع بصوت هائل أيضا ... وغير ذلك أمور
كثيرة ، وبراهين حكيمية تتولد من اجتماع العناصر
وملاقة الطباع .

ومثل الفلكة المستديرة التى يدورون بها
الزجاجاة ، فيتولد من حركتها شرر يطير بملاقة
أدنى شيء كئيف ، ويظهر له صوت وملتطقة .
وإذا مسك علاقتها شخص — ولو خيلا لطيفا
متصلا بها — ولمس آخر الزجاجاة الدائرة ، أو
ما قرب منها بيده الأخرى ... ارتج بدنه ، وارتعد
جسمه ، وملتطقت عظام أكتافه وسواعده في الحال
برجة سريعة . ومن لمس هذا اللامس ، أو شيئا
من ثيابه ، أو شيئا متصلا به .. حصل له ذلك ،
ولو كانوا ألفا أو أكثر . ولهم فيه أمور وأحوال
وتراكيب غريبة ، ينتج منها نتائج لاتسمعها عقول
أمثالنا !

وأفردوا أيضا مكانا للنجارين وصناع الآلات
والأخشاب وطواحين الهواء والعربات واللوازم
لهم في أشغالهم وهندساتهم وأرباب صنائعهم .
ومكان آخر للحدادين ، وبنوا فيه كوائن عظاما ،
وعليها منافخ كبار يخرج منها الهواء متصلا كثيرا ،
بحيث يجذبه السافخ من أعلى بحركة لطيفة .
وصنعوا السندانات والمطارق العظام ، لصناعات
الآلات من الحديد والمخارط ، وركبوا مخارط
عظيمة لخرط الفلوزات الحديد العظيمة . ولهم
فلكات مثقلة يديرها الرجال للمعلم الخراط للحديد
بالأقلام المتينة الجافية ، وعليها حق صغير معلق
مثقوب ، وفيه ماء يقطر على محل الخروط لتبريد
النارية الحادثة من الاصطكاك . وبأعلى هذه

التقارير ، وصورة صدير ذلك الطومار المكتتب
في ثبأن ذلك .

وقد أوردت ذلك - وإن كان فيه بعض
طول - للاطلاع على ما فيه من التوبيعات على
العقول ، والتسليق على دعوى الخواص من
البشر .. بفاسد التخيلات التي تنادى على بطلانها
بديهة العقل ، فضلا عن النظر . وهي مقولة على
لسان بونايرته كبير الفرنسيين . ونصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم ..
« من أمير الجيوش الفرنسية ، خطابا الى كافة
أهل مصر ، الخاص والعام :

« نعلمكم أن بعض الناس الضالين العقول ،
الخالين من المعرفة وإدراك العواقب ، سابقا أوقعوا
الفتنة والشروع بين القائلين بمصر ، فأهلكهم الله
بسبب فعلهم ونيتهم القبيحة . والبارى ، سبحانه
وتعالى ، أمرنى بالشفقة والرحمة على العباد !
فامتثلت أمره ، وصرت رحيمًا بكم ، شفوفا عليكم
ولكن كان حصل عندى غيظ وغم شديد بحسب
تحريك هذه الفتنة بينكم ... ولأجل ذلك عطلت
الديوان الذى كنت رتبته لنظام البلد ، وصلاحي
أموالكم من مدة شهرين . والآن توجه خاطرنا
الى ترتيب الديوان كما كان . لأن حسن أحوالكم
ومعاملتكم فى المدة المذكورة أنسأنا ذنوب
الأشرار وأهل الفتنة التي وقعت سابقا .

« أيها العلماء والأشراف ، أعلموا أمتكم
ومعاشر رعيتكم ، بأن الذى يعادىنى ويخاصمنى
انما خصامه من ضلال عقله ، وفساد فكره ، فلا
يجد ملجأ ولا مخلصا ينجيه منى فى هذا العالم ،
ولا ينجو من بين يدى الله ! لمعارضته لمقادير الله
سبحانه وتعالى . والعاقل يعرف أن ما فعلناه ...
بتقدير الله تعالى ، واراادته وقضائه ! ومن يشك
فى ذلك فهو أحمق وأعمى البصيرة .

« وأعلموا أيضا أمتكم أن الله قدر فى الأزل

بالأسواق والأزقة ، وهى مطبوعة عليها الصورة .
ونصها :

« فليكن معلوما عند كافة الرعايا المضرة ، أن
فى يوم الجمعة ١٣ من شهر رجب الساعة ٢ يباع
فى بولاتى جملة خيل من المنسيخة الفرنسية . فلأجل
هذا المشتري ، كل من أراد أن يقتنى خيلا منحنيا
له الاجازة أنه يقتنى كما يريد ويشاء . »

١٦ منه (٢٤ ديسمبر ١٧٩٨ م) :

سافر صارى عسكر بونايرته الى السويس وأخذ
صحبه السيد أحمد المحرقى وإبراهيم أفندى
كاتب البهار وأخذ معه أيضا بعض المديرين
والمهندسين والمصورين وجرجس الجوهري والطنون
أبو طافية ، وغيرهم وعدة كثيرة من عساكر الخيالة
والمشاة وبعض مدافع وعربات وتختران وعدة
جمال لحمل الذخيرة والماء والقومانية .

وفيه : شرعوا فى ترتيب الديوان على تنظيم
آخر ، وعينوا له ستين نفرا : منهم أربعة عشر
يقال لهم خصوص - وهم الذين يحضرون
دائما - ويقال لهم « الديوان الخصوصى
والديوان الديومى » ، والباقي بحسب الاقتضاء .
والأربعة عشر هم ... من المشايخ : الشرقاوى ،
والمهدى ، والصاوى ، والبكرى ، والقيومى .
ومن التجار : المحرقى ، وأحمد محرم . ومن
النصارى القبط : لطف الله المصرى . ومن الشوام :
يوسف فرحات ، وميخائيل كحيل ، ورواحه
الانكليزى ، وبدنى ، وموسى كافر الفرنسية .
ومعهم وكلاء ومبشائرون من الفرنسيين ،
ومترجمون . وأما العمومى ، فأكثره مشايخ حرف .
وكتبوا بذلك طومارا كبيرا ، بصموا منه
نسخا كثيرة ، وأرسلوا منه نسخا كثيرة للأعيان ،
وألصقوا منها بالأسواق على العادة . وأرسلوا
للذين عينوا بالديوان أوراقا بأسمائهم شبه

١٨ منه (٢٦ ديسمبر ١٧٩٨ م) .

طافوا على الطواحين واختاروا من كل طاحون
فرسا أخذوها .

٢٤ منه (اول يناير ١٧٩٩ م) :

حضر السيد المحروقي وكاتب البهار من
السويس ، وكان صارى عسكر ذهب الى ناحية
بليس ، فاستأذنه في ذهابهم الى مصر ، فأذن
لهم ، وأرسل معهم خمسين عسكريا ليوصلوهم
الى مصر .

فلما حضروا حكوا أن أهل السويس ، لما بلغهم
مجيء الفرنسيات ، هربوا وأخلوا البلدة ، فذهبوا
الى الطور ، وذهب البعض الى العرب بالبادية .
فذهب الفرنسيين ما وجدوه بالبندر من البن والمتاجر
والأمتعة وغير ذلك ، وهدموا الدور ، وكسروا
الأخشاب وخوابى الماء . فلما حضر كبيرهم — وكان
متأخرا عنهم — كلمه التجار الذهبون معه ،
وأعلموه أن هذا الفعل غير صالح .. فاسترد من
العسكر بعض الذى أخذوه ، ووعدهم باسترجاع
الباقى ، أو دفع ثمنه بمصر ، وأن يكتبوا قائمة
بالمنهوبات . ثم أنه وجد مركبين حضرا الى قرية
من السويس بهما بن ومتاجر ، ففرقت احدهما ،
فنزلت طائفة من الفرنسيين فى مراكب صغار ،
وذهبوا اليها فى الغاطس ، وأخرجوها بالآلات
ركبوها واصطنعوها من علم جر الأثقال .

وفى مدة اقامته بالسويس ، صار يركب ويتأمل
فى النواحي وجهات ساحل البحر والبر ليلا ونهارا
وكان معه من الأدم فى هذه السفرة ثلاثة طيور
دجاج محمرة ملفوفة فى ورق ، وليس معه طباخ
ولا فراش ، ولا فرش ولا خيمة . وكل شخص من
عسكره معه رغيف كبير مرشوق فى طرف حربته ،
يتزود منه ويشرب من سقاء لطيف من صفيخ معلق
فى عنقه .

تهلاك أعداء الاسلام وتكسير الصلبان على يدي .
وقدر فى الأزل أنى أجىء من المغرب الى أرض
مصر لهلاك الذين ظلموا فيها ، وأجرا الأمر الذى
أمرت به . ولا يشك العاقل أن هذا كله بتقدير
الله وأرادته وقضائه .

« وأعلموا أيضا أمتكم أن القرآن العظيم
صرح فى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل
وأشار فى آيات أخرى الى أمور تقع فى المستقبل .
وكلام الله فى كتابه صدق وحق ، لا يتخلف . اذا
تقرر هذا ، وثبتت هذه المقالات فى أذهانكم ...
فلترجع أمتكم جميعا الى صفاء النية ، وإخلاص
الطوية ... فان منهم من يمتنع عن النى وإظهار
عداوته ، خوفا من سلاحى وشدة سطوتى . ولم
يعلموا أن الله مطلع على السرائر ، يعلم خائنة
الاعين وما تخفى الصدور . والذى يفعل ذلك
يكون معارضا لأحكام الله ، ومناققا ، وعليه اللعنة
والنقمة من الله علام الغيوب .

« وأعلموا أيضا أنى أقدر على اظهار ما فى
نفس كل أحد منكم . لأننى أعرف أحوال الشخص
وما انطوى عليه ، بمجرد ما أراه ، وان كنت
لا أتكلم ولا أنطق بالذى عنده . ولكن يأتى وقت
ويوم يظهر لكم بالمعينة أن كل ما فعلته وحكمت
به ... فهو حكم الهى لا يرد . وان اجتهد الانسان
غاية جهده ، ما ينمعه عن قضاء الله الذى قدره
وأجراه على يدي .

« فطوبى للذين يسارعون فى اتحادهم
وهمتهم ، مع صفاء النية وإخلاص السيرة ..
والسلام . »

وفيه : رتبوا لأرباب الديوان الديومى
شهيرة تدفع اليهم نظير تقيدهم بمصالح العامة
والدعاوى ، وما يترتب عليه النظام بينهم وبين
المسلمين .

٢٨ منه (٥ يناير ١٧٩٩ م) :

متاعا ومصاغاً ونزلوا ، واستيقظ البواب فاختمى خوفا منهم .

فلما طلع النهار وشاع الخبر — وكان صارى عسكر غائبا — فلم يقع كلام فى شأن ذلك . فلما قدم من سفره ركب مشايخ الديوان وأخبروه . فاغتم لذلك ، وأظهر الغيظ ، وذم فاعل ذلك لما فيه من العار الذى يلحقه ، واهتم فى الفحص عن فعل ذلك وقتله .

ومنها . كثرة تعدى القلقات ، وتشديدهم على وقود القناديل بالأزقة . وهم من أهل البلد . وإذا مروا بالليل ووجدوا قنديلا أطفأه الهواء ، أو فرغ زيت ، سمرؤ الحانوت أو الدار التى هو عليها ولا يقلعون المسار حتى يصلحهم صاحبها على ما أحبوه من الدراهم وربما تعمدوا كسر القناديل لأجل ذلك

واتفق أن المطر أطفأ عدة قناديل بسوق أمير الجيوش ، بسبب كونها فى ظروف من الورق والجريد ، فابتل الورق ، وسال الماء فأطفأ القناديل ، فسمرؤ حوانيت السوق ، وأصبح أهلها فصالحوا عليها ، ووقع مثل ذلك فى طرق عديدة ، فجمعوا فى ذلك اليوم جملة من الدراهم ، وأمثال ذلك حتى فى الأزقة والعطف غير النافذة ... حتى كان الناس ليس لهم شغل الا القناديل وتفقد حالها وخصوصا فى ليل الشتاء الطويل .

شعبان

فى مستهله الثلاثاء (٨ يناير ١٧٩٩ م) :

قتلوا ثلاثة أنفار من الفرنسيين وبنّدقوا عليهم بالرصاص بالميدان تحت القلعة قيل انهم من المتسلقين على الدور .

وفيه : أخبر السفار بأن مراد بيك ومن معه ترفعوا الى قبلى ووصلوا الى عقبة الهواء . وكلما قرب منهم عسكر الفرنسيات انتقلوا وقبلوا . ولقد

حضر عدة من العسكر الفرنسيات من ناحية بليس ، ومعهم عدة من العربان نحو الثلاثين نفرا موثقين بالحيال ، وأسروا أيضا عدة من أولادهم ، ذكورا واناثا ، ودخلوا بهم الى مصر يزفونهم بالطبول أمامهم ، ومعهم أيضا ثلاثة حمول من حمول التجار ، وبعض جمال مما كان نهب منهم عند رجوعهم من الحج .

غايته (٧ يناير ١٧٩٩ م) :

حضر صارى عسكر من ناحية بليس الى مصر ليلا ، وأحضر معه عدة عربان وعبد الرحمن أباطة أخا سليمان أباطة شيخ العبايدة وخلافه .. رهائن ، وضربوا « أبا زعبل » و « المنير » وأخذوا مواشيهم وحضروا بهم الى القاهرة ، وخلفهم أصحابهم رجالا ونساء وصغارا .

وفى ذلك اليوم قتلوا شيخ العرب سليمان الشواربى ، شيخ قلوب ، ومعه أيضا ثلاثة رجال يقال لهم عرب الشرقية ، وأنزلوهم من القلعة الى الرميطة على يد الأغا ، وقطعوا رؤوسهم ، وحملوا جثة الشواربى مع رأسه فى تابوت ، وأخذة أتباعه فى بلده قلوب ليدفن هناك عند أسلافه

وانقضى هذا الشهر وحوادثه الجزئية والكلية .. منها : أن فى ليلة السابع والعشرين منه أتت جماعة الى دار الشيخ محمد بن الجوهري ، الكائن بالأزبكية بالقرب من باب الهواء ، فجلمعوا الشباك المطل على البركة ، ودخلوا منه وصعدوا الى أعلى الدار — وكان بها ثلاث من النساء الخدامات وابنة خدامة أيضا وبواب الدار ، ولم يكن رب الدار بها ولا الحريم ، بل كانوا قد انتقلوا الى دار أخرى لما سكن معظم العسكر بالأزبكية — فاستيقظ النساء وصرخن ، فضربوهن ، وقتلوا منهن امرأة ، واختفت البنت فى جهة . وعاثوا فى الدار ، وأخذوا

داخلهم من الفرنساوية خوف شديد ولم يقع بينهم ملاقاتة ولا قتال .

وفيه : قدمت رباعة تحمل البن الذى حضر من السويس بالموكب الداو بصحبة جماعة من الفرنساوية لخفارتها من قطاع الطريق .

الاحد ٦ منه (١٣ يناير ١٧٩٩ م) :

نادى القبطان الفرنساوى الساكن بالمشهد الحسينى على أهل تلك الخطة وما جاورها بفتح الحوائت والأسواق لأجل مولد الحسين ، وشدد فى ذلك ، وأوعد من أغلق حانوته بتسميره وتغريمه عشرة ريال فرانسة مكافأة له على ذلك .

وكان السبب فى ذلك ، والأصل فيه ، أن هذا المولد ابتدعه السيد بدوى بن فتية مباشر وقف المشهد .. فكان قد اعتراه مرض الحب الأفرنجى ، فنذر على نفسه هذا المولد أن شفاه الله تعالى ! فحصلت له بعض افاقة ، فابتدأ به ، وأوقد فى المسجد والقبة قناديل وبعض شموع ، ورتب فقهاء يقرأون القرآن بالنهار مدارس ، وآخرين بالمسجد يقرأون بالليل دلائل الخيرات للجزولى . ثم زاد الحال ، وانضم اليهم كثير من أهل البدع ، كجماعة العفيفى ، والسمان ، والعربى ، والعيسوية : فمنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرفها ، وينشد له المنشدون القصائد والمولات . ومنهم من يقول أبياتا من بردة المديح للبوصيرى ، ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة صلاة على النبى صلى الله عليه وسلم .

وأما العيسوية فهم جماعة من المغاربة ومن دخل فيهم من أهل الأهواء ، ينسبون الى شيخ من أهل المغرب يقال له سيدى محمد بن عيسى . وطريقتهم : أنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين ، ويقولون كلاما معوجا بلغتهم بنغم وطريقة مشوا عليها ، وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على قدر النغم ، ضربا شديدا مع ارتفاع أصواتهم . وتقف

جماعه أخرى ، قبالة الذين يضربون الدفوف ، فيضعون أكتافهم فى أكتاف بعض ، لا يخرج واحد عن الآخر ، يلتوون وينتصبون ويرتفعون وينخفضون ، ويضربون الأرض بأرجلهم ... كل ذلك مع الحركة العنيفة ، والقوة الزائدة ، بحيث لا يقوم هذا المقام الا كل من عرف بالقوة ! وهذه الحركات والايقاعات على نمط الضرب بالدفوف ، فيقع بالمسجد دوى عظيم ، وضجات من هؤلاء ومن غيرهم من جماعة الفقراء ... كل أحد له سريقة وكيفية تباين الأخرى !

هذا مع ما ينضم الى ذلك من جمع العوام ، وتحلقهم بالمسجد للحديث والهديان ، وكثرة اللفظ والحكايات والأضاحيك ، والتلفت الى حسان الغلمان الذين يحضرون للتفرج ، والسعى خلفهم والافتتان بهم ، ورمى قشور اللب والمكسرات والمأكولات فى المسجد ، وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فيه ، وسقاة الماء ، فيصير المسجد بما اجتمع فيه من هذه القاذورات والغفوش ، ملتقا بالأسواق الممتنة !

ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ثم زاد الحال على ذلك بقدوم جماعة الأشاير من الحارات البعيدة والقريبة ، وبين أيديهم مناوور القناديل والجوامع العظيمة التى تحملها الرجال ، والشموع ، والطبول ، والزمور . ويتكلمون بكلام محرف ، يظنون أنه ذكر وتوسلات يثابون عليها ، وينسبون من يلومهم أو يعترضهم الى الاعتزال والخروج والزندقة ! وغالبهم السوقة وأهل الحرف السافلة ، ومن لا يملك قوت ليلته ... فتجد أحدهم يجتهد بقوة سعيه ، ويبيع متاعه ، أو يستدين الهيلة من الدراهم ، ويصرفها فى وقود القناديل وأجرة الطبال والزمار ! وكل يجتمع عليه ما هو من أمثاله من الحرافيش ، ثم يقطع ليلته تلك

سهران ، ويصبح دائخا كسلان ، ويظن أنه بات
يتعب ، ويذكر ويتجهد !

واستمر هذا المولد أكثر من عشر سنين . ولم
يزدد الناذر لذلك إلا مرضا ومقتا . واستجلب
خدمة الضريح ملاح لهم من خساف العقول ، مثل
الشمع والدراهم ، واتخذوا ذلك حبالا لأكل أموال
الناس بالباطل !

فلما حصلت هذه الحادثة بمصر ، ترك هذا المولد
في جملة المتروكات . ثم حصلت الفتنة التي
حصلت ، وسكن هذا الفرنساوى في خط المشهد
الحسينى ، لضبط تلك الجهة — وفيه منساية
ومداينة — فصار يظهر المحبة للمسلمين ويلطفهم ،
ويدخل بيوت الجيران ، ويقبل شفاعة المتشفعين ،
ويجل الفقهاء ، ويعظمهم ويكرمهم . وأبطل وقوف
عسكره بالسلاح كعادتهم في غير هذه الجهة .
وكذلك منع مايفعله القلقات من أنواع التشديد
على الناس في مثل القناديل .

فاطمأن به أهل الخطه ، وتراجعوا للبكور الى
الصلاة في المساجد بعد تخوفهم من العسكر الذى
رتب معهم وتركهم التكبر . فلما أنسوا به ، وعرفوا
أخلاقه ، رجعوا الى عادتهم ، ومشوا بالليل أيضا
بدون فزع وخوف .

وترجمانه على مثل طريقته . وهو رجل شريف
من أهل حلب ، كان أسيرا بمالطة ، فاستخلصه
الفرنسيين في جملة من استخلصوهم من أسرى
مالطة ، وقدم معهم مصر . فلما أجلس هذا لضبط
الخط ، كان ترجمانه يهوديا ، فاحتال بعض أعيان
الجهة ، ورتب هذا الشريف المذكور ، ليكون فيه
راحة للناس . ففتح له قهوة بالخط بالقرب من دار
مخدومه ، وجمع الناس للجلوس فيها ، والسهر
حصه من الليل ، وأمرهم بعدم غلق الحوانيت مقداراً
من الليل كعادتهم القديمة .. فاستأنسوا بالاجتماعات

والتسلى والخلاعات . وعم ذلك جهات تلك الخطه ،
ووافق ذلك هوى العامة لأن أكثرهم مطبوع على
المجون والخلاعة ... وتلك هى طبيعة الفرنساوية !
فصاروا يجتمعون عنده للسمر والحديث ، واللعب
والممازحة . ويحضر معهم ذلك الضابط ، ومعه
زوجته ، وهى من أولاد البلد المخلوعين أيضا !
فانساق الحديث لذكر هذا المولد الشهير ،
وما يقع في لياليه من الجمعيات والمهرجان ، وحسنوا
له اعادته . فوافقهم على ذلك ، وأمر بالمناداة وفتح
الحوانيت ، ووقود القناديل ، وشدد في ذلك .

الأربعاء ٩ منه (١٧ يناير ١٧٩٩ م) :

كتبوا أوراقا بتطير طيارة ببركة الأزيكية ، مثل
التى سبق ذكرها ... وفست ، فاجتمعت الناس
لذلك وقت الظهر . وطيروها فصعدت الى الأعلى ،
ومرت الى أن وصلت تلال البرقية ، وسقطت .
ولو ساعدها الريح ، وغابت عن العين ... تمت
الحيلة ، وقالوا انها سافرت الى البلاد البعيدة
بزعمهم .

وفيه : سافر الخواجه مجلون الى الصعيد واليا
على جرجا لتحرير البلاد وقبض الأموال والغلال
المتأخرة بالنواحي .. للغز ..

وفيه : سافرت قافلة بها أجمال كثيرة ، ومواش ،
ونساء أفرنجيات ، وصناديق قيل انهم أرسلوها الى
الطور ، وصحبتهن عدة من العسكر .

الخميس ١٠ منه (١٧ يناير ١٧٩٩ م) :

حضر طائفة من العسكر الفرنساوى الى وكالة
ذى الفقار بالجبالية ، وفتحوا طبقة كانت لكتخدا
على باشا الطرابلسى ، وأخذوا ماوجدوه بها من
الأمثلة ، وختموا عدة حواصل وطباق بذلك الخان
وبالوكالة الجديدة وغيرها ، للمسافرين والهاربين
والقليونجية ، وضبطوا ما بها ، وقبضوا على جماعة
من الأتراك والقليونجية التجار ، وسجنوهم

وفيه : ذهب عدة من العسكر الفرنساوية الى قطيا ، وشرعوا في بناء أبنية هناك . وأشيع سقر سارى عسكر الى جهة الشام والاغارة عليها .

الأحد ١٣ منه (٢٠ يناير ١٧٩٩ م) :

كان انتقال الشمس لبرج الدلو — وهو أول شهر من شهورهم — وعملوا تلك الليلة حراقة بارود وسوارىخ ، كما هي عادتهم عند كل انتقال الشمس من برج الى برج .

الاثنين ١٤ منه (٢١ يناير ١٧٩٩ م) .

نادى المحتسب على اللحم الضانى بسبعة أنصاف الرطل وكان بثمانية ، واللحم الجاموسى بخمسة وكان بستة .

وفيه : ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب العيايدة نواحي الخانكة ، وقتلوا منهم طائفة ونهبوهم ، ووجدوا من منهوبات الناس وأمتعة عسكر الفرنساوية وأسلحتهم جملة ، فأخذوا ذلك مع ما أخذوه . وأحضروا معهم بعض رجال ونساء حبسوهم بالقلعة .

وفيه : ذهب عدة من العسكر الى سناقير وأجهور الورد وقرقييل وكفر منصور وبلاد أخرى للتفتيش على العرب ، فأخذوا ما وجدوه للعرب من بهائم وغيرها . والذي عصى عليهم ضربوه ونهبوه أيضا ، ونهبوا جمالا وبهائم ممن لم يعص أيضا ، ودخلوا بذلك المدينة . فصاروا يبيعون البقرة بريالين وثلاثة ، والنعجة وابنها بريال ... فاشترى غالب ذلك نصارى القبط .

السبت ١٩ منه ٢٦ يناير ١٧٩٩ م) :

قتلوا بالقلعة نحو التسعين نفرا ، وغالبهم من المالكين الذين وجدوهم هارين في البلاد والذين عس عليهم الخبيث الأغا وبرطلنسين والقلقات ووجدوهم مختفين في البيوت .

بالقلعة . وصاروا يفتشون على من بقى منهم بالقاهرة وببولاق — خصوصا الكرتلية الذين كانوا عسكرا لمراد بيك — وأخذوا الكثير من نصارى الأروام والقلبونجية الذين كانوا مع مراد بيك — وبعضهم كان بمصر — فأدخلوهم في عسكرهم ، وزيروهم بزيهم ، وأعطوهم أسلحة ، وانتظموا في سلكهم . وفيه : تواترت الأخبار بأن على باشا ونصوح ياشا فارقا مراد بيك وذهبا من خلف الجبل على الهجن الى جهة الشام وصحبته جماعة ابراهيم بيك . وكان ذهابهم في أواخر رجب .

وفيه : نادوا بإبطال القناديل التي توقد في الليل على البيوت والدكاكين ، وأن يوقدوا عوضها في وسط السوق مجامع في كل مجمع أربعة قناديل ، بين كل مجمع ثلاثون ذراعا . ويقوم بذلك الأغنياء دون الفقراء . ولا علاقة للقلقات في ذلك . ففرح بذلك فقراء الناس ، وانفجرت عنهم هذه الكربة . وفيه : نادوا أيضا أن كل من كان له دعوى شرعية أو ظلامة فليذهب الى العلماء والقاضى .

وفيه : ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب السكوامل ورجعوا بنهبوباتهم من الغنم والمعز والدجاج والأوز والحمير وغير ذلك .

وفيه : حضر رجل من ناحية غنزة يطاب أمانا للست فاطمة زوجة مراد بيك ولابنة المرحوم محمد أفسدى البكرى وزوجها الأمير ذى الفقار وخشداشيه . والخطاب للشيخ خليل البكرى . فعرض ذلك على سارى عسكر ، وترجى عنده ، فكتب لهم أمانا بحضورهم ، وأرسل لهم نفقة . وكان ذلك حيلة منهم لتأنيهم النفقة وبعض الاحتياجات .

وأخبر ذلك الرسول أن عبد الله باشا ابن العظم بغزة ، وابراهيم بيك ومن معه خارج البلد ، وهم في ضيق وحصر ، وحيز عنهم داخل البلد .

وفيه : قبضوا على خمسة أنفار من اليهود وأمرأتين فألقوا الجميع في بحر النيل .

وفيه : نادوا بأن كل من اشترى شيئا من منهوبات العرب التي نهبتها العسكر يحضره لبيت صارى عسكر .

وفيه : كثر الاهتمام والحركة بسفر الفرنسيين الى جهة الشام . وطلبوا وهياؤا جملة من الهجن ، وأحضروا جمال عرب الترايين ليحملوا عليها الذخيرة والدقيق والعليق والبسماط . ثم رسموا على الأهالي عدة كبيرة من الحمير ، وكذلك عدة من البغال . فطلب شيخ الحمارة ، وأمر بجمع ذلك ... وكذلك الركبدارية أمرهم بجمع البغال . فاختفى غالب أصحاب الحمير ، وخاف الناس على حميرهم ، فامتنع خروج السقائين الذين ينقلون الماء بالقرب على الحمير ، وسقائين الجمال ، والبراسمية . فحصل للناس ضيق بسبب ذلك .

الاثنين ٢١ منه (٢٨ يناير ١٧٩٩ م) :

كتبوا أوراقا ، ولصموها بالأسواق على العادة ، ونصها :

« الحمد لله وحده .. هذا خطاب الى جميع أهل مصر — من خاص وعام — من محفل الديوان الحصوصى ... من عقلاء الأثام علماء الاسلام ، والوجاقات ، والتجار الفخام . نعلمكم معاشر أهل مصر ، أن حصرة صارى عسكر الكبير بونايرته ، أمير الجيوش الفرنساوية ، صفح الصفح الكلى عن كامل الناس والرعية بسبب ما حصل من أراذل أهل البلد والجعيدية من الفتنة والشر مع السساكر الفرنساوية ، وعفا عفوا شاملا ، وأعاد الديوان الحصوصى في بيت قائد أغا بالأزبكية ، ورتبه من أربعة عشر شحصا ، أصحاب معرفة واقفان ، خرجوا بالقرعة من ستين رجلا كان أتجهم بموجب فرمان ، وذلك لاجل قضايا حوائج الرعايا ،

وحصول الراحة لأهل مصر من خاص وعام ، وتنظيمها على أكمل نظام واحكام ... كل ذلك من كمال عقله وحسن تدييره ، ومزيد حبه لمصر ، وشفقته على سكانها ، من صغير القوم قبل كبيرهم . ورتبهم بالمنزل المذكور كل يوم لأجل خلاص المظلوم من الظالم . وقد اقتص من عسكره الذين أساءوا بمنزل الشيخ محمد الجوهري ، وقتل منهم اثنين بقراميدان ، وأزل طائفة منهم عن مقامهم العالي الى أدنى مقام . لأن الخيانة ليست من عادة الفرنسيين خصوصا مع النساء الأرامل ... فان ذلك قبيح عندهم ، لا يفعله الا كل خسيس . ووضع القبض بالقلمة على رجل نصراني مكاس لأنه بلغه أنه زاد المظالم في الجمرک بمصر القدينة على الناس . وفعل ذلك بحسن تدييره ليمنع غيره من الظلم . ومراده رفع الظلم عن كامل الحلق ، ويفتح الخليج الموصل من بحر النيل الى بحر السويس لتخف أجرة الحمل من مصر الى قطر الحجاز الأفخم ، وتحفظ البضائع من اللصوص وقطاع الطريق ، وتكثر عليهم أسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق .

« فاشتغلوا بأمر دينكم وأسباب دنياكم ، واتركوا الفتنة والشرور ، ولا تطيعوا شيطانكم وهواكم . وعليكم بالرضا بقضاء الله وحسن الاستقامة ، لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع في الندامة . رزقنا الله وإياكم التوفيق والتسليم ! »

« ومن كانت له حاجة فليأت الى الديوان بقلب سليم .. الا من كان له دعوى شرعية ، فليتوجه الى قاضى العسكر المتولى بمصر المحمية ... بخط السكرية .

« والسلام على أفضل الرسل على الدوام »
وفيه : أرسلوا للوالى لينبئه على السقائين بنقل الماء وعدم التعرض لهم ولحميرهم

الأربعاء ٢٣ منه ٣٠١ يناير ١٧٩٩ م) :

خرج ليلا عدة كبيرة من العسكر وطلب كبير
الفرنساوية بونابارته أن يأخذ معه مصطفى بيك
كتخذا الباشا المتولى أمير الحج ويأخذ أيضا قاضي
العسكر بجمقش زاده وأربعة أنفار من المتعمين ،
وهم الفيومي والصاوى والعريشى والدواخلى ،
وجماعة أيضا من التجار والوجاقلية ونصارى
القطب والشوام .

السبت ٢٦ منه (٢ فبراير ١٧٩٩ م) :

نادوا للناس بالأمان وفتح الأسواق ليلا في
رمضان ، حكم المعتاد .

وفيه : انتقل قائمقام من بيته المثل على بركة
الفيل — وهو بيت ابراهيم بيك الوالى — وسكن
بيت أيوب بيك الكبير المثل على بركة الأزيكية .
وانتقلوا جميعهم الى بركة الأزيكية .

وفيه : عرض حسن أغا محرم المحتسب لساى
عسكر أمر ركوبه المعتاد لاثبات هلال رمضان
فرسم له بذلك ، على العادة القديمة ، فاحتفل لذلك
المحتسب احتفالا زائدا وعمل وليمة عظيمة في
بيته أربعة أيام ، أولها السبت وآخرها الثلاثاء ..
دعا في أول يوم العلماء والفقهاء والمشايخ
والوجاقلية وغيرهم ، وفي ثانى يوم التجار
والأعيان ، وكذلك ثالث يوم ورابع يوم دعا أيضا
أكابر فرنساوية وأصاغرهم .

وركب يوم الثلاثاء بالأبهة الكاملة زيادة عن
العادة ، وأمامه مشايخ الحرف بطبولهم وزمورهم ،
وشق القاهرة على الرسم المعتاد ، ومر على قائمقام
وأمير الحج وصارى عسكر بونابارته . ثم رجع
بعد الغروب الى بيت القاضى بين القصرين ،
فأثبتوا هلال رمضان ليلة الأربعاء ثم ركب من
هناك بالموكب ، وأمامه المشاغل الكثيرة ، والطبول
والزمور والنقاير ، والمناداة بالصوم .. وخلفه

عدة خيالة عارية رؤوسهم وشعورهم مرخية على
أقفيتهم بشكل بشع مهول .
واقضى شهر شعبان وحوادثه ..

فمنها : أن أهل مصر جروا على عاداتهم في
بدعهم التى كانوا عليها وانكمشوا عن بعضها ،
واحتشموها خوفا من الفرنسيين . فلما تدرجوا
فها ، وأطلق لهم فرنساوية القيد ، ورخصوا
لهم ، وسايروهم ... رجعوا اليها ، وانهكوا في
عمل مواليد الأصرحة التى يرون فرضيتها ، وأنها
قربة تنجيهم — بزعمهم — من المهالك ، وتقربهم
الى الله زلفى في المسالك ... فرمحوها في غفلاتهم
مع ما هم فيه من الأسر ، وكساد غالب البضائع ،
وغلوها ، واقطع الأخبار ، ومنع الجالب ،
ووقوف الانكليز في البحر ، وشدة حزمهم على
الصادر والوارد ... حتى غلت أسعار جميع
الأصناف المجلوبة من البحر الرومى ، وانقطع أثر
كثير من أرباب الصنائع التى كسدت لعدم طلابها .
واحتاجوا الى التكبس بالحرف الدينية : كبيع
الفطير ، وقلى السمك ، وطبخ الأطعمة والمأكولات ،
والأكل في الدكاكين ، واحداث عدة قهاوى .

وأما أرباب الحرف الدينية الكاسدة ،
فأكثرهم عمل حمارا مكاربا .. حتى ضارت
الأزقة — خصوصا جهات العسكر — مزدحمة
بالحير التى تكرر للتردد في شوارع مصر
فان للفرنسيين بذلك عناية عظيمة ، ومغالاة في
الأجرة ... بحيث أن الكثير منهم نزل طول النهار
فوق ظهر الحمار بدون حاجة سوى أن يجرى به
مسرعا في الشارع !

كذلك تجتمع الجماعة منهم ، ويركبون الحمير ،
ويجهدونها في المشى والاسراع ، وهم ينفون
ونضحكون ، ويصيحون ويتسخرون . ويشاركهم
المكارية في ذلك .

كما أن لهم العناية وبذل الأموال والتردد الى



القوات الفرنسية في الصعيد

أخبار الفرنسيين إلى الحجاز ، وأنهم ملكوا الديار المصرية — أزعج أهل الحجاز لذلك ، وضجوا بالحرم ، وجردوا الكعبة . وأن هذا الشيخ صار يعظ الناس ، ويدعوهم إلى الجهاد ، ويحرضهم على نصره الحق والدين . وقرأ بالحرم كتاباً مؤلفاً في معنى ذلك .. فانتعظ جملة من الناس ، وبذلوا أموالهم وأنفسهم ، واجتمع نحو الستائة من المجاهدين ، وركبوا البحر إلى القصير .. مع من انضم إليهم من أهل ينبع وخلافه . فورد الخبر في أواخره أنه انضم إليهم جملة من أهل الصعيد ، وبعض أتراك ومغاربة .. ممن كان خرج معهم مع غز مصر عند وقعة إمبابة . وركب الغز معهم أيضاً ، وحاربوا الفرنسيين ، فلم تثبت الغز كعادتهم ، وانهزموا ، وتبعهم هواراة الصعيد ، والمتجمعة من القرى . وثبت الحجازيون ، ثم انكفوا لقتلهم ، وذلك بناحية جرجا . وهرب الغز والمماليك إلى ناحية أسنا ، وصحبهم حسن بيك الجداوى ، وعثمان بيك حسن تابعه .

ووقع بين أهل الحجاز والفرنسيين بعض حروب غير هذه المرة بعدة مواضع . وينفصل الفريقان بدون طائل .

ومنها : أن الفرنسيين عملوا كرتيلة بجزيرة بولاق : وبنوا هناك بناء فيحجزون بها القادمين من السفار أياً ما معدودة ... كل جهة من الجهات القبلية والبحرية بحسبها . والله أعلم .

حانات الراخ ، والتغالي في شراء الفواكه والبواطي والأقداح . كما قال في ذلك صاحبنا الشيخ حسن العطار

ان الفرنسيين قد ضاعت دراهمهم
في مصرنا بين حمار وخمار

وعن قريب لهم في الشام مهلكة
يضيع لهم فيها آجال وأعمار

ومن طبعهم في الشرب ، أنهم يتعاطون لحد النشوة وترويح النفس . فإن زادوا عن ذلك الجذ ، لا يخرجون من منازلهم . ومن سكر وخرج إلى السوق ووقع منه أمر مغل ، عاقبوه وعزروه .

ومنها : ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود ، وركوبهم الخيول ، وتقلدهم بالسيوف ... بسبب خدمتهم للفرنسيين ! ومشيهم الخيلاء ، وتجاهرهم بفاحش القول ، واستذلهم المسلمين ... كل ذلك بما كسبت أيديهم وما ربك بظلام للعبيد !

والحال ... الجال ! والمركز في الطبع مازال ، والبعض استهوته الشياطين ، ومرق — والعياذ بالله — من الدين . ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

ومنها : تواتر الأخبار من ابتداء شهر رجب بأن رجلاً مغربياً — يقال له الشيخ الكيلاني — كان مجاوراً بمكة والمدينة والطائف . ولما وردت

رمضان

الأربعاء اوله (٦ فبراير ١٧٩٩ م) :

أخذ بنو بركة في الاهتمام بالسفر الى جهة الشام ، وجهزوا طلبا كثيرا ، وصاروا في كل يوم تخرج منهم طائفة بعد طائفة .

السبت ٤ منه (٩ فبراير ١٧٩٩ م) :

عمل صارى عسكر ديوانا ، وأحضر المشايخ والوجقات وتكلم معهم في أمر خروجه للسفر ، وأنهم قتلوا الممالك الفارين بالصعيد وأجلوا باقيهم الى أقصى الصعيد ، وأنهم متوجهون الى الفرقة الأخرى بناحية غزة ، فيقطعونهم ويهدون البلاد الشامية لأجل سلوك الطريق ، ومشى القوافل والتجارات برا وبحرا ، لعمار القطر وصلاح الأحوال ، وأتينا نغيب عنكم شهرا ثم يعود . وعند عودنا نرتب النظام في البلد والشرائع وغير ذلك ... فعليكم ضبط البلد والرعية في مدة غيابنا ، ونبهوا مشايخ الأخطاط والحارات ... كل كبير يضبط طائفته ، خوفا من الفتن ، مع العسكر المقيمين بمصر .

فالتزموا له بذلك ، وكتبوا له أوراقا مطبوعة على العادة في معنى ذلك ، وألصقوها بالطرق .

وفيه : خرج القاضى ومصطفى ، كتخدا الباشا ، والمشايخ المعنون للسفر الى جهة العادلية . وخرج أيضا عدة كبيرة من عسكرهم ، ومعهم أحمال كثيرة .. حتى الأمرة والفرش والحصر ، وعدة مواهى ومحفات للنساء والجوارى البيض والسمود والحيوش اللاتى أخذوهن من بيوت الأمراء ، وتزينا أكثرهن بزى نسائهم الأفرنجيات .. وغير ذلك .

الأحد ٥ منه (١٠ فبراير ١٧٩٩ م) :

ركب صارى عسكر الفرنسيين وخرج أيضا الى

العادلية ، وذلك في الساعة الرابعة بطالع الحمل وفيه القمر في تريخ زحل وأبقى بمصر عدة من العسكر بالقلعة والأبراج التى بنوها على التلول وقائمقام وبوسليك وصارى عسكر ديزيه بجملته من العسكر فى الصعيد ، وكذلك صوارى عسكر الأقاليم ، كل واحد معه عسكر فى جهة من الجهات . وأخذ معه المديرين وأصحاب المشورة والمترجمين وأرباب الصنائع مهم كالحدادين والتجارين ومهندسى الحروب وكبيرهم أبو خشبة ، وأبقى أيضا بعض أكابرهم بمصر . ثم تراسل المتخلفون فى الخروج .. كل يوم تخرج منهم جماعة .

الثلاثاء ٧ منه (١٢ فبراير ١٧٩٩ م) :

انتدب للنمية ثلاثة من النصارى الشوام وعرفوهم أن المسلمين قاضدون الوثوب على الفرنسيين فى يوم الخميس ٩ منه (١٤ فبراير ١٧٩٩ م) فأرسل قائمقام خلف المهدي والأغا فأحضرهما وذكر لهما ذلك فقالا له : « هذا كذب لا أصل له ، وإنما هذه نية من النصارى كراهة منهم فى المسلمين » . فحصى عن اختلق ذلك فوجدهم ثلاثة من النصارى الشوام قبضوا عليهم وسجنوهم بالقلعة ، حتى مضى يوم الخميس فلم يظهر صحة ما تملوه . فأبقاهم فى الاعتقال .

ثم ان نصارى الشوام رجعوا الى عادتهم القديمة فى لبس العمائم السود والزرى ، وتركوا لبس العمائم البيض والشيلا الكشمير الملونة والمشجرات ، وذلك بمنع الفرنسيين لهم من ذلك . ونبهوا أيضا بالمناداة فى أول رمضان بأن نصارى البلد يمشون على عادتهم مع المسلمين أولا ، ولا يتجاهرون بالأكل والشرب فى الأسواق ، ولا يشربون الدخان ولا شئ من ذلك بصرى منهم كل ذلك استحلابا لخواطر الرعية . حتى

يقال له حسن كاشف الدويدار ، وكاشفان آخران ، وهما يوسف كاشف الرومى واسماعيل كاشف تابع أحمد كاشف المذكور .

وكان من خبرهم أنهم كانوا مقيمين بقلعة العريش وصحبتهم نحو ألف عسكرى مغاربة وارناؤود فحضر لهم الفرنسيين الذين كانوا فى المقدمة فى أواخر شعبان فأحاطوا بالقلعة وحاربوهم من داخلها ونالوا منهم ما نالوه . ثم حضر اليهم سارى عسكر بجموعه بعد أيام وألحوا فى حصارهم فأرسل من بالعريش الى غزة فطلب نجدة ، فأرسلوا لهم نحو السبعائة وعليهم قاسم بك أمين البحرين ، فلم يتمكنوا من الوصول الى القلعة لتحلق الفرنسيات بها واحاطتهم حولها ، فنزلوا قريبا من القلعة فكبتهم عسكر الفرنسيين بالليل



الأتراك بهاجمون قلعة العريش

فاستشهد قاسم بك وغيره ، وانهمز الباقون . ولم يزل أهل القلعة يحاربون ويقاتلون حتى فرغ ما عندهم من البارود والدخيرة فطلبوا عند ذلك الأمان ... فأمنوهم ، ومن القلعة أنزلوهم ، وذلك بعد أربعة عشر يوما . فلما نزلوا على أمانهم أرسلوهم الى مصر مع الوصية بهم وتخليه سبيلهم فحضرهم الى مصر فأخذوا سلاحهم وخلوا سبيلهم وصاروا يترددون عليهم ، ويعظموهم ويلطفونهم ويفرجونهم على صنائعهم وأحوالهم . وأما العسكر الذين كانوا معهم بقلعة العريش

ان بعض الرعية من الفقهاء مر على بعض النصارى ، وهو يشرب الدخان ، فانتهره .. فرد عليه ردا شنيعا . فنزل ذلك المتعمم ، وضرب النصرانى . واجتمع عليه الناس ، وحضر حاكم الخطة فرفعها الى القائمقام . فسأل من النصارى الحاضرين عن عاداتهم فى ذلك ، فأخبروه أذ من عاداتهم القديمة أنه اذا استهل شهر رمضان لا يأكلون ولا يشربون فى الأسواق ، ولا يبرأى من المسلمين أبدا . فضرب النصرانى ، وترك المتعمم لسبيله .

الاحد ١٩ منه (٢٤ فبراير ١٧٩٩ م) :

أحضروا مراد أغا - تابع سليمان بك الأغا ومعه آخر من الأجناد - من ناحية قبلى فأصعدوهم القلعة قبل قتلها .

السبت ٢٥ منه (٢ مارس ١٧٩٩ م) :

ورد الخبر بأن الفرنسيات ملكوا قلعة العريش وطاف رجل من أتباع الشرطة ينادى فى الأسواق أن الفرنسيات ملكوا قلعة العريش وأسروا عدة من المماليك . وفى غد يعملون شنكا ويضربون مدافع فاذا سمعتم ذلك ، فلا تفرعوا .

الاحد ٢٦ منه (٣ مارس ١٧٩٩ م) :

حضر المماليك المذكورة وهم ثمانية عشر مملوكا وأربعة من الكشاف . وهم راكبون الحميز ، متقلدون بأسلحتهم ، ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيين ، وأمامهم طلبهم . وخرج بعض الناس .. فشاهدتهم ولما وصلوا الى خارج القاهرة - حيث الجامع الظاهرى - خرج الأغا وبرطلين بطوافيهما ينتظرانهم ، ومعهم طبول وبنارق وطوائف ، ومشوا معهم الى الأزبكية من الطريق التى أحدثوها ، ودخلوا بهم الى بيت قائمقام . فأخذوا سلاحهم ، وأطلقوهم .. فذهبوا الى بيوتهم . وفيهم أحمد كاشف تابع عثمان بك الأشقر وآخر

العظيم الشأن ... ذلك المصحف الأكمل ، والكتاب
المفضل ، يشتمل على مبادئ الحكمة السنية ،
والحقوق اليقينية .

« وهذه المبادئ المذكورة لا يصح بناؤها
المتبن ، على الحكم والحق اليقين ، الا اذا عرضت
على أحسن الآداب ، وتعليم العلوم بغير ارتياب .
وبهذين تنتج أعظم الفوائد ، وذلك بمساعي أناس
متحدين معا برياضات الحظ والسعد .

« وبمثل ذلك عرفت أنه لمن المستحيل أن القرآن
الشريف يفصح الا على ماهو من باب النظام ،
لأنه — من دون ذلك — فكل ماهو في هذا العالم
الفانى ليس الا معابر وخراب .

« ولا يسهى عنا أن كل ماهو من الموجودات
الكائنات ، كقولك تلك المتحركة بطريقة ونظام ،
من قبل من جعلها للسير سبحانه مبدع الأنام ،
كالنجوم السائرة فى الأعالي ، وبها يهتدى للسير
الحالى . ثم على الخصوص تلك الفصول الأربع
المتوالى انتقالها باستمرار جولانها ، ثم اتصال
الليل بالنهار ، والنهار بالليل .. على حد واحد من
المقدار ، ثم وجود المتباينات ، وتمييز النور من
الظلمات ، وان ذاك وما أدراك !

« فماذا عسى كان يحل بنا وبحال العالم بأسره
أيضا ، لو عدم هذا النظام ... ولو برهة ؟

« فالآن لرجو جناب حضرة المشايخ والعلماء
يفيدون كيف ترى كان يصير حال القطر المصرى ،
لو يمتنع عن جريانه كمعاداته نهره هذا المبارك
المشتهر — لا يسمح الله سبحانه بذلك —
فبلا شك أن البلاد قاطبة لا يمكن أن تسكن حين
ذاك الا ببحر سنة واحدة فقط . وذلك من عدم
الماء ، ورى الأرض .. أراضى هذه المملكة التى
أتم قاطنون بها . وفى ذلك الحين كانت تصعد
الرمال على الأطيان والمزارع والحيضان ، والناس

تهلك جوعا ، وتعدم السكان ، فتتشحن الأرض
من الأموات ، فنعوذ بالله الحفيظ لسائر المخلوقات .
« واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أبدع كل
الأشياء بمعرفته القادرة ، وحكمته الباهرة .
وجعل هذا النظام العجيب ، ورتب هذه الدنيا
وما فيها ترتيب معجزا غريب . فقد عرف أنها بدون
ذلك تعدم سريعا ، وحالها يغدو مريعا .

« فالآن ... انما نكون من أشر المذنبين اذا
سرنا سيرة كالضالين ، وعلى أوامره عصاة غيب
منخضعين . ومع ذلك فنسأله جل شأنه أن يقوينا
على السلوك فى ديننا ودنيانا .. وهذا القدر كفانا .
« فيا أيها المشايخ المكرمون ، والعلماء المحققون
ومن هم بالعلم موصوفون ... لا يخفاكم أن أجمل
مافى النظام ، فى تدير هذه الدنيا بأسرها حسن تام ،
هو الاحتفال والميل الى النظام ، الذى هو صادر
ترتيبه عن حكمة الله تعالى بوجه تام . ثم ان البلاد
وتلك النواحي ، التى يطلق عليها كونها فى حال
النجاح ، والحظ والفلاح — لا نعتد هكذا الا اذا
كان سكانها يهتدون الى قواعد الشريعة ، والفرائض
الصادرة عن أصحاب الفطنة والادراك ، ويستعدون
للسلوك بالعدل والانصاف .. خلافا لغيرها من البلاد
التعسة الحال ، تلك التى سكانها خاضعون على
الدوام لما فيهم من العجرفة والاعتداء ، ولا ينعطفون
الا الى أهواء أنفسهم المنحرفة .

« فجناب حضرة بونابارته الشهير النبيل ،
الصنديد الشجاع الجليل ، قد تقدم فأمر بأن
يحرر دفتر ، يكتب فيه أسماء كامل الميتين . والآن
حضرتكم قد طلبتم منى دفتر آخر خلافا ، فيه
يتحرر أسماء المولودين أيضا .

« ومن حيث ذلك ، فلا بد أن أعتنى منذ الآن ،
مع جزيل الاهتمام ، بهذين الأمرين . وهكذا أيضا
بتحرير دفتر الزواج ، اذ كان ذلك أشد المهمات
والحوادث الواجبات . ثم يتبع ذلك بتجديد نظام

الخميس غايته (١٥ يناير ١٨٠١ م) :

سقطت منارة جامع قوصون .. سقط نصفها الأعلى فهدم جانباً من بوائك الجامع ، ونصفها الأسفل مال على الأماكن المقابلة له بعطفة الدرب النافذ لدرب الأغوات ، وبقي مسنداً كذلك قطعة واحدة الى يومنا هذا . وأظن أن سقوطها من فعل الفرنسيين بالبارود .

رمضان

ثبت هلاله ليلة الجمعة (١٦ يناير ١٨٠١ م) :

عملت الرؤية ، وركب المحتسب ومشايخ الحرف بالطبول والزمر على العادة ، وأطلقوا له خمسين ألف درهم لذلك ، نظير عوائده التي كان يصرفها في لوازم الركبة .

الثلاثاء ٥ منه (٢٠ يناير ١٨٠١ م) :

وقع السؤال والفحص عن كسوة الكعبة ، التي كانت صنعت على يد مصطفى أغا — كتحدا الباشا — وكملت ببشارة حضرة صاحبنا العبد الفاضل ، الأريب الأديب ، الناظم الناصر : السيد اسماعيل الشهير بالخشاب . ووضعت في مكانها المعتاد بالمسجد الحسيني ، وأهمل أمرها الى حد تاريخه ، وربما تلف بعضها من رطوبة المكان وخير السقف من المطر . فقال الوكيل : « ان سارى عسكر قصده التوجه بصحبكم يوم الخميس قبل الظهر بنصف ساعة الى المسجد الحسيني ، ويكشف عنها . فان وجد بها خلاصاً أصلحه ، ثم يعيدها كما كانت ، وبعد ذلك يشرع في ارسالها الى مكانها بمكة ، وتكسى بها الكعبة على اسم المشيخة الفرنسية ا . » . فقالوا له : « شأنكم وما تريدون » وقرئ بالمجلس فرمان بمضون ذلك .

غير قابل التغيير في ضبط الأملاك ، والتمييز الكامل عن ولد ومات من السكان ، وهذا يعرف من أهالي كل بيت . فعلى هذا الحال ، يتيسر للحاكم الشرعي الحكم بالعدل والانصاف ، وينقطع الخلف والخصام بين الورثة ، وتقرر الولادة ، ومعرفة السلالة التي هي الشيء الأجل والأوفر استحقاقاً في الارث . وهكذا ، ان شاء الله ، لا بد من الفحص والتفتيش بالحرص والتدقيق ، وبذل الهمة للحصول لأقرب نوال الى ما يلزم لاكمال ما قصدناه .

« ثم ان أراد الله لا بد أن أعتنى بالمطالبة ، على وجه تام ، كل وقت يقتضى لنا أن ندبر أشياء تستفيد بها هذه المملكة التي قد تسلمنا سياستها ، وبهذا نوقن وتتحقق كوننا امثلنا لأوامر دولة جمهور فرنساوية ، وحضرة قنصلها الأول بونا برته .

« فياحضرة المشايخ والعلماء الكرام ، أننا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا تهنة بولادة ولدى السيد سليمان مراد جاك مينو . فنطلب من الله سبحانه وتعالى ، واسأله كذلك بجاه رسوله سيد المرسلين ، أن يجود به على زمانا مديدا ، وأن يكون للعدل محبا ، وللاستقامة والحق مكرما ، وموفى وعده صادقا ، وألا يكون من أهل الطمع فهذا هو أوفر الغنى الذي أرغبه لولدى . لأن الرجل ... الذي لا يهتدى الا بالخير ، فلا يصرف اعتناؤه الا في خير الأدب ، لا في قنية الفضة والذهب .

« فنسأله تعالى أن يطيل بقاءكم والسلام » (١) .

(١) في هذا الشهر رزق عبد الله جاك مينو من زوجته العبدية زبيدة ولدا أسماه « سليمان مراد جاك مينو » .
« عبد الرحمن الرافعي - تاريخ الحركة القومية ج ٢ ص ٢١٤ »
وكان اختيار مينو اسم « سليمان » ، لان سليمان الحلبي قاتل كليبر ، وذلك لكرامية مينو لكليبر . وكان أيضا لا يبدو منه اى احترام للكراه .

مولاكم النذى خلقكم وسواكم .. والسلام
ختم ا .

واقضى شهر رمضان ، ووقع فيه — قبل ورود
هذه الأخبار — من السكون والطمأنينة وخلو
الطرق من العسكر ، وعدم مرور المتخلفين منهم
الا في النادر ، واختفائهم بالليل جملة كافية ، وانفتاح
الأسواق والدكاكين ، والذهاب والمجيء ، وزيارة
الاخوان ليلا ، والمشي على العادة بالفوانيس
ودونها ، واجتماع الناس للسهر في الدور والقهوى ،
ووقود المساجد ، وصلاة التراويح ، وطواف
المسحرين ، والتسلى بالرواية والتقول ، وترجى
المأمول ، وانجلال الأسعار فيما عدا المطلوبات من
الأقطار .

ومنها : أن الفرنساوية صاروا يدعون أعيان
الناس والمشايخ والتجار للافطار والسحور ،
ويصلون لهم الولايم ، ويقدمون لهم الموائد على
نظام المسلمين وعاداتهم . ويتولى أمر ذلك الطباخون
والفراشون من المستلمين ، تطمينا لخواطرهم ،
ويذهبون هم أيضا ، ويحضرون عندهم الموائد ،
ويأكلون معهم في وقت الافطار ، ويشاهدون
ترتيبهم ونظامهم ، ويحذون حذوهم . ووقع منهم
من المسايرة للناس وخفض الجانب ، ما يتعجب
منه ! والله أعلم .

سؤال

الجمعة مستهله (٨ مارس ١٧٩٩ م) :

في صبح ذلك اليوم ضربوا عدة مدافع لشبك
العيد ، واجتمع الناس لصلاة العيد في المساجد
والأزهر . واتفق أن امام الجامع الأزهر نسي قراءة
الفتحة في الركعة الثانية فلما سلم أعاد الصلاة
بعد ما شنع عليه الجماعة .

وخرج الرجال والنساء لزيارة القبور . فاتبذ
بعض الحرافيش نواحي تربة باب النصر ، وأسرع

في مشيه وهو يقول : « نزلت عليكم العرب
يا ناس » . فهاجت الناس ، وانزعجت النساء ،
ورمحت الجعيدية والحرافيش ، وخطفوا ثياب
النساء وأزرهن ، وما صادفوه من عبائم الرجال
وغير ذلك ، واتصل ذلك بتربة المجاورين وباب
الوزير والقرافة ، حتى أن بعض النساء ماتت تحت
الأرجل . ولم يكن لهذا الكلام صحة ، وانما ذلك
من مخترعات الأوباش لينالوا أغراضهم من الخطف
بذلك .

وفيه : ركب أكابر الفرنسيين وطافوا على أعيان
البلد وهنوهم بالعيد وجاملمهم الناس . لمدارة
أيضا ..

وفيه : وردت الأخبار بأن الأمراء المصرية القبلين
تفرقوا من بعضهم : فذهب مراد بيك وآخرون الى
نواحي ابراهيم بيك ، ومنهم من ذهب الى ناحية
أسوان والألفى عدى بجماعته الى البر الشرقى .

الثلاثاء ٥ منه (١٢ مارس ١٧٩٩ م) :

قدم الشيخ محمد الداوخلى من ناحية القرين
متضررا ، وكان بصحبته الصاوى والفيومى متخلفين
بالقرين . وسبب تخلفهم أن كبير الفرنسيين لما
ارتحل من الصالحية ، أرسل الى كتخدا الباشا
والقاضى والجماعة الذين بصحبتهم ، يأمرهم
بالحضور الى الصالحية ، لأنهم كانوا ياعدون عنه
مرحلة ، فلما أرادوا ذلك بلغهم وقوف العرب
بالطريق... فخافوا من المرور، فذهبوا الى العرين^(١) ،
فأقاموا هناك ، واتخذ عسكر الفرنسيين جمالهم
فأقاموا بمكانهم . فتقلق هؤلاء الثلاثة ، وخافوا سوء
العاقبة .. ففارقوهم وذهبوا للقرين ، وتخلف عنهم
الفيومى فأقام مع كتخدا الباشا والقاضى ، فحصل
للدواخلى توعك ، فحضر الى مضر وبقي رفيقا به
في حيرة .

(١) بالدين ، ومن غير القرين بالقاف .

وفزع عليه ليضربه . فلما خرج من عنده قام وذهب الى كبيرهم واخبره بفعل دلوى معه ، فأمر باحضاره وحبسه بالقلعة .

ثم أخبر بعض الناس شيخ البلد أن التعرض الذى وقع من دلوى لباعة الغلة انما هو باغراء خادمه ، وعرفه أن خادمه المذكور مولع بامرأة رقاصة من الرميلة تأتيه بأشكالها ومن على طريقها ويجتمع هو وأضرابه وترقص لهم تلك المرأة فى القهوة التى يحطهم ليلا ونهارا وتبيت معهم فى البيت ويصبحون على حالهم . فلما حبس أميرهم اختفوا فدلوا على الرجل والمرأة فقبضوا عليهما وفعلوا بهما ما ذكر . ولا بأس بما حصل .

الجمعة ٨ منه (١٥ مارس ١٧٩٩ م) :

نودى فى الأسواق بموكب كسوة الكعبة المشرفة من قرا ميدان والتنبيه باجتماع الوجاقات وأرباب الأثاير وخلافهم على العادة فى عمل الموكب .

السبت ٩ منه (١٦ مارس ١٧٩٩ م) :

اجتمع الناس فى الأسواق وطريق المرور وجلسوا للفرجة فمروا بذلك وأمامها الواسى والمحاسب وعليهم القفاطين والبنشاشات وجميع الأثاير بطبولهم وزمورهم وكاساتهم ، ثم برطلين كتخدا مستحفظان وأمامه نفر من الينكرجية المسلمين نحو المائتين أو أكثر ، وعدة كثيرة من نصارى الأروام بالأسلحة والملازمين باليراقع ، وهو لابس فروة عظيمة . ثم مواكب القلقات ، ثم موكب ناظر الكسوة — وهو تابع مصطفى كتخدا الباشا — وخلفه النوبة التركية . فكانت هذه الركبة من أغرب المواكب وأعجب العجائب لما اشتد عليه من اختلاف الأشكال وتنوع الأمثال واجتماع الملل ، وارتفاع السفل ، وكثرة الحشرات ، وعجائب المخلوقات ، واجتماع الأضداد ، ومخالفة الوضع المعتاد . وكان لسيح الكسوة بدار مصطفى كتخدا



باب زويلة

الخميس ٧ منه (١٤ مارس ١٧٩٩ م) :

أحضر الأغا رجلا ورمى عنقه عند باب زويلة وشنق امرأة على شبك السبيل تجاه الباب . والسبب فى ذلك أن الفرنساوى حاكم خط الخليفة وجهه الركبية — ويسمى دلوى (١) — أحضر باعة الغلال بالرميلة وصادرهم ومنعهم من دفع معتاد الوالى ، فاجتمعوا وذهبوا الى كبير الفرنسيين الذى يقال له شيخ البلد وشكوا اليه . وكان الأمير ذوالفقار حاضرا — وهو يسكن تلك الجهة — فعضدهم وعرف شيخ البلد عن شكواهم ، فأرسل شيخ البلد الى دلوى فاتههر وأمره برد ما أخذه ، فأخبره أتباعه أن ذا الفقار هو الذى عضدهم وأنهى شكواهم الى كبيرهم . فقام دلوى المذكور ودخل على ذى الفقار فى بيته وسبه وشتمه بلغته

(١) « دوى » فى بعض النسخ . ولعلها « ديبوى » .

المذكور وهو على خلاف العادة من نسجها بالقلعة .

الأربعاء ١٣ منه (٢٠ مارس ١٧٩٩ م) :

حضر عدة من الفرنسيين وهم راكبون الهجن ومعهم عدة ييارق وأعلام بعد الظهر وأخبروا أن الفرنسيين ملكوا قلعة يافا ، ويدهم مكاتبة من صاري عسكريهم بالأخبار عما وقع .

الخميس ١٤ منه (٢١ مارس ١٧٩٩ م) :

اجتمع أرباب الديوان ، فقرأ عليهم تلك المراسلة — بعد تعريبها وترصيفها على هذه الكيفية — وهي عن لسان رؤساء الديوان إلى الكافة . وذلك بالزامهم وأمرهم بذلك . وصورتها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . سبحانه مالك الملك يفعل في ملكه ما يريد . سبحانه الحكم العدل الفاعل المختار ذي البطش الشديد !
هذه صورة تعليقك الله سبحانه وتعالى جمهـور الفرنسيـة لبندر يافا من الأقطار الشامية :

« نعرف أهل مصر وأقاليمها من سائر البرية أن العساكر الفرنسية انتقلوا من غزة في ٢٣ رمضان . ووصلوا إلى الرملة في ٢٥ منه في أمن واطمئنان ، فشاهدوا عسكر أحمد باشا الجزائر هاربين بسرعة قائلين : الفرار ! الفرار !

« ثم إن الفرنسية وجدوا في الرملة ومدينة « لد » مقداراً كبيراً من مخازن البقسماط والشعير ، ورأوا فيها ألفاً وخمسائة قرية مجهزة ... جهزها الجزائر يسير بها إلى إقليم مصر مسكن الفقراء والمساكين ! ومراده أن يتوجه إليها بأشرار العربان من سطح الجبل . ولكن تقادير الله تفسد المكر والحيل ! قاصداً سفك دماء الناس مثل عوائده الشامية — وتجبره وظلمه مشهور — لأنه تربية الممالك الظلمة المصرية . ولم يعلم من خسافة عقله وسوء تديره أن الأمر لله . كل شيء بقضائه وتديره .

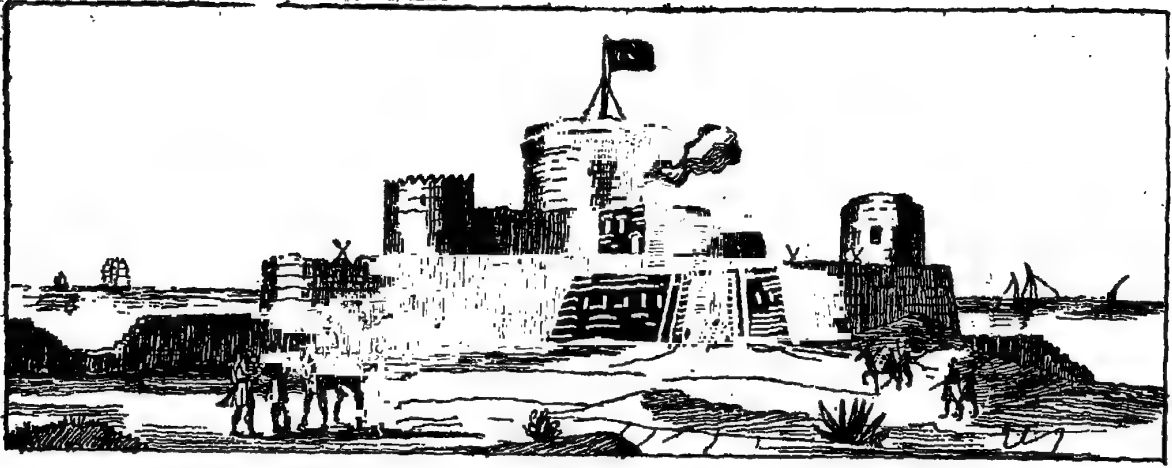
« وفي سادس عشر من شهر رمضان وصلت مقدمات الفرنسية إلى بندر يافا من الأراضي الشامية ، وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية ، وأرسلوا إلى حاكمها . وتحيل الجزائر أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل به وبعسكره الدمار .

« فمن خسافة رأيه وسوء تديره ، سمى في هلاكه وتدميره ، ولم يرد لهم جواب ، وخالف قانون الحرب والصواب .

« وفي أواخر ذلك اليوم — السادس والعشرين — تكاملت العساكر الفرنسية على محاصرة يافا ، وصاروا كلهم مجتمعين . وانقسموا على ثلاثة طوابير : الطابور الأول توجه على طريق عكا بعيداً عن يافا بأربع ساعات . وفي السابع والعشرين من الشهر المذكور ، أمر حضرة صاري عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور لأجل أن يعملوا متاريس أمينة وحصارات متقنة حصينة ، لأنه وجد سور يافا ملائاً بالمدافع الكثيرة ، ومشحونة بعسكر الجزائر الغزيرة .

« وفي تاسع عشرين الشهر ، لما قرب حفر الخندق إلى السور مقدار مائة وخمسين خطوة ، أمر حضرة صاري عسكر المشار إليه أن تنصب المدافع على المتاريس ، وأن يضعوا أهوان القنبر بأحكام وتأسيس . وأمر بنصب مدافع أخرى بجانب البحر لمنع الخارجين إليهم من مراكب المينا ، لأنه وجد في المينا بعض مراكب أعدها عسكر الجزائر للهروب . ولا ينفع الهروب من القدر المكتوب !

« ولما رأت عساكر الجزائر الكائنون بالقلعة ، المحاصرون ، أن عسكر الفرنسية قلائل في رأى العين للناظرين لمدارة الفرنسية في الخنادق . خلف المتاريس ، غرهم الطمع ، فخرجوا لهم من القلعة مسرعين مهولين ، وظنوا أنهم يغلبون الفرنسية .. فهجم عليهم الفرنسيين ، وقتلوا



استحكامات يافا

ونخبركم أن حضرة صارى عسكر المشار اليه ..
لمزيد رحمته وشفقته - خصوصا بالضعفاء من
الرية ! - خاف عليكم من سطوة عسكره
المحاربين ، اذا دخلوا عليكم بالقهر أهلكوكم
أجمعين . فلزمتنا أننا نرسل لكم هذا الخطاب ...
أمانا كافيا لأهل البلد والأغراب . ولأجل ذلك آخر
ضرب المدافع والقناير الصاعدة عنكم ساعة فلكية
واحدة . وانى لكم لمن الناصحين ! » .

« وهذا آخر جواب الكتاب ... فجعلوا جوابنا
حسب الرسول ، مخالفين للقوانين الحربية ،
والشريعة المطهرة المحمدية ! وحالا - في الوقت
والساعة - هيج صارى عسكر ، واشتد غضبه
على الجماعة ، وأمر بإبتداء ضرب المدافع والقناير
الموجب للتدمير . وبعد مضي زمان يسير تعطلت
مدافع يافا المقابلة لمدافع المتاريس ، وانقلب عسكر
الجزار في وبال وتتكيس .

« وفي وقت الظهر من هذا اليوم ، انفرق سور
يافا ، وارتج له القوم ، وتقب من الجهة التي ضربت
فيها المدافع من شدة النار . ولا راد لقضاء الله
ولا مدافع ! وفي الحال أمر حضرة صارى عسكر
بالهجوم عليهم . وفي أقل من ساعة ملكت الفرنساوية
جميع البندر والأبراج ، ودار السيف في المحاربين ،

منهم جملة كثيرة في تلك الواقعة ، وألجأوهم
للدخول ثانيا في القلعة .

« وفي يوم الخميس غابة شهر رمضان ، حصل
عند صارى عسكر شفقة قلبية ، وخاف على أهل
يافا من عسكره اذا دخلوا بالقهر والاكراه ! فأرسل
اليهم مكتوبا مع رسول مضمونه :

« لا اله الا الله وحده لا شريك له .. بسم الله
الرحمن الرحيم : من حضرة صارى عسكر اسكندر
برتبة كتخدا العسكر الفرنساوى .. الى حضرة
حاكم يافا ...

« نخبركم أن حضرة صارى عسكر
الكبير بونا برته أمرنا أن نعرفك في هذا الكتاب
أن سبب حضوره الى هذا الطرف اخراج عسكر
الجزار فقط من هذه البلدة ، لأنه تعبدى بإرسال
عسكره الى العريش ، ومرابطته فيها . والحال
أنها من اقليم مصر ، التي أنعم الله بها علينا ! فلا
يناسبه الإقامة بالعريش ، لأنها ليست من أرضه .
فقد تعدى على ملك غيره .

« ونعرفكم ، يا أهل يافا ، أن بندركم حاصرناه
من جميع أطرافه وجهاته ، وربطناه بأنواع الحرب
وآلات المدافع الكثيرة والجلل والقناير وفي مقدار
لباعتين ينقلب سوركم ، وتبطل آلاتكم وحروبكم

واشتد بحر الحرب وهاج ، وحصل النهب فيها
تلك الليلة

« وفي يوم الجمعة غرة شوال ... وقع الصفح
الجميل من حضرة صارى عسكر الكبير ، ورق
قلبه على أهل مصر ، من غنى وفقير ، الذين كانوا
في باقا ، وأعطاهم الأمان ، وأمرهم برجوعهم الى
بلدكم مكرمين !

« وكذلك أمر أهل دمشق وحلب برجوعهم الى
أوطانهم سالمين ، لأجل أن يعرفوا مقدار شفقتهم ،
ومزيد رأفته ورحمته انغفو عند المقدرة ، ويصفح
وقت المصدرة ... مع تمكينه ، ومزيد اتقانه
وتحصينه !

« وفي هذه الواقعة قتل أكثر من أربعة آلاف
من عسكر الجزار بالسيف والبنادق ، لما وقع منهم
من الانحراف . وأما الفرنسيون فلم يقتل منهم الا
القليل . والمجروحون منهم ليسوا بكثير . وسبب
ذلك سلوكهم الى القلعة من طريق أمينة خافية عن
العيون . وأخذوا ذخائر كثيرة وأموالا غزيرة
وأخذوا المراكب التي في المينا ، واكتسبوا أمتعة
غالية ثمينة ، ووجدوا في القلعة أكثر من ثمانين
مدفعا ولم يعلموا — مع مقادير الله — أن آلات
الحرب لا تنفع !

« فاستقيموا عباد الله ، وارضوا بقضاء
الله ، ولا تعترضوا على أحكام الله . وعليكم
بتقوى الله . واعلموا أن الملك لله يؤتيه من يشاء !
والسلام عليكم ورحمة الله » .

فلما تحقق الناس هذا الخبر ... تعجبوا . وكانوا
يظنون — بل يتيقنون — استحالة ذلك ...
خصوصا في المدة القليلة . ولكن المفضي كائن !

الجمعة ١٥ منه (٢٢ مارس ١٧٩٩ م) :

شق جماعة من أتباع الشرطة في الأسواق
والحمامات والقهاوي ، ونهبوا على الناس بترك

الفضول والكلام واللغط في حق الفرنسيين .
ويقولون لهم . « من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم
الآخر .. فلينته ، ويترك الكلام في ذلك . فإن ذلك
مما يهيج العداوة » . وعرفوهم أنه ان بلغ الحاكم
من التحسين عن أحد تكلم في ذلك ، عوقب أو
قتل ... فلم ينتهوا . وربما قبض على البعض ،
وعاقبوه بالضرب والتعزيم !

وفيه : كان التحويل الربيعي وانتقال الشمس
لبرج الحمل — وهو أول شهر من شهورهم —
فعملوا ليلة السبت شنكا وحرقة وصواريخ
وتجمعوا بدار الخلاعة ، نساء ورجالا ، وتراقصوا ،
وتسابقوا ، وأوقدوا سراجا وشموعا ، وغير ذلك .
وأظهر الأقباط والشوام مزيد الفرح والسرور !

السبت ١٦ منه (٢٣ مارس ١٧٩٩ م) :

أرسلوا الأعلام واليارق التي أحضروها من قلعة
يافا — وعدتها ثلاثة عشر ، وفيها من له طلائع فضة
كسار — الى الجامع الأزهر . وكانوا أنزلوا
أعلام قلعة العرش قبل ذلك بيوم من أعلى المنارات ،
وأرسلوا بدلها أعلام يافا ، وعملوا لها موكبا بطائفة
من العسكر يقدمهم طبلهم ، وخلفهم الأغا بجماعته
وطائفته والمحتسب ومدبرو الديوان ، وخلفهم طبل
آخر يضربون عليه بازعاج شديد . وخلف ذلك
الطبل جماعة من العسكر يحملون البنادق على
أكتافهم كالبطائفة الأولى . وبعدهم عدة من
العسكر على رؤوسهم عمام بيض ، يحملون تلك
الأعلام الكبار واليارق المذكورة . وخلفهم جماعة
خيالة من كبار العسكر ، وآخرون راكبون على
حمر الكبارية

فلما وصلوا الى باب الجامع الأزهر ، رتبوا تلك
الأعلام ، ووضعوها على أعلى الباب الكبير فوق
المكتب منشورة ، وبمعها على الباب الآخر من
الجهة الاخرى عند حارة كتامة — المعروفة الآن

بالعينية — ولم يصعدوا منها على المنارات ، كما
صنعوا في أعلام العريش .

الأحد ١٧ منه (٢٤ مارس ١٧٩٩ م) :

رتبوا أوامر ، وكتبوها في أوراق مبصومة
وألصقوها بالأسسواق : أحداها بسبب مرض
الطاعون ، وأخرى بسبب الضيوف الأغراب .
ومضمون الأولى بتقاسيمه ومقالاته :

« خطابا لأهل مصر وبولاق ومصر القديمة
ونواحيها : أنكم تمشلون هذه الأوامر ، وتحافظون
عليها ، ولا تخالفوها . وكل من خالفها وقع له مزيد
الانتقام ، والعقاب الأليم ، والقصاص العظيم ...
وهي المحافظة من تشويش الكبة . وكل من يفتنم
أو ظننتم أو توهتمت أو شككتكم فيه ذلك — في
محل من المحلات ، أو بيت أو وكالة أو ربع —
يلزمكم ويتحتم عليكم أن تعملوا كرتيلة . ويجب
قتل ذلك المكان ، ويلزم شيخ الحارة أو السوق
الذي فيه ذلك ، أن يخبر حالا قلق الفرنساوية
حاكم ذلك الخط ، والقلق يخبر شيخ البلد قائمقام
مصر وأقاليمها ، ويكون ذلك فوراً .

« وكذلك كل ملة من سكان مصر وأقاليمها
وجوانبها . والأطباء اذا تحققوا وعلبوا حصول
ذلك المرض ، يتوجه كل طبيب الى قائمقام ويخبره
ليأمره بما هو مناسب للصيانة والحفظ من
التشويش . وكل من كان عنده خبر من كبار
الأخطاط أو مشايخ الحارات وقلقات الجهات ،
ولم يخبر بهذا المرض ... يعاقب بها يراه قائمقام .
ويجازى مشايخ الحارات بمائة كراباج جزاء
للتقصير .

« وملزوم أيضا من أصابه هذا التشويش ، أو
حصل في بيته لغيره من عائلته أو عشيرته ، وانتقل
من بيته الى آخر ، أن يكون قصاصة الموت . وهو
الجاني على نفسه بسبب انتقاله .

« وكل رئيس ملة في خط ... اذا لم يخبر
بالكبة الواقعة في خطه ، أو بمن مات بها أيضا
حالا فوراً .. كان عقاب ذلك الرئيس ، وقصاصه
الموت .

« والمفصل — ان كان رجلا أو امرأة — اذا
رأى الميت أنه مات بالكبة . أو شك في موته ، ولم
يخبر قبل مضي أربع وعشرين ساعة ... كان جزاؤه
وقصاصه الموت .

« وهذه الأوامر الضرورية بلزوم أغات
الينكجيرية ، وحكام البلد الفرنساوية والاسلامية ،
تنبه الرعية ، واستيقاظهم لها . فانها أمور مخفية
وكل من خالف حصل له مزيد الانتقام من قائمقام .
« وعلى القلقات البحث والتفتيش عن هذه
العلة الردية .. لأجل الصيانة والحفظ لأهل البلد .
والحذر من المخالفة ، والسلام » .

ومضمون الثانية :

« الخطاب السابق من صارى عسكر دوجا
... الوكيل ، وحاكم البلد دسنى قائمقام ... يلزم
الدبرين بالديوان أنهم يشهرون الأوامر ، ويتنبهون
لها . وكل من خالف يحصل له مزيد الانتقام .
وهو أنه تحتم ويلزم صاحب كل خسارة أو وكالة
أو بيت — الذي يدخل في محله ضيف ، أو
مسافر ، أو قادم من بلدة أو اقليم — أن يعرف
عنه حالا حاكم البلد ، ولا يتأخر عن الأخبار
الامدة أربع وعشرين ساعة : يعرفه عن مكانه الذي
قدم منه ، وعن سبب قدومه ، وعن مدة سفره ،
ومن أي طائفة ، أو ضيفا ، أو تاجرا ، أو زائرا ،
أو غريبا مخصصا — لا بد لصاحب المكان من
إيضاح البيان .

« والحذر ثم الحذر من التليس والخيانة
واذا لم يقع تعريف عن كامل ماذكر في شأن القادم ،
بعد الأربع والعشرين ساعة ، باظهار اسمه وبلده ،

وقرأوه وبحشوا عن الأمور غير اللائقة . فأولها بعض المشايخ أنه قصر في حقهم والاعتناء بشأنهم فسكتوا ، وأخذوا في التفحص .. فظهر لهم حياته ومخامرته عليهم ، واجتمع عليه الجبالى وبعض العرب العصاة ، وأكرمهم وخلع عليهم ، وانتقل بصحبته إلى منية غمر ودقدوس وبلاد الوقف ، وجعل يقبض منهم الأموال . وحين كانوا على البحر ، مر بهم مراكب تحمل الميرة والدقيق إلى الفرنسيين بدمياط ، فقاطعوا عليهم ، وأخذوا منهم مامعهم قهرا . وأحضروا المراكبية بالديوان فحكوا على ما وقع لهم معه ... فأثتوا خيانة مصطفى بك المذكور وعصيانته ، وأرسلوا هجانا بأعلام صارى عسكرهم بذلك . فرجع اليهم بالجواب يأمرهم فيه بأن يرسلوا له عسكرا ، ويرسلوا إلى داره جماعة يقبضون عليه ، ويختمون على داره ، ويحبسون جماعته .

الأحد ٢٤ منه (٣١ مارس ١٧٩٩ م) :

عينوا عليه عسكرا ، وأرسلوا إلى داره جماعة معهم وكلاء ، فقبضوا على كتخدائه الذى كان ناظرا على الكسوة ، وعلى ابن أخيه ومن معهم ، وأودعهم السجن بالجيزة . وضبطوا موجوداته وما تركه مخدمه بكر باشا بقائبة ، وأودعوا ذلك بمكان بالقلعة . فوجدوا غالب أمتعة الباشا وبرقه وملابسه ، وعبي الخيل والسروج ، وغيرها شيئا كثيرا . ووجدوا بعض خيول وجمال أخذوها أيضا . فاقبضت خواطر الناس لذلك .. فانهم كانوا مستأنسين بوجوده ووجود القاضى ، ويتوسلون بشفاعتهما عند الفرنسيين . وكلمتهما عندهم مقبولة ، وأوامرهما مسبوعة .

ثم انهم أرسلوا أمانا للمشايخ والوجاقلية والتجار .. بالحضور إلى مصر مكرمين ولا بأس عليهم .

وسبب قدومه .. يكون صاحب المكان متعديا ومدنبا وخائنا ، وموالسا مع الممالك .

« ونخبركم معاشر الرعايا ، وأرباب الخماير والوكائل ، أن تكونوا ملزومين بغرامة عشرين ريالاً فرانسة في المرة الأولى ، وأما في المرة الثانية فان الغرامة تضاعف ثلاث مرات

« ونخبركم أن الأمر بهذه الأحكام مشترك بينكم وبين الفرنسيين الفاتحين للخماير والبيوت والوكائل والسلام »

وفيه : جتمعوا بالديوان وتفاوضوا في شأن مصطفى بك كتخدا الباشا المولى أمير الحج . وهو أنه لما ارتحل مع صارى عسكر — وصحبته القاضى والمشايخ الذين عينوا للسفر والوجاقلية والتجار — وافترق منهم عند بلبس ، وتقدم هو إلى الصالحية ، ثم انهم انتقلوا إلى العرين ، فحضر جماعة من المسافرين المسافرين فاحتاجوا إلى الجمال فأخذوا جمالهم . فلما وصل صارى عسكر إلى وطنه أرسل يستدعيهم إلى الحضور فلم يجدوا ما يحملون عليه متاعهم ، وبلغهم أن الطريق مخيفة من العرب ، فلم يمكنهم اللحاق به ... فأقاموا بالعرين عدة أيام ، وأهمل أمرهم صارى عسكر .

ثم ان الشيخ الصاوى والعريشى والدواخلى وآخرين .. خافوا عاقبة الأمر ، ففارقوهم ، وذهبوا إلى القرين . وحصل للدواخلى توعك وتشويش ، وحضر إلى مصر — كما تقدم ذكر ذلك — وانتقل مصطفى بك المذكور والقاضى ، وصحبته الشيخ الفيومى وآخرون من التجار والوجاقلية ، إلى كفور نجم ، وأقاموا هناك أياما .

واتفق أن الصاوى أرسل إلى داره مكتوبا ، وذكر في ضمنه أن سبب اقترافهم من الجماعة أنهم رأوا من كتخدا الباشا أمورا غير لائقة . فلما حضر ذلك المكتوب ، طلبه الفرنسيون المقيمون بمصر ،



سفر فائلة الطور

وفيه : حضر امام كتخدا الباشا ، ومعه مكتوب فيه الثناء على الفرنساوية وشكر صنيعهم واعتنائهم بعملهم موكب الكسوة والدعاء لهم ، وأنه مستر على مودته ومحبة معهم ويطلب منهم الاجازة بالحضور الى مصر ليسانفر بصحبة الكسوة والحجاج ... فان الوقت ضاق ، ودخل أوان السفر للحج . وفي آخر المكتوب : « وان بلغكم من المنافقين عنا شيء فهو كذب ونميمة ، فلا تصدقوه » .

فقرىء كتابه بالديوان . فلما فهمه الفرنسيين ... كذبوه ، ولم يصنعوا اليه وقالوا ان خيافته ثبتت عندنا ، فلا ينفعه هذا الاعتذار . ثم كتبوا له جوابا وأرسلوه صحبة امامه مضمونه : ان كان صادقا في مقالته فليذهب الى جهة صارى عسكر بالشام . وأمهلوه ست ساعات بعد وصول الجواب اليه ، وان تأخر زيادة عليها كان كاذبا في مقالته . وأمروا العسكر بمحاربته والقبض عليه .

وفيه : كتبوا أوراقا نادوا بها في الشوارع . وهى : « يا أهل مصر نخبركم أن أمير الحج رفعوه عن سفره بالحاج بسبب ما حصل منه ، وأن أهل مصر علماء ووجاقات ورعايا لم يخالطوه في هذا الأمر ولم ينسب لهم شيء . فالحمد لله الذى برأ أهل مصر من هذه الفتنة وهم حاضرون سالمون غانون ما عليهم

وفيه : ورد الخبر بأن السيد عمر أفندى تقيب الأشراف حضر الى دمياط ، وصحبته جماعة من أفندية الروزنامة الفارين : مثل عثمان أفندى العباسي وحسن أفندى . كاتب الشهر ، ومحمد أفندى ثانى قلعة ، وباش جاجرت ، والشيخ قاسم المصلى وغيرهم . وذلك أنهم كانوا بقلعة يافا . فلما حاصرها الفرنساوية وملكوا القلعة والبلد ، لم يتعرضوا للمصريين ، وطلبهم اليه ، وعاتبهم على قتلهم وخروجهم من مصر ، وألبسهم ملابس وأنزلهم في مركب ، وأرسلهم الى دمياط من البحر .

الاثنين ٢٥ منه (اول ابريل ١٧٩٩ م) :

نادوا في الأسواق على المماليك والغز والأجناد الأعراب بأنهم يحضرون الى بيت الوكيل يأخذون لهم أوراقا بعد معرفتهم والتضمين على أنفسهم . ومن وجد من غير وثيقة في يده بعد ذلك ستأهل الذى يجرى عليه . وسبب ذلك اشاعة دخول الكثير منهم الى مصر خفية بصفة الفلاحين .

الثلاثاء ٢٦ منه (٢ ابريل ١٧٩٩ م) :

نادوا في الأسواق والشوارع بأن من أراد الحج فليحج في البحر من السويس صحبة الكسوة والصرة . وذلك بعد أن عملوا مشورة في ذلك .

وأمثال ذلك ، لأجل تحقيق أوقات العبادة ... وهم لا يحتاجون الى ذلك فلم يعانونه .

ورسم أيضا بسيطة على مربعة من نحاس أصفر ، منزلة بخطوط عديدة في قاعدة عمود قصير ، طوله أقل من قامة قائم ، بوسط الجنية ، وشاخصها مثلث من حديد ، يمر ظل طرفه على الخطوط المتقاطعة . وهي متقنة الرسم والصناعة ، وحولها معارفها ، واسم واضعها بالخط السلس العربي الموجود حفرا في النحاس . وفيها تنازيل الفضة على طريقة أوضاع العجم ، وغير ذلك .

ومنها : أنهم لا سخطوا على كتخدا الباشا ، وقبصوا على أتباعه ، وسجنوهم — وفيهم كتخداه الذي كان ناظرا على الكسوة — فقيدوا في النظر على مباشرة اتمامها صاحبنا السيد اسماعيل الوهبي ، المعروف بالخشاب ، أحد العدول بالحكمة . فنقلها لبيت أيوب جاويش بجوار مشهد السيدة زينب وتموها هناك . وأظهروا أيضا الاهتمام بتحصيل مال السرة ، وشرعوا في تحرير دفتر الارشالية خاصة .

ذوالقعدة

٦ منه (١١ ابريل ١٧٩٩ م) :

حضرت هجانة من الفرنسيين ، ومعهم مكاتبة مضمونها : أنهم أخذوا حيفا ، وبعدها ركبوا على عكا وضربوا عليها وهدموا جانبها من سورها . وأنهم بعد أربع وعشرين ساعة ملكونها ، وأنهم استعجلوا في ارسال هذه الهجانة لطول المدة والانتظار لئلا يحصل لأصحابهم القلق . فكونوا مطمئنين . وبعديسبعة أيام نحضر عندكم . والسلام . وفيه : حضرت مغاربة حجاج الى بر الجزيرة . فتحدث الناس وكثر لفظهم وتقولوا بأنهم عشرون ألفا حضروا لينقذوا مصر من الفرنسيين . فأرسل الفرنسيين للكشف عليهم فوجدوهم طائفة من

سوء . ومن كان مراده الحج يؤهل نفسه ويسافر صحبة الصرة والكسوة في البحر . والمراكب حاضرة ، والمعينون المحافظون من أهل مصر ، صحبة الحاج ، حاضرون . يكون في علمكم أن تكونوا مطمئنين واتركوا كلام الحشاشين .

غايته (٥ ابريل ١٧٩٩ م) :

حضر المشايخ والوجاقات والتجار ماخلا القاضي فانه لم يحضر وتخلف مع مصطفى كتخدا .

واقضى هذا الشهر وما تجدد به من الحوادث التي منها أن الفرنسيات عطلوا جسرا من مراكب مصطفة ، وعليها أخشاب مسمرة من بر مصر بالقرب من قصر المعيني الى الروضة قريبا من موضع طاحون الهواء يسير عليه الناس بدوابهم وأنفسهم الى البر الآخر ، وعملوا كذلك جسرا عظيما من الروضة الى الجزيرة .

ومنها : أن توت الفلكي رسم في فسحة دارهم العليا ، بيت حسن كاشف جركس ، خطوط البسيطة لمعرفة فضل الدائر لنصف النهار على البلاط المفروش بطول الفسحة ، ووضع لها بدل الشاخص دائرة مثقوبة بثقب عديدة في أعلى الرفوف ، مقابلة لعرض الشمس .. ينزل الشعاع من تلك الثقب ، ويمر على الخطوط المرسومة المقسومة ، ويعرف منه الباقي للزوال ، ومدارات الروج شهرا شهرا . وعلى كل برج صورته ليعلم منه درجة الشمس .

ورسم أيضا مزولة بالحائط الأعلى ، على حوش المكان الأسفل المشترك بين الدارين ، بشاخص — على طريق وضع المنحرفات والمزاويل — وليكن للساعات قبل الزوال وبعده ، خلاف الطريق المعروفة عندنا بوقت العصر ، وفضل دائر الغروب ، وقوس الشفق والفجر ، وسمت القبلة ، وتقسيم الدرج

خرجت لقتال المغاربة . وأغلقوا غالب الأسواق والدكاكين وأمثال ذلك من تخيلاتهم فلم يعد المغاربة ذلك اليوم . وعدوا في ثاني يوم ومشى معهم عسكر الفرنسيين الى العادلية وهم يضربون الطبول وأمامهم مدفع وخلفهم مدفع مع جملة من العساكر .

١٠ منه (١٥ ابريل ١٧٩٩ م) :

سافر عدة من عسكر الفرنسيين الى عرب الجزيرة ، فان مصطفى بيك كتخدا الباشا ذهب اليهم والتجأ لهم فعينوا عليهم تلك العساكر .

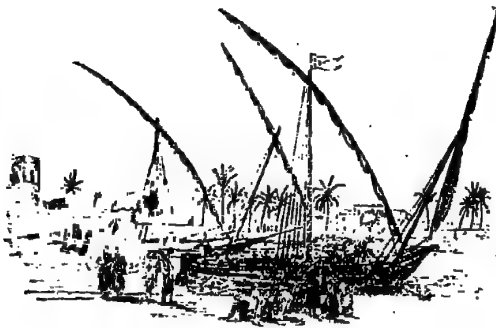
١٢ منه (١٧ ابريل ١٧٩٩ م) :

أفرجوا عن جماعة من القليونية وغيرهم الذين كانوا محبوسين بالقلعة ، وفيهم المعلم تقولا النصراني الأرمي الذي كان رئيس مراكب مراد بيك الحرية التي أنشأها بالجيزة ، وأسكنوه بيت حسن كتخدا بباب الشعيرة .

وفيه : حضر ابن شديد شيخ عرب الحويطات بأمان — وكان عاصيا — فأعطوه الأمان ، وخلعوا عليه وسفروا معه قافلة دقيق وبقسمات للعسكر بالشام .

٢١ منه (٢٦ ابريل ١٧٩٩ م) :

حضر مجلون من الناحية القبلية وصحبتهم أموال البلاد والغنائم من بهائم وخلافها . وفيه : عملوا كرتيلة عند العادلية لمن يأتي من



بعض القوارب الفرنسية في الميناء

خلايا وقرى فاس مثل الفلاحين ، فأذنوا لهم في تعدية بعض أنفار منهم لقضاء أشغالهم . فحضر شخص منهم الى الفرنسيين ووشى اليهم أنهم قدموا لمحاربتهم والجهاد فيهم ، وأنهم اشتروا خيلا وسلاحا وقصدهم ائارة فتنة . فأرسل الفرنسيين اليهم جماعة ينظرون في أمرهم فذهبوا اليهم وتكلموا معهم ومع كبيرهم وعن الذي نقل عنهم . فقالوا : « انما جئنا بقصد الحج لا لغيره » ، ثم رجعوا وصحبتهم كبير المغاربة . فعملوا الديوان في صباحها وأحضروه وكذلك أحضروا الرجل الذي وشى عليهم فتكلموا مع كبير المغاربة وسألوه وناقشوه فقال : « انا لم تأت الا بقصد الحج » فقبل له : « ولأى شيء تشترون الأسلحة والخيول ؟ » فقال : « نعم ، لازم لنا ذلك ضرورة » . فقبل له : « انه نقل عنكم أنكم تريدون محاربة الفرنسيين » ، وتقولون الجهاد أفضل من الحج » فقال : « هذا كلام لا أصل له » فقبل له : « ان الناقل لذلك رجل منكم » فقال : « ان هذا رجل حرامي أسكنه بالسرقه وضربناه فحملة الحقد على ذلك ، وأن هذه البلاد ليست لنا ولا لسلطاننا حتى نقاتل عليها ، ولا يصح أن نقاتلكم بهذه الشرذمة القليلة وليس معنا الا نصف قنطار بارود » .

ثم اتفقوا معه على أن يجمعوا سلاحهم ويقيم كبيرهم عندهم رهينة حتى يعدي جماعته ويسافروا ويلحقهم بعد يومين بالسلاح . فأجابهم الى ذلك فشكروه وأهدوا له هدية .

٧ منه (١٢ ابريل ١٧٩٩ م) :

خرجت عدة من العسكر الى بولاق ، ومعهم مدفعان ، ليقتلوا للمغاربة حتى يعدوا البحر ويمشوا معهم الى العادلية . فلما رأى الناس خروج العسكر والمدافع فزعوا في المدينة وبولاق ورمحوا كعادتهم في كرشاتهم وصياحهم ، وأشاعوا أن الفرنسيين

الناس أكثرها من اللفظ بسبب انقطاع الأخبار عن
الفرنسيين المحاصرين لعكا والروايات عن بالصعيد
والكيلاني والأشراف الذين معه وغير ذلك .
وصورتها :

« من محفل الديوان الكبير بمصر : بسم الله
الرحمن الرحيم . ولا عدوان الا على الظالمين ..

« نخبر أهل مصر أجمعين أنه حضر جواب
من عكا ، من حضرة سارى عسكر الكبير ، خطايا
منه الى حضرة سارى عسكر الوكيل بشعر دمياط ،
تاريخه ٩ ذى القعدة (١٤ ابريل ١٧٩٩) يخبر فيه
أننا أرسلنا لكم تقريرين لدمياط : الأولى أرسلناها
في ٢٥ شوال ، والثانية في ٢٨ منه .. أخبرناكم
فيهما عن مطلوبنا ارسال جانب جمل وذخائر الى
عساكرنا المحافظين في غزة وباقا لأجل زيادة المحافظة
والصيانة . وأما من قبل العرضى فان الجبل عندنا
كثيرة والذخائر والمأكول والمشارب والخيرات
غزيرة ، حتى انها زادت عندنا الجبل بكثرة جمعناها
ما رمته الأعداء ، فكان أعداءنا أعانونا .

« ونخبركم أننا عملنا لغما مقدار عمقه ثلاثون
قدما ، وصرنا به حتى قربناه الى السور الجوانى
بمسافة نحو ثمانى عشرة قدما .

« وقد قربت عساكرنا من الجهة التى تحارب
فيها حتى صار بينهم وبين السور ثمان وأربعون
قدما ... بمشيئة الله تعالى عند وصول كتابنا اليكم
وفبل اتمام قراءته عليكم ، نكون ظافرين بملك
قلعة عكا أجمعين . فاننا تهيأنا الى دخولها ...
يأتبكم خبر ذلك بعد هذا الكتاب .

« وأما بقية اقليم الشام ، وما يلى عكا من
البلاد ، فانهم لنا طائعون ، وبالاغتناء ومزيد
الحبة راغبون .. يأتوننا بكل خير عظيم ،
ويحضرون لنا أفواجا أفواجا بالهدايا الكثيرة والحب

بر الشام من العسكر الى ناحية شرق أطفيج بسبب
محمد بيك الألفى .

وفيه : حضر الذين كانوا ذهبوا الى عرب
الجزيرة فغربوهم ونالوا منهم بعض النيل . وأما
مصطفى بيك فلم تعلم عنه حقيقة حال . قيل انه
ذهب الى الشام .

٢٥ منه (٢٠ ابريل ١٧٩٩ م) :

وصلت مراسلة من المذكور ... خطابا للمشايخ
مضمونها : أنهم يعرفون أكابر الفرنسيين أنه متوجه
الى سارى عسكرهم بالشام ، ويرجون الافراج عن
قريبه وكتخذائه ، ويتحفظون على الأمتعة التى
أخذوها ، فانها من متعلقات الدولة . فلما أطلعوهم
على تلك المكاتبة قالوا « لا يمكن الافراج عن
المذكورين حتى تتحقق أنه ذهب الى سارى عسكر
ويأتينا به خطاب فى شأنه ، فانه من الجائز أنه
يكذب فى قوله » .



العرب فى الصحراء

وفيه : ثبت أن محمد بيك الألفى مر من خلف
الجبل وذهب الى عرب الجزيرة ومعه من جماعته
نحو المائة وقيل أكثر ، والتف عليه الكثير من الغز
والمماليك المشردين بتلك النواحي ، وقدم له العربان
التقادم والكلف ، فأرسل له الفرنسيين عدة من
العسكر .

٢٧ منه (٢ مايو ١٧٩٩ م) :

لخص الفرنسية طومارا قرى بالديوان وطبع
منه عدة نسخ وألصقت بالأسواق على العادة . وكان

الجسيم من القلب السليم . وهذا من فضل الله علينا ، ومن شدة بغضهم لجزار باشا !

« ونخبركم أيضا ان الجنرال يونود انتصر على أربعة آلاف مقاتل .. حضروا من الشام خيالة ومشاة ، فقابلهم بثلاثمائة عسكري مشاة من عسكرينا ، فكسروا التجربة المذكورة ، وأوقع منهم نحو ستمائة نفس مابين مقتول ومجروح ، وأخذ منهم خمسة بيارق وهذا أمر عجيب لم يقع نظيره في الحروب أن ثلاثمائة نفس تهزم نحو أربعة آلاف نفس ! فعلمنا أن النصر من عند الله لا بالقلة ولا بالكثرة !

« هذا آخر كتاب ساري عسكري الكبير الى وكيله بدمياط . وأرسل اليها بالديوان حضرة الوكيل ساري عسكري دوجا ، الوكيل بمصر المحروسة ، يخبرنا بصورة هذا المكتوب ، ويأمرنا أننا نلزم الرعايا من أهل مصر والأرياف ، أن يلزموا الأدب والانصاف ، ويتركوا الكذب والحراف ... فان كلام الحشاشين يوقع الضرر للناس المعتبرين .

« فان حضرة صارى عسكري دوجا الوكيل بلغه أن أهل مصر وأهل الأرياف يتكلمون بكلام لا أصل له من قبل الأشراف . والحال ان الأشراف الذين يذكرونهم ويكذبون عليهم .. جاءت أخبارهم من حضرة ساري عسكري الصعيد يخبر الوكيل دوجا بأن الأشراف المذكورين ، الذين صحبة الكيلاني ، قد مزقوا كل مزق ، وانهزموا وتفرقوا . فلم يكن الآن في بلاد الصعيد شيء يخالف المراد ، وسلم من الفتن والعناد .

« فأنتم يا أهل مصر ويا أهل الأرياف اتركوا الأمور التي توقعكم في الهلاك والتلاف ، وأمسكوا أدبكم قبل أن يحل بكم الدمار ، ويلحقكم الندم والعار ! والأولى للعاقل انشغاله بأمر دينه وديناه ، وأن يترك الكذب وأن يسلم لأحكام الله وقضاه !

فان العاقل يقرأ العواقب ، وعلى نفسه يحاسب .. هذا شأن أهل الكمال : يتركون القيل والقال ، وبشتغلون باصلاح الأحوال ، ويرجعون الى الكبير المتعال .. والسلام .

وفي هذا الشهر كتبوا أوراقا بأوامر . ونصها : « من مخفل الديوان العمومي ، الى جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة : اننا قد تأملنا وميزنا أن الوساطة الأقرب والأين لتلطيف أو لمنع الخطر الضروري ، وهو تشويش الطاعون ، عدم المخالطة مع النساء المشهورات ، لأنهن الوساطة الأولى للتشويش المذكور . فلأجل ذلك حننا ورتبنا ومنعنا الى مدة ثلاثين يوما من تاريخه أعلاه ... لجميع الناس ، ان كان قرنسوايا أو مسلما أو روميا أو نصرانيا أو يهوديا من أى ملة كان ، كل من أدخل الى مصر أو بولاق أو مصر القديمة ، من النساء المشهورات — ان كان في يسوت العسكرية ، أو كل من كان داخل المدينة — فيكون قصاصه بالموت . كذلك من قبل النساء والبنات المشهورات بالعسكر ، ان دخلن من أنفسهن أيضا — قاصصن الموت .

ومن حوادث هذا الشهر : أنه حضر الى القلزم ، مركبان انكليزيان وقيل أربعة ووقعوا قبالة السويس و ضربوا مدافع فقر أناس من سكان السويس الى مصر وأخبروا بذلك ، وأنهم صادفوا بعض داوات تحمل البن والتجارة فحجزوها ومنعوها من اللخول الى السويس .

ومنها : أن طائفة من عرب البحيرة يقال لهم عرب الغز جاءوا وضربوا دمنهور وقتلوا عدة من الفرنسيين وعاثوا في نواحي تلك البلاد حتى وصلوا الى الرحمانية ورشيد وهم يقتلون من يجدونه من الفرنسيين وغيرهم وينهبون البلاد والمزروعات . ومنها : أن الكيلاني المذكور آنفا توفي الى رحمة

٧ منه (١٢ مايو ١٧٩٩ م) :

حضر جماعة من فرنسيس الشام الى الكرتيلة بالعدالية وفيهم مجاريح وأخير عنهم بعضهم أن الحرب لم تزل قائمة بينهم وبين أحمد باشا بكنا وأن مهندس حروبهم المعروف بأبي خشبة عند العامة واسمه « كفرلى » مات وحزنوا لموته لأنه كان من دهاتهم وشياطينهم وكان له معرفة بتدبير الحروب ومكايد القتال واقدام عند المصاف مع ما ينضم لذلك من معرفة الأبنية وكيفية وضعها وكيفية أخذ القلاع ومحاصرتها .

٩ منه (١٤ مايو ١٧٩٩ م) :

كان عيد النحر ، وكان حقه يوم الخميس . وعند الغروب من تلك الليلة ضربوا مدافع من القلعة اعلاما بالعيد وكذلك عند الشروق ولم يقع في ذلك العيد أضحية على العادة لعدم المواشى ولكونها محجوزة في الكرتيلة والناس في شغل عن ذلك .

ومن الحوادث في ذلك اليوم : أن رجلا روميا من باعة الرقيق عنده غلام مملوك ساكن في طبقة بوكالة ذى الفقار بالجمالية خرج لصلاة العيد ورجع الى طبقته فوجد ذلك الغلام متقلدا بسلاح ومتزيا بمثل ملابس القليونجية . فقال له « من أين لك هذا اللباس » فقال : « من عند جارنا فلان العسكرى » فأمره بنزع ذلك فلم يستمع له ولم ينزعها فشتمه ولطمه على وجهه فخرج من الطبقة وحدثته نفسه بقتل سيده ورجع يريد ذلك فوجد عند سيده ضيفا فلم يتجاسر عليه لحضور ذلك الضيف فوقف خارج الباب ورآه سيده فعرف من عينيه الغدر . فلما قام ذلك الضيف قام معه وخرج وأغلق الباب على الغلام فصعد الغلام على السطح وتسلق الى سطح آخر ، ثم تدلى بجبل الى أسفل الخان وخرج الى السوق وسيفه مسلول بيده ويقول : « الجهاد يا مسلمين ! اذهبوا الفرنسيس ! »

الله تعالى ونفرت طائفته في البلاد حتى أنه حضر منهم جملة الى مصر وكان أكثر من يخامر عليهم أهل بلاد الصعيد فيوهمونهم معاوتتهم وعند الحروب يتخلون عنهم وبعض البلاد يضيفهم ويسلط عليهم الفرنسيين فيقبضون عليهم .

ومنها : أنه حضر الى مصر الأكثر من عسكر الفرنسيين الذين كانوا بالجهة القبيلة وضربوا في حال رجوعهم بنى عدى بلدة من بلاد الصعيد مشهورة وكان أهلها منتعين عليهم في دفع المال والكلف ورون في أنفسهم الكثرة والقوة والمنعة فخرجوا عليهم وقتلوه فملك عليهم الفرنسيين بالاغاليا وضربوا عليهم بالمدافع فأتلقوهم وأحرقوا جبرونهم ثم كبسوا عليهم وأسرفوا في قتلهم ونهبهم وأخذوا شيئا كثيرا وأموالا عظيمة وودائع جسيمة للغز وغيرهم من مساير أهل البلاد القبيلة لظن منعهم وكذلك فعلوا بالميمون .

درأجحة

١٠ منه (٧ مايو ١٧٩٩ م) :

خرج نحو الألف من عسكر الفرنسيين للمحافظة على البلاد الشرقية لتجمع العرب والمماليك على الألفى ، وكذلك تجمع الكثير من الفرنسيين وذهبوا الى جهة دمنهور وفعلوا بها ما فعلوا في بنى عدى من القتل والنهب لكونهم عصوا عليهم بسبب أنه ورد عليهم رجل مغربى يدعى المهدوية ويدعو الناس ويخرضهم على الجهاد وصحبته نحو الثمانين نفرا فكان يكتب أهل البلاد ويدعوهم الى الجهاد . فاجتمع عليه أهل البحيرة وغيرهم وحضروا الى دمنهور وقتلوا من بها من الفرنسيات واستمر أباما كثيرة تجتمع عليه أهل تلك النواحي وتفرق . والمغربى المذكور تارة يغرب وتارة يشرق . وفيه : أشيع أن الألفى حصر الى بلاد الشرقية وقتل من بها من الفرنسيين ثم ارتحل الى الجزيرة .



ترجمان ضابط الخطه وبسمى السيد عبد الله فأمره بالتزول اجلالا للمشهد على العادة : فامتنع فانتهره وضربه وألقاه على الأرض ، فذهب ذلك النصراني الى الفرنسيس وشكا اليهم السيد عبد الله المذكور فأحضروه وحبسوه فشنع فيه محدومه فلم يطلقوه وادعى النصراني أنه كان بعيدا عن المشهد وأحضر من شهد له بذلك وأن السيد عبد الله متهور في فعله وادعى أنه ضاع له وقت ضربه دراهم كانت في جيبه . واستمر الترجمان محبوسا عدة أيام حتى دفع تلك الدراهم وهي ستة آلاف درهم .

وفيه : أرسل فرنسيس مصر الى رئيس الشام ميوة على جمال العرب نحو الثمانمائة جمل وذهب صحبتها برطلمين وطاقفة من العسكر فأوصلوها الى بليس ورجعوا بعد يومين .

وفيه : حضر الى السويس تسعة داوات بها بن

ونحو ذلك من الكلام . ومر الى جهة الغورية فصادق ثلاثة أشخاص من الفرنسيس ، فقتل منهم شخصا وهرب الاثنان ورجع على أثره والناس يعدون خلفه من بعد الى أن وصل الى درب بالجمالية غير نافذ فدخله وعبر الى دار وجدها مفتوحة وربها واقف على بابها . والفرنسيس تجمع منهم طائفة وظنوا ظنونا آخر وبأدروا الى القلاع وحضرت منهم طائفة من القلق يسألون عن ذلك المملوك .

وهاجت العامة ورمحت الصغار وأغلق بعض الناس حوانيتهم ثم لم تزل الفرنسيس تسأل عن ذلك المملوك والناس يقولون لهم ذهب من هنا حتى وصلوا الى ذلك الدرب فدخلوه . فلما أحس بهم نزع ثيابه وتدلّى بيثر في تلك الدار ، فدخلوا الدار وأخرجوه من البئر وأخذوه وسكنت الفتنة . فسألوه عن أمره وما السبب في فعله ذلك ؟ فقال : « انه يوم الأضحى فاجبت أن أضحي على الفرنسيس » . وسألوه عن السلاح فقال : « انه سلاحى » . فحبسوه لينظروا في أمره ، وطلبوا سيده . فوجدوه عند الشيخ المهدي . وأخذوا بعض جماعة من أهل الجحان ثم أطلقوهم بدون ضرر وأخذوا سيده من عند المهدي . وحبسوه وحضر الأغا وبرطلمين الى الجحان بعد العشاء وطلبوا البواب والخانجي والحران وصعدوا الى الطباق وفتشوا على السلاح حتى قلعوا البلاط فلم يجدوا شيئا ، وأرادوا فتح الحو اصل فمنهم السيد أحمد بن محمود محرم فخرجوا وأخذوا معهم الخانجي وجيران الطبقة وجملة أنصار وحبسوه أيضا وقتلوا المملوك في ثانى يوم . واستمر الجحاعة في الحبس الى أن أطلقوهم بعد أيام عديدة من الحادثة .

وفيه أيضا : سر نصراني من الشوام على المشهد الحسيني وهو راكب على حمار فرآه

وبهار وبضائع تجارية ، وفيها لشريف مكة
نحو خمسمائة فرق بن . وكانت الانكليز منعهم
الحضور فكاتبهم الشريف فأطلقوهم بعد أن حددوا
عليهم أياما مسافة التثقل والشحنة ، وأخذوا منهم
عشورا وسامح الفرانسيس ابن الشريف من العشور
لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية قبل
وصول المراكب الى السويس بنحو عشرين يوما
ولم يبعوا صورتها في أوراق والصقوها بالأسواق
وهي خطاب لبوسايك ، وصورته :

« من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة
المشرفة ، الى عين أعيانه ، وعمدة اخوانه بوسايك
مدبر أمور جمهور فرنساوية ، مهدي بيسان
السياسة بسداد همتة الوفية . وبعد :

« فانه وصل الينا كتابك ، وفهمنا كامل ما حواه
خطابك مما ذكرت من وصول قنجننا ، وأنت
أرسلت هجانا برفع العشور على البن ، وبذلت
الهمة في شأن التصرف في نقاد بيعه . وتأملنا في
كتابك فوجدنا من صدق مقاله ما أوجب تسكنا
بوثاق الاعتماد ، عن تموء غياهب الشك في كل
المрад . ووجب الآن علينا تكوين أسباب المصادقة
والمبادرة فيما ينظم مهمات تسليك الطرق بيننا
وبينكم عن الوعث وزوال المناكرة ، وشهنا الآن ،
الى طرفكم خمسة مراكب مشحونة من نفس بذرنا
جدة المعمورة في هذا الأوان . ولا أمكن لنا خروج
هذا المقدار الا بمشقة علاج مع سلب اطمئنان
التجار ، لأن كثرة الأكاذيب الأخبار أوجبت لهم مزيد
الارتباب والاعذار بحيث ما يبيننا وبينكم الا
العبان المختلفة رواياتهم على مر الأزمان .

وأما نحن فقد جاءتنا منكم ، قبل هذا ، المكاتيب
التي أوجبت عندنا من خطاب كتبكم زوال تلك
الظنون والأكاذيب ... فخطارنا مستقر بالطمأنينة
من فيلكم ، لما ثبت عندنا من أفاظ كتبكم .

والمطلوب في حال وصول كتابنا اليكم ارسال
عسكر من لديكم الى بندر السويس لأجل حفظ
أموال الناس ، ويصلوا بالأبنان الى مصر ، ويبيع
التجار ، ويوزل وقف الأسباب والباس . وتهتم في
رجوعهم كذلك قبل بأوان ، ليكون ذلك سببا في
كثرة وفود الأبنان ، وعند رجوعهم بعد المبيع من
مصر الى السويس . كذلك تصحبوهم بالعسكر
من طرفكم الويق ليكونوا محافظين لهم من شرور
الطريق لأن هذه المرة ما أرسل اليكم هذا المقدار
الا تجربة واستخبارا من أعيان التجار . وعند
مشاهدة الاكرام ، والاحتفال بهم في كل حال ،
يرسلون اليكم نفائس أموالهم ، ويهرعون بالجلب
لطرفكم ، ويوزل الرب عن قلوبهم . ولرجو الله
بهمتنا تسليك الطرقات ، وتنجيح المطالب ، وتحصيل
الميراث بأحسن مما كانت من الأمان ، وأعظم مما
سبق في غابر الأزمان ويكثر بحول الله الوارد اليكم
من الأسباب الحجازية ، وكذلك لنا بن في المراكب
فما مولنا منكم القاء النظر على خدامنا ، وبذل
الهمة على ما هو من طرفنا . وأتم كذلك لكم عندنا
مزيد الاكرام في كل مرام .

« ولا يخفاكم أنه ورد علينا قبل بأيام كتب من
طرف أمير العسكر فرنساوية .. محبنا بونا برته ! فما
كان لنا منها فتأملناه ، وصار اليه الجواب توصله
اليه . وما كان منها موعولا في ارساله علينا الى نواحي
الهند وابن حيدر وامام مسكت ووكيلكم الذي في
الحا ... فجميعا أصدرناها من طرفنا مع من نعتمده
الى أربابها . وان شاء الله عن قريب يأتيكم الجواب
والسلام .. »

(تحريراً في ١٨ شهر ذى القعدة سنة ١٢١٣
وبآخره قد وصل هذا الكتاب لمصر في ١٦ يوما
خلت من شهر ذى الحجة . فتكون مدة وصوله من
مكة المشرفة الى مصر ٣٨ يوما)

واقضى هذا الشهر ولم يأت خبر صحيح عن



ميناء وقلة السويس

وله أعوان يرسلهم الى الملتزمين بالجهة القبلة
يأتون اليه بالسفن المشحونة بالفلل والمعارضات
من السمن والعسل والسكر والزيت وغير ذلك .
ويبيعها في سنى القلوات بالسواحل والرقع بقصى
القيمة ، ويطحن منها على طواحينه دقيقا ، ويبع
خلاصته في البطط بحارة اليهود ، ويعجن نخالته
خبزا تفقره العميان يتقوتون به مع ما يجمعونه من
الشحاذة في طواقهم آناء الليل وأطراف النهار
بالأسواق والأزقة ، وتغنيهم بالمدايح والخرافات ،
وقراءة القرآن في البيوت ومسابط الشوارع وغير
ذلك .

ومن مات منهم ورثه الشيخ المذكور ، ولا يجد
له معارضا في ذلك .

واتفق أن الشيخ الحفنى قم عليه في شيء ،
فأرسل اليه من أحضره موثوقا مكشوف الرأس
مضروبا بالنعال على دماغه وقناه ، من يته الى
بيت الشيخ بالموسكى بين ملا العالم !

ولما انقضت تلك السنون وأهلها ، صار المترجم
بين أعيان الصدور المشار اليهم في المجالس ،
تخشى سطوته وتسمع كلمته ، ويقال قال الشيخ
كذا وأمر الشيخ بكذا .. وصار يلبس الملابس
والقراوى ، ويركب البغال وأتباعه محدقة به
وتزوج الكثير من النساء الغنيات الجميلات ،

فرنسيس الشام وما جرى لهم أو عليهم ... الا
روايات لا يوثق بها ، ولا يصح بالتواتر منها الا
تكرار هجوم الفرنسيين على حصون عكا ، ولم
يتركوا من حيلهم ومكايدهم شيئا الا فعلوه ، ولم
ينالوا غرضا منها .

وانقضت هذه السنة وما حصل بها من الحوادث
التي لم يتفق مثلها . ومن أعظمها انقطاع سفر الحج
من مصر ، ولم يرسلوا الكسوة ولا الصرة . وهذا
لم يقع نظيره في هذه القرون ولا في دولة بني
عثمان . والأمر لله وحده !

ومات في هذه السنة العمدة الشهير الشيخ
سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان — بزوايتهم
المعروفة بالشنوانى .

تولى شيخا على العميان المذكورين بعد وفاة
الشيخ الشبراوى ، وسار فيهم بشهامة وصرامة
وجبروت ، وجمع بجاههم أموالا عظيمة وعقارات .
فكان يشتري غلال المستحقين المعطلة بالأبعاد بدون
الطفيف ، ويخرج كشوفاتها وتحاولها على
الملتزمين ، ويطالبهم بها كيلا وعينا ، ومن عصى عليه
أرسل اليه الجيوش الكثيرة من العميان ، فلا يجد
بدا من الدفع . وإن كانت غلاله معطلة ، صالحه بما
أحب من الثمن .

قبضوا على السيد محمد المذكور ، وطالبوه بالمال ،
وضيقوا عليه وجسوه في مركب .

ولما حضروا الى مصر ، وطلعوا الى قصر
مراد بيك ، وفيها مطالعته بأخبارهم ، وبالحث
والاجتهاد على حربهم ، وتهوين أمرهم ، وتنقيصهم
.. اشتد غيظهم عليه . فأرسلوا وأحضروه الى مصر
وجسوه ، فشنع فيه أرباب الديوان عدة مرات ،
فلم يمكن .

الى أن كانت ليلة الخميس ، فحضر اليه
« مجلون » وقال له : « المطلوب منك كذا وكذا
من المال » . وذكر له قدرا يعجز عنه ، وأجله اثنتي
عشرة ساعة . وان لم يحضر ذلك القدر .. قتل بعد
مضيها .

فلما أصبح أرسل الى المشايخ ، والى السيد
أحمد المحروقي ، فحضر اليه بعضهم : فترجاهم ،
وتداخل عليهم : واستغاث وصار يقول لهم .
« اشتروني يامسلمون » . وليس ييدهم ما يفدونه
به ، وكل انسان مشغول بنفسه ، ومتوقع لشيء
يصبه . وذلك في مبادئ أمرهم .

فلما كان قريب الظهر ، وقد انقضى الأجل ،
أركبوه حمارا ، واحتاط به عدة من العسكر .
وبأيديهم السيوف المسلولة ، وبقدمهم طبل
يضربون عليه ، وشقوا به الصليبة الى أن ذهبوا
الى الرميّة ، وكتفوه وربطوه مشبوحا ، وضربوا
عليه بالبنادق كعادتهم فيمن يقتلونه ، ثم قطعوا
رأسه ورفعوه على نبوت ، وطافوا به بجهات
الرميّة ، والنادى يقول : « هذا جزاء من يخالف
الفرنسيين » .

ثم ان أتباعه أخذوا رأسه ، ودفنوه مع جثته ،
وانقضى أمره ، وذلك يوم الخميس خامس عشر
ربيع الأول .

واشتري المرارتي البيض والخيش والسود ، وكان
قرض الأكابر المقادير الكثيرة من المال ، ليكون له
عليهم الفضل والمنة .

ولم يزل حتى حمله التفاسخ — في زمن
الفرنسيين — على اثاره الفتنة التي أصابته
وغيره . وقتل فيمن قتل بالقلعة ، ولم يعلم له قبر

ومات — في هذه السنة أيضا — الوجيه الأجل
الإمثلة ، السيد محمد كرم السكندري (وكرم
بضم الكاف ، وفتح الراء ، وتشديد الياء
مكسورة ، وسكون الميم) مقتولا بيد الفرنسيين .

وخبره أنه كان في أول أمره قبانيا بزن البضائع
في حانوت بالثغر ، وعنده خفة في الحركة وتودد في
المعاشرة . فلم يزل يتقرب الى الناس بحسن التودد ،
ويستجلب خواطر حواشي الدولة وغيرهم من تحار
المسلمين والنصارى ومن له وجاهة وشهرة في أبناء
جنسه ، حتى أحبه الناس ، واشتهر ذكره في ثغر
الاسكندرية ورشيد ومصر .

واتصل بصالح بيك حتى كان وكلا بدار
السعادة ، وله الكلمة النافذة في ثغر رشيد وتملكها
وضواحيها ، واسترق أهلها ، وقلد أمرها لعثمان
خجا ، فاتحد به وبمخدومه السيد محمد المذكور .

واتصل بمراد بيك — بعد صالح أغا —
فتقرب اليه ، ووافق منه العرض ، ورفع شأنه
على أقرانه ، وقلده أمر الديوان والجمارك بالثغر
ونفذ كلمته وأحكامه ، وتصدر لغالب الأمور ،
وزاد في المكوسات والجمارك ومصادرات التجار ،
خصوصا من الاقرنج .

ووقع بينه وبين السيد شبة الحادثة التي
أوجبت له الاختفاء بالصهرج ، وموته فيه .

فلما حضر الفرنسيين ونزلوا الاسكندرية ،

خليل المنير من قصيدة حكى فيها أمرهم وما حصل
للمترجم :

لم ير منهم سوى أيوب من ألم
مجانس داء خصم قادم حنق
بانت له من حسان الحور قائلة
اركض برجلك للحيرات واستق
واترك مرادا الى الدنيا ولم نسا
أنا الحياة فعل الروح واعتق
أم الجهاد شهير السيف مجتهدا
في كلمة الحق اعلاء على الفرق

الله أكر ، والتوحيد بصحبا
نداؤه في عجاج مظلم غسق
لقد تولى على عرض الصفوف الى
أن ضمه القلب ، فاستولى على خلق

وما زال بنقض حتى انقض كوكبه
وطار منه بهاء النور للافق
مضى شهيدا وحيدا طاهرا سحا
مفسلا بدم الهيجاء لا غرق

تميز الجوهر المكنون من صدف
ثم انجلى في العلى يزهى بمؤلق
كان الجلاء له عين الجلاء لهم
فأدبروا بأعين الخلد بالخلق

الى آخر ما قال . وقوله « بدم الهيجاء لا غرق »
يشير بذلك الى ابراهيم بيك الوالى حين ولى مدبرا
وغرق في البحر ..

ومات أيضا أيوب بيك الدفتردار وهو من
ماليك محمد بيك . تولى الامارة والصنحية بعد
موت أستاذه . وقد تقدم ذكره غير مرة

وكان ذا دهاء ومكر ، ويتظاهر بالانتصار
للحق وحب الأشراف والعلماء ، ويشترى المصاحف
والكتب ، ويجب المسامرة والمذاكرة وسير
المتقدمين ، ويواظب على الصلاة في الجماعة ،
ويقضى حوائج السائلين والقاصدين بشهامة
وصرامة وصدغ للمعاند ، خصوصا اذا كان الحق
بيده .

وسمعت — من لفظه — رؤيا رآها قبل ورود
الفرنسيس بنحو شهرين تدل على ذلك ، وعلى
موته في حربهم .

ولما حصل ذلك وحضروا الى بر انبابة ، عدى
المترجم قبل يومين ، وصار يقول :
« أنا بعث نفسى فى سبيل الله » .

فلما التقى الجمعان لبس سلاحه — بعدما
توضأ وصلى ركعتين — وركب فى ماليكه
وقال : « اللهم انى نويت الجهاد فى سبيلك »
واقترح مصاف فرنساوية ، وألقى بنفسه فى
نارهم ، واستشهد فى ذلك اليوم .

وهى منقبة اختص بها دون أقرانه ، بل ودون
غيرهم من جميع أهل مصر . كما قال فيه الشيخ

المحتم

الأربعاء اوله (٥ يونيه ١٧٩٩ م) :

حضر جماعة من الفرنسيين الى العادلية فضربوا
خسنة مدافع لقدمهم .

الخميس ٢ منه (٦ يونيه ١٧٩٩ م) :

عملوا الديوان وأبرزوا مكتوبا مترجما ونسخته
صورة جواب من العرضى قدام عكا :

فى سابع عشرين فريسال ، الموافق لحادى
عشر شهر الحجة سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف
من بونا برته سارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية
الى محفل ديوان مصر . نخبركم عن سفره من بر
الشام الى مصر فانى بغاية العجلة بحضورى لطرفكم
نسافر بعد ثلاثة أيام تمضى من تاريخه ونصل عندكم
بعد خمسة عشر يوما وجائب معى جملة محاييس
بكثرة ويبارق ، ومحقت سراية الجزائر وسور عكا ،
وبالقنبر هدمت البلد ما أبقى فيها حجرا على حجر
وجميع سكانها انهزموا من البلد الى طريق البحر .
والجزائر مجروح ودخل بجماعته داخل برج من ناحية
البحر وجرحه يبلغ لخطر الموت . ومن جملة ثلاثين
مركبا موسوقة عساكر الذين حضروا يساعدون
الجزائر ثلاثة غرقت من كثرة مدافع مراكبنا . وأخذنا
منها أربعة موقرة مدافع ، والبذى أخذ هذه الأربعة
فرقاطة من بتوعنا والباقى تلف وتبهدل والغالب
منهم عدم . وانى بغاية الشوق الى مشاهدتكم لانى
بشوق أنكم عملتم غاية جهدكم من كل قلبكم .. لكن
جملة فلاتية دائرون بالفتنة لأجل ما يجر كون الشر

فى وقت دخولى . كل هذا يزول مثل ما يزول الغيم
عند شروق الشمس . ومنتورة مات من تشويش
هذا الرجل صعب علينا جدا ، والسلام .
(ومنتورة هذا ترجمان سارى عسكر وكان لبيبا
متبحرا ويعرف باللغات التركية والعربية والرومية
والطليانى والفرنساوى) .

ولما عجز الفرنساوية عن أخذ عكا ، وعزموا
على الرجوع الى مصر ، أرسل بونا برته مكاتبة الى
الفرنساوية المقيمين بمصر بقول فيها : « ان الأصر
الموجب للانتقال عن محاصرة عكا خمسة عشر سببا :
١ - الإقامة تجاه البلدة وعد الحرب ستة أيام
الى أن جاءت الانكليز وحصنوا عكا
باصطلاح الأفرنج .

٢ - الستة مراكب التى توجهت من الاسكندرية
فيها المدافع الكبار أخذها الانكليز قدام
يافا .

٣ - الطاعون الذى وقع فى العسكر ويموت كل
يوم خمسون وستون عسكريا .

٤ - عدم الميرة لخراب البلاد قريب عكا .

٥ - وقعة مراد بيك مع الفرنساوية فى الصعيد ،
مات فيها مقدار ثلثمائة فرنساوى .

٦ - بلغنا توجه أهل الحجاز صعبة الجبلانى
لناحية الصعيد .

٧ - المغربى محمد الذى صار له جيش كبير
وادعى أنه من سلاطين المغرب .

٨ - ورود الانكليز تجاه الاسكندرية ودمياط .

٩ - ورود عمارة الموسقو قدام رودس .

١٥ - ورود خبر نقض الصلح بين الفرنسيين والنيبساء (كذا) .

١١ - ورود جواب مكتوب منا لتييو أحد ملوك الهند كنا أرسلناه قبل توجهنا لعكا .

(وتييو هذا هو الذي كان حضر الى اسلامبول بالهدية التي من جملتها طائران يتكلمان بالهندية ، والسرير والمنبر من خشب العود . وطلب منه الامداد والمعاونة على الانكليز المحاربين له في بلاده . فوعده ومنسوه ، وكتبوا له أوراقا وأوامر وحضر الى مصر . وذلك في سنة ١٢٠٢ هـ

أيام السلطان عبد الحميد - وقد سبقت الإشارة اليه في حوادث تلك السنة - وهو رجل كان مقعدا يحمله أتباعه في تحت لطيف بديع الصنعة على أعناقهم . ثم انه توجه الى بلاد فرانسة ، واجتمع بسطانها ، وذلك قبل حضوره الى مصر ، واتفق معه على أمر بالسر لم يطلع عليه أحد غيرهما . ورجع الى بلاده على طريق القلزم . فلما قدم الفرنسيون لمصر كاتبه كبيرهم بذلك السر ، لأنه اطلع عليه عند قيام الجمهور وتملكه خزائن كتب السلطان . ثم ان تييو المذكور بقى في حرب الانكليز الى أن ظفروا به في هذه السنة وقتلوه وثلاثة من أولاده .. فهذا هو ملخص معنى السبب ..) .

١٢ - موت كفرلى الذي عملت المتاريس بمقتضى رأيه . واذا تولى أمرها غيره يلزم نقضها ويطول الأمر . وكفرلى هذا هو المعروف بأبى خشبة المهندس .

١٣ - سماع أن رجلا يقال له مصطفى باشا أخذه الانكليز من اسلامبول ومرادهم أن يرموه على بر مصر .

١٤ - أن الجزار أنزل ثقله بمراكب الانكليز وعزم على آله عندهما تملك البلد ينزل في مراكبهم ويهرب معهم .

١٥ - لزوم محاصرة عكا ثلاثة شهور أو أربعة وهو مضر لكل ما ذكرناه من الأسباب .

الثلاثاء ٧ منه (١١ يونيو ١٧٩٩ م) :

حضر جماعة أيضا من العسكر بأقوالهم وحضرت مكاتبة من كبير الفرنسيين أنه وصل الى الصالحية وأرسل دوجا الوكيل ونبه على الناس بالخروج للملاقات بموجب ورقة حضرت من عنده يأمر بذلك .

الجمعة ١٠ منه (١٤ يونيو ١٧٩٩ م) :

في هذه الليلة أرسلوا الى المشايخ والوجقات وغيرهم فاجتمعوا بالأزبكية وقت الفجر بالمشايخ ودقت الطبول وحضر الحكام والقلقات بمراكب وظهور وزمور ونوبات تركية وطبول شامية ، وملازمون وجاوشية وغير ذلك ، وحضر الوكيل وقائم مقام وأكابر عساكرهم وركبوا جميعا بالترتيب من الأزبكية الى أن خرجوا الى العادلية فقابلوا سارى عسكر بونايرته هناك وسلموا عليه ودخل معهم الى مصر من باب النصر بموكب هائل بعساكرهم وطبولهم وزمورهم وخيولهم وغربانهم ونسائهم وأطفالهم في نحو خمس ساعات من النهار الى أن وصل الى داره بالأزبكية وانقض الجمع وضربوا عدة مدافع عند دخولهم المدينة .

وقد تغيرت ألوان العسكر القادمين ، واصفرت ألوانهم وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب وأقاموا على حصار عكا أربعة وستين يوما حربا مستقيما ليلا ونهارا ، وأبلى أحمد باشا وعسكره بلاء حسنا ، وشهد له الخصم .

وفيه : قبضوا على اسماعيل القلق الخريطللى وهو المتولى كتحذد العزب وكان ساكنا بخط الجبالية وأخذوا سلاحه وأصعدوه الى القلعة

والشيخ محمد المهدي ، ووقع عليه ، فصالح عليهن بمبلغ ثلاثة آلاف فرانسة .

الأحد ١٩ منه (٢٣ يونيو ١٧٩٩ م) :

مات ميخائيل كحيل النصراني الشامي — وهو من رجال الديوان الخصوصي — فجأة ، وذلك لقهره وغمه . وسبب ذلك أنهم قرروا عليه في السلفة ستة آلاف ريال فرانسة ، وأخذ في تحصيلها . ثم بلغه أن أحمد باشا الجزار قبض على شريكه بالشام واستصفى ما وجده عنده من المال ، فورد عليه الخبر ، وهو جالس يتحدث مع اخوانه حصّة من الليل ، فخرجت روحه في الحال !

وفيه : كتبوا أوراقا وطبعوها وألصقوها بالأسواق ، وذلك بعد أن رجعوا من الشام واستقروا . وهي من ترصيف وتتميت بعض الفصحاء . وصورتها :

« من محفل الديوان الخصوصي بمحروسة مصر ... خطابا لأقاليم مصر الشرقية والغربية والمنوفية والقليوبية والجيزة والبحيرة :

« النصيحة من الايمان . قال تعالى في محكم القرآن : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان » . وقال تعالى — وهو أصدق القائلين — في الكتاب المكنون : « ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون » . فعلى العاقل أن يتدبر في الأمور قبل أن يقع في المحذور .

« نخبركم معاشر المؤمنين أنكم لا تسمعوا كلام الكذابين فتصبحوا على ما فعلتم نادمين .

« وقد حضر الى محروسة مصر المحمية أمير الجيوش الفرنساوية حضرة بونا برته ، محب الملة المحمدية ! ونزل بعسكره في العادلية ، سليما من العطب والأسقام ، ودخل الى مصر من باب النصر يوم الجمعة في موكب عظيم وشك جليل فخيم ،

وحبسوه . والسبب في ذلك أنه عمل في تلك الليلة وليمة ودعا أحبابه وأصدقاءه وأحضر لهم آلات اللهو والطرب وبات سهرانا بطول الليل . فلما كان آخر الليل غلب عليهم السهر والسكر فناموا الى ضحوة النهار وتأخر عن الملاقاة . فلما أفاق ركب ولاقاهم عند باب النصر فقموا عليه بذلك وفعلوا معه ما ذكر .

ولما وصل صاري عسكر الفرنساوية الى داره بالأزبكية ، تجمع هناك أرباب الملاهي والبهاالوين وطوائف الملاحين والحواة والقرادين والنساء الراقصات والخلايص ، ونصبوا أراجيح مثل أيام الأعياد والمواسم واستمتروا على ذلك ثلاثة أيام ! وفي كل يوم من تلك الأيام يعملون شنكا وحراقات ومدافع وسواريح . ثم انقض الجمع بعدما أعطاهم صاري عسكر دراهم وبقاشيش !

الأحد ١٢ منه (١٦ يونيو ١٧٩٩ م) :

عزلوا دستان قائمقام وتولى عوضه دوجا الذي كان وكيلًا عن صاري عسكر وتهيأ المعزول للسفر الى جهة بحري وأصبح مسافرا وصحبته نحو الألف من العسكر وسافر أيضا منهم طائفة الى جهة البحيرة .

وفيه : طلبوا من طوائف النصارى دراهم سلفة مقدار مائة وعشرين ألف ريال .

الأربعاء ١٥ منه (١٩ يونيو ١٧٩٩ م) :

أرسلوا الى زوجات حسن بيك الجداوى وختموا على دورهن ومتاعهن وطلابوهم بالمال . وذلك لسبب أن حسن بيك التف على مراد بيك وصار يقاتل الفرنسيين معه . وقد كانت الفرنسيين كاتب حسن بيك وأمنته وأقرته على ما بيده من البلاد ، وألا يخالف ويقاوم مع الأخصام ... فلم يقبل منهم ذلك . فلما وقع لنسائه ذلك ذهبن الى

وصحبته العلماء والوجاقات السلطانية ، وأرباب الأقلام الديوانية ، وأعيان التجار المصرية . وكان يوما عظيما مشهودا . وخرجت أهل مصر للملاقاة فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته ، وظهر لهم أن الناس يكذبون عليه — شرح الله صدره للإسلام ! — والذي أشاع عنه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز الهاربة . ومرادهم بهذه الاشاعة هلاك الرعية ، وتدمير أهل الملة الاسلامية ، وتعطيل الأمور الديوانية ... لاجنبون راحة العبيد ، وقد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم . ان بطش ربك لشديد !

« وقد بلغنا أن الألفى توجه للشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلي والعيادة الفجرة المفسدين : يسعون في الأرض بالفساد ، وينهبون أموال المسلمين .. ان ربك لبالمرصاد ! ونزورون على الفلاحين المكاتب الكاذبة ، ويدعون أن عساكر السلطان حاضرة . والحال أنها ليست بحاضرة ، فلا أصل لهذا الخبر ، ولا صحة لهذا الأثر . وانما مرادهم وقوع الناس في الهلاك والضرر ، مثل ما كان يفعل ابراهيم بيك في غزة حيث كان ، ويرسل فرمات بالكذب والبهتان ، ويدعى أنها من طرف السلطان ، ويصدق أهل الأرياف ، خسفاء العقول ! ولا يقرأون العواقب فيقعون في المصائب ، وأهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم خوفا على أنفسهم وهلاك عيالهم وأولادهم ، فان المجرم يؤخذ مع الجيران ، وقد غضب الله على الظلمة . ونعوذ بالله من غضب الديان ! فكان أهل الصعيد أحسن عقلا من أهل بحرى بسبب هذا الرأي السديد .

« ونخبركم أن أحمد باشا الجزار سموه بهذا الاسم لكثرة قتله الأتفس ، ولا يفرق بين الأخيار والأشرار . وقد جمع الطموش الكثيرة من العسكر والغز والعرب وأسافل العشيرة . وكان مراده الاستيلاء على مصر وأقاليمها . وأحبوا اجتماعهم

عليه لأجل أخذ أموالها وهتك حریمها . ولكن لم تساعده الأقدار والله يفعل ما يشاء ويختار ! » وقد كان أرسل بعض هذه العساكر الى قلعة العرش ، ومراده أن يصل الى قطيا ، فتوجه حضرة صارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية وكسر عسكر الجزار الذين كانوا في العرش ، وقادوا : الفرار ! الفرار ! بعد ما حصل بعسكرهم القتل والدمار — وكانوا نحو ثلاثة آلاف — وملك قلعة العرش ، وأخذ غزة ، وهرب من كان فيها ، وفروا . ولما دخل غزة نادى فرعيتها بالأمان ، وأمر باقامة الشعائر الاسلامية واکرام العلماء والتجار والأعيان . ثم انتقل الى الرملة وأخذ مافيها من بقسماط وأرز وشعير ، وقرب — أكثر من ألفين — قرية كبار — كان قد جهزها الجزار لذهابه الي مصر . ثم توجه الى يافا وحاصرها ثلاثة أيام ، ثم أخذها وأخذ مافيها من ذخائر الجزار بالتمام . ومن لحوسات أهلها أنهم لم يرضوا بأمانه ، ولم يدخلوا تحت طاعته واحسانه ، فدور فيهم السيف من شدة غيظه وقوة بأسه وسلطانه ، وقتل منهم نحو أربعة آلاف أويزيديون ، بعدما هدم سورها . وأكرم من كان بها من أهل مصر وأطعمهم وكساهم ، وجهزهم في المراكب الى مصر ، وغفرهم بعسكره خوفا عليهم من العربان ، وأجزل عطاياهم ، وكان في يافا نحو خمسة آلاف من عسكر الجزار هلكوا جميعا ، وبعضهم ما نجاه الا الفرار .

« ثم توجه من يافا الى جبل نابلس ، فكسر من كان فيه من العساكر بمكان يقال له فاقوم ، وحرق خمسة بلاد من بلادهم — وما قدر كان ! — ثم أخرج سور عكا ، وهدم قلعة الجزار التي كانت حصينة ... لم يبق فيها حجر على حجر ، حتى انه يقال كان هناك مدينة . وقد كان بنى حصارها وشيد بنيانها في نحو عشرين من السنين ، وظلم في بنيانها عباد الله ... وهكذا عاقبة بنيان الظالمين !

ولما توجه اليه أهل بلاد الجزائر من كل ناحية ،
كبرهم كسرة شنيعة ، فهل ترى لهم من باقية ؟ !
نزل عليهم كصاعقة من السماء ، ثم توجه راجعا
الى مصر المحروسة لأجل شيتين :

الأول : أنه وعدنا برجوعه اليينا بعد أربعة
أشهر . والوعد عند الحر دين !

والثاني : أنه بلغه أن بعض المفسدين من الفز
والعربان يحركون في غيابه الفتن والشرور في بعض
الأقاليم والبلدان . فلما حضر مسكنت الفتنة وزالت
الأهوار والفجرة من الرعية .

« وجه لمصر واقليمها شيء عجيب ، ورغبته في
الخير لأهلها وليلها بفكره وتديره المصيب . ويرغب
في أن يجعل فيها أحسن التحف وانصاعة .

« ولما حضر من الشام أحضر معه جملة من الأسارى
من خاص وعام ، وجملة مدافع وبارق اغتتمها في
الحروب من الأغذية والأخصام . فالويل كل الويل
لمن عاداه ، والخير كل الخير لمن والاه !

« فسلطوا يا عباد الله ، وارضوا بتقدير الله ،
وامثلوا لأحكام الله ، ولا تسعوا في سفك دمائكم
وهتك عيالكم ، ولا تتسببوا في نهب أموالكم ،
ولا تسمعوا كلام الفز الهربانيين الكاذبين . ولا
تقولوا ان في الفتنة اعلاء كلمة الدين — حاشا
الله ! — لم يكن فيها الا الخذلان وقتل الأنفس ،
وذل أمة النبي عليه الصلاة والسلام .

« والفز والعربان يطعمونكم ويفرونكم لأجل
أن يضروكم وينهبوكم . واذا كانوا في بلد ، وقدمت
عليهم الفرنسيين ، فروا هارين منهم كأنهم جند
ابليس .

« ولما حضر سارى عسكر الى مصر أخبر أهل
الديوان ، من خاص وعام ، أنه يحبدين الاسلام ،
ويعظم النبي عليه الصلاة والسلام ، ويحترم
القرآن ، ويقرأ منه كل يوم باثقان ! وأمر باقامة

شعائر المساجد الاسلامية واجراء خيرات الأوقاف
السلطانية ، وأعطى عوائد الوجاقية ، وسعى في
حصول أقوات الرعية . فانظروا هذه الألفاظ
والمزية ببركة نبينا أشرف البرية ! وعرفنا أن مراده
أن يبنى لنا مسجدا عظيما ببصر لا نظير له في
الأقطار ، وأنه يدخل في دين النبي المختار ، عليه
أفضل الصلاة وأتم السلام ! .

وكان أشيع ببصر قبل مجيئهم وعودهم من
الشام ، أن سارى عسكر بولابرتة مات بحرب
عكا ، وتناقله الناس ، وأنهم ولوا خلافة ... فهذا
هو السبب في قولهم في ذلك الطومار . « وقد
حضر سليما من العطب ... فوجدوه هو الأمير
الأول بذاته وصفاته » الى آخر السياق المتقدم .

الأربعاء ٢٢ منه (٢٦ يونيه ١٧٩٩ م) :

أرسل سارى عسكر جماعة من العسكر
وقبضوا على ملا زاده ابن قاضى العسكر ، ونهبوا
بعضا من ثيابه وكتبه وطلعوا به الى القلعة . فانزعج
عليه عياله وحريمه والدته انزعاجا شديدا .

وفي صباحها اجتمع أرباب الديوان بالديوان ،
وحضر اليهم ورقة من كبير الفرنسيين قرئت
عليهم ، مضمونها ... أن سارى عسكر قبض على
ابن القاضى وعزله ، وأنه وجه اليكم أن تقترحوا
وتختاروا شيئا من العلماء يكون من أهل مصر
ومولودا بها ، يتولى القضاء ، ويقضى بالأحكام
الشرعية ، كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء
يرأى العلماء — للعلماء .

فلما سمعوا ذلك أجاب الحاضرون بقولهم :
اننا جميعا تشفع وترجى عنده في العفو عن ابن
القاضى ، فانه انسان غريب ، ومن أولاد الناس
الصدور ، واذا كان والده وافق كتحدا الباشا في
فعله ... فولده مقيم تحت أمانكم ، والمرجوان انطلاقة
وعوده الى مكانه ، فان والدته وجدته حيانه ...

في وجد وحزن عظيم عليه . وصارى عسكر من أهل الشفقة والرحمة .

وتكلم الشيخ السادات بنحو ذلك ، وزاد في القول بأن قال : وأيضا انكم تقولون دائما ، ان الفرنسيات أحباب العثمانية ، وهذا ابن القاضي من طرف العثماني فهذا الفعل مما يسيء الظن بالفرنساوية ويكذب قولهم ، وخصوصا عند العامة .

فأجاب الوكيل — بعد ما ترجم له الترجمان — بقوله : لا بأس بالشفاعة ، ولكن بعد تنفيذ أمر صارى عسكر في اختيار قاض خلافة ، وألا تكونوا مخالفين ، ويلحقكم الضرر بالمخالفة ... فامثلوا وعملوا القرعة ، وطلعت الأكثرية باسم الشيخ أحمد العريشى الحنفى . ثم كتبوا عرض حال بصورة المجلس والشفاعة .. وكتب عليه الحاضرون . وذهب به الوكيل الى صارى عسكر ، وعرفه بما حصل وبما تكلم به الشيخ السادات ... فتعير خاطره عليه . وأمر بإحضاره آخر النهار فلما حضر لأمه وعاتبه . فتكلم بينهما الشيخ محمد المهدي ووكيل الديوان الفرنسي ... بالديوان ، حتى سكن غيظه ، وأمره بالانصراف الى منزله ، بعد أن عوقه حصة من الليل .

فلما أصبح يوم الجمعة عملوا جمعية في منزل دوجا قائمقام ، وركبوا — صحبته — الى بيت صارى عسكر ، ومعهم الشيخ أحمد العريشى فألبسه فروة مثنى ، وزكبوا جميعا الى المحكمة الكبيرة بين القصرين ، ووعدهم بالافراج عن ابن القاضي بعد أربع وعشرين ساعة .

وقد كانت عياله انتقلوا من خوفهم الى دار السيد أحمد المحروقي ، وجلسوا عنده . ولما كان في ثاني يوم أفرجوا عنه ، ونزل الى عياله ، وصحبته أرباب الديوان والأغا ، ومشوا معه في وسط المدينة ليراه الناس ، ويبطل القيل والقال .

وفيه : كتبوا أوراقا ، وطبعوا منها نسخا ، وألصقوها بالأسواق .. وصورتها :

« جواب الى محفل الديوان .. من حضرة صارى عسكر الكبير بونايرته ، أمير الجيوش الفرنسياتية محب أهل الملة المحمدية 11 خطابا الى السادات العلماء ... أنه وصل لنا مکتوبكم من شأن القاضي ... نخبركم أن القاضي لم أعزله ، ولما هو هرب من اقليم مصر ، وترك أهله وأولاده وخان صحبتنا من المعروف والاحسان الذي فعلناه معه . وكنت استحسنيت أن ابنه يكون عوضا عنه في محل الحكم في مدة غيبته ، وبحكم بدله . ولم يكن ابنه قاضيا متوليا للأحكام على الدوام ، لأنه صغير السن ، ليس هو أهلا للقضاء . فعلتم أن محل حكم الشريعة خال الآن من قاض شرعى يحكم بالشريعة . واعلموا أنى لا أحب مصر خالية من حاكم شرعى يحكم بين المؤمنين ، فاستحسنيت أن يجتمع علماء المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضيا شرعيا من علماء مصر وعقلائهم ... لأجل موافقة القرآن العظيم باتباع سبيل المؤمنين ، وكذلك مرادى أن حضرة الشيخ العريشى الذى اخترتموه جميعا ، أن يكون لابسا من عندى وجالسا في المحكمة ... وهكذا كان فعل الخلفاء في العصر الأول باختيار جميع المؤمنين 1

« وأخبركم أنى تلقيت ابن القاضي بالمحبة والاکرام لما حضر لى وقابلنى ، ولم أزل لهذا الوقت أكرمه ، ولم أحب أن يضره أحد ... حكم أمانتاه . ولما رفعناه الى القلعة لم نرد ضرره ، بل رفعناه مكرما ، مثلما يكون في بيته ، بالراحة والاکرام . وسبب ما رفعناه الى القلعة .. سيكون الفتن والاصلاح بين الناس . وبعد ليس القاضي الجديد ، وجلسه في محل الحكم مرادى أن أطلق ابن القاضي ، وأنزله من القلعة ، وأرد له كامل تعلقاته ، وأطلق سبيله هو وعياله يتوجهون حيث

كاشف من أتباع أيوب بيك الكييز ، وآخر يسمى أبو كلس ، والثالث رجل تاجر من تجار خان الخليلي يسمى حسين مملوك الدالي ابراهيم ، فسجنوهم بالقلعة فتشفع الشيخ السادات في حسين التاجر المذكور ، فأطلقوه على خمسة آلاف فرانسة .

صفر

الجمعة مستهله (٥ يولييه ١٧٩٩ م) :

أفرجوا عن بعض قرابة كتخدا الباشا ، وكان محبوسا بالجيزة ثم نقل الى القلعة مع كتخدا قريبه فأطلق وبقي الآخر .

الاحد ٣ منه (٧ يولييه ١٧٩٩ م) :

حضر السيد عمر أفندي ثقيب الأشراف سابقا من دمياط الى مصر — وكان مقيما هناك من بعد واقعة يافا — ونزل مع الذين أنزلوهم من يافا الى البحر : وفيهم عثمان أفندي العباسي ، وحسن أفندي كاتب الشهر ، وأخوه قاسم أفندي ، وأحمد أفندي عرفه والسيد يوسف العباسي ، والحاج قاسم المصلي ، وغيرهم . فمنهم من عوق بالكرتيلة ، ومنهم من حضر من البر خفية . فحضر بعض الأعيان لللاقاة السيد عمر وركبوا معه بعد أن مكث هنيئة بزاوية على بيك التي بساحل بولاق حتى وصل الى داره . وتوجه في ثاني يوم مع المهدي وقابل ساري عسكر فبش له ووعد به بخير ورد اليه بعض تعلقاته واستمر مقيما بداره والناس تغدو وتروح اليه على العادة .

الاثنين ٤ منه (٨ يولييه ١٧٩٩ م) :

حضر أيضا حسن كتخدا الجريان بأمان ، وكان صحبته عثمان بيك الشرفاوي .

وفيه : أشيع أن مراد بيك ذهب الى ناحية البحيرة فرارا من الفرنسيين الذين بالصعيد .

أرادوا باختيارهم ، لأنه في أماني وتحت حمايتي . وأعترف أن أباه ما كان يكرهني ، ولكنه ذهب عقله ، وفسد رأيه . وأتم يا أهل الديوان تهدون الناس الى الصواب والنور من جنابكم لأهل العقول . وعرفوا أهل مصر أنه انقضت وفرغت دولة العثماني من أقاليم مصر ، وبطلت أحكامها منها . وأخبروهم أن حكم العثماني أشد تعباً من حكم الملوك وأكثر ظلماً . والعامل يعرف أن علماء مصر لهم عقل وتدين وكفاية وأهلية للأحكام الشرعية ، يصلحون للقضاء أكثر من غيرهم في سائر الأقاليم .

وأتم يا أهل الديوان عرفولي عن المناقنين المخالفين ، أخرج من حقهم ، لأن الله تعالى أعطاني القوة العظيمة لأجل ما أعاقبهم .. فان سيفنا طويل ، ليس فيه ضعف . ومرادى أن تعرفوا أهل مصر أن قصدي بكل قلبي حصول الخير والسعادة لهم ، مثل ما هو بحر النيل أفضل الأنهار وأسعدها .. كذلك أهل مصر يكونون أسعد الخلائق أجمعين باذن رب العالمين ... والسلام !! .

وفي تلك الليلة : قتلوا شخصين أحدهما على جاويز رئيس الريالة الذي كان بالأسكندرية عند حضور الفرنسيين . والثاني قبطان آخر ، فلم يزالا بمصر يحبسونهما أياماً ثم يطلقونهما فحبسوهما آخراً فلم يطلقوهما حتى قتلوهما .

وفي صبيحة هذا اليوم : قتلوا شخصين أيضا من الأتراك بالرميلة .

وفيه : أفرجوا عن زوجات حسن بيك الجداوي .

الثلاثاء ٢٨ منه (٢ يولييه ١٧٩٩ م) :

جمعوا الوجاقلية وكتبوا أسماءهم .

الأربعاء ٢٩ منه (٣ يولييه ١٧٩٩ م) :

قبضوا على ثلاثة أنفار : أحدهم يسني حسن

الثلاثاء ٥ منه (٩ يوليه ١٧٩٩ م) :

قتلوا عبد الله أنغا أمير يافا ، وكان أخذ أسيرا
رجس ثم قتل .

وفيه : قتل أيضا يوسف جرجي أبو كلس
ورفيقه حسن كاشف .

الأربعاء ٦ منه (١٠ يوليه ١٧٩٩ م) :

عمل الشيخ محمد المهدي وليمة عرس لزواج
أحد أولاده ودعا ساري عسكر وأعيان الفرنساوية
فتمتعوا عنده وذهبوا .

وفيه : أحضروا أربعة عشر ملوكا أسرى
وأصعدوهم الى القلعة . قيل انهم كانوا لاحقين بمراد
بيك بالبحيرة فأووا الى قبة يستظلون بها وتركوا
خيولهم مع السواس ، فنزل عليهم طائفة من العرب
فأخذوا الخيول ، فمروا مشاة ، فدل الفلاحون عليهم
عسكر الفرنسيين فمسكوهم . وقيل انهم آووا
الى بلدة وطلبوا منهم غرامة فصالحوهم فلم يرضوا
بذلك بدون ما طلبوا فوعدوهم بالدفع من الغد ،
وكانوا أكثر من ذلك — وفيهم كاشف من جماعة
عثمان بيك الطنبرجي — فذهب الفلاحون الى
الفرنسيين وأعلموهم بمكانهم فحضروا اليهم ليلا ،
وفر من فر منهم ، وقتل من قتل ، وأسر الباقي . وأما
الكاشف — ويسمى عثمان كاشف — فالتجأ الى

كبير الفرنسيين فحماه وأخذه عنده ، وأحضروا
الأسرى الى مصر وعليهم ثياب زرق وزعابيب وعلى
رءوسهم عراقى من لباد وغيره ، وأصعدوهم الى
القلعة وقتلوا منهم فى ثانى ليلة أشخاصا .

السبت ٩ منه (١٢ يوليه ١٧٩٩ م) :

أحضروا أيضا ستة أشخاص من المماليك
وأصعدوهم الى القلعة . وفى ذلك اليوم قتلوا أيضا
نحو العشرة من الأسرى المحاييس .

الأحد ١٠ منه (١٤ يوليه ١٧٩٩ م) :

ركب فى عصرته ساري عسكر وعدى الى بر
الجيزة وتبعته العساكر ولم يعلم سبب ذلك . ولما
صاروا بالجيزة ضربوا نجع البطران ودهشور
بسبب نزول مراد بيك عندهم . وفى هذا اليوم
ظهر أن مراد بيك رجع ثانيا الى الصعيد . وشاع
الخبر أيضا أن عثمان بيك الشرقاوى ، وسليمان
أنغا الوالى وآخرين ... مروا من خلف الجبل وذهبوا
الى ناحية الشرق ، فخرج عليهم جماعة من العسكر
— وفيهم برطلمين بنى الرومى رئيس عسكر الأروام
ومعهم عدة وافرة من أخلاط العسكر أروام وقبط
والمماليك المنضمة اليهم ، وبعض فرنساوية —
فأدركوهم بالقرب من بليس وأتوهم من خلاف
الطريق المسلوكة فدهموهم على حين غفلة — وكان
عثمان بيك يقتل — فلما أحسوا بهم يادروا للفرار
وركبوا وركب عثمان بيك بقميص واحد على جسده
وطاقيه فوق رأسه وهربوا وتركوا ثيابهم ومتاعهم
وحملتهم وقدور الطعام على النار ، ولم يمت منهم



الاحتفال بالزواج في مصر

الاملوكان، وأسروا منهم اثنين ووجدوا على فراش عثمان بيك مكاتبة من ابراهيم بيك يستدعيهم الى الحضور اليه بالشام (١).

الاثنين ١١ منه (١٥ يوليه ١٧٩٩ م):

وردت أخبار ومكاتيب مع السعاة لبعض الناس من الاسكندرية وأبي قير، وأخبروا بأنه وردت مراكب فيها عسكر عثمانية الى أبي قير. فتبين أن حركة الفرنساوية وتعديتهم الى البر الغربى بسبب ذلك، وأخذوا أصحابهم جرجس الجوهري.

وفي ضحوة اليوم الثانى عدى الكثير من العسكر أيضا. واهتم حنا يينو، المتولى على بحر بولاق، بجمع المراكب وشحنها بالقومانية والذخيرة. وداخل الفرنساوية من ذلك وهم كبير. ولما عدى كبيرهم الى بر الجيزة أقام يوم الاثنين عند الأهرام حتى تجمعت العساكر.

الثلاثاء ١٢ منه (١٦ يوليه ١٧٩٩ م):

بعث بالمقدمة وركب هو وأرسل مكتوبا الى أرباب الديوان بالسلام عليهم والوصية بالمحافظة وضبط البلد والرعية كما فعلوا في غيبته السابقة.

السبت ١٦ منه (٢٠ يوليه ١٧٩٩ م):

ورد الخبر بأن عثمان خجا وصل الى قلعة أبي قير، صحبة السيد مصطفى باشا، فضربوا على القلعة وقتلوا من بها من الفرنساوية وملكوها وأسروا من بقى بها. وعثمان خجا هذا هو الذى كان

(١) الحقيقة ان عثمان بيك ومن معه استمدوا لانتظار ابراهيم بيك ومماليكه وجيش الجزائر بناء على التعليمات الواردة من رسل الانجليز. فاما ابراهيم بيك - وهو دائما شديد الحرس - فكان يسر من غرة على سهل لكيلا يدخل مصر قبل قدوم الجيش العثماني من رودس وذلك خوفا من الوقوع في ايدى الفرنساويين فلما بلغه خبر تلك الهزيمة لعثمان بيك والافى بيك ماد ادراجه الى سوريا. واما الجزائر الخبيث فالتفتى بعودة الفرنساويين من سوريا واستخلاصه هو عكا، وامتداد نفوذه في الولايات السورية ثم قلب للدولة العثمانية وللتكليف ظهر الجن.

١ حافظ هوش - فتح مصر الحديث ص ٢٧٠.

متولى امارة رشيد من طرف صالح بيك وحج معه ورجع صحبته الى الشام. فلما توفي صالح بيك سافر الى الديار الرومية وحضر صحبة مصطفى باشا المذكور.

فلما تحققت هذه الأخبار كثر اللفظ في الناس وأظهروا البشر وتجاهروا بعلن النصارى. واتفق أنه تشاجر بعض المسلمين بحارة البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة مع بعض نصارى الشوام فقال المسلم للنصراني « ان شاء الله تعالى بعد أربعة أيام نشقى منكم » وكلام من هذا المعنى. فذهب ذلك النصراني الى الفرنسيين مع عصابة من جنسه وأخبروهم بالقصة، وزادوا وحرفوا، وعرفوهم أن قصد المسلمين إثارة فتنة. فأرسل قائمقام الى الشيخ المهدي وتكلم معه في شأن ذلك وحاججه. وأصبحوا فاجتمعوا في الديوان فقام المهدي خطيبا وتكلم كثيرا، ونفى الريبة، وكذب أقوال الأخصام، وشدد في تبرئة المسلمين عما نسب اليهم وبالغ في الحطيطة والاتقاص من جانب النصارى ... وهذا المقام من مقاماته المحمودة.

ثم جمعوا مشايخ الأخطاط والحارات وجسومهم (١).

وفيه: حضرت مكاتبة من الفرنسيين المتوجهين للمحاربة مع العسكر الوارد لجهة أبي قير. وصورتها:

« لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ... نخبركم، محفل الديوان بمصر، المنتخب من أحسن الناس، وأكملهم بالعقل والتدبير ... عليكم سلام الله تعالى ورحته وبركاته ... بعد مزيد السلام عليكم، وكثرة الأشواق الزائدة اليكم. نخبركم يا أهل الديوان المكرمين العظام بهذا المكتوب أننا وضعنا جساغات من عسكرنا

(١) تمثل لنا هذه الحادثة صورة محسنة للنور العويم في هذا الوقت. والدليل على بخوف الفرنسيين أنهم زادوا في الحيلة فجمعوا مشايخ الأخطاط والحارات وجسومهم

بجبل الطرانة . وبعد ذلك مرنا الى اقليم البحيرة
لأجل ما نرد راحة الرعايا المساكين ، وتقاصص
أعداءنا المحاربين . وقد وصلنا بالسلامة الى
الرحمانية ، وغفونا عفوا عموميا عن كامل أهل
البحيرة حتى صار أهل الاقليم في راحة تامة ، ونعمة
عامة .

« وفي هذا التاريخ نخبركم أنه وصل ثمانون
مركبا صفارا وكبارا ، حتى ظهوروا بشعر اسكندرية ،
وقصدوا أن يدخلوها فلم يمكنهم الدخول من كثرة
البنب وجلل المدافع النازلة عليهم . فرحلوا عنها
وتوجهوا يرسون بناحية أبى قير ، وابتدأوا ينزلون
في البر . وأنا الآن تاركهم ، وقصدى أن يتكامل
الجميع في البر ، وأنزل عليهم أقتل من لا يطيع ،
وأخلى بالحياة الطائعين ، وآتيكم بهم محبوسين
تحت السيف لأجل أن يكون في ذلك شأن عظيم
في مدينة مصر . والسبب في مجيء هذه العمارة
الى هذا الطرف العثم بالاجتماع على الممالك
والعربان ، لأجل نهب البلاد ، وخراب القطر
المصرى . وفي هذه العمارة خلق كثير من الموسقو
الافرنج ، الذين كراهم ظاهرة لكل من كان يوحد
الله ، وعداوتهم واضحة لمن كان يعبد الله ويؤمن
برسول الله ... يكرهون الاسلام ، ولا يحترمون
القرآن . وهم — نظرا لكفرهم في معتقدتهم —
يجعلون الآلهة ثلاثة ، وأن الله ثالث تلك الثلاثة .
تعالى الله عن الشركاء ! ولكن عن قريب يظهر لهم
أن الثلاثة لا تعطى القوة ، وأن كثرة الآلهة لا تنفع ..
بل انه باطل ، لأن الله تعالى هو الواحد ، الذى
يعطى النصر لمن يوحدده ، هو الرحمن الرحيم ،
المساعد المعين ، المقوى للمعادلين الموحدين ، الماحق
رأى الفاسد المشركن . وقد سبق في علمه القديم ،
وقضائه العظيم ، أنه أعطانى هذا الاقليم ا وقدر
وحكم بحضورى عندكم الى مصر ، لأجل تغييرى
الأمور الفاسدة وأنواع الظلم ، وتبديل ذلك

بالعدل والراحة .. مع صلاح الحكم ا
« وبرهان قدرته العظيمة ، ووحدانيته المستقيمة ،
أنه لم يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة ... قوة
مثل قوتنا ، لأنهم ماقدروا أن يعملوا الذى عملناه ،
ونحن المعتقدون وحدانية الاله ، ونعرف أنه العزيز
القادر ، القوى القاهر ، المذبر للكائنات ، والمحيط
عليه بالأرضين والسموات ، القائم بأمر المخلوقات ا .
هذا ما في الآيات والكتب المنزلات . ونخبركم
بالمسلمين ... ان كانوا بصحبته ، يكونوا من
المغضوب عليهم لمخالفتهم وصية النبى عليه أفضل
الصلوة والسلام ، بسبب اتفاقهم مع الكافرين الفجرة
اللاثام ا لأن أعداء الاسلام لا ينصرون الاسلام .
وياويل من كانت نصرته بأعداء الله ! وحاشا لله أن
يكون المستنصر بالكفار مؤيدا ، أو يكون مسلما ا
« ساقته المقادير للهلاك والتدمير ، مع السفالة
والرذالة . وكيف لمسلم أن ينزل في مركب تحت
بيرق الصليب ، ويسمع في حق الواحد الأحد ،
الفرد الصمد .. من الكفار كل يوم تخريفا
واحتمارا ؟ ! ولا شك أن هذا المسلم — في هذا
الحال — أقيح من الكافر الأصلي في الضلال .

« نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا
الخبر جميع الدواوين والأمصار ، لأجل أن يستمع
أهل الفساد من الفتنة بين الرعية في سائر الأقاليم
والبلاد .. لأن البلد الذى يحصل فيه الشر ،
يحصل لهم مزيد الضرر والقصاص . انصحوهم
يحفظوا أنفسهم من الهلاك خوفا عليهم أن تفعل
فيهم مثل ما فعلنا في أهل دمنهور ، وغيرها من بلاد
الشرور ، بسبب سلوكهم المسالك القبيحة ...
قاصصناهم . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
(تحريرها في الرحمانية يوم الأحد ١٥ صفر
سنة ١٢١٤) .

وطبعوا من ذلك نسخا ، وألصقوها بالأسواق ،
وفرقوا منها على الأعيان .

الاثنين ١٨ منه (٢٢ يوليه ١٧٩٩ م) :

وردت أخبار وعدة مكاتيب لكثير من الأعيان والتجار ، وكلها على نسق واحد تزيد على المائة مضمونها : بأن المسلمين وعسكر العثمانيين ومن معهم ملكوا الاسكندرية في ثالث ساعة من يوم



أبى فخر

فلما طلع النهار ضربوا مدافع كثيرة من قلعة الجبل وباقي القلاع المحيطة بصحن الأزبكية ، وعملوا في ليلتها — أعنى ليلة الأربعاء — حراقة بالأزبكية من تقوط وبارود وسواربخ تصعد في الهواء .

الخميس ٢٨ منه (أول أغسطس ١٧٩٩ م) :

وصلت عدة مراكب وبها أسرى وعساكر جرجى .

الجمعة ٢٩ منه (٢ أغسطس ١٧٩٩ م) :

حضرت مكاتبة من الفرنسيين بحكاية الحالة التي وقعت ... لم أقف على صورتها .

ربيع الأول

الأحد ٢ منه (٤ أغسطس ١٧٩٩ م) :

وصلت مراكب من بحرى وفيها جرجى من الفرنساوية

وفيه : قبضوا على الحاج مصطفى البشتيلي

السبت سادس عشر صفر (٢٠ يوليه ١٧٩٩ م) .
فصار الناس يحكى بعضهم لبعض .
ويقول البعض : « أنا قرأت المکتوب الواصل الى فلان التاجر » . ويقول الآخر مثل ذلك .. ولم يكن لذلك أصل ولا صحة ، ولم يعلم من فعل هذه الفعل ، واختلق هذه النكتة . ولعلها من فعل بعض النصارى البلدين ليوقعوا بها فتنة في الناس ينشأ منها القتل فيهم ، والأذية لهم . وسبحان الله علام الغيوب .

الأربعاء ٢٠ منه (٢٤ يوليه ١٧٩٩ م) :

أشيع ليلاً أن الفرنساوية تحاربوا مع العساكر الواردين على أبى قير^(١) وظهروا عليهم وقتلوا الكثير منهم ونهبهم وملكوا منهم قلعة أبى قير ، وأخذوا مصطفى باشا أسيراً وكذلك عثمان خجا وغيرهما . وأخبر الفرنسي أنه حضرت لهم مكاتبة بذلك من أكابرهم .

(١) كان هؤلاء الجنود هم الجيش العثمانى المألف من عدة الجنود الاكشادية يسالة واقداما .

(حافظ مروض - فتح سر الحديث من ٣٨٢)



مصطفى باشا بعد معركة أبو قير

الزيات من أعيان أهالي بولاق وجسوه بيت قائمقام . والسبب في ذلك أن جماعة من جيرانه وشوا عنه بأن بداخل بعض حواصله الذي في وكالته عدة قدور مملوءة بالبارود ، فكبسوا على الحواصل فوجدوا بها ذلك كما أخبر الواشي ، فأخذوها وقبضوا عليه وجسوه كما ذكر ، ثم نقلوه الى القلعة .

الخميس ٦ منه (٨ أغسطس ١٧٩٩ م) :

حضر أيضا جملة من العسكر وكثر لفظ الناس على عاداتهم في رواية الأخبار .

وقه : حضرت حجاج المغاربة ووصلوا صحبة الحاج الشامي ، وأخبروا أنهم حجوا صحبته . وأمير الحاج الشامي عبد الله باشا ابن العظم .

الأحد ٩ منه (١١ أغسطس ١٧٩٩ م) :

حضر ليلا ساري عسكر الفرنساوية بونا بارتته ودخل الى داره بالأزبكية وحضر صحبته عدة أناس من أسرى المسلمين . وشاع الخبر بحضوره فذهب كثير من الناس الى الأزبكية ليتحققوا الخبر على جليته . فشاهدوا الأسرى وهم وقوف في وسط البركة ليراهم الناس . ثم أنهم صرفوهم بعد حصاة من النهار . فأرسلوا بعضهم الى جامع الظاهر خارج الحسينية ، وأصعدوا باقيهم الى القلعة .

وأما مصطفى باشا ساري عسكر فانهم لم يقدموا به لمصر بل أرسلوه الى الجيزة مكرما وأبقوا عثمان خجا بالاسكندرية .

ولما استقر ساري عسكر بونا بارتته في منزله ، ذهب للسلام عليه المشايخ والأعيان ، وسلموا عليه . فلما استقر بهم المجلس ، قال لهم على لسان الترجمان : « ان ساري عسكر يقول لكم : انه لما سافر الى الشام كانت حالتكم طيبة في غيابه . وأما في هذه المردة فليس كذلك لأنكم كنتم تظنون أن الفرنسيين لا يرجعون بل يموتون عن آخرهم ،

فكنتم فرحانين ومستبشرين ، وكنتم تعارضون الأغا في أحكامه وأن المهدي والصاوي ماهم «بونو» أي ليسوا بطيبين » . ونحو ذلك .

وسبب كلامه هذا .. الحكاية المتقدمة التي حبسوا بسببها مشايخ الحارات . فان الأغا الخيث كان يريد أن يقتل في كل يوم أناسا بأدنى سبب . فكان المهدي والصاوي يعارضانه ويتكلمان معه في الديوان ويوبخانه ويخوفانه سوء العاقبة ، وهو يرسل الى ساري عسكر فيطالعه الأخبار ، ويشكو منهما . فلما حضر عاتبهم في شأن ذلك فإلطفوه حتى انجلى خاطره ، وأخذ يحدثهم على ما وقع له من القادمين الى أبي قير والنصر عليهم ، وغير ذلك .

فأخبر أن سارى عسكر المنوفية دعاه لضيافته
بمنوف حين كان متوجها الى لاحية أبى قير
ووعده بالعودة اليه بعد وصوله الى مصر . وراج
ذلك على الناس ، وظنوا صحته .

الاثنين ١٧ منه (١٩ أغسطس ١٧٩٩ م) :

خرج كبير الفرنسيين مسافرا من آخر الليل
وخفى أمره على الناس .

الاثنين ٢٤ منه (٢٦ أغسطس ١٧٩٩ م - ٩ مسرى) :

كان وفاء النيل المبارك . فنودى بوفائه على
العامة . وخرج النصارى البلدية من القبطه والشوام
والأروام ، وتأهّنوا للخلاعة والقصف ، والتفرج
واللهو والطرب ، وذهبوا تلك الليلة الى بولاق
ومصر العتقة والروضة ، واكثروا المراكب ، ونزلوا
فيها - وصحبهم الآلات والمغاني - وخرجوا في
تلك الليلة عن طورهم ، ورفضوا الحشمة ، وسلكوا
مسلك الأمراء سابقا .. من النزول في المراكب
الكثيرة المقاذيف ، وصحبهم لساؤهم
وشراهم ، وتجاهروا بكل قيح من الضحك
والسخرية والكفریات ، ومحاكاة المسلمين . وبعضهم
تزيا بزي أمراء مصر ، ولبس سلاحا وتشبه بهم ،
وحاكى ألقاظهم على سبيل الاستهزاء والسخرية
وغير ذلك .

وأجرى الفرنساوية المراكب المزينة ، وعليها
اليسارق ، وفيها أنواع الطبول والمزامير ... في
البحر .

ووقع في تلك الليلة بالبحر وسواحله من
الفواحش ، والتجاهر بالمعاصى والفسوق ... ما لا
يكيف ولا يوصف ! وسلك بعض غوغاء العامة ،
وأسافل العالم ورعاعهم مسالك تسفل الخلاعة
ورذالة الرقاعة بدون أن يشكر أحد على أحد من
الحكام أو غيرهم ، بل كل انسان يفعل ماتشبهه



الشيخ الهدي

الثلاثاء ١١ منه (١٣ أغسطس ١٧٩٩ م) :

عمل المولد النبوي بالأزبكية ، ودعا الشيخ
خليل البكرى سارى عسكر الكبير مع جماعة من
أعيانهم ، وتمشوا عنده ، وضربوا بركة الأزبكية
مدافع ، وعملوا حراقة وصواريخ ، ونادوا في ذلك
اليوم بالزينة وفتح الأسواق والدكاكين ليلا ،
واسراج قتاديل ، واصطناع مهرجان .

وفيه . ورد الخبر بأن الفرنسيين أحضروا عثمان
خجا وتقلوه من الاسكندرية الى رشيد فدخلوا به
البلد ، وهو مكشوف الرأس حافي القدمين ، وطاقوا
به البلد يزفونه بطيولهم حتى وصلوا به الى داره
فقطعوا رأسه تحتها ، ثم رفعوا رأسه وعلقوه من
شباك داوه ليراه من يمر بالسوق .

الخميس ١٣ منه (١٥ أغسطس ١٧٩٩ م) :

اتسع أن كبير الفرنسيين سافر الى جهة بحرى
ولم يعلم أحد أى جهة يريد ، وسئل بعض أكابرهم

الأربعاء ٢٦ منه (٢٨ أغسطس ١٧٩٩ م) :
كتبوا أوراقا وألصقوها بالأسواق مضمونها : أن
الناس يذهبون الى بولاق يوم التاسع والعشرين

نفسه ، وما يخطر بباله ... وإن لم يكن من أمثلة .
إذا كان رب الدار بالدفع ضاربا

فشيبة أهل الدار كلهم الرقص
وأكثر الفرنسيين في تلك الليلة ، وصباحها ،
من رمى المدافع والصواريخ من المراكب
والسواحل ، وباتوا يضربون أنواع الطبول
والمزامير .

وفي الصباح ركب دوجا قائمقام وصحبه
أكابر الفرنسيين وأكابر أهل مصر ، وحضروا الى
قصر السد ، وجلسوا به ، واصطفت العساكر ببر
الروضة وبر مصر القديمة بأسلحتهم وطبولهم ،
وبعضهم في المراكب لضرب المدافع المتتالية الى أن
انكسر السد وجرى الماء في الخليج ، فانصرفوا .

الثلاثاء ٢٥ منه (٢٧ أغسطس ١٧٩٩ م) :

طلبوا من كل طاحون من الطواحين فرسا .



خمس وعشرون كيسا . فدفع التجار خمسة وعشرين كيسا ، وأفرج عنهم من القلعة ، وأجلوا الباقي على الشرح المذكور .

وفيه : ورد من « بونا بارت » ، ساري عسكر الفرنساوية كتاب من الاسكندرية خطا بالاهل مصر وسكانها فأحضر قائمقام دوجا الرؤساء المصرية وقرأ عليهم الكتاب مضمونه : أنه سافر يوم الجمعة حادي عشرين (٢٣ أغسطس ١٧٩٩ م) الشهر المذكور الى بلاد الفرنساوية لأجل راحة أهل مصر وتسليك البحر فيغيب نحو ثلاثة أشهر ويقدم مع مساكركه . فانه بلعه خروج عمارتهم ليصفو له ملك مصر ، ويقطع دابر المفسدين . وأن المولى على أهل مصر وعلى رئاسة الفرنساوية جميعا « كليبر » ساري عسكر دمياط فتحير الناس وتعجبوا في كيفية سفره ونزوله البحر ، مع وجود مراكب الانجليز ، ووقوفهم بالثغر ، ورصدهم الفرنساوية من وقت قدومهم الديار المصرية ، صيما وشتاء ... ولكيفية خلوصه وذهابه أبناء وحيل لم أقف على حقيقتها .



كليبر



مراكب في النيل

(٣١ أغسطس ١٧٩٩ م) ليحضروا سوق الخيل ويشتروا ما أخبروا من الخيل .

وفيه : ألصقوا أوراقا أيضا مضمونها أن من كان عليه مال ميرى ملزوم بغلاقه ، ومن لم يلق ماعليه بعد مضي عشرين يوما عوقب بما يليق به . ونادوا بموجب ذلك بالأسواق .

الخميس ٢٧ منه (٢٩ أغسطس ١٧٩٩ م) :

كتبوا أوراقا مضمونها : انقضاء سنة مؤاجرات أقلام المكوس . ومن أراد استئجار شيء من ذلك فليحضر الى الديوان ويأخذ ما يريد به بالمزاد .

وفيه : أفرج عن الأنصار التي قدم بها الفرنساوية من غزة وجبست بالقلعة على مصلحة خمسة وسبعين كيسا دفعوا بعضها وصنعهم أهل وكالة الصابون في البعض الباقي ، فأنزلوهم من القلعة على هذا الاتفاق بشرط أن لا يسافر منهم أحد الا بعد غلاق ما عليه .

الجمعة ٢٨ منه (٣٠ أغسطس ١٧٩٩ م) :

تشفع أرباب الديوان في أهل يافا المسجونين بالقلعة أيضا فوقع التوافق معهم على الافراج عنهم بمصلحة مائة كيس . فاجتمع الرؤساء والتجار وترووا واشتوروا في مجلس خاص بينهم . فاتفق الحال على تقسيطها وتأجيلها في كل عشرين يوما



بونايرت يعود الى فرنسا بحرا

النسبت ٢٩ منه (٢١ اغسطس ١٧٩٩ م) :

وفيه : طلب سارى عسكر من نصارى القبط
مائة وخمسين ألف ريال فرانسى فى مقابلة بواقى
سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٥ م) وشرعوا فى تحصيلها .

٦ منه (٧ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

ركب سارى عسكر الجديد من الأذربكية ، ومشى
فى وسط المدينة فى موكب حافل حتى صعد الى
القلعة . وكان أمامه نحو الخمسمائة قواس وبأيديهم
النباييت وهم يأمرؤن الناس بالقيام والوقوف على
الأقدام لروره . وكان صحبته عدة كثيرة من خيالة
الأفرنج وبأيديهم السيوف المسلولة والوالى والأغا
وبرطلمين بمواكبهم . وكذلك القلقات والوجاقلة
وكل من كان مولى من جهتهم ومنضبا اليهم ماعدا
رؤساء الديوان من الفقهاء ، فلم يطلبوهم للحضور
ولا للمشى فى ذلك الموكب . ولما صعد الى القلعة
ضربوا له عدة مدافع وتفرج على القلعة ثم نزل
بذلك الموكب الى داره .

٧ منه (٨ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

ركب أغات الينكجيرية فى أبهة عظيمة وجيروت
وأمامه عدة من عسكر الفرنسيس ، وأمامه المنادى
يقول : « حكم مارسم سارى عسكر خطابا للأغا أن
جميع الدعاوى والقضايا العامة لاتعمل الا ببيت
الأغا . وكل من تعدى من الرعايا أو وقع منه قلة
أدب يستأهل مايجرى عليه » .

قدم سارى عسكر كبير ، فضربوا لقدمه
المدافع من جميع القلاع . وتلقته كبار الفرنساوية
وأصاغرهم ، وذهب الى بيت بونايرته الذى كان
ساكنه به — وهو به الألفى بالأذربكية — وسكن
مكانه .

وفى ذلك اليوم قدمت طائفة من العسكر من
جهة الشرقية ، وصحبته منهبوات كثيرة من بلد
عصت عليهم ، فضربوها ونهبوها ومعهم نحو
السبعين من الرجال والصغار وبعض النساء وهم
موتقون بالحبال فسجنوهم بالقلعة .

وفيه : ذهب أكابر البلد من المشايخ والأعيان
لمقابلة سارى عسكر الجديد للسلام عليه ، فلم
يجتمعوا به فى ذلك اليوم ، ووعدوا الى الغد ،
فانصرفوا . وحضروا فى ثانى يوم فقابلوه ، فلم
يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بونايرته ، فانه
كان بشوشا ويياسط الجلساء ويضحك معهم .

ربيع الآخر

أوله (٢ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

ابتدأوا فى عمل مولد المشهد الحسينى ، وقهروا
الناس ، وكرروا المنادة بفتح الحوائت والسهل
ووقود القناديل عشر ليال متوالية آخرها ليلة
ثانى عشر (١٣ سبتمبر ١٧٩٩ م)

وفيهِ : ركب ساري عسكر الكبير في موكب
دون الأول ووصل الى بيت رئيس الديوان الشيخ
عبد الله الشرقاوى ثم رجع الى داره .

٨ منه (٩ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

عمل ساري عسكر وليمة في بيته ، ودعا الأعيان
والتجار والمشايخ فتعشوا عنده ، ثم انصرفوا الى
دورهم .

١٠ منه (١١ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

كان آخر المولد الحسيني . وحضر ساري
عسكر الفرنسية مع أعيانهم الى بيت شيخ
السادات بعد العصر في موكب عظيم ، وأمامه الأغا
والوالى والمحتسب وعدة كبيرة من عسكرهم
ويدهم السيوف المسلوكة ، فتعشوا هناك وركبوا
بعد المغرب وشاهدوا وقود القناديل .

١٦ منه (١٧ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

نودى بنشر الحوائج ، وكتبوا بذلك أوراقا
والصقوها بالأسواق وشددوا في ذلك بالتفتيش
والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات ، ومع كل
منهم عسكرى من طرف الفرنسية وامرأة أيضا
للكشف على أماكن النساء . فكان الناس يأتون من
ذلك ويستقلونه ويستعظمونه ، وتحذتهم أوهامهم
بأمور يتخيلونها .. كقولهم : انما يريدون بذلك
الاطلاع على أماكن الناس ومتاعهم .. مع أنه لم
يكن شيء سوى التخوف من العفونة والوباء .

٢٠ منه (٢١ سبتمبر ١٧٩٩ م) :

نودى بعمل مولد السيد على البكرى ، المدفون
بجامع السرايى بالأزبكية بالقرب من الرويعى ،
وأمروا الناس بوفود قناديل بالأزقة في تلك الجهات
وأذنوا لهم بالذهاب والمجيء ليلا ونهارا من غير
حرج .

وقد تقدم ذكر بعض خبر هذا السيد على ،
وأنه كان رجلا من البله ، وكان يمشى بالأسواق
عريانا مكشوف الرأس والسواتين غالبا ، وله أخ
صاحب دهاء ومكر لا يلتزم به . واستمر على ذلك
مدة سنين . ثم بدا لأخيه فيه أمر لما رأى من ميل
الناس لأخيه واعتقادهم فيه — كما هى عادة أهل
مصر في أمثاله — فحجر عليه ، ومنعه من الخروج
من البيت ، وألبسه ثيابا ، وأظهر للناس أنه أذن له
بذلك وأنه تولى القطبانية ونحو ذلك !

فأقبلت الرجال والنساء على زيارته والتبرك به
وسماع ألفاظه ، والانصات الى تخطيطاته وتأويلها
بما فى نفوسهم ، وطلق أخوه المذكور يرغبهم
ويث لهم فى كراماته ، وأنه يطلع على خطرات
القلوب والمغيبات ، وينطق بما فى النفوس .
فأنهمكوا على التردد اليه ، رقد بعضهم بعضا ،
وأقبلوا عليه بالهدايا والنذور والامدادات الواسعة
من كل شيء — وخصوصا من نساء الأمراء
والأكابر !

وراج حال أخيه ، واتسعت أمواله ، ونفقت
سلعته ، وصادت شبكته ، وسمن الشيخ من كثرة
الأكل والدسومة والفراغ والراحة ، حتى صار
مثل البو العظيم ! فلم يزل على ذلك الى أن مات
فى سنة سبع بعد المائتين كما تقدم . فدفنوه
بمعرفة أخيه فى قطعة حجر عليها من هذا المسجد
من غير مبالاة ولا مانع ، وعمل عليه مقصورة
ومقاما ، وواطىء عنده بالمقرئين والمداحين وأرباب
الأشاعر والمنشدين بذكر كراماته وأوصافه فى
قصائدهم ومدحهم ونحو ذلك . ويتواجدون
ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه ،
ويعرفون بأيديهم من الهواء المحيط به يضعونه
فى أعبابهم وجيوبهم !

وهرعت لزيارة قبره النساء والرجال بالنذور

ثم نودى في جميع الأسواق بوقود أربعة قناديل على كل دكان في تلك الليلة ومن لم يفعل ذلك عوقب ثم عملوا بالأزبكية حراقة تقوط ومدافع وسواريج ولعبوا في المراكب طول ليلهم .

٧ منه (٧ أكتوبر ١٧٩٩ م) :

بعد عيد الصليب تقص ماء النيل وكان من أول زيادته قاصرا عن العادة وزيادته شحيحة فضج الناس وانكبوا على شراء الغلة وازدحموا في الرقع والسواحل وطلب باعة الغلة الزيادة في السعر ، فجمع الفرنسيون كل من كان له مدخل في تجارة الغلال وزجروهم وخوفوهم وقالوا لهم : هذه الغلة الموجودة الآن انما هي زراعة العام الماضي وأما هذا العام فلا تخرج زراعته الا في العام المستقبل فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر . وقد كاد يقع الغلاء العظيم لولا ألطاف الله حفت ، ونعمه العيبة الشاملة حصلت .

وفيه : أرسلوا جملة عساكر من الفرنسيون الى مراد بك بناحية الفيوم وعليهم كبير فوقع بينهم وبينه أمور ، لم أتحقق تفصيلها ، وترددت بينه وبين ساري عسكر الرسل والمراسلات ، ووقع بينه وبينهم الهدنة والمهاداة ، واصطلح معهم على شروط منها . تقليده اماراة الصعيد تحت حكمهم .

وفي هذا الشهر كثرت الاشاعة باجتماع عساكر عثمانية جهة الشام فكثير اهتمام الفرنسيون باخراج الجيخانات والمدافع وآلات الحرب والقومانية والعساكر وتحصين الصالحية والقرين وبلبيس .

رجب

الجمعة اوله (٢٩ نوفمبر ١٧٩٩ م) :

فيه كثرت الأقوال وتواترت الأخبار بوصول الوزير الأعظم يوسف باشا الى الديار الشامية

وبالشموع وأنواع المأكولات . وصار ذلك المسجد مجعنا وموعدا . فلما حضر الفرنسيون الى مصر ، تشاغل عنه الناس ، وأهمل شأنه في جملة المهملات ، وترك مع المتروكات . فلما فتح أمر الموالد والجمعيات ، ورخص الفرنسيون ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع واجتماع النساء واتباع الشهوات ، والتلاهي وفعل المحرمات ... أعيد هذا المولد مع جملة ما أعيد (١)

جمادى الأولى

اوله (اول أكتوبر ١٧٩٩ م) :

اهتم الفرنسيون بعمل عيدهم المعتاد وهو عند الاعتدال الخريفى وانتقال الشمس لبرج الميزان فنادوا بفتح الأسواق والدكاكين ووقود القناديل شددوا في ذلك وعملوا عزائم وولائم وأطعمة ثلاثة أيام آخرها يوم الاثنين . ولم يعملوه على هيئة العام الماضي من الاجتماع بالأزبكية عند الصاري العظيم المنتصب والكيفية المذكورة لأن ذلك الصاري سقط وامتلأت البركة بالماء .

فلما كان يوم الأحد نبهوا على الأمراء والأعيان بالبكور الى بيت صاري عسكر .

فاجتمع الجميع في صبح يزوم الاثنين فرب صاري عسكر معهم في موكب كبير ، وذهبوا الى قصر العينى ، فمكثوا هناك حصاة ، وعرضت عليهم العساكر جميعها على اختلاف أنواعها من خيالة ورجالة ، وهم بأسلحتهم وزينتهم ، ولعبوا معهم في ميدان الحرب .

وفيه : خلع ساري عسكر على الشيخ الشرقاوى والقاضى وأغاة النيكجيرية خلع سمور ثم رجعوا الى منازلهم .

(١) اعرفتم ان لم يشرنا للفرب بطرفان « الانلام » المنحلة .
و « الرولة لند رول » و « الهلا هوب » ٢٩ .

ثم ورد فرمان من حضرة الوزير قبل وصوله الجهة العرش خطابا الى جمهور فرنساوية باستدعاء رجلين من رؤسائهم وعقلائهم ليتشاور ويتفق معهم على أمر يكون فيه المصلحة للفرقتين على مامشترطونه بينهم فوجهوا اليه من طرفهم بوسليك رئيس الكتاب



بوسليق



ديزيه

وديزيه سارى عسكر الصعيد فتزلوا فى البحر على دمياط وطالت مدة غيابهم وبعث كليير سارى عسكر رسلا من طرفه لاستفسار الأخبار .

شعبان

٢٢ منه (١٩ يناير ١٨٠٠ م) :

ورد الخبر بقدمهما الى الصالحية ، فأرسلوا اليهما الحمول وما يحتاجان اليه . وحضرا الى مصر وشاع أمر الصلح ، وحضر من طرف العثمانيين رئيس الكتاب والدفتردار لتقرير الصلح وجنح كل من الفريقين الى ذلك لما فيه من كف الحرب وحقق الدماء . وأظهر فرنساوية الخداع والخضوع حتى تم عقد الصلح على اثنين وعشرين شرطا رسمت وطبعت فى طومار كبير . وورد الخبر بذلك الى مصر وفرح الناس بذلك فرحا شديدا . وأرسل سارى عسكر فرنساوية مكاتبة بصورة الحال الى دوجا قائمقام . فجمع أهل الديوان وقرأ عليهم ذلك . ولما ورد ذلك الطومار المتضمن لعقد الصلح والشروط ، وعربوه وطبعوا منه نسخا كثيرة فرقوا منها على الأعيان وألصقوا منها بالأسواق والشوارع .

وصحبتة نصح باشا وعثمان أغا كتحدا الدولة وحسين أغا نزلة أمين ، ومصطفى افندى الدفتردار وباقي رجال الدولة وعسفوا فى البلاد الشامية وضربوا عليهم الضرائب العظيمة وجبوا الأموال وفعلوا ما لا خير فيه من الظلم وقتل الأنفس بسبب استخلاص الأموال .

منتصفه (١٣ ديسمبر ١٧٩٩ م) :

وردت أخبار بوصولهم الى غزة والعريش وأنهم حاصروا قلعة العريش وقتلوا من بها من عسكر فرنساوية حتى ملكوها .

الثلاثاء ١٩ منه (١٧ ديسمبر ١٧٩٩ م) :

ملكوا قلعة العريش ، واحتلوا على ماكان فيها من الذخيرة والجبخانة وآلات الحرب . وصعد مصطفى باشا الذى باشر أخذ القلعة مع جملة من العسكر وبعض الأجناد المصرية وضربت النوبة وحصل لهم الفرح العظيم .

واتفق أنه وقعت نار على مكان الجبخانة والبارود المخزون بالقلعة — وكان شيئا كثيرا — فاشتعلت وطارت القلعة بمن فيها واحترقوا وماتوا وفيهم الباشا المذكور ومن معه ومحمد أغا أرتوود الجلفى وغيره من المصرية . ومات كثير ممن كان خارجا عنها وبقيها مما نزل عليهم من النار والأحجار المتطيرة فى أسرع وقت .

ولما تحقق فرنساوية أخذ العريش ، وأن عساكر العثمانيين زاحفة الى جهة الصالحية تهيأ صارى عسكر فرنساوية ، واستعد للخروج والسفر فى أسرع وقت . وخرج بعساكره وجنوده الى الصالحية ، وقد كان قبل أخذ العثمانيين قلعة العريش أرسل فرنساوية الى « سينت » كبير الإنكليز مراسلات ليتوسط بينهم وبين العثمانيين ،



الجنرال دوجا

وصورته — بما فيه من الفصول والشروط
بالحرف الواحد — ما عدا ترجمة الأسطر التي
باللغة الفرنسية ...

وهذه صورة الشروط الواقعة لخلومصر : ما بين
حضرة الجنرال ديزيه متفرقة وحضرة يسليخ مدير
الحدود العام ، نواب سرى العسكر العام كليبر
المفوضين بكامل السلطان ... وجناب سامى المقام
مصطفى رشيد افندى دفتر دار ، ومصطفى
راسيسه افندى رئيس كتاب الوكلاء ، المفوضين
بكامل السلطان عن جناب حضرة الوزير سامى
المقام :

« أن الجيش الفرنساوى بمصر عندما قصد أن
يوضح ما فى نفسه من وفور الشوق لحقن
الدماء ، ويرى نهاية الخصام المضر الذى قد حصل
ما بين المشيخة الفرنسية والباب العالى — فقد
ارتضى أن يسلم بخلو الاقليم المصرى بحسب هذه
الشروط الآتى ذكرها ... نأمل أن بهذا التسليم
يمكن أن يتجه ذلك الى الصلح العام فى بلاد المغرب
قاطبة :

الشرط الأول : أن الجيش الفرنساوى يلزمه أن
يتنحى بالأسلحة والعزال بالأمته الى الاسكندرية
ورشيد وأبو قير لأجل أن يتوجه ويتنقل بالمرائب
الى فرنسا ، إن كان ذلك فى مراكبهم الخاص بهم أم

فى تلك التى يقتضى للباب العالى أن يقدمها لهم
بقدر الكفاية . ولأجل تجهيز المراكب المذكورة بأقرب
نوال ، فقد وقع الاتفاق ، من بدمضى شهر واحد من
تقرير هذه الشروط ، يتوجه الى قلعة اسكندرية
نائب من قبل الباب العالى وصحبته خمسون نفرا .
الشرط الثانى : فلا بد عن المهلة وتوقيف
الحرب بمدة ثلاثة أشهر بالاقليم المصرى ، وذلك
من عهد امضاء شروط الاتفاق هذه . واذا صادف
الأمر أن هذه المهلة تمضى قبل أن المراكب الواجب
تجهيزها من قبل الباب العالى تحضر جاهزة ، فالمهلة
المذكورة يقتضى مطاولتها الى أن ينجز الرحيل
على التمام والكمال . ومن الواضح أنه لا بد عن
اصراف الوسائط الممكنة من قبل الفريقين لكى
لا يحصل ما يمكن وقوعه من التجسس ، ان كان
ذلك من الجيش أم من أهل البلاد ، اذا كانت هذه
المهلة قد حصل الاتفاق بها لأجل راحتهم .

الشرط الثالث : فرحيل الجيش الفرنساوى
يقتضى تديره بيد الوكلاء القادمين لهذه الغاية
من قبل الباب الأعلى وسرى العسكر كليبر . واذا
حصل خصام ما بين الوكلاء المذكورين بوقت
الرحيل فى هذا الصدد ، فليتخى من قبل حضرة
« سيدنى سميث » رجل لينهى المخاصمات المذكورة



وليام سيدنى سميث

بحسب قواعد المياسة البحرية السالكون عليها
ببلاد الانجليز .

الشرط الرابع : قطية والصالحية لا بد عن
خلوها عن الجيش الفرنساوى فى ثامن يوم ، وأعظم

عسكر الاسلام يكون دائما متباعدا عن العسكر
الفرنساوى .

الشرط الثامن : فمن تقرير وامضاء هذه
الشروط .. فكل من كان من الاسلام ، أم من باقى
الطوائف من رعايا الباب الأعلى ، بدون تمييز
الأشخاص — أولئك الواقع عليها الضبط أم الذين
واقع عليهم الترسيم ببلاد فرنسا أو تحت أمر
الفرنساوية بمصر — يعطى لهم الاطلاق والتعلق .
وبمثل ذلك فكل الفرنساوية المسجونين فى كامل
البلدان ، والأساكن من مملكة العثملى ، وكذلك
كامل الأشخاص من أيما طائفة كانت — أولئك
الذين كانوا فى تعلق خدمة المراسلات والقناصل
الفرنساوية — لابد من اعتاقهم .

الشرط التاسع : فترجييع الأموال والأموال
المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين ، أم دفع
مبالغ أثمانها لأصحابها — فيكون الشروع به حالا
من بعد خلو مصر . والتدبير فى ذلك يكون بيد
الوكلاء فى اسلامبول المقامين بوجه خاص من
الفريقين لهذا المقصد .

الشرط العاشر : فلا يحصل التشويش لأحد
من سكان الأقليم المصرى من أى ملة كانت ، وذلك
لأى أشخاص ولا فى أموالهم ، نظرا الى ما يمكن
أن يكون قد حصل من الاتحاد ما بينهم وبين
الفرنساوية من اقامتهم بأرض مصر .

الشرط الحادى عشر : ولا بد أن يعطى للجيش
الفرنساوى — ان كان من قبل الباب الأعلى ومن
قبل الملكتين المرتبطتين معه ، أعنى بهما مملكة
انكليزة ومملكة الموسكوب — فرمانات الاذن
وأوراق المحافظة بالطريق ، وبمثل ذلك السفن اللازمة
لرجوع الجيش المذكور بالأمن والأمان الى بلاد
فرنسا .

ما يكون فى عاشر يوم ، من امضاء شروط الاتفاق
هذه . ومدينة المنصورة يكون خلوها من بعد
خمسة عشر يوما . وأما دمياط وبليس فمن بعد
عشرين يوما . وأما السويس فيكون خلوها ستة
أيام قبل مدينة مصر . وأما المحلات الكائنة فى
الجهة الشرقية من بحر النيل فيكون خلوها فى
اليوم العاشر . والدلتا ، أى الأقاليم البحرية ، يكون
خلوها خمسة عشر يوما من بعد خلو مصر . والجهة
الغربية وما يتعلق بها تستمر بيد الفرنسيين الى
حد خلو مدينة مصر . ولكن من حيث أنها لابد أن
تستمر بيد الفرنساوية الى أن يكون انحدار
العسكر من جهات الصعيد ، فجبهة الغربية وتعلقاتها
— كما ذكر — فممكن أنه لا يتيسر خلوها الا من
بعد انقضاء وقت المهلة المعين اذا لم يمكن خلوها
قبل هذا الميعاد . والمحلات التى تترك من الجيش
فتسلم الى الباب الأعلى كما هى فى حالها الآن .

الشرط الخامس : ثم ان مدينة مصر — ان أمكن
ذلك — يكون خلوها بعد أربعين يوما ، وأكثر
ما يكون بمدة خمسة وأربعين يوما من وقت امضاء
الشروط المذكورة .

الشرط السادس : انه لقد وقع الاتفاق صريحا
على أن الباب الأعلى يصرف كل اعتناء فى أن
الجيش الفرنساوى الموجود فى الجهة الغربية من
بحر النيل ، عندما تقصد التنحى بكامل ماله من
السلاح والعزائل لنحو معسكرهم ، لاتصير عليه
مشقة ولا تحاشى يتوشى عليه ... ان كان ذلك مما
يتعلق بشخص كل واحد منهم أو بامتعه أو
بكراسه . وذلك إما من أهالى البلاد . وأما من
جهة العسكر السلطانى العثملى .

الشرط السابع : وحنظلا لانتهاء الشرط المذكور
أعلاه ، وملاحظة لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام
والمصادرة ، فلا بد عن استعمال الوسائط فى أن

الشرط الثاني عشر : وعند نزول الجيش
الفرنساوية المذكور ، الكائن بمصر الآن ، فالباب
الأعلى وباقي الممالك المتحدة معه يعاهدون بأجمعهم
أنهم : من وقت ينزلون بالمراكب الى حين وصولهم
الى أراضي فرنسا .. لا يحصل عليهم شيء قط مما
يكدرهم وبنظير ذلك فحضرة الجنرال كلهر سري
المسكر العام يعاهد من قبله — وصحبته الجيش
الفرنساوي الكائن بمصر — بأنه لا يصدر منهم ما
يؤول الى المعاداة على الاطلاق ما دامت المسدة
المذكورة ، وذلك لاضد العمارة ولا ضد بلدة من
بلدان الباب الأعلى وباقي الممالك المرتبطة معه .
وكذلك أن السفن التي يسافر بها الجيش المشار
اليه ليس لها أن ترى في حد من الحدود الا بتلك
التي تختص بأراضي فرنسا ما لم يكن ذلك في
حادث ما ضروري .

الشرط الثالث عشر : ونتيجة ما قد وقع الاتفاق
عليه من الامهال المشروط أعلاه بما يلاحظ خلو
الاقليم المصري ... فالحجرات الواقعة بينهم هذا
الاشتراط قد اتفقوا على أنه اذا حضر في حد هذه
المدة المذكورة مركب من بلاد فرنسا بدون معرفة
غلايين الممالك المتحدة ، ودخل بميناء اسكندرية ...
فلازم عن سفره حالا ، وذلك من بعد أن يكون قد
تحوج بالماء والزاد اللازم ، ويرجع الى فرنسا وذلك
بسندات أوراق الاذن من قبل الممالك المتحدة .
واذا صادف الأمر أن مركبا من هذه المراكب يحتاج
الى الترقية ، فهذه لاغير يباح لها الاقامة الى أن
ينتهي اصلاحها المذكور ، وفي الحال من ثم تتوجه
الى بلاد فرنسا ، نظير التي قد تقدم القول عنها ، عند
أول ربح يوافقها .

الشرط الرابع عشر : وقد يستطيع حضرة
الجنرال كلهر سري المسكر العام أن يرسل خبرا
الى أرباب الأحكام الفرنسية في الحال ، ومن

يصحب هذا الخبر لابد أن تعطى له أوراق الاذن
بالاطلاق كما يقتضى ، ليسجل بهذه الراسطة
وصول الخبر الى أصحاب الحكم في فرنسا .

الشرط الخامس عشر : وإذا قد اتضح أن
الجيش الفرنسي يحتاج الى المعاش اليومي
مادامت الثلاثة أشهر المعينة لخلو الاقليم المصري ،
وكذلك لمعاش الثلاثة الأشهر الأخرى التي يكون
مبتدأها من يوم نزولهم بالمراكب .. فقد وقع الاتفاق
على أنه يقدم له مقدار ما يلزمه من القمح واللحم
والأرز والشعير والتبن ، وذلك بموجب القائمة التي
تقدمت الآن من وكلاء الجمهور الفرنسي ، ان كان
ذلك مما يخص اقامتهم أو ما يلاحظ سفرهم ، والذي
يكون قد أخذه الجيش المذكور مقدار ما كان
من شئونه . وذلك من بعد امضاء هذه الشروط :
فينخسف مما قد لزم ذاته بتقدمته الباب الأعلى .

الشرط السادس عشر : ثم ان الجيش الفرنسي ،
منذ ابتداء وقوع امضاء هذه الشروط المذكورة ،
ليس له أن يفرد على البلاد فردية ما من الفرائد قطعاً
بالاقليم المصري ... لا ، بل وبالعكس فانه يخلو
للباب الأعلى كامل فرد المال وغيره مما يمكن توجيهه
قبضه ، وذلك الى حين سفرهم . وبمثل ذلك الجمال
والهجن والجبنخة والمدافع وغير ذلك مما يتعلق
بهم ولا يريدون أن يحملوه معهم ، ونظير ذلك شئون
الغلال الواردة لهم من تحت المال ، وأخيراً مخازن
الخرج .. فهذه كلها لابد عن الفحص عنها وتسعيها
من أناس وكلاء موجهين من قبل الباب الأعلى
لهذه الغاية ومن أمين البحر الانكليزي وبرفقة
الوكلاء المتصرفين بأمر الجنرال كلهر سري المسكر .
وهذه الأمتعة لابد عن قبولها من وكلاء الباب
الأعلى المتقدم ذكرهم بموجب ما وقع عليه السعر الى
حد قدر مبلغ ثلاثة آلاف كيس التي تقتضى للجيش
الفرنساوي المذكور لسهولة انتقاله عاجلاً ونزوله
بالمراكب . واذا كانت الأسعار في هذه الأمتعة

المختصة بالحمولة والموجودة في المين بالاقليم
المصرى ، مباح به ما دامت مدة الثلاثة أشهر
المذكورة المعينة للمهلة ، وذلك من دمياط ورشيد
حتى الى الاسكندرية ، ومن اسكندرية حتى الى
رشيد ودمياط .

الشرط العشرون : فمن حيث أنه للطمان الكلى
في جهات البلاد الغربية يقتضى الاحتراس
الكلى لمنع الوياء الطاعونى عن أنه يتصل
هناك .. فلا يباح ولا لشخص من المرضى ، أو من
أولئك الذين مشكوك بهم برائحة من هذا الداء
الطاعونى ، أن ينزل بالراكب . بل ان المرضى بعله
الطاعون أو بعله أخرى أينما كانت — تلك التى
بسبها لا يقتضى أن يسمح بسفرهم بمدة خلو
الاقليم المصرى الواقع عليها الاتفاق — يستمرون
في يمارستان المرضى حيث هم الآن تحت أمان
جناب الوزير الأعظم على الشأن ، ويعالجونهم
الأطباء من الفرنساوية .. أولئك الذين يجاورونهم
بالقرب منهم .. الى أن يتم شفاهم يسمح لهم
بالرحيل ... الشيء الذى لا بد عن اقتضاء الاستعجال
به بأسرع ما يمكن . ويحصل لهم ويبدو نحوهم
ما ذكر في الشرطين الحادى عشر والثانى عشر من
هذا الاتفاق نظير مايجرى على باقى الجيش .

ثم ان أمير الجيش الفرنساوى يئذل جهده في
إبراز الأوامر الأشد صرامة لرؤساء العساكر النازلة
بالراكب ألا يسمحوا لهم بالنزول بمينا خلاف
المين التى تتعين لهم من رؤساء الأطباء .. تلك
المين التى يتيسر لهم بها أن يقضوا أيام الكارنتينة
بأوفر السهولة من حيث أنها من مجرى العادة
ولا بد عنها .

الشرط الحادى والعشرون : فكل مايمكن
حدوئه من المشاكل التى تكون مجهولة ،
ولم يمكن الاطلاع عليها في هذه الشروط ،

المذكورة لا توازى المبلغ المرقوم أعلاه ، فالخسيس
والنفص في ذلك لا بد عن دفعه بالتمام من قبل الباب
الأعلى على جهة السلفة ... تلك التى يلزم بوفائها
أرباب الأحكام الفرنساوية بأوراق التسيكات
المدفوعة من الوكلاء المعينين من الجنرال كلهر سرى
العسكر العام لقبض واستلام المبلغ المذكور .

الشرط السابع عشر : ثم انه اذا كانت تقتضى
للجيش الفرنساوى بعض مصاريف لخلوهم مصر ،
فلا بد أن تقبض — وذلك من بعد تقرير تمسك
الشروط المذكورة — القدر المحدد أعلاه بالوجه الآتى
ذكره . أعنى : فمن بعد مضى خمسة عشر يوما خمسمائة
كيس ، وفي غلاق الثلاثين يوما خمسمائة كيس أخرى ،
وبتمام الأربعين يوما ثلثمائة كيس أخرى ، وعند
تمام الخمسين يوما ثلثمائة كيس شرحة ، وعند غلاق
الستين يوما ثلثمائة كيس أخرى ، وفي السبعين يوما
ثلثمائة كيس أخرى ، وعند تمام الثمانين يوما ثلثمائة
كيس أخرى ، وعند غلاق التسعين يوما خمسمائة كيس
أخرى . وكل هذه الأكياس المذكورة هى عن كل
كيس خمسمائة غرش عثملى . ويكون قبضها على سبيل
السلفة من يد الوكلاء المعينين لهذه الغاية من قبل
الباب الأعلى . ولكى يسهل اجراء العمل بما وقع
الاعتماد عليه ، فالباب الأعلى — من بعد وضع
الامضاء على النسختين من الفريقين — يوجه حالا
الوكلاء الى مدينة مصر والى بقية البلاد المستمر بها
الجيش .

الشرط الثامن عشر : ثم ان فرد المال الذى يكون
قد قبضه الفرنساوية من بعد تاريخ تحرير الشروط
المذكورة ، وقبل أن يكون قد اشتهر هذا الاتفاق في
الجهات المختلفة بالاقليم المصرى ، فقد تخصم من
قدر مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدم القول عنها .

الشرط التاسع عشر : ثم أنه لكى يسهل خلو
المحلات سريعاً فالنزول في المراكب الفرنساوية

فلا بد عن نجاحها بوجه الاستحباب ما بين الوكلاء المعينين لهذا القصد من قبل الجنب الوزير الأعظم على الشأن ، وحضرة الجنرال كلهبر سرى العسكر العام ... بوجه يسهل ويحصل الاسراع بالخلو .

الشرط الثانى والعشرون : وهذه الشروط لاتعد صحيحة الا من بعد اقرار الفريقين وتبديل النسخ ، وذلك بمدة ثمانية أيام . ومن بعد حصول هذا الاقرار لابد عن حفظ هذه الشروط الحفظ اليقين من الفريقين كليهما .

صح وثبت وتقرر بمختوماتنا الخاصة بنا بالمعسكر حيث وقعت المداولة بحد العرش فى شهر بلويوز سنة ثمان من اقامة المشيخة الفرنساوية . وفى رابع عشرين شهر كانون الثانى عربى من سنة ألف وثمانمائة — الواقع فى ثامن عشرين شهر شعبان هلالية سنة أربعة عشر ومائتين وألف هجرية .

المضيين : الجنرال متفرقة دزه البلدى . وبوسيهلغ : المفوضين بكامل سلطانه الجنرال كلهبر . وجناب سامى مقام مصطفى رشيد أفندى دفتردار ، ومصطفى راسيسه أفندى رئيس الكتاب : المفوضين بكامل سلطان جناب الوزير الأعظم على الشأن . منقولة عن النسخة الأصلية الموافقة لتلك الموجهة بالفرنساوية الى الوكلاء العثملى بدلا من التى قد وجهوها باللغة التركية .. مضى دزه وبوسيهلغ .

تقرير الجنرال سرى العسكر العام ، محرز فى آخر السنة التركية التى بقيت محفوظة بيد الوزير الأعظم :

اتنى أنا الواضع اسمى أدناه الجنرال سرى العسكر العام أمير الجيش الفرنساوى بالاقليم المصرى ... أثبت وأقر شروط الاتفاق المذكور أعلاه للحصول على اجرائه بالعمل بالنوع والصورة ، ان كان من اللازم أن أتيقن بأن الاثنين وعشرين

شرطا المشروحة الى الآن ، هى موافقة على التدقيق باللغة الفرنساوية المضى عليها من الوكلاء أصحاب ولاية الوزير الأعظم ، والمقررة من جناب على الشأن .. الترجمة التى لابد عن الاعتماد باجرائها كل مرة أن كان لسبب أم لآخر يمكن حصول بعض الاختلافات ، ومن ثم فتقلد بعض المشاكل ، صح وجرى بمحل العسكر العام بالصالحية فى ثامن شهر بلويوز سنة ثمان من المشيخة .. مضى كلهبر عن نسخة صحيحة الجنرال متفرقة رأس صاحب ختام فى الجيش الفرنساوى . مضى داماس .

اتمى بحروفه . وما فيه من خطأ أو تحريف ، فهو طبق الأصل المطبوع بالمطبعة الفرنساوية باللغة العربية . ولم أغير منه سوى ما فى تواريخ الأشهر والسنين بالأرقام الهندية . والله أعلم .

رمضان

٢- منه (٢٨ يناير ١٨٠٠ م) :

حضر سارى عسكر الفرنساوية كليبر الى ناحية العادلية ، وصحبته أغا من رجال الدولة العثمانية يسمى محمد أغا ، فأرسل سارى عسكر الى حسن أغا بخاتى المحتسب يأمره بأن يتلقاه وينزله فى بيته ويكرمه اكراما زائدا . فلما كان بعد العشاء دخل ذلك الأغا الى مصر فى موكب ، فحصل للناس ضجة عظيمة ، وازدحموا على مشاهدتهم له والفرجة عليه ، وارتفعت أصواتهم ، وعلا ضجيجهم وركبوا على مصاطب الدكاكين والسقائف ، وانطلقت النساء بالزغاريد من الطيقان ، واختلفت آراؤهم فى ذلك القادم ، ولم يعلموا من هو . فدخل من باب النصر وشق القاهرة ولم يزل سائرا حتى وصل الى بيت حسن أغا بسوقة اللالا فنزل هناك . فلما استقر به الجلوس ازدحم الناس والأعيان للسلام عليه ولمشاهدته بالمشاعل والقوائيس .

فلما كان صبح تلك الليلة عمل ديوانا وجمع



بيت عبد الرحمن كتخدا

العلماء والوجاقية وأعيان الناس وكبار النصارى من الاقباط والشوام . فلما تكاملوا أبرز لهم فرمانا من الوزير قرقى عليهم بالمجلس فدل مضمونه على أنه إغاث الحمارك أى المكوس بمصر وبولاق ومصر القديمة . وفيه التحكير على جميع الواردات من أصناف الأقوات فيشترىها بالثمن الذى يسره هو بمعرفة المحتسب ويودعه فى المخازن . وأبرز فرمانا آخر قرقى بالمجلس مضمونه : أن الوزير أقام مصطفى باشا ، الذى كان أسر بابى قير ، وكيل عنه وقائمقام بمصر الى حين حضوره ، وأن السيد أحمد المحروقى كبير التجار ملزوم ومقيد بتحصيل الثلاثة آلاف كيس المعينة لترحيل الفرنساوية . وانقض المجلس على ذلك . وأخذ السيد أحمد المحروقى فى تحصيل ذلك القدر من الناس ، وفرضوه على التجار وأهل الأسواق والحرف ، وشرعوا فى تحكير الأقوات .. فغلت أسعارها وضاعت مؤن الناس . ودهى الناس من أول أحكامهم بهاتين الداهيتين . وكان أول قادم منهم أمير المكوسات ومحكر الأقوات ، وأول مطلوبهم مصادرة الناس وأخذ المال منهم وتغريمهم واجتهد السيد أحمد المحروقى فى توزيع ذلك وجمعه فى أيام قليلة .

فكان كل من توجه عليه مقدار من ذلك اجتهد فى تحصيله ، وأخرجه عن طيب قلب وانشراح خاطر ، وبادر بالدفع من غير تأخير لعلمه أن ذلك لترحيل الفرنساوية ، ويقول : سنة مباركة . ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة ! كل ذلك بمشاهدة الفرنسيين ومسمعهم وهم يحقدون ذلك عليهم .

وحضر مصطفى باشا من الجيزة وسكن بيت عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين وأرسل الوزير فرمانات الى البلاد وعين المعينين والمباشرين بطلب المال والغلال والكلف من الأقاليم وأرسل الى لينادر وجعل فى كل بندر أميرا ووكيلا لجمع

الغلال والمطلوبات من الذخيرة وجمعها بالحواصل . ولا يخفى ما يحصل فى ضمن ذلك من الجزئيات التى سيتضح بعضها فيما بعد .

وأما الرعايا وهمج الناس من أهل مصر فانهم استولى عليهم سلطان الغفلة ونظروا للفرنسيين بعين الاحتقار وأنزلوهم عن درجة الاعتبار وكشفوا نقاب الحياء معهم بالكلية وتناولوا عليهم بالسب واللعن والسخره . ولم يفكروا فى عواقب الأمور ، ولم يتركوا معهم للصلح مكانا حتى أن فقهاء المكاتب كانوا يجمعون الأطفال ، ويمشون بهم فرقا وطوائف حسبة ، وهم يجهرون ويقولون كلاما مقفى بأعلى أصواتهم بلعن النصارى وأعوانهم وأفراد رؤسائهم ! كقولهم « الله ينصر

ابراهيم بيك وخلع عليهما ورجع مراد بيك فخيم
جهة العادلية وحضر حسن آغا نزلة أمين ودخل
مصر .

وأخلى الفرنساوية قلعة الجبل وباقي القلاع
التي أحتلوها ونزلوا منها فلم يطلع اليها أحد من
العثمانيين ولم يلتفتوا لتحصينها ولا ربطها بالعساكر
والجيشانة وأعرضوا عن المحاذرة ، وركبهم الغرور
لأجل نفاذ المقدور ا

وحضر أيضا غالب المصريين الفارين من مصر
وقت مجيء الفرنساوية اليها من الأغوات والوجاقية
والأنندية والكتبة مثل ابراهيم أفندي الروزناجي
وثاني قلعة وغيرهما بنسائهم وأولادهم ، نظنود
فروغ القضية . والذي خافوا منه وقعوا فيه كما
ستراه .

وأرسل ابراهيم بيك الى السيد أحمد المحروقي
يطلب كساوى وثيابا وطرايش وسراويل للممالك
ولخاصة نفسه . فأرسل اليه مطلوبه وأخرجت لهم
الخيام والتراتب والنظام . وهيات نساء الأمراء
والأجناد احتياجاتهم وترتيباتهم وجروا على عادتهم
في التعالى ، ولازمت الخدم والفراشون العدو
والرواح الى خيم ساداتهم وهم راكبون البغال
والرهوانات والحير الفارعة وفي حجورهم تماثيل
السياب والبقيج المزركشة بالذهب والفضة . وكذلك
الخدم الذين يحملون الخوانات وطبالي الأطبحة



خيمة احد البكوات

السلطان ويهلك فرط الرمان » ونحو ذلك . وظنوا
فروغ القضية ولم يملكوا لأنفسهم صبرا حتى
تنقضى الأيام المشروطة . على أن ذلك لم يشر الا
الحقد والعداوة التي تأمسست في قلوب الفرنسيين ،
وأوجبت ما حصل بعد ذلك من وقموع العذاب
البئيس . كقول القائل :

أمور تضحك السفهاء منها

وييكى عندها الجبر الليب

وأيضا :

وكم ذا بمصر من المضحكات

ولكنه ضحك كالبكا

وقد قيل : « قاتل بجد والا فدع » .

وقال الشعبي من جملة كلام : « وصادفنا فتنة
لم يكن فيها بررة أقياء ، ولا فجرة أقوياء » .
وأخذ الفرنساوية في أهبة الرحيل ، وشرعوا في
مبيع أمتعتهم وما فضل عن سلاحهم ودوابهم ،
وسلموا غالب الثغور والقلاع ، كالصالحية وبلبيس
ودمياط والسويس

ثم أن العثمانيين تدرجوا في دخول مصر وصار
في كل يوم يدخل منهم جماعة بعد جماعة .
وأخذوا يشاركون الناس في صناعاتهم وحرفهم مثل
القهوجية والحمامية والخطاطين والمزينين وغيرهم ،
فاجتمع العامة وأصحاب الحرف الى مصطفى باشا
قائمقام وشكوا اليه فلم يلتفت لشكواهم لأن ذلك
من سنن عساكرهم وطرائقهم القبيحة .

وورد الخبر بوصول حضرة الوزير الى بلبيس
وصحبته الأمراء المصرية وأرسلوا الى مراد بيك
ومن معه بالحضور الى العرض فأجاب بالاعتذار
عن الحضور لأنه في الصعيد فلم يقبلوا عذره ،
فأكدوا عليه بالحضور ، فاستأذن الفرنساوية سرا ،
فأذنوا له في المقابلة وكان سفيره في ذلك عثمان
بيك البرديسى . ثم انه حضر وقابل الوزير بصحبة

والأطعمة وعليها الأغطية الحرير والوشى الملون وهم يتغنسون برفع أصواتهم ، ويتجاوبون بكلام ومسخريات ولعن للنصارى البلدية والفرنسيين برأى منهم ومسمع الى غير ذلك مما يحرك الحفاظ ويوغر الصدور .

ولما استقر الوزير بمدينة بلينس وذلك فى الثانى والعشرين من رمضان (١٧ فبراير) استأذن العلماء والتجار والأعيان المصرية مصطفى باشا فى التوجه للسلام فاستأذن ثم أذن لهم . فذهبوا أيضا الى سارى عسكر كليبر وامتاذنوه فأذن لهم أيضا . فذهبوا عند ذلك للسلام عليه فوصلوا الى لصوح باشا والى مصر وسلموا عليه وباتوا بوطاقه ، فلما وصلوا اليه ، واستقر بهم الجلوس ، سأل عن أسمائهم وكذلك عن التجار وأكابر النصارى . ثم خلع عليهم خلما وانصرفوا من عنده فطاقوا على أكابر الدولة بالعرضى وكذلك على الأمراء المصرية . ورجعوا الى مصر ، ودخلوها وعليهم تلك الخلع وصحبتهم قاضى العسكر وهو لابس قبوطا أسود .

ووصل لصوح باشا والأمراء الى جهة الخانكاه ثم الى المطرية .

وفيه : حضر درويش باشا والى الصعيد الى خارج القاهرة جهة الشيخ قمر فمكت أياما ثم توجه الى قبلى وصحبته نحو المائة نفر . وكذلك ذهبت طائفة الى السويس والى دمياط والمنصورة وانبثوا فى البلاد ودخلوا مصر شيئا فشيئا .

شمال

الثلاثاء ٧ منه (٤ مارس ١٨٠٠ م) :

وقعت حادثة بين عسكر الفرنساوية والعثمانية وهى أول الحوادث التى حصلت بينهم . وهى أن جماعة من عسكر العثمانية تشاجروا مع جماعة من عسكر الفرنساوية فقتل بينهم شخص فرنساوى

ووقعت فى الناس زعجة وكثرة وأغلقتا الحوائت وعسل العثمانية متاريس وتترسوا بها بثاحية الجمالية وما والاهما واجتمعوا هناك ووقع بينهم مناوشة قتل فيها أشخاص قليلة من الفريقين وكادت تكون فتنة وباتوا ليلتهم عازمين على الحرب فتوسطت بينهم كبراء العسكر فى تمهيد ذلك وأزالوا المتاريس وانكف الفريقان . وبحث مصطفى باشا عن آثار الفتنة وهم ستة أنفار فقتلهم وأرسلهم الى سارى عسكر الفرنساوية فلم يطب خاطره بذلك وقال : « لابد من خروج عسكرهم الى عرضيهم حتى تنقضى الأيام المشروطة . وإذا دخل منهم أحد الى المدينة ، لا يدخلون الا بطريقة وبدون سلاح » .

فعند ذلك أمر مصطفى باشا بخروج الداخلين من العساكر ، ولا يبقى منهم أحد . ووقف جماعة من الفرنساوية خارج باب النصر ، فاذا أراد أحد من العسكر أو من أعيان العثمانية الدخول الى المدينة ، فعند وصوله اليهم ينزل عندهم ، وينزع ماعليه من السلاح ويدخل وصحبته شخص أو شخصان موكلان به يشيان أمامه حتى يقضى شغله ويرجع فاذا وصل الى الفرنساوية الملائمين خارج البلد أعطوه سلاحه فيلبسه ويمضى الى أصحابه فكان هذا شأنهم .

الثلاثاء منتصفه (١٢ مارس ١٨٠٠ م) :

توجه جماعة من أعيان الفرنساوية الى الاسكندرية بمتاعهم وأثقالهم وفيهم دوجا قائمقام ودينه سارى عسكر الصعيد وبوسليك رئيس الكتاب ومدير الحدود . ولزل جماعة منهم الى البحر يريدون السفر الى بلادهم ، فتعرض لهم الانكليز يريدون معاكرتهم ، فأرسلوا الى سارى عسكر بمصر وعرفوه الحال فأرسل بذلك الى الوزير فأجابه بجواب لم يرتضه وأصبح زاحفا الى سطح .

والتشروا في تلك النواحي ولم يبق بداخل المدينة منهم الا من كان بداخل القلاع وأشخاص بيت الألفى بالأزبكية وبعض بيوت الأزبكية وغلب على ظن الناس أنهم يرزوا للرحيل

الاثنين ٢٠ منه (١٧ مارس ١٨٠٠ م) :

طلبوا مصطفى باشا وحسن آغا نزلة أمين .
فلما حضرا اليهم أرسلوهما للجيزة .

الخميس ٢٣ منه (٢٠ مارس ١٨٠٠ م) :

ركب ساري عسكر كليبر قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبته المدافع وآلات الحرب وقسم عساكره طواير ، فمنهم من توجه الى عرضى الوزير ، ومنهم من مال على جهة المطرية فضربوا عليهم . فلم يسمحهم الا الجلاء والفرار وتركوا خيامهم ووطاقهم وركب نصوح باشا ومن كان معه وطلبوا جهة مصر فتركهم الفرنساوية ، ولحقوا بالذاهبين من اخوانهم الى جهة العرضى بالخانكاه بعد أن نهبوا ما فى عرضى ناصف باشا من المتاع والأغنام . وسمروا أفواه المدافع وتركوها وساروا الى جهة العرضى ، فلما قاربوه أرسلوا الى الوزير يأمرونه بالرحيل بعد أربع ساعات فلم يسعه الا الارتحال ، والفرنساوية فى أثره ، وغالب عساكره مفرقون ومنتشرون فى البلاد والقرى والنواحي لجمع المال ومقررات الفرض وظلم الفقراء .

وأما أهل مصر فانهم لما سمعوا صوت المدافع كثر فيهم اللغط والقليل والقال ولم يدركوا حقيقة الحال . فهاجوا ورمحوا الى أطراف البلد وقتلوا أشخاصا من الفرنساوية صادفهم خارجين من البلد ليذهبوا الى أصحابهم ، وذهبت شزيمة من عامة أهل مصر فانتهبت الخشب وبعض ما وجدوه من نحاس وغيره حيث كان عرضى الفرنساوية .

وخرج السيد عمر أفندى تقيب الأشراف والسيد أحمد المحرقى وانضم اليهما أمراك خان

الخانكا ، وكان ذلك آخر أيام المهلة المتفق عليها فى دخول الوزير الى مصر وخروج الفرنساوية منها . فلما رأوا ذلك طلبوا ثمانية أيام أجله زيادة على أيام المهلة فأجيبوا الى ذلك . ووصل الأمراء المصرية وعرضى نصوح باشا وجملة من العساكر العثمانية الى ناحية المطرية ونصبوا خيامهم ووطاقهم هناك . ثم ان الفرنساوية جملوا الثمانية أيام المذكورة طرفا لجمع عساكرهم وطوائفهم من البلاد القبلية والبحرية . ونصبوا وطاقهم بساحل البحر متصلا بأطراف مصر ممتدا من مصر القديمة الى شبرا . وترددوا الى نواحي القلاع وهى لم يكن بها أحد وشرعوا واجتهدوا فى رد الجيخانة والذخيرة وآلات الحرب والبارود والجلل والمدافع والنب على العربات ليلا ونهارا والناس يتعجبون من ذلك . ومصطفى باشا قائمقام ومن معه يشاهدون ذلك ولا يقولون شيئا . والبعض يقول ان الوزير أرسل اليهم وأمرهم برد ذلك كما كان ، ونحو ذلك من الخرافات التى لا تروج على الفطن .

ويقال ان الفرنساوية أرسل اليهم بعض أصدقائهم من الانكليز وعرفوهم أن الوزير اتفق مع الانكليز على الاحاطة بالفرنساوية اذا صاروا بظاهر البحر . فلما حصل منهم معهم ماسبقت الاشارة اليه ، تحققوا ذلك وأرسلوا ليوسف باشا بذلك فلم يجيبهم بجواب شاف ، وعجل بالرحيل والقدوم الى ناحية مصر . وقد كان الفرنساوية عندما تراسلوا وترددوا جهة العرضى تفرسوا فى عرضى العثمانيين وعساكرهم وأوضاعهم وتحققوا حالهم وعلموا ضعفهم عن مقاومتهم ، فلما حصل ما ذكر تأهبوا للمقاومة والمحاربة وردوا آلاتهم الى القلاع . فلما تمموا أمر ذلك وحصنوا الجهات وأبقوا من أبقوه وقيدوه بها من عساكرهم واستوثقوا من ذلك ، خرجوا بأجمعهم الى ظاهر المدينة جهة قبة النصر

الخليلى والمغاربة الذين بمصر وكذلك حسين أغا
شنن أخو أيوب بيك الصغير وتبعهم كثير من عامة
أهل البلد وتجمعوا على التلول خارج باب النصر
وهابدى الكثير منهم النبايت والعصى والتليل معه
السلاح ، وكذلك تحزب كثير من طوائف العامة
والأوباش والحشرات ، وجعلوا يطوفون بالأزقة



فريق من الثوادر باحد شوارع القاهرة

وأطراف البلد ولهم صياح وضجيج ، وتجاوب
بكلمات يقفونها من اختراعاتهم وخرافاتهم ، وقاموا
على ساق وخرج الكثير منهم الى خارج البلدة على
تلك الصورة .

فلما تضحى النهار حضر بعض الأجناد
المصريين ودخلوا مصر وفيهم المجاريح وطق الناس
يسألونهم فلم يخبروهم بشئ لجهلهم أيضا حقيقة
الحال ثم لم يزل الحال كذلك الى أن دخل وقت
العصر فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان خارج

البلدة ولهم صياح وجلبة وخنهم ابراهيم بيك ، ثم
أخرى وخنهم سليم أغا ، ثم أخرى كذلك وخنهم
عثمان كخدا الدولة ، ثم نصوح باشا ومعه عدة
وافرة من عساكرهم وصحبته السيد عمر النقيب
والسيد أحمد المعروقى وحسن بيك الجداوى
وعثمان بيك المرادى وعثمان بيك الأشقر ، وعثمان
بيك الشراوى وعثمان أغا للخازندار ، وابراهيم
كخدا مراد بيك المعروف بالنارى .
وصحبته معاليكم وأتباعهم فدخلوا من باب
النصر وباب الفتوح ومروا على الجمالية حتى
وصلوا الى وكالة ذى الفقار ، فقال نصوح باشا
عند ذلك للعامة : اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم .
فعد ما سمعوا منه ذلك القول صاحوا وهاجوا
ورفعوا أصواتهم ، ومروا سرعين يقتلون من
يصادفونه من النصارى القبط والشوام وغيرهم
فذهبت طائفة الى حارات النصارى ويوتهم التى
بناحية بين الصورين وباب الشرية وجهة الموسيقى
فصاروا يكبسون الدور ويقتلون من يصادفونه من
الرجال والنساء والصبيان وينهبون ويأمرون حتى
اتصل ذلك بالمسلمين المجاورين لهم ، فتحزبت
النصارى واحترسوا وجمع كل منهم ما قدر عليه من
العسكر الفرساوى والأروام — وقد كانوا قبل
ذلك محترسين وعندهم الأسلحة والبارود والمقاتلون
لظنهم وقوع هذا الأمر — فوقع الحرب
بين الفريقين وصارت النصارى تقاتل وترمى
بالبندق والقرايين من طبقات الدور على المجتمعين
بالأزقة من العامة والعسكر ويحامون عن أنفسهم .
والآخرون يرمون من أسفل ويكبسون الدور
ويتسورون عليها . وبات نصوح باشا وكخدا
الدولة وابراهيم بيك وبعض من صناع مصر
والكشاف والأتباع وطوائف من العساكر بخط
الجمالية بوكالة ذى الفقار .
فلما أصبح الصباح أرسلوا الى المطرية

وأحضروا منها ثلاثة مدافع فوجدوها مسدودة
الفانية فعالجوها حتى فتحوها وقام ناصف باشا
وشمر عن ساعديه وشد وسطه ومشى وصحبه
الأمراء المحصرة على إقدامهم وجروا أمامهم الثلاثة
مدافع وسحبوها الى الأزبكية وضربوا منها على
بيت الألفى وكان به أشخاص مرابطون من عساكر
الفرنساوية فضربوهم أيضا بالمدافع والبنادق .
واستمر الحرب بين الفريقين الى آخر النهار .
فسكن الحرب وباتوا ننادون بالسهر .

وفي هذا اليوم وضع أهل مصر والعسكر
متاريس بالأطراف كلها وبجهة الأزبكية ، وشرعوا
في بناء بعض جهات السور ، واجتهدوا في تحصين
البلد بقدر الطاقة . وبات الناس في هذه الليلة خلف
المتاريس .

فلما أظلم الليل أطلق الفرنسيون المدافع
والنب على البلد من القلاع وولوا الضرب
بالخصوص على خط الجمالية لكون المعظم مجمعا
بها . فلما عاين ذلك الجميع أجمع رأى الكبراء
والرؤساء على الخروج من البلد في تلك الليلة
لعجزهم عن المقاومة وعدم آلات الحرب وعزة
الأقوات .. والقلاع بيد الفرنسيون ، ومصر لا يمكن
محاصرتها لاتساعها وكثرة أهلها وربما طال الحال
فلا يجدون الأقوات لأن غالب قوت أهلها يجلب
من قراها في كل يوم وربما امتنع وصول ذلك اذا
تجست الفتنة .

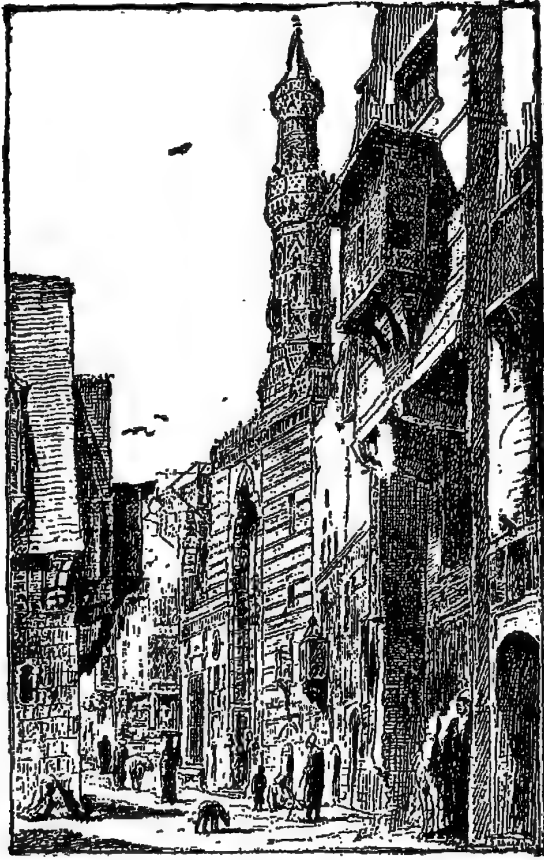
فاتفقوا على الخروج بالليل وتسامع الناس
بذلك ، فتجهز المعظم للخروج وغصت خطة الجمالية
وما والاها من الأخطاط بازدهام الناس الذين
يريدون الخروج من المدينة وركب بعضهم بعضا
وازدحمت تلك النواحي بالحير والبغال والخيول
والهجن والجمال المحملة بالأثقال وباتوا على تلك
الصنورة ووقع للناس في هذه الليلة من الكرب
والمشقة والازعاج والخوف ما لا يوصف .

وتسامع أهل خان الخليلي من الألدائيات وبعض
مغاربة الفحامين والغورية ذلك ، فجاءوا للجمالية ،
وشنعوا على من يريد الخروج ، وعضدهم طائفة
عساكر الإنكجيرية ، وعمدوا الى خيول الأمراء
فحبسوها ببيت القاضي والوكائل ، وأغلقوا باب
النصر . وبات في تلك الليلة معظم الناس على
مصاطب الحوائت ، وبعض الأعبان في بيوت
أصحابهم بالجمالية وفي أزقة الحارات أيضا . وكل
متهم بالخروج .

السبت ٢٥ منه (٢٢ مارس ١٨٠٠ م) :

في الصباح تهاى كبراء العساكر والعساكر
ومعظم أهل مصر ، ماعدا الضعف الذي لا قوة له
للحرب ، وذهب المعظم الى جهة الأزبكية ، وسكن
الكثير في البيوت الخالية ، والبعض خلف المتاريس ،
وأخذوا عدة مدافع زيادة عن الثلاثة المتقدمة وجدت
مدفونة في بعض بيوت الأمراء ، وأحضروا من
حوائت العطارين من المثقلات التي يزنون بها
البضائع ، من حديد وأحجار ، واستعملوها عوضا
عن الجبل للمدافع ، وصاروا يضربون بها بيت
سارى عسكر بالأزبكية . واستمر عثمان كتحدا
بوكمال ذى القنار بالجمالية . وكان كل من قبض
على نصراني أو يهودى أو فرنساوى ، أخذوه وذهب
به الى الجمالية حيث عثمان كتحدا ويأخذ عليه
البقيش فيجس البعض حتى يظهر أمره ، ويقتل
البعض ظلما . وربما قتل العامة من قتلوه ، وآتوا
برأسه لأجل البقيش ، كذلك كل من قطع رأسا
من رؤوس الفرنسيون يذهب بها اما لنصوح باشا
بالأزبكية ، واما لثمان كتحدا بالجمالية ويأخذ في
مقابلة ذلك الدراهم .

وبعد أيام أغلقوا باب القرافة وباب البرقة وباقي
الأبواب التي في أطرافه البلد ، وزاد الناس
في اصطناع المتاريس وفي الاحتراس . وجلس



جامع ازيك

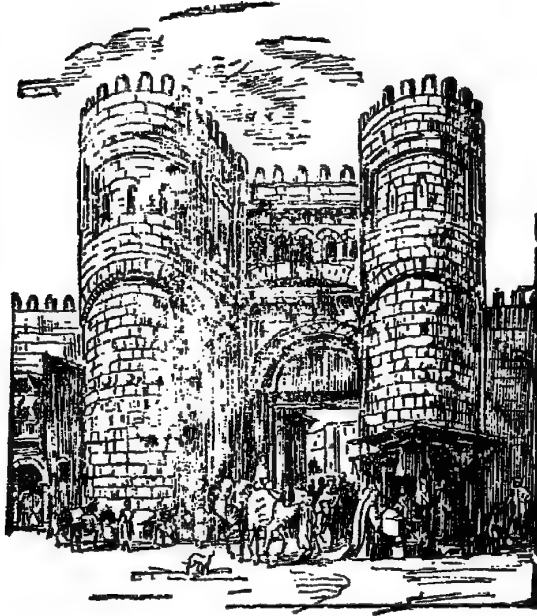
بجانبه والرجبة التي عند بيت القاضي من جهة
المشهد الحسيني واهتم لذلك اهتماما زائدا وأنفق
أموالا جمة ، وأرسلوا فأحضروا باقى المدافع الكائنة
بالمطرية فكانوا كلنا أدخلوا مدفعا أدخلوه بجمع
عظيم من الأوباش والحرافيش والأطفال ، ولهم
صياح ونباح وتجاوب بكلمات ، مثل قولهم : الله
ينصر السلطان ، وبهلك فرط الرمان ، وغير ذلك .

وحضر محمد بيك الألفى فى ثمانى يوم وقترس
بناحية السوق التي عند درب عبد الحق وعطفه
البيدق وصحبته طوائفه ومماليكه وأشخاص من
العثمانية ، وبذل الهمة ، وظهرت منه ومن مماليكه
شجاعة وكذلك كشافة ، وخصوصا اسماعيل كاشف
المعروف بأبى قطية — فانه لم يزل يحارب ويزحف

عثمان بيك الأشقر عند متاريس باب اللوق وناحية
المدابغ ، وعثمان بيك طبل عند متاريس الحجر ،
ومحمد بيك المبدول عند الشيخ ريحان ، ومحمد
كاشف أيوب وجماعة أيوب بيك الكبير والصغير
عند الناصرية ، ومصطفى بيك الكبير بقناطر الساع ،
وسليمان كاشف المحمودى عند سوق السلاح .
وأولاد القرافة والعامية ، وزعر الحسينية والعطوف
عند باب النصر مع طائفة من الينكجارية وباب
الحديد وباب القرافة ، وجماعة خان الخليلي والجمالية
عند باب البرقية المعروف بالغريب . وبالجملة كل من
كان فى حارة من أطراف البلد انضم الى العسكر
الذى بجهته بحيث صار جميع أهل مصر والعساكر
كلها واقفة بأطراف البلد عند الأبواب والمتاريس
والأسوار وبعض عساكر من العثمانية وما انضم
اليهم من أهل مصر المسلحين مكثت بالجمالية
اذا جاء صارخ من جهة من الجهات أمدوه بطائفة
من هؤلاء ، وصار جميع أهل مصر اما بالأزقة ليلا
ونهارا وهو من لا يمكنه القتال ، واما بالأطراف
وراء المتاريس وهو من عنده اقدام وتمكن من
الحرب ، ولم يتم أحد بيته سوى الضعيف والجبان
والخائف . وناصف باشا وابراهيم بيك وجماعتهم
وعسكر من الينكجارية والأرتوود والدلاة وغيرهم
جهة الأزبكية ناحية باب الهواء والرجبة الواسعة
التي عند جامع أزيك والعتبة الزرقاء . وأنشأ
عثمان كتحدا معملا للبارود بيت قائد أغا بخط
الخرقش ، وأحضر الفندجية والعريجية والحدادين
والسباكين لانشاء مدافع وبنبات واصلاح المدافع
التي وجدوها فى بعض البيوت وعمل العجل
والعربات والجلل وغير ذلك من المهمات ، وأحضروا لهم
ما يحتاجون اليه من الأخشاب وفروع الأشجار
والحديد وجمعوا الى ذلك الحدادين والتجارين
السباكين وأرباب الصنائع الذين يعرفون ذلك
فصار هذا كله يصنع ببيت القاضي والخان الذى

وأما الفرنساوية فانهم تحصنوا بالقلع المحيطة بالبلد وبيت الألفى وما والاها من البيوت الخاصة بهم ، وبيوت القبطة المجاورين لهم .

واستمر الناس بعد دخول الباشا والأمراء ومن معهم من العسكر الى مصر أياما قليلة وهم يدخلون ويخرجون من باب الفتوح وباب العدوى ، وأهل



باب الفتوح

الأرياف القريبة تأتى بالميرة والاحتياجات من السمن والجن واللبن والغلة والتبن والغنم فيبيعونه على أهل مصر ثم يرجعون الى بلادهم .

كل ذلك ولم يعلم أحد حقيقة حال الفرنساوية المتوجهين مع كبيرهم للحرب ، واختلفت الروايات والأخبار . وأما الوزير فانه لما ارتحل بالعرضي تخلف عنه بيليس جملة من العسكر . وأما عثمان بيك حسن وسليم بيك أبو دياب ومن معهما فانهما تقائلا مع الفرنساوية ثم رجعا الى بليس فحاصروا من بها . وكان عثمان بيك وسليم بيك وعلى باشا الطرابلسي وبعض وجاقلية خرجوا منها وذهبوا الى ناحية العرضي فحارب الفرنساوية من بليس من

حتى ملك ناحية رصيف الخشاب وبيت مراد بيك الذى أصله بيت حسن بيك الأزيكاوى وبيت أحمد أغا شويكار — وترس فيهما ، وحسن بيك الجداوى ترس بناحية الرويعي ، وزبما فارق متراسه في بعض الليالى لنصرة جهة أخرى . وحضر أيضا رجل مغربي يقال انه الذى كان يحارب الفرنسيين بجهة البحيرة سابقا . والتف عليه طائفة من المغاربة البلدية وجماعة من الحجازية ممن كان قدم صحبة الجيلاني . وفعل ذلك الرجل المغربي أمورا تنسكز عليه لأن غالب ما وقع من النهب وقتل من لا يجوز قتله ، يكون صدوره عنه . فكان تجسس على البيوت التى بها الفرنسيين والتصارى فيكبس عليهم ومعه جمع من العوام والعسكر فيقتلون من يجدونه منهم وينهبون الدار ويسحبون النساء ، ويسلبون ما عليهن من الحلى والثياب ، ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعا فيما على رأسها وشعرها من الذهب . وتتم الناس عورات بعضهم البعض ، وما دعتهم اليه حظوظ أنفسهم وحقدهم وضغائنهم .

واتهم الشيخ خليل البكرى بأنه يوالى الفرنسيين وارسل اليهم الأطمعة ، فهجم عليه طائفة من العسكر مع بعض أوباش العامة ، ونهبوا داره وسحبوه مع أولاده وحريمه وأحضروه الى الجمالية وهو ماش على أقدامه ورأسه مكشوفة ، وحصلت له اهانة بالغة وسمع من العامة كلاما مؤلما وشتما فلما مثلوه بين يدي عثمان كئخدا هاله ذلك واغتم غما شديدا ووعد به بخير وطيب خاطره ، وأخذ سيدى أحمد بن محمود محرم التاجر مع حريمه الى داره وأكرمهم وكساهم ، وأقاموا عنده حتى انقضت الحادثة . وباشر السيد أحمد المحروقي وباقي التجار ومساير الناس الكلف والنفقات والمآكل والمشارب ، وكذلك جمع أهل مصر كل انسان سمح بنفسه وبجميع مايملكه وأعان بعضهم بعضا وفعلوا ما في وسعهم وطاقتهم من المعونة .

الفرنسيس على الباشا والأمراء بالمطرية — وكان هو بناحية الجبل — ركب من ساعته هو ومن معه ومروا من سفح الجبل وذهب الى ناحية دير الطين ينتظر ما يحصل من الأمور ، وأقام مطمئنا على نفسه ، واعتزل الفريقين ، واستمر على صلحه مع فرنساوية . هذا حاصل خبر الشرقيين .

ولما تحقق الباشا والأمراء الذين انحصروا بمصر ذلك أخفوه بينهم وأشاعوا خلافه لئلا تنحل عزائم الناس عن القتال وتضعف نفوسهم . واستمر الباشا يظهر كتابة المراسلات وارسال السعاة في طلب النجدة والمعونة . وربما افتعلوا أجوبة فزوروها على الناس فتروج عليهم وتسرى في غفلتهم . ويقولون للناس في كل وقت : ان حضرة الصدر الأعظم مجتهد في محاربة الفرنسيين . وفي غد أو بعد غد يقوم بالعساكر والجنود بعد قطع العدو . وعند حضوره ووصوله يحصل تمام الفتح ، وتهبم العساكر القلاع ، وتقلبها على من يبقى من فرنساوية . وبعد ذلك ينظم البلاد ويريح العباد . واجتهدوا فيما آتم فيه . وتابعوا المناداة على الناس والعسكر باللسان العربي والتركي بالتحريض والاجتهاد والحرص على الصبر والقتال وملاقاة العدو ونحو ذلك .

ووصل طائفة من عسكر فرنساوية ، ورجعوا من عرضهم نجدة لأصحابهم الذين بمصر . فقتل بهم نفوس الكائنين بمصر ، ووقعت منهم طائفة خارج باب النصر وخارج باب الحسينية ، ونهبوا زاوية الدمرداش وما حولها كقبعة الغوري والمنيل . وحضر نحو خمسمائة من عسكر الأرثوود — وهم الذين كان الوزير وجههم الى القرى لقبض الكلف والقرص — فلما قربوا من مصر عارضهم عسكر فرنساوية الواقعة على التلول الخارجية ، فجماموا ودافعوا عن أنفسهم ، وخلصوا منهم ودخلوا الى مصر . وفرح الناس

العسكر ، ولم يكن لهم بهم طاقة ، فطلبوا الأمان فأمنوهم وأخذوا سلاحهم وأخرجوهم حيث شاءوا ، فذهبوا أشتاتا في الأرياف يتكفون الناس ويأوون الى المساجد الخربة ، ومات أكثرهم من العرى والجوع . ثم لما لحق عثمان بيك ومن معه بالعرض ناحية الصالحية تكلموا مع الوزير وأوجعوه بالكلام فاعتذر اليهم بأعذار منها : عدم الاستعداد للحرب وتركه معظم الجيخانة ، والمدافع الكبار بالعريش اتكالا على أمر الصلح الواقع بين الفريقين وظنه غفلة فرنساوية عما دبر عليهم مع الانكليز . فقال له عثمان بيك : « أرسل معنا العساكر وانتظرنا هنا » .

فخطب العسكر وبذل لهم الرغائب ، فامتنعوا ولم يمثل منهم الا المطيع والمتطوع ، وهم نحو الألف ، وعادوا على أثرهم وجمعوا منهم من كان مشتا ومتشرا في البلاد ورجعوا يريدون محاربة فرنساوية ، فنزلوا بوهدة بالقرب من القرين لكونهم نظروه في قلة من عسكره وعلمهم بقرب من ذكر منهم . فضاربوهم بالنباييت والحجارة ، وأصيب مرج ساري عسكر بنوت فانكسر وسقط ترجنانه الى الأرض ، وتسامع المسلمون فركبوا لنجدتهم واستصرخ فرنساوية عساكرهم فلاحقوا بهم . ووقع الحرب بين الفريقين حتى حال بينهما الليل فانكف الفريقان وانحاز كل فريق ناحية . فلما دخل الليل واشتد الظلام ، أحاط العسكر فرنساوي بعساكر المسلمين . فأصبح المسلمون ، وقد رأوا احاطة العسكر بهم من كل جانب ، فركبت الحيلة وتبعتهم المشاة واخترقوا تلك الدائرة وسلم منهم من سلم وعطب من عطب ورجعوا على أثرهم الى الصالحية . فبعد ذلك ارتحل الوزير ورجع الى الشام .

وأما مراد بيك فانه بمجرد ما عين هجسوم

واستعدوا للحرب والجهاد ، وقوى في رأسهم
العناد ، واستطالوا على من كان ساكنا ببولاق من
نصارى القبط والشوام ، فأوقفوا بهم بعض
النهب ، وربما قتل منهم أشخاص ..

هذا ما كان من أمر هؤلاء . وأما ما كان من أمر
سارى عسكر فرنساوية ومن معه .. فانه لما
استوثق بهزيمة الوزير ، وعدم عوده ونجاة نفسه
.. لم يزل خلفه حتى بعد عن الصالحية ، فأبقى بها
بعضا من عسكر الفرنسيين محافظين ، وكذلك
بالقرين وبليس ، ورجع الى مصر . وقد بلغت
الأخبار بما حصل من دخول ناصف باشا والأمراء
وقيام الرعية ، فلم يزل حتى وصل الى داره
بالأزبكية ، وأحاطت العساكر فرنساوية بالمدينة
وبولاق من خارج ، ومنعوا الداخل من الدخول
والخارج من الخروج .. وذلك بعد ثمانية أيام من
ابتداء الحركة ، وقطعوا الجبال عن البلدين ،
وأحاطوا بهما احاطة السوار بالمعصم . فكانت
جماعة من المفوضين لهم ، المحصورين داخل المدينة
— كبعض القبطه ونصارى الشوام وغيرهم —
يهربون اليهم ، ويتسلقون من الأسوار والحيطان
بحريهم وأولادهم .

فمعد ذلك اشتد الحرب ، وعظم الكرب .
وأكثروا من الرمي المتتابع بالمكاحل والمدافع ،
وأكثروا وأوصلوا وقع القناير والبنبات ، من أعالي
التلؤل والقلعات ، خصوصا البنبات الكبار ، على
الدوام والاستمرار ، آتاء الليل وأطراف النهار ..
في القتل والبكور والأسحار .

وعدمت الأقوات ، وغلت أسعار المبيعات ،
وعزت المأكولات ، وقعدت الحبوب والغلات ،
وارتفع وجود الخبز من الأسواق ، وامتنع
الطوافون به على الأطباق . وسارت العساكر
الذين مع الناس في البلد يخطفون ما يجدونه
بأيدي الناس من المأكول والمشارب . وغلا سعر



مسجد السلطان الفورى

لقدومهم وضجت العامة بحضورهم ، واشتدت
قواهم ، ولفقوا أن يقولوا للناس ، اذا سئلوا ،
أنهم حاضرون مددا وسيأتي في أثرهم عشرون ألفا
وعليهم كبير ، ونحو ذلك .

وأما بولاق فانهما قامت على ساق واحدة وتحزم
الحاج مصطفى البشتيلي وأمثاله وهيجوا العامة ،
وهيئوا عصيهم وأسلحتهم ورمحوا وصفحوا .
وأول ما بدأوا به أنهم ذهبوا الى وطاق الفرنسيين
الذى تركوه بساحل البحر ، وعنده حرسية منهم ،
فقتلوا من أدركوه منهم ونهبوا جميع ما فيه من خيام
ومتاع وغيره ، ورجعوا الى البلد ، وفتحوا مخازن
الغلال والودائع التى للفرنساوية وأخذوا ما أحبوا
منها ، وعملوا كرانك حوالى البلد ومتاريس .

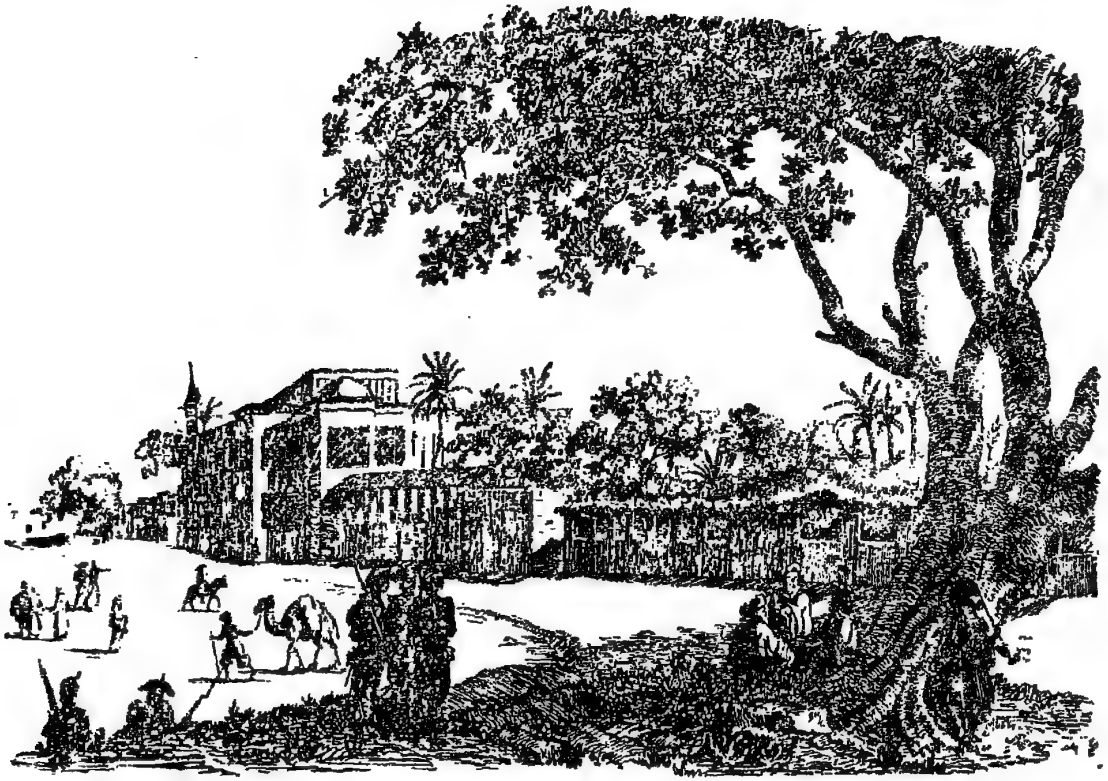


ثورة القاهرة

هذا والمناداة في كل وقت بالعربي والتركي
على الناس بالجهاد والمحافظة على المتاريس .
وانهم مصطفى أغا مستحفظان بمولاته الفرنسية
وأنة عنده في نيته جماعة من الفرنسيين فهجمت
العساكر على داره بدرج الحجر . فوجدوا أنفارا
قليلة من الفرنسيين ، فقاتلوا وحاموا عن أنفسهم
وقتل منهم البعض ، وهرب البعض على حمية ،
حتى خلصوا الى الناصرية . وأما الأغا فانهم قبضوا
عليه ، وأحضروه بين يدي عثمان كتحدا ، ثم تسلمه
الانكشارية وخنقوه ليلا بالوكالة التي عند باب
النصر ورموا جيفته على مزبلة خارج البلد . واستقر
عوضه شاهين كاشف الساكن بالخرقش ، فاجتهد
وشدد على الناس ، وكرر المناداة ، ومنعهم من
دخول الدور . وكل من وجده داخل داره مقتله
وضربه . فكان الناس يبيتون بالأزقة والأسواق ،
حتى الأمراء والأعيان ! وهلكت البهائم من
الجوع لعدم وجود العلف من التبن والقول
والشعير والدريس ... بحيث صار ينسادي

الماء المأخوذ من الآبار أو الأسبلة .. حتى بلغ
سعر القربة نفعا وستين صفا . وأما البحر
فلا تكاد يصل اليه أحد .

وتكفل التجار ، ومساير الناس والأعيان
بكلف العساكر المقيمين بالمتاريس المجاورة لهم .
فالزموا الشيخ السادات بكلفة الذي عند قناطر
الساع ، وهم مصطفى بيك ومن معه من العساكر .
وأما أكابر القبط — مثل جرجس الجوهري
وفتيوس ومالطى — فانهم طلبوا الأمان من المتكلمين
من المسلمين .. لكونهم انحصروا في دورهم ، وهم
في وسطهم ، وخافوا على هب دورهم اذا خرجوا
فارين . فأرسلوا اليهم الأمان . فحضرُوا وقابلوا
الباشا والكتخدا والأمراء ، وأعانواهم بالمسال
واللوازم . وأما يعقوب فانه كرثك في داره بالدرب
الواسع جهة الرويعى ، واستعد استعدادا كبيرا
بالسلاح والعسكر المحاربين ، وتحصن بقلعته التي
كان شيدها بعد الواقعة الأولى فكان معظم حرب
حسن بيك الجداوى معه .



سرای الأزيكية

الخشاب والخطة المعروفة بالساکت بأجمعها ، الى
الرجة المقابلة لبيت الألفى ، سكن سارى عسكر
الفرنساوية ، وكذلك خطة القوالة بأسرها ، وكذلك
خطة الزويمى بالسباطين العظيمن ، وما فى ضمن
ذلك من البيوت الى حد حارة التصارى . وصارت
كلها تلالا وخرائب .. كأنها لم تكن مغنى صبايات ،
ولا مواطن أنس ونزاهات !

وفيهما يقول صديقنا العلامة ، والنحرير الفهامة ،
الشيخ حسن المطار حنظله الله :

وأما بركة الأزيكية فهى مسكن الأمراء ، وموطن
الرؤساء . قد أهدقت بها البساتين الوارفة الظلال ،
العديمة المثال . فترى الخضرة فى خلال تلك القصور
المبيضة ، كثياب سندس خضر على أنواب من فضة .
يوقد بها كثير من السرج والشموع ، فالأنس بها
غير مقطوع ولا ممنوع . وجبالها يدخل على القلب

على الحمار أو البغل ، المعدد الذى قيمته
ثلاثون ريالاً وأكثر ، بمائة نصف فضة ، أو ريال
واحد أو أقل ، ولا يوجد من يشتريه . وفى كل يوم
يتضاعف الحال ، وتعظم الأهوال .

وزحف المسلمون على جهة رصيف الخشاب ،
وترامى الفريقان بالمدافع والسيران حتى احترق
ما بينهم من الدور . وكان اسماعيل كاشف الألفى
تحصن بيت أحمد أغا شويكار الذى كان بيته ،
وقد كان فرنساوية جعلوا به لغماً بالبارود المدفون ،
فاشتعل ذلك اللغم ، ورفع ما فوقه من الأبنية
والناس ، وطاروا فى الهواء ، واحترقوا عن آخرهم ،
وفيهما اسماعيل كاشف المذكور . وانهدم جميع
ما هناك من الدور والمباني العظيمة والقصور المظلة
على البركة ، واحترق جميع البيوت التى من عند
بين المفارق بقرب جامع عثمان كتحدا ، الى رصيف

قلت : وقد جنت عليها أيدي الزمان ، وطوارق
الحدثان ، حتى تبدلت محاسنها ، وأقترت مساكنها .
وهكذا عقى سوء ما عملوا ، فتلك بيوتهم خاوية
بما ظلموا ..

وأرسلوا الى مراد بيك يطلبونه للحضور أو
يرسل الأمراء والأجناد التي عنده . فأرسل
يعتذر عن الحضور ، ويقول : « انه محافظ على
الجهة التي هو فيها » . فأرسلوا اليه بالاررسال
والاستكشاف عن أمر الوزير ، فأرسل يجبر أنه
أرسل هجانا الى الشرق من نحو عشرة أيام ، والى
الآن لم يحضر ، وأن الفرنسيين اذا ظفروا
بالعثمانية لا يقتلونهم ولا يضربونهم ، وأتم كذلك
معهم فاقبلوا نصحي ، واطلبوا الصلح معهم ،
واخرجوا سالمين . فلما بلغهم تلك الرسالة ، حنق
حسن بيك الجداوى وعثمان بيك الأشقر وغيرهم ،
وسفهوا رأيه ، وقالوا : كيف يصح هذا الأمر ،
وقد دخلنا الى البلد وملكناهها ، فكيف نخرج منها
طائعين ؟! ونحو ذلك . هذا مما لا يكون أبدا .
فأشار ابراهيم بيك بروجوع البرديسي ، وصحبته
عثمان بيك الأشقر ، ليقول الأشقر لمراد بيك
ما يقوله . فلما اجتمع به ورجع .. لم يرجع على
ما كان عليه حال ذهابه ، وفترت همته ، وجنح
لرأى مراد بيك .

وامتدح الحال على ما هو عليه من اشتعال
نيران الحرب ، وشدة البلاء والكرب ، ووقوع
البنيات على الدور والمساكن من القلاع ، والهدم
والحرق ، وصراخ النساء من البيوت والصغار
من الخوف والجزع والهلع .. مع القحط وفقده
المأكلي والمشارب ، وغلق الخوانيت والطواوين
والمخابز ، ووقوف جال الناس من البيع والشراء ،
وتفليس الناس ، وعدم وجدان ما يفتقونه ، ان
وجدوا شيئا !

السرور ، ويذهل العقل حتى كأنه من النشوة
مخمور . ولطالما مضت لى بالمسرة فيها أيام وليال ،
هن في سبط الأيام من يتيم اللالى . وأنا أنظر الى
انطباع صورة البدر في وجنتها ، وفيضان لجين
نوره على حافاتنا وساحاتها . والنسيم بأذيال ثوب
مائها الفضى لعاب ، وقد سل على حافاتنا من تلاعب
لامواج كل قرضاب . وقام على منابر ارواحها في
ساحة أفراحها مغردات الطيور ، وجالبات السرور
.. فلنذ العيش بها موصول ، وفيها أقول :

بالأزبكية طابت لى مسرات
ولذ لى من بديع الأنس أوقات
حيث الميهام بها والفلك سابعة
كأنها الزهر تحويها السموات
يقد أدير بها دور مشيدة
كأنها لبدر الحسن هالات
مدت عليها الروابي خضر مندسها
وغردت فى نواحيها الحمامات
والماء حين سرى رطب النسيم به
وحل فيه من الأدواح زهرات
كسابغات دروع فوقها تقط
من فضة .. واحترار الورد طعنات
مراتع لقلب الترك ساحتها
وللأسود بها فيهن غيظتات
وللنديم بها عيش تجدده
أيدي الزمان ، ولا تخشى جنابات
يروح منها صريح العقل حين يري
على محاسنها دارت زجاجات
وللرفاق بها جسم ومفترق
ليسا غدت وهي للنسيان حانات

بعض العثمانية بطرفون مع أتباع الشرطة ، وينادون باللغة التركية مثل ذلك .

وجرى على الناس ما لا يسطر في كتاب ، ولم يكن لأحد في حساب ، ولا يمكن الوقوف على كلياته فضلا عن جزئياته ... منها : عدم النوم ليلا ونهارا ، وعدم الطمأنينة ، وغلو الأقوات ، وفقد الكثير منها — خصوصا الأدهان — وتوقع الهلاك كل لحظة ، والتكليف بما لا يطاق ، ومغالبة الجهلاء على العقلاء ، وتطاول السفهاء على الرؤساء ، وتهور العامة ، ولغو الحرافيش وغير ذلك مما لا يمكن حصره . ولم يزل الحال على هذا المنوال الى نحو عشرة أيام .

كل هذا والرسل من قبل الفرنسيات ، وهم عثمان بيك البرديسي تارة ، ومصطفى كاشف ووستم تارة أخرى — والاثنان من أتباع مراد بيك — يترددون في شأن الصلح وخروج العساكر العثمانية من مصر ، والتهديد بحرقها وهدمها اذا لم يتم هذا الغرض . واستمروا على هذا العناد . ثم نصب الفرنسيات في وسط البركة فسطاطا لطيفا وأقاموا عليه علما وأبطلوا الرمي تلك الليلة ، وأرسلوا رسولا من قبلهم الى الباشا والكتخدا والأمراء يطلبون المشايخ يتكلمون معهم في شأن هذا الأمر فأرسلوا الشراوى والمهدى والسرمى والقيومي وغيرهم فلما وصلوا الى سارى عسكر وجلسوا ، خاطبهم على لسان الترجمان بما حاصله : أن سارى عسكر قد أمن أهل مصر أمانا شافيا ، وأن الباشا والكتخدا ومن معها من العساكر العثمانية يخرجون من مصر ويلحقون بالعرضى . وعلى الفرنسيات القيام بما يحتاجون اليه من المؤونة والذخيرة حتى يصلوا الى معسكرهم . وأما الأجناد المصرية الداخلة معهم فمن أراد منهم المقام بمصر من المسالك والغز الداخلين معهم ، فليقم وله الاكرام . ومن أراد

واستتر ضرب المدافع والقناير والبنادق واليران ليلا ونهارا ، حتى كان الناس لا يهنا لهم نوم ولا راحة ، ولا جلوس لحظة لطيفة من الزمن . ومقامهم دائما أبدا بالأزقة والأسواق ، وكأنما على زرعوس الجميع الطير ! وأما النساء والصبان فمقامهم بأسفل الحواصل والعقودات تحت طباق الأبنية .. الى غير ذلك !

وفي أثناء ذلك فرضوا على الناس ، من أهل الأسواق وغيرهم ، مائة كيس ... فردوها على بعض الناس ، كالسادات والصاوى . وصار مؤنة غالب الناس الأرز ويطحونه بالعسل وباللبن ، ويبيعون ذلك في طشوت وأوان بالأسواق .

وفي كل ساعة تهجم العساكر الفرنسية على جهة من الجهات ويحاربون الذين بها ويملكون منهم بعض المتاريس ، فيصيحون على بعضهم بالمناداة ويتسامع الناس ويصرخون على بعضهم البعض ويقولون : عليكم بالجهة الفلانية . الحقوا اخوانكم المسلمين ! فيرمحون الى تلك الخطة والمتاريس حتى يجلوهم عنها ، وينتقلون الى غيرها فيفعلون كذلك .

وكان المتحمل لغالب هذه المدافعات حسن بيك الجداوى . فانه كان عندما يبلغه زحف الفرنسيات على جهة من الجهات ، يبادر هو ومن معه للذهاب لنصرة تلك الجهة . ورأى الناس من اقدامه وأشجاعته وصبره على مجالدة العدو ، ليلا ونهارا ، لما ينبىء عن فضيلة نفس ، وقوة قلب ، ومسمو همة . وقل أن وقع حرب في جهة من الجهات الا وهو مدير رحاها ورئيس كماتها .

هذا والأغا والوالى يكررون المنادة ، وكذلك المشايخ والفقهاء والسيد أحمد المحرقى والسيد عمر النقيب .. يبرون كل وقت ، ويأمرون الناس بالقتال ، ويحرضونهم على الجهاد . وكذلك

الخروج فليخرج . والجرحى من العثماني يجرّدون من سلاحهم ، وإن كان يأخذه الكتخد فليأخذه ، وعلينا أن ندأويهم حتى يبرأوا . ومن أقام بعد البرء منهم فعلينا مؤنته . ومن أراد الخروج بعد برئه فليخرج ، وعلى أهل مصر الأمان فانهم رعيتنا . وتوافقوا على ذلك وتراضوا عليه .

ولما كان الغد وشاع أمر المواعدة واستفيض أمر الصلح على هذا ، قالوا لهم : « لأى شئ تفعلون هذا الفعل وهذه المحاربات ، والوزير بتاعكم ولى مهزوما ورجع هاربا ولا يمكن عوده فى هذا الحين الا أن يكون بعد ستة أشهر ؟ » . فاعتذروا له بأن هذا من فعل ناصف باشا وكتخد الدولة وابراهيم بينك ومن معهم ، فانهم هم الذين أثاروا الفتنة وهيجوا الرعايا ، ومنوا الناس الأمانى الكاذبة والعامة لا عقول لهم ! فقالوا لهم بعد كلام طويل : « قولوا لهم يتركون القتال ويخرجون فيلحقون بوزيرهم ، فانهم لا طاقة لهم على حربنا ، ويكونون سببا لهلاك الرعية وحرق البلدين مصر وبولاق » . فقالوا له : « نخشى أنهم اذا امتثلوا وجنحوا للمواعدة وخرجوا وذهبوا الى سارى عسكرهم ، تنقمون منا ومن الرعايا بعد ذلك » . فقالوا : « لا تفعل ذلك . فانهم اذا رضوا ومنعوا الحرب ، اجتمعنا معكم واباهم ، وعقدنا صلحا ولا نطالبكم بشئ . والذى قتل منا فى نظير الذى قتل منكم ، وزودناهم وأعطيناهم ، يحتاجون من خيل وجمال وأصحابنا معهم من يوصلهم الى مأماتهم من عسكرنا ، ولا نضر أحدا بعد ذلك » .

فلما رجع المشايخ بهذا الكلام ، وسمعه الانكشارية والناس .. قاموا عليهم ، وسبوهم وشتموهم ، وضربوا الشراوى والسرسي ، ورموا عمالهم وأسماهم قبيح الكلام وصاروا يقولون : « هؤلاء المشايخ لرتدوا وعملوا فرنسيس ومراهم

خذلان المسلمين وأنهم أخذوا دراهم من الفرنسيس » . وتكلم السفلة والفوغاء من أمثال هذا الفضول . وتشدد فى ذلك الرجل المغربى الملتف عليه أخلاط العالم ، ونادى من عند نفسه « الصلح منقوض وعليكم بالجهاد ومن تأخر عنه ضرب عنقه ! » .

وكان السادات بيت الصاوى فتحير ، واحتال بأن خرج وأمامه شخص ينادى بقوله : « الزموا المتاريس » ليقى بذلك نفسه من العامة .

ووافق ذلك أغراض العامة لعدم ادراكهم لعواقب الأمور فالتفوا عليه ، وتعضد كل بالآخر ، وان غرضه هو فى دوام الفتنة ، فان بها يتوصل لما يريد من النهب والسلب ، والتصور بصورة الامسار باجتماع الأوغاد عليه ، وتكفل الناس له بالأكل والمشرب هو ومن انضم اليه ، واشتطاط فى الماكل مع فقد الناس لأدون ما يؤكل .. حتى أنه كان اذا نزل جهة من جهات المدينة لاظهار أنه يريد المعونة أو الحرس ، فيقدمون له بالطعام فيقول : « لا آكل الا الفراخ ! » ويظهر أنه صائم . فيكلف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفت بتعنته ، فى هذه الشدة ، بطلب أفحش المأكولات وما هو مفقود . ثم هو مع ذلك لا يفتنى شيئا ، بل اذا دهم العدو تلك الجهة التى هو فيها . فارقتها وانتقل لغيرها وهكذا كان ديدنه وسبحه . ثم هو ليس ممن له فى مصر ما يخاف عليه من مسكن أو أهل أو مال أو غير ذلك . بل كما قيل « لا ناقتى فيها ولا جملى » . فاذا قدر ما قدر تخلص مع حزبه الى بعض الجهات والتحق بالريف أو غيره ، وحينئذ يكون كأحد الناس ، ويرجع لحالته الأولى ، وتبطل الهيئة الاجتماعية التى جعلها لجلب الدنيا فحما منصوبا ، ومحرق بها على سخاف العقول وأخفاء الأحلام !

وهكذا حال الفتن تكثر فيها الدجاجة . ولو أن

ولم يردوا عليهم جوابا ، بل ضربوا بالمدافع والبنادق . فأرسلوا أيضا رسلا يسألونهم عن الجواب الذى توجه به المشايخ . فأرسل اليهم الباشا والكتخدا يقولان لهم : « ان العساكر لم يرضوا بذلك ويقولون : لا نرجع عن حربهم حتى ننظر بهم أو نموت عن آخرنا . وليس فى قدرتنا قهرهم على الصلح » .

فأرسل الفرنساوية جواب ذلك فى ورقة يقولون فى ضمنها : « قد عجبنا من قولكم ان العساكر لم ترض بالصلح ! وكيف يكون الأمير أميرا على جيش ولا ينفذ أمره فيهم ؟ » ونحو ذلك . وأرسلوا أيضا رسولا الى أهل بولاق يطلبونهم للصلح وترك الحرب ويحذرونهم عاقبة ذلك . فلم يرضوا وصمموا على العناد . فكرروا عليهم المراسلة وهم لا يزدادون الا مخالفة وشغبا . فأرسلوا فى خامس مرة فرنساويا يقول : « أمان ، أمان — سوا ، سوا » وييده ورقة من سارى عسكر . فأنزلوه من على فرسه وقتلوه .

وظن كامل أهل مصر أنهم انما يطلبون صلحهم عن عجز وضعف وأشعلوا نيران القتال ، وجدوا فى الحرب من غير انفصال . والفرنساوية لم يقصروا كذلك وراسلوا رعى المدافع والقناير والبنادق المتكاثرة . وحضر الألفى الى عثمان كتخدا



بعض التوار باحد الشوارع

ليته محطه لخصوص الجهاد لكانت شواهد علانيته أظهر من نار على علم ، أو اقتحم — كغيره ممن سمعنا عنهم من المخلصين فى الجهاد وفى بيع أنفسهم فى مرضاة رب العباد — لظى الهيجاء ، ولم يتعنت على الفقراء ، ولم يجعل همته فى السلب مصروفة ، وحال سلوكه عند الناس ليست معروفة .

ومهما تكن عند امرئ من خليفة

— وان خالها تخفى على الناس — تعلم

وبالجملة ... فكان هذا الرجل سببا فى تهدم أغلب المنازل بالأزبكية ، ومن جملة مارميت به مصر من البلاء . وكان ممن ينادى به عليه حين أشيع أمر الصلح وتكلم به الأتشيخ : « الصلح منقوض . وعليكم بالجهاد ، ومن تأخر ضرب عنقه ! » . وهذا منه اقتيات وفضول ودخول فيما لا يعنى . حيث كان فى البلد مثل الباشا والكتخدا والأمراء المصرية . فما قدر هذا الأهوج حتى ينقض صلحا أو ييرمه ؟ وأي شئ يكون هو حتى ينادى أو ينصب نفسه بدون أن ينصبه أحد لذلك ؟ لكنها القتن يستنسر بها البغاث ، سيما عند هيجان العامة وثوران الرعاع والغوغاء ، اذ كان ذلك مما يوافق أغراضهم .

وذنب جرمه سفهاء قوم

وحل بغير جائيه العذاب

على أن المشايخ لم يأمرؤا بشئ ولم يذكروا صلحا ولا غيره ، انما بلغوا صورة المجلس الذى طلبوا لأجله لحضرة الكتخدا . فبمجرد ذلك قامت عليهم العامة هذا المقام ، وسبوهم وشتموهم بل وضربوهم ، وبعضهم رمسوا بعمامته الى الأرض وأسمعوهم قبيح الكلام ، وفعلوا معهم ما فعلوا وصاروا يقولون : « لولا أن الكفرة الملاعين تبين لهم القلب والعجز ما طلبوا المصالحة والموادة وأن بارودهم وذخيرتهم فرغت » ... ونحو ذلك من الظنون الفاسدة .

برأى ابتدعه ظن أن فيه الصواب وهو أن يرفعوا على هلالات المنارات أعلاما نهارا ، ويوقدون عليها القناديل ليلا ، ليرى ذلك العسكر القادم فيهتدى ويعلمون أن البلد بيد المسلمين وأنهم منضوون . وكذلك صنع معهم أهل بولاق وذلك لغلبة ظن الناس أن هناك عسكرا قادمين لنجدتهم . وظن أهل بولاق أن الباعث على ذلك نصرتهم . فصموا على ذلك للحرب ، واستمر هذا الحال بين الفريقين .

ذوالقعدة

الخميس ٢٢ منه (١٧ إبريل ١٨٠٠ م) : الموافق ١٠ برمودة القبطى وسادس نيسان الرومى :

غيبت السماء غيما كثيفا ، وأرعدت رعدا مزعجا عنيفا ، وأمطرت مطرا غزيرا ، وسيلت سيلا كثيرا . فسالت المياه فى الجهات ، وتوحدت جميع السكك والطرق . فاشتغل الناس بتجفيف المياه والأحوال ونظخت الأمراء والعساكر سراويلهم ومراكبيهم بالطين . والفرنساوية هجموا على مصر وبولاق من كل ناحية ولم يبالوا بالأمطار لأنهم فى خارج الأتية وهى لا تتأثر بالمياه كداخل الأبنية ، وعندهم الاستعداد والتحفظ والخفة فى ملابسهم وما على رؤوسهم . وكذلك أسلحتهم وعددهم وصنائعهم بخلاف المسلمين . فلما حصل ذلك اغتيموا الفرصة وهجموا على البلدين من كل ناحية وعملوا قتائل مغمسة بالزيت والقطران وكمكات غليظة ملونة على أعناقهم معمولة بالنفط والمياه المصنوعة المقطرة التى تشتعل ويقوى لهبها بالماء وكان معظم كهنتهم من ناحية باب الحديد وكوم أبى الريش وجهة بركة الرطلى وقنطرة الحاجب وجهة الحسينية والرميلة ، فكافوا يرمون المدافع والبنات من قلعة جامع الظاهر وقلعة قنطرة الليمون ، ويهجمون أيضا وأمامهم المدافع ، وطائفة خلفهم بواردية ، يقال لهم «السلطات» يرمون بالبندق المتتابع ، وطائفة بأيديهم

القتائل والكمكات المشتعلة بالنيران يلهبون بها السقائف وضرب الحوائت وشبابيك الدور ويحرقون على هذه الصورة شيئا فشيئا . والمسلمون أيضا بذلوا جهدهم وقاتلوا بشدة همتهم وعزمهم . وتحول الأغا وأكثر الناس الى تلك الجهة وزلزلوا فى ذلك اليوم والليلة زلزالا شديدا وهاجت العامة ، وصرخت النساء والصبيان ، ونطوا من الحيطان والنيران تأخذ المتوسطين بين الفئتين من كل جهة هذا والأمطار تسح حصاة من النهار وكذلك بالليل من ليلة الجمعة ، وكذلك الرعد والبرق . وعثمان بيك الأشقر الابراهيمى وعثمان بيك البرديس المرادى ومصطفى كاشف رستم يذهبون ويجيئون من الفرنسيين الى المسلمين ، ومن الفرنسيين اليهم . ويسعون فى الصلح بين الفريقين .

ثم انهم هجموا على بولاق من ناحية البحر ومن ناحية بوابة أبى العلا ، بالطريقة المذكور بعضها ، وقاتل أهل بولاق جهدهم ورموا بأنفسهم فى النيران حتى غلب الفرنسيين عليهم وحسروهم من كل جهة وقتلوا منهم بالحرق والقتل وبلوا بالنهب والسلب . وملكوا بولاق وفعلوا بأهلها ما يشيب من هول النواصي وصارت القتلى مطروحة فى الطرقات والأزقة ، واحترقت الأبنية والدور والقصور . . وخصوصا البيوت والرباع المطلة على البحر وكذلك الأطراف . وهرب كثير من الناس عندما أيقنوا بالغلبة فنجوا بأنفسهم الى الجهة القبلىة . ثم أحاطوا بالبلد ومنعوا من يخرج منها ، واستولوا على الخانات والوكائل والحواصل والودائع والبضائع وملكوا الدور وما بها من الأمتعة والأموال والنساء والخوندات والصبيان والبنات ومخازن الغلال والسكر والكتان والقطن والأبازير والأرز والأدهان والأصناف العطرية ، وما لا تسعه السطور ولا يحيط به كتاب ولا منشور . والذى وجدوه منعكفا فى داره أو طيقتة ولم يقاتل

ولم يجدوا عنده سلاحا نهبا متاعه وعروه من ثيابه
ومضوا وتركوه حيا وأصبح من بقى من ضحفاء
أهل بولاق وأهلها وأعيانها الذين لم يقاتلوا فقراء
لا يملكون ما يستر عوراتهم .

الجمعة ٢٣ منه (١٨ أبريل ١٨٠٠ م) :

كان محمد الطويل كاتب الفرنساوية أخذ منهم
أمانا لنفسه وأوهم أصحابه أنه يخارب معهم . وفي
وقت هجوم العساكر انفضل اليهم واختفى البشتيلي
فدلوا عليه وقبضوا على وكيله وعلى الرؤساء
فحبسوا البشتيلي بالقلعة والباقي بيت ساري
عسكر ، وضيقوا عليهم حتى منعهم البول .
وفي اليوم الثالث أطلقوهم وجمعوا عصبة البشتيلي
من العامة وسلموهم البشتيلي وأمرهم أن يقتلوه
بأيديهم لدعواهم أنه هو الذي كان يحرك الفتنة
وينتهم الصلح وأنه كاتب عثمان كتحدا بمكتوب
قال فيه : « ان الكلب دعانا للصلح فأينا منه »
وأرسله مع رجل ليوصله الى الكتحدا فوقع في يد
ساري عسكر كليبر فحركه ذلك على أخذ بولاق
وفعله فيها الذي فعله ، وقوبل على ذلك بأن أسلم
الى عصبته وأمره أن يطوفوا به البلد ثم يقتلوه .
ففعلوا ذلك وقتلوه بالنبات . وألزم أهل بولاق
بأن يرتبوا دوانا لفصل الأحكام وقيدوا فيه
تسعة من رؤسائهم ، ثم بعد مضي يومين ألزموا
بغرامة مائتي ألف ريال . وأما المدينة فلم يزل الحال
بها على النسق المتقدم من الحرب والكرب والنهب
والسلب .

الاثنين ٢٦ منه (٢١ أبريل ١٨٠٠ م) :

ضاق خناق الناس من استمرار الاثرعاج
والحريق والسهرة وعدم الراحة لحظة من الليل
والنهار مع ما هم فيه من عدم الثبوت ، حتى هلك
الناس وخصوصا الفقراء والدواب ، وايداء عسكر

العثماني للرعية وخطفهم ما يجدونه معهم ، حتى
تمنوا زوالهم ورجوع الفرنسيين على حالتهم التي
كانوا عليها .

والحال كل وقت في الزيادة ، وأمر المسلمين في
ضعف لعدم الميرة والمدد . والفرنساوية بالعكس
وفي كل يوم يزحفون الى قدام والمسلمون الى وراء
فدخلوا من ناحية باب الحديد وناحية كوم أبي
الرش وقنطرة الحاجب وتلك النواحي وهم يحرقون
بالقتال والنيران الموقدة ، ويملكون المتاريس الى
أن وصلوا من ناحية قنطرة الخروبي وناحية باب
الحديد الى قرب باب الشعيرة . وكان شاهين أغا
هناك عند المتاريس فأصابته جراحة قدام من مكانه
ورجع القهقري فعند رجوعه وقعت الهزيمة ، ورجع
الناس بدوسون بعضهم البعض ، وملك الفرنساوية
كوم أبي الرش ، وصاروا يحاربون من كوم أبي
الرش وهم في العلو والمسلمون أسفل منهم . وكان
المحروقي زور كتابا على لسان الوزير وجاء به
رجل يقول : انه رسول الوزير ، وأنه اختفى في طريق
خفية ونط من السور ، وأن الوزير يقدم بعد يومين
أو ثلاثة ، وأنه تركه بالصالحية . وأن ذلك كذب
لا أصل له وأن يكتب جوابا عن فرمان كتبه على
لسان المشايخ والتجار وأرسلوه الى الوزير في أثناء
الواقعة .

هذا والبرديسي ومصطفى كاشف والأشقر
يسعون في أمر الصلح الى أن تموه على كف
الحرب ، وأن الفرنساوية نهلون العثمانية والأمراء
ثلاثة أيام حتى يقضوا أشغالهم ويذهبوا حيث أتوا ،
وجعلوا الخليج حدا بين الفريقين لا يتعدى أحد من
الفريقين بحر الخليج الآخر وأبطلوا الحرب وأخذوا
النيران وتركوا القتال ، وأخذ العثمانية والأمراء
والعسكر في أهبة الرحيل وقضاء أشغالهم وزودهم
الفرنساوية وأعطوهم دراهم وجبالا وغير ذلك ،

السادات بجواب عن لسان عثمان كتخدا الدولة
فكتب له الشيخ فذكره صورتها :

« حسينا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم
النصير ، وما هي من الظالمين ببيعد .

ظننت أنك عدتي أسطو بها
ويدي اذا اشتد الزمان وساعدي

فرميت منك بغير ما أملت

والمرء يشرق بالزلال البارد

أما بعد ، فقد نقضت عهدي ، وتركت مودة آل
بيت جدى ، وأطعت الظلمة السفلة ، وامثلت أمر
المارقين النفلة ، فأعنتهم على البغى والجور ، وسارعت
في تنجيز مرامهم الفاسد على الفور من الزامكم
الكبير والصغير ، والغنى والفقر ، اطعام عسكركم
الذى أوقع بالمؤمنين الذل والمضرات ، وبلغ في النهب
والفساد غاية النفايات ، فكان جهادهم في أماكن

الموبقات والملاهى حتى نزل بالمسلمين أعظم المصائب
والدواهى ، فاستحكم الدمار والخراب ، ومنعت
الأقوات واقطعت الأسباب . فبذلك كان عسكركم
مخدولا ، وبهم عم الحريق كل بيت كان بالخير
مشمولا .. كيف لا ! وأكابركم أضمرت السوء
للرترقة في تضيق معاشهم وأخذ مرتباتهم واتلاف
ما بأيديهم من أرزاقهم وتعلقاتهم ، وقد أخفتم أهل
البلد بعد أمنها وأشعلتم نار الفتنة بعد طفتها ، ثم
فررتهم فرار الفيران من السنور ، وتركتم الضعفاء

متوقعين أشنع الأمور .. فواغوثا ! واغوثا !
أغثنا ياغيث المستغيثين ، واحكم بذلك يا أحكم
الحاكمين ، وانصرنا واتصر لنا فائنا عيبك
الضعفاء المظلومون يا أرحم الراحمين ! » .

وكسبوا بقصد الصلح فرمانا مضمونه : « أنهم يعوقون
عندهم عثمان بيك البردسى وعثمان بيك الأشقر
ويرسلون ثلاثة أتقار من أعيانهم يكونون بصحبة
عثمان كتخدا حتى يصل الى الصالحية وأن يوصلهم
سارى عسكر داماس بثلاثمائة من العسكر خوفا
عليهم من العسرب ، وأن من جاء منهم من جهة
يرجع اليها ، ومن أراد الخروج من أهل
مصر معكم فليخرج ، ما عدا عثمان بيك
الأشقر ، فانه اذا رجع الثلاثة مع الفرنسية
يذهب مع البردسى الى مراد بيك بالصعيد » .
وأرسلوا الثلاثة المذكورين الى وكالة ذى الفقار
بالجمالية ، وأجلسوهم بمسجد الجمالى صحبة
نصوح باشا .

فهاجت العامة ، وراموا قتلهم ، وهما بقتل
عثمان كتخدا ، فأغلق دويهم باب الخان ومنع
نصوح باشا للعامة من الهجوم على المسجد ، وركب
المغربى فتوجه الى الحسينية وطلب محاربة الفرنسيين
فحضر أهل الحسينية الى عثمان كتخدا يستأذنون
في موافقة ذلك المغربى أو منعه ، فأمر بمنعه وكفهم
عن القتال . وركب المحروقى عند ذلك ومر بسوق
الحطب وقدامه المناداة بأن لاصلح ولزوم المتأريس
فمنعه نزلة أمين ، ثم فتح باب الوكالة وخرج منها
عسكر بالعصى فهاجوا فى العامة ، ففروا وسكن
البحال .

وقد كان لما حصل ما تقدم من نقض الصلح ،
ودخول العثمانية وعساكرهم الى المدينة ، ووقع
ما تقدم وكلفوا الناس الأمور الغير اللائقة .. حضر
السيد أحمد المحروقى الى الشيخ أبى الأنوار

ذو الحجة

قوته (٢٦ إبريل ١٨٠٠ م) :

فيه خرج العثمانية وعساكرهم ، وإبراهيم بيك وأمرأؤه ومماليكه والألقى وأجناده ومعهم السيد عمر مكرم النقيب ، والسيد أحمد المحروقي الشاهبندر . وكثيرون من أهل مصر ركبانا ومشاة الى الصالحية ، وكذلك حسن بيك الجداوى وأجناده . وأما عثمان بيك حسن ومن معه فرجعوا صعبة الوزير ، فلم يسع إبراهيم بيك وحسن بيك ترك جماعتهما خلفهما وذاهبهم بأنفسهم الى قبلى ، بل رجعا بجماعتهما على أثرهما وذاقوا وبال أمرهم . وانكشف الغبار عن نعمة المسلمين وخيبة أمل الذاهبين والمتخلفين . وما استفاد الناس من هذه العمارة ، وما جرى من الغارة ، الا الخراب والسخام والهباب فكانت مدة الحرب والحصر بما فيها من الثلاثة أيام الهدنة ، سبعة وثلاثين يوما .. وقع بها من الحروب والكروب والانزعاج والشتات والهباج ، وخراب الدور ، وعظائم الأمور ، وقتل الرجال ونهب الأموال ، وتسلبت الأشرار ، وهتك الأحرار ، وخصوصا ما أوقع الفرنسيون بالناس بعد ذلك مما سيتلى عليك بعضه . وخرب في هذه الواقعة عدة جهات من أخطاط مصر الجلييلة ، مثل جهة الأربكية الشرقية من حد جامع عثمان والفوالة وحارة كتخدا ورصيف الحشاش وخطه الساكت .. الى بيت سارى عسكر بالقرب من قنطرة الدكة . وكذلك جهة باب الهواء الى حارة النصارى من الجهة القبيلة . وأما بركة الرطلى وما حولها من

الدور والمتنزهات والبساتين فانها صارت كلها تلالا وخرائب وكيما ن أثرية ، وقد كانت هذه البركة من أجل متنزهات مصر قديما وحديثا ، وبالقرب منها المقصف المعروف بدهليز الملك والبربخ والجسر ، وكانت تعرف ببركة الطوايين ، ثم عرفت ببركة الحاجب منسوبة للأمير بكتر الحاجب ، من أمراء الملك الناصر محمد بن قلاوون لأنه هو الذى احتقرها وأجرى اليها الماء من الخليج الناصرى ، وبنى القنطرة المنسوبة اليه ، وعمر عليها الدور والمنابر ، وبنى على الجسر الفاصل بينها وبين الخليج دورا بهيمة . وكان هذا الجسر من أجل المتنزهات ، وقد خربت منازلها فى القرن العاشر فى واقعة السلطان سليم خان مع الغورى ، وصار محله بستانا عظيما قطع أشجاره وغالب نخيله الفرنسيون .

وكان للقاضى ابن الجيمان عليها دور جلييلة : ومسجده — المعروف به الى الآن — بشاطئها . ومسجد الحرثى . وعرفت ببركة الرطلى لأنه كان فى شرقها زاوية بها نخل كثير ، وفيها شخص يصنع الأبطال الحديد التى تزن بها الباعة ، يقال له الشيخ على الرطلى ، فنسبت اليه . وفيها يقول بعضهم :

فى أرض طباتنسا بركة

مدهشة للعين والعقل

ترجح فى ميزان عقلى على

كل بحار الأرض بالرطل

وقوله : « فى أرض طباتنسا بركة » يعنى أن

هذه البركة من جملة أرض الطبالاة .

المدينة وطاقوا بالأسواق وبين أيديهم المناداة للرجية بالاطمئنان والأمان .

فلما أصبح ذلك اليوم ، ركب المشايخ والوجاقلية وذهبوا الى خارج باب النصر . وخرج أيضا القلقات والنصارى القبط والشوام وغيرهم . فلما تكامل حضور الجميع رتبوا موكبا وساروا ودخلوا من باب النصر وقدامهم جماعة من القواملة يأمرؤن الناس بالقيام وبعض فرنساوية راكبين خيلا وبأيديهم سيوف مسلولة ينهرون الناس ويأمرؤنهم بالوقوف على أقدامهم ، ومن تباطأ في القيام أهانوه . فاستمرت الناس وقفا من ابتداء سير الموكب الى انتهائه . ثم تلا الطائفة الآمرة للناس بالوقوف جمع كثير من الخيالة الفرنساوية بأيديهم سيوف مسلولة ، وكلهم لابسون جوخا أحمر وعلى رؤوسهم طراير من الفراوى على غير هيئة خيالتهم ومشاتهم . ثم تتالى بعد هؤلاء طوائف العساكر يوقاتهم وطبوسهم وزمورهم واختلاف أشكالهم وأجناسهم وملابسهم من خيالة ورجالة ، ثم الأعيان والمشايخ والوجاقلية واتباعهم .. الى أن قدم سارى عسكر الفرنساوية وخلف ظهره عثمان بيك البرديسى وعشان بيك الأشقر وخلفهم طوائف من خيالة الفرئيس . ولما انقضى أمر الموكب نادوا بالزينة فزينت البلد ثلاثة أيام آخرها يوم الثلاثاء مع السهر ووقود القناديل ليلا ، ثم دعاهم في يوم الأربعاء وعمل لهم سமாطا عظيما على طريقة المصرية . وبعد انقضاء الوليمة والطعام خاطبهم على لسان الترجمان يقول لهم : « ان صارى عسكر يقول لكم انكم تاتون اليه بعد غد يوم الجمعة ، ويعمل معكم تديرا ويرتب الديوان لأجل تنظيم البلد وصلاحياتكم وحال الرجية » . وقلدوا في ذلك اليوم محمد آغا الطناني أغات مستحفظان وركب ونادى بالأمان . وأعطوا البكرى بيت عثمان كاشف كتبخدا الحج — وهو بيت البارودى الثانى — فسكن به وشرع في

والطباله امرأة مغنية مشهورة في آخر دوله الاخشيد . فلما حضر المغربى معذ القاطنى الى مصر — وكان يدعى الامامة والخلافة دون بنى العباس — فخرجت اليه بحوقتها ومشيت أمامه تزقه بالدقوف وتقول :

يا بنى العباس ردوا ملك الأمر معذ ملككم ملك معار والموارى تترد فاعجبه ذلك ، وأراد أن ينعم عليها ، فتمت عليه أن يقطعها هذه الأرض .. فأقطعها إياها ، فعرفت بها .

ومما تخرب أيضا حارة المقس من قبل سوق الخشب الى باب الحديد . وجميع ما في ضمن ذلك من الحارات والدور صارت كلها خرائب متهدمة محترقة تسكب عند مشاهدتها العبرات . ويتذكر بها ما يتلى في حق الظالمين من الآيات « فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا . ان في ذلك لآية لقوم يعقلون » .

ودخل الفرنساوية الى المدينة يسعون ، والى الناس بعين الحقد ينظرون ، واستولوا على ما كان اصططنه وأعدده العثمانية من المدافع والقناير والبارود وآلات الحرب جميعها . وقيل انهم حاسبوهم على كلفته ومصاريفه ، وقبضوا ذلك من الفرنساوية .

وركب المشايخ والأعيان عصر ذلك اليوم وذهبوا الى كبير الفرئيسين ، فلما وصلوا الى داره ودخلوا عليه وجلسوا ساعة ، أبرز اليهم ورقة مكتوبا فيها « النصر لله الذى يريد أن المتصور يعمل بالشفقة والرجة مع الناس » . وبناء على ذلك سارى عسكر العام يريد أن ينعم بالعفو العام والخاص على أهل مصر وعلى أهل بر مصر ، ولو كانوا يخالطون الشملى في الحروب ، وانهم يشتغلون بمعايشهم ومسئالتهم . ثم لبسه عليهم بحضورهم الى قبة النصر بكرة تاريخه . ثم قاموا من عنده وشقوا

تنظيمه وفرشه ، ولبسوه في ذلك اليوم قروة
سمور ، فقاموا من عنده فرحين مطمئنين
مستبشرين .

٧ منه (٢ مايو ١٨٠٠ م) :

ذهب الى مراد بيك بجزيرة الذهب باستدعاء
فمد لهم أسطة عظيمة ، وأبسط معهم ، واقتخر
افتخارا زائدا ، وأهدى الى بعضهم هدايا جلية
وتقام عظيمة ، وأعطاه ما كان أرسله درويش باشا
معمونة للباشا والأمراء من الأغنام وغيرها ، وكانت
نحو الأربعة آلاف رأس ، وولوه امارة الصميدمن
جرجا الى اسنا ورجع عائدا الى داره بالأزبكية .

٨ منه (٢ مايو ١٨٠٠ م) :

في صباحها بكروا بالذهاب الى بيت صارى عسكر
ولبسوا أفخر ثيابهم وأحسن هياتهم ، وطبع كل
واحد منهم ، وظن أن صارى عسكر قلده في هذا
اليوم أجل المناصب أو ربما حصل التغيير والتبديل
في أهل الديوان فيكون في الديوان الخصوصى .
فلما استقر بهم الجلوس في الديوان الخارج أهدلوا
حصاة طويلة لم يؤذن لهم ولم يحاطبهم أحد . ثم فتح
باب المجلس الداخل وطلبوا الى الدخول فيه ،
فدخلوا وجلسوا حصة مثل الأولى ، ثم خرج اليهم
صارى عسكر ، وصحبته الترجمان وجماعة من
أعيانهم . فوضع له كرسي في وسط المجلس ، وجلس
عليه ، ووقف الترجمان وأصحابه خواليه ، واصطف
الوجاقلية والحكام من ناحية ، وأعيان النصاري
والتجار من ناحية . وعثمان بيك الأثمقر والبرديسى
أيضا حاضرا .

وكلم صارى عسكر الترجمان كلاما طويلا
بلقثهم حتى فرغ ، فالتفت الترجمان الى الجماعة
وشرع تفسر لهم مقالة صارى عسكر ، ويترجم
عنها بالعربى . والجماعة يسمعون . فكان ملخص
ذلك القول : أن صارى عسكر يقبول

لكم بطلب منكم عشرة آلاف ألف .. الى آخر
العبارة الآتية . وأما هذه العبارة فانه
قالها المهدي فقط : « اتنا لما حضرنا الى بلدكم
هذه نظرنا أن أهل العلم هم أعقل الناس
والناس بهم يقتدون ولأمرهم يمثلون . ثم انكم
أظهرتم لنا المحبة والمودة . وصدقنا ظاهر حالكم
فاصطفيناكم وميزناكم على غيركم واخترناكم لتدبير
الأمر وصلاح الجمهور . فرتبنا لكم الديوان
وغمرناكم بالاحسان ، وخفضنا لكم جناح الطاعة ،
وجعلناكم مسموعى القول مقبولى الشفاعة .
وأوهمتمونا أن الرعية لكم يتقادون ولأمركم ونهيكم
يرجعون . فلما حضر العثملى فرحتم لقدومهم ، وقتم
لنصرتهم ، وثبت عند ذلك تفافكم لنا ا » .

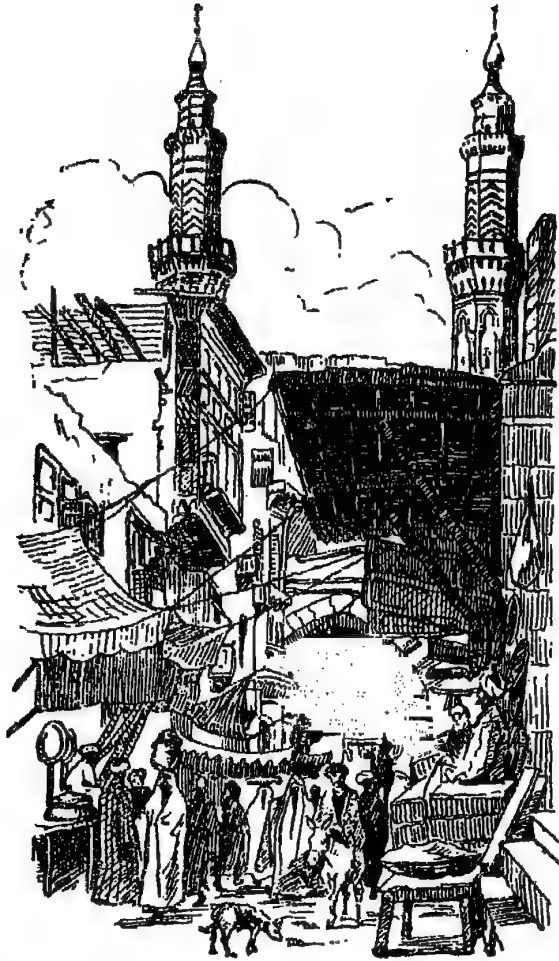
فقالوا له : « نحن ما قمنا مع العثملى الا عن
أمركم ، لأنكم عرفتمونا أننا صرنا في حكم العثملى
من ثانى شهر رمضان ، وأن البلاد والأموال
صارت له ، وخصوصا وهو سلطاننا القديم
وسلطان المسلمين . وما شعرنا الا بحدوث هذا
الحادث بينكم وبينهم على حين غفلة ، ووجدنا
أنفسنا في وسطهم ، فلم يكتنا التخلف عنهم »

فرد عليهم الترجمان ذلك الجواب ، ثم أجابهم
بقوله : « ولأى شئ لم تمنعوا الرعية عما فعلوه
من قيامهم ومحاربتهم لنا ؟ » .

فقالوا : « لا يسكتنا ذلك ، خصوصا وقد تقووا
علينا بعيرنا ، وسعتم ماقعلوه معنا من ضربنا
وبعدلتنا عند ما أشرنا عليهم بالصلح وترك القتال » .

فقال لهم : « وإذا كان الأمر كما ذكرتم ، ولا
يخرج من بدكم تسكين الفتنة ولا غير ذلك ، فما
فائدة رياستكم ؟ وإيش يكون فعلكم ؟ وحيثئذ
لا يأتينا منكم الا الضرر ، لأنكم اذا حضر
أخصامنا قتمتم معهم وكتمتم وإياهم علينا ،
واذا ذهبوا رجتم علينا معتنفين ، فكان
جزاؤكم أن تفعل معكم كما فعلنا مع أهل بولاق

وصاروا يدخلون على نصارى القبط ، ويقعون في عرضهم . فالذى انحشر فيهم ، ولم يكن معدودا من الرؤساء ، أخرجوه بحجة أو سبب ، وبعضهم ترك مداسه وخرج حافيا وما صدق بخلاص نفسه ! هذا والنصارى والمهدى يتشاورون في تقسيم ذلك وتوزيعه وتديره وترتيبه في قوائم حتى وزعوها على الملتزمين وأصحاب الحرف ، حتى على الحواة والقردتية والمحبطين والتجار وأهل الغورية وخان الخليلى والصاغة والنحاسين والدلالين والقبائنة وقضاة المحاكم وغيرهم . كل طائفة مبلغ له صورة مثل ثلاثين ألف فرانسة وأربعين ألف .



شارع النحاسين

من قتلكم عن آخركم وحرق بلدكم وسبى حريمكم وأولادكم ، ولكن حيث أننا أعطيناكم الأمان فلا لنقض أماننا ولا نقتلكم وإنما نأخذ منكم الأموال . فالمطلوب منكم عشرة آلاف ألف فرنك ، عن كل فرنك ثمانية وعشرون فضة يكون فيها ألفا ألف فرانسة عنها خمس عشرة خزنة رومى بثلاث عشرة خزنة مصرى ، منها خمسمائة ألف فرانسة على مائتين . على الشيخ السادات خاصة من ذلك خمسمائة وخمسة وثلاثون ألفا ، والشيخ محمد بن الجوهري خمسون ألفا ، وأخيه الشيخ فتوح خمسون ألفا ، والشيخ مصطفى الصاوى خمسون ألفا ، والشيخ العنانى مائتان وخمسون ألفا نقتطعها من ذلك نظير نهب دور الفارين مع العثملى ، مثل المحروقى والسيد عمر مكرم وحسين أغا شنن . وما بقى تدبرون رأيكم فيه وتوزعونه على أهل البلد وتتركون عندنا منكم خمسة عشر شخصا . انظروا من يكون فيكم رهينة عندنا حتى تغلقوا ذلك المبلغ ! .

وقام من فوره ودخل مع أصحابه الى داخل ، وأغلق بينه وبينهم الباب . ووقفت الحرسية لى الباب الآخر يمنعون من يخرج من الجالسين . فبهت الجماعة وانتفعت وجوههم ، ونظروا الى بعضهم البعض وتحيرت أفكارهم . ولم يخرج عن هذا الأمر الا البكرى والمهدى .. لكون البكرى حصل له ما حصل في صحائفهم والمهدى حرق بيته برأى منهم . وكان قبل ذلك تقل جميع ما فيه يداره بالخرنقش ، ولم يترك به الا بعض الحصر ولم يكن به غير بعض الخدم ، وكان يستعمل المداينة وينافق الطرفين بصناعته وعادته .

ولم تزل الجماعة في حيرتهم وسكرتهم وتمنى كل منهم انه لم يكن شيئا مذكورا ، ولم يزالوا على ذلك الحال الى قريب العصر حتى بال أكثرهم على ثيابه ، وبعضهم شرشر ببوله من شباك المكان !

وكذلك يباعو التبناك والدخان والصابون ،
والخرجية والطارون والزياتون والشواءون
والجزارون والزيتون وجميع الصنائع والحرف .
وعملوا على أجرة الأملاك والعقار والدور أجرة
سنة كاملة . ثم انهم استأذنوا للمشايخ : الخالص
يتوجه حيث أراد ، والمشبوك يلزمون به جماعة من
العسكر حتى يغلق المطلوب منه . فأما الصاوى
وفتوح بن الجوهري فحبسوهما ببيت قائمقام .
والعنانى هرب فلم يجدوه وداره احترقت ، فأضافوا
غرامته على غرامة الشيخ السادات كملت بها مائة
وخمسين ألف فرانسة وانقض المجلس على ذلك .
وركب سارى عسكر من يومه ذلك وذهب الى
الجيزة ، ووكل يعقوب القبطى يفعل فى المسلمين
ما يشاء وقائمقام والخازندار لرد الجوابات وقبض
ما يتحصل وتدير الأمور والرهونات . ونزل
الشيخ السادات وركب الى داره ، فذهب معه
عشرة من العسكر وجلسوا على باب داره . فلما
مضت حصّة من الليل حضر اليه مقدار عشرة من
العسكر أيضا فأركبوه وطلعوا به الى القلعة
وحبسوه فى مكان . فأرسل الى عثمان بيك
البرديسى وتداخل عليه فشفع فيه . فقالوا له :
« أما القتل فلا تقتله لشفاعتك وأما المال فلا بد من
دفعه ، ولا بد من حبسه وعقوبته حتى يدفعه » .
وقبضوا على فراشه ومقدمه وحبسوهما . ثم
أنزلوه الى بيت قائمقام فمكث به يومين ، ثم
أصعدوه الى القلعة ثانيا وحبسوه فى حاصل يناس
على التراب ويتوسد بحجر وضربوه تلك الليلة ،
فأقام كذلك يومين ثم طلب زين الفقار كتحدا فطلع
اليه هو وبرطلمان فقال لهما : « أنزلونى الى دارى
حتى أسعى وأبيع متاعى وأشهل جالى » فاستأذنوا
له وأنزلوه الى داره فأحضر ما وجده من الدراهم
فكانت تسعة آلاف ريال معاملة عنها ستة آلاف ريال
فرانسة . ثم قوموا ما وجدوه من المصاغ والفضيات

والفراوى والملابس وغير ذلك بأبخس الثمن ، فبلغ
ذلك خمسة عشر ألف فرانسة ، فبلغ المدفوع بالنقدية
والمقومات أحدا وعشرين ألف فرانسة . والمحافظون
عليه من العسكر ملازموه لا يتركونه يطلع الى
حريمه ولا الى غيره . وكان وزع حريمه وابنه الى
مكان آخر .

وبعد أن فرغوا من الموجودات ، جاسوا خلال
الدار يفتشون ويخفرون الأرض على الخبايا
حتى فتحوا الكنيفات ونزلوا فيها ، فلم يجدوا
شيئا . ثم نقلوه الى بيت قائمقام ماشيا وصاروا
يضربونه خمس عشرة عصا فى الصباح ومثلها فى
الليل . وطلبوا زوجته وابنه فلم يجدوهما ، فأحضروا
محمد السندوبى تابعه وقرروه حتى عابن الموت
حتى عرفهم بمكانهما فأحضرهما . وأودعوا ابنه
عند أغات الانكشارية وحبسوا زوجته معه فكانوا
يضربونه بحضرتها وهى تبكى وتصيح وذلك زيادة
فى الانكاء .

ثم ان المشايخ : وهم الشراوى والقيومى
والمهدى والشيخ محمد الأمير وزين الفقار كتحدا
تشفعوا فى نقلها من عنده ، فنقلوها الى بيت
القيومى وبقي الشيخ على حاله . وأخذوا مقدمه
وفراشه وحبسوهما ، وتغيب أكثر أتباعه واختلوا .
ثم وقعت المراجعة والشفاعة فى غرامة الشيخ فتوح
الجوهري والصاوى فأضعفوها وجعلوها على كل
واحد منهما خمسة عشر ألف فرانسة ورد الباقي
على الفردة العامة . وأما الشيخ محمد بن الجوهري
فانه اختفى فلم يجدوه فنهبوا داره ودار لسيه
المعروف بالشويخ .

ثم انه توسل بالست نفيسة زوجة مراد بيك
فأرسلت الى مراد بيك — وهو بالقرب من
الفشن — فأرسل من عنده كاشفا وتشفع
فيه فقبلوا شفاعته ورفعوها عنه وردوها أيضا
على الفردة العامة .



زوجة احد الاكابر

داره . فان لم يجدوا شيئا ردوا غرامته على أبناء
جنسه وأهل حرفته .

وتناولت النصارى من القبط والنصارى الشوام
على المسلمين بالسب والضرب ونالوا منهم أغراضهم
وأظهروا حقدهم ولم يبقوا للصالح مكانا . وصرخوا
بإقتضاء ملة المسلمين وآيام الموجددين !

هذا والكتبة والمهندسون والبناءون يطوفون
ويحررون أجر الأماكن والمقارات والوكائل
والحمامات ويكتبون أسماء أربابها وقيمتها .
وخرجت الناس من المدينة وجلوا عنها وهربوا الى
القرى والأرباب .

ثم ان أكثر الفارين رجع الى مصر لضيق القرى
وعدم ما يتعيشون به فيها ، وانزعاج الريف بقطاع
الطريق والعرب والمناسر بالليل والنهار ، والقتل فيما
بينهم ، وتعدي القوى على الضعيف .

واستمرت الطرق مجفرة ، والأسواق معفرة ،
والحوائيت مقفولة ، والعقول مخبولة ، والخانات
والوكائل مغلوقة ، والنفوس مطبوقة .. والغرامات
نازلة ، والأرزاق عاطلة ، والمطالب عظيمة ، والمصائب
عيمة ، والعكوسات مقصودة ، والشفاعات مردودة
واذا اراد الانسان ان يفر الى أبعد مكان ، وينجو

ثم انهم وكلوا بالفردة العامة وجميع المال يعقوب
القبطى وتكفل بذلك وعمل الديوان لذلك بيت
البارودى ، وألزموا الأغا بعدة طوائف كتبوها في
قائمة بأسماء أربابها وأعطوه عسكرا وأمروه
بتحصيلها من أربابها . وكذلك على أغا الوالى
الشعراوى وحسن أغا المحتسب وعلى كتحدا
سليمان بك ... فنبهوا على الناس بذلك ، وبثوا
الأعوان بطلب الناس وحبسهم وضربهم !

فدهى الناس بهذه النازلة التى لم يصابوا
بمثلها ولا ما يقاربها . ومضى عيد النحر ولم يلتفت
اليه أحد ، بل ولم يشعروا به ونزل بهم من البلاء
والذل ما لا يوصف .. فان أحد الناس : غنيا كان
أو فقيرا ، لا بد وأن يكون من ذوى الصنائع أو الحرف
فيلزمه دفع ما وزع عليه فى حرفته أو فى حرفتيه
وأجرة داره أيضا سنة كاملة . فكان يأتى على الشخص
غرامتان أو ثلاث ونحو ذلك ! وفرغت الدراهم من
عند الناس واحتاج كل الى القرض ، فلم يجد طالب
الدين من يدينه لشغل كل فرد بشأنه ومصيبته .
فلزمهم بيع المتاع فلم يوجد من يشتري . وإذا
أعطوهم ذلك لا يقبلونه فضاق خناق الناس وتمنوا
الموت فلم يجدوه .

ثم وقع الترعى فى قبول المصاغات والفضيات
فأحضر الناس ما عندهم فيقوم بأبخس الأثمان . وأما
أثاث البيوت من فرش ونحاس وملبوس ، فلا يوجد
من يأخذه . وأمروا بجمع البغال ومنعوا المسلمين من
ركوبها مطلقا سوى خبسة أنفار من المسلمين ، وهم :
الشرقاوى والمهدى والفيومى والأمير وابن محرم ..
والنصارى المترجمين وخلافهم لا حرج عليهم .

وفى كل وقت وحين يشتد الطلب وتنبت المعينون
والعسكر فى طلب الناس .. وهجم الدور وجرجرة
الناس حتى النساء من أكابر وأصاغر وبهدلتهن
وحبسهم وضربهم . والذى لم يجدوه — لكونه فر
وهرب — يقبضون على قريبه أو حريمه أو ينهبون

بيئاتهم الى خارج القرية للرعى أو للسقى لترصد العرب لذلك .

ووثب أهل القرى على بعضهم بالعرب ، فدخلوهم ، وتناولوا عليهم ، وضربوا عليهم الضرائب ، وتلبسوا بأنواع الشرور ، واستعان بعضهم على بعض ، وقوى القوى على الضعيف ، وطمعت العرب في أهل البلاد ، وطالبوهم بالثارات والعوائد القديمة الكاذبة . وآن وقت الحصاد فاضطروا لمسالمتهم لقلة الضم .

فلما انقضت حروب الفرنسيين نزلوا الى البلاد ، واحتجوا عليهم بمصادقتهم العرب .. فضربوهم ، ونهبوهم ، وسبواهم ، وطالبوهم بالمغارم والكلف الشاقة ، فاذا انقضوا وانتقلوا عنهم .. رجعت العرب على اثرهم . وهكذا كان حالهم « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » .

ومنها : أن النيل قصر مده في هذه السنة ، فشرقت البلاد ، وارتحل أهل البحيرة الى المنوفية والغربية فاستحسن رحيل عربان البحيرة لأنه بقي لهم في الحى نخيل .

ومنها أنه لما حضرت العثمانية ، وشاع أمر الصلح وخضوع فرنساوية لهم .. نزل طائفة من الفرنسيين الى المنوفية ، وطلبوا من أهلها كلفة لرحلتهم فلما مروا بالمحلة الكبيرة ، تمصب أهلها ، واجتمعوا الى قاضيها ، وخرجوا لحربهم .. فآمن الفرنسيين لهم ، وضربوا عليهم طلقا بالمدافع والبنادق ، فقتلوا منهم نيفا وستمئة انسان — ومنهم القاضى وغيره — ولم ينج منهم الا من فر . وكان طويل العمر . وكذلك أهل طنتداء ، عند حضورهم اليهم ، وصل اليهم رجل من الجزائريين المتسبين للعثمانية ، من جهة الشرق لزيارة سيدي أحمد البدوى ، وهو راكب على فرس ، وحوله نحو الخمسة أنفار . وكان بعض الفرنسيين بداخل البلدة يقضون بعض أشغالهم ، فصاحت السوق

بنفسه ، ويرضى بغير أبناء جنسه .. لا يجد طريقا للذهاب ، وخصوصا من الملاعين الأعراب ، الذين هم أقبح الأجناس ، وأعظم بلاء محيط بالناس . وبالجملة فالأمر عظيم ، والخطب جسيم ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهى ظالمة . ان أخذه أليم شديد » .

٢٠ منه (١٥ مايو ١٨٠٠ م) :

انتقلوا بديوان الفردة من بيت البارودى الى بيت القيسرى بالميدان ، ووقع التشديد في الطلب والانتقام بأدنى سبب .

وانقضى هذا العام وما جرى فيه من الحوادث العظام . باقليم مصر والشام ، والزوم والبيت الحرام :

فمنها — وهو أعظمها — تعطيل الثغور ، ومنع المسافرين برا وبحرا ، ووقوف الانكليز بشفر اسكندرية ودمياط ، يمنعون الصادر والوارد ، وتحطوا أيضا بمراكبهم الى بحر القلزم . ومنها : انقطاع الحج المصرى في هذا العام أيضا ، حتى لم يرجع المحمل ، بل كان مودوعا بالقدس . فلما حضر العساكر الاسلامية ، أحضروه صحتهم الى بلبس فيقال ان السيد بدرأ رجع به الى جبل العليل

ومنها : وقوف العرب وقطاع الطريق ، بجميع الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية والمنوفية والقلوبية والدقهلة ، وسائر النواحي فمنعوا السبل — ولو بالخفارة — وقطعوا طريق السفار ، ونهبوا المارين من أبناء السبل والتجار ، وتسلبوا على القرى والفلاحين ، وأهالى البلاد والحرف بالمرى والخطف للمتاع والمواشى من البقر والغنم والجمال والحمير ، وافساد المزارع ورعيها حتى كان أهل البلاد لا يمكنهم الخروج

واليياعون — عند رؤية ذلك الرجل — بقولهم « نصر الله دين الاسلام » وهاجوا وماجوا ولققت النساء بالسنتهن ، وصاحت الصبيان ، وسخروا بالفرنسيس ، وتراموا بما على رؤوسهم ، وضربوهم وجرحوهم وطردوهم .. فتسحبوا من عندهم ، فغابوا ثلاثة أيام ، ورجعوا اليهم بجمع من عسكرهم ، ومعهم الآلات من المدافع .. فاحتاطوا بالبلدة ، وضربوا عليهم مدفعا ارتجوا له ، ثم هجموا عليهم ، ودخلوا اليهم ، وبأيديهم السيوف المسلوطة ، ويقدمهم طلبهم ، وطلبوا خدمة الضريح الذين يقال لهم « أولاد الخادم » — وهم ملتزمو البلدة وأكابرها ، ومتهمون بكثرة الأموال من قديم الزمان .. وكانوا قبل ذلك بنحو ثلاثة أشهر قبضوا عليهم باغراء القبط ، وأخذوا منهم خمسة عشر ألف ريال فرانسة بحجة مسالمتهم للعرب ! فلما وصلوا الى دورهم طلبوهم ، فلم يمكنهم التنيب ، خوفا على نهب الدور ، وغير ذلك .. فظهروا لهم فأخذوهم الى خارج البلد ، وقيدوهم ، وأقاموا نحو خمسة أيام خارجها ، يأخذون في كل يوم ستمائة ريال سوى الأغنام والكلف . ثم ارتحلوا وأخذوا المذكورين صحبتهم الى منف ، وحبسوهم أياما ، ثم نقلوهم الى الجيزة أيام الحرارة بمصر . فلما انقضت تلك الأيام ، وسرحوا في البلاد .. نزلت طائفة الى طنتداء ، وهم بصحبتهم ، وقرروا عليهم أحدا وخمسين^{١١} ريال فرانسة ، وعلى أهل البلدة كذلك ، بل أزيد ، وأقاموا حول البلد محافظين عليهم ، وأطلقوا بعضهم ، وحجزوا المسمى بمصطفى الخادم لأنه صاحب الأكثر في الوظيفة والالتزام ، وطالبوه بالمال . وفي كل وقت ينوعون عليه العقاب والعتاب والضرب ، حتى على كفوف يديه ورجليه ، ويربطونه في الشمس في قوة الحر والوقت مصيف ، وهو رجل جسيم كبير الكرش ، فخرجت له نقاحات في جسده .

ثم أخذوا خليفة المقام أيضا وذهبوا به الى منف ، ثم رذوه وولوه رئاسة جمع الدراهم المطلوبة من البلد . فوزعت على الدور والحوانيت والمعاصر وغير ذلك .

واستمروا على ذلك الى انقضاء العام ، حتى أخذوا عساكر المقام — وكانت من ذهب خالص زنتها نحو خمسة آلاف مثقال — وأما المحلة الكبرى فانهم رجعوا عليها ، وقرروا عليها نيفا ومائة ألف ريال فرانسة ، وأخذوا في تحصيلها وتوزيعها ، وهجموا دورها ، وتتبع المياسير من أهلها .

كل ذلك مع استمرار طلب الكلف الشاقة في كل يوم منها ، ومن طنتداء . والتعنت عليهم وتسلط طوائف الكشوفية التابعين لهم ، الذين هم أقبح في الظلم من الفرنسيس ، بل ومن العرب . فانهم معظم البلاء أيضا ، فانهم هم الذين يعرفون دسائس أهل البلاد ، ويشيعون أحوالهم ، ويتجسسون على عوراتهم ، ويفرون بهم .

واستمروا على ذلك أيضا . « ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون » .

ومنها : أنه لما وقع الصلح بين العثمانية والفرنساوية ، أرسل الوزير فرمانات للثغور بإطلاق الأساقيل وحضور المراكب والتجار بالبضائع وغيرها الى ثغر سكندرية ، وصحبته ثلاثة غلايين سلطانية ، وسفن مشحونة بالذخيرة لحضرة الوزير ولوازم العسكر العثماني .

فلما قربوا من الثغر ، أقاموا البندبرات ، وضربوا مدافع للشنك ، فطمعهم فرنساوية ، وأظهروا لهم المسألة ، وأظهروا لهم بنديرة العثماني . فدخلوا الى المينا ، ورموا مراسيهم ، ووقعوا في



الكاشف ومساعدوه بالريف يجنون الفرائد

ومنها أيضا : أنه بعد انقضاء المحاربة واستيلاء الفرنسيين على المخازن والغلال التي كان جمعها العثمانية من البلاد الشرقية ، وبعض البلاد الغربية والقليلية ، وكذلك الشعير والأبناج .. طلب الفرنسيون مساوية مثل ذلك من البلاد ، وقرروا على النواحي غلالا وشعيرا وقولا وتبنا وزادا وخيلا وجبالا ، فوقع على كل اقليم زيادة عن ألف فرس وألف جمل ، سوى ما يدفع مصالحة على قبولها للوسائط وهو نحو ثمنها أو أزيد .

وكذلك التعتت في قرض الغلال وغربلتها وغير ذلك . وكل ذلك بإرشاد القبط وطوائف البلاد ، لأنهم هم الذين تقلدوا المناصب الجليلة ، وتقاسموا الأقاليم ، والتزموا لهم بجمع الأموال . ونزل كل كبير منهم الى اقليم ، وأقام بسرة الاقليم مثل الأمير الكبير ، ومعه عدة من العساكر الفرنسية ، وهو في أبهة عظيمة ، وصحبته الكتبة والصيارف والأتباع والأجناد من الغز البطالة وغيرهم ، والخيام والخدم والفراشون والطباخون والحجاب . وتقاد بين يديه الجنائب والبغال والرهوانات والخيول المسومة والقواسم والمقدمون وبأيدهم الحراب المفضضة والمذهبة والأسلحة الكاملة والجمال الحاملة .

ويرسل الى ولايات الاقليم من جهته المستوفين من القبط أيضا بمنزلة الكشاف ، ومعهم العسكر

فخ الفرنسيين ، فاستولوا على الجميع ، وأخذوا مدافعهم وسلاحهم وجبسوا القباطين وأعيان التجار ، وأخذوا الملاحين والمتسبين من البحرية والنصارى الأروام ، وهم عدة وافرة أعطوهم سلاحا ، وزيوهم بزيمهم ، وأضافوهم الى عسكرهم ، وأرسلوهم الى مصر . فكانوا أقبح مذكور في تسلطهم على ايداء المسلمين .

ثم أخرجوا شحنة المراكب من بضائع وياميش وحازوه بأجمعه لأنفسهم . وبقي الأمر على ذلك ، وكان ذلك في أواسط شهر القعدة .

ومنها : أنه بعد تقض الصلح ، أرسل الفرنسيين عسكرا الى متسلم السويس الذي كان تولها من طرف العثمانية ، فتعصب معه أهل البندر ، فحاربوهم ، فغلبهم الفرنسيين وقتلوهم عن آخرهم .

ونهبوا البندر وما فيه من البن والبهار بحواصل التجار وغير ذلك .

ومنها : ان مراد بيك عند توجهه للصعيد بعد انقضاء الصلح ، أخذ ما جمعه درويش باشا من الصعيد ، من أغنام وخيول وميرة — وكان شيئا كثيرا — فتسلم الجميع منه ، وعدى درويش باشا الى الجهة الشرقية متوجها الى الشام . وأرسل مراد بيك جميع ذلك للفرنساوية بمصر .

هذه القرى ساوية والطوائف والجوارشية والصرايف
والمقدمين على الشرح المذكور . فينزلون على البلاد
والقرى ، ويطلبون المال والكلف الشاقة بالعسف ،
ويؤجلونهم بالساعات . فإن مضت ولم يوفوهم
المطلوب ، حل بهم ما حل من الحرق والنهب والسلب
والسبي وخصوصا إذا فر مشايخ البلدة من خوفهم
وعدم قدرتهم ، والا قبضوا عليهم وضربوهم
بالمقارع والكسارات على مفاصلهم وركبهم ،
وسحبوهم معهم في الجبال ، وأذاقوهم أنواع النكال ،
وخاف من بقى فصانعوهم وأتباعهم بالبراطيل
والرشوات ، وانضم اليهم الأسافل من القبط ،
والأراذل من المنافقين ، وتقربوا اليهم بما يستميلون
قلوبهم به ، وما يستجلبونه لهم من المنافع والمظالم
وأجهدوا أنفسهم في التشفى من بعضهم ، وما يوجب
الحقد والتحاسد الكامن في قلوبهم ، الى غير ذلك
مما تتعذر ضبطه « وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها
ظالمون » .

ومات في هذه السنة ، السيد الأفضل ، والسند
الأكمل ، المقرئ ابن المقرئ ، والفهامة الذي بكل
فن على التحقيق يدري ، بدر أضاء في سماء العرفان ،
وعارف وضح دقائق المشكلات باتقان ، فله دوره
من فاضل أبرز دور اللطائف من كنوزها ، وكشف
عن محذرات الفهوم لثامها ، فأظهر الأنفس من

تقيسها والأعز من عزيزها ، فلا غرو ، فانه بذلك
حقيق .. كيف لا وما ذكر من بعض صفاته التي
به تليق — العلامة الشريف الحسن بن علي البدرى
الموضى .

ربى في حجر أبيه ، وحفظ القرآن والمتون ،
وأخذ عن أبيه علم القراءات ، وأتقن القراءات
الأربع عشرة ، بعد أن أتقن العربية والفقه وباقي
العلوم .

وحضر أشياخ الوقت ، وتمهر وأنجب وقرأ
الدروس ، ونظم الشعر الجيد ، وشهد له الفضلاء

وله تأليف وتقييدات وتحقيقات ، ورسائل
في فنون شتى ، ورسالة بليغة في قوله تعالى :
« استكبرت أم كنت من العالين » . وكان الباعث
له على تأليفها ، مناقشة حصلت بينه وبين الشيخ
أحمد يونس الخليفى في تفسير الآية بمجلس على
بيك الدفتردار . فظهر بها على الشيخ المذكور ،
وأجازه الأمير المذكور بأن رتب له تدريسا
بالمشهد الحسينى ، ورتب له معلوما بوقفه .. وقدره
كل يوم عشرة أنصاف فضة ، يستغلها من جانب
الوقف في كل شهر .

واستمر يقبضها حتى مات في شعبان من هذه
السنة رحمه الله . ولم يحلف بعده مثله في الفضائل
والمعارف .

السبت ٢١ منه (١٤ يونيو ١٨٠٠ م) :

المحرم

الخميس ٥ منه (٢٩ مايو ١٨٠٠ م) :

أعادوا الشيخ أحمد العريشي إلى القضاء كما كان ،
وعملوا له موكبا ، وركب معه أعيان الفرنسيين
وسوارى عساكرهم بطبولهم وزمورهم ، والمشايخ
والتجار والأعيان ، وبجانبه قائمقام عبد الله مينو
الذي كان ساري عسكر برشيد . فلم يزالوا معه
حتى أوصلوه إلى المحكمة الكبرى بعد أن شقوا
به المدينة .

أصعدوا الشيخ السادات (١) إلى القلعة ، وكان
أرسل إلى كبار القبط بأن سعوا في قضيتهم ورهن
حصصه ، ويفلق الذي عليه . فردوا عليه بأنه لا بد
من تشهيل قدر نصف الباقي أولا ، ولا يمكن غير
ذلك . وأما الحصص فليست في تصرفه .

وفيه : وقعت فادرة عجيبة ، وهي أن ساري
عسكر كليبر (١) كان مع كبير المهندسين يسيرون
بداخل البستان الذي يداره بالأزبكية فدخل عليه
شخص حلبي وقصده فأشار إليه بالرجوع وقال له :
« ما فيش » وكررها فلم يرجع . وأوهمه أن له حاجة
وهو مضطر في قضائها . فلما دنا منه مد إليه يده
اليسار كأنه يريد تقبيل يده ، فمد إليه الآخر يده
فقبض عليه وضربه بخنجر كان أعده في يده اليمنى
أربع ضربات متوالية ، فشق بطنه وسقط إلى الأرض
صارخا ، فصاح رفيقه المهندس فذهب إليه وضربه
أيضا ضربات ، وهرب . فسمع العسكر الذين خارج
الباب صرخة المهندس ، فدخلوا مسرعين فوجدوا
كليبر مطروحا وبه بعض الرمي ، ولم يجدوا القتلى .
فانزعجوا وضربوا طلبهم وخرجوا مسرعين . وجروا
من كل ناحية يفتشون على القتلى .

ولما تكرر إرساله للنصارى وغيرهم تفلوه إلى
القلعة ومنعوه الاجتماع بالناس ، وهي المرة الثالثة .
وفيه : أشيع حضور مراكب وغلايين من ناحية
الروم إلى ثغر سكندرية ، وصافر ساري عسكر
كليبر وصحبته العساكر الفرنسية فغاب أياما ثم
عاد إلى مصر ولم يظهر لهذا الخبر أثر .

وفيه : طلبوا عسكرا من القبط فجمعوا منهم
طائفة وزيوهم بزيمهم ، وقيدوا بهم من يعلمهم
كيفية حربهم ويدربهم على ذلك . وأرسلوا إلى
الصعيد فجمعوا من شبانهم نحو الألفين وأحضروهم
إلى مصر وأضافوهم إلى العسكر .

واجتمع رؤسائهم ، وأرسلوا العساكر إلى
الحصون والقلاع ، وظنوا أنها من فعل

(١) جاء في مذكرات نابليون خاصة باتهام الفرنسيين للسادات
بالتحريض على ثورة القاهرة الأولى وما داه نابليون من الإبقاء
عليه لما اعتقده من أن الحكم بإعدامه يضر بمركز الفرنسيين أكثر
مما ينفعهم . ويقول نابليون في مذكراته أن الجنرال كليبر راجعه
في رأيه هذا عقب اخماد الثورة الأولى (أكتوبر ١٧٩٨ م) وسأله
كيف لا يقضى بإعدامه وهو زعيم الثورة . فاجابه نابليون أن إعدام
مثل هذا الشيخ الجليل لا يفيد الفرنسيين بل يؤدي إلى عواقب
وخيمة . ويقول نابليون أيضا « وقد وقعت بعد ذلك حوادث الارث
ذكرى هذه الحادثة فإن الشيخ السادات هذا هو الذي أمر الجنرال
كليبر بتقليده وضربه وكان هذا من أهم الأسباب التي أدت إلى
مقتل كليبر » .

(١) كان كليبر يقيم في ذلك الحين بالجيزة وبنا يتم إصلاح
سراى الالفي بيك بالأزبكية .

(عبد الرحمن الرافعي - تاريخ الحركة القومية - ج ٢ ص ١٩٣)

(عبد الرحمن الرافعي - تاريخ الحركة القومية - ج ٢ ص ١٨٩)

أهل مصر . فاحتاطوا بالبلد ، وعمرؤا المدافع ، وحرروا القناير وقالوا : « لا بد من قتل أهل مصر عن آخرهم » (١) .

ووقعت هوجة عظيمة في الناس وكرشة وثدة انزعاج ، وأكثرهم لا يدري حقيقة الحال . ولم يزالوا يفتشون على ذلك القاتل حتى وجدوه منزويا في البستان المجاور لبيت ساري عسكر المعروف بفيظ مصباح بجانب حائط متهدم ، فقبضوا عليه فوجدوه شاميا . فأحضروه وسألوه عن اسمه وعمره وبلده ، فوجدوه حليبا واسمه سليمان . فسألوه عن محل ماواه ، فأخبرهم أنه يآوى ويبيت بالجامع الأزهر ، فسألوه عن معارفه ورقائه ، وهل أخبر أحدا بفعله ؟ وهل شاركه أحد في رأيه وأقره على فعله أو نهاه عن ذلك ؟ وكـم له بمصر من الأيام أو الشهور ، وعن صنعته وملته ؟ وعاقبوه حتى أخبرهم بحقيقة الحال . فعند ذلك علموا براءة أهل مصر من ذلك ، وتركوا ما كانوا عزموا عليه من محاربة أهل البلد . وقد كانوا أرسلوا أشخاصا من ثقاتهم تفرقوا في الجهات والنواحي يتفحصون في الناس ، فلم يجدوا فيهم قرائن دالة على علمهم بذلك ، ورأوهم يسألون من الفرنسيين عن الخبر ، فتحققوا من ذلك براءة منهم من ذلك .

ثم انهم امرؤا باحضار الشيخ عبد الله الشرقاوى والشيخ أحمد العريشى القاضى ، وأعلموهم بذلك وعوقبوه الى نصف الليل ، وألزموهم باحضار الجماعة الذين ذكرهم القاتل ، وأنه أخيرهم بفعله . فركبوا وصحبهم

(١) اتجهت أنظار الفرنسيين في بادئ الأمر الى اتهام المشايخ الذين عرفوا بالتحريض على الثورة الأخيرة والحض على تراهية الحكم الفرنسى واخذ ولاية الامور يبحثون منهم وتطوع جماعة من المماليك برئاسة حسين كاشف مندوب مراد بك للبحث من أولئك المشايخ ، واستصحبهم بعض ياوران القائد العام وفتشوا منازلهم ولكنهم لم يجدوا مايدنبهم أو يبعث على الاهتباء لديهم . (ميد الرحمن الرامى - تاريخ الحركة القومية - ٢ ص ١٩٩)

الأغا وحضروا الى الجامع الأزهر . وطلبوا الجماعة فوجدوا ثلاثة منهم ولم يجدوا الرابع ، فأخذهم الأغا وحبسهم بيت قائمقام بالأزبكية .

ثم انهم رتبوا صورة محاكمة (١) على طريقتهم في دعاوى القصاص ، وحكموا بقتل الثلاثة أنفار المذكورين مع القاتل ، وأطلقوا مصطفى افندى البرصلى ، لكونه لم يخبره بعزمه وقصده ... فقتلوا الثلاثة المذكورين (٢) لكونه أخبرهم بأنه عازم على قصده صباح تاريخه ولم يخبروا عنه الفرنسيين ، فكأنهم شاركوه في الفعل . وانقضت الحكومة على ذلك . وآلفوا في شأن ذلك أوراقا ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها ، وطبعوا منها نسخا كثيرة باللغات الثلاث : الفرنسية والتركية والعربية .

وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها لقصورهم في اللغة ، ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه الى الاطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ، ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ولا يتدينون بدين . وكيف وقد تجارى على كبيرهم ويعسوبهم .. رجل آفاقى أهوج ، وغدره . وقبضوا عليه وقرروه ، ولم يعجلوا بقتله وقتل من أخبر عنهم بمجرد الاقرار بعد أن عثروا عليه ووجدوا معه آلة القتل مضمخة بدم صارى عسكرهم وأميرهم ، بل رتبوا حكومة ومحاكمة ، وأحضروا

(١) اصدر ميتر في اليوم نفسه امرا بتأليف محكمة عسكرية لمحاكمة قتلة كليبر ، وهذه المحكمة مؤلفة من تسعة اعضاء من كبار رجال الجيش وكانت رئاسة المحكمة للجنرال رينيه . (ميد الرحمن الرامى - تاريخ الحركة القومية - ٢ ص ١٠٩)

(٢) اقر سليمان الحلبي بأن المحرضين له هم : احمد افندى اغا من ضباط الجيش العثمانى ومحمد افندى من الأزهريين ، والدرس التركى (مصطفى افندى البروسه) . وكان سير التحقيق متجها الى جمع البيئات لاليت علم الشيخ الشرقاوى بنية القاتل قبل ارتكابه الجريمة . ولكن التحقيق لم يسفر من ادانة الشيخ الشرقاوى او غيره من كبار العلماء . (ميد الرحمن الرامى - تاريخ الحركة القومية - ٢ ص ٢٠١)

القاتل ، وكررنا عليه السؤال والاستفهام : مرة بالقول ، ومرة بالعقوبة . ثم أحضروا من أخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتعين ، ثم تفقدوا الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكيم . وأطلقوا مصطفى افندي البرصلى الخطاط ، حيث لم يلزمه حكم ، ولم يتوجه عليه قصاص .. كما يفهم جميع ذلك من فحوى المسطور ، بخلاف ما رأيناه بعد ذلك من أفعال أوباش العساكر الذين يدعون الاسلام ، ويزعمون أنهم يجاهدون ، وقتلهم الأنفس ، وتجارهم على هدم البنية الانسانية بمجرد شهواتهم الحيوانية ، مما سيتلى عليك بعضه بعد .

وصورة ترجمة الأوراق المذكورة :

بيان شرح الاطلاع على جسم
صاري عسكر العام كلهير

« يوم الخامس والعشرين من شهر برريال من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسي »
نحن الواضعون اسماءنا وخطنا فيه باش حكيم والجراحي من اول مرتبة ، الذي صار مرتبة باش جراحي في غيبته ... انتهينا ، حصة ساعتين بعد الظهر ، الى بيت صاري عسكر العام في الازبكية بمدينة مصر . وكان سبب روحنا هو اننا سمعنا دقة الطبل وغافة الناس التي كانت تخبر ان صاري عسكر العام كلهير انقدر وقتل . . . وصلنا له فرايناه في آخر نفس . فحصنا عن جروحائه فتحقق لنا انه قد انضرب بسلاح مدبب وله حد . وجروحائه كانت اربعة : الاول منها تحت البز في الشقة اليمنى الثاني اوطى من الاول جنب السوة . الثالث في الدراع الشمال نافذ من شقه لشقه . والرابع في الخد اليمين .. فهذا حررنا البيان بالشرح في حضور الدفتردار سارتلون الذي وضع اسمه فيه كمثلنا لاجل ان يسلم البيان المذكور الى صاري عسكر مدير الجيوش .

(تحريرا في سراية صاري عسكر العام في النهار والسنة المذكورة في الساعة الثالثة بعد الظهر بانضاء باش حكيم وخط الجراحي من اول مرتبة كازايباتكا) .

والدفتردار سارتلون شرح جروحات الستين بروتان المهندس نهار تاريخه خمسة وعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسي في الساعة الثالثة بعد الظهر .

« نحن الواضعون اسماءنا وخطنا فيه باش حكيم وجراحي من اول مرتبة ، الذي صار مرتبة باش جراحي في غيبته : انطلبنا من الدفتردار سارتلون انشا نعمل بيان شرح جروحات الستين بروتان المهندس ، وعضو من اعضاء مدرسة العلماء في بر مصر ، الذي انقدر هو ايضا في جنب صاري عسكر العام كلهير مدير الجيوش ، ومضروب ستة امرار سلاح مدبب وله حد . وهذا بيان الجروحات :
« الأول في جنب الصدغ . الثاني في الكف في عظمة الاصبع الخنصر . الثالث بين الضلوع الشمالية . الخامس (١) في الشدق الشمالي . والسادس في الصدر من الشقة الشمالية وشق نحو العرق .
« ثم الى تأييد ذلك وضعنا اسماءنا وخطنا فيه برفقة الدفتردار سارتلون » .

(تحريرا في سراية صاري عسكر مدير الجيوش في اليوم والشهر والسنة والساعة المرقومة لامله بانضاء باش حكيم وحيد الجراحي من اول مرتبة كازايباتكا) .

والدفتردار سارتلون عن :

اول فحص سليمان الحلبي

نهار تاريخه خمسة وعشرين في شهر برريال من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسي . في بيت صاري عسكر داماس مدير الجيوش ... واحد فسيال من ملازمين بيت صاري عسكر العام ، حضر ويده ماسك راجل من اهل البلد ، مدعيا ان هذا هو الذي قتل صاري عسكر العام كلهير ، المتهم المذكور اعراف من الستين بروتان المهندس الذي كان مع صاري عسكر جين انقدر ، لانه ايضا انضرب برفقته بالخنجر ذاته ، وانجرح بعض جروحاته .

« ثانيا المتهم المذكور ، كان اتشاف بين جماعة صاري عسكر من حد الجيزة ، واتوجد مخبى في الجنية التي حصل فيها القتل ، وفي الجنية نفسها اتوجد الخنجر الذي به انجرح صاري عسكر ، وبعض حوائج ايضا بتوع المتهم . فحالا بدى الفحص بحضور صاري عسكر مينو الذي هو اقدم اقرانه في المسكر ، وتسلم في مدينة مصر .

(١) سقط « الرابع » من عبارة الاصل .

فجواب : نعم ، وأنه كان قاصد ينشيك كاتب عند
أحد ، ولكن ما قسم له نصيب .

سئل : عن الناس الذين كتب لهم أمس .
فجواب : أن كلهم سافروا .

مسئل : كيف يمكن أنه لم يعرف أحداً من
الذين كتب لهم في الأيام الماضية ؟ وكيف يكونون كلهم
سافروا ؟ فجواب : أنه ليس يعرف الذين كان يكتب
لهم ، وإن غير ممكن أن يفتكر أسماءهم .

سئل : من هو الآخر في الذين كتب لهم ؟
فجواب : أنه يسمى محمد مغربي السويبي يساع
مرق سوس ، وأنه ما كتب لأحد في الجزيرة .

سئل ثانياً عن سبب روحته للجزيرة دائماً .
فجواب : أنه كان قاصداً أن ينشيك كاتباً .

سئل : كيف مسكوه في جنيئة صارى عسكر ؟
فجواب : أنه ما أمسك في الجنيئة بل في عارض
الطريق .

فذلك الوقت انقال له : أنه ما ينجيئك الا
الصحيح ، لأن عسكر الملازمين مسكوه في الجنيئة ،
وفي المحل ذاته اتوجدت السكينة . وفي الوقت
انعرضت عليه . فجواب : صحيح أنه كان في الجنيئة
ولكن ما كان مستخبي بل قاعد ، لأن الخبالة كانت
ماسكة الطرق ، وما كان يقدر أن يروح للمدينة ، وإن
ما كان عنده سكينة ، ولم يعرف أن كان علداً موجود
في الجنيئة .

سئل : لأي سبب كان تابع صارى عسكر من
الصبح ؟ فجواب : أنه كان مراده فقط يشوفه .

سئل : هل يعرف حنة قماش خضرة التي باينة
مقطوعة من لبسه ؟ وكانت اتوجدت في الحل الذي
اتقدر فيه صارى عسكر . فجواب : بأن هذه
ما هي تعلقه .

سئل : أن كان تحدث مع أحد في الجزيرة ، وفي
أي محل نام ؟ فجواب : أنه ما تكلم مع ناس الا لأجل
مشتري بعض مصالح وأنه نام في الجزيرة في جامع .

فأشاروا له على جروحته التي ظاهرة في دماغه
وقيل له : إن هذه الجروحات بينت أنه هو الذي
غدر سنارى عسكر ، لأن أيضاً الستوين بروتاين
الذي كان معه عرفه وضربه كم عصابه الذين جرحوه .
فجواب : أنه ما اتجرح إلا ساعة ما مسكوه .

سئل : هل كان تحدث نهار تاريخه مع حسين
كاشف أو مع مالبكة . فجواب : إنه ما كشافهم
ولا كلمهم .



سليمان العلي

والفحص المذكور صار بواسطة الخواجا
براشويش كاتم سر وترجمان صارى عسكر العام ،
ومحضر من يد الدفتردار ساريلون الذي احضره
صارى عسكر مينو لأجل ذلك التهم المذكور .

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعتة ...
فجواب : أنه يسمى سليمان ، ولادة بر الشام ،
وعمره أربعة وعشرون سنة ، ثم صنعتة كاتب
عربي ، وكانت سكنته في حلب .

سئل : كم زمان له في مصر ؟ فجواب : أنه
بقي له خمسة أشهر ، وأنه حضر في قافلة وشيخها
يسمى سليمان بوريجي .

سئل عن ملته .. فجواب : أنه من ملة محمد
وأنه كان سابقاً سكن ثلاث سنين في مصر ، وثلاث
سنين أخرى في مكة والمدينة .

سئل : هل يعرف الوزير الأعظم ؟ وهل له مدة
ماشافه ؟ فجواب : أنه ابن عرب ، ومثله ليس يعرف
الوزير الأعظم .

سئل عن معارفه في مدينة مصر .. فجواب :
أنه لم يعرف أحداً وأكثر قعاده في الجامع الأزهر .
وجملة ناس تعرفه ، وأكثرهم يشهدون في مشيه
الطيب .

سئل : هل راح صباح تاريخه الجزيرة ؟



كثير

الحررة اعلاه . ثم اتقرا على التهموم وهو ايضا خط
يده واسمه بالعربي سليمان ...
امضاء : صاري عسكر عبد الله مينو . امضاء :
صاري عسكر داماس . امضاء : الجنرال والتين .
امضاء : الجنرال موراند . امضاء : الجنرال مارتينه .
امضاء : دفتردار البحر لروا . امضاء : الدفتردار
سارتلون . امضاء : الترجمان لوماسا . امضاء :
الترجمان حنا روكه . امضاء : داميانوس براشويش
كاتم السر وترجمان صاري عسكر العام .

* * *

فحص الثلاثة مشايخ المتهمين

نهار تاريخه خمسة وعشرين في شهر برريال ،
السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنسي
في الساعة الثامنة بعد الظهر . . . حضروا في
منزل صاري عسكر العام مينو امير الجيوش
الفرنساوية : السيد عبد الله الفزي ، ومحمد
الفزي ، والسيد احمد الوالي - وهم الثلاثة متهمين
في قتل صاري عسكر العام كلبير - لصاري عسكر
مينو امر بفتحهم ، فبدى ذلك حالا في حضور
بعض صواري السكار المجتمعين لذلك ، وبواسطة

فلما ان كان المتهم لم يصدق في جواباته ، امر
صاري عسكر انهم يضربونه . . . حكم موائد البلاد !
فحالا انضرب لحد انه طلب العفو ، ووعد انه يقرب
بالصحيح . فارتفع عنه الضرب ، وانفكت له سواعده ،
وصار يحكي من اول وجديد كما هو مشروح .

سئل : كم يوم له في مدينة مصر ؟ فاجاب : انه
له واحد وثلاثين يوما ، وانه حضر من غزة في ستة
ايام على هجين .

وسئل : لاي سبب حضر من غزة ؟ فاجاب :
لاجل ان يقتل صاري عسكر العام .

سئل : من الذي ارسله لاجل ان يفعل هذا الامر ؟
فاجاب : انه ارسل من طرف اغات البنگرية ، وانه
حين رجع عساكر العثملى من مصر الى بر الشام ،
ارسلوا الى حلب يطلب شخص يكون قادرا على قتل
صاري عسكر العام الفرنسي . ووعدوا لكل من
يقتر على هذه المادّة ان يقدموه في الوجاقات ويعطوه
دراهم . ولاجل ذلك هو تقدم وعرض روحه لهذا .

سئل : من هم الناس الذين تصدروا له في هذه
المادّة في بر مصر ؟ وهل ساروا احدا على نيته ؟ فاجاب :
ان ما احد تصدّر له ، وانه راح سكن في الجامع
الازهر . وهناك شاف السيد محمد الفزي ، والسيد
احمد الوالي ، والشيخ عبد الله الفزي ، والسيد
عبد القادر الفزي الذين ساكنون في الجامع المذكور ،
فبلغهم على مراده ، فهم اشاروا عليه انه يرجع من
ذلك لان غير ممكن ان يطلع من يده ويموت فرط ،
وان كان لازم بشخصوا واحدا غيره في قضاء هذه
المادّة . ثم انه كل يوم كان يتكلم معهم في الشغل
المذكور . وان امس تاريخه قال لهم : انه رائج يقضى
مقصوده ويقتل صاري عسكر . وانه توجه الى
الجيزة حتى ينظر ان كان يطلع من يده ، وان هناك
قابل التوايعة بتسوع فتجة صاري عسكر . .
فاستخبر عليه منهم ان كان يخرج برا . فسالوه :
ايش طالب منه ؟ فقال لهم : ان مقصوده يتحدث
معه . فقالوا له : انه كل ليلة ينزل في جنينته .

ثم صباح تاريخه شاف صاري عسكر معديا
للمقياس ، وبعد ما شى الى المدينة ، فقبه لحين
ما غدره .

هذا الفحص صار من حضرة صاري عسكر مينو
بحضور باقي صواري السكار الكبار وملازمين بيت
صاري عسكر العام ، ثم انختم باامضاء صاري مينو
والدفتردار سارتلون في اليوم والشهر والسنة

الستون لوماكا الترجمان ، كما يذكر ادناه . . .
السيد عبد الله الغزى هو الذى سئل أولا لوحده .
سئل : عن اسمه وعن مسكنه وصنعتيه . .
فجواب : انه يسمى السيد عبد الله الغزى ، ولادة
غزة ، ومسكنه في مصر في الجامع الأزهر . وهناك
كان كاره مقرئ القرآن ، وأنه لم يعرف كم عمره ،
ولكن تخمينته بجىء ثلاثين سنة .

سئل : إن كانت مسكنته في الجامع الأزهر . .
هل يعرف جميع القرياء الذين يدخلونه ؟ فجواب :
انه ساكن ليل ونهار ، ويعرف القرياء الذين فيه .

سئل : هل يعرف رجلا حضر من بر الشام من
مدة شهر ؟ فجواب : ان من مدة خمسين يوم ماشاف
احدا حضر من بر الشام . فقليل له : إن رجلا من طرف
عرضى الوزير - حضر من مدة ثلاثين يوما - قال :
إنه يعرفك . والظاهر أنك لم تتكلم بالصدق .
فجواب : انه ملهى دائما في وظيفته ، وأنه ما شاف
احدا من بر الشام ، بل سمع أن قافلة كانت وصلت
من ناحية الشرق . فقليل له ايضا : إن ناسا حضروا
من بر الشام ، يقولون أنهم تكلموا معه ويعرفونه .
فجواب : ان هذا غير ممكن ، وانهم يقابلوه مع الذى
فتن عليه .

سئل : هل يعرف واحدا اسمه سليمان ، كاتب
عربى ، حضر من حلب من مدة ثلاثين يوما ؟ فجواب :
لا . فقليل له : إن هذا الرجل يحقق انه شافه ، وأنه
اخبره ببعض اشيء لازمة . فجواب : انه ما شافه ،
وان هذا الرجل كذاب ، وأنه يريد ان يموت إن كان
ما يحكى الصحيح .

. . فحالا صارى عسكر نده الى محمد الغزى -
الذى هو ايضا متهم في قتل صارى عسكر - ويديء
الفحص كما يذكر :

سئل عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعتيه .
فجواب : انه يسمى الشيخ محمد الغزى ، وعمره
نحو ٢٥ سنة ، ولادة غزة ، وسكن بمصر في الجامع
الأزهر ، لم صنعتيه مقرئ القرآن من مدة خمس
سنين . وما يخرج من الجامع إلا لى يشتري
ما يأكل .

سئل : هل يعرف القرياء الذين يجيئون يسكنون
في الجامع ؟ فجواب : ان في بعض الاوقات يحضر ناس
غرياء . وأما البواب فهو الذى يقرئهم . ومن
قبله يناس بعض ليسالى في الجامع ، والبعض في
بيت الشيخ الشرفاوى .

سئل : هل يعرف رجلا يسمى سليمان حضر
من بر الشام من مدة ثلاثين يوما ؟ فجواب : انه لم
يعرفه ، وأنه غير ممكن ان يشوف كل الناس ، لأن
الجامع كبير قوى .

سئل انه يحكى على الذى تكلم به معه سليمان ،
فان المذكور يحقق انه تكلم معه في الجامع . فجواب :
انه يعرفه من مدة ثلاث سنين ، وأنه كان عنده خبر
انه راح مكة . وأما من بعده ما شافه ، ولم يعرف
إن كان رجع ام لا ؟

سئل : هل السيد عبد الله الغزى يعرفه ايضا ؟
فجواب : نعم . فقليل له : محقق ان أمس تاريخه
سليمان المذكور تحدث معه حصة طيبة ، وان
الشواهد موجودة . فجواب : ان هذا صحيح .

سئل : لى سبب كان بدا يقول إنه ما شافه ؟
فجواب : ان تخمينه ما قال هذا ، وان المترجمين
غلطوا .

سئل : هل سليمان المذكور ما بلغه عن شىء
مذنب قوى ؟ وتحقيقا لذلك معلوم عندنا انه كان
قصده يحوشه . . فجواب : انه لم يعرف هذا
الأمر ، وان سليمان المذكور راح وجاء كام مرة الى
مصر ، وبقي له هنا مقدار شهر . فقليل له : إنه
موجود شواهد ان سليمان المذكور كان اخبره ان
مراده ان يغدر صارى عسكر العام ، وأنه اراد ان
يمنعه . فجواب : انه ما بلغه عن هذا الأمر ، بل أمس
تاريخه قال له : انه رائح ، ويمكن ان ما بقى يرجع .
فبعده احضرنا عبد الله الغزى لأجل يتفحص ثانيا
كما يذكر ادناه .

سئل : لى سبب قال إنه لم يعرف سليمان
الحلبى حين سألوه عنه ، بحيث إن موجودة شواهد
ان هذا له في مصر واحد وثلاثون يوما ، وأنه تقابل
وإياه جملة مرار ، وتحدث معه اكثر الايام ؟ فجواب :
حقا انه لم يعرفه .

سئل : هل يعرف واحدا يسمى محمد الغزى ،
الذى هو مثله مقرئ القرآن في جامع الأزهر ؟
فجواب : نعم .

سئل السيد عبد الله المذكور : لى سبب اكثر
ذلك ؟ فجواب : انهم لخطوا عليه السؤال ، وان هذا
الوقت بحيث إنهم سألوه عن سليمان الذى من حلب ،
فيقر انه يعرفه . فقليل له : إنه معلوم عندنا انه شافه
مرارا كثيرة ، وتحدث معه . فجواب : انه بقى له
ثلاثة ايام ما شافه .

سئل: هل إنه ما قصد يمنعه عن قتل سارى
عسكر العام ؟ فجاوب : انه ما قال له ابدا على هذا
الامر ، وانه لو كان بلغه منه ذلك ، كان منعه بكل
قدرته .

سئل : لاي سبب ما يحكى الصحيح . . بحيث
إنه موجودة عليه شواهد ؟ فجاوب : انه غير ممكن
يوجد عليه شواهد ، وانه ما شاف سليمان المذكور
إلا لأجل أن يستلموا على بعض حين تقابلوا .

سئل : هل سليمان ما أخبره ابدا عن سبب
مجيئه إلى مصر ؟ فجاوب : حاشا .

فبعد ذلك اخروا الاثنين المذكورين ، واحضروا
السيد احمد الوالى الذى هو متهم ، وسئل كما
يذكر .

سئل : عن اسمه وعمره ومسكنه وصنفته . . .
فجاوب : انه يسمى السيد احمد الوالى ، ولادة غرة ،
وصنفته مقرى القرآن فى الجامع الأزهر من مدة عشر
سنين ، ولم يعرف كام عمره .

سئل : هل يعرف الغرباء الذين يدخلون فى
الجامع ؟ فجاوب : أن وظيفته يقرأ ولا يتنبه الى
الغرباء . فتقبل له : إن بعض الغرباء الذين حضروا
هناك عن قريب يقولون إنهم شافوه فى الجامع .
فجاوب : انه ما شاف احدا .

سئل هل شاف رجلا حضر من بر الشام من
طرف الوزير ، وهذا الرجل قال إنه يعرفه ؟ .
فجاوب : لا ، وإن كان يقدرُوا يحضروا هذا الرجل
حتى يقابله .

سئل هل يعرف سليمان الحلبي ؟ فجاوب : إنه
يعرف واحدا يسمى سليمان الذى كان يروح يقرأ
عند واحد أفندى ، وكان طالب انه يستقيم فى الجامع ،
وأن هذا الرجل قال : إنه من حلب ، ومن مدة عشرين
يوما كان شافه وبعدها ما قابله . ثم كان قال له :
إن الوزير فى ياقا وأن عساكره ما كان عندهم دراهم ،
وكانوا يفتوتوه .

سئل : هل هذا الرجل المذكور ماهو تحت حايته ؟
فجاوب : انه لم يعرفه طيبا حتى يضمه .

سئل : هل الانسان الآخران المتهمان معارفه ؟
وهل أن الثلاثة تحدثوا سواء عن قريب أم أمسى
تاريخه مع سليمان المذكور ؟ فجاوب : لا ، بل انه
يعرف أن سليمان المذكور كان حضر لزيارة الجامع ،
وأنه وضع فى الجامع جلة اوراق مضمونها : انه كان
قوى متعبدا لخالقه .

سئل : هل المذكور أمسى أيضا ما وضع اوراقا فى
الجامع ؟ فجاوب : أن ماعنده خبر بذلك .

سئل : هل ما منع سليمان عن فعل ذنب بليغ ؟
فجاوب : انه ابدا ماحدثه بهذا الشيء ، ولكن قال له :
إن مراده يفعل شيء جنون ، وانه عمل كل جهده حتى
يرجعه .

سئل : إيش هو الجنان الذى قاصد يعمل
وحديثه عليه ؟ فجاوب : إنه قال له انه كان مراده
يفازى فى سبيل الله ، وأن هذه المغازاة هى قتل واحد
نصراني ، ولكن ما أخبره باسمه ، وانه قصد يمنعه
بقوله : إن ربنا اعطى القوة للفرنساوية ما احد يقدر
يمنعهم حكم البلاد .

فبعد هذا المتهم المذكور انشال لحظه . وهذا
الفحص تحتم بحضور صوارى العساكر المجموعين
بامضاء صارى عسكر مينو والدفتردار سارتلون الذى
هو ذاته حرر هذا الفحص بأمر صارى عسكر مينو .
ثم بعد قراءته على المتهمين . . . وضعوا اسماءهم
وخطهم بالعربى .

تحريرا فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه . .
ثلاثة امضاءات بالعربى . امضاء سارى عسكر مينو .
امضاء الدفتردار سارتلون . امضاء الترجمان لوماكا .

سارى عسكر العام مينو امير الجيوش الفرنسية
بمصر :

((تأسيس))

المادة الأولى — أن ينشأ ديوان قضاة لأجل أن
يشعروا على الذين غدروا سارى عسكر العام كلهم فى
اليوم الخامس والعشرين من شهر برريال .
المادة الثانية — القضاة المذكورون يكونوا تسعة .
وهم : صارى عسكر رينيه ، صارى عسكر فرياند ،



رينيه

يظهروا رفقاء القاتل ، ثم ان السكينة التي وجدت مع القاتل حين انمسك ، تبقى عند كاتم السر لاجل يظهرها في الوقت الذي يلزم . ثم وعدوا المجلس لصباح تاريخه في الساعة الرابعة « قبل » الظهر ، ثم حرروا خط بدهم مع كاتم السر .

امضاء الوكيل رجنيه . امضاء رئيس المعمار بريراند . امضاء رئيس المدافع فاو . امضاء رئيس العسكر جرجه . امضاء الجنرال موراند . امضاء الجنرال مارتينه . امضاء دفتردار البحر لرو . امضاء صارى عسكر روين . امضاء صارى عسكر رينيه . امضاء كاتم السر بينه .

إقرار الشهود

نهار تاريخه في ستة وعشرين شهر بريرال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى . نحن الواضعون اسماءنا فيه : الدفتردار سارتلون ، المسمى من حضرة صارى عسكر العام مينو امير الجيوش ، في وظيفة مبلغ . . . حكم الامر الذي خرج من طرفه ، انتشار القضاة في شرع القتالين صارى العسكر العام كلهبر ، والسيتوين بينه المسمى من القضاة المذكورين في مربة كاتم السر : إنه حضر بين يدنا يوسف برين عسكرى خيال من الطبجية الملازمين بيت صارى عسكر العام ، وقال لنا هو ورفيقه خيال ايضا يسمى روبرت : مسكوا المسلم سليمان المتهم في غدر صارى عسكر العام ، وانهم وجدوه في الجنيئة التي معمول فيها الحمامان الفرنساويان المتزقان بجنيئة صارى عسكر ، وانهم راوه مخبأ بين حيطان الجنيئة المهدودة ، وان الحيطان المذكورة كانت ملفطة بدم في بعض نواحي ، وان سليمان المذكور كان ايضا ملفط بدم ، وانهم مسكوه في هذه الحالة ، وان بعده التزموا يضربوه بالسيف لاجل يمضوه . ثم برين المذكور قال : إن بعد حوشة سليمان بساعة في الموضع ذاته الذي كان مخبأ فيه ، شاف سكينه بدمها ، وانه سلم السكينة في بيت صارى عسكر العام . . . فقربنا إليه إقراره هذا ، وسألناه هل فيه شيء زائد ام ناقص ؟ فجاوب : ان هذا كل الذي فعله وعيانه . ثم حرر خط يده معنا . . . امضاء : برين الخيال . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

ثم حرر ايضا بين ايدينا الشاهد الثاني ، وهو السيتوين روبرت الخيال احد الطبجية الملازمين ، وقال : انه حين كان يقتش على الذي قتل صارى عسكر . . . دخل في الجنيئة التي فيها الحمامان

صارى عسكر روين ، الجنرال موراند ، رئيس المعمار بريراند ، الوكيل رجنيه ، دفتردار البحر لرو ، والدفتردار سارتلون في وظيفة مبلغ ، والوكيل لهر في وظيفة وكيل الجمهور .

المادة الثالثة — القضاة المذكورون ينظر لهم

كاتم سر .

المادة الرابعة — القضاة المذكورون مفوضون

الامر في الكشف والتفتيش وحوش كل من يريدوا ، حتي إنهم بطلعوا على الذين لهم حصاة في الذنب المذكور ، او يكون عندهم خبره .

المادة الخامسة — القضاة المذكورون يتفقوا على

العذاب اللائق الى موت القاتل ورفقائه .

المادة السادسة — القضاة المذكورون يجتمعوا

من نهار تاريخه الذي هو السادس والعشرون من شهر بريرال لحد خلاص الشريعة المذكورة .

امضاء صارى عسكر مينو :

وهذه نسخة من الاصل . امضاء : الجنرال رقة كنتخدا مدير الجيوش .

شرح اجتماع القضاة في السنة الثامنة

من انتشار الجمهور الفرنساوى

في اليوم السادس والعشرين من شهر بريرال — حكم امر صارى عسكر العام مينو امير الجيوش الفرنساوى ، المحرر في نهار تاريخه — اجتمعوا في بيت صارى عسكر : رينيه المذكور ، وصارى عسكر روين ، ودفتردار البحر لرو ، والجنرال مارتينه — موصا عن صارى عسكر فريراند ، حكم امر صارى عسكر مينو — ثم الجنرال موراند ، ورئيس العسكر جرجه ، ورئيس المعمار بريراند ، ورئيس المدافع فاو ، والوكيل رجنيه ، والدفتردار سارتلون في ربة مبلغ ، والوكيل لهر في وظيفة وكيل الجمهور . . . لأجل قضاء شريعة قتل صارى عسكر العام كلهبر . الذي انفرد امس تاريخه .

القضاة المذكورون اجتمعوا مع شيخهم صارى

عسكر رينيه ، وعلى قرار امر صارى عسكر مينو المشروح اعلاه ، وحكم المادة الثالثة المحررة فيه . . . استخصوا كاتم السر لهم الوكيل بينه الذي حلف كما هي العوائد ولزم وظيفته . ثم القضاة المذكورون وكلوا صارى عسكر رينيه . والمبلغ الدفتردار سارتلون في التفتيش والجسر لكل من اكتشفوا عليه حكم ما هو محرر في المادة الرابعة المحررة اعلاه . وهذا لى



مصرع كبير

عسكر بزمان قليل ... حين شاف سليمان الطيبي الذي هو متهم في غدره وغدر صارى عسكر العام .. عرفه انه هو ذاته الذي كان ضرب صارى عسكر وبعده ضربه سليمان المذكور كام سكيئة غيب صوابه . فقرينا عليه ايضا غده الاضافة ، فجواب : انها حاوية الحق وما فيها زائد ولا ناقص ، ثم ختمها معنا .

امضاء : بروتاين . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

نهار تاريخه ستة وعشرين في شهر بريرال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى .. انا الواضع اسمى فيه مبلغ القضاة المأمور في شرع قتلة صارى عسكر العام كله : ذهبت الى مساعدين صارى عسكر المذكور لاجل ان اسمع إقرارهم ، ثم كان معى كاتم السر بينه ، وهم قالوا لنا كما يذكر ادناه :

السيوتين فورتونه دھوج ابن اربعة وعشرين سنة فسيال في طابور الخيالة ، ومساعد عند صارى عسكر كلهير . قال : « إنه في اليوم الخامس والعشرين من شهر بريرال ، كان مع صارى عسكر العام حين حضر الى الازبكية يشوف بيته الذي كان داير فيه العمارة ، وانه شاف رجلا بعممة خضراء ودلق وحش ، وكان دائما تابع صارى عسكر حين كان دائر يتفرج على المحلات . وانه هو وخلافه حسبوا هذا الرجل من جملة الفعلة ، فما أحد ساله . ولكن حين نزل صارى عسكر من بيته الى الجنيئة لاجل ينقل الى جنيئة صارى عسكر داماس .. السيوتين دھوج

الفرنساويان لوزق جنيئة صارى عسكر العام . وهناك شاف — برفقة برين المذكور — سليمان الطيبي مستخبي في ركن حيطان مهدودة ، وكان ملفط دم ، وفي راسه شرموطة زرقاء . وان في هذه الحالة عرفت ان هذا هو القاتل ، وان الحيطان التي كان فات عليها كانت ايضا ملفطة دم ، وان حين مسكوه بان منه وهم ، وان بعد حوشته بساعة شاف — برفقة السيوتين برين في الموضع ذاته — سكيئة بدمها ، وانهم سلموها في بيت صارى عسكر العام . والسكيئة المذكورة كانت مخبية تحت الأرض ... فقرانا عليه إقراره هذا ، ثم سألناه ان كان ما فيه زائد ام ناقص ؟ فجواب : ان هذا هو الذي فعله وشافه . ثم حزن خط يده معنا .

(حرر بمدينة مصر في النهار والشهر والساعة المحررة اعلاه . .)

امضاء : روبرت الخيال . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

« انا الدفتردار سارتلون المبلغ ، رحت الى بيت السيوتين بروتاين ، لانه كان راقدا بسبب جروحائه ، ثم استلمت منه التبليغ الاتي ادناه :

« انا حنا قسطنطين بروتاين ، المهندس وعضو من امضاء مدرسة العلم في بر مصر ... اننى كنت اتمشور تحت التكمية الكبيرة التي في جنيئة صارى عسكر وتطل على بركة الازبكية ، وكنت برفقة صارى عسكر العام ، فنظرت رجلا لابسا عثملى خارج من متدا التكمية من جنب الساقية . فانا كنت بعيد كام خطوة عن سارى عسكر اناذى على الغبراء ، فانتبهت لاجل اشوف السيرة ... رايت ان الرجل المذكور يضرب صارى عسكر بالسكيئة ذاتها كام مرة ، فارتيمت على الأرض .

« وفي الوقت سمعت صارى عسكر يصرخ ثانيا : بهيت ورحت قريبا من سارى عسكر ، فرايت الرجل يضربه فهو ضربنى ثانيا كام سكيئة التي رمتنى وفقيت صوابى وما عدت نظرت شيئا . غير اننى اعرف طيب اننا قعدنا مقدار ستة دقائق قبل ما احققا يسعنا » .

فبعده قريب هذا الاقرار على السيوتين بروتاين وسألته : هل فيه زائد ام ناقص ؟ فجواب : ان هذا الذي فعله وعابنه . ثم حرر خط يده معنا .

امضاء : بروتاين . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

والسيوتين بروتاين ، بعدما ختم الورقة اعلاه ، قال : « ان مقصوده يضيف عليها ان بعد غدر سارى

عقله عن هذا الفعل بقولهم : إنه ما يقدر عليه ، وهو ما دعاهم لمساعدته ، لأنه كان يعرفهم بليدين ، وأن اليوم الذى قصد التوجه فيه ليقتل صارى عسكر ، قابل أحدهم — الذى هو محمد الغزى — فعرفه أن مقصوده أن يتوجه الى الجيزة ليفعل هذا الفعل ، وأن تحمينه انه مثل المجنون من حين أراد أن يقضى هذا الأمر ، لأنه لو كان له عقل ما حضر من غزاة لهذا الأمر . وأن الأوراق التى وضعها هى بعض آيات من القرآن ، لأنه عوائد الكتبة اولاد العرب . . . وضعوا ذلك فى الجامع ، وأنه ما أخذ دراهم من أحد فى مصر ، لأن الاغوات كانوا اعطوا له كفايته . وأن الانفدى الذى كان يروح يقرأ عنده يسمى مصطفى انفدى . وكان يقرأ عليه بهار الاثنين والخميس تبع العادة . . . ولكن ما أخبره بسر ، خوفاً أن ينشهر . وأما من قبل الأربعة مشايخ المذكورين صحيح انه كان قال لهم كل شيء ، لأنهم من اولاد بلاده . ثم حقق لهم انه ناوى أن يغازى فى سبيل الله .

سئل : أين كان هو حين رجع الوزير من بر مصر فى ابتداء شهر جرمينال ، الموافق لشهر الإسلام ذى القعدة ؟ فجواب : انه كان فى القدس حاجج من حين كان الوزير أخذ العريش .

سئل : أين شاف أحمد آغا ، الذى يقول إنه عرض عليه مادة قتل صارى عسكر ، وفى أى يوم قال له ذلك ؟ فجواب : انه حين انكسر الوزير رجع الى العريش وغزة فى اواخر شهر شوال او فى اوائل شهر ذى القعدة — الموافق لشهر جرمينال الفرنساوى — وأن أحمد آغا المذكور هو من جملة اغوات الوزير ، ولكن كان رسم عليه فى غزاة حين أخذ العريش ، وحين رجع ارسله الى القدس فى بيت المتسلم . ثم إنه يوم وصوله توجه سلم عليه فى بيت المتسلم ، وشكا له من ابراهيم باشا متسلم حلب الذى كان يظلم أباه ، الذى يسمى الحاج محمد أمين ، يباع سمن ، وحططوه غرامات زائدة . ومن الجملة واحدة قبل سفر الوزير من الشام . ثم وقع فى عرضه بشأن ذلك . . ثم إنه رجع عند أحمد آغا ثانى يوم ، وأن الاغا فى وقتها قال له : إنه محب ابراهيم باشا ، وإنه ما يقصر ويوصيه فى راحة أبيه ، ولكن بشرط انه يروح يقتل أمير الجيوش الفرنسية .

ثم فى ثالث ورابع يوم كرر عليه أيضا هذا السؤال ، وحالا ارسله الى ياسين آغا فى غزاة لاجل أن يعطى له مصروفه ، وأنه من بعد هذا الكلام بأربعة أيام سافر من القدس الى الخليل ، وهناك قعد كام

شاف الرجل المذكور مدسوس بين جماعة صارى عسكر ، فنهزه وطرده برا . فبعد ساعتين — حين انقذر صارى عسكر — السيتوين دهبوج المذكور عرف دلق الخائن ، لأنه كان رماه جنب صارى عسكر . وبعد ، حين انمسك الرجل ، فعرفه انه هو الذى قبل بشوية طرده من الحينة . ثم قرئ هذا المضمون على السيتوين دهبوج المذكور لاجل بيان : هل يوجد شيء خلاقه يزيد أم ينقص ؟ فجواب : أن هذا الحق حكم ما عاين وفعل . ثم حرر خط يده مع كاتم السر . .

تحريرا فى اليوم والشهر والسنة المحررة اعلاه . .
إمضاء : السيتوين دهبوج . إمضاء : سارتلون .
إمضاء : بينه كاتم السر .

ثانى فحص سليمان الحلبي

تهار تاريخه ستة وعشرين من شهر برريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى . نحن الواضعون أسماءنا فيه : الدفتردار سارتلون برتبة مبلغ ، والوكيل بينه فى رتبة كاتم سر القضاة المتقامين الى شرع كل من هو متهم فى غدر صارى عسكر العام كلهير :

احضرنا سليمان الحلبي لاجل نسأله من اوله وجديد عن صورة غدر وقتل صارى عسكر . وهذا صار بواسطة السيتوين براشويش ، كاتم سر وترجان صارى عسكر العام ، كما يذكر أدناه :

سئل المذكور عن قصة صارى عسكر . . فجواب : انه حضر من غزاة مع قافلة حاملة صابون ودخان ، وأنه كان راكب هجين ، وبحيث أن القافلة كانت خائفة أن تنزل بمصر . . توجهت الى ريف يسمى الفيطنة فى ناحية الألفية . وهناك استكرى حمارا من واحد فلاح ، وحضر لمصر . ولكن لم يعرف الفلاح صاحب الحمار . ثم إن أحمد آغا ، وياسين آغا — من اغوات الينكجرية بحلب — وكلوه فى قتل صارى عسكر العام ، بسبب انه يعرف مصر طيب . . بحيث إنه سكن فيها سابق ثلاث سنوات ، وأنهم كانوا وصوه انه يروح ويسكن فى الجامع الأزهر ، وأن لا يعطى سره لأحد كليا ، بل يوعى لروحه ، ويكسب الفرصة فى قضاء شغله ، لأنها دعوة تحب السر والنباهة . ثم يعمل كل جهده حتى يقتل صارى عسكر . . لكن حين وصل الى مصر ، التزم يسار الأربعة مشايخ الدين أخبر عنهم ، لأنه لو كان ما قال لهم ، فما كانوا يسكنونه فى الجامع ، وأنه كان كل يوم يتحدث معهم فى هذا الأمر ، وأن المشايخ المذكورين قصدوا يغيروا

وأنه رجع حين شاف العثملى مقبلين لبر الشام من مصر .

سئل : هل هو فقط الذى توكل فى هذه الإرسالية ؟
فجواب : ان تخمينه هكذا ، لأن هذا الكلام قد حصل سرا ما بينه وبين الأغوات .

سئل : كيف كان يعمل حتى إنه كان يعرف الأغوات بالذى فعله ؟ فجواب : انه كان قصده يروح هو بنفسه يخبرهم ، أو يرسل لهم حالا ساعى .

فبعد خلاص الفحص المذكور ، انقرا على المتهم ، وهو حشور خط يده مع المبلغ وكاتم السر والترجمان .

حرد بمصر لى اليوم والشهر والسنة الحرة أعلاه .

امضاء : سليمان الحلبي بالعربى . امضاء : كاتم السر بينه .

مقابلة المتهمين مع بعضهم

تهاز تاريخه ستة وعشرين من شهر برريال ، السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى ...

انا الواضع اسمى فيه ، مبلغ القضاة المتقامين لشرع كل من هو متهم فى قتل صارى عسكر العام كلهير :

احضرنا الشيخ محمد الفزى لاجل نجدد فحصه ، وتقابله مع سليمان الحلبي قاتل صارى عسكر . ولهذا كان موجود معنا السيتون بينه كاتم سر القضاة المذكورين ، وصار كما يذكر ادناه :

سئل الشيخ محمد الفزى : هل يعرف سليمان الحلبي الموجود ههنا ؟ فجواب : نعم .

سئل سليمان الحلبي : هل يعرف الشيخ محمد الفزى الموجود ههنا ؟ فجواب : نعم .

سئل محمد الفزى : هل إن سليمان الحلبي ما قال له من قيمة واحد وثلاثين يوما إنه حضر من بر الشام من طرف احمد اغا ياسين اغا لاجل يقتل صارى عسكر العام ؟ وهل كل يوم ما حدثه فى هذا الشغل ، حتى إنه فى آخر يوم قال له إنه رائج الى الجيزة حتى يغدر صارى عسكر ؟ فجواب : ان هذا ما له أصل .. لكن حين شافوا بعضا وقع بينهم سلام فقط . ومن قبل آخر يوم الذى نوى فيه سليمان على الرواح الى الجيزة .. جاب له ورق وجبر ، وقال له : إنه ما يرجع إلا غدا .. فقيل : إنه ما يخبر بالصحيح ، لأن سليمان يحقق انه اخبره بهذه السيرة كل يوم ، وأن خشية قبل غدر صارى

يوم ، وما وصله ولا مكتوب من احمد اغا . واما احمد اغا المذكور كان ارسل خداما الى غزة لاجل يخبر ياسين اغا بالذى اتفقوا عليه .

سئل : كام يوم قعد فى الخليل ؟ فجواب : عشرين يوما .

سئل : لاي سبب قعد عشرين يوما فى الخليل ؟ وهل فى هذه المدة ما وصله مكاتيب من الاثنيين الأغوات ؟ فجواب : ان السكة كانت ملانة عرب ، وأنه خائف منهم ، فالتزم يستنظر سفر القافلة التى سافر برفقتها ، وأنه كان فى غزة فى أواخر شهر ذى القعدة ، الموافق لغرة فلوريال الفرنساوى .

سئل : إيش عمل فى غزة ؟ وإيش قال له ياسين اغا ؟ فجواب : ان ثانى يوم وصوله راح شاف الإغا ، والمذكور قال له : إنه يعرف الشغل الذى هو سبب مشواره هذا . وأنه أسكنه فى الجامع الكبير . وهناك مرار عديدة كان يروح يشوفه ليلا ونهارا ، ويتحدث معه فى هذا الأمر ، ويوعده أنه يرفع الفرائم عن أبيه ، وأنه دائما يجعل نظره عليه فى كل ما يلزمه . ثم بلغه عن كل الذى كان لازم يفعله ، كما شرح أعلاه . وهذا صار سرا بينهم . ثم أعطى له أربعين قرشا لمصروف السفر . وبعد عشرة أيام سافر من غزة راكب هجين ، ووصل هنا بعد ستة أيام ، كما عرف سابقا ، وأن سفره من غزة كان فى أوائل شهر ذى الحجة ، الموافق إلى نصف شهر فلوريال الفرنساوى ، فبقى باين أنه جين غدر صارى عسكر كان له واحد وثلاثون يوما فى مدينة مصر .

سئل : هل يعرف الخنجير الملقط دم ، الذى قتل به صارى عسكر ؟ فجواب : نعم يعرفه .

سئل : من اين احضر هذا الخنجير ؟ وهل احد من الأغوات أعطاه له ، أم احد خلافهم ؟ فجواب : انه ما احد اعطاه له ، وإنما بحيث إنه كان قاصد قتل صارى عسكر ، توجه الى سوق غزة واشترى أول سلاح شافه .

سئل : هل إن احمد اغا ، أو ياسين اغا ... ما حدثاه أصلا عن الوزير ، وعشموه بشيء من طرفه إن كان يقدر يقتل صارى عسكر ؟ فجواب : لا ، بل إنهم ذانهم وعدوه أنهم يساعده فى كل ما يلزمه إن كان يخرج هذا الشيء من يده .

سئل : هل إن الوزير نادى فى تلك النواحي بقتل الفرنساوية ؟ فجواب : انه لا يعلم ، بل يعرف ان الوزير كان ارسل طاهر باشا لاجل يعين الدين كانوا بمصر .

مسخر كان قال له : إنه رائج لقضاء هذا الأمر .
فجواب : أن هذا الرجل يكذب .

سئل : هل كان يروح مرارا عديدة بيت عند الشيخ الشرقاوى ؟ وهل في الأيام الأخيرة ما راح بات عنده ؟ فجواب : أن من حين دخول فرنساوية ما راح أبدا بات عنده . وأما قبل دخول فرنساوية ، كان يبيت عنده بعض مرار . فقليل له : إنه ما يحكى الصحيح ، لأن في فحص أمس قال : إنه كان يروح مرارا عديدة بيت عند الشيخ الشرقاوى . فجواب : أنه ما قال ذلك .

سئل سليمان الحلبي : هل يقدر يثبت على الشيخ محمد الحاضر بأنه كل يوم كان يخبره على نيته في قتل صارى عسكر ، وخصوصا عشية النهار الذي صباحه صار القتل ؟ فجواب : نعم ، وأنه ما قال إلا الصحيح ...

وأن الشيخ محمد الفزى ما كان يقر بالحق ، امرنا بضربه ، كصادة البلد ، فحالا انضرب لحد أنه طلب العفو ، ووعد أنه يحكى على كل شيء ... فارتفع عنه الضرب .

سئل : هل سليمان أخبره على ضميره في قتل صارى عسكر ؟ فجواب : أن سليمان كان قال له إنه حضر من غرة لأجل أنه يغازى في سبيل الله بقتل الكفرة فرنساوية ، وأنه منعه من ذلك بقوله : إنه يحصل له من ذلك ضرر ، وما عرفه أنه مراده يفسد صارى عسكر إلا الليلة التي راح فيها إلى الجيزة . وصباحها قتله .

سئل : لاي سبب ما حضر أخبرنا على سليمان المذكور ؟ فجواب : أنه أبدا ما كان يصدق أن واحدا مثل هذا يقتل على قتل صارى عسكر ، الذي الوزير بذاته ما قدر عليه !

سئل : هل أخبر بالذي قال له عليه سليمان لأخذ من المدينة ، وخصوصا إلى الشيخ الشرقاوى ؟ فجواب : أنه ما أخبر احدا بذلك . وحتى إذا وضعوه تحت القتل ما يقول بذلك .

سئل : هل يعرف احدا خلاف سليمان حضر لأجل غدر فرنساوية ؟ وابن هم قاعدين ؟ فجواب : أنه ما يعرف ، وأن سليمان ما قال له على احد . سئل سليمان المذكور ، أنه بشهر رفاقه . فجواب : أنه لم يعرف احدا في مصر ، وأن تخمينه ما فيه غير الذي قاصد قتل فرنساوية .

فبعد هذا صرفنا محمد الفزى المذكور لحبسه ، وابقينا سليمان لأجل تقابله مع السيد أحمد الوالى الذى جلا أحضرناه لأجل ذلك .

سئل : هل يعرف سليمان الحلبي الموجود ههنا ؟
فجواب : نعم .

سئل أيضا سليمان : هل يعرف السيد أحمد الوالى الموجود ههنا ؟ فجواب هو أيضا : نعم .

سئل السيد أحمد الوالى : هل إن سليمان ما أخبره على نيته في قتل صارى عسكر ، وخصوصا في العشية التي قصد بها التوجه لذلك ؟ فجواب : إن سليمان ، حين وصل من مدة ثلاثين يوما ، كان قال له إنه حضر حتى يغازى في الكفرة ، وأنه نصحه عن ذلك بقوله : إن هذا شيء غير مناسب . وما أخبره على سيرة صارى عسكر .

سئل سليمان المذكور أنه يبين هل حدثه أحمد الوالى في قتل صارى عسكر . وكم يوم له ما حدثه ؟ فجواب : أن في أوائل وصوله قال له : إنه حضر بقصد الغزو في الكفار ، وأن السيد أحمد ما رضى له بذلك . ثم بعد ستة أيام أخبره على نيته في قتل صارى عسكر ، ومن بعد ما عاهد حدثه بذلك . وقبل القدر بأربعة أيام ما كان قابله . فقبل للسيد أحمد الوالى : إنه لم يصدق في قوله لأنه ينكر أن سليمان ما أخبره بأنه كان ناوى يقتل صارى عسكر . فجواب : الآن ، لما فكره سليمان ، افتر أنه أخبره .

سئل : لاي سبب ما اشهر سليمان المذكور فجواب : أنه ما اشهره لسببين : الاول أنه كان يخمن أنه يكذب . والثانى : ما كان مستعنيه في فعل ماذه مثل هذه .

سئل : هل سليمان ما عرفه برفقائه ؟ وهل هو ما تحدث مع احدهم بذلك ، وخصوصا مع شيخ الجامع الذى هو ملزوم يخبره بكل ما يجرى ؟ محابوب : أن سليمان ما قال له على رفاقه ، وهو ما أخبر بذلك احدا ، ولا أيضا شيخ الجامع .

سئل : هل يعرف الأمر الذى خرج من صارى عسكر العام بان كل من شاف عنمل في البلد يحرق منه ؟ فجواب : أنه ما درى بذلك .

سئل : هل سكن سليمان بالجامع لسبب أنه قال له على مراده في قتل صارى عسكر ؟ فجواب : لا ... لأن كل اهل الإسلام تقدر تسكن في الجامع .

سئل سليمان : هل إنه ما قال بأنهم ما كانوا يريدوا يسكنوه لولا أنه قال لهم على سبب مجيئه لمصر ؟ فجواب : إن كامل القرياء لازم يخبروا عن سبب حضورهم . وأما هو يقول الحق إن ما احد من المتساخ ارتضى على مقصوده .

فبعد هذا أرسلنا السيد أحد الوالى الى حبسه .
وبقى سليمان العظمى لأجل مقابلة السيد عبد الله
الغزى الذى احضرناه فى الحال .

سئل سليمان : هل يعرف السيد عبد الله
الغزى الموجود ههنا ؟ فجاوب : نعم .

سئل السيد عبد الله الغزى : هل يعرف سليمان
الموجود ههنا ؟ فجاوب : نعم .

سئل السيد عبد الله الغزى : هل ما بلغه نية
سليمان فى قتل سارى صكر ؟ فجاوب واقر : ان
يوم حضور سليمان عرفه أنه حضر يغازى فى الكفرة ،
وأنه مراده يقتل سارى صكر ، وأنه قصد يمنعه
من ذلك .

سئل : لاي سبب ما شكاه ؟ فجاوب : أنه كان
يظن ان سليمان المذكور يتوجه عند المشايخ الكبار ،
وان المذكورين كانوا يمنهوه . ولكن من الآن صار
يخسر بالذين يحضرون بهذه النية .

سئل : هل يعرف ان سليمان اخبر احدا خلافه
فى مصر ؟ فجاوب : ان ما عنده علم بذلك .

سئل : هل يعرف ان موجود بمصر ناس خلاف
سليمان متوكلين فى قتل الفرنساوية ؟ فجاوب : ان
ما عنده خبر . وان تخمينه لم يوجد احد .

فبعد ذلك اتقرا هذا الفحص على الاربعة
التهومين ، وهم : سليمان العظمى ، ومحمد الغزى ،
والسيد احمد الوالى ، والسيد عبد الله الغزى . . .
وسالوهم هل جواباتهم هذه صحيحة ، ولا فيها
زائد ولا ناقص ؟ فاجابهم جاوبوا : لا . ثم حرروا
خط يدهم معنا بالعربى ، برفقة الاثنين المترجمين ،
وكانم السر .

حرر بمدينة مصر فى اليوم والنور والسنة المحررة اعلاه .
امضاء : المتهمين بالعربى . امضاء :
الترجمان لوكاما . امضاء : دعيا سومر براشويش ،
كانم السر ، وترجمان سارى صكر العام . امضاء :
المبلغ سارتلون . امضاء : كانم السر يمينه .

بعد خلاص الفحص المشروح اعلاه . . . اتا المبلغ
سارتلون سألت الاربعة المتهمين المذكورين اتهم
بختاروا لهم واحد لينكلم عنهم قدام القضاة ويحامي
عنهم . والمذكورون قالوا : ان ما هم عارفون من
بختاروا . فأوردنا لهم الترجمان لوماكا ، لأجل يعنى
لهم فى ذلك .

بيان فحص مصطفى الفتدى

نهار تاريخه سنة وعشرين شهر برديال ، السنة

الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى . اتا المبلغ
سارتلون ، وبينه كانم سر القضاة . . المنتشرين لشرع
كل من كان له جرة فى قتل سارى صكر العام كلهير .
احضرنا مصطفى الفتدى لكرى تفحص منه على الذى
قد حصل .

سئل : من اسمه وعمره ومسكنه وصنعتة .
فجاوب : بأنه يسمى مصطفى الفتدى ، ولادة برصة
فى بر اناضول ، وعمره واحد وثمانون سنة ، وساكن
فى مصر . ثم صنعتة معلم كتاب .

سئل : هل من مدة شهر شاف سليمان العظمى ؟
فجاوب : ان هذا الرجل مشدوده من مدة ثلاث
سنين ، وأنه من مدة عشرة أو عشرين يوما حضر عنده
وبات ليلة . ومن حيث إنه رجل فقير قال له : يروح
يفتش له على محل فيه .

سئل : هل سليمان المذكور ما اخبره أنه حضر
من بر الشام حتى يقتل سارى صكر العام ؟ فجاوب :
لا ، بل حضر عنده ليسلم عليه فقط لكونه معلمه من
قديم .

سئل : هل سليمان ما عرفه من سبب حضوره
لهذا الطرف ؟ وهل هو نفسه ما استخبر من ذلك ؟
فجاوب : ان كل اجتهاده كان فى أنه يصرفه من عنده
بجيت إنه رجل فقير ، بل سألته عن سبب حضوره ،
فأخبره لأجل يتقن القراءة .

سئل : هل يعرف بان سليمان زاح عند ناس من
البلد ، وخصوصا عند احد من المشايخ الكبار ؟
فجاوب : أنه لا يعرف شيئا لانه ما شافه إلا قليلا ،
وأنه لم يقدر يخرج كثيرا من بيته بسبب ضعفه
وكبره .

سئل : هل إنه ما يعلم القرآن إلا مشايدده ؟
فجاوب : نعم .

سئل : هل إن القرآن يرضى بالمغازاة ويامر بقتل
الكفرة ؟ فجاوب : أنه ما يعرف إرشى هى المغازاة التى
القرآن ينهى عنها .

سئل : هل يعلم مشايدده هذه الأشياء ؟ فجاوب :
واحد اختيار مثله ما له دعوة فى هذه الأشياء . بل إنه
يعرف ان القرآن ينهى عن المغازاة ، وان كل من قتل
كافرا يكسب أجرا .

سئل : هل علم هذا القرض لسليمان ؟ فجاوب :
أنه ما علمه إلا الكتابة فقط .

سئل : هل عنده خبر أن امس تاريخه رجل مسلم
قتل سارى صكر الفرنساوية ، الذى ما هو من

ملته ؟ وهل بموجب تعليم القرآن .. هذا الرجل فعل طيب ومقبول عند النبي محمد ؟ فجاوب : أن القاتل يقتل . وأما هو بظن أن شرف الفرنسية هو من شرف الإسلام ! وإذا كان القرآن يقول غيره شيئا ، هو ما له علاقة .

فحالا قدمنا سليمان المذكور ، وقابلناه بمصطفى افندى . ثم سألناه : هل شاف مصطفى افندى مرارا كثيرة ؟ وهل بلغه عن نيته ؟ فجاوب : أنه ما شافه سوى مرة واحدة لأجل أنه يسلم عليه ، بحيث إنه معلمه القديم . وبما أنه رجل اختيار ، وضعيف قوى ، ما رأى مناسب يخبره عن ضميره .

سئل : هل هو من ملة المغازين ؟ وهل إن المشايخ سمحوا له في قتل الكفار في مصر ليكتب له اجر ، ويقبل عند النبي محمد ؟ فجاوب : أنه ما فتح سيرة المغازاة إلا الى الأربعة مشايخ فقط الذين سماهم .

سئل : هل إنه ما تحدث مع الشيخ الشرقاوى ؟ فجاوب : أنه ما شاف هذا الشيخ لأنه ما هو من ملته بسبب أن الشيخ الشرقاوى شافى وهو حنفى .

فبعد هذا قرينا على سليمان ومصطفى افندى إقرارهم هذا . فجاوبوا : أن هذا هو الحق وما عندهم ما يزيدوا ولا ينقصوا . ثم حرروا خط يدهم برفقة الترجمان ونحن .

حرر بمصر في اليوم والشهر والسنة المحررة املاء .

امضاء : الاثنين المتهمين بالعربى . امضاء : لوماكا الترجمان . امضاء : سارتلون . امضاء : كاتم السر بينه .

هذه الرواية المنقولة في اليوم السابع والعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من إقامة الجمهور الفرنسية ... عن الوكيل سارتلون بحضور مجمع القضاة المفوضين لمحاكمة قاتل صارى عسكر العام كلهير ، وايضا لمحاكمة شركاء القاتل المذكور .

« يا ايها القضاة .. إن المناحة العامة والحزن العظيم الذى نحن مشتملون بهما الآن ، يخبران بعظم الخسران الذى حصل الآن بعسكرنا ، لأن صارى عسكرنا في وسط نصراته ومجاده ، ارتفع بغنة من بيننا بحد يد قاتل وذيل ، ومن يد مستأجرة من كبراء ذوى الخيانة والغيرة الخبيثة ... والان أنا معين ومأمور لاستدعاء الانتقام للمقتول ، وذلك بموجب الشريعة ، من القاتل المسفور وشركائه كمثل اشنع المخلوقات . لكن دعونى ، ولو لحظة ، خالطا فيض دموع عيني وحرراتى بدموعكم ولوعاتكم ... التى سببها هذا

المغذى الاسيف والمكرم النيف . فقللى احتساب جهل احتياجه لتأدية تلك الجزية لمستحقها . فوظيفتى كأنها ليست في الرؤية إلا لما بتفريق المهيب بماء هذه المصنوعة الشنيعة التى بوقوعها ارتبكت .

« سمعتم الآن قراءة إعلام وفحص المتهمين وباقي المكتوبات عما جرى منهم . وقط ما ظهر سيئة اظهر من هذه السيئة التى انتم محاكمون فيها ، من صفة الفدارين ببيان الشهود ، وإقرار القاتل وشركائه . » والحاصل كل شيء متحد ، ورامى الضياء المهيب لمناورة ذا القتل الكريه .. إني أنا راوى لكم سرعة الأعمال ، جاهد نفسى ، إن ظفرت ، لمنع غضى منهم .. منها . فلتعلم بلاد الروم والدنيا بكمالها ، أن الوزير الأعظم سلطنة العثمانية وروساء جنود عسكرها ... رذلوا انفسهم حتى أرسلوا قتال معدوم العرض إلى الجسرى والانجب كلهير .. الذى لا استطاعوا تقيده ، وكذلك ضموا الى عيوب مغلوبيتهم المجرم الظالم الذى لم تر أسوأ منه قبل .. السماء والأرض .

« تذكروا جملتكم تلك الدول العثمانية المحاربتين من اسلامبول ومن اقاصى ارض الروم وآناضول ، واصلين منذ ثلاثة شهور بواسطة الوزير لتسخير وضبط بر مصر ، وطالبين تخليتها بموجب الشروط الذى بمتفقيتهم بلاتهم مانعوا إجراءها . والوزير أفرق بر مصر وبر الشام بمناداته ، مستدعى بها قتل عام الفرنسية . وعلى الخصوص هو عطشان لانتقامه لقتل سر عسكرهم . وفي لحظة الذين هم إهالى مصر محتفين باغويات الوزير ، كانوا محرومين شفقات ومكارم نصيرهم . وفي دقيقة الدين هم اسارى ومجروحين العثمانية هم مقبولين ومرعيين في دور ضيوفنا وضعفائنا ... تقيد الوزير بكل وجوه بتكميل سوء غفارته تلوه منذ زمان طويل ، واستخدم لذلك اغا مغضوبا منه ، ووعد له إعادة لطفه وحفظ راسه الذى كان بالخطر إن كان يرتضى بنا الصنع الشنيع .

« وهذا المغوى هو احمد اغا المحبوس بغزة منذ ما ضبط العريش وذهب للقدس بعد انهزام الوزير في اوائل شهر جرمينال الماضى . والاغا المرقوم محبوس هناك بدار متسلم البلد . وفي ذلك الملجا فهو مبتكر باجراء سوء الخبيث الذى يستثقل التقدير ، لا فهم ولا معه تدبير ... سيما هو عامل شيء لاجراء انتقام الوزير .

« وسليمان الحلبي شب مجنون ، وعمره أربعة وعشرون سنة ، وقد كان بلا ريب متدنس بالخطايا .

لزم أن يطردوه مرارا مختلفة ، لكن هو الكار عقيب
غدر ... اتعاده .

« وفي يوم الخامس والعشرين من شهرنا الجارى ،
وصل واختفى فى جنيئة السرعسكر لتقيل يده .
فالسر عسكر لا أبى عن قيافة فقره . وفى حال
ما السر عسكر ترك له يده ، ضربه سليمان بخنجره
ثلاثة جروح . وقصد الستون بروتاين - الذى هو
رئيس المعمار ومصاحب العرفاء - وجاهد لحماية
السر عسكر ، لكن ما نفع جسارته ، فهو بذاته وقع
ايضا مجروح عن يد القاتل المسفور بستة جروحات ،
وبقى لا يستطيع شئ . وهكذا وقع بلا صيانة ، وهو
اللى كان من الأماجد فى الحرب ، ومخاطرات الفزا .
وهو أول الذين مضوا برياسة عسكر دولة الجمهور
الفرنساوى المنصور الرهن الرهين . وهو فتح ثانيا
ير مصر حينئذ بهجوم سحائب من العثمانية . . .
فكيف اقتدروا ضم الوجة العميق الجملة الى دموع
الأجنساد ، الى لوعات الرؤساء وجميع الجنرالية
اصحابه بالمجاهدة والماجدة . . . بالمناحة وموالهة
العسكر . . . انتم جميعا تنعوه ، والمحاسنات تستأله
وتنبى له .

« القاتل سليمان ما قدر يهرب من مفاشاة
الجيش غضوبين له : الدم ظاهر فى ثيابه ، وخنجره
واضطرابه ووحشة وجهه وحاله . . . كشفوا جرمه .
وهو بالذات مقر بذنبه بلسانه ، ومسمى شركاه .
وهو كمداح نفسه للقتل الكريه صنع يديه ، وهو
مستريح بجواباته للمسائل ، وينظر محاضر سياسات
عذابه بعين رقيقة . والرفاهية هى الثمر المحصول
من العصمة والتفاوه ، فكيف تظهر بوجوه الآتمين
ومسامحينهم ؟

« شركاء سليمان الأثيم كانوا مرتين سره للقتل
الذى حصل من غفلتهم وسكوتهم . قالوا باطلا إنهم
ما صدقوا سليمان هو مستعد بذات الأثم ، وقالوا
باطلا أيضا إن لو كانوا صدقوا ذا المجنون كانوا فى
الحال شايعين خيائته . لكن الأعمال شهود تزور
وتنبى أنهم قابلوا القاتل وما غيروا له نية إلا خوف
مهلكتهم ومصممين تهلكة غيرهم ، ولا هم مستعدين
وجها من الوجوه . . . لا حكي لهم شئ من مصطفى
أفندى : بما أن لا ظهر شئ عند ذاك الشيب يثبت
معاقرته بشكل العذاب اللائق للمذنبين ، هو تحت
اصطفاكم بموجب الامر من الذى انتم مأمورون بعقيقه
لمحاكمة السيئين . واطن أن يليق أن تصنعوا لهم من
العذابات العادية بسلاد مصر . ولكن عظمة الأثم

ظهر عند ذا الأغا يوم وصوله القدس ، ويترجى
صيانته لحراسة أبيه ، تاجر حلب ، من اذيات أبراهيم
باشا والى حلب . . . يرجع له سليمان يوم غدره .
فقد كان استفتش الأغا عن احتيال أصل وفصل
ذا الشب المجنون ، وعلم أنه مشغل بجامع بين
قراء القرآن ، وأنه هو الآن بالقدس للزيارة ، وأنه قد
حج سابقا بالحرمين ، وأن العته النسكى هو منصوب
فى أعلى رأسه المضطرب من زيفانه وجهالاته بكماله
إسلامه ، وباعتماده أن السعى منه جهاد وتهليك الغير
المؤمنين ، فمما أنهى وأيقن أن هذا هو الايمان . ومن
ذلك الآن ما بقى تردد أحمد اغا فى بيان ما نوى منه ،
فوعده له حمايته وإنعامه . وفى الحال أرسله الى
ياسين اغا . . . ضابط مقدار من جيوش الوزير بغزة ،
وبعته بعد أيام لمعاملته ، واقبضه الدراهم اللازمة
له . وسليمان قد امتلا من خبايته ، وسلك بالطرق ،
فمكث واحد وعشرين يوم فى بلد الخليل بجيرون
منتظر فيه قبيلة للذهاب البادية . . . وكل مستعجل .
« ووصل غزة فى أوائل شهر فلوريال الماضى ،
وياسين اغا مسكنه بالجامع لاستحكام غيرته . والمجنون
يواجهه مرارا وتكرارا بالنهار والليل مدة عشرة أيام
مكثه بغزة . . . يعلمه . وبعد ما أعطاه أربعين غرشا
أسدبا ركه بعقبة الهجين الذى وصل مصر بعد
سنة أيام ، ومتمن بخنجر . . .

« دخل بأواسط شهرنا فلوريال الى مصر . . .
التي قد سكنها سابقا ثلاث سنين . وسكن ، بموجب
تربيته ، بالجامع الكبير ، ويتحضر فيه للشيئة التي
هو مبعوث لها ، ويستدعى الرب تعالى بالمناداة وكتب
المناجاة ، وتعليقها بالسور مكانه بالجامع المذكور
أعلاه . وتأنس مع الأربعة مشايخ الذين قروا القرآن
مثله ، وهم مثله مولودين ببر الشام . وسليمان
أخبرهم بسبب مراسلته ، وكان كل ساعة معهم
متوأمين به ، لكن ممنوعين بصعوبة ومخاطرات
الوحدة : محمد الفزى ، والسيد أحمد الوالى ،
وعبد الله الفزى ، وعبد القادر الفزى . . . هم معتمدين
سليمان بارتقاهان ما نواه ، ولا عاملو شئ لممانعته ،
أو لبيانه . وعن مداومة سكونهم به صاروا مسامحين
ومشتركين فى قبحة القاتل . هو منتظر واحد وثلاثين
يوم معدودة بمصر ، فعقبه جزم توجهه الى الجزيرة .
ويذاك اليوم اعتمد سره الى الشركاء المذكورين أعلاه .
وكان كل شئ صار سهل . . . جزم القاتل بمصنوعته
الشنيعة .

« ويوم الفدوة طلع السر عسكر من الجزيرة متوجها
مصر ، وسليمان طوى الطرق ولحقه « هلقدر » حتى

الفتوى الخارجة من طرف ديوان القضاة المنتشرين
بامر صارى عسكر العام مينو امير الجيوش الفرنسية
في مصر ، لأجل شرعية كل من له جرة في غدر وقتل
سارى عسكر العام كلهير

في السنة الثامنة من انتشار الجمهور
الفرنساوى . وفي اليوم السابع وعشرين من
شهر برريال . . . اجتمعوا في بيت صارى عسكر
رينيه المذكور ، وصارى عسكر روين ، ودفتردار
البحر لرو ، والجنرال مارتينه ، والجنرال مورانه ،
ورئيس العسكر جرجه ، ورئيس المدافع فاور ،
ورئيس المعمار برترنه ، والوكيل رجينه ، والدفتردار
سارتلون في رتبة مبلغ ، والوكيل لهر في رتبة وكيل
الجمهور ، والوكيل بينه في رتبة كاتم السر .

وهذا ما صار حكم امر سارى عسكر العام مينو
امير الجيوش الفرنسية الذى صدر امس ، واقام
القضاة المذكورين لكى يشرعوا على الذى قتل صارى
عسكر العام كلهير في اليوم الخامس والعشرين من
الشهر ، ولكى يحكموا عليه بمعرفتهم . فحين
اجتمعوا : القضاة المذكورين . وصارى عسكر رينيه
الذى هو شيخهم ، امر بقراءة الامر المذكور اعلاه ،
الخارج من يد صارى عسكر مينو . ثم بعده المبلغ
قرا كامل الفحص والتفتيش ، الذى صدر منه في حق
المتهمين ، وهم : سليمان الحلبى ، والسيد عبد القادر
الغزى ، ومحمد الغزى . وعبد الله الغزى ، واحمد
الوالى ، ومصطفى افندى . فبعد قراءة ذلك ، امر
صارى عسكر رينيه بحضور المتهمين المذكورين قدام
القضاة - وهو من غير قيد ولا رباط - بحضور
وكيلهم . . . والابواب مفتحة قدام كامل الموجودين .
فحين حضروا . . . صارى عسكر رينيه وكامل
القضاة ، سالوهم جملة سؤالات ، وهذا بواسطة
الخوaja براشويش الترجان ، فهم ما جاوبوا إلا بالذى
كانوا قالوه حين انفحصوا . فصارى عسكر رينيه
سالهم ايضا : إن كان مرادهم يقولوا شيء مناسب
لتبرئتهم ؟ فما جاوبوه بشيء . فحالا صارى عسكر
المذكور امر بردهم الى الحبس مع الغفراء عليهم .

ثم إن صارى عسكر رينيه التفت الى القضاة
وسالهم : إيش رأيهم في عدم حديث المتهمين ؟ وامر
بخروج كامل الناس من الديوان ، وقفل المحل عليهم
لأجل استشاروا بعضهم من غير ان احدا يسمعهم .

ثم اوضع اول سؤال وقال : سليمان الحلبى (ابن
اربعة وعشرين سنة ، وساكن بطلب . . . متهم يقتل

تستدعى ان يصير عذابه مهيب . فان سالتوني اجبت
انه يستحق الخوزفة ، وان قبل كل شيء تحترق يد
ذا الرجل الاثيم ، وانه هو يموت بأعذابه ويبقى جسده
لماكول الطيور . وبجهة المسامحين له يستحقون الموت
لكن بغير عقوبة ، كما قلت لكم ونبهت !

« فليعلم الوزير ، والعشلية الظالمين تحت امره ،
حد جزاء الاثمين الذين ارتكبوا بقصد انتقامهم لعدم
المروءة ، انهم عدموا من عسكرنا واحد مقدم سبب
دائى دموعنا ولوعتنا الابدية ، فلا يحسبوا ولا يأملوا
باقلال جزائنا .

« إنما خليفة السر عسكر المرحوم ، هو رجل قد
شهر شجاعة ، ومضى قدماء بصفاء ضمير منير ، وهو
مشار اليه بالبنان لمعرفته بتدبير الجنود والجمهور
المنصور ، وهو يهدينا بالنصرة .

« واما اولئك المعدومين القلب والعرض ، فلا احرت
وجوههم بانتقامهم ، وانهمزاهم باق ، ثم عدم
اعتبارهم بالتواريخ لا بد انهم باقيين بالردالة ، لا نفع
لهم قدام العالم إلا اكتساب خجالتهم ، ولعدم المبالة
حالا كشفتها لهم اثبت محاكمات ، كما يأتى بيانها :

اولا : ان سليمان الحلبى مثبت اسمه الكرية بقتل
السر عسكر كلهير . فلهذا هو يكون مدحوض بتحريق
يده اليمنى وبتحريقه حتى يموت فوق خازوقه ،
وجيفته باقية فيه لماكولات الطيور .

ثانيا : ان الثلاثة مشايخ المسمين : محمد الغزى ،
وعبد الله الغزى ، واحمد الغزى ، يكونوا متبينين
منكم انهم شركاء لهذا القاتل ، فلذلك يكونوا
مدحوضين بقطع رؤوسهم .

ثالثا : ان الشيخ عبد القادر الغزى يكون مدحوضا
بذلك العذاب .

رابعا : ان إجراء عذابهم يصير بعودة المجتمعين
لدفن السر عسكر وامام العسكر . . . وناس البلد
لذلك الفعل موجودين فيه .

خامسا : ان مصطفى افندى تبين غير مثبت
مسامحته ، وهو مطلق الى ما نوى .

سادسا : ان ذا الاعلام وبيناته وما جرى يطبع في
خمس نسخ ، ويؤول من لسان الفرنسية بالعربى
والتركى لتلزيقها بمحلات بلاد مصر بكما لها
بموجب الامور .

حرر بمصر القاهرة في اليوم السابع وعشرين من
شهرنا برريال ، سنة ثمانية من إقامة الجمهور
المنصور . . . مفضى : سارتلون .

يسمى تل العقارب ، وبعد دفن سارى عسكر العام
كلهبر ، وقدام كامل العسكر واهل البلد الموجودين
في المشهد .

ثم افتوا بموت السيد عبد القادر الغزى مذنب
ايضا ، كما ذكر اعلاه ، وكل ما تحكم يده عليه يكون
حلال للجمهور الفرنسيين . ثم هذه الفتوى الشرعية
تكتب وتوضع فوق البيت الذي مختص بوضع راسه .
وايضا افتوا على محمد الغزى وعبد الله الغزى
واحمد الوالى ان تقطع رءوسهم ، وتوضع على
نابيت ، وجسمهم يحرق بالنار . وهذا يصير في
الحل المعين اعلاه ، ويكون ذلك قدام سليمان الحلبي
قبل ان يجرى فيه شيء .

هذه الشريعة والفتوى لازم ينطبعوا باللغة التركية
والعربية والفرنساوية . . من كل لغة قدر خمسمائة
نسخة ، لكي يرسلوا ويتعلقوا في المحلات اللازمة ،
والبلغ يكون مشهل في هذه الفتوى .

تعميرا الى مدينة مصر في اليوم والشهر والسنة المحررين اعلاه .
ثم إن القضاة خطوا خط يدهم باسمائهم برفقة
كاتب السر . . . ممضى في اصله .

ثم هذه الشريعة والفتوى انقرت وتقرت على
المدينين بواسطة السيئين لوماكا الترجمان قبل
قصاصهم . فهم جاوبوا ان ما عندهم شيء يزيدوا رلا
ينقصوا على الذي اقروا به في الاول . فحالا قضوا
امرهم في ثمانية وعشرين من شهر برديال ، حكم
الاتفاق وقبل نصف النهار بساعة واحدة .

حرد مصر في ثمانية وعشرين برديال ، السنة الثامنة من انتشار
الجمهور الفرنسي .

ثم ختموا باصله : الدكتور دار سارتلون ، وكاتب
السر بينه .

وهذه نسخة من الاصل . . . امضاء . كاتب السر بينه
وهذا آخر ما كتبوه في خصوص هذه القضية ،
ورسموه وطبعوه . . . بالحرف الواحد . ولم اغسر
شيئا مما رقم . اذ لست ممن يحرف الكلم . وما فيه
من تحريف فهو كما في الاصل . والله اعلم واحكم .

٢٥ منه (١٨ يونيو ١٨٠٠ م) :

اشتغلوا بأمر سارى عسكرهم المقتول ، وذلك
بعد موته بثلاثة أيام كما ذكر ، ونصبوا مكانه
عبد الله جاك مينو ، ونادوا في المدينة بالكف
والرش في جهات حكام الشرطة . فلما أصبحوا
اجتمع عساكرهم واکابرهم وطائفة عينها القبط
والشوام وخرجوا بموكب مشهده ركباناً ومضاه .

سارى عسكر العام وجرح السيئين برومان المهندس .
وهذا صار في جنيئة سارى عسكر العام في حمصة
وعشرين من الشهر الجارى . . . فهل هو مذنب ؟
فالقضاة المذكورين ردوا - كل واحد منهم لوحده -
والجميع يقول واحد : إن سليمان الحلبي مذنب .

السؤال الثانى : السيد عبد القادر الغزى مقرى
قرآن في الجامع الأزهر ، ولادة غزة ، وساكن في مصر
متهم انه بلغه بالسرى في غدر سارى عسكر العام ،
وما بلغ ذلك ، وقصد الهروب . . . فهل هو مذنب ؟
فالقضاة جاوبوا تماما : إنه مذنب .

ثم وضع السؤال الثالث ، وقال : محمد الغزى
ابن خمسة وعشرين سنة ، ولادة غزة ، وساكن في
مصر ، مقرى قرآن في الجامع الأزهر ، متهم انه
بلغه بالسرى في غدر سارى عسكر ، وأنه - حين ذلك
القادر كان نوى الرواح قضاء فعله - بلغه ايضا
وهو ما عرف احدا بذلك . . . فهل هو مذنب ؟ فالقضاة
جاوبوا تماما : إنه مذنب .

السؤال الرابع : عبد الله الغزى ابن ثلاثين سنة ،
ولادة غزة ، ومقرى قرآن في الجامع الأزهر ، متهم
انه كان يعرف في غدر سارى عسكر ، وأنه ما بلغ
احدا بذلك . . . فهل هو مذنب ؟ فالقضاة جاوبوا
تماما : إنه مذنب .

السؤال الخامس . أحمد الوالى ، ولادة غزة ،
مقرى قرآن في جامع الأزهر ، متهم ان عنده خبر
في غدر سارى عسكر ، وأنه ما بلغ احدا بذلك . . .
فهل هو مذنب ؟ فالقضاة جاوبوا تماما : إنه مذنب .
السؤال السادس مصطفى اقندى ، ولادة
بورصة في بر اناضول ، عمره واحد وثمانون سنة ،
ساكن في مصر ، معلم كتاب ، ما عنده خبر بغدر
سارى عسكر . . . فهل هو مذنب ؟ فالقضاة تماما
جاوبوا بانه غير مذنب ، وامروا باطلاقه .

فبعد ذلك . . . القاضى وكيل الجمهور ، طلب
انهم يقتوا بالموت على المدينين المشروحين اعلاه .
فالقضاة تشاوروا مع بعضهم ليعتمدوا على جنس
مذاب لائق لموت المدينين اعلاه . ثم بدأوا بقراءة
خامس مادة من الامر الذى اخرجهم أمس سارى
عسكر مينو بسبب ذلك ، والذى بوجه اقامهم
قضاة في فحص وموت كل من كان له جرة في غدر
وقتل سارى عسكر العام كلهبر . ثم اتفقوا جميعهم
ان يعذبوا المدينين ، ويكون لائق للذنب الذى صدر .
وافتوا ان سليمان الحلبي تحرق يده اليمين ، وبعده
يتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تاكل رمته
الطيور . وهذا يكون فوق التل الذى برا قاسم بيك ،

واقضى أمره . واستقر عوضه في السرسكرية
قائمقام عبدالله جاك مينو — وهو الذي كان متولى
على رشيد من قذومهم — وقد كان أظهر أنه أسلم
وتسمى بعبد الله وتزوج بامرأة مسلمة . وقلدوا
عوضه في قائممقامية «بليار» . فلما أصبح ثاني يوم
حضر قائممقام والأغا الى الأزهر ، ودخلا اليه وشفا
في جهاته وأروقتة وزواياه بحضرة المشايخ .

٢٧ منه (٢٠ يونيو ١٨٠٠ م) :

حضر ساري عسكر عبد الله جاك مينو وقائمقام
والأغا وطافوا به أيضا ، وأرادوا حفر أماكن للتفتيش
على السلاح ونحو ذلك . . ثم ذهبوا . فشرع
المجاورون به في نقل أمتعتهم منه ونقل كتبهم وإخلاء
الأروقة ، ونقلوا الكتب الموقوفة بها الى أماكن
خارجة عن الجامع ، وكتبوا أسماء المجاورين في
ورقة ، وأمروهم ألا يبيت عندهم غرب ، ولا يؤووا
اليهم أفاقيا مطلقا ، وأخرجوا منه المجاورين من
طائفة الترك .

ثم ان الشيخ الشرقاوى والمهدى والصاوى
توجهوا في عصرتها عند كبير الفرنسيين مينو ،
واستأذنوه في قتل الجامع وتسميره . فقال بعض
القبطة الحاضرين للأشياخ : « هذا لا يصح ،
ولا يتفق » . فحقن عليه الشيخ الشرقاوى ، وقال :
« اكفونا شر دسائسكم يا قبطة (١) »

وقصد المشايخ من ذلك منع الريية بالكلية . فان
للأزهر سعة لا يمكن الإحاطة بمن يدخله ... فربما
دس العدو من يبيت به ، واحتج بذلك على انجاز
غرضه ونيل مراده من المسلمين والفقهاء ، ولا يمكن
الاحتراس من ذلك . فاذن كبير الفرنسيين بذلك
لما فيه من موافقة غرضه باطنا . فلما أصبحوا قتلوه
وسمروا أبوابه من سائر الجهات .



عبد الله جاك مينو

وقد وضعوه في صندوق من رصاص مسنم الغطاء ،
ووضعوا ذلك الصندوق على عربة ، وعليه برنيطته
وسيفه والخنجر الذي قتل به ، وهو مغسوس بدمه .
وعملوا على العربة أربعة ييارق صفار في أركانها
معمولة بشعر أسود ، ويضربون بطبولهم بغير
الطريقة المعتادة . وعلى الطبول خرق سود ،
والعسكر بأيديهم البنادق وهي منكسة الى أسفل .
وكل شخص منهم معصب ذراعه بخرقه حرير
سوداء . ولبسوا ذلك الصندوق بالقطيفة السوداء
وعليها قصب مخيش ، وضربوا عند خروج الجنازة
مدافع وبنادق كثيرة ، وخرجوا من بيت الأزيكية
على باب الخرق الى درب الجساميز الى جهة
الناصرية .

فلما وصلوا الى تل العقارب ، حيث القلعة التي
بنوها هناك ، ضربوا عدة مدافع . وكانوا أحضروا
سليمان الحلبي والثلاثة المذكورين ، فأمضوا فيهم
ما قدر عليهم . ثم ساروا بالجنازة الى أن وصلوا باب
قصر العينى فرفعوا ذلك الصندوق ووضعوه على
علوة من التراب بوسط تخشبية صنعوها وأعدوها
لذلك . وعملوا حولها درابزين وفوقه كساء أبيض
وزرعوا حوله أغواد سرو ، ووقف عند بابها شخصان
من العسكر بينادقهما ملازمان ليلا ونهارا يتناوبان
الملازمة على الدوام .

(١) لا يجد المستعمر برماء الخصيب الا في هذا الجور المشجور
يسوء الظن بين أبناء الوطن الواحد ... فلنحذر ...

الاثنين غايته (٢٣ يونيو ١٨٠٠ م) :

جمعوا الوجاقلية وأمرهم باحضار ما عندهم من الأسلحة . فاحضروا ما أحضروه ... فشددوا عليهم في ذلك . فقالوا : « لم يكن عندنا غير الذى أحضرناه » . فقالوا : « وأين الذى كنا نرى لمعانه عند متاريسكم ؟ » . فقالوا : « تلك أسلحة العساكر العثمانية والأجناد المصرية وقد سافروا بها » .

سفر

الثلاثاء اوله (٢٤ يونيو ١٨٠٠ م) :

سافر بعض الأعيان من المشايخ وغيرهم الى بلاد الأرياف بمياليهم وحرسمهم . وبعضهم بعث حريمه وأقام هو ... فسافر الشيخ محمد الحريرى ، وصحب معه حريم الشيخ السحيمى وصهره الشيخ المهدي . فلما رأهم الناس عزم الكثير منهم على الرحلة . واكثروا المراكب والجمال وغير ذلك .

فلما أشيع ذلك ، كتب الفرنسيين أوراقا ، ونادوا فى الأسواق بعدم انتقال الناس ، ورجوع المسافرين ، ومن لم يرجع بعد خمسة عشر يوما نهبت داره . فرجع أكثر الناس ممن سافر أو عزم على السفر الا من أخذ له ورقة بالأذن من مشاهير الناس ، أو احتج بعذر كأن يكون فى خدمة لهم ، أو قبض خراج ، أو مال أو غلال من التزامه .

وفيه : قرروا فردة أخرى وقدرها أربعة ملايين ، وقدر المليون مائة وستة وثمانون ألف فرانسة . وكان الناس ماصدقوا قرب تمام الفردة الأولى بعد ما قاسوا من الشدائد ما لا يوصف ... ومات أكثرهم فى الحبوس وتحت العقوبة ، وهرب الكثير منهم ، وخرجوا على وجوههم الى البلاد ، ثم دهوا بهذه الداهية أيضا . فقررؤا على العقار والدور مائتى ألف فرانسة ، وعلى المتزمتين

مائة وستين ألفا ، وعلى التجار مائتى ألف ، وعلى أرباب الحرف المستورين ستين ألفا . وأسقطوا فى نظير المنهوبات مائة ألف . وقسموا البلدة ثمانية أخطاط ، وجعلوا على كل خطة منها خمسة وعشرين ألف ريال . ووكلوا بقبض ذلك مشايخ الحارات والأمير الساكن بتلك الخطة : مثل المحتسب بجهة الحنفى وعمر شاه وسوقه السباعين ودرب الحجر ، ومثل ذى الفقار كتحدا جهة المشهد الحسينى وخان الخليلى والغورية والصنادقية والأشرفية ، وحسن كاشف جهة الصلية والخليفة وما فى ضمن كل من الجهات والعطف والبيوت .

فشرعوا فى توزيع ذلك على الدور الساكنة وغير الساكنة ، وقسموها عال وأوسط ودون ، وجعلوا العال ميتين ريالا والوسط أربعين والدون عشرين ، ويدفع المستأجر قدر مايدفع المالك . والدار التى يجدونها مغلقة وضاحبها غائب عنها يأخذون ماعليها من جيرانها ١١

السبت ٢٦ منه (١٩ يوليو ١٨٠٠ م) :

أخرجوا عن الشيخ السادات ، ونزل الى بيته بعد أن غلق الذى تقرر عليه ، واستولوا على حصصه وأقطاعه ، وقطعوا مرتباته ، وكذلك جهات حريمه ، والحصص الموقوفة على زاوية أسلافه . وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس ، وأن لا يركب بدون إذن منهم ويقتصد فى أموره ومعاشه ، ويقلل أتباعه .

ربيع الأول

(٢٣ يوليو - ٢١ اغسطس ١٨٠٠ م)

فيه : نادوا على الناس الخارجين من مصر ، من خوف الفردة وغيرها ، بأن من لم يحضر من بعد اثنين وثلاثين يوما من وقت المناداة ... نهبت داره ، وأحيط بموجوده ، وكان من المذنبين .

كانوا يفتحونها وينهبون ما فيها من جميع البضائع والأقمشة والعطر والبخان خانا بعد خان فاذا فتحوا حاصلا من الحواصل قوموا ما فيه بما أحسوا بأبخس الأثمان وحسبوا غرامته ، فان بقى لهم شيء أخذوه من حاصل جاره ! وان زاد له شيء أحالوه على جاره الآخر كذلك ! وهكذا ... ونقلوا البضائع على الجمال والحمير والبغال ، وأصحابها تنظروا وقلوبهم تنقطع حسرة على مالهم . وإذا فتحوا مخزنا دخله أمناءهم ووكلاؤهم فيأخذون ما يجدونه من الودائع الخفيفة أو الدراهم وصاحب المحل لا يقدر على التكلم ، بل ربما هرب ، أو كان غائبا .

وفيه : حرروا دفاتر العشور ، وأحصوا جميع الأشياء الجليلة والحقيرة وربوها بدفاتر وجعلوها أقلاما يتقلدها من قوم يدفع مالها المحرر ، وجعلوا جامع أربك الذى بالأزبكية سوقا لمزاد ذلك بكيفية يطول شرحها . وأقاموا على ذلك أمانا كثيرة يجتمعون لذلك فى كل يوم ، ويشترك الاثنان فأكثر فى القلم الواحد وفى الأقلام المتعددة .

وفيه : كثر الهدم فى الدور ، وخصوصا فى دور الأمراء ومن فر من الناس ... وكذلك كثر الاهتمام بتعمير القلاع وتحصينها وإنشاء قلاع فى عدة جهات ، وبنوا بها المخازن والمساكن وصهاريج الماء وحواصل الجبجحات ... حتى يبلاد الصعيد القبلية .

جمادى الأولى

(٢٠ سبتمبر - ١٩ أكتوبر ١٨٠٠ م)

استهل هذا الشهر ... والأمور من أنواع ذلك تتضاعف ، والظلمات تتكاثر وشرعوا فى هدم أخطاط الحسينية ، وخارج باب الفتوح وباب النصر من الحارات والدور والبيوت ، والمساكن والمساجد ، والحمامات والحوانيت ، والأضرحة ! فكانوا إذا ذهبوا دارا وركبوها للهدم لا يمكنون أهلها من

واشتد الأمر بالناس ، وضاعت منافسهم وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة . ولا شفيح تقبل شفاعته ، أو متكلم تسمع كلمته واحتجب سارى عسكر عن الناس وامتنع من مقابلة المسلمين ، وكذلك عظماء الجنرالات ، وانحرفت طباعهم عن المسلمين زيادة عن أول ، واستوحشوا منهم . ونزل بالرعية الذل والهوان ، وتناولت عليهم الفرنساوية وأعوانهم وأنصارهم من نصارى البلد الأقباط والشوام والأروام .. بالاهانة ، حتى صاروا يأمرونهم بالقيام اليهم عند مرورهم !

ثم شددوا فى ذلك ... حتى كان اذا مر بعض عظمائهم بالشارع ، ولم يبق اليه بعض الناس على أقدامه ، رجعت اليه الأعوان ، وقبضوا عليه ، وأصعدوه الى الحبس بالقلعة ، وضربوه ، واستمر عدة أيام فى الاعتقال ، ثم يطلق بشفاعة بعض الأعيان !

وفيه : أنزلوا مصطفى باشا من الحبس ، وأهدوا اليه هدايا وأمتعة ، وأرسلوه الى دمياط ... فأقام بها أياما وتوفى الى رحمة الله تعالى .

ربيع الآخر

(٢٢ اغسطس - ١٩ سبتمبر ١٨٠٠ م)

فيه : اشتد أمر المطالبة بالمال ، وعين لذلك رجل نصرانى قبطى يسمى شكر الله .. فنزل بالناس منه ما لا يوصف . فكان يدخل الى دار أى شخص كان لطلب المال ، وصحبته العسكر من الفرنساوية والفعلة وبأيديهم القزم ، فيأمرهم بهدم الدار ان لم يدفعوا له المقرر وقت تاريخه من غير تأخير ... وخصوصا ما فعله فى بولاق : فانه كان يحبس الرجال مع النساء ويدخن عليهم بالقطن والمشاق ، وينوع عليهم العذاب ! ثم رجع الى مصر يفعل كذلك . وفيه : أغلقوا جميع الوكائل والخانات على حين غفلة فى يوم واحد ، وختموا على جميعها . ثم

نقل متاعهم ، ولا أخذ شيء من أئقاض دارهم ا
فينهبونها ويهدمونها ، وينقلون الأئقاض النافعة
من الأخشاب والبلاط الى حيث عمارتهم وأبنيتهم ،
وما بقى يبيعون منه ما أحبوا بأبخس الأثمان
ولوقود النيران ، وما بقى من كسارات الخشب
يحزمه الفعلة حزما ويبيعونه على الناس بأعلى
الأثمان لعدم حطب الوقود .

ويأشر غالب هذه الأفاعيل النصارى البلدية .
فيهدم للناس من الأملاك والعقار ما لا يقدر قدره ..
وذلك مع مطالبتهم بما قرر على أملاكهم ودورهم
من الفردة ، فيجتمع على الشخص الواحد النهب
والهدم والمطالبة فى آن واحد ا

٥ منه (٢٤ سبتمبر ١٨٠٠ م) :

كان عيد الصليب ، وهو انتقال الشمس لبرج
الميزان والاعتدال الخريفى ، وهو أول سنة
الفرنسيس وهى السنة التاسعة من تاريخ قيامهم ،
ويسمى عندهم هذا الشهر ونديمير .. وذلك يوم
عيدهم السنوى . فنادوا بالزينة بالنهار والوقدة
بالليل ، وعملوا شنكات ومدافع وحراقات ووقدات
بالأزبكية والقلاع ، وخرجوا صبح ذلك اليوم
بمواكبهم وعساكرهم ، وطبولهم وزمورهم ، الى
خارج باب النصر ، وعملوا مصافهم .. فقرئ عليهم
كلام بلغتهم ، على عادتهم ، وكأنه مواظ حربية .
ثم رجعوا بعد الظهر .

وفى هذه السنة زاد النيل زيادة مفرطة لم يعهد
مثلا فيها رأينا ، حتى انقطعت الطرقات ، وغرقت
البلدان ، وطف الماء من بركة الفيل ، وسال الى
درب الشمسى ، وكذلك خارة الناصرية ، وسقطت
عدة دور من المطلة على الخليج . ومكث زائدا الى
آخر توت .

جماى الآخرة

(٢٠ أكتوبر - ١٧ نوفمبر ١٨٠٠ م)

فيه : قرروا على مشايخ البلدان مقررات يهومون

وبعد أن يدفع ماعلى داره أو عقاره ، وما صدق
أنه غلق ما عليه ... الا وقد دهموه بالهدم .
فيستغيث فلا يغاث ، فترى الناس سكارى
وحيارى ، ثم بعد ذلك كله يطالب بالمنكر من
الفردة ا

وذلك أنهم لما قسموا الأخطاط — كما
تقدم — وتولى ذلك أمير الخطة وشيخ الحارة
والكتبة والأعوان .. وزعوا ذلك برأيهم ومقتضى
أغراضهم . فأول ما يجتمعون بديوانهم يشرع الكتبة
فى كتابة التنايه ، وهى أوراق صفار ، باسم
الشخص والقدر المقرر عليه وعلى عقاره بحسب
اجتهادهم ويرأيهم . وعلى هامشها كراء طريق
المعينين ، ويعطون لكل واحد من أولئك القواسم
عدة من تلك الأوراق .. فقبل أن يفتح الانسان
عينيه ما يشعر الا والمعين واقف على بابه وييسده
ذلك التنييه . فيعوده حتى ينظر فى حاله ، فلا يجد
بدا من دفع حق الطريق . فما هو الا أن يفارقه
حتى يأتيه المعين الثانى بتنييه آخر ، فيفعل معه
كالأول ... وهكذا على عدد الساعات ا فان لم
يوجد المطلوب .. وقف ذلك القواس على داره
ورفع صوته ، وشتم حريمه أو خادمه . فيسمى

بدفعها في كل سنة : أعلى وأوسط وأدنى . فالأعلى — وهو ما كانت بلده ألف فدان فأكثر — خمسمائة ريال . والأوسط — وهي ما كانت خمسمائة فأزيد — ثلثمائة ريال . والأدنى : مائة وخمسون ريالاً . وجعلوا الشيخ سليمان الفيومي وكيلًا في ذلك ، فيكون عبارة عن شيخ المشايخ وعليه حساب ذلك وهو من تحت يد الوكيل الفرنسي الذي يقال له « بريزون » . فلما شاع ذلك ضجت مشايخ البلاد ، لأن منهم من لا يملك عشاءه ، فاتفقوا على أن وزعوا ذلك على الأطيان ، وزادت في الخراج ، واستملوا البلاد والكفور من القبضة فأملوها عليهم حتى الكفور التي خربت من مائة سنين ، بن سموا أسماء من غير مسميات .

وفيه : شرعوا في ترتيب الديوان على نسق غير الأول من تسعة أنفار متعممين لا غير ، وليس فيهم قبطي ولا وجاقل ولا شامي ولا غير ذلك ، وليس فيه خصوصي وعمومي ، على ما سبق شرحه ، بل هو ديوان واحد مركب من تسعة رؤساء هم : الشيخ الشراوى رئيس الديوان ، والمهدى كاتب السر ، والشيخ الأمير ، والشيخ الصاوى وكاتبه ، والشيخ موسى السرسى ، والشيخ خليل البكرى ، والسيد على الرشيدى نسيب سارى عسكر ، والشيخ الفيومي ، والقاضى الشيخ اسماعيل الزرقانى ، وكاتب سلسلة التاريخ السيد اسماعيل الخشاب ، والشيخ على كاتب عربى ، وقاسم أفندى كاتب رومى ، وترجمان كبير — القس رفائيل — وترجمان صغير — الياس فخر الشامى — والوكيل الكمثارى فوريه ، ويقال له مدبر سياسة الأحكام الشرعية ، ومقدم وخمسة قواسم . واختاروا لذلك بيت رثوان بيك الذى بحارة عابدين ، وكان يسكنه برطلمان ، فانتقل منه الى بيت الجلقى بالخرنقش وعتر وبيض ، وفرشت قاعة الحرم بمجلس الديوان فرشا فاخرا ، وعينوا عشرة جلسات في كل

شهر . وانتقل اليها فوريه وسكنها باتباعه ، وأعدوا للمترجمين والكتبة من الفرنسية مكانا خاصا يجلسون به في غير وقت الديوان على الدوام لترجمة أوراق الوقائع وغيرها ، وجعلوا لها خزائن للسجلات وفتحوا أيضا بجانبها دارا نفذوها اليها ، وشرعوا في تعميمها وتأنيقها ، وسموها بمحكمة المتجر . وأخذوا يرتبون أنفارا من تجار المسلمين والنصارى يجلسون بها للنظر في القضايا المتعلقة بقوانين التجار . والكبير على ذلك كله فوريه . ولم يتم ذلك المكان الثانى .

الاثنين ١٥ منه (٣ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

شرعوا في جلسة الديوان وصورته : أنه اذا تكامل حضور المشايخ يخرج اليهم الوكيل فوريه وصحبته المترجمون فيقومون له فيجلس معهم ويقف الترجمان الكبير رفائيل . ويجتمع أرباب الدعاوى فيقفون خلف الحاجز عند آخر الديوان . وهو من خشب مقفص ، وله باب كذلك ، وعنده الجاويش يمنع الداخلين خلف أرباب الحوائج ، ويدخلهم بالترتيب الأسبق فالأسبق ، فيحكى صاحب الدعوة قضيته فيترجمها له الترجمان . فان كانت من القضايا الشرعية فاما أن يتمها قاضى الديوان بما يراه العلماء أو يرسلوها الى القاضى الكبير بالمحكمة ان احتاج الحال فيها الى كتابة حجج أو كشف من السجل . وان كانت من غير جنس القضايا الشرعية ، كأمور الالتزام أو نحو ذلك ، يقول الوكيل : « ليس هذا من شغل الديوان » فان ألح أرباب الديوان في ذلك يقول : « اكتبوا عرضا لسارى عسكر » . فيكتب الكاتب العربى والسيد اسماعيل يكتب عنده في سجله كل مقال المدعى والمدعى عليه ، وما وقع في ذلك من المناقشة . وربما تكلم قاضى الديوان في بعض ما يتعلق بالأمور الشرعية . ومدة الجلسة من قبيل الظهر بنحو ثلاث ساعات الى الأذان أو بعده

بقليل بحسب الاقتضاء . ورتبوا لكل شخص من مشايخ الديوان التسعة ، أربعة عشر ألف فضة في كل شهر ، عن كل يوم أربعمئة نصف فضة . وللقاضى والمقيد والكتاب العربى والمترجمين وباقي الخدم ، مقادير متفاوتة تكفيهم وتغنيهم عن الارتشاء .

وفى أول جلسة من ذلك اليوم عملت المقارعة لرئيس الديوان وكاتب السر ، فطلعت للشرقاوى والمهدى على عاداتهما وكذلك الجاوشية والترجان . وكبت تذكرة من أهل الديوان خطابا لصارى عسكر يخبرونه فيها بما حصل من تنظيم الديوان وترتيبه . وسر الناس بذلك لظنهم أنه انفتح لهم باب الفرج بهذا الديوان . ولما كانت الجلسة الثانية ازدحم الديوان بكثرة الناس وأتوا اليه من كل فج يشكون .

الثلاثاء ٢٣ منه (١١ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

أمروا بجمع الشحاذين — أى السَّوَال — يمكن ، وينفق عليهم نظار الأوقاف .

وفيه أيضا : أمروا بضبط ايراد الأوقاف وجمعوا المبشرين لذلك ، وكذلك الرزق الأحباسية والأطيان المرصدة على مصالح المساجد والزوايا ، وأرسلوا بذلك الى حكام البلاد والأقاليم .

فايته (١٧ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

حضر رجل الى الديوان مستغيث بأهله ، وأن قلق الفرنسيين قبض على ولده وجبسه عند قائم مقام وهو رجل زيات . وسبب ذلك أن امرأة جاءت اليه لتشتري سمنا فقال لها : « لم يكن عندي سم » فكررت عليه حتى حنق منها . فقالت له : « كأنك تدخره حتى تبيعه على العثملى » تريد بذلك السخيرة . فقال لها : « نعم .. رغما عن أنفك وأنف الفرنسيين » . فنقل عنه مقالته غلام كان معها

حتى أنهوه الى قائم مقام ... فأحضره وجبسه . ويقول أبوه : « أخاف أن يقتلوه » فقال الوكيل : « لا ... لا يقتل بمجرد هذا القول ، وكن مطمئنا فان الفرنسيات لا يظلمون كل هذا الظلم ! »

فلما كان فى اليوم الثانى ... قتل ذلك الرجل ، ومعه أربعة لا يدري ذنبهم ، وذهبوا كيوم مضى !

رجب

الثلاثاء غرته (١٨ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

فيه : الطلب والنهب والهدم مستمر ومتزايد . وأبرزوا أوامر أيضا بتقرير مليون على الصنائع والحرف — يقومون بدفعه فى كل سنة — قدره مائة ألف وستة وثمانون ألف ريال فرانسة ، ويكون الدفع على ثلاث مرات : كل أربعة أشهر يدفع من المقرر الثلث ، وهو اثنان وستون ألف فرانسة . فدهى الناس ، وتحيرت أفكارهم ، واختلطت أذهانهم ، وزادت وساوسهم .

وأشيع أن يعقوب القبطى تكفل بقبض ذلك من المسلمين ، ويقلد فى ذلك شكر الله وأضرابه من شياطين أقباط النصارى .

واختلفت الروايات قليل : ان قصده أن يجعلها على العقار والدور ، وقيل : بل قصده توزيعها بحسب الفردة — وذلك عشرها — لأن الفردة كانت عشرة ملايين ، فالذى دفع عشرة يقوم بدفع واحد على الدوام والاستمرار . ثم قيدوا لذلك رجلا فرنساويا يقال له « دقاويل » وسموه (مدير الحرف) . فجمع الحرف وفرض عليهم كل عشرة : أربعة . فمن دفع عشرة فى الفردة ... يدفع أربعة الآن . فعورض فى ذلك بأن هذا غير المنقول .

فقال : « هذا .. باعتبار من خرج من البلد ، ومن لم يدخل فى هذه الفردة كالمشايع والفارين .. فان الذى جعل عليهم ، أضيف على من بقى » . فاجتمع التجار وتساوروا فيما بينهم فى شأن

ذلك ، فراءوا أن هذا شيء لا طاقة للناس به من وجوه :

الأول : وقف الحال ، وكساد البضائع ، واقطاع الأسفار ، وقلة ذات اليد ، وذهاب البقية التي كانت في أيدي الناس في الفرد والدواهي المتتابة .

الثاني : أن الموكلين بالفردة السابقة وزعوا على التجار والمتسبين . وكل من كان له اسم في الدفتر من مدة ستين ، ثم ذهب ما في يده ، وافتر حاله ، وخلا حانوته وكيسه ... ألزموه بشقص (١) من ذلك ، وكلفوه به ، وكب اسمه في دفتر الدافعين ويلزمه ما يلزمهم ، وليس ذلك في الامكان .

الثالث : أن الحرفة التي دفعت ، مثلا ، ثلاثين ألفا يلزمها ثلاثة آلاف في السنة على الرأي الأول . وعلى الثاني ، اثنا عشر ألفا . وقد قل عددهم ، وغلقت أكثر حوانيتهم لفقرهم وهجاجهم ... وخصوصا اذا ألزموا بذلك المليون ، فيفسر الباقي ، وينقى من لا يمكنه القرار ، ولا قدرة للمعص بما يلزم الكل .

وفيه : أمر الوكيل بتحرير قائمة تتضمن أسماء الذين تقلدوا قضاء البلاد من طرف القاضي ، والذين لم يقلدوا .

وأخبر أن السر في ذلك أن مناصب الأحكام الشرعية استقر النظر فيها له ، وأنه لا بد من استئناف ولايات القضاة حتى قاضى مصر بالقرعة — من ابتداء سنة الفرنساوية — ويكتب لمن تطلع له القرعة تقليد من سارى عسكر الكبير . فكتبت له القائمة كما أشار .

الجمعة ٤ منه (٢١ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

قتل جماعة بالرميلة وغيرها ونودى عليهم : « هذا جزاء من يتدخل في الفرنسيين والمثلى » .

(١) الشقص : السهم والنصيب .

الأحد ٦ منه (٢٣ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

عملت القرعة على شرطها ، بل زاد تكرارها ثلاث مرات لقاضى مصر ، واستقرت للعرشى على ماهو عليه . وخرج له التقليد بعد مدة طويلة .

الثلاثاء ٨ منه (٢٥ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

قتل غلام وجارية بباب الشعيرة ونودى عليهما : « هذا جزاء من خان وغش وسعى بالفساد » .

فيقال انهما كانا يخدمان فرساويا ، فدسا له سما وقتلاه .

الأربعاء ٩ منه (٢٦ نوفمبر ١٨٠٠ م) :

حضر جماعة من الوجاقلية الى الديوان وهم : يوسف باشا جاويش ، ومحمد أغا سليم كاتب الجاوشية ، وعلى أغا يحيى باشا جاويش الجراكسة ، ومصطفى أغا أبطال ، ومصطفى كتحدا الرزاز . وذكروا أنهم كانوا تمهدوا بباقي الفردة المطلوبة من الملتزمين ، وقدرها خمسة وعشرون ألف ريال ، وقد استدانوا لذلك قدرا من البن بخمسة وثلاثين ألف ريال فرانسة ليوفوا ما عليهم من الديون ، وأنهم أرسلوا الى حصصهم يطالبون الفلاحين بما عليهم من الخراج .. فامتنع الفلاحون من الدفع ، وأخبروا أن الفرنساوية خرجوا عليهم ومنعهم من دفع المال للملتزمين . فكتب لهم عرضحال في شأن ذلك وأرسل الى سارى عسكر ... ولم يرجع جوابه .

الاثنين ١٤ منه (أول ديسمبر ١٨٠٠ م) :

صنع الجنرال « بليسا » ، المعروف بقائمقام ، عزومة لمشايخ الديوان والوجاقلية وأعيان التجار وأكابر نصارى القبط والشوام ، ومد لهم أسمطة حافلة .. وتمشوا عنده ، ثم ذهبوا الى بيوتهم .

الثلاثاء ٢٢ منه (٩ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

طيف بامرأتين في شوارع مصر بين يدي الحاكم
ينادى عليهما : « هذا جزاء من يبيع الأحرار »
وذلك أنهما باعتا امرأة لبعض نصارى الأروام
بتسعة ريالات !



بليار

فيه : طلب الخواجه الفرنسي المعروف
بـ « موسى كافر » من الوجدالية بقية الفردة المتقدم
ذكرها . فأجابوا بأن سبب عجزهم عن غلقها توقفت
الفلاحين عن دفع المال بأمر الفرنساوية ، وعدم
تحصيلهم المال من بلادهم . ثم أحيوا بمسد كلام
طويل على استيفاء الخازن دار ، لأن ذلك من وظائفه
لا من وظائف الديوان .

الجمعة ٢٥ منه (١٢ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

اتفق أن جماعة من أولاد البلد خرجوا الى
الزهوة جهة الشيخ قمر ، ومعهم جماعة آلائية
يفنون ويضحكون . فنزل اليهم جماعة من العسكر
الفرنساوية ، المقيمين بالقلمبة الظاهرية خارج
الحسينية ، وقبضوا عليهم وحبسوهم ، وأرسلوا
شخصا منهم الى شيخ البلد « بليار » ، وأخبروه
بمكانهم ليستفسر عن شأنهم .. فلقيه ، ثم رده الى
القلمة الظاهرية ثانيا ، فبات عند أصحابه . ثم
طلبهم في ثاني يوم ، فذهبوا وصحبتهم جماعة من
العسكر بالبندق تحرسهم فقابلوه ، ومن عليهم
بالاملاق ، وذهبوا الى منازلهم .

وفيه : منعوا الأغا والوالى والمحتسب من
عوائدهم على الحرف والتسبين . فانها اندرجت
في أقلام العشور ، ورتبوا لهم جامكية من صندوق
الجمهور يقبضونها في كل شهر .

الاحد ٢٧ منه (١٤ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

حضر الوجدالية ، ومعهم بعض الأعيان وحريرات
ملتزمات يستغيثون بأرباب الديوان ويقولون :
« انه بلغنا أن جمهور الفرنساوية يريدون وضع
أيديهم على جميع الالتزام المفروج عنه الذي دفعوا
حلوانه ومغارمه ، ولا يرفع أيدي الملتزمين عن
التصرف في الالتزام جملة كافية » .

وقد كان قبل ذلك أنهى الملتزمون الذين لم
يفرجوا لهم عن حصصهم : اما لفرارهم وعودهم
بالأمان ، واما لقصر أيديهم عن الحلوان ، واما
لشراقي بلادهم ، واما لانتظارهم الفرج وعود
العثمانيين .. فيتكرر عليهم الحلوان والمغارم . فلما
طال المطال ، وضاق حال الناس ، عرضوا أمرهم
وطلبوا من مراحم الفرنساوية الافراج عن بعض
ما كان بأيديهم ، ليتعيشوا به . ووقع في ذلك بحث
طويل ومناقشات يطول شرحها . ثم ماكفى حتى
بلغهم أن القصد نزع المفروج عنه أيضا ، ونزع
أيدي المسلمين بالكلية ، وأنهم يستشفعون بأهل
الديوان عند سارى عسكر بأن يبقى عليهم التزامهم
يتعيشون به ، ويقضون ديونهم التي استدالوها
في الحلوان ومغارم الفردة .

فقال « فوريه » الوكيل : « هل بلفكم ذلك
من طريق صحيح ؟ » . فقالوا : « نعم .. بلغنا من
بعض الفرنساوية » . وقال الشيخ خليل البكرى :
« وأنا سمعته من الخازن دار » . وقال الشيخ
المهدى مثل ذلك ، وأنهم يريدون تمويضهم من
أطيان الجمهور . فقال الملتزمون : ان بيدنا القرامات
والتمسكات من سلفكم بونا برته ، ومن السلاطين

وقرروا عليهما قدرا آخر خلاف الذى قرروه على مصر .
وفيه : لخصوا عرضا ولفقوا فيه العبارة لسارى عسكر . فأجيبوا الى طلبهم ؛ ماعدا بولاق ومصر القديمة .

وأخرجوا من أرباب الحرف ، الصيارفة والكيالين والقبانية وجعلوا عليهم بمفردهم مسمى ألف ريال ، خلاف ما يأتى عليهم من المليون أيضا ، يقومون بدفعها فى كل سنة ١ والسر فى تخصيص الثلاث حرف المذكورة دون غيرها ، أن صناعتهم من غير رأس مال .

وفيه : أفردوا ديوانا لذلك بيت داود كاشف — خلف جامع النورية — وتقيّد لذلك السيد أحمد الزرو ، وأحمد بن محمود محرم ، وإبراهيم افندى كاتب البهار وطائفة من الكتبة . وشرعوا فى تحرير دفاتر بأسماء الناس وصناعاتهم ، وجعلوها طبقات . فيقولون : فلان من نمرة عشرة أو خبسة أو ثلاثة أو اثنين أو واحد ، ومشوا على هذا الاصطلاح .

وفيه : أبطلوا عشور الحرير الذى يتوجه من دميّاط الى المحلة الكبرى .

وفيه : أرسل سارى عسكر يسأل المشايخ عن الذين يدورون فى الأسواق ، ويكشفون عوراتهم ، ويصيحون ويصرخون ويدعون الولاية ، وتمتقدهم العامة ، ولا يصلون صلاة المسلمين ولا يصومون هذا جائز عندكم فى دينكم ، أو هو محرم ؟

فأجابوه : « بأن ذلك حرام ومخالف لديننا وشرعنا ومستنا » . فشكرهم على ذلك ، وأمر الحكام بمنعهم ، والقبض على من يرويه كذلك . فان كان مجنونا ربط بالمارستان ، أو غير مجنون .. فاما أن يرجع عن حالته أو يخرج من البلد .

السابقين ونوابهم ، وقائمون بدفع الخراج ، وأنهم ورثوا ذلك عن آبائهم وأسلافهم وأسيادهم . وإذا أخذ منهم الالتزام اضطروا الى الخروج من البلد والهجاج وخراب دورهم ، ويصبحون صعاليك ولا يأتئهم الناس .

وطال البحث فى ذلك ، والوكيل مع هذا كله ينكر وقوع ذلك مرة ، ويناقش أخرى ، الى أن انتهى الكلام بقوله : « ان الكلام فى هذا وأمثاله ليس من وظيفتى ، فانى حاكم سياسة الشريعة ، لا مدبر أمر البلاد .. نعم من وظيفتى المعاونة والنصح فقط » .

شعبان

الخميس مستهلة (١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

أجيب المتزمونين بإبقاء التزامهم عليهم ؛ وأنكروا ما قيل فى رفع أيديهم ، وعوتب من صدق هذه الأكذوبة . وان كانت صدرت من الخازن دار ، فانما كانت على سبيل الهزل ، أو يكون التحريف من الترجمان أو الناقل .

وفيه : حضر التجار الى الديوان ، وذكروا أمر المليون ، وأن قصدهم أن يجعلوه موزعا على الرؤوس ، ولا يمكن غير ذلك . وطال الكلام والبحث فى شأن ذلك . ثم انحط الأمر على تفويض ذلك لرأى عقلاء المسلمين ، وأنهم يجتمعون ويدبرون ويعملون رأيهم فى ذلك ، بشرط لا يتداخل معهم فى هذا الأمر نصرانى أو قبطى . وهم الضامنون لتحصيله بشرط عدم الظلم ، وألا يجعلوا على النساء ولا الصبيان ولا الفقهاء ولا الخدامين شيئا ، وكذلك الفقراء . ويراعى فى ذلك حال الناس وقدرتهم وصناعاتهم ومكاسبهم . ثم قالوا : « لرجو أن تضيفوا لنا بولاق ومصر القديمة » . فلم يجابوا الى ذلك ، لكونهم جعلوها مستقلين ،

ذلك حكما وفوائد ، منها : ضبط الأنساب ومعرفة الأعمار فقال بعض الحاضرين : « وفيه معرفة انقضاء عدة الأزواج أيضا » ١

ثم اتفق الرأي على أن يعلموا بذلك قلقات الحارات والأخطاط ، وهم يقيدون على مشايخ الحارات والأخطاط بالتفحص عن ذلك من خدمة الموتى والمفسلين والنساء القوابل ، وما في معنى ذلك . ثم ذكر الوكيل أن سارى عسكر ولد له مولود ، فينبغى أن تكتبوا له تهنة بذلك المولود الذى ولد له من المرأة المسلمة الرشيدة .

وجوابا عن هذا الرأي ... كتبوا ذلك في ورقة كبيه ، وأوصلها اليه الوكيل « فوريه » .

الأحد ٢٥ منه (١١ يناير ١٨٠١ م) :

أرسل سارى عسكر الى مشايخ الديوان كتابا ، وقرأه الترجمان الكبير « وفائيل » ، وصورته ونصه بالحرف الواحد :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، لا اله الا الله ، محمد رسول الله .

« من عبد الله جاك بنو سارى عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور فرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا ...

« الى حضرة المشايخ والعلماء أهالى الديوان المنية ، بمصر القاهرة حالا ... أدام الله تعالى فضائلهم ، وزينهم بلميع النور ، لاكمال وظائفهم ، وإجاز فرائضهم ، آمين يامعين .

« والآن نخبركم أن الذى حررتموه لنا ، ملا نفسنا سرورا ، وقلبنا جبورا ، فثبت عندنا ونحقق وفود ما عندكم من المحبة التى شهدتم بها ، وما فيكم من النة والنظام والعدل .

« فحقا انكم لمستحقون لأن تكونوا فى مثل هذا المحل الذى اخترتم عليه . فنحن نعلم أن القرآن

وفيه : أرسل رئيس الأطباء الفرنسيين نسخا من رسالة ألفها فى علاج الجدري لأرباب الديوان : لكل واحد نسخة على سبيل المحبة والهدية ، ليتناقلها الناس ، ويستعملوا ما أشار اليه فيها من العلاجات لهذا الداء العضال ... فقبلوا منه ذلك ، وأرسلوا له جوابا شكرا له على ذلك ، وهى رسالة لا بأس بها فى بابها .

الأحد ١١ منه (٢٨ ديسمبر ١٨٠٠ م) :

وجدت امرأة مقبولة بغيطة عمر كاشف — بالقرب من قناطر السباع — فتوجه بسبب الكشف عليها رسول القاضى والأغا ، وأخذوا الفيطانية وجسومهم ، وكان بصحبته أيضا القبطان الحاكم بالخط ، ولم يظهر القاتل . ثم أطلقوا الفيطانية بعد أيام .

وفيه : كمل المكان الذى أنشأوه بالأربكية ، عند المكان المعروف بباب الهواء — وهو المسمى فى لغتهم بالكبرى — وهو عبارة عن محل يجتمعون به كل عشرة لبال ، ليلة واحدة ، يتفرجون به على ملاعب يلعبها جماعة منهم بقصد التسلية والملاهى ، مقدار أربع ساعات من الليل ، وذلك بلغتهم ، ولا يدخل أحد اليه الا بورقة معلومة ، وهى مخصصة .

الجمعة ١٦ منه (٢ يناير ١٨٠١ م) :

ذكروا فى الديوان ، أن سارى عسكر أمر وكيل الديوان ، أنه يذكر لمشايخ الديوان ، أن قصده ضبط واحصاء من موت ومن يولد من المسلمين . وأخبرهم أن سارى عسكر بونا بارتة كان فى عزمه ذلك ، وأن يقيد له من يتعسدى لذلك ويربته ويدبره ، ويعمل له جامكية وافرة ... فلم يتم مرامه . والآن يريد تميم ذلك ، ويطلب منهم التدبير فى ذلك ، وكيف يكون . وذكر لهم أن فى

العظيم الشأن ... ذلك المصحف الأكمل ، والكتاب
المفضل ، يشتمل على مبادئ الحكمة السنية ،
والحقوق اليقينية .

« وهذه المبادئ المذكورة لا يصح بناؤها
المتبن ، على الحكم والحق اليقين ، الا اذا عرضت
على أحسن الآداب ، وتعليم العلوم بغير ارتياب .
وبهذين تنتج أعظم الفوائد ، وذلك بمساعي أناس
متحدين معا برياضات الحظ والسعد .

« وبمثل ذلك عرفت أنه لمن المستحيل أن القرآن
الشريف يفصح الا على ماهو من باب النظام ،
لأنه — من دون ذلك — فكل ماهو في هذا العالم
القانى ليس الا معابر وخراب .

« ولا يسهى عنا أن كل ماهو من الموجودات
الكائنات ، كقولك تلك المتحركة بطريقة ونظام ،
من قبل من جعلها للمسير سبحانه مبدع الأنام ،
كالنجوم السائرة فى الأعلى ، وبها يهتدى للسير
الحالى . ثم على الخصوص تلك الفصول الأربع
المتوالى انتقالها باستمرار جولانها ، ثم اتصال
الليل بالنهار ، والنهار بالليل .. على حد واحد من
المقدار ، ثم وجود المتباينات ، وتمييز النور من
الظلمات ، وان ذاك وما أدراك !

« فماذا عسى كان يحل بنا وبحال العالم بأسره
أيضا ، لو عدم هذا النظام ... ولو برهة ؟

« فالآن لرجو جناب حضرة المشايخ والعلماء
يفيدون كيف ترى كان يصير حال القطر المصرى ،
لو يمتنع عن جريانه كمصادته لهره هذا المبارك
المشتهر — لا يسمح الله سبحانه بذلك —
فبلا شك أن البلاد قاطبة لا يمكن أن تسكن حين
ذلك الا يبحر سنة واحدة فقط . وذلك من عدم
الماء ، ورى الأرض .. أراضى هذه المملكة التى
أتم قاطنون بها . وفى ذلك الحين كانت تصعد
الرمال على الأطنان والمزارع والحيطان ، والناس

تهلك جوعا ، وتعدم السكان ، فتتشحن الأرض
من الأموات ، فنموذ بالله الحفيظ لسائر المخلوقات .
« واذا كان الله سبحانه وتعالى قد أبدع كل
الأشياء بمعرفته القادرة ، وحكمته الباهرة .
وجعل هذا النظام العجيب ، ورتب هذه الدنيا
وما فيها ترتيب معجز غريب . فقد عرف أنها بدون
ذلك تعدم سريعا ، وحالها يغدو مريعا .

« فالآن ... انما نكون من أشر المذنبين اذا
سرنا سيرة كالضالين ، وعلى أوامره عصاة غيـ
منخضعين . ومع ذلك فنسأله جل شأنه أن يقوينا
على السلوك فى ديننا ودنيانا .. وهذا القدر كفانا .
« فيا أيها المشايخ المكرمون ، والعلماء المحققون
ومن هم بالعلم موصوفون ... لا يخفاكم أن أجمل
مافى النظام ، فى تدبير هذه الدنيا بأسرها حسن تام ،
هو الاحتفال والميل الى النظام ، الذى هو صادر
ترتيبه عن حكمة الله تعالى بوجه تام . ثم ان البلاد
وتلك النواحي ، التى يطلق عليها كونها فى حال
النجاح ، والحظ والفلاح — لاتعتد هكذا الا اذا
كان سكانها يهتدون الى قواعد الشريعة ، والفرائض
الصادرة عن أصحاب الفطنة والادراك ، ويستعدون
للسلوك بالعدل والانصاف .. خلافا لغيرها من البلاد
التعسة الحال ، تلك التى سكانها خاضعون على
الدوام لما فيهم من العجرفة والاعتداء ، ولا ينعطفون
الا الى أهواء أنفسهم المنحرفة .

« فجناب حضرة بونا بارتة الشهير النييل ،
الصنديد الشجاع الجليل ، قد تقدم فأمر بأن
يجرر دفتر ، يكتب فيه أسماء كامل الميتين . والآن
حضرتكم قد طلبتم منى دفتر آخر خلافة ، فيه
يتحرر أسماء المولودين أيضا .

« ومن حيث ذلك ، فلا بد أن أعتنى منذ الآن ،
مع جزيل الاهتمام ، بهذين الأمرين . وهكذا أيضا
بتحرير دفتر الزواج ، اذ كان ذلك أشد المهمات
والحوادث الواجبات . ثم يتبع ذلك بتجديد نظام

الخميس غايته (١٥ يناير ١٨٠١ م) :

سقطت منارة جامع قوصون .. سقط نصفها الأعلى فهدم جانباً من بوائك الجامع ، ونصفها الأسفل مال على الأماكن المقابلة له بعطفة الدرب النافذ لدرب الأغوات ، وبقي مسنداً كذلك قطعة واحدة الى يومنا هذا . وأظن أن سقوطها من فعل الفرنسيين بالبارود .

رمضان

ثبت هلاله ليلة الجمعة (١٦ يناير ١٨٠١ م) :

عملت الرؤية ، وركب المحتسب ومشايخ الحرف بالطبول والزمر على العادة ، وأطلقوا له خمسين ألف درهم لذلك ، نظير عوائده التي كان يصرفها في لوازم الركبة .

الثلاثاء ٥ منه (٢٠ يناير ١٨٠١ م) :

وقع السؤال والفحص عن كسوة الكعبة ، التي كانت صنعت على يد مصطفى أغا — كتحدا الباشا — وكملت بمباشرة حضرة صاحبنا العمدة الفاضل ، الأريب الأديب ، الناظم الناصر : السيد اسماعيل الشهير بالخشاب . ووضعت في مكانها المعتاد بالمسجد الحسيني ، وأهل أمرها الى حد تاريخه ، وربما تلف بعضها من رطوبة المكان وخير السقف من المطر . فقال الوكيل : « ان سارى عسكر قصده . التوجه بصحبتكم يوم الخميس قبل الظهر بنصف ساعة الى المسجد الحسيني ، ويكشف عنها . فان وجد بها خلا أصلحه ، ثم يعيدها كما كانت ، وبعد ذلك يشرع في ارسالها الى مكانها بمكة ، وتكسى بها الكعبة على اسم المشيخة الفرنساوية ا . » فقالوا له : « شأنكم وما تريدون » وقرىء بالمجلس فرمان بمضمون ذلك .

غير قابل التغيير في ضبط الأملاك ، والتبشير الكامل عن ولد ومات من السكان ، وهذا يعرف من أهالي كل بيت . فعلى هذا الحال ، يتيسر للحاكم الشرعي الحكم بالعدل والانصاف ، وينقطع الخلف والخصام بين الورثة ، وتقرر الولادة ، ومعرفة السلالة التي هي الشيء الأجل والأوفر استحقاقاً في الارث . وهكذا ، ان شاء الله ، لا بد من الفحص والتفتيش بالحرص والتدقيق ، وبذل الهمة للحصول لأقرب نوال الى ما يلزم لاكمال ما قصدناه .

« ثم ان أراد الله لا بد أن أعتنى بالمطالبة ، على وجه تام ، كل وقت يقتضى لنا أن ندبر أشياء تستفيد بها هذه المملكة التي قد تسلمنا سياستها ، وبهذا نوقن وتحقق كوننا امثلنا لأوامر دولة جمهور فرنساوية ، وحضرة قنصلها الأول بونا برته .

« فياحضرة المشايخ والعلماء الكرام ، أنا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا تهنة بولادة ولدى السيد سليمان مراد جاك مينو . فنطلب من الله سبحانه وتعالى ، واسأله كذلك بجاه رسوله سيد المرسلين ، أن يجود به على زمانا مديدا ، وأن يكون للعدل محبا ، وللاستقامة والحق مكرما ، وموفى وعده صادقا ، وألا يكون من أهل الطمع فهذا هو أوفر الغنى الذى أرغبه لولدى . لأن الرجل ... الذى لا يهتدى الا بالخير ، فلا يصرف اعتناؤه الا في خير الأدب ، لا في قنية الفضة والذهب .

« فنسأله تعالى أن يطيل بقاءكم والسلام » (١) .

(١) في هذا الشهر رزق عبد الله جاك مينو من زوجته السيدة ربيدة ولدا اسماء « سليمان مراد جاك مينو » .
« عبد الرحمن الرافعي - تاريخ الحركة القومية - ج ٢ ص ٢١٤ »
وكان اختيار مينو اسم « سليمان » ، لان سليمان العليى قاتل كليبر ، وذلك لسراية مينو لكليبر . وكان ايضا لا يبدو منه اي احترام للذكراء .

المسجد ، ولو حصل منكم تنبيه كنا أخرجناهم قبل حضوركم » فركب فرسه ثانيا وكر راجعا وقال : « لآتى فى يوم آخر » وانصرف حيث جاء .. وانصرفوا !

السبت ٩ منه (٢٤ يناير ١٨٠١ م) :

حصلت كائنة سيدى محمود وأخيه سيدى محمد المعروف بأبى ذفية . ولك أن سيدى محمود المذكور كان بينه وبين على باشا الطرابلسى صداقة ومحبة أيام اقامته بالجيزة ، وحج صحبته فى سنة تسع ومائتين وألف فلما وقعت حادثة الفرنساوية وخرج على باشا المذكور مع من خرج الى الشام ، ووردت العساكر العثمانية صحبة يوسف باشا الوزير فى العام الماضى وصحبته على باشا المذكور ، وله به مزيد الوصلة والعناية والمرجع فى المشورة لخبرته بالأقطار المصرية ، ومعرفة أهالى البلاد ... استشاره فى شخص يعرفه ، يكون عينا بمصر ليراسله ويطلعه بالأخبار ، فأشار عليه بمحمود أفندى المذكور . فكانوا يرسلونه ، ويطلبهم بالأخبار سرا . فلما قدموا الى مصر فى السنة الماضية ، وجرى ماجرى من نقض الصلح ، ورجوع الوزير .. ولم يزل سيدى محمود تأتية المراسلات بواسطة السيد أحمد المحرقى أيضا ، ولأن على باشا ارتحل الى الديار الرومية فيطلبهم كذلك بالأخبار مع شدة الخذر خوفا من سطوة الفرنساوية وتحسس عيونهم المقيدة لذلك . فكان يذهب الى قلوب ويتلقى ورود القاصد ويرد له الجواب .

فلما كان فى التاريخ ، ورد عليه رسول ومعه جواب وأربع أوراق مكتوبة باللغة الفرنساوية ، وفيها الأمر بتوزيعها ووضعها فى أماكن معينة حيث سكن الفرنساوية .. فوزع اثنتين ، وقصد وضع الثالثة فى موضع جمعيتهم ، فلم يمكنه ذلك الا ليلا ، فأعطاهما خادمه ، وأمره أن يشكها بمسار

وفيه : قرىء فرمان مضمونه : أنه وردت مكاتبات من فرنسا بوقوع الصلح بينهم وبين أهل الجزائر وتونس بشروط مفضاة مرضية . وقد أطلقوا الاذن للتجار من أهل الجهتين بالسفر للتجارة فمن سافر ، له الحماية والصيانة فى ذهابه وإيابه واقامته باسم دولة الجمهور الفرنساوية ... الى آخره ، ولم يظهر لذلك أثر .

وفيه : قرىء تقليد الشيخ أحمد العريشى بقضاء مصر . ووصل أيضا تقليد القضاء بدمياط لأحمد أفندى عبد القادر ، وإييار للعلامة الشيخ رضوان نجا ، ومحلة مرحوم للشيخ عبد الرحمن طاهر الرشيدي . وذلك على موجب القرعة السابقة من مدة شهرين أو أكثر . وقرىء ذلك بالديوان ، ولم يحصل بعد ذلك غيرهم .

فلما كان صبح ذلك اليوم أرسل شيخ البلد « بليار » الى العريشى ومشايخ الديوان والوجاقية ، فلما تكاملوا خلع على القاضى العريشى فروة سمور بولايته القضاء ، وركب بصحبته الجميع وجملته من العساكر الفرنساوية ، وشيخ البلد بجانبه ، ومشوا من وسط المدينة الى أن وصلوا الى المحكمة بين القصرين ، فجلسوا ساعة من النهار ، وقرىء تقليده بحضرة الجميع ووكيل الديوان « فوريه » . ثم رجعوا الى منازلهم .

الخميس ٧ منه (٢٢ يناير ١٨٠١ م) :

توجه الوكيل ومشايخ الديوان الى المشهد الحسينى لانتظار حضور سارى عسكر الفرنسيس بسبب الكشف على الكسوة ، وازدهم الناس زيادة على عاداتهم فى الازدحام فى رمضان . فلما حضر ونزل عن فرسه عند الباب وأراد العبور للمسجد ، رأى ذلك الازدحام فهاب الدخول وخاف من العبور ، وسأل ممن معه عن سبب هذا الازدحام فقالوا له : « هذه عادة الناس فى نهار رمضان ، يزدحمون دائما على هذه الصورة فى

وأما المطلوب فوق له مزيد المشقة في مدة اختفائه ، وتبرأ منه غالب أصحابه ومعارفه من العربان وغيرهم وتكروا منه . ولم يزل حتى استقر عند شيخ العرب موسى أبى حلاوة وأولاده بناحية أمية بالقليلية ، بإطلاع الشواربي ، فأكرموه وواسوه وأخفوا أمره ، ولم يزل مقيما عندهم في غاية الاكرام حتى فرج الله عنه .

الخميس ١٤ منه (٢٩ يناير ١٨٠١ م) :

تقيد للحضور بسبب الكشف على الكسوة « استوفو » خازن دار الجمهور ، و « فوريه »



استوفو

وكيل الدبوان . فحضر صحبتها المشايخ والقاضى والأغا والوالى والمحاسب ، بعد ما أدخل المسجد من الناس ، وأحضروا خدامين الكسوة الأقدمين ، وحلوا رباطاتها وكشفوا عليها ، فوجدوا بها بعض خلل ، فأمروا بإصلاحه ورسوا لذلك ثلاثة آلاف فضة ، وكذلك رسوا للخدمة الذين يخدمونها ألف نصف فضة ، وللخدمة الضريح ألف نصف ثم ركبوا الى منازلهم ، ثم طويت ووضعت في مكانها بعد اصلاحها .

الاحد ٢٤ منه (٨ فبراير ١٨٠١ م) :

ضربت مدافع كثيرة ، بسبب ورود مركبين

في حائط ذلك المكان — وهو بالقرب من الحمام المعروف بحمام الكلاب — ففعل وتلكا في الذهاب فاطلم عليه بعض الفرنسيين من أعلى الدار فنزل اليه وأخذ الورقة . وقبضوا على ذلك الخادم ، وصادف ذلك مرور حسن القلق — وهو يتوقع نكتة تكون له بها الوجهة عند الفرنسيات — فاعتنم هذه الفرصة ، وقبض على الخادم مع الفرنسيات ، وسيده نظر اليه من بعيد ، وعلم أنه وقع في خطب لاسجبه منه الا الفرار . فرجع الى داره ، وتناجى مع اخيه واستشاره فيما وقع فيه ، وكيف يكون العمل فأشار عليه بالاختفاء ، ويستمر أخوه بالمنزل مستهدفا للقضاء ، وليكون وقاية على منزله وعرضه ، وليس هو مقصودا بالذات ... فكان كذلك وتغيب سيدى محمود ، وأصبح الطلب قاصده فلما لم يحده ، قبضوا على أخيه سيدى محمد أفندى ومن كان معه بالبيت — وهو الشيخ خلس المنير ، وقرابته اسماعيل جلبى ، ونسييه الر موسى ، والسقاء وشيخ حارتم — وحبسوهم ببيت قائمقام وهم سبعة أنصار بالخادم المقبوض عليه أولا ، وأوقفوا حرسا بدارهم ، واجتهدوا في الفحص عن سيدى محمود ، وتكرار السؤال عليه من أخيه ورفقائه أاما .

فلما لم ينفقوا له على خبر ، أحاطوا بالدار ، ونهوا مافيا وصحبتهم الخادم بدلهم على المتاع والمحات . ثم أصدوهم الى القلعة ، وضيقوا عليهم ، وأرسلوا خلة ، الشواربي شيخ قلوب ومن كان ينتقل عندهم ، والزموهم بإحضاره فأنكروه وجحدوه ثم أطلقوا خادمه بعد أن أعطوه خمسين ريالاً فرانسة ، وجعلوا له ألفاً ان دلهم عليه ، وقيدوا به عينا يتبعه أينما توجه . فاستمر أاما يغدو ويروح في مظناته ، فلم يقع له على خبر . فردوه الى السجن ثانياً عند أصحابه . ولم يزالوا به حتى فرج الله عنهم .

عظيمين من فرنسا ، فيهما عساكر وآلات حرب
وأخبار بأن يونابارته أغار على بلاد النمسة وحاربهم
وحاصرهم وضايقهم ، وأنهم نزلوا على حكمه .
وبقى الأمر بينهم وبينه على شروط الصلح ، وأنه
استغنى عن هذه الأشياء المرسله ، وسيأتى فى أثرهم
مركبان آخران فيهما أخبار تمام الصلح . ويستدل
بذلك على أن مملكة مصر صارت فى حكم
الفرنسيين لا يشركهم غيرهم فما .. هكذا قالوا
وقرأوه فى ورقة بالديوان !

سبب

الأحد غرته (١٥ فبراير ١٨٠١ م) :

بدأ أمر الطاعون ، فأنزعج الفرنسيون من ذلك ،
وجردوا مجالسهم من القروش ، وكسوها وغسلوها ،
وشرعوا فى عمل كرتيلات ومحافظات .

الأحد ٨ منه (٢٢ فبراير ١٨٠١ م) :

قال وكيل الديوان للمشايخ : « أن حضرة سارى
عسكر بعث الى كتابا معناه ايضاح ما يتعلق بأمر
الكرتيلة ، ويرى رأيكم فى ذلك ، وهل توافقون
على رأى الفرنسيين أم تخالفون ؟ » فقالوا : « حتى
ننظر ما هو المقصود » فقال : « حضرة أرباب الديوان
يجب عليهم أن يعملوا الطريق الذى يكون سببا
لاقطاع هذه العملة ، فإنا نعلم لهم ولغيرهم الخير .
فإن أجابوا فذاك .. والا فليزعموا ولو قهرا ، وربما
استعملنا القصاص ولو بالموت عند المخالفة . ومن
الذى يتغافل عما يكون سببا لقطع هذا الداء ؟
فإن رأينا قد انعقد على ذلك ، ويجب أن يتفق
معنا أرباب الديوان ، لأن حفظ الصحة واجب ،
ولذا نرى كثيرا من الناس ، ولا سيما المتشرعون
يستعمل الطبيب عند المرض وغايته حفظ الصحة
وما نحن فيه من ذلك . ونذكر لكم أن بلاد المغرب
قد اعتمدوا قبل الكرتيلة الآن .. فعلماء القاهرة ..

أولى بأن لا يتأخروا عن استعمال الوسائط إذ قد
ربطت الأسباب بالمسيبات . فقليل له : « وما الذى
تأمرون به أن يفعل ؟ » فقال : « هو الحذر لا غير ،
وهو الغاية والنتيجة ، وهو أنه إذا دخل الطاعون
بيتا لا يدخل فيه أحد ، ولا يخرج منه أحد ، منع
ما يترتب على ذلك من القوانين المختصة به ، وخدمة
المرض وعلاجه . وسيوضح لكم ذلك فيما بعد .
يعنى أن تمنعوا للطاعة وعدم المخالفة » .

وطال البحث والمناقشة فى ذلك بين أرباب
الديوان والوكيل . وانقض المجلس على أن الوكيل
سيفاوض سارى عسكر فى ذلك ، ثم يدبرون أمرا
وطريقة يكون فيها الراحة للناس البلدية والفرنساوية
فإن ذلك فيه مشقة على أهل البلد لعدم الفهم
لهذه الأمور .

الجمعة ١٢ منه (٢٧ فبراير ١٨٠١ م) :

ضربت عدة مدافع من القلاع لا يدري سببها

السبت ١٤ منه (٢٨ فبراير ١٨٠١ م) :

قرى فرمان من سارى عسكر بالديوان ،
والصقت منها نسخ فى مفارق الطرق والأسواق .
ونصه ، بعد البسطة والجلالة :

« من عهد الله جاك مينوسر عسكر أمير
عام جيوش دولة جمهور فرنساوية بالشرق ،
ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا ... الى كامبل
الأهالى كبير وصغير ، غنى وفقير : الميسمين
حالا بحروسة مصر وبمملكة مصر : الناس الذين
هم من الأشقياء والمفسدين ، ولا يقتشرون الا على
لاضمرار بالناس واضراركم ، يظهرون فى وسط
المدينة بينكم أخبارا رديئة تزويرا لتخويفكم .
وتخويف المملكة ، وكل ذلك كذب واقتراء . فإنا
نحن نخبركم جميعا أن كلا من الأهالى المذكورة
من أى طائفة وملة كان ، الذى ثبت عليه بالإشاعة ..

أو النشر من نفسه بينكم ذلك الأخبار الرديئة
المكذوبة ، تخويفا لكم واضلا بالناس ، ففى الحال
ذلك الرجل يسك وترمى رقبته بوسط واحدة
طرق مصر

« ويا أهالى مصر ، اتبهوا وتذكروا هذه
الكلمات ، وكونوا مستريحين البال ، ومترهفين
الحال ... انما دولة الجمهور الفرنسية حاضرة
لحمايتكم وصياتكم ، ولكن نأظر كذلك الى تعذيب
العصاة ، والسلام على من اتبع الهدى والصدق
بالاستقامة » .

نحريرا فى شهر وافثور (١) سنة تسع ، الموافق
الحادى عشر شهر ثوال .

فعلم الناس من ذلك فرمان ورود شيء
وحصول شيء على حد « كاد المرتاب أن يقول
خدوى » . وليس للناس ذكر ولا فكر الا فى بواقى
التردة وما لزمهم فى المليون ، ولا شغل لكل فرد الا
بتحصيل ما فرض عليه . ولعل ذلك بسبب الأوراق
الواصلة على يد سيدى محمود أبى دقية باللغة
الفرنساوية التى تقدم ذكرها .

واشتهر أيضا أنه وردت عليهم أخبار بوصول
مراكب انكليز جهة أبى قير . وفى ذلك المجلس سئل
الوكيل عن ضرب المدافع لأى شيء ، فقال : « لا بد
وأن أحيط علمكم ببعض ذلك فى هذا المجلس ، وهو
أن الفرنسية كانت تحارب القرائات ، والآن وقم
سلح بينهم وبين القرائات ماعدا الانكليز ، فانه
الآن مضيق عليه ، وربما كان ذلك سببا لرضاه
بالدخول فى الصلح ، وقد خرج من فرانسى عمارة
ربما توجهت على الهند ، وربما أنهم يقدمون الى
مصر . وقد وصل لشارى عسكر أمر من المشيخة
بوصول مراكب الموسقى التى تحمل الذخائر الى
الفرنساوية ، وأن يمكنهم من دخول اسكندرية .

(١) لعله يقضى شهر ١ فانور « Ventose » .

وقد خرج ستة غلابين من فرانسى الى بحر الهند
فربما قدموا بعد ذلك الى جهة السويس . وبورود
هذه الأخبار تعين خلوص مصر الى جمهور
الفرنساوية .

« وفى سالف الزمان كانت جميع القرائات
التي بالجهة الشمالية ضدا للفرنساوية ، وقد زالت
الآن هذه الضدية ، ومتى انقضى أمر الحرب عمت
الرحمة والرافة . والنظر بالملاطفة للرعية . والذي
أوجب الاغتصاب والعسف اما هو الحرب ، ولو
دامت المسألة لما وقع شيء من هذا » .

فقال بعض أهل الديوان : « سنة الملوك العفو
والصفح ، وما مضى لا يعاد . فارجحوا واعفوا عما
سلف » . فقال الوكيل : « قد وقع الامتحان ولم
يبق الا السلم والمسامحة » .

وفيه : قبضوا على القلق المعروف بعمر آغا
— وهو أغات المغاربة المرتبة عندهم عسكرا —
وعلى شخصين آخرين يدعى أحدهما على جلبى
والآخر مصطفى جلبى ، وسجنا بالقلعة . وسبب
ذلك أنه حضر الى مصطفى جلبى مكتوب من نسييه
بجهة الشام يطلب منه بعض حوائج ، فقرأ ذلك
المكتوب بحضرة عمر القلق ورفيقه الآخر ، فوشى
بهم رجل قواس ، فقبضوا على الجميع . وكان
مصطفى جلبى المذكور سكن بيته محمد أفندى
ثانى قلعة ، فدخلوا يفتشون عليه فى الدار فلم
يجدوه ، فالزموا به محمد أفندى المذكور وأزعجوه
وأحاط به عدة من العسكر ولم يمكنوا من القيام
من مجلسه ولا من اجتماعه بأحد . وبعد أن وجدوا
ذلك الانسان لم يرجوا عن محمد أفندى ، بل
استمر معهم فى الترسيم ، ووجدوا مكانا بالدار
به أسلحة وأمتعة فنهجوه ، واتهمت الدار والحارة ،
وحصل عندهم غاية الكرب والمشقة ... حتى أن
بعض جيران ذلك المحل كبر عنده الخوف ، وغلب
عليه الوهم فبات فجأة رحمه الله !

حيث كونه قد برز الى الوجود ، فينبغى أن يتلى على مسامعكم » . ثم أمر « رفايل » الترجمان بقراءته ، ونصه :

« من عبد الله جاك مينو سر عسكر أمير عام جيوش دولة جمهور فرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا .. الى جميع الكبير والصغير ، الأغنياء والفقراء ، المشايخ والعلماء ، وجميعهم الذين يتبعون الدين الحق والحاصل لجميع أهالي بر مصر سلمهم الله ، بمقام السر عسكر الكبير بمصر في أربعة عشر شهر « وتوز » سنة تسع من قيام الجمهور فرنساوية واحد ولا ينقسم . ثم كتب تحت ذلك البسمة ولفظ الجلالة ، وتحت : أن الله هو هادي الجنود ، ويعطى النصر لمن يشاء ، والسيف الصقيل في يد ملاكه ،

يسابق دائما فرنساوية ويضمحل أعداؤهم !
« ان الانكليزية الذين يظلمون كل جنس للشر في كل المواضع ، فهم ظهروا في السواحل ، وان كانوا يتجروا يضعوا أرجلهم في البر فيرتدوا في الحال على أعقابهم في البحر ، والعثمانيين متحركين كهؤلاء الانكليزية يعملون أيضا بعض حركات . فان كان يقدموا ، ففي الحال يرتدوا وينقلعوا في غبار وعفار البادية .

« فأتتم يا أهالي مملكة ومحروسة مصر ، اني أنا أخبركم : ان كان تسلكوا في طريق الخائفين الله ، وتبقوا مستريحين في بيوتكم ، ومقيمين كما كنتم في أشغالكم وأغراضكم .. فحينئذ لا خوف عليكم . ولكن ان كان واحد منكم يسلك للفساد واضلالا اكم بالعدواة ضد دولة الجمهور فرنساوي .. فأقسمت بالله العظيم وبرسوله الكريم أن رأس ذلك المفسد ترمى في تلك الساعة . فتذكروا في كل المواقع حين محاصرة مصر الأخيرة ، وجرى دماء آبائكم ونسائكم وأولادكم في كل مملكة مصر — وخصوصا محروسة مصر — وخواصكم

ثم قرع الله عن محمد أفندي بعد ثلاثة أيام ، وأطلق عمر القلق لظهور براءته ، ولم يكن له جرم غير العلم والسكوت ، وانتقل محمد أفندي من تلك الدار وما صدق بخلاصه منها ، وبقي على جلبي ومصطفى جلبي في الحبس .

الثلاثاء ١٧ منه (٣ مارس ١٨٠١ م) :

استفيضت الأخبار بوصول مراكب الى أبي قير كما تقدم .

الأربعاء ١٨ منه (٤ مارس ١٨٠١ م) :

خرج جملة من العسكر فرنساوية وسافروا الى الجهة البحرية برا وبحرا .

الخميس ١٩ منه (٥ مارس ١٨٠١ م) :

خرجت عساكر كثيرة بحمولهم وفرشهم ، وذهبوا الى جهة الشرق . وأشيع حضور عرضي العثمانية ووصولهم الى العرش صحبة يوسف باشا الوزير .

وفيه : أصدوا الشيخ السادات الى القلعة من غير اهانة .

الجمعة ٢٠ منه (٦ مارس ١٨٠١ م) :

اجتمع أهل الديوان فيم على العادة ، فبدأ الوكيل يقول : « انه كان يظن أنه يكون حرب ، ولكن وردت أخبار أن المراكب التي حضرت الى اسكندرية — وهي نحو مائة وعشرين مركبا — قد رجعت » فقيل له : « وما هذه المراكب ؟ » . فقال : « مراكب فيها طائفة من الانكليز وصحبتهم جماعة من الأروام ليس فيها مراكب كبار الا قليل جدا ، وباقيها صغار تحمل الذخيرة » . ثم قال : « ان حضرة ساري عسكر قد كان وجه اليكم فرمانا في شأن ذلك قبل أن يتبين الأمر ، وهو وان كان قد فات موضعه من حيث أنه كان يظن أن هناك حربا ، ولكن من

لا عقل لها حتى تميز بين المفسد والمصلح ، فاتها
لا تقرأ القرآن ا . وقال آخر : « المخلص نيتة
تخلصه ا » .

فقال الوكيل : « ان المصلح من يشمل صلاحه
الرعية ، فان صلاحه في حد ذاته يخصه فقط ،
والثاني أكثر نفعا » . وطال البحث والمناقشة في نحو
ذلك .

فلما كان عصر ذلك اليوم ، ورد فرمان من
سارى عسكر الى وكيل الديوان ، فأرسل خلف
الشيخ اسماعيل الزرقالى فاستمعاه وسلمه اليه
وأمره أن يطوف به على مشايخ الديوان في بيوتهم
فيقرأونه ، وهو مبنى على جواب المناقشة المذكورة .
وصورته .. بعد البسمة والجلالة :

« من عبد الله جاك مينو سر عسكر أمير عام
جيوش دولة جمهور فرنساوية بالشرق ، ومظاهر
حكومتها بير مصرحالا ، الى كافة المشايخ والعلماء
الكرام المقيمين بمحفل الديوان المنيف بحروسة
مصر ... أدام الله تعالى فضائلهم ، وألههم الحكمة
الواجبة لاجراء فرائضهم : نرسل لحضراتكم
يامشايخ وياعلماء الكرام ، نداء جديدا .. خطابا
الى جميع أهالى مملكة مصر ، ولخصوصا أهل
محروسة مصر ، ولا شبهة لى في تقييدكم لتبنيهم
بكل ماهو محرر فيها ، وغير ذلك . تذكروا
أن هذا التنبيه هو غرضكم . الماحضراتكم
ههنا رجال دولة الجمهور فرنساوى ، فيبقى
في عقولكم وأذهانكم كل ما وقع حين قصاص
مصر الأخير ، تفهموا بناء على ذلك ، كيف
هو واجب الى أمنيتكم وراحتكم ضبط الخلائق ،
لأنه ان كان يصير أصغر الحركات فلا بد أنقالها
يقع على رؤوسكم . وغير ذلك ورد لنا في
الحال أخبار من فرائسنا أنه كملت المصالحة
مع امبراطور النمسا ، وأن قيصر روسيا بين
وأقام المحاربة ضد دولة العثمانية والسلام » .

اتهبوا تحت الغارات وطرحوا عليكم فردة قوية
غير المعتاد . فأدخلوا في عقولكم وأذهانكم كل
ما قلت لكم الآن . والسلام على كل من هو في
طريق الخير ، فالويل ثم الويل على كل من يبعد
من طريق الخير » .

مضى خالص الغواد

منفني
عبد الله

وفيه : عملوا شنكا وضربوا عدة مدافع
من القلاع ، فارتاع الناس لذلك ، واضطربوا
اضطرابا شديدا . فستل من الفرنسيين فأخبروا :
أن ذلك سرور بقدم مركبين من فرائسه الى
اسكندرية .

وفيه أيضا : وقع بمجلس الديوان بين الوكيل
والمشايخ مفاوضة ومناقشة . وذلك أنه لما أشيع
خبر ورود المراكب الى أبى قير ، شحت الغلال ،
وارتفعت من الرقع على العادة ، وزادت أثمانها .
فتفاوضوا في شأن ذلك ، وأنه لابد من الاعتناء
من الحكام وزجر الباعة ، وطواف المحتسب وشيخ
البلد على الرقع والسواحل .

ولما قرىء الفرمان المذكور قال بعض
الحاضرين : « العقلاء لا يسعون في الفساد ،
وإذا تحركت فتنة لزموا بيوتهم » . فقال الوكيل :
« ينبغى للعقلاء ولأمثالكم نصيحة المفسدين ،
فان البلاء يعم المفسد وغيره » . فقال بعضهم :
« هذا ليس بجيد ! بل العقاب لا يكون الا على
المذنب . قال تعالى : كل نفس بما كسبت رهينة » .
وقال آخر من أهل المجلس : « ولا تزر وازرة وزر
أخرى » . فقال الوكيل : « المفسدون فيما تقدم
أهاجوا الفتنة فعمت العقوبة ، والمدافع والبنبات

السبت ٢١ منه (٧ مارس ١٨٠١ م) :

اجتمع المشايخ ببيت الشيخ عبد الله الشراوى ، وحضر الأغا والوالى والمحتسب ، وأحضروا مشايخ الحارات وكبراء الأخطاط ونصحوهم وأنذروهم وأمروهم بضبط من هو دونهم ، وأن لا يغفلوا أمر عامتهم ، وحذروهم وخوفوهم العاقبة وما يترتب على قيام المفسدين ، وجعل الجاهلين . وأنهم هم المأخوذون بذلك ، كما أن من فوقهم مأخوذ عنهم . فالعاقل يشتغل بما يعنيه — على أنه لم يبق في الناس الا رسوم هافنة — وأنفصلوا على ذلك .

هذا وديوان المليون يعملون فيه بالجد والاجتهاد ، وبث المعيتين من القواسة والفرنساوية في المطالبة بالثلك والكسرة الباقية من الفردة ، والتشديد في أمر الكرتيلة ، وازعاج الناس من ذلك ، وخوفهم من حصول الطاعون . وأشاعوا فيما بينهم أن من أصابه هذا الداء في مكان ، كشفوا عليه .. فان كان مريضاً بذلك الداء ، أخذوا ذلك المصاب الى الكرتيلة عندهم ، واقطع خبره عن أهله . الا ان كان له أجل باق ويشفى من ذلك ، ويعود اليهم صحيحاً . والا فلا يراه أهله بعد ذلك أصلاً ، ولا يدري خبره . لانه اذا مات أخذه الموكلون بالكرتيلة ، ودفنوه بشيابه في حفرة ، ورددوا عليه التراب . واما داره فلا يدخلها أحد ولا يخرج منها مدة أربعة أيام ، ويحرقون ثيابه التى تختص به ، ويقف على بابه حرس . فان مر أحد ولمس الباب أو الحد المحدود قبضوا عليه وأدخلوه الدار وكرتوه . وان مات الشخص في بيته وظهر أنه مطعون جمعوا ثيابه وفرشه وأحرقوها وغسله الغاسل وحمله الحمالون لاغير ، وأخرجوه من غير مشهد وأمامه ناس تمنع المارين من التقرب منه ، فان قرب منه أحد كرتوه في الحال . وبعد دفنه يكرتون على كل من باشره بغسل أو حمل

أو دفن ! فلا يخرجون الا لخدمة أخرى مثلها بشرط لا مساس .

فقال الناس هذا القمل واستبشعوه ، وأخذوا في الهرب والخروج من مصر الى الأرياف لذلك وتوهم وقوع الفتنة بورود أخبار المراكب الى أبى قير ، وتحذر فرنساوية واستعدادهم وتأهبهم ونقل أمتعتهم الى القلعة .

الثلاثاء ٢٤ منه (١٠ مارس ١٨٠١ م) :

قبضوا أيضاً على حسن أغا المحتسب ، وأصعدوه الى القلعة بشخص يخدمه ، فحبسوه بالبرج الكبير . فأما الشيخ السادات فسأل الموكل به عن ذنبه وجرمه الموجب لحبسه . فقال له : « لم يكن الا الحذر من اثاره تلك الفتن في البلد واهاجة العامة ، لبغضك الفرنسيين لما سبق لك منهم من الايذاء » . وأما المحتسب فان الشيخ البكرى والسيد أحمد الزرو ذهبوا الى قائمقام والى سارى عسكر وتكلموا فى شأنه ، فأجابهما بأن هذا لم يكن من شغلكما . وقيل للسيد أحمد : « انك رجل تاجر وذاك أمير وليس من جنسك حتى تشفع فيه » . فقال : « انا محتاجون اليه لأجل مساعدته معنا فى قبض المليون ، ولا نعرف له ذنباً يوجب حبسه لأنه ناصح فى خدمة الفرنسيين » . فقالوا على لسان الترجمان : « الله يعلم ذنبه وسارى عسكر ، وهو أيضاً يعلم ذلك من نفسه » . ولما سجنوه لم يقلدوا مكانه غيره ، فكان كتنخذه يركب مع الأغا وأمامهم الميزان ونوبة الحسية .

وفيه : نادوا فى الأسواق بالأمان وعدم الانزعاج من أمر الكرتيلة ، وأما من مات لاحتراق الا ثيابه التى على بدنه لاغير . وكان أشيع فى الناس ماتقدم ، وزادوا على ذلك حرق الدار التى بموت فيها أيضاً ، وأن قصدهم أيضاً عمل كرتيلة على البلد بتمامها . فحصل من هذا المشاع فى الناس كرب عظيم ، ووهم جسيم . فنودى بذلك ليسكن روع الناس .

الخميس ٢٦ منه (١٢ مارس ١٨٠١ م) :

أرسل كبير الفرنسيين وطلب رؤساء الديوان والتجار فحضروا الى منزله فأعلمهم أنه مسافر الى بحرى ، وتارك بمصر قائمقام « بليار » وجملة من المسكر والكتبه والمهندسين ، وأوصاهم بأن يكون نظرم على البلد . وكان في العزم حبسهم رهينة ، فاستثمار في ذلك ، فاقضى رأيهم تأخير ذلك ، وركب من فوره مسافرا ، ولم يرجع من هذه السفرة الى مصر .

وحضر الجماعة الى الديوان ، واجتمعوا بالوكيل « فوريه » فأخبرهم أنه حضر الى ناجية أبى قير طائفة من الانكليز ، وصحبته طائفة من المالطية ، وأخرى نابلطية وطلعوا الى قطعة أرض رخوة بين سلسولين من الماء ، وأن الفرنسياتى محيطون بهم من كل جهة .

الجمعة ٢٧ منه (١٣ مارس ١٨٠١ م) :

رجعت العساكر التى كانت توجهت الى جهة الشرق بحمولهم وأثقالهم ، وصحبته سارى عسكر الشرقية « رينه » . فسافروا من يومهم ، ولحقوا بكبيرهم برا وبحرا وأخبروا عنهم أنهم لم يزالوا سائرين حتى وصلوا الى الصالحية ، وأرسلوا هعانة الى العريش . فلم يجدوا أحدا . فكروا راجعين ، وأشاعوا أن الجهة الشرقية لم يأت إليها أحد مطلقا . وأصل الخبر أن سارى عسكر « رينه » ، كاشف القلوبية والشرقية ، أخبره بعض عربان المويلح بأنهم شاهدوا مراكب انكليزية ترددت بالقلزم فأرسل بخبر ذلك الى سارى عسكر « مينو » ويقول له فى ضمن ذلك ، ويشير عليه بأن يتوجه صحة جانب من العسكر ويحصن نواحي الاسكندرية خوفا من ورود الانكليز تلك الناحية وأن « رينه » يتكفل له بمن يرد الى ناحية الشرق . وأكد عليه فى ذلك فأجابه سارى عسكر بقوله : « ان الانكليز لا يأتون من هذه الناحية ، وأنهم

يأتون من ساحل الشام » ويأمره بالارتحال والذهاب الى الصالحية يرايط فيها . فتوانى فى الحركة ، وأرسل اليه ثانيا بمعنى الجواب الأول ويحثه على تحصين ثغور الاسكندرية .

وترددت بينهما المراسلات فى ذلك ، ومضت أيام فيما بين ذلك . فورد الخبر للفرنساوية ورود مراكب الانكليز وتردادها تجاه الاسكندرية ثم رجوعها . فكتب سارى عسكر « مينو » يقول لرينه انه تراءوا — ليوهبوا بأن قصدهم ورود الاسكندرية — ثم غابوا ، وأنهم رجعوا ليطلعوا بناحية الطينة ، ويستخثه على الرحلة والذهاب الى الصالحية . فلم يسعه الا الامتنال والارتحال وكتب اليه كتابا يقول فيه . « انه لا يريدون الا ثغر الاسكندرية ، وانما لم يسعفهم الريح فلا تغتر برجوعهم » وأنه رحل امثالاً للأمر . ويشير عليه هو أيضا بعدم تأخره عن الذهاب الى الاسكندرية ، ويقبل اشارته . فلم يستمع ، وتأخر عن ذلك .

ورحل « رينه » الى جهة البركة ، ولم يستعجل الذهاب ، ثم انتقل الى الزوامل ، ثم الى يلبس وفى كل يوم ووقت يرسل اليه سارى عسكر « مينو » ويأمره بالذهاب الى الصالحية ، وهو يثلكا فى الرحيل ثم أرسل له آخر يقول له . « انه وردت علينا أخبار بأن يوسف باشا الوزير متحرك الى القدوم » ويحث عليه فى الرحيل الى الصالحية فعند ذلك مع « رينه » سوارى عسكره وعرض عليهم ذلك ، وسفه رأيه ، وأن هذا الخبر لا أصل له ... وأنا أعلم أننا لا نص الى الصالحية حتى تأتى الخبر بخلاف ذلك ، ويأتينا الأمر بالرجوع والذهاب الى الاسكندرية ، فلا نستفيد الا التعب والمشقة وارتحل بمن معه من غير استعجال فوصلوا الى القرين فى ثلاثة أيام واذا بمراسلة سارى عسكر « مينو » الى « رينه » يخبره بأن الانكليز وصلوا الى أبى قير ، وطلعوا الى

الثلاثاء ٩ منه (٢٤ مارس ١٨٠١ م) :

أُشيع في الناس وصول العثمانيين الى ناحية غزة ، وأن جواليشهم وصلوا الى العرش . وقدمت الهجاة الى الفرنساوية بالخبر .

فلما كان عشاء تلك الليلة ، طلبوا المشايخ الى الديوان ، فلما تكامل حضورهم ، حضر « فوريه » الوكيل ، وصحبته آخر من الفرنسيين من طرف قائم مقام . فتكلم « فوريه » كلاما كثيرا ليزيل عنهم الوهم ، ويؤانسهم بزخرف القول كقوله : « انه يجب المسلمين وبميل بطبعه اليهم وخصوصا العلماء وأهل الفضائل ، وبفرح لفرحهم ، ويفتم لغهم ، ولا يح لهم الا الخير . وسياسة الأحكام تقتضى بعض الأمور المخالفة للمزاج ، وأن سارى عسكر قبل ذهابه رسم لهم رسوما ، وأمرهم بأجرائها والمشي عليها في أوقاتها ، وأنه عند سفره قصد أن يعوق المشايخ وأعيان الناس ، وتركهم في الترسيم رهينة عن المسلمين . فلما ظهر له وتحقق أن الذين وردوا الى أبى قير ليسوا من المسلمين ، وإنما هم انكليزية ونابلطية وأعداء للفرنساوية وللمسلمين أيضا ، وليسوا من ملتهم حتى يخشى من ميلهم اليهم ، أو يتعصبوا من أجلهم .. والآن بلغنا أن يوسف باشا الوزير وعساكر العثمانية تحركوا الى هذا الطرف ، فلزم الأمر لتعويق بعض الأعيان ، وذلك من قوانين الحرب عندنا ، بل وعندكم . ولا يكون عندكم تكدر ولا هم بسبب ذلك .. فليس الا الاعزاز والاكرام أينما كنتم ، والوكيل دائما نظره معهم ، ولا يفغل عن تعليل مزاجهم في كل وقت ويوم » .

ثم انتهى الكلام وانقضى المجلس على تعويق أربعة أشخاص من المشايخ وهم : الشيخ الشرقاوى والشيخ المهدي والشيخ الصاوى والشيخ الفيومى . فأصعدوهم الى القلعة في الساعة الرابعة من الليل مكرمين ، وأجلسوهم بجامع سارية ، ونقلوا الى

البر ، وتحاربوا مع أمير الاسكندرية ومن معه من الفرنساوية ، وظهروا عليهم . ويستعجله في الرجوع والذهاب الى الاسكندرية .

فقال «رينه» : « هذا ما كنت أخمنه وأظنه » ، وارتحل راجعا ، وعدى على بر أنبابه بعساكره . وتقدم سارى عسكر « مينو » وسبقه الى الاسكندرية .

ذوالقعدة

الاربعاء ٣ منه (١٨ مارس ١٨٠١ م) :

أمر وكيل الديوان أرباب الديوان بأن يكتبوا لسارى عسكر مكتوبا بالسلام ، ففعلوا ما أمروا به .

السبت ٦ منه (٢١ مارس ١٨٠١ م) :

توفى محمد أغا مستحفظان مطعونا .. مرض يوم السبت وتوفى ليلة الأحد — فوضعه في نعش وخرج به الحمالون لاغير ، وأمامه الطرادون . ولم يعملوا به مشهدا ولا جماعة ، وكرتوا داره وأغلقوها على من فيها . ولم يقدلوا عوضه أحدا ، بل أذنوا لعبد العال أن يركب عوضا عنه .. وذلك بمعونة نصر الله النصراني ترجمان قائم مقام ، فاستقر عبد العال المذكور أغات مستحفظان ومحتسبا . فكان ذلك من جملة النوادر والعبر ! فان عبد العال هذا كان من أسافل العامة ، وكان أجيرا لبعض نصارى الشوام بخان الحمزاوى يخدمه ، ثم توسط بمصطفى أغا السابق بسبب معرفته للنصارى المترجمين ، حتى تقدم بوساطته وقلدوه الأغاوية ، فجعله كنخداه ومشيريه . فلما تولى محمد أغا تقيده معه كما كان مع مصطفى أغا ، ولكن دون الحالة التي كان عليها مع ذلك لصلاحية محمد أغا عن ذلك المقتول . فلما توفى في هذا الوقت ترك لعبد العال أمر المنصب لاشتغال الفرنساوية بما هو الأهم ، من انفتاح الحروب والطاعون وغير ذلك .

ثم ينصرفون الى منازلهم ، وكذلك أمروا الشيخ أحمد العريشى القاضى بأن يحضر ويجلس من غير سابقة له بذلك ، وذلك حفظا للناموس لا غير .

السبت ١٣ منه (٢٨ مارس ١٨٠١ م) :

نقل الكشارى « فوريه » الوكيل متاعه الى القلعة وصعد اليها فلم ينزل . وأرسل الى الشيخ سليمان الفيومى تذكرة يأمره فيها بأن ينقل فراش المجلس ويودعه فى مكان بداره ... ففعل ما أمره به ، ولم يتركوا به الا الحصر . وأمر بحضور أرباب الديوان على عادتهم ، فكانوا يفرشون سجاجيدهم ويجلسون عليها حصة الجلوس ثم ينصرفون .

الاحد ١٤ منه (٢٩ مارس ١٨٠١ م) :

نقلوا حسن أغا المحتسب من البرج الى جامع سارية صبة المشايخ . وكذلك « فوريه » الوكيل جعل سكنه الجامع المذكور ، وأظهر أن قصده مؤاستهم ، وليس الا لضيق مساكن القلعة وازدحام الفرنسيين وكثرة ما تملوهم اليها من الأمتعة والذخائر والغلال والأحطاب ، مع ما هدموه من أماكنها ، حتى أنهم سدوا أبواب الميدان وجعلوه من جملة حقوقها فكانوا ينزلون اليه ويصعدون منه ، من باب السبع حدرات .

الجمعة ١٩ منه (٣ ابريل ١٨٠١ م) :

ورد مكتوب من كبير الفرنسيين من ناحية اسكندرية ، مؤرخ بثالث عشر القعدة (٢٨ مارس ١٨٠١) وهو جواب عن المكتوب المرسل اليه السابق ذكره ، وصورته بعد الصدر المعتاد : « من عبد الله جاك مينو سر عسكر أمير عام جيوش فرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا ... الى كامل المشايخ والعلماء السكرام المقيمين بالديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله فضائلهم .

مكانهم الشيخ السادات ، فاستمر معهم بالمسجد ، وأمروا الأربعة الباقية من أعضاء الديوان وهم : البكرى والأمير والسرسى وكتبه أن يكون نظرهم على البلد ، ويجتمعون بشيخ البلد ولا ينقطعون عنه ، وأن المشايخ المحجوزين لا خوف عليهم ولا ضرر ، وهم معززون مكرمون ، وأطلقوا لكل شيخ منهم خادما يطلع اليه وينزل ليقضى له أشغاله وما يحتاج اليه من منزله . والذي يريد من أحبابهم وأصحابهم زيارتهم يأخذ له ورقة بالاذن من قائمقام ويطلع بها فلا يمنع ، وكذلك أصدوا ابراهيم أفندى كاتب البهار وأحمد بن محمود محرم وحسين قرا ابراهيم ويوسف باشجاويش تفكديان وعلى كتخدا يحيى أغات الجراكسة ، ومصطفى أغا أبطال وعلى كتخدا النجدلى ومحمد أفندى سليم ومصطفى أفندى جليان ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم ، وأمروا المشايخ الباقية والذين لم يحبسوا بتقيدهم ونظرهم الى البلد والعامة ، وأنهم يترددون على « بليار » قائمقام ويعلمونه بالأمر التى ينشأ عنها الشور والفتن . وأهل ديوان المليون والمطالبة بثلثه ، وكذلك كسرة الفردة . ونفس الله عن الناس ، وكذلك تسوئل فى أمر الكرتيلة واجازة الأموات وعدم الكشف عليهم ، وتصديق الناس بما يخبرون به فى مرض من يموت ... وذلك لكثرة أشغالهم وحركاتهم وتحصنهم وتقل متاعهم وصناديقهم وفرشهم وذخائرهم الى القلعة الكبيرة على الجنال والحمير ليلا ونهارا ، والطاعون متعلق فيهم ، ويموت منهم العدة الكثيرة فى كل يوم .

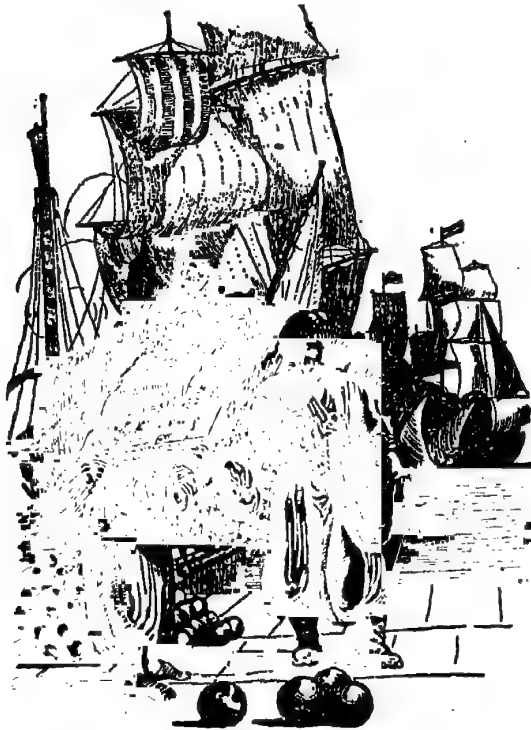
الخميس ١١ منه (٢٦ مارس ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن الشيخ سليمان الفيومى وأنزلوه من القلعة ليكون مع من لم يحبس . وأمرهم الوكيل بالتقييد والحضور الى الديوان على عادتهم ولا يملونه . فكانوا يحضرون ويجلسون حصة يتحدثون مع بعضهم ، ولا يرد عليهم الا القليل من الدعاوى ،

والمخامرة عليه وتسفيهم لرايه . واكد ذلك عنده
أنهما لما حضرا الى الاسكندرية أخذوا معهما أثقالهما
وما كان لهما بمصر لعلهما عاقبة الأمر وسوء رأى
كبيرهما ... فاشتد انكاره عليهما ، وعزل عنهما
العسكر ، وجسهما ثم أطلقهما ونزلا الى المراكب
مع عدة من أكابرهم ، وسافرا الى بلادهما .

وكان « مينو » أرسل الى بونابارته يخبر عن
ورود الانكليز ويستنجده . فأرسل اليه عسكرا ،
فصادفوا الجماعة المذكورين في الطريق ، فأخبروهم
عن الواقع ، وردوهم من أثناء الطريق — وقد أشاروا
لذلك في بعض مكاتباتهم — وأخير أيضا المخبرون
أن الانكليز أطلقوا حبوس المياه الملحة حتى أغرقت
طرق الاسكندرية ، وصارت جميعها لجة ماء ، ولم
يبق لهم طريق مسلوكة الا من جهة العجمي الى
البرية ، وأن الانكليز تترسوا قبالهم من جهة الباب
القريب .

وفيه : ورد الخبر بأن حسين باشا القبطان



قبطان باشا بالاسكندرية

« ورد لنا مكتوبكم العزيز ، ورأينا بكامل
السرور كل ما فصلتم لنا به ، وثبت من مفهومنا
صدق ودادكم لنا ولعساكر دولة جمهورالفرسايوة ،
ودمتهم حضراتكم ، وكافة أهالى مصر ، بالحمية
والاستقامة الموعودة . ومعلوم على فضائلكم أن
الله يهدى كلا .. فما النهرة الا منه ، ووضعت عليه
اعتمادى وما توفيقى الا به وبرسوله الكريم عليه
السلام الدائم ، وإن ابتغيت النصره فما هو الا
لسهولة خيرأتى الى بر مصر وسكان ولايتها ، وخير
أمور أهلها . والله تعالى يكون دائما معكم ، ويكرم
وجوهكم بالسلامة » .

وفيه : سمع وقتل عن بعض الفرنسيين ، أنه
وقع الحرب بين الفرنساوية والانكليزية . وكانت
الهزيمة على الفرنساوية ، وقتل بينهم مقتلة كبيرة ،
وانحازوا الى داخل الاسكندرية ، ووقع بينهم
الاختلاف . واتهم « مينو » سارى عسكر « رينه »
و « داماص » ورايه منهما ما رابه ، وكانا سببا
لهزيمته فيما نظن ويعتقد . فقبض عليهما وعزلهما من
امارتهم . وذلك أن « رينه » و « داماص » لما ذهبا
على الصورة المتقدمة ، ونظر « رينه » وأرسل من
كشف على متاريس الانكليز فوجدوها في غاية الوضع
والاتقان ، اجتمعوا للمشورة على عاداتهم ، ودبروا
بينهم أمر المحاربة ، فرأى سارى عسكر « مينو »
رايه ، فلم يعجب « رينه » ذلك رأى : « وأن فعلنا
ذلك وقعت الغلبة علينا . وانما رأى عندى كذا ،
وكذا ... »

ووافقه على ذلك « داماص » وكثير من عقلائهم .
فلم يرض بذلك « مينو » وقال : « أنا سارى
عسكر ، وقد رأيت رأى » فلم يسعهم مخالفته ،
وفعلوا ما أمر به . فوقع عليهم الهزيمة ، وقتل منهم
في تلك الليلة خمسة عشر ألفا ، وتنجى « رينه »
و « داماص » ناحية ، ولم يدخلوا في الحرب
بمسكرهما . فاغتاز « مينو » ونسبهما للخيانة

العمدة السيد اسماعيل ، المعروف بالخشاب ،
وحضرة قاسم أفندي أمين الدين كاتب الديوان .
فلما استقر به الجلوس ، أخبر أنه ورد كتاب من
كبيرهم « جاك مينو » باللغة الفرنسية مضمونه :
أنه مقيم بسكندرية . وهو مؤرخ بعشرين
القعدة . ومثل ذلك من الكلام الفارغ !

وفيه : قدم ثلاثة أنفار من العرب صحبة جماعة
من الفرنسيين ، وذهبوا بهم الى بيت قائمقام .
فاستفسر منهم ، فاختلف كلامهم وتبين كذبهم ، فأمر
بحبسهم .

وفيه : حضر جماعة من الفرنسيين من جهة الشرق
ومعهم دواب كثيرة وآلات حرب ، ومروا في شارع
المدينة ، ومنعوا الناس من شرب الدخان خوفا على
البارود من النار . ولم يعلم سبب قدومهم ، ثم تبين
أنهم الذين كانوا محافظين بالصالحية .

وبعد أيام حضر أيضا الذين كانوا بالقرين ،
وكذلك الذين كانوا ببليس وناحية الشرق ، شيئا
بعد شيء .

ذوا الحجة

(١٥ ابريل - ١٣ مايو ١٨٠١ م)

فيه : حصل الاجتماع بالديوان ، وأخبر الوكيل
أن كبيرهم قد بعث أخبارا بالأمس منها : أنه قد
مات جماعة من كبراء الانكليز ، وأن أكثر عساكرهم
مريضون بمرض الزحير والرمدة ، وربما يحصل
الصلح عن قرب ويرجعون الى بلادهم ، وأن
العطش مضارهم ، وبعثوا عدة مراكب لتأتيهم
بالماء ، فتعذر عليهم ذلك .

ثم سأل عن أحوال البلد ، وسكون الرعية ،
والغلال والأقوات . فأجيب بأن البلد مطمئنة ،
والرعية ساكنة ، والغلال موجودة ، فقال : « لابد
من اعتنائكم بجميع هذه الأمور الموجبة للراحة » .

ورد بعساكره جهة أبى قير ، وطلع عسكره من
المركب الى البر . وقويت القرائن الدالة على صحة
هذه الأخبار ، وظهرت لوائح ذلك من الفرنسيين ...
مع شدة تجلدهم ، وكتمان أمرهم ، وتنميق كلامهم .
وفيه : سدوا باب البرقية - المعروف بباب
الغريب - وبنوه .. فضاقت خناق الناس بسبب
الخروج الى القرافة بالأموات . فكان الذى مدفنه
بيستان المجاورين ، يخرج بجنازته من باب النصر ،
ويمرون بها من خلف السور المسافة الطويلة ،
حتى يتنهبوا الى مدفنهم . فحصل للناس مشقة
شديدة ، وخصوصا مع كثرة الأموات .

الاثنين ٢١ منه (٥ ابريل ١٨٠١ م) :

كلم بعض المشايخ قائمقام فى شأن ذلك . فأرسل
الى قبطان الخطة ، ففتح بابا صغيرا من حائط
السور ، جهة كفر الطماعين ، على قدر النعش
والحاليين والمشاة .

الاثنين ٢٢ منه (٦ ابريل ١٨٠١ م) :

سافر جماعة من أعيان الفرنسية الى جهة
بحرى وهم : « أستوف » الخازن دار العام ومدير
الحدود ، و« فوريه » وكيل الديوان ، و« شنائيلو »
مدير أملاك الجمهور ، و« يرناز » وكيل دار
الضرب ، و« ريج » خازن دار الضرب ، و« لابرث »
رئيس مدرسة المكتب وحافظ سجلاتهم وكتبهم .
وأخذوا معهم طائفة من رؤساء القبط ، وفيهم
جرجس الجوهرى . وأشيع فى الناس بأن سفرهما
لتقرير الصلح . وليس كذلك !

الثلاثاء ٢٣ منه (٧ ابريل ١٨٠١ م) :

توكل بحضور الديوان كشارى يقال له
« جيار » .

الجمعة ٢٦ (١٠ ابريل ١٨٠١ م)

حضر بصحبة كاتب سلسلة التاريخ محبنا الفاضل

وفيه : أشيع أن الانكليز ومن معهم من العثمانية ملكوا ثغر رشيد وأبراجها ، وحاربوا من كان بها من الفرنسيين حتى أجلوهم عنها ودخلوها .

وفي ذلك اليوم : قبضوا على نيف ومستين من مغاربة الفحامين وطولون والغورية ونفوههم . وذلك من فعل عبد العال الأغا .

وفيه : أمر « بليار » قائمقام برغوب أحد المشايخ صجة عبد العال ، ويمرون بشوارع المدينة . فكان يركب معه مره الشيخ محمد الأمير ، ومرة الشيخ سليمان الفيومي . وذلك لتطشّن الرعية .

٦ منه (٢٠ ابريل ١٨٠١ م) :

قرىء مكتوب زعموا أنه حضر من ماري عسكر « مينو » من جهة الاسكندرية ، وصورته ، بعد البسلة والجلالة والصدر المعتاد : « الى حضرات كافة المشايخ والعلماء الكرام المستشيرين بمحصل الديوان المنيف بمحروسة مصر ، أدام الله تعالى فضائلهم . وما النصر الا من الله وبشفاعه رسوله الكريم عليه السلام الدائم

« العساكر الفرنساوية والانكليزية هما الى هذا الآن حصيران قبلهما ، فحصنا أطرافنا بمتاريس وخنادق لا تغل ولا تهجن ، وغير ذلك يلزم نخبر حضراتكم — لتهدئة تمشياتكم ، ولأجل انتظامها — أن سلطان الروسية المحمية أعلن ، بواسطة مرسله الى حضرة السلطان سليم ، أذعن الأمر الى عساكره لأحل ما تتجانبوا وتراووا ويخلوا من بر مصر جميعا ، والا لا بد من السلطان الروسيات الجمعة (١) الاقامة بالمحاربة بمعية مائة ألف عسكرية ضد العثمانية وضد قسطنطينية .

« فبناء على ذلك ، أرسل السلطان سليم أوامره

(١) كذا في الاصل .

بفرمانه ، خطابه الى عساكره لتخليه بر مصر ولكامل من بالبر المذكور ، لكى وثم ولكن ذهب الانكليزية كفا للارتشاء بعض من مقدار العسكر العثمانية ، وبتقديم امثالهم الى أوامر سلطانهم ... فأعلنوا وأخبروا كل ذلك الى أهالي مصر . فانتظموا كما كنتم دائما بالخير ، فاعتمدوا واعتنوا بحماية وصانة دولة الجمهورية الفرنساوية . والله تعالى يديم فضائلكم عن الالهام بالخير والسلامات .

حرر في الخامس والعشرين شهر « جرمينال » سنة تسعة الموافق ٣ ذى الحجة ١٢١٥ (١٧ ابريل ١٨٠١ م) وكتب بالفاظه وحروفه من خط منشئه « لوماكا » الترجمان .

ثم قال الترجمان : « ان الفرنساوى الذى حمل هذا الكتاب نقل لى عن سر عسكر أنه ناشر لكم ألوية الشكر على قيامكم بوظائفكم ، فدوموا على ذلك » . فأجيب بالسمع والطاعة

ثم ان بعض الحاضرين من المشايخ أخبر بأن رجلا من المنوفية ، يقال له موسى خالد ، كان الفرنساوية أحسنوا اليه وقدموه على أقرانه . فلما خرجوا من المنوفية ، أفسد في البلاد وقطع الطريق ، ولا يتمكن أحد من أهل هذه الجهة أن يخرج من بلده لتحصيل معاشه ، وأنه قبض على الشيخ عابدين القاضى ، وصادره في نحو ثلاثة آلاف ريال ، وكذلك صادر كثيرا من أغنياء منوف وغيرها ، وأخذ أموالهم . فقال الوكيل : « ستسكن الفتنة ويعاقب المفسدون » . ثم أمر بكتابة مكاتيب ممضاة من مشايخ الديوان خطابا للتجار والمتسبين ولمشايخ البلاد وأمروهم بإرسال الغلال والأقوات الى مصر . فكتبوا للمحلة الكبرى ومنوف والمنصورة والقشن وبني سويف .

وفيه : كتبوا جوابا من مشايخ الديوان لكبير الفرنسيين جوابا عن المكتوب المذكور آنفا .

وفيه : ذكر قائمقام « بليار » لبعض الرؤساء :
أنه اذا رجع سارى عسكر منصورا ، ودامت أهل
البلد على طاعتهم وسكونهم ، رفع عنهم نصف
المليون والظلم .

١٠ منه (٢٤ ابريل ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن ابن محرم التاجر ، بتوسل والدته
بقائمقام « بليار » على مصلحة ألفين ريال فرانسه .



ابو زعبل

وفيه : ورد الخبر بموت مراد بيك (١) بالوجه
القبطى بالطاعون . وكان موته رابع الشهر (١٨
ابريل ١٨٠١ م) ودفن بسوهاج عند الشيخ
العارف ، وأقيم عزاءه عند زوجته الست نفيسة
وبنت له قبرا بمدفن على بيك واسماعيل بيك
بالقرافة بالقرب من قبة الامام الشافعى رضى الله
تعالى عنه . وأشيع نقله اليه ، ثم ترك ذلك وبطل .
وكان الفرنساوية عندما اصطالح معهم ، وأعطوه
امارة الصعيد ، رتبوا لزوجته المذكورة فى كل
شهر مائة ألف فضة ، واستمرت تقبض ذلك حتى
أخرج الفرنساوية جوابات الى الأمراء المرادبة
يعزونها فى أستاذهم ، وتقريرا الى عثمان بيك

(١) يوجد خلاف بين « الجبرى » والمراجع الفرنسية . تاريخ
وفاته مراد بيك : فالجبرى يحدد الوفاة فى (ذى الحجة ١٨
ابريل) . والسيور « مانجان » يقول انه مات يوم (٢١ مارس)
ودواية الجبرى يرجع .

(مهدي الرحمن الرافعى - تاريخ الحركة القومية ص ٢٥٧)

وفيه : خرج عبد العال الى ناحية أبى زعبل ،
ورجع ومعه ثلاثة أشخاص من الفلاحين ، ضرب
عنق أحدهم .

١٢ منه (٢٦ ابريل ١٨٠١ م) :

قبض عبد العال على أناس من الغورية والصاغة
ومرجوش وغيرهم ، وألزمهم ببال . وسئل عن ذلك
فقال : « لم أفعله من قبل نفسى ، بل عن أمر من
الفرنسيين » .

وفيه : حفرُوا خندقا عند تلال البرقية ، فكان
الذين يخرجون بالأموات يصعدون بهم من فوق
التل ثم ينزلون ويمرون على سقالة من الخشب
على الخندق المحفور . فحصل للناس غاية المشقة .
. واتفق أن ميتا سقط من على رقاب الحمالين
وتسرح الى أسفل التل !

الجوخدار المعروف بالطنجرجى بأن يكون أميرا
ورئيسا على خشداثينه ، وعوضا عن مراد بك
ويسترون على امرتهم وطلاعتهم .

وفيه : حضرت جوابات المراسلات التى أرسلت
الى البلاد بسبب الغلال والأقوات ، بأن المتسبين
والتجار أجابوا بالسمع والطاعة . غير أن المانع لهم
قطاع الطريق ، وتعسدى العرب ومنعهم السيل ،
وأن أبواب البلدان مغلقة بحيث لا يمكن الخروج
منها ، فإذا أمنت الطرق ، حضر المطلوب .. وكلام
هذا معناه . وأما الساعى المرسل الى المنصورة
فانه رجع من أثناء الطريق ، ولم يمكنه الوصول
اليها ، لأن المساكر القادمة قد دخلوها ، وصارت
في حكمهم .

وفيه (أى فى هذا الشهر) : زاد أمر الطاهون
ولعن مصطفى أغا أبطال بالقلمة . فلما ظهر فيه
ذلك ، دفعوه بطريق مهافة ، وأنزلوه الى الكرتيلة
بباب العزب ، وألقوه بها . ثم تكلم فى شأنه أرباب
الديوان ، فأنزلوه الى داره ... فمات بها .
وكذلك وقع لحسين قرا ابراهيم التاجر ، وعلى
كتخدا النجدلى ، وذلك فى أوائله .

وفى كل يوم يموت من الفرنسيين الكائنين بالقلمة
الثلاثون والأربعون وينزلون بهم من كرتيلة القلمة
على الأخشاب مثل الأبواب ، كل ثلاثة أو أربعة سواء
يحملهم الحمالون ، وأمامهم اثنان من الفرنسيين
يمنعون الناس ، ويباعدونهم عن القرب منهم ، الى
أن يخرجوا بهم من باب القرافة ، فيلقونهم فى حفرة
عميقة قد أعدها الحفارون ، ويهلون عليهم التراب
حتى يملوهم . ثم يلقون صفا آخر ويفطونهم
بالتراب .. وهكذا حتى تمتلىء الحفرة ويبقى
بينها وبين الأرض نحو الذراع ، فيكبسونها
بالتراب والأحجار ، ويحفرون أخرى غيرها كذلك .
فيكون فى الحفرة الواحدة اثنا عشر وستة عشر

وأكثر فوق بعضهم البعض وبنهم التراب ،
ويرمولهم بشبابهم وأعطيتهم وتواسيهم التى فى
أرجلهم . وذلك المكان الذى يدفنون به فى العلوة
الكائنة خارج مزار القادرية بين الطريقين الموصولين
الى جهة مزار الامام الشافعى رضى الله عنه .

وفيه : أنهى مشايخ الديوان تعرض عبد العال
لمصادرة الناس وطلب المال بعد تأمينهم وتبشيرهم
برفع نصف المليون عنهم . فأجيبوا بأن ذلك على
سبيل القرض لتعطل المال الميرى ، واحتياج العسكر
الى النفقة . وقيل لهم أيضا : « ان كان يمكنكم
أن تكتبوا الى البلاد بدفع الميرى ، رفضا للطلب
عن الناس » فقالوا : « هذا غير ممكن ، لحصول
البلاد فى حيازة القادمين ، وقطع الطريق من وقوف
العرب بها وعدم الانتظام . والما القصد الملائمة
والرفق ، فان وظيفتنا التصح والوساطة فى الخير » .

الخميس ١٦ منه (٣٠ ابريل ١٨٠١ م) :

حضر « استوف » الخازندار وجرجس
الجوهري ومن معهما من القبطه وغيرهم ، ماعدا
الفرنسيين الذين ذهبوا معهم . فأرسلت أوراق
يحضور مشايخ الديوان والتجار والأعيان من
القد .

الجمعة ١٧ منه (اول مايو ١٨٠١ م) :

حصلت الجمعية ، وحضر الخازندار والوكيل
وعبد العال وعلى أغا الوالى ، وبعض التجار كالسيد
أحمد الزرو والحاج عبد الله التاودى شيخ الغورية
والحاج عمر اللطيلى التاجر بخان الخليلى ومحمود
حسن و « كليمان » الترجمان . فتكلم « استوف »
وترجم عنه الترجمان بقوله : « ان سارى عسكر
الكبير « مينو » يقرئكم السلام ، ويشنى عليكم
كثيرا . وسينجلى هذا الحادث ان شاء الله تعالى ،
ويقدم فى خير ، ويرى أهل مصر ما يسرهم . وقد
هلك من الانكليز خلق كثير ، وباقيهم أكثرهم

مرمودون الأعين وبمرض الزحير . وجاءت طائفة منهم الى فرنساوية وانضموا اليهم من جوعهم وعطشهم . وتعلموا أن فرنساوية لم يسلموا في رشيد قهرا عنهم ، بل تركوها قصدا ، وكذلك إخلينا دمياط لأجل أن يطمعوا ويدخلوا الى البلاد وتفرق عساكرهم ، فتسكن عند ذلك من استصالهم .

« ونخبركم أنه قد وردت الى مكنندرية مركب من فرنسا ، وأخبرت أن الصلح قد تم مع كامل القرافات ماعدا الانكليز ، فانهم لم يدخلوا في الصلح ، وقصدتهم عدم سكون الحرب والفتن ، ليستولوا على أموال الناس .

« واعلموا أن المشايخ المحوسين بالقلعة وغيرهم لا بأس عليهم ، وانما القصد من تعويقهم حبسهم ، رفع الفتن والخوف عليهم . وشرعة فرنساوية اقتضت ذلك ، ولا يمكن مخالفتها ، ومخالفتها كخالفه القرآن العظيم عندكم .. »

« وقد بلغنا أن السلطان العثلى أرسل الي عسكره بالكف عن فرنساوية ، والرجوع عن قتالهم . فخالف عليه بعض السفهاء منهم ، وخرجوا عن طاعته ، وأقاموا الحرب بدون اذنه .

فأجابه بعض الحاضرين بقوله : « ان القصد حصول الراحة والصلح . وفرنساوية عندنا أحسن حالا من الانكليز ، لأننا قد عرفنا أخلاقهم ، ونعلم أن الانكليز انما يريدون بانضمامهم الى العثمالية تنفيذ أغراضهم فقط . فانهم يولون العثملى ويفرونه حتى يوقعوه في المهالك ، ثم يتركونه كما فعلوا سابقا .

ثم قال الخازندار : « ان فرنساوية لا يحبون الكذب ، ولم يعمد عليهم . فلازم أن تصدقوا كل ما أخبروكم به .

فقال بعض الحاضرين : « انما يكذب

الحشاشون . وفرنساوية لا ياكلون الحشيش ا . » ثم قال الخازندار : « ان وقع من أهل مصر فشل أو فساد عوقبوا أكثر من عام أول . واعلموا أن فرنساوية لا يتركون الديار المصرية ولا يخرجون منها أبدا ، لأنها صارت بلادهم ، وداخله في حكمهم !! وعلى الفرض والتقدير ، اذا غلبوا على مصر ، فانهم يخرجون منها الى الصعيد ، ثم يرجعون اليها ثانيا . ولا يخطر في بالكم قلة عساكرهم ، فانهم على قلب رجل واحد ، واذا اجتمعوا كانوا كثيرا . وطال الكلام في مثل هذه التوبيعات والخرافات .. وأجوبة الحاضرين بحسب مقتضيات ا

ثم قال الخازندار : « القصد منكم معاونة فرنساوية ومساعدتهم ، وغلاق نصف المليون ، ونشفع بعد ذلك عند سارى عسكر في قوات النصف الثانى ، حكم ما عرفكم قائمقام «بليار» . فاجتهدوا في غلاقه من الأغنياء واتركوا الفقراء . فأجابوا في آخر الكلام بالسمع والطاعة ا

فقال : « لكن ينبغى التمجيل ، فان الأمر لازم لأجل ثقة العسكر » ، ثم قال لهم : « ينبغى أن تكتبوا جوابا لسارى عسكر تعرفونه فيه عن راحة أهل البلد وسكون الحال ، وقيامكم بوظائفكم . وهو ان شاء الله بحضر اليكم عن قريب .

وانقض المجلس ، وكتب الجواب المأمور به وأرسل .

وفيه : ورد الخبر بوصول طاهر باشا الأرثوودى بجيلة من العساكر الأرثوودية الى أبى زعبل .

وفيه : خرج عدة من عساكر فرنساوية وضربوا أربع قرى من الريف بعلة موالة العرب وقطاع الطريق فنهبوه وحضروا الى مصر بمتاعهم ومواشيهم .

وفيه : أرسل « بليار » قائمقام يطلب من

المغاربة ، وحبسوه بالقلعة بسبب أنه كان يتكلم في بعض المجالس ويقول : « أنا شيخ المغاربة ، وأحكم عليهم » ، ويتباهى بمثل هذا القول فنقل عنه ذلك الى عبد العال والفرنسيس ، وظنوا صحة قوله ، وأنه ربما أثار فتنة . فقبضوا عليه وحبسوه . وكذلك حبسوا محمد أفندي يوسف ثاني قلعة ، وآخر يقال له عبيد السكري .

٢٥ منه (٩ مايو ١٨٠١ م) :

أبرزوا مكتوباً وزعموا أنه حضر من ساري عسكرهم وقرى بالديوان . وصورته ، بعد الصدر :

« خطاباً الى كافة العلماء والمشايع الكرام محفل الديوان المنيف بمحروسة مصر حالا ، أدام الله تعالى فضائلهم :

« ورد لنا مكتوبكم ، وانشرح قلبي من كل ماشهدتم لنا فيه بأنه بثبت عقلكم السليم وصدقكم ، وتقيد قلوبكم في طارق الدستور ، فدوموا مهتدين بهذه المسلكة ، ولا بد لفضائلكم من دولة جمهورنا كامل الوفاء من حسن رضا ، واطمئنان عليكم منها ، ومن طرف عبدة أصحاب الجراءة والشجاعة حضرة القويصل أولها بونا برته ، وعلى الخصوص من طرفنا ، وكان ضداً وأمرى ، أن الستويان « فوريه » الذي كنت وصفته قرب فضائلكم ، ترك ذلك الموضع نوجها الى اسكندرية وما تلك الفعل الا من نقص جسارته في ذى الوقعة ، فبدلناه جنب فضائلكم بالستويان « جيرار » رجل واجب الاستوصاء لأجل عرضه وفضله ، وخصوصاً لأجل غيرته وجسارته . فلذلك هو كسب اعتمادى ، فاعتمدوا الى كل ماهو قائل بفضائلكم من جانبنا . « وبغنه وعونه تعالى عن قريب نواجهكم بمصر بخير وسلامة ، ودوموا حسب تدبيراتكم لتنظيم البلد ، ومماسكة الطاعة بين الأمة الحامدة ،

الوجاقلية بقية ماعليهم من المال المتأخر من فردة الملتزمين ، وقدره اثنا عشر ألف ريال ، وإن تأخروا عن الدفع أحاط العسكريوتهم ، ونقلهم الى أضيق الحبوس ، بل واستعملهم في شيل الأحجار . فاعتذروا بضيق ذات يدهم . وحبسهم ، فتصدر اليهم السيد أحمد الزرو ، وتشفع عند قائمقام بأن يقوموا بدفع أربعة آلاف ريال ، ويؤجلوا بالباقي ، وينزلوا من القلعة لتحصيل ذلك ... فأجابه .

وانزل على أغا يحيى ، أغات الجراكسة ، ويوسف باشجاووش الى بيت عبد العال ، وحبسهم بمكان بداره ، وحبس معهم مصطفى كتحدا الرزاز . فكان يتهددهم ويرسل اليهم أعوانه يقولون لهم : « شهلوا ماعليكم والا ضربكم الأغا بالكرابيج » . فسبحان الفعال لما يريد . فإن عبد العال هذا الذي يتهددهم ، ربما كان لا يقدر على الوصول الى الوقوف بين يدي بعض أتباعهم ... فضلاً عنهم ! وفيه : أحاط الفرنسيين بمنزل حسن أغا الوكيل - المتوفى قبل تاريخه - وذلك بسبب أنه وجد بيته غلام فرساوى مختف أسلم وحلق رأسه ، وقبضوا على أحد خشداشيته وحبسوه ، لكونه علم ذلك ولم يخبر به .

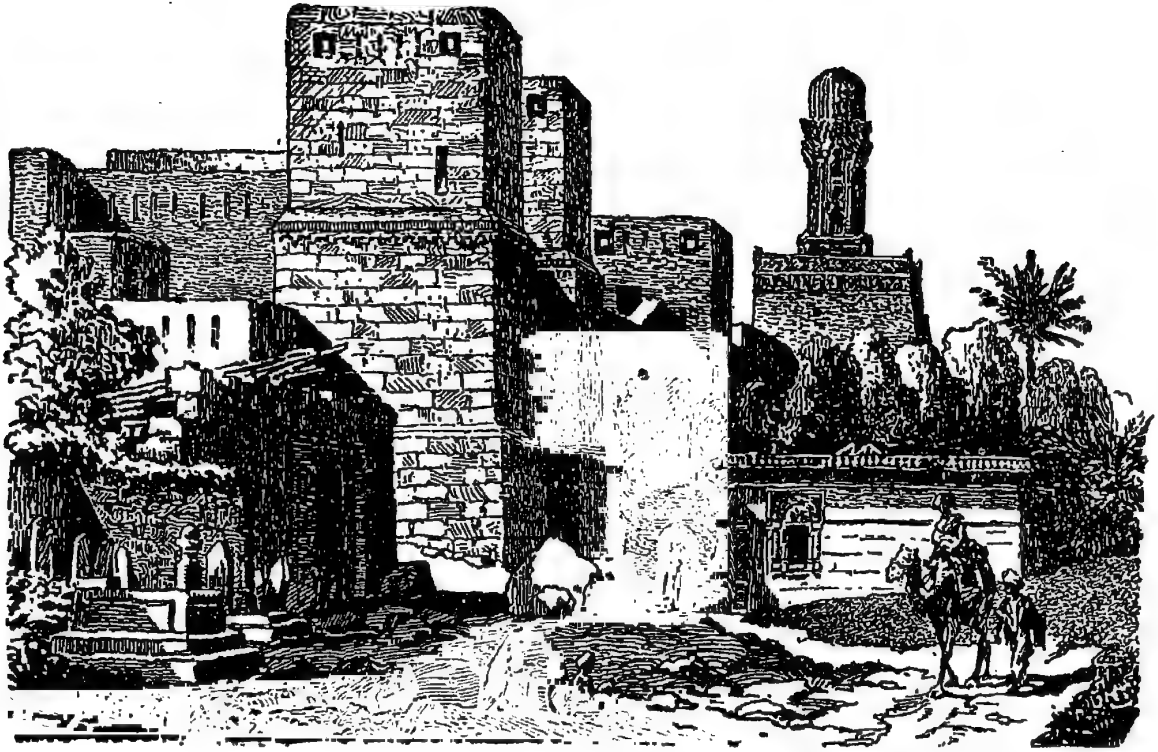
وفيه : حضرت رسل من طرف عرضى الوزير لقائمقام « بليار » . فاجتمعوا به ، وخلا بهم ، ووجههم من ليلتهم . فلما حصلت الجمعية بالديوان ، سئل الوكيل عن ذلك فقال : « نعم .. انهم أرسلوا يطلبون الصلح » .

١٨ منه (٢ مايو ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن ابراهيم أفندي كاتب البهار ، ليساعد في قبض نصف المليون .

٢٤ منه (٨ مايو ١٨٠١ م) :

قبضوا على أبى القاسم المغربى شيخ رواق



الاماكن الجاورة لباب النصر

٢٨ منه (١٢ مايو ١٨٠١ م) :

وردت الأخبار بوصول ركاب الوزير يوسف
باشا الى مدينة بليس وذلك في رابع عشرينه .

وفيه : أخبر وكيل الديوان أن سارى عسكر
أرسل كتابا الى الست نفيسة بالتعزية ، ورتب لها
في كل شهر مائة ألف نصف وأربعين .

واقضت هذه السنة بحوادثها وما حصل فيها .
فمنها : توالى الهدم والخراب ، وتغيير المعالم ،
وتنوع المظالم . وعم الخراب خطة الحسينية خارج
باب الفتوح والخروبى ، فهدموا تلك الأخطاط
والجسرات والحارات ، والدروب والحمامات ،
والمساجد والمزارات ، والزوايا والتكايا ، وبركة
جناق وما بها من الدور والقصور المزخرفة ، وجامع
الجنبلاتية العظيم بباب النصر ، وما كان به من

والسياسة بين غيرهم . وكذلك نرجو من رب
الأجناد ، بحرمة سيد العباد ، أن تشدوا قلوبكم
توكلا له ، لأن عوننا اسمه العظيم » ا

حرر في ثلاثة عشر «فلوريال» سنة تسعة ، موافقا
لثمانية عشر ذى الحجة سنة ألف ومائتين وخمسة
عشر . مضى : عبد الله جاك مينو . انتهى بالفاظه
وحروفه .

٢٦ منه (١٠ مايو ١٨٠١ م) :

أعادوا فرش الديوان بأمر الوكيل « جيار » .
وذلك على حد قول القائل :

وتجلدى للشامتين أربعهم

أنى لرب الدهر لا أتضعض

وفيه : أفرجوا عن محمد كاشف سليم الشعراوى
بشفاعة حسين كاشف ، وسافر الى جهة الصعيد .

وكذلك هدموا مدرسة القانية والجامع المعروف بالسبع سلاطين وجامع الجركسى وجامع خوند بركة الناصرية خارج باب البرقية ، وكذلك أبنية باب القرافة ومدارسها ومساجدها ، وسدوا الباب ، وعملوا الجامع الناصرى الملاصق له قلعة ، بعد أن هدموا منارته وقبابه .

وسدوا أبواب الميدان من ناحية الرملة وناحية عرب اليسار ، وأوصلوا سور باب القرافة بجامع الزمر ، وجعلوا ذلك الجامع قلعة . وكذلك عدة قلاع متصلة بالمجرة التى كانت تنقل الماء الى القلعة الكبيرة وسدوا عيونها وبواكها ، وجعلوها سورا بذاتها ، ولم يبقوا منها الا قوصرة واحدة من ناحية الطيبى جهة مصر القديمة ، جعلوها بابا ومسلكا وعليها الكرنك والغفر والعسكر الملازمين الاقامة بها ، ولقبض المكس من الخارج والداخل .

وسدوا الجهة المسلوكة من ناحية قنطرة السد بحاجز خشب مقفص وعليه باب بقفل مقفص أيضا ، وعليه حرسجية ملازمون القيام عليه ... وذلك حيث



الحراس عند مداخل القاهرة

القباب العظام المعقودة من الحجر المنحوت ، المربعة الأركان ، الشبيهة بالأهرام ، والمنارة العظيمة ذات الهلالين . واتصل هدم خارج باب النصر بخارج باب الفتوح وباب القوس الى باب الحديد ، حتى بقى ذلك كله خرابا متصلا واحدا ، وبقي سور المدينة الأصيلي ظاهرا مكشوبا ، فعمروه ورموا ماتشعث منه ، وأوصلوا بعضه ببعض بالبناء ، ورفعوا بنيانه فى العلو ، وعملوا عند كل باب كرانك وبدنات عظاما ، وأبوابا داخلية وخارجية ، وأخشابا مغروسة بالأرض مشبكة بكيفية مخصوصة ، وركزوا عند كل باب عدة من العسكر مقيمين وملازمين ليلا ونهارا .

ثم سدوا باب الفتوح بالبناء ، وكذلك باب البرقية وباب المحروق ، وأنشأوا عدة قلاع فوق تلل البرقية ، ورتبوا فيها العساكر وآلات الحرب والذخيرة وصهاريج الماء ... وذلك من حد باب النصر الى باب الوزير وناحية الصوة طولا ، فهدموا أعالي التلال ، وأصلحوا طرقها ، وجعلوا لها مزالق وانحدارات لسهولة الصعود والهبوط ، بقيامات وتحريرات هندسية على زوايا قائمة ومنفرجة ، وبنوا تلك القلاع بمقادير بين أبعادها .

وهدموا أبنية رأس الصوة ، حيث الخطابة وباب الوزير تحت القلعة الكبيرة ، وما بذلك من المدارس القديمة المشيدة ، والقباب المرتفعة . وهدموا أعالي المدرسة النظامية ومنارتها — وكانت فى غاية من الحسن — وجعلوها قلعة ونشوا ما بها من القبور ، فوجدوا الموتى فى توابيت من الخشب ، فظنوا داخلها دراهم ، فكسروا بعضها ، فوجدوا بها عظام الموتى ، فأنزلوا تلك التوابيت وألقوها الى خارج فاجتمع أهل تلك الجهة وطمسوها ، وعملوا لها مشهدا يجمع من الناس ، ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج ... وجعلوا تلك المدرسة قلعة أيضا بعد أن هدموا منارتها أيضا .



بيت الألفي

متوسط ذلك الجسر ينغطف جسر آخر الى جهة اليسار عند بيت الطويل المهدوم ، وبيت الألفي حيث سكن سارى عسكر ... ممتد ذلك الجسر الى قنطرة المغربى ، ومنها يمتد الى بولاق على خط مستقيم الى ساحل البحر ، حيث موردة التبن والشون ، وزرعوا بحافته السيسان والأشجار ، وكذلك برصيفات الأزبكية .

وهدموا المسجد المجاور لقنطرة الدكة مع ما جاوره من الأبنية والغيطان ، وعملوا هناك بوابة وكرنكا وعسكرا ملازمين الإقامة والوقوف ليلا ونهارا .. وذلك عند مسكن « بليار » قائمقام — وهى دار جرجس الجوهري — وما جاوره . وكان فى عزمهم اىصال ما انتهوا الى هدمه بقنطرة الموسيقى الى سور باب البرقية ، ويهدمون من حد حمام الموسيقى حتى يتصل المهدوم بناحية الأشرفية ، ثم الى خان الخليلي الى اسطبل الطارمة ، المعروف الآن

سواقى المجراة التى كانت تنقل الماء الى القلعة ، وحفروا خلف ذلك خندقا .

وأما ما أنشأوه وعمروه من الأبراج والقلاع والحصون بناحية نهر الاسكندرية ورشيد ودمياط وبلاد الصعيد .. فشىء كثير جدا ، وذلك كله فى زمن قليل .

ومنها : تخريب دور الأزبكية وردم رصيفاتها بالأتربة ، وتبديل أوضاعها ، وهدم خطة قنطرة الموسيقى ، وما جاورها من أول القنطرة المقابلة للحمام الى البوابة المعروفة بالعتبة الزرقاء حيث جامع أزبك ، وما كان فى ضمن ذلك من الدور والحوانيت والوكائل وكوم الشيخ سلامة .. فيسلك المسار من على القنطرة فى رحبة متسعة ينتهى الى رحبة الجامع الأزبكي .

وهدموا بيت الصابونجي ووصلوه بجسر عريض ممتد ميمهد حتى ينتهى الى قنطرة الدكة . وفى

بالشنوانى ، الى ناحية كثر الطماعين ، الى البرقيه ، ويجعلون ذلك طريقا واحدا متسعا ، وبحافتيه الحوانيت والحانات ، وبها أعمدة وأشجار وتكعيب وتعاريش وبساتين — من أولها الى آخرها — من حد باب البرقية الى بولاق .

فلما انتهوا فى الهدم الى قنطرة الموسيقى ، تركوا الهدم ونادوا بالمهلة ثلاثة أشهر ، وشرعوا فى أبنية حوائط بحافتي القنطرة ، ومعاطف ومزلق الى حارة الافرنج وحارة النباقة ، وذلك بالحجر النحت المتقن الوضع .

وكذلك عمروا قناطر الخليج المتهدمة ، داخل مصر وخارجها ، على ذلك الشكل مثل : قنطرة السد ، والقنطرة التى بين أراضى الناصرية وطريق مصر القديمة ، وقنطرة الليمون ، وقنطرة قديهار ، وقنطرة الأوز وغير ذلك . ثم فاحأهم حادث الطاعون ووصول القادمين ، فتركوا ذلك ، واشتغلوا بأمور التحصين .. وسأيتى تمة ذلك .

ومنها : توالى خراب بركة الفيل — وخصوصا بيوت الأمراء التى كانت بها — وأخذوا أخشابها لعمارة القلاع ، ووقود النيران والبيع ، وكذلك ماكان بها من الرصاص والحديد والرخام .

وكانت هذه البركة من جملة معاسن مصر ، وفيها يقول أبو سعيد الأندلسى — وقد ذكر القاهرة — : « وأعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل ، لأنها دائرة كالبدر ، والمناظر فوقها كالنجوم . وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل ، ويسرح أصحاب المناظر على قدر همهم وقدرتهم ، فيكون بذلك لها منظر عجيب ، وفيها أقول :

انظر الى بركة الفيل التى اكتنفت

بها المناظر كالأهداب للبصر

كانما هي ، والأبصار ترمقها ،

كواكب قد أداروها على القمر

« ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت :

انظر الى بركة الفيل التى نحرث

لها الغزاة نحرا من مطالعها

وخل طرفك مخفوا بيهجتها

تهم وجدا وحبا فى بدائعها »

وتخرب أيضا جامع الرومى وجعلوه خمارا ! وبعض جامع عثمان كئخدا القردغلى — الذى بالقرب من رصيف الخشاب — وجامع خير بك حديد — الذى بدرب الحمام بقرب بركة الفيل — وجامع البهاوى والطرطوشى والعدوى . وهدموا جامع عبد الرحمن كئخدا — المقابل لباب الفتوح — حتى لم يبق به الا بعض الجدران ، وجعلوا جامع أربك سوقا لبيع أقلام المكوس .

ومنها : أنهم غيروا معالم المقياس ، وبدلوا أوضاعه ، وهدموا قبة العالية ، والقصر البديع الشاهق والقاعة التى بها عمود المقياس ، وبنوها على شكل آخر لا بأس به ، لكنه لم يتم ، وهى على ذلك باقية الى الآن . ورفعوا قاعدة العمود العليا ذراعا ، وجعلوا تلك الزيادة من قطعة رخام مربعة ورسموا عليها من جهاتها الأربع قراريط الذراع .

ومنها : أنهم هدموا مساطب الحوانيت التى بالشارع ، ورفعوا أحجارها مظهرين أن القصد بذلك توسيع الأزقة لمرور العربات الكبيرة التى ينقلون عليها المتاع ، واحتياجات البناء من الأحجار والجبس والجير وغيره .. والمعنى الخفى الشافى خوفا من المتاريس بها عند حدوث الفتن كما تقدم وكانوا وصلوا فى هدم المساطب الى باب زويلة ، ومن الجهة الأخرى الى عطفة مرجوش . فهدموا مساطب خط قناطر السباع والصلبية ودرب الجماميز وباب سعادة وباب الخرق الى آخر باب الشرية ولو طال الحال لهدموا مساطب العقادين والغورية والصاغة والنحاسين الى آخر باب النصر

وباب الفتوح فحصل لأرباب الحوانيت غاة الضيق لذلك ، وصاروا يجلسون في داخل فجوات الحوانيت مثل الفيران في الشقوق ! وبعض الزوايا والجوامع والرباع التي درجها خارج عن سمت حائط البناء ... لما هدموا درجه وبسطته ، بقى باب مدخله معلقا ، فكانوا يتوصلون اليه بدرج من الخشب مصنوع ، يضعونه وقت الحاجة ويرفعونه بعدها .. وذلك عمل كثير .

ومنها تبرج النساء ، وخروج غالبن عن الحشمة والحياء .. وهو أنه لما حضر الفرنسيين الى مصر — ومع البعض منهم نساؤهم — كانوا يمشون في الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه ، لاسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة ، ويسدن على مناكبهن الطرح الكشميري والمزركشات المصبوغة ، ويركبن الخيول والحير ، ويسوقونها سوتا عنفا مع الضحك والقهقهة ، ومداعبة المكارية معهم وخرافش العامة ... فمالت اليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والقواحش ، فتدخلن معهم ، لخضوعهم للنساء ، وبذل الأموال لهن .

وكان ذلك التداخل أولا مع بعض احتشام وخشية عار ، ومسالمة في اخفائه فلما وقت الفتنة الأخيرة بمصر ، وحاربت الفرنسيين بولاق ، وفتكوا في أهلها ، وغنموا أموالها ، وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات — صرن مأسورات عندهم ، فزيوهن يزي نسائهم ، وأجروهن على طريقتهن في كامل الأحوال . فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية ، وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر !

ولما حل بأهل البلاد من الذل والهوان ، وسلب الأموال ، واجتماع الخيرات في حوز الفرنسيين ومن والاهم ، وشدة رغبتهم في النساء وخضوعهم

لهن ، وموافقة مرادهن ، وعدم مخالفة هواهن — ولو شتمته أو ضربته بتأسومتها ! — فطرحن الحشمة والوقار والمبالاة والاعتبار ، واستملن نظراءهن ، واختلسن عقولهن .. لميل النفوس الى الشهوات ، وخصوصا عقول القاصرات وخطب الكثير منهم بنات الأعيان ، وتزوجوهن رغبة في سلطانهم ونوالهم . فيظهر حالة العقد الاسلام ، وينطق بالشهادتين ، لأنه ليس له عقيدة يخشى فسادها .

وصار مع حكام الأخطاط منهم .. النساء المسلمات متزيات بزيهم ، ومشوا معهم في الأخطاط للنظر في أمور الرعية ، والأحكام العادية ، والأمر والنهي والمنادة . وتمشى المرأة بنفسها أو معها بعض أترابها وأضيافها على مثل شكلها ، وأمامها القواسية والخدم وبأيديهم العصي يفرجون لهن الناس — مثل ما ير الحاكم — ويأمرن وينهين في الأحكام !

ومنها أنه لما أوفى النيل أذرعه ، ودخل الماء الى الخليج ، وجرت فيه السفن ... وقع عند ذلك من تبرج النساء ، واختلاطن بالفرنسيين ومصاحبتهن لهن في المراكب ، والرقص والغناء ، والشرب في النهار والليل ، في الفوانيس والشموع الموقدة ، وعليهن الملابس الفاخرة والحلى والجواهر المرصعة ، وصحبتهن آلات الطرب . وملاحو السفن بكثرون من الهزل والمجون ، ويتجاوبون برفع الصوت في تحريك المقاديف .. بسخيف موضوعاتهم ، وكشائف مطبوعاتهم ، وخصوصا اذا دبت الحشيشة في رءوسهم ، وتحكمت في عقولهم ! فيصرخون ويطلبون ويرقصون ويزمرون ، ويتجاوبون بمحاكاة ألقاظ الفرنسيات في غنائهم ، وتقليد كلامهم .. شيء كثير .

وأما الجوارى السود ، فانهن لما علمن رغبة القوم فى مطلق الأنثى ... ذهبن اليهم أفواجا ، فرادى وأزواجا ، فنتطن الحيطان ، وتسلقن اليهم من الطيقان ، ودلوهم على غيآت أسيادهن ، وخبايا أموالهم ومتاعهم .. وغير ذلك !

ومنها : أن يعقوب القبطى ، لما تظاهر مع الفرنساوية ، وجملوه سارى عسكر القبطة .. جمع شبان القبط وحلق لحاهم ، وزياهم بزي مشابه لسكر الفرنساوية ، مميزين عنهم بقبع يلبسونه على رؤوسهم ، مشابه لشكل البريطة ، وعليها قطعة قروة سوداء من جلد الغنم .. فى غاية البشاعة ! وصيرهم عسكره وعزوته ، وجمعهم من أقصى الصعيد .

وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى — التى هو ساكن بها — خلف الجامع الأحمر ، وبني له قلعة ، وسورها بسور عظيم وأبراج ، وباب كبير يحيط به بدئات عظام . وكذلك بنى أبراجا فى ظاهر الحارة جهة بركة الأزيكية . وفى جميع السور المحيط والأبراج طيقانا للمدافع وبنادق الرصاص على هيئة سور مصر الذى رمه الفرنساوية . ورتب على باب القلعة — الخارج والداخل — عدة من العسكر الملائمين للوقوف ليلا ونهارا ، وبأيديهم البنادق على طريقة الفرنساوية .



الروضة

ومنها : قطعهم الأشجار والنخيل من جميع البساتين والجنائن الكائنة بمصر وبولاق ومصر القديمة والروضة وجهة قصر العينى ، وخارج الحسينية ، وبساتين بركة الرطلى وأرض الطبالة ، وبساتين الخليج ... بل وجميع القطر المصرى كالشرقية والغربية والمنوفية ، ورشيد ودمياط كل ذلك لاحتياجات عمل القلاع وتحصين الأسوار فى جميع الجهات ، وعمل المعجل والعربات والمناويس ووقود النار . وكذلك المراكب والسفن وأخذ أخشابها أيضا .. مع شدة الاحتياج اليها ، وعدم انشاء الناس سفنا جديدة لفقرهم ، وعدم الخشب والزفت والقار والحديد وباقى اللوازم . حتى أنهم حال حلولهم الديار المصرية ، وسكنهم بالأزيكية ، كسروا جميع القنجر والأغربة التى كانت موجودة تحت بيوت الأعيان بقصد التنزه . وكذلك ما كان ببركة القيل .

وبسبب ذلك شحت البضائع ، وغلّت الأسعار ، وتمطلت الأسباب ، وضاعت المعاش ، وتضاعفت أجرة حمل التجارات فى السفن لقلتها .

ومنها : هدم القباب والمدافن الكائنة بالقرافة تحت القلعة خوفا من تترس المحاربين بها . فكانوا يهدمون ذلك بالبارود على طريقة اللغم ، فيسقط المكان بجميع أجزائه من قوة البارود وانحباسه فى الأرض ، فيسمع له صوت عظيم ودوى . فهدموا شيئا كثيرا على هذه الصورة .

وكذلك أزالوا جانبا كبيرا من الجبل المقطم بالبارود من الجهة المحاذية للقلعة ، خوفا من تمكن الخصم منها ، والرمى على القلعة .

ومنها : زيادة النيل الزيادة المفرطة التى لم يعمد مثلها فى هذه السنين حتى غرقت الأراضى، وحوصرت البلاد ، وتمطلت الطرق . فصارت الأرض كلها لجة

ماء ، وغرق غالب البلاد التي على السواحل ،
فتهدم من دورها شيء كثير .

وأما المدينة فإن الماء جرى من جهة الناصرية الى
الطريق السلوكية ، وطفح من بركة الفيل الى درب
الشمسي وطريق قنطرة عمر شاه .

ومنها : استمرار انقطاع الطرق وأسباب المتاجر ،
وغلز البضائع المطلوبة من البلاد الرومية والشامية
والهندية والحجازية والمغرب . حتى غلت أسعار
جميع الأصناف ، وانتهى سعر كل شيء الى عشرة
أمثاله وزيادة على ذلك . فبلغ الرطل الصابون الى
ثمانين نصفاً ، واللوزة الواحدة بثنتين . وقس على
ذلك .

وأما الأشياء البلدية ، فإنها كثيرة وموجودة ،
وغالبها يباع رخيصة مثل : السمن والمسل النحل
والأرز والفلال ... وخصوصاً الأرز فإنه يبع في
أيامهم بخسمائة نصف فضة الأردب .

وكانت النصارى باعة المسل النحل بطوفون به
في بلاييس محملة على الجمير ، ينادون عليه في
الأزقة بأرخص الأثمان .

ومنها : وقوع الطاعون بمصر والشام ، وكان
معظم عمله ببلاد الصعيد . أخبرني صاحبنا العلامة
الشيخ حسن المعروف بالطيار ، المصري نزيل أسيوط
مكتابة ، ونصه : « ونعرفكم ياسيدي أنه قد وقع
في قطر الصعيد طاعون لم يمهده ، ولم نسمع بمثله ،
وخصوصاً ما وقع منه بأسيوط . وقد انتشر هذا
البلاء في جميع البلاد شرقاً وغرباً ، وشاهدنا منه
المجائب في أطواره وأحواله . وذلك أنه أباد معظم
أهل البلاد ، وكان أكثره في الرجال ، سيما الشبان
والعظماء ، وكل ذي منقبة وفضيلة .

« وأغلقت الأسواق ، وعزبت الأكفان ، وصار
المعظم من الناس بين ميت ، ومشيح ، ومريض ،
وعائد ، حتى أن الانسان لا يندري بموت صاحبه أو

قريبه الا بعد أيام . وتعتزل الميت في بيته من أجل
تجهيزه ، فلا يوجد النعش ولا المنسل ولا من يحمل
الميت .. الا بعد المشقة الشديدة .

« وإن أكبر كبير إذا مات ، لا يكاد يشي معه
ما زاد على عشرة أفار ... تكثرى !

« وماتت العلماء ، والقراء ، والمتزعمون ،
والرؤساء ، وأرباب الحرف .

« ولقد مكثت شهراً بدون خلق رأسى .. لعدم
العلاق ! وكان مبدأ هذا الأمر من شعبان ، وأخذ
في الزيادة في شهر ذى القعدة والحجة ، حتى بلغ
النهاية القصوى . فكان يموت كل يوم من أسيوط
خاصة زيادة على الستائة ، وصار الانسان إذا
خرج من بيته لا يرى الا جنازة ، أو مريضاً ، أو
مشغلاً بتجهيز ميت ، ولا يسمع الا نائحة أو باكية .

« وتعتزل المساجد من الأذان والامامة لموت
أرباب الوظائف ، واشتغال من بقي منهم بالمشي
أمام الجنائز ، والسبح والسر .

« وتعتزل الزرع من الحصاد ، وتشف على وجه
الأرض ، وأبادته الرياح لعدم وجدان من يحصده .
وعلى التخمين أنه مات الثلثان من الناس ... هذا
مع سعى العرب في البلاد بالفساد والتخويف بسبب
خلو البلاد من الناس والحكام » ... الى أن قال :

« ولو شئت أن أشرح لك ياسيدي ما حصل من
أمر الطاعون ، لمأت الصحف مع عدم الإفاء .
وتاريخه ثامن عشرين الحجة سنة تاريخه .

وأما من مات في هذه السنة من الأعيان .

مات الامام الألمى ، والذكي اللوذعي ، من
عجبت طينته ببناء المعارف ، وتأخت طبيعته مع
العوارف .. العمدة العلامة ، والتحرير النهاية ، فريد
دهره ووحيده عصره : الشيخ محمد بن أحمد بن
حسن بن عبد الكريم الخالدي الشافعي ، الشهير بابن

وبين اسمه ، واتحاف الكامل ببيان تعريف العامل ،
 وزهر الأفهام في تحقيق الوضع وما له من الأقسام ،
 وحلية ذوى الافهام بتحقيق دلالة العام ، واتحاف
 الطرف في بيان متعلق الطرف ، والروض الأزهر
 في حديث من رأى منكم منكرا ، ورسالة في تعريف
 الشكر العرفي ، وثمرة غرس الاغتناء بتحقيق
 أسباب البناء ، والدر المنثور في الساجور ، واتحاف
 الآمال بجواب السؤال : في الحمل والوضع لبعض
 الرجال ، واتحاف الأحبة في الضبة (أى المفضضة) ،
 ورسالة في التوجه واتمام الأركان ، ورسالة في
 زكاة النابت ، ورسالة في ثبوت رمضان ،
 ورسالة في أركان الحج ، ورسالة في مد عجوة
 ودرهم ، ورسالة في مسألة الغصب ، وحاشية على
 شرح ابن قاسم العبادي الى اليسوع ، والروض
 الوسيم في المفتى به من المذهب القديم ، ورسالة في
 النذر الشريف ، ورسالة في اهداء القرب للنبي عليه
 السلام ، ورسالة في الأصولي والأصول ، ورسالة
 في مسألة ذوى الأرحام ، واتحاف اللطيف بصحة
 النذر للموسر والشريف . وله غير ذلك منظومات
 وضوابط وتحقيقات ... رحمه الله تعالى .

ومات الأجل الأمثل ، العمدة الوجيه : السيد
 عبد الفتاح بن أحمد بن الحسن الجوهري ، أخو
 المترجم المذكور ، وهو أسن منه وأصغر من أخيه
 الشيخ أحمد .

ولد سنة احدى وأربعين ومائة وألف ، ونشأ
 في حجر أبيه ، ولم يكن معتنيا بالعلم ، ولم يلبس
 زي الفقهاء . وكان يعانى التجارة ، ويشارك
 ويضارب ويحاسب ويكتاب .

فلما توفي أخوه الأكبر الشيخ أحمد ، وامتنع
 أخوه الأصغر الشيخ محمد من التصدر للاقراء في
 محله ... اتفق الحال على تقدم المترجم — حفظا

الجوهري . وهو أحد الاخوة الثلاثة وأصغرهم .
 ولد سنة احدى وخمسين ومائة وألف ، ونشأ
 في حجر والده في عفة وصون وعفاف ، وقرأ على
 المشايخ الكبار وفضلاء الوقت . وكان آية في الفهم
 والذكاء ، والغوص والاقتدار على حل المشكلات .

وعاشر العلماء والفضلاء من أهل عصره ،
 ومشايخه وقرنائه ، وتردد عليهم ، وترددوا عليه .

وحج ثلاث مرات ، وقرأ الدروس بالأزهر ،
 وعقد دروسا بالحرم ، وانتفع به الطلبة . ولم يعهد
 عليه أنه دخل بيتا لأمر قط ، أو أكل من طعام أحد
 قط .. الا بعض أشياخه المتقدمين ، وكانت شفاعته
 لا ترد عند الأمراء والأعيان ، مع الشكيمة والصدع
 بالأمر والمناصحة في وجوههم .

ووفدت عليه الوفود من الحجاز والغرب والهند
 والشام والروم .

ولم يزل وافر الحرمة ، معتقدا عند الخاص
 والعام . حتى حضر الفرنسية واختلت الأمور ،
 وشارك الناس في تلقى البلاء ، وذهب ما كان له
 بأيدي التجار ، ونهب بيته وكتبه التي جمعها ،
 وتراكت عليه الهموم والأمراض ، وحصل له
 اختلاط . ولم يزل حتى توفي يوم الأحد حادى
 عشرين القعدة سنة تاريخه .

وبالجيلة فكان من محاسن مصر ، والفريد في
 العصر : ذهنه وقاد ، ونظمه مستجاد . وكان رقيق
 الطبع ، لطيف الذات ، مترفها في مأكله وملبسه

ومن مؤلفاته : مختصر المنهج في الفقه ، وشرح
 المعجم الوجيز ، وشرح عقيدة والده المسماة منقذة
 العبيد في كرايس ، ورسالة في تعريف شكر المنعم ،
 وشرح الجزرية ، والدر التنظيم في تحقيق الكلام
 القديم ، ونظم عقائد النسفى ، وعقيدة في التوحيد
 وشرحها بشرحين ، واللمعة الألمعية في قول الشافعى
 بإسلام القدرية ، وتحقيق الفرق بين علم الجنس

رفاهية .. بحيث أن من يراه لا يعرفه لثرائه ثيابه !
وكان مهذبا ، حسن المعاشرة ، جليل الخلق
والنادرة ، مطبوعا ، فيه صلاح وتواضع . ونزل
مؤقتا في مسجد عبد الرحمن كتحدا الذي أنشأه نجاه
باب الفتوح ، معلوم قدره ثمانية أنصاف .. يتعيش
بها مع ما يرد عليه من بعض الفقهاء والعامة الذين
يحتاجون اليه في مراجعة المسائل والفتاوى .

فلما خرب المسجد المذكور في حادثة الفرنسيين
وجهاً أوقفه ... انقطع عنه ذلك العلوم ، وكان ذا
عائلة ، ومع ذلك لا يسأل شيئا ، ولا يظهر فاقة !
توفي يوم الأحد حادى عشرين جمادى الآخرة
من السنة عن خمس وسبعين سنة تقريبا .. رحمه الله .

ومات الأمير مراد بيك محمد . مات بسهاج قادما
الى مصر باستدعاء الفرنسيين ، ودفن بها عند
الشيخ العارف . وكان موته رابع شهر الحجة كما
تقدم ، وهو من ممالك محمد بيك أبى الذهب ،
ومحمد بيك ملوك على بيك ، وعلى بيك ملوك
ابراهيم كتحدا القازدغلى اشترى محمد بيك
مراد بيك المذكور في سنة اثنتين وثمانين ومائة
وآلف — وذلك في اليوم الذى قتل فيه صالح بيك
الكبير — فأقام في الرق أياما قليلة ، ثم اعتقه
وأمره ، وأنعم عليه بالاقطاعات الجليلة ، وقدمه على
أقرانه . وتزوج بالسـت فاطمة — زوجة الأمير صالح
بيك — وسكن داره العظيمة بخط الكبش .

ولما مات على بيك ، تزوج بسرته أيضا — وهى
السـت نفيسة الشهيرة الذكر بالجير — ولما انقرض
محمد بيك بامارة مصر ، كان هو وابراهيم بيك
أكبر أمرائه المشار اليهما دون غيرهما .

فلما سافر محمد بيك الى الديار الشامية محارباً
للظاهر عمر ، أقام عوضه في اماره مصر ابراهيم
بيك — وأخذ صحبتته مراد بيك وباقى أمرائه .

للناموس ، وبقاء لصورة العلم الموروث — فعند
ذلك تزيا بزى الفقهاء ، ولبس الساج والفرجة
الواسعة ، وأقبل على مطالعة العلم وخالط أهله ،
وصار يطالع ويذاكر ، وأقرأ دروس الحديث
بالمشهد الحسينى في رمضان ... مع قلة بضاعته ،
وذلك بمعونة الشيخ مصطفى بن الشيخ محمد
الفرماوى ، فكان يطالع الدرس الذى يبله من
الغد ، ويتلقى عنه مناقشات الطلبة . وثبت
على ذلك ، حتى ثبتت المشيخة وتقررت العالمية .
كل ذلك مع معاناته التجارة !

وتردد الى الحرمين ، وأثرى واقتنى كتباً نفيسة
وعروضا وحشما ، واشترى الممالك والعييد
والجوارى والأملاك والالتزام . ولم يزل حتى
حصلت حوادث الفرساوية . وصادروه وأخذوا منه
خمسـة عشر ألف فرانسة ، وداخله من ذلك كرب
واقعال ، الى أن مات في هذه السنة ، وذلك بغد
وفاة أخيه الشيخ محمد بنحو خمسة أيام .. رحمه
الله تعالى .

ومات الامام العلامة الثقة ، الهمام التحرير ،
الذى ليس له في فضله نظير ، أبو محمد أحمد بن
سلامة الشافعى المعروف بأبى سلامة .

اشتغل بالعلم ، وحضر العلوم النقلية والنحوية
والمنطقية ، وتفقه على كثير من علماء الطبقة الأولى ،
وتبحر في الأصول والفروع . وكان مستحضرا
للفروع الفقهية ، والمسائل الغامضة في المذاهب
الأربع . ويغوص بذهنه وقياسه في الأصول الغربية ،
ومطالعة كتب الأصول القديمة التى أهملها المتأخرون .
وكان الفضلاء يرجعون في ذلك اليه ، ويعتمدون
قوله ، ويعولون في الدقائق عليه .

الا أن الدهر لم يصفاه على عادته ، وعاش في
خمول وضيق عيش ، وخشونة ملابس ، وفقد

فلما مات محمد بك بعكا ، اجتمع أمراؤه على رأى ممالكه فى رأسه مراد بك ، فتقدم وقدمه عليهم ، وحملوا جثة سيدهم ، وحضروا بأجمعهم الى مصر . فاتفق رأى الجميع على اماره من استخلفه سيدهم وقدمه دون غيره — وهو ابراهيم بك — ورضى الجميع بتقدمه ورياسته لوفور عقله ، وسكون جأشه . فاستقر بمشيخة مصر ورياستها ونائب نوابها ووزرائها .

وعكف مراد بك على لذاته وشهوته ، وقضى أكثر زمانه خارج المدينة مرة بقصره الذى انشأه بالروضة ، وأخرى بجزيرة الذهب ، وأخرى بقصر قايناز — جهة العادلية — كل ذلك مع مشاركته لابراهيم بك فى الأحكام والنقض والابرار ، والاراد والاصدار ومقاسمة الأموال والدواوين ، وتقليد ممالكه وأتباعه الولايات والمناصب .

وأخذ فى بذل الأموال وانفاقها على أمرائه وأتباعه ، فانضم اليه بعض أمراء على بك وغيرهم ، فأكرمهم ورخص لممالكه فى هفواتهم ، وسامحهم فى زلاتهم ، وحظى عنده كل جرى غشوم ، عسوف ذميم ظلوم . فانقلبت أوضاعهم ، وتبدلت طباعهم ، وشرعت نفوسهم ، وعلت رؤوسهم . فتناظروا وتفاخروا ، وطمعوا فى أستاذهم ، وشمخت آناقهم عليه ، وأغاروا حتى على ما فى يده .

واشتهر بالكرم والعطاء ، فقصده الراغون ، وامتدحه الشعراء والفاوون ، وأخذ الشئ من غير حقه ، وأعطاه لغير مستحقه . كما قال القائل :

يعطى ويبنع لا بخلا ولا كرمًا
لكنها خطرات من وسواسه

ثم لما ضاق عليه المسلك ، ورأى أن رضا العالم غاية لا تدرك ... أخذ يتحجب عن الناس ، فعمم فيه الهاجس والوسواس . وكان يغلب على طبعه

الخوف والحبس مع التهور والطيش ، والتورط فى الاقدام مع عدم الشجاعة .

ولم يعهد عليه أنه انتصر فى حرب باشره أبدا .. على ما فيه من الادعاء والغرور ، والكبر والخيلاء والصلف والظلم والجور . كما قال القائل :

أسد على وفى الحروب نعامه
فتخاء تنفر من صغير الصافر

ولما قدم حسن باشا الى مصر ، وخرج المترجم مع خشداشينه وعشيرته هارين الى الصعيد حتى انقضت أيام حسن باشا واسماعيل بك ومن كان معه ، ورجعوا ثانيًا بعد أربع سنين وشئ من الشهور من غير عقد ولا عهد ولا حرب .. تعاظم فى نفسه جدا ، واختص بمساكن اسماعيل بك ، وجعل اقامته بقصر الجيزة ، وزاد فى بناءه وتنميته ، وبنى تحته رصيفا محكما ، وأنشأ بداخله بستانا عظيما نقل اليه أصناف النخيل والأشجار والكروم ، واستخلص غالب بلاد اقليم الجيزة لنفسه : شراء ومعاوضة وغصبا . وعمر أيضا قصر جزيرة الذهب ، وجعل بها بستانا عظيما . وكذلك قصر ترسا ، وبستان المجنون .

وصار يتنقل فى تلك القصور والبساتين ، ويركب للصيد فى غالب أوقاته . واقتنى المواشى من الأبقار والجواميس الحلابة والأغنام المختلفة الأجناس . فكان عنده بالجيزة من ذلك شئ كثير جدا .

وعمل له ترسخانة عظيمة . وطلب صناعات آلات الحرب من المدافع والقناير والنب والجلل والمكاحل واتخذ بها أيضا معامل البارود ، خلاف المعامل التى فى البلد . وأخذ جميع الحديد الجلوب . والسباكين والنجارين ، فجمع الحديد الجلوب . والرصاص والفحم والحطب ، حتى شحت جميع هذه الأدوات لكونه كان يأخذ كل ما وجده منها ،

وكذلك حطب القرطم والترمس والذرة ، لحرن
قمام الجير والجبس للمعمارة .

وأوقف الأعوان في كل جهة بحجوزن المراكب
التي تأتي من البلاد بالأحطاب ، يأخذونها ويجمعونها
للطلب ، ويبيعون لأنفسهم ما أحبوا ، يأخذون
الجعالات على ما سمحون به ، أو يطلقونه لأربابه
بالمواسيط والشفاعات .

وأحضر أناسا من القليونية ولصاري الأروام
وصناع المراكب ، فأنشأوا له عدة مراكب حربية
وغلايين ، وجعلوا بها مدافع وآلات حرب على
هيئة مراكب الروم ، صرف عليها أموالا عظيمة ،
ورقب بها عساكر وبحرية ، وأدر عليهم الجناحي
والأرزاق الكثيرة ، وجعل عليهم رئيسا كبيرا : رجلا
نصرانيا — وهو الذي قال له « تقولوا » — بنى له
دارا عظيمة بالجيزة وأخرى بمصر ، وله عزوة
وأتباع من نصارى الأروام المرتبين عسكرا . وكان
يقولوا المذكور يركب الخيل ، ويلبس الملابس
الفاخرة ، ويمشي في شوارع مصر راكبا ، وأمامه
وخلفه قواصة توسعون له الطريق في مرور على
هيئة ركوب الأمراء ... كل ذلك خطرات من
وساوسه ، لا يدري أحد لأى شيء هذا الإهتمام ،
ولأى حاجة اتفاق هذا المال في الخشب والحديد ،
واعطاؤه لنصارى الأروام .

واختلفت آراء الناس في ذلك . فمن قائل ان
ذلك خوفا من خشداشينه ، وقائل من مخافة
العثمانية — كما تقدم في قضية حسن باشا —
والبعض يظن خلاف ذلك وليس ، غير الوهم
والتخيل الفاسد والخوف ، شيء .

وبقيت آلات الحرب جميعها والبارود بحواصله ،
والجلل والبنبات ، حتى أخذ جميعه الفرنسيين !
فيقال انه كان بحواصل الترسخانة من جنس الجلال
أحد عشر ألف جلة — كذا نقل عن معلم الترسخانة

— أخذ جميع ذلك الفرنسيين يوم استيلائهم على
الجيزة والقصر .

ومما اتفق أنه وقعت مشاجرة في بعض الأيام
بين بعض نصارى الأروام القليونية وبعض السوقة
بمصر القديمة ، فتعصب النصارى على أهل البلد ،
وحاربوهم ، وقتلوا منهم ليفا وعشرين رجلا .
وانتهت الشكوى الى الأمير ، فطلب كبيرهم ،
فمضى عليه ، وامتنع من مقابلته ، وعمر مدافع
المراكب ، ووجهها جهة قصره ... فلم يسهه الا
التغافل ... وراحت على من راح !

واستوزر رجلا يبريا ، وهو المسمى إبراهيم
كتخدا السنارى ، وجعله كتخداه ومشيره . وبلغ
من العظمة ونفوذ الكلمة باقليم مصر ما لم يبلغه
أعظم أمير بها . وبنى له دارا بالناصرية ، واقتنى
الممالك الحسان والسرارى البيض والجبوش
والخدم ، وتعلم اللغة التركية والأوضاع الشيطانية ،
واختص ذلك السنارى ببعض رعايع الناس ، وجعله
كتخداه .. يأتمر بأمره ، ويتوسل به أعظم الناس
في قضاء أشغالهم !

ولما حسن لمراد بيك الإقامة بالجيزة ، واختار
السكن بها ، وزين له شيطانه العزلة عن خشداشينه
وأقرانه ، وترك لأبراهيم بيك أمر الأحكام
والدواوين ومقتضيات نواب السلطنة العثمانية —
مع كونه لا ينفذ أمرا دون رأيه ومشورته —
واحتجب هو عن الاجتماع بالناس بالكلية ، حتى
عن الأمراء الكبار من أقرانه ... كان السفير بينه
وبينهم إبراهيم كتخدا المذكور . فكان هو عبارة
عنه . وربما تقض القضايا التى ابرم أمرها عند
إبراهيم بيك أو غيره ، بنفسه أو عن لسان مخدمه .

وأقام المترجم على عزلته بالبر الغربى نحو ست
سنوات متوالية ... لا بعدى الى البر الشرقى أبدا ،
ولا يحضر الديوان ، ولا يتردد الى الأقران . وإذا

حضر الباشا المولى على مصر ، ووصل الى برانباة ،
ركب وسلم عليه مع الأمراء ورجع الى قصره ...
فلا يراه بعد ذلك أبدا .

وتعاطف في نفسه ، وتكبر على أقرانه وأبناء
جنسه ، فتزاحمت على مدته الطلاب ، وتكالبت على
جيفته الكلاب ! فأنزوى من نبشهم ، وتواري من
نهشهم . فاذا بلغه قدوم من يختشيه ، أو وصول
من يرتجيه ، وكان يستحي من رده ، أو يخشى
عاقبة صده ... ركب في الحال ، وصعد الى الجبال ،
وربما وصله الغريم على غفلة ، فيجده قد شمع
الفتلة ! فان صادفه واجتمع عليه ، أعطاه ما في يديه
.. أو وعده بالخير ، أو وهبه ملك الغير . فما
يشعر الميسور ، الا ولقته قد اختطفها النسر !

ثم أخذ يعث بدواوين الأعشار والمكوسات
والبهار : فيحول عليهم الحوالات ، ويتابع لماليكه
ختم الوصولات ... فتجاذب — هو وإبراهيم
بيك — ذلك الأيراد ، وتعارضت أوراقهما ، وخافا
في المعتاد .. ثم اصطلحا على أن تكون له الدواوين
البحرية ، ولقسيه ما يرد من الأصناف الحجازية
وما انضاف الى قلم البهار ، وحسب في دفاتر
التجار . فأنفرد كل منهما بوظيفته ، وفعل بها من
الاجحاف ما سطر في صحيفته . فأحدث المترجم
ديوانا خاضا بشعر رشيد على الغلال التي تحصل
الى بلاد الافرنج ، وسموه « ديوان البدعة » ،
وأذن ببيع الغلال لمن يحملها الى بلاد الافرنج أو
غيرها . وجعل على كل أردب ديناراً ، خلاف
البراني . والتزم بذلك رجل سراج من أعوانه
الموصوفين بالجور ، وسكن برشيد ، وبقيت له بها
وجاهة وكلمة نافذة ، فجمع من ذلك أموالا وإيرادا
عظيما . وكانت هذه البدعة السيئة من أعظم أسباب
قوة الفرنسيين وطمعهم في الاقليم المصري ، مع

ما أضيف الى ذلك من أخذ أموالهم ، ونهب
تجاراتهم وبضائعهم من غير ثمن (١) .

واقتردى به أمراؤه وتناظروا في ذلك . وفعل
كل منهم ما وصلت اليه هتته ، واستخرجته
فطنته !

ومما سولت به نفس المترجم — بإرشاد بعض
الفقهاء — عمارة جامع عمرو بن العاص ، وهو
الجامع العتيق .

وذلك أنه لما خرب هذا الجامع بخراب مدينة
الفسطاط ، وبقيت تلالا وكيمانا — خصوصا
ما قرب من ذلك الجامع — ولم يبق بها بعض العمار
الا ما كان من الأماكن التي على ساحل النيل ،
وخربت في دولة « القزدغلية » وأيام حسن باشا لما
سكنتها عساكره ... لم يبق بساحل النيل الا بعض
أماكن جهة دار النحاس وفم الخليج يسكنها أتباع
الأمراء ونصارى المكوس . وبها بعض مساجد
صغار يصلى بها السواحلية والنواتية وسكان تلك
الخطة من القهوجية والباعة .

والجامع العتيق لا يصل اليه أحد لبعده
وحصوله بين الأتربة والكيسان . وكان ، فيما
أدركنا ، الناس يصلون به آخر جمعة في رمضان .
فتجتمع به الناس على سبيل التسلى من القاهرة
ومصر وبولاق ، وبعض الأمراء أيضا والأعيان .
ويجتمع بصحنه أرباب الملاحى من الحواة والقردياتية
وأهل الملاعب والنساء الراقصات المعروفات
بالغوازي ... فبطل ذلك أيضا من نحو ثلاثين سنة
لهدمه وخراب ما حوله وسقوط سقفه وأعمدته

(١) ان قنصل فرنسا وجواسيسها وتجارها قد اطلوا نابليون
— دون ريب — على ماوصل اليه حال البلاد من تفكك وانحلال .
وعلى ما يقتضيه الحكام من بغى وطفيان ، وعلى ما وصل اليه
للحكومين من ضيق بلدهم طوائف وشيئا . . . فلم اللذئب
الجور ان الفريسة قد أصبحت وجبة سائفة لا تملك من
أمرها شيئا . . .

وميل شقته اليمنى بل وسقوطها بعد ذلك . فحسن
ببالب المترجم هذه وتجديده بارشاد بعض الفقهاء ..
ليرقع به دينه الخلق ، كما قال شاعرهم :

ومسجد في فضاء : ما عمارته
فوق الصيانة ، الا لهو مختلق !

كان عمرا دعا : يا عاص هم به
وزمه رقعة في دينك الخلق !

فاهتم لذلك ، وقيد به نديبه الحاج قاسم
المعروف بالمصلى ، فجعله مباشرة على عمارته ،
وصرف عليه أموالا عظيمة أخذها من غير حلها ،
ووضعها في غير محلها !

وأقام أركانه ، وشيد بنيانه ، ونصب أعمدته ،
وكمل زخرفته ، وبني به منارتين ، وجدد جميع
سقفه بالخشب النقى ، ويضه جميعه ... فتم على
أحسن ما يكون . وفرشه بالحصر الفيومي ، وعلق
به القناديل ، وحصلت به الجمعية آخر جمعة برمضان
سنة ١٢١٢ . فحضر الأمراء والمشايخ وأكابر الناس
وعامتهم .

وبعد انقضاء الصلاة عقد له الشيخ عبد الله
الشرقاوى مجلسا ، وأملى حديث « من بنى لله
مسجدا .. » ، وآية « انما يعمر مساجد الله .. » .
وعند فراغه ألبس فروة من السمور ، وكذلك
الخطيب .

فلما حضرت فرنساوية في العام القابل ، جرى
عليه ما جرى على غيره من الهدم والتخريب ، وأخذ
أخشابه حتى أصبح بلقعا أشوه مما كان .. فياليتها
لم تزن ولم تتصدق !

وبالجملة فمناقب المترجم لا تحصى ، وأوصافه
لا تستقصى : فهو كان من أعظم الأسباب في خراب
الإقليم المصرى بما تجدد منه ومن مماليكه وأتباعه

من الجور والتهور ، ومسامحته لهم ... فلعل لهم
يزول بزواله !

وكان صفته : أشقر ، مربع القامة ، كث
اللحية ، غليظ الجسم والصوت ، بوجهه أثر ضربة
سيف ، ظالما غشوما متهورا ، مختالا معجبا متكبرا ،
الا أنه كان يحب العلماء ويتأدب معهم ، ورنصت
لكلامهم ، ويقبل شفاعتهم ، ويميل طبعه الى الاسلام
والمسلمين ، ويجب معاشره الندماء والفصحاء وأهل
الذوق والمتكلمين ، ويشاركهم ويواسطهم ولايل من
محاسنهم ومناذمتهم ، ويناقل في الشطرنج ، ويطلب
أهل المعرفة فيه ، ويجب سماع الآلات والأغاني ،
وكانت عطاياه جمة ، ومواهبه وهنته فوق كل همة .

ولم يخلف ولدا ولا بنتا ، وصناجقه الذين
مات عنهم : الأمير محمد بيك المعروف بالألفى ،
وعثمان بيك الجوخدار المعروف بالطبرجى ، وعثمان
بيك المعروف بالبرديسى ، ومحمد بيك المنفوخ ،
وسليم بيك أبو دياب وأصله مملوك مصطفى بيك
الاسكندراني .

ولما مات دفن بسهاج كما تقدم عند الشيخ
العارف .. غفر الله له .

ومات الأمير حسن بيك الجداوى — مملوك
على بيك — وهو من خشداشين محمد بيك أبى
الذهب . مات بغزة بالطاعون . وكان من الشجعان
الموصوفين ، والأبطال المعروفين . ولما انقرض على
بيك بمملكة مصر ولاه اماره جدة .. فلذلك لقب
بالجداوى ، وذلك سنة ١١٨٤ .

ولما وقعت حادثة الفرنسيس ، واستولوا على
الإقليم المصرى ، وحضرت العساكر بصحبة الوزير
يوسف باشا ، ووقع ما وقع من الصلح وتقضيه .
وانحصر المترجم مع ما انحصر بالمدينة من المصرية
والعثمانية ، فقاتل وجاهد وأبلى بلاء حسنا .. شهيد

له بالشجاعة والاقدام كل من العثمانية والفرنساوية
والمصرية .

فلما انفصل الأمر وخرجوا الى الجهة الشامية ،
لم يزل محرصا ومرابطا ومجتهدا ، حتى مات
بالطاعون في هذه السنة ، وفاز بالشهادتين ، وقدم
على كريم يقهر الذلوب جميعا ... انه هو
الغفور الرحيم .

ومات الأمير مصطفى بيك الكبير — وهو
أيضا من مماليك محمد بيك — تولى الصعيد
وامارة الحج عدة مرار ، وكان فظا غليظا ، متبولا
بخيلا شحيحا ، وفي امارته على الحج ، ترك زيارة
المدينة لخوفه من العرب وشحه بموائدهم ، وقلة
اعتناؤه بشعائر الدين ، وانتقد ذلك على المصريين
من الدولة وغيرها . وكان ذلك من أعظم ما اجترمه
من القبائح .

ومات الأمير حسن كتخدا ، المعروف بالجربان ،
بالشام أيضا . وأصله من مماليك حسن بيك
الأذربيكاي ، وكان ممتهنا في المماليك ... فسموه
بالجربان لذلك فلما قتل أستاذه بقى هو لا يملك
شيئا ، فجلس بحانوت جهة الأذربكية يبيع فيها
تبناكا وصابونا !

ثم سافر الى المنصورة فأقام بها مدة تحت قصر
محمود جرجي . ثم رجع الى مصر في أيام دولة
على بيك ، وتنقلت به الأحوال حتى انضم الى مراد
بيك وتقرب منه ، فجعله كتخداه ووزيره ، واشتهر
ذكره ، وصار من الأعيان المعدودين .

وكان يعتري المترجم مرض شبيه بالصرع . ولم
يزل حتى مات مع من مات بالشام .

ومات الأمير يحيى كاشف الكبير ، وهو من
مماليك ابراهيم بيك الأقدمين .

وكان لطيف الطباع ، حسن الأوضاع ، وعنده
ذوق وتودد ، عطارديا يحب الرسومات والنقوش
والتصاوير والأشكال ودقائق الصناعات ، والكتب
المشتملة على ذلك ، مثل « كليله ودمنة »
و « النوادر والأمثال » .

واهتم في بناء السبيل المجاور لداره بخطة
عابدين ، فرسم شكله قبل الشروع فيه في قرطاس
بمعونة الأسطا حسن الخياط ، ثم سافر الى
الاسكندرية وأحضر ما يحتاجه من الرخام والأعمدة
المرمر الكبيرة والصغيرة ، وأنواع الأخشاب ،
وحفر أساسه وأحكم وضعه ، واستدعى الصناع
والمرخين ، فتأثقوا في صناعته ونقش رخامه على
الرسم الذي رسمه لهم ... كل ذلك بالحفر بالآلات
في الرخام ، وموهوه بالذهب .

فما هو الا أن ارتفع بنيانه ، وتشيدت أركانه ،
وظهر للعيان حسن قلبه ، وكاد يتم ما قصده من
حسن مآربه ... حتى وقعت حادثة الفرنسيين ،
فخرج مع من خرج قبل اتمامه ، وبقي على حاله
الى الآن .

ولما خرج سكن داره « برطلين » ، واستخرج
مخبأة بين داره والسبيل ، فيها ذخائره ومتاعه ،
فاوصلها للفرنسيين .

ومات الأمير رشوان كاشف — وهو من مماليك
مراد بيك — وكان له أقطاع بالفيوم . فكان معظم
اقامته بها ، فاحتكر الورد وما يخرج من مائه ،
والخل المتخذ من العنب ، والخيش . واتجر في هذه
البضائع بمراده واختياره ، وتحكم في الاقليم تحكم
الملاك في أملاكهم وعبيدهم ، وذلك قوة واقتدارا !

ومات كل من الأمير باكير بيك ، والأمير محمد
بيك تابع حسين بيك كشكش .

ومات غير هؤلاء ممن لم نحضر لى أسماؤهم

المحتم

اليومان ، أمروا عبد العال بطليه واصعاده على القلعة ، ففعل .

الخميس غرته (١٤ مايو ١٨٠١ م) :

خف أمر الطاعون . وفي ليلة الجمعة تلك أرسل عبد العال الأغا وأحضر الشيخ محمد الأمير ليلا الى منزله فيبته عنده ، ولما أصبح النهار طلع به الى القلعة وجسه عند المشايخ بجامع سارية . والسبب في ذلك أن ولد الشيخ المذكور كان من جملة من يستحث الناس على قتال الفرنسيين في الواقعة السابقة بمصر . فلما انقضت هرب الى جهة بحرى ، ثم حضر بعد مدة الى مصر ، فأقام أياما ، ثم رجسح الى قوة باذن من الفرنسيين .

وفيه : حضر جملة من عساكر الفرنسية من جهة بحرى ، وتواترت الأخبار بوصول القادمين من الانكليز والعثمانية الى الرحمانية ، وتملكهم القلعة وما بالقرب منها من الحصون الكائنة بالعطف وغيره ، وذلك يوم السبت خامس عشرين الحجة .

وفيه : حضرت زوجة سارى عسكر كبير الفرنسيين بصحبة أخيها السيد على الرشيدى — أحد أعضاء الديوان — وكان خرج بها من رشيد حين ما ملكها القادمون ، ونزل بها فى مركب وأرسى بها قبالة الرحمانية .

فلما حصلت واقعة الرحمانية وأخذت قلعتها ، حضر بها الى مصر بعد مشقة وخوف من العربان وقطاع الطريق وغير ذلك . فأقامت هى وأخوها بيت الألفى بالأزبكية نحو ثلاثة أيام ، ثم صعدا الى القلعة .

وفيه : قربت العساكر القادمة من الجهة الشرقية وحضرت طوالهم الى القليوبية والمنير والخانكة لأخذ الكلف ، فتأهب قائمقام « بليار » للقائهم : وأمر العساكر بالخروج من أول الليل . ثم خرج هو فى آخر الليل .

الأحد ٤ منه (١٧ مايو ١٨٠١ م) :

رجع قائمقام ومن معه ، ووقع بينه وبينهم مناوشة . فلم يثبت الفرنسيين لقتلهم ، ورجعوا مهزومين ، وكنموا أمرهم ، ولم يذكروا شيئا .

فلما حصلت هذه الحركة ، وتحذروا شدة التحذر ، وأخذوا الناس بأدنى شبهة ، وتقرب اليهم المنافقون بالتجسس والاغراء — ذكر بعضهم ذلك لقائمقام ، وأدخل فى مسامعه أن ابن الشيخ المذكور ذهب الى عرضى الوزير ، والتف عليهم . فأرسل قائمقام الى الشيخ قبل تاريخه ، فلما حضر سأل عن ولده المذكور . فأخبره أنه مقيم بقوة . فقال له : « لم يكن هناك ، وإنما هو عند القادمين » . قال له : « لم يكن ذلك ، وإن شئت أرسلت اليه بالحضور » . فقال له : « أرسل اليه وأحضره » .

فقام من عنده على ذلك وأمهله ثمانية أيام مدة مسافة الذهاب والمجيء . ثم خاطبه على لسان وكيل الديوان أيضا ، فوعده بحضوره أو حضور الجواب بعد يومين ، واعتذر بعدم أمن الطريق . فلما انقضى

الاثنين ٥ منه (١٨ مايو ١٨٠١ م) :

رفعوا الطلب عن الناس بباقي نصف المليون ، وأظهروا الرفق بالناس والسرور بهم لعدم قيامهم عند خروجهم للحرب ، وخلو البلدة منهم : وكانوا يظنون منهم ذلك .

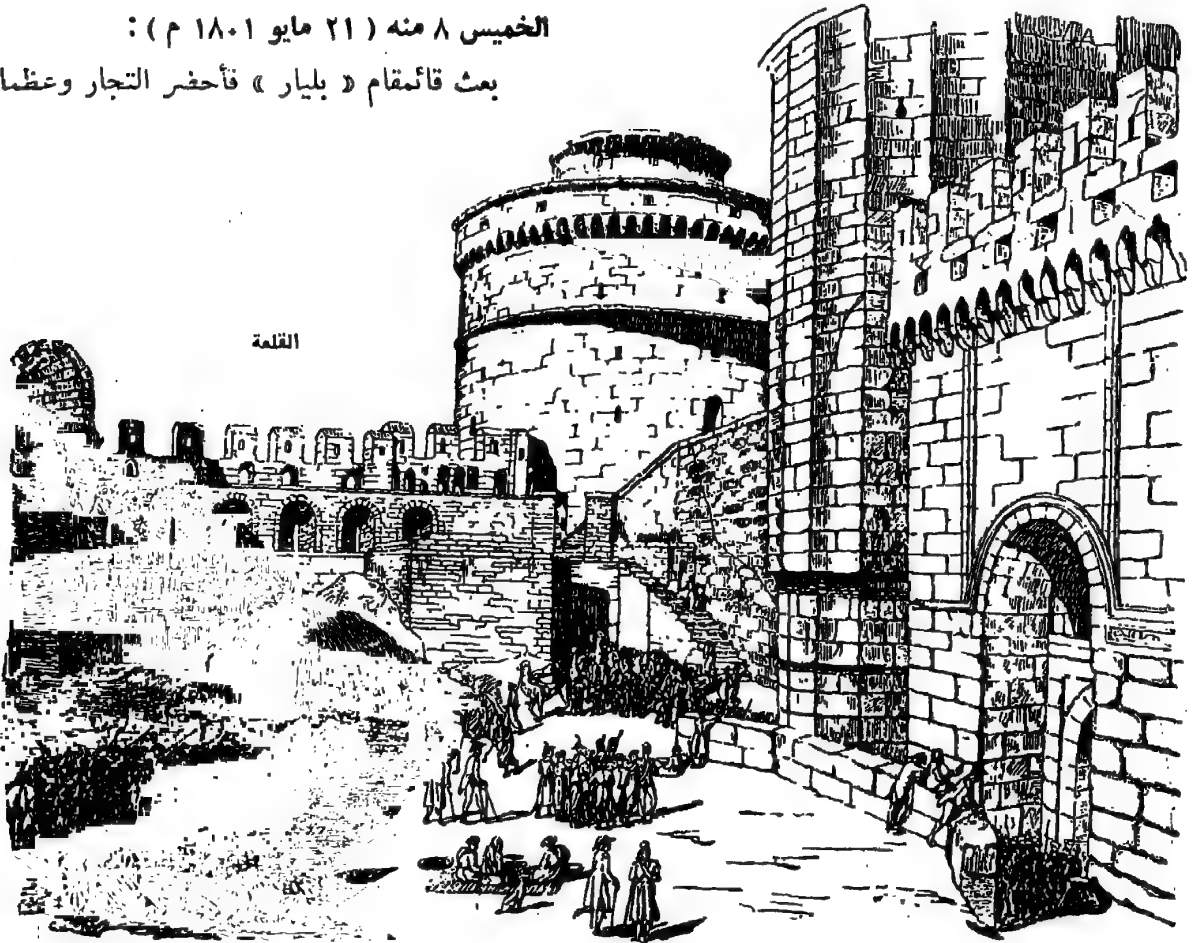
وفيه : أخذت جملة من عدد الطواحين وأصعدت الى القلعة ، وأكثروا من نقل الماء والدقيق والأقوات اليها ، وكذلك البارود والكبريت والجلل والقناير والبنب ، ونقلوا مافي الأسوار والبيوت من الأمتعة والفرش والأسرة وحملوه اليها ولم يبقوا بالقلع الصغار الا مهمات الحرب .

وفيه : طلبوا الزياتين وألزموهم بمائتي قطار شيرج ، وسمروا جملة من حوائثهم . وخرج جماعة من الجزارين لشراء الغنم من القرى القريبة ، فقبض

عليهم عساكر العثمانية القادمة ، ومنعواهم من العود بالغنم والبقر ، وكذلك منعوا الفلاحين الذين يجلبون الميرة والأقوات الى المدينة . فانقطع الوارد من الجهات البحرية والقلبية ، وعزت الأقوات ، وشح اللحم والسمن جدا ، وأغلقت حوانيت الجزارين . واجتهد الفرنسيون في وضع متاريس خارج البلد من الجهة الشرقية والبحرية ، وحفروا خنادق ، وطلبوا الفعلة للعمل . فكانوا يقبضون على كل من وجدوه ويسوقونهم للعمل ، وكذلك فعلوا بجهة القرافة ، وألقوا الأحجار العظيمة والمراكب ببحر انابة ، لمنع المراكب من العبور ، وابتدأوا المتاريس البحرية من باب الحديد مدودة الى قنطرة الليمون ، الى قصر افرنج احمد ، الى السبتية الى مجرى البحر .

الخميس ٨ منه (٢١ مايو ١٨٠١ م) :

بعث قائمقام « بليار » فأحضر التجار وعظماء



هذه الحوادث ، جمعت ثيابها واحتالت حتى نزلت من القلعة وهى على حمار ، ومتاعها محمول على حمار آخر ... فنزلت عند بعض العطف ، وأعطت المكارية الأجرة وصرفتهم من خارج واختفت .

فلما وقع عليها التفتيش ، وأحضروا المكارية .. قالوا : « لانعلم غير المكان الذى أنزلناها به وأعطينا الأجرة عنده » ، فشددوا على المكارية ، ومنعوه من السروح ، وقبضوا على أهل الحارة وجسوههم ثم أحضروا مشايخ الحارات وشددوا عليهم وعلى سكان الدور وأعلموهم أنه ان وجدت المرأة فى حارة من الحارات ولم يخبروا عنها .. نهبوا جميع دور الحارة وعاقبوا سكانها فحصل للناس غاية الضجر والقلق بسبب اختفائها ، وتفتيش أصحاب الشرطة ، وخصوصا عبدالعال ، فانه كان يتنكر ويلبس زى النساء ، ويدخل البيوت بحجة التفتيش عليها ، فيزعج أرباب البيوت والنساء ، ويأخذ منهن مصالح ومصاغا ، ويفعل ما لا خير فيه ، ولا يحشى خالقا ولا مخلوقا !

الخميس ١٥ منه (٢٨ مايو ١٨٠١ م) .

قبضوا على الطون أبى طاقية النصرانى القبطى وجسوه بالقلعة ، وألزموه ببلغ دراهم تأخرت عليه من حساب البلاد .

الجمعة ١٦ منه (٢٩ مايو ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن محمد افندى يوسف ، ونزل الى بينه وكذلك الشيخ مصطفى الصاوى لمرضه .

وفيه انقضت دعوة تهمة الشيخ خليل البكرى ومحصلها : أن خادما مملوكه ذهب عن لسان المملوك الى « بليار » قائمقام ، وأخبره أنه وصل الى أستاذ الشيخ خليل البكرى المذكور فرمان من عرضى الوزير بالأمان .

وكان هذا باغراء عبد العال ليوقعه فى الويال ،

الناس وسألهم عن سبب غلق الحوانيت فقالوا له : « من وقف الحال والكساد والجلاء والموت » فقال لهم : « من كان موجودا حاضرا فالزموه بفتح حانوته ، والا فأخبروني عنه » . ونزلت الحكام فنادت بفتح الحوانيت والبيع والشراء .

السبت ١٠ منه (٢٣ مايو ١٨٠١ م) :

شرعوا فى هدم جانب من الجيزة من الجهة البحرية ، وقربت عساكر الانكليز القادمة من البر الغربى الى البلد المسماة بـ « فادر » عند رأس ترعة الفرعونية

وفيه : تواترت الأخبار بأن العساكر الشرقية وصلت أوائلها الى بنها وطحلا بساحل النيل ، وأن طائفة من الانكليز رجعوا الى جهة سكندرية ، وأن الحرب قائم بها ، وأن الفرنسيات محصورون بداخل الاسكندرية ، والانكليز ومن معهم من العساكر يحاربون من خارج ، وهى فى غاية المنعة والتحصين ، وأن الانكليز بعد قدومهم وطلوعهم الى البر ، ومحاربتهم لهم المرات السابقة أطلقوا الحبوس عن المياه السائلة من البحر المالح منه الى الجسر المقطوع ، حتى سالت المياه ، وعمت الاراضى المحيطة بالاسكندرية ، وأغرقت أطلانا كثيرة وبلادا ومزارع ، وأنهم قعدوا فى الأماكن التى يمكن الفرنسيين النفوذ منها ، بحيث أنهم قطعوا عليهم الطرق من كل ناحية .

الاثنين ١٢ منه (٢٥ مايو ١٨٠١ م) :

نزلت امرأة من القلعة بمتاعها واختفت بمصر ، فأحضر الفرنسيين حكام الشرطة ، وألزموهم بإحضارها .

وهذه المرأة اسمها « هوى » كانت زوجة لبعض الأمراء الكشاف ، ثم انها خرجت عن طورها وتزوجت نقولا ، وأقامت معه مدة . فلما حدثت

وعسف وضرب بعض الناس على وجهه حتى أسال دمه .. فتشكى الناس من ذلك القبطى ، وأنهما شكواهم الى « بليار » قائمقام ، فأمر بالقبض على ذلك القبطى ، وحبسه بالقلعة ثم فردوا على كل حارة رجلين يأتى بهما شيخ الحارة وتدفع لهما أجرة من شيخ الحارة . وفيه : وردت الأخبار بأن الوزير وصل دجوة .

الاثنين ٢٦ منه (٨ يونية ١٨٠١ م) :

سم عدة مدافع على بعد وقت الضحوة .

وفى ذلك اليوم ، قبل العصر ، طلبوا مشايخ الديوان .. فاجتمعوا بالديوان ، وحضر الوكيل والترجمان ، وطلبهم للحضور الى قائمقام . فلما حصلوا عنده قال لهم على لسان الترجمان : « نخبركم أن الخصم قد قرب منا . ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع الفرنساوية ، وأن تتصخوا أهل البلد والرعية بأن يكونوا مستترين على سكونهم وهدوهم ، ولا يتدخلوا في الشر والشغب . فان الرعية بمنزلة الولد ، وأتم بمنزلة الوالد ! والواجب على الوالد نصيح ولده وتأديبه وتدريبه على الطريق المستقيم التى يكون فيها الخير والصلاح . فانهم ان داوموا على الهدو ... حصل لهم الخير ، ونجوا من كل شر . وان حصل منهم خلاف ذلك .. نزلت عليهم النار ، وأحرقت دورهم ، ونهت أموالهم ومتاعهم ، ويتمت أولادهم ، وسييت نساؤهم . والزموا بالأموال والفرد التى لا طاقة لهم بها . فقد رأيتم ما حصل فى الوقائع السابقة ، فاحذروا من ذلك ... فانهم لا يدرون العاقبة . ولا نكلفكم المساعدة لنا ، ولا المعاونة لحرب عدونا ، وانما نطلب منكم السكون والهدو لا غير » . فأجابوه بالسمع والطاعة وقولهم : « كذلك ا » .

وقرى عليهم ورقة بمعنى ذلك . وأمروا الأغا وأصحاب الشرطة بالمناداة على الناس بذلك . وأنهم

ويحرك عليه الفرنسيين لحرازة بينه وبينه . فلما حضر الشيخ خليل على عادته عند قائمقام سأل عن ذلك .. فجحد . فأحضروا الخادم الذى بلغ ذلك ، فصدق على ذلك ، وأسند الى المملوك سيده . فأحضروا المملوك وسألوه فقال : « نعم .. » . فقالوا له : « وأين الفرمان .. ؟ » . فقال : « قرأه وقطعه » . فقال الفرنسيوة : « وكيف تقطعه ؟ هذا دليل الكذب ، لأنه لا يصح أن يتلقاه بالقبول ثم يقطعه ! » فقيل له : « ومن أتى به ؟ » قال : « فلان ... » . فالزموا الشيخ باحضار ذلك الرجل ، وحبس المملوك عند عبد العال يومين ، وحضر الرجل فسألوه .. فجحد ولم يثبت عليه . وظهر كذب الغلام والخادم . فعند ذلك طلب الشيخ غلامه ، فقال قائمقام : « ان قصاصه فى شريعتنا أن يقطع لسانه ! » فتشفع فيه سيده ، وأخذ بعد أمور وكلام قبيح قاله الغلام فى حق سيده .

وفيه : حضر حسين كاشف اليهودى الى قائمقام وأخبره أن الأمراء الذين بالصعيد خرجوا عن طاعة الفرنساوية ، وردوا مكاتبهم التى أرسلوها لهم بعد موت مراد بيك ، وأنهم مروا وتوجهوا الى بحرى من البر الغربى ، وعثمان بيك الأشقر ذهب من خلف الجبل الى جهة الشرق . فلما حصل ذلك ، ركب قائمقام وذهب للمست نفيسة وأمنها وطيب خاطرها وأخبرها أنها فى أمان هى وجميع نساء الأمراء والكشاف والأجناد ، ولا مؤاخذه عليهن بما فعله رجالهن

الثلاثاء ٢٠ منه (٢ يونية ١٨٠١ م) :

توكل رجل قبطى يقال له عبد الله — من طرف يعقوب — يجمع طائفة من الناس لعمل المتاريس ، فتعدى على بعض الأعيان وأنزلهم من على دوابهم ،

لم يبق لهم من الايراد الا ما يتحصل من ذلك والقصد الاعتناء أيضا بأمر البلاد والحصص التي انحلت يموت أربابها . فلازم أيضا من المصالحة والحلوان . والمهلة في ذلك ثمانية أيام . فمن لم يصالح على الالتزام الذي له فيه شبهة في تلك المدة .. ضبطت حصته ولا يقبل له عذر بعد ذلك .

« واعلموا أن أرض مصر استقر ملكها للفرنساوية فلازم من اعتقادكم ذلك ، واركزوه في أذهانكم .. كما تعتقدون وحدانية الله تعالى !! ولا يغرنكم هؤلاء القادمون وقربهم . فانه لا يخرج من أيديهم شيء أبدا . وهؤلاء الانكليز ناس خوارج حرامية وصناعتهم القاء العداوة والقتن ، والعشلى مغتر بهم . فان فرنساوية كانت من الأحباب الخالص للعشلى ، فلم يزالوا حتى أوقعوا بينهم وبينهم العداوة والشرور . وأن بلادهم ضيقة ، وجزيرتهم صغيرة . ولو كان بينهم وبين فرنساوية طريق مسلك من البر ، لأعفى أثرهم ، ونسى ذكرهم من زمان مديد . وتأملوا في شأنهم ، وأي شيء خرج من أيديهم ! فان لهم ثلاثة أشهر من حين طلوعهم الى البر والى الآن لم يصلوا إلينا ، والفرنسيس عند قدومهم وصلوا في ثمانية عشر يوما . فلو كان فيهم همة أو شجاعة .. لوصلوا مثل وصولنا » ... وكلام كثير من هذا النمط في معنى ذلك .. من بحر الغفلة !

ثم ذكر البكرى والسيد أحمد الزرو : أنه حضر مكتوب من رشيد على يد رجل حناوى لآخر من منية كنانة ، يذكر فيه أنه حضر الى اسكندرية مراكب وعمارة من فرنسا ، وأن الانكليز رجعت إليهم ، وأن الحرب قائمة بينهم على ظهر البحر . فقال الخازندار : « يمكن ذلك ، وليس ببعيد » . ثم تقلوا ذلك الى « بليار » قائمقام ، فطلب الرجل الراوى لذلك . فأحضر الزرو رجلا شرقاويا حلف لهم أنه سمع ذلك بأذنه من الرجل الواصل الى منية كنانة من رشيد .



اقا

ربما سمعوا ضرب مدافع جهة الجيزة فلا يترعجوا من ذلك ، فانه شئك وعيد لبعض أكابرهم ، وأن يجتمع من القد بالديوان الأعيان والتجار وكبار الأخطاط ومشايخ الحارات ، ويتلى عليهم ذلك .

الثلاثاء ٢٧ منه (٩ يونيه ١٨٠١ م) :

اجتمعوا كما ذكر ، وحصلت الوصية والتحذير ، وانتهى المجلس ، وذهبوا الى محلاتهم .

وفى ذلك اليوم : أشيع حضور الوزير الى شلقان . وكذلك عاكر الانكليز بالناحية الغربية وسلوا الى أول الوراريق .

الجمعة ٣٠ منه (١٢ يونيه ١٨٠١ م) :

اجتمع المشايخ والوكيل بالديوان على العادة ، وحضر « استوف » الخازندار ، وترجم عنه « رفايل » بقوله : « انه يشئ على كل من القاضي والشيخ امما عيل الزرقانى باعنائهما فيما يتعلق بأمر الموارث وبيت المال والمصالح على التركات المختومة ، لأن فرنساوية

السبت غرته (١٣ يونيه ١٨٠١ م) :

في ذلك اليوم ، قبل المغرب ، مشى عبدالعال الأغا وشق في شوارع المدينة وبين يديه مناد نقول : « الأمن والأمان على جميع الرعايا . وفي غد تضرب مدافع وشنك من القلاع في الساعة الرابعة فلا تخافوا ، ولا تنزعجوا . فانه حضرت بشارة وصول بونا بارتة بعمارة عظيمة الى الاسكندرية ، وأن الانكليز رجعوا القهقري » .

فلما أصبح يوم الأحد في الساعة الرابعة من الشروق ... ضربت عدة مدافع ، وتابعوا ضربها من جميع القلاع ، وصعد أناس الى المنارات ، ونظروا النظارات فندموا . عساكر الانكليز بالحجة الغربية وصلوا الى آخر الوراق وأول اباب ، ونصبوا خيامهم أسفل اباب . وعند وصولهم الى مضاربهم ضربوا عدة مدافع ، فلما سمعها الفرنسيون ضرب الآخرون تلك المدافع التي ذكروا أنها شنك

وأما العساكر الشرفية فوصلت أوائلهم الى منية الأمراء المعروفة بمنية السيرج ، والمراكب فيما بينهما من البرين بكثرة فعند ذلك عزت الأقوات وشحت زيادة على قلتها ، وخصوصا السمن والجبن والأشياء المجلوبة من الرف ، ولم بق طريق مسلوكة الى المدينة الا من جهة باب القرافة ، وما يخلب من جهة البساتين من القمح والتبن ، فيأتى ذلك الى عرصه الغلة بالرميلة ، ويزدحم عليه النساء والرجال بالمقاطف فيسمع لهم ضجة عظيمة وشح اللحم أيضا وغلا سعره لقلة المواشى والأغنام ، فوصل سعر الرطل تسعة أنصاف ، والسمن خمسة وثلاثين نصفًا ، والبصل بأربعمئة فضة القنطار ، والرطل الصابون ثمانين فضة ، والشيرج عشرون نصفًا ، وأما الزيت فلا يوجد البتة ، وغلت الأرزار جدا واتفق لى غربية : وهو أنى احتجت الى بعض أنيسون فأرسلت

خادمي الى الابزارية على العادة ، يشتري لى منه بدرهم .. فلم يجده ، وقيل له : انه لا يوجد الا عند فلان ، وهو يبيع الوقية بثلاثة عشر نصفًا ثم أتانى منه بأوقيتين بعد جهد في تحصيله ، فحسبت على ذلك سعر الأردب فوجدته يبلغ خمسمائة ريال أو قريبًا من ذلك .. فكان ذلك من النوادر الغريبة !

الاثنين ٣ منه (١٥ يونيه ١٨٠١ م) :

حصلت الجمعية بالديوان ، وحضر التجار ومشايخ الحارات والأغا . وحضر مكتوب من « بليار » قائمقام خطابا لأرباب الديوان والحاضرين بذكر فيه ، أنه حضر اليه مكتوب من كبيرهم « مينو » بالاسكندرية صحة هجانة فرسيس وصلوا اليهم من طريق البرية ، مضمونه : أنه طيب بخير ، والأقوات كثيرة عندهم يأتى بها العربان اليهم . وبلغهم خبر وصول عمارة مراكب الفرنسيين الى بحر الخرز ، وأنها عن قريب تصل الاسكندرية أن العمارة حاربت بلاد الانكليز واستولت على شقة كبيرة منها فكونوا مطمئنين خاطر من طرفنا ، ودوموا على هدوئكم وسكونكم .. الى آخر ما فيه من التموهيات . وكل ذلك لسكون الناس وخوفا من قيامهم في هذه الحالة . وكان وصول هذا المكتوب بعد نصف وأربعين يوما من انقطاع أخبار من في اسكندرية .. ولا أصل لذلك !

وفي ذلك اليوم : قتل عبد العال رجلا ذكروا أنه وجد معه مكتوب من بعض النساء مرسل الى بعض أزواجهن بالعرضي قتل ذلك الرجل بباب زويلة ونودى عليه : « هذا جزاء من ينقل الأخبار الى العثملى والانكليز » .

وفيه : وصلت العساكر الشرقية الى العادلية ، وامتد العرضي منها الى قبلى منية السيرج . وكذلك الغربية الى اباب ، ونصبوا خيامهم بالبرين والمراكب بينهم في النيل ، وضربوا عدة مدافع ، وخرج عدة من



وطي يعذب حتى يعترف

حمزة الكاتب ، وكان مجبوسا بالقلعة من مدة أشهر ، فأطلق على مصلحة التي ربال

السبت ٨ منه (٢٠ يولية ١٨٠١ م) :

وقعت مضاربة أيضا بطول النهار ، ودخل نحو خمسة وعشرين نفرا من عسكر العثمانية الى الحسبية ، وجلسوا على مساطب القهوة ، وأكلوا كعكا وخبزا وفولا مصلوقا ، وشربوا قهوة ، ثم انصرفوا الى مضربهم . وأخذ الفرنسيون عسكرا من أتباع محمد باشا والى غزة والقدس ، المعروف بأبي مرق ، فحبسوه بيت قائمقام . وأغلقت في ذلك اليوم باب النصر وباب العدوى .

وفيه : زحفت عساكر البر العربي الى تحت الجيزة ، فحضر في صباحها « بنى » وأخبر قائمقام ، فركب من ساعته وعدى الى بر الجيزة ، فسمع الضرب أيضا من ناحية الجيزة ، وسمعت طبول الأمراء وتقاريرهم .

الثلاثاء ١١ منه (٢٣ يولية ١٨٠١ م) :

بطل الضرب في وقت الزوال ، ولما حصلوا جهة الجيزة انتشروا الى قبلى منها ، ومنعوا المعادى من تعدية البر الشرقى ... فاقطع الجالب من الناحية

الفرنساوية خيالة فترامحوا معهم وأطلقوا بتادق ، ثم انقطعوا بعد حصّة من الليل ، ورجع كل الى مأمنه . واستمر هذا الحال على هذا المنوال يقع بينهم في كل يوم

الخميس ٦ منه (١٨ يولية ١٨٠١ م) :

زحفت العساكر الشرقية حتى قربوا من قبة النصر .

وسكن ابراهيم بيك زاوية الشيخ دمر داش . وحضر جماعة من العسكر وأشرافوا على الجزائريين من حائط المذبح ، وطلبوا شيخ الجزائريين . ووجدوا ثلاثة أنصار من الفرنسيين مصرعوا عليهم بنشادق فأصيب أحدهم في رجله ، فأخذه وهرب الاثنان . وأصيب جزار يهودى ، ووقع بين الفريقين مضاربة على بعد ، وقتل بعض قتلى وأسرى بعض أسرى . ولم يزل الضرب بينهم الى قرب العصر . والفرنسيين يرمون من القلعة الظاهرية وقلعة نجم الدين والتل ، ولا يتابعون عن حصونهم .

الجمعة ٧ منه (١٩ يولية ١٨٠١ م) :

وقعت مضاربة بين الفريقين بينادق ومدافع من الصباح الى العصر أيضا .

وفيه : أشيع موت السيد أحمد المحرقى بدجوة — وكان مريضا بها — وامتنع الوارد من الجهة البحرية بالكلية .

وفيه : قبضوا على رجل شبه خدام ظنوه جاسوسا . فأحضروه عند قائمقام ، فسألوه ، فلم يقر بشيء ، فضربوه عدة مرار حتى ذهل عقله وصار كالمختل ، وكرروا عليه الضرب والعقاب وضربوه بالكراييج على كفووفه ووجهه ورأسه .. حتى قيل انهم ضربوه نحو ستة آلاف كراييج ! وهو على حاله . ثم أودعوه الحبس .

وفيه : أطلقوا محبوسا يقال له الشيخ سليمان

أفرجوا عن جملة من العربان والفلاحين .
 وفي ليلة الاثنين المذكور : سمع صوت مدفع بعد
 الغروب عند قلعة جامع الظاهر خارج الحسينية ،
 ثم سمع منها أذان العشاء والفجر . فلما أضاء النهار
 نظر الناس فاذا اليريق العثماني بأعلاها ، والمسلمون
 على أسوارها ، فعلموا بتسليها ، وكان ذلك المدفع
 إشارة الى ذلك . ففرح الناس وتحققوا أمر المسألة .
 وأصبح الافراج عن الرهائن من المشايخ وغيرهم
 وباقي المحبوسين في الصباح . وأكثر الفرنسيات من
 النقل والبيع في أمتعتهم وخيولهم ونحاسهم
 وجوارهم وعبيدهم وقضاء أشغالهم ا
 وفي ذلك اليوم : أنزلوا عدة مدافع من القلعة ،
 وكذلك من قلعة باب البريقة ، وأمتعة وفروش
 وبارود .

الثلاثاء ١٨ منه (٣٠ يونية ١٨٠١ م) :

عمل الديوان ، وحضر الوكيل وأعلن بوقوع
 الصلح والمسألة ، ووعد أن في الجلسة الآتية يأتي
 اليهم فرمان الصلح وما اشتمل عليه من الشروط ،
 ويسمعونه جهارا .

وفي ذلك اليوم : كثر اهتمام الفرنسيات
 بنقل الأمتعة من القلعة الكبيرة وباقي القلاع بقرة
 السعى .

وفيه : أفرجوا عن محمد جلي أبي دفية



الفرنسيون يحملون أمتعتهم على الجمال

القبلية أيضا ، فامتنع وصول الغلال والأقوات
 والبطيخ والعجور والخضروات والخيار والسمن
 والجبن والمواشي . فعزت الأقوات وغلّت الأسعار
 في الأشياء الموجودة منها جدا . واجتمع الناس
 بمرصة الغلة بالرميلة ، يريدون شراء الغلة ، فلم
 يجدوها ... فكثرت ضجيجهم ، وخرج الأكثر منهم
 بمقاطعتهم الى جهة البساتين ، ورجع الباقون من غير
 شيء . فأحضر عبد العال القباينة وألزمهم بإحضار
 السمن وضرب البعض منهم ، فأحضروا له في يومين
 أربعة عشر رطلا بعد الجهد في تحصيلها . وبيعت
 السجاجة بأربعين نصفاً ، وامتنع وجود اللحم من
 الأسواق . واستمر الأمر على ذلك الاربعاء
 والخميس . والمضاربة بين الفريقين ساكنة ، وأصبح
 وقوع المسألة والمراسلة بينهما — والمتوسط في ذلك
 الإنكليز وحسين قبطان باشا — فانسر الناس
 وسكن جاشهم لسكون الحرب .

وفي ذلك اليوم أغلقوا باب القرافة وباب المجرة
 ولم يعلم سبب ذلك ، ثم فتحوها عند الصباح من
 يوم الجمعة ، ورفعوا عثور الغلة .

الاثنين ١٧ منه (٢٩ يونية ١٨٠١ م) :

أطلقوا المحبوسين بالقلعة من أسرى العثمانية ،
 وأعطوا كل شخص مقطع قماش وخمسة عشر قرشا ،
 وأرسلوهم الى عرضى الوزير . وكان بلغ بهم الجهد
 من الخدمة والفعالة وشيل التراب والأحجار وضيق
 الحبس والجوع ، ومات الكثير منهم . وكذلك

واسماعيل القلق ، ومحمد شيخ الحارة باب اللوق
والبرنوسى نسيب أبى دفة ، والشيخ خليل المنير
وآخرين تكلمة ثانية أنقار ، ونزلوا الى بيوتهم .
وفيه . سافر عثمان بك البرديسى الى الصعيد
وعلى يده فرمانات للبلاد بالأمن والأمان ، وسوق
المراكب بالغلال والأقوات الى مصر ، ويلقى ستة
آلاف من عسكر الانكليز حضروا من القلزم الى
القصير .

وفيه : شقق الفرنساوية شخصا منهم على شجرة
بركة الازنيكية . قيل انه سرق !

وفيه : أرسل الفرنساوية الى الوزير وطلبوا منه
جمالا ينقلون عليها متاعهم فأمر لهم بارسال مائتى
جمل ، وقيل أربعمائة ، مساعده لهم . وفيها من
جبال طاهر باشا وابراهيم بك .

الخميس ٢٠ منه (٢ يولية ١٨٠١ م) :

أفرجوا عن بقية المسجونين والمشايخ وهم :
شيخ السادات والشيخ الترقاوى والشيخ الأمير
والشيخ محمد المهدي ، وحسن أغا المحتسب ،
ورصوان كاشف الشعراوى وغيرهم .. فنزلوا الى
بيت قائمقام وقابلوه وشكروه . فقال للمشايخ :
« ان شئتم اذهبوا فسلموا على الوزير فانى كلسته
وروصيته عليكم » .

وفيه : حضر الوزير ومن معه من العساكر الى
ناحية شبرا ، وكذلك الانكليز ، وصحبهم قبطان
باشا ، الى الجهة الغربية والعساكر تجاههم . ونصبوا
الجسر فيما بينهم على البحر . وهو من مراكب
مرصوصة مثل جسر الجيزة ، بل يزيد عنه في
الافتقان ، بكونه من ألواح في غاية الثخن ، وله
داربين من الجهتين أيضا ، وهو عمل الانكليز .

وفيه : ألصقوا أوراقا بالطرق مكتوبة بالعربى
والفرنساوى وفيها شرطان من شروط الصلح التى
تتعلق بالعامه ، ونصها : « ثم انه أراد الله تعالى

بالصلح ما بين عسكر الفرنساوية وعساكر الانكليز
وعساكر العثمانية ، ولكن مع هذا الصلح .. أنفسكم
وأديانكم ومتاعكم ما أحد يقارشمكم . ورءوس
عساكر الثلاثة جيوش قد اشترطوا بهذا كما ترونه .
« الشرط الثانى عشر : كل واحد من أهالى مصر
المحروسة ، من كل ملة كانت ، الذى يريد أن
يسافر مع الفرنساوية يكون مطلق الارادة ، وبعد
سفره كامل ما يبقى عياله ومصلحه ما أحد يعارضهم .
« الشرط الثالث عشر : لا أحد من أهالى مصر
المحروسة ، من كل ملة كانت ، يكون قلقا من قبل
نفسه ، ولا من قبل متاعه ... جميع الذين كانوا بخدمة
الجمهور الفرنساوى بمدة اقامة الجمهور بمصر .
ولكن الواجب أن يطيعوا تشريعه . ثم يا أهالى مصر
وأقاليسها ... جميع المنزل ، أتمم ناظرون نحد آخر
درجة الجمهور الفرنساوى ناظر لكم ولراحتكم ،
فيلزم أتمم أيضا تسلكون فى الطريق المستقيمة ،
وتفتكرون أن الله جل جلاله هو الذى يفعل كل
شىء » . وعليه امضاء « بليار » قائمقام .

الجمعة ٢١ منه (٣ يولية ١٨٠١ م) :

علموا الديوان وحضر المشايخ والوكيل ، فقال
الوكيل : « هل بلغكم بقية الشروط الثلاثة عشر ؟ »
فقالوا : « لا » . فأبرز ورقة من كفه .. بالتسلم
الفرنساوى ، فشرع بقروءها والترجىان يفسرها ،
وهي تتضمن الأحد عشر شرطا الباقية ، فقال : « ان
الجيش الفرنساوى يلزم أن يخلوا القلاع ومصر ،
ويتوجهون على البر بمتاعهم الى رشيد ، وينزلون
فى مراكب ويتوجهون الى بلادهم . وهذا الرحيل
ينبغى أن يسرع به ، وأقل ما يكون فى خمسين
يوما ، وأن يساق الجيش من طريق مختص . وسر
عسكر الانكليز والمساعد يلزم أن يفوز لهم بجميع
ما يحتاجونه من نفقة ومؤنة وجسمال ومراكب .
والمجل الذى يبدأ منه السعى يكون بالتراضى بين
الجمهور والانكليز والمساعد . وكامل الاستعانة

كبير يكون عند الطائفة الأخرى حتى يتوصلوا الى فرنسا « ا ه .

ثم قال الوكيل : « وقد علمنا بالشروط وما ندرى ماذا يكون » . فقيل له : « هذه شروط عليها علامة القبول ، وهذا الصلح رحمة للجميع . وسيكون الصلح العام » . فقال الوكيل : « انى أرجو أن يكون هذا الصلح الخصوصى مبدأ للصلح العمومى » . وفيه : كثر خروج الناس ودخولهم من الأتباع والباعة والمتكبرين من نقب البرقية المعروف بالغريب ، فصار الحرسجية من الفرنساوية يأخذون من الداخل والخارج دراهم ولا يمنعونهم . فلما علم الناس بذلك كثر ازدحامهم . فلما أصبحوا ، منعهم . فدخلوا وخرجوا من باب القرافة ، فلم يمنهم الواقفون به من الفرنسيين ، بل كانوا يفتشون البعض ، ويمنعون البعض . وكل ذلك حذرا من أفعال الطموش وسوء أخلاقهم وتولد الشر بسببهم . وقد دخل بعض أكابر الانجليز وصحبهم فرنساوية يفرجونهم على البلدة والأسواق ، وكذلك دخل بعض أكابر العثمانية ، فزاروا قبر الامام الشافعى والمشهد الحسينى والشيخ عبد الوهاب الشعراوى ، والفرنساوية ينتظرونهم بالباب .

الاثنين ٢٤ منه (٦ يولية ١٨٠١ م) :

نادوا فى الأسواق برمى مدافع فى صبحه ، وذلك لنقل رمة «كلهبر» فلا يرتاع الناس من ذلك . فلما كان فى صبح ذلك اليوم أطلقوا مدافع كثيرة ساعة لبش القبر بالقرب من قصر العيني ، وأخرجوا الصندوق الرصاص الموضوع فيه رمته ليأخذوه معهم الى بلادهم .

وفيه : أرسلوا أوراقا ورسلا للاجتماع بالديوان — وهو آخر الدواوين — فاجتمع المشايخ والتجار وبعض الوجاقلية و «استوف» الخازن دار والوكيل والترجمان . فلما استقر بهم الجلوس أخرج الوكيل كتابا مختوما وأخبر أن ذلك الكتاب من سارى

والأثقال تتوجه من البحر ، ومعهم جيش من الفرنساوى لأجل الحراسة . ولا بد من كون المؤنة التى تترتب لهم كالمؤنة التى كانوا يعطونهاهم لجيش الانكليز ورؤسائهم . وعلى رؤساء عساكر الانكليز وحضرة العثملى القيام بنفقة الجميع . والحكام المتقيدون بذلك ، يحضرون لهم المراكب ليسفروهم الى فرنسا من جهة البحر المحيط ، وأن يقدم كل من حضرة العثملى والانكليز أربع مراكب للعليق والعلف للخييل التى يأخذونها فى المراكب ، وأن يسيروا معهم مراكب المحافظة عليهم الى أن يصلوا الى فرنسا ، وأن الفرنساوية لا يدخلون مينة الا مينة فرنسا . والأمناء والوكلاء يقدمون لهم ما يحتاجون اليه ، نظرا لكفانة عساكرهم . والمدبرون والأمناء والوكلاء والمهندسون الفرنساوية يستصحبون معهم ما يحتاجونه من أوراقهم وكتبهم ، ولو التى شروها من مصر . وكل من أهل الأقليم المصرى اذا أراد التوجه معهم فهو مطلق السراح مع الأمن على متاعه وعياله ، وكذلك من داخل الفرنساوية من أى ملة كانت فلا معارضة له ، الا أن يعجرى على أحواله السابقة . وجرحى الفرنساوية يتخلفون بعصرويعالهم الحكماء وينفق عليهم حضرة العثملى ، واذا عوفوا توجهوا الى فرنسا بالشروط المتقدم ذكرها . وحكام العثملى يتعهدون من بمصر ملهم ، ولا بد من حاكمين من طرف الجيشين يتوجهان بمركيين الى «طولو» ، فيرسلون خبرا الى فرنسا ليطلعوا حكامها على الصلح وسائر الرسوم . وكل جدال وخصام صدر بين شخصين من الفرنساوية فلا بد أن يقام شخصان حاكمان من الطائفتين ليتكلما فى الصلح . ولا يقع فى ذلك نقض عهد الصلح . وعلى كل طائفة معين من العثملى والفرنساوى أن تسلم ما عندها من الأسرى ، ولا بد من رهائن من كل طائفة واحد

والله تعالى ينعم عليكم وعلى عيالكم في الأيام
بالبشرى والاقبال .

حرر في أحد عشر « سيدور » ، سنة
تسعه من قيام دولة جمهور فرنساوية ، الموافق
لثامن عشر صفر ، وتحت الوحدة الغير المنقسمة ..
مضى « عبد الله جاك مينو » بخطه وختمه .
ونقل بالفاظه وحروفه . وهو من تراكيب « لوماكا »
الترجمان ، وكأنه كب قبل وصول خبر الصلح
الى الاسكندرية .

ثم اخذ الوكيل يقول : « ان الجنرال
« مينو » انسر بسلوككم حتى الآن ، وراحة
البلد حظ الفقراء ، وأن الحكام القادمين لابد وأن
يسلكوا معكم هذا الموضوع ، ولابد من وصول
مكاتيب بونايرته بعد أربعة أيام أو خمسة . وأنه
لانسى احبابه كما لاينسى أعداءه . ولو لم يكن
له من الحسن الا جعلكم وسائط لاغاثة الناس ،
لكان كافيا . وانكم تعلمون أنه كان نظر الى احوال
المارستان ومصالح المرضى . وكان قصده أن يبنى
جامعا ، ولكن عاقبة توجهه الى الشام » . وذكر كثيرا
من أمثال هذه الخرافات والتمويهات ، ثم أخرج
ورقة بالفرنساوى وقرأها بنفسه حتى فرغ منها .
ثم قرأ ترجمتها بالعربى الترجمان « رفايل » .
ومضونها : حصول الصلح ، وتمويهات ،
وهلسيات ليس في ذكرها فائدة !

ولما انتهى من قراءتها أبرز أيضا « استوف »
الحازندار ورقة وقرأها بالفرنساوى . ثم قرأ ترجمتها
بالعربى الترجمان ، وهى فى معنى الأولى وصورتها :
« خطاب محبة من حضرة « استوف » مدير الحدود
العام فى مجلس الديوان العالى ، فى سبعة عشر
« سيدور » سنة تسع من المشيخة فرنساوية :
« يامشايع ، وياعلباء وغيرهم ... أعلمكم أن
ما على أنى أكلكم فى أسباب خروجنا من الديار
المصرية ، بل وظيفتى تدير أمور السياسة فقط ،

عسكر « مينو » بعث به الى مشايخ الديوان ، ثم
ناوله لرئيس الديوان ففضه وناوله للترجمان فقرأه
والحاضرون يسمعون وصورته - بعد البسلة
والجلالة والصدر - « نحبركم أنا علمنا بكثرة
الانبساط ، أنكم تهتدون بكثرة الحكمة والانصاف
فى الموضع الذى أتمستمون فيه ، وانتم
تقدروا لتنظيم أهالى البلد بالهدى والطاعة الموجبة
منه لحكومة فرنساوى فالله تعالى - بسعادة
رسوله الكريم عليه السلام الدائم - ينعم عليكم
فى الدارين عوض خيراتكم .

« وأخبرنا المقدم الجسور بونايرته المشهور عن
كل ما فعلتم حاكما ونافعا بوصايا لأجلكم سارة ،
رضى واستراح لتلك الفعال الجيدة ، وعرفنى أيضا
أنه عن قريب يرسل لكم بذاته جواب جميع
مكاتيبكم اليه فدمتم الى الآن بحير الهدى ،
وبقوته تعالى نرى فضائلكم عن قريب ، ونواجه
سكان محرومة مصر كما هو مأمولنا لكن سرهم
أن جمهور المنصور غلب فى أقاليم الروم جميع أعدائه .
وبعون الله هادى كل شئ » ، سيفعل كذلك العدا
فى مصر ، واعتمدوا بأكثر الاعتماد على الستويان
« جيرار » هذا الذى وضعناه قريبكم ، لأنه هو
رجل مشهور بالعدل والاستقامة .

« ونوجه الى همكم النصيحة الى زوجتنا الكريمة
السيدة زبيدة ، وولدنا العزيز سليمان مراد ، أن
كليهما حالا كائنان فى حصننا فى مصر ، وتأسفنا جدا
برحلة المرحوم مراد ييك فى انتقاله الى البقاء . ومعلوم
فضائلكم أننا أرضينا بانعام علوفة توجه على عمدة
العفاف حضرة الست نفيسة خاتون ، لما جرت
الحكومة فرنساوية الى أصدقائه . وقولوا للقوم
أن مامنتى ومرامى وابرامى الا تقيدى يمينه وخيزه .
واعتمدوا أيضا الى كل ما سيقول لكم الستويان
« استيو » الأمور بتدبير الأمور وكمال العوائد .

— قبل ما يتوجه الى السفر لمدة — كان أمر مسح الديار المصرية ، وكان وكل لذلك مدبرين ونحن من جملتهم . والمدبرون المذكورون كانوا بدأوا في تمام هذا الأمر الذي هو كنز لكامل الناس . لكن كل ذلك ما كان يكفي له ، وكان صعبان عليه من أمور الفلت الذي يقع من العربان الذين حوالىكم ، وأيضا من الخوف الذي عندكم بسببهم . وكان في عقله أن يزيلهم من على وجه الأرض .. لأجل راحة الفلاحين ، ولأجل اتمام الخير والصالح .

« وكذلك مراده . بامشاخ وباعلماء ، أن يسفر في هذه السنة الحج الشريف ، ويفتح زيارة طنطا لأجل حفظ مقام السيد أحمد البدوي ، ويظهر جميع ما تشهرونه . وكامل ما تمشون فيه من اللازم أنكم تعرفون جميع ما صدر لكم من الخيرات بواسطة حكم الفرنساوية هذا . ورعاية الديار المصرية جربه بعض منهم ، وفي عشمي أنهم لم ينسوه أبدا ! »

« صحيح أن حكم الفرنساوية حقق الكل ، والذي يعجب الأكثر الى الرعايا . بسبب ذلك ، ذات الفرنساوية قتلوا فيه ، لأجل منع الظلم والتعب الذي كانوا فيه . والقرانات في بلاد الغرب خافوا أن رعاياهم يقبلون الحكم المذكور . وبسبب ذلك اربطوا مع بعضهم لأجل ما يمنعونه منا . لكن كل جهاتهم صارت بطلاة . وقد حاربونا حربا شديدا مدة عشر سنين متوالية . وفي جميع المطارح وقعت لهم الهزيمة ، وحكمنا قد بقي محله وكذلك هو الباقي دائما أبدا . فلا يحتاج أننا نعرفكم في الذي تعرفوه . ويكفينا الآن أننا نحقق لكم — من عند حضرة القنصل الأول في الجمهور الفرنساوي بونايرته ، ومن عند حضرة سر عسكر « مينو » — المحبة والشفقة الصادقة التي واقعة من الفرنساوية الى الرعايا المصرية .

ومجئني عندكم لأجل أن أعرفكم قدر ما هو حاصل من الصعوبة . كل واحد منكم رأى المحبة والأخوة التي كانت موجودة ما بين الفرنساوية وما بين أهل الديار المصرية . قد كان الجيش والأهل المذكورون مثل الرعية الواحدة ، واسم حضرة بونايرته القنصل الأول من جمهور الفرنساوية في عز الكفالة عندكم وعندنا !

« كم مرة بامشاخ وباعلماء ، فقد تمت صحبتنا لأجل سيرة هذا الشجاع الأعظم المعان بقوة الله ، الذي عقله ما له مثل ! كان يستحق أن يكون حاكما عليكم دائما .. عرفتموني عن المحبة والشفقة الذي مضت منه لكم . ومن وقت ما التزم ، بسبب التعب الذي حصل له في بلده ، أن يتوجه اليه ماضع منكم العشم أن يترتب في الديار المصرية التدبير العدل والمناقفة الذي كان وعدكم به وقت ما كان عندكم . وصحيح بامشاخ ، وعلماء ، أن حكم الفرنساوي كان يتم ما عاهدكم به الذي هو كبيرهم بونايرته دائما رأى لكم في الخير والمحبة الى رعاية الديار المصرية لما لها نظير . كم مرة كرر الى حضرة سر عسكر « مينو » أنه ينظر اليكم في كامل الأمور بالخير ، وكام لوبة حضرة « مينو » المذكور أثبت أن الحكام والجيوش لما أمنوه أعطوه الأمان في أحسن محل . »

« وفي حكم سر عسكر « مينو » صار أن كثرة الظلم والجور ، الذي كان مستلقينه الرعية . قد أبطله ، والعدل الذي كان منوعا عنكم في الأحكام السابقة .. قد وصل اليكم بواسطته . وأيضا في مهدة حكمه رأيتم أن تقضى تحصيل الأموال بالشفقة الى الرعايا . ولما كان التزم بسبب الحرب أنه يرتب تدبير في تحصيل الأموال ، وهذا التدبير يتكون في حد العدل والخير لأهل الديار المصرية . ونحن كنا صحبته في تدبير هذا الشغل العمومي . وأتمتعون أن خبز أو خراب الرعايا من تدبير مثل هذا . وكذلك حضرة سر عسكر « مينو »



أكابر القبط

المعروف بأبى مرقى ، وعلى المخروقي والسيد عمر
مكرم ، وباتوا تلك الليلة بالعرضى ، ثم عادوا الى
بيوتهم .

الثلاثاء ٢٥ منه (٧ يوليه ١٨٠١ م) :

عدوا الى البر الغربى ، وسلموا على قبطان
باشا ، ورجعوا الى منازلهم .

وفيه : أرسل ابراهيم بيك أمانا لأكابر القبط ،
فخرجوا أيضا وسلموا ورجعوا الى دورهم .

وأما يعقوب فإنه خرج بمتاعه وعازقه وعدى الى
الروضة ، وكذلك جمع اليه عسكري القبط ، وهرب
الكثير منهم واختفى . واجتمعت نساؤهم وأهلهم
ودهبوا الى قائمقام ، وبكوا وولولوا وترجوه في
إبقائهم عند عيالهم وأولادهم ... فأنهم فقراء
وأصحاب صنائع ما بين نجار وناء وصائغ وغير
ذلك . فوعدهم أنه يرسل الى يعقوب أنه لا يقهر
منهم من لا يريد الذهاب والسفر معه .

وفيه : ذهب بليار قائمقام وصحبته ثلاثة أنفا ،
من عظماء الفرنسيين الى العرضى وقابلوا الوزير ،
فخلع عليهم وكساهم فراوى سمور ، ورجعوا .

« وهذه المحبة والعثم لم ينقطعاً أبداً ، بسبب
سفر جانب من الجيش .. وهليت أن يصادف يوم
أنا نرجع الى عندكم لأجل تمام الخير الذى يصدر
من حكم فرنساوى ، والذى ما أمكننا تسيه !
فلا تنهوا يامشايع ، وياعلماء ... ان فراقنا
لم يقع الا عن مدة . وذلك محقق عندى ،
ولا بد أن دولتنا يربطون ثانيا في بدة قريبة المحبة
القديمة التى كانت بينهم وبينكم !

« وهل بت أن ذولة العثمانية لا تسير على
الجرف الخالى الذى عمل لهم الانكليز .. يرون أن
الفرنساوية في طلب الديار المصرية ليس لهم الا
ربط زيادة محبة صحتهم لأجل كسر نفسى وطيش
الانكليز الذين مرادهم نهب جميع البحور
ومتاجر الدنيا . »

وهو من تعريب أبى ديف ، وانشاء « أستوف »
بالفرنساوى .

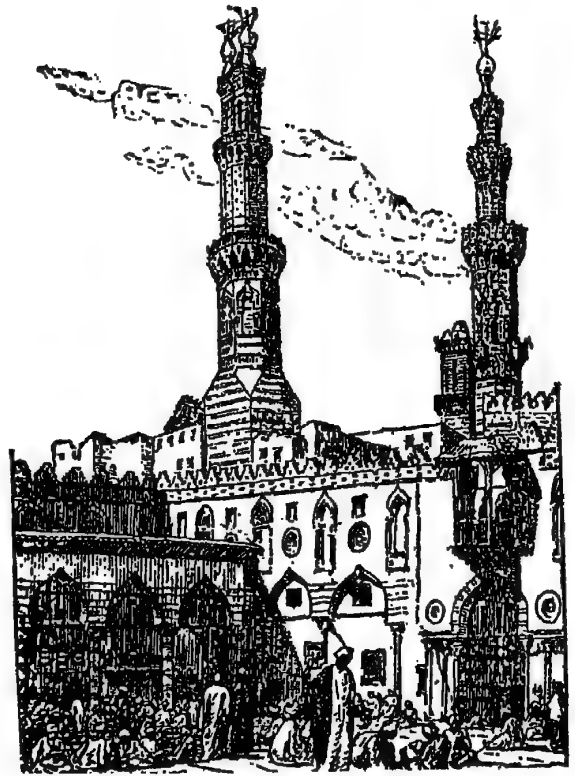
ولما فرغوا من قراءته قيل له : « ان الأمر لله
والملك له . وهو الذى يمكن منه من شاء . »

وانقض الديوان ، وركب المشايخ ، وخرجوا
للسلام على الوزير يوسف باشا - الذى يقال له
الصدر الأعظم - والسلام على القادمين معه أيضا
من أعيان دولتهم والأمراء المصرية . وكانوا عزموا
على الذهاب فى الصباح ، فعوقوا لبعث الديوان .

وأما الشيخ السادات فإنه خرج للسلام من
أول النهار ، وكتب لهم قائمقام أوراكا للحرسية ،
لأنهم مستمرون على منع الناس من الدخول
والخروج ، وأبواب البلد مغلقة . وكان خروجهم
من طريق بولاك . فلما وصلوا الى العرضى ،
سلموا على ابراهيم بيك ، وتوجه معهم الى
الوزير . فلما وصلوا الى الصيوان أمرهم برفع
الطبلسان التى على أكتافهم ، وتقدموا للسلام
عليه فلم يقيم لقدمهم .. فجلسوا ساعة لطيفة ،
وخرجوا من عنده . وسلموا أيضا على محمد باشا

وفي يوم الأربعاء خرج المسافرون مع الفرنساوية الى الروضة والجيزة بمتاعهم وحريمهم ، وهم جماعة كثيرة من القبط وتجار الافرنج والمترجمين وبعض مسلمين ممن تداخل معهم ، وخاف على نفسه بالتخلف ، وكثير من نصارى الشوام والأروام مثل بتي ، وبرطلمين ، ويوسف الحموى . وبعد العال الأغا أيضا طلق زوجته ، وباع متاعه وفراشه وما ثقل عليه حمله من طقم وسلاح وغيره . فكان اذا باع أشياء يرسل خلف المشتري ويلزمه باحضار ثمنه في الحال قهرا ، ولم يصحب معه الا ماخف حمله وغلا ثمنه .

وفيه : حضر وكيل الديوان الى الديوان ، وأحضر جماعة من التجار وباع لهم فراش المجلس بثمان قدره ستة وثلاثون ألف فضة ... على ذمة السيد أحمد الزرو .



داخل صحن الأزهر

وفي ذلك اليوم أيضا : فتحوا باب الجامع الأزهر ، وشرعوا في كسسه وتنظيفه . وفي ذلك اليوم وما بعده : دخل بعض الانكليز ، ومروا بأسواق المدينة يتفرجون ، وصحبهم اثنان أو واحد من الفرنسيين يعرفونهم الطرق . وأشيع في ذلك اليوم ارتحال الفرنساوية ، ونزولهم من القلاع ، وتسليمهم الحصون من الغد وقت الزوال : فلما أصبح يوم الخميس ومضى وقت الزوال ، لم يحصل ذلك ... فاختلفت الروايات : فمن الناس من يقول : « ينزلون يوم الجمعة » . ومنهم من يقول : « انهم أخذوا مهلة ليوم الاثنين » . وبات الناس يسمعون لفظ المساكير العشائية وكلامهم ووطء نعالاتهم . فنظروا فاذا الفرنساوية خرجوا بأجمعهم ليلا ، وأخلوا القلعة الكبيرة وباقي القلاع والحصون والتاريس . وذهبوا الى الجيزة والروضة وقصر العيني ، ولم يبق منهم شبح يلوح بالمدينة وبولاق ومصر العتيقة والأزبكية . ففرح الناس ، كعادتهم ، بالقادمين ، وظنوا فيهم الخير ، وصاروا يتلقونهم ويسلمون عليهم ويباركون لقدمهم ، والنساء يلقلعن بالسنتهن من الطيقان وفي الأسواق . وقام للناس جلبة وصياح ، وتجمع الصغار والأطفال كعادتهم ، ورفعوا أصواتهم بقولهم : « نصر الله السلطان » .. ونحو ذلك . وهؤلاء الداخلون دخلوا من قهب القريب المنقوب في السور ، وتسلقوا أيضا من ناحية العطوف والقرافة . وأما باب النصر والعدوى فهما على حالهما مغلقان ، لم يأذنوا بفتحهما خوفا من تزامم العسكر ودخولهم المدينة دفعة واحدة ، فيقع فيهم الفشل والضرر بالناس ، وباب القنوج مسدود بالبناء .

فلما تضحى النهار حضر « قبي قول » وفتح باب النصر والعدوى ، وأجلس بهما جماعة من اليكجيرية . ودخل الكثير من المساكير ، مشاة وركبانا ، أجناسا مختلفة . ودخلت بلوكات اليكجيرية وطاقوا بالأسواق ، ووضعوا نشاناتهم

ورنكهم على القهاوى والحواليت والحمامات .
فامتص أهل الأسواق من ذلك ، وكثر الخبز
واللحم والسمن ، والشيرج بالأسواق ، وتواجدت



ساحل بولاق

مدافع كثيرة من العريض والقنعة ، ودخل
قلقسات النيكجربة وجلسوا برؤوس العطف
والحارات ، وكل طائفة عندها يريق ، ونادوا
بالأمان والبيع والشراء . وطلب أولئك القلقسات
من أهل الأخطاط المأكول والمشارب والقهورات
والزموهم بذلك .

وانحاز الفرنسيون الى جهة قصر العيني
والروضة والجيزة ، الى حد قلعة الناصرية
وقم الخليج ، وعليها بنديراتهم . ووقف حرسهم
عند حدهم ينعمون من بأوى الى جهتهم
من العثمانية ، فلا يمر العثماني الا الى الجهة
الموصلة الى بولاق . وأما اذا كان من أهل البلد
فيمر حيث أراد .

وفي مدة اقامة المشرك اليه بساحل
الحلى ببولاق ، خرب عساكره ما قرب منهم من
الأبنية والسراقي والمتريز الذي عنده الفرنسيون
— من حد باب الحديد الى البحر — وأخذوا
ما بذلك من الأفلاق الكثيرة المتهدمة والأخشاب
المنجرة المرصوفة فوق المتريز وتحت وفي الخندق ،
فخربوا ذلك جميعه في هذه المدة القليلة . . . وذلك
لأجل وجود النار والمطابخ .

البضائع وانحلت الأسعار ، وكثرت الفاكة مثل :
العنب والخوخ والبطيخ . وتعاملى بيع غالبها
الأتراك والأرنؤود ، فكانوا يتلقون من يجلبها
من الفلاحين بالبحر والبر ويشترونها منهم بالأسعار
الرخيصة ويبيعونها على أهل المدينة وبولاق بأعلى
الأثمان .

ووصلت مراكب من جهة بحرى ، وفيها البضائع
الرومية واليش من البندق واللوز والجوز
والزبيب والتين والزيتون الرومى . فلما كان قبل
صلاة الجمعة ، واذا بجاوشية وعساكر وأغوات ،
وتلا ذلك حضرة يوسف باشا الصدر . فشق من
وسط المدينة وتوجه الى المسجد الحسينى ،
فصلى فيه الجمعة ، وزار المشهد الحسينى ، ودعاه
حضرة الشيخ السادات الى داره المجاورة
للمشهد . فأجابه ، فدخل معه ، وجلس هنيهة .
ثم ذهب الى الجامع الأزهر فتفرج عليه ، وطاف
بمقصورته وأروقته ، وجلس ساعة لطيفة ، وأنعم
على الكناسين والخدمة بدراهم ، وكذلك خدمة
المسجد الحسينى . ثم ركب راجعا الى وطاقه
بناحية الحلى بشاطيء النيل .

وعملوا في ذلك الوقت شتى ، وضربوا

السبت غايته (١١ يوليه ١٨٠١ م) :

دخل « قبي قول » — وهو المسمى عند المصريين
كتخدا الينكجيرية — وشق المدينة وأمر بمحو
نشانات الانكشارية من الحوانيت ، ولم يترك الا
القهاوى .



القوات الفرنسية تستعد للرحيل

وأخذ قياس المقام ليصنع له سترا جديدا ، وفرق
عليهم وعلى الفقراء نحو ألفى محبوب ذهب
اسلامبولى . وامتدحه صاحبنا العلامة ، أحد أدباء
مصر وفضلائها فى العلوم الأدبية ، الشيخ على
الشرنقاشى بقصيدة مطلعها :

بدر المسرة بالمعالي أمنا
والوقت من بعد المخاوف أمنا
وهى طويلة ، بقول فى بيت التاريخ منها :

ولمصرنا نادى السرور مؤرخا :
صدر الكمال حسينه شرف الهنا
٢٩٤ ١٢٢ ٨٧ ١٣٣ ٥٨٠
= ١٢١٦ هجرية

وقدما اليه وهو جالس للزيارة ، فأعطاه جائزة
سنية . ثم ركب وعاد الى مخيمه بالجيزة .
وفى ذلك اليوم وقعت حادثة : وهو أن شخصا
من العسكر بالجمالية شرب من العرقسوسى شربة
عرقسوس ولم يدفع له ثمنها . فكلّم العرقسوسى

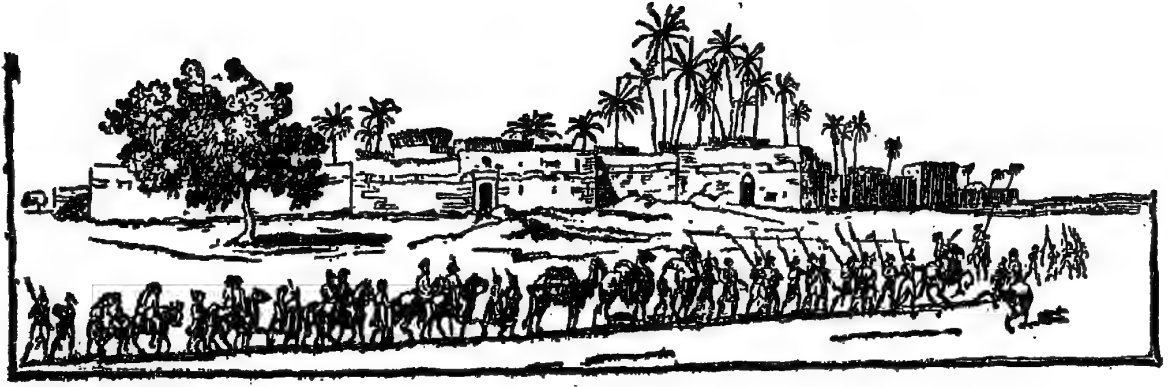
تسيع الأول

الاحد غرته (١٢ يوليه ١٨٠١ م) :

فيه ركب أغات الينكجيرية الكبير العثملى ،
وشق المدينة ، وخلفه سليم أغا المصرى . ودخل
الكثير من العساكر والأجناد المصرية بمتاعهم
وعازقهم وأحمالهم ، وطلبوا البيوت وسكنوها .
ودخل محمد باشا المعروف بأبى مرق الغزى — وهو
المرشح لولاية مصر — وسكن بيت الهياتم
بالقرب من مشهد الأستاذ الحنفى ، وأرسل الى
الشايف وكبار الحارات وطلب منهم التعرف عن
البيوت الخالية بالأخطاط .

الثلاثاء ٣ منه (١٤ يوليه ١٨٠١ م) :

حضر حسين باشا القبطان من الجيزة ، ودخل
المدينة ، وتوجه الى المشهد الحسينى فزاره وذبح
به خمس جواميس ومبعة كباش ، واقتسمتها خدمة
الضريح ، وحلق تاج المقام بأربعة شيلان كشيرى ،



الفرسانية يوحون

المصرية : عثمان بك الأشقر ، ومراد بك الصغير ،
وأحمد بك الكلاحي ، وأحمد بك حسن .
فكانت مدة الفرنساوية وتحكمهم بالديار المصرية :
ثلاث سنوات وواحد وعشرين يوما (١) . فانهم
ملكوا بر اناباة والجيزة ، وكسروا الأمراء المصرية
يوم السبت تاسع شهر صفر سنة ثلاث عشرة ومائتين
وآلف . وكان انتقالهم ونزولهم من القلاع ، وخلو
المدينة منهم ، وانخلاصهم عن التصرف والتحكم ،
ليلة الجمعة الحادي والعشرين من شهر صفر سنة
ست عشرة ومائتين وآلف .. فسبحان من لا يزول
ملكه ولا تتحول سلطانه .

وفي ذلك اليوم : حضر السيد عمر أفندي تقيب
الأشراف وصحبته السيد أحمد المحروقي شاه ندر
التجار بمصر ، وعليهما خلعتا سمور ، وتوجها الى
دورهما .

وفيه : لبها على موكب حضرة الوزير يومئذ
باشا من الغد .

الخميس ٥ منه (١٦ يولية ١٨٠١ م) :

اجتمع الناس من جميع الطوائف ومسائر
الأجناس ، وهرع الناس للفرجة ، وخرجت البنت
من خدرها ، وأكثروا الدور المظلة على الشارع
بأعلى الأثمان . وجلس الناس على المسقائف
والحوانت صفوفا . وانجر الموكب من أول النهار

(١) لعل الصواب : واحد عشر يوما .

القلق الانكشاري ، فأحضره وأمره بدفع ثمنها ،
ونهره وأراد ضربه . فاستل ذلك العسكري الطنبجة
وضرب ذلك الحاكم فقتله ، وهرب الى حارة
الحوانية ودخل الى دار وامتنع فيها ، وصار يضرب
الرصاص على كل من قصده فقتل خمسة أنفار .
ومر شخصان من الأرثوود بتلك الخطة ، فقتلها
الانكشارية لكون الغريم أرثووديا من جنسها .
فلما أعياهم أمره حرقوا عليه الدار ، فخرج هاربا
من النار ، فقبضوا عليه وقتلوه . ومات تسعة
أشخاص في شربة عرقسوس !

ووقع في ذلك اليوم أيضا : أن شخصين من
القليونية دخلا الى دار رجل نصراني ، فأخذوا
من بيته بقحتين من الثياب ، وخرجا فوجدا شخصين
مارين من الفلاحين ، فسخرهما في حمل البقحتين .
فخرج النصراني وشكا الى القلق . فأمر بالقبض
على الشخصين العسكريين ، فتخلصا وهربا ، بعد
أن انجرح أحدهما ، وأخذوا الشخصين المسخرين ،
فقطعوا رؤوسهما ظلما وعدوانا .. وذلك من مبادئ
قبائحهم .

الاربعاء ٤ منه (١٥ يولية ١٨٠١ م) :

ارتحل الفرنساوية ، وأخلوا قصر العينى
والروضة والجيزة ، وأحلدروا الى بحرى الورداريق .
وارتحل معهم قبطان باشا ومعظم الانكليز ونحو
الخسة آلاف من عسكر الأرثوود ، ومن الأمراء



موكب الباشا عند دخوله القاهرة

الكافرين الحشرات ، ودقت البشائر ، وقرت
السواظر . وأمروا بوقود المنارات سبع ليال
متواليات ... فله الحمد والمنة على هذه النعمة ،
ونرجو من فضله أن يصلح فساد القلوب ، ويوفق
أولى الأمر للخير والعدل المطلوب ، ويلهمهم سلوك
سواء السبيل القويم ، ويهديهم إلى الصراط
المستقيم ... صراط الذين أنعمت عليهم ، غير
المغضوب عليهم ، ولا الضالين ... آمين .

ومن قدم بصحبة ركاب المشار إليه من أكابر
دولتهم : إبراهيم باشا والى حلب ، وإبراهيم باشا
شيخ أوغلي ، ومحمد باشا المعروف بأبي مرق، و خليل
افندي الرجائي الدفتردار ، ومحمود افندي رئيس
الكتاب ، وشريف أغا نزلة أمين ، ومحمد أغا جيجي .
باشا الشهير بطوسون . ووقع الاختيار بأن يكون
سكن المشار إليه بيت رشوان بيك بحارة عابدين
تجاه بيت عبد الرحمن كتخدا القازدغلي .

الجمعة ٦ منه (١٧ يولية ١٨٠١ م) :

لودي بإبطال كلف القلقاب ، وإبطال شرك
العسكر لأرباب الحرف ... الا من شارك برضاء
وساحة نفسه . فلم يمتثلوا لذلك ، واستمر أكثرهم
على الطلبي من الناس .

إلى قريب الظهر ، ودخل من باب النصر ، وشق من
وسط المدينة ، وأمامه العساكر المختلفة من الأرتوود
وأرط اليكجيرية ، والعساكر الشامية ، والأمراء
المصرية والمنارية والقلينوجية ، وطاهر باشا - باشا
الأرتوود - وإبراهيم باشا والى حلب ، ومحمد باشا
والى مصر ، والكتبة ورئيس الكتاب ، وكتخدا
الدولة ، والأغوات الكبار بالطبول والنقرزانات ،
وقاضي العسكر ونواب القضاء ، والعلماء المصرية
ومشايخ التكايا ، والدررايش . وأقبل المشار
إليه وأمامه الملازمون بالبراقع والجاوشية والسعاة
والجوخدارية ، وعليه كرك صوف سنجابي مطرز
مخيش ، وعلى رأسه شلنج بقصوص الماس ،
وخلفه اثنان - عن يمينه وشماله - ينشرون دراهم
الفضة البيضاء - ضربخانة اسلامبول - على
المتفرجين من النساء والرجال ، وخلفه أيضا العدة
الواقرة من أكابر أتباعه ، وبعدهم الكثير من عسكر
الأرتوود وموكب الخازندار ، وخلفه النوبة التركية
المختصة به ، ثم المدافع وعربات الجيخانات . وعملوا
وقت الموكب شنكا ضربوا فيه مدافع كثيرة . فكان
ذلك اليوم يوما مشهودا ، ومومبا وبهجة وعيدا ...
عست المسلمين فيه المسرات ، ونزلت في قلوب

الاحد ٨ منه (١٩ يولية ١٨٠١ م) :

منقبة ، وذلك على مر الأزمان . وأما العسكر فلم
يحتلوا ذلك الأمر الا أياما قليلة . ووقع بسبب ذلك
شكاوى ومشاكلات ومرافعات عند العظماء .

الثلاثاء ١٠ منه (٢١ يولية ١٨٠١ م) :

وصل قاصد من دار السلطنة ، وعلى يده شال
شريف من حضرة الهنكار السلطان سليم خان ...
خطابا لحضرة الوزير ، ومعه خنجر مرصع بفصوص
الماس . وهو جواب عن رسالته بدخوله بليس .
وفيه : نودى بتزئين الأسواق من القد تعظيما
ليوم المولد النبوى الشريف .

الاربعاء ١١ منه (٢٢ يولية ١٨٠١ م) :

كررت المنادة والأمر بالكس والرش :
فحصل الاعتناء ، وبذل الناس جهدهم ،
وزينوا حوانيتهم بالشقق الحرير والزردخان
والتفاصيل الهندية - مع تخوفهم من
العسكر - وركب انصار اية عصر ذلك اليوم
وشق المدينة ، وشهد اشوارع . وعند المساء
أوقدوا المصابيح واشموع ومنازل المساجد ،
وحصل الجمع بتكية انكلشنى على العادة . وتردد
الناس ليلا للفرجة ، وعملو مغاني ومزامير في عدة
جهات ، وقراءة قرآن . وضجت الصفار في الاسواق ،
وعم ذلك سائر أخطاط المدينة العامرة ومصر
وبولاق . وكان من المعتاد القديم أن لا يعتنى بذلك
الا بجهة الازبكية - حيث سكن الشيخ البكرى ،
لأن عمل المولد من وظائفه - وبولاق فقط ...

الخميس ١٢ منه (٢٣ يولية ١٨٠١ م) :

سافر سليمان أغا وكيل دار السعادة ، وصحبه
عدة هجاة ، الى ناحية الشام لاحضار المحل
الشريف ، وحريبات الأمراء الى مصر .
وفيه : افتتحوا ديوان مزاد الأعشار والمكوس ،
وذلك بيت الدفتر دار .. ولله الأمر من قبل ومن
بعد !

نودى بأن لا أحد يتعرض بالأذية لنصرانى ولا
يهودى ، سواء كان قبطيا أو روميا أو شاميا ، فانهم
من رعايا السلطان .. والماضى لا يعاد .

والمعجب أن بعض نصارى الأروام الذين كانوا
بعسكر الفرنسيين تزيوا بزي العشائية ، وتسلبوا
بالأسلحة والبطاقات ودخلوا في ضمنهم ، وشمخوا
بأنافهم ، وتعرضوا بالأذية للمسلمين في الطرقات ...
بالضرب ، والسب باللغة التركية . ويقولون في
ضمن سبهم للمسلم : « فرنسيس كافر » ! ولا
يميزهم الا الفطن الحاذق ، أو يكون له بهم معرفة
سابقة .

وفيه : أرسلوا هجاءا الى الحجاز ومعه فرمان
بخبر الفتح والنصر ، وارتحال فرنساوية من أرض
مصر ، ودخول العشائية . ومكاتبات من التجار
لشركائهم بارسال المتاجر الى مصر .

وفيه : أرسلوا فرمانات أيضا الى الأقاليم المصرية
والقرى بعدم دفع المال الى الملتزمين ، ولا يدفعون
شيئا الا بفرمان من الوزير .

الاثنين ٩ منه (٢٠ يولية ١٨٠١ م) :

قتلوا شخصا بالرميلة يسمى حجاجا ، كان متولى
الأحكام ببولاق أيام الفرنسيين ، وجار ، وعسف
وقتل معه آخر يقال انه أخوه .

وفيه أيضا : قتلوا اشخاصا بالازبكية وجهات
مصر .

وفيه : ركب الوزير بشباب التخفيف ، وشق
المدينة ، وتأمل في الأسواق ، وأمر بمنع العسكر من
الجلوس على حوانيت الباعة وأرباب الصنائع ،
ومشاركتهم في أرزاقهم . ثم توجه الى المشهد
الحسينى فزاره ، ثم عبر الى دار السيد أحمد المحرقى
وشرفه بدخوله اليه فجلس ساعة ثم ركب ، وأعطى
أتباعه عشرين ديناراً ، وذكر له أنه انما قصد
بجضوره اليه ، تشريفه وتشريف أقرانه ، وتكون له

وفي ذلك اليوم : احترق جامع قايتباي الكائن بالروضة ، المعروف بجامع السيوطي والسبب في ذلك أن الفرنسيين كانوا يصنعون البارود بالجنيينة المجاورة للجامع فجعلوا ذلك الجامع مخزنا لما يصنعونه ، فبقى ذلك المسجد ، وذهب الفرنسيين ، وتركوه كما هو ، وجانب كبريت في أنفاخ أيضا فدخل رجل فلاح ومعه غلام ويده قصبة يشرب بها الدخان . وكأنه فتح ماعونا من ظروف البارود ، ليأخذ منه شيئا ، ولسى المسكين القصبة بيده ، فأصاب البارود ، فاشتعل جميعه ، وخرج له صوت هائل ودخان عظيم ! واحترق المسجد ، واستمرت النار في سقفه بطول النهار . واحترق الرجل والغلام .

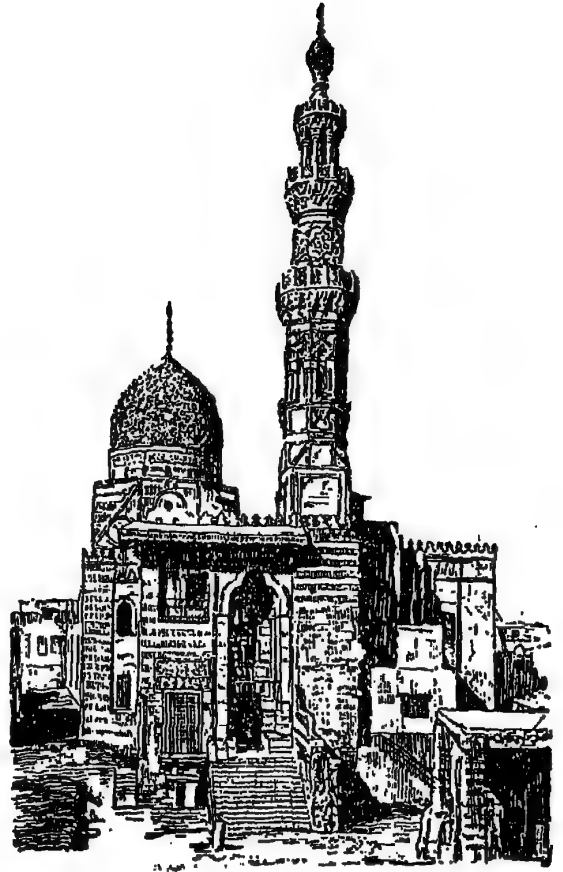
الاحد ١٥ منه (٢٦ يوليه ١٨٠١ م) :

أشيع بأنه كتب فرمان على النصارى ، أنهم لا يلبسون الملونات ، ويقتصرون على لبس الأزرق والأسود فقط فبمجرد الاشاعة وسامع ذلك ، ترصد جماعة القلقات لمن يمر عليهم من النصارى ، ومن يجدوه بثياب ملونة يأخذوا طربوشه ومداسه الأحمر ، ويتركوا له الطاقة والشدة الأزرق !

وليس القصد من أولئك القلقات الانتصار للدين ، بل استغنام السلب ، وأخذ الثياب ! ثم ان النصارى صرخوا الى عظمائهم ، فأنهوا شكواهم . فنودى بعدم التعرض لهم ، وأن كل فريق يمشى على طريقته المعتادة .

الاثنين ١٦ منه (٢٧ يوليه ١٨٠١ م) :

طلب الوزير من التجار مائة كيس وعشرة أكياس سلفة من عشور البهار ، وألزمهم باحضارها من الغد فاجتمع المستعدون لجمع الفردة في أيام الفرنسيات : كالسيد أحمد الزور ، وكاتب البهار ، وأرادوا توزيعها على المحترفين كمادتهم فاجتمع



جامع قايتباي

وليه : حضر اليسرجى ، الذى جلب مملوك الشيخ البكرى ، الذى تقدم ذكره ، الى بيت القاضى ، وأحضروا الشيخ خليل البكرى ، وادعى عليه أنه قهره فى أخذ المملوك بالفرنسيين ، وأخذ منه بدون القيمة ، وأنه كان أحضره على ذمة مراد بيك .

وطال بينهما النزاع ، وآل الأمر بينهما الى اتزاع المملوك من المذكور ... وقد كان أعتقه ، وعقد له على ابنته . فأبطلوا العتق ، وفسخوا الزواج . وأخذ المملوك عثمان بيك الطنبرجى المرادى ، ودفع للشيخ دراهمه ، ولجلا به باقى الثمن .. وتجرع فراقه .

الجمعة ١٣ منه (٢٤ يوليه ١٨٠١ م) :

ركب الوزير ، وحضر الى الجامع الأزهر ، وصلى به الجمعة ، وخلع على الخطيب فرجة صوف .



رسول يحضر مكتوباً للباشا

فأذنه . فخنقها في ذلك اليوم أيضا ومعها جاريتها
اليضاء — أم ولده — وقتلوا أيضا امرأتين
من أشباههن .

الأربعاء ٢٥ منه (٥ أغسطس ١٨٠١ م) :

أرسلوا طائفة معينين من طرف محمد باشا
أبى مرقي إلى أخى الشواربى شيخ قليوب .
فأحضروه على غير صورة .. ماشيا ، مكتوفا ،
مسحوبا ، مضروبا .. من قليوب إلى مصر . فحبسوه
ببيت الوزير . ثم حضر أخوه ، وصالح عليه بعشرة
أكياس .. قام بدفعها ، وأطلقا .

قيل ان السبب في ذلك : ان جماعة من أتباع
محمد باشا ذهبوا إلى قليوب وطلبوا تبنا ، فطردهم
وشتهم وردهم من غير شيء . وقيل : ان ذلك
باغراء ابن المحروقي ، لضغن بينه وبينه قديم .

الاثنين آخره (١٠ أغسطس ١٨٠١ م) :

تحرر ديوان العشور . فكان المتحصل ستة
عشر ألف كيس .

وفيه : تشاجر طائفة من النكجيرية مع طائفة
من الانكليز بالجيزة ، وقتل بينهما أشخاص .
فنودى على النكجيرية ، ومنعوا من التعدي إلى
بر الجيزة .

وفيه : كثر اشتغال طائفة المسكر بالبيع والشراء
في أصناف المأكولات ، وتسلطوا على الناس بطلب
الكلف ، ورتبوا على السوق وأرباب الحوانيت
دراهم يأخذونها منهم في كل يوم ، يأخذون من
الخايز الخبز من غير ثمن ، وكذلك يشربون القهوة
من القهاوى ، ويحتكرون ما يريدون من الأصناف ،
ويبيعونها بأعلى الأثمان ، ولا يسرى عليهم حكم
المحتسب . وكذلك تسلطوا على الناس بالأذية
بأدنى سبب ، وتعرضوا للسكان في منازلهم . فتأتى
منهم الطائفة ويدخلون الدار ، يأمرؤن أهلها
بالخروج منها ليسكنوها . فان لاطفهم الساكن

أرباب الحرف الدنية ، وذهبوا إلى بيت الوزير
والدفتردار ، واستغاثوا وبكوا .. فرفعوا عنهم
الطلب ، وألزموا بها المياسير .

وفيه : قتلوا محمد أغا ، تابع قاسم بيك موسقو
الابراهيمى ، وجعلوه واليا عوضا عن على أغا
الشعراوى .

الجمعة ٢٠ منه (٣١ يولية ١٨٠١ م) :

حضر الوزير إلى الجامع المؤيد ، فصلى به
الجمعة .

وفيه : قبضوا على عرفة بن المسيرى ، وحبس
بيت الوزير بسبب أخيه ابراهيم .. كان شيخ
مرجوش ، وتقيد بقبض فرقة الفرنسيين ، ثم ذهب
إلى المحلة ، وتوفى بها . فغمزوا على أخيه عرفة
المذكور ، وقبضوا عليه وحبسوه ، وأرسلوا فرمانا
إلى المحلة بضبط ماله وما يتعلق به وبأخيه عند
شركائهما . ثم نهوا بيت المذكور .

الثلاثاء ٢٤ منه (٤ أغسطس ١٨٠١ م) :

طلبت ابنة الشيخ البكرى — وكانت ممن تبرج
مع الفرنسيين — بمعينين من طرف الوزير .
فحضروا إلى دار أمها بالجوردية بمد المغرب ،
وأحضروها ووالدها . فسألوهما عما كانت تفعله .
فقلت : « انى نبت من ذلك » . فقالوا لوالدها :
« ماتقول أنت ؟ » . فقال : « أقول انى يرى منها » .
فكسروا رقبتها ! وكذلك المرأة التى تسمى
« هوى » .. التى كانت تزوجت نقولا القبطان ،
ثم أقامت بالقلعة ، وهربت بمتاعها ، وطلبها
الفرنساوية ، وقتل عليها عبد العال ، وهجم بسببها
عدة أماكن — كما تقدم ذكر ذلك — فلما دخل
المسلمون ، وحضر زوجها مع من حضر ، وهو
اسماعيل كاشف ، المعروف بالشامى ، أمنها وطمئنها ،
وأقامت معه أياما . فاستأذن الوزير فى قتلها ،

القديمة . فأخبروا إبراهيم بك . فقال : « الأمر عام لنا ولكم أولكم فقط ؟ » . فقالوا : « لا ندرى » . فسأل إبراهيم بك الوزير المشار اليه ، فقال له : « بل ذلك عام » .

الخميس ٣ منه (١٣ أغسطس ١٨٠١ م) :

نهسوا على العساكر المتداخلة في النكجرية وغيرهم بالسفر .

وفيه : كتبت فرمانات باللغة العربية — بترصيف صاحبنا العلامة السيد اسماعيل الوهبي المعروف بالخشاب — وأرسلت الى البلاد الشرقية والمنوفية والغربية مضمونها : الكف عن أذية النصارى واليهود أهل الذمة . وعدم التعرض لهم وفي ضمنه آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، والاعتذار عنهم بأن الحامل لهم على تداخلهم مع الفرنساوية صيانة أعراضهم وأموالهم .

الجمعة ٤ منه (١٤ أغسطس ١٨٠١ م) :

أحضروا رمة زوجة إبراهيم بك ، وعملوا لها قبرا بجانب أخيها محمد بك أبي الذهب بمدرسه المقابلة للجامع الأزهر ، ودفنوها به .

السبت ٥ منه (١٥ أغسطس ١٨٠١ م) :

ورد الخبر بوفاة أحمد بك حسن ، أحد الأمراء الذين توجهوا صحبة حسين باشا القبطان والفرنساوية . وكان القبطان وجهه الى عرب الهنداى الذين يحلون الميرة الى الفرنسيين المحصورين بسكندرية ، وضم اليه عدة من العسكر فحاربهم وقاتلهم عدة مرار ، فأصابته رصاصة دخلت في جوفه . فرجع الى مخيمه ، ومات من ليلته . وكان يضاهى سيده في الشجاعة والفروسية .

وفيه : أطلقوا للملزمين التصرف في سنة خمس عشرة ، ليقضوا ما لهم وما عليهم من البواقي ، ومال

واعطاهم دراهم .. ذهبوا عنه وتركوه ، وان عائد سبوه وضربوه ... ولو عظيما . وان شككا الى كبيرهم ، قوبل بالتبكي ، ويقال له : « ألا تقسحون لأخوانكم المجاهدين ، الذين حاربوا عنكم ، وأقذوكم من الكفار الذين كانوا يسومونكم سوء العذاب ، ويأخذون أموالكم ، ويفجرون بنسائكم ، وينهبون بيوتكم .. وهم ضيوفكم أياما قليلة ؟ » . فما يسمع المسكين الا أن يكلفهم بما قدر عليه . وان أسعفته العناية ، وانصرفوا عنه بأى وجه ... فيأتى اليه خلافهم ا وان سكنوا دارا أخبروها . وأما القلقات والنكجرية الذين تقيدوا بحارات النصارى ، فانهم كلفوهم أضعاف ما كلفوا به المسلمين ، ويطلبون منهم — بعد كلف المآكل واللوازم — مصروف الجيب ، وأجرة الحمام وغير ذلك .. ١١

وتسلطت عليهم المسلون بالدعاوى والشكاوى ، على أيدي أولئك القلقات ، فيخلصون منهم ما لزمهم بأدنى شبهة ، ولا يعطون المدعى الا القليل من ذلك . والمدعى يكتفى بما حصل له من التشفى والظفر بعدوه .

واذا تداعى شخص على شخص ، أو امرأة مع زوجها ، ذهب معهم أتباع القلق الى المحكمة — ان كانت الدعوى شرعية — فاذا تمت الدعوى ، أخذ القاضى محصوله ، ويأخذ مثله أتباع القلق .. على قدر تحمل الدعوى ا

رسيح الآخر

الثلاثاء غرته (١١ أغسطس ١٨٠١ م) :

أفرج عن عرفة ابن المسيرى ، وصولح عليه بخمسة عشر كيسا . وكتب له فرمان برد منهوباته ، وعدم التعرض لتعلقاته بالمحلة .

الأربعاء ٢ منه (١٢ أغسطس ١٨٠١ م) :

أمر الوزير الوجاقلية بلبس القواويق على عادتهم

الذى كان ولاه الوزير قاضى المسكر بمصر
عن يؤول اليه القضاء باسلامبول .

فلما تولى ذلك حصل منه تمتت في الأحكام
وطمع فاحش ، وضيق على نواب القضاء بالمحاكم
ومنهم من سماع الدعاوى ، ولم يجرمهم على
عوائدهم . وأراد أن يفتح بابا في الأملاك والمقار
ويقول : « انها صارت كلها ملكا للسلطان إلا
مصر قد ملكها الحريون ، وبفتخها صارت ملكا
للسلطان ، فيحتاج أن أربابها يشترونها من الميرى
ثانيا ١١ » .

ووقع بينه وبين الفقهاء المصرية مباحثات
ومناقشات وفتاوى ، وظهروا عليه . ثم تعامل عليه
بعض أهل الدولة وشكوه الى الوزير .. فعزله ،
وقلد مكانه قدسى أفندى قبيب الأشراف بحلب
سابقا . وتقل المعزول متاعه من المحكمة فكانت
مدة ولايته خمسة عشر يوما .

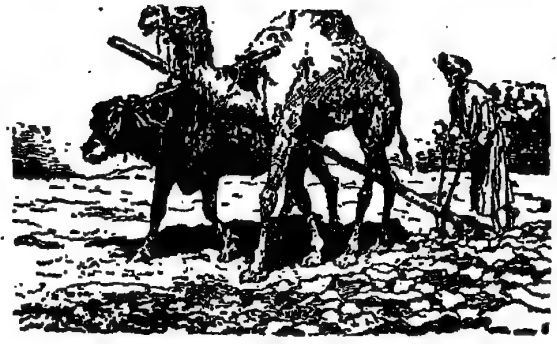
وفى ذلك اليوم أيضا : خلع الوزير على الأمير
محمد بك الأتقى فروة سمور ، وقلده اماره
الصعيد ، وليرسل المال والغلال ، ويضبط موارد
من مات بالصعيد بالطاعون . فبرز خيامه من يومه
الى ناحية الآثار ، واسكن داره بالأزبكية رئيس
أفندى .

وفيه : وصلت قافلة شامية وبها بضائع وصابون
ودخان وحضر السيد بدن الدين المقدسى والحاج
سعودى الحناوى وآخرون . وتراجع سعر الصابون
والتناديل الخليلى والدخان .

وفيه : ورد الخبر بسفر الفرنساوية ، ونزولهم
المراكب من ساحل أبى قير .

الجمعة ١١ منه (٢١ أغسطس ١٨٠١ م) :

لبس الوجاقلية ، والأمراء المصرية ، إزيه من
القواويق المختلفة الأشكال — على عاداتهم
القديمة — حسب الأمر بذلك ، وكذلك الأمراء



فلاح يحرث الأرض

الميرى والمضاف ، ويدفعوا جميع ذلك الى الخزنة...
بأوراق مختومة من ابراهيم بيك وعثمان بيك .

والقصد من ذلك اطمئنانهم بالجباية ، والرجاء
بالتصرف فى المستقبل ، ووعدهم بذلك سنة تاريخه
بعد دفعهم الحلوان . مع أن الفرنساوية لما استقر
أمرهم بمصر ، ونظروا فى الأموال الميرية والخراج
فوجدوا ولاية الأمور يقبضون سنة معجلة ، ونظروا
فى الدفاتر القديمة ، واطلعوا على العوائد السالفة ،
ورأوا أن ذلك كان يقبض أثلاثا مع المراجعة فى رى
الأراضى وعدمه . فاختاروا الأصلح فى أسباب العمار
وقالوا : « ليس من الانصاف المطالبة بالخراج قبل
الزراعة بسنة » . وأهملوا وتركوا سنة خمس عشرة ،
 فلم يطالبوا الملتزمين بالأموال الميرية ، ولا الفلاحين
بالخراج . فتنتفت الفلاحون ، وراج حالهم
وتراجعت أرواحهم ، مع عدم تكليفهم كثرة المغارم
والكلف وحق طرق المعينين ... ونحو ذلك .

الثلاثاء ٨ منه (١٨ أغسطس ١٨٠١ م - ١٣ مسرى
١٥١٧ ق) :

كان وفاة النيل المبارك ، وركب محمد باشا ،
المعروف بأبى مرق المرشح لولاية مصر ، فى صباحها
الى قنطرة السد . وكسروا جسر الخليج بحضرته ،
وفرق العوائد ، وخلق الخلع ، ونشر الذهب
والفضة .

وفيه : عزل الوزير القاضى ، وهو قاضى العرضى

آلاف غرش ... كان أعطاها له نزلة أمين عند حضورهم في العام الماضي لمشتريات النخيرة . ثم قضى الصلح عقيب ذلك ، وخرجوا من مصر ، وبقيت بذمته . فأخبر أن الفرنساوية علموا بها ، وأخذوها منه ، وأعطوه ورقة بوصول ذلك اليهم ... فلم يقبلوا منه ذلك ، وبقي معتقلا .

وادعوا عليه أيضا بتركة الأغا الذي كان نزله ، ومات عنده ، واحتوى على موجوده فأخبر أيضا أن الفرنسيين أخذوا منه ذلك أيضا ، وأعطوه سنداً ... فلم يقبلوا منه ذلك ، واستمر محبوساً .

الاثنين ١٤ منه (٢٤ اغسطس ١٨٠١ م) :

نودى على أن أهل البلدة لا يصاهرون العساكر العثمانية ، ولا يزوجونهم النساء . وكان هذا الأمر كثر بينهم وبين أهل البلد ، وأكثرهم النساء اللاتي درن مع الفرنساوية . ولما حضر العثمانية تحجب وتقفن وتوسط لهن أشباههن من الرجال والنساء وحسنوهن للطلاب ، ورغبوا فيهن الخطاب فأمهروهن المهور العالية ، وأنزلوهن المناصب العالية .

وفي ذلك اليوم أيضا : نودى على أهل الذمة بالأمن والأمان ... وأن المطلوب منهم جزية أربع سنوات ١

وفيه : قصص على جرجى موسى الجيزاوى ، وعمل عليه عشرون كيساً

وفيه : قبض محمد باشا أبو مرق على مقدمه مصطفى الطاراتى ، وصره علقه ، وحجسه ، والزومه ببلغ دراهم .

وفيه سافر الانكليزية الذين بالجيزة والروضة الى جهة الاسكندرية وأشيع أن الحرب قائم بين العساكر والفرنسيين الاسكندرية من يوم الاثنين



بعض الامراء المصرية يزعم

الصناجق . وحضروا في يوم الجمعة بديوان الوزير ونظر اليهم ، وأعجب بهيئاتهم ، واستحسن زيهم ، ودعا لهم وأثنى عليهم ، وأمرهم أن يستمروا على هيتهم ... وذلك على ما هم فيه من التفليس . وغالبهم لا يملك عشاء ليلته ، فضلاً عن كونه يقتنى حصاناً وشنشاراً وخبداً ، ولوازم لا بد منها ، ولا غنى للمظهر عنها ١

وفيه : حضرت جماعة من عسكر القبط الذين كانوا ذهبوا بصحبة الفرنساوية ، فتخلفوا عنهم ، ورجعوا الى مصر .

وفيه : أرسلوا تنبيه للملتزمين بطلب بواقي مال سنة ثلاث عشرة وأربع عشرة ... فاعتذروا بأنهم ممنوعون من التصرف ، فمن أين يدفعون البواقي ؟

الاثنين ١٣ منه (٢٣ اغسطس ١٨٠١ م) :

حبس حسن أغا محرم المنفصل عن الحصة ، وطولب بمائتي كيس ... وذلك معتاد الحصة في الثلاث سنوات التي تولاه أيام الفرنساوية فانه لما تقلد أمر الحصة في أيامهم ، منعوه من أخذ العوائد والمشاهرات من السوق ، وجعلوا له مرتباً في كل يوم يأخذه من الأموال الديوانية نظير خدمته ، وكذلك أتباعه . وطالبوه أيضاً بأربعة



معركة بين الانجليز والفرنسيين في البحر

سابعه . فطلبوا المراكب حتي شح وجودها ، وضاق الحال بالمسافرين . واستمر طلبهم ونزولهم عدة أيام ... وكذلك نبهوا على الكثير من العساكر الاسلامية بالسفر .

الخميس ١٧ منه (٢٧ أغسطس ١٨٠١ م) :

قضت الأوامر بتصرف الملتزمين في البلاد ، وقيدت صيارف من نصارى القبط بالنزول الى البلاد لقبض الأموال في غير أوانها لطرف الدولة .

الجمعة ١٨ منه (٢٨ أغسطس ١٨٠١ م) :

لبس الأمراء الكبار القواويق على رؤوسهم . وفيه : قبض من مصطفى الطاراتي — المعتقل ، المتقدم ذكره — خمسة عشر ألف ريال .. ولم يزل معتقلا . وقيل : انه غمز عليه ، فوجد له في مكان صندوقان ضمنهما ذهب نقد عين .

ومصطفى هذا كان كلارجيا عند قائد أغا حين كان بمصر . فلما خرج الأمراء ، تقيد مقدما عنيد بوابرته . ثم عند كلهر . فلما وقعت الفتنة السابقة ، وظهر يعقوب القبطي ، وتولى أمر الفرقة وجمع المال ... تقيد بخدمته ، وتولى أمر اعتقال المسلمين وحبسهم وعقوبتهم وضربهم . فكان يجلس على الكرسي وقت القائلة ويأمر أعوانه باحضار أفراد المحبوسين من التجار وأولاد الناس ... فيمثل بين يديه ، ويطلبه باحضار ما فرض عليه مما لا طاقة له به ، ولا قدرة له على تحصيله ، فيعتذر بخلو بده ويترجى امهاله ، فيزجره ويسبه ويأمر بضربه . فيبطحونه ويضرب بين يديه ، ويرده الى السجن بعد أن يأمر أحد أعوانه أن يذهب الى داره ، وصحبته الجماعة من عسكر الفرنسيين ، ويهجمون على حريمه ... وأمثال ذلك !

الأحد ٢٠ منه (٣٠ أغسطس ١٨٠١ م) :

وردت أخبار من سكندرية بتملك العساكر

الاسلامية والانجليزية متاريس الفرنساوية ، وأخذهم المتاريس التي جهة العجمي وباب رشيد ، وجانبا من سكندرية القديمة . وتخطت المراكب وعبرت الى المينة ، وأن الفرنساوية انحصروا داخل الأبراج ، وأخذ منهم نحو المائة وسبعين أسيرا ، وقتل منهم عدة وافرة .

ووقعت بين الفريقين مقتلة عظيمة لم يقع نظيرها ، وقتل الكثير من عسكر قبطان باشا ، وكذلك من الانجليز . ثم انجلت الحرب عما ذكر فلما ورد الخبر بذلك ، ضربوا عدة مدافع ، وسر الناس بذلك .

وفيه : ورد الخبر بوصول سليمان صالح الى بليس وصحبته المحمل والحريمات ، وأحضر معه رمة سيده صالح بيك ليدفنها بمصر بالقرافة . فخرج أناس للملاقاتهم ، وأخذوا معهم حمير مكارية لكرأوى النساء ... وهديّة .

الاثنين ٢١ منه (٣١ أغسطس ١٨٠١ م) :

وصل سليمان أغا الى بركة الحاج وصحبته المحمل ونساء الأمراء القادمين من الشام ، ومعه أيضا رمة صالح بيك ليدفنها بقرافة مصر . فخرج الناس للملاقاتهم وأخذوا معهم حمير مكارية لركوب النساء ، وهديات .

المجاورين . والعجب أن الناس من القديم يتمنون أن يقبروا بالأرض المقدسة لكونها عش الأنبياء والصدّيقين . وهؤلاء الثلاثة (١) بالعكس . فها هو الا لتطهيرها منهم !

وفيه : ورد خير باسكندرية باقضاء الحرب . وطلب الفرنسيين الصلح بعد وقوع الغلبة عليهم وهزيمتهم . وأخذ منهم عدة أسرى ، وانحصروا في الأبراج ، فأمّنوهم وأجلوهم خمسة أيام آخرها يوم الخميس سابع عشرته .

وفيه : ألزموا حسن أغا المحتسب بالنقلة من داره — وهو في الحبس — فأرسل الى حريمه وأتباعه ، فانتقلوا الى مكان آخر

وفيه : ورد الخبر أيضا بورود عثمان كتحدا الدولة ... الذي كان بمصر في العام السابق ، وبأشر الحروب بمصر ، وصحبته آخر يقال له شريف أفندي .

السبت ٢٦ منه (٥ سبتمبر ١٨٠١ م)

قدم محمد أفندي المعروف بشريف أفندي الدفتردار ، وقدم بصحبته عثمان كتحدا الدولة وسكن شريف أفندي بدرج الجواميز ، وسكن الكتحدا بمنزل حسن أغا — المحتسب سابقا — بسوق اللالا .

غايته (٨ سبتمبر ١٨٠١ م) :

عمل شنك ومدافع كثيرة ، وذلك لوصول خير بتسليم الاسكندرية . وسبب تأخرهم الى هذه المدة — بعد وقوع الصلح — انتظار الأمر بالانتقال من بونايرته .. وذلك أنه لما وقع الصلح المتقدم ، أرسل ساري عسكر « مينو » تطريدة الى فرنسا بالخبر الى بونابارته ، وانتظر الجواب فورد عليه

(١) « وهؤلاء الثلاثة » : يعني صالح بيك ومن معه من مات بالنجم .

ولودى في عصرته بعمل موكب من الغد ، وطافه الألى جاويش بزيه المعتاد ، وخلفه القابجة وهم يتأدون باللغة التركية بقولهم : « بارن الألى ا » ،

الثلاثاء ٢٢ منه (اول سبتمبر ١٨٠١ م) :

عمل الموكب ، وانجر الألى ، ودخل المخمل من باب النصر ، وشقوا به من الشارع الأعظم وصادف ذلك اليوم يوم مولد المشهد الحسينى ، والأسواق مزينة ، وعلى الحوائيت الشقق الحرير والزردخان والتفاصيل وتعاليق القناديل . ومشى في الموكب رسوم الوجاقلية والأودة باشية وأكثر الأمراء والمشايخ والعلماء وقيوب الأشراف . ونبه على جميع الأشراف تلك الليلة بالحضور في صبح ذلك اليوم للمشى في ذلك الموكب . فمشى كل من كان له عمامة خضراء ... يكبرون ويهللون ، فكانوا عددا كثيرا . وكل من وجنوه بالطريق وعلى رأسه خضار جذبه وسحبوه قهرا ، وأمروه بالمشى . وان أبى ضربه وسبوه ، وبكتوه بقولهم : « ألسنت من المسلمين ا » ، وكذلك تجمع أرباب الأثاير ومشوا على عادتهم بطبولهم وزمورهم وخطاطهم وخرقهم ، وخورهم وصياحهم .. فلم يزالوا حتى وصلوا الى قراميدان . وتسلم المحمل محمد باشا أبو مرق من سليمان أغا الذى وصل به ، ولكونه عوضا عن سيده أمير الحج صالح بيك . ثم صعدوا به الى القلعة ، وأودعوه هناك ، وعملت وقدة وشنك ... تلك الليلة .

وفي ذلك اليوم : شرعوا في فتح باب الفتوح . وكان القصد ادخال المحمل منه لضيق باب الاستثنا الثانى ، الذى جدده الفرنسيون عند باب النصر ، فلم يأت ذلك لمئات البناء . واستبروا ثلاثة أيام يهدمون في البناء الذى على الباب من داخل .. فلم يمكن ..

ودفنوا صالح بيك بتربة أعدت له بقرافة

٥ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠١ م) :

نودى بالزينة ثلاثة أيام : أولها الأربعاء وآخرها الجمعة ... سرورا بتسليم الاسكندرية .
فزينت المدينة ، وعملت الوقفات بالأسواق ،
والمغاني للفرجة ليلا ونهارا . وكل ليلة يعمل شنك
نقوط وسواربخ وبارود ببركة الغرايين المظل عليها
بيت الوزير .

وفيه : حضر نحو ستة أنفار من أعيان الانكليز
وضجبتهم جماعة من العشائية يفرجونهم على
مواطن مزارات المسلمين . فدخلوا الى المشهد
الحسيني وغيره بمداساتهم ، فتفرجوا وخرجوا ا
وفيه : تحاسب السيد أحمد المحروقي مع السيد
أحمد الزرو على شركة بينهما ، فتأخر على الزرو
احدى وعشرون كيسا فالزمه باحضارها ، وجبه
بسجن قواس باشا ، وأمره بالتضييق عليه .

١٠ منه (١٨ سبتمبر ١٨٠١ م) :

لغظ الناس باستمرار الزينة سبعة أيام ، وانتظروا
الاذن في رفع التعاليق ، فلم يؤذن لهم بشيء .
فاستمروا طول النهار في اختلاف وحل وربط . ثم
اذن لهم — قبيل الغروب — برفعها بعد ما عمروا
القناديل . وكان الناس يبيتون سهارى بالحواليت ،
والقلقات يطوفون بالأسواق ، فمن وجدوه نائما ..
نبهوه بازعاج ا

١٢ منه (٢٠ سبتمبر ١٨٠١ م) :

وقع من طوائف العسكر عريضة بالأسواق ،
وتخطفوا أمتعة الناس ، ومن باعة المأكّل كالشواء
والقطير والبطيخ والبلح . فانزعجت الناس ، ورفعوا
متاعهم من الحواليت ، وأخلوا منها وأغلقوها .
فحضر اليهم بعض أكابرهم وراطنهم .. فانكفوا
وراق الحال . وتبين أن السبب في ذلك تأخير
علائقهم . وذلك أن من عادتهم القبيحة : أنه اذا

الأمر بالانتقال والحضور . فمئذ ذلك أنزلوا
متاعهم الى المراكب ، وسافروا الى بلادهم .

جمادى الأولى

فرقة (٩ سبتمبر ١٨٠١ م) :

قرئت فرمانات صحبة عثمان كتخدا ، وفيها
التنويه بذكر أعيان الكتبة الأقباط والوصية بهم ،
مثل جرجس الجوهري وواصف ومالطى ومقدمهم
في تحرير الأموال الميرية .

وفيه : انفصل مولانا السيد محمد ، المعروف
بقداسى أفندى ، عن القضاء . وسافر ذلك اليوم
وذلك براده واستغفائه وطلبه . وتقلد القضاء
عوضه عبد الله أفندى قاضى الميرى وكاتب الجمرى ،
وحضر في ذلك اليوم الى المحكمة .

٣ منه (١١ سبتمبر ١٨٠١ م) :

أفرج عن حسن أغا المحتسب بشفاعة عثمان
كتخدا وحسن أغا وكيل قبطان باشا من غير شيء .
وتوجه الى دار بجوار داره .

وفيه : تجمع النساء والفلاحون والملتزمون
والوجاقلية ببيت الوزير بسبب الالتزام ، والمنع
من التصرف ، وحضور الفلاحين للضيق عليهم
بطلب المال الى ملتزميهم ، ومطالبتهم اياهم بما
قبضوه منهم .

فلما اجتمعوا وصرخوا ، سأل الوزير عن ذلك...
فأخبروه . فأمر بكتابة فرمان بالاطلاق والاذن
للملتزمين بالتصرف . ووجهوا الأمر الى الدفتردار
فكتب عليه ، ثم الى الروزنامجى كذلك . ثم
توجهوا به الى دفتردار الدولة ... فتوقف ، وبقي
الأمر أياما . وذلك أن القوم يريدون أمورا
مبطونة في نفوسهم ، وأطباعا مركوزة في طباعهم .

تأخرت عنهم علائقهم ... فعلوا مثل ذلك بالرعية ،
وآثاروا الشرور . فعند ذلك يطلبون خواطرمهم ،
ويوعدونهم أو يدفعون لهم ا

وفيه : ورد الخبر بتولية محمد باشا خسرو على
مصر — وهو كتحدا حسين باشا القبودان —
فألبس الوزير وكيله خلعة عوضا عنه .

وأشيع عزل محمد باشا أبو مرق وسفره الى
بلاد . وحضر السفار أيضا من جهة رشيد
وسكندرية ، وأخبروا بأن الفرنسية لم يزالوا
بمسكندرية وبندبراتهم على الأبراج ، وأن القبطان
وبهم معه لم يدخلوها ، وإنما يدخلها معهم الانكليزية
وأنهم ينتظرون الى الآن الجواب والأذن من
شيختهم (١) ... وما أشيع قبل ذلك فلا أصل له .
وأما الطائفة الأخرى التى سافرت من مصر ، فانهم
نزلوا وسافروا ، على وفق الشرط ، من أبى قير
كما تقدم .

٢٢ منه (٣٠ سبتمبر ١٨٠١ م) :

وردت مكاتبة من قبطان باشا بطلب عثمان بيك
المراى وعثمان بيك البرديسى وإبراهيم كتحدا
السنارى والحاج سلامة تابعه وآخرين . فسافروا
فى رابع عشرته .

٢٤ منه (٢ أكتوبر ١٨٠١ م) :

فى ليلته : قتلوا شخصا يسمى مصطفى الصيرفى
من خط الصاغة ... قطعوا رأسه تحت داره عند
حانوته . وسبب ذلك أنه كان يتداخل فى نصارى
القبط والذين يتعاطون الفرد ويوزعونها . وتولى
فردة أهل الصاغة وسوق السلاح ، وتجاهر بأمور
تقت عليه ، وأضر أشخاصا . وأغرى به ، فحبس
أياماً ثم قتل بأمر الوزير . وترك مرميا ثلاث ليالٍ
ثم دفن ا

(١) لعله يعنى ملكة إنجلترا .

وفى صبيحة قتله ، طاف المشاعلى بالخطبة
ودواثرها : مثل الجمالية والضبيية والنحاسين وباب
الزهومة وخان الخليلى . فجبى من أرباب الحوانيت
دراهم مابين خمسة أنصاف فضة وعشرة . وعند
شبهه جبى القلقان أيضا مايزيد على المائة قرش .
وذلك من جملة عوائلهم القبيحة .

وفيه : هرب السيد أحمد الزرو ، فلم يعلم له
خبر . وذلك بعدما أطلق بضمانة السيد أسعد وابن
محرم . فكتب الوزير عدة فرمالات ، وأرسلها
صحة هجاة الى جهة الشام ، وختموا على دوره .
ولم يعلم هروبه الا بعد أربعة أيام ، لما داخله من
الخوف بقتل الصيرفى المذكور .

٢٩ منه (٧ أكتوبر ١٨٠١ م) :

عقد إبراهيم بيك الكبير عقد ابنته عدلة هائم
التى كانت تحت إبراهيم بيك الصغير المعروف
بالوالى ، الذى غرق بواقعة الفرنسيس بابابه ...
على الأمير سليمان كاشف — مملوك زوجها
الأول ا — على صداق ألفى ريال .

وحضر العقد الشيخ السادات والسيد عمر
النتيب والفيومى وبعض الأعيان .

فايته (٨ أكتوبر ١٨٠١ م) :

قتل شخص أيضا بسوق السلاح ، وهو من
ناحية المنصورة . وجبى المشاعلى والقلقات دراهم
من أرباب الحوانيت ... مثل ذلك المذكور فيما
تقدم .

وانقضى هذا الشهر وحوادثه التى منها :
الارتباك فى أمر حصص الالتزام ، والمزاد فى المحلول
وعدم الراحة والاستقرار على شئ يرتاح الناس
عليه .

ومثل ذلك : الرزق الإحباسية والأوقاف .

وحضر شخص تولى النظر والتفتيش على جميع

حفظ ولا توهة للناس كعادتهم في البرك والخلجان والمراكب ، وذلك لاشتغال الناس بالهموم المتوالية ، وخصوصا الخوف من أذى العسكر وانحراف طباعهم وأوضاعهم ، وعدم المراكب ، وتخريب الفرنسيين أماكن النزاهة ، وقطع الأشجار ، وتلف المقاصف التي كانت تجلس بها أولاد البلد مثل : دهليز الملك والجسر والرصيف ، وغير ذلك مثل : الكازرولي والمغربى ولاحية قنطرة السد وقصر العيني والقصور .

ومنها : أن محمد بيك المعروف بالمنفوخ الماردى حصل عنده وحشة من قبطان باشا . فحضر الى فاحية الأهرام بالجيزة ، وطلب الحضور عند الوزير يستجيره . فذهب اليه خشدائه عثمان بيك البرديسى... وحادثه ، وأشار عليه بالرجوع الى جهة القبطان . فأقام أياما ثم رجع الى لاحية سكندرية . والسبب في ذلك ما حصل في الواقعة التي قتل بها أحمد بيك الحسينى قيل ان ذلك بنفاقه عليه ، واتضح ذلك للقبطان ، وأحضرت العرب مراسلته اليهم بذلك ، فانحرف عليه القبطان . فلما علم ذلك داخله الخوف ، ثم أرسل اليه الأمراء والقبطان آمانا... فرجع بعد أيام .

ومنها : حضور الجمع الكثير من أهالى الصعيد هروبا من الألفى وما أوقعه بهم من الجور والمظالم ، والتقارير والضرائب والغرائب .

وحضر أيضا الشيخ عبد المنعم الجرجاوى والشيخ الحارث وخلافهم يتشكون مما أنزله على بلادهم . وطلب متروكات الأموات وأحضر ورتتهم وأولادهم وأطفالهم ، ومن توسط أو ضبط أو تعاطى شيئا من القضاة والفقهاء ، وجسهم وعاقبهم وطالبهم ، وطلب استئصال ما بأيديهم ، ونحو ذلك .

كل ذلك بأمر من الدولة ، وغير ذلك معين... فحضرُوا فصالحوا على تركه سليم كاشف بائنين وعشرين ألف ريال ، بعد أن خنموا على دوره...

الأوقاف المصرية السلطانية وغيرها ، ويده دقات ذلك . فجمع المباشرين واستملاهم ، وكذلك كاتب المحاسبة ، وبث الميسين لاحضار النظار بين يديه وحسابهم على الايراد والمصرف ، وأظهر أنه يريد بذلك تعبير المساجد ، واجراء مشروطات الأوقاف . وآخر مثله لتحرير الأوقاف والمساجد الكائنة بالقرى المصرية . وانضمت اليه الأغوات ، وطلب كل من كان له أدنى علاقة بذلك . واستمروا على ذلك بطول السنة .

ثم انكشف الأمر ، وظهر أن المراد من ذلك ليس الا تحصيل الدراهم فقط ، وأخذ المصالحات والرشوات بقدر الامكان بعيد التعنت في التحرير ، والتعامل باثبات المدعى في الايراد والمصرف - خصوصا اذا كان الشخص ضعيفا وليس من أرباب الوجاهة والمتوجهين ، أو يسه وبين الكتبة حرازة باطنية - ثم يحررون دفترا ويحررون الفايط . ثم يطلبون منه ايراد ثلاث سنوات أو أربع .

ولم يزل حتى يصلح على نفسه بما أمكنه ، ثم يختمون له ذلك الدفتر ويتركوله وما يدين : ان شاء عمر ، وان شاء آخر . فان انتهت اليهم بعد ذلك شكوى في ناظر وقف منسبقت له مصالحة... لا تسمع شكوى الشاكى ، ولا يلتفت اليها ! ويسجلون هذا الفعل في كل سنة .

ومنها : زيادة النيل الزيادة المفرطة عن المعتاد وعن العام الماضى أيضا ، حتى غطى الذراع الذى زاده القرساوية على عمود المقياس . فان القرساوية لما غيروا معالم المقياس ، رفعوا الخشبة المركبة على العمود ، وزادوا فوق العمود قطعة رخام مربعة مهندمة ، وجعلوا ارتفاعها مقدار ذراع مقسوم بأربعة وعشرين قيراطا وركبوا عليها الخشبة... فسترها الماء أيضا ، ودخل الماء بيوت الجيزة ومصر القديمة ، وغرقت الروضة . ولم يقع في هذا النيل



الناس يبنون
ما هدمه الفرنسيون

المحتسب ولا غيره . وكذلك من تولى منهم رياسة
حرفة من الحرف ، كالمعمارية أو غيرهم ، قبض من
أهل الحرفة معلوم أربع سنوات ، وتركهم وما
يديئون ، فيسعون كل صنف بمراهم ، وليس له هو
التفات لشيء سوى ما يأخذ من دراهم الشكاوي .
فعلا بسبب ذلك الجبس والجير ، وأجر الفعلة
والبنائين ... خصوصا وقد احتاج الناس لبناء
ما هدمه الفرنسيين ، وما تخرب في الحروب بمصر
وبولاق وجهات خارج البلد ، حتى وصل الأردب
الجبس الى مائة وعشرين نصف فضة ، والجير
بخمسين نصف فضة ، وأجرة البناء أربعين فضة ،
والفاعل عشرين . وأما الفعلة فرخيصة ، وكذلك
باقى الحبوب بكثرتها .. مع أن الرغبة ثلاثة أواق
بنصف ، لما ذكر من عدم الالتفات الى الأحكام
والتسميرات .

جمادى الآخرة

غرة (٩ أكتوبر ١٨٠١ م) :

تفكك الجسر الكبير المنسوب من الروضة
الى الجيزة ، وذلك من شدة الماء وقوته ... فتحلت

بعد أن أزعجوا حريمه وعياله . ولطوا من الحيطان
ثم حضروا الى مصر ... وأمثال ذلك .

ومنها : كثرة تعدى العسكر بالأذية للعامة
وأرباب الحرف . فأتى الشخص منهم ويجلس على
بعض الحوانيت ، ثم يقوم فيدعى ضياع كيسة أو
سقوط شيء منه ، وإن أمكنه اختلاس شيء فعل
أو يبدلون الدنانير الزيوف ، الناقصة النقص الفاحش
... بالدرهم الفضة قهرا ، أو يلاقشون النساء
في مجامع الأسواق ، من غير احتشام ولا حياء .
وإذا صرفوا دراهم أو أبدلوها ، اختلسوا منها
واتشروا في القرى والبلدان ، ففعلوا كل
قبيح ، فتذهب الجماعة منهم الى القرية ويدهم
ورقة مكتوبة باللغة التركية ، ويهملونهم أنهم حضروا
اليهم بأوامر : أما برفع الظلم عنهم ، أو مايتدعونه
من الكلام المزور ... ويطلبون حق طريقهم مبلغا
عظيما ، ويقبضون على مشايخ القرية ويلزمونهم
بالكلف الفاحشة ، ويخطفون الأغنام ، ويهجمون
على النساء ، وغير ذلك مما لا يحيط به العلم .
فطفت الفلاحون ، وحضر أكثرهم الى المدينة ،
حتى امتلأت الطرق والأزقة منهم .

أو يركب العسكرى حمار المكاري قهرا ، ويخرج
به الى جهة الحلاء ، فيقتل المكاري ، ويذهب بالحمار
فيبيعه ساحة الحير ، وإذا انقردوا بشخص أو
شخصين خارج المدينة ، أخذوا دراهمهم ، أو
شلحوهم ثيابهم ، أو قتلوهم بعد ذلك .

وتسلطوا على الناس بالنسب والشتم ،
ويجعلونهم كفرة .. وفرنسيس وغير ذلك .

وتمنى أكثر الناس — وخصوصا الفلاحين —
أحكام الفرنسيين

ومنها : أن أكثرهم تسبب في المبيعات وسائر
اصناف المأكولات والخضارات ، ويبيعونها بما
أحبوا من الأسعار ، ولا يسرى عليهم حكم

رباطاته ، واتزعت مراسيه ، وانتشرت أخشابيه ،
وتفرقت سفنه ، والحدوت الى بحرى .

٢ منه (١٠ اكتوبر ١٨٠١ م) :

حصلت زلزلة في ثالث ساعة من الليل .

٣ منه (١١ اكتوبر ١٨٠١ م) :

قطعوا رأس مصطفى المقدم المعروف بالطاراتى ،
بين المفارق بباب الشعيرة ، وذلك بعد حبسه أياما
عديدة ، وضربه وعقابه حتى تورمت أقدامه ،
وطاف مع المئين عدة أيام يتداين بواقى ما قرر
عليه ، ودخل دارا نافذة ، وأجلس الملازمين له ببابها
يوهم لا يعلمون بنفوذها - وأوهم أنه يريد التدانين
من صاحب الدار ، ونفذ من الجهة الأخرى ، واختفى
في بعض الزوايا . فاستعوقه الجماعة ، ودخلوا الى
الدار ... فلم يجدوه ، وعلموا بنفوذها . فقبضوا
على خدمة الدار وضربوهم ، فلم يجدوا عندهم
علما منه . فاطلقوهم ، وأوقعوا عليه النقص
والتفتيش . فرآه شخص ممن صادره في أيام
الفردة ، فصادفه في صبحها خارج باب القرافة ،
فقبض عليه وأحضره بين يدى جماعة القلق . فدل
عليه فقبضوا عليه وقتلوه بعد القبض عليه بثلاثة أيام ،
وتركوه مرميا تحت الأرجل وسط الطريق وكثرة
الازدحام ثلاث ليال ، وفعلوا عادتهم في جبر
الدراهم من تلك الخطة .

وفيه : ورد فرمان من محمد باشا والى مصر
بأن يتأهبوا لموكبه على القانون القديم . فكتبوا
تنايه للوجاقلية والأجناد بالتهيؤ للموكب .

٤ منه (١٢ اكتوبر ١٨٠١ م) :

وصل شمس الدين بك أمير آخور كبير ، ومرجان
أغا دار السعادة . فأرسلوا تنايه الى الوجاقلية
والأمراء والمشايخ ومحمد باشا وابراهيم باشا .
فاجتمعوا ببيت الوزير ، وحضر المذكوران بعد

الظهر ، فخرج الوزير ولاقاهما من المجلس الخارج ،
فسلماه كيسا بداخله خط شريف ، فأخذه وقبله
وأحضرا له بقعة بداخلها خلعة سمور عظيمة ...
فلبسها ، وسيفا تقلد به ، وشلنج جوهر وضعه
على رأسه ، ودخل صحبتها الى القاعة حيث الجمع ،
ففتح الكيس وأخرج منه الفرمان ، ففتحه وأخرج
منه ورقة صغيرة فسلها لرئيس أفندى فقرأها باللغة
التركية - والقوم قيام على أقدامهم -
مضمونها الخطاب لحضرة الوزير الحاج يوسف باشا
وحسين باشا القبطان والباشات والأمراء والمساكر
المجاهدين ، والثناء عليهم ، والشكر لصنيعهم ،
وما فتحه الله على يديهم ، وأخرجهم الفرنسيين
ونحو ذلك . ثم وعظ بعض الأفندية بكلمات
معتادة ، ودعوا للسلطان والوزير والعساكر
الاسلامية . وتقدم ابراهيم باشا ومحمد باشا
وطاهر باشا وباقي الأمراء ، فقبلوا ذيل الخلعة
وانصرفوا . وضربوا مدافع كثيرة من القلعة
في ذلك الوقت .

وفي ذلك اليوم ، ألبس الوزير الأمراء والبلاط
فراوى وخلعا وشلنجات ذهب على رؤوسهم .

وفيه : حضرت أطواخ بولاية جدة لمحمد باشا
توسون أغات الجبجية ... وهو السان لا بأس به .
وفيه : حضر القاضى الجديد من الروم ووصل
الى بولاق ، وهو صاحب المنصب ، فأقام ثلاثة
أيام وصحبه عياله وحرمه .

٨ منه (١٦ اكتوبر ١٨٠١ م) :

حضر بموكبه الى المحكمة ، وذهب اليه الأعيان
في صبحها ، وسلموا عليه ، وله مسيس بالعلم

١١ منه (١٩ اكتوبر ١٨٠١ م) :

عمل الوزير الديوان ، وحضر عنده الأمراء ،
فقبض على ابراهيم بك الكبير وباقي الأمراء ،

وورد الخبر بوصول كسوة للكعبة من حضرة
السلطان .

١٩ منه (٢٧ أكتوبر ١٨٠١ م) :

حضر واحد أفندي وآخرون وصحبته الكسوة ،
فنادوا برورها في صباح اليوم التالي .

٢٠ منه (٢٨ أكتوبر ١٨٠١ م) :

ركب الأعيان والمشايخ والأشايخ وعثمان كتحدا
— المنوه بذكره — لامارة الحج ، وجمع من
الجاويشية والعساكر والقاضي وقيب الأشراف
وأعيان الفقهاء . وذهبوا الى بولاق وأحضروها
وهم أمامها . وفردوا قطع الحزام المصنوع من
المخيش ثلاث قطع ، والخسة مطوية . وكذلك
البرقع ومقام الخليل ... كل ذلك مصنوع بالمخيش
العال ، والكتابة غليظة مجوفة متقنة ، وباقي
الكسوة في سحاحير على الجبال وعليها أغطية
جوخ أخضر . ففرح الناس بذلك ، وكان يوما
مشهودا .

وأخبر من حضر أنه عندما وصل الخبر بفتح
مصر ، أمر حضرة السلطان بعملها فصنعت في ثلاثين
يوما . وعند فراغها أمرهم بالسير بها ليلا . وكان
الريح مخالفا ، فعندما حلوا المراسي اعتدل الريح
بشيئة الله تعالى . وحضروا الى اسكندرية في
أحد عشر يوما .

وفيه : وردت الأخبار بأن حسين باشا القبطان
لم يزل يتخيل وينصب الفخاخ للأمرء الذين عنده ،
وهم محترزون منه ، وخائفون من الوقوع في
حباله . فكانوا لا يأتون اليه الا وهم متسلحون
ومحترزون ، وهو يلاطفهم ويبش في وجوههم ..

الى أن كان اثنى عشر الموعود به ، عزم عليهم في الغليون
الكبير الذي يقال له « ازج عنبرلى » . فلما طلعوا
الى الغليون وجلسوا ، فلم يجدوا القبودان ،
أصموا بالسر . وقيل انه كان بصحبته ، فحضر

الضناجق وحبسهم . وأرسل طاهر باشا بطائفة
من العسكر الأرثوود الى محمد بيك الأتلى
بالصعيد ، وكان أشيع هروبه الى جهة الواحات .
وذهبت طائفة الى سليم بيك أبى دياب ، وكان
مقيما بالمنيل . فلما أخذ الخبر ، طلب الهرب وترك
حمله . فلما حضرت العسكر اليه فلم يجدوه
نهبوا القرية ، وأخذوا جماله وهي نحو السبعين ،
وهجنه وهي ليف وثلاثون هجينا ، وذهبت اليه
طائفة بناحية طرا فقاتلهم ، ووقع بينهم بعض قتلى
ومجاريح . ثم هرب الى جهة قبلى من على الحاجر .
ووقعت طائفة العسكر والأرثوود بالأخطاط
والجهات وخارج البلد يقبضون على من يصادفونهم
من المماليك والأجناد .

ونودى في ذلك اليوم بالأمن والأمان على
الرعية والوجاقلية . وأطلق الوزير مرزوق بيك
ورضوان ، كتحدا ابراهيم بيك ، وسليمان آغا
كتخدا ، المسمى بالحنفى . وأحاطت العسكر بالأمرء
المتقلين ، واختفى باقيهم ، ونودى عليهم وبالتواعد
لمن أخفاهم أو آواهم . وباتوا بليلة كالت أسوأ
عليهم من ليلة كسرتهم وهزمتهم من الفرنسيين ،
وخاب أملهم ، وضاع تعبهم وطعمهم . وكان في
ظنهم أن العثملى يرجع الى بلاده ، ويترك لهم
مصر ، ويعودون الى حالتهم الأولى ، يتصرفون
في الأقاليم كيفما شاءوا . فاستمروا في الحبس ،
ثم تبين أن سليم بيك أبى دياب ذهب الى عند
الانكليز والتجأ اليهم بالجيزة . وألبس الوزير
سليمان آغا تابع صالح آغا ، زى العثمانيين وجعله
سلخور ، وأمره أن يتنصبا ليمسافر الى اسلامبول
في عرض الدولة .

١٧ منه (٢٥ أكتوبر ١٨٠١ م) :

مسافر اسماعيل أفندي شقبون ، كاتب حوالة ،
الى رشيد باستدعاء من الباشا والى مصر .

اليه رسول وأخبره أنه حضر معه ثلاثة من السعاة
بمكاتبة . فقام ليرى تلك المراسلة . فما هو الا
أن حضر اليهم بعض الأمراء ، وأعلمهم أنه ورد
خط شريف باستدعائهم الى حضرة مولانا
السلطان ، وأمرهم بنزع السلاح . فأبوا ، ونهض
محمد بيك المنفوخ وسل سيفه وضرب ذلك الكبير
ققتله . فما وسع البقية الا أنهم فعلوا كفعله وقاتلوا
من بالغليون من العساكر ، وقصدوا الفرار . فقتل
عثمان بيك المرادى الكبير وعثمان بيك الأشقر
ومراد بيك الصغير وعلى بيك أيوب ومحمد بيك
المنفوخ ومحمد بيك الحسينى — الذى تأمر عوضا
عن أحمد بيك الحسينى — وإبراهيم كتحدا
السنارى . وقبض على الكثير منهم وأنزلوهم
المراب . وفر البقية مجروحين الى عند الانكليز ،
وكانوا واقعين عليهم من ابتداء الأمر ، فاغتاز
الانكليز وانحازوا الى اسكندرية ، وطردوا من
بها من العثمانيين ، وأغلقوا أبواب الأبراج . وحضر
منهم عدة وافرة ، وهم طواير بالسلاح والمدافع ،
واحتاطوا بقبطان باشا من البر والبحر . فتهيبا
عساكره لحربهم .. فمنعهم ، فطلب الانكليز بروزه
بعساكره لحربهم . فقال : « لم يكن بيتنا وبينكم
حرب » . واستمر جالسا فى صيوانه . فحضر اليه
كبير الانجليز وتكلم معه كثيرا ، وصمم على أخذ
بقية الأمراء المسجونين ... فأطلقهم له فتسلمهم ،
وأخذ أيضا المقتولين ونقل عرضى الأمراء من
محطتهم الى جهة اسكندرية ، وعملوا مشهدا

للقتل مثنى به عساكر الانكليز على طرفتهم فى
موتى عظمائهم .

ووصل الخبر الى من بالجيزة من الانجليز ...
وذلك ثانى يوم من قبض الوزير على الأمراء
ففعّلوا كفعّلهم ، وأخذوا حذرهم ، وضربوا بعض
مدافع ليلا ، وشرعوا فى ترتيب آلة الحرب .

وفى ذلك اليوم ، طلع محمد باشا طوسون والى
جدة — الساكن بيت طرا — الى القلعة ، وصعد
معه جملة من العسكر ، وشرعوا فى نقل قمع ودقيق
وقومانية ، وملأوا الصهاريج . وشاع ذلك بين
الناس فارتاعوا ، وداخلهم الوسواس من ذلك
واستمروا ينقلون الى القلعة مدافع وبارودا وآلات
حرب .

٢٤ منه (١ نوفمبر ١٨٠١ م) :

حضر كبير الانكليز الذى بالجيزة ، فالبسه
الوزير فروة وشلنجا .

وفى ذلك اليوم ، خلع الوزير على عثمان آغا
المعروف بـ « قبي كتحدا » وقلده على أمانة الخنج .
وفى ذلك اليوم ، وقع بين عسكر المغاربة
والانكشارية فتنة ، ووقفوا قبالة بعضهم ما بين
الغورية والفحامين ، وأغلقت الناس حوانيتهم بسوق
الغورية والعقادين والصاغة والنحاسين . ولم يزالوا
على ذلك ، حتى حضر أغات الانكشارية ، وسكنت
الفتنة بين الفريقين .



الغليون لبطان باشا والقوارب تحيط به



قتال بين المغاربة والانكشارية

٢٧ منه (٤ نوفمبر ١٨٠١ م) :

مروا برفة عروس بسوق النحاسين ، وبها بعض انكشارية ، فحصلت فيهم ضجة ، ووقع فيهم فشل . فخطفوا ما على العروس وبعض النساء من المصاغ المزينات به . وفي أثناء ذلك مر شخص مغربي ، فضربه عسكري رومي بإرودة ... فسقط ميتا عند الأشرفية . فبلغ ذلك عسكر المغاربة ، فأخذوا سلاحهم ، وسلوا سيوفهم ، وهاجت حماقتهم ، وطلعوا برمحون من كل جهة وهم يضربون البندق ويصرخون .

فأغلقت الناس الحوائث ، وهرب قلق الأشرفية بجبالته ، وكذلك قلق الصنادقية ، وفزعت الناس ولم يزلوا على ذلك من وقت الظهر الى الغروب . ثم حال بينهم الليل . وقتل من المغاربة أربعة أشخاص ، وأصبحوا محترسين من بعضهم .

فحضر أغات الانكشارية على تخوف ، وجلس بسبيل الغورية ، وحضر الكثير من عقلاء الانكشارية وأقاموا بالغورية ، وحوالى جهة الكعكيين والشوائين ... حيث سكن المغاربة .

واستمر السوق مغلوقا ذلك اليوم ورجعت القلقات الى مراكزها . وبردت القضية ، وكأنهم اصطلحوا . وراحت على من راح !

وأنقضى هذا الشهر بحوادثه التي منها : استمرار نقل الأدوات الى القلعة ، وكذلك مراكز باقى القلاع ... مع أنهم خربوا أكثرها . ومنها : زيادة تعدى العسكر على السوق والمحترفين والنساء ، وأخذ ثياب من ينفردون به من الناس في أيام قليلة .

ومنها : استمرار مكث النيل على الأرض وعظم

لا غرض له في الذهاب الى مخالفي الدين فحزم عليه ووعده خيرا ، وعاهدتهم ، وحلفهم . فنزلوا وركبوا من عنده في الصباح ، وما صدقوا بالخلاص ، وعدوا الى الجيزة ، وذهبوا الى عند الانكليز ، فتبعهم اتباعهم ومواليهم يرمحون اليهم ويلحقون بهم . فأقاموا هناك ، ولم يرجعوا . فانتظر الوزير رجوعهم خمسة أيام ، وأرسل اليهم يدعوهم الى الرجوع حكم عهدهم . فامتنع ابراهيم بيك وتكلم بما في ضميره من قهره من الوزير وخيائته له .

١٤ منه (٢٠ نوفمبر ١٨٠١ م) :

عملوا جمعية بيت الشيخ السادات ، واجتمع المشايخ والوجاقلية . وذلك بأمر من الوزير . وأرسل اليهم مكتابة وفي ضمنها النصيحة والرجوع الى الطاعة . فأرسلوا في جواب الرسالة يقولون : « انهم ليسوا مخالفين ، ولا عاصين ، وانهم مطيعون لأمر الدولة . وانما تأخرهم بسبب خوفهم ... وخصوصا ما وقع لآخوانهم باسكندرية . وانهم لم يذهبوا الى عند الانكليز ، الا لعلمهم أنهم عسكر السلطان ، ومن المساعدين له على أعدائه . ومتى ظهر لهم أمر يرتاحون فيه ... رجعوا الى الطاعة » . ونحو ذلك من الكلام .

٢٧ منه (٣ ديسمبر ١٨٠١ م) :

حضر عابدى بيك ، لسبب مولانا الوزير ، فخرج اليه غالب أغيان العثمانية والجاوشية ، وظاهر باشا وعسكر الأرثوود ... وتلقوه . ودخل بحمله في موكب جليل . وكان حضرة الوزير حاصلا عنده توعك ، وغالب أوقاته محتجب عن ملاقة الناس . وفيه : ورد الخبر بسفر قبطان باشا من ساحل أبى قير الى الديار الرومية في منتصف الشهر . وأما محمد باشا الوالى على مصر ، فانه لم يزل مقيما بأبى قير . وحضر خازن داره وسكن بيت البكرى بالأزبكية

هبوطه ، حتى دخل شهر هاتور ، وفات أوار الزراعة ، وعدم تصرف الملتزمين ، وهجاج الفلاحين من الأرياف ، لما نزل بهم من جور العسكر وعسفهم في البلاد ، حتى امتلأت المدينة من الفلاحين ، ونودى عليهم عدة مرار بذهابهم الى بلادهم .

ومنها : أن الوزير أمر المصرية بتغيير زيهم ، وأن يلبسوا زى العثمانية . فلبس أرباب الأقاليم والأفندية والقلقات القواويق الخضراء والمعتبرات ، وضيقوا أكمامهم . ولبس مصطفى أغا - وكيل دار السعادة سابقا - وسليمان أغا - تابع صالح أغا - وخلافهما .

رجب

٢ منه (٨ نوفمبر ١٨٠١ م) :

سافر سليمان أغا ، تابع صالح أغا ، الى اسلامبول . وفيه : أمر الوزير الأمراء المحبوسين بأن يكتبوا كتابا الى الانكليز بأنهم أتباع السلطان ، وتحت طاعته وأمره ، ان شاء أبقاهم في امارتهم ، وان شاء قلدهم مناصب في ولايات أخرى ، وان شاء طلبهم يذهبون اليه ، فلا دخل لكم بيننا وبينه .. وكلام في معنى ذلك . فأرسلوا يقولون ان هذا الكلام لاعبرة به ، فالهم مسجونون وتحت أمركم ، ومكتوب المتهور المكره لا يعمل به . فان كان ولا بد فأرسلوهم الينا لنخاطبهم ونعلم ضميرهم ، وحقيقة حالهم .

٩ منه (١٥ نوفمبر ١٨٠١ م) :

أحضر الوزير ابراهيم بيك والأمراء وأعلمهم أن قصده إرسالهم الى بر الجيزة عند الانجليز ليتفحصوا ذلك اليوم ، ويخبروهم أنهم مطيعون للسلطان ، وتحت أوامره . وأن المراسلة التي أرسلوها عن طيب قلب منهم . وليسوا مكرهين في ذلك . فأظهر ابراهيم بيك التمتع عن الذهاب ، وأنه

شعبان

غرفته (٧ ديسمبر ١٨٠١ م) :

حضر يوسف أفندى ، وييده مرسوم بولايته على نقابة الأشراف . فبات ببولاق ، وأرسل ناسا يعلمون بحضوره . فلم يخرج لملاقاته أحد . ثم ان بعض الناس أحضر اليه فرسا فركبه في ثاني يوم ، وحضر الى مصر ، وأشاع أنه متولى نقابة الأشراف ومشيخة المدرسة الجبانية .

وخبر ذلك الانسان : أنه كان يبيع الخردة واليبيش بخانوت بخان الخليلي ، وهو من متصوفة الأتراك الذى يتعاطون الوعظ والاقراء باللغة التركية . فمات شيخ رواق الأروام بالأزهر . فاشتقت نفسه للمشيخة على الرواق المذكور ، فتولاهم بمعونة بعض سفهائهم .

فنقم عليه الطائفة أمورا ، واختلاسات من الوقف ، فتمصبا عليه وعزلوه ، وولوا مكانه السيد حسين أفندى — المولى الآن — فحقق من ذلك ، وداخله قهر عظيم وحقد على حسين أفندى المذكور ، وأضر له في نفسه المكروه . فدعاه يوما الى داره ، ودس له سما في شرابه فتجاه الله من ذلك . وشربت ابنة يوسف أفندى الداعي تلك الكاسة المسمومة غلطا وماتت ، وشاع ذلك ، وتواترت حكاياته بين الناس . ورجع كيده عليه ، وذاق وبال أمره كما قيل :

ومن يحترق بئرا ليقع غيره

سيوقع بالبئر الذى هو حافر

ثم انه سافر الى اسلامبول ، وأقام هناك مدة اقامة الفرنسيين بمصر . ولم يزل يتحيل ويتداخل في بعض حواشي الدولة ، وأعرض بطلب النقابة ومشيخة الجبانية ، فأعطوه ذلك لعدم علمهم بشأنه ، وظنهم أنه أهل لذلك ، بقوله لهم : انه كان شيخا على الأزهر ومعرفة بالعلم .

فلما حصل بمصر ، وظهر أمره ، تجمعت أعيان الأشراف وقالوا : « لا نكون هذا حاكما ولا نقيبا علينا أبدا » . وتنقل خبره ، وظهر حاله لا كابر الدولة ، وحضرة الصدر الأعظم فلم يصغوا اليه ، ولم يسعفوه ، وأهمل أمره . وهكذا شأن رؤساء الدولة أدام الله بقاءهم ، اذا تبين لهم الصواب في قضية ، لا يعدلون الى خلافه .

وفيه من الحوادث : أنه تقيد بأبواب القاهرة بعض من نصارى القبط ، ومعهم بعض من العسكر . فصاروا يأخذون دراهم من كل من وجدوا معه شيئا ، سواء كان داخلا أو خارجا ، بحسب اجتهدهم ، وكذلك ما يجلب من الأرياف . وزاد تعديهم ... فعم الضرر ، وعظم الخطب ، وعلت الأسعار . وكل من ورد بشيء يبيعه يشتط في ثمنه ، ويحتج بأنه دفع عليه كذا وكذا من دراهم المكس . فلا يسع المشتري الا التسليم لقوله ، والتصديق له وقبول عذره .

والسبب في ذلك ، أن الذين تقيدوا بديوان العشور بساحل بولاق ، دس عليهم بعض المتقيد من معهم من الأقباط بأن كثيرا من المتاجر التى يؤخذ عليها العشور ، يذهب بها أربابها من طريق البر ، ويدخلون بها في أوقات النفلة تحاشيا عن دفع ما عليها وبذلك لا يجتمع المال المقرر بالديوان ، فيلزم أن يتقيد بكل باب من يترقب لذلك ويرصده ويأخذ ما يخص الديوان من ذلك . فأذن كبراء الديوان بذلك ، فاقتح لهم بذلك الباب فولحوه ، ولم يحسبوا للعاقبة من حساب . وزادوا في الجور والفضائح ، وأظهروا ما في نفوسهم من القبايح . فساءت الظنون ، واستغاث المستغثون ، وأكثر سخاف الأحلام مما لا طائل تحته من الكلام ، كما قيل في هذا المعنى :

وكننا نستطب اذا مرضنا

فصار الداء من قبل الطبيب

المصرية ، كل قبيلة لها منزلة مخصوصة بهم ،
لا ينازعهم فيها غيرهم .

« ومنزلة البحيرة من قديم الزمان منزلكم . فبحسب التماسكم من مراحم دولتنا العلية ا قد أقررناكم في منازلكم المزبورة كما كنتم قديما تازلين بها من غير منازع لكم ... بالشروط التي تعهدتم بها ، وقبلتموها في حضور صدرنا الأعظم ، وكتبتم بها سندا عليكم . وهى أن توفوا بعدم التعدى وايصال الرزية والمضرة ، ولو مقدار ذرة ، الى الرعايا ودبة خالق البرايا ، والمحافظة على الطرقات ، وعدم اتلاف شئ من مزروعات أهل البلاد ، واضاعة مواشيهم ، وألا تسكنوا عندكم شقيا من اللصوص وقطاع الطريق ، ونهب أموال الناس ، وقتل النفوس بغير حق شرعى .

« وقد نذرتكم على أنفسكم أنه متى اختل شرط من هذه الشروط المذكورة ، تقومون بدفع مائتى ألف قرش الى خزينة مصر .

« فبناء على ذلك ، أصدرنا فرمانا الشريف وأمرنا العالى المنيف ، ليكون معلومكم أنه من قاعدة الديار المصرية كل قبيلة من العريان لها منزلة تنزليا مخصوصة بها . وقد أقررناكم في منازلكم القديمة في قياى البحيرة وقدافدها بالشروط السابقة الذكر ، التي التزمتوها ، والنذور التي قبلتموها ، وتعهدتم بها ، وكتبتم على أنفسكم سنداً أنه متى اختل شرط

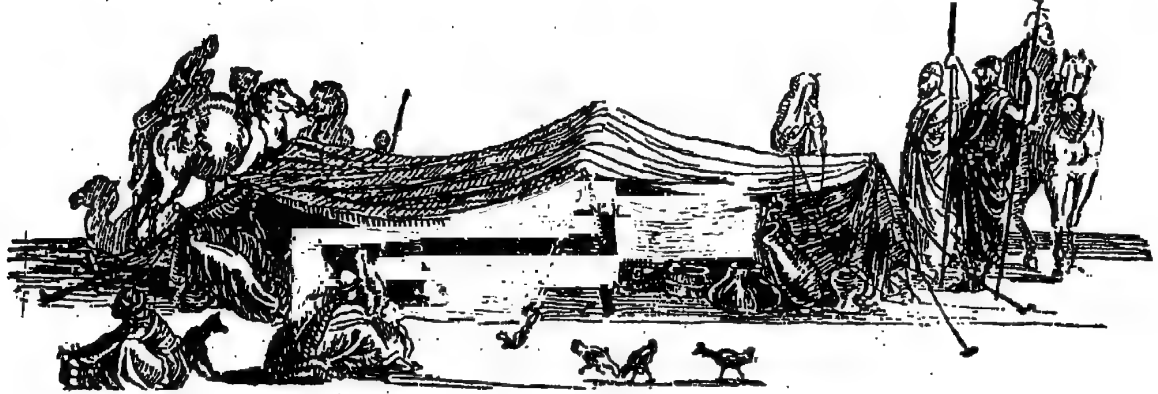
الى أن زاد التشكى ، وأنهى الأمر الى الوزير ، قامر بإبطال ذلك ، وانجلت تلك الغمة .

وفيه أيضا : أعرض طائفة القباية وتشكروا منا زتب عليهم من الجبرك السنوى . فأطلق لهم الأمر برفعه عنهم .

وفيه : قبضوا على رجل من المفسدين بأقليم المنوفية يقال له راضى النجار ، وأحضروه الى مصر وقطع رأسه بالرميلة .

وفيه : كتب فرمان الى ناحية البحيرة وصورته

« صدر فرمان العالى السلطاني ، وأمرنا الجليل الخاقانى ... الى قدوة النواب المتشرعين نائب البحيرة زيد علمه ، والى كامل المشايخ من عريان الهنادى والأفراد والجمعيات والبهجة وبنى عونة عموما — زيد فى عشيرتهم — بعد وصول التوقيع الرفيع الهمايولى الحكيمى : تحيطون علما أنكم أنهيتكم الى ديواننا الهمايولى ، أنكم من قديم الزمان منازلكم أبا عن جد فى قياى البحيرة وقدافدها ، وأنكم تحت قدم الطاعة والمحافظة للرعايا والطرقات الواقعة بناحية البحيرة ، والتستم من غواطف مراحم سلطنتنا السنية ، ودولتنا الخاقانية ، استقراركم فى منازلكم القديمة كما كنتم ، حكم السنين الخوالى . فحيث انه جرت العادة أن قبائل العريان فى الديار



خيمة البدو

من الشروط المذكورة ، بعد بيان دفعكم المائتي ألف قرش ، يكون اخراجكم من البحيرة وبلادها وقيامها ، والطلوع من حقكم .

« فاعملوا بموجب مضمون أمرنا الشريف كما هو مشروح ، وتجنبوا خلاف ما هو مسطور وموضح .. اعلوه ، واعتمدوه غاية الاعتماد .

« والحذر ثم الحذر من المخالفة ا » .

وكتب بمضمونه حجة ، وأمضى عليها قاضي العسكر ، وقيدت بالسجل ، وهى من انشاء صاحبنا اللبيب الأديب ، الناظم النائر ، جامع فضائل المآثر السيد اسماعيل الشهير بالحشاب ، ونصه : « لما ورد الفرمان الشريف الواجب القبول والاحلال والاعظام والتشريف ، اليانة أزاهر رياض فصاحته ، المحلاة بمقود البلاغة أجياد معانى عبارته ، المشتل على فصول من الترغيب والترهيب ، التى يعجز كل بليغ لبيب عن سلوك أسلوبها العجيب ، من حضرة مولانا الصدر الأعظم ، والمشير المفحم ، عضد الدولة العلية ولسانها ، وحسامها الماضى وسنانها ... من انجلى عنا ظلام الشرك بصباح غرته السنية واشراق ضياء حسن سيرته المرضية ، مولانا الوزير يوسف باشا — بلفه الله من المرادات ما شاء — خطبا الى سائر الحكام والمشرعين والنواب وسكان اقليم البحيرة من قبائل الأعراب ، ومن التحق بهم من الأبناء والذرارى والعشائر المنجمين معهم فى تلك القدافد والبرارى ، وما تضمنه من تأمينهم فى منازلهم وأوطانهم وعشيرتهم وجيرانهم ، والنظر اليهم بعين الإحسان والرعاية وإدخالهم سرادق الحفظ والوقاية ، بشرط أن يكونوا على قدم الطاعة ، وأن يسلكوا سبيل السنة والجماعة ، وأن يتجنبوا الخلاف ، ويعاملوا من يرهم بالأكرام والاعزاز والانصاف ، واردين مشرب الوفاق بالاتفاق ، غير مثيرين للفتن والنزاع والشقاق ، وأن لا يتجمعوا على الضلال ويتحزبوا ، ولا يقطعوا الطريق على من يمر بهم

ويتعصبوا » الما جزء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا . « وأقطع حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار اليه — خلد الله جزيل نعمه وفضله عليه — كل قبيلة منهم منازلهم المخصوصة بهم المهودة ، وأغلبهم بظلال أمانه الظليلة المدودة حين التمسوا ذلك من مراحم دولته ، وعوارف عواطف رافته ... بعد التزامهم بما سلف من الشروط ، على الوجه المشروح المحرر المضبوط . وعلى أنهم ان عصوا أمره وخالفوه ، ونسوا ما تلى عليهم أو نسخوه ، أو قطعوا الطريق ولهبوا الأموال ، أو آووا شقيامن يفعل ذلك بحال من الأحوال — أخذتهم صاعقة العذاب الهون ، وحل بهم من البلاء مالا يطيقون ، ووقعوا من غضب هذه الدولة العلية عليهم فى العذاب الشديد ... « ذلك بما قدمت أيديهم وأن الله ليس بظلام للعبيد » .. بعد أن تسلب أموالهم ، ويتلاشى حالهم ، حتى يصيروا لا عين ولا أثر ، ولا مخبر ولا خبر ، ولا معالم ولا معاهد ، ولا مشارع ، ولا موارد ... جزء بما أسلفوا ، وعقابا على ما اقترفوا اذا خالفوا ا

« وعاهد رؤساءهم حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار اليه على ما تقدم ذكره . وكتب لهم بذلك التوقيع السلطانى ، والأمر الخاقانى ، المتضمن لما تقدم من المعانى ، المتوج بالعلامة الشرفية ، والطرة السلطانية المنيفة . المبدأ بذكره ، المؤرخ بتاريخه . « وحضر به الى حضرة مولانا شيخ الاسلام المومى اليه أعلاه ، كل من فلان وفلان ، وهم مشايخ عربان البحيرة المرقومون .

« ولما تأمل فيه ، وأحاط علمه الكريم ببديع معانيه ، ونزه طرفه فى رياض فصوله ، ورآه جاريا على قواعد الشرع وأصوله ، والتمس منه الجماعة المذكورون كتابة حجة متضمنة لقواه ، مؤكدة له ، مقوية لعناه ... أمر بكتابة هذا المرسوم ، على

الوجه المشروح المرقوم وقيد ذلك بالسجل
المحفوظ ليراجع عند الاحتياج اليه ، والاحتجاج
به .

٥ منه (١١ ديسمبر ١٨٠١ م) :

نزل محمد باشا تومسون والى جدة من القلعة
فى موكب ، وتوجه الى العادلية ، قاصدا السفر
الى جدة .

٩ منه (١٥ ديسمبر ١٨٠١ م) :

قبضوا على ثلاثة من النصارى الأروام المتزين
بزي العساكر الانكشارية ، ويعملون القبائح
بالرعية فرموا رقابهم : أحدهم بالدرب الأحمر ،
والثانى بسوق السلاح عند الرفاعى ، والثالث
بالرميلة .

١٠ منه (١٦ ديسمبر ١٨٠١ م) :

ايضا قطعوا رأس على جلبى ، تابع حسين أغا
شهن ، بباب الخرق ، بين المفارق بأمر من الورير .
والسبب فى ذلك أن المحوم يوسف باشا المذكور
الكبير ، المتوفى بالمدينة المنورة — على ساكنها
أفضل الصلاة والسلام — كان أودع عند حسين
أغا شهن وديعة : فلما ملك الفرنسيين مصر ، وجرى
ما جرى من ورود العرضى ، والصلح وتقضيه .
فاعتقد قصار العقول ، أن الأمر انتهى للفرنسيين ،
فتجاوزوا الحد ، وأغروا ببعضهم ، وتتبعوا
العورات ، وكشفوا عن المستورات ، ودلوا
الفرنسيين على المخبات ، وتقربوا اليهم بكل
ما وصلت اليه همتهم ، وراجت به سلعتهم ا

والمساكين المقتول ، مد يده الى بعض ودائع
سيده فاختمت منها ، وتوسع فى نفسه ، وركب
الخيول ، واتخذ له خدما ، وتداخل مع الفرنسيين
وحواشيهم . فاستخفوا عقله ، فاستفسروا منه .
فأخبرهم بالودائع والحبايا ، فاستخرجوها ونقلوها

— وكانت شيئا كثيرا جدا — وأظهر أن ذلك لم
يكن بواسطته ، ليوارى ما اختلسه لنفسه ،
ويكون له عذر فى ذلك .

فلما حضر له سيده صحبة العرضى ، ذهب اليه
وتملق له ، وربط فى رقبته منديلا فأهمل أمره
الى هذا الوقت ، حتى اطمأن خاطره . ثم انه أحير
بقصته الوزير ، لعلمه أنه سيطالب بوديعة يوسف
باشا . فأمره بأن يرفع قصته الى القاضى ، ويثبت
تلك الدعوى ، لتبرأ ساحته عند الدولة ... ففعل ،
ثم أمر الوزير بقتل على جلبى المذكور . فقتل
وترك مرميا ثلاثة أيام بليلها .

رصدان

غرقه (٥ يناير ١٨٠٢ م) :

لم يعمل فيه شنك الرؤيا على العادة ، خوفا من
عريضة العساكر . والمحاسب كان غائبا ، فركب
كتحداه بدلا عنه بموكبه فقط . ولم يركب معه
مشايخ الحرف فذهب الى المحكمة ، وثبت الهلال
تلك الليلة . ونودى بالصوم من الغد .
وفيه : أمر الوزير محمد باشا العربى بالسفر
الى البلاد الشامية فبرز خيامة الى خارج باب
النصر ، وخرج هو فى ثالثه وسافر وأشيع سفر
الوزير أيضا . وذلك بعد أن حضرت أجوبة من
الباب الأعلى .

٣ منه (٧ يناير ١٨٠٢ م) :

ارتحل محمد باشا المذكور .

٥ منه (٩ يناير ١٨٠٢ م)

اتقل رئيس أفندى من بيت الألفى وسكن فى
بيت اسماعيل بيك ، وشرعوا فى تعميره واصلاحه
لسكن والى مصر .

١٢ منه (١٦ يناير ١٨٠٢ م)

وصل محمد باشا والى مصر الى شلقان .

١٢ منه (١٧ يناير ١٨٠٢ م) :

ضربت عدة مدافع من الجيزة صباحاً ومساءً .
فقتل الله حضر ستة قتاصل الى الجيزة .

١٥ منه (١٩ يناير ١٨٠٢ م) :

حضر القناصل المذكورون الى بيت الوزير
وقابلوه . فخلع عليهم خلصاً ، ورجعوا الى
أماكنهم بالجيزة .

وفي ذلك اليوم : وصل محمد باشا والى مصر
الى جهة بولاق ، ونصب وطاقه بالقرب من المكان
المعروف بالحلى . ثم انتقل الى جهة قبة النصر .

١٧ منه (٢١ يناير ١٨٠٢ م) :

وصل الى المدينة من باب النصر في موكبه
وظوائفه ، على غير الهيئة المعتادة ، ولم يلبس
الطلخان تأديبا مع الوزير ، لحصوله بمصر . فتوجه
الى بيت الوزير وأفطر معه .

وفي تلك الليلة : عزل خليل أفندى الرجائى
من دفتردارية الدولة ، وقلد عوضه حسن أفندى
باش محاسب . وسببه : أن الوزير طلب خلصاً
ليخلعها على والى مصر ، وقناصل الانكليز ،
فتأخر حضورها . فحنق وسأل عن سبب تأخير
المطلوب . فقال الرسول : « ان الخازن دار قال :
حتى أستأذن الدفتردار » . فحنق الوزير ، وأمر
بحبس الخازن دار ، وعزل الدفتردار . وهرب
السفير الذى كان بينهما ا

وفيه : انتقل الأمراء المصرية المرادية من الجيزة
الى جزيرة الذهب ، ونصبوا وطاقهم بها . وأرسلوا
ما كان عندهم من الحرم الى دورهم بمصر .

واستمر ابراهيم بك وعثمان بك الحسينى
ومحمد بك المبدول وقاسم بك أبو سيف
بالجيزة . ولم تعلم حقيقة حالهم .

ثم فى ثالى يوم ، لحق ابراهيم بك وباقى

الجماعة بالآخرين ، وخرج اليهم طلبهم ومتابعهم
وأغراضهم .

١٩ منه (٢٣ يناير ١٨٠٢ م) :

ركبوا ليلاً بأجمعهم الى الصعيد من الجهة
الغربية ، وتخلف عنهم قاسم بك أبو سيف
لمرصه . وكذلك تخلف عنهم محمد أغا أغات
المتفرقة وآخرون .

٢٠ منه (٢٤ يناير ١٨٠٢ م) :

نودى بالأمان على المالك وأتباعهم ومن
تخلف عنهم أو اقطع منهم ، وكذلك فى ثالى يوم .
وفيه : قلد محمد باشا والى مصر ، حسن أغا
والسه على جرجا .

٢٨ منه (اول فبراير ١٨٠٢ م) :

عزل الباشا محمد أغا المعروف بالزربة من
الكتخدائية ، وهو من المصرية ، وولاه كشوفية
الغربية . وتقلد عوضه فى الكتخدائية يوسف أغا
أمين الضريبة سابقاً ، وتقلد كشوفية المنوفية .
وتقلد كشوفية القليوبية .

٢٩ منه (٢ فبراير ١٨٠٢ م) :

ذهب يوسف أفندى الى عند والى مصر
فقلده نقابة الأشراف وألبسه فروة ، بعد أن كان
أهمل أمره .

وفيه : عزل أغات الانكشارية وتولى آخر
عوضه من العشانية ، ونزل المعزول الى بولاق
ليسافر الى جهة الصعيد .

شمال

السبت ٢ منه (٦ فبراير ١٨٠٢ م) :

خرج جاليش الوزير الى قبة النصر ، ولودى
بمخروج العساكر ، ويكون آخر خروجهم يوم
الاثنين . فشرعوا فى الخروج بأحمالهم ودوابهم .

الاثنين ٥ منه (٨ فبراير ١٨٠٢ م) :

خرج الوزير على حين غفلة الى قبة النصر ،
وتسابع خروج الأتقال والأحمال والعساكر .
وحصل منهم في الناس عريضة وأذية ، وأخذ بعضهم
من عطارين القصرين ثلاثة أرطال ين ثمنها مائة
وعشرون نصف . فرمى له عشرين نصفاً ، فصرخ
الرجل وقال : « أعطنى حقى » . فضربه وقتله .
فأغلق الناس الحوانيت ، وانكفوا في دورهم .
فاستمرت جميع حوانيت البلدة مغلقة ، حتى
سافرت العساكر ، وانتقلت من قبة النصر . ولازم
حضرة محمد باشا والى مصر وظاهر باشا على المرور
والطواف بالشوارع ... بالتبديل وثياب التخفيف
ليلاً ونهاراً . ولولا ذلك لحصل من العسكر
ما لا خير فيه .

وفيه : خرجت عساكر وسافرت الى جهة قبلى ،
وعدتهم ستة آلاف . وذلك بسبب الأمراء المصرية
الهربانيين ، وقرر لهم بأن من أتى برأس صنق قله
ألف دينار ، أو كاشف فله ثلثائة ، أو جندى أو
مملوك فله مائة .

السبت ١٠ (١٣ فبراير ١٨٠٢ م) :

ركب الوزير من قبة النصر ، وارتحل العوضى
الى الخانكة . وعند ركوبه حضر اليه السيد عمر
أفندى النقيب وبعض المتعممين لوداعه ، فأعطاهم
صراً ، وقرءوا له الفاتحة ، وركب . وخرج أيضاً
في ذلك اليوم بقية المشايخ وذهبوا الى الخانكاه
أيضاً ، وودعوه ورجعوا .

الاثنين ١٢ منه (١٥ فبراير ١٨٠٢ م) :

أحضر الباشا محمد أغا الوالى وسلمه أغا
المحتسب ، وأمر برمى رقابها . فقطعوا رأس
الوالى تحت بيت الباشا على الجسر ، والمحتسب
عند باب الهواء . وختم على دورهما في تلك
الساعة . وشاع خبر ذلك في البلد . فارتاع الناس
لذلك واستعظموه ، وداخل الخوف أهل الحرف
مثل : الجزارين والخبازين وغيرهم . وعلقوا
اللحم الكثير بحوانيتهم ، وباعوه بشعة أنصاف .
بعد أن كانوا يبيعونه بأحد عشر ... مع قلته
واحتكاره . وكانوا نبهوا عليهم قبل ذلك ، فلم
يستمعوا .

الثلاثاء ١٣ منه (١٦ فبراير ١٨٠٢ م)

في صبحه : قلد على أغا الشعراوى الزعامة
عوضاً عن محمد أغا المقتول ، وزين الفقار كتحدا
أمين . احتساب عوضاً عن سليم أغا أرئود
المقتول أيضاً .

واجتمعوا بيت القاضى ، وحضر أرباب الحرف ،
وعملوا قائمة تسعيرة لجميع المبيعات من المأكولات

وفيه : كتبت فرمانات ، وألصقت بالشوارع
ومفارق الطرق مضمونها : بأن لا أحد يتعرض
بالأذية لغيره ، وكل من كان له دعوة أو شكية
فليرفع قصته الى الباشا . وكل انسان يمشى في
زيه وقانونه القديم ، ويلازموا على الصلوات
بالجماعة في المساجد ، ويوقدوا قناديل ليلاً على
اليوت والمساجد والوكائل والخانات التى
بالشوارع ، ولا يمر أحد من العسكر من بعد
الغروب . والذى يمشى بعد الغروب من أهل البلد ،
يكون معه فانوس أو سراج ، ويبعون ويشترون
بالحق والمصلحة . ولا أحد يخفى عنده أجداً من
عسكر العوضى . والذى يبقى منهم بعد سفر
الوزير من غير ورقة بيده ، يعاقب .

وأن القهاوى المحدثه جميعها تغلق ، ولا يفتح
الا القهاوى القديمة الكبار ، ولا يبيت أحد من
العسكر في قهوة ، ولا يبيعون المسكرات ، ولا
يشترونها .. الا الكفرة سرا . وأمثال ذلك .
فانسرت القلوب بتلك فرمانات ، واستبشروا
بالعدل .

السبت ١٧ منه (٢٠ فبراير ١٨٠٢ م) :

سافر خليل أفندى الرجائى الدفتردار المعزول
فى البحر من طريق دمياط . وانتقل شريف أفندى
الدفتردار الى الدار التى كان بها الأول ، وهى
دار البارودى بباب الخرق .

الاثنين ١٩ منه (٢٢ فبراير ١٨٠٢ م) :

كان موكب أمير الحج عثمان بك ، وصحبته
المحمل على المائدة . وخرج فى أبهة ورونق ،
وانسرت القلوب فى ذلك اليوم الى لقائه ، ونجز
له جميع اللوازم مثل : الصرة وعوائد العربان ،
وغير ذلك .

وكان المتقيد بتسهيل ذلك ، وبجميع اللوازم ...
حضرة شريف محمد أفندى الدفتردار .

الثلاثاء ٢٧ منه (٢ مارس ١٨٠٢ م) :

شنقوا ثلاثة أنفار فى جهات مختلفة ، تزوا
بزى العسكر ، يقال انهم من الفرنسيين ، اقتقدوهم
من العسكر المتوجه الى الحج .

وفى ذلك اليوم : عمل حضرة الباشا ديوانا ،
وأرسل الجاوشية الى جميع المشايخ والعلماء ،
وخلع عليهم خلعا سنوية زيادة على العادة ... أكثر من
سبعين خلعة ، وكذلك على الوجاقلية والأفندية .
وجبر خاطر الجميع .

وكانت العادة فى هذا التلبس أن يكون عند
قدومه . والسبب فى تأخيره لهذا الوقت تعويق
حضور المراكب التى بها تلك الخلع .

الخميس ٢٩ منه (٤ مارس ١٨٠٢ م) :

انتقل أمير الحج بالركب من الحصوة الى
البركة .

وفيه : ركب حضرة محمد باشا الى الامام
الشافعى .. فزاره ، وأنعم على الخدمة بستين ألف

وغيرها . فعملوا اللحم الضانى بشمانية أنصاف ، والماعز
بسبعة ، والجاموسى بستة . وألا يباع فيه شئ
من السقط مثل : الكبد والقلب وغير ذلك .

والسمن المسلى بمائة وثمانين نصف العشرة
أرطال ، بعد أن كانت بثلاثمائة وأربعين . والزبد
العشرة بمائة وستين بعد أن كانت بمائتين وأربعين .
وجميع الخضراوات تباع بالرطل حتى الفجل
والليمون . والجبن الذى بخيره بثلاثة أنصاف ،
بعد عشرة . والخبز رطل بنصف فضة .. وكذلك
جميع الأشياء العطرية والأقمشة : العشرة أحد
عشر . والراوية الماء بعشرة أنصاف ، بعد
عشرين . وغير ذلك .

ورسموا بأن الرطل فى الأوزان مطلقا يكون
قبائى اثنى عشر وقيّة . وأبطلوا الرطل الزبائى
الذى يوزن به الأدهان والأجبان والخضراوات ،
وهو أربع عشرة وقيّة ... فلم يستمر من هذه
الأوامر بعد ذلك سوى نقص الأرطال !

ولما برزت هذه الرسوم ، هرع الناس لشراء
اللحم والمأكولات حتى فرغ الخبز من الأفران .

وشق المحتسب ، فقبض على جماعة من
الخبازين ، وخزم آنافهم ، وعلق فيها الخبز ...
وكذلك الجزارون خزمهم وعلق فى آنافهم اللحم !

وأكثر حضرة الباشا وعظماء أتباعه من التجسس
وتبديل الشكل والملبوس ، والمرور والمشى فى
الأزقة والأسواق حتى أخافوا الناس .

وانكف العسكر عن الأذية ، ولزموا الأدب .
ومشى كل أحد فى طريقته وأدبه . ومشيت النساء
كعادتهن فى الأسواق لقضاء أشغالهن . فلم يتعرض
لهن أحد من العسكر ، كما كانوا يفعلون .

الخميس ١٥ منه (١٨ فبراير ١٨٠٢ م) :

ارتحل الوزير من بليس .

٤ منه (٨ مارس ١٨٠٢ م) :

حضر السيد أحمد المذكور الى بيت الباشا ، فأمر بقتله . فقبض عليه جماعة من العسكر ، وقطعوا رأسه عند المشنقة — حيث قنطرة المغربى — على قارعة الطريق . وختموا على موجوده ، وأخذ الباشا ما ثبت له على المحبوسين .

والسبب في ذلك أن بعضهم وشى الى الباشا ، أنه كان يحب الفرنسيس ويميل اليهم ويسالمهم ، وعند خروجهم هرب الى الطور خوفا من العثمانية ، ثم حضر بأمان من الوزير .

٥ منه (٩ مارس ١٨٠٢ م) :

أحضر الباشا محمد أغا المعروف بالوسيع — أغات المغاربة — وأمر بقتله . فقطعوا رأسه على الجسر بركة الأزيكية قبالة بيت الباشا ، لأمره نقمها عليه . وكتبت في ورقة وضعت عند رأسه .

٦ منه (١٠ مارس ١٨٠٢ م) :

توفي قاسم بيك أبو سيف على فراشه .

٨ منه (١٢ مارس ١٨٠٢ م) :

حضر المشار اليه (١) الى الجامع الأزهر بالموكب . فصلى به الجمعة ، وخلع على الخطيب فروة سور ، وفرق وشر دراهم ودنانير على الناس في ذهابه وإيابه .

وتقيد قبي كتخداه ، واسماعيل أفندى شقبون بتوزيع دراهم على الطلبة والمجاورين بالأروقة والعيان والفقراء . ففرقوا فيهم نحو خمسة أكياس . وفيه : عمل الشيخ عبد الله الشرقاوى وليمة لزواج ابنه . ودعا حضرة المشار اليه فحضر في يوم الأحد ، وحضر أيضا شريف أفندى وعثمان كتخداه الدولة . فتعدوا عنده ، وأنعم على ولد الشيخ بخمسة أكياس رومية ، وألبسه فروة سور .

(١) يقصد الباشا العثماني .

فضة ، وألبسهم خلعا ، وفرق دنانير ودراهم كثيرة في غير محلها .

وكذلك يوم الجمعة : ركب وتوجه الى المشهد الحسينى . فصلى الجمعة ، وخلع على الامام الراتب ، والخطيب وكبير الخدمة فراوى . وفرق دراهم كثيرة في طريقه ، ورجع من ناحية الجمالية . وكان في موكب جليل على الغاية .

وفيه : أمر المشار اليه بنصب عدة مشاقق عند أبواب المدينة برسم الباعة والتسبيين والخبازين وغيرهم . وأكثر أبواب الدرك من المرور والتجسس والتخوف . وعلقوا عدة أناس من الباعة على حوائطهم وخزموهم من آناهم ! فرخص السعر ، وكثرت البضائع والماكولات ، وحصل الأمن في الطرق ، وانكفت العربان وقطاع الطريق . فحضرت الفلاحون من البلاد ، وكثر السنن والجبن والأغنام ، وكبر العيش وكثر وجوده ، وانحط سعر السنن من التسعيرة عشرين نصفًا لكثرتة ... والله الحمد ! وهاب الناس هذا الباشا وخافوه ، وصاروا يترنمون به في البلاد والأرياف ، ويفننون يذكره حتى الصبيان في الأسواق ويقولون : « سيدى .. يا محمد باشا .. يا صاحب الذهب الأصفر ! » وغير ذلك .

وكان في مبتدأ أمره يظنه الظمان ماء !

ذوالقعدة

فروته (٥ مارس ١٨٠٢ م) :

لهبت العربان قافلة التجار الواصلة من السويس .

وفيه : حضر السيد أحمد الزرو الخليلى التاجر بوكالة الصابون بديوان الباشا وتداعى على جماعة من التجار ، وثبت له عليهم عشرة آلاف ريال . فأمر الباشا بسجنهم .

والحط الرأى ، بعد اختلاف كبير ، على تقليد ذلك
لمحمد سعد من أولاد جلال الدين .

فلما حضروا فى اليوم الثانى ، أخبروه بذلك ،
وأنه يستحقها الا أنه فقير . فقال : « ان القبر
ليس بعب » . فأحضروه ، وألبسه فروة سمور ،
وأركبه فرسا بعباءة مزركشة ، وأنعم عليه بشائين
ألف درهم . وكان من الفقراء المحتاجين للدرهم
الفرد !

ولما ذهب للسلام على الشيخ السادات خلع
أيضا فروة سمور عليه .

٢٤ منه (٢٨ مارس ١٨٠٢ م) :

توفى الى رحمة الله الشيخ مصطفى الصاوى
الشافعى ، وكان عالما نجيبا ، وشاعرا ليليا . وقد
فازر البستين .

وفيه : جهزت عدة من العسكر الى قبلى .

وفيه : نودى بأن خراج القدان مائة وعشرون
نصفا ، وكذلك نودى برفع عوائد القاضى والأفندى
التي كانت تؤخذ على اثبات الجامكية والجراية ،
والرفق بعوائد تقاسيط الالتزام والاقطاع . وكتبوا
بذلك أوراقا وألصقت بالأسواق ، وفى آخرها « لا
ظلم اليوم » (أى ما تقرر الا قبل اليوم) .
فان القندان بلغ فى بعض القرى بمصاريفه
ومغامره أربعة آلاف نصف فضة . وأما بدعة القاضى
وعوائد التقاسيط فزادت عن أيام الوزير . وزاد
على ذلك اهمال الأوراق بيت الباشا لأجل العلامة
شهرين وأربعة ، حتى يسأم صاحبها وتحنى أقدامه
من كثرة الذهاب والمجيء ، ومقاساة الذل من
الخدم والأتباع ، ودفع البقشيش والرشوة على
التعجيل ، أو تركها . وربما ضاعت بعد طول المدة ،
فيحتاج الى امتثاف العمل !



الطلبة وفيت الدرس

وفرق على الخدم والفرشين والقراء دنائير ودرهم
بكثرة . وكذلك دفع عثمان كتخدنا وشريف أفندى
كل واحد منهم كيسا . وانصرفوا .

فى منتصفه (١٩ مارس ١٨٠٢ م) :

وردت الأخبار من الجهة البحرية بضياح نحو
الحسين مركبا ، حلت مراسيها من ثغر سكندرية ،
مشحونة بمتاجر وبضائع . وكانت معوقة بكرتيلة
الانكليز ، فلما أذنوا لهم بالسراح فما صدقوا
بذلك . فصادفتهم فرتونة خرجت عليهم ، فضاءوا
باجسهم .. ولا حول ولا قوة الا بالله العلى
العظيم !

وفيه : طلب الباشا المشايخ ، وتنكلم
معهم فى شأن الشيخ خليل البكرى وعزله
عن وظيفته ، وسأل رأيهم فى ذلك . فقالوا له :
« الرأى لحضرتكم » . فقال : « ان الشيخ
خليل البكرى لا يصلح لسجادة الصديق ، وأريد
عزله عنها من غير ضرر عليه ، بل أعطيه اقطاعا
لنفقته . والقصد أن تروا رأيكم فيمن يصلح
لذلك ، ومن يستحق » . فطلبوا المهلة الى غد ،



اطلاق المدافع في الامياد

ذو الحجة

الأربعاء ٤ منه (٧ ابريل ١٨٠٢ م) :

حضر خمسة أشخاص من الكشاف القبالي - من أتباع ابراهيم بيك الوالي - الى مصر . فقابلوا حضرة والي مصر ، وأنعم عليهم بالسهم خلعا .

وفيه : أنعم على خدامهم .

وفيه : عمل الانكليز كرتيلة بالحيزة ، ومنعوا من يدخلها ومن يخرج منها وذلك لتوهم وفوق الطاعون ، وورود الأخبار بكثرة في جهة قبلي وبعض البلاد البحرية ، وأما المدينة ففيها بعض تنقير .

الاثنين ٩ منه (١٢ ابريل ١٨٠٢ م) :

كان يوم الوقوف بعرفة ، وعملوا في ذلك اليوم شنكا ومدافع ، وحضرت أغنام وعجول كثيرة للاضحية حتى امتلأت منها الطرقات ، وازدحمت الناس وأفراد العسكر على الشراء ، وغيمت السماء في ذلك اليوم ، وأمطرت مطرا كثيرا حتى توحلت الأزقة .

ونودي بفتح الحوائت والقهاوى والمزنيين ليلا ، واطهار الفرح والسرور ، واطهار بهجة العيد . واستمر ضرب المدافع في الأوقات الخمسة .

ونودي أيضا بالمواظبة على الاجتماع للصلوات في المساجد ، وحضور الجمعة من قبل الصلاة بنصف ساعة . وأن يسفوا العطاش من الأسيلة ولا يبيعوا ماءها .

وأشيع سفر الانكليز ، وسفر عثمان كتخدا الدولة ، وتشهيل الخزنة .

الاحد ١٥ منه (١٨ ابريل ١٨٠٢ م) :

حضر قاصد من الديار الرومية بمكاتبات وتقرير نقابة الأشراف للسيد عمر ، وعزل يوسف أفندي .

وفي صباحها ركب السيد عمر المذكور ، وتوجه الى عند الباشا ، فألبسه خلعة سمور ثم حضر الى عند الدفتردار كذلك . وكانت مدة ولاية يوسف أفندي المعزول شهرين ونصفا

الأربعاء ١٨ منه (٢١ ابريل ١٨٠٢ م) :

خرج أحمد أغا خورشيد أمير الاسكندرية الى بولاق ، قاصدا السفر الى منصبه . وركب الباشا لوداعه في عصره . وصربوا عدة مدافع من بولاق وبر انبابة

ونودي في ذلك اليوم بأن لا أحد يوارى أحدا من الانكليز أو يحييه ، وكل من فعل ذلك عوفب .

الأربعاء ٢٥ منه (٢٨ ابريل ١٨٠٢ م) :

قبضوا على امرأة سرقت أمتعة من حمام ، وشنقوها عند باب زويلة .

واقضت هذه السنة ، وما تجدد بها من الحوادث التي من جملتها :

لكتابة الاعلام . فيذهب به الى الاعلامجي . فيكتب له عبارة أيضا في معنى ما تقدم ، ويختم تحتها بختم كبير فيه اسم الدفتردار ، ويأخذ على ذلك دراهم أيضا . وبعد ذلك يرجع الى الدفتردار فيقرر ما يقرره عليها من المال الذي يقال له « مال الحماية » . ثم يذهب بها الى بيت الباشا ليصحح عليها بعلامته . ويطول عند ذلك انتظاره لذلك . ويتفق اهاليها الشهرين والثلاثة عند الفرمانجي . وصاحبها يغدو ويروح في كل يوم .. حتى تحفى قدماءه ، ولا يسهل به تركها بعد ما قاساه من التعب وصرفه من الدارهم فاذا تمت علامتها .. دفع أيضا المعتاد الذي علي ذلك ، ورجع بها الى بيت الدفتردار .. فعند ذلك يطلبون منه ما تقرر عليها ، فيدفعه عن تلك السنة ، ثم يكتبون له سنداً حديداً ، ويطلب بمصروفه أيضا — وهو شيء له صورة أيضا — فلا يجد بدا من دفعه . ولا يزال كذلك .. يغدو ويروح مدة أيام . حتى يتم له المراد !

ومنها المعروف بـ « الجامكية » و « مرتبات الغلال » بالأنبار وذلك أن من جملة الأسباب في رواج حال أهل مصر المتوسطين وغناهم ، ومدار حال معاشهم وإيرادهم في السابق هذان الشيئان . وهما : « الجامكية » و « الغلال » التي يفسال لها « الجرابات » .. رتبها الملوك السالفة من الأموال الميرية للعساكر المنتسبة للوجاقات ، والمرابطين بالقلاع الكائنة حوالى الاقليم ومنها ماهو للآيتام والمشايع والمتقاعدين ولحوهم .

وكانت من أروج الايراد لأهل مصر ، وخصوصا أهل الطبقة الذين ليس لهم اقطاع ولازراعات ولا تجارات ، كأهل العلم ومساير أولاد البلد والأرامل ولحوهم وثبت وتقرر إيرادها وصرفها في كل ثلاثة أشهر من أول القرن العاشر الى أواخر الثاني عشر . بحيث تقرر في الأذهان عدم اختلالها أصلا

أن شريف أفندى الدفتردار أحدث على « الرزق الأحباسية » المرصدة على الخيرات والمساجد وغيرها « مال حماية » : على كل فدان عشرة أنصاف فضة وأقل وأكثر في جميع الأراضي المصرية القبلية والبحرية . وجروا بذلك دفاتر فكل من كان تحت يده شيء من ذلك قل أو كثر ، يكتب له عرضحال ويذهب به الى ديوان الدفتردار ، فيعلم عليه علامته ، وهي قوله : « قيد » ، بمعنى أنه يطلب قيوده من محله التي تثبت دعواه . ثم يذهب بذلك المرضحال الى كاتب الرزق ، فيكشف عليها في الدفاتر المختصة بالاقليم الذي فيه الأرصاد بموجب الاذن بتلك العلامة ، فيكتب له ذلك تحتها بعد أن يأخذ منه دراهم ، ويطيب خاطره ... بحسب كثرة الطين وقلته وحال الطالب ، ويكتب تحته علامته فيرجع به الى الدفتردار ، فيكتب تحته علامة غير الأولى فيذهب به الى كاتب الميرى فيطالبه حينئذ بسنداته وحجج تصرفه ، ومن أين وصل اليه ذلك فان سهلت عليه الدنيا ، ودفع له ما أرضاه ، كتب له تحت ذلك عبارة بالتركي لبثوث ذلك ، والا تعنت على الطالب بضروب من العلل ، وكلفه لبثوث كل دقيقة براهها في سنداته ، وعطل شغله فما سمع ذلك الشخص الا بذل همه في تميم غرضه بأى وجه كان ... اما أن يستدين أو يبيع ثيابه ، ويدفع مالزمه فان ترك ذلك وأهمله — بعد اطلاعهم عليه — حلوه عنه ورفعوه وكتبوه لمن يدفع حلوانه ثلاث سنوات أو أكثر ، وكتبوا له سنداً جديداً يكون هو المعول عليه بعد ، ويقيد بالدفاتر ويبطل اسم الأول وما بيده من التوقيعات والحجج والافراجات القديمة ولو كانت عن أسلافه !

ثم يرجع كذلك الى الدفتردار ، فيكتب له علامة

ولما صارت بهذه المثابة ، تناقلوها بالبيع والشراء
والفراغ ، وتغالوا في أثمانها ، ورغبوا فيها ...
وخصوصا لسلامتها من عوارض الهدم والبناء كما
في العقار ، وأوقفوها وأرصدوها ، ورتبوها على
جهات الخيرات والصهاريج والمكاتب ومصالح
المساجد وثققات أهل الحرمين وأهل بيت المقدس .
وأفتى العلماء بصحة وقفها لئلا عدم تطرق الخلل .
فلما اختلت الأحوال ، وحدثت الفتن ، وطعم
الحكام والولاة في الأموال الميرية ... ضعف شأنها ،
ورخص سعرها ، وانحط قدرها ، وافتقر أربابها .
ولم تزل في الانحطاط والتسفل ، حتى بيع الأصل
والإيراد بالغبن الفاحش جدا ، وتعطل بسبب ذلك
متملقاتها . ولم يزل حالها في اضطراب إلى أن وصل
هؤلاء القادمون ، وجلس شريف أفندي الدفتردار
المذكور ، ورأى الناس فيه مخايل الخير لما
شاهدوه فيه من البشاشة واطهار الرفق والمكارم ...
عرض الناس عليه شأن العلوقة المذكورة والغلال .
فلم يمانع في ذلك . وكتب الإذن على الأوراق
كعادته ، وذهب بها أربابها إلى ديوان الكتبة ،
وكبيرهم يسمى حسن أفندي باش محاسب —
وهو من العشائين — عارض في حسابها وقال :
« أن العشائى اسم لواحد الأقبة . وصرفه عندنا
بالروم كل ثلاث أفجات بنصف فضة . وما في دفاتركم
يزيد في الحساب الثالث ١ » . فعورض وقيل له :
« أن الأقبة المصرى ، كل اثنين بنصف ، بخلاف
اصطلاح الروم ، وهذا أمر تداولنا عليه من قديم
الزمان » . ولم يزل حتى فقد ذلك المشروع ومشوا
على فقد الثلاث ، ورضى الناس بذلك لظنهم رواج
الباقى .. وعند استقرار الأمر بذلك أخذوا يتعتنون
على الناس في الثبوت . وقد كان الناس اصطلاحوا في

أكثرها ، عند فراغها ، على عدم تغيير الأسماء التي
رقت بها ، وخصوصا بعد ضعفها ... فيبيعها البائع
ويأخذها المشتري بتمسك البيع فقط . ويترك سند
الأصل بما فيه من الاسم القديم عنده ، أو تكون
باسم الشخص وموت وتبقى عند أولاده . فجعلوا
معظمها بهذه الصورة ، وأخذوه لأنفسهم ، وأعطوا
منهم لأغراضهم بعد رفع الثلث الأصل ، وثلت
الإيراد . وضاعت على أربابها مع كולם فقراء !

وكذلك فعلوا في أوراق الغلال ، وجعلوها
بدراهم ... عن كل اردب خمسون نصفا : غلا أو
رخص . وزادوا في القيود التي كتبت على
المرضحات المصطلحين عليها ... بأن يكت عليها
أيضا قاضى العسكر — بعد حسابهم — مقدار
العلوفة والغلال ، ويأخذ على كل عشائى نصفين أو
أقل أو أكثر ، وعلى كل اردب قرشا روميا . وكل
ذلك حيلة على أخذ المال بطريق شيطاني !

وحرروا ما حرروه ، ودفعوا للناس ما دفعوه
مقسطا على الجمع والشهور . ورضوا بذلك
وفرخوا به ، لظنهم دوامه ، واستعوضوا الله فيما
ذهب لهم ! وختموا الدفتر على مقدار ما عرض
عليهم .. وما ظهر بعد ذلك لا يعمل به ويذهب في
المحلول .

ولما انقضت هذه السنة الأخرى ، وافتتح الناس
الطلب . قيل لهم : « أن الذى أخذتموه ، هو عن
السنة القابلة . وقد قبضتموها منجلة ١ » .

وعزل شريف أفندي الدفتردار في أثرها . ووصل
خليل أفندي الرجائى ، واضطربت الأحوال ، ولم
ينفع القيل والقال .. كما يأتى .

من مات في هذه السنة :

الشيخ العمدة الامام ، خاتمة العلماء الاعلام ،
ومسك ختام الجهابذة ذوى الافهام ، ومن افتخر
به عصره على الأعصار ، وصاح بلبل فصاحته في
الأمصار . شجرة الدهر ، وشامة وجه أهل العصر ،
العالم المحقق ، والنحرير المدقق ، بديع الزمان ،
والتاج المرصع على رؤوس الأقران ، الناظم النائر ،
القصيح الباهر : الشيخ مصطفى بن أحمد المعروف
بالصاوى .

ونسى بالصاوى نسبة الى بلدته « صوة »
بشرقية بليس . والنسبة اليها على غير قياس .
دخل الأزهر ، واشتغل بالقراءة ، فحفظ القرآن
والمتون ، واشتغل بالعلم ، ومهر وأنجب ، وأقرأ
الدروس ، وختم الختوم ، وشهد له الفضلاء .

وكان لطيف الذات ، مليح الصفات ، رقيق
حواشي الطبع ، مشارا اليه في الأفراد والجمع ،
مهذب الأخلاق ، جميل الأعراق . اللطف حشو
أهابه ، والفضل لا يلبس غير جلبابه .

ومن ثره ما كتبه تقریظا على المؤلف الذى
آلفه الشيخ محمد عبد اللطيف الطحلاوى ، الذى
ضاهى به عنوان الشرف للعلامة السيوطى ، قوله :
« هذا لمولى يضيق لطاق المنطق عن شكره ،
ويعجز لسان اللسان عن الافصاح بذكره ، يدنى
لب الواحد الى فهم مقامات التوحيد ، ويعرفه
سبل التهجد والتحميد ، ويسعده بنهاية الوصول
الى مقاصد قلبه الأصول ... وصلاة وسلاما
على المحمود بأكمل ثناء ، المدحوح بأجمل ضياء

وسناء ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه ما ألفت

كتاب ، وكللت تيجان الربى بلآلىء السحاب .

« أما بعد ، فقد سرحت طرفى فى رياض هذا

التأليف الرائق ، وفرحت بصرى بالمشاهدة لمحابس

هذا التصنيف الفائق . واقتطعت يسدى ثمرات

أوراقه ، واستضأت بأنوار اشراقه . وحليت سمعى

بدر فوائده ، وفكرى بغير عوائده . وعرضت

على فهمى لآلىء جواهره ، فلاحت لعينى بدور

زواهره ... فاذا هو عقد نظم من درر العلوم ،

وتحلت به غوانى الفهوم : رشيق الألفاظ والمعانى ،

رقيق التراكيب والمباني . لم يسج ناسج على

منواله ، ولم بات ببلغ بمثاله . قد أفجم فصحاء

الرجال ، وألقت له البلغاء العصى والجبال .

وأعجز الفصحاء كبرا وصغيرا ، فلا باتون بمثاله

ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . يسوق بحثه كل

مؤلف ، ويروق بروقه على كل مصنف . جمع فيه

من العلوم أشرفها وأشرقها ، ومن المعارف أرقها

وأروقها . فهو مجموع جامع مانع ، وروص نافع

يانع . فلا شك أنه صنعة قادر . وصنعة ليب ماهر .

« وكيف لا ... وهو العلامة الامام ، والفهامة

الهمام . المحقق الفاضل ، المدقق الكامل . جامع شمل

المعارف ، حائز ألوان اللطائف . وحيد الكمالات

اللدنية ، وفريد المحاسن الخلقية والحقية : مولانا

الشيخ محمد عبد اللطيف الطحلاوى ... قابل الله

صنيعه بحسن القبول ، وبلغه من خير الدارين كل

مأمول . وأدام الكريم النفع بوجوده ، وأقام لديه

جزيل احسانه وجوده ... ماكرت اللبالي وفريقها

وذلك يوم الاثنين رابع عشرين شهر القعدة من السنة .

ورثاه الشيخ اسماعيل الزرقاني بقوله :
تداولت الأيام بالعسر واليسر
وتلك شئون الحق في مطلق الدهر
فكيف أرى قلبى على فقد الفه
حزينا ... ودمع العين — من فيضه — يجرى ؟

فقال : لنا في سيد الخلق أسوة
فقد دمت عيناه حزنا كما تدري
وهذا الذى أسمى حليف ضريحه
الى فضله تصبو الأنام مدى العسر

امام له فضل الرواية والحجبا :
فمن قلله يلى ، ومن عقله يقرى
قوى فهمه ، صارت بنور معيها
نرى من مبادئ الحال عاقبة الأمر
عبت على الأيام في ثمر عقدها
وقد غاب من أثائه معدن الدر
فقالت : وما لى ... ذاك جسر موفق

أحب لقاء الله ... أسرع للأجر !
تلقته أملاك النسيم تحفه
وتقلبه من ورد نهر الى قصر
الى أن يرى وجه العزيز مكانه
ويبقى حيدا في الترقى مع البشر
بمقعد صدق صار عند مليكه
فيا مصطفىاه ، فزت مرتفع القدر

ومات الأنير عثمان بك الأشقر الإبراهيمي —
وهو من ممالك إبراهيم بك الكبير — وعرف
بالأشقر لشقرته .

الأيام ، وقطر غيث الغمام . والحمد لله وحده ،
وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده .

ومن ثمره أيضا هذه المراسلة : « بسم الله الرحمن
الرحيم . نحمدك يا من أجريت المقادير على وفق
الارادة ، وجعلت الطالب سببا للافادة والاستفادة ،
ونشرك على ما أوليتنا من سوانح الاحسان ،
ومنحتنا من سوابق الفضل والامتنان ، ونصلى
ونسلم على نبيك سيد ولد عدنان .. الى آخره » .
من اهدائه : « .. لحضرة ذوى المهابة والفخار ،
والعلو والاقدار ، الجامعين بين المتاجر والمفاخر ،
الحائزين لجمال الأول والآخر ، القاطنين بخير
البلاذ ، القائمين بمصالح العباد ... مصايح الدنيا
وبهجتها ، وكواكب البلاد وتحفتها ، حماة حرم
يجبى اليه الثمرات ، وزينة محل تقضى به الحاجات ،
عين أعيان المكاسب والتجارة ، وزين أبناء الطالب
والاشارة ، نغنى بذلك فلانا وفلانا . أسبغ الله
عليهم سوانح الانعام ، وأسبل عليهم حلل الجود
والاكرام ، وأصلح لهم الأحوال ، وبلغهم الأمانى
والآمال ، وبسط لهم الأرزاق ، وجباهم بلفظه
الخلق .

« أما بعد بسط كف الرجاء ، ومد سواعد القصد
والالتجاء بدعوات مقرونة بالانابة ، ليس لها
حاجب عن أبواب الاجابة . فما يعرض عليكم ،
وينهى بعد السلام اليكم ... أنه قد وصل الينا
رقيمكم المكنون ، المحتوى على الدر المصون
فئسنا منه نفحات مكية حرمية ، ونسيمات سحرية
بهية . فتعطرنا بطيب مسكها الأذفر ، وتطيننا بعير
عنبرها الأزهر . وذكرتم أنكم بذلتم المجهود ، في
طلب المقصود ... الخ » .

وله غير ذلك كثير ، وحاله وفضله شهير . ولم
يزل يلى ويفيد ، ويكرر ويعيد . حتى قطفت يد
الأجل نواره ، وأطفأت رياح النية أنواره .

هـ كان قتل مع من قتل بأبى قير ودفن باسكندرية.
وكان ذاحشة وسكور ، وحسن عشرة مع ما فيه
من الشح .



ومات الأمير عثمان بك الجوخدار المعروف
بالطنبرجى المرادى — وهو من مماليك مراد بك .
وكان أميراً لا بأس به ، وجيه الشكل ، عظيم
اللبية ، ساكن الجاش ، فيه قوة وعقل . وسبب
تلقبه بالطنبرجى : أنه كان فى غفوان أمره مولما
بسباع الآلات وضرب الطنبور ، وربما باثر ضربه
بيديه ، مع الاتقان لذلك ، فغلبت عليه الشهرة بذلك .



ومات الأمير مراد بك — المعروف بالصغير —
وهو من مماليك محمد بك أبى الذهب . وكان
يعرف بمراد كاشف ، وله إيراد واسع ومماليك .
تقلد الامارة والصنحية فى سنة ١٢٠٦ فزادت
وجاهته . وسافر مع عثمان بك الأعقر وأحمد
بك الحسى مع القبودان . وقتل كذلك بأبى قير
ودفن بالاسكندرية .



ومات الأمير قاسم بك أبو سيف — وهو
مملوك عثمان بك أبى سيف — وكان يعرف بقاسم
كاشف أبى سيف . وكان له إقطاع والتزام وإيراد .
واشتهر ذكره فى أيام مراد بك ، وبنى له دارا
بالناصرية واتفق عليها أموالا جمة .

وكان له ملكة وفكرة فى هندسة البناء ،
واستأجر قطعة عظيمة من أراضى البركة الناصرية
تجاه داره من وقف المولوية ، وسورها بالبناء ،
وبنى فى داخلها قصرا مزخرفا برحبة متسعة ، وقسم
ألك الأرض بتقاسيم للمزارع ، وحولها طرق

ممهدة مستطيلة ، ومجار للمياه التى تصل إليها أيام
النيل ، ومجار أخرى عالية مبنية بالمؤن والحافى ،
من داخلها تجرى فيها المياه من السواقى ويحيط
بذلك جميعه أشجار الصفصاف المتدانية القطاف ،
وبداخل تلك البركة المنقسة ، النخيل والأشجار ،
ومزارع القثاء والبرسيم والغلة وغيرها . يشرح
فيها النظر من سائر جهاتها ، وتشرح النفوس فى
أرجائها ومساحاتها . وجعل السواقى فى ناحية ،
تجتمع مياهها فى حوض ، وبأسفله أنابيب تتدفق
منها المياه الى حوض أسفل منه ، وعنده مجلس
ومساطب للجلوس ، وتجرى منه المياه الى المجارى
المخففة المرتفعة ، ومنها تنصب من مصبات من حجر
الى أحواض أسفل منها ... صغار ، وتجرى الى
مساقى المزارع . وعند كل مصب منها محل للجلوس
وعليه أشجار تظله ، وبوسطه أيضا ساقية بفوهتين
تجربى منها المياه أيضا .

والقصر يشرف على ذلك كله ، وحول رحبة
القصر وطرق المشاة ، كروم العنب والتكاقيب .
وأباح للناس الدخول اليها ، والتزدهن فى رياضها ،
والتمسح فى غياضها ، والسروح فى خللالها ، والتفريق
فى ظللالها . وسماها « حديقة الصفصاف والآس » ، لمن
يريد الحظ والاعتناس . ونقش ذلك فى لوح من
الرخام وسره فى أصل شجرة يقرأها الداخلون
اليها . فأقبل الناس على الذهاب اليها للنزاهة ،
ووردوا عليها من كل جهة ، وعملوا فيها قهاوى
ومساقى ومفارش وأبنخا يفرشها القهوجية للعامة ،
وقللا وأباريق .

واجتمع بها البخاص والعام ، وصار بها ميثاق
والآلات ، وغوان ومطربات ، والكل يرى بعضهم
بعضا . وجعل بها كراسى للجلوس ، وكنيفات لقضاء
الحاجة .

وجعل للقصر فرشاً ومساند ولوازم ومخادع لنفسه

ولم يأتى اليه بقصد النزاهة من أعيان الأمراء والأكابر، فيبيتون به الليالى ، ولا يحتاجون لسوى الطعام ، فيأتى اليهم من دورهم .

وزاد بها الحال ، حتى امتنع من الدخول اليها أهل الحياء والحشمة !

وأنشأ تجاهها أيضا على يسار السالك الى طريق الخلاء ، بستانا آخر على خلاف وضعها .

وأخبرنى المترجم أيضا من لفظه أنه أنشأ بستانا بناحية قبلى أعجب وأعجب من ذلك .

ولما حضر حسن باشا الجزائرلى الى مصر ، وخرج منها أمراؤها .. تغلف للمترجم عن مخدومه واستقر بمصر ، فقلدوه الامارة والصنحية فى سنة احدى ومائتين وألف . فعظمت امرته ، وزادت شهرته ، وتقلد امارة الحج مرتين .

ولما أوقع العثمانية بالأمراء المصرية ما أوقعوه ، وانفصلوا من حبس الوزير ، وانضبوا الى الانكليز بالجزيرة . ثم انتقلوا الى جزيرة الذهب ، وارتحلوا منها الى قبلى .. تغلف عنهم المترجم لمرض اعترام ، وحضر الى مصر ولازم الفراش . فلم يزل حتى مات فى يوم الخميس سادس القعدة من السنة . وكان يخضب لحيته بالسواد مدة سنين ... رحمه الله .

ومات ابراهيم كتخدا السنارى الأسود — وأصله من بربرة دقلة — وكان بوابا فى مدينة المنصورة ، وفيه نباهة ، فتدخل فى الفز القاطنين هناك ، مثل الشابورى وغيره ، بكتابة الرقى وضرب الرمل ونحو ذلك ! ولبس ثيابا بيضا ، ثم تعاشر مع بعضهم ، وركب فرسا ، وانتقل الى

الصعيد مع من اختلط بهم ، وتداخل فى أتباع مصطفى بيك الكبير .

ولم يزل حتى اعتشر بالأمير المذكور ، وتعلم اللغة التركية ، فاستعمله فى مراسلاته وقضائيه . فنقل فتنة ونميمة بين الأمراء ، فأراد مراد بيك قتله . فالتجأ الى حسين بيك وخدمه مدة . ثم تحيل والتجأ الى مراد بيك وعاشره وأحبه ولازمه فى الغربة والأسفار ، واشتهر ذكره ، وكثر ماله ، وصار له التزام وايراد . وبنى داره التى بالناصرية ، فصرف عليها أموالا ، واشترى الممالك الحسان ، والسرائى البيض .

وتداخل فى القضايا والمهمات العظيمة ، والأمور الجسيمة ، وصار من أعظم الأعيان المشارى اليهم بمصر . ولما ذكره ، وعظم شأنه ، وباشر بنفسه الأمور من غير مشورة الأمراء . فكان يحل ما يعقده الأمراء الكبار .

ولما تحجب مخدومه بقصر الجزيرة .. كان المترجم لسان حاله فى الأمر والنهى ، وييده مقاليد الأشياء الكلية والجزئية ، ولا يحجب عن ملاقاته مخدومه فى أى وقت شاء . فينهى اليه ما يريد تنفيذه بحسب غرضه !

واتخذ له أتباعا وخداما يقضون القضايا ، ويسعون فى المهمات ، ويتوسطون لأرباب الحاجات ويصانهم الناس — حتى الأكابر — ويسعون الى دورهم !

وصاروا من أرباب الوجاهات والثروات . ولم يزل ظاهر الأمر ، نامى الذكر ، حتى وقعت الحوادث ، وسافر الفرنساوية ، ودخل العثمانية . ورجع قبودان باشا الى أبى قير . فأرسل يطلبه فى جملة من استدعاهم اليه ، وقتل مع من قتل ، ودفن بالاسكندرية .

٩ منه (١٢ مايو ١٨٠٢ م) :

حضر كبير الانكليز من الاسكندرية ، ونصبوا
وطاقهم ببر انبابة .

١٠ منه (١٣ مايو ١٨٠٢ م) :

عدى كبير الانكليز ومعه عدة من اكابرهم .
فتها لملاقاته الباشا ، واصطفت العساكر عند بيت
الباشا ، ووصل الانكليز الى الأزيكية ، وطلعوا
الى عند الباشا وقابلوه . فخلع عليهم وقدم لهم
خيلا وهدية . ثم نزلوا وركبوا ورجعوا الى
وطاقهم ، وعند ركوبهم ضربوا لهم عدة مدافع ،
فلم يعجب الباشا ضربها ، فأمر بحبس الطبقية
لكونها لم يضربوها على نسق واحد ا

وفيه : وردت الأخبار بأن الانكليز أدخلوا القلاع
بالاسكندرية ، وسلموها لأحمد بيك خورشيد ...
وذلك يوم الاثنين ثامنه . وأبطلوا الكرتيلة أيضا ،
وحصل الفرج للناس ، وانطلق سبيل المسافرين برا
وبحرا ، وأخذ الباشا في الاهتمام بتشغيل الانكليز
المسافرين الى السويس والقصور ، وما يحتاجون
اليه من الجمال والأدوات وجميع مايلزم . ولما حضر
الانكليز الى عند الباشا ، دعوه الى الحضور الى
عندهم . فوعدهم على يوم الجمعة .

١٢ منه (١٦ مايو ١٨٠٢ م) :

ركب الباشا وصحبته طاهر باشا ، في نحو
الخسين ، وعدى الى الجيزة بعد الظهر . ووقت
عساكر الانكليز صفوفا ، رجالا وركبانا ، وبأيديهم
البنادق والسيوف ، وأظهروا زينتهم وأبهتهم

المزم

في غرته (٤ مايو ١٨٠٢ م) :

تواترت الأخبار بحصول الصلح العمومي بين
القرانات جميعا ، ورفع الحروب فيما بينهم .

وفيه : ترادفت الأخبار بأمر عبد الوهاب وظهور
شأنه ، من مدة ثلاث سنوات من ناحية نجد ،
ودخل في عقيدته قبائل من العرب كثيرة ، وبث دعائه
في أقاليم الأرض . ويؤمن أنه يدعو الى كتاب الله
سبحانه وتعالى وسنة رسوله ، وأمر بترك البدع
التي ارتكبها الناس ومشوا عليها ... الى غير ذلك .

وفيه : سافر عثمان ، كتخدا الدولة ، الى الديار
الرومية ، ونزل الى بولاق ، وضربوا له عدة
مدافع ، وأخذ صحبته الخزينة ، وسافر معه مختار
أفندي بن شريف أفندي دفتردار مصر .

وفي هذه الأيام : حصلت أمطار متتابعة وغيام
ورعود وبروق عدة أيام . وذلك في أواسط نيسان
الرومي .

وفي ذلك اليوم : نبهوا على الوجاقات والعساكر
بالحضور من الغد الى الديوان لقبض الجامكية .
فلما كان في صباحها يوم الثلاثاء ، نصبوا صيوانا
كبيراً ببركة الأزيكية ، وحضر العساكر والوجاقية
بترتيبهم ، ونزل الباشا بموكبه الى ذلك الصيوان
وهو لابس على رأسه الطلخان والقفطان الأطلس
— وهو شعار الوزارة — ووضعوا الأكياس
وخطفوها على المعادة القديمة ، فكان وقتاً
مشهوداً .

— وذلك عندهم من التعظيم للقادم — فنزل الباشا
ودخل القصر ، فوجدهم كذلك صفوفا بدهليز
القصر ومحل الجلوس . فجلس عندهم ساعة
زمانية ، وأهدوا له هدايا وتقادم . وعند قيامه
ورجوعه ، ضربوا له عدة مدافع على قدر ما ضرب
لهم هو عند حضورهم اليه .

فلقد أخبرني بعض خواصهم أن الباشا ضرب
لهم سبعة عشر مدفعا ، ولقد عدت ما ضربه
الانكليز للباشا فكان كذلك .

وأخبرني حسين بك وكيل قبطان باشا — وكان
بصحبة الباشا عند ذهابه الى الانكليز — قال :
« كنا في نحو الخمسين والانكليز في نحو الخمسة
آلاف .. فلو قبضوا علينا في ذلك الوقت لمكثوا
الاقليم من غير مبالغ .. فسبحان المنجي من
المهالك ! » .

واذا تأمل العاقل في هذه القضية يرى فيها أعظم
الاعتبارات والكرامة لدين الاسلام . حيث سخر
الطائفة الذين هم أعداء للملة ، هذه لدفع تلك
الطائفة ومساعدة المسلمين عليهم . وذلك مصداق
الحديث الشريف وقوله صلى الله عليه وسلم :
« ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » .
فسبحان القادر الفعال .

واستمرت طائفة كبيرة بالاسكندرية من
الانكليز ، حتى يريد الله !

وفي ذلك اليوم : سافرت الملاقاة للحجاج
بالوش .

وفيه : وصلت مكاتبات من أهل القدس ويافا
والخليل يشكون ظلم محمد باشا أبي مرق ، وآله
أحدث عليهم مظالم وتفاريد ، ويستغيثون برجال
الدولة . وكذلك عرضوا أمرهم لأحمد باشا
الجزار . وحضر الكثير من أهل غزة ويافا والخليل
والرملة هروبا من المذكور .

وفي ضمن المكاتبات : أنه حفر قبور المسلمين
والأشراف والشهداء بيافا ونبشهم ، ورمى عظامهم ،
وشرع ينشئ في تلك الجبانة سورا يتحصن به ،
وأذن للتصاريق ببناء دير عظيم لهم ، ومكنهم أيضا
من مغارة السيدة مريم بالقدس ، وأخذ منهم مالا
عظيما على ذلك . وفعل من أمثال هذه الفعال أشياء
كثيرة !

وفيه : حضر جماعة من العسكر القبالي ،
وصحبتهم أربعة رؤوس من المصرية ، وفيهم رأس
على كاشفة أبي قباب . وتواترت الأخبار بوقوع
معركة بين العثمانية والمصرية ، وكانت الغلبة على
العثمانية ، وقتل منهم الكثير ... وذلك عنده
أرمنت . ورأس غصبة المصرية الأتني وصحبه
طائفة من الفرنسيين ، وتجمع عليهم عدة من عسكر
الفرنساوية والعثمانية طمعا في بذلهم .. وأن عثمان
بك بحسن انفرده عنهم وأرسل يطلب أمانا ليحضر .
فأرسلوا له أمانا ، فحضر الى باشة الصعيد ، وخلع
عليه فروة سمور ، وقدم له خيلا وهدية .

وفيه : ورد الخبر بموت محمد باشا طوسون
والى جدة وكذلك خازن داره .

١٤ منه (١٧ مايو ١٨٠٢ م) :

شرع الانكليز المتوجهون الى جهة السويس في
تعدية البر الشرقي ، ونصبوا وطاقهم عند جزيرة
بدران ، وبعضهم جهة العادلية . وذهبت طائفة منهم
جهة البر الغربي متوجهين الى القصير . واستمروا
يعدون عدة أيام ، ويخضر أكابرهم عند الباشا ،
ويركبون قيرمون لهم مدافع خال ركبهم الي
أماكنهم .

٢٢ منه (٢٥ مايو ١٨٠٢ م) :

عدى حسين بك وكيل القبطان الى الجيزة
وتسلنها من الانكليز ، وأقام بها وسكن بالقصر .

٢٥ منه (٢٨ مايو ١٨٠٢ م) :

وصل الى ساحل بولاق أغا ، وعلى يده شالات وأوامر . وحضر أيضا عساكر رومية ، فأرسلوا عدة منهم الى الجيزة . فركب ذلك الأغا في موكب من بولاق الى بيت الباشا . فخلع عليه وقدم له مقدمة ، وضربوا له عدة مدافع .

وفيه : حضر ططري من ناحية قبلى بالأخبار بما حصل بين العثمانية والمصرية ، وطلب جيخانة ولوازمها .

وفيه : وصلت الأخبار بأن أحمد باشا أرسل عسكرا الى أبي مرق من البر والبحر فأحاطوا بيافا ، وقطموا عنهم الجالب ، واستمروا على حصاره .

وفيه : اتخذ الباشا عسكرا من طائفة «التكرور» الذين يأتون الى مصر بقصد الحج ... فعرضهم واختار منهم جملة . وطلبوا الخياطين ففصلوا لهم قناتيش قصارا من جوخ أحمر ، وألبسة من جوخ أزرق ، وصدريات ... وجميعها ضيقة مقمطة مثل ملابس الفرنسيين ، وعلى زده وسهم طراير حمراء

وأعطوهم سلاحا وبنادق ، وأسكنوهم بقلعة الجامع الظاهري خارج الحسينية ، وجعلوا عليهم كبيرا يركب فرسا ويلبس فروة سمور . وجمع الباشا أيضا المييد السود ، وأخذهم من أسيادهم بالقهر ، وجعلهم طائفة مستقلة ، وألبسهم شبه ما تقدم ، وأركبهم خيلا ، وجعلهم فرقتين : صفارا وكبارا ، واختارهم للركوب اذا خرج الى الخلاء ، وعليهم كبير يعلمهم هيئة اصطفاة الفرنسيين وكيفية أوضاعهم ، والاشارات برش وأردبوش وكذلك طلب المالك ، وغصب ما وجده منهم .. من أسيادهم واختص بهم وألبسهم شبه لبس المالك المصرية ، وعمائم شبه عمائم البحرية الأروام ، ويلكات وشراويل . وأدخل فيهم ا وجده من الفرنسيين ، وجعل لهم كبيرا أيضا من الفرنسيين يعلمهم الكر والفر والرمي ببنادق . وفي بعض الأحيان يلبسون زرديات وخودا ، وبأيديهم السيوف المسلوطة . وسوا ذلك كله « النظام الجديد » .

مصر

٢ منه (٤ يونيه ١٨٠٢ م) :

وصل سعيد أغا وكيل دار السعادة ، وهو فحل



معركة بين العثمانية والمصرية

أسمر ، فحضر عند الباشا ، فقابله وخلع عليه وقدم له مقدمة ، وضربوا له ١٥٠ مدافع أيضا .

٩ منه (١١ يونيو ١٨٠٢ م) :

عمل الباشا ديوانا ، وحضر القاضى والعلماء والأعيان ، وقرأوا خطا شريفا حضر بصحبة وكيل دار السعادة بأنه ناظر أوقاف الحرمين .

١٢ منه (١٥ يونيو ١٨٠٢ م) :

قتل الباشا ثلاثة أشخاص من النصارى المشاهير وهم : الطون أبو طاقية ، وإبراهيم زيدان ، وبركات معلم الديوان سابقا . وفى الحال أرسل الدفتردار فحتم على دورهم وأملأهم ، وشرعوا فى نقل ذلك الى بيت الدفتردار على الجمال ليبيع فى المزاد . فبدأوا باحضار تركة الطون أبى طاقية ، فوجد له موجود كثير من ثياب وأمتعة ومصاغ وجواهر وغيرها ، وجوارى سود وجوش ، وساعات واستمر سوق المزاد فى ذلك عدة أيام .

وفيه : تواترت الأخبار بأن بونا برته خرج بعمارة كبيرة ليحارب الجزائر ، وأنه انضم الى طائفة الفرنسيين «الأسبانيول» و «النامرطان» وتفرقوا فى البحر وكثر اللفظ بسبب ذلك ، وامتنع سفر المراكب ، ورجع الإنكليز الى قلاع الاسكندرية واستمرت هذه الاشاعة مدة أيام ، ثم ظهر عدم صحة هذه الأخبار ، وأن ذلك من اختلاقات الإنكليز .

١٧ منه (١٩ يونيو ١٨٠٢ م) :

حضر جاووش الحج ، وصحبته مكاتبات الحاج من العقبة ، وضربوا لحضوره مدافع ، وأخبروا الأمن والرخاء والراحة ذهابا وإيابا ، ومشوا من الطريق السلطاني ، وتلقتهم العزبان وفرحوا بهم .

٢١ منه (٢٢ يونيو ١٨٠٢ م) :

وصل الحجاج ، ودخلوا الى مصر .
ولى صباحها : دخل أمير الحج وصحبته المحمل .

٢٢ منه (٢٥ يونيو ١٨٠٢ م) :

سافر حسين أغا شنن وزين الفقار كتخدا ، وصحبتهما على كاشف ، للملاقة عثمان بيك حسن ، وأخلوا له دار عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين .

٢٨ منه (٣٠ يونيو ١٨٠٢ م) :

حضر عثمان بيك حسن ، فأرسل اليه الباشا أعيان أتباعه من الأغوات وغيرهم والجنائب ، فحضر بصحبتهم وقابل حضرة الباشا ، وخلع عليه خلعة ، وقدم له مقدمة . وذهب الى الدار التى أعدت له ، وحضر صحبته صالح بيك غيطاس وخلافه من الأمراء البطالين ، ومعهم نحو المائتين من الفز والممالك ... سكن كل من الأمراء والكشاف فى مساكن أزواجهم . فكانوا يركبون فى كل يوم الى بيت عثمان بيك ، ويذهبون صحبه الى ديوان الباشا . ورتب له خمسة وعشرين كيسا فى كل شهر .

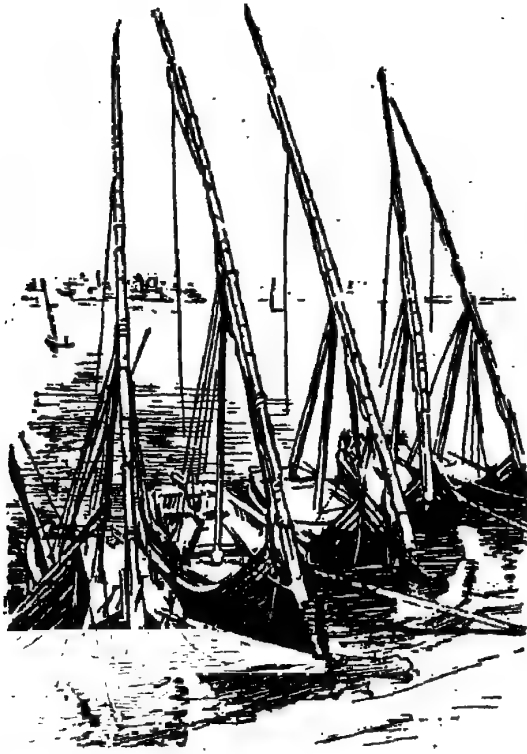
ربيع الأول

غرفته (٢ يولية ١٨٠٢ م) :

شرعوا فى عمل المولد النبوى ، وعملوا صواري ووقدة قبالة بيت الباشا وبيت الدفتردار والشيخ البكرى ، ونصبوا خياما فى وسط البركة .

٨ منه (٩ يولية ١٨٠٢ م) :

نودى بتزيين البلد وفتح الأسواق والجوانيت ، والسهر بالليل ثلاث ليال : أولها صبح يوم الجمعة وآخرها الأحد ليلة المولد الشريف . فكان كذلك . وفى ليلة المولد : حضر الباشا الى بيت الدفتردار باستدعاء وتغشى هناك ، واحتفل لذلك الدفتردار .



الراكب بعد حجزها

شرعوا في تسفير عساكر أيضا ، وسارى عسكرهم
ظاهر باشا ، وأخذ في التشهيل والسفر .

١٥ منه (١٦ يولية ١٨٠٢ م) :

عدى طاهر باشا الى البر الغربي وتبعته العساكر .
ولى ذلك اليوم : حضرت مكاتبة من الأمراء
القبالي . ملخصها : أن الأرض ضاقت عليهم ،
واضطربهم الحال والفيق وفراق الوطن الى ما كان
منهم ، وأنهم في طاعة الله والسلطان ، ولم يقع منهم
ما يوجب ابعادهم وطردهم وقتلهم . فانهم خدعوا
وجاهدوا وقاتلوا مع العثمانيين ، وأبلسوا مع
الفرنساوية ، فجوزوا بضد الجزاء . ولا يهون
بالنفس الذل والاقبال على الموت . فاما أن تعطونا
جهة تمشي فيها ، أو ترسلوا لنا أهلنا وعيالنا ،
وتسهلوا لنا مراكب على ساحل القصير لنسافر فيها
الى جهة العجاز ، أو تعينوا لنا جهة نقيم بها نحو
خمسنة أشهر محصاة ما نطأه الدولة في أمرا

وعمل له خراقة نفوط وسوارينج ، حصاة من الليل .
وقيه : وصلت الأحبار بكثرة جريدة الأمراء
القبالي . وتجمع عليهم الكثير من غوغاء العرف
والهوازة والغريان ، ووصلوا الى الحربى أسيوط .
وخافتهم المساكر العثمانية ، وداخلهم الرعب
منهم ، وتحصن كل فريق في الجهة التي هو فيها .
وانكشوا عن الاقدام عليهم ، وهابوا لقاءهم ...
مع ما هم عليه من الظلم والفجور والفسق بأهل
الريف ، والعنف بهم ، وطلبهم الكلف الشاقة ،
والقتل والحرق . وذلك هو السبب الداعي لنفور
أهل الريف منهم وانضمامهم الى المضرية .

ومن جملة أفاعيلهم التي ضيقت المنافس وأخرجت
الصدور — حتى أعظم الدولة — حجزهم المراكب
ومنعهم السفار .. حتى تعطلت الأسباب ، وانقطع
حضور الغلال من الجهة القبلية ، وخلت عرصات
الغلة والسواحل من الغلال ... مع كثرتها في بلاد
الصعيد . ولولا تشديد الباشا في عدم زيادة سعر
الغلة .. لغلت أسعارها . وأمر بأن لا يدخلوا الى
الشون والخواصل شيئا من الغلة ، بل يباع ما يرد
على الفقراء حتى يكتفوا .

وفي كل وقت يرسلون أوراقا وفرمانات الى
العساكر باطلاق المراكب ، فلا يمثلون . ويحجز
الواحد منهم أو الاثنان المركب التي تحمل الألف
أردب ، ويربطونها بساحل الجهة التي هم بها ،
وتستمر كذلك من غير منفعة . وربما مرت بهم
المركب المشحونة بالغلة فيأخذون منها النواتية
والرسل يستخدمونها في مراكبهم ، ويأخذ غيرهم
المراكب فيرمي ما بها من الغلال على بعض السواحل
إن لم يجدوا من يشتريه ، يأخذون المراكب
فيربطونها عندهم ... وأمثال ذلك ما تقصر عنه
العبارة .

ولما تواترت هذه الأخبار عن الأمراء القبالي ،

ويرجع لنا الجواب ، ونعمل بمقتضى ذلك . فان لم تحيونا لشيء من ذلك فيكون ذنب الخلاق في رقابكم .. لا رقابنا !

وورد الخبر عنهم أنهم رجعوا القهقري الى قبلى . فلما حضرت تلك المكتابة ، فاشتوروا في ذلك ، وكتبوا لهم جوابا بامضاء الباشا والدفتردار والمصايخ ، حاصله الامان ... لما عدى ابراهيم بيك والألقى والبرديسى وأبو دياب ، فلا يمكن أن يؤذن لهم بشيء حتى يرسلوا الى الدولة ، ويأتى الاذن بما تقتضيه الآراء . وأما بقيتهم فلمهم الامان والاذن بالحضور الى مصر ، ولهم الاعزاز والاکرام . ويسكنون فيما أحبوا من البيوت ، ويرتب لهم ما يكفيهم من التراتيب والالتزام وغير ذلك .. مثل ما وقع لعثمان بيك حسن ، فانهم رتبوا له خمسة وعشرين كيسا في كل شهر ، ومكنوه مما طلبه من خصوص الالتزام ، ورفعوها غنم كان أخذها بالحلوان . وهذه أول قضية شنيعة ظهرت قدومهم .

واستمر طاهر باشا مقيما بالبر الغربى .

وفي هذا الشهر : كمل تميم عمارة المقياس على ما كان عمره الفرنسيين على طرف الميرى ، وأنشأ به الباشا طيارة في علوه عوضا عن الطيارة القديمة التى هدمها الفرنسيين . وأنشأ أيضا مصطبة في مرمى الشباب بالناصرية ، وجعل فيها كشكا لطيفا مزينا بالأصباغ ودرازين حول المصطبة المذكورة ومن الحوادث بسكندرية : أنه حضر قليون وفيه تجار وبزرجانية قال له « قليون مهردار الدولة » . فأرسي بالمينة الغربية ، وطلع منه قطان وبعض التجار الى البلدة ، وأقاموا نحو يومين أو ثلاثة . فطلع رجل نصرانى ، وأخبر الانكليز أنه مات به رجل بالطاعون ، ومات قبله ثلاثة أيضا . فطلبوا القبطان ... فهرب ، فأرسلوا الى المركب وأحضروا البيازجى ، وتحققوا القضية ، وأحرقوا

المركب بما فيها ، وأشهروا اليازجى وعروه من ثيابه ، وسحبوه بينهم فى الأسواق . وكلما مروا به على جماعة من العثمانية مجتمعين على مساطب القهاوى ، بطحوه بين أيديهم ، وضربوه ضربا شديدا ، ولم يزالوا يفعلون به ذلك حتى قتلوه ! ووقع أيضا : أن خورشيد ، حاكم الاسكندرية ، أحدث مظالم ومكوسا على الباعة والمحترفين . فذهب بعض الانكليز يشتري سمكا . فطلب السمك منه زيادة فى الثمن عن المعتاد ، فقال له الانكليزى : « لى شيء تطلب زيادة عن العادة ؟ » فعرفه بما أحدث عليهم من المكس . فرجع الانكليزى وأخبر كبراه . فتحققوا القضية ، وأحضروا المتنادى وأمروه بالنبادة بإبطال ما أحدثه العثمانية من المكوس والمظالم فخرج المتنادى وقال . « حسبما رسم الوزير محمد باشا وخورشيد أنما بأن جميع الحوادث المحدثه بطلاة » فسمعوه يقول ذلك ، فأحضروه وضربوه ضربا شديدا وعزروه على ذلك القول ، وقالوا له : « قل فى مناداتك : حسبما رسم سارى عسكر الانكليز » .

ووقع أيضا : أن جماعة من العسكر أرادوا القبض على امرأة من النساء اللاتى يصاحبن الانكليز فمنعها منهم عسكر الانكليز . فتضاربوا معهم ، فقتل من الانكليز اثنان . فاجتمع الانكليز وأرسلوا الى خورشيد بأن يخرج الى خارج البلدة ويحاربهم . فامتنع من ذلك . فأمروه بالنزول من القلعة ، وأسكنوه فى دار بالبلد ، ومنعوا عسكره من حمل السلاح مطلقا مثل الانكليزية ، واستمروا على ذلك .

ربيع الآخر

الاحد غرته (اول أغسطس ١٨٠٢ م) :

شرع الباشا فى هدم الأماكن المجاورة لمنزله

يوم الخميس بحضرة الباشا والقاضى ، والشرك
المعتاد . وجرى الماء فى الخليج ، ولم يطف مثل
العادة . ومنعوا دخول السفن والمراكب المعدة
للنزهة ، وذلك بسبب أذية العساكر العثمانية .

١٥ منه (١٥ أغسطس ١٨٠٢ م) :

كملت عمارة مشهد السيدة زينب بقناطر السباع ،
وكان من خبره : أن هذا المشهد كان أنشأه وعمره
عبد الرحمن كتحدا القازدغلى فى جملة عمائره ،
وذلك فى سنة أربع وسبعين ومائة وألف فلم يزل
على ذلك الى أن ظهر به خلل ومال شقه ، فانتدب
لعمارة عثمان بيك المعروف بالطبرجى المرادى فى
سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف .. فهدمه وكشف
أنقاضه ، وشرع فى بنائه ، وأقام جدرانه ، ونصبوا
أعمدته ، وأرادوا عقد قناطره . فحصلت حادثة
الفرنسيس ، وجرى ما جرى . فبقى على حاله الى
أن خرج الفرنسيس من أرض مصر وحضرت الدولة
العثمانية ... فعرض خدمة الضريح الى الوزير
يوسف باشا ، فأمر باتمامه وإكماله على طرف الميرى .
ثم وقع التراخى فى ذلك الى أن استقر قدم محمد
باشا فى ولاية مصر ، فاهتم لذلك . فشرعوا فى
إكماله وتسميته وتسقيفه . وتفيد لمباشرة ذلك
ذو الفقار كتحدا ، فتم على أحسن ما كان . وأحدثوا
به حنفية وفسحة ، وزخرفوه بالنقوشات والأصباغ .
ولما كان يوم الجمعة حصلت به
الجمعة ، وحضر الباشا والدفتردار والمشايخ
وصلوا به الجمعة . وبعد انقضاء الصلاة ، عقد
الشيخ محمد الأمير المالكى درس وظيفته ، وأملى
«لما يعمر مساجد الله .. الآية» والأحاديث المتعلقة
بذلك ، وتم المجلس ، وخلع عليه الباشا بعد ذلك
خلعة .. وكذا الامام .

وفيه : نصب للباشا حيمة عند بيته بقرب الهدم ،
يجلس بها حصة كل يوم لمباشرة العمل ... وربما

— التى تهدمت واحترقت فى واقعة الفرنسيس —
لينبها مساكن للعساكر المختصة به ، وتسمى عندهم
« بالقشلة » ، وذلك من قبالة منزله من المكان
المعروف بالساكت الى جامع عثمان كتحدا حيث
رضيف الخشاب ، واهتم لذلك اهتماما عظيما ،
ورسم بعمل فردة على البلاد أعلى وأوسط وأدنى .
وأرسلوا المعينين لقبض ذلك من البلاد مع
ما الفلاحون فيه من الظلم والجور من العساكر
والمباشرين ، وحق الطرق وفرد الانكليز .

وفيه : حضر أحمد أغا شويكار من غند القبالي ،
ومحمد كاشف صحته من جماعة الألفى ، ومعهم
مكاتبات . وأشيع طلبهم الصلح فأقاموا عدة أيام
محجوبين عن الاجتماع بالناس ، ثم سافروا فى
أواسطه . ولم يظهر كيفية ما حصل . وبطل سفر
طاهر باشا الى الجهة القبلىة ، ورجع الى داره بعد
أيام من رجوعهم .

وفيه : عمل مولد المشهد الحسينى .

الخميس ٥ منه (٥ أغسطس ١٨٠٢ م) :

دعا شيخ السادات الباشا بمناسبة الاحتفال
بالمولد ، وتعشى هناك ، ورجع الى داره .

وفيه : تقلد السيد أحمد المحرقى أمين
الضربخانة ، وفرق ذهابا كثيرا فى ذلك اليوم بيت
الباشا . وعمل له ليلة بالمشهد الحسينى ، ودعا
الباشا والدفتردار وأعيان الدولة والعلماء ، وأولم
لهم وليمة عظيمة ، وأوقد بالمسجد وقدة كبيرة ،
وقدم للباشا مقدمة .

وفى صباحها : أرسل مع ولده هدية وتعبية
أقمشة نفيسة . فخلع عليه الباشا فروة سمور .

١٢ منه (١٢ أغسطس ١٨٠٢ - ٦ مسرى ١٥١٨ ق) :

كان وفاء النيل المبارك ، وكسر السد فى صباحها

باشر بنفسه ، وتقل بعض الأتقاض .. فلما عاينه
الأغوات والجوخدارية .. بادروا الى الشيل وتقل
التراب بالغلقان فلما أشيع ذلك ، حضر طاهر باشا
وأعيان المساكر ، فقلوا أيضا وطلبوا المساعدة .

وحضر طائفة من ناحية الرملة وعرب النصار ،
ومعهم طبول وزمور . فسأل عن ذلك ، فقال له ،
المحتسب ذو الفقار : « هؤلاء طائفة من طوائفى
حضروا لأجل المساعدة » . فشكرهم على ذلك
وأمرهم بالذهاب . فبقى منهم طائفة ، وأخذوا فى
شيل التراب بالأغلاق ساعة ، والطبول تضرب لهم .
فانسر الباشا من ذلك ، وحسن القراء للباشا
المساعدة ، وأن الناس تحب ذلك . فرتبوا ذلك
وأحضروا قوائم أرباب الحرف التى كتبت أيام فرد
الهم نيس ، ونهبوا عليهم بالحضور . فأول
ما بدأوا .. بالنصارى والأقباط . فحضروا ويقدمهم
رؤسائهم : جرجس الجوهري ، وواصف ،
وفلتوس ومعهم طبول وزمور . وأحضر لهم أيضا
مهار باشا النوبة التركية وأنواع الآلات والمغنين ..
حتى البرامكة بالرباب ، فاشتغلوا نحو ثلاث
ساعات .

وفى ثانى يوم : حضر منهم أيضا كذلك طائفة .
ولما انقضت طوائف الأقباط ، حضر النصارى
الشوام والأروام . ثم طلبوا أرباب الحرف من
المسلمين . فكان يجتمع الطائفتان والثلاث ويحضر
معهم عدة من الفعلة يستأجرونهم ، ويحضر
العمل ويقدمهم الطبول والزمور والمجرية . وذلك
خلاف ما رتبته مهار باشا . فيصير بذلك ضجة عظيمة
مخالطة من ثوابت تركية ، وطبول شامية ، وثقافير
كشوفية ، ودبابد حربية ، وآلات موسيقية ،
وطبالات بلدية ، وربابات برامكية .. كل ذلك فى
السنن والغبار والغفار .

وزادوا فى الطنبور نفعة : وهى أنهم بعد أن
يفرغوا من الشغل ، ويأذنوا لهم بالذهاب ، يلزمونهم

بدرهم يقبضها مهار باشا يرسم البقشيش على
أولئك الطبالين والزمارين . فيعطيهم النزر اليسير
ويأخذ لنفسه الباقي . وذلك بحسب رسمه
واختياره . فيأتى على الطائفة المائة قرش والخمسون
قرشا ونحو ذلك . فيركب فى ثانى يوم ويذهب الى
خطتهم ، ويلزمهم باحضار الذى قرره عليهم .
فيجمعونه من بعضهم ويدفعونه . وإذا حضرت
طائفة ، ولم تقدم بين يديها هدية أو جمالة .. طولوا
عليهم المدة ، وأتمبهم ونهروهم ، واستحثهم فى
الشغل ، ولو كانوا من ذوى الحرف المعترية ..
كما وقع لتجار النورية والحربية . وإذا قدموا
بين أيديهم شيئا .. خففوا عليهم وأكرمهم ،
ومنعوا أعيانهم وشيوخهم من الشغل ، وأجلسوهم
بخيمة مهار باشا ، وأحضر لهم الآلات والمغاني
فضربت بين أيديهم . كما وقع ذلك لليهود .

واستمر هذا العمل بقية الشهر الماضى الى
وقتنا هذا .. فاجتمع على الناس عشرة أشياء من
الرذالة ، وهى : السخرة ، والعونة ، وأجرة
الفعلة ، والذل ، ومهنة العمل ، وتقطيع الثياب ،
ودفع الدراهم ، وشماتة الأعداء من النصارى ،
وتعطيل معاشهم ، وعاشرها : أجرة الحمام .

وفيه : حضر قصاص من الطر ، وعلى يدهم
مكاتبات من الدولة ، بوقوع الصلح العام بين
الدولة والقرانات . وعثمان باشا ومن معه من
المخالفين على الدولة ، من جهة الروملى . فعملوا
شككا ومندافع ثلاثة أيام ، تضرب فى كل وقت من
الأوقات الخمسة . وكتبوا أوراقا بذلك والصقوها
فى مفارق الطرق والأسواق . وقد تقدم مثل ذلك ...
وأظنه من المختلقات !

فى أواخره (أواخر اغسطس ١٨٠٢ م) :

حضر حريم الباشا من الجهة الرومية . وهما
اثنتان : أحدهما معتوقة أم السلطان ، والأخرى

معتوقة أخته زوجة قبطان باشا ، وصحبتهما عدة سرارى . فأسكنهن بيت الشيخ خليل البكرى ، وقد كان عمره قبل حضورهن ، وزخرفه . ودهنوه بأنواع الصباغات والنقوش ، وفرشوه بالفرش الفاخرة .

وفرش المحروقى مكانا ، وكذلك جرجس الجوهري فرش مكانا ، وأحمد بن محرم . واعتنوا بذلك اعتناء زائدا ... حتى أن جرجس فرش بساطا من الكشمير وغير ذلك . وعمل وليمة العقد ، وعقد على التتبن في آن واحد بحضرة القاضى والمشايخ ، وأهدوا لكل من الحاضرين بقجة من ظرائف الأقمشة الهندية والرومية ، وعملوا شنكا وحرقة بالأزبكية عدة ليال .

جمادى الأولى

الاثنين ٨ منه (٦ سبتمبر ١٨٠٢ م) :

شنقوا ثلاثة من عساكر الأروام : أحدهم بباب زويلة ، والثانى بباب الخرق ، والثالث بالأزبكية بالقرب من جامع عثمان كتخدا . وقتلوا أيضا شخصا بالنحاسين .

الثلاثاء ٩ منه (٧ سبتمبر ١٨٠٢ م) :

عمل الباشا ديوانا ، وفرق الجامكية على الوجاقلية .

وفيه : وردت الأخبار بوقوع حادثة بين الأمراء القبالي والعثمانية . وذلك أن شخصا من العثمانية يقال له « أجدر » موصوفا بالشجاعة والاقدام ، أراد أن يكبس عليهم على حين غفلة ، ليكون له ذكر ومنقبة في أقرانه . فركب في نحو الألف من المسكر المعدودين - وكانوا في طرف الجبل بالقرب من الهوة - فسبق العين الى الأمراء وأخبرهم بذلك .

فلما توسطوا سطح الجبل ... وإذا بالمصرية أقبلت عليهم في ثلاثة طواير ، فأحاطوا بهم . فضرب العثمانية بنادقهم طلقا واحدا لاغير ، ونظروا ... وإذا بهم في وسطهم ، وتحت سيوفهم ، ففتكوا فيهم وحصدوهم ، ولم ينج منهم الا القليل ، وأخذ كبيرهم « أجدر » المذكور أسيرا ، وانجلت الحرب بينهم وأحضروا « أجدر » بين يدي الأتقى ، فقال له : « لآى شىء سموك أجدر ... ؟ ! » فقال : « الأجدر ، معناه الأفعى العظيم وقد صرت من أتباعك ! » . فقال : « لكن يحتاج الى تطريكم وإخراج سمك أولا » . وأمر به ، فأخذوه وقلعوا أسنانه ، ثم قتلوه ، وأخذوا جميع ما كان معه ، ومن جملة ذلك أربعة مدافع كبار .

وفيه : قلدوا أحمد كاشف سليم اماراة أسيوط . وعزل أميرها مقدار بيك العثمانى بسبب شكوى أهل النواحي من ظلمه .

الاثنين ١٥ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠٢ م) :

تواترت الأخبار برجع الأمراء القبالي الى بحرى ، وأنهم وصلوا الى بنى عدى ، فنهبوا غلالها ومواشيهم ، وقبضوا أموالها ، وأعطوهم وصولات بختمهم ، وكذلك الحواوشة وما جاور ذلك من البلاد .

فشرع العثمانية بمصر فى تشهيل تجريدة وعساكر .

وفيه : حضرت أيضا عساكر كثيرة من «هبود»^(١) الأتراك والأرتوود ، فأحضروا مشايخ الحارات وأمروهم باخلاء البيوت لسكنائهم فأزعجوا الكثير من الناس ، وأخرجوهم من دورهم بالقهر . فحصل للناس غاية الضرر ، وضاق الحال بالناس وكلما سكنت منهم طائفة بدار ، أخربوها وأحرقوا

- هبود : صفة للتحقير بمعنى « صغاليك » .

أخشاها وطيقانها وأبوابها ، وانتقلوا الى غيرها
فيعملون بها كذلك .

ومن تكلم أو دافع عن داره ، وبخ بالكلام ،
وقيل له : « عجب ! ... كنتم تسكنون الفرنسيين ،
وتخلون لهم الدور » .. وأمثال ذلك من الكلام
القيح الذى لا أصل له .

ولما شرعوا فى تشييل التجريدة ، حصلت منهم
أمور وأذية فى الناس كثيرة .

فمنها : أنهم طلبوا الحمارى المكارية وأمروهم
ياحضار ستمائة حمار ، وشددوا عليهم فى ذلك .
فقبل انهم لما جمعوها ، أعطوهم أثمانها فى كل حمار
خسة ريال .. بعدته ولجامه ، مع أن فيها ما قيمته
خسون ريالاً خلاف عدته . ثم ما كفاهم ذلك ، بل
صاروا يخطفون حمير الناس من أولاد البلد بالقهر ،
وكذلك حمير السقائين التى تنقل الماء من الخليج ،
حتى امتنعت السقاءون بالكلية ، وبلغ ثمن القربة
الكتافى من الخليج ، عشرة أنصاف فضة !

وتعدى بالخطف أيضاً من ليس بمسافر . فكانوا
ينزلون الناس من على حميرهم ، ويذهبون بها الى
الساحة ويبيعونها . والبعض تبعهم واشترى حماره
بالثمن . فخبى جميع الناس حميرهم فى داخل
الدور ، فكان يأتى الجماعة من العسكر وينصتون
بأذانهم على باب الدار ، ويتبعون « نهيق »
الحمير . وبعض شياطينهم يقف على الدار
ويقول : « زرا » ويكررها ... فينهق الحمار ،
فيعلمون به ، ويطلبونه من البيت : فاما أخذوه ،
أو اقتداه صاحبه بما أرادوه ... وغير ذلك !

وفيه : حضر قاضى سبندرية الى مصر . وذلك
أنه لما حضر من اسلامبول طلع الى داره ، وحضرت
اليه الدعاوى ، فأخذ منهم المحصول على الرسم
المعتاد فأرسل اليه الانكليز ولاموه على عدم
حضوره اليهم وقت قدومه ، وقالوا له : « ان أقمبت

هنا بتقليدنا اياك فلا تأخذ من أحد شيئاً ، ونرتب
لك ثلاثة قروش فى كل يوم ... والا فاذهب حيث
شئت » . فحضر الى مصر بذلك السبب .

جمادى الآخرة

الأحد ٥ منه (٣ أكتوبر ١٨٠٢ م) :

سافرت العساكر الى الأمراء القبالي ، ومسافر
أيضا عثمان بك الحسنى وباقي العساكر المعزولين ،
وأمر العساكر العثمانية محمد على سرششمه .

وكان الباشا أرسل ابراهيم ، كاشف الشرقية ،
بجواب اليهم ، فرجع فى ثامنه بجواب الرسالة ،
وأعطاه الألفى ألفى ريال ، وقدم له حصانين .
وحاصل تلك الرسالة - كما تقدم - الأمان لجميع
الأمراء المصرية ، وأنهم يحضرون الى مصر
ويقيمون بها ، ولهم مايرضيهم من الفائض وغيره
مأعدا الأربعة الأمراء ، وهم : ابراهيم بك ،
والألفى ، والبردىسى ، وأبو دياب ، فانهم مطلوبون
الى حضرة السلطان يتوجهون اليه مع الأمن عليهم ،
ويعطيهم مناصب وولايات كما يحسون . فان لم
يرضوا بذلك ، فيأخذوا اقطاع اسنا ويقيمون بها

فلما وصل ابراهيم أغا المذكور الى أسبوط ،
وأرسل اليهم ... أرسلوا اليه أحمد أغا شوبكار
ومحمد كاشف الألفى فانتظروه خارج الجبابة ،
فخرج اليهم ، ولاقوه ، وأخذوه صحتهم الى
عريضهم ، وأنزلوه بوطاق بات به .

فلما أصبح الصباح طلبوه الى ديوانهم ، فحضر
ووقفت عساكرهم صفوفاً بينادقهم ، وفيهم كشيـ
على هيئة اصطفاة الفرنسيين ، وعملوا له شبنكا
ومدافع . ثم أعطاهم المكاتبه بحضرة الجميع ...
فقرأوها ، ثم تكلم الألفى وقال : « أما قولكم
نذهب الى اسلامبول ونقابل السلطان بنعم غليط ...
فهذا لما لا يمكن . وإن كان مراده أن ينعم علينا

فأنا في بلاده وانعامه ، لا يتقيه بحضورنا بين يديه .
وأما بقية اخواننا فهم بالخيار : ان شاءوا أقاموا
معنا ، والا ذهبوا .. وكل انسان أمير نفسه . وأما
كون حضرة الباشا يعطينا اقطاع اسنا .. فلا يكفيننا
هذا ، وانما يكفيننا من أسبوط الى آخر الصعيد ،
وتقوم بدفع خراجة . فان لم يرضوا بذلك فان
الأرض لله ... ونحن خلق الله ، نذهب حيث شئنا ،
ونأكل من رزق الله ما بكفيننا ، ومن أتى النسا
حاربناه حتى يكون من أمرنا ما يكون . ثم
استقروا بقنطرة اللاهون ، وكسروا القنطرة ،
وشرعوا في قبض الاموال من بلاد الفيوم .

فلما رجع ابراهيم كاشف بذلك الخواب ، ركب
الباشا في صباحها الى الآثار ، واستعجل العسكر
بالذهاب . فعدوا الى البر الغربي ، وتأخر عنهم
عثمان بيك الحسنى والغز المصرية ، وباتوا بطرا ..
وفيه : شنع الباشا رجلا طبجيا في المشتقة التي
عند قنطرة المغربى .

ثم ان عثمان بيك أرسل الى الباشا يطلب حسن
أغا شنن ومصطفى أغا الوكيل ، ليتفاوض معهما في
كلام فأرسل له ابراهيم أغا كاشف الشرقية ،
فأعطاه الخلة التي خلعا عليه الباشا ، ودرهم
الترجلة ، وقال له : « سلم على أفندنا وأخبره
أنى جاهدت الفرنسيين ، وبلوت معهم .. ثم انى
حضرت بأمان طائعا ، فلم أجاز ، ولم يحصل ما كنت
أؤمله ، ولم يوفوا معى وعدا ... وأنا لا أقاتل
اخوانى المسلمين ، وأختم عملى بذلك ، ولا أقيم
بمصر أكل الصدقة ، وانما أذهب سائحا في بلاد
الله ا » . وكان في ظن عثمان بيك أنه اذا أتى الى
مصر على هذه الصورة ، يجعله الباشا أمير البلد ،
أو أمير الحج .

وفيه : أمر الباشا محمد كتخدا ، المعروف
بالزربة ، بالسفر الى جهة قبلى . فاستغنى من

ذلك .. فأمر بقتله . فشنع فيه يوسف كتخدا
الباشا ، وقال : « ان له حرمة ، وقد كان فى السابق
كتخدا لأفندنا ، ولا يناسب قتله على هذه
الصورة » ، فأمر بسفره الى جهة البحيرة محافظا .
فسافر من يومه .

وأما عثمان بيك ، فانه ركب وذهب الى جهة
قبلى ، مشرقا على غير الرسم . واشيع ذلك فى
الناس ، ولغطوا به . فلما تحقق العثمانية ذلك ،
رسموا لطوائف العسكر أن يقيموا منهم طوائف
بالقلاع التى على التلول ، ونصبوا عليها ياروقا ،
وأوقفوا حراسا على أبواب المدينة ينعون من
يخرج من المدينة من الغز الخيالة والمصرية . فمن
خرج الى بولاق أو غيرها .. فلا يخرج الا بورقة
من كتخدا الباشا .

الجمعة ١٠ منه (٨ أكتوبر ١٨٠٢ م) :

أمر الباشا بكس بيوت الأمراء الحسنية ،
ونهب ما بها من الخيول والجمال والسلاح

وفيه : حضر أغات التبديل الى بيت العربطلى
بعطفه « خشقدم » وبه جماعة من عسكر المغاربة ،
فكس عليهم ، وقبض على جماعة منهم وكشفهم
وكشف رؤوسهم . وأحاطت بهم عساكره وسحبوهم
وأخذوا ما وجدوه فى جيوبهم على هيئة شتعة ،
ومروا بهم على الغورية ، ثم على التحاسن . وباب
الشعرية .. حتى انتهوا بهم الى الأربكة على حارة
النصارى ، ودخلوا بهم بيت الباشا وهم لا يفلتون
لهم ذنبا .

فلما مثلوا بين يدى كتخدا الباشا ، ذكر لهم
أن بجوارهم ديرا للنصارى ، وأنهم فتحوا طائفة
صغيرا يطل على الدير فقالوا : « لا علم لنا
بذلك » ، وأخبروا أن جماعة من الأرثوذكس اكتنزل
معهم بأعلى الدار ، ويختل أن ذلك من فعلهم
فأرسلوا من كشف على ذلك ، فوجدوه كما قال

١٥ منه (١٣ أكتوبر ١٨٠٢ م) :

خرجت عساكر ودلاة أيضا ، وسافروا الى قبلى .

٢٣ منه (٢١ أكتوبر ١٨٠٢ م) :

سافر عساكر فى نحو الأربعين مركبا الى جهة البحيرة بسبب عرب بنى على ، فانهم عاثوا بالبحيرة ودمهون .

ومن الحوادث السماوية : أن فى تلك الليلة — وهى ليلة الأربعاء — اجرت السماء بالسحاب عند غروب الشمس حمرة مشوبة بصفرة ثم انجلت ، وظهر فى أثرها برق من ناحية الجنوب فى سحاب قليل متقطع ، وازداد ، وتتابع من غير فاصل حتى كان مثل شعلة النفط المتوقدة المتوجة بالهواء . واستمر ذلك الى ثالث ساعة من الليل ، ثم تحول الى جهة المغرب ، وتتابع ... لكن بفاصل على طريقة البرق المعتاد ، واستمر الى خامس ساعة ، ثم أخذ فى الاضطلال ، وبقي أثره غالب الليل . وكان ذلك ليلة سادس عشرين درجة من برج الميزان ، وحادى عشر باب القبطى ، وثامن تشرين أول الرومى (٢٤ أكتوبر ١٨٠٢ م) . ولعل ذلك من الملاحم المنذرة بحدوث من الحوادث .

وفيه : ورد الخبر بورود مركب من فرانس وبها الجى وقنصل وصحبتها عدة فرنسيس . فعمل لهم الانكليز شنكا ومدافع بالاسكندرية .

الثلاثاء ٢٨ منه (٢٦ أكتوبر ١٨٠٢ م) :

فى ليلته وصل ذلك الألجى ، وصحبه خمسة من أكابر الفرنسيين ، الى ساحل بولاق . فأرسل الباشا لملاقاتهم خازن داره وصحبه عدة عساكر خيالة وبأيديهم السيوف المسلوطة . فقابلوهم ، وضربوا لهم مدافع من بولاق والجيزة والأزبكية . وركبوا الى دار أعدت لهم بحارة البنادق ،

المقاربة ، فأطلقوهم بعد هذه الجرسة الشنيعة ، ومرورهم بهم الى حارة النصارى ، وأخذوا دراهمهم ومتاعهم .. والأمر لله وحده !

وفيه : أشيع مرور جماعة من الغز القبالي على جهة الجيزة ، الى جهة سكندرية ، وكذلك جماعة من الانكليز من سكندرية الى قبلى .

وفيه : تداعى مصطفى — خادم مقام سيدى أحمد البدوى — مع نسييه سعد بسبب ميراث أخته . فقال مصطفى : « أنا أحاسبه على خمسين ألف ريال » . فقال سعد : « أنا أستخرج منه مائتى ألف ريال ... بشرط أن تعوقوه هنا ، وتعطوني خادمه وجماعة من العسكر » . ففعلوا ذلك ، وعوقوه ببيت السيد عمر النقيب ، وتسلم سعد خادمه والعسكر ، وذهب بهم الى طنطا . فمقابوا الخادم ، فأقر على مكان أخرجوا منه ستة وثلاثين ألف ريال فرانسة . ثم فتحوا بئرا مردومة بالأتربة ، وأخرجوا منها ريات فرانسة ، وأنصافا وأرباعا وفضة عديدة ... كلها مخلوطة بالأتربة وقد ركبها الصبا والسواد ، فأحضروها وجلوها فى قاعة اليهود . ولم يزالوا يستخرجون .. حتى غلقوا مائة وسبعة وثمانين الفا وسبعمائة وكسورا ! وآخر الأمر ، أخرجوا خبيثة لا يعلم قدرها . ثم حصل العفو ، ورجع العسكر ، وأخذوا كراء طريقهم ، وأخذوا من أولاد عمه عشرة أكياس .

السبت ١١ منه (٩ أكتوبر ١٨٠٢ م) :

كان آخر التسخير فى نقل التراب من المقبرة (١) ، وكان آخر ذلك طائفة الخردة من الغياش والقرداتية وأرباب الملاعب . وبطل الزمر والطبل . واستمر العمل فى حفر الأساس ، وزشح عليهم الماء بأدنى حفر لكون ان ذلك فى وقت النيل ، والبركة ملائة بالماء حول ذلك .

(١) يقصد بمقبرة مسجد السيدة زينب .

وفيه : أشيع انتشار الأمراء القباني الى جهة بحرى ، وحضروا الى اقليم الجيزة ، وطلبوا منها الكلف حتى وصلوا الى وردان .

وفيه : حضر محمد كتحدا ، المعروف بالزربة ، الذى كان كتحدا الباشا - وتقدم أنه كان أمره بالسفر الى قبلى ، فامتنع - وأذن له بالسفر الى البحيرة محافظا . فلما تقدم طوائف الأمراء الى بحرى ، مر منهم جماعة قليلة على محمد كتحدا الزربة المذكور ، فلم يتعرض لهم مع قدرته على تعويقهم . فبلغ الباشا ذلك ، فحقددها عليه ، وأرسل اليه ، وطلبه الى الحضور ... فحضر .

٩ منه (٥ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

طلبه الباشا فى بكرة النهار . فلما أحضر ، أمر بقتله . فنزل به العسكر ، ورموا رقبته عند باب الباشا ، ثم نقلوه الى بين المارق قبالة حمام عثمان كتحدا . فاستمر مرميا عريانا الى قبيل الظهر ثم شالوه الى بيته ، وغسلوه فى حوش البيت سكته ، ودفنوه .

وعند موته أرسل الدفتردار فتحتم على داره ، وأخرج حريمه .

١٠ منه (٦ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

أحضروا تركته ومتاعه ، وباعوا ذلك بيت الدفتردار .

وفيه : وردت مكاتبات من الديار الرومية ، وفيها الخبر بعزل شريف أفندى الدفتردار ، وولاية خليل أفندى الرجائى المنفصل عن الدفتردارية عام أول . فحزن الناس لذلك حزنا عظيما ... فان أهل مصر لم يروا راحة من وقت دخول العثمانية الى مصر - بل من نحو أربعين سنة - سوى هذه السنة التى باشرها هو فإنه أرضى خواطر الصغير قبل الكبير ، والفقير قبل الغنى . وصرف الجامكية

وحضروا فى صباحها الى عند الباشا فقابلوه ، وقدم لهم خيلا معددة ، وأهدى لهم هدايا ، وصاروا يركبون فى هيئة وأبهة معتبرة . وكان فيهم جبير ترجمان بونا بارتته .

وفيه : وردت الأخبار بأن الغز القبالي نهبوا بلاد الفيوم ، وقبضوا أموالها ، ونهبوا غلالها ومواشيها ، وحرقوا البلاد التى عصت عليهم ، وقتلوا ناسها ... حتى قتلوا من بلدة واحدة مائة وخمسين نفرا ! وأما العشمانية الكائنون بالفيوم فإنهم تحصنوا بالبلدة ، وعملوا لهم متاريس بالمدينة ، وأقاموا داخلها .

رجب

فى غرته (٢٨ أكتوبر ١٨٠٢ م) :

رموا أساس عنارة الباشا ، وكان طلب من الفلكيين أن يختاروا له وقتا لوضع الأساس ... ففعلوا ذلك ، وكان بعد اثنى عشر يوما من يوم تاريخه .. فاستبعده ، وأمر يرمى الأساس فى اليوم المذكور ... ورب النجم يفعل ما يشاء ! .

وفيه : أحضروا أربعة رؤوس ، فوضعت عند باب الباشا . زعموا أنهم من قتلى الغز المصرية .

٥ منه (أول نوفمبر ١٨٠٢ م) :

سافر الألبانى الفرنساوى وأصحابه ، فنزلوا الى بولاق وأمامهم ممالك الباشا بزينتهم ، وهم لابسون الزروخ والخود ، وبأيديهم السيوف المسلولة ، وخلفهم العبيد المختصة بالباشا ، وعلى رؤوسهم طراير حمراء ، وبأيديهم البنادق على كواهلهم . فلم يزالوا صحتهم حتى نزلوا بيت راشو ببولاق . ثم رجعوا ، ثم نزلوا المراكب الى دمياط ، وضربوا لهم مدافع عند تعويمهم السفن

وغلال الأنبار عينا وكيفا . وكان كثير الصدقات ،
ويحب فعل الخير والمعروف ، وكان مهذبا في
نفسه ، بشوشا متواضعا . وهو الذى أرسل بطلب
الاستعفاء من الدفتردارية لما رأى من اختلال
أحكام الباشا .

١١ منه (٧ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

عدي يوسف كتخدا الباشا الى بر انبابة ،
وعدي معه الكثير من العسكر ، ونصب العرضى
بير انبابة على ساحل البحر .

وأشيع وصول الأمراء الى ناحية الجبر
الأسود ، وقطعوا الجسر لأجل تصفية المياه
وانحذارها من الملق ... لأجل مشى الحافر . ثم
جاءوا الى ناحية المنصورة وبشتيل .

واستمر خروج العساكر العثمانية — التى
كانت جهة قبلى — الى بر انبابة ، وهم كالجراد
المتشر . ونصبوا وطاقهم ظاهر انبابة . واستمر
خروج العساكر والطلب ونقل البقساط والجبخانه
على الجمال والحمير ليلا ونهارا . وأخذوا
المراكب ووسقوها معهم في البحر ، وغصبوا
ما وجدوه من السفن قهرا ، وانتشرت عساكرهم
وخيامهم بير انبابة حتى ملأوا الفضاء .. بحيث
يظن الرائي لهم أنهم متى تلاقوا مع الغز المصرية
أخذوهم تحت أقدامهم لكثرتهم واستعدادهم ،
بحيث كان أوائل العرضى عند الوراق ، وآخرهم
بالقرب من بولاق التكرور طولاً . ثم ان الأمراء
رجعوا الى ناحية وردان والطراة .

١٥ منه (١١ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

انتقل العرضى من بر البابة ، وحلوا الخيام .

١٦ منه (١٢ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

خرجت عساكر خلافهم ، ونصبت مكانهم

وسافروا ، وخرج خلافهم . وهكذا دأبهم في كل
يوم ... تخرج طائفة بعد أخرى .

وفيه : رسم الباشا بألف أردب قمح انعام تفرق
على طلبة العلم المجاورين ، والأروقة ، بالجامع
الأزهر ... ففرقت بحسب الأغراض ١ وأنعم أيضا
— بعد أيام — بألف أردب أخرى .. فعل بها
كذلك .

فانها خطرات من وسأوسه
يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما (١)

١٧ منه (١٣ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

وصلت جماعة ططر ، وأخبروا بتقليد شريف
محمد أفندى الدفتردار ... ولاية جدة .

١٩ منه (١٥ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

خرج طاهر باشا ، ونصب وطاقه جهة انبابة
للمحافظة . وخرجت عساكره ونصبت وطاقاتهم بير
انبابة أيضا ، متباعدين عن بعضهم البعض .
واستمروا على ذلك .

٢٢ منه (١٨ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

حضر رجل من طرف الدولة يقال له «حجان» ،
وهو رجل عظيم من أرباب الأقلام ، وعلى يده
فرمان . فأرسل الباشا الى شريف أفندى الدفتردار
والقاضى والمشايع ، وجمعهم بعد صلاة الجمعة ،
وقرأ عليهم ذلك فرمان ، وهو خطاب الى حضرة
الباشا ، وملخصه : « أننا اخترناك لولاية مصر ...
لكونك ربيت بالسراية ، ولما نعليه منك من العقل
والسياسة والشجاعة . وأرسلنا اليك عساكر
كثيرة ، وأمرناك بقتال الخائنين واخراج الأربعة

(١) ورد هذا البيت خطأ في الجزء الرابع . وهو لثى بيتين هما :

لا تدخن ابن عباد ولن تهلك

يمناه بالجوهر حتى يسبق الدنيا

فانها خطرات من وسأوسه

يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما

والمدافع وغالب الحملة ... والانكليز وقوف على علوة ينظرون الى الفريقين بالنظارات . فلما تحقق الباشا ذلك ، اهتم في تشييل عساكر ومدافع ، وعدوا الى بر انبابة ، ونصبوا وطاقهم هناك ، وانتقل طاهر باشا الى ناحية الجيزة .

شعبان

السبت غرته (٢٧ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

شرعوا في عمل متاريس جهة الجيزة ، وقبضوا على أناس كثيرة من ساحل مصر القديمة ليسخروهم في العمل .

وفيه : حضر الكثير من العساكر المجاريج ، وجمع الباشا التجارين والحدادين وشرع في عمل شركفك . فاشتغلوا فيه ليلا ونهارا حتى تمسوه في خمسة أيام ، وحملوه على الجمال ، وأنزلوه المراكب ، وسفروه الى دمنهور في سادسه .

الاثنين ١٠ منه (٦ ديسمبر ١٨٠٢ م) :

كتبوا عدة أوراق ، وختم عليها المشايخ ، ليرسلوها الى البلاد ، خطابا لمشايخ البلاد والعريان ... مضمونها معنى ما تقدم .

وكتبوا كذلك نسخا وألصقت بالأسواق ، وذلك بإشارة بعض قرناء الباشا المصرية ، وهى بمعنى التحذير والتخويف لمن يسالم الأمراء المصرية ، وخصوصا المغضوب عليهم ... مطرودى السلطنة ، العصاة ، الى آخر معنى ما تقدم .

وفى هذه الأيام : كثرت الغلال حتى غصت بها السواحل والحواصل ، ورخص سعرها حتى يبيع القمح بمائة وعشرين نصفا الأردب . واستمرت الغلال معرمة فى السواحل ولا يوجد من يشتريها . وكان شريف افندى الدفتردار أنشأ أربعة مراكب كبار لغلال الميرى . ولما حصلت النصره للمصرية على العثمانية — خصوصا هذه المرة مع كثرتهم وقوتهم واستعدادهم — ضبعوا فيهم واحتكروها ،

انتار من الأقليم المصرى بشرط الأمان عليهم من القتل ، وتقليدهم ما يختارونه من المناصب فى غير اقليم مصر ، واکرامهم غاية الاكرام ان امتثلوا الأوامر السلطانية . وأطلقنا لك التصرف فى الأموال الميرية لنفقة العسكر واللوازم . وما عرفنا موجب تأخير أمرهم لهذا الوقت . فان كان لقلة العساكر .. أرسلنا اليك الأمداد الكثيرة من العساكر . أو المال ... أرسلنا اليك كذلك ان لم يمتثلوا . وكل من انضم اليهم كان مثلهم ، ومن شذ عنهم وطلب الأمان .. فهو مقبول وعليه الأمان . الى آخر ما ذكر من ذلك المعنى .

٢٢ منه (١٩ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

كتب أوراق بمعنى ذلك ، وألصقت بالطرقات .

٢٥ منه (٢١ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

تواترت الأخبار بوقوع معركة بين العثمانيين والأمراء المصرية بأراضى دمنهور ، وقتل من العساكر العثمانية مقتلة عظيمة . وكانت الغلبة للمصريين ، وانتصروا على العثمانيين .

وصورة ذلك : أنه لما تراءى الجمعان ، واصطفت عساكر العثمانيين الرجالة بينادقهم ، واصطفت الخيالة بخيولهم . وكان الألفى بطائفة من الأجناد — نحو الثلاثمائة — قريبا منهم وصحبتهم جماعة من الانكليز . فلما رأوهم مجتمعين لحربهم ، قال لهم الانكليز : « ماذا تصنعون ؟ » . قالوا : « نصدمهم ونحاربهم » . قال الانكليز : « انظروا ... ما تقولون ؟ ان عساكرهم الموجهين اليكم أربعة عشر ألفا ، وأتم قليلون » . قالوا : « النصر بيد الله » . فقالوا : « دونكم » . فساقوا اليهم خيولهم ، واقتحموا الى الخيالة . فقتل منهم من قتل ، فانهزم الباقيون ، وتركوا الرجالة خلفهم . ثم كروا على الرجالة ، فلم يتحركوا بشئ ، وطلبوا الأمان . فساقوا منهم نحو السبعماية مثل الأغنام وأخذوا الجبخانه

ووقفوا على سواحل النيل ينمون الصادر والوارد
منهم ومن غيرهم .

وأما الباشا فانه سخط على العساكر ، وصار
يلعنهم وبشتهم في غيابهم وحضورهم .

وفيه : حضرت جماعة من أشراف مكة وعلمائها
هزأوا من الوهابيين ، وقصدهم السفر إلى اسلمبول
يحبرون الدولة بقيام الوهابيين ، ويستجدون بهم
لينقذوهم منهم ، ويبادروا لنصرهم عليهم . فذهبوا
إلى بيت الباشا والدفتر دار وأكابر البلد ، وصاروا
بحكون وشكون ، وتنقل الناس أخبارهم
وحكائاتهم .

رمضان

الأحد غرته (٢٦ ديسمبر ١٨٠٢ م) :

في ليلته عملت الرؤية ، وركب المحتسب ومشايخ
الحرف على العادة ولم ير الهلال — وكان غيما
مطبقا — فلزم اتمام عدة شعبان ثلاثين يوما
فاتتدب جماعة ليلة الأحد وشهدوا أنهم رأوا هلال
شعبان ليلة الجمعة ... فقبله القاضي ، وحكم به
تلك الليلة . على أن ليلة الجمعة التي شهدوا
برؤيته فيها ... لم يكن للهلال وجود البتة . وكان
الاجتماع في سادس ساعة من ليلة الجمعة
المذكورة ... باجماع الحساب والدراسات المصرية
والرومية . على أنه لم ير الهلال ليلة السبت الا
جديد الصر .. في غاة العسر والعجب .

وشهر رجب كان أوله الجمعة ، وكان عسر
الرؤية أيضا ، وأن الشاهد بذلك لم يتفوه به الا
تلك الليلة . فلو كانت شهادته صحيحة لأشاعها في
أول الشهر لوقع ليلة النصف — التي هي من
المواسم الانشائية — في محلها ... حيث كان
خربصا على اقامة شعائر الاسلام .

وفيه : حضرت جماعة من أشراف مكة وغيرها .

الأربعاء ٢٥ منه (١٩ يناير ١٨٠٣ م) :

حضر خليل أفندي الرجائي الدفتر دار في قلة
من أتباعه ، وترك أثقاله بالمراكب ، وركب من
مدينة فوة وحضر على البر ، وذلك بسبب وقوف
جماعة من الأمراء المصرية ناحية النجيلة يقطعون
الطريق على المارين في المراكب . ولما حضر نزل
بيت اسماعيل بيك بالازبكية .

غايته (٢٤ يناير ١٨٠٣ م) :

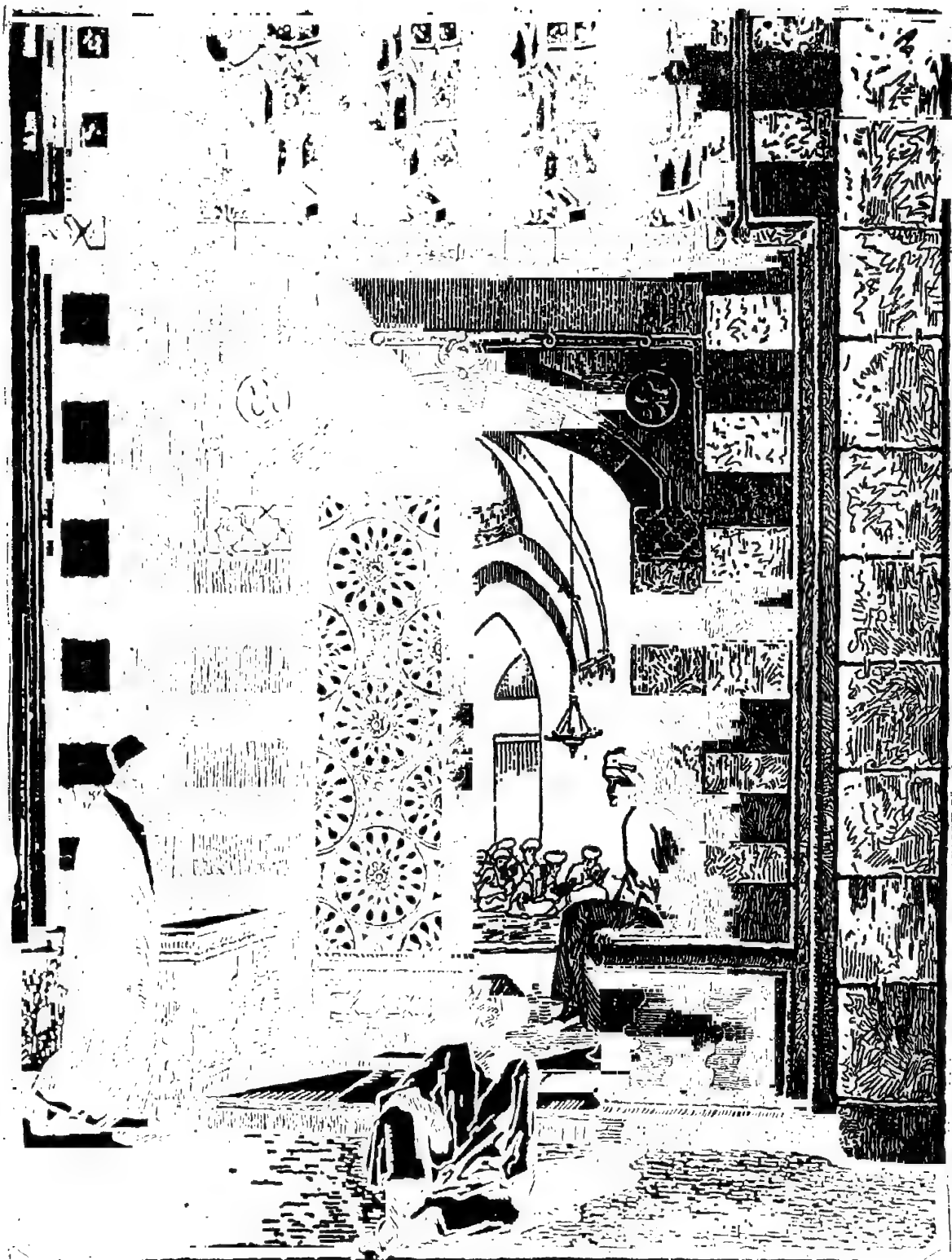
وقع ماهو أشنع مما وقع في غرته . وذلك أن
ليلة الاثنين غايته كان بالسما غيم مطبق ، ومطر
ورعد وبرق متواتر . وأوقدت قناديل المنارات
والمساجد ، وصلى الناس التراويح ، واستمر الحال
إلى سابع ساعة من الليل ... وإذا بمدافع كثيرة
وشنك من القلعة والازبكية . ولفظ الناس بالعبد ،
وذكروا أن جماعة حضروا من دمنهور البحيرة ،
وشهدوا أنهم رأوا هلال رمضان ليلة السبت .
فذهبوا إلى بيت الباشا ، فأرسلهم إلى القاضي ...
فتوقف القاضي في قبول شهادتهم . فذهبوا إلى
الشيخ الشرقاوي ... فقبلهم ، وأيدهم ، وردهم إلى
القاضي ، وألزمه بقبول شهادتهم . فكتبوا بذلك
اعلاما إلى الباشا ، وقضوا بتمام عدة رمضان بيوم
الأحد ، ويكون غرة شوال صباحا يوم الاثنين ..
وأصبح الناس في أمر مريب (١) : منهم الصائم ومنهم
المفطر . فلزم من ذلك أنهم جعلوا رجب ثمانية
وعشرين يوما ، وشعبان تسعة وعشرين ، وكذلك
رمضان ... والأمر لله وحده !

شوال

غرته (٢٥ يناير ١٨٠٣ م) :

كان أوله الحقيقي سوم الثلاثاء ، وجزم غالب
الناس المفطرين بقضاء يوم الاثنين .

(١) مغفل



الجامع الأزهر
ويرى الطلبة داخله يتفرون دروسهم

٥ منه (٢٩ يناير ١٨٠٣ م) :

بكتابة عرضحالات . فتقل عليهم ذلك ، فقالوا
« اننا كتبنا عرضحالات في السنة الماضية ، وأخذنا
سنداتنا من الدفتردار المتحصل ، ودفع لنا ستة
مئة عشر » . فقليل لهم : « انه دفع لكم ستة
مئة معجلة .. والحساب لا يكون الا من يوم
التوجيه ا » . فضجوا من ذلك ، وكثر لفظ النائم
بسبب ذلك ، وأكثروا من التشكى من الدفتردار .

١٠ منه (٣ فبراير ١٨٠٣ م) :

الاثنين ٦ منه (٢٨ فبراير ١٨٠٣ م) :

اجتمع الكثير من النساء بالجامع الأزهر ،
وصاحوا بالمشايخ ، وأبطلوا دروسهم . فاجتمعوا
بقبلته ، ثم ركبوا الى الباشا ، فوعدهم بخير حتى
ينظر في ذلك ... وبقي الأمر ، وهم في كل يوم
يحضرون ، وكثر اجتماعهم بالأزهر وباب الباشا
فلم يحصل لهم فائدة من ذلك سوى أن رسم لهم ،
بموجب آخر سنة تاريخه ... معجلة . ولم يقبضوا
منها الا ما قل بسبب تتابع الشرور والحوادث .

السبت ١١ منه (٥ مارس ١٨٠٣ م) :

ارتحل شريف باشا الى بركة الحج متوجها الى
السويس .

وفيه : ارتحل حجاج المغاربة ، وكانوا كثيرين ،
فسافر أغنياؤهم ، والكثير من فقرائهم ، من طريق
البر ، وآخرون من السويس على القلزم .

ثلاثاء ١٤ منه (٨ مارس ١٨٠٣ م)

حضر ططريات الى الباشا ، وعلى يدهم شالات
شريفة وبشارة بتقريره على السنة الجديدة ، وزيد
له « تشريف تترخانة » ، ومعناه مرتبة عالية في
الوزارة . فضربوا شنكا ومدافع متوالية يومين
وفيه : أشيع انتقال الأمراء المصرية من جهة
البحيرة ، وقبلوا الى ناحية النجر الأسود .

وأشيع أيضا أن جماعة منهم نزلوا بصحبة جماعة
من الانكليز الى البحر ، قاصدين التوجه الى

وصلت أقبال خليل أفندي الرجائي الدفتردار .
وفيه : طلبوا ألف كيس سلفة من التجار وأرباب
الحرف ، فوزعت ، وقبضت على يد السيد أحمد
المحروقي ... وهي أول حادثة وقعت بقدم
الدفتردار ا

٢٢ منه (١٥ فبراير ١٨٠٣ م) :

كان خروج أمير الحج بالموكب والمحمل المعتاد
الى الحصوة . وكان ركب الحجاج في هذه السنة
عالمًا عظيمًا . وحضر الكثير من حجاج المغاربة من
البحر . وكذلك عالم كثير من الصعيد وقرى مصر
البحرية والأروام .. وغير ذلك .

٢٥ منه (١٨ فبراير ١٨٠٣ م) :

خرج شريف باشا في موكب جليل ، ونصب
وطاقه عند بركة الشيخ قنبر ، فأقام به الى أن
يسافر الى جدة من القلزم ، وانتقل خليل أفندي
الرجائي الدفتردار الى دار شريف باشا بالأزبكية .

غاشته (٢٢ فبراير ١٨٠٣ م) :

حضر أولاد الشريف سرور ، شريف مكة ، هروبا
من الوهابيين ، ليستجدوا بالدولة . فنزلوا بيت
المحروقي بعد ما قابلوا محمد باشا والى مصر
وشريف باشا والى جدة .

ثلاثاء

الأربعاء غرته (٢٣ فبراير ١٨٠٣ م) :

تقدم الناس بطلب الجامكية ، فأمرهم الدفتردار

ريال ، والأوسط : ثلثائة ، والأدنى : مائة وخمسون .

وفيه : تحقق الخبر بنزول طائفة الانكليز ، وسفرهم من ثغر الاسكندرية في يوم السبت حادى عشره . ونزل بصحبته محمد بك الألفى وصحبته جماعة من أتباعه .

السبت ٢٥ منه (١٩ مارس ١٨٠٣ م) :

حضر أحمد باشا والى دمياط ، وكانوا أرسلوا له طوخا ثالثا ، وأنه يحضر ويتوجه لمحافظة مكة . وكذلك قلدوا آخر باشاوية المدينة ، يسمى أحمد باشا ، وضموها عسكرا يسافرون صحتهم للمحافظة من الوهابيين ، وأخذوا في التشهيل . وفي هذه الأيام : كثر تشكى العسكر من عدم



العسكر يهاجمون العواليه

اسلامبول . وانتقل كتخدا بك خلفهم بمساكره ، ولكن لم يتجاسروا على الاقدام عليهم .

وفيه : وصلت الأخبار من الجهات الشامية بهروب محمد باشا أبى مرق من يافا ، واستيلاء عساكر أحمد ناشا الجزار عليها . وذلك بعد حصاره فيها سنة وأكثر .

وفيه : حضر كتخدا الباشا ، وتقدم الأمراء المصرية الى جهة قلبى حتى عدوا الجيزة ، وحصل منهم ومن العساكر العثمانية الضرر الكثير فى مرورهم على البلاد ... من التفاريد والكلف ، ورعى الزروع ، وقطع الطرق برا وبحرا .

وكان أغات الجوالى القبطية - وهو نجيب أفندى كتخدا الدفتردار - وصحبته أرباب مناصب ، عدوا الى الجيزة متوجهين الى الصعيد ، ونصبوا خيامهم ببر الجيزة . فصادفهم ، وهجموا عليهم ، وقتلوا منهم من وجدوه ، وهرب الباقون ... فاستولوا على خيامهم ووطاقهم . وكذلك كتخدا الدفتردار خرج الى مصر القديمة متوجها الى الصعيد لقبض الغلال والأموال ... فاستمر مكانه ، وتأخر لعدم المراكب وخوفا من المذكورين .

وفيه : ورد الخبر بنزول شريف باشا الى المراكب بالقلم يوم الخميس سادس عشره .

الأربعاء ٢٢ منه (١٦ مارس ١٨٠٣ م) :

طلبوا أيضا خمسة آلاف كيس سلفة : من التجار ثلاثة آلاف ، ومن المتزيمين ألفا كيس ، وشرعوا فى توزيعها . فانزعج الناس ، وأغلق أهل الغورية حوانيتهم ، وكذا خلافتهم ، وهرب أهل وكالة الصابون الى الشام على الهجن . واختفى أكثر الناس مثل : الحكرية وأهل مرجوش وخلافتهم . فطلبهم الميسون ، ولزموا بيوتهم ، وسبروا مطابخ السكر . وكذلك عملوا فرقة على البلاد : أعلى وأوسط وأدنى ... الأعلى : خمسة

دراهم . فأقام ببليس حتى أرسلوها له ، ثم ذهب إلى دمياط ، وصحبته نحو الأربعمئة من الأرثوذكس ، ليسافر من البحر .

وفيه : توجه المحروقي والكثير من الناس لزيارة سيدى أحمد البدوى لمولد الشرنبلالية . وأخذ معه عدة كثيرة من المسكر خوفا من العربان ، ووصل إليه فرمان بطلب دراهم من أولاد الخادم ومن أولاد البلد ... فدلوا على مكان لمصطفى الخادم ، فاستخرجوا منه ستة آلاف ريال ، وطلبوا من كل واحد من أولاد عمه مثلها .

ذو الحجة

الاثنين ٤ منه (٢٨ مارس ١٨٠٣ م) :

قتلوا شخصا عسكريا نصرانيا عند باب الخرق ... قتله أغات التبديل بسبب أنه كان يقف عند باب داره بحارة عابدين هو ورفيقان له ، ويخطفون من يمر بهم من النساء في النهار ... إلى أن قبض عليه وهرب رفيقاه .

وفيه أيضا : أخرجوا من دار بحارة « خشقدم » قتلى كثيرة نساء ورجالا من قتل العسكر . وفيه : عدى إبراهيم باشا إلى بر الجيزة .

الأحد ١٠ منه (٣ أبريل ١٨٠٣ م) :
كان عيد الأضحى .

في ذلك اليوم : حضر من الأمراء القبالي مكاتبة على يد الشيخ سليمان الفيومي خطابا للمشايخ ، فأخذها بختمها وذهب بها إلى الباشا ، ففتحها وأطلع على ما فيها . ثم طلب المشايخ فحضروا إليه وقت العصر .

الجمعة ١٥ منه (٨ أبريل ١٨٠٣ م) :

حضرت مكاتبات من الديار الحجازية ، يخبرون فيها عن الوهابيين ، أنهم حضروا إلى جهة الطائف .

الحامكة والنفقة ، فالتجتمع لهم حاشية نحو سبعة شهر ، وقد قطع عليهم الباشا رؤوسهم وخرجهم لقلة الأيراد ، وكثرة المطالبات ، وكراهته لهم . فصار كبارهم يترددون ويكثرون من مطالبة الدفتردار ، حتى كان يهرب من بيته غالب الأيام .

وأتسع بالمدينة قيام العسكر ، وأنهم قاصدون نهب أمتعة الناس . فنقل أهل الغورية وخلافهم بضائعهم من الحوانيت ، وأمتنع الكثير منهم من فتح الحوانيت ، وخافهم الناس حتى في المرور .. وخصوصا أوقات المساء . فكانوا إذا اتفردوا بأحد شلحوه من ثيابه ، وربما قتلوه !

وكذلك أكثروا من خطف النساء والمردان !

الثلاثاء ٢٨ منه (٢٢ مارس ١٨٠٣ م) :

كان انتقال الشمس لبرج الحمل ، وأول فصل الربيع . وفي تلك الليلة هبت رياح شمالية شرقية هبوا شديدا مزعجا ، واستمرت بطول الليل . وفي آخر الليل - قبل الفجر - اشتد هبوبها .. ثم سكنت عند الشروق .

وسقط تلك الليلة دار بالحالة بالرميلة ، ومات بها نحو ثلاثة أشخاص ، وداران أيضا بطولون ، وغير ذلك حيطان وأطراف أماكن قديمة . ثم تحولت الرياح غربية قوية ، واستمرت عدة أيام ومعها غيم ومطر .

وفيه : وصل الأمراء المصرية إلى الفيوم ، فأخذوا كلنا ودراهم كثيرة فردوها على البلاد ، ثم سافروا إلى الجهة القبالية .

وفيه : ورد الخبر بأن المراكب التي بها ذخيرة أمير الحاج بالقلم ، المتوجهة إلى ينبع والمويلح ... غرقت بما فيها ، ومركب الجميى من جملتها .

وفيه : حضر مصطفى بينباشا ، الذي كان أيام الوزير بمصر ، إلى ببليس ، وهو موجه بطلب مبلغ



مقاتل من الوهابيين

نواحي المدينة ، بل وطريق بولاق وغير ذلك .

السبت ١٦ منه (٩ ابريل ١٨٠٣ م) :

ركب الوجدالية بأبنتهم وبيارهم ، وحضروا الى بيت الباشا ، وخرجوا من هناك الى وطاقهم الذي أعدوه لأنفسهم خارج القاهرة ، وشرعوا أيضا في تعمير قصر من القصور الخارجة ، التي خربت أيام الفرنسيين .

الثلاثاء ١٩ منه (١٢ ابريل ١٨٠٣ م) :

صافر جماعة الوجدالية المذكورين ، وصحبهم علة من الميكر ، الى جهة عرب الجزيرة .. بسبب اغارة موسى خالد ومن معه على البلاد ، وقطع الطرق . فلاقاهم المذكور ، وحاربهم ، وهزمهم الى وردان ، وذهب هو الى جهة البحيرة .

مخرج اليهم شريف مكة - الشريف غالب - فحاربهم ، فهزموه ، فرجع الى الطائف ، وأحرق داره التي بها ، وخرج هاربا الى مكة فحضر الوهابيون الى البلدة ، وكبيرهم « المضايفي » نسيب الشريف ، وكان قد حصل بينه وبين الشريف وحشة ، فذهت مع الوهابيين ، وطلب من مسعود الوهابي أن يؤمره على العسكر الموجهة لمحاربة الشريف ... ففعل . فحاربوا الطائف ، وحاربهم أهلها ثلاثة أيام حتى غلبوا فأخذ البلدة الوهابيون واستولوا عليها عنوة ، وقتلوا الرجال ، وأسروا النساء والأطفال ... وهذا دأبهم مع من يحاربهم . وفي ذلك اليوم : مر أربعة أنفار من العسكر ، وأخذوا غلاما لرجل حلاق بخط بين الصوريين عند القنطرة الجديدة . فعارضهم الأسطي الحلاق في أخذ الغلام ، فضربوا الحلاق وقتلوه . ثم ذهبوا بالغلام الى دارهم بالخطة . فقامت في الناس ضجة وكرشة . وحضر أغات التبديل فطلبهم ، فكرنكوا بالدار ، وضربوا عليه البنادق من الطيقان ، فقتلوا من أتباعه ثمانية أنفار ، ولم يزلوا على ذلك الى ثاني يوم .

فركب الباشا في التبديل ، ومر من هناك ، وأمر بالقبض عليهم . فقبضوا عليهم من خلف الدار ، وقبضوا عليهم ، بعد ما قتلوا وخرجوا آخرين ، فشنقوهم ، ووجدوا بالدار مكانا خربا أخرجوا منه زيادة عن ستين امرأة مقتولة .. وفيهن من وجدوها وطفلها مذبوح معها في حضنها !!

وفيه : حضر على أغا الوالي الى بيت أحمد أغا شويكار بدرب سعادة ، وأخرج منه قتلى كثيرة . وأمثال ذلك .. شيء كثير !!

وفيه : أمر الباشا الوجدالية أن يخرجوا جهة المعادلية لأجل الغفر من المربان . فانهم فحش أمرهم ، وتجاثروا في التعرية والخطيئة .. حتى على

الأحد ٢٤ منه (١٧ ابريل ١٨٠٣ م) :

كان عيد النصرى الكبير . فى ليلتها — وهى ليلة الاثنين — وقع الحريق فى الكنيسة التى بحارة الروم .

وفى صباحها شاع ذلك . فركب اليها أغات الانكشارية والوالى ، وأحضروا السقائين والفعلة الذين يعملون فى عمارة الباشا .. حتى أخذوا الناس المجتمعة بسوق المؤيد بالأنماطين ، وحضر الباشا أيضا فى التبديل ، واجتهدوا فى اطفائها بالماء واللهدم .. حتى طفت فى ثانى يوم .

واحترق بها أشياء كثيرة وذخائر وأمتعة ، ونهبت أشياء ا

وفيه : وردت أخبار بأن الأمراء المصرية وصلوا الى منية ابن خصيب ، فأرسلوا الى حاكمها بأن ينتقل منها ، ويعدى هو ومن معه من العسكر الى البر الشرقى ، حتى انهم يقيمون بها أياما ويقضون أشغالهم ثم يرحلون ا

فأبوا عليهم ، وحصنوا البلدة ، وزادوا فى عمل المتاريس . وحاكمها المذكور سليم كاشف — تابع عثمان بيك الطنبرجى المرادى المقتول — فانه سالم العثمانيين ، وانضم اليهم ، فالبسوه حاكما على المنية ، وأضافوا اليه عساكر . فذهب اليها ، ولم يزل مجتهدا فى عمل متاريس ومدافع ... حتى ظن أنه صار فى منعة عظيمة .

فلما أجابهم بالامتناع ، حضروا الى البلدة . وحاربهم أشد المحاربة مدة أربعة أيام بلياليها ، حتى غلبوا عليهم ، ودخلوا البلدة ، وأطلقوا فيها النار ، وقتلوا أهلها وما بها من العسكر . ولم ينج منهم الا من ألقى نفسه فى البحر ، وعام الى البر الآخر ، أو كان قد هرب قبل ذلك ا

وأما سليم كاشف فانهم قبضوا عليه حيا ،

وأخذوه أسيرا الى ابراهيم بيك .. فوبخه ، وأمر بضربه . فضربوه علقه بالنبات ا

وفيه : وصلت هجانة — من شرف باشا — بمكاتبة للباشا والدفتردار ، يخبر فيها أنه وصل الى ينبع ، وهو غازم على الركوب من هناك على البر ليدرك الحج ، ويترك أمقاله ... فتوجه فى المركب الى جدة .

وفى غايته (٢٢ ابريل ١٨٠٣ م) :

وصل سلحدار الباشا وصحبه أغات المقرر ، الذى تقدمت بشارته . فلما وصلوا الى بولاق ، أرسل الباشا فى صباحها اليهم . فركبوا فى موكب الى بيت الباشا ، وضربوا لهم مدافع . وحضر المشايخ والقاضى والأعيان والوجاقات ، فقرئ عليهم ذلك . وفيه : الأمر بتشميل غلال للحرمين ، والحث والأمر بمحاربة المخالفين .

وفيه : بعثوا نحو ألف من العسكر الى جهة أسبوط للمحافظة . فساروا على الهجن من البر الشرقى .

وفيه : أرسلوا أوراقا الى التجار وأرباب الحرف ، بطلب باقى القردة .. وهو القدر الذى كان تشفع فيه المحروقى ، وأخذوا فى تحصيله ..

وانقضت هذه السنة ، وما وقع بها من الحوادث الكلية التى ذكر بعضها ، وأما الجزئية فلا يمكن الاحاطة ببعضها فضلا عن كلها ، لكثرتها واختلاف جهاتها ، واشتغال البال عن تتبع حقائقها ، ونسيان الغائب بالأشنع ، والقبيح بالأقبح .

فمن الكلية التى عم الضرر بها : زيادة المكوس أعضاء المعتاد فى كل ثغر ذهابا وإيابا .

ومنها : توالى الفرد والسلف والمظالم على أهل المدينة والأرياف ، وحق طرق المعينين ، وكلفهم الخارجة عن الحد والمعقول .. بأدنى شكوى ، ولولا



السيوط

ويمكن أنه من بعد خلاصه من أمير
المباشر ، بخضر الى بيت الباشا ، ويفحص عن
خصمه ويعرفه ، فينبى دعواه ، ويظهر حجة
بأنه على الحق ، وأن خصمه على الباطل . فيقال
له : « عين على خصمك أيضا » . فان أجاب الى
ذلك ، رسم له بفرمان ومعين آخر كذلك .. والا
ترك أجره على الله ورجع .

فضاق ذراع الناس من هذه الحال ، وكرهوا
هذه الأوضاع وربما قتل الفلاحون
المعنين ، وهربوا من بلادهم ، وجلوا عن أوطانهم
خوف الفائلة .

ولم يزل هذا دأبهم ، حتى نفرت منهم القلوب ،
وكرهتهم النفوس ، وتمنوا لهم الفوائل .

وعصت أهل النواحي ، وعزبت العريان ،
وقطعوا الطرق ، وعلسوا خياتهم ... فخاؤهم ،
ومكالبهم ... فكالبرهم

واتنى غريان الجهة القبلى الى الأمراء المصرية
وساعدوهم عليهم . ولما انحدر الأمراء الى جهة

بالباطل . فبجرد ما يأتى الشاكى بعرضحال
شكواه ، يكتب له ورقة ، ويعين بها عسكرى أو
اثنان أو أكثر .. بحسب اختيار الشاكى وطلبه ،
للتشفى من خصمه . فبجرد وصوله الى المشكى
بصورة منكورة ، وسلاح كثير متقلد به ، فلا يكون
له شغل الا طلب خدمته ، ولا يسأل عن الدعوى
ولا عن صورتها . ويطلب طلبا خارجا عن المعقول
كألف قرش فى دعوى عشرة قروش ا وخصوصا اذا
كانت الشكوى على فلاح فى قرية ، فيحصل أشنع
من ذلك ... من اقامتهم عندهم ، وطلبهم وتكليفهم
الذبائح والقطور بما يشترطونه ويقترحونه عليهم .
وربما يذهب الشخص الذى يكون بينه وبين آخر
عداوة قديمة ، أو مشاحنة ، أو دعوى ...
قضى عليه فيها بحق من زمان طويل ،
فيقدم له عرضحال ، ويعين له مباشرة بفرمان ،
ويذهب هو فلا يظهر ، ويذهب المعين فى شغله ...
والمشكى لا يرى الشاكى ، ولا يدرى من أين
جاءته هذه المصيبة !

بخرى ، انقضت اليهم جميع قبائل الجهة الغربية
والهندى وعرب البحيرة وخلافهم .

فلما وقعت الحروب بين الأمراء والعثمانيين ،
وأكاثت الغلبة للأمراء والعربان ... زادت جساتهم
عليهم ، وصدوا لهم الغوائل ، وقطعوا عليهم وعلى
المسافرين الطرق بحرا وبراً . فمن ظفروا به
ومانعهم ، نهبوا متاعه وقتلوه .. والا سلبوه
وتركوه !

وفحش الأمر جدا ، قبلى وبحرى ، حتى
وقف حال الناس ، ورضوا عن أحكام الفرنسيين !
ومنها : أن الباشا لما قتل الوالى والمحاسب ،
وعمل قائمة تسعيرة للمبيعات ، وأن يكون الرطل
اثنى عشرة أوقية في جميع الأوزان ، وأبطلوا
الرطل الزياتى الذى يوزن به السمن والجبن
والعسل واللحم وغير ذلك — وهو أربع عشرة
أوقية — لم ينفذ من تلك الأوامر شيء سوى نقص
الأرطال !

ولم يزل ذو الفقار محتسباً حتى رتب المقررات
على المتنبئين زيادة عن القانون الأصلى ، وجعل
منها قسماً لخزينة الباشا وللكتخدا وخلافهما .

ورجعت الأمور في الأسعار أقبح وأغلى مما
كانت عليه في كل شيء ، واستمر الرطل اثنى عشرة
أوقية لاغير .

وكثر ورود الغلال أيام النيل ، ورخس سعرها .

والإغيف على مقدار رغيف الغلاء !

ومنها : أن الفضة الأنصاف العديدة ، صاروا
يأخذونها من دار الضرب أول بأول ويرسلونها إلى
الروم والشام بزيادة الصرف ، ولا ينزل إلى
الصيارف منها الا القليل ، حتى شحت بأيدي الناس
جداً ، ووقف حالهم في شراء لوازم البيوت ومحقرات
الأمور . ويدور الانسان بالريال أو المحبوب أو

المجر — وهو في يده طول النهار — فلا يجد
مصارفته !

وأغلقت غالب الصيارف حوانيتهم بسبب ذلك ،
وبسبب أذية العسكر .. فانهم يأتون اليهم ويلزمونهم
بالمصارفة ، فيقول له الصيرفى : « ليس عندى فضة »
فلا يقبل عذره ، ويفزع عليه بيطقانه أو بارودته .
وان وجد عنده المصارقة ، وكان المحبوب أو
البندقى ناقصاً في الوزن ... لا يستقيم في تقصه ،
ولا يأخذ الا صرفه كاملاً . واذا اشترى شيئاً من
سوقى ، أعطاه بندقياً وطلب باقيه .. ولم يكن عند
البائع باقيه ، أخذ الذى اشتراه والبندقى وذهب .
ولا تقدر المتسبب على استخلاص حقه منه ! وان
وجد معه باقى المصارفة ، وأخذ ذلك البندقى وتقدمه
عند الصراف ، وكان ناقصاً — وهو الغالب —
لا يقدر الصيرفى أن يذكر تقصه .. فان قال : « انه
ينقص كذا » ، فزع عليه وسبه . وبعضهم أدخل
اصبعه في عين الصراف .. وأمثال ذلك !

ومنها : شحت المراكب ، حتى ان المسافر يمكث
الأيام الكثيرة ينتظر مركباً ... فلا يجد . وربما
أخذوها بعد تمام وستها .. فنكتوه ، وأخذوها .
وان مرت على الأمراء المصرية وما انضم اليهم ،
تعرضوا لها ، ونهبوا ما بها من الثحنة ، وأخذوا
المركب .

واستمر هذا الحال على الدوام . فكان ذلك من
أعظم أسباب التعطيل أيضاً .

ومنها : تسلط العسكر على خطف الناس
وسلبهم وقتلهم ، وخصوصاً في أواخر هذه السنة ،
حتى امتنعت الناس من المرور في جهات سكنهم
الا أن يكونوا في عزوة ومنعة وقسوة . ولا تكاد
ترى شخصاً يمر في الأسواق السلطانية من بعد
المغرب وقبيل العشاء !



السر من بعد الغروب .. بالخفارة والعزرة

ومنها : استمرار الباشا على الهمة والاجتهاد في العمارة والبناء ، وطلب الأخشاب والمون .. حتى عز جميع أدوات العمارة ، وضاق حال الناس بسبب احتياجهم لعمارة أماكنهم التي تخربت في الحوادث السابقة . وبلغ سعر الأردب الجبس : مائة وعشرين نصفاً ، والجير المخلوط : أربعين نصفاً ، وأجسرة المعلم في اليوم : خمسة وأربعين نصفاً ، وبتهم آخر ، مثل ذلك ، والفاعل : اثنين وعشرين نصفاً ، وأحدثوا أخذ اجازة من المعمارجي ، وهو أن الذي يريد بناء — ولو كانوا — لا يقدر أن يأليه البناء حتى يأخذ ورقة من المعمارجي ، ويدفع عليها خمسين نصفاً . ولم يزل الاجتهاد في العمارة المذكورة ، حتى أقاموا جانباً من « القشلة » ، وهي عبارة عن وكالة يعلوها طابق ، وأسفلها اصطبلات ، وحولها — من داخل — حواصل ، ومن خارج

وإذا اضطر الانسان الى المرور تلك الأوقات ، فلا يمر الا كالمجازف على نفسه ، وكأنما على رأسه الطين . فيقال ان فعلهم هذه الفعائل من عوائدهم الخبيثة ... اذا تأخرت نفقاتهم ، فعلوا ذلك مع العامة ، على حد قول القائل : « خلص ثارك من جارك » . وذلك كله بسبب تأخير جماكيهم وقطع خرجهم نحو خمسة أشهر . والباشا يسوقهم ويقول : « هؤلاء لا يستحقون فلساً ، وأى شيء خرج من يدهم ، وطول المدي تكلفهم ونعطيهم ، وما ستروا أنفسهم مع الفز المصرية ... ولا مرة ، فلا حاجة لنا بهم . بل يخرجون عنى ، ويذهبون حيث شاءوا فليس منهم الا الرزية والفنطرية » وهم يقولون : « لا نخرج ، ولا نذهب ، حتى نستوفي حقنا على دور النصف الفضة الواحد . وان شئنا أقمنا ، وان شئنا ذهبنا » .

جوانيت وقهوة . فعند ما تمت الحوائت ، ركبوا عليها درفها ، وأسكنوا بها قهوجيا ومزينا من أتباع الباشا ، وخياطين وعقادين وصروحجية الباشا ، وغير ذلك .

ولم يكمل تسقيف الطباقي ، وعملوا لها بوابة عظيمة بمصاطب ، وهدموا حائط الرحبة المقابلة لبית الباشا الخارجة ، وعمرت ، وألشنت بالحجر النحت المحكم الصنعة ، وعملوا الهند بابا عظيمة بيدلات وأبراج عظيمة ، وبها طاقات عليا وسفلى ، وصفوا بها المدافع العظيمة .

وبركة الرحبة مثل ذلك . وعملوا لها بابا آخر قبالة باب « القشلة » بحيث صار بينها وبين « القشلة » رحبة متسعة سلك منها المارون الى جهة بولاق ، على الجسر الذى عمله الفرنسيين .

ويخرجون أيضا فى سلوكهم من بوابة عظيمة الى طريق بولاق ، من الجهة الغربية ، بحائط حجر متصل من الرحبة .. حيث البوابة المواجهة « للقشلة » الى آخر « القشلة » .

وعلى هذه البوابة من الجهتين مدافع مركبة على بدلات وأبراج وطيقان مهندمة ، وبأسفلها — من داخل — مصطبة كبيرة من حجر ، وبها باب يصعد منه الى تلك الأبراج . والجبخانة والعساكر جلوس على تلك المصاطب الخارجة والداخلة ... لابسين الأسلحة ، وبنادقهم مرصوة بدائر الحيطان . وبداخل الرحبة الوسطانية مدافع عظيمة مرصوة بطول الرحبة يمينا وشمالا . وكذلك بداخل الحوش

الجوانى الاصلى ، وبأسفل البركة نحو المائتى مدفع مرصوة أيضا ، وعرييات وصناديق جبخانة وآلات حرب وغير ذلك .

والجبخانة الكبيرة لها محل مخصوص بالحوش الداخلى الاصلى ، ولها خزانة وطبجية وعربية

ومنها : أنه عدم البصل الأحمر .. حتى يبع الرطل بسعر القنطار فى الزمن السابق .

وعدم الملح أيضا .. بسبب احتكاره وعدم المراكب التى تجلبه من بحرى ، لما قرب عليهم من زيادة الجمرك ، وعدم مكاسبهم فيه ... لأن الذى ثولى على جمرك الملاحة صار يأخذه من أصحابه على ذمته بسعر قليل معلوم ، ويبيعه على ذمته بسعر كثير لمن يسافر به الى جهة قبلى ، وذلك خلاف ما يأخذه من المراكب التى تحمله .

فامتنع المتسبون فيه من تجارته ... فمز وجوده فى آخر السنة ، حتى يبع الزرع بشانين نصفا .. من ثلاثة أنصاف .

وضجت الناس من ذلك ، فأرسل ذلك الملتزم ثلاثة مراكب على ذمته ، ووسقوها ملحا ، وصار يبيع الربع بعشرين نصفا ، ويبيعه المسبب بثلاثين .. وهذا لم يعهد فيما تقدم من السنين .

وعدم أيضا الصابون بسبب تأخر القافلة ، حتى يبع بأعلى ثمن .. ثم حضرت القافلة ، فأنحل سعره وتواجد ، وغير ذلك مما لا يمكن الاطاحة به . ونسأل الله تعالى حسن العاقبة .

المحرم

السبت غرته (٢٣ ابريل ١٨٠٣ م)

في ذلك اليوم : وقعت زعجة عظيمة في الناس ،
واحصلت كرشات في مصر وبولاق ، وأغلق أهل
الأسواق حوانيتهم ، ورفعوا منها ماخف من متاعهم
من الدكاكين وبعضهم ترك حانوته ، وهرب
والنحس سقط متاعه من يده ولم يشعر .. من شدة
ما لحقهم من الخوف والارجاف ولم يعلم
سبب ذلك !!

فيقال : ان السبب في ذلك أن جماعة من كبار
العسكر ذهبوا الى الباشا وطلبوا جماكيتهم
المنكسرة وخرجهم فقال لهم : « اذهبوا الى
الدفتردار » ، فذهبوا الى الدفتردار ، فقال لهم :
« جمكيتكم عند محمد علي » ، فذهبوا الى محمد
علي — وكانوا وعدوهم بقبض جمكيتهم في ذلك
اليوم . فلما ذهبوا الى محمد علي قال لهم : « لم
أقبض شيئا » فعملوا معه شراسة ، وضرب بينهم
بعض بنادق ، وهاجت العسكر عند بيت محمد علي
سرششة .

فحصلت هذه الزعجة في مصر وبولاق . ثم
سكن ذلك بعد أن وعدهم بعد ستة أيام .

وفيه : وردت عدة تقارير ، وبها جبخانة وجملة
من العساكر ، وصحبتهم ابراهيم أغا — الذي كان
كاشف الشرقية عام أول — وكان توجهه الى
اسلامبوله ... فحضر وصحبته ذلك .. فحملوا
الجبخانة وطلعوها الى القلعة . فيقال انها متوجهة

الى جدة بسبب فتنة الحجاز . وقيل غير ذلك .

الجمعة ٧ منه (٢٩ ابريل ١٨٠٣ م) :

نارت العسكر ، وحضروا الى بيت الدفتردار .
فاجتمعوا بالحوش ، وقتلوا باب القيطون ، وطردوا
القواسة . وطلع جمع منهم فوقوا بفسحة المكان
الجالس به الدفتردار ، ودخل أربعة منهم عند
الدفتردار ، فكلموه في انجاز الوعد ، فقال لهم :
« انه اجتمع عندى نحو الستين ألف قرش .. فاما
ان تأخذوها ، أو تصبروا كم يوم حتى يكمل لكم
المطلوب » . فقالوا : « لا بد من التسهيل » ، فان
العسكر تقلقوا من طول المواعيد ، فكتب ورقة
وأرسلها الى الباشا بأن يرسل اليه جانب دراهم
تكملة للقدر الحاصل عنده في الخزينة .

فرجع الرسول وهو يقول : « لا أدفع ، ولا آذن
بدفع شيء ... فاما ان يخرجوا ويساقروا من
بلدى ، أو لا بد من قتلهم عن آخرهم ! » .

فعند ما رجع بذلك الجواب ، قال له : « ارجع
اليه ، وأخبره أن البيت قد امتلا بالعساكر فوق
وتحت ، وأنى محصور بينهم » فعند وصول
المرسال ، وقبل رجوعه ، أمر الباشا بأن يديروا
المدافع ويضربوها على بيت الدفتردار ، وعلى
العسكر ! فما يشعر الدفتردار الا وجلة وقعت بين
يديه ، فقام من مجلسه الى مجلس آخر . وتتابع
الرمي ، واشتعلت النار في البيت وفي الكشك الذي
أشناه بيت جده المجاور لبيته — وهو من الخشب
والحجنة (١) ، من غير بياض لم يكمل — فالتهب

(١) يوصى ربيع ينمو على شاطئ النيل وفي البرك والمستنقعات .

بالنار ، فنزل الى أسفل - والأرثوود محيطة به -
وبات تحت السلام الى الصباح . ونهب العسكر
الخزينة والبيت ، ولم يسلم الا الدفتردار .
والأوراق وضعوها في صناديق وشالوها .

وكان ابتداء رمى المدافع وقت صلاة الجمعة .
وأما أهل البلد فانهم كانوا متخوفين ومتطيرين من
قومة أو فرقة تحصل من العسكر قبل ذلك . فلما
عابن الناس تجمعهم ببيت الدفتردار ، شاع ذلك في
في المدينة . ومروا الى يقول للناس : « ارفعوا
متاعكم ، واحفظوا أنفسكم ، وخذوا حذرکم
وأسلحتكم » فأغلق الناس الدكاكين والدروب ،
وهاجوا وماجوا . فلما سمعوا ضرب المدافع زاد
تطيرهم ، وتخلوا هجوم العسكر ونهب البلد ...
بل ودخل البيوت . ولا راد بردهم ، ولا حاكما
يسمهم . ونادى المنادى : « معاشر الناس ، وأولاد
البلد .. كل من كان عنده سلاح فليلبسه ،
 واجتمعوا عند شيخ مشايخ الحارات ، يذهب
بكم الى بيت الباشا » .

وحضرت أوراق من الباشا لأهل الغورية ومغاربة
الفجامين وتجار خان الخليلي وأهل طولون ..
بطلبهم بأسلحتهم ، والحضور عنده ، والتحذير من
التخلف

فذهب بعض الناس ، فأقاموهم عند بيت حريم
الباشا وبيت ابن المحروقي المخاور له - وهو بيت
البكرى القديم - فباتوا ليلتهم هناك .

وحضر حسن أغا والى العمارة ، عشاء تلك
الليلة ، وطاف على الناس يحرضهم على القيام
ومعاونة الباشا . وتجمع بعض الأوباش بالمصى
والمساق ، وتحزبوا أحزابا ، وعملوا منازير عند
رأس الوراقين وجهة العقادين والمشهد الحسيني .
فلما دخل الليل ، بطل الرمي الى الصباح ،
فتنازعوا في الرمي بالمدافع والقناير من الجهتين ،

وترسنت العساكر بجامع أزبك وبيت الدفتردار
وبيت محمد على وكوم الشيخ سلامة . وداخل
الناس خوف عظيم من هذه الحادثة .

وأما القلعة الكبيرة ، فان الباشا مطمئن من
جهتها ، لأنه مقيد بها الخازندار ومعه عدة من
الأرثوود وغيرهم ، وقافل أبوابها .

ولما كان يوم الجمعة - أمس تاريخه - قبل
حصول الواقعة ، وحضر أغات الانكشارية
والوجاقية لأجل السلام على عاداتهم ، ودخلوا عند
كتخدا بيك ، قال لهم : « نبهوا على أهل البلد
بفلق الدكاكين والأسواق والاستعداد ... فان
العسكر حاصل عندهم قلة أدب ! » .

فلما طلعوا عند الباشا ، أعلبوه بمقالة كتخدا
بيك ، فقال لهم : « نعم » ، فقال له أغات الانكشارية
« ياسلطانم ... ينبغي الاحتفاظ بالقلعة الكبيرة قبل
كل شيء » فقال : « ان بها الخازندار ، وأوصبه
بالاحتفاظ وغلق الأبواب » ، فقال له الأغا : « لكن
ينبغي أن تترك عند كل باب من خارج قدر خمسين
انكشاريا » ، فقال : « وايش فائدتهم ؟ ما عليكم
من هذا الكلام ... تريدون تفريق عساكرى . اذهبوا
لما أمرتكم به » . وذلك لأجل انفاذ القضاء .

وحضر طاهر باشا أيضا في ذلك الوقت ، وهو
كالمحب ومكمن العداوة ، فلم يقابله الباشا ، وأمره
بأن يذهب الى داره ، ولا يقارن .

السبت ٨ منه (٣٠ ابريل ١٨٠٣ م) :

رتب الباشا عساكره على طريقة الفرنسيين -
وهو المسمى بالنظام الجديد - فخرجوا بأسلحتهم
وبنادقهم وخولهم ، وهم طواير ، ومروا حوالى
البركة ، واتسبوا فرقتين : فرقة آتت على رصف
الحشاب ، وفرقة على جهة باب الهواء ... ليأخذوا
الأرثووديينهم ، ويحصرهم من الجهتين .

فلما حضرت الفرقة التى من ناحية رصيف

« ما هذا ؟ » . فقيل له : « انهم ملكوا القلعة »
فسقط في يده ا

وعند ذلك نزل طاهر باشا من القلعة ، وشق من
وسط المدينة وهو يقول بنفسه مع النادى : « أمان
وأطمئنان . اقتحوا دكاكينكم ، ويبيعوا واشتروا .
وما عليكم بأس ! »

وطاف يزور الأضرحة والمشايخ والمجاذيب ،
ويطلب منهم الدعاء . ورفع الناس التاريس من
الطرق ، وانكفوا عن مقارشة المسكر ، وكذلك لم
يحصل أذية من المسكر لأحد من الرعية .

وأمروا بفتح مخازن العيش والمأكّل ، وأخذوا ،
واشتروا من غير اجحاف ولا بحس .

فلما علم الباعة منهم ذلك ، ذهبوا اليهم بالعيش
والكعك والجبن والفطير والسميط وغير ذلك
ودخلوا فيهم يبيعون عليهم ، وهم يشترون منهم
بالمصلحة .

وصار بعض أولاد البلد يذهب الى القرجة ،
ويدخل بينهم ويمر من وسطهم .. فلا يتعرضون
لهم ، ويقولون : « نحن مع بعضنا ... وأتم رعية
فلا علاقة لكم بنا ! » . ووجدوا مع البعض سلاحا ،
ذهب به عندما أرسل الباشا ونادى على الناس ،
فردوهم بلطف .. وكل ذلك على غير القياس ا

وطاهر باشا لم يكن له شغل الا الطواف بالمدينة
والأسواق وخارج البلد ، ويقول للفلاحين الذين
يجلبون الحطب والجلّة والسمن والجبن من الأرياف :
« كونوا على ما أتمم عليه ، وهاتوا أسبابكم ،
ويبيعوا واشتروا ... وليس عليكم بأس ! »
وحضر اليه الوالى ، فأمره بالمرور والناداة بالأمن
للناس .

واستمر الحرب بين الفريقين نهار السبت ،
واشتد ليلة الأحد طول الليل . فبما أصبح النهار
حتى زحف عساكر الأرثوود الى جامع عثمان كتخد
والى حارة النصارى من الجهة الأخرى ، وطلعوا

الحشاب ... قاتلوا الأرثوودية . فعند ذلك أركبوا
الدفتردار ، وأخذوه الى بيت طاهر باشا ، ومعه
أتباعه . وانهزم الأرثوودية من تلك الجهة ،
وانحصروا جهة جامع أربك ، واشتغلوا بمخارية
الفرقة الأخرى ، وتحققوا الهزيمة والخذلان .

وعندما وصلت عساكر الباشا الى بيت الدفتردار
والمحروقى وبيت حريم الباشا ، اشتغلوا بالنهب
والخراج الحريم ، وتركوا القتال وتفرقوا بالمنهويات .
وفترت همة الفرقة الأخرى ، وجرى أكثرهم ليخطف
شبتا ، ويغنم مثلهم ا وقالوا : « نحن نقاتل ونموت ...
لا على شيء .. وأصحابنا ينجون ويغنمون ا » ،
فهزموا أنفسهم لذلك ، وتراجع الأرثوودية ،
واشتدت عزيمتهم . ورجع البعض منهم على عساكر
الباشا ، فهزموا من بقى منهم ، وملكوا الجهة التى
كانوا أجلوهم عنها .

فعند ذلك ظهر طاهر باشا ، وركب الى الرميّة ،
وتقدم الى باب العزب ، فوجده مغلوقا ، فعالج
الطاقات الصغار التى فى حائط باب العزب ، القريبة
من الأرض ، المعدة لرمى المدافع من أسفل ... ففتح
بعضها ، ودخل منها بعض عسكر . فتلاقوا مع
الأرثوود المحافظين داخل الباب ، فالتف بعضهم
على بعض . ثم طلعوا عند الخازندار - وكان عنده
ابن أخت طاهر باشا ممرضا قبل ذلك بأيام -
وصحيت طائفة أيضا . فالتفوا على بعضهم ، وصاروا
عصبة ، وطلبوا مفاتيح القلعة من الخازندار ...
فمانعهم ولما رأى منهم العين الحمراء سلمهم
المفاتيح ، فنزّلوا وفتحوا الأبواب لطاهر باشا ،
وحبسوا الخازندار ، وأنزلوا من القلعة مدافع
وبسات وجبّانة الى الأربكية لجماعتهم .

وكذلك قيدوا بالقلعة طبعية وعساكر ... كل
ذلك ومحمد باشا لا يدري بشيء من ذلك . فلم
يشهر الا والضرب نازل عليه من القلعة . فسأل :

خيزا . فأرسلوا له خيزا ، فخطفه الأرثوود في الطريق ، ولم يصل اليه .

ثم ان عسكر الأرثوود أحضروا له آلة بنبة ، ووضعوها بالبركة ، وضربوا بها على بيت الباشا فوقعت واحدة على الباذاهنج ، فالتهب فيه النار ، فأرادوا إطفاءها ، فلم يجدوا سقائين تنقل الماء . ويقال ان الخازندار الذي كان بالقلعة — لما قبضوا عليه — التزم لهم بحرق بيت الباشا ويطلقوه . فأرسل بعض أتباعه الى مكانه — الذي ببيت الباشا — فأوقدوا فيه النار في ذلك الوقت ، واشتعلت في الأخشاب والسقوف ، وسرت الى مساكن الباشا . فعند ذلك نزل الباشا الى أسفل ، وأنزل الحرم — وعددهن سبع عشرة امرأة — فأركبهن بغالا ، وأمر الدلاة والهوراة أن يتقدموهن ، وركب صحبتهم المحروقي وابنه وترجمانه وصيرفيه وعبيده وفراشوه . وتأخر الباشا حتى أركب الحرم ، ثم ركب في مماليكه ومن بقى من عسكره وأتباعه ، وركب معه حسين أغا شنن وبعض أغوات ، وصحبته ثلاثة هجن ، وخرج الى جزيرة بدران . فعندما أشيع ركوبه ، هجمت عساكر الأرثوود على البيت ، واشتغلوا بالنهب .. هذا والنار تشتعل فيه . وكان ركوبه قبيل أذان العصر من يوم الأحد تاسع المحرم . وخرج خلفه عدة وافرة من عسكر الأرثوود ، فرجع عليهم وهزمهم مرتين ، وقيل ثلاثا .

وأما المحروقي ومن معه فانهم تشتتوا من بعضهم خلف الدلاة ، ولم يلحقوهم . واقطع حزام بقلته ، فنزل عنها . فأدركه العساكر المتلاحقة بالباشا ، فعروه وشلحوه هو وأتباعه وابنه ، وأخذوا منهم نحو عشرين ألف دينار اسلامبولي نقدية ، وقيل جواهر بنحو ذلك . فأدركهم عمر أغا بينباشي المقيم ببولاك ، فوقعوا عليه .. فأمنهم ، وأخذهم معه الى

الى التلول التي بناحية بولاك ، وملكوا بولاك ، وهجموا على مناخ الجمال الذي بالقرب من الشيخ فرج ، فقتلوا من به من عسكر التكرور ، وهرب من بقى منهم عريانا . وقبضوا على «متش» القبطان ، وعدوا بالغليون الى بر انبابة ، ونهبوا ما فيه — وكان به مال القبطان وذخائره التي جمعها من مظالم المراكب والمسافرين والقادمين شيئا كثيرا — وكذلك ذهبت طائفة منهم الى قصر العيني ، وقبضوا على من به من عبيد الباشا ، وعروهم وأخذوهم أسرى . ونهبوا بيت السيد أحمد المحروقي بالأزبكية — وهو بيت البكري القديم — وقد كان أخلاه لنفسه ، وعمره وسكنه بحريمه ... فنهبوا منه شيئا كثيرا يفوق الحصر ، وأخرجوا منه النساء بعد ما فتشوهن ، أو افتدين أنفسهن . وكذلك بيت حريم الباشا الملاصق له ، بعد ما أرسل الباشا عساكره قبل يوم ، فنقل منه الحرم عنده بطولهن لاغير ، ونهبوا بيت جرجس الجوهري وأخذوا منه أشياء نفيسة كثيرة ، وفراوى مشنة . وحريم بيت الباشا لم تسكنوا منه الا بعد انقضاء القضية بيومين ... بسبب أن المحافظين عليه كانوا ثمانية عشر فرنساوية . فحاصروا فيه هذه المدة ، حتى خرجوا منه بأمان .

وأما سكان تلك الحطة ... فانهم كانوا يذهبون الى طاهر باشا ، أو محمد علي ، فيرسل معهم عسكرا لحفارتهم ، حتى ينقلوا أمتعتهم أو ما أمكنهم الى جهات بعيدة عن ذلك المحل ، ليأمنوا على أنفسهم من الحرب . وهرب المحروقي وابنه عند الباشا .

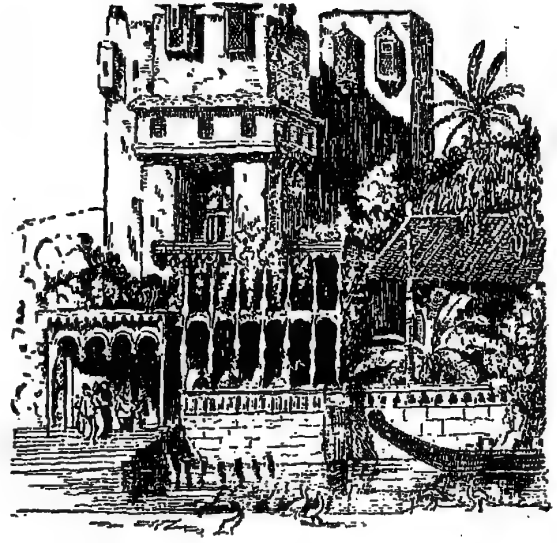
ولاحت لوائح الخذلان على الباشا ، واستعد للفرار ... فانه لما بات تلك الليلة ، لم يجد عليقا ولا خيزا ، فعلقوا على الخيل أرزا ، وتعشى الباشا بالقبساط ، وأرسل الى حارة النصارى فطلب منهم

كثيرا . وباتت النار تلتهب فيه ... والدخان
صاعد الى عنان السماء ، حتى لم يبق فيه الا
الجدران التحتانية الملاصقة للأرض . واحتترقت
وانهدمت تلك الأبنية العظيمة المشيدة العالية وما

بولاق ، وباتوا عنده الى ثاني يوم ، وأخذ لهم
أمانا ، وحضر الى طاهر باشا وقابله . وكذلك
جرجس الجوهري .
ونهب العسكر بيت الباشا ، وأخذوا منه شيئا



محمد باشا يفرج منهزما الى جزيرة بدران .



جانب من بيت الباشا

ثم اشترى ذلك القصر الأمير أحمد أغا شويكار... وباعه بعد مدة . فاشتراه الأمير محمد بيك الألفى في سنة ١٢١١ هـ (١٧٩٦ م) ، وشرع في هدمه وتعميره وانشائه على الصورة التي كان عليها . وكان غائبا جهة الشرقية ، فرسم لكتخدها صورته في كاغد بكيفية وضعه . فحضر ذو الفقار كتخدا ، وهدم ذلك القصر ، وحفر الجدران ، ووضع الأساس ، وأقام الدعائم ، ووضع سقوف الدور السفلى ، فحضر عند ذلك مخدومه فلم يجده على الرسم الذي حدده له ... فهدمه ثانيا ، وأقام دعائمه على مراده ، واجتهد في عمارته ، وطلب له الصناع والمؤن من الأحجار والأخشاب المتنوعة ... حتى شحت المؤن في ذلك الوقت . وأوقف أربعة من أمرائه على أربع جهاته ، وعمل على دمة العمارة طواحين للجبس وقمن الجير ، وأحضر البلاط من الجبل قطعا كبيرا ، ونشرها على قياس مطلوبه ، وكذلك الرخام ... وذلك خلاف ألقاض رخام المكان ، وألقاض الأماكن التي اشتراها وهدمها وأخذ أخشابها وألقاضها ونقلها على الجمال وفي المراكب لأجل ذلك . فمنها البيت الكبير الذي كان أنشأه حسن كتخدا الشعراوى على بركة الرطلى ، وكان به شيء كثير من الأخشاب والألقاض والشبايك والرواشن ... نقلت جميعها الى العمارة . فصار كل من الأمراء المشيدين يبنى وينقل ويبيع ويفرق على من أحب حتى بنوا دورا من جانب تلك العمارة والطلب مستمر حتى أتموه في مدة يسيرة ، وركت على جميع الشبايك شرائح الزجاج أعلى وأسفل وهو شيء كثير جدا . وفي المخادع المختصة به ألواح الزجاج البلور الكبار التي يساوى الواجد منها خمسمائة درهم - وهو كثير أيضا - ثم فرشه جميعه بالسط الرومى والفرش الفاخر ، وعلقوا به الستائر والوسائد المزركشة وطوال المراتب كلها مقصات . وبنى به حمامين علويا وسفليا الى غير

من القصور والمجالس والمقاعد والرواشن والشبايك والقمرينات والمنابر والتهنات والخزائن والمخادع . وكان هذا البيت من أضخم المباني المكلفة . فانه اذا حلف الحالف انه صرف على عمارته - من أول الزمان الى أن احترق - عشرة خزائن من المال أو أكثر ... لا بحث . فان الألفى لما أنشأه صرف عليه مبالغ كثيرة . وكان أصل هذا المكان قصرا عبره وأنشأه السيد ابراهيم بن السيد سعودى اسكندر - من فقهاء الحنفية - وجعل في أسفله قاطر وبوائك من ناحية البركة ، وجعلها يرسم النزهة لعامة الناس . فكان يجتمع بها عالم من أجناس الناس وأولاد البلد شيء كثير . وبها قهاوى وياعون وفكهاية ومغاي وغير ذلك . ويقف عندها مراكب وقوارب بها من تلك الأجناس . فكان يقع بها ، وبالحجر المقابل لها - من عصر النهار الى آخر الليل - من الحظ والنزاهة مالا يوصف . ثم تداول ذلك القصر ايدى الملاك ، وظهر على بيك وقباوة حكمه ... فسدوا تلك البوائك ، ومنعوا الناس عنها لما كان يقع بها في الأحيان من اجتماع أهل الفسوق والحشاشين .

ذلك ... فما هو الا أن تم ذلك ، فأقام به نحو
عشرين يوما ، ثم خرج الى الشرقية فأقام هناك .
وحضر الفرنسيين فسكنه سارى عسكر بونا برته
فعمر فيه أيضا عمارة . ولما سافر وأقام مكانه كلهم
عمر فيه أيضا . فلما قتل كليبر ، وتولى عوضه
عبد الله مينو ... لم يزل مجتهدا في عمارته ، وغير
معاليه ، وأدخل فيه المسجد ، وبنى الباب على
الوضع الذى كان عليه ، وعقد فوقه القبة المحكمة ،
وأقام في أركانها الأعمدة بوضع محكم متقن ، وعمل
السلام المراض التى يصعد منها الى الدور العلوى
والسفل على يمين الداخل ، وجعل مساكنه كلها
تتخذ الى بعضها البعض على طريقة وضع مساكنهم .
واستمر نينى فيه ويعمر مدة اقامته الى أن خرج من
مصر .

فلما حضر العثمانية ، وتولى على مصر محمد باشا
المذكور ، ورغب في سكنى هذا المكان ، شرع
في تعميره هذه العمارة العظيمة .. حتى انه رتب
لحرق الجير فقط اثني عشر قمينا تشتغل على
الدوام ، والجمال التى تنقل الحجر من الجبل ثلاث
قطارات : كل قطار سبعون جنلا . وقس على ذلك
بقية اللوازم . ورموا جميع الأتربة في البركة حتى
ردموا منها جانبا كبيرا ردما غير معتدل ، حتى
شوهوا البركة ، وصارت كلها كيمانا وأتربة .

والعجب أن منتهى الرغبة في سكن هذه البركة
وأعمالها .. انما هو تسريح النظر ، وانسباط النفس
باتساعها واطلاقها .. وخصوصا أيام النيل حين
تمتلئ بالماء فتصير لجة ماء دائرة بركارية ، مملوءة
بالزوارق والقنح ، والشطيات المعدة للزهوة تسرح
فيها ليلا ونهارا . وعند دخول المساء يوقدون
القناديل بدائرها في جميع قواطع البيوت . فيصير
لذلك منظر بهيج ، لاسيما في الليالى القمرية ،
فيختلط ضحك الماء في وجه البدر والقناديل

وانعكاس خيالها كأنها أسفل الماء أيضا ، وصدى
أصوات القيان والأغاني في ليال لاتمد من الأعمار ،
اذ الناس ناس ، والزمان زمان ! فلا حول ولا قوة
الا بالله العلى العظيم .. الى أن كان ما كان ،
ووقعت هذه الحوادث فتضاعف المسخ والتشويه .
والعجب أنه لما وقعت الحراية بين الفرنسيين
والعثمانية وأهل مصر . وأقام الحرب ستة وثلاثين
يوما ، وهم يضربون على ذلك البيت المدافع
والقناير .. لم يصبه شيء ، ولم يهدم منه حجر
واحد . ولما وقعت هذه الحراية بين الباشا
وعسكره ، احترق وانهدم في ليلة واحدة .

وكذلك احترق بيت الدفتر دار — وهو بيت
ثلاثة ولىة — الذى كان أنشاء رضوان كتحدا
الحلفى . وكان بيتا عظيما ليس له نظير في عمارته
وزخرفته وكلفته . وسقوفه من أغرب ما صنعته
أيدي بنى آدم في الدقة والصنعة ، وكله منقوش
بالذهب والأزورد والأصباغ . وعلى محالبيه
العليا قباب مصنعة ، وأرضه كلها بالرخام الملون ..
فاحترق جميعه ولم يبق به شيء الا بعض الجدران
اللاطئة بالأرض .

وسكنت الفتنة . وشق الوالى على أغا
الشعراوى ، وذو الققار المحتسب ، وأغات
الانكشارية ، وفادوا بالإمان والبيع والشراء .
فكانت مدة ولاية هذا الباشا على مصر ، سنة
وثلاثة أشهر وأحدا وعشرين يوما .

وكان سبب التدبير ، ولا يحسن التصرف ،
وينجب منك الدماء ، ولا يتروى في ذلك ، ولا يضع
شيئا في محله . ويتكرم على من لا يستحق ، ويهمل
على من يستحق

وفي آخر مدته ، داخله الغرور ، وطاوع قرناء
السوء المحدثين به ، والتفت الى المظالم والفرد
على الناس وأهل القرى . حتى أنهم كانوا حرروا

دفاعاً فردة عامة على الدور والأماكن بأجرة ثلاث سنوات . وقيل أشنع من ذلك !

فأخذ الله منه عبادته ، وسلط عليه جنده وعساكره ، وخرج مرغوماً مقهوراً على هذه الصورة ! ولم يزل في أسيره إلى أن نزل بقلوب بعد الغروب ، فعمشاه الشواربي شيخ قلوب . ثم سار ليلاً إلى دجوة ، فأنزل الحريم والانتقال في ثلاث مراكب ، وسار هو إلى جهة بنا ، وغالب جماعته تخلفوا عنه بمصر . وكذلك الكتخدا وديوان أفندي والخازندار الذي كان بالقلعة — والسلحدار و خليل أفندي خزنة كاتب .

الاثنين ١٠ منه (٢ مايو ١٨٠٣ م) :

نودي بالأمان أيضاً ، وأن العساكر لا يتعرضون لأحد بأذية . وكل من تعرض له عسكري بأذية ، ولو قليلة ، فليشتكه إلى القلق الكائن بخطته ، ويجضه إلى طاهر باشا ، فينتقم له منه .

الخميس ١٣ منه (٥ مايو ١٨٠٣ م) :

حضر الأغا والوجاقلية إلى بيت القاضى ، وأعلموه باجتماعهم في غد عند طاهر باشا ، ويتفقون على تليسه قائمقام ، ويكتبون عرض محضر بحاصل ما وقع .

وفي ذلك اليوم حضر جعفر كاشف ، تابع إبراهيم بك ، ويده مراسلة خطاباً للعلماء والمشايخ . وقيل انه كان بمصر من مدة أيام . وكان يجتمع بطاهر باشا كل وقت بالشيخونية .

الجمعة ١٤ منه (٦ مايو ١٨٠٣ م) :

اجتمع المشايخ عند القاضى ، وركبوا صحبته وذهبوا عند طاهر باشا ، وعملوا ديواناً . وأحضر القاضى فروة سمور البسها لطاهر باشا ليكون قائمقام حتى تحضر له الولاية ويأتى وال وكلموه

على رفع الحوادث والمظالم ، وظنوا فيه الخيرية ، واتفقوا على كتابة عرض حال بصورة ماوقع ، وقرءوا المكتوب الذى حضر من عند الأمراء القبالي . وهو مشتمل على آيات وأحاديث وكلام طويل ، ومحصله : أنهم طائعون وممثلون ، ولم يحصل منهم تعد ولا محاربة ، وإنما إذا حضروا إلى جهة أو بلد وطلبوا المرور عليها أو قضاء حاجة من بندر... منعهم الحاكم والعساكر التي بها وناذبوهم بالمحاربة والطرود . ومع ذلك إذا وقعت بيننا محاربة لا يشتون لنا وينهزمون ويفرون ، وقد تكرر ذلك المرة بعد المرة . ولا يخفى ما يترتب على ذلك من النهب والسلب وهتك الحرائر .

وقد وقع أننا لما حضرنا بالمنية فحصل ما حصل ، وبدأونا بالطرود والابعاد ، حصل ما حصل مما ذكر ، وعوقب من لا جنى . وذنب الرعية والعباد في رقابكم . وقد التمسنا من ساداتنا المشايخ أن يتشفعوا لنا عند حضرة الوزير ، ويعطينا ما يقوم بموتنا ومعاشنا ، فأبى حضرة الوزير إلا إخراجنا من القطر المصرى كلياً . وبغتم تحذرونا مخالفة الدولة العلية مستدلين علينا بقوله تعالى « وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم » . ولم تذكروا لنا آية تدل على أننا نخرج من تحت السماء ، ولا آية تدل على أننا نلقى بأبدنا إلى التهلكة . وذكرتم لنا أن حريمنا وأولادنا بمصر ، وربنا ترتب على المخالفة وقوع الضرر بهم . وقد تعجبنا من ذلك فأننا إنما تركنا حريمنا ثقة بأنهم في كفالتكم وعرضكم ... على أن المروءة تأبى صرف الهممة إلى امتداد الأندى للحريم ... والرجال للرجال على أن الفلك دوار ، والله قلب الليل والنهار ، والملك بيد الله يؤتیه من يشاء « قل اللهم مالك الملك » الآية .

فلما قرئ ذلك بتفاصيله ، تعجب السامعون له . فكانما كانوا ينظرون من خلف حجاب الغيب .

المستار من

تاريخ الخبيث

تحريره السيد الخبيث

الطبعة

اسلامبول . وأما محمد باشا (١) المهزوم ، فانه لم يزل في سيره حتى وصل الى المنصورة ، وفرد على أهلها تسعين ألف ريال ، وكذلك فرد على ما أمكنه من بلاد الدقهلية والغربية فردا ومظالم وكلفا وصادف في طريقه بعض المعينين حاضرين بمبالغ الفردة السابقة فأخذها منهم .

الثلاثاء ١٨ منه (١٠ مايو ١٨٠٣ م) :

أرسل طاهر باشا عدته من العسكر ، فقبضوا على جماعة من بيوتهم وهم : أغات الانكشارية ، ومصطفى كئخدا الرزاز ، ومصطفى آغا الوكيل ، وأيوب كئخدا الفلاح ، وأحمد كئخدا على ، والسيد أحمد المحروقي ، و خليل افندي كاتب خزنة محمد باشا . وأطلعوهم الى القلعة ، وأصبح الناس يتحدثون بذلك .

ثم ان جماعة من الفقهاء سمعوا الى السيد أحمد المحروقي ، فأنزله الى بيته في ثاني يوم ، وعملوا عليه ستمائة كيس ، ولزم العسكر بيته ، وكذلك بقبة الجماعة ، منهم من عمل عليه مائتا كيس وأقل وأكثر . وأقاموا في الترسيم .

الجمعة ٢١ منه (١٣ مايو ١٨٠٣ م) :

ركب طاهر باشا بالموكب والملازمين ، وصلى الجمعة بجامع الحسين .

وفيه : وردت الأخبار بأن الأمراء المصرية رجعوا الى قبلى ، ووصلوا الى قرب بنى سويف .

وفيه : تشفع الشيخ السادات في مصطفى آغا

(١) لم يسع خسرو باشا الا ان يلوذ بالهرب . وفر هو وعائلته وحاشيته وبقية من جنوده ، وخرج من المدينة ، وقصد الى قليوب بالمنصورة فدمياط ، واستقر بها ، واخذ يستعد لاسترجاع ولايته . ومن غريب امره انه - وهو في محنة وفي فراخه - ضرب الضرائب على البلاد التي مر بها ، واخذ من الاموال ما استطاع نهبه .

وبلغار خسرو باشا انتهت ولايته الفعلية ، فكانت نهايتها سنة وثلاثة اشهر وواحد وعشرين يوما .

(عبد الرحمن الرافعي - تاريخ الحركة القومية - ٢٣٧)

رقم الترخيص	٥١٣
رقم التسجيل	٥/٢٢٤٨٥

وأخذ ذلك المكتوب طاهر باشا (١) ، وأودعه في جيبه . ثم قال الحاضرون : « فما يكون الجواب ؟ » . قال : « حتى تروى في ذلك » . ثم كتب لهم جوابا يخبرهم فيه بما وقع ، ويأمرهم بأنهم يحضرون بالقرب من مصر لربما اقتضى الحال الى المعاونة .

الاثنين ١٧ منه (٩ مايو ١٨٠٣ م) :

كتبوا العرض المحضر بصورة ما وقع ، وختم عليه المشايخ والوجاقلية ، وأرسلوه الى

(١) انتهب طاهر باشا هذه الفرصة ليجتلب اليه المالك ، وكتب لهم يدعوهم الى الحضور والافتراق من القاهرة . . . وظهرت للمشايخ في هذا التعين سلطة رسمية ، وان كانت في الواقع اسمية ، لان طاهر باشا انما وصل الى قائمقاميته بعد السيف . . . لكن مجرد استئجاره بفرورة اتفاق العلماء على اختياره ، هو تسليم منه بان لهم شأنا في حل الازمات . كما ان تدخلهم في الوساطة بين البكوات المالك والوالي اكسبهم نفوذا على القريبيين ، ومسايعهم في رفع المظالم اعلت مكانتهم ، وزادت في التفاف الناس حولهم .

وقد كان للعلماء مقام محمود في مقاومة المظالم التي ارتكبتها طاهر باشا . فان اول عمل له ان التى القبض على جماعة من كبار الموظفين والاميان بحجة انهم من انصار خسرو باشا ، منهم : السيد أحمد المحروقي كبير التجار ، ورئيس الانكشارية ، وكاتب خزنة خسرو باشا ، ومصطفى الوكيل . . . وسجنهم في القلعة . فتدخل المشايخ ووصلوا اليه وسأوا السيد أحمد المحروقي . فنزل من القلعة في اليوم الثاني . وتدخل السادات للافراج عن مصطفى الوكيل . فاحداه منه الى بيته ، وكان ذلك يوم الجمعة ٢١ (١٨ مايو ١٨٠٣) .

فلما كان يوم الأحد أرسل طاهر باشا مصطفى الوكيل من عند الشيخ السادات ، فذهب اليه السادات الى طاهر باشا ليحبيه من بطشه . فلما رآه الجنود القبض عليه ثانية ، وأحدوه الى القلعة . فحنق السيد السادات على هذا الظلم ، ودخل على طاهر باشا ، واعترضه اعتراضا شديدا . فاطلعه طاهر باشا على خطاب مرسى الى مصطفى الوكيل من خسرو باشا لبرهن له على انه موال لخسرو ، وان اعتقاله واجب . فقال السادات : ان هذا لا يؤخذ به وانما يؤخذ اذا كان المكتوب منه الى خسرو باشا . وكان طاهر باشا مصمما على قتله ، فانهى الامر على الا يقتله ، وان يبقى ببيت السادات مشمولا بحمايته . وخشى طاهر باشا من تغير خاطر السادات بسبب هذه الحادثة فذهب اليه في بيته يسترضيه .

ومن مقال طاهر باشا انه امر بقتل المعلم سلطى من كبار الكتبة الانباط - وهو الذى كان متوليا القضاء في زمن الفرنسيين - وامر كذلك بقتل المعلم حنا الصباحاني احد التجار السوريين ، (وبلا نزاع ان سبب قتلها الطمع في أموالها)

على ان طاهر باشا لم يدم له الامر . فقد اشتهر بالظلم والجبروت ، واطلق لجنوده الالبانيين منان السلب والنهب ، وضرب الغرامات القادحة على التجار .

(عبد الرحمن الرافعي - تاريخ الحركة القومية - ٢٣٧)

وكلما طلب الانكشارية شيئا من جماكهم ، قال لهم : « ليس لكم عندى شيء ، ولا أعطيكم الا من وقت ولايتى .. فان كان لكم شيء ، فاذهبوا وخذوه من محمد باشا » . فضاق خناقهم وأوغر صدورهم ، وبيتوا أمرهم مع أحمد باشا والى المدينة .

فلما كان فى هذا اليوم : ركب الجماعة المذكورون من جامع الظاهر ، وهم نحو المائتين وخمسين نفرا ، بعددهم وأسلحتهم . — كما هى عادتهم — وخلفهم كبراؤهم وهم : اسماعيل أغا ومعه آخر يقال له موسى أغا وآخر . فذهبوا على طاهر باشا ، وسألوه فى جماكهم فقال لهم : « ليس لكم عندى الا من وقت ولايتى ، وان كان لكم شيء مكسور فهو مطلوب لكم من باشتكم محمد باشا » . فألحوا عليه .. فنتر فيهم .. فعاجلوه بالحسام ، وضربه أحدهم ، فطير رأسه ، ورماها من الشباك الى الحوش !

وسجبت طوائفهم الأسلحة ، وهاجوا فى أتباعه . فقتل منهم جماعة ، واشتعلت النار فى الأسلحة والبارود الذى فى أماكن أتباعه . فوقع الحريق والنهب فى الدار ، ووقع فى الناس كرشات . وخرجت العساكر الانكشارية وبأيديهم السيوف المسلولة ، ومعهم ما خطفوه من النهب !

فانزعجت الناس ، وأغلقوا الأسواق والدكاكين ، وهربوا الى الدور ، وأغلقوا الأبواب ، وهم لا يعلمون ما الخبر !

وبعد ساعة ، شاع الخبر ، وشق الوالى والأغا ينادون بالأمن والأمان حسب ما رسم أحمد باشا ، وكرروا المناداة بذلك .

ثم نادوا باجتماع الانكشارية البلدية وخلافهم عند أحمد باشا على طائفة الأرثوود ، وقتلهم واخراجهم من المدينة . فتحزبوا أحزابا ، ومشوا

طوائف طوائف . وتجمع الأرثوود جهة الأذربكية وفى بيوتهم الساكنين فيها . وصار الانكشارية اذا ظفروا بأحد من الأرثوود ، أخذوا سلاحه ، وربما قتلوه . وكذلك الأرثوود يفعلون معهم مثل ذلك . هذا . والنهب والحريق عمال فى بيت طاهر باشا ، وفرج الله عن المعتقلين والمحبوسين ، على المغارم والمصادرات .

وبقيت جثة طاهر باشا مرمية لم يلتفت اليها أحد ، ولم يجسر أحد من أتباعه على الدخول الى البيت واخراجها ودفنها . وزالت دولته ، واثقت سلطنته فى لحظة !

فكانت مدة غلبته ستة وعشرين يوما . ولو طال عمره زيادة على ذلك ، لأهلك الحرث والنسل ! وكان صفته : أسمر اللون ، نحيف البدن ، أسود اللحية ، قليل الكلام بالتركي ... فضلا عن العربى ، ويغلب عليه لغة الأرثوودية ، وفيه هوس وانسلا ب ، ويميل للمسلوين والمجاذيب والدرابيش وعمل له خلوة بالشيخونية ، وكان يبيت فيها كثيرا ، ويصعد مع الشيخ عبد الله الكردي الى السطح فى الليل ، ويذكر معه . ثم مكن هناك بحريمه . وقد كان تزوج بامرأة من نساء الأمراء ، وكان يجتمع عنده أشكال مختلفة الصور ... فيذكر معهم ، ويجالسهم ، ويظهر الاعتقاد فيهم . ولما راوا منه ذلك ، خرج الكثير من الأوباش ، وتزيا بما سولت له نفسه وشيطانه ، ولبس له طرطورا طويلا ، ومرقعة ودلعا ، وعلق له خلجل وبهرجان وعصا مصبوغة وفيها شخاشيخ وشراريب ، وطبلة يدق عليها ، ويصرخ ويزعق ، ويتكلم بكلمات مستهجنة ، وألفاظ موهمة ، بأنه من أرباب الأحوال .. ونحو ذلك !

ولما قتل ، أقام مرميا الى ثالى يوم لم يدفن . ثم دفنوه من غير رأس بقبة عند بركة الفيل .

وأخذ بعض النيكجيرية رأسه وذهبوا بها ليوصلوها الى محمد باشا ، ويأخذوا منه البقيش . فلحقهم جماعة من الأرثوود ، فقتلوه ، وأخذوا الرأس منهم ورجعوا بها ودفنوها مع جثته .

وكتب أحمد باشا مكتوبا الى محمد باشا يعلمه بمسيرة الواقعة ، ويستعجله للحضور .

وكذلك المحروقي وسعيد أغا ، أرسل كل واحد مكتوبا بمعنى ذلك ، وظنوا تمام المنصف !

ولما نهبوا بيته ، نهبوا ما جاوره من دور الناس من الحبانية الى ضلع السمكة الى درب الجمالين . ثم ان أحمد باشا أحضر المشايخ ، وأعلمهم بما وقع ، وأمرهم بالذهاب الى محمد على ، ويخاطبوه بأن يذعن الى الطاعة .

فلما ذهبوا اليه وخاطبوه في ذلك ، أجاب بأن أحمد باشا لم يكن واليا على مصر .. بل انما هو والى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وليس له علاقة بمصر . وأنا كنت الذى وليت طاهر باشا لكونه محافظ الديار المصرية من طرف الدولة ، وله شبهة في الجملة . وأما أحمد باشا فليس له جرة ولا شبهة .. فهو يخرج خارج البلد ، ويأخذ معه الانكشارية ، ونجهزه ويسافر الى ولايته . فقاموا من عنده على ذلك ، واستمر الانكشارية على ما هم عليه من النهب ، وتبع الأرثوود ، وتحزبوا وتسلاحوا ، وعملوا متاريس على جهاتهم ونواحيهم الى آخر النهار .

فنادوا على الناس بالسهر والتحفظ ، والدكاكين تفتح ، والقناديل تعلق . وبات الناس على تحوف .

ه منه (٢٧ مايو ١٨٠٣ م)

مر الوالى والأغا بنادون بالأمان يرسم حكم أحمد باشا . ثم ان أحمد باشا أرسل أوراكا الى المشايخ بالحضور . فذهبوا اليه ، فقال لهم :

« أريد منكم أن تجمعوا الناس والرعية ، وتأمرهم بالخروج على الأرثوود وقتلهم ! » . ففسالوا : « سمعا وطاعة » . وأخذوا في القيام . فقال لهم : « لا تذهبوا ، وكونوا عندي ، وأرسلوا للناس كما أمرتكم » . فقالوا له : « ان عادتنا أن يكون جلوسنا في المهمات بالجامع الأزهر ، ونجتمع به ، ونرسل الى الرعية . فانهم عند ذلك لا يخالقون » . وكان مصطفى أغا الوكيل حاضرا ، فراددهم في ذلك ، وعرف منهم الانفكاك ... فلم يزالوا حتى تخلصوا وخرجوا .

وكان أحمد باشا أرسل أحضر الدفتردار ويوسف كئخدا الباشا ، وعبد الله أفندى رازم الروزنامجى ، وغالب أكابر العثمانية .

ومصطفى أغا الوكيل كان مرهونا عند شيخ السادات — كما تقدم — فعندما سمع بقتل طاهر باشا ، ركب بجياعته وأهله ، وأخذ معه عدة من الانكشارية وذهب الى عند أحمد باشا ، ووقف بين يديه يعاضده ويقويه .

وأما محمد على والأرثوود ، فانهم مالكون القلعة الكبيرة ، ويجمعون أمرهم ، ويراسلون الأمراء .

فلما أصبح ذلك اليوم ، عدى الكثير من الممالك والكشاف الى بر مصر ، ومروا في الأسواق . وعدى أيضا محمد على وقابلهم في بر الجزيرة ورجع ، وعدى الكثير منهم من ناحية أبنابة ، ومعهم عربان كثيرة ، وساروا الى جهة خارج باب النصر وباب الفتوح ، وأقاموا هناك .

وأرسل ابراهيم بيك ورقة الى أحمد باشا يقول فيها : « انه بلغنا موت المرحوم طاهر باشا ، عليه الرحمة والرضوان . فأنتم تكونون مع أتباعكم الأرثوود حالا واحدا ، ولا تتدخلوا مع الانكشارية » .

فلما كانت ضحوة النهار ، ذهب جماعة من الانكشارية الى جهة الرميّة . فضربوا عليهم من القلعة مدافع ... فولوا ، وذهبوا . ثم بعد حصّة ضربوا أيضا عدة مدافع متراصة على جهة بيت أحمد باشا — وكان ساكنا في بيت على بيك الكبير بالداودية — فعند ذلك أخذ أمره في الانحلال ، وتفرق عنه غالب الانكشارية البلدية .

ووافق أن الشايخ لما خرجوا من عنده وركبوا ، لم يزلوا سائرين الى أن وصلوا جامع الغورية ، فنزلوا به وجلسوا ، وهم في حيرة متفكرين فيما يصنعون . فعند ما سمعوا صوت المدافع ، قاموا وتفرقوا وذهبوا الى بيوتهم .

ثم ان ابراهيم بيك أرسل ورقة الى أحمد باشا — قبيل العصر — يأمره فيها بتسليم الذين قتلوا طاهر باشا ، وبخروج الى خارج البلد ، ومعه مهلة الى حادى عشر ساعة من النهار ، ولا يقيم الى الليل .. وان خالف فلا يلومن الا نفسه !

فلما رأى حال نفسه مضحلا ، لم يجد بدا من الامتنال .. الا أنه لم يجد جمالا يحمل عليها أثقاله ، فقال للرسول : « سلم عليه ، وقل له يرسل لى جمالا ، وأنا أخرج . وأما تسليم القتاتين . فلا يمكن » فقال له : « أما حضور الحال .. فغير متيسر في هذا الوقت لبعده المسافة » فقال له : « وكف بكون العمل ؟ » فقال : « بركب حضرتكم .. ويخرج . ووقت ما حضرت الجمال الليلة أو غدا ... حملت الأتقال ولحقتكم خارج البلد » .

فعند ذلك قام ، وركب وقت العصر ، وتفرق من كان معه من أعيان العثمانية مثل : الدفتردار ، وكتخدا بيك ، والروزنامجى ، وذهبوا الى محمد على والتجأوا اليه . فأظهر لهم البشر والقبول : وخرج أحمد باشا في حالة شنيعة ، وأتباعه

مشاة بين يديه ... وهم يعدون في مشيهم ، وعلى أكتافهم وسائد وأمتعة خفيفة . فعند ما خرج من البيت ، دخل الأرثوود ونهبوا جميع مافيه ولم يزل سائرا حتى خرج من المدينة من باب الفتوح ، فوجد العسكر والعربان وبعض كشاف وممالك مصرية محدقة بالطرق ، فدخل مع الانكشارية الى قلعة الظاهر ، وأغلقوها عليهم . وخرج خلفهم عدة وافرة من الأرثوود والكشاف المصرية والعرب والغز ، وأحاطوا بهم ، وأقاموا على ذلك تلك الليلة .

وبعد العشاء ، مر الوالى وأمامه المنادة بالأمان حسب ما رسم ابراهيم بيك حاكم الولاية وأفندينا محمد على .

تكانت مدة الولاية لأحمد باشا يوما وليلة لا غير !

وفي ذلك اليوم : نهبوا بيت يوسف كتخدا بيك ، وأخرجوا منه أشياء كثيرة ... أخذ ذلك جميعه الأرثوود .

٦ منه (٢٨ مايو ١٨٠٣ م) :

ركب المشايخ والأعيان ، وعدوا الى بر الجزيرة ، وسلموا على ابراهيم بيك والأمراء .

وفيه : استأذن الدفتردار وكتخدا بيك ، محمد على في الإقامة عنده أو الذهاب . فأذن لهما بالتوجه الى بيوتهما . فركبا قبيل الظهر ، وسارا الى بيت الدفتردار — وهو بيت البارودى — فدخل كتخدا بيك مع الدفتردار لعلمه بنهب بيته . فنزلا وجلسا مقدار ساعة ... واذا بجماعة من كبار الأرثوود ، ومعهم عدة من العسكر ، وصلوا اليهما . وعند دخولهم طلبوا المشاعلى من بيت على أغا الشعراوى — وهو تجاه بيت البارودى — فلم يجده فذهب معهم رفيق له ، وليس معه سلاح ، فدخلوا الدار وأغلقوا الباب : وعلم أهل الخطة

مرادهم ، فاجتمع الكثير من الأوباش والجميعة
والعسكر خارج الدار يريدون النهب !

ولما دخلوا عليهما ، قبضوا أولا على الدفتردار
وشلحوه من ثيابه وهو يقول : « عيتر ا » .
وأصابه بعضهم بضربة على يده اليمنى ، وأخرجوه
الى فسحة المكان ، وقطعوا رأسه بعد ضربات ،
وهو يصيح مع كل ضربة ، لكون المشاعلى لا يحسن
الضرب ولم يكن معه سلاح ! بل ضربه بسلاح
بعض العسكر الحاضرين . ثم فعلوا ذلك بيوسف
كنخدا بيك — وهو ساكت لم يتكلم ! — وأخذوا
الرأسين وتركوهما مرميين ، وخرجوا بعد ما نهبوا
ما وجدوه من الثياب والأمتعة بالمكان ، وكذلك
ثياب أتباعهم . وخرج أتباعهم فى أسوأ حال بطلبون
التجاة بأرواحهم ، ومنهم من هرب وطلع الى حريم
البارودى الساكنات فى البيت . وصرخ النساء
وانزعجن . وكانت الست نفيسة المرادية فى ذلك
المنزل أيضا فى تلك الأيام ... فعندما رأت وصول
الجماعة ، أرسلت الى سليم كاشف المحرمجى ،
فحضر فى ذلك الوقت . فكلّمته فى أن يتلافى الأمر ،
فوجده قد تم . فخرج بعد خروجهم بالرأسين ،
فظن الناس أنها فعلته .

ثم حضر محمد على فى أثر ذلك ، وطرد الناس
المجتمعين للنهب ، وختم على المكان ، وركب الى
داره .

ثم ان على أغا الشعراوى استأذن محمد على
فى دفنهما .. فأذن له ، فأعطى شخصا ستمائة نصف
فضة لتجهيزهما وتكفينهما ، فأخذها وأعطى منها
لآخر مائتين نصف لا غير . فأخذها وذهب فوضعهما
فى تابوت واحد من غير رؤوس — وكانوا ذهبوا
برؤوسهما الى الأمراء بالجيزة ، ولم يردوها ، ولم
يدفنا معها — ثم رفعهما بالتابوت الى ميضأة جامع
السلطان شاه المجاور للمكان — وهو مكان قدر

— فغسلهما وكفنهما فى كفن حقير ، ودفنهما فى
حفرة تحت حائط بتربة الأربكية من غير رؤوس ..
فهذا ما كان من أمرهما .

وأما الذين فى قلعة الظاهر . فانهم انحصروا ،
وأحاط بهم الأرثوود والغز والعربان ، وليس عندهم
ما يأكلون ، ولا ما يشربون . فصاروا يرمون
عليهم من السور ، القرايين والبارود ، وهم كذلك
يرمون عليهم من أسفل ، وجمعوا أتربة وعملوها
كيمانا عالية ، وصاروا يرمون عليهم منها كذلك
بقية نهار الجمعة . وليلة السبت اشتد الحرب
بينهم بطول الليل .

وفى الصباح ، أنزلوا من التلعة مدافع كبارا
وبنية وجبخانة وأصعدوها على التاول ، وضربوا
عليهم الى قبيل العصر . فعند ذلك طلبوا الأمان ،
وفتحوا باب القلعة . وخرج أحمد باشا وصحبته
شخصان ، وهما اللذان قتلّا طاهر باشا ، فأخذوهم
وعدوا بهم الى الجيزة .. وبطل الحرب والرمى ،
وبقى طائفة الانكشارية داخل القلعة وحولهم
العساكر .

فلما ذهبوا بهم الى الجيزة ، أرسلوا أحمد باشا
الى قصر العينى ، وأبقوا الاثنين — وهما : اسماعيل
أغا ، وموسى أغا — بالقصر الذى بالجيزة .

ونودى بالأمان للرعية حسب ما رسم ابراهيم
بيك وعثمان بيك البرديسى ومحمد على .

٧ منه (٢٩ مايو ١٨٠٣ م) :

حضر أحمد بيك أخو محمد على الى جهة خان
الخليلى لاجراء التفتيش على منهوبات الأرثوود
التي نهبها الانكشارية ، وأودعوها عند أصحابهم
الأتراك . وفتحوا عدة حوانيت وقهاوى وأماكن ،
وأخذوا ما فيها ، وأجلسوا طوائف من عسكر
الأرثوود على الخانات والوكائل والأماكن ، وشلحو
ناسا كثيرة من ثيابهم ، وربما قتلوا من عصى عليهم .

وقلدوه والى الشرطة . ولبسوا محمد المعروف بالبرديسى كتخدا قائد أغا ، وجعلوه محتسبا . وشق كل منهم بالمدينة وأمامه المناداة بالأمن والأمان ، والبيع والشراء .

وفيه : أخرجوا الانكشارية الذين بقلعة الظاهر ، وسفروهم الى جهة الصالحية ، وصحبهم كاشفان وطائفة من العرب ، بعدما أخذوا سلاحهم ومتاعهم ، بل وشلحوهم ثيابهم ، والذي بقي لهم بعد ذلك ، أخذته العرب . وذهبوا فى أسوأ حال ، وأنحس بال ، وهم نحو الخمسمائة انسان . ومنهم من التجأ الى بعض الممالك والغز . فستر عليه ، وغير هيئته ، وجعله من أتباعه . وكذلك الانكشارية الذين كانوا مخفيين ، التجأوا الى الممالك ، واتقوا اليهم وخدموهم ... فسبحان بقلب الأحوال !

وحضر سليم كاشف المحرمجى ، وسكن بقلعة الظاهر ، وكتب الى اقليم القليوبية أوقا ، وقرر على كل بلد ألف ريال ، ومن كل صنف من الأصناف سبعين ، مثل : سبعين خاروف ، وسبعين رطل سمن ، وسبعين رطل بن ، وسبعين فرخة .. وهكذا ، وحق طريق المعين لقبض ذلك ، خمسة وعشرين ألف فضة من كل بلد .

١١ منه (٢ يونية ١٨٠٣ م) :

حضر محمد على ، وعبد الله افندى رامز الروزنامجى ، ورضوان كتخدا ابراهيم بيك ، الى بيت الدفتردار المقتول ، وضبطوا تركته . فوجد عنده نقود ثلثمائة كيس ، وقيمة عروض وجواهر وغيرها نحو ألف كيس .

وفية : أرسل ابراهيم بيك فجعم الأعيان والوجاقلية ، وأبرز لهم فرمانات وجدوها عند الدفتردار المقتول ... مضمونها قرارات مبالغ ، منها : أن الممالك المصرية كانوا أحدثوا على الفلال التى تباع الى بحر برا عن كل أردب

فتخوف أهل خان الخليلي ومن جاورهم . واستمر الأرثوود كلما مرت بهم طائفة ، ووجدوا شخصا فى أى جهة فيه شبه ما بالأتراك ... قبضوا عليه وأخذوا ثيابه ، وخصوصا ان وجدوا شيئا معه من السلاح أو سكينا . فتوقى أكثر الناس ، وانكفوا عن المرور فى أسواق المدينة . فضلا عن الجهات البرانية .

وفيه : كثر مرور الغز والكشاف المصرية ، وترددوا الى المدينة وعلى أكتافهم البنادق والقراييز ، وخلفهم الممالك والعربان . فيذهبون الى بيوتهم ويبيتون بها . ويدخلون الحمامات ، ويغيرون ثيابهم ، ويعودون الى بر الجيزة . وبعضهم أمامه المناداة بالأمان عند مروره بوسط المدينة .

وفيه : كتبت أوراق بطلب دراهم فردة على البلاد المنوفية والغربية ، كل بلد ألف ريال ، وذلك خلاف مضاف العرب وكلفهم .

٩ منه (٣١ مايو ١٨٠٣ م) :

قتلوا شخصا بباب الخرق ، يقال انه كان من أكبر المتحزين على الأرثوود ، وجمع منهوبات كثيرة .

وفيه أيضا : قتلوا اسماعيل أغا وموسى أغا ، وهما اللذان كانا قتلا طاهر باشا . وتقدم أنهم كانوا أخذوهما بالأمان صحة أحمد باشا فأرسلوا أحمد باشا الى قصر العيني ، وبقي الاثنان بقصر الجيزة فأخذوهما وعدوا بهما الى البر الآخر ، وقطعوا رأسيهما عند الناصرية ، وأخذوا الرأسين وذهبوا بهما الى زوجة طاهر باشا بالشيخونية . ثم طلعهما الى أخى طاهر باشا بالقلعة .

وفيه : تقلد سليم أغا — أغات مستحفظان سابقا — الأغاوية كما كان . وركب وشق المدينة بأعوانه ، وأمامه جماعة من العسكر الأرثوود . ولبسوا أيضا حسين أغا أمين خزانة مراد بيك ،

أكابر الأرثوود وأعيانهم وعساكرهم بعزلهم ومتاعهم وما جمعه من المنهوبات ، وهو شيء كثير جدا ، وسلموا القلعة الى الأمراء المصرية . وطلع أحمد بيك الكلارجى الى باب الانكشارية ، وأقام به ، وعبد الرحمن بيك ابراهيم الى باب العزب ، وسليم أغا مستحفظان الى القصر .

فعند ذلك اطمأن الناس بنزولهم من القلعة . فانهم كانوا على تخوف من اقامتهم بها ، وكثر فيهم اللغظ بسبب ذلك .

فلم يزل الأمراء يدبرون أمرهم حتى أنزلوهم منها ، وبقي بها طائفة من الأرثوود ، وعليهم كبير يقال له : حسين قبطان .

وفيه : ورد الخبر أن محمد باشا لما قربت منه العساكر التى كان أرسلها له طاهر باشا ، ارتحل الى دمياط كما تقدم .

محبوب . فيقرر ذلك ، بحيث يتحصل من ذلك للخبزينة العامرة عشرة آلاف كيس فى السنة . فان قصت عن ذلك القدر ، أضر ذلك بالخبزينة

ومنها : تقرير المليون الذى كان قرره الفرنسيين على أهالى مصر فى آخر مدتهم ، ويوزع ذلك على الرؤوس والدور والعقار والأملاك .

ومنها : أن الحلوان عن المحلول ثلاث سنوات.

ومنها : أنه يحسب المضاف والبرانى الى ميرى البلاد .. وغير ذلك .

١٢ منه (٣ يونية ١٨٠٣ م) :

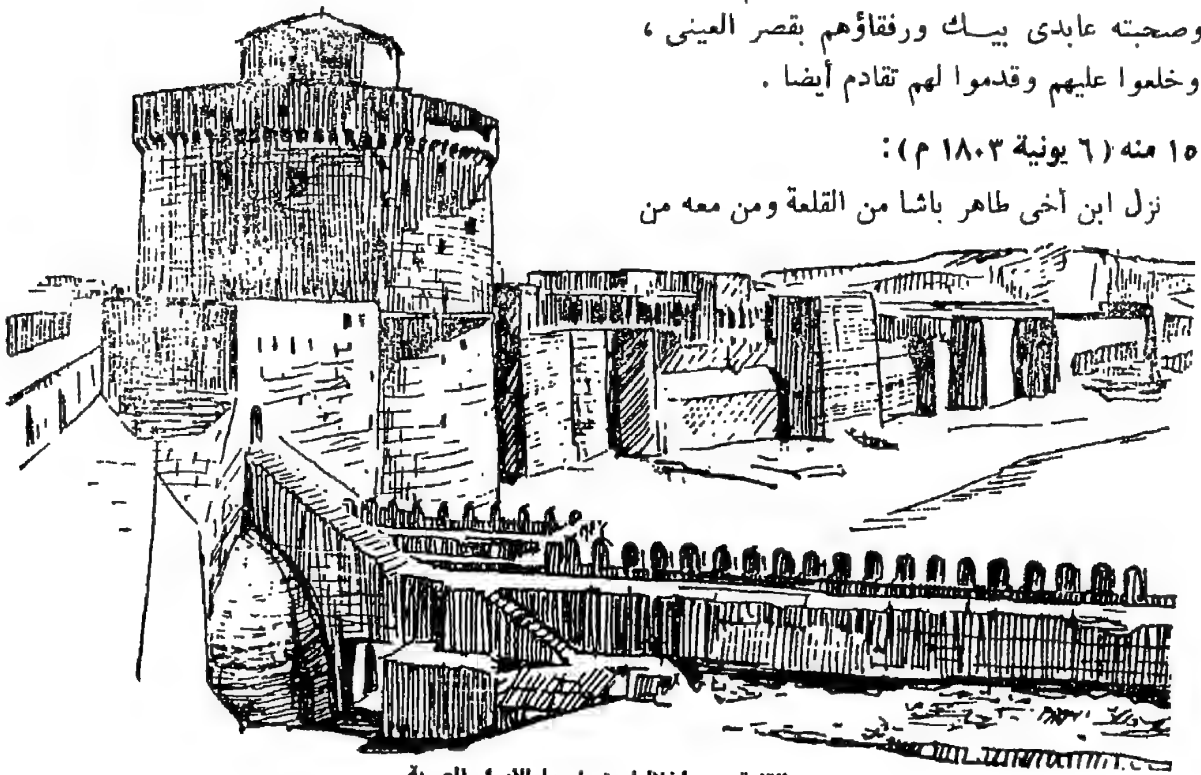
عمل عثمان بيك البرديسى غزومة بقصر العينى ، وحضر ابراهيم بيك والأمراء ومحمد على ورفقاؤه . وبعد انقضاء الغزومة ، ألبسوا محمد على ورفقاه خلعا ، وقدموا لهم تقادم .

١٣ منه (٤ يونية ١٨٠٣ م) :

عملوا غزومة لابن أخى طاهر باشا المقيم بالقلعة ، وصحبته عابدى بيك ورفقاؤهم بقصر العينى ، وخلصوا عليهم وقدموا لهم تقادم أيضا .

١٥ منه (٦ يونية ١٨٠٣ م) :

نزل ابن أخى طاهر باشا من القلعة ومن معه من



القلعة بعد اخلائها وتسليمها للأمراء المصرية

١٦ منه (٧ يونية ١٨٠٣ م) :

ومعهم مدفعان وهم نحو ألف وخمسمائة وأزيد .
فلما خرجوا وتوسطوا البرية عروا الكثير منهم
ومن المتخلفين والمتأخرين عنهم ، وأخذوا أسلحتهم ،
وقتلوا كثيرا منهم . ورجع الممالك ومعهم الكثير
من بنادقهم وسلاحهم ، يحملونه معهم ومع خدامهم .
فلما رجع الممالك بهذه الصورة ، ووقف
العسكر الأرثوودية على أبواب المدينة ... انزعج
الناس كعادتهم في كرشاتهم ، وأغلقوا الدكاكين .
وعين للسفر معهم حسين كاشف الألفى ، يذهب
معهم الى القنطرة . ونودى في عصيته بالأمان ،
 وخروج من تخلف من الانكشارية ، وكل من وجد
منهم بعد ثلاثة أيام ... فدمه وماله هدر .

٢١ منه (١٢ يونية ١٨٠٣ م) :

مر الوالى والمناداة أمامه على الأتراك الانكشارية
والبشناق والسجمان بالخروج من مصر ، والتحذير
لمن آواهم أو ثاواهم . وكلما صادف في طريقه
شخصا من الأتراك قبض عليه ، وسأله عن تخلفه ،
 فيقول : « أنا من المتسبين والمتأهلين من زمان
بمصر » . فيطلب منه بيعة على ذلك ، ويستلمه
عسكر الأرثوود ، فيودعونه في مكان مع أمثاله ،
حتى تحققوا أمره .

وفيه : مر بعض الممالك بجهة الميدان ناحية
باب الشعرية ، فصادفوا جماعة من العسكر
المذكورين يحملون متاعا لهم . فاشتبكوا بهم ،
 وأرادوا أخذ سلاحهم ومتاعهم ... فمانعهم ،
 وتضاربوا معهم ، فقتل بينهم شخصان من
الانكشارية ، وشخصان من الممالك : أحدهما
فرنساوى .

وفيه : حضر أيضا ثلاثة من الممالك الى وكالة
الصاغة الى رجل رومى طبرى وسألوه عن جوارى
سود عنده لمحمد باشا ، وأنهم يطلبونهن لثمان
بيك البرديسى . فأنكر ذلك ، وشهد جيرانه أنهم

وردت مكاتبات من الديار الحجازية مؤرخة
في منتصف محرم ، وفيها الأخبار باستيلاء الوهابيين
على مكة في يوم عاشوراء ، وأن الشريف غالب
أحرق داره وارتحل الى جدة ، وأن الحجاج أقاموا
بمكة ثمانية أيام زيادة عن المعتاد بسبب الارتباك قبل
حصول الوهابيين بمكة ، ومراعاة للشريف ، حتى
نقل متاعه الى جدة . ثم ارتحل الحجاج ، وخرجوا
من مكة طالين زيارة المدينة . فدخل الوهابيون
بعد ارتحال الحج يومين .

١٨ منه (٩ يونية ١٨٠٣ م) :

أخرجوا باقى الانكشارية والدلاة والسجمان ،
 وكانوا مجتمعين بمصر القديمة ، فتضرر منهم المارة
وأهل تلك الجهة بسبب قبائحهم وخطفهم أمتعة
الناس بل وقتلهم . وكان تجمعهم على أن يذهبوا الى
جهة الصعيد ، ويلتفون على حسن باشا بجرجا ،
وينضمون اليه والى من بناحية الصعيد من
أجناسهم . فذهب منهم من أخبر الأمراء المصرية
بذلك ، فضبطوا عليهم الطرق .

واتفق أن جماعة منهم وقفوا لبعض الفلاحين
المارين بالبطيخ والخضار ، فحجزوهم ، وطلبوا
منهم دراهم . فمر بهم بعض ممالك من أتباع
البرديسى ، فاستجار بهم الفلاحون ، فكلموهم ..
فتشاحنوا معهم ، وسحبوا على بعضهم السلاح ،
 فقتل مملوك منهم . فذهبوا الى سيدهم وأعلموه .
 فأرسل الى ابراهيم بك . فركب الى العرضى
ناحية بولاق التكرور ، وترك مكانه بقصر الجيرة
محمد بك بشتك وكيل الألفى . وشركوا عليهم
الطرق ، وأمروهم بالركوب والخروج من مصر الى
جهة الشام واللحق بجماعتهم فركبوا من هناك ،
ومروا على ناحية الجبل من خلف القلعة الى جهة
العادية ، وأمامهم وخلفهم بعض الأمراء المصرية ،

٢١ منه (١٢ يونية ١٨٠٣ م) :

حضر الشريف عبدالله بن سرور ، وصحبته بعض أقاربه من شرفاء مكة وأتباعهم نحو ستين نفرا ، وأخبروا أنهم خرجوا من مكة مع الحجاج ، وأن عبد العزيز بن سعود الوهابي دخل الى مكة من غير حرب ، وولى الشريف عبد المعين أميرا على مكة والشيخ عقيل قاضيا ، وأنه هدم قبة زمزم والقباب التي حول الكعبة والأبنية التي أعلى من الكعبة .. وذلك بعد أن عقد مجلسا بالحرم ، وباحثهم على ما الناس عليه من البدع والمحرمات المخالفة للكتاب والسنة . وأخبروا أن الشريف غالب وشريف باشا ذهبا الى جدة وتحصنا بها ، وأنهم فارقوا الحجاج في الجديدة .

وفيه : كتبوا عرضحالين : أحدهما بصورة ما وقع لمحمد باشا مع العساكر ، ثم قيام الانكشارية وقتلهم لطاهر باشا ، ثم كرة الأرثوود على الانكشارية لما أثاروا الفتنة مع أحمد باشا ، حتى اختلت أحوال المدينة ، وكاد يعمها الخراب ... لولا قرب الأمراء المصرية وحضورهم . فسكنوا الفتنة ، وكفوا أيدي المعتدين . والثاني يتضمن رفع الاحداث التي في ضمن الأوامر التي كانت مع الدفتردار ، التي تقدمت الاشارة اليها .

وفيه : عزم الأمراء على التوجه الى جهة بحرى . فقصد البرديسى ، وصحبته محمد بيك — تابع محمد بيك المنفوخ — جهة دمياط ومعهم محمد على وعلى بيك أيوب وغيرهم ، وصحبتهم الجم الكثير من العساكر والعربان ، ولم يتخلف الا ابراهيم بيك وأتباعه والحكام . وسافر سليمان كاشف البواب الى جهة رشيد وصحبته عساكر أيضا .

٢٢ منه (١٤ يونية ١٨٠٣ م) :

فيه عدى الكثير الى البر الشرقى .



... فزعوا عليه وطرذوه ، وذهبوا بالجوارى

ملكه ، واشتراهن ليتجر فيهن . فلم يزلوا حتى أخذوا منه ثلاثا على سوم الشراء ، وذهب معهن . فلما بعدوا عن الجهة .. فزعوا عليه وطرذوه . وذهبوا بالجوارى !

فذهب ذلك الطبرى الى محمد على ، فأرسل الى البرديسى ورقة بطلب الجوارى أو ثمنهن . ففحص عنهن حتى ردهن الى صاحبهن .

وفيه : حضر أيضا جماعة من الممالك الى بيت عثمان أفندى بجوار ضريح الشيخ الشعرانى — وهو من كتبة ديوان محمد باشا — فأخذوا خيله وسلاحه ومتاعه التي بأسفل الدار .

١٩ منه (١٠ يونية ١٨٠٣ م) :

نهبوا أيضا دار أحمد أفندى الذى كان شهر حواله وكاشف الشرقية في العام الماضى . فأخذوا بجميع ما عندهم حتى ثيابه التي على بدنه ، وقتلوا خادمه على باب داره ... قتله الوالى ، زاعما أنه هو الذى دل عليه !

٢٠ منه (١١ يونية ١٨٠٣ م) :

مر سليم أغا وأمامه المنادة على الأغراب الشوام والحلبية والرومية يجتمعون بالجمالية يوم تاريخه . فلم يجتمع منهم أحد .

٢٥ منه (١٦ يونية ١٨٠٢ م) :

قدم جاويش الحجاج بمكاتيب العقبة ، وأخبروا بموت الكثير من الناس بالحمى والاسهال ، وحصل لهم تعب شديد من الغلاء أيضا ، ذهابا وإيابا . ومات الشيخ أحمد العريشى الحنفى ودفن بنبط ، ومات أيضا محمد أفندى باش جاجرت ودفن بالينبع . والشيخ على الخياط الشافعى .

وفيه : عدى ابراهيم بيك الى قصر العينى ، وركب مع البرديسى الى جهة الحلى ، وودعه ، ورجع الى قصر العينى فأقام به ، وجلس ابنه مرزوق بيك فى مضرب الشباب . واستمر وكيل الألفى مقيما بقصر الجيزة .

وفيه : وردت الأخبار بأن محمد باشا لما ارتحل من المنصورة الى دمياط ، أبقى بفارسكور ابراهيم باشا وملوكه سليم ، كاشف المنوفية ، بعدة من المسكر ، فتحصنوا بها . فلما حضر اليهم حسن بيك أخو طاهر باشا بالمساكر ، تحاربوا معهم وملكوا منهم فارسكور ، فنهبوا وأحرقوها ، وفسقوا بنسائها ، وفعلوا ما لا خير فيه . وقتل سليم كاشف المنوفية المذكور أيضا .

ثم ان بعض أكابر المسكر المنهزمين أرسل الى حسن بيك يطلب منه أمانا - وكان ذلك خديعة منهم - فأرسل لهم أمانا . فحضروا اليه وانضموا لمسكره ، وسهلوا له أمر محمد باشا ، وأنه فى قلة وضعف ... وهم مع ذلك يرسلون أصحابهم ، ويشيرون عليهم بالعودة والتثبت ... الى أن عادوا وتأهبوا للحرب ثانيا . وخرج اليهم حسن بيك بمساكره ، وخلفه المتضافون اليه من أولئك ، فلما أن نشبت الحرب بينهم ، أخذوهم بواسطة ... فأخذوهم . ووقعت فيهم مقتلة عظيمة ، وانهزموا الى فارسكور ، فتلقاهم أهل البلدة ، وكملوا قتلهم ، ونزلوا عليهم بالنبايت والمساوق والحجارة .. جزاء لما فعلوه معهم ، حتى اشتقوا

منهم . ولم ينج منهم الا من كان فى عزوة أو هرب الى جهة أخرى . وحضر الكثير منهم الى مصر فى أسوأ حال .

وفى يوم الجمعة والسبت حضر الكثير من حجاج المغاربة ، وصحبتهم مصاروة وفلاحون كثيرة .

٢٨ منه (١٩ يونية ١٨٠٢ م) :

فيه : حضرت مكاتبة من الديار الرومية على يد شخص يسمى صالح أفندى الى سكندرية . فأرسل خورشيد أفندى حاكم الاسكندرية يستأذن فى حضوره بمكاتبة على يد راشته (١) قنصل النمسا . فذهب راشته الى ابراهيم بيك ، وأخبره وأطلعه على المکتوب الذى حضر له . فبعد ساعة وصل الخبر بوصول صالح أفندى المذكور الى بولاق فأرسل ابراهيم بيك رضوان كتخدا وأحمد بيك الأرثوودى ، وأمرهما بأن يأخذا ما معه من الأوراق ويأمرآ بالرجوع بغير مهلة ، ولا يلغاه يطلع الى البر .. ففعلا ذلك .

ومضمون مافى تلك الأوراق خطاب لطاهر باشا « وأنه بلغنا ما حصل من محمد باشا من الجور والظلم وقطع علوفات المسكر ، وأنهم قاموا عليه وأخرجوه ... وهذه عادة المساکر اذا انقطعت علوفاتهم . وأنا وجهنا له ولاية سنانيك (٢) ، وأن طاهر باشا يستمر على المحافظة ، وأحمد باشا قائمقام الى أن يأتى المتولى » . وخطاب لمحمد باشا بمعنى ذلك .

والسر فى تقليد أحمد باشا قائمقام - دون طاهر باشا - أن طاهر باشا أرثوودى وليس له الاطوخان . ومن قواعدهم القديمة أنهم لا يقلدون الأرثوود ثلاثة أطواخ أبدا .

(١) Rossetti كان هو والمحروقى من اصحاب النفوذ فى القاهرة بعد خسرو باشا ، وكانا بكرهان فرنسا ، والممداء - مع ذلك - مستحكم بينهما

(٢) دكتور فؤاد مسكر - مصر فى القرن التاسع عشر - ص ١٠١ (١) سلونيك .

وفيه : دخل الكثير من الحجاج آخر النهار
وفى الليل .

٢٩ منه (٢٠ يونية ١٨٠٢ م) :

دخل الجم الغفير من الحجاج ، ومات الكثير
من الداخلين في ذلك اليوم ، وكثير مرضى . وحصل
لهم مشقة عظيمة ، وشوب وغلاء .. وخصوصا بعد
مجازاتهم العقبة . وبلغت الشربة الماء ديناراً ،
والبطيخة دينارين !

وكان حجاج كثير ، وأكثرهم أوباش الناس من
الفلاحين والنساء وغير ذلك !

وخرج سليم أغا مستحفظان ، وصحبته جماعة
من الانكشارية والكشاف والأجناد والعسكر ،
فاستلموا المحمل من أمير الحج ، وأمره بأن
لا يدخل المدينة ، بل يقيم بالبركة حتى يحاسبوه .
ويسافر بمن معه من العسكر الى جهة الشام .
ثم رجعوا بالمحمل ودخلوا به المدينة وقت الظهر
على خلاف العادة .

وحضر صحبة الحجاج كثير من أهل مكة ،
هروبا من الوهابي . ولفظ الناس في خبر الوهابي ،
واختلفوا فيه . فمنهم من يجعله خارجيا وكافرا
— وهم المكيون ومن تابعهم وصدق أقوالهم —
ومنهم من يقول بخلاف ذلك ، لخلو غرضه .

وأرسل الى شيخ الركب المغربي كتابا ، ومعه
وراق تتضمن دعوته وعقيدته ، وصورتها :
« بسم الله الرحمن الرحيم ، وبه نستعين . الحمد لله
نحمده ونستعينه ، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور
أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ... من يهده الله فلا
مضل له ، ومن يضل فلا هادي له ، ونشهد أن
لا اله الا الله وحده لا شريك له ، ونشهد أن محمدا
عبده ورسوله . من يطع الله ورسوله فقد رشد ،
ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ، ولا يضر الا
نفسه ، ولن يضر الله شيئا . وصلى الله على سيدنا

محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .
« أما بعد . فقد قال الله تعالى : « قل هذه
سبيلي : أدعو الى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني ،
وسبحان الله وما أنا من المشركين » . وقال تعالى :
« قل ان كنتم تحبون الله ، فاتبعوني يحببكم الله
ويغفر لكم ذنوبكم » . وقال تعالى : « وما آتاكم
الرسول فخذوه ، وما نهاكم عنه فانتهوا » . وقال
تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم
نعمتي ، ورضيت لكم الاسلام ديناً » . فأخبر
سبحانه أنه أكمل الدين ، وأتمه على لسان رسوله
صلى الله عليه وسلم ، وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من
ربنا ، وترك البدع والتفرق والاختلاف . وقال
تعالى : « اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ، ولا
تبعوا من دونه أولياء .. قليلا ما تذكرون » . وقال
تعالى : « وان هذا صراطي مستقيما ، فاتبعوه ،
ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ... ذلكم
وصاكم به لعلكم تتقون » . والرسول صلى الله عليه
وسلم قد أخبرنا أن أمته تأخذ ما أخذ القرون
قبلها : شبرا بشبر ، وذراعا بذراع .

« وثبت في الصحيحين وغيرهما عنه صلى الله
عليه وسلم أنه قال : « لتبعن سنن من كان قبلكم ،
حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب
لدخلتموه » ، قالوا : « يا رسول الله ... اليهود
والنصارى ؟ » . قال : « فمن ؟ » .

« وأخبر في الحديث الآخر ، أن أمته ستفترق
على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار الا واحدة .
قالوا : « من هي يا رسول الله ؟ » قال : « من
كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي » .

« اذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمت به البلوى من
حوادث الأمور التي أعظمها : الاشرار بالله ، والتوجه
الى الموتى ، وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء
الحاجات ، وتفريق الكربات التي لا يقدر عليها
الا رب الأرض والسماوات ... وكذلك التقرب

اليهم بالنذور وذبح القربان ، والاستغاثة بهم في كشف الشدائد ، وجلب الفوائد .. الى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح الا لله . وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها . لأنه سبحانه وتعالى أغنى الأغنياء عن الشرك ، ولا يقبل من العمل الا ما كان خالصا . كما قال تعالى : « فاعبد الله مخلصا له الدين ، ألا الله الدين الخالص . والذين اتخذوا من دونه أولياء ، ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ، ان الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون . ان الله لا يهدي من هو كاذب كفار » . فأخبر سبحانه أنه لا يرضى من الدين الا ما كان خالصا لوجهه ، وأخبر أن المشركين يدعون الملائكة والأنبياء والصالحين ليقربوهم الى الله زلفى ، ويشفعوا لهم عنده . وأخبر أنه لا يهدي من هو كاذب كفار .

وقال تعالى : « ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله . قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض ، سبحانه وتعالى عما يشركون » . فأخبر أنه من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة ، فقد عبدتهم وأشرك به . وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى : « من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه » . وقال تعالى : « فيومئذ لا نفع الذين ظلموا معذرتهم » . وقال تعالى : « يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من أذن له الرحمن ورضي له قولا » . وهو سبحانه وتعالى لا يرضى الا التوحيد ، كما قال تعالى : « ولا يشفعون الا لمن ارتضى ، وهم من خشيته مشفقون » .

« فالشفاعة حق ، ولا تطلب في دار الدنيا الا من الله . كما قال تعالى : « وأن المساجد لله ، فلا تدعوا مع الله أحدا » . وقال تعالى : « ولا تدع من دون الله مالا بنفعك ولا يضرك .. فان فعلت ، فأنك اذا من الظالمين » .

« فاذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم — وهو سيد الشفعاء ، وصاحب المقام المحمود ، وآدم فمن دونه تحت لوائه — لا يشفع الا باذن الله... لا يشفع ابتداء ، بل يأتي فيخر الله ساجدا ، فيحمده بحامده يعلمه اياها ، ثم يقال : « ارفع رأسك ، وسل ... تعط ، واشفع ... تشفع . ثم يجد له حدا فيدخلهم الجنة ... فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء ؟ »

« وهذا الذي ذكرناه ... لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين . بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الأصحاب والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ... ممن سلك سبيلهم ، ودرج على منهاجهم .

« وأما ما حدث من سؤال الأنبياء والأولياء من الشفاعة بعد موتهم ، وتعظيم قبورهم ببناء القباب عليها ، واسراجها ، والصلاة عندها ، واتخاذها أعيادا ، وجعل السدنة والنذور لها... فكل ذلك من حوادث الأمور التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم أمته ، وحذر منها ... كما في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : « لا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين ، وحتى تعبد قنাম من أمتى الأولمان » .

« وهو — صلى الله عليه وسلم — حى جناب التوحيد أعظم حماية ، وسد كل طريق يؤدي الى الشرك . فنهى أن يجصص القبر ، وأن يبنى عليه ، كما ثبت في صحيح مسلم من حديث جابر . وثبت فيه أيضا : أنه بعث على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، وأمره لا يدع قبرا مشرفا الا سواء ، ولا تمثالا الا طمسه . ولهذا قال غير واحد من العلماء : « يجب هدم القباب المبنية على القبور ، لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم » .

« فهذا هو الذى أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس ، حتى آل بهم الأمر الى أن

عباد ، وكتاب « جمع الفضائل وقمع الرذائل » ،
وكتاب « مصاديد الشيطان » .. وغير ذلك .

وفي ذلك اليوم : نودى على المتخلفين من
الانكشارية بالسفر صحبة أمير الحج ، وقبضوا
على أنفار منهم وأخرجوهم . ومنعوا أيضا حجاج
المغاربة من الدخول الى المدينة ، ومن دخل منهم
لأجل حاجة ، فليدخل من غير سلاح . فذهبوا الى
بولاق ، وأقاموا هناك .

٣٠ منه (٢١ يونية ١٨٠٣ م) :

مر الوالى بناحية الجمالية ، فوجد انسانا من
أكابر غزة ، يسمى على أغا شعبان ، حضر الى مصر
من جملة من حضر مع العرضى ، وكان مهندسا فى
عمارة الباشا ، ثم عين لسد ترعة الفرعونية لمعرفته
بأمور الهندسة . فوجده جالسا على دكان يتنزّه
حصّة ، وفرسه وخدمه وقوف أمامه . فطلبه وأمره
بالركوب معه . فركب وذهب صحبته .. فكان آخر
العهد به !

وكان فى جيبه ألف دينار ذهبا ... بإخبار أخيه ،
خلاف الورق ، فأخذ ثيابه وفرسه وما معه ، وخنقه
وأخفى أمره وأنكره . وكان رجلا لا بأس به .

ربيع الأول

السبت ٥ منه (٢٥ يونية ١٨٠٣ م) :

سافر أحمد باشا والعساكر الانكشارية الذين
جمعوهم من المدينة ، وسافر صحبتهم من العساكر
الذين كانوا صحبة أمير الحج ، والجميع كانوا
نحو ألفين وخمسمائة . وأما أمير الحج فانهم عفوا
عنه من السفر ، ودخل المدينة بخاسته .

وفى هذا اليوم : حضر على كئندا من جهة
قبلى — وهو كئندا حسن باشا والى جرجا —
ومعه مكاتبة الى الأمراء المصرية ، وأنه وصل الى
أسيوط . فكتبوا له أمانا بالحضور الى مصر بمن

كفرونا وقاتلونا ، واستحلوا دماءنا وأموالنا ..
حتى نصرنا الله عليهم وظفرنا بهم . وهو الذى
ندعو الناس اليه ، وقاتلهم عليه بعد ما تقيم عليهم
الحجة من كتاب الله ، وسنة رسوله صلى الله عليه
وسلم ، واجماع السلف الصالح من الأمة ... مستثلين
لقوله سبحانه وتعالى : « وقاتلوهم حتى لا تكون
فتنة ، ويكون الدين لله » .

« فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان ، قاتلناه
بالسيف والسنان ، كما قال تعالى : « لقد أرسلنا
رسلنا بالبينات ، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان
ليقوم الناس بالقسط ، وأنزلنا الحديد فيه بأس
شديد ومنافع للناس » .

« وندعو الناس الى اقامة الصلوات فى الجماعات
على الوجه المشروع ، وإيتاء الزكاة ، وصيام شهر
رمضان ، وحج بيت الله الحرام ، ونأمر بالمعروف
وننهى عن المنكر . كما قال تعالى : « الذين ان
مكناهم فى الأرض ، أقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ،
وأمروا بالمعروف ، ونهوا عن المنكر . والله عاقبة
الأمور » .. فهذا هو الذى نمتقده وندين الله به .
فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم ... له ما لنا
وعليه ما علينا .

« ونعتقد أيضا أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم ،
المتبعين للسنة ، لا تجتمع على ضلالة ، وأنه لا تزال
طائفة من أمتة على الحق منصورّة ، لا يضرهم من
خذلهم ولا من خالفهم ، حتى يأتى أمر الله وهم على
ذلك » .

أقول : ان كان كذلك .. فهذا ماندين الله به
نحن أيضا ، وهو خلاصة لباب التوحيد ، وما علينا
من المارقين والمتعصين . فقد بسط الكلام فى ذلك
ابن القيم فى كتابه « إغاثة اللهفان » ، والحافظ
المقريزى فى « تجريد التوحيد » ، والامام البوسى
فى « شرح الكبرى » ، و « شرح الحكم » لابن

معه من العسكر ، ورجع على كتحدا بذلك في ثالي يومه فقط .

وفيه : ورد الخبر بوصول أنجد بيك الى ثغر دمياط بالريالة الى محمد باشا .

الأربعاء ٩ منه (٢٩ يونية ١٨٠٣ م) :

سافر الشريف عبد الله بن سرور الى سكندرية متوجها الى اسلامبول . وأنعم عليه ابراهيم بيك بخمسين ألف قضة .

الجمعة ١١ منه (اول يولية ١٨٠٣ م)

كان المولد النبوى ، ونادوا بفتح الدكاكين ووقود القناديل . فأوقدت الأسواق تلك الليلة ، واللييلة التى قبلها .. ولكن دون ذلك . وأما الأزركية فلم يعمل بها وقدة الا قبالة بيت البكرى ، لاستيلاء الخراب عليها .

السبت ١٢ منه (٢ يولية ١٨٠٣ م)

سفروا جبخانه وجللا وبارودا الى جهة بحرى . وأشيع بأن كثيرا من العسكر المصحوبين بالتجريدة ذهبوا الى محمد باشا ، وكذلك طائفة من الانكشارية المطرودين الذين خاصوا الى طريق دمياط .

الاثنين ١٤ منه (٤ يولية ١٨٠٣ م) :

وقع بين عثمان بيك البرديسى ومحمد باشا وعساكره مقتلة عظيمة ، وكانوا ملكوا منه متاريس



من المعركة

القنطرة البيضاء قبل ذلك ، ثم هجم المصريون في ذلك اليوم عليهم هجمة عظيمة ، وكبسوا على دمياط بمخامرة بعض رؤساء عساكر الباشا ، وفتكوا في عسكر الباشا بالقتل ، وقتلت خواصه وأتباعه ، وقتل حسين كتحدا شنن ومصطفى أغات التبديل ، ونهبوا دمياط ، وأسروا النساء ، واقتضوا الأبنكار ، وأخذواهن أسرى ، وصاروا يبيعونهن على بعضهم ، وفعلوا أفعالا شنيعة من الفسق والفجور ، وأخذوا حتى ما على أجساد الناس من الثياب ، ونهبوا الخانات والبيوت والوكائل وجميع أسباب التجار التى بها من أصناف البضائع الشامية والرومية والمصرية — وكان شيئا كثيرا يفوق الحصر — وما بالمرأى . حتى بيع الفرد الأرز الذى هو نصف أردب بثلاثة عشر نصفاً ، وقيمه ألف نصف ، والكيس الحرير الذى قيمته خمسمائة ريال ، بريالين .. الى غير ذلك ، والأمر لله وحده .

والتجأ الباشا الى القرية ، وتترس بها . فأحاطوا به من كل جهة ، فطلب الأمان ، فأمنوه . فنزل من القرية وحضر الى البرديسى وخطف عمامته ببعض العسكر . ولما رآه البرديسى ترجل عن مركوبه اليه ، وتمنى بالسلام عليه ، وألبسه عمامة ، وأنزله في خيمة بجانب خيمته متحفظا به . ولما وصل الخبر بذلك الى مصر ، ضربوا مدافع كثيرة من قصر العينى والقلعة والجيزة ومصر العتيقة . واستمر ذلك ثلاثة أيام بلياليها في كل وقت .

وفي عصر رتها حضر «جوخدار» البرديسى — وهو الذى قتل حسين أغا شنن — وحكى بصورة الحال . فألبسه ابراهيم بيك فروة ، وأنعم عليه ببلاد المقتول وبيته وزوجته وأملاكه ، وجعله كاشف الغريبة . وذهب الى وكيل الألفى أيضا فخلع عليه فروة سمور ، وصار يندر الذهب في حال ركوبه .

الأربعاء ١٦ منه (٦ يولية ١٨٠٣ م) :

وردت مكاتبات من عثمان بك البرديسي بالخبر
بوقوع الحرب بينهم وبين محمد باشا وعساكره .

الجمعة ١٨ منه (٨ يولية ١٨٠٣ م) :

ذهب الجوخدار الي مقام الامام الشافعي ،
وأرخی لحيته على عادتهم الي سنه المدينة ليغفيها
بعد ذلك من الحلق .

وفي ذلك اليوم : عمل ابراهيم بك ديوانا بيت
ابنته بدرب الجمائز ، وحضر القاضي والمشايع ،
ولبس خلعة وتولي قائمقام مصر ، وضربت في بيته
النوبة التركية .

الاحد ٢٠ منه (١٠ يولية ١٨٠٣ م) :

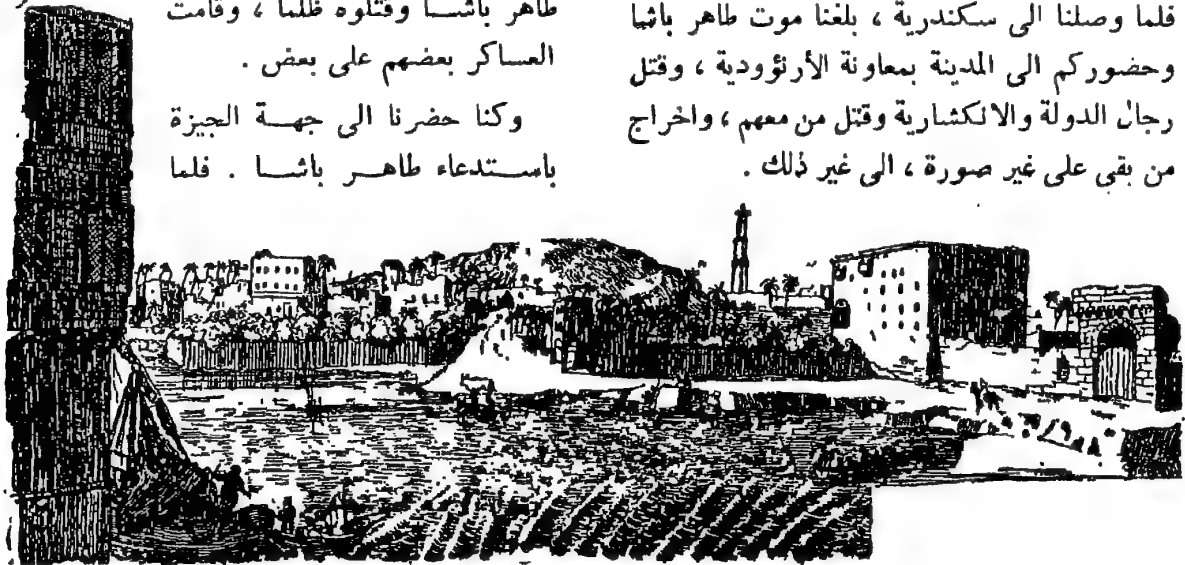
ورد الخبر بوصول على باشا الطرابلسي الي
سكندرية واليا على مصر ، عوضا عن محمد باشا .
وحضر منه فرمان خطابا للامراء يعلمهم بوضوله ،
ويذكر لهم « أنه متولي على الأقطار المصرية عوضا
عن محمد باشا ، من اسكندرية الي أسوان . ولم
يلغ الدولة موت طاهر باشا ولا دخولكم الي
مصر ، ومعنا أوامر لطاهر باشا وأحمد باشا : أنهم
يتوجهون بالعساكر الي الحجاز بسبب الوهابيين .
فلما وصلنا الي سكندرية ، بلغنا موت طاهر باشا
وحضوركم الي المدينة بمعاونة الأرثوودية ، وقتل
رجال الدولة والانكشارية وقتل من معهم ، وإخراج
من بقي على غير صورة ، الي غير ذلك .

« وهذا غير مناسب ، ولا نرضى لكم بهذا على
هذا الوجه ... فاننا نحب لكم الخير ، ولنا معكم
عشرة سابقة ومحبة أكيدة ، ونطلب راحتكم في
أوطانكم ، ونسعى لكم فيها على وجه جميل . وكان
المناسب أن لا تدخلوا المدينة الا بأذن من الدولة .
فان تظاهركم بالخلاف والعصيان مما يوجب لكم
عدم الراحة ، فان سيف السلطنة طويل .. فربما
استعان السلطان عليكم ببعض المخالفين الذين
لا ملاقة لكم بهم » .

ثم قال لهم في ضمن ذلك : « ان لنا معكم بعض
كلام لا يحتمله الكتاب .. وعن قريب يأتيكم اثنان
من طرفنا عاقلان ، تعملون معها مشاورة » .

فكتبوا له جوابا حاصله : أن محمد باشا لما كان
متوليا .. لم نزل نترجى مراحمه ، وهو لا يزداد
الا قسوة معنا ، ولا يسمح لنا بالاقامة بالقطر
المصري جملة . وجرّد علينا التجاريد والعساكر من
كل جهة ، وينصرنا الله عليه في كل مرة ... الي أن
حصل بينه وبين عساكره وحشة بسبب جمالكهم
وعلوفاتهم . فقاموا عليه وحاربوه ، وأخرجوه من
مصر بمعونّة طاهر باشا . ثم قامت الانكشارية على
طاهر باشا وقتلوه ظلما ، وقامت
العساكر بعضهم على بعض .

وكنا حضرنا الي جهة الجيزة
بامتدعاء طاهر باشا . فلما



منظر للميناء دماط

قتل طاهر باشا ، بقيت المدينة رعية من غير راع ، وخافت الرعية من جور العساكر وتعديهم . فحضر اليها المشايخ والعلماء واختيارية الوجافلية واستغاثوا بآء فأرسلنا من عندنا من ضبط العساكر وأمن المدينة والرعية . وأما محمد باشا ، فانه نزل الى دمياط ، وظلم البلاد والعباد ، وفرد عليها الفرد الشاقة ، وحرقتها . فتوجه عثمان بيك البرديسى لتأمين أهالى القرى ، الى أن وصل الى ظاهر دمياط فأقام بمن معه خارج المدينة .. فما يشعر الا ومحمد باشا صدمهم ليلا وحاربهم فحاربوه ، فنصرهم الله عليه ، وانهزمت عساكره وقبض عليه . وهو الآن عندنا فى الاعزاز والاكرام ، ونحن الآن على ذلك حتى يأتينا العفو !

وأما قولكم أننا نخرج من مصر .. فهذا لا يمكن ، ولا تطاوعنا جماعتنا وعساكرنا على الخروج من أوطانهم بعد استقرارهم فيها . وأما قولكم أن حضرة السلطان يستعين علينا ببعض المخالفين . فأتنا لا نستعين الا بالله ، وأتأ أرسلنا عرضحال نطلب العفو ، وترجى الرضا .. ومنتظرون الجواب .

الثلاثاء ٢٢ منه (١٢ يولية ١٨٠٣ م) :

حضر واحد أغا ومعه آخر . فضربوا له مدافع ، وعملوا ديوانا ، وتكلم معهم ، وتكلم المشايخ الحاضرون فى ظلم العثمانيين وما أحدثوه من المظالم والمكوس ، واتفقوا على كتابة عرضحال الى الباشا . فكتبوا ذلك ، وأمضوا عليه ، ونادوا فى الأسواق برفع ما أحدثه الفرنساوية والعثمانية من المظالم وزيادة المكوس ودفعوا الى الأغا الواصل ألف ريال ... حق طريقه ، وسافر .

وفيه : وصل الخبر بأن سليمان كاشف لما وصل الى رشيد ، وبها جماعة من العثمانية . وحاكمها ابراهيم أفندى ، فلما بلغه وصول سليمان كاشف ،

أخلى له البلد ، وتحصن فى برج مغيزل . فمهر سليمان كاشف الى البلد ، وخرج يحاصر ابراهيم أفندى . فهم على ذلك .. واذا بالسيد على باشا القبطان وصل الى رشيد وأرسل الى سليمان كاشف يعلمه بحضوره وحضور على باشا والى مصر ، ويقول : « ما هذا الحصار ؟ » فقال له : « نحن نقاتل كل من كان من طرف حسين قبطان باشا .. وأما ماكان من طرف الوزير يوسف باشا فلا نقاتله » . وارتحل من رشيد الى الرحمانية ، ودخل السيد على القبطان الى رشيد .

الأربعاء ٢٣ منه (١٣ يولية ١٨٠٣ م) :

سافر جوخدار البرديسى الى ولاية الغربية ، وكان شاهين كاشف المرادى هناك يجمع الفرقة ، وتوجه الى طنتدا ، وعمل على أولاد الخادم ثمانين ألف ريال . فحضروا الى مصر — ومعهم مفاتيح مقام سيدى أحمد البدوى — هاربين ، وتشكوا وتظلموا ، وقالوا لابراهيم بيك : « لم يبق عندنا شئ » ، فان الفرنساوية نهبونا وأخذوا أموالنا ، ثم ان محمد باشا أرسل المحروقى فحفر دارنا ، وأخذ منا نحو ثلثمائة ألف ريال ، ولم يبق عندنا شئ ... جملة كافية .

الثلاثاء ٢٩ منه (١٩ يولية ١٨٠٣ م) :

وصل محمد باشا الى ساحل بولاق وصحبته المحافظون عليه — وهم جماعة من عسكر الأرثوود الذين كانوا سابقا فى خدمته ، وجماعة من الأجناد المصرية — ولم يكن معه من أتباعه الا ستة مماليك فقط ... فان مماليكه المختصين به اختار منهم البرديسى من اختاره ، واقتسم باقيهم الأرثوود . ومنهم من يخدم الأرثوود المحافظين عليه .

ووافق أن ذلك اليوم كان جمع سيدى أحمد البدوى ببولاق على العادة ، فنصبوا له خيمة لطيفة بساحل البحر ، وطلع اليها فرأى جمع الناس فظن

هناك وسلم عليه . وحضر الألفى وباقي الأمراء
بجمعهم وخيولهم فترامحوا تحت القصر وتسابقوا
ولعبوا بالجريد . ثم طلع أكابرهم الى أعلى القصر
فصاروا يقبالون يد ابراهيم بيك فقط ، والباشا
جالس ، حتى تخلقوا حواليهما . ثم ان ابراهيم
بيك قدم له حصانا وقام وركب مع المحرمجي الى
بيت حسن كاشف بالناصرية . فسبحان المعز المذل
القهار !

الأربعاء غايته (٢٠ يولية ١٨٠٣ م) :
ركب ابراهيم بيك والألفى وذهبا الى الباشا
وسلما عليه في بيت البرديسي ، وهادياه بشاب
وأمتعة . وبعد أن كانوا يترجون عفوه ، ويتمنون
الرضا منه ، ويكونوا تحت حكمه .. صاز هو
يترجى عفوهم ، ويؤمل رفدهم واحسانهم ، وبقي
تحت حكمهم ..

فالعياذ بالله من زوال النعم وقهر الرجال .

ربيع الآخر

٢ منه (٢٢ يولية ١٨٠٣ م) :
ضربت مدافع كثيرة بسبب اقامة بنديرة الانجليز
بمصر .

وفيه : عدى البرديسي من المنصورة الى البر
الغربي متوجها الى جهة رشيد .

٤ منه (٢٤ يولية ١٨٠٣ م) :
وردت هجانة من ناحية الينبع ، وأخبروا أن
الزهايين جلوا عن جدة ومكة بسبب أنهم جاءتهم
أخبار بأن العجم زحفوا على ابلادهم الدرعية ،
وملكوا بعضها والأوراق فيها خطاب من شريف
باشا وشريف مكة ... لظاهر باشا ، على ظن حياته .

٦ منه (٢٦ يولية ١٨٠٣ م) :
لادي الأغا والوالى بالأسواق على العثمانية



الخيمة اللطيفة ..

أنهم اجتمعوا للفرجة عليه فقال : « ما هذا ؟ »
فأخبروه بصورة الحال .

وكان ابراهيم بيك في ذلك اليوم حضر الى
بولاق ، ودخل الى بيت السيد عمر تقيب الأشراف
باستدعاء ، فجلس عنده ساعة ، ثم ركب الى ديوان
بولاق ، فنزل هناك ساعة أيضا ، ثم ركب الى بيته
بحارة عابدين .

فلما وصل الباشا ، كما ذكر ، حضر اليه سليم
كاشف، المحرمجي وأركبه حصانا ، وركب مماليكه
حميرا ، وذهبوا به الى بيت ابراهيم بيك بحارة
عابدين ، فوجدوا ابراهيم بيك طلع الى الحريم ،
 فلم نزل اليه ولم يقابله فرجع به سليم كاشف
الى بيت حسن كاشف جركس - وهو بيت
البرديسي - فبات به .

فلما كان في الصباح ، ركب ابراهيم بيك الى
قصر العيني ، فركب المحرمجي وأخذ معه الباشا ،
 وذهب به الى قصر العيني ، فقابل ابراهيم بيك

والأتراك والأغراب من الشوام والحلبية بالسفر والخروج من مصر ، فكل من وجد بعد ثلاثة أيام قدمه هدر . وأمروا عثمان بيك أمير الحاج بالسفر على جهة الشام من البر ، ويسافر المنادى عليهم صحبتة ، وكذلك إبراهيم باشا .

٨ منه (٢٨ يولية ١٨٠٣ م) :

خرج عثمان بيك الى جهة الصادلية ، وخرج الكثير من أعيان العشامية معه ، وتتابع خروجهم في كل يوم ، وصاروا يبيعون متاعهم وثيابهم .. وهم خزايا حيارى .. في أسوأ حال ، وأكثرهم متأهل ومتزوج . ومنهم من نهب وسلب ، وصار لا يملك شيئا !

فلما تكامل خروجهم وسافروا في عاشره ، وهم زيادة عن ألفين ، وبقي منهم أناس التجأوا الى بعض المصرية والانجليز . واتموا اليهم .

وفيه : وصلت الأخبار بأن البرديسى وصل الى رشيد ، وأن السيد على باشا ريس القبطانية تحصن ببرج مغزل ، وغالب أهلها جلا عنها خوفا من مثل حادثة دمياط . ولما دخل عثمان بيك البرديسى الى رشيد ، فرد على أهلها مبلغ دراهم ، يقال ثمانين ألف ريال .

١٣ منه (٢ اغسطس ١٨٠٣ م) :

حضر قنصل الفرنسي ، فعملوا له شنكا ومدافع ، وأركبوه من بولاق بموكب جليل ، وقدامه أغات الانكشارية والوالى وأكابر الكشاف وحسين كاشف المعروف بالأفرنجى وعساكره الذين مثل عسكر الفرنسي ، وهيته لم يتقدم مثلها بين المسلمين . ونصب بنديرته في بركة الأزبكية من ناحية قنطرة الدكة ، على صارى طويل مرتفع في الهواء .

واجتمع اليه كثير من النصارى الشوام والأقباط

وعملوا جمعيات وولائم ، وازدحموا على بابه . وحضر صحبتة كثير من الذين هربوا عند دخول المسلمين مع الوزير ، وكان المحتفل بذلك حسين كاشف الأفرنجى .

١٨ منه (٧ اغسطس ١٨٠٣ م) :

وصلت مكاتبة من البرديسى الى إبراهيم بيك يخبر فيها : « أنه لما وصل الى رشيد وتحصن السيد على باشا بالبرج... أرسل اليه ، فبعث له حسن بيك — قرابة على باشا الطرابلسى الوالى — فتكلم معه وقال له : « ما المراد ؟ ان كان حضرة الباشا واليا على مصر فليأت على الشرط والقانون القديم ، ويقيم معنا على الرحب والسعة ، وان كان خلاف ذلك فأخبرونا به .. الى أن انتهى الكلام بيننا وبينه على مهلة ثلاثة أيام ... ورجع . وانتظرنا بعد مضى الميعاد بساعتين ، فلم يأتنا منهم جواب . ففرضنا عليهم في يوم واحد مائة وخسين قنطارا من البارود . وأنكم ترسلون لنا أعظم ما يكون عندكم في البنب والمدافع والبارود » .

فنهلوا المطلوب ، وأرسلوه في ثانى يوم صحة حسين الأفرنجى ، وتراسل الطلب خلفه ، ولحقوا به عدة أيام .

٢٠ منه (٩ اغسطس ١٨٠٣ م) :

وصل حسن باشا — الذى كان والى جرجا — الى مصر العتيقة . فركب إبراهيم بيك للسلام عليه ، وحضر الطبجية الى جبخاته ، فأخذوها وطلعوا بها الى القلعة ، وكذلك الجمال أخذها الجمالة ، والعسكر ذهبوا الى رفقائهم الذين بمصر . وطولب بالمال ، واستمر بمصر العتيقة مستحفظا به من كل ناحية .

٢٥ منه (١٤ اغسطس ١٨٠٣ م) :

وقعت نادرة ، وهى أن محمد باشا طلب من

الممالك المصرية أيقنوا ذلك ، وطلع الكثير منهم الى القلعة .

ولما دخل محمد باشا عند أحمد بيك ومن معه من أكابر الأرثوود ... قاموا في وجهه ، ووبخوه بالكلام ، وقبضوا عليه وعلى مماليكه ، وأخذوا ما وجدوه معهم من الدراهم . وكان في جيب الباشا خاصة ألف وخمسمائة دينار . وحضر سليم كاشف المحرمجي عند ذلك ، فسلموه له ، فأركبه الباشا أكديشا لأن فرسه أصيب ببارودة من بعض الممالك اللاحقين به وذلك عند وصوله الى بيت أحمد بيك . وركب معه أحمد بيك أيضا ، وأخذوه الى عند ابراهيم بيك بقصر العيسى . فخلع ابراهيم بيك على أحمد بيك فروة سمور وقدم له حصانا بسرجه ، وسكنت الفتنة .. ونعوذ بالله من الخذلان ومعاداة الزمان .

٢٦ منه (١٥ اغسطس ١٨٠٣ م) :

وردت الأخبار ومكاتبة من البرديسي بنصرتهم على العثمانية ، واستيلائهم على برج رشيد بعد أن حاربوا عليه نيفا وعشرين يوما ، وأسروا السيد على القبطان وآخرين معه وعدة كثيرة من العسكر ، وأرسلوهم الى جهة الشرقية ليذهبوا على ناحية الشام ، بعد أن قتل منهم من قتل . فعند ذلك عملوا شنكا وضربوا مدافع كثيرة ، وكذلك في ثاني يوم وثالث يوم .

سليم كاشف المحرمجي أن يأذن له في أن يركب الى خارج الناصرية لقصد التفسح . فأرسل سليم كاشف يستأذن ابراهيم بيك في ذلك ، فأذن له بأن يركب ويعمل رماحة ، ثم يأتي اليه بقصر العيسى فيتغدى عنده ثم يعود . وأوصى على ذبح أغنام ، ويعملون له كبابا وشواء .

فأركبه سليم كاشف بمماليكه وعدة من ممالك المحرمجي ، وصحبته ابراهيم باشا . فلما ركب وخرج الى خارج الناصرية ، أرسل جواده ورمحه ، وتبعه مماليكه من خلفه . فظن الممالك المصرية أنهم يعملون رماحة ومسابقة . فلما غابوا عن أعينهم ، ساقوا خلفهم .. ولم يزالوا سائقين الى الأزبكية وهو شاهر سيفه ، وكذلك بقية الطاردين والمطرودين . فدخل الى أحمد بيك الأرثوودي وضرب بعض الممالك فرسه ببارودة فسقط ، وذلك عند وصوله الى بيت أحمد بيك المذكور ..

ووصل الخبر الى سليم كاشف ، فركب على مثل ذلك بباقي أتباعه ، وهم شاهرون السيوف ورامحون الخيول . واتصل الخبر بابراهيم بيك ، فأمر الكشاف بالركوب ، وأرسل الى البواقي بالطلوع الى القلعة وحفظ أطراف البلد .

فركب الجميع ، وتفرقوا رامحين وبأيديهم السيوف والبنادق . فانزعجت الناس ، وثرامحوا ، وأغلقت الحوانيت ، واختلفت رواياتهم ، وظنوا وقوع الشقاق بين الأرثوود والمصرية . وكذلك



بعض اعوان ابراهيم بيك يرمحون شاهرى السيوف

٢٩ منه (١٨ اغسطس ١٨٠٣ م) :

كسفت الشمس وقت الضحوة ، وكان المنكب
تسعة أصابع - وهو نحو الثلاثين - وأظلم الجو .
وابتدأه الساعة واحدة وثماني دقائق ونصف ،
وتمام الانجلاء في ثالث ساعة وست عشرة دقيقة .
وكان ذلك في أيام زيادة النيل . نسأل الله العفو
والعافية ، في الدين والدنيا والآخرة .

بمسارى الأولى

السبت ٢ منه (٢٠ اغسطس ١٨٠٣ م الموافق ١٥
مسرى ١٥١٩ ق) :

وفي النمل سبعة عشر ذراعا ، وكسر سد الحليج
صباحا بحضرة ابراهيم بك قائمقام والقاضى .
وجرى الماء في الحليج على العادة

وفيه : وردت الأخبار بأن على باشا كسر السد
الذى ناحية أبى قير الحاجز على البحر المالح . وهذا
السد من قديم الزمان من السدود العظام المتينة
السلطانية وتتفقد الدول على مر الأيام بالمرمة
والعمارة اذا حصل به أدنى خلل فلما اختلت
الأحوال ، وأهمل غالب الأمور وأسباب العمارات ،
انشرم منه شرم فسالت المياه المالحة على الأراضى
والقرى التى بين رشيد وسكندرية ، وذلك في نحو
سنة عشر عاما . فلم يتدارك أمره واستمر حاله بزيد ،
وخرقه بتسع ، حتى انقطعت الطرق . واستمر
ذلك الى واقعة الفرنسيين .

فلما حضرت الانكليز والعثمانية شرموه أيضا
من الناحية البحرية لأجل قطع الطرق على
الفرنسيس فسالت المياه المالحة على الأراضى الى
قرب دمنهور ، واختلطت بخليج الأشرفية .
وشرقت الأراضى ، وخربت القرى والبلاد ، وتلفت
المزارع ، وانقطعت الطرق حول الاسكندرية من
البر ، وامتنع وصول ماء النيل الى أهل الاسكندرية .
فلم يصل اليهم الا ما يصلهم من جهة البحر في

النقاير ، أو ما خزنوه من مياه الأمطار بالصهاريج
وبعض العيون المستعذبة .

فلما استقر العثمانيون بمصر ، حضر شخص
من طرف الدولة يسمى صالح أفندى معين
لخصوص السد ، وأحضر معه عدة مراكب بها
أخشاب وآلات ، وبذل الهمة والاجتهاد فى سد
الجسر . فأقام العمل فى ذلك نحو سنة ونصف
حتى قارب الاتمام ، وفرح الناس بذلك غاية
الفرح ، واستبشر أهل القرى والنواحي .

فما هو الا وقد حصلت هذه الحوادث ، وحضر
على باشا الى الثغر ، وخرج الأجناد المصرية
وحاربوا السيد على باشا القبطان على برج رشيد .
فخاف حضورهم الى الاسكندرية ، ففتح ثانيا
ورجع التلف كما كان ، وذهب ما صنعه صالح
أفندى المذكور فى الفارغ ... بعدما صرف عليه
أموالا عظيمة ا

وأما أهل سكندرية ، فانهم جلوا عنها ، ونزل
البعض فى المراكب وسافر الى أزمير ، وبعضهم الى
قبرص ورودس والأضات . وبعضهم اكرى بالأيام
وأقاموا بها على الثغر ، ولم يبق بالبلدة الا الفقراء
والمواجز ، والذين لا يجدون ما ينفقوه على
الرحلة ، وهم أيضا مستوفزون . وعم بها الغلاء
لعدم الوارد ، وانقطاع الطرق .

وقيل ان على باشا المذكور فرد عليهم مالا ،
وقبض على ستة أنفار من أغنياء المغاربة ، واتهمهم
أنهم كتبوا كتابا للبرديسى يعدونه انه اذا حضر
يدلونه على جهة نملك منها البلد بمعونة عسكري
المغاربة . فأخذ منهم مائة وخمسين كيسا بشفاعة
القبطان الذى فى البيليك بالثغر .

واجتهد فى حفر خندق حول البلد واستعملهم
فى ذلك الحفر .. وفى غزوه أن يطلق فيه ماء البحر
المالح . فان فعل ذلك ، حصل به ضرر عظيم . فقد

أخبر من له معرفة ودراية بالأمور ، أنه ربما خرب
اقليم البحيرة بسبب ذلك !
واجتهدوا أيضا في تحصين المدينة زيادة عن فعل
الفرنسيين والانكليز .

السبت ٩ منه (٢٧ اغسطس ١٨٠٣ م) :

وصل السيد على القبطان الى مصر ، وطلع الى
قصر العيني ، وقابل ابراهيم بيك . فخلع عليه فروة
سمور ، وقدم له حصانا معددا وأكرمه وعظمه .
وأنزلوه عند على بيك أيوب ، وأعطوه سرية بيضاء
وجارية حبشية وجاريتين سوداوين للخدمة !
ورتبوا له ما يليق به . وهو رجل جليل من عظماء
الناس وعقلائهم .

وأخبر القادمون أن البرديسي والأجناد المصريين
ارتحلوا من رشيد الى دمنهور قاصدين الذهب
الى سكندرية . وأرسلوا بطلب ذخيرة وجبخانه
وماليك وعساكر .

وفيه : أرادوا عمل فردة . وأشيع بين الناس
ذلك ، فانزعجوا منه . واستمر الرجاء والخوف
أياما . ثم انحط الرأي على قبض مال الجهات ، ورفع
المظالم والتحرير من البلاد والميرى عن سنة تاريخه
من الملتزمين . ويؤخذ من القبط ألف وأربعمائة
كيس ، هذا مع توالى وتتابع الفرد والكلف على
البلاد ... حتى خرب الكثير من القرى والبلاد ،
وجلا أهلها عنها ، خصوصا اقليم البحيرة فانه
خرب عن آخره . ثم ان البرديسي استقر بدمنهور
بعد ما أبقي برشيد مملوكه يحيى بيك ومعه جملة
من العساكر ، وكذلك بناحية البغاز . وهم كانوا
من وقت محاصرة البرج حتى منعوا عنه الإمداد
الذى أتاه من البحر ، وكان ما كان .

وشحن البرديسي برج مغيزل بالذخيرة
والجبخانه . وأنزلوا برشيد عدة فرد ومغارم ،
وفتحوا بيوت الراحلين عنها ونهبوها ، وأخذوا

أموالهم من الشوارد والحواصل والأخشاب
والأحطاب والبن والأرز . وقلت الأقوات فيهم
والعليق ، فعلقوا الدواب بشعير الأرز ... بل
والأرز المبيض .. وغير ذلك مما لا تضبطه الأقلام ،
ولا تحيط به الأوهام !

الجمعة منتصفه (٢ سبتمبر ١٨٠٣ م) :

في أيام النسيء : تقص النيل تقصا فاحشا ،
وانحدر من على الأراضى . فانزعج الناس
وازدحموا على مشترى الغلال ، وزاد سعرها .
ثم استمر يزيد قيراطا وينقص قيراطين الى أيام
الصليب .

وانكبت الخلائق على شراء الغلال ، ومنع الغنى
من شراء ما زاد على الاردب ونصف أردب ،
والفقير لا يأخذ الا وية فأقل ، وينعون الكيل
بعد ساعتين . فتذهب الناس الى ساحل بولاق
ومصر القديمة ويرجعون من غير شئ .

واستمر سليم أنما مستحفظان ينزل الى بولاق
في كل يوم ، وصار الأمراء يأخذون الغلال القادمة
بمراكبها قهرا عن أصحابها ويخزنونها لأنفسهم ...
حتى قلت الغلة ، وعز وجنودها في العرصات
والسواحل ، وقل الخبز من الأسواق والطواوين ،
وداخل الناس وهم عظيم .. وخصوصا مع خراب
البلاد بتوالى الفرد والمغارم .

وعز وجود الشعير والتبن ، وبيعت الدواب
والبهائم بالسعر الرخيص بسبب قلة العلف .

واجتمع بعض المشايخ ، وتشاوروا في الخروج
الى الاستسقاء ... فلم يمكنهم ذلك لفقد شروطها .
وذهبوا الى ابراهيم بيك وتكلموا معه في ذلك .
فقال لهم : « وأنا أجب ذلك .. ! » فقالوا له :
« وأين الشروط التى من جملتها رفع المظالم
وردها ، والتوبة والاقلاع عن الذنوب ، وغير
ذلك » . فقال لهم : « هذا أمر لا يمكن .. ولا

يتصور .. ولا أقدر عليه .. ولا أحكم الا على
نفسى ! . فقالوا : « اذن . نهاجر من مصر » ،
فقال : « وأنا معكم ! » . ثم قاموا وذهبوا .

في اواخره (حوالى منتصف سبتمبر ١٨٠٣ م) :

وردت الأخبار برجوع البرديسى ومن معه من
العساكر . وقد كان أشيع أنهم متوجهون الى
الاسكندرية ، ثم ثنى عزمه عن ذلك لأمر ...
الأول وجود القحط فيهم وعدم الذخيرة والعلف .
والثانى : الحاح العسكر بطلب جمالكهم المنكسرة
وما يأخذونه من المنهوبات لا يدخل فى حساب
جمالكهم . والثالث : العجز عن أخذ الاسكندرية
لوعر الطريق ، واقطاع الطرق بالمياه المالحة . فلو
وصلوها ، وطال عليهم الحصار .. لا يجدون
ما يأكلون ولا ما يشربون .

جمادى الآخرة

الاحد غرته (١٨ سبتمبر ١٨٠٣ م) :

نقص ماء النيل ، ووقف ماء الخليج ، وازدحم
السقاءون على نقل الماء الى الصهاريج والأسبلة ليلا
ونهارا من الخليج ، وقد تغير ماؤه بما يصب فيه
من الخرابات والمراحيض !

ولم ينزل بالأراضى التى بين بولاق والقاهرة
قطرة ماء . وزاد ضجيج الناس ، وارتفعت الغلات
من السواحل والعرصات بالكلية . فكانت الفقراء
من الرجال والنساء يذهبون بملقائهم الى السواحل
ويرجعون بلا شيء ، وهم ييكون ويولولون !

الجمعة ٦ منه (٢٣ سبتمبر ١٨٠٣ م) :

وصل البرديسى ومن معه من العساكر الى بر
الجيزة ، وخرج الأمراء وغيرهم وعدوا للملاقاتهم .
فلما أصبح يوم السبت ، عدى محمد على
والعساكر الارثوذية الى بر مصر . وكذلك

البرديسى .. فخرجت اليهم الفقراء بمقاطعتهم
وغلقانهم ، وعيطوا فى وجوههم ... فوعدهم بخير
وأصبح البرديسى مجتهدا فى ذلك ، وأرسل محمد
على وخازن داره ، ففتحوا الحواصل التى
ببولاق ومصر العتيقة ، وأخرجوا منها الغلال
الى السواحل .. واجتمع العالم الكثير من الرجال
والنساء ، فأذنوا لكل شخص من الفقراء بويجة غلة
لا غير . فكان الذى يريد الشراء يذهب الى
خازن دار البرديسى ويأخذ منه ورقة بعبد المشقة
والمزاحمة ، ويذهب بها . فيكيلون له ويدفع ثمنها
لصاحب الغلة ، وما رتبوه عليها . فحصل للناس
اطمنان . واشترى الخبازون أيضا ، وفتحوا
الطواين والمخابز ، وخبزوا وباعوا ، فكثر الخبز
والكعك بالأسواق . وجعلوا سعر القمح ستة
ريال الأردب ، والفول خمسة ريال ، وكذلك
الشعير ان وجد . وكان السعر لا ضابط له : منهم
من كان يشتريه بثمانية وتسعة وسبعة خفية ،
ممن توجد عنده الغلة فى مصر أو الأرياف . فعند
ذلك سكن روع الناس ، واطمأنت نفوسهم ،
وشبعت عيونهم ، ودعوا لعشان بيك البرديسى !
وفى هذا الشهر تحقق الخبر بجلاء الوهايبى عن
جدة ومكة ورجوعه الى بلاده . وذلك بعد أن حاصر
جدة وحاربها تسعة أيام ، وقطع عنها الماء . ثم رحل
عنها وعن مكة ، ورجع الشريف غالب الى مكة
وصحبته شريفه باشا ، ورجع كل شيء الى حاله
الأول .. ورد المكوس والمظالم !

الاحد ٨ منه (٢٥ سبتمبر ١٨٠٣ م) :

وصل البرديسى الى بيته بالناصرية — وهو
بيت حسن كاشف جركس وبيت قاسم بيك —
وقد فرشا له ، ونقلوا محمد باشا من بيت جركس
الى دار صغيرة بجواره وعليه الحرس .

الاثنين ٩ منه (٢٦ سبتمبر ١٨٠٣) :

الى الساحل الى قريب الظهر ، فيذهب الناس
والفقراء فينتظرونه . واذا حضر ازدحموا عليه ،
وتقدم ارباب المصانع والوسائط فيؤذن لهم ،
ويؤخذ منهم عن كل أردب ريال ... يأخذها القيم
لنفسه زيادة عن الثمن وعن الكلفة — وهى نحو
الخمسين فضة — خلاف الأجرة ! ويرجع الفقراء
من غير شئ .

وأطلقوا للمحتسب أن يأخذ فى كل يوم أربعمائة
أردب : منها مائتان للخبازين ، ومائتان توضع
بالعرصات داخل البلد . فكان يأخذ ذلك الى
داره ، ولا يدفعون بالعرصات شيئا ، ويعطى
للخبازين من المائتين ، خمسين أردبا أو ستين !
ويبيع الباقي بأغراضه بما أحب من الثمن ليلا .
ففسح الناس ، وشح الخبز من الأسواق ، وخاطب
بعض الناس الأمراء الكبار فى شأن ذلك . واستمر
الحال على ذلك الى آخر الشهر .. والأمر فى
شدة . وتسلبت العسكر والماليك على خطف
ما يصادفونه من الغلة أو الثن أو السمن فلا
يقدر من يشتري شيئا من ذلك أن يمر به ، ولو قل ،
حتى يكتري واحدا عسكريا ، أو مملوكا يحرسه
حتى يوصله الى داره .

وان حضرت مركب بها غلال وسمن وغنم من
قبلى أو بحرى ، أخذوها ونهبوا ما فيها جملة ،
فكان ذلك من أعظم أسباب القحط والبلاء !

الجمعة ٢٠ منه (٧ أكتوبر ١٨٠٣ م) :

مات محمد بك الشرقاوى ، وهو الذى كان
عوض سيده عثمان بك الشرقاوى .

رجب

فى قوته (١٧ أكتوبر ١٨٠٣ م) :

رفعوا خازن دار البرديسى من الساحل ، وقلدوا
محمد كاشف — تابع سليمان بك الأغا — أمين

عملوا ديوانا عند ابراهيم بك . فاجتمع فيه
هو والبرديسى والألفى وتشاوروا فى أمر جامكية
العسكر ، فوزعوا على أنفسهم قدرا ، وكذلك
على باقى الأمراء والكشاف والأجناد ... كل منهم
على قدر حاله فى الايراد والمراعاة : فمنهم من
وزع عليه عشرون كيسا ، ومنهم عشرة ، وخمسة ،
واثنان ، وواحد ، ونصف واحد .

وطلبوا من جبرك البهار قدرا كبيرا ، فعملوا
على كل فرقتين مائة ريال ، وفتحوا الحواصل
وأخرجوا منها متاع الناس ، وباعوه بالبخص على
ذلك الحساب ... وأصحابه ينظرون !
وأخذوا بن الحضارمة والينبعاوية ، بحيث
وقف الفرق البن بستة ريال على صاحبه ، وأخذوا
من ذلك الأصل ألف فرق بن ، وأخرجت من
الحواصل وحملت .

السبت ١٤ منه (أول أكتوبر ١٨٠٣ م) :

أنزلوا فردة أيضا على أهل البلد ، ووزعوها
على التجار وأرباب الحرف ... كل طائفة قدرا من
الأكياس : خمسين فما دونها ، الى عشرة وخمسة
وبشت الأعوان للمطالبة . ففسح الناس ، وأغلقت
حواليتهم ، وطلبوا التخفيف بالشفاعات والرشوات
للوسايط والنصارى ، فخفف عن البعض . وبعد
منتصف الشهر انقلب الوضع المشروع فى الغلة ،
والعكس الحال الى أمر شنيع . وهو أنهم سعروها
كل أردب بستة ريال بظاهر الحال ، ولا يبيع
صاحب الغلة غلته الا بأذن من القيم بعد ما يأخذ
منه نصف الغلة أو الثلث أو الربع — على حسب
ضعفه وقوته — من غير ثمن . واذا أراد ذو الجاه
الشراء ذهب أولا سرا وقدم المصلحة والهدية الى
بيت القيم ، فعند ذلك يؤذن له فى مطلوبه ،
فيكيلون له الغلة ليلا . وصار يتأخر فى حضوره



قبط مصر

هو عبارة عن عقد النكاح ... فأنكرت ذلك . فأرسل الفرنسيين يستخبرون من قبط مصر عن حقيقة ذلك . فكتبوا لهم جوابا بأنها لم تكن زوجته على مقتضى شرعهم وملتهم ، ولم يعمل بينهم الاكليل ، فيكون الحق في تركته لأخيه .. لا لها .

وفيه : ورد الخبر بوقوع حادثة بالاسكندرية بين عساكر العثمانية وأجناس الأفرنج المقيمين بها . واختلفت الرواة في ذلك . وبعد أيام وصل من أخبر بحقيقة الواقعة ، وهى : أن على باشا رتب عنده طائفة من عسكره على طريقة الأفرنج . فكان يخرج بهم في كل يوم الى جهة المنشية ويصطفون ويعملون مرش وارديوش ! ثم يعودون ، وذلك مع انحراف طبيعتهم عن الوضع في كل شيء . فخرجوا في بعض الأيام ثم عادوا فحروا بمساكن الأفرنج ووكالة القنصل ، فأخرج الأفرنج رهوسهم من الطيقان ، نساء ورجال ، بنظرون ركبهم ، ويتفرجون عليهم كما جرت به العادة فضربوا عليهم من أسفل بالبنادق ، فضرب الأفرنج عليهم أيضا ... فلم يكن الا أن هجموا عليهم ، ودخلوا يحاربونهم في أماكنهم ، والأفرنج في قلة . فخرج القناصل الستة ومن تبعهم ، ونزلوا الى البحر ، وطمعوا غليون الريالة ، وكتبوا كتابا بصورة الواقعة ، وأرسلوه الى اسلامبول والى بلادهم .

البحرين والساحل . ووفق بالأمر ، واستقر سعر الغلة بألف ومائتين نصف فضة .. الأردب ، فتواجهت بالرقم والساحل ، وقل الخطف . وأما السمن فقل وجوده جدا ، حتى بيع الرطل بستة وثلاثين نصفاً ، فيكون القنطار بأربعين ريالاً . وأما التبن فصار يباع بالقدح ان وجد ، وسرب الناس بهائمهم من عدم العلف .

وفيه : حضر واحد الانكليزى وصحبته مملوك الألفى وبعض من الفرنسيين ، فعلموا لهم شنكا ومدافع . وأتبع حضور الألفى الى اسكندرية ، ثم تبين أن هذا الانكليزى أتى بمكاتبات . فلما مر على مالطة وجد ذلك المملوك ، وكان قد تخلف عن سيده لمرض اعتراه ، فحضر صحبته الى مصر . فأشيع في الناس أن الألفى حضر الى الاسكندرية ، وأن هذا خازن داره سبقه بالحضور .. الى غير ذلك .

وفيه : حضر أيضا بعض الفرنسيين بمكاتبة الى القنصل بمصر ، وفيها الطلب بياقى الفرقة التى بذمة الوجاقلية . فخاطب القنصل الأمراء في ذلك ، فعملوا جمعية ، وحضر المشايخ وتكلموا في شأن ذلك ، ثم قالوا : « ان الوجاقلية الذين كانت طرفهم تلك الفرقة ... مات بعضهم ، وهو يوسف باشا جويش ، ومصطفى كتخدا الرزاز — وهم عظماءهم — ومن بقى منهم لا يملك شيئا » . فلم يقبلوا هذا القول ، ثم اتفق الأمر على تأخير هذه القضية الى حضور الباشا ويرى رأيه في ذلك .

وحضر أيضا صحبة أولئك الفرنسيين الخبر بموت يعقوب القبطى ، فطلب أخوه الاستيلاء على ممتلكاته ، فدافعت زوجته ، وأرادت أخذ ذلك على مقتضى شريعة الفرنسيين . فقال أخوه : « انها ليست زوجته حقيقة ، بل هى معشوقته ، ولم يتزوج بها على ملة القبط ، ولم يعمل لها الاكليل الذى

وفى هذه الأيام : كثرت الغلال بالساحل والعرصات ، ووصلت مراكب كثيرة ، وكثر الخبز بالأسواق ، وشبعت عيون الناس ، ونزل السعر الى ثمانية ريال وسبعة . وانكفوا عن الخطف الا فى التبن .

١٥ منه (٣١ أكتوبر ١٨٠٣ م) :

فتحوا طلب مال الميرى ومال الجهات ، ورفع المظالم عن سنة تاريخه . وعين طلبها من البلاد أمراء كبار ، ووجهت الغرية والمنوفية لسكر الأرنؤود ، فزاد على ذلك حق الطرق للمعينين للطلب والاستعجالات ، وتكثير المغارم والمعينين وكلفهم على من يتوانى فى الدفع . هذا وطلب الفردة مستمر حتى على أعيان الملتزمين ، ومن تأخر عن الدفع ضبطوا حصته وأخذوها وأعطاها لمن يدفع ما عليها من مياسير الممالك . فربما صالح صاحبها بعد ذلك عليها ، واستخلصها من واضع اليد ... ان أمكنه ذلك .

فى اواخره (حوالى منتصف نوفمبر ١٨٠٣ م) :

نبهوا على تعمير الدور التى أخبرها الفرنسييس . فشرع الناس فى ذلك ، وفردوا كلفها على الدور والحوانيت والرباع والوكائل . وأحدثوا على الشوارع السالكة دروبا كثيرة لم تكن قبل ذلك . وزاد الحال ، وقلد أهل الأخطاط بعضهم كما هو طبيعة أهل مصر فى التقليد فى كل شيء حتى عملوا فى الخطة الواحدة دربين وثلاثة . واهتموا لذلك اهتماما عظيما ، وظنوا ظنونا بعيدة ، وأنشأوا بدنات وأكتافا من أحجار منحوتة ، وبوابات عظيمة . ولزم لبعضها هدم حوانيت اشتروها من أصحابها . وفردوا أثمانها على أهل الخطة .

وفى أواخره أيضا : لجزت عمارة عثمان بيك البرديسى فى الأبراج والبوابات التى أنشأها بالناصرية . فإنه أنشأ بوابتين عظيمتين بالرجبة

وأما العسكر أتباع الباشا فانه لما خرج الأفرنج وتركوا أماكنهم ، دخلوا اليها ، ونهبوا متاعهم وما أمكنهم . وأرسل الى القناصل خورشيد باشا فصالحهم وأخذ بخواطيرهم ، واعتذر اليهم وضمن لهم ما أخذ منهم ، فرجعوا بعد علاج كبير .

وجمع الباشا علماء البلدة وأعيانها وطلب منهم كتابة عرض محضر على ما يمليه ، على غير صورة الحال . فامتنعوا عن الكتابة الا بصورة الواقع . وكان المتصدر للرد الشيخ محمد المسيرى المالكى ، فمقته ووبخه . ومن ذلك الوقت صار يتكلم فى حقه ويزدريه اذا حضر مجلسه . وسكنت على ذلك .

٤ منه (٢٠ أكتوبر ١٨٠٣ م) :

اجتمع المشايخ وذهبوا الى ابراهيم بيك ، وكلموه بسبب ما أخذوه من حصصة الالتزام بالحلوان أيام العثمانيين . ثم استولى على ذلك جماعتهم وأمرأؤهم . فطمنهم بالكلام اللين على عادته ، وكلموه أيضا على خبز الجراية المرتبة لفقراء الأزهر ؛ فأطلق لهم دراهم تعطى للخباز يعمل بها خبزا .

٨ منه (٢٤ أكتوبر ١٨٠٣ م) :

كتبوا مراسلة على لسان المشايخ ، وأرسلوها الى على باشا باسكندرية ، مضمونها : طلبه لمنصبه ، والحضور الى مصر ليحصل الاطمئنان والسكون وتأمين الطرقات ، ويبطل أمر الاهتمام بالعاكر والتجاريد ، ولأجل الأخذ فى تشهيل أمور الحج . وان تأخر عن الحضور ربما تعطل الحج فى هذه السنة ، ويكون هو السبب فى ذلك .. الى غير ذلك من الكلام .

١٠ منه (٢٦ أكتوبر ١٨٠٣ م) :

سافر جعفر كاشف الابراهيمى رسولا الى أحمد باشا الجزائر بعكا ، لغرض باطنى لم يظهر .

وأرسلوه ليلة الاثنين ثانيه ، صحة رضوان
كتخدا ابراهيم بيك ، ومحمود باشجاويش
الانكشارية ، وصحبتهم من الفقهاء السيد محمد
ابن الدواخلي من طرف الشيخ الشرقاوى .

وفي هذه الأيام : كثر عبث العسكر وعربدتهم
في الناس ، فخطفوا عمائم وثيابا ، وقبضوا على
بعض أفراد ، وأخذوا ثيابهم وما في جيوبهم من
الدراهم .

وفيه : وصل قاضى عسكر مصر ، وكان معوما
بالاسكندرية من جملة المحجوز عليهم .

الأربعاء ٨ منه (٢٣ نوفمبر ١٨٠٣ م) :

حضر الوالى الى قصر الشوك ، ونزل عند رجل
من تجار خان الخليلى يسمى عثمان كجك . فتعشى
عنده ، ثم قبض عليه وختم على بيته ، وأخذته
صحبه ، وخنقه تلك الليلة ورماه فى بئر . فاستمر
بها أياما حتى انتفخ . فأخرجوه وأخذته زوجته
فدفنته !

وسببه : أنه كان يجتمع بالعثمانيين ، ويفريهم
بنساء الأمراء ، وأن بعضهم اشترى منه أوانى
نحاسا ولم يدفع له الثمن . فطالب حريمه فى أيام
محمد باشا . فلم تدفع له ، فعين عليها جماعة من
عسكر محمد باشا ، ودخل بهم الى دارها ومالبها ،
فقال : ليس عندى شيء . فطلع الى داخل الحريم
وصحبه العسكر ، ودخل الى المطبخ ، وأخذ قدور
الطعام من فوق الكوائن ، وقلب ما فيها من
الطعام ، وأخذها وخرج .

الجمعة ١٠ منه (٢٥ نوفمبر ١٨٠٣ م) :

وقف جماعة من العسكر فى خط الجامع
الأزهر ، فى طلوع النهار ، وشلحوا عدة أناس
وأخذوا ثيابهم وعمائمهم . فانزعج الناس ، ووقعت
فيهم كرشة ، وصلت الى بولاق ومصر العتيقة ،

المستطيلة خارج بيته .. الذى هو بيت حسن كاشف
جرقس : احدهما عند قناطر السباع ، والأخرى
عند المزار المعروف بكعب الأحبار . وبني حولهما
أبراجا عظيمة ، وبها طيقتان بداخلها مدافع أفواهما
بارزة تضرب الى الخارج ، ونقل اليها مدافع الباشا
التي كانت بالأزبكية .. فسبحان مقلب الأحوال .
وفيه : نزل ابراهيم بيك والبرديسى وحسين
بيك اليهودى الى بولاق ، وأخذوا ما وجدوه
بساحل الغلة ، وأرسلوه الى بحرئى . فارتج الناس
من ذلك ، وعزت الغلال ، وزاد سعرها بعد الانحلال .

شعبان

الأربعاء غرته (١٦ نوفمبر ١٨٠٣ م) :

وصل كاتب ديوان على باشا . — الذى يقال
له ديوان أفندى — وعلى يديه مكاتبة وهى صورة
خط شريف وصل من الدولة مضمونه : الرضا عن
الأمراء المصرية بشفاعة صاحب الدولة الصدر
الأعظم يوسف باشا ، وشفاعة على باشا والى
مصر ، وأن يقيموا بأرض مصر . ولكل أمير فائظ
خمس عشرة كيسا لاغير ، وحلوان المحلول ثمانى
سنوات ، وأن الأوسية والمضاف والبرانى يضم
الى الميرى ، وأن الكلام فى الميرى والأحكام
والثغور ... الى الباشا ، والروزنامجى الذى يأتى
صحبة الباشا . والجمارك والمقاطعات ، على النظام
الجديد ، للدفتردار الذى يحضر أيضا .

فلما قرئ ذلك بحضرة الجمع من الأمراء
والمشايخ ، أظهروا البشر ، وضربوا مدافع . ثم
اتفق رأى على ارسال جواب ذلك الفرمان .
فكتبوا جوابا مضمونه مختصرا « أنه وصل الينا
صورة الخط الشريف ، وحصل لنا بوروده السرور
بالغفو والرضا . وتام السرور حضوركم لتنظيم
الأحوال ، وأعظمها تشهيل الحج الشريف » .



ليف من الامراء والصناجق

وأغلقوا الدكاكين . واجتمع أناس وذهبوا الى الشيخ الشرقاوى والسيد عمر النقيب والشيخ الأمير . فركبوا الى الأمراء ، وعملوا جمعية ، وأحضروا كبار المساكين وتكلموا معهم .

ثم ركب الأغا والوالى وأمامه عدة كبيرة من عسكر الأرثوود وخلافهم . والمنادى ينادى بالأمن والأمان للرعية . وان وقع من العسكر أو الممالك خطف شيء ... يضربوه ، وان لم يقدرُوا عليه فليأخذوه الى حاكمه .. ومثل هذا الكلام الفارغ ! وبعد مرور الحكام بالمتنادة ... خطفوا عثائم ونساء !

الأحد ١٢ منه (٢٧ نوفمبر ١٨٠٢ م) :

الكبار ، ومماليك مراد بيك ، وآخرون من طبقتهم ، وخرجوا غضابا نواحي الآثار ، ثم اصططحوا على تلبيس خمسة عشر صنجقا .

الأحد ١٩ منه (٤ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

عملوا ديوانا بالقلعة ، وألبسوا فيه خمسة عشر صنجقا ، وهم أربعة من طرف ابراهيم بيك الكبير ، وهم صهراء : سليمان زوج عذيلة هانم ابنة الأمير ابراهيم بيك الكبير عوضا عن سيده ، واسماعيل كاشف مملوك رشوان بيك الذى تزوج بزوجة سيده زينب هانم ابنة الأمير ابراهيم بيك أيضا ، ومحمد كاشف الغريبة ، وعمر تابع عثمان كاشف الأشقر الذى تزوج بامرأته ، و خليل أغا كتنخدا ابراهيم .

ومن طرف البرديسى : حسين أغا والى ، وسليمان خازندار مراد بيك ، وشاهين كاشف مراد ، ومحمد تابع محمد بيك المنفوخ المرادى ، ورستم تابع عثمان بيك الشرقاوى ، وعبد الرحمن كاشف تابع عثمان بيك الطنبرجى ... الذى تزوج بامرأته .

نبه القاضى الجديد على أن نصف شعبان ليلة الثلاثاء ، وأخبر أن أتباعه شاهدوا الهلال ليلة الثلاثاء وهم عند البغاز . على أن الهلال كان ليلة الأربعاء عسر الرؤية جدا . فكان هذا أول أحكامه الفاسدة !

الأربعاء ١٥ منه (٣٠ نوفمبر ١٨٠٣ م) :

أشيع أن الأمراء فى صبحها ، قاصدون عمل ديوان بيت ابراهيم بيك ليلبسوا ستة من الكشاف ، ويقلدوهم صناجق عوضا عن هلك منهم . وهم : سليمان كاشف مملوك ابراهيم بيك والى ، الذى تزوج عذيلة بنت ابراهيم بيك الكبير عوضا عن سيده ، وعبد الرحمن كاشف مملوك عثمان بيك المرادى الذى قتل بأبى قير ، الذى تزوج امرأة سيده أيضا ، وعمر كاشف مملوك عثمان بيك الأشقر الذى تزوج امرأة سيده أيضا ، ومحمد كاشف مملوك المنفوخ ، ورستم كاشف مملوك عثمان بيك الشرقاوى ، ومحمد كاشف مملوك سليمان بيك الأغا ، وتزوج ابنته أيضا .

فلما وقع الاتفاق على ذلك . تجمع الكشاف

وخرجوا من المجلس . وبلغ سليمان بك الخبر ، فذهب الى البرديسي وأعلمه . فأرسل البرديسي يطلب حسين بك . فامتنع من الحضور ، والتجأ الى الألفي .

فأرسل البرديسي خبرا الى الألفي بعزل حسين بك عن قبطانية البحر ، وتولية خلافة . فلم يرض الألفي بعزله ، وقال : « لا يذهب .. ولا يعزل » ، وترددت بينهم الرسل ، وكادت تكون فتنة . ثم انخط الأمر على أن حسين بك يطلع الى القلعة يقيم بها يومين أو ثلاثة تطيبا لخاطر سليمان بك وأخادا للفتنة . فكان كذلك ، واستمر على ما هو عليه .

الأحد ٢٦ منه (١١ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

ألبس ابراهيم بك عثمان كاشف تابع على أغا كتحدا جاويشان ، واستقروا به كتحدا جاويشان عوضا عن سيده . وكان شاغرا من مدة حلول انفرنساوية .

الثلاثاء ٢٨ منه (١٣ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

ركب حسن بك أخو طاهر باشا في عدة وافرة ، وحضر الى بيت عثمان بك البرديسي بعد العصر على حين غفلة . وكان عند الحريم ، فانزعج من ذلك ، ولم يكن عنده في تلك الساعة الا أناس قليلة . فأرسل الى مماليكه . فلبسوا أسلحتهم وأرسلوا الى الأمراء والكشاف والأجناد بالحضور . وتوانى في النزول حتى اجتمع الكثير منهم ، وصعد بعض الأمراء الى القلعة ، وحصل بعض قلقه . ثم نزل الى التنه وأذن لأخى طاهر باشا بالدخول اليه في قلة من أتباعه ، وسأله عن سبب حضوره على هـ . الصورة . فقال : « نطلب العلوفة » . ووقع بينهما بعض كلام . وقام وركب ولم يتمكن من غرضه .

ومن طرف الألفي : عثمان أغا الخازندار ، وحسين كاشف المعروف بالوشاش ، وصالح كاشف ، وعباس كاشف تابع سليمان بك الأغا . ولبسوا حسن أغا مرأه والى عوضا عن حسين المذكور .

وفيه : ورد الخبر بوصول طائفة من الإنكليز الى القصر ، وهم يريدون على الألفين .

الاثنين ٢٠ منه (٥ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

حضر مكتوب من رضوان كتحدا ابراهيم بك من اسكندرية ، يخبر فيه : أنه وصل الى اسكندرية ، وقابل الباشا ، ووعد بالحضور الى مصر ، وأنه يأمر بتشغيل أدوات الحج ولوازمه . وأطلق أربعة وأربعين فقيرة حضرت الى رشيد بفضائع للتجار .

وفيه : حضر جعفر كاشف الابراهيمى من الديار الشامية ، وقد قابل أحمد باشا الجزائر وأكرمه ، ورجع بجواب الرسالة . وسافر ثانيا بعد أيام .

وفيه : قلدوا سليمان بك الخازندار ولاية جرجا ، وخرج بعسكره الى مصر القديمة ، وجلس هناك بقصر المحرمجى . فاتفق أن جماعة من عسكره الأتراك الذين انصموا اليهم من العثمانية ، تشاجروا مع العساكر البحرية جماعة حسين بك اليهودى بسبب امرأة رقاصة في قهوة . فقتل من الأتراك ثلاثة ، ومن البحرية أربعة ، وانجرح منهم كذلك جماعة . فحنق حسين بك وترس بالمقياس وبالمرابك ، ووجه المدافع الى القصر وضرب بها عليه .

وكان سليمان بك غائبا عن القصر . فدخلت جلة داخل القصر من الشباك بين جماعة من الأمراء كانوا جالسين هناك ينتظرون رب المكان ، ففزعوا

بأن الباشا كان وعدهم بالسفر يوم الاثنين ، وبرز
خيامه وخازن داره الى خارج البلد . فورد عليه
مكاتبة من أمراء مصر يأمرونه بأن يحضر من طريق
البر على دمنهور ، ولا يذهب الى رشيد .

فانحرف مزاجه من ذلك ، وأحضر الرسل
الذين هم : رضوان كئخدا ومن معه ، وأطلعهم
على المكاتبة ، وقال لهم : « كيف تقولون
انى حاكمكم وواليكم ، ثم يرسلون تحكمون
على أنى لا أذهب الى مصر على هذا الوجه ؟ » ،
فأرسلوا بخبر ذلك .

١٣ منه (٢٧ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

غيمت السماء غيما مطبقا ، وأمطرت مطرا
عظيما متتابعا ... من آخر ليلة الأربعاء الى سادس
ساعة من ليلة الخميس .

وسقط بسببها عدة أماكن قديمة فى عدة
جهات ، وبعضها على سكانها ، وماتوا تحت
الردم . وزاد منها بحر النيل وتغير لونه حتى صار
لونه أصفر ، مما صال فيه من جبل الطفل ، وبقي
على ذلك التغير أياما ، الا أنه حصل بها النفع
فى الأراضى والمزارع .

١٥ منه (٢٩ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

ورد الخبر بحروج الباشا من الاسكندرية ،
وتوجهه الى الحضور الى مصر على طريق البر .
وشرعوا فى عمل المركب التى تسمى بالعقبة
لخصوص ركوب الباشا ، وهى عبارة عن مركب
كبير قشاشى ... يأخذونها من أربابها قهرا ،
وينقشونها بأنواع الأصباغ والزينة والألوان ،
ويركبون عليها مقعدا مصنوعا من الخشب المصنع ،
وله شبايك وطيقان من الخرط ، وعليه ييارق ملونة
وشرايب مزينة ، وهو مصفح بالنحاس الأصفر ،

وأرسل البردسى الى محمد على ، فحضر اليه
وفاوضه فى ذلك . ثم ركب من عنده بعد المغرب .

وفى تلك الليلة : نادوا بعمل الرؤية . فاجتمع
المشايع عند القاضى وكلموه فى ذلك ، فرجع عما
كان عزم عليه . ونادوا بها ليلة الخميس . فعملت
الرؤية تلك الليلة ، وركب المحتسب بموكبه على
العادة الى بيت القاضى . فلم يثبت الهلال تلك
الليلة .

ونودى بأنه من شعبان ، وأصبح الناس
مفطرين . فلما كان فى صبحها حضر بعض المغاربة
وشهدوا برؤيته . فنودى بالامساك وقت الضحى
وترقب الناس الهلال ليلة الجمعة . فلم يره الا
القليل من الناس بغاية العسر ، وهو فى غاية
الدقة والحفاء .

رضان

٢ منه (١٦ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

فرروا فردة على البلاد برسم نفقة العسكر ،
أعلى وأوسط وأدنى : ستين ألفا ، وعشرين ألفا ،
وعشرة ... مع ما الناس فيه من الشرايق والغلاء
والكلف والتعابىن وعبت العسكر ، وخصوصا
بالأرباب .

وفيه : نزلت الكشف الى الأقاليم . وسافر
سليمان بيك الحازندار الى جرجا واليا على
الصعيد . وصالح بيك الألفى الى الشرقية .

٨ منه (٢٢ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

وصل الى ساحل بولاق عدة مراكب بها بضائع
رومية ويميش ، وهى التى كان أطلقها الباشا .
وفيهما حجاج وفرمان .

وفيه : حضر ساع من سكندرية وعلى يده
مكتوب من رضوان كئخدا ومن بصحبته ، يخبرون

ومزين بأنواع الزينة والستائر ... والشكل بذلك أغات الرسالة .

فلما خرج الباشا من الاسكندرية ، أُرسل محمود جاويش والسيد محمد الدواخلى الى يحيى بيك ، يقولان له : « ان حطيرة الباشا يريد الحضور الى رفيد في قلة .. وأما السباكر فلا يدخل أحد منهم الى البلد .. بل يتركهم خارجا .. » فلما وصلوا الى يحيى بيك ، وأراهوا يقولون له ذلك ، وجبهوه جالسا مع عمر بيك كبير الأرثوود الذى عنده ، وهم يقرأون جوابا أرسله الباشا الى عمر بيك المذكور ، يطلبه لمساعدته والخروج معه ، مسكه بعض أتباع يحيى بيك مع الساعى .

فلما سمعوا ذلك قالوا لبعضهم : « أى شيء هذا ؟ » ، وتركوا ما معهم من الكلام ، وحضروا الى مصر صحبة رضوان كئخدا .

١٦ منه (٢٠ ديسمبر ١٨٠٣ م) :

ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وغيرها ، لورود العير بموت حسين قبطان باشا ، وثولية خلافه .

٢٠ منه (٣ يناير ١٨٠٤ م) :

أشيع سفر الألفى لملاقاة الباشا وضحته أربعة من الصناجق وأبرز الحيام من الجيزة الى جهة انبابة ، وأخذوا فى تشهيل ذخيرة وبقسماط وجبخانة وغير ذلك .

٢٤ منه (٧ يناير ١٨٠٤ م) :

عدى الألفى ومن معه الى البر الشرقى . وأشيع تعدية الباشا الى بر المتوفية . فلما عدوا الى البر الشرقى ، انتقلوا بعرضهم وخيامهم الى جهة شبرا ، وشرعوا فى عمل مخايز الميشى فى شلقان ، وفيه : حضر واحد بيان آغا ، يسمى صالح

أفندى ، وعلى يده فرمان . فأنزلوه بيت رضوان كئخدا ابراهيم بيك ، ولا يجتمع به أحد .

في غايته (١٣ يناير ١٨٠٤ م) :

وصل الباشا الى ناحية منوف ، وفردوا له فردا على البلاد ، وأكلوا الزروعات وما أنبتته الأرض . وانقضى هذا الشهر وما حصل به من عربة الأرثوود ، وخطفهم عائم الناس ، وخصوصا بالليل . حتى كان الانسان اذا مشى يربط عمامته خوفا عليها . واذا تمكنوا من أحد ، شلحوا ثيابه وأخذوا ما معه من الدراهم .

ويرصدون لمن يذهب الى الأسواق — مثل سوق انبابة فى يوم السبت — لشراء الجبن والزبد والأغنام والأبقار . فأخذون مامعهم من الدراهم ، ثم يذهبون الى السوق وينهبون ما يجلبه الفلاحون من ذلك للبيع .

فاتمتع الفلاحون عن ذلك ، الا فى التصاد .. خفية . وقل وجوده ، وغلا السمن حتى وصل الى ثلثمائة وخمسين نصف فضة العشرة أرتال قبانى . وأما التبن فصار أعز من التبر ، ويبيع قنطاره بألف نصف فضة .. ان وجد ، وعز وجود الحطب الرومى ، حتى بلغ سعر الحملة ثلثمائة فضة ، وكذا غلا سعر باقى الأحطاب ، وباقى الأمور المدة للوقود ، مثل البقعة وجلة البهائم وحطب الذرة . ووقعت الأرثوود لخطف ذلك من الفلاحين ! فكانوا يأتون بذلك فى آخر الليل ، وقت الغفلة ، ويبيعونه بأعلى الأثمان . وعلم الأرثوود ذلك .. فرصدوهم ، وخطفوهم ، ووقع منهم القتل فى كثير من الناس .. حتى فى بعضهم البعض . وغالبهم لم يصم رمضان .. ولم يعرف لهم دين يتدينون به ، ولا مذهب ، ولا طريقة يشنون عليها ... إباحية .. أسهل ما عليهم قتل النفس ، وأخذ مال

الاثنين ٣ منه (١٦ يناير ١٨٠٤ م) :

أوقفوا على أبواب المدينة جماعة من العسكر بأسلحتهم . فانزعج الناس ، وارتاعوا من ذلك ، وأغلقوا الدروب والبوابات ، وقللوا امتعتهم وبضائهم من الدكاكين ، وأكثروا من اللفظ . وصار العسكر الواقفون بالأبواب يأخذون من الداخل والخارج دراهم ، ويفتشون جيوبهم ويقولون لهم : « معكم أوراق » . فيأخذون بحجة ذلك ما في جيوبهم .

الثلاثاء ٤ منه (١٧ يناير ١٨٠٤ م) :

غيروا العسكر بأجناد من الفر المصرية ، فجلس على كل باب كاشف ومعه جماعة من العسكر . فكان الكاشف الذي على باب الفتوح يأخذ ممن يمر به دراهم . فان كان يرى الفلاحين بأن كان لابس جبة صوف أو زعبوط ، أخذ منه ما في جيبه ، أو عشرة أنصاف ان كان فقيرا . وان



جنديان من الفر المصرية

الغير ، وعدم الطاعة لكبيرهم وأميرهم ... وهم أخبث منهم . فقطع الله دابر الجميع !
وأما ما فعله كشاف الأقاليم في القرى القبلية والبحرية من المظالم والمفسارم وأنواع الفرد والتساويف .. فشيء لا تدركه الأفهام ، ولا تحيط به الأقلام . وخصوصا سليمان كاشف البواب بالمنوفية .. فنسأل الله العفو والمغفرة ، وحسن العاقبة في الدين والدنيا والآخرة !

سبب

الأحد ٢ منه (١٥ يناير ١٨٠٤ م) :

تبع رجلا تاجرا من وكالة التفاح ثلاثة من العسكر ، فهرب منهم الى حمام الطنبدي . فدخلوا خلفه وقتلوه داخل الحمام ، وأخذوا ما في جيبه من الدراهم وغيرها ، وذهبوا . وحضر أهله وأخذوه في تابوت ، ودفنوه . ولم ينتطح فيه شاتان .

وقتل في ذلك اليوم أيضا ، رجل عند حمام القيسري ، وغير ذلك .

وفيه : وصل الباشا الى ناحية شلقان ، وصحبته عساكر كثيرة انكشارية وغيرها . وأكثرهم من الذين خرجوا مطرودين من مصر ، وصحبته نحو ستين مركبا في البحر ، بها أثقاله ومتاعه وعساكر أيضا .

وفيه : ركب الأنبي والأمراء ، ما غدا ابراهيم بيك والبرديسي ، فانهما لم يخرجوا من بيوتهما . وذهبوا الى مخيمهم بشبرا .

وخرج أيضا محمد علي وأحمد بيك وأتباعهم ، وأبقوا عند بيوتهم طوائف منهم .

وفيه : وقعت مشاجرة بين الأرثوودية جهة بيوت سوارى العساكر بسبب امرأة ... قتل فيها نحو خمسة أنفار بالأزبكية .

كان من أولاد البلد ومجمل الصورة ، أو لابس
جوخة ، ولو قديمة ، طالبه بألف نصف فضة أو
حبسه حتى يسعى عليه أهله ، ويدفعوها عنه ،
ويطلقه .

وسدوا باب الوزير وباب المحروق ، وقفلوا
باب البرقية المعروف بالغريب ... بعد أن كانوا
عزموا على سده بالبناء ، ثم تركوه بسبب خروج
الأموات .

وفيه : نودى بوقود القناديل ليلا على البيوت
والوكائل ، وكل ثلاثة دكاكين قنديل .

الأربعاء ٥ منه (١٨ يناير ١٨٠٤ م) :

في صباحها : شق الوالى وسمر عدة حوائت
بسبب القناديل ، وشدد في ذلك .

وفيه : انتقل الألفى ومن معه من الأمراء الى
ناحية شلقان ، ونصبوا خيامهم قبال عرضى الباشا .
فحضر اليه بعض أتباع الباشا وكلموه عن نزوله
في ذلك المكان ، ونصب الخيام في داخل الخيام ،
ودوسهم لهم .

فقال لهم : « هذه منزلتنا ومحطتنا » ، فلم
يسمع الباشا وأتباعه الا قلمهم الخيام والتأخر .
فهذه كانت أول حقارة فعلها المصرية في العشائية .

ونصب محمد على وأحمد بيك وعساكرهم
جهة البحر . ثم ان خدم الألفى أخذوا جمالا



عسكر الألفى ناحية شلقان

ليحملوا عليها البرسيم ، فنزلوا بها الى بعض
الفيطان . فحضر أمير آخور الباشا بالجمال لأخذ
البرسيم أيضا ، فوجدوا جمال الألفى وأتباعه ،
فنهزهم وطردهم ، فرجعوا الى سيدهم وأخبروه
فأمر بعض كشافه بالركوب اليهم . فركب رامحا
الى الفيظ ، وأحضر أمير آخور الباشا ، وقطع
رأسه قبالة صيوان الباشا ، ورجع الى سيده
بالجمال ورأس أمير آخور !

فذهب أتباع الباشا وأخبروه بقتل أمير آخور
وأخذ الجمال . فحنق وأحضر رضوان ، كتخدا
ابراهيم بيك ، وتكلم معه . ومن جملة كلامه : « أنا
فعلت معكم ما فعلت ، وصالحت عليكم الدولة .
ولم تزل تضحك على دقنى .. وأنا أطاوعك ،
وأصدق تمويهاتك الى أن سرت الى ها هنا ..
فأخذتم تفعلون معى هذه الفعال ، وتقتلون
أتباعى ، وترذلونى ، وتأخذون حملتى وجمالى » .
فلأطفه رضوان كتخدا في الجواب ، واعتذر اليه
وقال له : « هؤلاء صغار العقول .. ولا يتدبرون
في الأمور .. وحضرة أفندى شأنه العفو
والمسامحة ! » . ثم خرج من بين يديه ، وأرسل
الى أتباع الألفى ، فأحضر منهم الجمال وردها
الى وطاق الباشا .

وحضر اليه عثمان بيك يوسف ، المعروف
بالخازندار ، وأحمد أغا شويكار ، فقابلاه وأخذوا
بخطاره . ولم يخرج اليه أحد من الأمراء سواهما .
وفيه : نادوا بخروج العساكر الأرثوودية الى
العرضى . وكل من بقى منهم ، ولم يكن معه ورقة
من كبيره ... قدمه هدر . وصار الوالى بعد ذلك
كلما صادف شخصا عسكريا من غير ورقة قبض
عليه وغيبه .

واستمر يفتش عليهم ، ويتجسس على أماكنهم
ليلا ونهارا ، ويقبض على من يجده متخلفا .

يدفعوا بالعساكر البرية الى البر الشرقى من مكان كذا ، ويجعل الخيالة والرجالة معه .. على صفة ذكروها له .

ولما وصل الى الرحالية ، أرسل له الأرثوذكس مكاتبة سرا بأن يمدى الى البر الشرقى ، وبينوا له صواب ذلك... وهو يعتقد لصحهم فعدى الى البر الشرقى . فلما حضر الى شلقان ، رتب عساكره ، وجعلهم طواير ، وجعل كل بيناشا فى طابور ، وغملوا متارس ، ونصبوا المدافع ، وأوقفوا المراكب بما فيها من العساكر والمدافع بالبحر على موازاة العرضى .

فخرج الألفى ، كما ذكر ، بمن معه من الأمراء المصرية والعساكر الأرثوذكسية ، وأرسل الى الباشا بالانتقال والتأخر . فلم يجد بدا من ذلك فتأخر الى زفينة ، ونزل ونصب هناك وطاقه ومتارسه . وفى وقت تلك الحركة ، تسلل حسين بك الاقرنجى ومن معه من العساكر بالغلايين والمراكب ، واستعملوا على مراكب الباشا ، واحتاطوا بها ، وضربوا عليهم بالبنادق والمدافع ، وساقوهم الى جهة مصر ، وأخذوهم أسرى ، وذهبوا بهم الى الجيزة ... بعدما قتلوا من كان فيهم من العساكر المحاربين ، وكبيرهم يسمى مصطفى باشا ، أخذوه أسيرا أيضا .

وكان بالمراكب أناس كثيرة من التجار وصحبهم بضائع وأسباب رومية — كان الباشا عوقهم بسكندرية — فنزلوا فى المراكب ليصلوا ببضائعهم ، وطمعا فى عدم دفعهم الجمرک ... فوقعوا أيضا فى الشرك ، وارتبكوا فبمن ارتبك .

ولما تأخر الباشا عن منزلته ، واستقر بأراضى زفينة ... أحاطت به المصريون والعربان ، وتحفظوا حوله ، ووقفوا لعرضه بالرصد . فكل من خرج من الدائرة خطفوه ، ومن الحياة أعدموه .

والقصد من ذلك ، تمييز الأرثوذكسية من غيرهم المتداخلين فيهم ، وكذلك كل من مر على المتقدين بأبواب المدنسة ، وذلك باتفاق بين المصرية والأرثوذكسية لأجل تمييزهم من بعضهم ، وخروج غيرهم .

وفيه : أطلقوا السيد على القبطان أخا على باشا الى القلعة .

الخميس ٩ فنة (١٩ يناير ١٨٠٤ م) :

خرج البرديسى الى جهة شلقان ، ولم يخرج ابراهيم بك ، ولم ينتقل من بيته . فنصب خيامه على موازاة خيام الألفى ، وباقى الأمراء كذلك الى الجبل ، والأرثوذكسية جهة البحر .

وقد كان الباشا أرسل الى محمد على وجبار الأرثوذكسية وغيرهم من قبائل العربان ومشايخ البلاد المشهورين ، مكاتبات قبل خروجه من الاسكندرية يستميلهم اليه ، ويعدهم ويمنيهم ان قاموا بنصرته ، ويحذرهم ويخوفهم ان استمروا على الخلاف وموافقة الغصاة المتغلبين .

فقبل الأرثوذكسية ذلك الى المصرية ، وأطلقوهم على المكاتبات سرا فيما بينهم . وأتفقوا على رد جواب المراسلة من الأرثوذكسية بالموافقة على القيام معه اذا حضر الى مصر . وخرج الأمراء لملاقاته والسلام عليه ، فيكون هو وعساكره من أمامهم ، والأرثوذكسية المصرية من خلفهم . فأتواهم بواسطة ، فيستأصلونهم .. والموعود بشلقان .

وسهلوا له أمر الأمراء المصرية ، وأنهم فى قلة لا يبلغون ألفا .. ولو بلغوا ذلك ، فمن المتضمن اليهم من خلاف قبيلتهم ، وهم أيضا معنا فى الباطن . ودبروا له تدابير ومنه نجات تروج على الأباليس .. منها : أن ينتار من عسكره قدر كذا من الموصوفين بالشجاعة والمعرفة بالسباحة والقتال فى البحر ، ويجعلهم فى السفن قبالة فى البحر ، وأن

وأرسل اليه الألفى على كاشف الكبير ، فقال له : « حضرة ولدكم الألفى يسلم عليكم ، ويسأل عن هذه العساكر المصحوبين يركابكم ... وما الموجب لكثرتها ؟ وهذه هيئة المناذرين ... لا المسالين . والعادة القديمة أن الولاة لا يأتون إلا بأتباعهم وخدمهم المختصين بخدمتهم ، وقد ذكروا لكم ذلك وأتم بسكندرية ا » فقال : « نعم . وأما هذه العساكر متوجهة الى الحجاز بقوة لشريف باشا على الخارجى . وعندما نستقر بالقلمة نعطيهم جباكيهم ، ونشعلهم ونرسلهم » . فقال : « انهم أعدوا لكم قصر الغنى تقيمون به .. فان القلمة خربها الفرنسيين ، وغيروا أوضاعها ، فلا تصلح لسكنائكم ... كما لا يخفاكم ذلك . وأما العسكر فلا يدخلون معكم بل يفصلون عنكم ، ويذهبون الى بركة الحج ، فيمكثون هناك حتى نشعل لهم احتياجاتهم ونرسلهم . ولنا نقول ذلك خوفا منهم ، وأما البلية في قحط وغلاء ، والعساكر المشائية منحرفو الطباع ، ولا يستقيم حالهم مع الأرثوذية ، ويقع بينهم ما يوجب الفشل والتعب لنا ولكم » .

فقال : « اذن أرحل وأرجع الى سكندرية حيثما كنت » . فقال له : « هذا لا يكون .. وان فعلتم ذلك حصل لكم الضرر » ، فقال : « ان العسكر لهم عندى أربعمائة وثمانون كيسا ، أحضروها من حصابى معكم .. ندفعها لهم . وينتقلون الى البركة كما قلت » .

ورجع على كاشف الى الأمراء بذلك الجواب . وحضر عابدى بيك من طرف الباشا الى الأمراء — وهو كبير العساكر الانكشارية — فكلّمه وكلّمهم ، وميلوه وخلعوه . وذهب الى الباشا ، وعاد اليهم . فكان آخر كلامهم له : « ان يئنا

وبينه في غد : اما أن الباشا يحضر عندنا في جماعته المختصين به ، وينزل بمخيمنا ، واما الحرب يئنا وبينه » .

واتظروا عابدى بيك . فلم يرجع لهم بجواب ، وهى العلامة بينهم وبينه ا

واشتغل هو تلك الليلة مع أصحابه وثبطهم وحل عزائمهم .

فلما أصبح الصباح ، ركب الأمراء المصرية بساكرهم ، وجعلوها طواير ، وزحفوا الى عرضي الباشا من كل جهة . فأمر عساكره بالركوب والمحاربة ... فلم يتحركوا ، وقالوا : « لم تأمر بالمحاربة ؟ وليس معك فرمان بذلك ، وإخواننا البحريون أخذوا عن آخرهم ، ولم تعطنا جامكية ولا نفقة ، ولا طاقة لنا بحرب المصريين على هذا الوجه » .

فلما تحقق خذلانهم له في ذلك الوقت الضيق ، ركب في خاصته ، وذهب الى الأمراء ، وترك خيامه وأقاله . فاستقبلوه وأرسلوه — صحة عثمان بيك الخازندار ورضوان كنتخدا البرديسى وأحمد أغا شويكار — الى خيام أعدوها له عند خيام البرديسى .

وحضر اليه كنتخدا الجاوشية وكاتب حوالة والوالى وباقى أرباب خدم الدewan . وذهب بعض خدمه وفراشينه الى قصر العينى ليفرشوه ويرتبوه وينظموه .

وأحضروا مصطفى باشا الذى كان في المراكب ، وما كان بصحبته من لوازم الباشا الى القصر المذكور . وأشيع صلح الأمراء مع الباشا . ثم ان الألفى أرسل الى كبار عسكر الباشا ، فطلبهم ليعطيهم جباكيهم . فلما حضروا عنده — وعدتهم سبعة — عرف منهم ستة من المطرودين في القتن السابقة ، داروا ورجعوا الى اسكندرية لما سمعوا بمضى باشا ..

فوبخهم ولعنهم ، وقال لهم : « أطلقناكم ، وعتقناكم
وعفونا عنكم ، وسفرناكم ، وكأنكم عدتم لتأخذوا
بثأركم » . ثم أمر بضرب أعناقهم... ففعل بهم ذلك ،
ورموا في البحر ، ماعدا سابعهم ، فإنه لم يكن من
الذين حضروا الى مصر ، وتعارف محمد على معه
فشفع فيه ، وتركوه مع الأرثوود ١

وأحضروا متاع الباشا وحملته وطبلخاته من
عرضيه الى عرضى الأمراء ، وأمروا أولئك العساكر
بالرحيل . فرحلوا مع حسين بيك الوشاش الألفى
وصالح بيك الألفى . وقد كان نزل الى الشرقية ،
وحضر عند وصول الباشا وصحبته جملة من
العربان . ثم رجع مع خشدائنيه ، مع العسكر الى
شرقية بليس ، ليوصلوهم الى الصالحية .. والله
أعلم ماذا فعل بهم . وعدتهم ألفان وخمسمائة .

السبت ٨ منه (٢١ يناير ١٨٠٤ م) :

انتقل الأمراء والباشا الى منية السرج .

الاثنين ١٠ منه (٢٣ يناير ١٨٠٤ م) :

أشيع ركوب الباشا بالوكب الى قصر العيني
على طريق بولاق . وجمع المحتسبخيول الطواحين .
وخرج كثير من الناس في ذلك اليوم الى جهة بولاق
لأجل الفرجة ، وانتظروا ذلك ... فلم يحصل . وقبل
انهم أخروه الى يوم الأربعاء ثانى عشرة .

الأربعاء ١٢ منه (٢٥ يناير ١٨٠٤ م) :

وصل في صباحها التنايه لاختيارية الوجاقات
بالحضور والركوب مع الباشا . فلما كان وقت
الضحوة الكبرى ، تواترت الأخبار أنهم أركبوا
الباشا وسفروه الى جهة بليس والصالحية .

وكان من خبره أنه لما حضر الى مخيم الأمراء ،
أرسل اليه عثمان بيك البرديسى كتخذه رضوان
كاشف — المعروف بالغرباوى — بهدية وألف نصفية

ذهب ، وبلغه السلام ولاطفه ، وقال الباشا له ولن
حضر من الأمراء : « أنا عندما قلدوني ولاية مصر ،
قلت للدولة ان أول حوائجى العفو والرضا عن
الأمراء المصرية ، لأن لهم في عنقى جميلا عندما
حضرت اليهم هاربا من طرابلس ، فأوونى
وأكرمونى ، وأقمت معهم مدة طويلة في غاية الحظ
والاكرام .. ولا أنسى معروفهم » .

فأجابوه بأنهم أيضا يراعون له ذلك ، ولا
ينسون عشتهم معه ، وخصوصا صداقته لسيدهم
مراد بيك ، فإنه كان معه كالأخوين ، ولا يأتس الا
بجالسته وركوبه معه الى الصيد وغيره ... ولو وقع
منه ما وقع بمكاتبة الأرثوود والعربان وغيرهم .
فقال : « هذا شيء قد كان ، ونحن أولاد
اليوم ! » .

وأقام ثلاثة أيام بالخيام التى أجلسوه بها في
عرضى البرديسى ، ورتب له طعاما في الغداء والعشاء
من طعامه . ولم يجتمع به أحد من الأمراء الكبار
سوى عثمان بيك يوسف المعروف بالخازندار ،
وأحمد أغا شويكار ، وأرباب الخدم .

وأما الذنب الذى تقموه عليه ، فهو أنهم ذكروا
أن في الليلة التى بات بها في عرضى البرديسى ، كان
خرج من خيامه فارس على فرس يعدو بسرعة ،
فصهلت الخيل ، وانزعج العرضى ، وجروا خلفه
فلم يلحقوه . فسألوا الباشا عن ذلك ، فقال :
« لعله حرامى أراد أن يسرق شيئا وخرج هاربا ! » .
فلما حصل ذلك ، أجلسوا حوله عدة من المماليك
المسلحين . فسأل عنهم ، فقبل له : « انهم جلوس
بقصد المحافظة من السراق ! » . ثم انهم قبضوا
على هجان بناحية البساتين مسافر الى قبلى ، زعموا
أنهم وجدوا معه مكاتبات من الباشا خطابا الى
عثمان بيك حسن بقنا ، يطلبه للحضور الى مصر
ليكون معيناً له ، ويعده بامارة مصر .. ونحو ذلك .

ومسك كل طحان في فرسه أو أفراسه ، وأنزل عنها راكبها ، وأخذوها ورجعوا مسرورين بخيولهم . ولم يقدرُوا على منعهم ، لأنهم صاروا أذلاء مقهورين !

وركبوا بدلها جمالا ، وحجز البرديسي طبلخانة الباشا ومهارته وطقمه وغالب متاعه . وأشيع ركوبه وذهابه .

الخميس ١٣ منه (٢٦ يناير ١٨٠٤ م) :

دخل الأمراء والعساكر الأرثوذية وأكابرهم ، وهم فرحون مسرورون ، وخلفهم الطبول والزمرور . وركب حسين بيك الأفرنجي المعروف باليهودي ، وأمامه العسكر المختصون به ، بطبلهم مثل طبل الفرنسيين ، وعلى رؤوسهم برانيط من نحاس أصفر ، وهم نصارى وأروام وتكرور . وخلف البرديسي نوبة الباشا ومهارته بعينهم يطبلون ويزمرون . ولم يدخل الألفى معهم ، بل ركب من عرضيه بأمرائه وكشافه ، فذهب إلى عرب بلى بالجزيرة ... فطرقهم على حين غفلة ، وقتل منهم أناسا ، ونهب مواشيهم ونجمهم . وضرب أيضا زفيتة وأجهور ونحو عشرين بلدا ، وحرقوا أكثرهم ، وأخذوا زرعهم ومتاعهم . بسبب أنه لما كان الباشا كاتب مشايخ البلاد والعربان ، اغتروا به ، وعندما حل بالقرب منهم قبخوا في حق المصرية وأتباعهم ، وطردهم وأسمعهم أفحش الكلام . وقامت عربان الشرقية ، وتعصبوا على صالح بيك الألفى ، فأوجب تحامل المصرية عليهم ، حتى جازوهم به عندما فرغوا من أمر الباشا

وفي تلك الليلة — أغنى ليلة الجمعة رابع عشره — حصل خسوف للقمر جزئي بعد رابع ساعة من الليل ، ومقدار التخسف أربع أصابع وثلاث ، وانجلى في سابع ساعة ... الا شيئا يسيرا .

فلما كان يوم الأربعاء المذكور ، حضر إليه الجماعة فسلموا عليه ، وأذن لهم بالجلوس فجلسوا وهم سكوت ينظرون إلى بعضهم . فنظر لهم الباشا وقال : « خيرا » . فتكلم رضوان كتخدا البرديسي وقال : « ألسنا اصطلعنا مع حضرة أفندينا ، وصفا خاطره معنا ؟ » . قال : « نعم .. » . قال له : « هل وقع من حضرتكم لأحد مكاتبة قبل ذلك ؟ » . قال : « لا » . قال : « لعلكم أرسلتم مكاتبة إلى قبلى ؟ » ، قال : « لم يكن ذلك أبدا » ، فأخرج له مكتوبا وناولوه إياه .. فلما رآه قال : « نعم .. هذا مما كنا كتبناه بسكندرية » . فقالوا له : « انا وجدناه أمس مع الهجان المسافر به إلى جهة البساتين ، قبض عليه المحافظون بتلك الجهة في ساعته ، وتاريخه قرب » . فسكت متفكرا . فقاموا على أقدامهم وقالوا : « يرون » .. يعنى تفضلوا . فقال : « إلى أين ؟ » فقالوا : « إلى غزة .. فإنه لا أمان لنا معك بعد ذلك » .

ولم يملوه لكلام يقوله ، ولا عذر يديه . حتى انهم لم يملوه لحيى مركوبه المختص به ، بل قدموا له فرسا لبعض الممالك ، وأركبوه له . وفي حال ركوبه ، رأى الأمراء المستعدين للذهاب معه وقروفا في انتظاره . فقال لهم : « ان صحبني أحد منكم فقولوا لهم يكونون متباعدين عنى في الحظ والترحال » . فأجابوه إلى ذلك .

وسار معه محبذ بيك المنفوخ ، وسليمان بيك صهر ابراهيم بيك ... على الشرط وركب أتباعه خيول الطواحين ، التي كانوا أعدوها للركوب . وكان الطحانون ينتظرون متى تنقضى الركوب ، ويأخذون خيولهم . فلما تحقق سفرهم ، طارت عقول الطحانين ، وذهبوا إلى حيوان البرديسي يشكون إليه عطل مطاحن البلد . فقال لهم : « دونكم .. ها هي أمامكم اذهبوا فخذوها » . فجيروا خلفهم ،

وفي ذلك اليوم : أرسل البرديسي الى شيخ السادات تذكرة صحبة واحد كاشف من أتباعه ، يطلب عشرين ألف ريال سلفة ، فإلطفه ورده بلطف . فرجع الى مخدومه وأبقى بيت الشيخ جماعة من العسكر . فوبخه على الرجوع من غير قضاء حاجة ، وأمره بالعود ثانيا . فعاد اليه في خامس ساعة من الليل وصحبته جماعة أخرى من العسكر ، فازعجوا أهل البيت . وأرسلت عديلة هانم ابنة ابراهيم بيك الى المعينين تأمرهم أن لا يعملوا قلة أدب ، وأرسلت الى أبيها لأن منزلها بجواره ، فاهتم لذلك وأرسل خليل بيك الى البرديسي فكفه عن ذلك بعد علاج وسعى ، ورفع المعينين .

الخميس ٢٠ منه (٢ فبراير ١٨٠٤ م) :

وصلت أخبار ومكاتبات من الأمراء الذين ذهبوا بصحبة الباشا يخبرون فيها بسوت الباشا بالقرين ، فضربوا مدافع كثيرة بعد العشاء ونصف الليل . ومضمون ما ذكروه في المراسلة « أن الباشا أراد أن يكبسهم بمن معه ليلا ، وكان معهم سائس يعرف بالتركي ، فحضر اليهم وأخبرهم ، فتحذروا منه . فلما كبسوهم وقعت محاربة بينهم وقتل منهم عدة من المماليك وخازندار محمد بيك المنفوخ ، وانجرح المنفوخ أيضا جرحا بليغا ، وأصيب الباشا وصاحبه من غير قصد — واللبل ليس له صاحب — ففقدى عليه ، وكان ذلك مقدورا ، وفي الكتاب مسطورا : وانكم ترسلون لنا أمانا بالحضور الى مصر ، والا ذهبنا الى الصعيد » . هذا ما قالوه .

والواقع أنهم لما سافروا معه ، كان بصحبته خمسة وأربعون نفسا لا غير . والعساكر التي كانت سافرت قبله نجعت الى الصالحية ، أو ذهبت حيث شاء الله . وكان أمامه عسكر المغاربة وخلفه الأمراء المصرية .

فلما وصلوا الى أراضي القرين ، ونزلوا هناك ،

عمل المغاربة مع الخدم مشاجرة ، وجسموها الى أن تضاربوا بالسلاح . فقامت الأجناد المصرية من خلفهم ، فصار الباشا ومن معه في الوسط ، والتحموا عليهم بالقتال . ففر من أتباعه أربعة عشر نفسا الى الوادي ، وثلاثة عشر رموا بأنفسهم في ساقية قريبة منهم ... من حلاوة الروح . وضرب الباشا بعض المماليك منهم بقرابينه ، فأصابته ، وقتل معه ابن أخته حسن بيك ، وكثداه ، وباقي الثمانية عشر .

فلما سقط الباشا — وبه رمق — رأى أحد الأميرين فقال له : « في عرضك يا فلان .. ان معي كفتا بداخل الخرج . فكفني فيه ، وادفني ، ولا تتركني مرميا » ! فلما انقضى ذلك ، أعطى ذلك الأمير لبعض العرب دناتير ، وأعطاه الكفن الذي أوصاه عليه ، وقال له : « اذهب الى مقتلهم ، وخذ الباشا .. فكفنه وادفنه في تربة » . فقال : « أنا لا أعرفه » . فقال : « هو الذي لحيته عظيمة من دونهم » ، ففعل كما أمره .

وحفروا لباقيهم حفرا وواروهم فيها ، واتقضى أمرهم .

هذا اخبار بعض أهل تلك البلاد المشاهدين للواقعة . وكل ذلك وبال فعله ، وسوء سريره ، وخبث ضميره . فلقد بلغنا أنه قال لمسكره : « ان بلغت مرادى من الأمراء المصريين ، وظفرت بهم وبالأرنؤود ، أبحث لكم المدينة والرعية ثلاثة أيام ... تفعلون بها ما شئتم » . والدليل على ذلك ما فعله بالاسكندرية مدة اقامته بها ، من الجور والظلم ، ومصادرات الناس في أموالهم وبضائعهم ، وتسلط عساكره عليهم بالجور والخطف والنسب ، وترذيله لأهل العلم واهائه لهم ... حتى انه كان يسمى الشيخ محمد المسيرى — الذي هو أجل مذكور في الثغر — « بالزور » . واذا دخل عليه

مع أمثاله — وكان جالسا — اتكأ ، ومد رجله
إقصدا لأهاتهم .

وخبر على باشا المترجم المذكور مختصرا : أنه
كان أصله من الجزائر مملوك محمد باشا حاكم
الجزائر . فلما مات محمد باشا ، وتولى مكانه
صهره ... أرسله بمراسلة الى حسين قبطان باشا .
وكان أخوه ، المعروف بالسيد على ، مملوكا للدولة
بمذكورا عند قبطان باشا ، ومتولى الزبالة ...
أفتوه بذكره . فقلده قبطان باشا ولاية طرابلس
وأعطاه فرمانات ويرق . فذهب إليها ، وجيش له
جيوشا ومراكب ، وأغار على متوليها — وهو أخو
حمودة باشا صاحب تونس — وحاربه عدة شهور
حتى ملكها بمخامرة أهلها ... لعلمهم أنه متوليها
من طرف الدولة .

وهرب أخو حمودة باشا عند أخيه بتونس . فلما
استولى على باشا المذكور على طرابلس ... أباحها
لمسكره ففعلوا بها أشنع وأقبح من التمرلنكية :
من النهب ، وهتك النساء ، والفسق والفجور ،
وسبى حريم متوليها ، وأخذهن أسرى ، وفضحهن
بين عسكره .

ثم طالبهم بالأموال ، وأخذ أموال التجار ،
وفرد على أهل البلد ، وأخذ أموالهم . ثم ان
المنفصل حشد وجمع جموعا ، ورجع الى طرابلس
وحاصره أشد المحاصرة .

وقام معه المغرضون له من أهل البلدة ،
والمقروصون من على باشا . فلما رأى الغلبة على
نفسه ، نزل الى المراكب بما جمعه من الأموال
والنخائر ، وأخذ معه غلامين جميلين من أولاد
الأعيان شبه الرهائن ، وهرب الى اسكندرية ،
وحضر الى مصر ، والتجأ الى مراد بيك ... فأكرمه ،
وأنزله منزلا حسنا عنده بالعينزة . وصار
خصيصا به .

وسبب مجيئه الى مصر ، ولم يرجع الى القبطان ...
علمه أنه صار مقبوتا في الدولة . لأن من قواعد
دولة العثمانيين ، أنهم اذا أمروا أميرا في ولاية ، ولم
يفلح .. مقتوه وسلبوه ، وربما قتلوه . وخصوصا
اذا كان ذا مال !

ثم حج المترجم في سنة سبع ومائتين وألف من
القلزم ، وأودع ذخائره عند رشوان كاشف ،
المعروف بكاشف القيوم ، لقرابة بينهما من بلادهما .
ولما كان بالحجاز ، ووصل الحجاج الطرابلسية ،
ورأوه وصحبته الغلامان ... ذهبوا الى أمير الحج
الشامي ، وعرفوه عنه وعن الغلامين ، وأنه يفعل
بهما الفاحشة . فأرسل معهم جماعة من أتباعه في
حصة مهمة ، وكبسوا عليه — على حين غفلة —
فوجدوه كما قالوا . فلعنوه وقطعوا لحيته ، وضربوه
بالسلاح ، وجرحوه جرحا بالغا ، وأهانوه ، وأخذوا
منه الغلامين . وكادوا يقتلونه .. لولا جماعة من
جماعة أمير الحج . ثم رجع الى مصر من البحر
أيضا . وأقام في منزلته — عند مراد بيك — زيادة
عن ست سنوات ... الى أن حضر الفرنسيين الى
الديار المصرية . فقاتل مع الأمراء ، وتغرب معهم في
قبلى وغيره . ثم انفصل عنهم ، وذهب من خلف
الجبل ، وسار الى الشام . فأرسله الوزير يوسف
باشا — بعد الكسرة — بمكاتبات الى الدولة . فلم
يزل حتى وقعت هذه الحوادث . وقامت العسكر
على محمد باشا وأخرجوه .

ووصل الخبر الى اسلامبول ، فطلب ولاية مصر
على ظن بقاء جبل الدولة العثمانية وأوامرها بمصر ..
وليس بها الا طاهر باشا والأرثوود . وجعل على
نفسه قدرا عظيما من المال ، ووصل الى اسكندرية
وبلغه انعكاس الأمر ، وموت طاهر باشا وطرد
الينكجيرية . وانضمام طائفة الأرثوود للمصرية ،
وتمكنهم من البلدة .

وفيه : وصل الألفى من سرحته الى مصر القديمة . فأقام في قصره الذى عمره هناك — وهو قصر البارودى — يومين . ثم عدى الى الجيزة ، ودخل أتباعه بالمنهوبات من الجمال والأبقار والأغنام ، ومعهم الجمال محملة بالقمح الأخضر والفول والشعير لعدم البرسيم ، فانهم رعوا ما وجدوه في حال ذهابهم ، وفي رجوعهم لم يجدوا خلاف الغلة ، فرعوها وحملوا باقيها على الجمال ! ولو شاء ربك ما فعلوه .

السبت ٢٢ منه (٤ فبراير ١٨٠٤ م) :

وقعت معركة بين الأرثوذكسية وعسكر التكرور بالقرب من الناصرية بسبب حمل برسيم ، وضربوا على بعضهم بنادق رصاص ، وقتل بينهم أنثار ، واستمروا على مضاربة بعضهم البعض نحو سبعة أيام ، وهم يترصدون لبعضهم في الطرقات .

الثلاثاء ٢٥ منه (٧ فبراير ١٨٠٤ م) :

عملوا ديوانا وقرأوا فرمانا وصل من الدولة مع الططر ... خطابا لعلى باشا والأمراء بتشميل أربعة آلاف عسكرى وسفرهم الى الحجاز لمحاربة الوهابيين ، وارسال ثلاثين ألف أردب غلال الى الحرمين ، وأنهم وجهوا أربع باشات من جهة بغداد بعساكر ... وكذلك أحمد باشا الجزار ، أرسلوا له فرمانا بالاستعداد والتوجه لذلك . فان ذلك من أعظم ماتوجه اليه الهمم الاسلامية . وأمثال ذلك من الكلام ، والترفق . وفيه بعض القول بالحسب والمروءة بتنجيز المطلوب من الغلال ، وان لم تكن متيسرة عندهم ، تبذلوا الهمة في تحصلها من النواحي والجهات بأثمانها على طرف الميرى بالسعر الواقع .

وفيه : تقييد لضبط مخلفات على باشا : صالح أفندى ، ورضوان كئخدا ، ونائب القاضى ، وباشكاتب .

فأراد أن يدبر أمرا ، ويصطاد العقاب بالغراب ، فيحوز بذلك سلطنة مجددة ، ومنقبة مؤبدة ... فلم تنفعه التدابير ، ولم تسعفه المقادير . فكان كالباحث على حتفه بظلفه ، والجادع بيده مارن أنفه . ولم يعلم أنها القاهرة ، كم قهرت جابرة ، وكادت فراعنة

إذا لم يكن عون من الله للفتى

فأول ما يجنى عليه اجتهداه

وكان صفته : أبيض اللون ، عظيم اللحية والشوارب ، أشقرهما ، قليل الكلام بالعربى ، يحب اللهو والخلاعة !

ولما اقضى أمره ، وأرسل سليمان بيك ومحمد بيك مكاتبات الى شاهين بيك ونظرائه بما ذكروا ، وأن يأخذوا لهم أمانا من ابراهيم بيك والبردىسى . فكتبوا لهم أمانا ... بعد امتناع منهما ، و اظهار التغير والغضب والتأسف على التفريط منهما في قتله .

وفيه : عملوا ديوانا ، وأحضروا صالح أغا قابجى باشا ، الذى حضر أولا ونزل ببيت رضوان كئخدا ابراهيم بيك ، وقرأوا فرمان الذى معه وهو يتضمن ولاية على باشا والأوامر المعتادة لا غير . وليس فيها ما كان ذكره على باشا من الجبارك والالتزام وغيره . وتكلم الشيخ الأمير فى ذلك المجلس ، وذكر بعض كلمات ونصائح فى اتباع العدل ، وترك الظلم ، وما يترتب عليه من الدمار والخراب . وشكا الأمراء المتأمرؤن من أفعال بعضهم البعض ، وتعدى الكشاف النازلين فى الأقاليم وجورهم على البلاد ، وأنه لا بتحصل لهم من التزامهم وحصصهم ما يقوم بنفقاتهم .

فاتفق الحال على ارسال مكاتبات للكشاف بالحضور والكف عن البلاد . وأما مصطفى باشا ، فانهم أنزلوه فى مركب مع أتباع الباشا الذين كانوا بقصر العينى ، وسفروهم الى حيث شاء الله !

وفيه : حضر الأمراء الذين توجهوا بصحبة الباشا الى الشرقية .

وفي هذا اليوم : حضر عثمان كاشف البواب الذى كان بالمنوفية ، وترك خيامه وأثقاله وأعوانه على ما هم عليه ، وحضر فى قلة من أتباعه .

وفيه : نقلوا عسكر التكرور من ناحية قناطر السباع الى جهة أخرى . وأخرجوا سكانا كثيرة من دورهم جهة الناصرية ، وأزعجهم من مواطنهم ، وأسكنوا بها عساكر وطبجية .

وفيه : أنزلوا السيد على القبطان من القلعة الى بيت على بك أيوب كما كان . وهذا السيد على هو أخو على باشا المقتول كما ذكر . وأصله مملوك ، وليس بشريف كما يتبادر الى الفهم من لفظة سيد أنها وصف خاص للشريف ، بل هى منقولة من لغة المغاربة ، فانهم يعبرون عن الأمير بالسيد ... بمعنى المالك وصاحب السيادة .

الأربعاء ٢٦ منه (٨ فبراير ١٨٠٤ م) :

أنزلوا محمداً الحاج من القلعة مطويا من غير هيئة . وأشيع فى الناس دورانه الى بيت ابراهيم بيك صحبة أحد الكشاف وطائفة من المماليك . واتفق رأى على سفره من طريق بحر القلزم صحبة محمود جاويش مستحفظان ، ومعه الكسوة والصرة . وكان حضر الكثير من الحجاج بالجهة القبلية بجمالهم ودوابهم ومتاعهم .. فلما تحققوا عدم السفر — حكم المعتاد — باعوا جمالهم ودوابهم بالرميلة بأبخس الأثمان ، لعدم العلف بعدما كلفوها بطول السنة ، وما قاسوه أيضاً فى الأيام التى أقاموها بمصر فى الانتظار والتوهم .

ذوالقعدة

غرة (١٢ فبراير ١٨٠٤ م) :

أنزلوا حسين قبطان ومن معه من عسكر

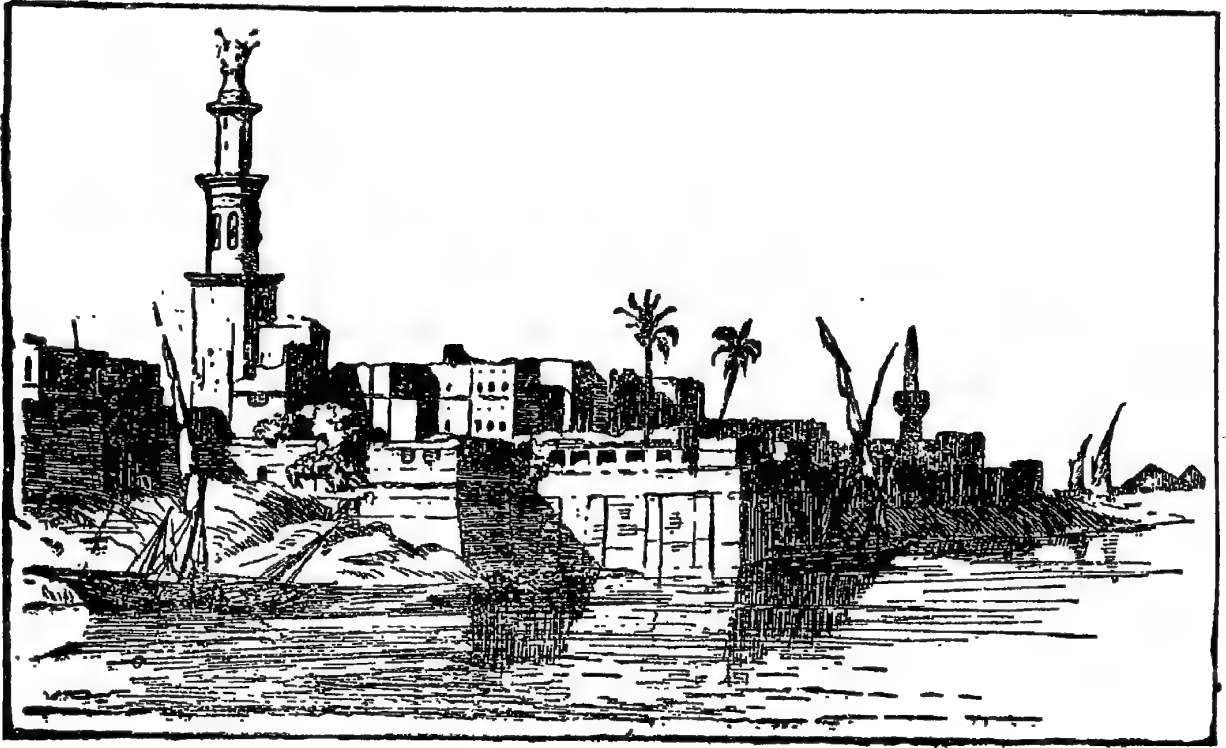
الأرتوود من القلعة ، وكانوا نحو الأربعمائة ، فذهبوا الى بولاق وسكنوا بها ، بعدما أخرجوا السكان من دورهم بالتهمر عنهم . ولم يبق بالقلعة من أجناسهم سوى الطوبجية .. المتقيدين بخدمة المصرية .

وفيه : ألبس ابراهيم بك كتخده رضوان خلعة . وأشيع أنه قلده دفتر دارية مصر . وذهب الى البرديسى فخلع عليه أيضاً ، وكذلك الألفى . وذلك اكراما له وتنويعا بذكره ، جزاء فعله ومجنيه بالباشا ، وتحيله عليه .

• منه (١٦ فبراير ١٨٠٤ م) :

وصلت مكاتبات من يحيى بيك البرديسى حاكم رشيد ، يخبر فيها بوصول محمد بيك الألفى الكبير الى ثغر رشيد يوم الأربعاء ثالثه . وقد طلع على أبى قير ، وحضر الى ادكو ثم الى رشيد فى يوم الأربعاء المذكور ... وقصده الإقامة برشيد سنة أيام .

فلما وصلت تلك الأخبار ، عملوا شنكاً ، وضربوا مدافع كثيرة بعد الغروب ، وكذلك بعد العشاء ، وفى طلوع النهار ، من جميع الجهات : من الجيزة ومصر القديمة وبيت البرديسى والقلعة ، وأظهروا البشر والفرح . وشرعوا فى تشييل الهدايا والتقديم ، وأضمرؤا فى نفوسهم السوء له ولجماعته المتأمرين . حسداً لرياسته عليهم ، وخمولهم بحضوره . فهاجت حفائظهم ، وكنموا حقدهم ، وتناجوا فيما بينهم ، وبيتوا أمرهم مع كبار العسكر . وأرسل البرديسى كتاباً الى مملوكه يحيى بيك تابعه حاكم رشيد ، يأمره فيه بقتل الألفى هناك . وركب هو الى المنيل ، وعدى شاهين بيك ، ومحمد بيك المنفوخ ، واسماعيل بيك صهر ابراهيم بيك ، وعمر بيك الابراهيمى الى بر الجيزة ليلة الأحد .



الجيزة

وكان محمد على وأحمد بك والأرثوذية
عدوا قبلى الجيزة ليلا ، وكنوا بمكان ينتظرون
الإشارة ، ويتحققون وقوع الدم بينهم . فلما
علموا ذلك ، حضروا الى القصر ، وأحاطوا به .
وكان طبجي الألفى مخامرا أيضا ، فعمل « فوانى »
المدافع . واستمروا فى ترتيب الأمراء على القصر
الى آخر الليل . فحضر الى الألفى من أيقظه
وأعلنه بقتل حسين بك ، واحاطتهم بالقصر . فأراد
الاستعداد للحرب ، وطلب الطبجي فلم يجده ،
وأعلموه بما فعل بالمدافع . فأمر بالتحصيل ، وركب
فى جماعته الحاضرين ، وخرج من الباب الغربى ،
وصار مقبلا . فركب خلفه الأمراء المذكورون ،
وساروا مقدار ملقتين حتى تعبت خيولهم ... ولم
يكن معهم خيول كثيرة ، لأنهم لم يكونوا يظنون
خروجهم من القصر .

واشتغل أكثر أتباعهم بالنهب ، لأنه عند ماركب

ونصبوا خيامهم ليستعدوا الى السفر من آخر
الليل ، صحبة الألفى الصغير .

وعدى أيضا قبلهم حسين بك الوشاش الألفى ،
ونصب خيامه بحرى منهم .

فلما كان فى خامس ساعة من الليل ، أرسلوا
الى حسين بك يطلبونه اليهم . فحضر مع مماليكه ،
وقد رتبوا جماعة منهم تأتى بخيول ومشاعل من
جهة القصر . فقالوا له : « أين الخيول .. فانتنا
زاكبون فى هذا الوقت للملاقة ، وها هو أخوك
الألفى قد ركب .. وهو مقبل ا » ، فنظر فرأى
المشاعل والخيول ، فلم يشك فى صحة ذلك ، ولم
يخطر بباله خيانتهم له . فأمر مماليكه أن يذهبوا
الى خيولهم ويركبوا ، ويأتوه بفرسه . فأسرعوا
الى ذلك ، وبقي هو وحده ينتظر فرسه . فعاجلوه ،
وغدروه وقتلوه بينهم ، وأرسلوا الى
البردىسى بالخبر .

له شنكا وطعاما ، وما يليق به ، وسأله عن مدة اقامته في رشيد ، فقال له : « أريد الإقامة ستة أيام حتى نستريح » . ونزل بيت مصطفى عبد الله التاجر ، ولم يكن معه الا خاصة ماليكه وجوخداره تمة ستة عشر ... فاستأذنه يحيى بيك في ارسال الخبر الى مصر ، ليأتى الامراء الى ملاقاته .. فلم يرض بذلك . ثم انه لم يقيم برشيد الا ليلة واحدة . وأنزل أمتعته في أربع مراكب من الرواحل ، وانتقل آخر الليل الى بيت البطروشى (١) القنصل . وأمر بتنقيط المتاع الى مراكب النيل ، وأهدى له البطروشى غرابا من صناعة الانجليز مليح الشكل .. نزل هو به ، وصار الى مصر . وكان قصده الحضور بفتة فعندما يصلهم الخبر ، يصبحون يجدونه في الجيزة .. ويأبى الله الا ما يريد . فلم يسعفه الريح ، وكان تأخير سببا لنجاته .

ولما وصل الخبر بحضوره ، وعملوا الشنك ... جهز له الألفى الصغير بعض الاحتياجات ، وأرسلها في الذهبية والقنجة صحبة الخواجا محمود حسن وخلافه . فنزلوا من بولاق ، واتحدروا بعد الظهر من يوم السبت . فاجتمعوا به عند « نادر » نصف الليل .

فلما أصبح الصباح ، حضر اليه سليمان كاشف البواب وقابله ورجع معه الى منوف العلى . فأقام هناك يوم الأحد وبات هناك ، ودخل الحمام ، وسار منها بعد طلوع النهار ، وهم يسحبون المراكب باللبان لمخالفة الريح . فلم يزل سائرا الى الظهيرة ، فلاقاه مدة من عسكر الأرثوود الموجهة اليه في أربع مراب ، في مضيق الترعة . فسلم عليهم ، فردوا عليه السلام . فسألهم بعض أتباعه بالتركي ، فقال لهم : « أين تريدون .. ؟ » . قالوا : « نريد الألفى » ، فقال لهم : « هاهو الألفى » . فسكتوا ، ثم

(١) Petrucci نائب قنصل الانجليز في رشيد .

الألفى وخرج من القصر .. دخله العسكر والإجناد ونهبوا مافيه من الأثاث والأمتعة والفرش وغيرها . وكان كاتبه المعلم غالى ساكنا بالجيزة ، وكذلك كثير من أتباعه ومقدميه . فذهبوا الى دورهم .. فنهبوا ، وأخذوا ما عند كاتبه المذكور من الأموال . ثم نهبوا دور الجيزة عن آخرها ، ولم يتركوا بها جليلا ولا حقيرا حتى عروا ثياب النساء ، وفعلوا بها مثل ما فعلوا بدمياط .

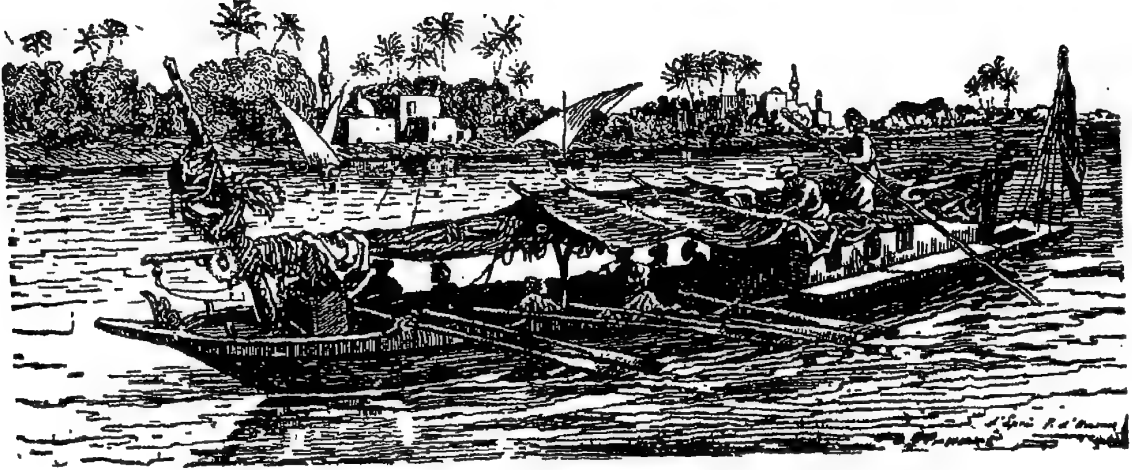
وأصبح الناس بالمدينة يوم الأحد لا يعلمون شيئا من ذلك ... الا أنهم سمعوا الصراخ بيت حسين بيك جهة التبانة . وقيل انه قتل ببر الجيزة . فصار الناس في تعجب وحيرة ، واختلفت رواياتهم ولم يفتحوا دكاكينهم ، ونقلوا أسبابهم منها ... وظلوا غالب اليوم لم يعلموا سر قتل حسين بيك الا من صراخ أهل بيته . وكل ذلك وقع و ابراهيم بيك جالس في بيته ويسأل ممن يدخل اليه عن الخبر . وأحضر محمود جاويش المعين للسفر بالمحمل وصير في الصرة والكتبة ، واشتغل معهم ذلك اليوم في عدد مال الصرة وحسابها ولوازم ذلك .

وبعد العصر ، أشيع المرور بالمحمل . فاجتمع الناس للفرجة ، فمروا به من الجمالية الى قراميدان قبل الغروب .

٨٠ - (١٩ فبراير ١٨٠٤ م) :

ركب ابراهيم بيك وأمرأؤه الى قراميدان ، وسلم المحمل . واجتمع الناس للفرجة على العادة ، فمروا به من الشارع الأعظم الى العاذلية ، وأمامه الكسوة في أناس قليلة وطبل وأشايير . وعينوا للذهاب معه أربعمائة مغربي من الحجاج ، رتبوا لهم جامكية ثلاثين نفرا من عسكر الأرثوود .

هذا ما كان من هؤلاء . وأما ما كان من أمر الألفى الكبير ... فانه لما حضر الى رشيد يوم الأربعاء ثالثه ، كما تقدم ، قابله يحيى بيك ، وعمل



القنجة

فمئذ ذلك تحقق الخبر ، وطلع الى البر ، وأمر بتفريق القنجة ، ومضى مع الممالك على أقدامهم ، وتخلف عنه الخواجا محمود حسن بشيرا . فلم يزالوا يجدون السير حتى وصلوا الى ناحية قرنفيل ، ودخل الى نجع عرب الحويطات ، والتجأ الى امرأة منهم ، فأجارته ولبت دعوته ، وأركبته فرسا وأصحبت معه شخصين هجائين . وركب معها وسار الى قرب الخانكة ليلا والممالك معه مشاة . فقابلهم جماعة من عرب بلى — وكبيرهم يقال له سعد ابراهيم — فاحتاطوا به ، فاشتغل الممالك بحربهم ، فتركهم وسار مع الهجانة الى ناحية الجبل ، ومضى . فسمع الأجناد القريبنون منهم — وفيهم البرديسي — صوت البنادق بين العرب والممالك ، فأسرعوا اليهم وسألوهم عن سيدهم . فقالوا : « انه كان معنا .. وفارقنا الساعة » .

فأمر البرديسي من معه من الممالك والأجناد أن يسرعوا خلفه ويتفرقوا في الطرق ، وكل من أدركه فليقتله في الحال . فذهبوا خلفه ، فلم يعثر به أحد منهم ، وخرم عليه سعد ابراهيم بجماعة قليلة من طريق يعرفها ، فرمى لهم مأمعه من الذهب

تلاقي الملاحون مع بعضهم ، فأعلموهم الخبر ، فنقلوه الى الألفى .. فكذب ذلك ، وقال : « هذا شيء لا يكون .. ولا يصح أن اخواننا يفعلون ذلك معي ، وأنا سافرت وتغربت سنة لأجل راحتنا ، ولعلها حادثة بينهم وبين العسكر » . ثم ان طائفة منهم أدركت الغراب الذي قدمه له البطروشي ، وكان متأخرا عن المراكب ، فصعدوا اليه ، وأخذوا مافيه من المتاع . فأخبروه بذلك .. ونظر ، فرآهم يفعلون ذلك . فأرسل اليهم بعض من معه من الأتراك ليستخبر عن شأنهم وأمرهم . ولم ينتظر رجوعه بالجواب ، ولكنه أخذ بالحزم ، ونزل في الحال الى القنجة مع الممالك ... وصحبه الخواجا محمود حسن ، وأمرهم أن يسكروا المقاذيف ... ففعلوا ذلك ، وهو يستحثهم ، حتى خرجوا من الترعة الى البحر . فلاقاهم طائفة أخرى في سفينتين ، وفيهم سراج باشا تابع البرديسي — وكان بعيدا عنهم — فأعماهم الله عنه ، وكأنهم لم يظنوه اياه . ولم يزل يجسد في السير حتى وصل الى شبرا الشهاية . فنظر الى رجل ساع ، وأعلمه أنه مرسل من بيت سليمان كاشف البواب بخبر الواقع .

والجوهر والكرك الذى على ظهره ... فاشتغلوا به ، وتركهم وسار وغاب أمره .

وفى حال جلوسه عند العرب ، مر عليهم طائفة من الأجناد سائرين ... لأنهم لما فعلوا فعلتهم فى الجيزة ، لم يبق لهم شغل ... الا هو . وأخذوا فى الاختيساط عليه ما أمكن . فأرسلوا عسكريا فى المراكب ، وانبثت طوائفهم فى الجهات البحرية شرقا وغربا . فذهبت طائفة منهم الى الشرقية ، وطائفة الى القليوبية ، وكذلك المنوفية والغربية والبحيرة ، وسلكوا طريق الجبل الموصلة الى قبلى .

وذهب حسين بيك ، ورستم بيك ، الى صالح بيك الألفى الذى بالشرقية ، وذهب شاهين بيك الى سليمان كاشف البواب من البر الغربى ، ليقطع عليه الطريق . وذهب على بيك أيوب ومحمد على ... على جهة القليوبية ليلحقه بمنوف

فلما وصل الى دجوة ، تعوق بسبب قلة المعادى . فلما وصل الى منوف ، فوجدوه عدى الى الجهة الأخرى ، فأخذوا متروكاته التى تركها — وهى بعض خيول وجمال ، وخمسين زلعة سمن مسلى — وعملوا على أهل البلد أربعة آلاف ربال قبضوها منهم ورجعوا . وكان عندما بلغه الخبر الاجالى ... لم يكذب المخبر — وذلك بعد مفارقة الألفى له بنحو ثلاث ساعات — فعدى فى الحال الى الجهة الغربية بأثقاله وعساكره ، فوجد أمامه شاهين بيك فأرسل يطلب منه أمانا ، فأجابته الى ذلك . وأرسل الى مصر من يأتى بالأمان ، وأطمأن شاهين بيك . فارتحل سليمان كاشف ليلا .

فلما أصبح شاهين بيك وجده قد ارتحل ، فرجع بخفى حين ، وعدى الى القليوبية ، فبلغه خبر الألفى وما وقع له مع العرب فطلبهم ،

فأخبروه أنه غاب عنهم فى الجبل من الطريق الفلانى ، فقبض عليهم ، وأحضرهم صحبته مشنوقين فى عسائهم . ووجد المماليك ، فقبض عليهم وأرسلهم الى البرديسى . وأما مراكبه ، فانه عندما نزل الى القنجة وفارقها ، أدرکها العسكر الذين قابلوه فى المراكب ونهبوا مافيها ، وكان بها شئ كثير من الأموال وظرائف الانكليز ، والأمتعة والجوخ ، والأسلحة والجواهر . فانه لما وصل الى القرالى أكرمه اكراما كثيرا ، وأهدى اليه تحفا غريبة ، وكذلك آكابرهم ، وأعطاه جملة كافية من المال على سبيل الأمانة ، يرسل له بها غلالا وأشياء من مصر . واشترى هو لنفسه أشياء بأربعة آلاف كيس ، يدفعها الى القنصل بمصر ، وأرسل له بها القرالى بولصة ، وأهدى له صورة نفسه من جوهر ، ونظارات وآلات وغير ذلك .

وأما الألفى الصغير ، فانه ذهب الى جهة قبلى ، وفرد الفرد والكلف على البلاد ، ومن عصى عليه أو توانى فى دفع المطلوب ، نهبهم وحرقهم .

وأما صالح بيك الألفى ، فانه لما وصل اليه الخبر ، وفدوم الموجهين اليه ... رك فى الحال من زنكلون ، وترك حملته وأثقاله ، فلم يدركوه أيضا .

٩ منه (٢٠ فبراير ١٨٠٤ م) :

أحضروا ممالك الألفى الكبير وجوخداره الى بيت البرديسى وأرسل ابراهيم بيك والبرديسى مكاتبات الى الأمراء قبلى ، وهم : سليمان بيك الخازندار ، حاكم جرجا ، وعثمان بيك حسن بقنا ، ومحمد بيك ، المعروف بالغربية الابراهيمى ... يوصونهم ويحذرونهم من التفريط فى الألفى الصغير والكبير ان وردا عليهم .

وأما شاهين بيك ، فانه عدى الى الشرقية ، واجتهد فى التفتيش . ثم رجع فى يوم الثلاثاء المذكور وأمامه العرب المتهمون بأنهم يعرفون

« هذا الذى فعلتمناه لأجل نهب مال القرالى . ومطلوب منى أربعة آلاف كيس .. وهى البوليصه الموجهة على الألفى » وغير ذلك . فإطلاقه وأرادا منعه من السفر ، فقال : « لا يمكن أنى أقيم ببلدة هذا شأنها ، وطريقتنا .. لا تقيم الا فى البلدة المستقيمة الحال ا » . ثم نزل مغضبا وسافر ، وأراد أيضا قنصل الفرنسيس السفر فمنعاه .

وفيه : طلب العسكر جماعيتهم من الأمراء ، وشددوا فى الطلب ، واستقلوا الأمراء فى أعينهم ، وتكلموا مع محمد على واحمد بيك وصادق أغا كلاما كثيرا . فسعوا فى الكلام مع الأمراء المصرية ، فوعدهم الى يوم الثلاثاء . ومات بقطر المحاسب كاتب البردى يوم الأحد .

١٦ منه (٢٧ فبراير ١٨٠٤ م) :

اجتمع العسكر ببيت محمد على ، وحصل بعض قلقه ، فحولهم على القبط بمائتى ألف ريال منها : خمسون على غالى كاتب الألفى ، وثلاثون على تركة بقطر المحاسب ، والمائة والعشرون موزعة عليهم . فسكن الاضطراب قليلا . وفيه : رجع مرزوق بيك من القليوبية .

١٧ منه (٢٨ فبراير ١٨٠٤ م) :

توفى ابراهيم أفندى الروزنامجى . وفيه : حصلت رجات وقلقات بسبب العسكر وجماعيتهم ، وأرادوا أخذ القلعة فلم يتمكنوا من ذلك . وقتل الناس دكاكبتهم . وقتلوا رجلا نصرانيا عند حارة الروم ، وخطفوا بعض النساء وأمتعة وغير ذلك .

وركب محمد على ونادى بالأمان .

٢٠ منه (٢ مارس ١٨٠٤ م) :

حضر سليمان كاشف البواب بالأمان ، ودخل الى مصر .

طريقه ، وأنهم أدركوه ... فأعطاهم جوهر كثيرا وتركوه . وأحضروا صحبتهم حقا من خشب وجدوه مرميا فى بعض الطرق . فأحضر البرديسى ممالك الألفى وأراهم ذلك الحق ، فقالوا : « نعم .. كان مع أستاذنا ، وفى داخله جوهر ثمين » .

وأرسلوا عدة من الممالك والهجانة الى الطريق التى ذكرها العرب . وأحضر البرديسى ابن شديد وسأله ، فأخبره أنه لم يكن حاضرا فى نجعه وأن أمه أو خالته هى التى أعطته الفرس والهجانة ، فوبخه ولامه . فقال له : « هذه عادة العرب من قديم الزمان .. يجيرون طنيهم ، ولا يخفرون ذمتهم » . فحبسه أياما ثم أطلقه . وقيل انه مر عليه على بيك أيوب ومحمد على ومن معهم من العسكر ، وهو فى خيى العرب ، وهو يراهم . وأعماهم الله عن تفتيش النجع ، وعن السؤال أيضا ا

وفى ذلك اليوم : خرج عثمان بيك يوسف وحسين بيك الوالى وأحمد أغا شويكار الى جهة الشرقية ، ومرزوق بيك الى القليوبية ... يفتشون على الألفى .

وفيه : شرعوا فى تشهيل تجريدة الى الألفى الصغير . وأميرها شاهين بيك ، وصحبته محمد بيك المنفوخ ، وعمر بيك ، وابراهيم كاشف .

١٢ منه (٢٣ فبراير ١٨٠٤ م) :

سافرت قافلة الحج بالمحمل الى السويس .

١٣ منه (٢٤ فبراير ١٨٠٤ م) :

حضر على بيك أيوب ومحمد على من سرحتهما على غير طائل .

وفيه : سافر قنصل الانكليز من مصر بسبب هذه الحادثة . فانه لما وقع ذلك .. اجتمع بابراهيم بيك والبرديسى ، وتكلم معهما ، ولامهما على هذه القلعة ، وكلمهما كلاما كثيرا ... منه أنه قال لهما :

٢١ منه (٣ مارس ١٨٠٤ م) :

أفرجوا عن كشف الألفى المحبوسين .

وفيه : حضر عثمان بيك يوسف من ناحية الشرقية واستمر هناك حسين بيك الوالى ورستم بيك وذهب المنفوخ واسماعيل بيك الى ناحية شرق اطفيج ، لأنه أشيع أن الألفى ذهب عند عرب المعازة . فقبضوا على جماعة منهم وجسوهم ، وأرسلوا مائة هجان الى جميع النواحي ، وأعطوهم دراهم يفتشون على الألفى .

وفيه : شرعوا في عمل فردة على أهل البلد ، وتصدى لذلك المحروقي . وشرعوا في كتب قوائم لذلك ، ووزعوها على العقار والأمالك . أجرة سنة . شوم بدفع نصفها المستأجر ، والنصف الثانى يدفعه صاحب الملك .

٢٤ منه (٦ مارس ١٨٠٤ م) :

مرح كتاب الفردة والمهندسون ، ومع كل جماعة شخص من الأجناد، وطافوا بالأخطاط يكتبون قوائم الأملاك ، ويصقعون الأجر . فتزل بالناس ما لا يوصف من الكدر مع ما هم فيه من الغلاء ووقف الحال . وذلك خلاف ماقرروه على قرى الأرياف . فلما كان في عصر ذلك اليوم ، تطلعت أفواه الناس بقولهم : « الفردة بطالة .. » وباتوا على ذلك ، وهم ماين مصدق ومكذب !

٢٥ منه (٧ مارس ١٨٠٤ م) :

أشيع ابطال الفردة مع سعى الكتبة والمهندسين في التصقيع والكتابة ، وذهبوا الى نواحي باب الشمرية ، ودخلوا درب مصطفى . فضج الفقراء والعامة والنساء ، وخرجوا طوائف يصرخون ... وبأيديهم دفوف يضربون عليها ويثدبن وينعنن ، ويقلن كلاما على الأمراء ، مثل قولهم : « ايش تاخذ من تعليمي .. يا برديسى ! » ، وصبغن أيديهن

بالنيلة .. وغير ذلك . فاقنصدى بهن خلافتن ، وخرجوا أيضا ومعهم طبول وييارق ، وأغلقوا الدكاكين . وحضر الجمع الكثير الى الجامع الأزهر ، وذهبوا الى المشايخ ، فركبوا معهم الى الأمراء ، ورجعوا ينادون بإبطالها . وسر الناس بذلك ، وسكن اضطرابهم .

وفي وقت قيام العامة ، كان كثير من العسكر منتشرين في الأسواق . فداخلهم الخوف ، وصاروا يقولون لهم : « نحن معكم .. سوا .. سوا .. أتم رعية .. ونحن عسكر . ولم نرض بهذه الفردة . وعلوقاتنا على الميرى ، ليست عليكم .. أتم أناس فقراء ! » فلم يتعرض لهم أحد .

وحضر كتبخدا محمد على مرسولا من جهته الى الجامع الأزهر ، وقال مثل ذلك ، ونادى به في الأسواق ففرح الناس ، وانعرفت طباعهم عن الأمراء ، ومالوا الى العسكر . وكانت هذه الفعل من جملة الدسائس الشيطانية !

فان محمد على لما حرش العساكر على محمد باشا خسرو وأزال دولته ، وأوقع به ما تقدم ذكره ، بمعونة طاهر باشا والأرثوود ، ثم بالأتراك عليه ... حتى أوقع به أيضا . وظهر أمر أحمد باشا ، وعرف أنه ان تم له الأمر ، ونمسا أمر الأتراك .. لايقون عليه . فعاجله وأزاله بمعونة الأمراء المصرية . واستقر معهم حتى أوقع باشتراكهم قتل الدفتردار والكتبخدا . ثم محاربة محمد باشا بدمياط ، حتى أخذوه أسيرا . ثم التحيل على على باشا الطرابلسى حتى أوقعوه في فخهم وقتلوه ونهبوه .. كل ذلك وهو يظهر المصافاة والمصادقة للمصريين ، وخصوصا البرديسى ... فانه تأخى معه ، وجرح كل منهما نفسه ، ولحق من دم الآخر ! واغتر به البرديسى ، وراج سوقه عليه ، وصدقه وتعضد به ، واصطفاه دون خشداشيينه ، وتحصن بعساكره ، وأقامهم حوله في الأبراج ، وفعل بمعوتهم ما فعله بالألفى وأتباعه ،

٢٨ منه (١٠ مارس ١٨٠٤ م) :

علم الأرثوودية منهم ذلك ... فبادروا واجتمعوا بالأزبكية ، فارتاع الناس وأغلقوا الحوانيت والدروب . وذهب جمع من العسكر الى ابراهيم بيك ، واحتاطوا بهمات بيته بالدواذية ، وكذلك بيت البرديسي بالناصرية . وتفرقوا على بيوت باقى الأمراء والكشاف والأجناد .

وكان ذلك وقت العصر ، والبرديسي عنده عدة كبيرة من العسكر المختصين به ، ينفق عليهم ويدبر عليهم الأرزاق والجباكى والعلوفات ، ومنهم الطبية وغيرهم . وعمر قلعة الفرنسيس التى فوق تل العقارب بالناصرية ، وجدها بعد تخربها ، ووسعها ، وأنشأ بها أماكن ، وشحنها بالآلات الحرب والذخيرة والجبخانة . وقيد بها طبجية وعساكر من الأرثوودية .. وذلك خلاف المتقيدين بالأبراج والبوابات التى أنشأها قبالة بيته بالناصرية جهة قناطر السباع والجهة الأخرى كما سبق ذكر ذلك .

فلما علم بوصول العساكر حول دائرته — وكان جالسا صحبة عثمان بيك يوسف — فقام وقال له : « كن أنت فى مكانى هنا ، حتى أخرج وأرتب الأمر وأرجع اليك » . وتركه وركب الى خارج فضربوا عليه بالرصاص ، فخرج على وجهه بخاضته وهجنه ولوازمه الخفيفة ، وذهب الى ناحية مصر القديمة .. وذلك فى وقت الغروب .

وكان العسكر تقبوا قبا من الجنية التى خلف داره ودخلوا منه ، وحصلوا بالدار ، فوجدوه قد خرج بمن معه من المماليك والأجناد . فقاتلوا من وجدوه ، وأوقعوا النهب فى الدار ، وانضم اليهم أجناسهم المتقيدون بالدار ، وقبضوا على عثمان بيك يوسف ومماليكه ، وشملحوهم ثيابهم ، وسحبوهم بينهم عرايا مكشوفى الرؤوس . وتسلمهم طائفة منهم على تلك الصورة ، وذهبوا

وشردهم ، وقص جناحه بيده ، وشتت البواقى ، وفرقهم بالنواحي فى طلبهم . فعند ذلك استقلوهم فى أعينهم ، وزالت هيبته من قلوبهم ، وعلموا خيانتهم ، وسفها رأيتهم ، واستضعفوا جانبهم ، وشمخوا عليهم ، وفتحوا باب الشر بطلب العلوفة... مع الاحجام — خوفا من قيام أهل البلد معهم ، ولعلمهم بميلهم الباطنى اليهم . فأضطروهم الى عمل هذه الفردة ، ونسب فعلها للبرديسي ... فثارت العامة ، وحصل ما حصل وعند ذلك تبرأ محمد على والعسكر من ذلك ، وساعدوهم فى رفعها عنهم . فمالت قلوبهم اليهم ، ونسوا قبائحهم ، وابتهلوا الى الله فى ازالة الأمراء ، وكرهوهم ، وجهروا بالدعاء عليهم . وتحقق العسكر منهم ذلك ..

وانحرف الأمراء على الرعية باطنا ... بل أظهر البرديسي النيط والانحراف من أهل مصر . وخرج من بيته مغضبا الى جهة مصر القديمة ، وهو يلعن أهل مصر ويقول : « لا بد من تقريرها عليهم ثلاث سنوات . وأفعل بهم وأفعل ... حيث لم يستلوا الأوامرنا ! » . ثم أخذوا يديرون على العسكر ، وأرسلوا الى جماعتهم المتفرقين فى الجهات القبلى والبحرية يطلبونهم للحضور .

فأرسلوا الى حسين بيك الوالى ورستم بيك من الشرقية ، واسماعيل بيك صهر ابراهيم بيك ومحمد بيك المنفوخ ... ليأتيا من شرق أطميح . والفرقان كانوا لرصد الألفى واقتطاره .

وأرسلوا الى سليمان بيك حاكم الصعيد بالحضور من أسيوط بمن حوله من الكشاف والأمراء . والى يحيى بيك حاكم رشيد ، وأحمد بيك حاكم دمياط . وأصعدوا محمد باشا المحبوس الى القلعة .

بهم الى جهة الصليية ، فأودعهم بدار هناك .

وفى سابع ساعة من الليل ، أرسل محمد على جماعة من العسكر ومعهم فرمان وصل من أحمد باشا خورشيد حاكم الاسكندرية بولايته على مصر . فذهبوا به الى القاضى ، وأطلعوه عليه ، وأمره أن يجمع المشايخ فى الصباح ويقرأ عليهم ليحيط علم الناس بذلك .

فلما أصبح ، أرسل اليهم فقالوا : « لاتصح الجمعية فى مثل هذا اليوم ... مع قيام الفتنة » . فأرسله اليهم واطلعوا عليه . وأشيع ذلك بين الناس .

وأما ابراهيم بيك ، فانه استمر مقيما ببيته بالداودية ، وأمر ممالিকে وأتباعه أن يجلسوا بربوس الطرق الموصلة اليه . فجلس منهم جماعة — وفيهم عمر بيك تابعه — بسبيل الدهيشة المقابل لباب زويلة ، وكذلك ناحية تحت الربع والقريبة وجهة سوقة لاجين والداودية . وصار العسكر يضربون عليهم وهم كذلك ، ودخل عليهم الليل . فلم يزالوا على ذلك الى الصباح ، واضمحل حالهم ، وقتل الكثير من الممالك والأجناد ، ووصل اليهم خبر خروج البرديسى . فعند ذلك طلبوا الفرار والنجاة بأرواحهم .

وعلم ابراهيم بيك بخروج البرديسى ، وأنه ان استمر على حاله أخذ . فركب فى جماعته فى ثانى ساعة من النهار ، وخرجوا على وجوههم ... والرصاص يأخذهم من كل ناحية . فلم يزل سائرا حتى خرج الى الرميلى ، وهدم فى طريقه أربعة متاريس ، وأصيب بعض مماليكه وخيول وخدامين ، وأصيب رضوان كتخداه وطلعت روحه عند الرميلى ، فأنزله عند باب العزب ، وأخذوا مآمه من جيوبه ، ثم شالوه الى داره ودفنوه .

وقبضوا على عمر بيك تابع الأشقر الابراهيمى

من سبيل الدهيشة هو ومماليكه . وأما الذين بالقلعة من الأمراء فانهم أصبحوا يضربون بالمدافع والقناير على ييوت الأرثوود بالأزبكية الى الضحوة الكبرى .

فلما تحققوا خروج ابراهيم بيك والبرديسى ومن أمكنه الهروب ... لم يسمعهم الا أنهم أبطلوا الرمى ، ونهأوا للفرار ، ونزلوا من باب الجبل ، ولحقوا بابراهيم بيك . وعند نزولهم أرادوا أخذ محمد باشا وعلى باشا القبطان وابراهيم بيك ، فقام عليهم عسكر المغاربة ومنعهم من أخذهم . ونهب المغاربة الضربخانة وما فيها من الذهب والفضة والسبائك .. حتى العدد والمطارق .

ونسلم العسكر القلعة من غير مانع ، ولم تثبت المصرية للحرب نصف يوم فى القلعة ، ولم ينفع اهتمامهم بها طول السنة من التعمير والاستعداد ، وما شحنوه بها من الذخيرة والجخانة وآلات الحرب ، وملأوا ما بها من الصهاريج بالماء الحلو . وقام أحمد بيك الكلارجى وعبد الرحمن بيك الابراهيمى وسليم أغا مستحفظان من وقت مجيئهم الى مصر متقيدين ومرتبطين بها ليلا ونهارا ... لا ينزلون الى ييوتهم الا ليلة فى الجمعة بالنوبة ، اذا نزل أحدهم أقام الآخران .

وطلع محمد على اليها ، ونزل وبجانبه محمد باشا خسرو ورفقاؤه ، وأمامهم المنادى ينادى بالأمان ... حكم مارسم محمد باشا ومحمد على . وأشيع فى الناس رجوع محمد باشا الى ولاية مصر ، فبادر المحروقى الى المشايخ ، فركبوا الى بيت محمد على يهنئون الباشا بالسلامة والولاية . وقدم له المحروقى هدبة . وأقام على ذلك بقية يوم الاثنين ويوم الثلاثاء .

فكان مدة حبسه ثمانية أشهر كاملة . فانه حضر الى مصر بعد كسرتة بدمياط فى آخر ربيع .



محمد علی

الأول ، وهو آخر يوم منه ، وأطلق في آخر يوم من ذى القعدة .

وخرج الأمراء على أسوأ حال من مصر ، ولم يأخذوا شيئا مما جمعوه وكنزوه من المال وغيره ... إلا ما كان في جيوبهم ، أو كان منهم خارج البلد ، مثل سليم كاشف أبي دياب ، فانه كان مقيما بقصر العينى ، أو الغائبين منهم جهة قبلى وبحرى ، وأما من كان داخل البلد فانه لم يخلص له سوى ما كان في جيبه فقط .

ونهب العسكر أموالهم ويوتهم وذخائرهم وأمتعتهم وفرشهم ، وسبوا حريمهم وسرايرهم وجواريرهم ، وسحبوه من بينهم من شعورهن ، وتسلطوا على بعض يسنوت الأعيان من الناس المجاورين لهم ، ومن لهم بهم أدنى نسبة أو شبهة ، بل وبعض الرعية ... إلا من تداركه الله برحمته ، أو التجأ الى بعض منهم ، أو صالح على يته بدراهم يدفعها لمن التجأ اليه منهم !

ووقع في تلك الليلة واليومين بعدها ما لا يوصف من تلك الأمور ، وخربوا أكثر البيوت ، وأخذوا أخشابها ، ونهبوا ما كان بحواصلهم من الغلال والسن والأدهان ، وكان شيئا كثيرا ، وصاروا يبيعونه على من يشتريه من الناس . ولولا اشتغالهم بذلك لما نجا من الأمراء المصرليين الذين كانوا بالبلدة أحد . ولو رجع الأمراء عليهم ، وهم مشتعلون بالنهب ، لتكنوا منهم ، ولكن غلب عليهم الخوف والحرص على الحياة والجبن ، وخابت فيهم الظنون ، وذهبت نفختهم في الفارغ ، وجازاهم الله ببغيهم وظلمهم وغرورهم . وخصوصا ما فعلوه مع على باشا من الحيل حتى وقع في أيديهم ، ثم رذلوه وأهانوه وقتلوا عسكره ونهبوا أمواله ، ثم طردوه وقتلوه . فانه ، وإن كان خبيثا ، لم يغفل معهم ما يستحق ذلك كله . وأعظم منه ما فعلوه مع

أخيهم الألفى الكبير بعدما سافر لحاجتهم وراحتهم . وصالح عليهم ، ورتب لهم مافيه راحتهم وراحة الدولة معهم بواسطة الانكليز ، وغاب في البحر المحيط سنة ، وقاسى هول الأسفار ، والفراطين في البحار ... فجازوه بالتشريد والتشتيت والنهب ، وقتل أتباعه وجسهم وبلصهم ، واتخذوهم أعداء وأخصاما من غير جرم ولا سابقة عداوة معهم ... إلا الحسد والحقد ، وحذرا من رياسته عليهم . وكانت هذه الفعلة سببا لنفور قلوب العسكر منهم ، واعتقادهم خيانتهم وقتلهم في أعينهم .

فإن الألفى وأتباعه كانوا مقدار النصف منهم ، ونصف النصف متفرق في الأقاليم ، مغمورون في غفلتهم ، ومشتغلون بما هم فيه من مغارم الفلاحين وطلب الكلف . فلما أرسلوا لهم بالحضور ، لم يسهل بهم ترك ذلك ، ولم يستعجلوا الحركة حتى يستوفوا مطلوباتهم من القرى ... الى أن حصل ما حصل ، ونزل بهم ما نزل . ولم يقع لهم منذ ظهورهم أشنع من هذه الحادثة ، وخصوصا كونها على يد هؤلاء ، وكانوا يرون في أنفسهم أن الشخص منهم يدوس برجله الجماعة من العسكر وأحسنوا ظنهم فيهم ، واعتقدوا انهم صاروا أتباعهم وجندهم ... مع أنهم كانوا قادرين على ازالتهم من الاقليم ، وخصوصا عندما خرجوا من المدينة لملاقاة على باشا ، وأخرجوا جميع العسكر وحازوهم الى جهة البحر ، وحصنوا أبواب البلد بمن يشقون به من أجنادهم ، ورسوموا لهم رسوما امتثلوها . فلو أرسلوا لهم بعد ايقاعهم بعلى باشا أقل أتباعهم وأمروهم بالرحلة لما وسعتهم المخالفة ، حتى ظن كثير ممن له أدنى فطنة حصول ذلك ... فكان الأمر بخلاف ذلك ، ودخلوا بعد ذلك ، وهم بصحبتهم ، ضاحكين من غفلة القوم ، ومستبشرين برجعهم ودخولهم الى المدينة ثانيا .

وعند ذلك تحقق لذوى الفطن سوء رأيهم وعدم فلاحهم .

بولاق ، وسفروهما الى بحرى ومعها جماعة من العسكر .

وزادوا فى الطنبور نغمه بما صنعوه مع الألفى ... وكان العسكر يهابون جانبه ، ويخافون أتباعه ويخشونهم . وخصوصا لما سمعوا بوصوله على الهيئة المجهولة لهم ... داخلهم من ذلك أمر عظيم استمر فى أخلاطهم يوما وليلة الى أن جلده الرديسى ومن معه بشموم رأيهم وفساد تدبيرهم ، وفرقوا جمعهم فى النواحي حرصا على قتل الألفى وأتباعه .

فبعد ذلك ، زالت هيئتهم من قلوب العسكر وأوقعوا بهم ما أوقعوه ... ولا يحيق المكر السيئ الا بأهله !

ذوا الحجة

الثلاثاء غرته (١٣ مارس ١٨٠٤ م) :

قلدوا على أغا الشعراوى واليا على مصر .

وفيه : نهبوا بيت محمد أغا المحتسب ،

وقضوا عليه وجسوه .

الأربعاء ٢ منه (١٤ مارس ١٨٠٤ م) :

أنزلوا محمد باشا خسرو وإبراهيم باشا الى

وكانت ولايته — هذه الولاية الكذابة —

شبيبة بولاية أحمد باشا الذى تولى بعد قتل طاهر باشا يوما ونصفا . وكان قد اعتقد فى نفسه رجوعه لولاية مصر ، حتى أنه لما نزل من القلعة الى بيت محمد على ، نظر الى بيته من الشباك مهودا متخربا ، فطلب فى ذلك الوقت المهندسين وأمرهم بالبناء ، وذلك من وساوسه . ويقال ان السبب فى سفره اخوة طاهر باشا ، فانهم داخلهم غيظ شديد . ورأى محمد على نفرتهم واقباضهم من ذلك ، وعلم أنه لا يستقيم حاله معهم ، وربما تولد بذلك شر ... فعجل بسفره وذهابه .

ومن الاتفاقات العجيبة أيضا ، أن طاهر باشا لما غدر بمحمد باشا ، أقام بعده اثنين وعشرين يوما ، وكذلك لما غدر المصرية بالألفى ، لم يقوموا بعد ذلك الا مثل ذلك .

وفيه : صعد عابدى بيك أخو طاهر باشا بالقلعة ، وأقام بها .

الخميس ٣ منه (١٥ مارس ١٨٠٤ م) :

أطلقوا عثمان بيك يوسف ، وسافر الى جماعته



جانب من بيوت بعض الأعيان ... فى القاهرة

الاثنين ٧ منه (١٩ مارس ١٨٠٤ م) :

ظهر محمد بيك الألفى الكبير من اختفائه ... وكان متواريا بشرقية بليس برأس الوادى عند شخص من العربان يسمى عشية . فأقام عنده مدة هذه الأيام ، وخلص اليه صالح تابعه بما معه من المال . وكان البرديسى استدل على مكانه ، وأحضر أناسا من العرب ، وجعل لهم مالا كثيرا عليه ، وأخذوا فى التحيل عليه ... فحصلت هذه الحوادث وجوزى البرديسى بنيته ، وخرج من مصر كما ذكر . وكانوا فى تلك المدة شيعون عليه اشاعات : مرة بموته ، ومرة بالقبض عليه ، وغير ذلك .

فلما حصل ما حصل ، وانجلت الطرق من المراصدين ... اطمأن حينئذ ، وركب فى عدة من الهجانة ، وصحبته صالح بيك تابعه ، ومروا من خلف الجبل ، وذهب الى شرق أطيح ، ونزل عند عرب المعازة ، وتواتر الخبر بذلك .

الاربعاء ٩ منه (٢١ مارس ١٨٠٤ م) :

وصل أحمد باشا خورشيد الى منوف ، فتقيد السيد أحمد المحرقى وجرجس الجوهري بتصليح بيت ابراهيم بيك بالدواية وفرشه .

الاثنين ١٤ منه (٢٦ مارس ١٨٠٤ م) :

وصل الباشا الى ثغر بولاق ، فضربوا شنكا ومدافع . وخرج العساكر فى صباحها والوجاقلية ، وركب ودخل من باب النصر ، وأمامه كبار العساكر يزنتهم ، ولم يلبس الشعار القديم .. بل ركب بالتخفية ، وعليه قبوط مجرور ، وخلفه النسوبة التركية ، ودخل الى الدار التى أعدت له بالدواية . وقدموا له التقادم ، وعملوا بها تلك الليلة شنكا وسوارىخ .

الثلاثاء ١٥ منه (٢٧ مارس ١٨٠٤ م) :

مر الوالى وأمامه المنادى ، ويسده فرمان من

جهه بلى . ويقال انه اقتدى نفسه منهم بمال ، وأطلقوه ومعه خمسة مناليك ، وأعطوه خمسة جمال وأربعة هجن وخيلا .

وفيه : أفرجوا عن محمد آغا المحتسب وأبقوه فى الحسبة على مصلحة عملوها عليه . وقام بدفعها ، وركب وشق فى المدينة ، وعمل تسعيرة : ونادى بها فى الشوارع والأسواق .

وأما الأمراء ، فانهم باتوا أول ليلة جهة البساتين . وفى ثاني يوم ، ذهبوا الى حلوان . وحضر اليهم حسين بيك الوالى ورستم بيك من الشرقية . ومروا من تحت القلعة ، وانفصلوا من العسكر الذين كانوا معهم فى المطرية ، وتركوا لهم الحملة . ووصل اليهم أيضا يحيى بيك من ناحية رشيد ، وأحمد بيك من دمياط ، وذهبوا اليهم . ووصل يحيى بيك من ناحية الجيزة ، وأحضر معه عربانا كثيرة من الهنادى وبنى على وغيرهم ، ونزلوا باقليم الجيزة ، ونهبوا البلاد ، وأكلوا للزروعات ، واستمروا على ذلك ، وانتشروا الى أن صارت أوائلهم يزاولية المصنوب وأواخرهم بالجيزة .

وفيه : كتبوا مكاتبات من نساء الأمراء المصرية بأنهم لا تعرضون لأحد من العساكر الكائنة بقبلى ، وإن قتل منهم أحد ... اقتصوا من حرمهم وأولادهم ببصر .

الجمعة ٤ منه (١٦ مارس ١٨٠٤ م) :

حضر محمد بيك المبدول بأمان ودخل الى مصر .

الأحد ٦ منه (١٨ مارس ١٨٠٤ م) :

أصعدوا عمر بيك ، وبقية الكشاف ، وبعض الأجناد المصرية ... الى القلعة .

وفيه : عدى كثير من العسكر الى بر الجيزة ، ووقع بينهم وبين العرب بعض مناوشات ، وقتل أناس كثيرة من الفريقين .

الباشا ، يتادى به على الرعية بالأمن والأمان والبيع والشراء .

وفيه : حضر عبد الرحمن بيك اليراهيمي ، وكان في بشيش بناحية بحرى ، فطلب أمانا وحضر الى مصر .

الجمعة ١٨ منه (٣٠ مارس ١٨٠٤ م) :

تصول الباشا من الداودية الى الأربكية ، وسكن بيت البكرى ، حيث كان حريم محمد باشا ، فركب قبل الظهر في موكب وذهب الى المشهد الحسينى ، وصلى الجمعة هناك ، ورجع الى الأربكية .

وفيه : فتحوا طلب مال الميرى من السنة القابلة لضرورة النفقة . فاغتم الملتزمون لذلك ... لضيق الحال ، وتعطل الأسباب ، وعدم الأمن ، وتوالى طلب الفرد من البلاد ، فلو فضل للملتزم شئ .. لا يصل اليه الا بقاية المشقة وركوب الضرر ، لو ثوب الخلاق من العزبان والفلاحين والأجناد والعساكر على بعضهم البعض ، من جميع النواحي القبلية والبحرية . ثم ان الوجاقلية وبعض المشايخ راجعوا في ذلك . فانحط الأمر بعد ذلك على طلب نصف مال الميرى من سنة تسعة عشر ، وبواقى سنة سبعة عشر وثمانية عشر ، وكذلك باقى الحلوان الذى تأخر على المفلسين . وكتبوا التنايه بذلك ، وقالوا : « من لم يقدر على الدفع .. فليعرض تقسيطه على المزداد » . هذا والأجناد والعرب محيطة ببر الجيزة ، والعسكر من داخل الأسوار لا يجسرون على الخروج اليهم .

وحجزوا المراكب الواردة بالغالل وغيرها ، حتى لم يبق بالسواحل شئ من تلك الغلة أبدا . ووصل سعر الأردب القمح — ان وجد — خمسة عشر ريالا .

الأحد ٢٠ منه (اول ابريل ١٨٠٤ م) :

وصل العسكر الذين كانوا صحبة سليمان بيك حاكم الصعيد ، فدخلوا الى البلدة ، وأزعجوا كثيرا من الناس ، وسكنوا البيوت بصر القديمة بعدما أخرجوهم منها ، وأخذوا فرشهم ومتاعهم .. وكذلك فعلوا بيولاقي ومصر عندما حضر الذين كانوا يبحرى .

وفيه : قلدوا الحسبة لشخص عثمانلى من طرف الباشا ، وعزلوا محمد أغا المحتسب . وكذلك عزلوا على أغا الشبراوى ، وقلدوا الزعامة لشخص آخر من أتباء الباشا ، وقلدوا آخر أغات مستحفظان .

الثلاثاء ٢٢ منه (٣ ابريل ١٨٠٤ م) :

خرجت عساكر كثيرة وعدت الى البحر الغربى . وولعت في صبح حروب بينهم وبين المصرية والعربان . وكذلك في ثانى يوم ، ودخلت عساكر جرحى كثيرة ، وعملوا لهم متاريس عند ترسة والمعتمدية وترسوا بها . والمصرية والعربان يرمحون من خارج ، وهم لا يخرجون اليهم من المتاريس . واستمروا على ذلك الى يوم الأحد ٢٧ منه (٨ أبريل) .

وفي ذلك اليوم : ضربوا مدافع ورجع محمد على والكثير من العساكر . وأشيع ترفع المصرية الى فوق ، ووقع بين العربان اختلاف ، وأشاعوا نصرتهم على المصرية ، وأنهم قتلوا منهم أمراء وكشافا ومساك وغير ذلك .

وفي ذلك اليوم : شنقوا شخصا بباب زويلة وآخر بالجباية ، وهما من الفلاحين ، ولم يكن لهما ذنب . قيل انه وجد معهما بارود اشترياه لمنع الصائلين عليهم من العرب . فقالوا : افكم تأخذونه الى المحاربين لنا . وكان شيئا قليلا .

وفيه : نزل جماعة من العسكر جهة قبة الغورى ، ومعهم نحو ثلاثين نفرا بجبالهم ، فقرطوا القمح المزروع — وكان قد بدا صلاحه — فطارت عقول

واشتري دارا واسعة في سوق الزلط بحارة
المقس خارج باب الشمرية ، وتجمل بالملابس ،
وركب البغال ، وصار له أتباع وخدم .
ومرعت الناس والعامة والخاصة في دعاويهم
وقضاياهم وشكاويهم .. إليه .

وتقلد نيابة القضاء لبعض قضاة العساكر
أشهرًا . ولما حضرت فرنساوية الى مصر ،
وهرب القاضي الرومي بصحبة كتحدا الباشا
— كما تقدم — تعيين المترجم للقضاء بالمحكمة
الكبيرة ، وألبسه كلهر ساري عسكر فرنساوية
خلعة مشنة ، وركب بصحبة قائمقام في موكب الى
المحكمة ، وفوضوا اليه أمر النواب بالأقاليم .

ولما قتل كلهر ، انحرف عليه فرنساوية ،
لكون القاتل ظهر من رواق الشوام ... وعزلوه .
ثم تبينت براءته من ذلك ... الى أن رتبوا الدبوان
في آخر مدتهم . ورسم عبد الله جاك منو باختيار
قاض بالقرعة ، فلم تقم الا على المترجم ، فتولاها
أيضا . وخلصوا عليه ، وركب مثل الأول الى
المحكمة ، واستمر بها الى أن حضرت العثمانيون
وقاضيههم ، فانفصل عن ذلك ولازم بيته ، مع مخالطة
فصل الخصومات والحكومات والافتاء .

ثم قصد الحج في هذه السنة ، فخرج مع
الركب ، وتمرض في حال رجوعه ، وتوفي ودفن
بنيط .. رحمه الله .

ومات الشيخ الامام ، العمدة الفقيه ، الصالح
المحقق ، الشيخ على المعروف بالحياط الشافعي
حضر أشياخ الوقت ، وتفقه على الشيخ عيسى
البراوي ولازم دروسه وبه تخرج ، واشتهر بالعلم
والصلاح ، وأقرأ الدروس الفقهية والمقبولة ،
وانتفع به الطلبة ، وانقطع للعلم والافتاء .
ولما وردت ولاية جدة لمحمد باشا توسون ،
طلب انسانا معروفا بالعلم والصلاح ، فذكر له

الفلاحين ، واجتمعوا وتكاثروا عليهم ، وقبضوا
على ثلاثة أشخاص منهم ، وهرب الباقيون . فدخلوا
بهم المدينة ، ومعهم الأحمال وصحبته طبل وأطفال
ونساء ، وذهبوا تحت بيت الباشا . فأمر بقتل
شخص منهم ... لأنه شامي وليس بأرتوودي ولا
انكشاري ! فقتلوه بالأربكية ، فوجدوا على
وسطه ستمائة بندقي ذهب وثلثمائة محبوب ذهب ..
والله أعلم .

واقضت السنة وما حصل بها من الحوادث .

وأما من مات فيها ممن له ذكر ...
فمات الفقيه العلامة ، والنخري الفهامة ،
الشيخ أحمد اللحام اليوسى ، المعروف بالعرشى
الحنفى . حضر من بلدته خان يونس في سنة ثمان
وسبعين ومائة وألف ، وحضر أشياخ الوقت ، وأكب
على حضور الدروس ، وأخذ المقول على مثيل
الشيخ أحمد البيلى ، والشيخ محمد الجناجى
والصبان والفرماوى وغيرهم .

وتفقه على الشيخ عبد الرحمن العرشى ولازمه
وبه تخرج ، وحضر على الشيخ الوالد في الدر
المختار ، من أول كتاب البيوع الى كتاب الاجارة
بقراءته ... وذلك سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف .
ولم يزل ملازما للشيخ عبد الرحمن ملازمة كلية ،
وسافر صحبته الى اسلامبول في سنة تسعين لبعض
المقتضيات . وقرأ هناك الشفاء والحكم بقراءة
المترجم ، وعاد صحبته الى مصر . ولم يزل ملازما
له حتى حصل للعرشى ما حصل ، ودنت وفاته .
فأوصى اليه بجميع كتبه ، واستنقر عوضه في
مشيخة رواق الشوام ، وقرأ الدروس في محله .
وكان فصيحًا مستحضرًا ، متضلعا من المعقولات
والمقولات ، وقصدته الناس في الافتاء ، واعتمدوا
أجوبته .

وتداخل في القضايا والدعاوى ، واشتهر ذكره .

الحنان ... قلبه ، مع نحافة جسمه ، أعظم من جبل لبنان : لا يهاب كثرة الجنود ، وتخشى سطونه الأسود .

ولا أجمعوا على خيانة الألفى وأتباعه ، قال لهم ابراهيم بيك الكبير — على ما بلغنا — لا يتيم مرامكم بدون البداة بالترجم . فان امكنكم ذلك .. والا فلا تفعلوا شيئا . فلم يزالوا يدهرون عليه ، ويتملقون له ، ويظهرون له خلاف ما يظنون حتى تمكنوا من غدره على الصورة المتقدمة .

وسبب تلقبه بالوشاش ، أنه كان طلع للملاقة الحجاج بمنزلة « الوش » في سنة ورود الفرنساوية . فلما لاقى الحجاج ، وأمير الحج صالح بيك ، رجع صحبتهم الى الشام ، وحصل منه بعد ذلك المواقف الهائلة مع الفرنساوية ، مع أستاذه ومنفردا ، في الجهات القبيلة والشامية .

ولما انجلت الحوادث ، وارتحلت الفرنساوية من الديار المصرية ، واستقرت المصريون — بعد حوادث العثمانية — تأمر المترجم في ستة عشر صنجا المتأمرين ، وظهر شأنه ، واشتهر ذكره فيما بينهم ، ونفذت أوامره فيهم ، ونقص عليهم ، وناكدهم وعاندهم ، وغار على ما بأيديهم ... حتى ثقلت وطأته عليهم .

فلم يزالوا يحتالون عليه ، حتى أوقعوه في حبال صيدهم ، وهو لا يخطر بباله خيانتهم ، وعُدروه بينهم كما ذكر .

ومات الأمير رضوان ، كتحدا ابراهيم بيك ، وهو أغنى ممالكه ... رباه وأعتقه ، وجعله جوخداره .

وكان يعرف أولا برضوان الجوخدار ، واستمر في الجوخدارية مدة طويلة .

ولما رجع مع أستاذه — في أواخر سنة خمس

الشيخ المترجم ، فدعاه اليه وأكرمه وواماه وأحبه ، وأخذته صحبتته الى الحجاز ، وتوفي هناك .. رحمه الله .

ومات الرئيس المبجل المذهب ، صاحبنا محمد أفندي باش جاجرت الروزنامة . وأصله تربية محمد أفندي كاتب كبير النكجيرية ، وتمهر في صناعة الكتابة وقوانين الروزنامة .

وكان لطيف الطبع ، سليم الصدر ، محبوبا للناس ، مشهورا بالذوق وحسن الأخلاق ، مهذبا في نفسه متواضعا ... يسعى في حوائج اخوانه ، وقضاء مصالحهم المتعلقة بدفاترهم ، قائما بحاله ، مترفها في مأكله وملبسه .

واقتنى كتباً نفيسة ومصاحف . وتجتمع بيته الأحباب ، ويدير عليهم سلاف أنسه المستطاب ... مع الحشمة والوقار ، وعدم الملل والنظار .

ولما اختلفت الأحوال ، وترادفت الفتن ... ضاق صدره من ذلك ، واستتوحش من مصر وأحوالها . فقصد الهجرة بأهله وعياله الى الحرمين ، وعزم على الإقامة هناك .

فلما حصل هناك ، رأى فيها الاختلاف والخلل كذلك ، بسبب ظلم الشرف غالب وأتباعه ، واغارة الوهابيين على الحرمين ، وفتن العربان . فلم يستحسن الإقامة هناك ، واشتاق لوطنه ، فعزم على العود الى مصر ، فمرض بالطريق ، وتوفي ودفن بالينبع .. رحمه الله .

ومات الأمير حسين بك ، الذي عرف بالوشاش ، وهو من ممالك محمد بيك الألفى ، وكان يعرف أولا بكاشف الشرقية ، لأنه كان تولى كشفيتها . وكان صعب المراس ، شديد البأس ، قوى

وكفنوه ودفنوه بالقرافة .. سامحه الله ، فانه كان من خيار جنسه ... لولا طمع فيه !

ولقد بلوته سفرا وحضرا ، يافعا وكهلا ... فلم أر ما يشينه في دينه : عفوقا ، طاهر الذيل ، وقورا محتشما ، فصيح اللسان ، حسن الرأي ، قليل الفضول ، جيد النظر .

ومات الأجل العمدة ، الشريف السيد ابراهيم أفندى الروزنامجى . وهو ابن أخى السيد محمد الكماحى الروزنامجى ، المتوفى سنة سبع ومائتين وألف .. وأصلهم روميون الجنس .

وكان فى الأصل جريجيا ، ثم عمل كاتب كشيدة وكان يسكن دارا صغيرة بجوار دار عمه ، واستمر على ذلك خامل الذكر .

فلما توفى عمه السيد محمد ، انتبذ عثمان أفندى العباسى المنفصل عن الروزنامة سابقا ، يريد العود اليها عن شوق وتطلع لها ، وظنه شعور المنصب عن المتأهل اليه سواء . فلم تساعد الأقدار لشدة مراسه .

وسأل ابراهيم بيك عن شخص من أهل بيت المتوفى ، فذكر له السيد ابراهيم المرقوم وخموله ، وعدم تحمله لأعباء ذلك المنصب ، فقال : « لا بد من ذلك : قطعاً لطمع المتطلعين » . والتزم بمراعته ومساعدته ، وطلبه ونقله من حضيض الخمول الى أوج السعادة والقبول .

فتقلد ذلك ، وساس الأمور بالرفق والسير الحسن ، واشترى دارا عظيمة بדרך الأغوات وسكنها . واستمر على ذلك الى أن ورد الفرنساوية الى مصر ، فخرج مع من خرج هاربا الى الشام . ثم رجع مع من رجع ، ولم يزل حتى تمرض وتوفى فى يوم الأربعاء سادس عشرة القعدة من السنة . رحمه الله تعالى .

ومائتين وألف ، بعد موت اسماعيل بيك وأتباعه — الى مصر ، أرخى لحيته ، وتقلد كتخدائية أستاذه ، وتزوج ببعض سراريه ، وسكن دار عابدى بيك بناحية سوق العزى ، ثم انتقل منها الى دار ملكه على بركة الفيل تجاه بيت شكر فره ... وعمرها .

وصارت له وجهة بين الأمراء والأعيان ، وباشر فصل الخصومات والندوى . وازدحم الناس بيته ، واشتهر ذكره ، وعظم شأنه ، وقصدته أرباب الحاجات ... وأخذ الرشوات والجمالات ! وكان يقرأ ويكتب ، ويناقش ويحاجج ، ويعاشر الفقهاء ، ويباحثهم ، ويميل بطبعه اليهم ، ويحب مجالستهم ولا يمل منهم .

وعنده حلم وسعة صدر وتؤدة وتأن فى الأمور . وإذا ظهر له الحق لا يعدل عنه ، وعنده مداهنة وقوة حزم .

ولما حضر على باشا الطرابلسى — على الصورة المتقدمة — كان المترجم هو المتعين فى الإرسال اليه . فلم يزل يتحيل عليه حتى انخدع له ، وأدخل رأسه الجراب ، وصدق تمويهاته ، وحضر به الى مصر ، وأوردوه بعد الموارد . وحاز بذلك منقبة بين أقرانه . ونوه بعد بشأنه ، وخلصوا عليه الخلع ، وعرضوا عليه الامارة ... فأبأها ، واستمر على حالته معدودا فى أرباب الرياسة ، وتأتى الأمراء الى داره .

ولم يزل حتى ثارت العسكر على من بالبلدة من الأمراء ، وحصروا ابراهيم بيك بيته ، وخرج فى ثانى يوم هاربا والمترجم خلفه ، والرصاص يأخذهم من كل ناحية . فأصيب فى دماغه ، فمال عن جواده واستند على الخدم ، وذلك جهة الدرب الأحمر . فلم يزل فى غشوته حتى خرجت روحه بالرميلة . فأنزلوه عند باب العزب ، واحتاط به المتقيدون بالسباب ، وأخذوا ما فى جيوبه . ثم أحضروا له تابوتا وحملوه فيه الى داره ، ففصلوه

الجمعة ٢ منه (١٤ ابريل ١٨٠٤ م) :

سافر السيد على القبطان الى جهة رشيد ،
وخرج بصحبته جماعة كثيرة من العساكر الذين
غنموا الأموال من النهوبات ، فاشترى بضائع
وأسبابا ومتاجر ونزلوا بها صحبتهم ، وتبعهم غيرهم
من الذين يريدون الخلاص والخروج من مصر .

فركب محمد على الى وداع السيد على المذكور ،
ورد كثيرا من العساكر المذكورة ، ومنعهم عن
السفر .

الثلاثاء ٦ منه (١٨ ابريل ١٨٠٤ م) :

خرج محمد على وآكابر العسكر بعساكرهم ،
وعدوا الى بر انبابة ، ووصلوا ونصوا وطاقهم ،
وعملوا لهم عدة متاريس ، وركبوا عليها المدافع
واستعدوا للحرب .

الاحد ١١ منه (٢٣ ابريل ١٨٠٤ م) :

كبس الماليك والعربان — وقت الغلس —
على متاريس العسكر ، وحملوا على متراس حملة
واحدة ، فقتلوا منهم وهرب من بقى ، وألقوا
بأنفسهم في البحر . فاستعد من كان بالمتاريس
الأخر ، وتابعوا رمى المدافع ، وخرجوا للحرب .
ووقع بينهم مقتلة عظيمة أبلى فيها الفريقان نحو
أربع ساعات ، ثم انجلت الحرب بينهم ، وترفع
المصرية والعربان ، وانكفوا عن بعضهم .

وفي وقت الظهر ، أرسلوا سبعة رهوس من
الذين قتلوا من المصرية في المعركة ، وشقوا بهم
المدينة ثم علقوهم بباب زويلة . وفيهم رأس حسين

المجتم

الخميس غرته (١٣ ابريل ١٨٠٤ م) :

ركب الوالى العثملى ، وشق من وسط المدينة ،
فمر على سوق الغورية ، فأنزل شخصا من أبناء
التجار المحتشمين — وكان يتلو في القرآن — فأمر
الأعوان فسحبوه من حانوته وبطحوه على الأرض ،
وضربوه عدة عصي من غير جرم ولا ذنب وقع منه .
ثم تركه وسار الى الأشرية ، فأنزل شخصا من
حانوته وفعل به مثل ذلك . فانزعج أهل الأسواق ،
وأغلقوا حوانيتهم ، واجتمع الكثير منهم ، وذهبوا
الى بيت الباشا يشكون فعل الوالى . وسمع
المشايع بذلك فركبوا أيضا الى بيت الباشا
وكلموه ، فأظهر الحق والغيظ على الوالى .

ثم قاموا وخرجوا من عنده ، فتبعهم بعض
المتكلمين في بيت الباشا ، وقال لهم : « ان الباشا
يريد قتل الوالى ، والمناسب منكم الشفاعة .. »
فرجعوا الى الباشا ، وشفعوا في الوالى .

وأرسل سعيد أغا الوكيل ، وأحضروا له المضروب
وأخذ بخاطره ، وطيب نفسه بكلمات . ورجع
الجميع كما ذهبوا ، وظنوا عزل الوالى ... فلم
يعزل .

وفيه : رجع المصرية والعربان ، وانتشروا
باقليم الجيزة حتى وصلوا الى انبابة ، وضربوها
ونهبوها ، وخرج أهلها على وجوههم ، وعدوا الى
البر الشرقى . وأخذ العسكر في أهبة التشهيل
والخروج لمحاربتهم .

الاثنين ١٩ منه (اول مايو ١٨٠٤ م) :

ورد ططرى وعلى يده بشارة للبasha ... يتقلده ولاية مصر ، ووصول القابجى الذى معه التقليد والطوخ الثالث الى رشيد ، وطوخان لمحمد على وحسن بيك أخى طاهر باشا وأحمد بيك فضربوا عدة مدافع ، وذهب المشايخ والأعيان للتهنئة .

الثلاثاء ٢٠ منه (٢ مايو ١٨٠٤ م) :

قتل البasha ثلاثة أشخاص ، أحدهم رجل سروجى . وسبب ذلك أن الرجل السروجى له أخ أجير عند بعض الأجناد المصرية ، فأرسل لأخيه فاشترى له بعض ثياب ونعال وأرسلها مع ذلك الرجل ، فقبضوا عليه وسألوه ... فأخبرهم . فأحضروا ذلك الرجل السروجى ، وأحضروا أيضا رجلا يطارا متوجها الى بولاق معه مسامير ونعال ، فقبضوا عليه واتهموه أنه يمدى الى البر الآخر لينعمل لأخصامهم نعال للخليل فأمر البasha بقتله وقتل السروجى والرجل الذى معه الثياب ، فقتلهم ظلما !

الأربعاء ٢١ منه (٣ مايو ١٨٠٤ م) :

حضر القابجى الذى على يده البشرى ، وهو خازن دار البasha ، وكان أرسله حين كان بسكندرية ويسمونها « المجدة » . ولم يحضر معه أطواخ ولا غير ذلك . فضربوا له شنكا ومدافع .

وفيه : خلع البasha على السيد أحمد المحرقى فروة سمور ، وأقره على ما هو عليه ... أمين الضربانة وشاه بندر . وكذلك خلع على جرجس الجوهري ، وأقره باش مباشر الأقباط على ما هو عليه .

وفيه : رجع على كاشف الشغب بجواب الرسالة الى الألفى .

وفيه : تحقق الخبر بموت يحيى بيك . وكان مجروحا من المعركة السابقة .

بيك الوالى وكاشفين ، ومنهم حسن كاشف المساكن بحارة عابدين ، وملوكان .

وعلقوا عند رأس حسين بيك الوالى المذكور صليبا من جلد ، زعموا أنهم وجدوه معه . وأصيب اسماعيل بيك صهر ابراهيم بيك ، ومات بعد ذلك ودفن بأبى صير .

الاثنين ١٢ منه (٢٤ ابريل ١٨٠٤ م) :

حصلت أعجوبة بيت بالقريية به بغلة تدور بالطاحون ، فزقتها بالادارة ، فأسقطت حملا ليس فيه روح ، فوضعه فى مقطف ، ومروا به من وسط المدينة ، وذهبوا به الى بيت القاضى . وأشيع ذلك بين الناس وعابنوه !

السبت ١٧ منه (٢٩ ابريل ١٨٠٤ م) :

حضر على كاشف المعروف بالشغب (بثلاث معجمات وتشديد الشين وفتح الغين وسكون الباء) رسولا من جهة الألفى ، ووصل الى جهة البساتين ، وأرسل الى المشايخ يعلمهم بحضوره لبعض أشغال . فركب المشايخ الى البasha وأخبروه بذلك . فأذن بحضوره ، فحضر ليلا ، ودخل الى بيت الشيخ الشراوى .

فلما أصبح النهار ، أشيع ذلك ، وركب معه المشايخ والسيد عمر النقيب ، وذهبوا به الى بيت البasha ، فوجدوه راكبا فى بولاق ، فانتظروه حصة الى أن حضر ، فتركوا عنده على كاشف المذكور ، ورجعوا الى بيوتهم . واختلى به البasha حصة ، وقابله بالبشر ، ثم خلع عليه فروة سمور ، وقدم له مركوبا بعلة كاملة ، وركب الى بيته وأمانه جملة من السكر مشاة . وقدم له محمد على أيضا حصانا .

وفيه : شرعوا فى عمل شركمك للحرب بالأزبكية .

الخميس ٢٢ منه (٤ مايو ١٨٠٤ م) :

الى البلاد ، وحضر كثير منهم الى مصر خوفا من وصول القبالي .

الاثنين ٢٦ منه (٨ مايو ١٨٠٤ م) :

سافر الشيخ الشرقاوى الى مولد سيدى أحمد البدوى ، واقتدى به كثير من العامة وسخاف العقول . وكان المحروقى وجرس الجوهري مسافرين أيضا ، وشهلوا احتياجاتهم ، واستأذنوا الباشا ... فأذن لهم .

فلما تبين لهم تعدية المصرية الى الجهة الشرقية ، امتنعوا من السفر ، ولم يتمتع الشيخ الشرقاوى ومن تابعه .

الثلاثاء ٢٧ منه (٩ مايو ١٨٠٤ م) :

وصل فريق منهم الى جهة قبة باب النصر والعادلية — من خلف الجبل — ورمحوا خلف باب النصر من خارج ، وباب القنوج ، ونواحي الشيخ قمر والدمرداش ، ونهبوا الوايلى وماجاوره ، وعبروا الدور ، وغروا النساء ، وأخذوا دسوتهم وغلالهم وزروعهم . وخرج أهل تلك القرى على وجوههم ومعهم بعض شوالى وقصاع ، ودخل الكثير منهم الى مصر .

الاربعاء ٢٨ منه (١٠ مايو ١٨٠٤ م) :

جمع الباشا ومحمد على العسكر ، واتفقوا على الخروج والمخاربة وأخرجوا المدافع والشركفلكات الى خارج باب البصر ، وشرعوا فى عمل متاريس . وفى آخر النهار ، ترفع المصرية والعرب وتفرقوا فى اقليم الشرقية والقلوبية ... وهم يسمعون فى الفساد ، ويهلكون الحصاد . فما وجدوه مدروسا من البيادر أخذوه ، أو قائما على ساقه رعوه ، أو غير مدروس أحرقوه ، أو كان من المتاع نهبوه ، أو من المواشى ذبحوه وأكلوه ! وذهب منهم طائفة الى بلييس ، فحاصروا بها

عمل الباشا الديوان ، وحضر المشايخ والوجاقلية ، وقرأوا المرسوم بحضرة الجمع ومضونه : « أننا كنا صفحنا ورضينا عن الأمراء المصرية على موجب الشروط التى شرطناها عليهم بشفاعة على باشا والصدرا الأعظم ، فخانو اليهود ، ونقضوا الشروط ، وطغوا وبغوا ، وظلموا وقتلوا الحجاج ، وغدروا على باشا المولى عليهم ، وقتلوه ونهبوا أمواله ومتاعه ... فوجهنا عليهم العساكر فى ثمانين مركبا بحرية . وكذلك أحمد باشا الجزائر بساكر برية للاتقام منهم ومن العسكر الموالين لهم فورد الخبر بقيام العساكر عليهم ومحاربتهم لهم ، وقتلهم واخراجهم . فعند ذلك رضينا عن العسكر لجبرهم ما وقع منهم من الخلل الأول ، وصفحنا عنهم صفحا كليا ، وأطلقنا لهم السفر والاقامة متى شاءوا وأيضا أرادوا من غير حرج عليهم ... »

« وولينا حضرة أحمد باشا خورشيد ، كامل الديار المصرية ، لما علمنا فيه من حسن التدبير والسياسة ، ووفور العقل والرياسة » .. الى غير ذلك .

وعملوا شنكا وحرقة وسوارىخ بالأزبكية ثلاث ليال ، ومدافع تضرب فى كل وقت من الأوقات الخمسة من القلعة وغيرها .

وفيه : تواترت الأخبار بأن الأمراء القبالي عملوا وحسات ، وقصدهم التعدية الى البر الشرقى .

الاحد ٢٥ منه (٧ مايو ١٨٠٤ م) :

على الكثير منهم على جهة حلوان ، وانتقل الكثير من العسكر من بر الجيزة الى بر مصر . فخاف أهل المطرية وغيرها ، وجلوا عنها ، وهربوا

البحر ، ونزل في قارب وحضر الى مصر . وأخذوا حملته ومتاعه وجبخته ، وطلبوا مشايخ النواحي مثل : شيخ الزوامل والعائد وقلوب ، وألزمهم بالكلف ، وفردوا على القرى الفرد والكلف الشاقة مثل ألف ريال وألفين وثلاثة ، وعينوا بطلبها العرب ، وعينوا لهم خدما وحق طرق ، لخلاف المقرر ، عشرين ألف فضة وأزيد . ومن استعظم شيئا من ذلك أو عصى عليهم ، حاربوا القرية ونهبوها ، وسبوا نساءها ، وقتلوا أهلها ، وحرقوا جرونها . وقل الواردون الى المدينة بالغلل وغيرها ، فقلت من الرقع ، وازدحم الناس على ما يوجد من القليل فيها . واحتاج العسكر الى الغلال لأخبازهم ، لأنهم لم يكن عندهم شيء مدخر ، فأخذوا ما وجدوه في العرصات ... فزاد الكرب ، ومنعوا من يشتري زيادة على ربع ... من الكيل ، ولا يدركه الا بعد مشقة بستين نصفا . واذا حضر للبعض من الناس غلة من مزرعته القريبة ، لا يمكنه ايصالها الى داره الا بالتجوه والمصانعة والمغرم لقلقات الأبواب وأتباعهم .

فيحجزون ما يرونه داخل البلد من الغلة متعللين بأنهم يريدون وضعها في العرصات القريبة منهم ، فيعطونها للفقراء بالبيع ، فيعطونهم دراهم ويطلقونهم .

وفيه : طلبوا جملة أكياس لنفقة العسكر ، فوزعوا جملة أكياس على الأقباط ، والسيد أحمد المحروقي ، وتجار البهار ، ومياسير التجار والملمزمين ... وطلبوا أيضا مال الجهات والتحرير ، وباقي مسميات المظالم عن سنة تاريخه معجلة .

الخميس ٢٩ منه (١١ مايو ١٨٠٤ م) :

خرج الكثير من العسكر ، ورتبوا أنفسهم ثلاث فرق في ثلاث جهات ، وردوا الخيول .. الا القليل . ووقع بينهم مناوشات قتل فيها أنفار من الفريقين .



احد الاعراب

كاشف الشرقية يومين ، وتقبوا عليه الحيطان حتى غلبوه ، وقتلوا من معه من العسكر . وأخذوه أسيرا ومعه اثنان من كبار العسكر ، ثم نهبوا البلد وقتلوا من أهلها نحو المائتين .

وحضر أبو طويلة شيخ العائد عند الأمراء ولائهم ، وكلمهم على هذا النهب ، وقال لهم : « هذه الزروعات غالبها للعرب ، والذي زرعه الفلاح في بلاد الشرق شركة مع العرب ، وأن هبود العرب المصاحبين لكم .. ليس لهم رأس مال في ذلك ، فكفوههم وامنعوهم ، ويأتيكم كفايتكم . وأما النهب فانه يذهب هدرا » . فلما سمع كبار العرب المصاحبين لهم من الهناذى وغيرهم قوله : « هبود العرب » اغتاظوا منه ، وكادوا يقتلونه .

ووقع بين العربان منافسة واختلاف . وكذلك حصروا كاشف القليوبية ، فدخل بمن معه جامع قلوب وترس به ، وحارب ثلاث ليال ، وأصيب كثير من المحاربين له . ثم تركوه ففر بمن بقي معه الى

صفر

١ ثورته (١٢ مايو ١٨٠٤ م) :

نادوا على الفلاحين والخدامين البطالين بالخروج من مصر . وكل من وجد بعد ثلاثة أيام ، وليس بيده ورقة من سيده ، يستأهل الذي يجرى عليه .

٢ منه (١٣ مايو ١٨٠٤ م) :

طاف الأعوان ، وجمعوا عدة من الناس العتالين وغيرهم ، ليسخروهم في عمل المتاريس وجسر المدافع .

٥ منه (١٦ مايو ١٨٠٤ م) :

قبض الوالى على شخص يشتري طربوشا عتيقا من سوق العصر بسوق لاجين ، واتهمه أنه يشتري الطرايش للاخصام ... من غير حجة ولا بيان ، ورمى رقبته عند باب الخرق ظلما !

٧ منه (١٨ مايو ١٨٠٤ م) :

نزل الأرثوود من القلعة ، وتسلمها الباشا وطلع اليها . وضربوا لطلوعه عدة مدافع ، ورجع الى داره آخر النهار .

وفيه : أشيع قدوم سليمان بيك حاكم جرجا ، ووصوله الى بنى سويف ، وفي عقبه الألفى الصغير أيضا .

وفيه : هجم طائفة من الخيالة — في طلوع الفجر — على المذبج السلطاني ، وأخذوا ثورين : أحدهما من المذبج ، والآخر من بعض الغيطان ، وهرب الجزائريون .

٩ منه (٢٠ مايو ١٨٠٤ م) :

طلع الباشا الى القلعة وسكن بها ، وضربوا له عدة مدافع .

وفيه : حضر كاشف الشرقية المقبوض عليه بيليس ، ومعه اثنان . وقد أفرج عنهم الأمراء

المصرية وأطلقوهم . فلما وصلوا الى الباشا ، خلع عليهم ، وألبسهم فراوى جيرا لخاطرهم .

وفيه : وصل الخبر بوقوع حرب بين العسكر والمصرية والعربان ، وحضر عدة جرحى . وكانت الواقعة عند الخصوص وبهتيم . وجلا أهل تلك القرى وخرجوا منها ، وحضروا الى مصر بأولادهم وقصاعهم ... فلم يجدوا لهم مأوى ، ونزل الكثير منهم بالرميلة .

وفيه : حضر أناس من الذين ذهبوا الى مولد السيد البدوى ، وفيهم عرايا ومجاريح وقتلى . وقد وقفت لهم العرب ، وقطعت عليهم الطرق ، فتفرقوا فرقا في البر والبحر ، وحصر العرب طائفة كبيرة منهم بالقرطين ، وحصل لهم ما لا خير فيه .

وأما الشيخ الشرقاوى ، فانه ذهب الى المحلة الكبيرة وأقام بها أياما ، ثم ذهب مشرقا الى بلدة القرين .

وفيه : حضر مصطفى أغا الأرثوودى هجانا برسالة من عند الألفى ، وفيها طلب أتباعه الذين بمصر ، فلم يأذنوا لهم في الذهاب اليه ، واحتجوا بعدم تحقق صداقته للعثمانية .

وفيه : ورد الخبر بتوجه سليمان بيك الخازندار حاكم جرجا الى جهة بحرى ، وأنه وصل الى بنى سويف ، وأن الألفى الصغير في أثره بحرى منية ابن خصيب ، والألفى الكبير مستقر بأسوط يقبض في الأموال الديوانية والغلال . وأشيع صلحه مع عشيرته سرا ، ومظهر خلاف ذلك مع العثمانية .

١٠ منه (٢١ مايو ١٨٠٤ م) :

أحضروا جماعة من الوجاقلية عند كئخدا الباشا . فلما استقروا في الجلوس ، كلموهم ، وطلبوا منهم سلفة ، وجبسوا رضوان كاشف الذى يباب الشعرية وطلبوا منه عشرين كيسا ، وكذلك طلبوا من باقى الأعيان مثل : مصطفى أغا الوكيل وحسن أغا محرم

غيرهم! » فقال : « ونحن أيضا لا نفعل غير المناسب » .
فقالت له : « وأى مناسبة فى أخذك لى من بيتى
بالوالى مثل أرباب الجرائم ؟ » . فقال : « أنا أرسلته
لكونه أكبر أتباعى . فارساله من باب التعظيم » .
ثم اعتذر إليها ، وأمرها بالتوجه الى بيت الشيخ
السحيمى بالقلعة ، وأجلسوها عنده بجماعة من
العسكر .

وأصبح الخبر شائعا بذلك ، فتكدت خواطر
الناس لذلك ، وركب القاضى وقيب الأشراف
والشيخ السادات والشيخ الأمير ، وطلعوا الى الباشا
وكلموه فى أمرها . فقال : « لا بأس عليها . وانى
أنزلتها بيت الشيخ السحيمى مكرمة حسنا للفتنة ،
لأنها حصل منها مايوجب الحجز عليها » . فقالوا :
« نريد بيان الذنب . وبعد ذلك : اما العفو أو
الانتقام » . فقال : « انها سعت مع بعض كبار
العسكر تستميلهم الى الممالك العصاة ، ووعدتهم
بدفع علوفاتهم . وحيث أنها تقدر على دفع العلوفة ،
فينبغى أنها تدفع العلوفة ا » .

فقالوا له : « ان ثبت عليها ذلك ، فانها تستحق
ما تأمرون به ، فيحتاج أن تتفحص على ذلك » .
فقام اليها الفيومى والمهدى ، وخطباها فى ذلك .
فقالت : « هذا كلام لا أصل له . وليس لى فى
المصرية زوج حتى انى أخاطر بسببه ، فان كان
قصده مصادرتى ، فلم يبق عندى شيء ، وعلى ديون
كثيرة » .

فعادوا اليه ، وتكلموا معه .. وراددهم . فقال
الشيخ الأمير للترجمان : « قل لأفندينا .. هذا أمر
غير مناسب ، ويترتب عليه مفسد . وبعد ذلك
يتوجه علينا اللوم . فان كان كذلك ، فلا علاقة لنا
بشيء من هذا الوقت ، أو نخرج من هذه البلدة » .
وقام قائما على حيله يريد الذهاب . فمسكه مصطفى
أغا الوكيل وخلافه ، وكلموا الباشا فى اطلاقها ،

ومحمد أفندى سليم ، وإبراهيم كئخدا الرزاز
وخلافهم ... مبالغ مختلفة المقادير . وعملوا على
الأقباط ألف كيس ، وحلف الباشا أنها لا تنقص عن
ذلك . وفردوا على البنادر مثل دمياط ورشيد وفوة
ودمنهور والمنصورة وخلافها ... مبالغ أكياس :
ما بين ثمانين كيسا ، ومائة كيس ، وخمسين كيسا .
وغير ذلك ، لنفقة العسكر . وأحضر الباشا
الروزنامجى واتهمه فى التقصير .

١١ منه (٢٢ مايو ١٨٠٤ م) :

أرسل الباشا الوالى والمحتسب الى بيت الست
نقيسة زوجة مراد بيك وطلبها ، فركبت معها
وصحبتهما امرأتان ، فطلعا بهن الى القلعة . وكذلك
ارسلوا بالتفتيش على باقى نساء الأمراء فاختنى
غالبهن ، وقبضوا على بعضهن ، وذلك كله بعد
عصر ذلك اليوم .

فلما حصلت الست نقيسة بين يديه ، قام اليها
وأجلها ، ثم أمرها بالجلوس ، وقال لها على طريق
اللوم : « يصح أن جاريك منور تتكلم مع صادق
أغا ، وتقول له يسع فى أمر الممالك العصاة ،
وتلتزم له بالمكسور من جامكية العسكر » . فأجابته :
« ان ثبت أن جاريتى قالت ذلك ، فأنا المأخوذة به
دونها » . فأخرج من جيبه ورقة وقال لها :
« وهذه ؟ » وأشار الى الورقة ، فقالت : « وما
هذه الورقة ؟ أريها ، فانى أعرف أن أقرأ ، لأنظر
ماهى ؟ » فأدخلها ثانيا فى جيبه ، ثم قالت له : « أنا
بطول ما عشت بمصر ... وقدرى معلوم عند الإكابر
وخلافهم . والسلطان ورجال الدولة وحریمهم
يعرفونى أكثر من معرفتى بك . ولقد مرت بنا دولة
الفرنسيس الذين هم أعداء الدين فما رأيت منهم
الا التكریم ، وكذلك سيدى محمد باشا كان
يعرفنى ويعرف قدرى ، ولم نر منه الا المعروف .
وأما أنت .. فلم يوافق فعلك فعل أهل دولتك ولا

وأنها تقيم بيت الشيخ السادات .. فرضى بذلك ،
وأنزلوها بيت الشيخ السادات .

وكانت عديلة هانم ابنة ابراهيم بك ، عندما
وصلها الخبر ، ذهبت الى بيته أيضا .

وفيه . شنقوا شخصا على السبيل بباب الشعيرة ،
شكا منه أهل حارته ، وأنه يتعاطى القيادة ويجمع
بين الرجال والنساء وغير ذلك .

١٤ منه (٢٥ مايو ١٨٠٤ م) :

كتبوا أوراقا وألقوها بالأسواق بطلب ميرى
سنة تاريخه المعجلة بالكامل — وكانوا قبل ذلك
طلبوا نصفها ثم اضطربهم الحال بطلب الباقي —
وعملوا قوائم بتوزيع خمسة آلاف كيس . استقر
منها على طائفة القبطة خمسمائة كيس بعد الألف ،
وجملة على الملتزمين ، خلاف ما أخذ منهم قبل
ذلك ، وعلى الست نفيسة وبقية نساء الأمراء
ثمانمائة كيس .

وفيه : خطف العرب جرابة العسكر من عند
الزاوية الحمراء .

وفيه : وصل سليمان بك الخازندار ، وعدى الى
جهة طرا . فخرج عدة من العسكر — خلاف
المرابطين هناك قبل ذلك من العسكر والمغاربة —
فقصده المرور من خلف الجبل والحقو بجماعته
جهة الشرق في آخر الليل . فوقف له العسكر

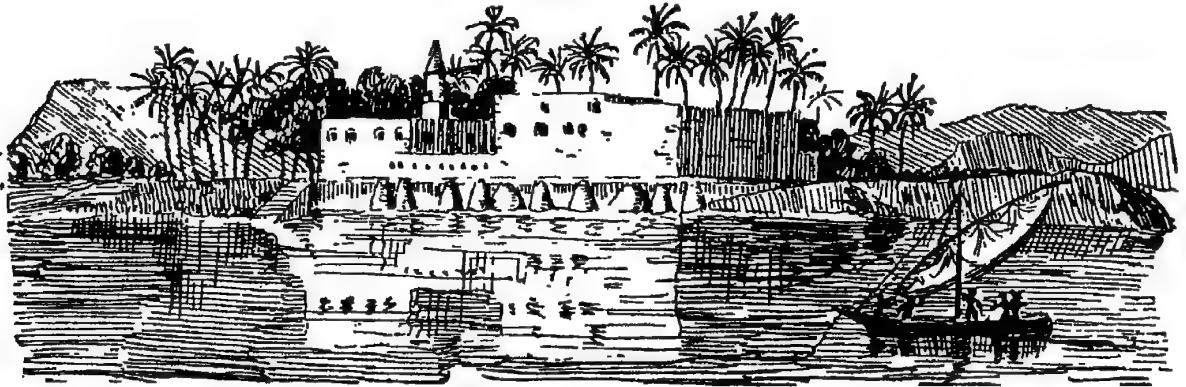
وضربوا عليه بالمدافع الكثيرة ، واستمر الضرب من
الفجر الى عصر يوم الجمعة ، ونفذ بن معه على
حماية ، وقتلوا منه مملوكا واحدا ، وحضروا برأسه
الى تحت القلعة .

وفيه : رجع الكثير من عسكر الأرثوود وغيرهم ،
ودخلوا الى المدينة يطلبون العلوفة ، واستمر من
بقى منهم بيهتيم وبلقس ومسطرد .. وقد أخرجوا
أهاليها منها ونهبوها ، واستولوا على ما فيها من
غلال وآتبان وغير ذلك . وكرنكوا فيها وتقبوا
الحيطان لرمى بنادق الرصاص من الثقب ، وهم
مسترون من داخلها ، ونصبوا خيامهم في أسطحه
الدور ، وجعلوا المتاريس من خارج البلدة ، وعليها
المدافع . فلا يخرجون الى خارج ، ولا يبرزون الى
ميدان الحرب . وكل من قرب منهم من الخيالة
المقاتلين ، رموا عليه بالمدافع والرصاص ، ومنعوا
عن أنفسهم واستمروا على ذلك .

وفيه : وردت مكاتبات الى التجار من الحجاز ،
وأخبروا بأن الحجاج أدركوا الحج والوقوف
بعرفة ، ودخلوا قبل الوقوف بيومين .

وأخبروا أيضا بوفاة شريف باشا الى رحمة الله
تعالى ، وكان من خيار دولة العثمانيين .

ووردت أخبار أيضا من البلاد الشامية بوفاة
أحمد باشا الجزائر في سادس عشرين المحرم .



طرا

١٦ منه (٢٧ مايو ١٨٠٤ م) :

أرسلوا تنبيه الى أرباب الحرف والصنائع بطلب دراهم وزعت عليهم ... مجموعها خمسمائة كيس . فضج الناس وتكبدوا ، مع ما هم فيه من وقف الحال ، وغلاء الاسعار في كل شيء .

وأصبحوا على ذلك يوم الأحد ، فلم يفتحوا الحوانيت ، وانتظروا مايفعل بهم .

وحضر منهم طائفة الى الجامع الأزهر ، ومر الأغا والوالى ينادون بالأمان وفتح الدكاكين . فلم يفتح منهم الا القليل .

وفيه : سرح سليم كاشف المحرمجى الى جهة بحرى ، وأشيع وصول الألفى الصغير الى المنية .

١٨ منه (٢٩ مايو ١٨٠٤ م) :

اجتمع الكثير من غوغاء العامة والأطفال بالجامع الأزهر ، ومعهم طبول ، وصعدوا الى المنارات يصرخون ويطلبون ، وتحلقوا بمقصورة الجامع يدعون ويتضرعون ويقولون : « يا لطيف .. » وأغلقوا الأسواق والدكاكين .

ووصل الخبر الى الباشا ، بل سمعهم من القلعة ، فأرسل قاصدا الى السيد عمر النقيب يقول : « انا رفعا عن الفقراء » . فقال له : « ان هؤلاء الناس وأرباب الحرف والصنائع كلهم فقراء ، وما كفاهم ما هم فيه من القحط والكساد ووقف الحال حتى تطلبوا منهم مغارم لجوامك العسكر ! وما علاقتهم بذلك ؟ » . فرجع الرسول بذلك .

وحضر الأغا ومعهم عدة من العسكر ، وجلس بالغورية وهو يأمر الناس بفتح الحوانيت ، ويتوعد من يتخلف . فلم يحضر أحد ، ولم يسمعوا لقوله ! وفي وقت العصر ، رجع القاصد ومعهم فرمان برفع الغرامة عن المذكورين ، ونادى المنادى بذلك .

فاطمان الناس وتفرقوا ، وذهبوا الى بيوتهم ، وخرج الأطفال يرمحون ويصرخون ويفرحون .

وفي ذلك اليوم ، عدى محمد على وجمع كثير من العسكر والمغاربة الى بر الجيزة ، وبرزوا الى خارج . فنزل عليهم جملة من العرب فحاربوهم ، فقتل بينهم أنفار وانجرح منهم كذلك ، ثم ترفعوا عنهم فرجعوا ومعهم رأس من العرب ، ومع المغاربة قتل منهم في تابوت ، وهم يقولون : « طردناهم » . وخطفوا بعض مواش وأغنام في طريقهم من الرعيان ، فقتلوهم وأخذوها منهم .

١٩ منه (٣٠ مايو ١٨٠٤ م) :

أحضر كتخدا الباشا كاتب البهار وأمره باحضار مسمائة فرق بن ، فاعتذر اليه بعدم وجود ذلك ، فقال : « انما نأخذها بأثمانها » . فقال له : « ليس على الا التعريف . وقد عرفت ان هذا القدر لا يوجد ، وان أردت فأرسل معى من تريد ونكشف على حواصل التجار والخانات » . فطافوا على الخانات ، وفتحوا الحواصل فلم يجدوا الا سبعين فرقا ، وأكثرها عليه نشانات كبار العسكر من مشترواتهم ، فرجعوا من غير شيء . ثم نودى في أثر ذلك بالأمان .

وفيه : وقعت معركة بسوق الصاغة بين بعض العسكر الذين يتحشرون في أيام الأسواق في الدالين والباعة ، ويعطلون عليهم دلاتهم وصناعتهم ومعايشهم ، وضربوا على بعضهم بالرصاص . ففرع الناس ، وحصلت كرشة ، وظن من لا يعلم الحقيقة من العسكر انها قومة ، فهربوا يمينا وشمالا وطلبوا النجاة والتواري . ووافق مرور أغاة الانكشارية في ذلك الوقت .. فانزعج هو ومن معه وطلب الهرب ! ثم انكشف الغبار ، وظهر شخص عسكرى مطروح وبه رمق وآخر مجروح ، فرجع الأغا وأمر بحمله في تابوت ، ونادى بالأمان .

٢٢ منه (٢ يونية ١٨٠٤ م) :

مدافع وجبخانه أيضا ... محملة على ليف وثلاثين جملا .

وفيه : ضيقوا على نساء الأمراء في طلب الغرامة ، وألزموا بقبضها وتحصيلها الست نفيسة وعديلة هانم ابنة ابراهيم بك . فوزعتها بمعرفتهما على باقى النساء . وأرسلوا عساكر يلازمون بيوتهن حتى يدفعن ما التزم به ، فاضطر أكثرهن لبيع متاعهن ، فلم يجدن من يشتري لعموم المضايقة والكساد !

وانقضى هذا الشهر ... والحال على ما هو عليه من استمرار الحروب ، والمحاصرات بين الفريقين ، وانقطاع الطرق برا وبحرا ، وتسلبت العربان واستغنامهم تفاشل الحكام ، وانفكاك الأحكام . وكذلك تسلط الفلاحين المقاومين من سمد وحرام على بعضهم البعض بحسب المقدرة والقوة والضعف ، وجهل القائمين المتأمرين بطرائق سياسة الاقليم ، ولا يعرفون من الأحكام الا أخذ الدراهم بأى وجه كان .

وتماذى قبائح العسكر بما لاتحيط به الأوراق والدفاتر ... بحيث أنه لا يخلو يوم من زعجات ورجفات وكرشات فى غالب الجهات : اما لأجل امرأة أو أمرد ، أو خطف شيء ، أو تنازع وطلب شر بأدنى سبب مع العامة والباعة ، أو مشاحنة مع السوق والمتسبين بسبب ابدال دنانير ذهب ناقص بدراهم فضة كاملة المصارفة من صيارف أو باعة أو غير ذلك !

وتعطل أسباب المعاش ، وغلو الأسعار فى كل شيء ، وقلة المجلوب ، ومنع السبل . ووصل سعر الأردب القمح ستة عشر ربالا ، والفول والشعير أكثر من ذلك ... لقلته وعزته . وإذا حضر منه شيء ، أخذوه لاحتياج العليق .. فهرا بأبغس الثمن عند وصوله المأمن . وأجرة طحين الوبة من القمح

قبل المغرب ... ضربوا مدافع كثيرة من القلعة ، وكذلك فى صباحها يوم السبت . ولم يظهر لذلك سبب سوى مايقولونه من التمويهات من وصول الأطواخ وعساكر ودلاة برية تارة وبحرية أخرى . وفيه : أشيع وقوع معركة بين المصرية والعثمانية وأخذوا منهم متاريس بلقس ومدافع ، ووصل منهم جرحى دخلوا ليلا . وحضر من المصرية طائفة ناحية شلقان وقطعوا الطريق على السفار فى البحر ، وأخذوا مركبين ، وأحرقوا مراكب . واستنمع الواصلون والذاهبون ، وارتفعت الفلال من الرقع والعرصات ، وغلا سعرها . فخرج البهم مراكب يقال لها « الشلنات » ، وضربوا عليهم بالمدافع ، وأجلوهم عن ذلك الموضع . ووصل بعض مراكب من المعوقين .

٢٦ منه (٦ يونية ١٨٠٤ م) :

أرسل الباشا الى المشايخ . فذهبوا اليه ، فاستشارهم فى خروجه الى الحرب وخروجهم صحبتة مع الرعية ... فلم يصوبوا رأيه فى ذلك . وقالوا له : « اذا انهزم العسكر ، تأمر غيرهم بالخروج واذا كانت الهزيمة علينا ، وأنت معنا ، من يخرج بعد ذلك ؟ » وانفض المجلس على غير طائل .

فى اواخره (٨ ، ٩ يونية ١٨٠٤ م) :

وقع بينهم مساجلات ومطاريات ومغالبات ، واحترقت جبخانه العثمانيين ... وقيل أخذ باقيها . ورجع منهم قتلى ومجاريح ، وانجرح عابدى بك أخو طاهر باشا ، واحترق أشخاص من الطبقية ، ودخل سلجدار الباشا والوالى وأمامهما رأس واحدة بشوارب كأنه من الممالك .

وفى عصرية ذلك اليوم : أخرجوا عساكر ومعهم

الرطل — من وقت طلوعه الى أن بلغ حد الكثرة —
وبقى بحال لا تقبله الطبيعة البشرية ، فعند ذلك بيع
بنصفين ١

وأما الفاكهة ، فلا يشتريها الا أفراد الأغنياء ،
أو مريض يشتهيها ، أو امرأة وحى ... لغلوها . فإن
رطل الخوخ بخمسة عشر نصفاً ، والتفاح الأخضر
كذلك . وقس على ذلك .

وذلك لقلة المجلوب وخراب البساتين ، وغلو
علف البهائم ، وخوز المتسبيين ، وأخذ الرشوات
منهم وتركهم وما يدينون . وأما الأتبان فإنها كثرت
والنخل سعرها عما كانت .

ربيع الأول

في غرته (١٠ يونية ١٨٠٤ م) :

وقع هرج ومرج واشاعات ، ثم تبين أن طائفة
من العربان والمماليك وصلوا الى خارج باب النصر
وظاهر الحسينية وناحية الزاوية الحمراء وجزيرة
بدران جهة الحلبي ، ورمحوا على من صادفوه بتلك
النواحي ، وحالوا بين العسكر الخارجين وبين
عرضيهم ، وأخذوا مامعهم من الجزاية والعليق
والجيخانة .

فنزل الباشا ومعه عساكر ، وذهب الى
جهة بولاق ، ثم الى ناحية الزاوية الحمراء ،
وأغلقوا أبواب المدينة . ثم رجع الباشا بعد العصر ،
ودخل من باب العدوى ، وطلع الى القلعة وهو
لابس برسا . ثم تكرر بينهم وقائع وخروج عساكر
ودخول خلافتهم ، ونزول الباشا وطلوعه .

٤ منه (١٣ يونية ١٨٠٤ م) :

حضر الشيخ عبد الله الشرقاوى من غيته
بالقرين بعد ذهابه الى المحلة من طنطا .

٦ منه (١٥ يونية ١٨٠٤ م) :

حضر هجانة بمكاتبة من عند الألفى الكبير

مئة وأربعون نصفاً ... مع ما يسرقه الطعانون
منها ويخلطونه فيها . وأجرة خبيزها عشرون
نصفاً ... بحيث حسب ثمن الأردب بعد
غربلته وأجرته ومكسه وكلفته وطحينه وخبيزه الى
أن يصير خبزاً : أربعة وعشرين ريالاً ! فسبحان
اللطيف الخبير المدير . ومن خفى لطفه ، كثرة
الخبز وأصناف الكعك والفطير في الأسواق .

وسعر الرطل من اللحم الجفيط ، بما فيه من العظم
والكبد : تسعة أنصاف ، والجاموس : سبعة أنصاف
الرطل ، والراوية الماء : ثلاثون نصفاً ، والسمن
القنطار بألفين وأربعمائة نصف . وشح الأرز ، وقل
وجوده ، وغلا ثمنه . ووصل سعر الأردب الى
خمس وعشرين ريالاً . والجبن القريش بثمانية عشر
نصفاً الرطل .

وأما الخضارات فغز وجودها وغلا ثمنها ... بحيث
أن الرطل من البامية — بما فيها من الخشب الذى
يرمى من وقت طلوعها الى أن بلغت حد الكثرة ...
بثمانية أنصاف كل رطل . والرطل قبالي اثنتا عشرة
أوقية . وعز وجود البن وغلا سعره ، حتى بلغ في
هذا الشهر الرطل سبعين نصفاً ، والسكر العادة
الصعيدى خمسة وأربعون نصفاً الرطل الواحد ،
والعسل الأبيض الغير الجيد ثلاثون نصفاً ، والعسل
الأسود خمسة عشر نصفاً ، والعسل القطر عشرون
نصفاً الرطل ، والصابون أربعة وعشرون نصفاً .

كل ذلك بالرطل القبانى الذى عمله محمد
باشا ... فلا جزاء الله خيراً ! والشيرج بألفين فضة
القنطار . وورد الكثير من الحطب الرومى ورخص
سعره الى مائة وعشرين نصفاً الحملة بعد ثلثمائة
نصف .

وأما أنواع البطيخ والعبدلاوى فلم يشتريه
أكثر الناس لقلته وغلوه ، فانه يبعث الواحدة
بعشرين نصفاً فأقل فاكثراً ، والخيار بخمسة أنصاف

بناحية طرا ، وكذلك بالجيزة . وأرسلوا هناك
مراكب حربية يسمونها « الشلنبات » .

١١ منه (٢٠ يونية ١٨٠٤ م) :

خرج محمد على وحسن بيك أخو طاهر باشا
الى جهة القليوبية ، وصحبهم عساكر كثيرة
وأدوات ، وعدى طائفة من الأمراء الى بر المنوفية ،
وهرب حاكم المنوفية من منوف .

١٣ منه (٢٢ يونية ١٨٠٤ م) :

ورد الخبر بوصول مراكب وأدوات من القلزم
الى السويس ، وفيها حجاج والمحمل ، وأخبروا
بمحاصرة الوهابيين لمكة والمدينة وجدة ، وأن أكثر
أهل المدينة ماتوا جوعا لعزلة الأقوات .. والأردب
القمح بخمسين فرانسا ان وجد ، والأردب الأرز
بمائة فرانسا . وقس على ذلك .

١٥ منه (٢٤ يونية ١٨٠٤ م) :

وصلت مراكب وفيها طائفة من العسكر ، وهم
الذين يسمونهم النظام الجديد الذين بقلدون محاربة
الافرنج . وأشاعوا أنهم خمسة آلاف وعشرة
آلاف . ووصل صحبتهم الأغا الذي كان حضر
بالمجدة والبشارة للباشا بالتقليد والأطواخ ورجع
الى اسكندرية . فحضر أيضا وضربوا لوصوله
مدافع وشنكا جهة بولاق ، وأرسلوا له خيولا
ويرقا وطبلخانات ، وأركبوه من بولاق . وشنق

خطابا للباشا ، وفيها الاخبار بعزمه على الحضور
الى مصر هو وعثمان بيك حسن ، ويلتمس أن
يخلو له الجيزة وقصر العيني لينظر في هذا الأمر
والفساد الواقع بمصر .

فكتب له الباشا جوابا ملخصه — على ما نقل
الينا — « أنك في السابق عرقتنا أنك مذعن للطاعة ،
وأرسلنا لك بالاذن والاقامة بجرجا ... وما عرفنا
موجب هذا الحضور ؟ فان كنت طائعا وممثلا
فارجع الى جرجا موضع ماكنت ، ولك الولاية
والحكم بالاقليم القبلى ، وأرسل المال والغلال »
ونحو ذلك من الكلام . وسافروا بالجواب يوم
السبت ثامنه .

٨ منه (١٧ يونية ١٨٠٤ م) :

ترفع الأمراء المصرية الى ناحية مشتهرة وبناها ،
وانتقلوا من منزلتهم . وأشاع العسكر ذهابهم
وهروبهم .

وفيه : وردت مكاتبات من الحجاز ، وأخبروا
فيها بموت محمود جاویش الذى سافر بالمحمل ،
وكذلك الحاج يوسف صيرفى الصرة . وأن طائفة
من الوهابيين حاصروا جندة ولم يملكوها ، وأن
بيلاد الحجاز غلاء شديدا ... لمنع الوارد عنهم ،
والأردب القمح بثلاثين ريالاً فرانساً ، عنهما من
الفضة العددية خمسة آلاف وأربعمائة .
وفيه : أرسلوا فعلة وعمالا لعمل متاريس وأبنية



موكب الاسا

من وسط المدينة ، وأمامه وخلفه أتباع الباشا والوالى والجنبيات وعسكر النظام الجديد — وهم دون المائة شخص — والأغا المذكور ، ومعه أوراق في أكياس حرير ملون ، وخلفه آخر راكب ومعه بقجة قتل ان بداخلها خلعة برسم الباشا ، وآخر معه صندوق صغير وعليه دواة كتابة منقوشة بالفضة ، وخلفهم الطبلخانات .

فلما وصلوا الى القلعة ، ضربوا لوصولهم مدافع كثيرة من القلعة ، وعمل الباشا ديوانا في ذلك الوقت بعد العصر ، وقرأوا التقليد المذكور .

وفيه : وصلت طائفة من الغربان الى جهة بولاق وجزيرة بدران ولاحية المذبح ، وخطفوا ماخطفوه ، وذهبوا بما أخذوه !

وفيه : ورد الخبر بوصول الألفى الكبير الى ناحية بنى سويف ، وعثمان بيك حسن في مقابلته بالبر الشرقى .

١٧ منه (٢٦ يونية ١٨٠٤ م) :

وصل قاصد من الألفى بمكتوب ، خطابا للمشايخ العلماء ، مضمونه : أنه لا يخفاكم أننا كنا سافرا سابقا اتقصد راحتنا وراحة البلاد ، ورجعنا بأوامر ، وحصل لنا ما حصل . ثم توجهنا الى جهة قبلى واستقرينا بأسىوط بعد حصول الحادث بين اخواننا الأمراء والعسكر ولحروجهم من مصر .

وأرسلنا الى أفندينا الباشا بذلك ، فأنعم علينا بولاية جرجا ونكون تحت الطاعة ، فامثلنا ذلك وعزمننا على التوجه حسب الأمر . فبلغنا مصادرة الحرم ، والتعرض لهم بما لا يليق من الفرائم ، وتسلبت المساكن عليهم ولزومهم لهم . فشنينا العزم واستخرنا الله تعالى فى الحضور الى مصر لننظر فى هذه الأحوال . فإن التعرض للحريم والعرض لاتهضه النفوس .. وكلام كثير من هذا المعنى .

فلمسا وصلتهم المكاتبه ، أخذوها الى الباشا وأطلعوه عليها ، فقال فى الجواب : « انه تقدم أنهم تركوا نساءهم للرئيس ، وأخذوا منهم أموالا . وانى كنت أعطيت له جرجا ، ولعثمان بيك قنا وما فوق ذلك من البلاد ، وكان فى عزمى أن آكاتب الدولة وأطلب لهم أوامر ومراسيم بما فعلته لهم وبراحتهم .. فحيث أنهم لم يرضوا بفعلى ، وغرتهم أمانيتهم ، فليأخذوا على نواصيتهم ! »

وفيه : شرعوا فى حفر خندق قبلى الامام الليث ابن سعد ومتاريس .

وفيه : أرسل محمد على الى مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجى . فلما حضرا اليه ... عوقهما الى الليل ، ثم أرسلهما الى القلعة بعد العشاء ماشيين ، ومعهما عدة من العسكر ... فعجسا بها

٢٠ منه (٢٩ يونية ١٨٠٤ م) :

عمل الباشا ديوانا وحضر المشايخ والوجاقليه ، وأظهر زيتته وتفاخره فى ذلك الديوان ، وأوقف خيوله المسومة بالحوش ، وخيول شجر الدر واصطفت المساكن بالأبواب والحوش والديوان ووقفت أصناف الديوان باختلاف أشكالهم ، والسعاة بالطاسات المذهبة على رؤوسهم . وخرج الباشا بالشعار والهيبة ، وعلى رأسه الطلخان بالطراز ، الى الديوان الكبير المعروف بديوان الغورى . وقد أعدوا له كرسيًا بغاشية جوخ احمر وبساط مفروش ، خلاف الموضع القديم . فجلس عليه ، وزعقت الجاويشية ، وأحضر التقليد .. فقرأ ديوان أفندى بحضور الجمع الكبير ، ثم قرأ فرمانين آخرين مضمون أحدهما أكثر كلاما من الثانى .. ملخصه : الولاية وحكاية الحال الماضية من ولاية على باشا وشفاعته فى الأمراء المصرية



أحمد شوبار جرجا

من الأزيكية وجهة الموسيقى . والحال أنهم لا يقدر أن يتعدوا بر الجيزة ولا شلقان . فان طوائف عسكر الألفى وصلوا الى بر الجيزة ، وأخذوا منها الكلف ، والأمراء البحرية منتشرون ببر الغربية والمنوفية .

وفيه : هرب شخص من كبار الأرثوذ يقول له ادرين آغا ، كان بجماعته جهة برشوم التين ، فركب الى المصرية ولحق بهم ، وتبعه جماعته وهم نحو المسائة وخمسين شخصا .

وفيه : أرسل الباشا آغا الانكشارية ليقبض على على كاشف من أتباع الألفى من بيته بسوق المساطين . فأرسل الى الأرثوذ ، فأرسلوا له جماعة منعوا الأغا من أخذه ، وجلسوا عنده . فأرسل الباشا من طرفه جماعة أقاموا محافظين عليه في بيته . ثم ان سليمان آغا كبير الأرثوذ ، الذي التجأ اليه المذكور ، حضر اليه وأخذه الى داره

بشرط توبتهم ورجوعهم ، ثم غودهم الى البنى والفجور ، وغدر على باشا المذكور ، وظلمهم الرعية بمعونة العسكر ، ثم قيام الرعية والعسكر عليهم حتى قتلهم وأخرجوهم من مصر . فعند ذلك صفحنا عن العسكر ، وعفونا عما تقدم منهم ، وأمرناهم بأن يلزموا الطاعة ويكولوا مع أحمد باشا خورشيد بالحفظ والصيانة ، والرعاية لكافة الرعية والعلماء ، وإبعاد أهل الفساد والمعتدين وطردهم ، وتسهيل لوازم الحج والمؤمنين من البصرة والغلال ، ونحو ذلك من الكلام المحفوظ المعتاد المنطق

ولما اتفق أمر قراءة الأوراق ، قام الباشا الى مجلسه الداخل ، ودخل اليه المشايخ ، فخلع عليهم فراوى سمور ، وكذلك الوجاقلية والكتبة والسيد أحمد المحروقي . ثم عملوا شنكا ومدافع كثيرة وطبولا

وأحضر في ذلك الوقت المعلم جرجس وكبار الكتبة — وعدتهم اثنان وعشرون قبطيا ، ولم تجر عادة باحضارهم — فخلع عليهم أيضا ، ثم نزلوا الى بيت المحروقي فتعدوا عنده ، ثم عوقبهم الى العصر ، ثم طلبهم الباشا الى القلعة فحبسهم تلك الليلة ، واستنبروا في الترسيم ، وطلب منهم ألف كيس .

٢٢ منه (أول يولية ١٨٠٤ م) :

أفرجوا عن مصطفى آغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجي على ثلثمائة كيس .

وفيه : حضر محمد علي وحسن بيك أخو طاهر باشا ، وطلبا الى القلعة . فخلع عليهما الباشا ، وهناه بالولاية ، واستقر بمحمد علي والى جرجا ، وحسن بيك والى الغربية . وخرّبوا لذلك مدافع كثيرة وشنكا ، وعملوا تلك الليلة حراقة وسوارينغ

بالأزبكية ، وصحبه الأمير مصطفى البردقجي
الألفى أيضا .

٢٤ منه (٣ يولية ١٨٠٤ م) :

وصل شخص رومى بمراسلة من عند الألفى الى
الباشا . فعندما قرأ الباشا المراسلة ، أمر بقتله
حالا . فرموا عنقه برحبة القلعة ا

وحضر أيضا مملوك بمراسلة من عند عثمان
بيك حسن ، يذكر فيها حضوره مع الألفى ، وأنه
اغتر بكلامه وتوحياته عليه ، وأن بيده أوامر شرفه
من الدولة ومن حضرة الباشا بالحضور . ثم ظهر
أنه لم يكن بيده شيء ، وأن عثمان بيك ممثل لما
يأمر به الباشا ، وأمثال ذلك .

فكتب له جوابا ، وخبلع على ذلك المملوك
ورجع سالما ا

٢٦ منه (٥ يولية ١٨٠٤ م) :

أفرجوا عن النصارى الأقباط ، بعدما قرروا
عليهم ألف كيس ... خلاف البرانى وقدره مائتان
وخمسون كيسا . ونزلوا الى بيوتهم بعد العشاء
الأخيرة فى الفوانيس .

وفيه : وصل الألفى الصغير ، وانتشرت خيوله
الى بر انبابة . فرموا عليهم مدافع من المراكب
وبولاق ، ورفعوا الغلة من الرقع . وأشيع أن
الألفى الكبير وصل الى الشوبك ، وعثمان بيك
حسن وصل الى حلوان ، ورجع ابراهيم بيك
والبرديسى وباقى الأمراء الى ناحية بنها ، بعدما
طافوا بالمنوفية والعربية ، وقبضوا الكلف والفرد .
وخرج كثير من العسكر الى معسكرهم ناحية
شلقان وما وازاها الى الشرق ، وخرج أيضا عدة
من العسكر الى ناحية طرا والجيزة .

وفيه : أرسل الألفى الصغير ورقة لشخص من

كبار العسكر مقطوع الألف ، كان من أتباعه حين
كان بمصر ، يطلبه للحضور اليه ويعدده بالاكرام ،
وأن يكون كما كان فى منزلته عنده .

فأخذ الورقة والرسول الى الباشا ، فأمر بقتل
المرسال — وهو رجل فلاح — فقطعوا رأسه
بالرميلة ، وأنعم على مقطوع الألف بعشرين ألفا
نصف فضة ، وشكره .

وقبل ذلك بأيام ، وصلت هجانة من العريش ،
وأخبروا بورود عساكر من الدلاة وغيرهم معونة
لمن بمصر . واختلفت الروايات فى عدتهم .. فالكثير
من كذابى العثمانية يقولون : عشرة آلاف ، والمقل
من غيرهم يقولون : ألفان أو ثلاثة .

وفيه : تواترت الأخبار بقربهم من الصالحية ،
واتقل الأمراء البحرية الى بليس ، وركب منهم
عدة وافرة لملاقاة العسكر الواردين . وخرج محمد
على وحسن بيك فى جمع كثير من العسكر الخيالة
والرجالة الى جهة الشرقية ببليس ، ونقلوا عرضهم
من ناحية البحر ، وردوا الكثير من أثقالهم الى
المدنة .

٢٧ منه (٦ يولية ١٨٠٤ م) :

أحضر الباشا طائفة اليهود وجسهم وطلب منهم
ألف كيس ، واستمروا فى الحبس .

وفيه : رجع الألفى الصغير من ناحية انبابة الى
جهة الشيمى باستدعاء من سيده . وأشاع العثمانية
أنهم ذهبوا ورجعوا من حيث أتوا ، لعجزهم وعدم
قدرتهم عليهم . وكان فى ظنهم أمور لا تتم لهم كما
ظنوا . ولحققتهم جميع العساكر من الجهة الشامية .

وفيه : أرسلوا ملاقة للعساكر الواردين وفيها
قومانية وجبخانة ولوازم على ستين جملا ومعهم
هجانة . فعندما توسطوا البرية ، أحاط بهم العربان
وأخذوهم .

وفيه : تسحب أشخاص من كبار المسكر
بأتباعهم ، وذهبوا الى المصريين وانضموا اليهم :
فمنهم من ذهب الى قبلى ، ومنهم من ذهب الى
بحرى .

وفيه : عدى الألفى الكبير والصغير الى البر
الشرقى عند عثمان بك ، وترفعت مراكبهم الى
قبلى .

وفيه : حضر غابدى بك وحسن بك من البحر
الى بولاق ، واقتل محمد على الى طنط جهة برائيم
التي ، بعد مقتلة وقعت بينهم وبين المصرية ،
وانهمزوا وذهبوا الى تلك الجهة .

غاياته (٩ يولية ١٨٠٤ م) :

أفرجوا عن طائفة اليهود بعد أن قرروا عليهم
مائتى كيس خلاف البرانى .

وفيه : حضر خازندار الباشا من الديار الرومية
الى ساحل بولاق ، وصحبته أمتعة ولوازم للباشا .
وأشياء فى صناديق .

وسيح الأنظر

قرته (١٠ يولية ١٨٠٤ م) :

ركب الخازندار المذكور ، وطلع الى القلعة من
وسط المدينة ، ونزل لملاقاته أغوات الباشا
والجاویشية والشفاسية . وحضر صحبته نحو
خسين عسكريا ، ومشوا أمامه وخلفه ، والصناديق
التي حضرت معه خلفه محملة على الجمال ،
والجاویشية أمامه يضربون على طبلات حكم العادة
فى ركوباتهم ، ومعه عدة كبيرة من أتباع الباشا ،
وأمامه الجنيات والخيول .

وفيه : وصلت مراكب من الديار الحجازية الى
السويس ، وفيها حجاج ومخاربة . ولم يصل منهم
الا القليل ، وأكثرهم قتله المبكر الذى بقى بمكة

بعد موت شريف باشا ومن انضم اليهم من أجناسهم .
وقد حصل منهم غاية الضرر والفساد والقتل ، حتى
فى داخل الحرم ، لأن الشرف غالبا ضمهم اليه ،
ورتب لهم جامكية . واستمروا معه على هذا
الحال القتلح

وفيه : انهم أمر المسكر الدلاة القادمين من
الجهة الشامية ، واضطربت الروايات عن أخبارهم :
فمنهم من قال : ان المصرية وقوا لهم بالطرق
وقاتلوهم ، ورجع من نجى منهم بنفسه . ومنهم
من قال : انهم لما بلغهم قطع الطريق عليهم ..
رجعوا من حيث أتوا ، وبعضهم طلب الأمان ،
وانضم اليهم . ومنهم من قال ان فرقة منهم ذهبت
من قم الرمانة من طريق دمياط ، وقيل انهم حضروا
بشائين رأسا منهم الى بليس .

٣ منه (١٢ يولية ١٨٠٤ م) :

خرج الوالى بعلة من المسكر وصحبته مدافع
وجيخانة ، واستقر بزواية الدرداش .

٤ منه (١٣ يولية ١٨٠٤ م) :

هجم الأمراء القبالي — وهم : الألفى وأتباعه
وعثمان بك حسن ومن انضم اليهم — على طرا
وملكوا منها البرج الذى من ناحية الجبل ، بعد
ما ضربوا عليه من أعلى الجبل ، وتمعدوا الى ناحية
البساتين ، وتركوا طرا ومن فيها خلف ظهورهم ،
وتحاربوا مع طواير المسكر — وكانوا أنقارا
قليلة — ونظرهم الباشا من قلعته ، فزق على
السلحدار ، فركب فى عدة من الشفاسية وخرج
اليهم . فعندما واجهوهم .. لم يثبتوا ، وولوا
بعدما سقط منهم أنقار .

وفيه : وصل جواب من الأمراء القبالي الى
المشايع يذكرون فيه : أنهم يخاطبون الباشا فى اخاد
الحرب ، وصلحه معهم ... فان ذلك أصلح له ،

كثيرة طلعموا بطائفة منهم الى القلعة ، ودخل الباقون الى المدينة ، وطلبوا طائفة المزينين لمداواة الجرحى بالقلعة . وأخذوا في ذلك اليوم برج الدير الذي كان يأيدى العسكر جهة البحر بطرا ، وقتلوا من به من العسكر ، وأعطوا لمن بقى الأمان ... رهم نحو الثلاثين شخصا .

٨ منه (١٧ يولية ١٨٠٤ م) :

وصل المصرية الذين كانوا جهة الشرق ، ووصلت مقدماتهم الى جهة العادلية وناحية الشيخ قمر... بل وعند الكيمان خارج باب النصر . فأغلقوا باب النصر وباب الفتوح والعدوى ، وهربت سكان الحسينية ، وحصلت كرشة بالجمالية . ولم يخرج اليهم أحد من العسكر ، بل أخذوا يضربون المدافع من أعلى السور . ودخل محمد بيك المنفوخ الى الحسينية ، وجلس بمسجد اليومى ، وانتشر الممالك والأتباع على الدكاكين والقهاوى ، واستمر ضرب المدافع الى بعد الظهر . ثم ان المصرية ترفعوا عن الحسينية الى الشيبكية .. فبطل الرمى ، ودخل الوالى وأمامه ثلاثة رؤوس تبين أنها رؤوس مغاربة من مقاطيع الحجاج المرضى كانوا مطروحين خارج القاهرة .

وفيه : طلب جماعة من الممالك السيد بدر المقدسى ، فخرج اليهم من داره خارج باب الفتوح ، فأخذوه عند البرديسى وابراهيم بيك ، فأسر اليه ابراهيم بيك بأن يكون سفيرا بينهم وبين الباشا فى الصلح معهم ، وأنه لا يستقيم حاله مع العسكر ، ولا يرتاح معهم ، وليعتبر بما فعلوه مع محمد باشا . وأما نحن فنكون معه على ماينبغى من الطاعة والخدمة ، وحضر فى أواخر النهار .

٩ منه (١٨ يولية ١٨٠٤ م) :

ركب وطلع الى الباشا وبلغه ذلك ، فقال له الباشا على سبيل الاختبار والمسايرة : « قولك

ويكونون معه على مايجب وما يأمر به ، ويرتاح من علوفة العسكر التى أوجبت له المصادرات وسلب الأموال وخراب الاقليم ، وأن يختار من العسكر طائفة معلومة معدودة يقيمون بمصر ، ويأمر الباقى بالسفر الى بلادهم .

فلما خاطبوه بذلك ، وأطلعوه على المكتابة ، أبى وقال : « ليس لهم عندى الا الحرب » .

٥ منه (١٤ يولية ١٨٠٤ م) :

حصلت أيضا بينهم محاربة ، وأصيب من المراكب الحربية ، التى يسمونها الشلنبات ، اثنتان : غرقت احدهما ، وأحرقت الثانية . واتهم اباشا الطبقية فقتل منهم خمسة : اثنان بالقلعة ، وثلاثة بالرميلة .

٦ منه (١٥ يولية ١٨٠٤ م) :

حضر محمد على من بحرى وذهب الى جهة القرافة فأقام ب مقام عقبة بن عامر الجهنى . ووقع فى ذلك اليوم محاربات أيضا .

٧ منه (١٦ يولية ١٨٠٤ م) :

أشيع حضور الأمراء القبالي الى ناحية بهتيم ، وأنهم أرسلوا الى المطرية بالجلاء عنها ، ورمحت العرب نواحي بولاق والجهات البرانية ، وضربوا عليهم مدافع .

وفى ذلك اليوم : نظر الباشا وكبار العسكر الى جهة البساتين ، فلم يروا أحدا من المصرية . فركب محمد على وأخذ معه عدة وافرة ودخلوا تلك الجهة فلم يروا أمامهم أحدا . فلم يزالوا سائرين ، وإذا بكمين خرج عليهم من جانب الجبل ، فأوقع معهم وقعة قوية حتى أئخنوهم ، وقتل منهم من قتل ، حتى لحقوا بالمشاة الرجالة ، فضربوا عليهم طلقا وولوا مدبرين . فصار محمد على يستحثهم ويردهم ويحرضهم ، فلم يسمعوا له ، ورجعوا وفيهم جرحى

صحيح .. ومن يرجع اليهم بالجواب ؟ » . فقال :
« أنا » فحقدتها عليه ، ثم قام من عنده ، فأرسل
خلفه وعوقه عند الخازن دار .

فذهب اليه في ثاني يوم شيخ السادات والسيد
عمر النقيب ، وترجوا في اطلاقه ، فامتنع وقال :
« أخاف عليه أن يقتله العسكر ، ولا بأس عليه .
ولا يصلح اطلاقه في هذا الوقت ، وبعد خمسة
أيام يكون خيرا ، فانه مقيم عند الخازن دار في اكرام
وفي مكان أحسن من داره .. وهذا رجل اختيار
يفعل هذه الفعال : يخرج الى المخالفين متذكرا ،
ويرجع من عندهم بكلام ، ثم يطلب العود اليهم
ثانيا » .

وفيه : حضر محمد علي عند الباشا بعد الغروب
وقبض منه خمسين كيسا ، وقيل ثمانين ورجع
الى معسكره ، فجمع العسكر وتكلم معهم وفرق
عليهم الدراهم ، واتفق معهم على الركوب والهجوم
على من بطرا في تلك الليلة على حين غفلة . وكان
كاتبهم قبل ذلك يلاطفهم ويظهر العجز ويطلب معهم
الصلح وأمثال ذلك . وفي ظن أولئك صدقه ، وعدم
قدرتهم على مقاومتهم وملاقاتهم . فلما مضى نحو خمس
ساعات من الليل ، ركب محمد علي في نحو أربعة

آلاف .. فرسانا ورجالا . فلما قربوا من الحرس في
آخر السادسة ، ترجلوا وقسموا أنفسهم ثلاثة
طواير : ذهب قسم منهم جهة الدير ، والثاني جهة
المتاريس ، والثالث جهة الخيل ... والجماعة وهم :
صالح بيك الألفي ومن معه في غفلتهم ونومهم
مطمئنون ، وكذلك حرسهم ، فلم يشعروا الا وقد
صدموهم ، فاستيقظ القوم وبادروا الى الهرب
والنجاة ، فملكوا منهم الدير وأبراج طرا — وكان
بها عسكر العثمانيين الى هذا الوقت محصورين ،
وقد أشرفوا على طلب الأمان — وأخذوا مدفعين
كانوا بالمتراس وبعض أمتعة ، وثمانى هجن ،
وثلاثة عشر فرسا . وقتل بينهم بعض أشخاص
وانجرح كذلك ، ورجع محمد علي والعسكر
على الفور من آخر الليل ، ومنعه خمسة
رؤوس : فيها رأس واحدة لم يعلم رأس من هي ،
والباقي رؤوس عربان أو سياس أو غير ذلك .
وزعموا أن تلك الرأس هي رأس صالح بيك ،
وأرسلوا المبشرين آخر الليل الى الأعيان ليأخذوا
البقاشيش . وأشاعوا أنهم قبضوا على الألفي
الصغير ، وأحضروه معهم حيا ، والباقي رموا
بأنفسهم الى البحر .

ولما طلع محمد علي الى الباشا ، خلع عليه القفوة
التي حضرت له من الدولة ، وعلقوا تلك الرؤوس
على السيل بالرميلة ، وضربوا شنكا من القلعة



برج الدير .. في طرا

ربعا بمائة نصف فقية . فبكوني الأرواب على ذلك
الحساب بألفين وأربعمائة نصف ١

وخرج عساكر كثيرة ، ووقعت حروب بين
الفرقيين ، ورجع القبطيون الى طرا وحاربوا عليها ،
وكانوا شرعوا في عمارة ما تهدم من أبراجها ، ونقلوا
اليها الذخيرة والقومانية والجبجانة والعسكر ،
وأخذوا جمال السقائين لنقل الماء الي الصمريج
الذي ببرج طرا .

وذار الأغا والوالى على المخازن ببولاق ومصر ،
وأخذوا منها ما وجدوه من الغلة ، وأمروا ببيعها
على الناس بخمسين نصفا .. الربع . وأخذوا
لأنفسهم ما وجدوه من الشعير والفول .

١٣ منه (٢٢ يولية ١٨٠٤ م) :

فلدوا حسن أغا نجاني الحسبة ، فخافته
السوقة ، واجتهدوا في تكثير العيش والكمك
والماكولات بقدر امكانهم . واجتهد هو أيضا في
الفحص على الغلال المخزونة وبيعها للخبازين . وأما
اللحم الضانى ، فانه انعدم بالكلية لعدم ورود
الأغنام .

وفيه : شح ورود الغلة في العرصات ، وذهب
أناس الى بر انبابة ، فاشتروا الربع بشانين نصفا
وأزيد من ذلك ، والفول بمائة وعشرين . وعلق
أكثر الناس على بهائمهم ما وجدوه من أصناف
الحبوب مثل : الحمص والعدس — وهم المياسين
من الناس — وأما غيرهم فاقترضوا على التبن .

وأما العنب والتين — في وقت وفرتهما — فلم
يظهر منهما الا القليل . وبيع الرطل من العنب
بأربعة عشر نصفا ، والتين بسبعة أنصاف ، وذلك
بعد سلوك الطريق ومشى السفن .

١٤ منه (٢٣ يولية ١٨٠٤ م) :

اجتمعت العساكر الكثيرة للحرب عند شبرا ،

ومدافع ، وأظهروا السرور ، وداروا بالأسواق
يضرّبون بالطناير ، وشبخ المفروضون بأنافهم على
المفرضين للمصرية . ثم تبين عدم صحة تلك الاشاعة
وأن تلك الرأس رأس بعض الأجناد ، ولم يمسك
الأثني كما قالوا .

١٠ منه (١٩ يولية ١٨٠٤ م) :

وصل من بحرى ثلاث شلنابات ، كان الباشا
أرسل يطلبها عوضا عما تلف . فعند ما وصلوا الى
جمة باسوس — وهناك مركز للمصرية على جرف
عال ، أقعدوا به طبجية ، لينمعوها من غير المراكب —
فضرّبوا عليهم ، وصرب من في المراكب الحربية أيضا على
من في البر ، فكان ضرب من في البر يصيب من في
البحر ، وضربهم لا يصيبهم لعلو الجرف عليهم .
فاحترقت جبجانة احدى الشلنابات ، واحترق ما فيها
بها ، وغرقت الثانية ، ويقال ان الثالثة لم تكن من
المراكب الحربية ، بل هي مركب معاش .

وكان حضر في خفارتهم عدة من المراكب
المسافرين ، فخافوا ورجعوا ، وقبضوا على بعض
قواويس بها غلال ، فأخذوا ما فيها . فلما شاع ذلك
بالمدينة ، رفعوا ما كان موجودا من الغلة بالعرصات
وشخت الغلال ، وعدم الفول والشعير ، وبيع ربع
الوية من الفول بتسعين نصفا ، وقل وجود الخبز
من الأسواق ، وخطف بعض العسكر ما وجدوه
من الخبز ببعض الأفران ، وأخذوا الدقيق من
الطواجين ١

وصار بعض العسكر يدخل بعض البيوت ،
ويطلبون منهم الأكل واليقيق لدوابهم .

وفي يوم الخميس والجمعة : اشتد الحال ،
وبيع ربع الوية من القمح بيسعين نصفا ولمانين
نصفا ، وعدم الفول ، واشترى بعض من وجده

الخبر الى الباشا ، فأحضر عبد الرحمن بيك
والمزين الذى كان يحلق له ، لمعرفتهما به وآخرين ،
وطلب الرأس فأحضروها وتأملوها . فمنهم من
اشتبهت عليه ، ومنهم من أنكرها لعلامات يعرفها
به ، وهى : الصلع ، وسقوط بعض الأسنان . ثم
أعيدت الى مكانها على ذلك الاشتباه . ثم انهم
عملوا شنكا ومدافع لذلك .

ثم طلبها محمد على أيضا ، وفعل مثل ذلك ،
وردها أيضا ، ثم رفعوها فى الليل . واستمر الفرح
والشك يومين .. والناس بين ناف ومثبت ، ومسلم
ومنكر ، ومعاند ومكابر .. حتى وردت خدم من
معسكرهم ، وأخبروا بحياة ابراهيم بيك ، وأنه
بوطاقه جهة الشرق . فزال الشك وأرسل المصريون
الى بيوتهم أوراقا .

١٥ منه (٢٤ يولية ١٨٠٤ م) :

وقع خسوف قمرى . وطلع من المشرق منخفضا
آخذا فى الانجلاء ، ومقدار المنخفض منه عشرة
أصابع ، ونم انجلاؤه فى ثانى ساعة من الليل ،
وكان بأول برج الدلو .

١٧ منه (٢٦ يولية ١٨٠٤ م) :

ركب الأمراء المصرية وانتقلوا من الخانكة ،
ومروا من خلف الجبل بخملاتهم وأثقالهم ، وذهبوا
الى جهة قبلى ، وخاب سعيهم ، ولم ينالوا غرضهم .
وكان فى ظنهم أنهم اذا حصلوا بالقرب من المدينة
خرج اليهم الكثير من العسكر ، وانضم اليهم ...
لمقدمات سبقت منهم ، ومراسلات وكلام وقع بينهم
وبين أتباعهم ومماليكهم المجتمعين عند أكابرهم ،
وذهب عنهم وعن بيوتهم وحرهم ، بل واخراج بعض

ورموا على بعضهم بالمدافع والقرايين والبنادق
من ضحوة النهار . ثم التحم الحرب بين الفريقين ،
واشتد الجلال بينهما الى بعد منتصف النهار .
وصبر الفريقان ، وقتل بينهما عدة كبيرة من العسكر
الأرتوود ، وطائفة المماليك والعربان ، فقتل من
أكابر العسكر أربعة أو خمسة ، ودخلوا بهم
المدينة ، وانكف الفتان ، وانحازا الى معسكرهما .

وبعد هجمة من الليل ، اجتمع العسكر من
الانكشارية والأرتوودية وغيرهم ، وكبسوا على
متاريس شبرا — وبها حسين بيك المعروف
بالأفرنجى ، وعلى بيك أيوب ، ومعهما عسكر من
الأرتوود الذين انضموا اليهما ... ومنهم الرماة
والطبيجية — فأجلوهم عن المتاريس ، وملكوها
منهم ، ووقع بينهم قتلى كثيرة . وقتل من عسكر
حسين بيك المذكور نحو مائة وستين نفرا ، وعدة
من مماليك على بيك أيوب خلاف الجرحى .
وزحفوا على باقى المتاريس ، فملكوا منهم متاريس
شلقان وباسوس ، وانهمزم المصرية الى جهة الشرق
بالخانكة وأبى زعبل .

وقيل ان العسكر المنضمين اليهم المتقيدون
بالمطاريس ، هم الذين خامزوا عليهم ، وانهمزموا
عن المتاريس ، حتى كانوا هم النسب فى هزيمتهم .
فلما أصبح النهار ، حضروا بسبعة رؤوس فيها
ثلاثة من الأجناد الملتحين ، وثلاثة بشوارب ، ورأس
أسود ، فعلقوها بباب زويلة . ومن الثلاثة أجناد
رأس له لحية طويلة شائبة شبيهة بلحية ابراهيم
بيك الكبير . فقال بعض الناس : « هذه رأس
ابراهيم بيك بلا شك » . وأشيع ذلك بينهم .
فاجتمع الناس من كل ناحية للنظر اليه ، ووصل

الأتباع والمالِك بمطلوبات الى أسيادهم خفية
وليلًا ، حتى استقر في أذهان كثير من العقلاء
ملاآت كثير من الببائشيات ورؤساء العسكر مع
المصرية .

وعندما تحقق العسكر ذهابهم ، دخلوا الى
المدنة بأثقالهم وحمولهم ، وانتشروا بها حتى
ملاؤا الأزقة والطرق والبيوت .

وقدّمت السفن المعوقة ، وتواجدت الغلال
بالرقع . وتخلف عنهم أناس كانوا منضمين اليهم ...
طلبوا أمانا بعد ذلك ، وحضروا بعد ذلك الى مصر .

وقدّمت عساكر ودلاة في المراكب ، ودخلوا
البيوت ببصر وبولاق ، وأخرجوا منها أهلها
وسكنوها . واذا سكنوا دارا أخربوها ، وكسروا
أخشابها وأحرقوها لوقودهم . فاذا صارت خرابا
تركوها ، وطلبوا غيرها... ففعلوا بها كذلك . وهذا
دأبهم من حين قدومهم الى مصر ا حتى عم الخراب
سائر النواحي ، وخصوصا بيوت الأمراء والأعيان،
وبواقى دور بركة الفيل وما حولها من بيوت
الأكابر والقصور التى كانت بضرب بأدائها المثل .
وفى ذلك يقول صاحبنا العلامة ، الشيخ حسن
الطار :

« وأما بركة الفيل ، فقد رميت بكل خطب جليل،
وأورثت العين بوحشتها بكاء وعويلا ، والقلب
بذكر ماسلف من مباهجها حزنا طويلا . تبدلت
مفردات أطيارها بنواعب الغربان ، ومحاسن
غزلانها بكل غلج تقذى به العينان ، ومشيد
قصورها بخرائب وتلال ، وأكابر أمرائها بصعاليك
وآرذال . ولقد تذكرت ماضى عيش بها سلف ،

ومعهد أنس كأن الكآبة بعده خلف . فقلت متذكرا
أولئك الأيام ، التى مرت كأضغاث أحلام :

عللانى بذكر خشف رخيّم
واسقيانى فى الروض بنت الكروم

وصفا لى زمان أنس صفا لى
بجيب غض وراح قسديم

حيثما الدهر طوعنا والأمانى
فى قياد ، والوهم فى تهويم

والربا فى نضارة وزهو
حل فيه من الغمام السجيم

خافضات به النصون رؤوسا
مقلات من در طل نظيم

ولصفو القدير فيها ولوع
يرقب الوصل من مرور النسيم

وترى الورد كالملك لديه
كل غصن يهوى بقدر قويم

بسط الروض نحوه وشى بسط
حاكاها الطل فى ابتداع وسيم

للجين النهور فيها طراز
ولدر الزهور رقص الرسوم

وبكاء الحمام هيج عندى
فرط شوق الى الزمان القديم

زمن بالسرور لم يك الا
حلما مر أو تفاضى حلیم

فيه كانت تجلى بدور جمال
أشرقت عن نجوم ليل بهيم

من بنى الترك ذى الجمال المقتدى
أيضا هى فى الحسن ريم الروم

كل ظيبي تراه يزهو ويرنو
بقوام القنا وطرف الرسم
برهة باجتلا المدام يحييك
ويحييك بعد بالتكليم
: أسرولى وأطلقوا دمع جفنى
وأثاروا فى القلب نار الجحيم
يا زمانا ببركة الفيل ولى
فيه قند كنت ثاويا فى لعيم
لا عدمنك من زمان تقضى
بين ساق وشادن ونعيم

قلت وهكذا الدنيا طبت على هذا الشأن ،
من سره زمان ، ساءته أزمان . وللعاقل فى تقلبات
الأيام عبر : ماشوهد منها وما غير !

١٨ منه (٢٧ يولية ١٨٠٤ م) :

وصل أمير أخور الصغير من الديار الرومية ،
وطلع الى بولاق فى صباحها ، وركب الى القلعة .
فأرسله الباشا ببيت رضوان كتحدا ابراهيم بك
بدرج الجواميز . ولم يعلم ما بيده من الأوامر ، ثم
تبين أن من الأوامر التى معه ، اخراج خمسمائة
من العسكر الى بندر ينبع البحر ، يقيمون بها
محافظين لها من الوهابيين ، ويدفع لهم جامكية
سنة كاملة وذخيرتها وما يحتاجون اليه من مؤنة
وغلل وخبثانة .

٢٢ منه (اول اغسطس ١٨٠٤ م) :

قرأوا تلك الأوامر . وفيها أنه تعين محمد باشا
أبو مرق بعساكر الشام الى الجباز . فأحضر
الباشا كبار العسكر ، وعرض عليهم ذلك الأمر ،
وقال لهم : « انه ورد لى اذن عام فى تقليد من

أقلده .. فمن أحب منكم قلده امرية طوخ أو
طوخين » . فامتنعوا من ذلك ، وقالوا : « نحن
لا نخرج من مصر ، ولا نتقلد منصبا خارجا عنها » .
ووصلت الأخبار فى هذه الأيام ، أن الوهابيين
ملكوا ينبع .

وفيه : وردت الأخبار بأن الألفى عدى الى
البر الشرقى . وكان قبل ذلك عدى الى البر
الغربى ، وانتشرت عساكره الى الجسر الأسود ،
ثم رجعوا وعدوا الى البر الشرقى .

وفيه : طلع المشايخ عند الباشا ، وشفعوا فى
السيد بدر المقدسى ، فأطلقه ونزل الى داره .

٢٥ منه (٢ اغسطس ١٨٠٤ م) :

قلدوا على آغا الوالى على العسكر المعين الى
الينبع أميرا ، وضربوا له مدافع . وفرح الناس
بعزله من الولاية . فانه كان أحب من تقلد الولاية
من العشانية ، وكان الباشا يراعى خاطره ، ولا
يقبل فيه شكوى .

وتعين للسفر معه عدة من العسكر من خللاط
مصر البطالين : أروام وخلافهم .

وفيه : قلدوا مناصب كشوفية الأقاليم لأشخاص
من العثمانية .

٢٨ منه (٦ اغسطس ١٨٠٤ م) :

تشاجر شخص من العسكر مع شخص حكيم
فرنساوى عند حارة الافرنج بالموسكى ، فأراد
العسكرى قتل فرنساوى ، فعاجله فرنساوى
فضرب قتلته وفر هاربا . فاجتمع العسكر وأرادوا
نهب الحارة ، فوصل الخبر الى محمد على فركب
فى الوقت ، ومنع العسكر من النهب ، وأغلق باب



السقايون يجلبون الماء من البحر الى القلعة

واستمر عثمان بيك حسن والبردى وأتباعهما
بالبر الشرقى ، وشرعوا فى بناء متاريس وقلاع
بساحل البحر من الجهتين .

وأرسل الباشا الى جهة دمياط ورشيد يطلب
عدة مراكب وشلنات ، لاستعداد الحروب .
واجتهد فى ملء صهاريج القلعة ، وطلبوا السقائين
والزموهم بذلك فشح الماء بالمدينة ، وغلا
سعره لذلك ، ولغلو العليق ، حتى بلغ ثمن الراوية
أربعين نصفاً بعد المشقة فى تحصيله . لأنه لم يبق
الا الروايا اللاكى لأكابر الناس ، فيمنعها العطاش
عند مرورها قهراً ، ويدفعون ثمنها بالزيادة . واتفق
شدة الحر ، وتوالى هبوب الرياح الحارة ، وجفاف
الجو ، وتأخير زيادة النيل .

الحارة ، وقبض على وكيل قنصل فرنساوية ،
واخذه معه ، وحبسه عنده ... حتى سكن العسكر .
وفى تلك الليلة أيضاً ، مر جماعة من العسكر
بخط الدرب الأحمر ، فأرادوا أخذ قندل من
قناديل السوق . فقام عليهم الخفير يريد منهم ...
فدبحوه ، وأخذوا القندل . فأصبح الناس ... فرأوا
الخفير مذبوحاً ، وسمعوا القصة من سكان الدور
بالحظة . ووجدوا أيضاً عسكرياً مقتولاً جهة
الموسكى . وغير ذلك حوادث كثيرة فى كل يوم ...
من أخذ النساء والمردان والأمتعة والمبيعات من غير
ثمن !

وانقضى الشهر ، وفيه استقر الأمراء المصرية
جهة صول والبرنيل وما قابلهما من البر الغربى .

جمادى الأولى

في غرته (٨ أغسطس ١٨٠٤ م) :

كان مولد المشهد الحسيني ، ونزل الباشا وزار المشهد ، ودخل عند شيخ السادات باستدعاء ، وتغدى عنده ، ثم ركب راجعا قبل الظهر الى القلعة . ولم يقع في ليالى المولد حظ للناس ، ولا انشراح صدور كالعادة ، بسبب اذية العسكر واختلاطهم بهم ، وتكديرهم عليهم في الحوانيت والأسواق . حتى انهم في آخر الليلة — التي كان من عادتهم يسهرونها مع ليال قبلها الى الصباح — أغلقوا الحوانيت ، وأطفأوا القناديل من بعد أذان العشاء ، وذهبوا الى دورهم .

وفيه : قرروا فردة غلال على البلاد : قمح وشعير وتبن ... أعلى وأوسط وأدنى : الأعلى خمسة عشر أردبا .. وخمسة عشر حمل تبن ، والأوسط عشرة ، والأدنى خمسة . على أن اقليم القليوبية لم يبق به الا خمسة وعشرون قرية فيها بعض سكان . والباقي خراب ليس فيها ديار ، ولا نافخ نار !

ومجموع المطلوب ثمانية آلاف أردب ، خلاف التبن ، وذلك يرسم ترحيلة على باشا الى ينبع . ثم قرروا فردة أخرى كذلك أيضا وقدرها ألف وخمسمائة كيس رومية .

٤ منه (١١ أغسطس ١٨٠٤ م) :

جمع الباشا المشايخ في ديوان خاص ، بسبب مكتوب حضر من الأمراء المصريين ، خطابا للمشايخ

مضمونه : « أنهم يسمعون بينهم وبين الباشا فيما يكون فيه الراحة للبلاد والعباد ، وأنه يخرج هذه العساكر ... فانهم ان داموا بالاقليم كملوا خرابه وهتكوه بأفاعيلهم وظلمهم وقسوتهم ، وطلب العلوفات التي لا يفي ببعضها خراب الاقليم .

« وأما نحن .. فاننا مطيعون السلطنة وخدامون بلا جامكية ولا علوفة ، وان لم يفعل ذلك يعطينا جهة قبلى تتعيش فيها . وان أرادوا الحرب .. فليخرجوا لنا بعيدا عن الأبنية ، ويحاربونا في الميدان . والله يعطى النصر لمن يشاء » .. الى آخر ما قالوه

فقال الباشا للمشايخ : « اكتبوا لهم .. يأخذوا جهة اسنا ومقبلا » ، فقالوا : « نحن لانكتب شيئا اكتبوا لهم مثل ما تعرفون » . وانقض المجلس . وفيه : عزم جماعة من أكابر العسكر على السفر الى بلادهم ، وهم : أحمد بيك رفيق محمد على ، وصديق أغا وخلافهما . وأخذوا في تشهيل أنفسهم وبيع متاعهم ، ونزلوا الى بولاق عند عمر أغا ونزل محمد على لوداعهم ببيت عمر أغا .

فاجتمع العسكر وأحاطوا بهم ، ومنعواهم من السفر قائلين لهم : « أعطونا علوفاتنا المنكسرة .. والا عطلناكم ، ولا ندعكم تسافرون بأموال مصر ومنهوباتها » . فأخذوا خواطرهم ووعدوهم على أيام ، وامتنعوا من السفر .

٨ منه (١٥ أغسطس ١٨٠٤ م) :

تقلد شخص من العثمانيين الزعامة عوضا عن على أغا الذى تولى باشة السفر للينبع

١٠ منه (١٧ أغسطس ١٨٠٤ م) :

اجتمع العسكر وطلبوا علوفاتهم من الباشا ،
فدفعوا للارتزود جامكية شهر .

١١ منه (١٨ أغسطس ١٨٠٤ م - ١٢ مسرى
١٥٢٠ ق) :

أوفى النيل المبارك سبعة عشر ذراعا ، وكسر سد
الخليج في صبح يوم السبت ... بحضرة الباشا
والقاضي ومحمد على وباقي كبار العسكر وجميع
العسكر ... وكان جمعا مهولا . وضرب الجميع
بنادقهم ، وجرى الماء بالخليج ، وركبوا القوارب
والمرابك ، ودخلوا فيه وهم يضربون بالبنادق .
وكذلك من كان منهم بالقواطين والبيوت .

وكان الموسم خاصا بهم دون أولاد البلد
وخلافهم . وكذلك سكنوا بيوت الخليج مع
قحابهم من النساء .

ومات في ذلك اليوم عدة أشخاص — نساء
ورجالا — أصيبوا من بنادقهم . ومما وقع : أنه
أصيب شخص من أولادالبلد برصاصة منهم ومات ،
وحضر أهله بصرخون ، وأرادوا أخذه ليواروه ،
فمنعهم الوالى ، وطلب منهم ثلاثة آلاف درهم
فضة . ولم يمكنهم من شيله حتى صالحوه على
ألف وخمسةائة !

وكذلك من كان منهم بالقواطين والبيوت ،
أذن لهم في أخذه ومواراته . ونظر بعضهم الى
أعلى بيوت الخليج فرأى امرأة جالسة في الطاقة ،
فضربها برصاصة فأصابتها في دماغها وماتت من
ساعتها ، وعير ذلك مما لم تتحقق أخباره .

١٣ منه (٢٠ أغسطس ١٨٠٤ م) :

خرج على باشا الوالى المسافر الى ينبع خارج
البلد ، وأقام جهة العادلية ، وارتحل يوم السبت
تاسع عشره ، ومعه مائة عسكرى لا غير ، وذهب
الى جهة السويس .

وفيه : أرسل الباشا الى المشايخ والوجاقلية

وتكلم معهم في توزيع فردة على أهل مصر ، لفلاق
جامكية العسكر . فدافعوا بما أمكنهم من المدافعة ،
فقال : « هذا الذى نطلبه ، انما نأخذه على سبيل
القرض ، ثم نرده اليهم ا » . فقالوا له : « لم يبق
بأيدي الناس ما يقرضونه ، ويكفى الناس ما هم
فيه من الغلاء ووقف الحال . وغير ذلك » .
فالتفت الى الوجاقلية ، وقال : « كيف يكون
العمل ؟ » . فقال أيوب كنتخدا : « نعمل جمعية مع
السيد أحمد المحرقى ، ويحصل خير » . فركن
الباشا على ذلك . ثم اجتمعوا مع المذكور ، واتفقوا
أنهم يطلبونها بكيفية ليس فيها شناعة ولا بشاعة .
وهى : أنهم قرروا على الوجاقلية قدرا من
الأكياس ، وكتبوا بها تناييه بأسماء أشخاص . منها
ما جفلاوا عليه عشرين كيسا ، وعشرة ، وخمسة
وأقل وأكثر . وكذلك وزعوا على أشخاص من
تجار البن وخان الخليلي ، ومغاربة أغراب ، وأهل
الغورية وخلافهم . ومن تراخى في الدفع ، قبضوا
عليه وأودعوه في أضيق الحبوس ، ووضعوا
الحديد في يديه ورجليه ورقبته .

ومنهم من يوقفونه على قدميه والجزيرمرربوط
بالسقف ا

وأرسلوا العسكر الى بيوتهم ، فجلسوا بها
يأكلون ويسكرون ، ويطلبون من النساء
المصروف .. خلاف الأكل الذى يطلبونه ويشتهونه
— وهو ثمن الشراب والدخان والفساقة — بل
ويأتون بالقحباب معهم ، ويضربون بالبندق
والرصاص بطول الليل والنهار .. وأمثال ذلك .

٢٤ منه (٢١ أغسطس ١٨٠٤ م) :

أرسل الباشا عسكرا ، فقبض على الأمير على
المدنى صهر ابن الشيخ الجوهري ، وجبسه .
فركب اليه المشايخ ، وكلهه في شأنه ، وقالوا :

ذلك ، وطلق منه زوجته قهرا ، بعد أن كان صرف عليها مبلغ دراهم كثيرة في المهر والنفقة والكسوة ، ويكتبون له عليه علامة الباشا ، ويأخذ صحته أشخاصا معينين من أقرانه ، فيسحبون المدعى عليه الى المحكمة ، فلا يثبت عليه ذلك ، فيكتب له القاضي اعلاما بعدم صحة الدعوى بدراهم يدفعها على ذلك الاعلام . فيذهبون الى ديوان الباشا ، ويخبرون الكتخدا ببطلان الدعوى ، ويطلعون على الاعلام بحضرة الخصم — وهو يظن البراح والخلاص من تلك الدعوى الباطلة — فيقول الكتخدا للخصم : « أعط المباشرين خدمتهم خمسة أكياس .. واذهب » . وأمثال ذلك ا

فان وجد شافعا أو منجّيا-توسط له ، أو تشفع في تخفيف ذلك قليلا ، أو ضمنه ، أو دفع عنه وأثقه..والا حبس كغيره ، وذاق في الحبس أنواع العذاب حتى يدفع مآقرره عليه الكتخدا .

وأتفق أن جماعة من سكان المحجر شكوا نظار جامع وسبيل ومدرسة متخرجة من أيام الفرنسيين، ومعضلة الشعمائر والايراد . فأمر الكتخدا باحضار النظار — وهم ناس فقراء وعواجز — وسألهم ، فأخبروا بتعطيل الايراد ، فأحضروا مباشرين الأوقاف فحاسبهم ، فلم يطلع عليهم شيء . فقال الكتخدا : « أعطوا المباشرين خدمتهم » . فلما فرغوا من ذلك بعد مشقة عظيمة ، قالوا : « هاتوا محصول الخزينة » . فقالوا : « وما يكون محصول الخزينة ؟ » . قالوا : « ثلاثون كيسا : على كل ناظر عشرة أكياس » . فبهت الجماعة وتحيروا في أمرهم ، ولم يعلموا مايقولون . وفي الحال ، جذبهم الى الحبس ، وفيهم رجل من جماعة المشهدة ، عاجز لايقدر على القيام .. فسعى عليه حريمه وخشداشيته ، وصالحوا عليه بكيسين ، وخلصوه .

« انه رجل وجاقل من خيار الناس .. وما السبب في القبض عليه ، وما ذنبه الموجب لذلك ؟ » ، فقال : « انه رجل قبيح . ولى عليه دعوى شرعية . واذا كان من خيار الناس ومن الوجاقلية .. لاي شيء يعمل كتخدا عند صالح بيك الألفى ، وأه عبيد هروب مخدومه من الشرقية .. أخذ ما كان معه من المال على أربعة جمال ، ودخل بها الى داره . وعندى بيته تشهد عليه بذلك ، فأنا أطالبه بالمال الذى عنده » . وقاموا ونزلوا من غير طائل .

٢٦ منه (٢ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

توفي الشيخ موسى الشراقوى الشافعى ، وكان من أعيان العلماء الشافعية .

٢٨ منه (٤ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

أحضروا المحمل من السويس ، فنزل كتخدا الباشا والأغا والوالى وأكابر العسكر ، وعدة كبيرة من العسكر ، وعملوا له الموكب ، وشقوا به البلد .. وخلفه الطبل والزمر .

في اواخره (اوائل سبتمبر ١٨٠٤ م) :

وصلت قوافل البن من السويس ، فحجزها الباشا وأخذها ، وأعطى أصحاب البن وثائق بتمن البن لأجل ، ووكل فى بيعه ، وحول به العسكر ، يأخذونه من أصل علوفاتهم . فبلغ ثمن المحجوز تسعمائة كيس . وانهمك المشترون على الشراء ، ومنعوا القباية من الوزن .. الا بحضور المقيدين لذلك .

وانقضى هذا الشهر وحوادثه ، وما وقع فيه من عكوسات العسكر : من الخطف ، والقتل ، واندعوى الكذب ، وشهاداتهم الزور لبعضهم فيما يدعونه ، وتواطؤهم على ذلك .. فيذهب الخبيث منهم ، فيكتب له عرض حال ، ويشكو من بعض مساير الناس أنه غصبه فى مدة سابقة قبل

وأما الاثنان الآخران ، فاستمرا في الحبس .
والحديد مدة طويلة . وأمثال ذلك !

وفي أواخره : أفرجوا عن السيد على المدني
بعدما قرروا عليه أربعة آلاف ريال .. خلاف
البراني . وأمثال ذلك كثير .

جمادى الآخرة

غرة (٧ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

حضر القاضي الجديد الى جهة بولاق

٢ منه (٨ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

ركب القاضي الجديد ، وطلع الى القلعة ، وسلم
على الباشا ، ورجع الى المحكمة . وكان عندما
وصل الى رشيد ، أرسل الى الباشا ليأمر له بعمارة
المحكمة . فالزم الباشا أصحابها بالعمارة ، وأمرهم
بالاجتهاد في ذلك .

وفيه : فقد اللحم وشح وجوده ، وكذلك السكر
والعسل . وأما العسل الأبيض ، فبلغ الرطل
خسین نصفاً — ان وجد — لعدم الوارد من
ناحية قبلى ، وقلة المُرعى بالجهة البحرية .

واستقر الألفى الكبير جهة اللاهون ، وبقية
الجماعة جهة المنية وأسيوط ، وعثمان بيك حسن
بجبل الطير بالبر الشرقى .

٥ منه (١١ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

أشيع سفر محمد على الى بلاده ، وكذلك أحمد
بيك وغيرهم من أكابرهم . وشرعوا في بيع جمالهم
وبلادهم ومتاعهم . وكثر لفظ الناس بسبب ذلك ،
وكثر افساد العساكر وخطفهم . وأغلق أهل
الأسواق الدكاكين ، وخاف الناس المرور ، وتطيروا
منهم .. خصوصا الانكشارية .

٦ منه (١٢ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

مر محمد على وخلفه عدة كبيرة من العسكر ،

وهو ماش على أقدامه ، وكذلك حسن بيك اخو
ظاهر باشا ، وعابدى بيك ، وأغاة الانكشارية
والوالى . وجلس منهم جماعة جهة الغورية وخان
الخليلى ساعة ، ثم ذهبوا وكأنهم يطمنون الناس .
وأمام بعضهم المناداة بالتركى : بالأمن والأمان ،
وفتح الدكاكين ، وكل من تعرض لكم اقتلوه . وفي
أثر مرورهم ، وقع الخطف والتعرية !

وفي ذلك اليوم — أواخر النهار — مرت
مركبان فيهما عسكر أرثوود بالخليج المرخم ،
ومعهم امرأة — وبذلك الجهة عسكر انكشارية
ساكنون بيوت المجنون — فضربوا عليهم رصاصا
من الشبايك ، فقتل منهم جماعة ، وهرب من بجا
أو عرف العموم .

فتحزب الأرثوود ، وجاء منهم طائفة لذلك
البيت ، فلم يجدوا به أحدا . فأرسل محمد على
الى حسن بيك ، وتكلم معه في شأن ذلك .

٧ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

قتلوا ثلاثة ، وقيل خمسة ، ناحية الموسكى .
يقال انه بسبب تلك الحادثة . وقيل بسبب آخر .
وفيه : سافر جماعة من العسكر ، وأخذوا
المراكب ، وأرسلوا الى سكندرية ودمياط ورشيد
وغيرها بطلب المراكب . فشحت المراكب ، ووقف
حال المسافرين وتعطلوا عن الزواج والمجىء ، وغلا
سعر القمح والسمن ، وعدم اللحم . وكذلك باقى
الأسباب والمأكولات .. زيادة عن الواقع .

واذا وصلت مراكب ، نزل في المركب الكبيرة
الخسة أنفار أو العشرة ، والحال أنها تسع المائة ،
وصاروا ينهبون في طريقهم ما يصادفونه من
المسافرين ، ويقتلونهم ، ويطلبون من البلاد الكلف
والمأكول . وغير ذلك .

١٧ منه (٢٣ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

سافر أحمد بيك وعلى بيك أخو ظاهر باشا .

الى التجريدة ، وكل من كان مسافرا الى بلاده ..
فليسافر .

وفيه : هربت زوجة عثمان بيك البرديسى مع
العرب الى زوجها بقبلى . فلما بلغ الخبر الباشا
أنحضر أخاها والمحروقى وسألهما عنها ، فقالا :
« لم نعلم بهروبها » . فعوق أخاها عنده ، ثم أطلقه
بشفاعة المحروقى .

رجب

السبت غرته (٦ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

انتقل العسكر المسافرون من دير العدوية الى
باحية طرا ، وسافر منهم عدة مراكب . وسافر قبل
ذلك بأيام كاشف بنى سويف ، ويقال له محمد
افندى ..

الاثنين والثلاثاء ٢ ، ٤ منه (٨ ، ٩ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

نادى الأغا وأغات التبديل بخروج العسكر
المسافرين . وكثر أذى العسكر للناس ، وخطفوا
الحمير ، وتعطلت أشغال الناس فى السعى الى
مصالحهم ونقل بضائعهم .

الأربعاء ٥ منه (١٠ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

سافرت التجريدة برا وبحرا ، وتأخر محمد على
عن السفر الى بلاده — كما كان أشيع ذلك —
واشتهر أنه مسافر الى جهة قبلى . وورد الخبر
باستقرار كاشف بنى سويف بها . ولم يكن بها
أحد من المصرية .

الأحد ٩ منه (١٤ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

نزل الباشا الى وليمة عرس مدعوا بيت السيد
محمد بن الدواخلى — بحارة الجعيدية وكفر
الطباعين — ونزل فى حال مروره بيت السيد عمر
افندى نقيب الأشراف ، فجلس عنده ساعة ،
وقدم له حصانين .



جهة الموسيقى ..

وفيه : قلد الباشا سلحداره ولاية جرجا ، وبرز
خيامه جهة دير العدوية .

٢٢ منه (٢٨ سبتمبر ١٨٠٤ م) :

وصلت مراكب من الشلنبات الحرية ، فضربوا
لها مدافع من القلعة .

٢٥ منه (اول أكتوبر ١٨٠٤ م) :

تعدى جماعة من العسكر ، وخطفوا عمائم
الناس . واتفق أن الشيخ ابراهيم السجينى مر من
جهة الداودية ، وهوراكب بهيته ، فأخذوا طيلسانه
من على كتفه وعمامة تابعه . وقتلوا من بعضهم
أنفارا .

٢٦ منه (٢ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

نزل الأغا وفادى على العسكر بالخروج والسفر

الثلاثة ١١ منه (١٦ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

نزل الباشا في التبديل ، ومر من سوق السمكية ، فرأى عسكريا يشتري كوز صفيح ، فأعطاه خمسة أصف .. فأبى العسكري الا بعشرة .. فأبى ولم يدفع له الا خمسة ، قرآه الباشا فقال له : « أعطه ثمنه » فقال له : « وايش علاقتك ؟ » — وهو لم يعرفه — فقال له : « أما تخاف من الباشا ؟ » . فقال : « الباشا على ... » . فضربه الباشا وقتله ومضى .

الاثنين ١٧ منه (٢٢ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

أحضروا أربعة رؤوس ، ووضعوها تجاه باب زويلة ، وأشاعوا أنهم من مقتلة وقعت بينهم وبين القبالي ، وأشاعوا أنه بعد يومين تصل رؤوس كثيرة . ووصل أيضا جملة أسرى طلعوا بهم الى القلعة .

الأربعاء ١٩ منه (٢٤ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

طلع محمد على الى القلعة ، فخلع عليه الباشا فروة مسمورة على سفره الى قبلى ، وبرز بوطاقه الى خارج .

الأربعاء ٢٦ منه (٣١ أكتوبر ١٨٠٤ م) :

اتهموا قادري أغا بأنه يكتب الأمراء المصرية القبالي ، ومنعوه من السفر الى قبلى ، وأمره بأن يسافر الى بلاده . فركب في عسكره وذهب الى بولاق ، وفتح وكالة على بيك الجديدة ، ودخل فيها بعسكره ، وامتنع بها ، وانضم اليه كثير من العسكر . فحضر اليه محمد على وكلهم ، وكذلك حضر اليهم الباشا ببولاق . فلم يمتثلوا وقالوا : « لا نسافر ولا نذهب الا بإمرادنا .. وأعطينا المتكسر من علوفاتنا » . فتركوهم ونادوا على خبازين بولاق لا يبيعون عليهم الخبز ولا المأكولات . فأرسل قادري أغا الى المحتسب وقال له : « نحن

نأخذ العيش بثمنه .. فان منعتموه من الأسواق طلعنا الى البيوت وأخذنا ما فيها من الخبز ، ويترتب على ذلك ما يترتب من الافساد » . فأخبروا الباشا بذلك ، فأطلقوا لهم بيع الخبز وغيره . واستمر على ذلك أياما .

وفيه : شرعوا في تحرير فردة على البلاد ، وكتبوا دفاترها .. الأعلى ثمانون ألف فضة ودون ذلك . ويتبعها على كل بلد جملان وسمن وأغنام وقمح وتبن وشعير .

في اواخره (اوائل نوفمبر ١٨٠٤ م) :

حصلت نوة ، وتتابع مرور الغيوم ، وحصل رعد هائل ، ودخل الليل فكثر الرعد والبرق وتبعه المطر . ثم حضر أناس بعد أيام من جهة شرقية بلبيس ، وأخبروا أنه نزل بناحية مشطول صواعق أهلكت نحو العشرين من بنى آدم وأبقارا وأغناما ، وعميت أعين أشخاص من الناس . وفي هذا الشهر : شرعوا في عمل كسوة الكعبة بيد السيد أحمد المحرقى ، فقيد بها وكيله بذلك . وشرعوا في عملها في بيت الملا بحارة المقاصيص .

شعبان

٤ منه (٨ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

حضر لحسن بيك طوخان ، وطلع الى القلعة ، ونزل الى الباشا . ولبس خلعة من خلع الباشا وقاووقا ، وركب ونزل من القلعة وأمامه الجاويشية والسعاة والملازمون ، وضربت له النوبة .. بمعنى أنه صار عوضا عن أخيه .

٨ منه (١٢ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

نزل قادري أغا ومن معه من العسكر في المراكب وسافر جهة بحرى ، وسافر خلفهم عدة من الدلاة . وفيه : أشيع ابطال الفردة في هذا الوقت ، ثم قرروا مطلوبات دون ذلك .

١٢ منه (١٦ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

نودى بخروج العسكر الى السفر لجهة قبلى ،
ولا يتأخر منهم من كان مسافرا فشرعوا في
الخروج وقضاء حوائجهم ، وصاروا يخطفون
حمير الناس والجمال .

١٣ منه (١٧ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

وصل قاصد من الديار الرومية وعلى يده فرمان
جواب عن مراسلة للبasha .. بارسال باشة
الينبع لمحافظة من الوهابيين ، وأنه أعطاه ذخيرة
شهرين ... بأن يرسل اليه ما يحتاجه من الذخيرة .
وكذلك محمد باشا والى جدة يعطى له ما يحتاجه
من الذخيرة لأجل حفظ الحرمين ، والوصية برعية
مصر ودفع المخالفين .. وأمثال ذلك فعمل البasha
الديوان في ذلك اليوم ، وقرأوا فرمان ، وضربوا
عدة مدافع .

وفيه : مات الشيخ حجاب .

١٤ منه (١٨ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

سافر محمد على .

وفيه : هرب على كاشف السلحدار الألفى ،
ومن مصر من جماعته . فلما وصل الخبر الى البasha ،
أرسل الى بيوتهم ، فلم يجد فيها أحدا . فسروها ،
وقبضوا على الجيران ، ونهبوا بعض البيوت .

١٧ منه (٢١ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

سافر حسن باشا أيضا ، ونادوا على العسكر
بالخروج

وفيه : عمل السيد أحمد المحروقي وليمة ، ودعا
البasha الى داره . فنزل اليه وتغدى عنده ، وجلس
نحو ساعتين ، ثم ركب وطلع الى القلعة . فأرسل
المحروقي خلفه هدية عظيمة — وهى : بقج
قماش هندي ، وتفاصيل ، ومصوغات مجوهرية ،
وشمعدانات فضة ، وذهب ، وتحائف ، وخيول له

ولكبار أتباعه — صحبة ولده وترجانه وكتخدهاء .
دخل عليهم البasha فراوى سمور .

١٩ منه (٢٣ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

حضر طائفة من الدلاة — نحو المائتين وخمسين .
تقرا — فأنزلهم البasha بقصر العيني

٢٢ منه (٢٥ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

توفى السيد أحمد المحروقي فجأة . وكان جالسا
مع أصحابه حصاة من الليل ، فأخذته رعدة ،
فدثروه ، ومات في الحال في سادس ساعة من
الليل .. فسبحان الحي الذي لا يموت !

وركب ابنه وطلع الى البasha ، فوعده البasha
بخير ، وأرسل القاضى وديوان أفندى وختم على
بيته وحواصله . ثم حضروا في ثانى يوم ، فضبظوا
موجوداته وكتبوها في دفاتر ، وأودعوها في مكان ،
وختموا عليها . وأرسلوا علم ذلك الى الدولة ...
صحبة صالح أفندى . وكان على أهبة السفر ،
فمقوقه حتى حرروا-ذلك ، وسافر في سابع
عشرته .

٢٥ منه (٢٨ نوفمبر ١٨٠٤ م) :

أحضروا احدى وعشرين رأسا لا يعلم ما هى ،
وهى متغيرة بحشوة بالتين ، وأشاعوا أنهم من
ناحية النية ، وأنهم حاربوا عليها وملكوها . ولم
يظهر لذلك أثر بين .

٢٨ منه (اول ديسمبر ١٨٠٤ م) :

ألبس البasha ابن السيد أحمد المحروقي فروة
سمور وقطانا على دار الضرب ، وعلى ما كان أبوه
عليه من خدمة الدولة والالتزام . ونزل من القلعة
صحبة القاضى الى المحكمة ، ثم رجع الى بيته .
وفى ذلك اليوم — بعد العصر — وقع ربس
بجوار حمام المصبغة جهة الكمكين على الحمام ،
فهدم ليوان المسلخ ، فمات من به من النساء

والقمح ب ستة عشر زبالا ، والرطل الشمع الدهن
بأربعين نصفاً ، والشيرج بخسة وثلاثين نصفاً .
وأما زيت الزيتون فنادر الوجود . وقس على ذلك .

رمضان

الأربعاء ٢ منه (٥ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

حضر صالح أغا الذى كان يحاصر قادري أغا ،
وضربوا له مدافع . وتحقق أن قادري طلب أماناً ،
فأرسلوه مع من معه الى دمياط ... وذلك بعد أن
ضيقوا عليه ، وحضر اليه كاشف البحيرة وضايقه
من الجهة الأخرى ، وفرغت ذخيرته . فعند ذلك
أرسل الى كاشف البحيرة ... فأمنه .

الاثنين ٧ منه (١٠ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

وصل جماعة من الانكليز الى مصر ، وهم نحو
سبعة عشر شخصاً ، وفيهم فسيال كبير وآخر كان
بصحبة على باشا الطرابلسي .

الخميس ١٠ منه (١٣ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

سافر صالح أغا الى جهة بحرى . قيل ليأتى
بجانم أفندى الدفتردار ، فانه لم يزل عاصياً عن
الحضور الى مصر .

وفيه : ركب الباشا فى التبديل ونزل من جهة
التبانة ، فوجد فى طريقه عسكرياً يأخذ حمل تبين
من صاحبه قهراً ... فكلمه — وهو لم يعرفه —
فأغلظ فى الجواب ، فقتله . ثم نزل الى جهة باب
الشعرية ، وخرج على ناحية قناطر الأوز ، فوجد
جماعة من العسكر غاصيين قصعة زبدة من رجل
فلاح ... وهو يصيح . فأدركهم ، وهم سبعة ،
وفيهم شخص ابن بلد أمرد لابس ملابس العسكر .
فأمر بقتلهم ، فقبضوا على ثلاثة منهم — وفيهم ابن
البلد — وقتلوه ، وهرب الباقيون .

ثم نزل الى ناحية قنطرة الدكة ، وقتل شخصين

والأطفال والبنات : ثلاثة عشر ، وخرج الأحياء من
داخله وهن عرايا ، ينفضن غبارات الأثرية والموت .
وحضر الاغا والوالى ، ومنعوا من رفع القتلى الا
بدرهم ! ونهبوا متاع النساء وقبضوا على الشيخ
محمد العجمى مباشر وقف النورى ليلاً وأزعجوه ،
لأن ثلث الحمام جار فى الوقف ... والحال أن
الحمام لم يسقط ، وانما هدمه ما سقط عليه !

وكذلك طلبوا ملاك الربع — وهم الشيخ عمر
الغريانى وشركاؤه — فذهبوا الى بيت الشيخ
الشرقاوى والتجأوا اليه . ثم ان القاضى كلم
الباشا فى أمر المردومين ، وذكر له طلب الحاكم
دراهم على رفعهم ، واجتماع مصيبتين على أهلهم .
والتمس منه ابطال ذلك الأمر . فكتب فرماناً بمنع
ذلك ، ونودى به فى البلدة ، وسجل .

غايته (٣ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

عمل موسم الرؤية لثبوت هلال رمضان ، وركب
المحتسب ومشايخ الحرف ، على العادة ، من بيت
القاضى . ولم يثبت الهلال تلك الليلة ، ونودى أنه
من شعبان .

واقضى شهر شعبان ... وقادري أغا عاص جهة
شابور فى قرية ، وصالح أغا ومن معه من العساكر
مسترون على حصاره ، وصحبتهم أخلاط من
العربان . وجلا أهل شابور عنها ، وخرجوا على
وجوههم مما نزل بهم من النهب وطلب الكلف
وغير ذلك من العاصى منهم والطائع .

فان كلا من الفريقين تسلطوا على نهب البلاد
وسلب الكلف وغيرها . واذا مزت بها مركب نهبوها
وأخذوا ما فيها . فامتنع ورود المراكب ، وزاد الغلاء
وامتنع وجود السيمن . واذا وجد بيع العشرة أرطال
بخمسائة نصف فضة وستمائة ، ولا يوجد . ويبيع
الرطل من البصل — فى بعض الأيام — بشمائية
أنصاف ، والارديب الفول بشمائية عشر زبالاً ،

طائفة من عرب أولاد على نزلوا ناحية الأهرام
بالجيزة ، وهم مارون يريدون الذهاب الى ناحية
قبلى . فركب فى عسكره اليهم ، فوجدهم قد
ارتحلوا ، ووجد هناك قبيلة يقال لهم « الجوايص »
نازلين بنجمهم هناك — وهم جماعة مرابطون من
خيار العرب ، لم يعهد منهم ضرر ولا أذية لأحد —
فقتل منهم جماعة ، ونهب نجعهم وجمالهم وأغنامهم ،
وأحضر صحبته عدة أشخاص منهم ، وعدى الى
مصر بمنهوباتهم . وقد باع الأغنام والمعز للجزائريين
قهرا ، وكذلك الجمال باعوا منها جملة بالرميلة .

السبت ٢٦ منه (٢٩ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

نهب العربان قافلة التجار الواصلة من السويس ،
وهى نيف وأربعة آلاف جبل من البن والبهار

أيضا ، وبناحية بولاق كذلك ، وبالجملة ... فقتل
فى ذلك اليوم نيفا وعشرين شخصا ، وأراد بذلك
الانخافة . فانكف العسكر عن الايذاء قليلا ، وتواجد
السنن وبعض الأشياء .. مع غلو الثمن .

وفيه : تواترت الأخبار بوقوع حرب بين العسكر
والأمراء المصريين فى المنية ، وقتل من الأمراء صالح
بيك الألفى ، ومراد بيك من الصناجق الجدد
المقلدين الامارة خارج مصر ، وهو زوج امرأة
قاسم بيك وخازن دار البرديسى .. سابقا موسقو .
ولم تزل الحرب قائمة بين الفريقين .

وأرسلوا بطلب ذخيرة وعلوفة ، فأرسلوا لهم
بقسماطا وغيره .

الأحد ٢٠ منه (٢٣ ديسمبر ١٨٠٤ م) :

حضر الى الباشا بعض الرواد ، وأخبره أن



نجع احدى قبائل الامراب

وانحط الأمر على ذلك ، وطافت المسحرون على
العادة !

فلما كان في سادس ساعة من الليل ، أرسل
الباشا الى القاضي فطلبه ، فطلع اليه ، فرفه بشهادة
الجماعة الواصلين من بحرى وأحضرهم بين يديه ،
فشهدوا برؤية هلال أول الشهر ليلة الاثنين —
وهم نحو العشرين شخصا — فما سمع القاضي
الا قبول شهادتهم ... وخصوصا لكونهم أنراكا !

ونزل القاضي ينادى بالفطر ، ويأمر بطفى
القناديل من المنارات ... وأصبح كثير من الناس لا
علم له بما حصل آخرًا في جوف الليل . وبالجمله ..
فكانت هذه الحادثة من النوادر . وتبين أن خبر
المنية لا أصل له ، بل هو من جملة اختلاقاتهم !

واقضى شهر رمضان ، وكان لا بأس به في قصر
النهار ، لأنه كان في غاية الانقلاب الشتوى ،
والراحة بسبب غياب العسكر وقتلهم بالبلدة
وبعدهم ، ولم يحصل فيه من الكدورات العامة —
خصوصا على الفقراء — سوى غلاء الأسعار في
كل شيء ، كما تقدم ذكر ذلك في شعان .

سؤال

٣ منه (٥ يناير ١٨٠٥ م) :

سافر السيد محمد بن المحرقى وجرى
الجوهرى ، ومعهما جملة من العسكر ، الى جهة
القليوبية بسبب القافلة المنهوبة .

٦ منه (٨ يناير ١٨٠٥ م) :

طلبوا مال الميرى عن سنة عشرين معجلة ،
بسبب تشهيل الحج ، وكتبوا التنايه بطلب النصف
حالا ، وعينوا بهسا عساكر عثمانية وجاويشية
وشفاسية فدهم المتزعمون بذلك — مع أن أكثرهم
أفلس ، وبقا عليهم بواق من سنة تاريخه وما
قبلها — لخراب البلاد ، وتناهب الطلب والفرد

والقماش ، وأصيب فيها كثير من فقراء التجار ،
وسلبت أموالهم ، وأصبحوا لا يملكون شيئا .

وفيه : حضر صالح أغا ، وصعبته جانم أفندى
الدفتردار ، فأسكنه الباشا بالقلعة ، وذكر جانم
أفندى المذكور ومن معه للباشا أنهم رأوا هلال
رمضان ليلة الاثنين .. صاموه بالاسكندرية ذلك
اليوم ، وكذلك صاموه في رشيد وقوة وغالب
بلاد بحرى .

وحضر أيضا الشيخ سليمان الفيومى قبل ذلك
بأيام ، وحكى ذلك ... فلم يعمل به القاضي وقال :
« ان رؤى الهلال ليلة الأربعاء .. أفطرنا ، وان لم
ير .. فهو من رمضان » .

فلما كان بعد عصر ذلك اليوم ، ضربت مدافع
من القلعة ، فاشتبه على الناس الأمر ، وذهب جماعة
الى القاضي وسألوه ، فقال : « لا علم لى بذلك » .
وأرسل فى المساء جماعة من أتباعه وباش كاتب ، الى
منسارة المارستان . فصعدوا اليها ، وطلع معهم
آخرون ، وترقبوا رؤية الهلال ، فلم يروه . وأخبروا
القاضي بذلك ، فأمر بالصوم ، ونادوا به ، وأوقدوا
المنارات والقناديل ، وصلوا التراويح بالمساجد ،
وتحقق الناس الصيام من الغد .

فلما كان بعد العشاء الأخيرة ، ضربت مدافع
كثيرة من القلعة وسوارىخوشنك . فوقم الارتباك ،
فأرسل القاضي ينادى بالصوم وذكروا أن هذا
المسموع شنك لأخبار وردت بملك المنية وحضر
المبشر بذلك لابن السيد أحمد المحرقى ، وخلع
عليه خلعة ، وكذلك بقية الأعيان .

وبعد حصة ، مر الوالى ينادى بالفطر والعيد
فزاد الارتباك ، وركب بعض المشايخ الى القاضي
وسأله ، فأخبر أنه لم يأمر بذلك ، ولم يثبت لديه
رؤية الهلال ، وأن غدا من رمضان . فخرجوا من
عندهم يقولون ذلك للناس ، ويأمرونهم بالصوم

والتعابين والشكاوى والتساويف ، ووقوف العربان بسائر النواحي ، وتعطيل المراكب عن السفر لعدم الأمن ، وغصبهم ما يرد من السفائن والمعاشات ، نيرسلوا فيها الذخيرة والعسكر والجيشانة معونة للمحاربين على المنية .

١٠ منه (١٢ يناير ١٨٠٥ م) :

طلبوا طائفة من المزينين ، وأرسلوهم الى قبلى لداواة الجرحى .

وفيه : تواترت الأخبار بحصول مقتلة عظيمة بين المتحاربين ، وأن العسكر حملوا على المنية حملة قوية من البر والبحر ، وملكوا جهة منها . وحضر المبشرون بذلك ليلة الأربعاء أواخر رمضان — كما تقدم — وعملوا الشنك لذلك . فورد الخبر ، بعد ذلك بنحو ساعتين ، برجوع الأخصام ثانيا ومقاتلتهم حتى هزموهم ، وأجلوهم عن ذلك . وذلك هو الحامل على المغالطة والمناداة فى سابع ساعة بثبوت الميبد وافطار الناس ذلك اليوم ا

١٨ منه (٢٠ يناير ١٨٠٥ م) :

نزل الباشا الى قراميدان ، وحضر القاضى والدفتردار وأمير الحج . فسلمه الباشا المحمل ، ونزلوا بقطع الكسوة أمام أمير الحج ، وركب أمامه الأغا والوالى والمحتسب وناظر الكسوة ، بهيئة محتقرة من غير نظام ولا ترتيب ، ومن خلفهم المحمل على جمل صغير أعرج ا

وفيه : أرسل العسكر يطلبون العلوفة والمعونة . فعمل الباشا فردة على الأعيان وعلى أتباعه ، وجمع لهم خمسمائة كيس ، وعين للسفر بذلك صالح أغا وعدة عساكر وجيشانة وذخيرة .

٢٠ منه (٢٢ يناير ١٨٠٥ م) :

رجع ابن المحرقى وجرجس الجوهري ،

وأحضرا معهما بعض أحمال قليلة ، بعد ماصرقا أضعافها فى مصالح وكساوى للعرب ، وغير ذلك .

وفيه : ورد الخبر بوصول دفتردار جديد الى ثغر سكندرية — وهو أحمد أفندى الذى كان بمصر سابقا ، وعمل قبطانا بالسويس فى أيام محمد باشا وشريف أفندى — فكتب الباشا عرضا للدولة بأنهم راضون على جانب أفندى الدفتردار ، وأن أهل البلد ارتاحوا عليه ، وطلبوا ابقاءه دون غيره . وختم عليه القاضى والمشايخ والاختيارية ، وبعثوه الى الدولة .

وأرسلوا الى الدفتردار الواصل ، بعدم المجيء ، ويذهب الى قبرص حتى يرجع الجواب . فاستمر باسكندرية .

وفى أواخره : تواترت الأخبار ، بأن جماعة من الأمراء القبلى ، ومن معهم من العربان ، حضروا الى ناحية الفشن . وحضر أيضا كاشف الفيوم مجروحا ، ومعه بعض عسكر ودلاة فى هيئة مشوهة . وتتابع ورود كثير من أفراد العسكر الى مصر . وأشيع انتقالهم من أمام المنية الى البر الشرقى ، بعد وقائع كثيرة ومحاربات .

غايته (غاية يناير ١٨٠٥ م) :

برز أمير الحج المسافر بالمحمل ، وخرج الى خارج ... ومعه الصرة ، أو ماتيصر منها ا وعين للسفر معه عثمان أغا — الذى كان كنتخدا محمد باشا — بجماعة من العسكر لأجل المحافظة ليوصلوه الى السويس ، ويسافر من القلزم مثل عام أول .

وفيه : ورد الخبر بضياح ثلاث داوات بالقلزم ، وأنها تلفت بالقرب من الحصانى ، وتلف بها كثير من أموال التجار وصرر النقود . وكان بها قاضى المدينة أحمد أفندى — المنفصل عن قضاء مصر —

١٤ منه (١٤ فبراير ١٨٠٥ م) :

وقعت حادثة . وهو أن كاشفا من أكابر الأرثوذكس سكن بيت ابن السكري ، الذي بالقرب من العلونجي ، ويتردد عليه رجل من المنتسبين الى الفقهاء — يسمى الشيخ أحمد البراني ، حيث الأفعال ، يصلى اماما بالمذكور — فرأى ما رآه منه مع فراشه ، فضربه بالخنجر والتبايت ، حتى ظن هلاكه . وأخرجه أتباعه وحملوه الى منزله في خامس ساعة من الليل ، وبه بعض رمق ، ومات بمسد ذلك .

وأخبر المشايخ بذلك ، ورفع القتل الى المحكمة ، وتغيب القاتل . فامتنع المشايخ من حضور الجامع والتدريس بسبب ذلك ، وبسبب أولاد سعد الخادم سبحة ضريح سيدي أحمد البدوي ... وقد كانوا شكوا بعضهم بعضا ، وتبعين بسبب ذلك كاشف على أحمد بن الخادم ، وهجم داره وقبض على بناته ونسائه ، ولبشوا داره ، وفحروا أرضها للتفتيش على المال . وطالت قصتهم من أواخر الشهر الماضي لوقت تاريخه .

وتكلم المشايخ مرارا مع الباشا في أمرهم ... وهو يغالط طمعا في المال . وقد كان سمع تهتهم بكثرة المال ، وأن محمد باشا خسرو أخذ منهم سابقا — في أيام ولايته — مائة وخمسة وثمانين ألف ريال خلاف حق الطريق ، وذلك من مصطفي الخادم — وهو الذي شكوا الآن قسيه ، ويقول انه هو الذي شكاني وتسبب في مصادرتي ، وهو مثلي في الایراد ، وعنده مثل ما عندي — فلما حضروا الى الدار وفتشوا وقرروا نساء وأتباعه ، فلم يظهر له شيء ... فأدرجوا هذه القضية في دعوة المقتول ، وامتنعوا من حضورهم الأزهر ، وأشيع امتناعهم من التدريس والافتاء . فحضر اليهم سعيد أغا الوكيل ، وتلطف بهم ، وطلب منهم تسكين هذه الفتنة ، وأنه يتكفل بتمام المطلوب .

ففرق ، وطلعت أولاده ، ورجعوا الى مصر بعد أيام ، وسافروا الى بلادهم .
وورد الخبر بأن القبلين قتلوا حسين بك ، المعروف باليهودي ، بمسد أن تحققوا حياته ومخارته . وانقضى هذا الشهر .

ذوالقعدة

الجمعة غرته (اول فبراير ١٨٠٥ م) :

قرر الباشا فردة على البلاد ، فجعل على كل بلد من البلاد ... العال : مائة ألف فضة ، والدون : ستين ألفا . وعين لذلك ذا الفقار كتخدا الألفي على الغربية ، وعلى كاشف الصابونجي على المنوفية ، وحسن أغا نجاتي المحتسب على الدقهلية .. وذلك خلاف ماقرر على البنادر من عشرين كيسا وثلاثين وخمسين ومائة وأقل وأكثر .

الجمعة ٨ منه (٨ فبراير ١٨٠٥) :

حضروا بعلى أغا يحيى — المعروف بالسبع قاعات — ميتا من سملوط . وقد كانوا أرسلوه ليكون كتخدا لحسن بك أخى طاهر باشا ، وكان المحروقي أرسله الى بشيش فتوعك هناك ، فطلب الباشا رجلا من الرؤساء يجعله كتخدا لحسن بك فأشاروا عليه بعلى أغا هذا ، فطلبه من المحروقي ، فأرسل بإحضاره ، فحضر في اليوم الذي مات فيه المحروقي ، وضاقر بعد أيام الى قبلى ، فزاد به المرض هناك ، ومات بسملوط . فأحضروه الى مصر بعد موته بخمسة أيام .
وخرجوا بجنازته في يوم الجمعة من بيته المجاور لبيت المحروقي ، وصلوا عليه بالأزهر ، ودفن الى رحمة الله تعالى .

الثلاثاء ١٢ منه (١٢ فبراير ١٨٠٥ م) :

علقوا ثلاثة رؤوس بباب زويلة ، لا يدري أحد من هم .

عدة مراكب من مراكب العسكر وما فيها من المتاع والجبخانة ، وأرسلوا بطلب ذخيرة وجبخانة وثياب وغير ذلك .

واتشر عسكر القبليين الى جهة بحرى حتى وصلوا الى زاوية المصلوب ، وحاصروا من فى بوش والفشن وبنى سوف ، وكذلك من باليوم . وشرع الباشا ، واجتهد فى تجهيز المطلوبات ، وتشهيل الاحتياجات .

وفيه : حضر سعاة من ثغر سكندرية ، وأخبروا بمرور عدة مراكب انجليزية الى المينسا ، وسألوا أهل الثغر عن مراكب فرليس وردت المينا أم لا . ثم قضوا بعض أشغالهم وذهبوا .

الاحد ٧ منه (١٧ فبراير ١٨٠٥ م) :

عزم على السفر محمد افندى — حاكم اسنا سابقا — بمراكب الذخيرة والجبخانة واللوازم ، وصحبته عدة من العساكر لخفارتها .

ذو الحجة

السبت ٧ منه (٩ مارس ١٨٠٥ م) :

وردت أخبار بوقوع حرب بين العسكر والمصريين القبليين ، وهو أن العسكر حملوا على النية حملة عظيمة — فى غفلة — ومكروها ، فاجتمعت عليهم الغز والمربان ، وكبسوا عليهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وأخرجوهم منها ، وأجلوهم عنها ثانيا ، وذلك فى سبعين القعدة .

الاحد ٨ منه (١٠ مارس ١٨٠٥ م) :

طلع يوسف أفندى ، الذى كان تولى تسيار الأشراف فى أيام محمد باشا ثم عزل عنها ، الى القلعة . فقبض عليه صالح أغاقوش ، وضربه ضربا مبرحا ، ولأهانه إهانة زائدة .. وأزلوه أواخر النهار ، وحبسوه ببيت عمر أفندى النقيب . ثم

واستمر الحال على ذلك الى يوم الثلاثاء تاسع عشرة فحضر كتخدا الباشا وسعيد أغا وصالح أغا الى بيت الشيخ الشرقاوى ، واجتمع هناك الكثير من المتعممين ، وتكلموا كثيرا ، ورمحوا المرتب وقالوا : « لابد من حضور الخصم القاتل والمرافعة معه الى الشرع ، ورفع الظلم عن أولاد الخادم وعن الفلاحين » . وأمثال ذلك . وهم يقولون فى الجواب : « سبعا وطاعة فى كل ما تأمرون به » . وانقضى المجلس على ذلك ، وذهبوا حيث أتوا .

فلما كان العصر من ذلك اليوم ، حضر سعيد أغا — وصحبته القاتل — الى المحكمة ، وأرسلوا الى المشايخ ، فحضروا بالمجلس ، وأقيمت الدعوى . وحضر ابن المقتول ، وادعى بقتل أبيه ، وذكر أنه أخبر قبل خروج روحه أن القاتل له الكاشف صاحب المنزل ، فستل ، فأنكر ذلك وقال : « انه كان اماما عنده ، يصلى به الأوقات ، وأنه لم يأت الينا تلك الليلة التى حصل له فيها هذا الحادث » . فطلب القاضى من ابن المقتول بينة تشهد بقول أبيه ، فلم يجدوا الا شخصا سمع من المقتول ذلك القول . وأفتى المالكي أنه يعتبر قول المقتول فى مثل ذلك ، لأنه فى حالة يستحل عليه فيها الكذب .. وذلك نص مذهبهم ، ولا بد من بينة تشهد على قوله .

فطلب القاضى الشطر الثانى ، فلم يوجد على أن هناك من كان حاضرا بالمجلس وقت الضرب ، ومشاهدا للحادثة ، وكتم الشهادة خوفا على نفسه . وانقض المجلس ، وأهمل الأمر حتى يأتوا بالبينه .

الجمعة ١٥ منه (١٥ فبراير ١٨٠٥ م) :

تواترت الأخبار بوقوع حرب بين العسكر والأمراء القبالي ، وملك العسكر جهة من النية بعدما اصطدموا عليها من البر والبحر . فوصل الأخصام وحالوا بينهم وبين عسكرهم والمتاريس ، وأجلوهم ، وقتل من قتل بين الفريقين ، واحترق

تشفع فيه الشيخ السادات ، فأخرجوا عنه تلك الليلة ، وذهب الى داره ليلا . وذلك بسبب دعوى تصدر فيها المذكور ، وتكلم كلاما في حق الباشا . فحقدوا عليه ذلك ، وفعلوا معه ما فعلوا ... ولم ينتطح فيها عنزان !

الجمعة ١٣ منه (١٥ مارس ١٨٠٥ م) :

طلع المشايخ الى الباشا يهنئونه بالعيد ، فأخرج لهم ورقة ، حضرت اليه من محمد أفندي حاكم اسنا سابقا — الذى سافر بالذخيرة آتفا ، واستمر يبنى سويف ، ولم يقدر على الذهاب الى قبلى — ومضمون تلك الورقة : أن البرديسى قتل الالغى غيلة ... ولم يكن لهذا الكلام صبة .

وفيه : وردت أخبار بقدم طائفة من الدلاة على طريق الشام ، وبالفوا فى عددهم — فيقولون اثنا عشر ألفا وأكثر — وأنهم وصلوا الى الصالحية ، وأنهم طالبون علوفة وذخيرة . فشرعوا فى تشميل ملاقاتة للمذكورين ، وطلبوا من تجار البهار خمسمائة كيس ، وزعوها وشرعوا فى جمعها !

وفيه : وصلت طائفة من القبالى والعرب الى بلاد الجيزة ، وطلبوا من البلاد دراهم وكلفا . ومن عسى عليهم من البلاد .. ضربوه .

وعدى كتحدا الباشا وجملة من العساكر الى بر الجيزة ، وشرعوا فى تحصينها وعملوا بها متاريس ، وتردد الكتخدا فى النزول والتعدي الى هناك بالرجوع .

ثم انه عدى فى رابع عشره وأقام هناك ، وأحضروا ثلاثة رؤوس من العرب فى ذلك اليوم .

وفيه : رجع الكتخدا وأشيع رجوع المذكورين . — وفيه : قرروا فردة أخرى على البلاد لأجل عسكر الدلاة القادمين ، وجعلوا على كل بلد عشرين أردب فول ، وعشرين خروفا ، وعشرين رطل سم ،

وعشرين رطل بن ، وعشرة قنابلير عيش ، ورب أردب وسدس أرز أبيض ومثله برغل ، وكلفة المطبخ ألف فضة . وذلك خلاف حق الطريق والاستعمالات المتسبعة ... وكلها بمقررات وحق طرقات !

الأربعاء ١٨ منه (٢٠ مارس ١٨٠٥ م) :

حضر ططرى من ناحية قبلى ، وأخبر أن العسكر دخلوا الى المنية وملكوها . فضربوا مدافع كثيرة من القلعة ، وعملوا شنكا ، وأظهر العثمانية وأغراضهم الفرح والسرور ، وكأنهم ملكوا مالطة ! وبالفوا فى الأخبار والروايات الكذب فى القتلى وغير ذلك . والحال أن الأخصام خرجوا منها وزجوها ، ولم يبقوا بها ما ينقره الطير . ولم يقع بينهم كبير قتال .. بل أن العسكر لما دهبوها من الناحية القبلىة — ولم يكن بها الا القليل من المصريين ، وباقيهم خارجها من الناحية الأخرى فتحاربوا مع من بها وهزمهم ، فولى أصحابهم وتركهم بالبلدة ، فدخلوها فلم يجدوا بها شيئا .

الخميس ١٩ منه (٢١ مارس ١٨٠٥ م) :

وصل أغاة المقرر -- وهو عبد أسود -- وطلع الى القلعة بموكب . وعملوا له شنكا ومدافع ، وقرأوا المقرر فى ذلك اليوم بحضرة الجمع .

الاحد ٢٢ منه (٢٤ مارس ١٨٠٥ م) :

وصلت طائفة من العرب بناحية الجيزة ، فوصل الخبر الى الكاشف الذى بها — وهو دملى عثمان كاشف ، الذى قتل الشيخ أحمد البرالى المتقدم ذكره -- فانه بعد تلك الحادثة قلده كشافية الجيزة ، وذهب اليها وأقام بها . فلما بلغه ذلك ، ركب على الفور فى نحو خمسة وعشرين خيالا ، ورمحوا عليهم ، فانهزموا أمامهم ، فقطع فيهم وذهب خلفهم الى ناحية برنشت .

فخرج عليه كمين آخر ، احتاطوا به ، وقتلوه وقطعوا رأسه وستة أنفار معه ، وذهبوا برؤوسهم على مزاريق . واقتص الله منه ... فكان بينه وبين قتله للمذكور دون الشهر . وكان مشهورا فيهم بالشجاعة والاقدام .

وفيه : اجتهدوا في تشييل علوفة وذخيرة وجبخانه ، وسفروها مع جملة من العسكر — نحو الخمسمائة — في يوم الاثنين ثالث عشرينه .

الأربعاء ٢٥ منه (٢٧ مارس ١٨٠٥ م) :

وصل الدلاة الى الخانكة ، فحضر منهم طائفة ودخلوا الى مصر ، فردوهم الى أصحابهم حتى يكونوا بصحبته في الدخول .

الخميس ٢٦ منه (٢٨ مارس ١٨٠٥ م) :

نزل كتخدا الباشا وصالح أغاقوش ، وخرجوا الى جهة العادلية للاقاة الدلاة المذكورين ، وكبيرهم يقال له ابن كور عبد الله .

الجمعة ٢٧ منه (٢٩ مارس ١٨٠٥ م) :

دخل الدلاة المذكورون ، وصحبتهم الكتخدا ، وصالح أغاقوش ، وكاشف الشرقية ، وكاشف القليوبية ، وطوائف العسكر .. ومعهم تقاير وطبول — وهم نحو الألفين وخمسمائة ... أجناس مختلفة ، وأشكال مجتمعة — فذهبوا بهم الى ناحية مصر القديمة ونواحي الآثار .

وانقضت السنة ، وما حصل بها من الغلاء ، وتنازع المظالم ، والفرد على البلاد ، واحداث الباشا له مرتبات وشهريات على جميع البلاد ، والقبض على أفراد الناس بأدنى شبهة ، وطلب الأموال منهم وجسهم . واشتد الضنك في آخر السنة ، وعدم القمح والفول والشعير ، وغلائن كل شيء ... لولا اللطف على الخلائق بوجود

الذرة ، التي لم يبق بالرقم والعرصات سواها .

واستمرت سواحل الغلال خالية من الغلة هذا العام .. من العام الماضي ، وبطول هذه السنة . وامتنع الوارد من الجهة القبلية ، وبطلت ... (١) وقل وجودها وغلا ثمنها . ومع ذلك اللطف حاصل من المولى جل شأنه ، ولم يقع قحط ولا موت من الجوع — كما رأينا في الغلوات السابقة — من عدم الخبز في الأسواق ، وخطف أطباق العيش والكمك ، وأكل القشور وما يتساقط في الطرقات من قشور الخضروات وغير ذلك .

وكان ... النيل من المعتاد ... وكثرة مجيء الغلال من جميع النواحي ، حتى من الشام والسرور بخلاف هذه السنة الشراقي في السنة الماضية .

ولم نر فيما رأيناه الفتن والنهب والظلم والعري واقطاع الطريق وتعطيل المتاجر ، و من قبلي وبعري وجهات الأرزاق ، وغلو الأثمان . ومع ذلك المأكولات ، مع شبع الأنفس ، وعدم القحط وتيسير الأمور . فسبحان المدير القفال .

وبلغ سعر الأردب القمح الى ثمانية عشر ريالاً ، والفول مثل ذلك ، والذرة باثنى عشر ريالاً ، والسمن أربعمائة وأكثر أرطال ، والمسل النحل خمسة وثلاثين نصفاً الرطل ، والأسود عشرين نصفاً ، والأرز بستة وثلاثين ريالاً الأردب . وقس على ذلك !

وأما من مات في هذه السنة من الأعيان : فقد مات العدة العلامة ، والنحرير الفهامة ، الفقيه النبيه ، الأصولي النحوي المنطقي : الشيخ موسى السري الشافعي . أصله من سرس الليانة

(١) بياض بالاسل (ص ٢٢٠ - ٢ طبعة المطبعة الخديوية سنة ١٢٩٧ هـ - ١٨٨٠ م) ، وكذلك في سائر المواضع التي وضعت بها نقط .

المرحوم على باشا حكيم أوغلى ، وعمل عنده
شفاسيا ، وحضر صحبته الى مصر — فى ولايته
الثانية سنة احدى وسبعين ومائة وألف — فتشوقت
نفسه الى الحج ، واستأذن مخدمه ، فأذن له فى
ذلك ، وأوصى عليه أمير الحج اذ ذاك صالح بيك
القاسمى ، فأخذته صحبته وأكرمه ، وواساه رعاية
لخاطر على باشا ، ورجع معه الى مصر .

فوجد مخدمه قد انفصل من ولاية مصر ،
وسافر الى الديار الرومية . ووصل نعيه بعد أربعة
أشهر من ذهابه . فاستمر المترجم بمصر ، وتزيا
بزى المصريين ، وخدم عند عبد الله بيك تابع على
بيك بلوط قباز ، وتعلم الفروسية على طريق
الأجناد المصرية . فأرسل على بيك عبد الله بيك
بتجريدة الى عرب البحيرة ، فقتلوه .

فرجع المترجم مع باقى أصحابه الى مصر ، فقلده
على بيك كشوفية البحيرة ، وقال له : « ارجع الى
الذين قتلوا أستاذك وخلص ثاره » . فذهب اليهم
وخادعهم ، واحتال عليهم ، وجمعهم فى مكان
وقتلهم — وهم نيف وسبعون كبيرا — وبذلك
سمى الجزار ، ورجع منصورا . وأحب على بيك
لنجابته وشجاعته ، وتنقل عنده فى الخدم والمناصب
الأمريات ، ثم قلده الصنجدية ، وصار من جملة
أمرائه .

ولما خرج على بيك منفيا ، خرج صحبته ،
ورافقه فى الغربة والتنقلات والوقائع . ولم يزل
حتى رجع على بيك وصحبته صالح بيك من الجهة
القبيلية ، وقتل خشداشينه وغيرهم ، ثم عزم على
غدر صالح بيك ، وأسر بذلك الى خاصته — ومنهم
المترجم — فلم يسهل به ذلك ، وتذكر ما بينه وبين
صالح بيك من المعروف السابق ، فأسر به اليه
وحضره .

فلما اختلى صالح بيك بعلى بيك ، عرض له
بذلك . فحلف له على بيك أنه باق على مصافاته ،

بالمنفية ، وحضر الى الأزهر ، ولازم الاستفادة
وحضور الأشياخ من الطبقة الثانية ... كالشيخ
عطية الأجهورى ، والشيخ عيسى البراوى ،
والشيخ محمد القراموى ، وغيرهم .

وتهم وأنجب فى المعقولات والمنقولات ، واقراء
الدروس . وأفاد الطلبة ، وانطوى الى الشيخ
حسن الكفراوى مدة ، ورافقه فى الافتاء والقضايا ،
ثم الى شيخنا الشيخ احمد العروسى ، وصار من
خاصة ملازميه ، وتخلق بأخلاقه ، وألزم أولاده
بحضور دروسه المعقولة وغيرها — دون غيره —
لحسن القائه وجودة تفهيمه وتقريره .

واشتهر ذكره ، وراش جناحه ، وراج أمره
باتتسابه للشيخ المذكور .

واشترى أملاكا ، واقتنى عقارا بمصر وببلده
سرس ومنوف ، ومزارع وطواحين ومعاصر .

واشترى دارا نفيسة بدرب عبد الحق
بالأزبكية ، وعدد الأزواج ، واشترى الجوارى
والعبيد والحشيات الحسان .

وكان حلو المفاكمة ، حسن المعاشرة ، عذب
الكلام ، مهذب النفس ، جميل الأخلاق ، ودودا
قبل الادعاء ، محبا لآخواله ، مستحضرا للفروع
الفقهية .

وكان يكتب على غالب الفتاوى عن لسان
الشيخ العروسى ، ويعتمده فى النقول والأجوبة
عن المسائل الغامضة ، والفروع المشككة .

وله كتابات وتحقيقات . ولم يزل مشغلا
بشأنه ، حتى تعلل أياما بدار عيدان القطن ، مطلة
على الخليج . وتوفى يوم السبت سادس عشرين
جمادى الأولى من السنة .

ومات الجناب المكرم ، والشهير المنفخم ، الوزير
الكبير ، والدستور الشهير : أحمد باشا الشهير
بالجزار . وأصله من بلاد البشناق ، وخدم عند

بالبقتل والحبس والتشيل ، وقطع الآناف والأذان والأطراف . ولم يفسر زلة عالم لعلسه ، أو ذى جاء لوجاهته .

وسلب النعم عن كثير جدا من ذوى النعم ، واستأصل أموالهم ، ومات في محبسه ما لا يحصى من الأعيان والعلماء وغيرهم ، ومنهم من أطل حبسه سنين حتى مات .

واتفق أنه استراب من بعض سراريه وماليكه ، فقتل من قويت فيه الشبهة وحرقتهم ، ونفى الباقي .. الجميع ذكورا وإناثا بعد أن مثل بهم ، وقطع آنافهم وأخرجهم من عكا وطردهم وشردهم ، وسخط على من آواهم أو تاواهم... ولو في أقصى البلاد . وحضر الكثير منهم إلى مصر ، وخدموا عند الأمراء ، وانضوى نحو العشرين شخصا منهم وخدموا عند على بك كخدا الجاوشية .

فلما بلغ المترجم ذلك ، تغير خاطره من طرفه ، وقطع جبل وداده بعد أن كان يرسله ويواصله دون غيظه من أمراء مصر . وكان ذلك سبب استيحاشه منه إلى أن مات .

ولما فعل بهم ذلك ، تمصب عليه مملوكاه سليم باشا الكبير وسليمان باشا الصغير — وهو الموجود الآن — وانضم اليهما المتآمرون من خشداشينهما وغيرهم... غيظا على ما فعله بخشداشينهم ، وعلمهم بوحدته وانفراده . وخاصة به عكا . ولم يكن معه الا القليل من المساك البرانيين والفقلة والصبيان الذين يستعملهم في البناء ، فالبسهم طراير مثل الدلاة ، وأصعدهم إلى الأسسواز مع الرماة والطبجية ، وراهم المخالفون عليه فتحجبوا وقالوا : « انه يستخدم الجن » !

وكبس عليهم في غفلة من الليل ، وحاربهم وظهر عليهم ، وأذعنوا لطاعته ، وتسرقت عنهم المساعدةون لهم ، ثم تبعهم واقتص منهم ... وكاد

وكذب المخبر .. إلى أن كان ما كان من قتلهم وغدرهم لصالح بيك ، كما تقدم ، واحتجام المترجم وتأخره عن مشاركته لهم في دمه ، ومناقشتهم له بعد الاتصال . فتجسم له الأمر ، فتكر وخرج هاربا من مصر في صورة شخص جزائري . وتقده على بيك ، وأحاط بداره — وكان يسكن بيت شكر فره بالقرب من جامع أزبك اليوسفى — فلم يجذوه .

وسار المذكور إلى سكندرية ، وسافر إلى الروم ، ثم رجع إلى البحيرة ، وأقام بمرب الهنادى ، وتزوج هناك .

ولما أرسل على بيك التجاريد إلى ابن حبيب والهنادى ، حارب المترجم معهم . ثم سار إلى بلاد الشام فاستمر هناك في هجاج وتنقلات ومحاربات . واشترى ممالك ، واجتمع لديه عصابة ، واشتهر أمره في تلك النواحي . ولم يزل على ذلك إلى أن مات الظاهر عمر في سنة تسع وثمانين ومائة وألف ، ووصل حسن باشا الجزائري إلى عكا ، فطلب من يكون كفوا للقامة بحصنها ، فذكروا له المترجم ، فاستدعاه وقلده الوزارة ، وأعطاه الأطواخ والبيرق .

وأقام بحصن عكا ، وعمر أسوارها وقلاعها ، وأنشأ بها البستان والمسجد ، واتخذ له جندا كثيفا ، واستكثر من شراء الممالك ، وأغار على تلك النواحي ، وحارب جبل الدروز مرارا ، وغنم منهم أموالا عظيمة ، ودخلوا في طاعته ، وضرب عليهم وعلى غيرهم الضرائب ، وجبيت إليه الأموال من كل ناحية حتى ملأ الخزائن ، وكثر الكنوز ، وصار يصانع أهل الدولة ورجال السلطنة ، ويتابع إرسال الهدايا والأموال إليهم

وتقلد ولاية بلاد الشام ، وولى على البسلاد نوابا وحكاما من طرفه ، وطلع بالحج الشسمى مرارا ، وأخاف النواحي وعاقب على الذنب الصغير

البلاد ، وقهر المباد . ونصبت الدولة فخاخا لصيده مرارا فلم يتمكنوا من ذلك . فلم يسعهم بعد ذلك الا مسالته ومسايرته .

وثبت قدمه ، وطار صيته في جميع الممالك الاسلامية ، والقراوات الافرنجية ، والثغور واشتهر ذكره ، ورأسله ملوك النواحي ورأسلهم ، وهادوه وهابوه .

وبنى عدة صهاريج وملأها بالزيت والسمن والعسل والشيرج والأرز وأنواع الغلة . وزرع ببستانه سائر أصناف الفواكه والتخيل والأعشاب الكثيرة ، وجدد دولته ثانيا ، واشترى ممالك وجواري بدلا عن الذين أبادهم .

وبالجملة ... فكان من غرائب الدهر ، وأخباره لا يفي القلم بتسطيرها ، ولا يسعف الفكرة بتذكارتها . ولو جمع بعضها جاءت مجلدات . ولو لم يكن له من المناقب الا استظهاره على الفرساوية ، وثباته في محاربتهم له أكثر من شهرين — لم يغفل فيها لحظة — لكفاه !

وكان يقول : « ان الفرساوية لو اجتهدوا في ازالة جبل عظيم لأزالوه في أسرع وقت » وقد تقدم بعض خبر ذلك في محله .

وكان يقول : « أنا المنتظر .. وأنا أحد المذكور في الجفور ... الذي يظهر بين القصرين ! » .

واستخرج له كثير من الذين يدعون معرفة الاستخراج عبارات وتأويلات ، ورموزا وإشارات ، ويقولون : « المراد بالقصرين .. مكانان جهة الشام ... أو المحملان » .. أو نحو ذلك من الوسوس .

ولم يزل حتى توفي في آخر هذا العمام على فراشه . وكان سليمان باشا تابعه غائبا بالحجاز في أماره الحج الشامي . فلما علم أنه مفارق الدنيا ، أحضر اسماعيل باشا والي مرعش — وكان في

محبه بتوقع منه المكروه في كل وقت — فأقامه وكلا عنه الى حضور سليمان باشا من الحج ، وأعطاه الدفاتر ، وعرفه بملوكة المسكر ، وأوصاه .

فلما انقضى نجه ودفنوه ، صرف النفقة ، واتفق مع طه الكردي وصالح الدولة ، وتحضن بمكرا وحضر سليمان باشا فامتنعا عليه ، ولم يمكنه الدخول اليها . فاستمر اسماعيل باشا الى أن أخرجه أتباع المترجم بحيلة ، وملكوا سليمان باشا — بعد أمور لم تتحقق كيفيتها — وذلك في السنة التالية .

ومات عين الأعيان ، ونادرة الزمان ، شاه بندر التجار ... والمرثى بهمه الى سنام الفخار ، النيه النجيب ، والحبيب النسيب : السيد أحمد بن أحمد الشهير بالمحروقي الحريري .

كان والده حرايريا بسوق العنبرين ببصر ، وكان رجلا صالحا ، منور الشية ، معروفا بصدق اللهجة والديانة والأمانة بين أقرانه . وولد له المترجم ، فكان يدعو له كثيرا في صلاته ومائتر حرركاته . فلما ترعرع ، خالط الناس وكتب وحسب ، وكان على غاية من الحذق والنباهة ، وأخذ وأعطى ، وباع واشترى ، وشارك وتداخل مع التجار ، وحاسب على الألوف ، واتحد بالسيد أحمد بن عبد السلام ، وسافر معه الى الحجاز ، وأحبه وامتزج به امتزاجا كليا ، بحيث صاروا كالتوأمين ... أو روح حلت بدلين .

ومات عمدة التجار العرايشي ، وهو بالحجاز ، وهو أخو السيد أحمد بن عبد السلام . في تلك السنة — فأحرز مخلفاته وأمواله ، ودفاتر شركائه . فتقيد المترجم بحاسبة التجار والشركاء

والوكلاء ومحققاتهم ، فوفر عليه لسكوكا من الأموال

واستأنف الشركات والمعاوضات ، وعد ذلك من سعادة مقدم المترجم ، ومرافقته له ، ورجع صحبتته الى مصر ، وزادت محبته له ، ورغبته فيه . وكان لابن عبد السلام شهرة ووصلة بأكابر الأمراء كآبيه ، وخصوصا مراد بيك ، فيقضى له ولأمرائه لوازمهم اللازمة لهم ولاتباعهم ، واحتياجاتهم من التفاصيل والأقمشة الهندية وغيرها . وينوب عنه المترجم في غالب أوقاته وحركاته . ولشدة امتزاج الطبيعة بينهما ، صار يحاكيه في ألفاظه ولغته ، وجميع اصطلاحاته في الحركات والسكنات والخطرات . واشتهر ذكره به عند التجار والأعيان والأمراء . واتحدا بمحمد أغا البارودي — كتحدا مراد بيك — اتحادا زائدا ، وأتحفا بالجرارية ، وخصبها بالمزايا ، فراج به عند مخدومه شأنهما ، وارتفع به بالزيادة قدرهما .

ولما تأمر اسماعيل بيك ، واستوزر أيضا البارودي ، استمر حالهما كذلك ، بل وأكثر . الى أن حصل الطاعون ومات به السيد أحمد بن عبد السلام في شعبان ، فاستقر المترجم في مظهره ومنصبه — شاه بندر التجار — بواسطة البارودي أيضا ، وسعائته وسعادة طالعه .

وسكن داره العظيمة التي عمرها بجوار الفحامين — محل دكة الحسبة القديم — وتزوج بزوجاته ، واستولى على حواصله ومخازنه ، واستقل بها من غير شريك ولا وارث . وعند ذلك زادت شهرته ، وعظم شأنه ووجاهته ، ونفذت كلمته على أقرانه .

ولم يزل طالعه يسمو ، وسعده يزيد وينمو . وعاد مراد بيك والأمراء المصريون — بعد موت اسماعيل بيك ، وانقلاب دولته — الى اماره مصر

فاختص بخدمته وقضاء سائر أشغاله ، وكذلك ابراهيم بيك وباقي الأمراء . وقدم لهم الهدايا والظرائف ، وواسى الجميع أعلاهم وأدونهم بحسن الصنع ، حتى جذب اليه قلوب الجميع ، ونافس الرجال ، وانعطفت اليه الآمال ، وعامل تجار النواحي والأمصار ، من سائر الجهات والأقطار . واشتهر ذكره بالأراضي الحجازية ، وكذا بالبلاد الشامية والرومية ، واعتمدوه وكتبوه ، وراسلوه وأودعوه الودائع ، وأصناف التجارات والبضائع .

وزوج ولده السيد محمد ، وعمل له مهما عظيما افتخر فيله الى الناية ، ودعا الأمراء والأكابر والأعيان . وأرسل اليه ابراهيم بيك ومراد بيك الهدايا العظيمة ، المحملة على الجمال الكثيرة . وكذلك باقى الأمراء ، ومعها الأجراس التي لها رنة تسمع من البعد ، ويقدمها جمل عليه طبل نقارية ، وذلك خلاف هدايا التجار وعظماء الناس ، والنصارى الأروام والأقباط الكتبة ، وتجار الافرنج ، والأتراك والشوام والمغاربة ، وغيرهم .

وخلع الخلع الكثيرة ، وأعطى البقاشيش والالعامات والكساوى ، ولا يشغله أمر عن أمر آخر يمضيه ، أو غرض ينفذه . ويمضيه ، كما قيل :

أخو عزمات لا يريد على الذى

بهم به من مقطع الأمر صاحباً

إذا هم ألقى بين عينيه عزمه

ونكب عن ذكر العواقب جانباً

وحج في سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف ، وخرج في تجمل زائد ، وجمال كثيرة ، وتختروانات ومواهى ومسطحات ، وفراشين وخدم ، وهجن وبغال وخيول .

وكان يوم خروجه يوماً مشهوداً . اجتمع الكثير من العامة والنساء ، وجلسوا بالطريق للفرجة عليه ، ومن خرج معه لتشجيعه ووداعه من الأعيان والتجار ، الركاب والراجلين معه منهم ، وبأيديهم البنادق والأسلحة وغير ذلك .

وبعث بالبضائع والذخائر والقومانية ، والأحمال الثقيلة على طريق البحر ، لمرساة ينبع وجدة .

وعند رجوع الركب ، وصل الفرنساوية الى بر مصر ، ووصلهم الخبر بذلك .

وأرسل ابراهيم بيك الى صالح بيك أمير الحج ، يطلبه مع الحجاج الى بليس — كما تقدم — وذهب بصحبته المترجم وجرى عليه ماذكر ... من نهب العرب متاعه وحموله — وكان ثميناً كثيراً — حتى ما عليه من الثياب ، وانحصر بطريق القرين . فلم يجد عند ذلك بدا من مواجهة الفرنساوية ، فذهب الى سارى عسكر بونايرته وقابله ، فرحب به ، وأكرمه ولامه على فراره وركونه للمماليك . فاعتذر اليه بجهل الحال ، فقبل عذره ، واجتهد له فى تحصيل المنهوبات ، وأرسل فى طلب المتعدين ، واستخلص ما أمكن استخلاصه له ولغيره ، وأرسلهم الى مصر ، وأصبح معهم عدة من العساكر لخفارتهم ، ويقدمهم طلبهم ، وهم مشاة بالأسلحة بين أيديهم ، حتى أدخلوهم الى بيوتهم .

ولما رجع سارى عسكر الى مصر ، تردد عليه ، وأحله محل القبول ، وارتاح اليه فى لوازمه . وتصدى للامور وقضايا التجار ، وصار مرعى الجانب عنده ، ويقبل شفاعاته ، ويفصل القوانين بين يديه ويبدى أكابرهم .

ولما رتبوا الديوان ، تعين من الرؤساء فيه ، وكاتبوا التجار ، وأهل الحجاز ، وشريف مكة بواسطته . واستمر على ذلك حتى سافر بونايرته . ووصل بعد ذلك عرضى العثمانية والأمراء المصرية ،

فخرج فيمن خرج للملاقاتهم ، وحصل بعد ذلك ما حصل من تقض الصلح والحروب .

واجتهد المترجم فى أيام الحرب ، وساعد ، وتصدى بكل همته ، وصرف أموالاً جمة فى المهمات والمؤن .. الى أن كان ما كان من ظهور الفرنساوية ، وخروج المحاربين من مصر ورجوعهم . فلم يسهه الا الخروج معهم ، والجلاء عن مصر . فنهب الفرنساوية داره ، وما يتعلق به .

ولما استقر يوسف باشا الوزير جهة الشام آنسه المترجم وعاضده ، واجتهد فى حوائجه ، واقترض الأموال ، وكاتب التجار ، وبذل همته وساعده بما لا يدخل تحت طوق البشر . ويراسل خواصه بمصر سرا ، فيطالعونه بالأخبار والأسرار . الى أن حصل العثمانيون بمصر ، فصار المترجم هو المشار اليه فى الدولة ، والتزم بالاقطاعات والبلاد . وحضر الوزير الى داره ، وقدم اليه التقادى والهدايا . وباشر الأمور العظيمة ، والقضايا الجسيمة ، وما يتعلق بالدول والدواوين ، والمهمات السلطانية .

وازدحم الناس ببابه ، وكثرت عليه الأتباع والأعوان ، والقواسمة والفراشون ، وعساكر رومية ، ومترجمون وكلاجية ووكلاء .

وحضرت مشايخ البلاد والفلاحون الكثيرة بالهدايا والتقادم ، والأغنام والجمال والخيول .

وضاقت داره بهم ، فاتخذ دوراً بجواره ، وأنزل بها الوافدين ، وجعل بها مضاييف وجبوساً وغير ذلك .

ولما قصد يوسف باشا الوزير السفر من مصر ، وكله على تعلقاته وخصوصياته . وحضر محمد باشا خسرو ، فاخص به أيضاً اختصاصاً كلياً ، وسلم اليه المقاليد الكلية والجزئية ، وجعله أمين الضربخانة . وزادت صولته وشهرته ، وطار صيته ،

واتسعت دائرته ، وصار بمنزلة شيخ البلد .. بل أعظم .

وتفدت أوامره في الاقليم المصرى والرومى والحجازى والشامى ، وأدرك من العز والجاه والعظمة ما لم يتفق لأمثاله من أولاد البلد . وكان ديوان بيته أعظم الدواوين بمصر ، وتغرب وجهاء الناس لخدمته ، والوصول لشدته . ووهب وأعطى ، وراعى جانب كل من اتنى إليه وأغدى عليه .

وكان يرسل الكساوى في رمضان للأعيان . والفقهاء والتجار ، وفيها الشالات الكشميرى ، ويهب المواهب ، وشعم الانعامات ، ويهادى أحبابه ، ويسعفهم وبواسيهم في المهمات .

وعمل عدة أعراس وولائم . وزاره محمد باشا المذكور في داره مرتين أو ثلاثا باستدعاء ، وقدم له التقادى والهدايا والتخافى ، والرخوت المثمنة ، والخيول ، والتعايبى من الأقمشة الهندية والمقضبات .

ولما ثارت العسكر على محمد باشا ، وخرج فارا .. كان بصحبته في ذلك الوقت ، فركب أيضا يريد الفرار معه ، واختلفت بينهما الطرق ، فصادفه طائفة من العسكر ، فقبضوا عليه ، وعروا ثيابه وثياب ولده ومن معه ، وأخذوا منه جوهرات كثيرا وتقودا ومتاعا . فلحقه عمر بىك الأرتوودى الساكن ببولاىق ، وأدركه وخلصه من أيديهم ، وأخذه الى داره وحماه ، وقابل به محمد على وغيره . وذهب الى داره واستقر بها .. الى أن انقضت الفتنة ، وظهر طاهر باشا ، فساس أمره معه ، حتى قتل . وحضر الأمراء المصريون ، قنذاخل معهم ، وقدم لهم ، وهاداهم واتحد بهم ، وبعشان بىك البرديسى ، فأبقوه على حالته ، ونجز مطلوبات الجميع .

ولم يتضعض للزعجات ، ولم يتقهقر من

المفزعات ... حتى أنهم لما أرادوا تقليد الستة عشر صنجقا في يوم ، أحضره البرديسى تلك الليلة ، وأخبره بما اتفقوا عليه . ووجده مشغول البال ، متحيرا في ملزوماتهم ، فهون عليه الأمر وسهله ، وقضى له جميع المطلوبات واللوازم للستة عشر أميرا في تلك الليلة .

وما أصبح النهار الا وجميع المطلوبات ، من خيول ورخوت ، وفراوى وكساوى ومزركشات وذهب وفضة — يرسم الانعامات والبقاشيش ومصروف الجيب — حاضر لديه بين يديه ، حتى تعجب هو والحاضرون من ذلك ، وقال له : « مثلك من يخدم الملوك ! » وأعطاه في ذلك اليوم فارسكور زيادة عما بيده .

ولما ثارت العسكر على الأمراء المصريين ، وأخرجوهم من مصر ، وأحضروا أحمد باشا خورشيد من سكندرية ، وقلدوه ولاية مصر — وكان كبعض الأغوات ، مختصر الحال — هيا له رقم الوزارة والرخوت والخلع واللوازم في أسرع وقت ، وأقرب مدة .

ولم يزل شأنه في الترفع والصعود ، وطالعه مقارنا للسعود ، وحاله مشهور ، وذكره منشور ، حتى فاجأته المنية ، وحالت بينه وبين الأمنية .

وذلك أنه لما دعا الباشا في يوم الثلاثاء سابع عشر شهر شعبان ، نزل الى داره ، وتغدى عنده ، وأقام نحو ساعتين ، ثم ركب وطلع الى القلعة ، فأرسل في أثره هدية جليلة صحبة ولده والسيد أحمد الملا ترجمانه ، وهى : بقج قماش هندى ، وتقاصيل ، ومصوغات مجوهرات ، وشمعدانات فضة ، وتخاف وخيول مرخطة ، ويدونها برسمه ورسم كبار أتباعه .

ومضى على ذلك خمسة أيام . فلما كان ليلة الأحد الثانى عشرين شعبان المذكور ، جلس حصاة من الليل مع أصحابه يحادثهم ، ويملى الكتب

عنده ، ويتوسط للناس عنده في القضايا والدعاوى ، واشتهر ذكره من حينئذ ، وارتاح الناس عليه في غالب المقتضيات . وبأشر فصل الحكومات بنفسه وكان قليل الطمع ، لين الجانب . ولما تقلد مخدمه الصنجدية ، بقى معه على حاله في القبول والكتخدائية ، وزادت شهرته ، وتداخل في الأمور الجسيمة عند الأمراء .

ولما حضر حسن باشا ، وخرج مخدمه من مصر — مع من خرج — وظهر شأن اسماعيل بك والعلوين ، استوزره حسن بك الجداوى ، وعظم أمره أيضا في أيامه ، مع مباشرته لوازم مخدمه الأول وقضاء أشغاله سرا .

واشتري دار مصطفى آغا الجراكسة — التي بجوار العربى بالقرب من الفحامين — وانتقل من السبع قاعات وسكن بها . وسافر مرارا الى الجهة القبلية سفيرا بين الأمراء البحرية والقبلية في المراسلات والمصالحات ، وكذلك في بعض المقتضيات بالبلاد البحرية .

ولم يزل وافر الخزمة ، حتى كانت دولة العثمانيين ، ولما أمر السيد أحمد المحرقى ، فانضوى اليه — لقرب داره منه — فقيده ببعض الخدم ، وجبى الأموال من البلاد الجسيمة ، فأرسله قبل موته الى جهة بشيش ، فتمرض بها .

فلما تأمر حسن بك — أخو طاهر باشا — على التجريدة الموجهة الى ناحية قبلى ، طلبوا رجلا من المصريين يكون رئيسا عاقلا ... يكون كتحدا ، فأشاروا على المترجم . فطلبه الباشا من السيد أحمد المحرقى ، فأرسل اليه بالحضور . فوصل في اليوم الذى توفى فيه المحرقى . فأقام أياما حتى قضى أشغاله ، وسافر وهو متوعد . وتوفى بسما لوط في ثالث القعدة ، وحضروا برمه في ليلة الجمعة ثامنه ، وخرجوا بجنازته من بيته ، وصلوا عليه بالأزهر ، ودفنوه بالقرافة ... رحمه الله تعالى وغفر له .

المراسلات والحسابات ، فأخذته رعدة . وقال : « انى أجد بردا » . فذروه ساعة ، ثم أرادوا إيقافه ليدخل الى حريمه ، فحركوه ، فوجدوه خالفا قد فارق الدنيا .. من تلك الساعة التى ذروه فيها . فكتبوا أمره ، حتى ركب ولده السيد محمد الى الباشا في طلوع النهار ، وأخبره . ثم رجع الى داره ، وحضر ديوان افندى والقاضى ، وختموا على خزائنه وحواصله ، واشهروا موته ، وجهزوه وكفنوه ، وصلوا عليه بالأزهر في مشهد حافل ، ثم رجعوا به الى زاوية العربى — تجاه داره — ودفنوه مع السيد أحمد بن عبد السلام . واقتضى أمره .

ثم ان الباشا ألبس ولده السيد محمد فروة وقفتانا على الضربخانة ، وما كان عليه والده من خدمة الدولة والالتزام ، ونزل من القلعة صحبة القاضى ، ثم ذهب الى داره ... بارك الله فيه وأعانه على وقته ا

ومات الأمير المبجل : على آغا يحيى . وأصله مملوك يحيى كاشف تابع أحمد بك السكرى الذى كان كتحدا عند عثمان بك الفقارى الكبير المتقدم ذكرهما .

ولما ظهر على بك ، وأرسل محمد بك ومن معه الى جهة قبلى — بعد قتل صالح بك — كان الأمير يحيى فى جملة الأمراء الذين كانوا بأسيوط ووقع لهم ما تقدم ذكره من الهزيمة ، وتشتتوا فى البلاد ، فذهب الأمير يحيى الى اسلامبول وصحبته مملوكه المترجم . وأقام هناك الى أن مات .

فحضر الأمير على تابعه الى مصر — فى أيام محمد بك — وتزوج بنت أستاذة ، وسكن بحارة السبع قاعات ، واشتهر بها ، وعمل كتحدا عند سليمان آغا الوالى ... الى أن تقلد سليمان آغا المذكور أغاوية مستحفظان . فصار المترجم مقبولا

المحرم

الاثنين غرته (اول ابريل ١٨٠٥ م) :

... ولما نزل الدلاة جهة البساتين وتلك النواحي،
فأكلوا زروعات الناس ، ونهبوا دورا بدير الطين ،
وطلبوا علوفات زائدة .. رتب لهم الباشا الجرايات
والعليق والجامكية وقدرها ستمائة كيس في كل
شهر .

الاثنين ٨ منه (٨ ابريل ١٨٠٥ م) :

سافر أناس كثيرة لزيارة مولد سيدى احمد
البدوى المعتاد ، وسافر أيضا الشيخ الشرقاوى
وحضر هناك كاشف الغريبة ، وحصل منه قبائح
كثيرة ، وقبض على خلائق كثيرة وبلصهم وحبسهم ،
وخوزق أناسا كثيرة من غير ذنب ، ولا يقبل شفاعاة
أحد في شيء .

وفيه : أتبع قدوم محمد على وحسن باشا الى
مصر . وذلك أنهم لما سمعا بوصول طائفة الدلاة ،
وأن أحمد باشا أرسل اليهم وطلبهم ليتعاضد بهم ،
ويقوى بهم ساعده على الأرثوودية ، عزموا على
الرجوع الى مصر ليتلافوا أمرهم قبل استفحال
الأمر .

الخميس ١١ منه (١١ ابريل ١٨٠٥ م) :

طلب الباشا المشايخ ، وعمر أفندى النقيب ،
والوجاقلية وأرباب الديوان . فلما اجتمعوا ، قال
لهم : « ان محمد على وحسن باشا راجعان من قبلى
من غير اذن ، وطالبان شرا ... فاما أن يرجعا من

حيث أتيا ، ويقا تلا الممالك ... واما أن يذهبا الى
بلادهما ، أو أعطيها - ولا بات ومناصب في غير
أراضى مصر . ومعنى أمر من السلطان ، ووكيل
مفوض ، ودستور مكرم : أعزل من أشاء ، وأولى
من أشاء ، وأعطى من أشاء ، وأمنع من أشاء .
ثم أخرج من جيبه ورقة صغيرة في كيس
حرير أخضر ، وأخبرهم أنها بخط السلطان
بما ذكر .. « فأتهم تكونون معى ، وتقيمون
عندى صحبة كبار الوجاقلية » . فقالوا له :
« ان الشيخ الشرقاوى والشيخ البكرى والشيخ
المهدى غائبون عن مصر » ، فقال : « نرسل لهم
بالحضور » . فكتبوا لهم أوراقا من الباشا ،
وأرسلوها اليهم مع السعاة يستعجلونهم للحضور .
ثم اتفقوا على أن يبيت عنده بالقلعة في كل ليلة
اثنان من المتعممين ، واثنان من الوجاقلية ، وأعدوا
لهم مكانا بالضربخانة

وأمر بأن يذهب الدلاة والعسكر الباقية الى
ناحية طرا والجيزة . وأخذوا مدافع وجبخانه .
ووصل محمد على وحسن باشا الى ناحية طرا
ومعهم عساكرهم . فلم يجسر الدلاية على
ممانعتهم .

وكاد لهم محمد على كيدا منها : أنه أرسل اليهم
يقول : « انما جئنا في طلب العلائف ، ولسنا
مخالفين ولا معاندين » . فقال الدلاية لبعضهم :
« اذا كان الأمر كذلك .. فلا وجه للتعرض لهم ،
واخلوا من طريقهم » .

ودخل الكثير من طوائف عساكرهم ، ورجع

الدلائية الى اماكنهم بدير الطين وقصر العيني والآثار .

وتزل كتحدا الباشا وعمر بيك الأرثوودي ، فتكلما مع الدلائية ، فقالوا : « ان القوم لم يكن عندهم خلاف ولا تمدي .. واذا كنتم تمنعون وتحاربون من يطلب حقه ، فكذلك تفعلون معنا اذا خدمناكم زمنا ثم طلبنا علائقنا » .

فرجع الكتخدا وعمر بيك الأرثوودي ، وتتابع دخول أولئك ، في كل يوم طائفة بعد أخرى ، وسكنوا الدور والبيوت .

الأربعاء ١٧ منه (١٧ ابريل ١٨٠٥ م) :

ذهب اليهم سعيد أغا وقابجي باشا الأسودان ، وسلمنا على محمد علي وحسن باشا ثم رجعا .

الجمعة ١٩ منه (١٩ ابريل ١٨٠٥ م) :

دخل محمد علي بعد العصر ، وذهب الى بيته بالأزبكية ، ودخل حسن باشا في صباحها ، ودخلت طوائفهم ، وأخذوا الحمير والبغال وجمال السقائين لينقلوا عليها متاعهم . ودخلوا البيوت ، وأزعجوا السكان ، وأخرجوهم من مساكنهم ، وفتحوا البيوت المسدودة ، وكثرت أخلاطهم بالأسواق . ومنع الباشا المشايخ والوجاقلية من الذهاب الى محمد علي والسلام عليه .

واستمر الأمر على القلقة والقلق والتوحش . وأخذ محمد علي في التدبير على أحمد باشا وخلعه .

ص

الأربعاء غرته (اول مايو ١٨٠٥ م) :

استهل والأمر على ماهو عليه ، وسعيد أغا ساع ومجتهد في اجراء الصلح ، ويركب تارة الى الباشا ، وتارة الى محمد علي والى حسن باشا . ويطلع من المشايخ في كل ليلة اثنان ، وكذلك اثنان من

الوجاقلية يبيتون بمكان في دار الضرب ، وينزلون في الصباح .. ولم يعقل لذلك معنى .

وفي كل وقت يقع التشاحن بين أفراد العسكر في الطرقات ، ويقتلون بعضهم بعضا . وحضر سليمان كاشف البواب ، ومر من خلف الحيزة ، وذهب الى جهة وردان ، وطلب الأموال من البلاد والكلف ، وعدي خازن داره الى بر المنوفية — ومعه عدة كثيرة من العربان — بطلب الأموال من البلاد . ومن عصى عليهم من البلاد ضربوهم ، ونهبوهم وحرقوا أجرائهم ، وكاشف المنوفية داخل منوف لا يقدر على الخروج الى خارج .

وحضر أيضا محمد بيك الألفى الى ناحية أبو صير الملق ، وانتشرت طوائف وعربانه بأقليم الحيزة . ومصر مشحونة بأخلاط العسكر ، وأجناسهم المختلفة ، داخل المدينة وخارجها ، والدلائية جهة مصر القديمة وقصر العيني والآثار ودير الطين ... يأكلون الزروع ، ويخطفون ما يجدونه مع الفلاحين والمارين ، يأخذون ما معهم ، ويخطفون النساء والأولاد .. بن و ... في الرجال الاختيارية ا

وفيه : حضر سكان مصر القديمة ، نساء ورجالا ، الى جهة الجامع الأزهر يشكون ويستغيثون من أفعال الدلائية ، وبخبرون أن الدلائية قد أخرجوهم من مساكنهم وأوطانهم قهرا عنهم ، ولم يتركوهم يأخذوا ثيابهم ومتاعهم ... بل ومنعوا النساء أيضا عندهم ، وما خلص منهم الا من تسلق ونط من الحيطان .. وحضروا على هذه الصورة . فركب المشايخ الى الباشا ، وخاطبوه في أمرهم . فكتب فرمانا خطابا للدلائية بالخروج من الدور ، وتركها الى أصحابها ، فلم يمتثلوا ولم يسمعوا ذلك . وخوطب الباشا ثانيا ، وأخبروه بعصيانهم ، فقال : « انهم مقيمون ثلاثة أيام ، ثم يسافرون » . وزاد الضجيج والجمع ، فاجتمع المشايخ في

صبحها ، يوم الخميس بالأزهر ، وتركوا قراءة الدروس ، وخرجت سرية من الأولاد الصغار يصرخون بالأسواق ، ويأمرون الناس بفتح الحوانيت وحصل بالبلدة ضجة ، ووصل الخبر الى الباشا بذلك ، فأرسل كتخداه الى الأزهر فلم يجد به أحدا .

وكان المشايخ انتقلوا بعد الظهر الى بيوتهم لأغراض نفسانية ، وفشل مستمر فيهم . فلما لم ير أحدا ذهب الى بيت الشيخ الشرقاوى ، وحضر هناك السيد عمر أفندى وخلافه ، فكلّموه وأوهبوه ، ثم قام وانصرف . وفي حال خروجه ، رجمه الأولاد بالحجارة ، وسبوه ، وشتّموه . وبقي الأمر على السكوت الى يوم الجمعة عاشره .. والمشايخ تاركون الحضور الى الأزهر . وغالب الأسواق والدكاكين مغلقة ، واللفظ والوسوسة دائران . وبطل طلوع المشايخ والوجاعلية ومبيتهم بالقلعة .

وفي ذلك اليوم : نزل أحمد باشا من القلعة ، ودخل بيت سعيد آغا . وذلك أنه ورد قاصد من اسلابول وعلى يده تقليد لمحمد على بولاية جدة . فامتنع من طلوع القلعة . فوقع الاتفاق على أن الباشا ينزل الى بيت سعيد آغا ، ويخلع على محمد

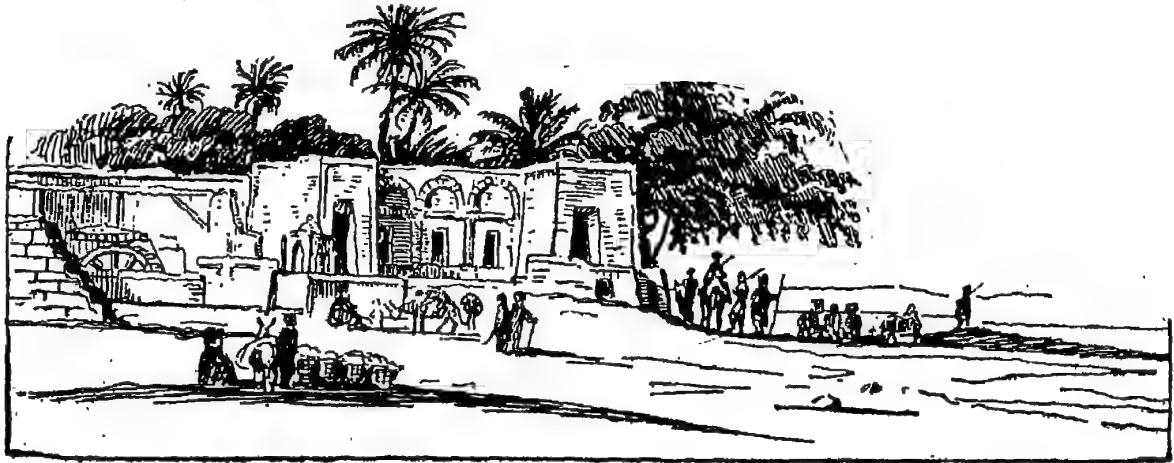
على هناك . فلما حضر الباشا هناك ، وحضر محمد على وحسن باشا وأخوه عابدى بيك ، وتقلد محمد على باشا ولاية جدة ، ولبس فروة وقاووقا ، وخرج يريد الركوب ... ثارت عليه العسكر ، وطلبوا منه العلوفة . فقال لهم : « هاهو الباشا عندكم » وركب هو وذهب الى داره بالأزبكية ، وصار يفرق وينثر الذهب بطول الطريق . ثم ان العسكر ساروا الى أحمد باشا ومنعوه من الركوب . فلم يزل الى بعد الغروب . فلاطفهم حسن باشا ووعدهم . ثم ذهب مع حسن باشا الى داره وأشيع في المدينة حبسه ، وفرح الناس وباتوا مسرورين .

السبت ١١ منه (١١ مايو ١٨٠٥ م)

فلما طلع النهار — يوم السبت — تبين أنه طلع ثانيا الى القلعة في آخر الليل ، وطلع صحبته عابدى بيك ... فاغتم الناس ثانيا .

وفي ذلك اليوم : طلب الباشا من ابن المحرقى وجرجس الجوهري ألفى كيس . وأشيع أنه عازم على عمل فرقة على أهل البلد ، وطلب أجرة الأملاك بموجب قوائم الفرنساوية .

وفيه : ركب الدلاة ، وذهبوا الى قليب ، ودخلوها واستولوا عليها وعلى دورها ، وربطوا



قليب

يقول : « حسبنا الله ونعم الوكيل » . وغير ذلك .
 وطلبوا من القاضي أن يرسل بحضار المتكلمين
 في الدولة لمجلس الشرع . فأرسل الى سعيد أغا
 الوكيل ، وبشير أغا — الذى حضر قبل تاريخه —
 وعثمان أغا قبي كئخدا ، والدفتردار والشمعدانجي .
 فحضر الجميع ، واتفقوا على كتابة عرض حال
 بالمطلوبات .. ففعلوا ذلك ، وذكروا فيه تعدى
 طوائف العسكر ، والايذاء منهم للناس ، واخراجهم
 من مساكنهم ، والمظالم والفرد وقبض مال الميرى
 المعجل ، وحق طرق المباشرين ، ومصادرة الناس
 بالدعوى الكاذبة وغير ذلك . وأخذوه معهم ،
 ووعدوه برد الجواب فى ثانى يوم .

وفى تلك الليلة : أرسل الباشا مراسلة الى القاضي
 يرقق فيها الجواب ، ويظهر الامتثال ، ويطلب
 حضوره اليه من الغد مع العلماء ليعمل معهم
 مشورة . فلما وصلته التذكرة ، حضر بها الى السيد
 عمر أفندى ، واستشاروا فى الذهاب ، ثم اتفقوا
 على عدم التوجه اليه . وغلب على ظنهم أنها منه
 خديعة ، وفى عزمه شئ آخر ، لأنه حضر بعد ذلك
 من أخبرهم أنه كان أعد أشخاصا لاغتيالهم فى
 الطريق ، وينسب ذلك الفعل لأوباش العسكر ...
 أن لو عوتب بعد ذلك ا

الاثنين ١٣ منه (١٣ مايو ١٨٠٥ م) :

اجتمعوا بيت القاضي ، وكذلك اجتمع الكثير
 من العامة فمنعوا من الدخول الى بيت القاضي ،
 وقلوا باييه . وحضر اليهم أيضا سعيد أغا
 والجماعة ، وركب الجميع وذهبوا الى محمد علي
 وقالوا له : « انا لا نريد هذا الباشا حاكما علينا ،
 ولا بد من عزله من الولاية » . فقال : « ومن تريدونه
 يكون واليا ؟ » فقالوا له : « لا نرضى إلا بك ،
 وتكون واليا علينا بشروطنا لما تتوسم فيه من العدالة
 والخير » . فامتنع أولا ثم رضى . وأحضروا له

خيولهم على أجرانها ، وطلبوا من أهلها النفقا
 والكلف ، وعملوا على الدور درايم يطلبونها منهم
 فى كل يوم ، وقرروا على دار شيخ البلد الشواربى
 كل يوم مائة قرش ، وجبوا حريمهم عن الخروج
 — وكان الشواربى بمصر — فوصل اليه الخبر
 بذلك .

واستمروا على ذلك حتى أخذوا النساء والبنات
 والأولاد ، وصاروا يبيعونهم فيما بينهم .

وبعد أيام : أرسل اليهم محمد على ، وقرر
 لهم الكلف على البلاد ، فصاروا يقبضونها ، ومن
 عصى عليهم ضربوه ونهبوه . وأرسلوا الى بلدة
 يقال لها أبو الغيط ، فامتنعت عليهم ، وخرج أهلها
 ودفنوا متاعهم بالجزيرة المقابلة للقرية . فركبوا
 عليهم وحاربوهم ، فقتل من الفلاحين زيادة عن مائة
 شخص . ودلهم بعض الناس من الفلاحين على
 خباياهم بالجزيرة ، فذهبوا اليها واستخرجوها ...
 وكانت أشياء كثيرة ، والأمر لله وحده لا شريك له ا

والمشايخ تاركون الحضور الى الأزهر . وغالب
 الأسواق والدكاكين مغلوقة . وبطل طلوع المشايخ
 والوجاقلية ومبيتهم بالقلمة . فحضر الأغا الى نواحى
 الأزهر ، ونادى بالأمان وفتح الدكاكين فى العصر .
 فقال الناس : « وأى شئ حصل من الأمان .. وهو
 يريد سلب الفقراء ، ويأخذ أجر مساكنهم ، ويعمل
 عليهم غرامات ا » . وباتوا فى هرج ومرج .

الأحد ١٢ منه (١٢ مايو ١٨٠٥ م) :

ركب المشايخ الى بيت القاضي ، واجتمع به
 الكثير من المتعممين والعامة والأطفال ، حتى امتلأ
 الحوش والمقعد بالناس ، وصرخوا بقولهم : « شرع
 الله بيننا وبين هذا الباشا الظالم » . ومن الأولاد
 من يقول : « يا لطيف .. » . ومنهم من يقول :
 « يارب ياتجلى .. أهلك العثملى ا » . ومنهم من

كركا وعليه ققطان ، وقام اليه السيد عمر والشيخ الشراقوى ، فالبساء له ... وذلك وقت العصر . ونادوا بذلك فى تلك الليلة فى المدينة ، وأرسلوا الى أحمد باشا الخبر بذلك ، فقال : « ائى مولى من طرف السلطان ، فلا أعزل بأمر الفلاحين ، ولا أنزل من القلعة الا بأمر من السلطنة ا » .

وأصبح الناس ، وتجمعوا أيضا .. فركب المشايخ — ومعهم الجم الغفير من العامة ، وبأيديهم الأسلحة والعصى — وذهبوا الى بركة الأزيكية حتى ملأوها . وأرسل الباشا الى مصر العتيقة ، فحمل جمالا من البقسماط والذخيرة والجبخانه ، وأخذ غلالا من عرصة الرميثة . وطلع عمر بيك الأرثوودى — الساكن ببولاق — عند الباشا بالقلعة . ثم ان محمد على باشا والمشايخ كتبوا مراسلة الى عمر بيك وصالح أغا قوش — المعضدين لأحمد باشا المخلوع — يذكرون لهما ما اجتمع عليه رأى الجمهور من عزل الباشا ، ولا ينبغي مخالفتهم وعنادهم ، لما يترتب على ذلك من الفساد العظيم ، وخراب الاقليم .

فأرسلا بقولان فى الجواب : « أرونا مسندا شرعيا فى ذلك » .

الخميس ١٦ منه (١٦ مايو ١٨٠٥ م) :

اجتمع المشايخ ببيت القاضى ، ونظموا سؤالا ، وكتب عليه المفتون ، وأرسلوه اليهم . فلم يتعقلوا ذلك ، واستمروا على خلافهم وعنادهم ونزل كثير من أتباع الباشا بشايهم الى المدينة ، وانحل عنه طائفة الينسكجربة ، ولم يبق معه الا طوائف الأرثوود المغرضون لصالح أغا قوش وعمر أغا .

وفى هذه الأيام : حضر محمد بيك الألفى ومن معه من أمرائه وعربانه ، وانتشروا جهة الجيزة ، واستقر الألفى بالمنصورة — قرب الأهرام —

واتشرت أتباعه الى الجسر الأسود ، وأرسل مكاتبة الى السيد عمر أفندى والشيخ الشراقوى ومحمد على باشا ، يطلب له جهة يستقر فيها هو وأتباعه . فكتبوا له بأن يختار له جهة يرتاح فيها ، ويتأنى حتى تسكن الفتنة القائمة بمصر .

واستمر أحمد باشا المخلوع ومن معه ، على الخلاف والعناد وعدم النزول من القلعة ، ويقول : « لا أنزل حتى يأتينى أمر من السلطان الذى ولانى » . وأرسل تذكرة الى القاضى بذكر فيها « أن العسكر الذين عنده بالقلعة ، لهم جامكية منكسرة فى المدة الماضية ، وأنهم كانوا محولين على مال الجهات ورفع المظالم سنة تاريخه معجلا ، فتقبضونها وترسلونها ، وتعينوا لنا ولهم خرجا ومصاريف الى حين حضور جواب من الدولة . وليس فى اقامتنا بالقلعة ضرر أو خراب على الرعية ، فانتا لا تريد اضرارهم » . فأجابه القاضى بقوله : « أما ما كان من الجامكية المحولة .. فانها لازمة عليكم من ايراد المدة التى قبضتموها فى المدة السابقة ، ومن قبيل ماذكرتموه من عدم ضرر الرعية ، فان اقامتكم بالقلعة ... هى عين الضرر ، فانه حضر يوم تاريخه نحو الأربعين ألف (١) نفس بالمحكمة ، وطالبون نزولكم ، أو محاربتكم ، فلا يمكننا دفع قيام هذا الجمهور .. وهذا آخر المراسلات بيننا وبينكم ... والسلام » .

فأجابوه بمعنى الجواب الأول . واجتهد السيد عمر أفندى النقيب ، وحرص الناس على الاجتماع والاستعداد ، وركب هو والمشايخ الى بيت محمد على باشا ، ومعهم الكثير من المشايخ والعامة والوجاقلية ، والكل بالأسلحة والعصى والنباييت ، ولازموا السهر بالليل فى الشوارع والحارات ، ويسرحون أحزابا وطوائف ومعهم المشاعل ،

(١) من المرجح انهم « ألف » ، اذ ان من البديهي استحالة اجتماع مثل هذا العدد بالمحكمة .

ظاهر ومن معه من الأرثوود يراعون من بالقلعة من جناسهم ، لأن غالبهم منهم .

الجمعة ٢٤ منه (٢٤ مايو ١٨٠٥ م) :

طلع عابدى بيك — أخو حسن باشا — الى القلعة . ونزل عمر بيك ، وأمرؤا برفع المتاريس ، وتفرق من بها . وأشيع نزول الباشا من الغد ، وبات الناس على ذلك ليلة السبت ، وهم على ما هم عليه من التجمع والروح والحيرة .

السبت ٢٥ منه (٢٥ مايو ١٨٠٥ م) :

مر ثلاثة من العسكر السجبان بناحية مرجوش ، فصادفوا غلاما حامييا من اللاونجية ، خرج ليشتري قهوة . فأرادوا أخذه ، ففر منهم . فضربوه برصاصة وقتلوه . وذلك في صلاة الحنفى . فتبعهم الناس ، فوصلوا الى النحاسين ، وعطفوا على خان الخليلي ، وأرادوا الخلوص الى جهة المشهد الحسيني . فأغلقوا في وجوهم البوابة . فضربوا على المتبعين لهم ، فقتلوا شخصا وجرحوا آخر ، وخرجوا من القبو الى ناحية الصنادقية . وفرغ ما معهم من البارود ، فطلقوا الى ربع وكالة الشبراوى (١) ، فاجتمع الناس وكسروا باب الربع ، فنزلوا يريدون الهرب فقتلهم الناس .. وذهبت أرواحهم الى النار !

وفي ذلك اليوم : ركب السيد عمر أفندى في قلة من الناس ، وذهب الى بيت حسن بيك أخى ظاهر باشا . وكان هناك عمر بيك الذى نزل من القلعة ، فوقع بينه وبين السيد عمر مناقشة في الكلام طويلة . ومن جملة ما قال : « كيف تعزلون من ولاء السلطان عليكم .. وقد قال تعالى : (أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم) ؟ » . فقال له : « أولو الأمر العلماء ، وحملة الشريعة ، والسلطان العادل ... وهذا رجل ظالم . وجرت

(١) في بعض النسخ (وكالة جوهر اللا) .

ويظفون بالجهات والنواحي وجهات السور ، ثم اتفقوا على محاصرة القلعة . فأرسل محمد على باشا عساكره في جهات الرميلى والحطابة ، وسطرق النافذة مثل : باب القرافة ، والحصرية ، وطريق الصليية ، وناحية بيت آقبردى ، وجلسوا بالمحمودية والسلطان حسن ، وعملوا متاريس في تلك الجهات . وذلك في قاسع عشره .

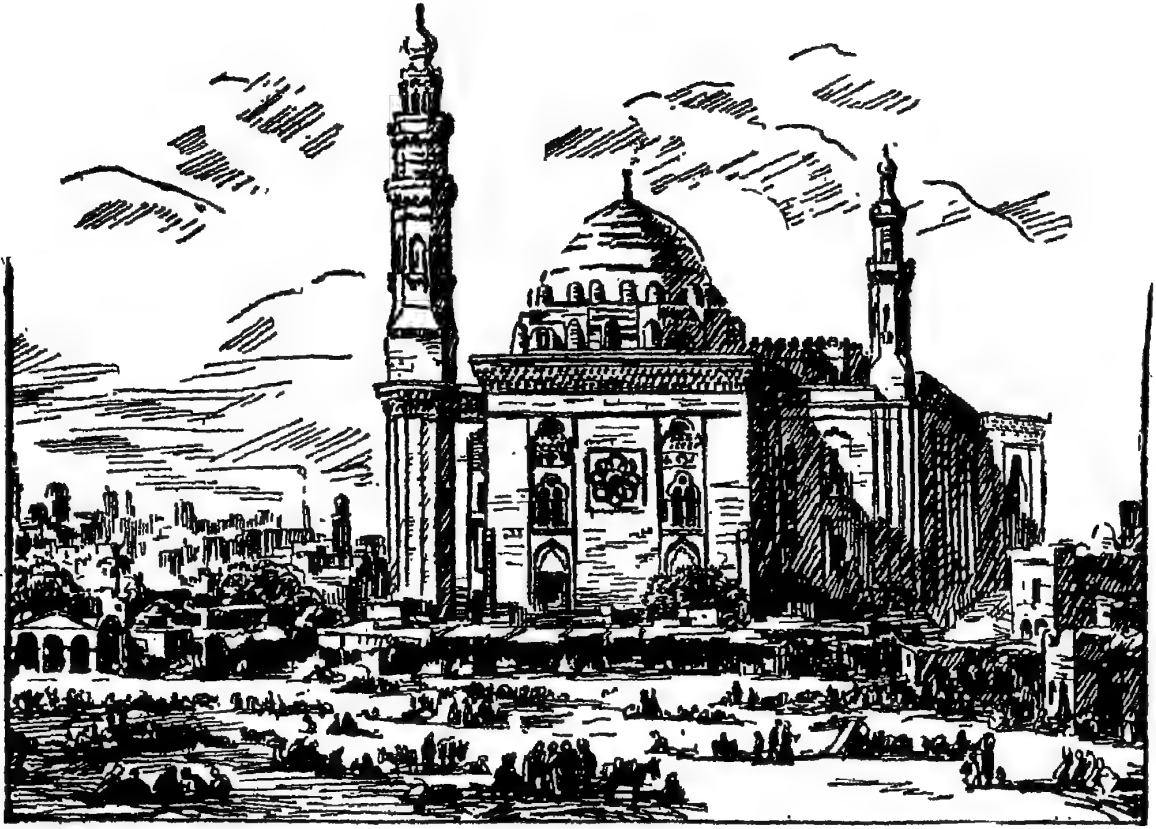
وبنعوا من يطلع ومن يتنزل من القلعة ، وأغلق أهل القلعة الأبواب ، ووقفوا على الأسوار ييكت بعضهم بعضا بالكلام ، ويترامون بالبنادق ، وصعدوا على منارة السلطان حسن يرمون منها الى القلعة .

الأربعاء ٢٢ منه (٢٢ مايو ١٨٠٥ م)

ركب السيد عمر أفندى والمشايخ ، ومعهم جمع كثير من الناس الى الأزبكية . وبعد ركوبهم ، حضر الجمع الكثير من العامة والعصب وطوائف الأجناد والرجاقلية ، وعصب النواحي ، وأهل الحسينية ، والعطوف ، والقبرافة ، والرميلة ، والحطابة ، والصليية ، وجميع الجهات — ومعهم الطبول والبيارق — حتى غصت بهم الأزقة ، فحضروا الى جهات الجامع الأزهر ، ثم رجعوا الى الأزبكية ولحقوا بالمشا

وخرج المشايخ من عند محمد على باشا ، وذهبوا الى حسن بيك أخى ظاهر باشا ثم رجعوا . واستمر الحال على ذلك الى ليلة الجمعة . فنزل بين المغرب والعشاء عدة من العسكر كبيرة ، وفتحوا باب القلعة بالرميلة ، وأرادوا الهجوم على المتاريس . فتابعوا عليهم بالرمل . فلم يزلوا يترامون الى بعد العشاء الأخيرة ثم رجعوا .

وعند ما سمع الناس صوت الرمل ، ذهبوا أرسلوا الى الجهات المتاريس ، ثم عادوا بعد رجوع المذكورين الى القلعة . كل ذلك ، وحسن باشا



جامع السلطان حسن

من اجتماع الناس وسهرهم وطوافهم بالليل ،
واتخاذهم الأسلحة والنبايت ... حتى ان الفقير من
العامة كان يبيع ملبوسه أو يستدين ويشتري به
سلاحاً وحضرت عربان كثيرة من نواحي الشرق
وغیره .

الاثنين ٢٧ منه (٢٧ مايو ١٨٠٥ م) :

ركب السيد عمر وصحبه الوجاقلية ، وأمامه
الناس بالأسلحة والعدد والأجناد وأهل خان الخليلي
والمخارية .. شيء كثير جدا ، ومعهم ييارق ولهم
جلبة وازدهام ، بحيث كان أولهم بالموسكى
وآخرهم جهة الأزهر . وانفصل الأمر على رجوع
عمر بيك الى القلعة ، ونزول عابدى بيك ، بعد أن
قضوا أشغالهم وعبوا ذخيرتهم واحتياجهم من الماء

العامة من قديم الزمان أن أهل البلد يعزلون
الولاة .. وهذا شيء من زمان ، حتى الخليفة
والسلطان اذا سار فيهم بالجور فانهم يعزلونه
ويخلعونهم . ثم قال : « وكيف تحضرونا ، وتغنعون
عنا الماء والأكل وتقاتلوننا ... نحن كفره حتى تفعلوا
معنا ذلك ؟ » قال : « نعم .. قد أفتى العلماء
والقاضي بجواز قتالكم ومحاربتكم ، لأنكم
عصاة » .

فقال : « ان القاضي هذا .. كافر ! » . قال :
« اذا كان قاضيكم كافرا ، فكيف بكم ؟ ! وحاشاه
الله من ذلك . انه رجل شرعى لا يميل عن الحق » .
وانفصل المجلس على ذلك .

وخطبه الشيخ السادات في مثل ذلك . فلم
يتحول عن الخلاف والعناد ... هذا والأمر مستمر ،

أهل الرملة ، فاجتمعوا وحضروا اليهم — وكبيرهم حجاج الخضرى واسماعيل حودة — وهجموا عليهم ، وقتلوا منهم أنفارا . وانحاز باقيهم الى الوكالة فأغلقوها عليهم فحضر ذو الفقار كئندا ، ودافع عنهم وأخرجهم ، ثم أرسل الى محمد على ، وأمرهم بالهروب من تلك الجهة .

الجمعة ٩ منه (٧ يونية ١٨٠٥ م)

قتل العسكر شخصا بناحية المظفر ، وآخر بناحية قطرة الأمير حسن .

السبت ١٠ منه (٨ يونية ١٨٠٥ م) :

حصل من بعض أفراد العسكر قبائح ، وقتلوا بعض أنفار وحمارين وربعين . وقبض الباعة أيضا على أشخاص منهم ، وقتلوا منهم أيضا . وحضرت طائفة من الأرثوود ، وملكوا سبيل اسكندر بيبا الخرق . وحضر أيضا طائفة بيت السيد عمر أفندى التقيب ، فقام فهم الحرس الواقفون عند باب البيت فهرب منهم طائفة خالة ودخل منهم البعض ، فحجزوهم . ووقع في الناس هوزعات وكرشات ، ثم أحضر حسن أغا نجاتى المحتسب ، وأمر الأفندى بالناداة ، فمر وأمامه المنادى يقول : « حسبما رسم السيد عمر الأفندى والعلماء لجميع الرعايا ، بأن تأخذوا حذرهم وأسلحتهم ويحترسوا في أماكنهم وأخطاطهم ، وإذا تعرض لهم عسكرى بأذنه قابله بمثلها ، والا فلا تعرضوا له » .

وأخذ الناس يعملون متاريس في رؤوس الأخطاط ثم تركوا ذلك .

وحضر أيضا شخص من طرف محمد على ونادى بمثل ذلك ومعه أيضا شخص ينادى بالتركى بمعنى ذلك .

وفي الليلة الماضية حضر كئندا محمد على ليلا ومعه فرمان أرسله أحمد باشا المخلوع الى الدلاة

والزاد والغنم ليلا ونهارا ، في مدة الثلاثة أيام المذكورة . وقد كانوا أشرفوا على طلب الأمان . وتبين أنهم انما فعلوا ذلك من باب المكر والخديعة . واتفق الحال على إعادة المحاصرة ، وصعد المعرضون الى القلعة ، ونزل أشخاص من المعرضين لأهل البلد اليهم . ورجع السيد عمر الى منزله . وأخذ في أسباب الاحاطة بالقلعة كالأول . وذلك بعد العشاء ليلة الثلاثاء . ووقع الاهتمام في صباحها بذلك ، وجمعوا القلعة والعريجية ، وشرعوا في طلوع طائفة من العسكر والعرب وغيرهم الى الجبل ، وأصعدوا مدافع ، ورتبوا عدة جمال لنقل الاحتياجات والخبز ، وروابا الماء تطلع وتنزل في كل يوم مرتين . وطلع اليهم الكثير من باعة الخبز والكعك والقهاوى .. وغير ذلك .

ربيع الأول

الخميس غرته (٣٠ مايو ١٨٠٥ م) :

استهل يوم الخميس . . والأمر على ذلك مستمر من تجمع الناس وسهرهم بالليل في سائر الأخطاط .

الثلاثاء ٦ منه (٤ يونية ١٨٠٥ م) :

تجرك العسكر وطلبوا العلوفة من محمد على . فقال لهم : « ليس لكم عندى علوفة حتى ينزل أحمد باشا من القلعة ونحاسبه ، وتأخذوا علائفكم منه » . فلم يمتثلوا ، وتركوا المتاريس التى حوالى القلعة ، فتركوا وذهبوا . فذهب جماعة من الرعية وترسوا في مواضعهم ا

الخميس ٨ منه (٦ يونية ١٨٠٥ م) :

حضرت طائفة من العسكر الساكنين بناحية المظفر ، وقت الغروب ، وضربوا على من المتاريس من الأجناد والرعية على حين غفلة ، وخطفوا عمائم وأسلحة ، وأجلوهم عن المتاريس وجلسوا به فتسامع

ونحو ذلك . وبالجمله فهى قضية مشكله بين
أوباش مختلفه ، وطباع معوجه منحرفه . ومضت
ليالى المولد الشريف ولم يشعر بها أحد !

وفيه : حضر كبار الدلاة . فخلع عليهم محمد
على باشا خلعا وكساوى ، وسافروا . ثم ارتحلوا
من قليوب يريدون الذهاب الى محاربة الألفى وأتباعه
ومن معهم من العرب... فانهم أفحشوا فى نهب البلاد
ونهب الأموال ما لم يسمع بمثله ولم يتقدم نظيره .
فساروا على البلاد والقصى : يأخذون الكلف
وينهبون ويقتلون ويفسقون فى النساء والأولاد ،
ولم يذهبوا الى ما وجهوا اليه !

الأربعاء ١٤ منه (١٢ يونيه ١٨٠٥ م) :

حضر كتحدا محمد على وجرجس الجوهري
الى بيت السيد عمر ، وحضر أيضا الشيخ
الشرقاوى والشيخ الأمير والقاضى ، وتشاوروا
على أمر ورأى رآه محمد على باشا .

وأما على باشا السلحدار — الذى جهة
مصر القديمة — فإنه أخذ فى استمالة العسكر
وقنتهم ، وانضم اليه كثير منهم ، ووعدهم
بعلائقهم ، وصار يرأسل أحمد باشا سرا ، ويرسل
اليه الخبز واللحم والسكر والخيرة على الجمال
من باب صغير فتحوه من عرب اليسار من داخل .

السبت ١٧ منه (١٥ يونيه ١٨٠٥ م)

أجمع رأى على باشا السلحدار على مكيدة
يصنعها وهو أنه يركب فيمن معه ، ويهجم على
التاريس من جهة الصلية . وأرسل الى مخدمه
يعلمه بذلك ، وأنه اذا هجم من تلك الناحية يساعده
هو من القلعة برمى المدافع والقناير على البلد
والتاريس فتزعج الناس ، ويتم لهم مأمكروه .
وكتب رجب أنغا وسليمان أنغا — وهما كبيرا
عسكر على باشا المذكور — تذكرة من عندهما

يطلبهم للحضور ، ويذكر لهم أنه يجب عليهم
معاوته صيانة لعرض السلطنة ، واقامة لناموسها
وناموس الدين ، وأن الفلاحين محاصرون ومانعون
عنه الأكل والشرب .

فلما وصل ذلك فرمان اليهم بقليوب ، أرسلوه
الى محمد على ، وأرسله محمد على الى السيد عمر
أفندى النقيب .

الأحد ١١ منه (٩ يونيه ١٨٠٥ م) :

وقعت أيضا مناوشات ، وتعدى بعض العسكر
ودخلوا باب زويلة ووصلوا الى العقادين . فخرجت
عليهم طائفة المغاربة وغيرهم ، فترس منهم جماعة
بجامع الفاكهاني ، فحصرهم به ، وقبضوا على
نحو العشرة أنفار ، فأخذهم السيد محمد المحروقى ،
ودافع عنهم العامة ، وقتل من الفريقين بعض أنفار .
وحضر عابدى بيك وطلبهم ، فسلموهم اليه ،
ورجع .

وفى تلك الليلة أيضا : ذهب جماعة من العسكر
الى جهة الرملة يطلبون أنفارا منهم ساكنين بتلك
الناحية ، فأخذ أهل الرملة سلاحهم وجسوهم
عندهم . فذهبت امرأة من المتزوجات بهم فأخبرتهم ،
فحضر منهم طائفة أواخر النهار وطلبوهم فلم يسلما
فيهم ، وحاربوهم وهزموهم الى جهة الصلية .
وقتل بينهم أنفار ، ورجع العسكر ... واختلطت
القضية ، واشتبه أمرها على أهل البلد ... فلا
يعرف كلا الفريقين صاحب من العدو : فتارة
يتشابك العسكر مع أهل البلد ، وكذلك أهل البلد
معهم ، وتارة تتشابك فرقة منهم مع الكائنين
بالقلعة وتارة الفريقان ليساعد بعضهم بعضا .
واذا وقع بين الكائنين بنواحي حتى الرملة مع
العسكر ، فرح من بالقلعة وأغروا أولاد البلد بهم .
ومنهم من يغرى العسكر على أولاد البلد ويقولون
لهم بلسانهم وبالعربى : « اضربوا الفلاحين » :

ضربا قليلا ... واستمر ذلك ليلة الثلاثاء ويوم الثلاثاء . فأكثروا الرمي ، وسقطت قناير وجلل في عدة أماكن مع الضرر القليل . وباتوا على ذلك ليلة الأربعاء ويومه ، وليلة الخميس ويومه الى آخر النهار . وبطل الرمي تلك الليلة . فقال الناس : « انهم تركوا ذلك احتراما ليلة الجمعة » .

الجمعة ٢٣ منه (٢١ يونية ١٨٠٥ م) :

وفي تلك الليلة حضر جماعة من أهل الأطراف ليلا وحرقوا باب الجبل ، وأوقدوا فيه النار . فظن أهل الجبل أن أهل القلعة يريدون الخروج ، فضربوا عليهم مدافع ، فتنبه من بالقلعة وأسرعوا الى جهة باب الجبل ، وضربوا الرصاص . فلما تحقق من بالجبل القضية رموا عليهم أيضا . وتسامع الناس كثرة ضرب الرصاص فلم يعلموا الحقيقة ، ورجع من أتى الى الباب من غير طائل . فلما طلع النهار ظهر الأمر .

وفي اليوم الثاني بعد الظهر ، تسلق جماعة من العسكر القلعاوية على سلال صنعوها من حبال ، ونزلوا الى جهة المحجر لأخذ شيء من الأكل والشرب ، وهم نحو العشرين ، فتنبه الناس لهم ، واجتمعوا بالخطة وأخذوا ما أخذوه من أهل الدور من الخبز والدقيق وقرب ماء ، وصعدوا من حيث أتوا . وأعادوا الرمي بالمدافع والقناير من عصر يوم الجمعة وليلة السبت ، واستمروا على ذلك . وسقط بسبب ذلك حيطان وبعض من أبنية الدور . وخرج كثير من الناس وبعثوا عن جهات الضرب — وخصوصا جهة الأزهر — وذهبوا الى ناحية الحسينية والأطراف ، وخرجت النساء هاربات الى تلك النواحي وبولاق ، وانزعجوا من أوطانهم .

الأحد ٢٥ منه (٢٣ يونية ١٨٠٥ م) :

أرسل كتبخدا محمد علي باشا الى السيد عمر ،

خطابا للسيد عمر أفندي النقيب وباقي المشايخ ، مضمونها : أنهما يريدان الحضور الى جهة القلعة ، ويسميان في أمر يكون فيه الراحة للفرقيين وتسكين الفتنة ، ويلتمسان من المخاطبين أنهن يرسلون الى من بالتاريس من العامة بأن يخلوا لهما طريقا ولا يترضوا لهما — فحضر الى السيد عمر أفندي النقيب من أخبره بذلك الاتفاق بعد الفجر ، قبل حضور التذكرة ، فأرسل الى من بالنواحي والجهات وأبخطهم وحذرهم . فاستعدوا وانتظروا وراقبوا النواحي ، فنظروا الى ناحية القرافة فأروا الجبال التي تحمل الذخيرة الواصلة من على باشا الى القلعة ومعها أنصار من الخدم والعسكر ، وعدتهم ستون جملا ، فخرج عليهم حجاج الحضري ومن معه من أهالي الرميعة ، فضربوهم وحاربوهم ، وأخذوا منهم تلك الحمال ، وقتلوا شخصين من العسكر ، وقبضوا على ثلاثة وحضروا بهم وبرؤوس المقتولين الى بيت السيد عمر فأرسلهم الى محمد علي باشا ، فأمر بقتل الآخرين .

فلما رأى من بالقلعة ذلك ... رموا بالمدافع والقناير على البلد وبيت محمد علي وحسن باشا وجهة الأزهر ، ولم يزالوا يرسلون الرمي من أول النهار الى بعد الظهر فلم ينزعج أهل البلد من ذلك لما ألفوه من أبام الفرنسيين وحروبهم السابقة . ثم رموا كذلك من العشاء الى سادس ساعة من الليل ، فلم يجهم أحد ، ولم يرموا عليهم شيئا من الجبل مع استعدادهم لذلك .

وأصبحوا يوم الأحد ، فراسلوا الرمي بطول النهار ، وكذلك ليلة الاثنين ويوم الاثنين . هذا وفي كل ليلة يطلع الى الجبل أربعة عشر جملا تحمل قرب الماء : على كل بعير أربع قرب : وستة أقفاص خبز على ثلاثة جمال ، نقلتين في كل يوم ، وأصعدوا جيحانة وجللا وقناير ، وضربوا عليهم في ذلك اليوم

بالأزبكية وخارج باب الفتوح وباب النصر والمدافع
التي على أبراج الأبواب .

ولما سمع من بالقلعة ومن بمصر القديمة ظنوا
أن العساكر ، الذين في قلوبهم مرض ، تحاربوا
مع أهل البلد ، فرموا من القلعة بالمدافع والبنب .
وحضر على باشا ومن معه من جهة مصر القديمة .
ونزل من القلعة طائفة من العسكر جهة عرب اليسار
وترسوا هناك . فاجتمع عليهم حجاج وأهل الرميلة
ومن معهم من عسكر محمد علي ، وتحاربوا مع
المترسين والواصلين ، وضربوا من القلعة على
محاربهم وعلى أهل البلد ، وكذلك من بالجبل ،
ومن بالذنجزية يضربون على القلعة المدافع
والسواربخ .

ونزل أيضا طائفة وهجموا على الذنجزية ،
وأرادوا سد فلول المدفع الكبير . فضربوا عليهم
وقتل كبيرهم ومعه آخر ، وأخذوا سلاحهما
ورؤوسهما وأحضرهما إلى السيد عمر . وحصل
بالبلدة تلك الليلة من ضرب النار من كل ناحية
ما هو عجيب من المستغربات . واختلط الشنك
بالحرب ، وصار الضرب من الجبل على القلعة بالبنب
والمدافع والسواربخ ، وكذلك من القلعة على البلد
وعلى الذنجزية ، ومنها على القلعة والمحاربين مع
بعضهم البعض ، والشنك من كل جهة ، واجتماع
الناس والعمامة بالأخطاط والنواحي ، وضربوا
طسولا ومزامير وقرزانات .. وكانت ليلة من
القرائب . وأصبحوا على الحال الذي هم عليه من
الرمي بالمدافع والبنب !

٣ منه (اول يولية ١٨٠٥ م) :

سافرت أنصار من الوجدانية وغيرهم للقاءة
صالح آغا ، وصحبته طائفة من العسكر ، أرسلها
محمد علي باشا في مركب لخفارته . وقد كانوا
اتفقوا على سفر بعض المتعمين ، ثم بطل ذلك .

وأشار عليه بارسال العتالين والشيالين إلى ناحية
قلعة الفرساوية التي بقنطرة الليمون ، لرفع المدفع
الكبير الذي هناك . وأرسلوا أشخاصا من الانكليز
يتقيدون بذلك . فجمعوا الرجال والأبقار وذهبوا
إلى هناك ، وأحضرهم وأخرجهم من باب البرقية
يريدون وضعه عند باب الوزير حيث مجرى السيل
ليرموا به على برج القلعة .. واستمروا في جره
يومين .

وفي ذلك اليوم : نزل أيضا ستة أشخاص يريدون
أخذ الماء من صهرج جهة الخطابة ، فضرب عليهم
من هناك من المترسين ، فهربوا وطلعوا من حيث
نزلوا .

الثلاثاء ٢٧ منه (٢٥ يونية ١٨٠٥ م) :

نصبوا المدفع المذكور وضربوا به ، وضربوا
أيضا من أعلى الجبل . ومن بالقلعة يضربون على
البلد ، يواصلون الضرب بالمدافع والقنابر والبنبات
الكبار ، والآلات المحرقة . واستمروا على ذلك
إلى ليلة الجمعة الأخرى فسكن الرمي تلك الليلة .
وأصيب كثير من الدور والحيطان والأبنية .
وأصابت أشخاصا قتلهم ... ووزن بعض البنبات
فبلغ وزنها — بما فيها — قنطارين !

ربيع الآخر

غوته (٢٩ يونية ١٨٠٥ م) :

وردت أخبار من ثغر سكندرية بورود قابجي
— وهو صالح آغا الذي كان سابقا بمصر بيت
رضوان كتحدا إبراهيم بيك — وعلى يده جوانات
بالراحة . فحصلت ضجة في الناس ، وفرحوا
ورمحو بطول ذلك اليوم ، وعملوا شنكا تلك
الليلة — التي هي ليلة السبت — ورموا صواربخ
في مياثر النواحي ، وضربوا بنادق وقرايين

وأرسل السيد عمر أفندي باشجاويش والسيد عثمان البكري وسلحدار محمد علي والخواجة عمر المظلي وبكتاش وأحمد أودة باشا .

٥ منه (٣ يولية ١٨٠٥ م) :

أشيع وصول القابجي الى بولاق ليلا ، فخرج كثير من العامة لملاقاته أفواجا واصطفوا في الأسواق للفرجة عليه ... واستمروا على ذلك الرج بطول النهار ولم يصل أحد . ثم تبين عدم وصوله ، وأنه وصل الى نغر رشيد .

وفي ذلك اليوم ، وقت الشروق ، حصلت زلزلة عظيمة ، وارتجت الأرض نحو أربع درجات .

٦ منه (٤ يولية ١٨٠٥ م)

سافر جماعة من المتعممين وهم : السيد محمد الدواخلي ، وابن الشيخ الأمير ، والشيخ بدوي الهيشي ، وابن الشيخ العروسي . واستمر الحال على ذلك اليوم ويوم الخميس والجمعة ، ولم يطل رمى المدافع والنبب ليلا ونهارا في غالب الأوقات ، ماعدا ليلة الجمعة ويومها الى العضر .

١١ منه (٩ يولية ١٨٠٥ م) :

وصل الخبر بوصول القابجي الى قليب ، وأنه طلع الى يرفوة وسار من هناك . وحصر في ذلك اليوم المشايخ الذين كانوا ذهبوا لملاقاته . فلما أشيع ذلك ، اجتمع الناس وطوائف العامة وخرجوا من آخر الليل ، وهم بالأسلحة والعدد والطبول ، الى خارج باب النصر . ووقفوا بالشوارع والسقائف للفرجة .. وكذلك النساء والصبيان ، وازدحموا ازدحاما زائدا . ووصل الأغا المذكور ، وصحبته سلحدار الوزير ، الى زاوية دمرداش ... ونزلا هناك . وعمل لهما اسماعيل الطوبجي الفطور ، فأكلاه وشربا القهوة وركبا ، وانجرت الطوائف والغوغاء من العامة وهم يضربون بالبنادق

والقرايين والمدافع من أعلى سور باب النصر . والفتوح . واستمر مرورهم نحو ثلاث ساعات . وخرج كتخدا محمد علي وأكابر الأرثوود ، وطائفة من العسكر كبيرة والوجاقية ، وكثير من الفقهاء العاملين رؤوس العصب ، وأهالي بولاق ومصر القديمة والنواحي ، والجهات مثل : أهل باب الشعرية ، والحسينية ، والعطوف ، وخط الخليفة ، والقراطين ، والرميلة ، والخطابة ، والحبالة ، وكبيرهم حجاج الحضري ويده سيف مسلول ، وكذلك ابن شمعة شيخ الجزارين وخلافه ، ومعهم طبول وزمور ... والمدافع والقناير والبنبات نازلة من القلعة . فلم يزالوا سائرين الى أن وصلوا الى الأربكية ، فنزلوا بيت محمد على باشا .

وحضر المشايخ والأعيان وقرأوا المرسوم الذي معه . ومضمونه الخطاب لمحمد علي باشا والي جدة سابقا ، ووالى مصر حالا من ابتداء عشرين ربيع الأول (١٨ يونية ١٨٠٥) حيث رضى بذلك العلماء والرعية . وأن أحمد باشا معزول عن مصر ، وأن يتوجه الى سكندرية بالاعزاز والاكرام حتى يأتيه الأمر بالتوجه الى بعض الولايات . وسكن صالح أغا القابجي المذكور بيت الخواجة محمود حسن بالأربكية ، وسكن السلحدار عند السيد محمد ابن المحروقي .

١٢ منه (١٠ يولية ١٨٠٥ م) :

ركب السيد عمر في جمع كثير من العسكر من أولاد البلد والمغاربة والصعائدة والأتراك ، والكل بالأسلحة ، وذهب الى عند محمد علي باشا وجلس عنده حصاة ، وذهب الى القابجي وسلم عليه ، وذهب الى السلحدار أيضا وسلم عليه ورجع وفيه : بطل الرمي من القلعة وكذلك أبطلوا الرمي عليها من الجبل والذنجزية ، مع بقاء المحاصرة

والتاريس حول القلعة من الجهات ، ومنع الواصل اليهم ، واستمرار من بالجبل .

ويطلع اليهم في كل يوم الجمال الحاملة للخبز وقرب الماء واللوازم . وأما الدلاة فاستقروا بمحلة أبى على ، وطلبوا الفرد والكلف من البلاد . ووصل محمد بيك الألفى الى دمنهور والبحيرة ، قتمنعوا عليه ، فحاصر البلد وضرب عليها ، وضربوا عليه أياما كثيرة .

وفيه : وقع بباب الشعرية مناوشة بين العسكر وأولاد البلد بسبب سكن البيوت ، وكذلك جهة باب اللوق وبولاق ومصر القديمة ، وقتل بينهم أنفار ، وقتل أيضا المتكلم بمصر القديمة . وحصلت زعجات في الناس .

١٣ منه (١١ يولية ١٨٠٥ م) :

مر بعض أولاد البلد بجهة الخرغش ، فضربه بعض عسكر «حجو» الساكن بيت شاهين كاشف فقتله ، فثار أهل الناحية وتضاربوا بالرصاص . واجتمع العسكر بتلك الناحية ودخلوا من حارة النصرى النافذة من بين السورين ، وصعدوا الى البيوت وتقبوا نقوبا ، وصاروا يضربون على الناس من الطبقة .

واجتمع الناس وانزعجوا ، وبنوا متاريس عند رأس الخرغش ومرجوش وناحية الباسطية برأس الدرب ، وتحاربوا وقتل بينهم أشخاص من الفريقين ونهب العسكر عدة دور ، وتسلقوا على بيت حسن بيك مملوك عثمان الحمامى الحكيم وذبحوه ، ونهبوا بيته الذى برأس الخرغش ، وكذلك رجل زيات ، وعبد صالح أغا الجلفى ، وحسن ابن كاتب الحردة .. وكانت واقعة شنيعة استمرت الى العصر .

وحضر الأغا وكتخدا محمد على ، فلم يسكن الفتنة . وحضر أيضا اسماعيل الطنجى . ثم سكن

الحال بعد اضطراب شديد ، وبات الناس على ذلك . وسبب هذه الحادثة : أن رجلا عسكريا اشترى من رجل خردجى ملاعق ثم ردها من الغد ... فلم يرض وتسابا ، فضربه العسكرى ، فصاح الحردجى وقال : « ما يحصل من الله ... يضرب النصرانى الشريف ! » . فاجتمع عليه الناس ، وقبضوا عليه وسحبوه الى بيت النقيب . فلما قربوا من البيت ضربوه وقتلوه وأخرجوه الى تل البرقية ورموه هناك . فحصل بسبب ذلك ما ذكر .

وفيه : أرسلوا صورة المكاتبه الواردة مع صالح أغا الى الباشا فلم يثقل وامتنع عن النزول وقال : « أنا متول بخطوط شريفة ، وأوامر منيفة ، ولا أنزل بورقة مثل هذه » . وطلب الاجتماع بصالح أغا والسلحدار يخاطبهم مشافهة ، ونظر في كلامهم وكيفية مجيئهم . فلم يرضوا بطلوع المذكورين اليه .

١٤ منه (١٢ يولية ١٨٠٥ م) :

وقع بين حجاج الخضرى والعسكر مقاتلة جهة طيلون ، وقتل بينهم أشخاص .

وفيه : تواترت الأخبار بقدم الأمراء المصريين القبلين الى جهة مصر .

وفيه : اجتمع الشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير وغالب المتعمين وقالوا : « ايش هذا الحال ؟ وما



الشايع

تدخلنا في هذا الأمر والفتن ؟ » . واتفقوا أنهم يتابعون عن الفتنة ، وينادون بالأمان ! وأن الناس يفتحون حوائيتهم ويجلسون بها ، وكذلك يفتحون أبواب الجامع الأزهر ، ويتقيدون بقراءة الدروس ، وحضور الطلبة . وركبوا إلى محمد على وقالوا له : « أنت صرت حاكم البلدة ، والرعية ليس لهم مقارضة في عزل الباشا ونزوله من القلعة ، وقد أقالك الأمر فنفذه كيف شئت » . وأخبروه بأمرهم فأجابهم إلى ذلك .

وركب الأغا ، وصحبته بعض المتعممين ، ونادوا في المدينة : بالأمن والأمان ، والبيع والشراء ، وأن الناس يتركون حمل الأسلحة بالنهار . وإذا وقح من بعض العسكر قياحة رفعوا أمره إلى محمد على ، وأن كان من الرعية رفعوه إلى بيت السيد عمر النقيب . وإذا دخل الليل حملوا الأسلحة وسهروا في أخطائهم على العادة ، وتحفظوا على أماكنهم فلما سمع الناس ذلك أنكروه وقالوا : « إيش هذا الكلام ؟ حينئذ نصير طعمة للعسكر بالنهار وغفراء بالليل ! والله لا ترك حمل أسلحتنا ولا نمثل لهذا الكلام ، ولا هذه المنادة » .

ومر الأغا ببعض العامة المتسلحين فقبض عليهم ، وأخذ سلاحهم ، فازدادوا قهرا ، وباتوا على ذلك . واجتمعوا عند السيد عمر النقيب ، وراجعوه في ذلك ، فاعتذر وأخبر بأن هذا الأمر على خلاف عن مراده !

١٥ منه (١٣ يولية ١٨٠٥ م)

حصل خسوف قمر كلى . وكان ابتداءه من بعد العشاء الأخيرة بنصف ساعة ، وانجلى في سابع ساعة ..

وأصبح يوم الجمعة : فحضر عند السيد عمر كتحدا بيك وعابدى بيك في جمع من العسكر ، وجلسوا عنده ساعة ، وذكروا له أن في عصرها

يرسلون إلى الباشا الكائن بالقلعة ، ويجتمعون عليه بالنزول . فإن أبى ... جدوا في قتاله ومحاربته . وذكروا أنه ممالىء الأمراء القبالي ، وهو الذى أرسل بحضورهم ، ومطمعهم في الملكة فلزم الاجتهاد في انزاله من القلعة ، ثم يتفرغون لمحاربة القادمين ويخرجون بهم بالعسكر . ثم قاموا من عنده وذهبوا إلى بيت القاضى .

وحضر « حجو أغا » ، الذى كان يحارب بالخرقش . فرجع صحبته كتحدا بيك عند السيد عمر ليأخذ بخاطره ، وصحبته طائفة من العسكر فوققوا متفرقين ، ودخل منهم طائفة إلى بيت الشيخ الشرقاوى وباقيهم بالشارع ، وتجمع حولهم أهالى البلد بالأسلحة . فاتفق بينهم انطلاق بندقية — اما خطأ أو قصدا — فهاجت الناس وماجت ، واجتمعوا من كل ناحية ، وخرج جارشية النقابة إلى نواحي الدائرة ينادون في اناس ويقولون : « عليكم بيت السيد عمر النقيب .. بامسلمين انجدوا اخوانكم ! » .

وحصلت من تلك البندقية التى انطلقت فزعة عظيمة وصاح السيد عمر على الناس من الشباك يأمرهم بالسكون والهجوع ... فلم يسمعوا له ، ونزل إلى أسفل ووقف بباب داره يصيح بالناس ، فلا يزدادون الا خباطا ، وأقبلوا طوائف من كل جهة ، فصار يأمرهم بالمرور والخروج إلى جهة باب البرقية . ولم يزالوا على ذلك إلى بعد صلاة الجمعة حتى سكن الحال .

وأقام « حجو » والكتخدا حتى تغديا مع السيد عمر ، وركبا وذهبا .

ولودى في عصر ذلك اليوم بالأمان ، وفتح الحوائيت ، والبيع والشراء ، ولا يرفعون معهم السلاح ، بل يجعلونه معهم في حوائيتهم تحذرا من غدر العسكر . وفتحوا أبواب الأزهر .

١٦ منه (١٤ يولية ١٨٠٥ م) :

فتح الناس بعض الحوانيت . ونزل المشايخ الى الجامع الأزهر وقرأوا بعض الدروس ، ففترت همم الناس ورموا الأسلحة ، وأخذوا يسبون المشايخ ويشتمونهم لتخذيلهم إياهم . وشمخ عليهم العسكر وشرعوا في أذيتهم ، وتعرضوا لقتلهم واضرارهم .

١٧ منه (١٥ يولية ١٨٠٥ م) :

قتلوا أشخاصا في جهات مصرية . وضح الناس وأغلقوا الدكاكين ، وكثرت شكاويهم . وأقلقوا السيد عمر النقيب وهو يعتذر اليهم ويقول لهم : « اذهبوا الى الشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير فهما اللذان أمرا الناس برمي السلاح » . فلما زادت الشكوى نادوا في الناس بالعود الى حمل السلاح والتحذر .

وفيه : وصل الأمراء القبطيون الى قرب الجيزة ، وعدى منهم طائفة الى البر الشرقى جهة دير الطين والبساتين وهم : عباس بك ، ومحمد بك المنفوخ ، ورشوان كاشف ، وهدموا قلاع طرا وساووها بالأرض .

١٨ منه (١٦ يولية ١٨٠٥ م) :

ركب محمد على وخرج الى جهة مصر القديمة ، وصحبته حسن باشا وأخوه عابدى بك ، فنزل بقصر بلفيه ، وأقاموا الى العصر وخرج كثير من العسكر الى ناحية مصر القديمة ثم ركب محمد على وحسن باشا وأخوه في آخر النهار ، وساقوا الى جهة البساتين ومعهم العساكر أفواجا . فلما قربوا من الأمراء المهجرين تهاقروا الى خلف ، ورجعوا الى جهة قبلى . وقيل عدوا الى بر الجيزة ، وانضم اليهم على باشا الذى بالجيزة . واستمر محمد على ومن معه بمصر القديمة ، وتراموا بالمدافع .

١٩ منه (١٧ يولية ١٨٠٥ م) :

حضر أيضا جماعة من القبطين الى الجيزة ، وتراموا بالمدافع والبنب من البرن ، ذلك اليوم وليلة الأربعاء .

وفيه : عدى طائفة الدلاة الكائنين بالبر الغربى ، وانضم اليهم المقيمون بجزيرة بدران ، وحضروا الى بولاق وهجموا على البيوت ، وأخرجوا سكانها قهرا عنهم ، وأزعجهم من أوطانهم وسكنوها ، وربطوا خيولهم بخانات التجار ووكالة الزيت . فحضر الكثير من أهالى بولاق الى بيت السيد عمر ، وتظلموا وتشكوا . فأرسل الى كتخدا بك يمنهم من ذلك ، فلم يمتنعوا واستمروا على فعلهم وقبائحهم !

وفيه : طلب محمد على باشا دراهم سلفة من النصارى والتجار ، وقرروا فردة على البلاد والبنادر ، وهى أول طلبه طلبها بعد رأسته وفيه : أرسلوا بنائين وخسمائة فاعل لبناء ما تهدم من حصون طرا .

٢١ منه (١٩ يولية ١٨٠٥ م) :

وردت أخبار بوصول قبطان باشا الى نغزو سكندرية وأبى قير ، وصحبته مراكب كثيرة لا يعلم المرسلون أخبار من بها . فاجتمع المشايخ واتفقوا على كتابة عرضحال يرسلونه اليه مع بعض المتعممين ، ثم اختلفت آراؤهم فى ذلك !

٢٥ منه (٢٣ يولية ١٨٠٥ م) :

ورد الخبر بورود سلحدار قبطان المذكور الى شلقان . فأعرضوا عن ذلك .

وفيه : وقع بين طائفة من العسكر الكائنين ببولاق وأهل البلد مناوشة ، بسبب نقب البيوت . وقتل بينهم أنفار ، واستظهر عليهم أهل بولاق .

٢٦ منه (٢٤ يولية ١٨٠٥ م)

يجره ، وأمر به ، فأخذوه وقتلوه ، ورموه ببركة الأزيكية .

٢٨ منه (٢٦ يولية ١٨٠٥ م) :

أحضروا سبعة رؤوس وعلقوها على السيل المواجه لباب زويلة . ذكروا أنها من ناحية دمنهور ، وعلى أحدها ورقة مكتوبة أنها رأس شاهين بيك الألفى ، وأخرى سلحداره ، وهى متغيرة جدا ومحشوة تبناً ، ولا يظهر لها خلق ، ولم يكن لذلك صحة .

وفيه : أخبر الاخباريون بأن الألفى ارتحل من دمنهور ، ولم ينل منها غرضه ، وأنه كبس على سليمان كاشف البواب ونهب مامعه ، وقيل انه قتل وفي رواية وقع الى البحر ، وهرب باقى أتباعه الى جهة المنزلات فى أسوأ حال ، وأخذ منه شيئاً كثيراً .. وهو ما جمعه فى هذه السرحة ، وذلك خلاف ما جمعه فى العام الماضى عندما كان كاشفاً بنوف .. ومن ذلك أنه لما قتل موسى خالد ، أخذ منه مالا كثيراً ، وذلك خلاف ما دل عليه من خباياه

رفبه : طلع السلحدار المذكور وصحبته صائح أغا القايجى ، الذى وصل قبله الى القلعة ، واجتمع بأحمد باشا المخلوع وتكلموا معه . فقال : « أنا لست بعاص ولا مخالف للأوامر ، وأنا لصالح أغا وعمر أغا علائف نحو خمسمائة كيس باقية ، ولم يبق عندى شيء سوى ما على جسدى من الشباب . وقد أخذ العسكر المحاربون موجوداتى جميعاً . فإذا طيبتهم خواطرهما نزلت فى الحال » . فنزلاً بذلك الجواب ، ثم ترددوا فى الكلام والمقد والابرام . ولم يحسن السكوت على شيء .

وفيه : وصل الأمراء القبالى الى حلوان . وعلى بيك أبوب دخل الى الجيزة صحة من بها ، وسليمان بيك حارجها .

وصل السلحدار الى بولاق ، وركب من هناك الى المكان الذى أعد له ، وصحبته مكاتبة الى أحمد باشا المخلوع . ومضمونها : الأمر بالنزول من القلعة ساعة وصول الجواب اليه من غير تأخير ، وحضوره الى الاسكندرية . وجواب آخر الى محمد على بإبقائه فى القائمقامية حيث ارتضاه الكافة والعلماء ، والوصية بالسلوك والرفق بالرعية .. والكلام المحفوظ المعتاد الذى لا أصل له ! وأن يقلد من قبله باشا على عسكر يعين ارساله الى البلاد الحجازية ، ويشغل له جميع احتياجاته من الجيخانة وسائر الاحتياجات واللوازم فأرسلوا الى أحمد باشا المخلوع بحوابه فقال : « حتى طلع الى السلحدار الواصل ويخاطبني مشافهة » .

٢٧ منه (٢٥ يولية ١٨٠٥ م) :

قبض المحافظون على خيال مقبل من جهة مصر القديمة يريد الطلوع الى القلعة من آخر النهار ، ووجدوا معه أوراقاً . فأخذوه الى محمد على باشا فوجدوا فى ضمنها خطاباً الى الباشا المخلوع مر على باشا وباسين بيك الكائنين بالجيزة ، مضمونها : « أنه فى صبح يوم الجمعة نطلق من الجيزة سبعة سوارىخ تكون اشارة بيننا وبينكم ، فعندما ترونها .. تضربون بالمدافع والبنب على بيت محمد على ، ونحن نعدى الى مصر القديمة ، ويصل البردبى من خلف الجبل الى جهة العادلية . ويأتى باقى المصريين من ناحية طرا ، ويقوم من البلدة على من فيها فيشغلون الجهات ويتم المرام بذلك » .

فلما اطلع محمد على على ذلك — وكان القاضى حاضراً عنده — اشتد غيظه على ذلك الرجل ، ووجده من الأكراد .. فاستجار بالقاضى . فلم

٢٩ منه (٢٧ يولية ١٨٠٥ م) :

ناحية بشتيل ، وحضروا الى جهة البابة يوم
الثلاثاء ، وتحاربوا مع من بها حتى أجلوهم عنها .
وعملوا هناك متارس في مقابلتهم . واستمروا على
ذلك يتضاربون بالمدافع .

السبت ٧ منه (٢ اغسطس ١٨٠٥ م) :

طلع بشير آغا القابجي وصالح آغا السلحدان
الى القلعة ، وتكلموا مع أحمد باشا ومن معه . وقد
كانت وردت مكاتبات من قبطان باشا في أمر أحمد
باشا .. ثم نزلوا ، وصحبهم كتخدا أحمد باشا ،
الى بيت سعيد آغا الوكيل ، وزكبوا معه الى بيت
محمد علي باشا ، واختلوا مع بعضهم . ثم طلع صالح
آغا وأربعة من عظمائهم .. ثم نزلوا .. ثم طلعوا ،
وترددوا في الذهاب والاياب ومراودة الخطاب .
وبات الكتخدا أسفل ، وطلب القلعاويون شروطا
وعلائقهم الماضية وغير ذلك . واتهى الكلام بينهم
على نزول أحمد باشا المخلوع في يوم الاثنين
وتسليم القلعة والجبخانه .

الاثنين ٩ منه (٥ اغسطس ١٨٠٥ م) :

طلبوا جمالا لحمل أثقالهم . فأرسلوا الى السيد
عمر ، فجمع لهم من جمال الشواغرة مائتي جمل .
فنقلوا عليها متاعهم وفرشهم . وأنزل الباشا حريمه
الى بيت مصطفى آغا الوكيل ، ونزل كثير من
عساكرهم وخدمهم ، وهم متغيرو الصور ، وذهب
أكثرهم بعزالهم الى بولاق . ونهبوا بيوت الرعايا
التي بالقلعة ، وأخذوا ما وجدوه فيها من المتاع .
وطلع حسن آغا سرشمه بجملته من العسكر الى
القلعة . واقضى ذلك اليوم ولم ينقض نزولهم .
وحضر الوالى أيضا وقت العشاء الى بيت السيد عمر
وطلب خمسين جملا .. فلم يتيسر الا بعضها .

الثلاثاء ١٠ منه (٦ اغسطس ١٨٠٥ م) :

أنزلوا باقى متاعهم . ونزل الباشا المخلوع

عدى ياسين بك من الجيزة الى متارس
الروضة — ولم يكن بها سوى الطبخية — فطلعوا
اليهم وقبضوا على بعضهم ، وأخذوا منهم ثلاثة
مدافع ، وسدوا فالية المدفع الكبير ، وآخر رموه
الى البحر . فثارت رجة بمصر القديمة والروضة ،
وضربوا بالمدافع والرصاص .

ورجع الواصلون من الجيزة الى أمابكنهم .
وحضر الألفى الى جهة الطرانة .

وفيه : حضر صالح آغا القابجي الى السيد عمر
النقيب ، وأخبره أنهم تواعدوا مع أحمد باشا في
عصر غد من يوم السبت : اما أن ينزل ، أو يستمر
على عصيانه .

فلما كان يوم السبت — في الميعاد — أفرجوا
عن ضعفاء الرعية الكائنين بالقلعة ، وكذلك النساء .
بعدما أخذوا ما معهم من الأمتعة والثياب ، وأبقوا
عندهم الشبان والأقوياء للمعاونة في الأشغال .
وأظهروا المخالفة وامتنعوا من النزول ، وباتوا على
ذلك . وكثر اللغط في الناس .. واقضى شهر ربيع
الثانى على ذلك .

جمادى الأولى

الأحد غرته (٢٨ يولية ١٨٠٥ م)

ضربوا ثلاثة مدافع من القلعة وقت الشروق .
وكانها اشارة وعلامة لأصحابهم .

الاثنين ٢ منه (٢٩ يولية ١٨٠٥ م) :

سبح جماعة من الجيزة الى جهة انبابة . وكان
بيولاق طائفة من العسكر يترامحون بجهة ديوان
العشور ، فضربوا عليهم مدافع ، فحصل بينولاق
ضجة . وركب محمد علي باشا أواخر النهار
وذهب الى بولاق ، ونزل بيت عمريك الأرثوودى
ووصب جملة من العسكر ، وعدوا ليلا وطلعوا

الأحد ١٥ منه (١١ أغسطس ١٨٠٥ م) :

نزل أحمد باشا المخلوع الى المراكب من بولاق ، وسافر الى جهة بحرى بعياله وأتباعه المختصين به ، وتخلف عنه كتخداه وعمر بك وصالح قوش والدفتردار وكثير من أتباعه ، ولم يسهل بهم مفارقة أرض مصر وغنائمها .. مع أنهم مجتهدون في خرابها !

وفيه : وصل الألفى الكبير والصغير الى بر الجيزة .

الاثنين ١٦ منه (١٢ أغسطس ١٨٠٥ م)

اتفق جماعة من الأرثوود وقصدوا الذهاب الى بر الجيزة ، فوصل خبرهم الى محمد على باشا ، فأرسل اليهم عسكريا ، ومعهم حجو ، فلحقهم عند المعادى بحرى بولاق ، فقتلوا منهم نحو العشرين وهرب باقيهم وتفرقوا .

وفيه : بنى حجاج الخضرى حائطا وبوابة على الرميلة عند عرسات الغلة .

الأربعاء ١٨ منه (١٤ أغسطس ١٨٠٥ م) :

قبض محمد على باشا على جرجس الجوهري ومعه جماعة من الأقباط ، فحبسهم بيت كتخداه ، وطلب حسابه من ابتداء سنة خمس عشرة ، وأحضر المعلم غالى الذى كان كاتب الألفى بالصعيد وألبسه منصبه فى رئاسة الأقباط ، وكذلك خلع على السيد محمد بن المحروقى خلع الاستمرار على ما كان عليه أبوه من أمانة الضربحانة وغيرها .

وفى تلك الليلة : قتل شخص كبير ييكباشى تحت بيت الباشا بالأزبكية ، وضربوا لموته مدفعا .. وذلك لأمر قموه عليه .

وفيه : سافر كتخداه بك الى جهة المنوفية ، وقبض على كاشفها ، وأخذ مامعه من الأموال التى

من باب الجبل فى رابع ساعة من النهار على جهة باب النصر ، ومر من خارجه الى جهة الخروبي . وذهب الى بولاق ، وصحبته كتخداه محمد على باشا ، وعمر بك ، وصالح أغا قوش . وأنزل صحبته مدافع تعوق بعضها عند الدنجزة لضعف الأكاديش . ومسكن بيت السيد عمر النقيب . وسكن صالح أغا بيت شيخ السادات وذلك عاشر جمادى الأولى .

وأطمان الناس بعض الاطمئنان مع بقاء التحرز . وأرسل السيد عمر فنادى تلك الليلة باستمرار الناس على التحرز والسهر وضبط الجهات ... فان القوم لا أمان لهم ، وانحشروا فى داخل المدينة والوكائل والبيوت ، ولا يتركون قبائهم .

وأما الأمراء المصرية ، فانهم وصمسلوا الى التين ، واجتمعوا هناك ، ماعدا على يسك أيوب وسليمان بك وعباس بك ، فانهم بالجيزة مع على باشا وباسين بك . وأما الدالاتية الأنجاس فانهم مسترون على نهج البلاد وسلب الأموال وأذية العباد . ونهبوا كاشف الغريبة وهجموا على مسنود — وهى مدينة عظيمة — فنهبوا بيوتها وأسواقها ، وأخذوا ما فيها من الودائع والأموال وسبوا النساء ! وفعلوا فعلا شنيعة تقشعر منها الأبدان ، ثم انتقلوا الى المحلة الكبرى .. وهم الآن بها .

وأما محمد بك الألفى فانه حاصر دمنهور مدة مديدة ، فلم يتمكن منها ، ثم ارتحل عنها ورجع مقبلا ووصل الى ناحية الطراوة . وأما قبطان بافنا فانه لم يزل مقيما على ساحة أبى قير .

الخميس ١٢ منه (٨ أغسطس ١٨٠٥ م) :

وصلت الأخبار بذهاب قبطان باشا الى مكندرية .

منهم النجدة وقيام الرحمة . فقالوا لهم : « هذا لا يصح ، ولم يكن بيننا وبينكم موعد ولا استعداد ، والأولى ذهابكم والا أحاطت بنا وبكم المساكر وقتلونا معكم » .

فعند ذلك ركبوا وخرجوا من باب البرقية ، وبعد خروجهم حضر في أثرهم حسن بيك الأرثوودي في عدة وافرة من المسكر ، وهم مشاة ، وخرج خلفهم فوجدهم خرجوا الى الخلاء ، فرجع على أثره .

وأما الفرقة الأخرى ، فانهم وصلوا الى باب زويلة ، وتقدموا قليلا الى جهة الدرب الأحمر . ف ضرب عليهم المسكر الساكنون هناك بالرصاص ، فرجعوا القهقري الى داخل باب زويلة ، وأرادوا الدخول الى جامع المؤيد والكرنكة بتلك الناحية . ف ضرب عليهم المغاربة والمرابطون هناك ، فأصيب منهم أشخاص ... وقوى جأش المسكر الذين جهة الدرب الأحمر لما سمعوا ضرب الرصاص ،



طلة الخرنش

جمعها من منهوبات البلاد ، ودل على ودائمه وأخذها أيضا .. ووجد له غلالا كثيرة ومواشى وغير ذلك .

الجمعة ٢٠ منه (١٦ أغسطس ١٨٠٥ م - ١١ مسرى ١٢٢١ ق) :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، ونودى بذلك . وأشيع في ذلك اليوم وصول فرقة من الأمراء المصريين من خلف الجبل . وبات الناس مستعدين للفرجة على موسم الخليج على العادة . فأمر الباشا باخراج الخيام والنظام الى ناحية الجسر وعمل الحراقة ، ثم أمر بكسر السد ليلا . فما طلع النهار الا والماء يجرى في الخليج ، ولم يذهب الباشا ولا القاضي ولا أحد من الناس ، ولم يشعروا بذلك .

وكان قد بلغه ورود الأمراء ، فتأخر عن الخروج ... وهم ظنوا خروجه مع المسكر الى خارج المدينة .

وفي وقت الشروق من ذلك اليوم : وصل طائفة من الأمراء الى ناحية المذبح ، وكسروا بوابة الحسينية ، ودخلوا من باب الفتوح في كبكة عظيمة وخلفهم ثقاير كثيرة وجمال وأحمال ، فشقوا من بين القصرين حتى وصلوا الى الأشرفية . وشخص لهم الناس ، وضجوا بالسلام عليهم ويقولهم : « نهار مبارك وسعيد .. والحمد لله على السلامة » . وشخص الناس وبهتوا وخمنوا التخامين . فلما وصلوا عطفة الخراطين افترقوا فرقتين ... فدخل عثمان بيك حسن وشاهين بيك المرادى وأحمد كاشف سليم وعباس بك وغيرهم : كشف وأجناد ومباليك وعبيد كثيرة نحو الألف ، وخلف كل طائفة ثقاير وهجن ، وبأيديهم البنادق والسيوف والأسلحة . ومروا بالجامع الأزهر ، وذهبوا الى بيت السيد عمر والشيخ الشرقاوى . فامتنع السيد عمر من مقابلتهم ... فدخلوا الى بيت الشيخ الشرقاوى ، وحضر عندهم السيد عمر . فطلبوا

وتبته غيرهم أيضا ، واجتمعوا لمعاونتهم ، وانصرح
منهم ثلاثة أشخاص وقموا الى الأرض .

فلما عاينوا ذلك ، ولوا الأدبار . وتبعهم
العسكر يضربون في أعقيتهم ، فلم يزالوا في سيرهم
الى النحاسين .. وقد أغلق الناس بوابة الكمكسين ،
وكذلك بوابة الحراطين ، وبوابة البندقانيين .

وكان « حجو » الساكن بالخرنقش عندما سمع
بدخولهم لحقه الفزع والخوف ، فخرج من بيته
بمسكره يريد الفرار ، وخرج من عطفة الخرنقش
وذهب الى جهة باب النصر لظنه أنه لا يمكنه الخروج
من باب الفتوح الذي دخلوا منه ... فلما وصل الى
باب النصر وجده مغلقا ، وامتنع المرابطون عليه
من فتحه . فعاد على أثره وذهب الى باب الفتوح ،
فلم يجد به أحدا ، فاطمان حينئذ وعلم سوء رأيهم
فأغلقه وأجلس عنده جماعة من أتباعه .

ورجع على أثره الى جهة بين القصرين ، فصادف
ادبار الجماعة والعسكر في أعقيتهم بالرصاص ،
فعند ذلك قوى جأشه وضرب في وجوههم هو ومن
معه من العسكر . فاقتبل القوم وسقط في أيديهم ،
وعلموا أنه قد أحيط بهم ، فنزلوا عن خيولهم ،
ودخل منهم جماعة كثيرة جامع البرقوقية ، وذهب
منهم طائفة كبيرة بخيولهم نحو المائة الى جهة باب
النصر فوجدوه مغلقا ، فنزلوا أيضا عن خيولهم
ودخلوا المطوف ، ونظروا من السور الى الخلاء ،
وتفرق منهم جماعة اختفوا في الجهات وبعض
الوكائل والبيوت .

ولما انحصر الذين دخلوا جامع البرقوقية
وأغلقوا على أنفسهم الباب ... احتاطت بهم العسكر
وأحرقوا الباب ، وتسور أيضا عليهم جماعة من
العطفة التي بظاهر البرقوقية ، وقبضوا عليهم ،
وعروهم ثيابهم وأخذوا مامعهم من الذهب والنقود
والأسلحة المشنة ، وذبحوا منهم نحو الخمسين مثل

الأغنام ، وسحبوا نحو ذلك العدد بالحياة
عرايا مكشوفو الرأس ، حفاة الأقدام ،
الأيدي .. يضربونهم ويصفعونهم على آة
وجوههم ، ويسبونهم ويشتمونهم ويسحبو
وجوههم حتى ذهبوا بهم وبرؤوس القتلى
الباشا بالأزبكية ... وكان قد استعد للفرار
في أمره ، ونزل الى أسفل يريد الركوب
بالعسكر داخلون عليه ومعهم الرؤوس ،
في أيديهم . فعند ذلك سكن جأشه ، وامتلا
ولما مثل بين يديه أحمد بيك — تابع الـ
الذي كان أميرا بدمياط — وحسن شبـ
معهما ، قال لأحمد بيك : « يا أحمد بيك
في الشرك » . فطلب ماء ، فحلقوا كتافه ، و
بماء يشرب ، فنظر لمن حوله وخطف يلقه
وسط بعض الواقفين ، وهاج فيهم وأراد قتل
على باشا ، وقتل أنفارا . فقام الباشا وهر
فوق ا وتكاثروا عليه وقتلوه ، ووضعوا باقي
في جنازير ، وفي أرجلهم القيود ، ود
بالحوش ، وهم على الحالة التي حضروا
العرى والحقارة والذلة .

السبت ٢١ منه (١٧ أغسطس ١٨٠٥ م) :

أحضروا الجزارين وأمروهم بسلخ الرؤ
يدى المعتقلين .. وهم ينظرون الى ذلك ، وأ
جماعة من الاسكافية فحشوها تبنا وخطوه

الاثنين ٢٣ منه (١٩ أغسطس ١٨٠٥ م)

خرج عابدى بيك بعساكر الأرثوود برا
الى جهة طرا ، فالتقى مع من بها من المصر
وكان بها ابراهيم بيك الكبير وابنه مرزو
وأمرأؤهم — فقتل من عسكر الأرثوود
كبيرة ، وولوا منهزمين ، وحضروا الى مصر ،
من مراكبهم مركبان في ليلة الثلاثاء .

الثلاثاء ٢٤ منه (٢٠ اغسطس ١٨٠٥ م) :

قتلوا المعتقلين ماعدا حسن شبكة ومعه اثنان .
قيل انهم عملوا على أنفسهم ثلثائة كيس فأبقوهم .
وقتلوا الباقي قتلا شنيعا ، وعذبوهم في القتل من
أول الليل الى آخره ، ثم قطعوا رؤوسهم ، وحشوها
تبنا ، ووسقوها في مركب وأرسلوها الى سكندرية
— وعدتهم ثلاثة وثمانون رأسا — وفيهم من
غير جنسهم ، وأناس جرجية ملتزمون ، واختيارية
التجأوا اليهم ورافقوهم في الحضور وبعثوا من
يوصلهم الى اسلامبول ، وكتبوا في المراسلة أنهم
حاربوهم وقتلوهم ، وحاصروهم حتى أنفسهم
واستأصلوهم ولم يبقوا منهم باقية ... وهذه
الرؤوس رؤوس أعيانهم وأكابرهم . فكان عدو من
قتل في هذه الحادثة من المعروفين المنصبين : مراد
بيك تابع عثمان بيك حسن ، وقبطان بيك تابع
البردسى ، وسليم بيك الغربية ، وأحمد بيك
الدمياطى ، وعلى بيك تابع خليل بيك ، ونعمو
الخمسة والعشرين من ممالिकهم وأتباعهم .

ونجا حسن بيك شبكة واثنان معه دون أتباعه ،
وباقهم أشخاص مجهولة . وفيهم فرنساوية
وأرثوودية .. ولم يتفق للأمراء المصرية أقبح ولا
أشنع من هذه الحادثة ، وربط الله على قلوبهم ،
وأعمى أبصارهم ، وغل أيديهم !

الأربعاء ٢٥ منه (٢١ اغسطس ١٨٠٥ م) :

حضرت طائفة الدلاة الى ناحية الخانكة ، بعدما
طافوا اقليم الغربية والمنوفية والشرقية والدقهلية ،
وفعلوا أفعالا شنيعة من النهب والسلب والقتل
والأسر والتفسيق .. ومالا يسطر ولا يذكر . ولا
يمكن الاحاطة ببعضه !

وفيه : أفرجوا عن جرجس الجوهري ومن معه
على أربعة آلاف وثمانائة كيس ، وأن يبقى على

حاله . فشرع في توزيعها على باقى الأقباط وعلى
نفسه ، وعلى كبرائهم وصيارفهم ، ماعدا فلتوس
وغالى ، وحولت عليه التحاويل ، وحصل لهم كرب
شديد ، وضع فقراؤهم واستغاثوا .

الجمعة ٢٧ منه (٢٣ اغسطس ١٨٠٥ م) :

خرج عدة كبيرة من العسكر الى ناحية الشرق
لمحاربة الدلاة ... وأميرهم عمر بيك — تابع عثمان
بيك الأشقر — ومحمد بيك المبدول ، وكثير من
الأجناد المصرية ، وحسن باشا الأرثوودى .

السبت ٢٨ منه (٢٤ اغسطس ١٨٠٥ م) :

رجع القراية المشاة ، وذهب الخيالة خلفهم
متباعدين عنهم بمرحلة . فكان شأنهم : أن الدلاة
المذكورين اذا وردوا قرية نهبوا وأخذوا ما وجدوه
فيها ، وأخذوا الأولاد والبنات وارتحلوا .. فأتى
خلفهم العرب التابعون خلفهم ، فيطلبون الكلف
والعليق ، ونهبون أيضا ما أمكنهم ، ثم يرتحلون
أيضا خلفهم ... فتتزل بعدهم التجريدة ، فيفعلون
أقبح من الفريقين من النهب والسلب .. حتى ثياب
النساء . وأخذ الدلاة من عرب العائد خمسمائة
جمل ، وذهبوا على طريق رأس الوادى !

وفيه : ورد الخبر بوصول كتخدا بيك الى
منوف ، وقبض على كاشفها وأخذ منه ما جمعه ،
ثم انه فرد على البلاد التي وجد بها بعض العمار
أموالا من ألف ريال فأزيد ، وحصر ذلك في قائمة
— وهى نحو الستين بلدا — وأرسل يستأذن في
ذلك ويطلب عدم الرفع عن شئ منها ليحصل قدرا
يستعان به على علائف العسكر وجماكيهم ..
وليكمل خراب الاقليم . وانقضى شهر جمادى
الأولى .

وفيه : شرعوا في عمل دفتر فردة على البلاد التي
بقي فيها بعض الرمق !

٥ منه (٣١ اغسطس ١٨٠٥ م) :

حضر كنتخدا بيك ليلا ، وأشار بإبطال ذلك
الدفتر لما فيه من الاشاعة والشناعة ، واتفق مع
الباشا والمتكلمين أنه يفعل ذلك باجتهاده ورأيه ،
ورجع في تلك الليلة وشرع في التحصيل مع الجور
والعسف الزائد كما هو شأنهم .

وفيه : سافر أيضا جانم أفندي الدفتردار ،
وسافر صحبته قابجى باشا الأسود ، المسمى
بشير آغا .

وفيه : سافر بعض كبارهم الى جهة السويس
ليأتى بالمحمل .

١٢ منه (٧ سبتمبر ١٨٠٥ م)

ورد أحمد أفندي من سكندرية — وهو الذي
كان أتى بالدفتردارية في العام السابق ، ومنعه
أحمد باشا خورشيد من الورد ، وكتبوا في شأنه
عرضحال من المشايخ والوجاقية لمنعه وإبقاء جانم
أفندي ، واستمر بالاسكندرية الى هذا الوقت —
وحضر الآن بمراسلة من قبطان باشا ، وأحضر
صحبته تقريرا لسعيد آغا على الوكالة ، وإبقائه
على ما هو عليه ، ونظر الخاصكية لسليمان
آغا حافظ .

١٤ منه (٩ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

تغيّب جرجس الجوهري . فيقال انه هرب ..
ولم يظهر خبره . وطلب محمد علي فلتيوس وغالي
وجرجس الطويل ،

١٥ منه (١٠ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

حضر محمد كنتخدا الألفى بجواب من مخدومه :

جمادى الآخرة

٢ منه (٢٨ اغسطس ١٨٠٥ م) :

وصل ولدا محمد على باشا الى ساحل بولاق ،
فركب أغوات الباشا واستقبلوهما وأحضرهما الى
الأربكية ، وعملوا لهما شنكا تلك الليلة .

٣ منه (٢٩ اغسطس ١٨٠٥ م) :

طلع محمد على باشا الى القلعة ، وأجلس ابنه
الكبير بها . وضربوا له في ذلك الوقت مدافع .

٤ منه (٣٠ اغسطس ١٨٠٥ م) :

رجع عابدى بيك ومن بصحبته من المصرية من
جهة الشرق ، وقد وصلوا خلف الدلاة الى حد
العائد ثم رجعوا . وذهب الدلاة الى جهة الشام بما
معه من المال والنفائم والجمال والأحمال — وعدتها
أكثر من أربعة آلاف رجل — وما نهبوه من البلاد ،
وأسروه من النساء والصبيان وغير ذلك .

وكانوا من نقمة الله على خلقه . ولم يحصل من
محبتهم وذهابهم الا زيادة الضرر . ولم يحصل للباشا
المخلوع الذى استدعاهم لنصرته الا الخذلان .
وكان في عزمه وظنه أنهم يصيرون أعوانه وأنصاره
ويستعين بهم وبطائفة اليكجيرية ، على ازالة الطائفة
الأخرى ... فأتت بحس بقدمهم ، وأورثه الله ذلهم .
وتخلوا عنه وخذلوه ، وضاع عليه ماصرفه عليهم ..
في استدعائهم ، وملاقاتهم ، وخلصهم ، وتقديمهم
ومصارفهم وعلاقتهم ، وخرجهم . ولم ينفعوه بناقعة
.. بل كانوا من الضرر الصرف عليه وعلى الاقليم

وكان كلمبا خوطب أو عوتب في أمر أو فعل
يقول : « اصبروا حتى تأتى الدالاتية ، ويحصل بعد
ذلك النظام » . فلم يحصل بوصولهم الا الفساد
العام . وانتقضت دولته ، وانعكست قضيته !

وقابل محمد على باشا ، وذهب الى بيته لقضاء أشغاله .

وفيه : وصلت القافلة والمحمل . وأراد الباشا نهب قافلة التجار . فصالحوا على أحوالهم يألف كيس . ودخل المحمل في ذلك اليوم صحبة المسافر .

وفيه : طلب الباشا حسن أغا نجاتي المحتسب والأمير ابراهيم الرزاز ، وطلب أن يقلد حسن أغا كتخدا الحج ، والأمير ابراهيم دويدار ... بشرط أن يكلغا أنفسهما من مالهما . فاعتذرا بعدم قدرتهما على ذلك . فحبسهما وطلب من كل واحد منهما خمسمائة كيس ، وعزل حسن أغا ، وقلد عوضه آخر يسمى قاضى أوغلى على الحسبة .

١٦ منه (١١ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

ظهر الخبر عن جرجس الجوهرى بأنه ركب من دير مصر العتيقة ، وذهب الى الأمراء المصرية بناحية التين .

١٧ منه (١٢ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

توفى الشيخ محمد الحريرى مفتى الحنفية .

١٩ منه (١٤ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

توفى حسن أندى ابن عثمان الأماحى الخطاط .

وفيه : قلدوا على جلبى ابن أحمد كتخدا ، على كشوفية القليويية . ولبس القفطان ، وركب باللازمين .

وفيه : سافر محمد كتخدا الألفى عائدا الى مخيلومه ، وذهب صحبته السلحدار وموسى البارودى .

٢٠ منه (١٥ سبتمبر ١٨٠٥ م) :

تقلد الحسبة شخص يقال له عبد الله قاضى أوغلى ، وكذلك تقلد قبله بأيام ابراهيم الحسينى

الزعامة ، وهو حليق اللحية ، وتقلد محمد من مباليك اسمعيل بك - ويعرف بالألفى ، وهو زوج هاتم ابنة بنت اسمعيل بك - أغاوية مستحفظان .

وفيه : أفرجوا عن حسن أغا المحتسب و ابراهيم الرزاز . وقرروا على الأول خمسة وستين كيسا ، وعلى الثانى خمسة عشر كيسا ... بقومان بدفعها . وفيه : أنزلوا قوائم على البلاد والحصص التى كانت تحت التزام جرجس الجوهرى ... الى المزداد ، فاشترها القادرون والراغبون .

٢١ منه (١٦ سبتمبر ١٨٠٥ م)

قلدوا ياسين بك كشوفية بنى سويف والقيوم ، وكذلك لبسوا كاشفا على منفلوط وغيرها .

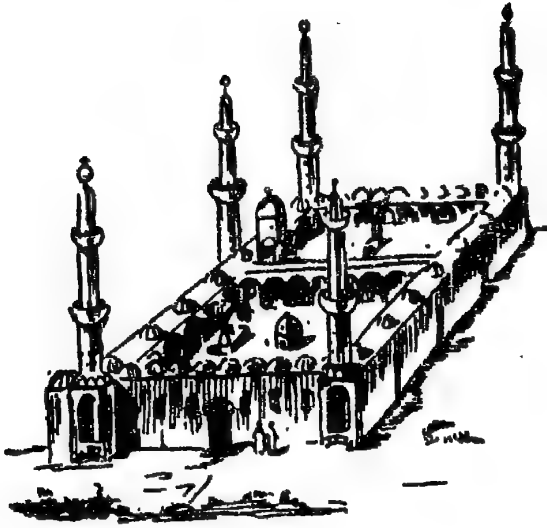
اواخره (اواخر سبتمبر ١٨٠٥ م) :

حضر محمد ، كتخدا الألفى ، والسلحدار ، وذكرنا مطلوبات الألفى . وهو أنه بطلب كشوفية القيوم وبنى سويف والجيزة والبحيرة ، ومائتى بلد التزام ، وأنه تأتى الى الجيزة وبقيم بها ، ويكون تحت طاعة محمد على باشا .. وتشاوروا فى ذلك أياما .

وأما باقى الأمراء المصريين ، فانهم إتقلوا من مكافهم ، وترفعوا الى جهة قبلى بناحية بياضة ثم اتفق الرأى على أن يعطوهم من فوق جرجا . وينزل بها الحاكم المولى عليها من العثمانية . وأن المصريين القبالى اقتسموا بينهم البلاد ، ويفومون بدفع المال والغلال الميرة ... وكل ذلك لا أصل له ولا حقيقة من الطرفين . وكتبوا للألفى مكاتبات بذلك ، وأن يكون فى ضمنهم .

وفى اواخره ايضا :

احتاج أيضا محمد على باشا الى باقى علوفة العسكر . فتكلم مع المشايخ فى ذلك ، وأخبرهم



قبر الرسول عليه السلام

الأربعاء ١٥ منه (٩ أكتوبر ١٨٠٥ م)

برز طاهر باشا الذاهب الى البلاد الحجازية
بمسارحه الى خارج باب النصر .

وفيه : وردت الأخبار بأن الوهابيين استولوا
على المدينة المنورة — على ساكنها أفضل الصلاة
وأتم التسليم — بعد حصارها نحو سنة ونصف
من غير حرب ، بل تحلقوا حولها ، وقطعوا عنها
الوارد . وبلغ الأردب الحنطة بها مائة ريال
فرانسة .

فلما اشتد بهم الضيق سلموها . ودخلها
الوهابيون ، ولم يحدثوا بها حدثاً .. غير منع
المنكرات وشرب التبناك في الأسواق ، وهدم
القباب .. ماعدا قبة الرسول صلى الله عليه وسلم .

الأحد ١٩ منه (١٢ أكتوبر ١٨٠٥ م) :

وقع بالأزبكية معركة بين العسكر ، قتل بها
واحد من أعيانهم واثنا عشر آخران ، ورجل سائس
وبغل وفرس وحمار ١

السبت ٢٥ منه (١٩ أكتوبر ١٨٠٥ م) :

ورد الخبر بسفر القبطان وأحمد باشا خورشيد
من نجر سكندرية .

بأن العسكر باق لهم ثلاثة آلاف كيس لا تعرف
لتحصيلها طريقة ، فانظروا رأيكم في ذلك وكيف
يكون العمل ، ولم تبق الا هذه النوبة . ومن هذا
الوقت اذا قبض العسكر باقى علائقهم سافروا
الى بلادهم ، ولم يبق منهم الا المحتاج اليهم ،
وأرباب المناصب ، ولا يأخذون بعد ذلك علائق .

فكثر التروى في ذلك . ولغظ الناس بالفردة
وتقرير أموال على أهل البلد ، وانحط الأمر بعد
ذلك على قبض ثلث الفائض من الحصص والالتزام .
فضج الناس وقالوا : « هذه تصير عادة .. ولم
يبق للناس معاش » . فقال : « نكتب فرمانا
ونلتزم بعدم عود ذلك ثانيا ونرقم فيه : لعن الله
من يفعلها مرة أخرى ١ » ، ونحو ذلك من
التمويهات الكاذبة . الى أن رضى الناس ، واستقر
أمرها ، وشرعوا في تحريرها وطلبها .

رجب

النسبت ١١ منه (٥ أكتوبر ١٨٠٥ م) :

سافر محمد كتحدا الألفى بالجواب المتقدم
الى مخدومه ، بعد أن قضى أشغاله واحتياجاته
من أمتعة وخيام وسروج وغير ذلك . وخرج
يامين بيك وباقي الكشاف المسافرين الى العجيزة ،
وطلبوا المراكب حتى عز وجودها وامتنع ورودها
من الجهة البحرية .

الاثنين ١٣ منه (٧ أكتوبر ١٨٠٥ م) :

سافر المذكورون بمسارحهم . وسافر أيضاً
على باشا ، سلحدار أحمد باشا خورشيد المنفصل ،
الى سكندرية . وأما قبطان باشا فانه لم يزل بشفر
سكندرية .

وفيه : حضر أهل رشيد يتشكون إلى السيد عمر النقيب والمشايخ ، ويذكرون أن محمداً على باشا أرسل بطلب منهم أربعين ألف ريال فرانسة على ثلاثة عشر نفراً من التجار بقائمة .

وفيه : حضر محو بيك — الذى كان بالمنيا — وتواترت الأخبار بوصول الفرز المصريين إلى أسيوط وملكوها . وأما الألفى فانه جهة التيوم . ووقع بينه وبين جماعة ياسين بيك محاربة ، وظهر عليهم . وأرسل ياسين بيك يطلب عسكراً وذخيرة .

وفيه : ركب المشايخ والسيد عمر النقيب إلى محمد على ، وترجوا عنده في أهل رشيد . فاستقرت غرامتهم على عشرين ألف فرانسة . وسافروا على ذلك ، واخذوا في تحصيلها .

وفيه : طلب بترك الديار ، واحتجوا عليه بهروب جرجس الجوهري . وانحط الأمر على المصالحة بمائة وأربعين كيساً ... وزعها النصارى على بعضهم ودفعوها .

شعبان

الجمعة غرته (٢٥ أكتوبر ١٨٠٥ م) :

أمر محمد على باشا برفع حصص الالتزام التى على النساء . وكتبوا قوائم مزادها . وانحط الأمر على المصالحات بقدر حالهن ، وغير ذلك أمور كثيرة ، وجزئيات وتحيلات على استنزاح الأموال .. لا يمكن ضبطها .

اواخره (٢٢ نوفمبر ١٨٠٥ م) :

زوج محمد على حسن الشماشيرجى تابعه ببنت سليم كاشف الأسيوطى — وهى بنت بنت عبد الرحمن بيك تابع عثمان بيك الجرجاوى ، وهى ربيبة أحمد كاشف تابع سليم كاشف المذكور — ففقدوا عقدها ، وعملوا لها مهماً ببيت أمها هانم

بعارة عابدين . واحتفل بذلك محمد على ، وأمر بأن يعمل لها زفة مشل زقف الأمراء المتقدمين . ولهبوا على أرباب الحرف فعملوا لهم عربات وملاعيب وسخريات قاموا بكلفها من مالهم الموزع على أفرادهم . وداروا بالزفة بسوم الخميس غابة شعبان .

وحضر محمد على إلى مدرسة الفورية مع أولاده ليرى ذلك . وعمل له السيد محمد المحرقى ضيافة في ذلك اليوم وأحضر إليه الغداء بالمدرسة ولما انقضى أمر الزفة ، شرعوا في غسل موكب المحتسب ومشايخ الحرف لرؤية رمضان ، وحضروا إلى بيت القاضى . ولم يثبت الهلال تلك الليلة . وانقضى شهر شعبان .

رمضان

السبت قرته (٢٣ نوفمبر ١٨٠٥ م) :

شح وجود اللحم ، وغلا سعره لعدم المواشى . وتوالى الظلم والعسف والفرق والكلف على القرى والبلاط ، حتى بلغ الرطل اللحم الجفط الهزيل خمسة وعشرين نصفاً .. ان وجد ، والجاسوسى اثني عشر نصفاً ، وامتنع وجود الضانى بالأسواق بالكلية رأساً .

ولما استهل رمضان انكب الناس على من يوجد من جزارين اللحم الحشن ، وكذلك شح وجود السمن وعدم بالكلية . واذا وجد منه شيء خطفه العسكر وذهبوا به إلى سوق انبابة وهبوا ما وجدوه مع الفلاحين من الزبد والجبن وغير ذلك وزاد فحشهم وقبحهم وتسلطهم على ايذاء الناس ، وكثروا بالبلد ، وانحشروا من كل جهة ، وتسلطوا على تزوج النساء اللاتى ماث أزواجهن من الأمراء المصرية قهراً . ومن أبت عليهم أخذوا ما بيدها من الالتزام والابراد ، وأخرجوها من دارها ، ولهبوا متاعها . فما سمعها الا الاجابة والرضا بالقضاء .

وخرج بمساكره وخيامه وموكبه الى خارج باب النصر . ونصب وطاقه ، وصار يضرب في كل ليلة مدافعه وطبله ونوبته . واستمر مقيما على ذلك نحو ثلاثة شهور . وهم يجمعون له الأموال ويفردون الفرد على الأقاليم ، ويقولون برسم تشهيل العسكر المسافر للخوارج ، واستخلاص البلاد الحجازية من أيديهم . ولم يزالوا يحتجون بعدم أخذ النفقة . وفي كل يوم يتسللون شيئا بعد شيء ويدخلون الى المدينة ويتفرقون الى الجهات ، حتى لم يبق منهم الا القليل .

ثم انهم ارتحلوا من مخيمهم بحجة العرب ، وطردهم من الجيزة . فلما عدوا الى الجيزة دخلوا الى دورها وسكنوها غصبا عن أهلها ، واستولوا على قراشهم ومتاعهم ، ولم يخرج منهم أحد للعرب ، ولم يتعدوا خارج السور . وبطل أمر السفرة المذكورة .

الأربعاء ١٩ منه (١١ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

أرسل محمد علي من قبض على الأغا الشمعدانجي ، وعثمان أغا كتخدا بيك سابقا — وقت المغرب — وأنزلوهما الى بولاق في مركب وذهبوا بهما . يقال انهم قتلوهما ومعهما اثنان أيضا من كبار العسكر . ولم يعلم سبب ذلك ، وأنزلوا حصصهم في المزداد .

وفيه : فتحوا طلب الميرى من الملتزمين عن سنة احدى وعشرين — مع أن سنة تاريخه لم يسحق منها الثلث ، وكانوا فتحوها معجلة لقدر الاحتياج وقبضوا نصفها ، وطلبوا النصف الآخر بعد أربعة أشهر — وأما هذه ... فطلبوها بالكامل قبل أوانها بسنة ، وخصوصا في شهر رمضان ، مع ما الناس فيه من ضيق المعاش وغلو الأسعار في كل شيء ، بل وعدم وجود الأقوات ، ووقوف العسكر خارج المدينة يخطفون ما يأتي به الفلاحون من

وتزوج بعضهم بزوجات حسن بيك الجداوى — وهى بنت أحمد بيك شنن — وأمثالها ، ولم يفهم الهروب ولا الاختفاء ولا الالتجاء . وتزبوا بزي المصريين في ملابسهم ، وركبوا الخيول المسومة بالسروج المذهبة ، والقلايع والرخوت المكلفة وأحلق بهم الخدم والأتباع والقواسة والسواس والمقدمون . ووصل كل صعلوك منهم لما لا يخطر على باله أو يتوهمه أو يتخيله ... ولا في عالم الرؤيا .. مع الحراف الطبع ، والجهل المركب ، وعمى البصيرة ، والفظاظة والتساوة والتجارى ، وعدم الدين والحياء والخشية والمروءة . ومنهم من تزوج الاثنتين والثلاث وسار له عدة دور ا

وفيه : تواترت الأخبار بما حصل لياسين بيك . وأنه بعد انهزامه هرب بجماعة قليلة وذهب عند سليمان بيك المرادى وانضم اليه .

الخميس ١٢ منه (٥ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

نهوا بيت ياسين بيك المذكور ، وأخذوا مافيه . وتلقوا محمد أفندى أباهم وأنزلوه في مركب وذهبوا به الى بحرى .. وقيل انهم قتلوه .

وفيه وردت الأخبار بأنه غرق بمينا الاسكندرية أحد عشر غليوناً من الكبار . وذلك أنه في أواخر شعبان هبت ريح غربية عاصفة ليلا ، فقطعت مراسى المراكب .. ودفعتها الرياح الى البر فانكسرت وتلف ما فيها من الأموال والأتقى ، ولم ينج منها الا القليل .. وكذلك تلف ثمان وأربعون مركبا واضلة من بلاد الشام الى دمياط ببضائع التجار .

وفيه : حضر جماعة من الألفية الى بر الجيزة ، وطلبوا كلنا من اقليم الجيزة وقبضوها ورجعوا الى الفيوم . ومضى في أثرهم عربان أولاد على من ناحية البحيرة . وعاثوا بأراضي الجيزة . فعميتوا لهم طاهر باشا الذى كان مسافرا الى بلاد الحجاز ،

السمن والجبن والتبن والبيض وغير ذلك ، ومن دونهم العرب .. ومثل ذلك في البحر والمراكب ، حتى امتنع وجود المجلوبات برا وبحرا .

وطلبوا المراكب لسفر المساكر بالتجاريد ، فتسامع القادمون فوققوا عن القدوم خوفا من النهب والتسخير ، ولم يبق بسواحل البحر مراكب ولا قارب ، وبطل ديوان العشور .

ووصل سعر العشرة أرطال السمن مئاة نصف فضة .. ان وجد ، والعشرة من البيض بخمسة عشر نصف فضة .. ان وجد ، والدجاجة بأربعين نصفاً ، والرطل الصابون بستين نصفاً ، ولم يزل يتزايد حتى وصل الرطل الى مائة وعشرين ، والراوية الماء بأربعين نصفاً ، ورطل القشطة بستين نصفاً ، والرطل من السمك الطرى ستة عشر نصفاً ، والتقديد المملوح بعشرة أنصاف — وقد كان يباع بنصفين ، وبالعدد من غير وزن — والحوث الفسيخ بأربعين نصفاً . وقس على ذلك .

الخميس ٢٠ منه (١٢ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

رجع خازن دار طاهر باشا الى جهة العادلية ثانيا ، ومعه جملة من العسكر ، وصاروا يضربون في كل ليلة مدفعين . واستمر طاهر باشا بالجيزة .

وفيه : كتب محمد علي باشا مكاتبة الى الأمراء القبالي ، وأرسل بها مصطفى أغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجي ... ليصطلحوا على أمر .

وفيه : وصل أيضا جماعة من الألفية الى جهة سقارة وبلاد الجيزة ، وطلبوا منها كلفة ودراهم . فأمر محمد علي بخروج المساكر ، فتلکأوا واحتجوا بطلب العلوفة . فعزم على الخروج بنفسه .

الأربعاء ٢٦ منه (١٨ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

طلب كبار المساكر ، وركب معهم الى مصر القديمة ، وشرعوا في التعدية بطول الليل . وهم

محمد علي وعسكره وخواصه ، وعابدى بيك وعمر بيك وصالح قوش ، والدلاة وكبيرهم ، وعلى كاشف الذى تزوج بنت شتن وأتباعه في جبل ، وكبير الدلاة وطائفته . وركب الجميع — وقت الشروق — وبرزوا الى الفضاء ، وانفرد كل كبير بمسكرة خمسة طوابير وستة ، ونظروا على البعد منهم فرأوا خيالة من المربان وغيرهم متفرقين كل جماعة في ناحية ، فحمل كل طابور على جماعة منهم ، فانهمزوا أمامهم ، فساقوا خلفهم . فخرج عليه كمائن من خلفهم ، ووقع بينهم الضراب ، وحمل على كاشف وآخر يقال له أوزى في جماعته ، فأروه جملا فظنوه محمد علي ، فاحتاطوا به ، وتكاثروا عليه وأخذوه أسيرا هو ومن معه ، وفر من نجا منهم ، ووقعت فيهم الهزيمة ، ورجع الجميع القهقري وعادوا الى بر مصر من غير تأخير . وذهب من الأرثوود طائفة الى الأخصام وانضموا اليهم .

وفيه : وقع بين أهل الأزهر منافسات بسبب أمور وأغراض نفسانية ، يطول شرحها . وتحزبوا حزبين : حزب مع الشيخ عبد الله الشرقاوى ، وحزب مع الشيخ محمد الأمير .. وهم الأكثر ، وجعلوا الشيخ الأمير ناظرا على الجامع ، وكتبوا له تقريرا بذلك من القاضي وختم عليه المشايخ ، والشيخ السادات والسيد عمر أفندى النقيب .

وكانت النظارة شاعرة من أيام الفرنسيين ، وكان يتقلدها أحد الأمراء . فلما خرج الأمراء من مصر ، سارت تابعة للمشيخة لوقت تاريخه . فاتفعل لذلك الشيخ الشرقاوى . ولما فعلوا ذلك ، اجتهد الشيخ الأمير في النظر لخدمة الجامع بنفسه وبابنه ، وأحضر الخدمة ، وكنسوا الجامع ، وغسلوا صحنه ومسحوه وفرشوه ، وفرشوا المقصورة بالحصير الجدد ، وعلقوا قناديل البوائك . وصار كل يوم يقف على الخدمة ، ويأمرهم بالتنظيف وغسل

المبضاة والمراحيض ، وأمر بخلق الأبواب من بعد صلاة العشاء جاعدا الباب الكبير ، ورتبوا له بوابا ، وطردوا من بيوت به من الأعراب الذين يلتفون بالخصر ويلوثونها ببولهم وغائطهم ونحو ذلك .

فايته (٢٢ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

عدى طائفة من العسكر الى بر الجيزة وانضموا الى الأخصام . وحصل في العسكر ارتجاج واختلافات ، وعملوا شنكا في تلك الليلة في الأزيكية بعدما أثبتوا هلال شوال بعد العشاء الأخيرة . وقد كانوا أسرجوا المساجد وصلوا التراويح ، ثم أطفأوا المنارات في ثالث ساعة من الليل .

شمال

فرقه (٢٣ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

استهل جميع الأمور مرتبة ، والحال على ماهو عليه من الاضطراب ، ولم يحصل في شهر رمضان للناس جمع خواس ولا حظوظ ، ولا أمن . وانكف الناس عن المرور في الشوارع ليلا خوفا من أذية العسكر ، وفي كل وقت يسمع الانسان أخبارا وثكاتا وقبائح من أفاعيلهم .. من الخطف والقتل وأذية الناس .

٤ منه (٢٦ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

قلدوا مناصب كشوفات الأقاليم ، وتهيأوا للذهاب وعملوا قوائم فرد ومظالم على البلاد خلاف ما تقدم ، وخلاف ما يأخذه الكشف لأنفسهم وما يأخذونه قبل نزولهم . وذلك أنه عندما يترشح الشخص منهم لتقليد المنصب يرسل من طرفه معينين الى الاقليم الذي سيتولى عليه بأوراق البشارات وحق طرق باسم المعينين .. اما عشرين ألفا أو أكثر أو قل . فاذا قبضوا ذلك ، أتبعوها بأوراق أخرى ويسمونها أوراق « تقييل اليد » وفيها مثل ذلك ،

أو أكثر أو أقل . ثم كذلك أوراق « لبس القفطان » ونحو ذلك . وقد يتفق بعد ذلك جميعه أنه يتولى خلافه ويستأنف العمل .. الى غير ذلك . هذا وكتبخدا بيك مستمر في سرحاته بالأقاليم ، وجمع الأموال والعسف والجور : مرة بالمنوفية ، ومرة بالغربية ، ومرة بالشرقية ، ولا يقرر الا الاكياس من الشهريات والمغارم وحق الطرق ، والاستعجلات المترادفة .. مما لا يحيط به دفتر ولا كتاب .

٨ منه (٣٠ ديسمبر ١٨٠٥ م) :

توفي ابراهيم أفندي كاتب البهار ، وترك ولدا صغيرا . فقلدوا مملوكه حسنا في منصبه وكيل عن ولده .

وفيه : كثر تحرك العسكر والمناداة عليهم بالخروج الى نواحي طرا والجيزة . وذلك بسبب أن بعض الألفية عدى الى ناحية الشرق ، وأخذوا كلغا من البلاد ، وبعضهم وصل الى وردان بالبر الغربي .

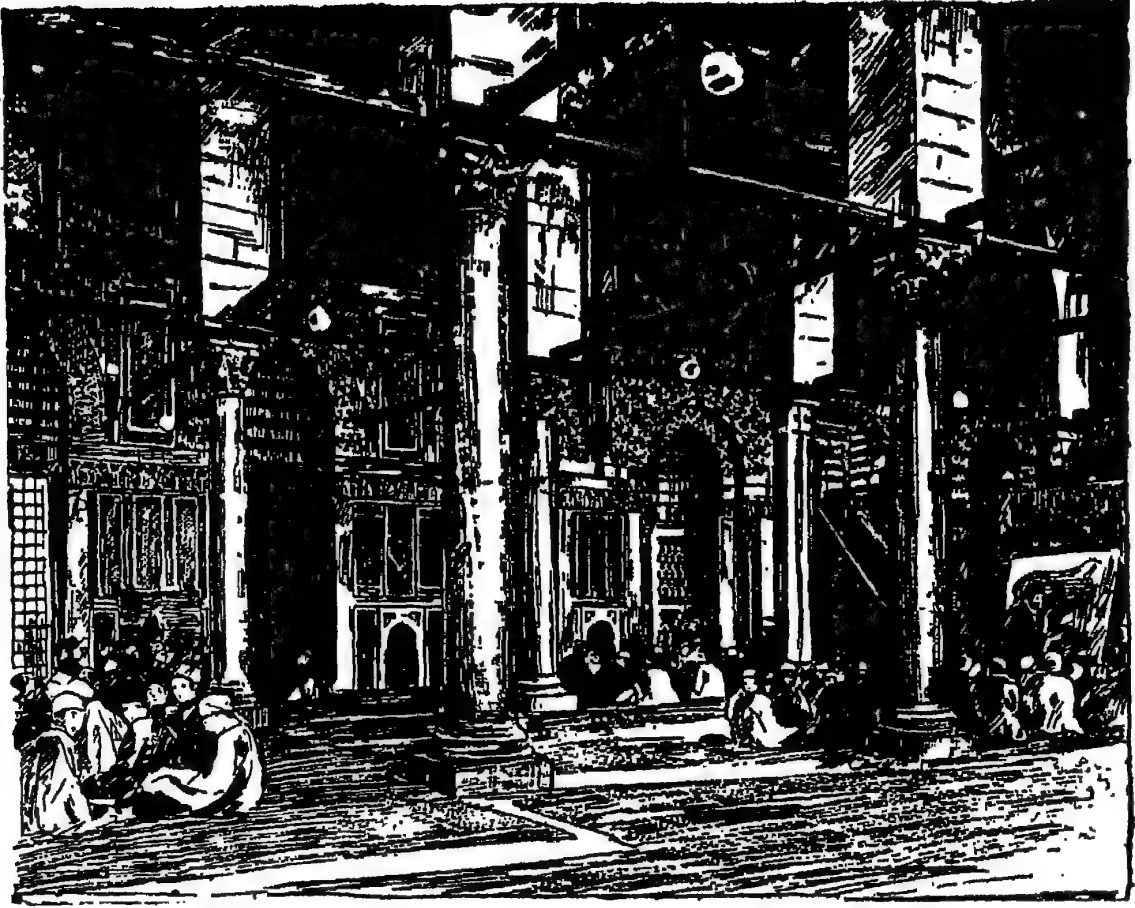
١٠ منه (اول يناير ١٨٠٦ م) :

حضر جملة من الدالاتية وغيرهم من ناحية الشام : فمنهم من حضر في البحر على دمياط ، ومنهم من حضر في البر . وعدى طاهر باشا الذي كان مسافرا على جنة .

وفيه : سافرت القافلة المتوجهة الى السويس ، وصحبتهما نحو المائتين من العسكر ، وعليهم كبير من طرف طاهر باشا بدلا عنه . وسافر صحبتهم حسن أفندي القاضي المنفصل ليكون قاضيا بمكة حسب القانون .

١٥ منه (٦ يناير ١٨٠٦ م) :

وصلت قوافل التجار من السويس . فأرسل محمد علي وفتح الحواصل وأراد أخذ بضائع التجار



داخل الأزهر ..

ذوالقعدة

الثلاثاء غرته (٢١ يناير ١٨٠٦ م) :

الاجتهاد حاصل بخروج العسكر للتجريدة في كل يوم ، ونصبوا عرضهم ببر الجيزة وناحية طرا — من ابتداء شعبان كما تقدم — وفي كل يوم يخرجون طوائف ويعودون كذلك .

الأربعاء ٩ منه (٢٩ يناير ١٨٠٦ م) :

حضر مصطفى آغا الوكيل وعلى كاشف الصابونجي وعلى جاويز الفلاح ، الذين كانوا توجهوا الى قبلى لأجل الصلح . وحضر صحبتهم نيف وثلاثون مركبا من السفار والمتسبين ، فيها

وفروق البن . فازرعج التجار بوكائل الجمالية وغيرها ، وذلك بعد أن دفعوا عشورها ونولونها وأجرها وما جعلوه عليها من المغارم السابقة . وانخط الأمر على المصالحة عن كل فرق خمسون ريالاً .. ولم ينتطح في ذلك شاتان !

٢١ منه (١٢ يناير ١٨٠٦ م) :

حضر كئخدا بيك الى مصر بعدما جمع الأموال من الأقاليم ، وفعل ما فعله من الفرد والمظالم الخارجة عن الحد .

٢٥ منه (١٦ يناير ١٨٠٦ م) :

توفي عثمان أفندى العباسي .

غلال وأدهان وجلود وتمر وغير ذلك . ولم يعلم حقيقة ما حصل .

الجمعة ١١ منه (٣١ يناير ١٨٠٦ م) :

لودى على العسكر بالخروج من الغد بالتركي والعربي ، والتحذير من التأخير .

الأحد ١٣ منه (٢ فبراير ١٨٠٦ م) :

رجع مصطفى أغا بجواب ثانيا هجانا من طريق البر .

الاثنين ١٤ منه (٣ فبراير ١٨٠٦ م) :

أخرجوا المحمل والكسوة وعين للسفر بهما ، من القلزم ، مصطفى جاويش العنتبلى ، ومعه صراف السرة ... دفعوا له ربعها وثمانها ، وهذا لم يتفق نظيره ١ .

الثلاثاء ١٥ منه (٤ فبراير ١٨٠٦ م) :

ورد نحو السبعين ططريا ومعهم البشارة لمحمد على باشا بوصول الأطواخ الى رودس ، ووصل معهم أيضا مراسيم بمنصب الدفتردارية لأحمد أفندى الملقب بجديد . وهو الذى كان وصل في العام الأول بالدفتردارية الى سكندرية في أيام أحمد باشا خورشيد ، وجانم أفندى الدفتردار ... ومنعوه عنها ، وكتبوا في شأنه عرضا للدولة بعدم قبوله ، وأن أهل البلد راضون على جانم أفندى .

فلما حصل ما حصل لخورشيد باشا ، وعزل عن مصر ، وعزل أيضا جانم أفندى .. حضر أيضا أحمد أفندى المذكور بمراسيم آخر وفيها الوكالة لسعيد أغا مجددة له ، ونظر الخاصكية لحافظ سليمان . واستمر من ذلك الوقت بمصر ، فوصل اليه الأمر بتقليد الدفتردارية . وكان حسن أفندى الروزنامجى هو المتقلد لذلك .

الخميس ١٧ منه (٦ فبراير ١٨٠٦ م) :

اجتمع بديوان محمد على : صالح أغا قابجى باشا ، وسعيد أغا ، وتقيب الأشراف ، وبعض المشايخ ، ولبس أحمد أفندى خلعة الدفتردارية ، وشرطوا عليه أنه لا يحدث حوادث كغيره . فان حصل منه شيء .. غزلوه ، وعرضوا في شأنه . وقبل ذلك على نفسه .

الجمعة ١٨ منه (٧ فبراير ١٨٠٦ م) :

ارتحلت القافلة ، وصحبها الكسوة والمحمل ، أواخر النهار ، من ناحية قايت باى بالصحراء ، وذهبوا الى جهة السويس ، ليسافروا من القلزم . وفيه : وصلت الأخبار بأن بونا برته كبير الفرنسيين ركب في جمع كبير ، وأغار على بلاد النساوية ، وحاربهم حربا عظيما ، وظهر عليهم ، وملك تختهم وقلاعهم ، وطلب ملكهم بعد خروجه من حصونه ، فأعاده لملكته بعدما شرط عليه شروطه . وملك غير ذلك من القرائات والحصون ، ثم سار الى بلاد الموسقو ، ووقع بينه وبينهم هدنة على ثلاثة أشهر .

الأربعاء ٢٣ منه (١٢ فبراير ١٨٠٦ م) :

خرج حسن باشا طاهر الى ناحية مصر القديية .

السبت ٢٦ منه (١٥ فبراير ١٨٠٦ م) :

حضر مبشرون بحصول مقتلة عظيمة ، وأنهم أخذوا من الأخصام جملة عسكر أسرى ورؤوس : فضربوا مدافع لذلك ، وأظهروا السرور .

الأحد ٢٧ منه (١٦ فبراير ١٨٠٦ م) :

وصلت الرؤوس والأسرى : وهى أحد وعشرون رأسا ، وذراع مقطع ، وسبعة عشر أسيرا .. ليس فيهم من يعرف ، ولا من جنس الأجناد ، وغالبهم فلاحون . فأعطى محمد على لكل أسير نصف دينار

وأطلقهم ، ووضعوا الرؤوس والذراع عند باب
زويلة .

وفيه وصلت القافلة من السويس ، ووصل أيضا
صحبته جنرال من الانكليز راكب في تخت ،
وحملته ومتاعه على نحو سبعين جملا ، فذهب
عند قنصلهم .

الأربعاء غايته (١٩ فبراير ١٨٠٦ م) :

بعد ذلك ركب في التخت وذهب عند محبد على
بالأزبكية فلتقاه وعمل له شنكا ومدافع ، وقدم
له هدية وتقادم . ثم رجع الى مكانه

ذو الحجة

الخميس غرته (٢٠ فبراير ١٨٠٦ م)

حضر مصطفى آغا الوكيل ، وعلى كاشف
الصابونجي من الجهة القبليّة ، وقد تقدم أنهما
ذهبا وعادا ، ثم رجعا ثانيا على الهجن لتقرير
الصلح ، ثم رجعا ... ولم يظهر أثر لذلك الصلح .
وحكى الناس عنهما : أن المذكورين لما ذهبا
الى أسيوط وجدا ابراهيم بيك قد انتقل الى ناحية
طحطا ، واجتمعا بعثمان بيك حسن والبرديسى ..
فلم يرضيا بالتوجه الذى وجها به اليهم ، وهومن
حدود جرجا ، وقالوا : « لا يكفيننا الا من حدود
المنية . فان الفرنساوية كانوا أعطوا حكم البلاد
القبليّة من حدود المنية لمراد بيك بمفرده ، فكيف
أنه يكفيننا نحن الجميع من جرجا ! » . وشرطوا
أيضا : أنه ان استقر الصلح على مطلوبهم ، لا بد
من اخلاء الاقليم من هذه العساكر الذين لا يتحصل
منهم الا الضرر والخراب والدمار والفساد ،
ولا يبقى الباشا منهم الا مقدار ألفى عسكرى .
وقالوا : « انه أيضا اذا لم يعطنا مطلوبنا ، فهو
لا يستغنى عن أناس من العسكر يقيمون بالبلاد
التي ييخل علينا بها . فنحن أولى له وأحسن منهم ،

وتقوم بما على البلاد من الممل والغلال . وعند ذلك
يحصل الأمن ويسير المسافرون فى المراكب ، وتزد
التاجر والغلال ، ويحصل لنا وله الراحة . وأما
اذا استمر الحال على هذا المنوال ، فانه لم يزل
متعبا من كثرة العسكر ونفقاتهم ، وكذلك سائر
البلاد . على أنه ان لم يرض بذلك .. فما هى البلاد
بأيدينا والأمر مستمر معنا ومعهم على التعب
والنصب » .

الأحد ٤ منه (٢٣ فبراير ١٨٠٦ م)

ورد الخبر بأن جماعة من كبار العسكر —
وفيه سليمان آغا الأرثوڊى الذى تولى كشوفية
منفلوط ، ومعهم عدة وافرة من العسكر — عدوا
من المنية الى البر الشرقى بالمطاهرة ، بسبب
ما عندهم من القحط وعدم الأقوات ... لاحاطة
المصريين بهم .

فلما دخلوا الى بلدة المطاهرة وملكوها ، وصل
اليهم بعض الأمراء والأجناد المصرية ، وأحاطوا
بهم وحاربوهم أياما حتى ظهروا عليهم ، وقتلوا
منهم ، وهرب من هرب — وهو القليل — وأسروا
الباقى —، وفيهم سليمان آغا المذكور — فالتجأ
الى بعض الأجناد ، فحماء من القتل ، وقابل
به كبار الأمراء . فأنعموا عليه بكسوة ودراهم
وسلاح ، وأقام معهم أياما ... ثم استأذنهم للعود
وحضر الى مصر ، وجلس بداره .

وفيه : ورد الخبر أيضا بموت الأمير بشتك بيك
المعروف بالألفى الصغير .. مبطونا .

وفيه : حضر أيضا حجاج الخضرى الرميلاتى
الى مصر .. وقد كان خرج من مصر بعد حادثة
خورشيد باشا خوفا من العسكر . وذهب الى بلده
بالمنوات ، ثم ذهب عند الألفى ، وأقام فى معسكره
الى هذا الوقت . ثم أن الألفى طرده لنكتة حصلت
منه ، فرجع الى بلده .

القلعة جبخانة ومدافع ، وطلقوا يخطفون الحمير
من الأسواق ... ان وجدوها !

الخميس ١٥ منه (٦ مارس ١٨٠٦ م) :

عدى طائفة من العساكر الخيالة الى بر
الجيزة . وعدى طاهر باشا الى بر امبابة وصحبته
عساكر كثيرة ، وأزعجوا أهل القرية ، وأخرجوهم
من دورهم وسكنوا بها ، وأطلقوا دوابهم وخيولهم
على المزارع ، فأكلوها بأجمعها ، ولم يبقوا منها
ولا عودا أخضر في أيام قليلة .

وفيه : اختفى حجاج الخضرى أيضا بسبب
ما داخله من الوهم والخوف من العسكر .

الثلاثاء ٢٠ منه (١١ مارس ١٨٠٦ م) :

شرع عساكر حسن باشا في التعدي من ناحية
معادى الخيرى الى البر الآخر .

الأحد ٢٥ منه (١٦ مارس ١٨٠٦ م) :

عدى حسن باشا أيضا .

الاثنين ٢٦ منه (١٧ مارس ١٨٠٦ م) :

نودى في الأسواق على العساكر الذين لم
يكونوا في قوائم العسكر الذين يقال لهم السير (١)
بالسفر والخروج الى بلادهم ، ومن وجد منهم بعد
ثلاثة أيام قتل .

وكذلك كتبوا فرمانات وأرسلوها الى البلاد
بمعنى ذلك ، ومن كان من أهل البلد أو المغاربة أو
الأتراك بصورة العسكر ومتزينا بزيمهم ، فليزع
ذلك وليرجع الى زبه الأول .

وفيه أيضا : نودى على المعاملة الناقصة :
لا تقبض الا بنقص مميزاتهم . لأن المعاملة
فحش تقصها جدا ... وخصوصا الذهب

(١) قوله (السير) هكذا في نسخ ... وفي بعض النسخ (التبرير) .

وأرسل الى السيد عمر فكتب له أمانا من
الباشا ، فحضر بذلك الأمان ، وقابل الباشا ،
وخلع عليه ، ونادوا له في خطبه بأنه على ما هو
عليه في حرفته وصناعته ووجاهته بين أقرانه ،
فصار يمشى في المدينة وصحبته عسكرى ملازم له .

الجمعة ٩ منه (٢٨ فبراير ١٨٠٦ م) :

كان يوم الوقوف بمرقة . وفي ذلك اليوم :
ركب محمد على بالأبهة الكاملة ، وصلى الجمعة



الابية الكاملة !

بالمشهد الحسينى . ولم يركب من وقت ولايته
بالهيئة الا في هذا اليوم .

وفي عصر تلك الليلة ضربوا عدة مدافع من
القلعة اعلاما بالعيد ، وكذلك في صباحها ، وفي كل
وقت من الاوقات الخمسة ... مدة أيام التشريق .

الأربعاء ١٤ منه (٥ مارس ١٨٠٦ م) :

حضر جاhein بك الألفى ، ومعه طوائف من
العربان ، الى اقليم الجيزة ، وأخذوا الكلف وأغنما
من البلاد ودراهم واشيع بذلك ، وأمروا بخروج
العساكر اليهم . وركب محمد على باشا في يوم
الخميس ، وخرج الى ناحية بولاق . وأنزلوا من

البندقى الذى كان أحسن أصناف العملة فى الوزن والعيار والجودة ، فإن العسكر تسلطوا عليه بالقص . فيقصون من الشخص الواحد مقدار الربع ، أو أكثر أو أقل ، ويدفعونه فى المشتريات ولا يقدر المتسبب على رده أو طلب أرش نفسه . وكذلك الصيرفى لا يقدر على رده أو وزنه . وقتل بذلك قتلى كثيرة ، وأغلق الصيارف حوانيتهم ، وامتنعوا من الوزن خوفا من شرهم .

وكذلك نودى على التعامل فى بيع البن بالريال المعاملة — وهو تسعون نصفاً — وقد كان الاصطلاح فى بيع البن بالفراصة فقط . وبلغ صرف الفراصة مائة وثمانين نصفاً — ضعف الأول — وعز وجوده لرغبة الناس فيه لسلامته من الغش والنقص ، لأن جميع معاملة الكفار سالمة من الغش والنقص ... بخلاف معاملات المسلمين ! فإن الغالب على جميعها الزيف والخلط والغش والنقص . فلما انطبعوا على ذلك ، ونظروا الى معاملات الكفار وسلامتها ، تسلطوا عليها بالقطع والتنقيص والتقصيص .. تسميها للغش والخسران والانجراف عن جميع الأديان . وقال صلى الله عليه وسلم : « الدين المعاملة ، ومن غشنا فليس منا » . فيأخذون الريالات الفرائصة الى دار الضرب ويسبكونها ، ويزيدون عليها ثلاثة أرباعها نحاساً ، ويضربونها قروشاً يتعاملون بها . ثم ينكشف حالها فى مدة سيرة ، وتصير نحاساً أحمر من أقبح المعاملات شكلاً ووضعاً ، لا فرق بينها وبين الفلوس النحاس التى كانت تصرف بالأرطال فى الدول المصرية السابقة ... فى الكم والكيف ، بل تلك أجمل من هذه فى الشكل . وقد شاهدنا كثيراً منها وعليها أسماء الملوك المتقدمين ، ووزن الواحد منها نصف ذوقية

القضة الخالصة ، على وزن الدرهم الشرعى ستة عشر قيراطاً ، ويصرف بثلاثة أرطال من الفلوس النحاس . فيكون صرف الدرهم الواحد اثنين وسبعين فلساً ... تستعمل فى جميع المشتريات والمرتبات والمعالييم واللوازم للبيوت والجزئيات والمحقرات . فلما زالت الدولة القبلونية ، وظهرت دولة الجراكسة ، واستقر الملك المؤيد شيخ فى سلطنة مصر ، وبدأ الاختلال ... اختصر الدرهم المتعامل به وجعله نصف درهم — وهو ثمانية قراريط — وسمى نصف مؤيدى . ولم تزل تتناقص ، حتى صارت فى آخر دولة الجراكسية أقل من ربع الدرهم .

واختل أمر الفلوس النحاس ، والمربعات والوظائف بالأوقاف المشروط فيها صرف المعالييم بالفلوس . ولم يزل الحال يختل ويضعف بسبب الجور والطمع والغش وغباوة أولى الأمر ، وعى بضائهم عن المصالح العامة التى بها قوام النظام ، حتى تلاشى أمر الدراهم جداً فى الوزن والعيار ، وصار الدرهم المعبر عنه بالنصف أقل من العشر للدرهم ، وفيه من القضة الخالصة نحو الربع .. فيكون فى النصف الذى هو الآن بدل الدرهم الأصى من القضة الخالصة أقل من ربع العشر .

فيكون فى النصف الواحد من معاملتنا الآن — الذى وزنه خمس قمحات — قيراط وربع ثلث قيراط من القضة ، وذلك بدل عن ستة عشر قيراطاً — وهو الدرهم الأصى الخالص — فانظر الى هذا الخسران الخفى الذى انعمت به البركة فى كل شيء . فإن الدرهم القضة الآن صار بمنزلة الفلوس النحاس القديم فتأمل واحسب ، تجد الأمر كذلك !

فاذا فرضنا أن انسانا اكتسب ألف درهم من دراهمنا هذه ، فكأنه اكتسب خمسة وعشرين لاغير

وكان الدرهم المتعامل به إذ ذاك ، من

وفحش وجود القروش المفردة وضعفها وأجزائها ... حتى لم يبق بأيدي الناس من التعامل الا هي . وعز باقى الاصناف المذكورة ، وطلبت للسبك والادخار وصياغة الحلى ، ففرقت فى المصارفة والابدال .

فلما زالت دولة على بيك ، وتملك محمد بيك أبو الذهب ، نادى بإبطال تلك القروش بأنواعها رأسا . فحضر الناس خسارة عظيمة من أموالهم ، وباعوها بالأرطال للسبك واقتصروا على ضرب الأنصاف العديدة والمحسوب الزر والتصفيات لاغير ، وتقصوا من وزنها وعيارها ، ونقصت قيمتها ، وغلت فى المصارفة . وزاد الحال بتوالى الحوادث والمحن والفلاء والغرامات ، وضيق المعاش وكساد البضائع . وتساهلوا فى زيادة المصارفة .. وخصوصا فى ثمن السلع والمبيعات ، وخلّص الحقوق من المطالين . واقترن بذلك تغافل الحكام وحورهم ، وعدم التفاتهم لمصالح الرعية ، وطمعهم وتركهم النظر فى العواقب .. الى أن تجاوزت فى وقتنا هذا ... الحدود ، وبلغت فى المصارفة أكثر من الضعف . وصار صرف المحسوب مائتين وخمسة ... بل وعشرة .

والريال « الفرانسة » بمائة وخمسة وسبعين ، بل وثمانين . و « المشخص البندقى » بأربعمائة وأكثر . و « المجر » بثلاثمائة وستين . و « الفندقلى » بثلاثمائة وعشرين ، وهو الجديد . ويزيد القديم لجودة عياره عن الجديد ، وتتفاوت « المثلية » فى المحسوب بجودة العيار . فاذا أبدل « السليمى » الموجود الآن « بالمحمودى » .. زيد فى مصارفته أربعون نصفا وأكثر ، بحسب الرغبة والاحتياج . وتتفاوت أيضا « المحمودى » بثله .. فيزيد « أبو وردة » عن « الراغب » ، ويزيد « الراغب » عن الذى فيه حرف « العين » ويكون

— وهو ربع عشرها — على أنه اذا حسبنا قيمة الخمسة وعشرين فى وقتنا هذا — عن كل درهم ثلاثون نصفا — فانها تبلغ سبعمائة وخمسين ، ويذهب الباقي — وهو مائتان وخمسون — هدرًا .

وأما الذهب : فان الدينار كان وزنه فى الزمن الأول مثقالا من الذهب الخالص . ثم صار فى الدولة الفاطمية وما بعدها عشرين قيراطا ، وكان يصرف بثلاثين درهما من الفضة . فلما نقص الدرهم زاد صرف الدينار ، الى أن استقر وزن الدينار فى أوائل القرن الماضى ثلاثة عشر قيراطا ونصفا ، ويصرف بتسعين نصفا .. وهو المعبر عنه « بالأشرفى » ، والطرلى ، المعروف « بالفندقلى » ، يصرف بمائة . وكانا جديدين فى العيار ، وكذلك الأنصاف العديدة كانت اذ ذاك جيدة العيار والوزن .

وكان الريال يصرف بخمسين نصفا . والريال « الكلب » باثنين وأربعين نصفا . ثم صار الدينار — وهو « المحسوب الجنزولى » — بمائة وخمسين ، والفندقلى بمائة وعشرين ، والفراصة بسنين .

ثم حدث « المحسوب الزر » فى أيام السلطان أحمد بدلا عن « الجنزولى » . وغلا صرف الجنزولى ، وكان فى وزن « المشخص » وعياره . ووزن « الزر » ثلاثة عشر قيراطا ونصف .. الى أن زاد الاختلال فى أيام على بيك والمعلم رزق واستيلائه على دار الضرب والقروش . واستعمل ضرب القروش واستكثر منها ، وزاد فى غشها لكثرة المصاريف على العساكر والتجاريد والتنفقات . واستقر « الأشرفى » المعروف « بالزر » بمائة وعشرة ، و « الطرلى » بمائة وستة وأربعين ، و « المشخص » بمائتين . والريال « الفرانسة » بحمسة وثمانين ، مدة من أيام على بيك .

وكان ينسخ بالأجرة ، وكتب كتباً كثيرة ، وخطه في غاية الصحة والجودة ، وغالبها في الأدبيات « كالريحانة » و « خبايا الزوايا » و « خزنة الأدب » والتي بخطه من ذلك في غاية الحسن والقبول .

وكان شافعي المذهب ثم تحنف ، وحضر على أشياخ المذهب مثل : الشيخ محمد الدلجي ، والشيخ محمد العدوي . ولازم الشيخ حسن المقدسي ملازمة كلية ، وانتسب إليه ، وعرف به ، وحضر عليه ، وتلقى عنه غالب الكتب المشهورة في المذهب . وحضر باقى العلوم على الشيخ الملوى والحفنى والشيخ على العدوي وغيرهم . وكان يكتب الأجوبة على الفتاوى عن لسانه .

ولما توفى شيخه المذكور ، تقرر مكانه في وظيفة الخطابة والامامة بجامع عثمان كتخدا بالأزبكية . وسكن بالدار المشروطة له بها السكنى برحاب الجامع المذكور .

وكانت خطبه في غاية الخفة والاختصار ، ولوعظه وقع في النفوس .. لخلوه عن التصنع .

ولما مات الشيخ أحمد الدمنهورى في سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف ، وحصل ما حصل للشيخ عبد الرحمن العرشى — كما تقدم — تعيين المترجم لمشيخة الحنفية والفتوى عوضاً عن المذكور . — قبل وفاته بأيام قليلة — وكان أهلاً لذلك ، وكفوؤاً له ، وسار فيها سيراً حسناً بحسنة .

واشتهر ذكره ، وقصدته الناس للفتوى والامامة ، وأقبلت عليه الدنيا ، وسكن داراً مشرفة على الأزبكية جارية في وقف عثمان كتخدا . واشترى أيضاً داراً نفيسة بالجودرية ، وأسكنها لغيره بالأجرة .

وانحصرت فيه وظائف مشيخة الحنفية كالتدريس في مدرسة المحمودية والصرغتمشية

المحبوبان في تحويل المعاملة بدلاً عن « المشخص » الواحد ... مع أن وزنها سبعة وعشرون قيراطاً ، ووزن « المشخص » ثمانية عشر قيراطاً . فالتفاوت بينهما تسعة قيراط ، وهى مافيه من الخلط ... وغير ذلك مما يطول شرحه ، ويعسر تحقيقه وضبطه ! ولم يزل أمر المعاملة ، وزيادة صرفها ، واتلاف تقودها ، واضطرابها ... مستمراً . وكل قليل ينادون عليها مناداة بحسب أغراضهم ، لا تسمع ولا تقبل ولا تلتفت إليها . لأن أصل الكدر منبعث عنهم ، ومنحدر عن مجرأة خبائثهم وفسادهم .

آخره (٢٠ مارس ١٨٠٦ م) :

أذن الباشا لولده الكبير بالذهاب لزيارة سيدى أحمد البدوى — رضى الله عنه — بطندتا ، وعين صحبته أتباعاً وعسكراً وهجناء ، وقرر له دراهم على البلاد ألف ريال .. فما دونها ، خلاف الكلف . وكذلك سافر حريمات — ورئيستهن جريم مصطفى أغا الوكيل — في هيئة لم يسبق مثلاً .. في تختروانات وعربات ومواهى وأحمال وجبال وعسكر وخدم وفراشين ، وفرضوا لهم أيضاً مقررات على البلاد وكلفاً ونحو ذلك ... وأظن أن هذه المحدثات من أهوال القيامة ! وانقضت السنة وما حصل فيها من الحوادث والاندازات .

ومات فيها : الامام العلامة ، والبحر الفهامة ، صدر المدرسين ، وعمدة المحققين ، مفتى الحنفية بالديار المصرية : الشيخ محمد عبد المعطى بن الشيخ أحمد الحريرى الحنفى .

ولد ستة ثلاث وأربعين ومائة وألف ، ونشأ في عفة وصلاح ، وحفظ القرآن وجوده ، وحفظ المتن .. وحضر أشياخ العصر ، وجود الخط .

والمحمدية وغيرها — فكان يباشر الاقراء بنفسه في بعضها ، والبعض ولده العلامة الشيخ ابراهيم . ولم يزل هريء ويملى ويفيد — حتى في حال اقطاعه — وذلك أنه لما مات أحمد أغا غانم ، وحصل بين عتقائه منازعة ، ثم اتفقوا على تحكيم المترجم بينهم ، واتمسوا منه أن يذهب صحتهم الى قوة ليصلح بينهم ... فلما ذهب الى بولاق وأراد النزول في السفينة ، اعتمد على بعض الواقفين ، فعثرت رجله ، فقبض ذلك الرجل على معصمه فانكسر عظمه لنحافة جسده ، فعادوا به الى داره ، وأحضروا له من عالجه حتى برىء بعد شهر ، وفرحوا بعافيته .

ودعاه بعض أحبابه بناحية قناطر السباع . فركب وذهب اليه — وكانت أول ركباته بعد برئه — فلما طلع الى المجلس وأراد الصعود الى مرتبة الجلوس ، زلقت رجله فانكسر عظم ساقه . وتكدر الحاضرون وحملوه وذهبوا به الى داره ، وأحضروا له المعالج ، فلم يحسن المعالجة . وتألم تألماً كثيراً ، واستمر ملازماً الفراش نحو سبع سنوات . ثم توفي يوم الأربعاء ، سابع عشر رجب من السنة ، عن سبع ومبعين سنة ، ودفن بترية الأزمكية

وتعين بعده في المشيخة والافتاء ولده المحقق العلامة المستعد الشيخ ابراهيم ، أدام الله النفع بحياته ، وحفظ عليه أولاده .

وللمترجم مآثر ، وتقييدات ومنظومات ، وضوابط وتخمينات . فمن ذلك قوله :

مشبه به مع الشبه

أداة تشبيه ووجه شبه

والخامس المشبه النبيه

فقد حوى أركانه التشبيه

وله تخميس على البيتين المشهورين :

قد قلت لما وهى جسمى وأقلقتنى
ما حل بى من سقام أنطت بدنى
وما رماني به دهرى من المحن
يا رب ان كان تمرضى يقربنى
زلقى اليك .. فباب العفو أوسع لى

أو كان من أجل عصياني الذى عظما
ومسوء ما قلته جهرا ومكتما
فالعفو عن عصا من شيمة الكرما
أو كان من أجل تمحيص الذنوب فما
يحتاج عفوك للأسقام والعلل

وله تخميس أيضا على « المنهجة » وتخميس على قصيدة الشيخ عبد الله الشبراوى المشهورة وأوله :

ان نفسى وغيبها والتمنى
صيرت دأبى المعاصى وفنى
ثم الى ناديت من حسن ظنى
رب انى تعاضم الذنب منى
غير ألى وجدت عفوك أعظم
الى آخرها ... وله غير ذلك .. سامحه الله !

ومات الأجل الأمثل ، المقوه المنشئ ، النبيه الفصيح المتكلم : عثمان أفندى ابن سعد العباسى الأنصارى . من ولد آخر الخلفاء العباسية بمصر المتوكل على الله . ووالده يعرف بالأنصارى من جهة النساء .. من بيت السيادة والخلافة .

ولد بمصر ، وبها نشأ ، واشتغل بالعلم على فضلاء الوقت ، ومهر في الفنون بذكائه ، وعانى الحساب والنجوم وأخذ منها حظا ، ونزل كات سر في ديوان بعض الأمراء ، ولامه بعض محبيه

في ذلك ، فاعتذر أنه انما قدم عليه صيانة لبعض
بيلاده وضياعه التي استولت عليها أيدي الظلمة ،
فلا محيد له عن عشرتهم !

واجتمع بشيخنا الشيخ محمود الكردي ، وأراد
السلوك في طريق الخلوتية ، وترك شرب الدخان ،
ولازمه كثيرا ، وتلقن الاسم الأول والأورد ،
وأقلع عما كان عليه ... حتى لاحت عليه أنوار
ملازمته ، واعتقده جدا . وبعد وفاة الأستاذ ..
رجع إلى حالته ، وشرب الدخان .

ثم ولي خليفة على غلال الحرمين فباشرها
بشهامة ، ثم ولي روزنامه مصر بصرامة وقوة مراس
وشدة ومخادعة . وراج أمره واتسع حاله وزادت
حشمته ... وذلك بعد عزل أحمد أفندي أبي كلبه ،
وقبل وفاة السيد محمد أفندي الكماخي الروزنامجي .
وثقل أمره على باقي الكتبة والناس ، فأوغروا
عليه وعزلوه . فضاق صدره وزاد قلقه ، وحدث
فيه بعض رعونة ، وتردد لمشاهد الأولياء في الليل
والنهار ... يبتهل ويدعو ، ويفرق خبزا ودراهم ،
ويأوى إليه المجاذيب ، والذين يدعون الصلاح
والولاية ، فيكرمهم برهة ويرون له مبرائى
ومنامات وإخباريات ، فيزداد هوسه . ثم لما يطول
الحال ينقطع عنهم ، ويبدلهم بآخرين ... وهكذا .
وكان ينام مع بعضهم في الحرم ، ويترجم بعضهم
بمكاشفات وشطحيات ويقول : « فلان يطلع على
نظرات القلوب .. وفلان يصعد إلى السماء ..
ومن كرامات فلان كذا .. » ثم يرجع عن ذلك .

ولما مات السيد محمد ، أعيد في كتابة الروزنامه
أيضا ، واستمر بها ثمانية عشر شهرا . وكانت أعادته
في سنة ثمان بعد المائتين ، ثم انحرف عليه ابراهيم
ملك الكبير وعزله . وكان يظن أن الأمر يؤول

إليه .. فلم يتم له ذلك . وأحضر ابراهيم ييك
السيد ابراهيم ابن أخى المتوفى وقلده ذلك .
فعندها أيس المترجم منها . واختلفت الأمور
بحدوث الفتن ، وتقلب الدول والأحوال .

ولازم شأنه وبيته بعد رجوعه من هجرته إلى
الشام في حادثة الفرنسيين ، واعتزته الأمراض ...
واجتمعت لديه كتب كثيرة في سائر العلوم ، وبيعت
بأسرها في تركته . توفي يوم الأربعاء خامس عشرين
شوال من السنة ..

ومات العدة الامام ، الصالح الناسك العلامة ،
والبحر الفهامة : الشيخ محمد بن سيرين بن محمد
ابن محمود بن جيش الشافعي المقدسي . ولد في
حدود الستين ، وقدم به والده إلى مصر . فقرأ
القرآن . واشتغل بالعلم ، وحضر دروس الشيخ عيسى
البراوى فتفقه عليه ، وحلت عليه أنظاره ، وحصل
طرفا جيدا من العلوم على الشيخ عطية الأجهوري ،
ولازمه ملازمة كلية .

وبعد وفاة شيخه ، اشتغل بالحديث . فسمع
صحيح مسلم على الشيخ أحمد الراشدى ، واتقيل
بشيخنا الشيخ محمود الكردي . فلحقه الذكر
ولازمه ، وحصلت له منه الأنوار . وانجس عن
الناس ، ولاحت عليه لوائح النجاسة ، وألبسه
التاج ، وجعله من جملة خلفاء الخلوتية . وأمره
بالتوجه إلى بيت المقدس . فقدمه وسكن بالحرم
وصار يذاكر الطلبة بالعلوم ، ويعقد حلقة الذكر ،
وله فهم جيد ، مع حبة الذهن .

وأقبلت عليه الناس بالمحبة ، ونشر له القبول
عند الأمراء والوزراء ، وقبلت شفاعته .. مع
الانجتماع عنهم ، وعدم قبول هداياهم !

وأخبرني بعض من صحبه : آله يفهم من كلام الشيخ ابن العربي ، ويقرره تقريراً جيداً ، ويميل الى سماعه . وحج من بيت المقدس ، وأصيب في العقبه بجراحة في عضده ، وسلب ما عليه ، وتحمل تلك المشقات . ورجع الى مصر فزار شيخه الشيخ محموداً ، وجلس مدة ثم أذن له بالرجوع الى بلده . وسمع أنباء كثيرة في مبادئ عمره ، واقتبس من الأسياف فوائد جمة ... حتى قبل اشتغاله بالعلم .

وفي سنة ١١٨٢ كتب الى شيخنا السيد مرتضى يستجيزه . فكتب له أسانيد عالية في كراسة وسماها « قلنسوة التاج » . ولم يزل يملئ ويفيد ، ويدرس ويعيد ، واشتهر ذكره في الآفاق ، وانعقد على اغتقاده وانفرادة الاتفاق ، وسطعت أنواره ، وعمت أسراره ، وانتشرت في الكون أخباره ،

وازدحمت على سدته زواره ... الى أن أجاب الداعي ، ونعتته النواصي . وذلك سبع وعشرين شهر شعبان من السنة . ولم يخلط بصدده مسلمة ، وبه ختمت دائرة المسلكين من الخلوتية ورجال السادة الصوفية . وحسن به ختم هذا الجزء الثالث من كتاب « عجائب الآثار في التراجم والأخبار » لغاية سنة عشرين ومائتين وألف من الهجرة النبوية — على صاحبها أفضل الصلاة والسلام — وسنقيد ان شاء الله تعالى ما يتجدد بعدها من الحوادث ، من ابتداء سنة إحدى وعشرين — التي نحن بها الآن — ان امتد الأجل ، وأسعف الأمل . ونرجو من الكريم المتعال صلاح الأحوال ، واقتشاع الهموم ، وصلاح العموم ... انه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير . والله أعلم .

الحرم

فلما قرىء التقليد ، ضربوا مدافع كثيرة من
الأزبكية والقلمة ، وعملوا تلك الليلة شنكا
وحراقات ونفوطا وسواريح كثيرة ونبولا وزمورا
بالأزبكية .

٧ منه (٢٧ مارس ١٨٠٦ م) :

وصلت الأخبار بوقوع حروب بين العساكر
والعربان والأمراء المصرية بناحية جزيرة الهواه ،
وقتل شخص من كبار العسكر يسمى « كور
يوسف » وغيره . ووصل الى مصر علة جرحي ،
وهرب من العسكر طائفة وانضموا الى الأمراء
المصريين . وأرسل حسن باشا يستنجد بالبasha
بارسال عساكر اليه .

وفي ذلك اليوم : نادوا في الأسواق بعدم المشي
في الأسواق من آذان العشاء ، وخرج كئخدا بيك
الى بولاق في آخر النهار ، ونصب وطاقة ببر ابابه .
وخرج سليمان آغا بجملته من العسكر وذهب
الى لائحة طرا .

٨ منه (٢٨ مارس ١٨٠٦ م)

عدى كئخدا بيك الى البر الغربي ، وانتقل
ظاهر باشا الى الجيزة وأقام بها معافا .

وفيه : أمر الباشا بجمع الأجناد المصرية
والوجاقلية ، وأمرهم بالتعدية الى البر الغربي ،
وكانه تخوف من اقامتهم بالمدينة ، وقال لهم :
« من أراد منكم الذهاب الى الأخصام فليذهب
والا يستمر معنا » .

وفي هذه الأيام : كان مولد سيدي أحمد

استهل شهر المحرم يوم الجنس حساباً ،
ويوم السبت هلالاً . ووافق ذلك انتقال الشمس
لبرج الحمل ، فاتحدت السنة القمرية والشمسية .
وهو يوم « النوروز » السلطاني ، وأول سنة
الفرس . وهو التاريخ الجلالى اليزدجردى .
وتاريخهم في هذه السنة ١١٧٦ .

وكان طالع التحويل الواقع في يوم الجمعة —
في خامس ساعة ونصف من النهار — سبع درجات
ونصفاً من برج السرطان ، وصاحبه في حيز العاشر
منصرف عن ترييح المشتري ، ومقارنة عطارد
والمشتري في السابع ، والمريخ مع الزهرة في العاشر
هى راجعة ، وكيوان في الرابع — وهو دليل
على ثبات دولة القائم ... وتعب الرعية !
والحكم لله العلى الكبير .

٣ منه (٢٣ مارس ١٨٠٦ م) :

وصل الى بولاق قابجى وعلى يده تقرير لمحمة
على باشا بولايته بمصر ، وصحبة التقرير خلعة ،
وهى فروة سور . فلما أصبح النهار عمل محمد
على باشا ديوانا بمنزله بالأزبكية . وحضر السيد
عمر النقيب والمشايع والأعيان . وحضر ذلك الأغا
من بولاق في موكب ، ودخل من باب النصر ،
وشق من وسط المدينة .. وأمامه الأغا ونلوالى
والمحتسب والأغوات والجايشية ، وخلفه النوبة
التركية . فلما وصلوا الى باب الخرق ، عطفوا
على جهة الأزبكية .

وفيه : أرسل الألفى مكتوبا خطابا الى السيد عمر أفندي مكرم القيب والمشايخ مضمونه : « نخبركم أن سبب حضورنا الى هذه الجهة انما هو لطلب القوت والمعاش ، فان الجهة التي كنا بها لم يبق فيها شيء يكفيننا ويكفى من معنا من الجيش والأجناد ، ونرجو من مراحم أفندينا بشفاعتكم أن ينعم علينا . بما تتعيش به ، كما رجونا منه في السابق » .

١١ منه (٢١ مارس ١٨٠٦ م) :

في الصباح ركب السيد عمر الى الباشا ، وأخبره بذلك ، وأطلعه على المراسلة . فقال : « ومن أتى به ؟ » . قال له : « تابع مصطفى كاشف المورلى ، وقد ترك متبوعه بالبر الآخر » . فقال له : « اكتب له بالحضور ، حتي تتروى معه مشافهة » .

وفي ذلك الوقت حضر الى الباشا من أخبره بأن طائفة من المصريين وجيوشهم وصلوا الى بر أنبابة ، فخرج اليهم طائفة من العسكر الموابطين هناك ، وتعاربوا معهم بسوق الفم ، ووقع بينهم بعض قتلى وجرحى . فركب من فوره وذهب الى بولاق ، فنزل بالساحل وجلس هناك ساعة . ثم ركب عائدا الى داره بعد أن منع من تعدية المراكب اى بر أنبابة ، ثم أمرهم بالتعدية لربما احتاجوهم ، وكان كذلك ، فأنهم رجعوا مهزومين ... فلو لم يجدوا المعادى لحصل لهم هول كبير .

١٢ منه (أول ابريل ١٨٠٦ م)

حضر مصطفى كاشف المورلى - المرسل من طرف الألفى ، وصحبته على جربجى ابن موسى الجيزاوى - الى بيت السيد عمر . فركب صحبته الى الباشا ، وكتبوا له جوابا . ورجع من ليلته .

البدوى ، والجمع بطندتا ، المعروف بمولد الشرنابلية . وهرع غالب أهل البلد بالذهاب اليه ، وأكثروا الجمال والحسير بأعلى الأجرة . لأن ذلك صار عند أهل الاقليم موسما وعيدا لا يتخلفون عنه ، اما للزيارة أو التجارة أو للنزاهة أو للسوق !

ويجتمع به العالم الأكبر ، وأهالى الاقليم البحرى والقبلى . وخرج أكثر أهالى البلد يحملهم . فكان الواقفون على الأبواب يفتشون الأحمال ، فوجدوا مع بعضهم أشياء من أسباب الأجناد المصرية وملابسهم ونحو ذلك . فوقع بسبب ذلك ايذاء لمن وجدوا معه شيئا من ذلك ، ولباقى الناس ضرر ينشئ متاعهم ، فكان من الناس من يأخذ معه أشخاصا من العسكر من طرف الأغا يسلكونه للخروج من غير تفتيش ، وينعون المتقيدين بالأبواب عن التعرض لهم وبش متاعهم وأحمالهم .

٩ منه (٢٩ مارس ١٨٠٦ م) :

وصل الخبر بأن عابدين بيك لما بلغه خروج الألفى من القيوم ذهب اليها صحبة الدلاة ، فلم يجد بها أحدا فدخلها ، وأرسل مبشرين الى مصر بأنه ملك القيوم . فضربوا مدافع لذلك ، وانبث المبشرون يطوفون على بيوت الأعيان يبشرونهم بذلك ، ويأخذون على ذلك الدراهم والبقاشيش . ثم لما بلغ عابدين بيك ما حصل لأخيه حسن باشا من الهزيمة ، رجع اليه وأقام معه ناحية الرق .

١٠ منه (٣٠ مارس ١٨٠٦ م) :

وصل الألفى الى ناحية كرداسة ، وانتشرت عساكره وعربانه باقليم الجيزة ، فلم يخرج لهم أحد من الجيزة ، مع كونهم بمراى منهم ، ويسمعون نقايرهم وطبولهم ووطء حوافر خيولهم .

١٤ منه (٣ أبريل ١٨٠٦ م) :

حضر ثانيا مصطفى كاشف المورلى بجواب آخر ومضمونه : « اننا أرسلنا لكم ، لرجو منكم أن تسعوا بيننا بما فيه الراحة لنا ولكم ، وللفقراء والمساكين وأهالى القرى .. فأجبتونا بأننا تتعدى على القرى ، ونطلب منهم المغارم ، ونرعى زرعهم ، ونهب مواشيهم ... والحال أنه — والله العظيم ، وبنيه الكريم — أن هذا الأمر لم يكن على قصدنا ومرادنا مطلقا . وانما الموجب لخضورتنا الى هذا الطرف ضيق الحال والمقتضى ، للجمعية التى نصحبها من العربان وغيرهم ، ارسال التجاريد والعاكر عطينا . فلأزم لنا أن لجمع الينا من يساعدنا فى المدافعة عن أنفسنا .. فهم يجمعون أصناف العساكر من الأقطار الرومية والمصرية لمحاربتنا وقتالنا ، وهم كذلك يهبون البلاد والعباد للاتفاق عليهم . ونحن كذلك : نجمع الينا من يساعدنا فى المنع ، ونفعل كفعلمهم لننفق على من حولنا من المساعدين لنا . وكل ذلك يؤدى الى الحراب والدمار وظلم الفقراء . والقصد منكم ، بل الواجب عليكم ، السعى فى راحة الفريقين ، وهو أن يكفوا الحرب ، ويفرزوا لنا جهة نرتاح فيها .. فان أرض الله واسعة ، تسعنا وتسعهم . ويمطونا عهدا بكفالة بعض من نعتمد عليهم ، من عندنا وعندهم . ويكتب بذلك محضر لصاحب الدولة ، وننتظر رجوع الجواب . وعند وصوله يكون العمل بمقتضاه » .

فعمد ذلك اقتضى الرأى أن يقطعوه اقليم الجيزة ، وكتبوا له جوابا بذلك ، من غير عقد ولا عهد ولا كفالة كما أشار . وسلموا الجواب لمصطفى كاشف ورجع به .

وفى أثناء ذلك : طلب أجناد الألفى كلفا من بلد برطس وأم دينار ومنية عقبة . فامتنعوا عليهم ، فضربوهم وحاربوهم ولهبوهم . وسبب ذلك

أن العساكر الأتراك أغروهم ، وأرسلوا يقولون لهم : « اذا طلبوا منكم كلفة أو دراهم ، لاتدفعوا لهم واطردوهم وحاربوهم وانهبوهم . واذا سمعنا حربكم معهم أتيناكم وساعدناكم » . فاغتروا بذلك وصدقوه . فلما حصل لهم ما حصل ، لم يسفوههم ولم يخرجوا من أوكارهم ، حتى جرى عليهم المقدور !

٢٣ منه (١٢ أبريل ١٨٠٦ م) :

كتب الباشا مراسيم وأرسلها الى كشف الأقاليم والكائنين بالبلاد من الأجناد المصرية ، بأن يجتمعوا بأسرهم ويذهبوا الى ساحل السبكية للمحافظة عليها من وصول الأخصام اليها ، ولمنهم من تمعية البحر اليها ، لأنهم اذا حصلوا بها تعدى شرهم الى بلاد النوفية بأسرها . وأشيع عزم الباشا على الركوب بنفسه وذهابه الى تلك الجهة ، ويكون سيره على طريق القليوبية ويلحق بهم . وكنتخدا بيك وطاهر باشا يسيران على الساحل الغربى تجاههم . ثم بطل ذلك وأرسل الى حسن باشا سر ششمه بأن يحضر عن معه من العسكر من عند حسن باشا طاهر من ناحية بنى سويف ، وكذلك عساكر « كور يوسف » الذى قتل فى المعركة كما ذكر .

وفى ذلك اليوم : وصل رسول أيضا من عند الألفى بمكاتبات ، واجتمع بالسيد عمر النقيب . والمكاتبات خطاب له ولبقية المشايخ وللباشا ولسميد أغا دار السعادة وصالح بيك القابجى معنى ماتقدم ، صحبة احمد أبى ذهب العطار . فكتبوا له جوابا بالمعنى الأول ، وأعادوا الرسول ، وأصحابوه ببعض المتعمين ، وهو السيد أحمد الشتيوى — ناظر جامع الباسطية — وكل ذلك أمور صورية وملاعبات من الطرفين لاحقيقة لها .

٢٥ منه (١٤ ابريل ١٨٠٦ م) :

قال لهم : « وما الفائدة في مكثي معكم ؟ دعوني اذهب الى الباشا ، وأسعى في مطلوبكم » . ولم يزل حتى تخلص منهم ، وعدي الى مصر ، ولم يرجع اليهم .

غايته (١٩ ابريل ١٨٠٦ م) :

وصلت عساكر الدلاة الذين كانوا بناحية بنى سويف والقيوم الى بر انبابة ، وضربوا لهم مدافع لوصولهم .

وفيه : أرسل كبار العسكر الذين بناحية منوف مكاتبة الى الباشا ، يذكرون أن العساكر يطلبون مرتبات لحم وأرز وسمن . فانهم لا يحاربون ولا يقاتلون بالجوع .

وفي هذه الأيام : وصل الكثير من العساكر القبلية ، ودخلوا البلدة وكثروا بها .

وفيها أيضا : وصلت الأخبار من الديار الحجازية بمسألة الشريف غالب للوهابيين ، وذلك لشدة ما حصل لهم من المضايقة الشديدة ، وقطع الجالب عنهم من كل ناحية .. حتى وصل ثمن الأردب المصرى من الأرز خمسمائة ريال ، والأردب البر ثلثمائة وعشرة . وقس على ذلك السمن والعسل ، وغير ذلك . فلم يسع الشريف الا مسالمتهم ، والدخول في طاعتهم ، وسلوك طريقتهم ، وأخذ العهد على دعائهم وكبيرهم بداخل الكعبة . وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها ، وشرب الأراجيل بالتنباك في المسعى وبين الصفا والمروى ، وبالملازمة على الصلوات في الجماعة وذقع الزكاة ، وترك لبس الحرير والمقصبات ، وإبطال المكوس والمظالم

وكانوا خرجوا عن الحدود في ذلك . حتى أن الميت يأخذون عليه خمسة فراسة وعشرة بحسب حاله . وان لم يدفع أهله القدر الذى يتقرر عليه ، فلا يقدررون على رفعه ودفنه ، ولا يتقرب اليه الغاسل ليغسله حتى يأتيه الاذن .. وغير ذلك من

وصل الجماعة المذكورون الذين استندعاهم الباشا بعساكرهم ، وخلع الباشا على أحد كبارهم عوضا عن « كور يوسف » المقتول .

وفيه : وصل الخير بأن طائفة من الأجناد المصرية ، ومن يصحبهم من العربان ، عدوا الى بر السبكية ، ولم ينعمهم المحافظون ، بل هربوا من وجوههم . فأمر الباشا بسفر العساكر وطلب دراهم سلفة من الأعيان لأجل نفقة العساكر ، وفرضوا على البلاد ثلاثة آلاف كيس . ويكون على العال منها مائة ألف فضة ، وفيها الأوسط والدون .

٢٧ منه (١٦ ابريل ١٨٠٦ م) :

نودى في الأسواق بخروج العساكر .

٢٩ منه (١٨ ابريل ١٨٠٦ م) :

سافر طاهر باشا الى منوف على جرائد الخيل ، وسافر بعده كتخداه بالحملة ، واحتاجوا الى جمال ، فأخذوا جمال السقاين والشواغرية .

وفيه : حضر عمر بيك الأرثوودى من ناحية بنى سويف ، وأخبر الواردون من الناحية أن رجب أغا وطائفة من العسكر خامروا عليه ، وانضموا الى الأمراء القبليين — وهم نحو الستائة — فعند ذلك حضر عمر بيك المذكور في تطريده ليبرىء نفسه من ذلك .

وحضر أيضا محو كبير العسكر المحاصرين بالمنية يطلب علوفة للعسكر .

وفيه : أراد كتخداه بيك — وهو المعروف بدبوس أوغلي — أن يركب من انبابة ، وحمل أحماله ليسير الى جهة بحرى . فثارت عليه العسكر ، وطالبوه بعلائقهم ، وسفهاوا عليه ، ومنعوه من الركوب . فأراد التعدة الى بر بولاق ، فمنعوه أيضا ، وجذبوا لحيته . فأقام يومه وليته ، ثم

أصناف الخلائق ، واختلاط النساء بالرجال ...
وباقى الأشياء التى فيها شركة المخلوقين مع الخالق
فى توحيد الألوهية التى بعثت الرسل الى مقاتلة
من خالفها ، ليكون الدين كله لله . فعاهده على منع
ذلك ، وعلى هدم القباب المبنية على القبور
والأضرحة ، لأنها من الأمور المحدثه التى لم تكن
فى عهده .. بعد المناظرة مع علماء تلك الناحية ،
واقامة الحجة عليهم بالأدلة القطعية التى لا تقبل
التأويل من الكتاب والسنة ، واذعانهم لذلك .

فعند ذلك أمنت السبل ، وسلكت الطرق بين
مكة والمدينة ، وبين مكة وجدة والطائف ، واتحلت
الأسعار ، وكثر وجود المطعومات وما يجلبه عربان
الشرق الى الحرمين من الغلال والأغنام والأسمان
والأعسال ... حتى بيع الأردب من الحنطة بأربعة
ريال .

واستمر الشريف غالب يأخذ العشور من التجار ،
وإذا فوَّقش فى ذلك يقول : « هؤلاء مشركون ،
وأنا آخذ من المشركين لا من الموحدين » !

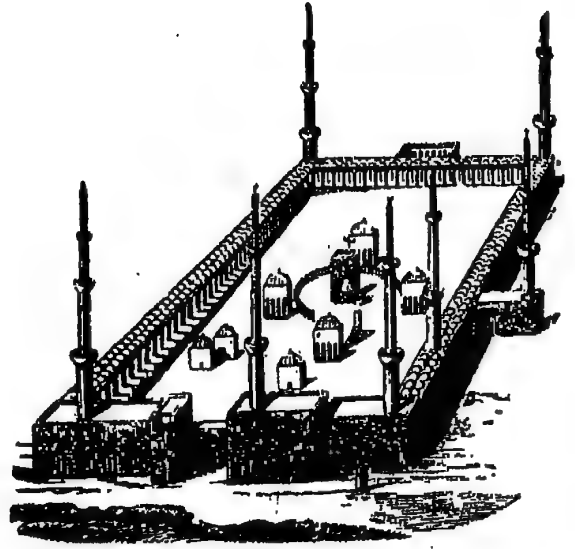
صفر

الأحد غرته (٢٠ ابريل ١٨٠٦ م)

سافر محويك الى جهة المنية .

وفيه : ورد من اسلامبول شخص قابجى ، وعلى
يديه مرسومات بالجبارك وغيرها . ومنها : ضبط
ترك الموتى المقتولين والمقبورين ، وكذلك تركه
السيد أحمد المحرقى وآخر يسمى الشريف محمد
البرلى ... والقصد تحصيل الدراهم بأى حجة
كانت . ووصل أيضا آخر متعين لجمرك الاسكندرية
وأخر لدمياط ولرشيد أيضا .

وفيه : عزم الباشا على السفر لمحاربة الألفى ،
وأشيع عنه ذلك ، وأنزلوا مدافع من القلعة
وجيخانة وآلات حربية .



الكعبة الشريفة

البدع والمكوس والمظالم التى أحدثوها على
المبيعات والمشتروات ، على البائع والمشتري ،
ومصادرات الناس فى أموالهم ودورهم . فيكون
الشخص من سائر الناس جالسا بداره ، فما يشعر
على حين غفلة منه الا والأعوان يأمرونه باخلاء
الدار وخروجه منها ، ويقولون : « ان سيد الجميع
محتاج اليها » . فاما أن يخرج منها جملة وتصير
من أملاك الشريف ، واما أن يصلح عليها بمقدار
ثمنها أو أقل أو أكثر !

فعاهده على ترك ذلك كله ، واتباع ما أمر الله
تعالى به ، فى كتابه العزيز ، من اخلاص التوحيد
لله وحده ، واتباع سنة الرسول عليه الصلاة
والسلام ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة
والتابعون ، والأئمة المجتهدون .. الى آخر القرن
الثالث . وترك ما حدث فى الناس من الالتجاء لغير
الله من المخلوقين ، الأحياء والأموات ، فى الشدائد
والمهمات ، وما أحدثوه من بناء القباب على القبور
والتصاوير والزخارف ، وتقييل الأعتاب والخضوع
والتذلل ، والمناداة والطواف ، والنذور والذبح
والقربان ، وعمل الأعياد والمواسم لها . واجتماع

الأربعاء ٤ منه (٢٣ أبريل ١٨٠٦ م) :

وفيه : فرضوا أيضا على البلاد غلال قمح وفول وشعير : كل بلد عشرون أردبا فما فوقها وما دونها . وهذه ثالث فرضة ابتدعت من الغلال على البلاد في هذه الدولة !

وفيه ورد الخبر بأن الألفى توجه الى ناحية دمنهور البحيرة يوم الأربعاء رابعة وانهم امتنعوا عليه . فحاصروهم لأنهم استعدوا لذلك .. والبلد منضافة الى السيد عمر النقيب . فكان يرسل اليهم ويحذرهم منه ، ويرسل اليهم ويمدهم بالآت الحرب والبارود ، ويحرضهم على الاستعداد للحرب . فحصنوا البلدة وبنوا سورها ، وجعلوا فيها أبراجا وبدنات ، وركبوا عليها المدافع الكثيرة ، وأحضروا لهم ما يحتاجون اليه من الذخيرة والجبجينة وما يكفيهم سنة . وحفروا حولها خنادق . وهى فى موقعها مرتفعة .

وفيه : عزل الباشا محمد أغا كتحدا بيك من كتحدايته ، بسبب أمور تقمها عليه ، وحجبه وطلب منه ألف كيس ، وقلد فى الكتحداية خازن داره ، وهو المعروف بدبوس أوغلى .

الأحد ١٥ منه (٤ مايو ١٨٠٦ م) :

عدى صارى عسكر الى بر انبابة بوطاقه ، وهو دبوس أوغلى الكتحدا المذكور ، وذلك فى أواخر النهار . وضربوا مدافع كثيرة لتعديته . وأخذ العسكر فى تشهيل أمورهم ولوازمهم ، وأنفق عليهم الباشا نفقة . هذا والطلب والتوزيع بالأكياس مستمر لا ينقطع عن أعيان الناس والتجار ، والأفندية الكتبة ، وجماعة الضربخانة والمتزيمين بالجمارك ، وكل من كان له أدنى علاقة ، أو خدمة أو تجارة أو صنعة ظاهرة ، أو فائظ أو له شهرة قديمة ، أو من مساتير الناس .. وغالب الأحيان المحصل لذلك والقاضى فيه السيد عمر أفندى النقيب . وقد حكمت عليه الصورة

قوى عزمه على ذلك . وأشيع أنه مسافر يوم السبت ، وأشار على السيد عمر أفندى النقيب بأن ينوب عنه ، ويكون قائما مقامه فى الأحكام مدة غيابه : فلم يقبل السيد عمر ذلك وامتنع ، ثم فترت همته عن ذلك ، وتبين أنها اتهامات لا أصل لها .

الخميس ٥ منه (٢٤ أبريل ١٨٠٦ م) :

أرسل الباشا الى الخانات والوكائل أعوالا ، فختموا على حواصل التجار بما فى داخلها من البن والبهار ، وذلك بعد أن أمنهم وقبض منهم عشورها ومكوسها بالسويس . فلما وصلت القافلة ، واستقرت البضائع بالحواصل ، فعل بهم ذلك . ثم صالحوا وأفرج عنهم !

وفيه : ورد الخبر بأن الألفى ارتحل من ناحية الجسر الأسود والظرانة ، وقصد جهة البحيرة .

السبت ٧ منه (٢٦ أبريل ١٨٠٦ م) :

ركب صالح أغا قابجى باشا ، ونزل الى بولاق لیسافر الى الديار الرومية . فركب لوداعه الباشا وسعيد أغا والسيد عمر النقيب ، فشيعوه الى بولاق حتى نزل الى المراكب ، وخلق عليه الباشا فروة سمور مثمرة بعد أن وفاه خدمته وهاداه بهدايا ، وأصبح معه هدايا للدولة وأربابها ، وعرفه بقضايا وأغراض يتممها له هناك ، وودعوه ورجعوا الى بيوتهم بعد الغروب .

الثلاثاء ١٠ منه (٢٩ أبريل ١٨٠٦ م) :

سافر صالح أغا السلحدار الى جهة بحرى على طريق المنوفية ، وصحبته عساكر ، وقرروا له مقادير من الأكياس : على كل بلد من البلاد الرائجة عشرون كيسا فما فوقها وما دونها ، ومن كل صنف مقادير أيضا .

التي ظهر فيها ، وانعكس الحال والوضع ، وساءت
الظنون . والأمر لله وحده !

الخميس ١٩ منه (٨ مايو ١٨٠٦ م)

ارتحل عرضى التجربة من انسابه ، وذهبوا
الى جهة الوراق .

وفي هذه الأيام : كان بسين مشايخ العلم
منافسات ومنافرات ومحامدات — وذلك من
أوائل شهر رمضان — وتعصبات بسبب مشيخة
الجامع ونظر أوقافه وأوقاف عبد الرحمن كتحدا .
فاتفق أن الشيخ عبد الرحمن السجيني ابن الشيخ
عبد الرؤف عمل وليمة ودعاهم اليها ، فاجتمعوا
في ذلك اليوم وتصالحوها في الظاهر .

الاثنين ٢٣ منه (١٢ مايو ١٨٠٦ م) :

هبت رياح جنوبية حارة ، واثارت غبارا وزوابع
ولواقع . ثم غيمت السماء غيما متقطعا ، وأرعدت
وأمرت . فكان الغبار والزوابع...والشمس طالعة
والطر نازل ، وذلك بعد العصر . وحصل مثل ذلك
أيضا في يوم الثلاثاء .. ولكن بعد الظهر .

الثلاثاء ٢٤ منه (١٣ مايو ١٨٠٦ م) :

وفي تلك الليلة ، بعد الغروب ، أخرج الباشا
محمد أفندي المنفصل عن الكتخداية منيا الى
جهة دباط ، وأصبح معه عدة من العسكر
ذهبرا به من طريق البر .

وفي آخره : رجعت عساكر من الأرثوود ،
وكانوا كثيرين ، ونزلوا ببولاق ومصر القديمة .
وغالبهم الذين كانوا بصحبة حسن باشا طاهر ،
وأخيه عابدين بك . وسبب رجوعهم أنهم طلبوا
علائقهم من حسن باشا — وكان قد ظهر له فيهم
المحاربة عليه وميلهم الى الأخصام — فامتنع من دفع
علائقهم وقال لهم : « اذهبوا الى مصر ، واطلبوا

علائقكم من الباشا » . وأرسل اليه يعرفه بحالهم
وتفاهم . فلما ترأسوا في الحضور ، معهم الباشا
من الدخول الى البلد ، ووعدهم بإيصال علائقهم
اليهم وهم خارج المدينة ، وبعد أن يقبضوا مالهم
يعودون الى مراتبهم كما كانوا . فأقاموا بناحية
بولاق .

وأرسل الباشا فجمع عربان الحويطات والمائد
وغيرهم ، فأقاموا بناحية شبرا ومنية السرج ،
وهم جملة كبيرة ... استمروا في تجمعهم أربعة
أيام . وأرسل الى الأجناد والجرجية وأشالهم
المقيمين بمصر ، وأمر بأن يتهياؤا ويقضوا أشغالهم
ويخرجوا صحبة حسن أغا الشامشيرجي . فن
كان منهم ذا مقدرة ، وعندده حسان يركبه ،
أو جمل يحمل عليه متاعه ، خرج بنفسه ، والا
أخرج بدلا عنه وأعطاه مصروفه واحتياجاته
ولوازمه . وبرزوا الى خارج .

ثم أرسل الى العساكر المذكورين
يأمر كبارهم بالسفر الى بلادهم . فامتنوا وقالوا :
« لانسافر حتى نقبض المنكر لنا من علائقنا »
فعند ذلك دس الى أصاغهم من خدعهم واستمالهم
حتى تفرقوا في خدمة المستوطنين ، ولم يبق مع
كبارهم المعاندين الا القليل . فلم يسمع بعد ذلك
الا الامتثال .

في غايته (١٨ مايو ١٨٠٦ م) :

ارتحلوا من بولاق ، وسافر معهم الشامشيرجي
المذكور ومن بصحبته من المصريين ، وحولهم
العربان ، وساروا على طريق دمياط — وهم اثنان
وخسون شخصا من كبار طائفة الأرثوود —
وحصل من العرب في مدة تجمعهم ما لا خير فيه ،
وكذلك في مدة اقامتهم .. من الخطف والتعرية
وقطع الطريق على المسافرين .

حصل رعد كثير وبرق بين المغرب والعشاء بدون مطر ، والغيم قليل متقطع . وذلك سابع عشر بشنس ، وثاني عشر آيار ، والشمس في ثالث درجة من برج الجوزاء ، وذلك من النوادر في مثل هذا الوقت .

وفيه : ضربوا مدافع من القلعة لبشارة وردت من الجهة القبلىة ... وذلك أن رجب أغا وياسين بيك اللذين انضموا الى الأمراء المصرية القبلين عملا متاريس بحرى المنية لينمنا من يصل اليها من مراكب الذخيرة . فلما سافر محو بيك بمراكب الذخيرة ووصل الى حسن باشا طاهر بنى سويف ، أصبح معه عابدين بيك وعدة من العسكر في عدة مراكب . فلما وصلوا الى محل المتاريس تراموا بالمدافع والرصاص ، واقتحموا المرور ، وساعدهم الريح فخلصوا الى المنية ، وطلعوا اليها ، ودخلها عابدين بيك . وقتل فيما بينهم أشخاص ، وأرسلوا بذلك المبشرين ، فأخبروا بذلك وبالغوا في الأخبار ، وأن ياسين بيك قتل هو وخلافه ، ورأسه واصله مع رؤوس كثيرة . فعملوا لذلك شنكا ، وضربت مدافع كثيرة . ولم يكن لقتل ياسين بيك صحة . ثم وصل محو بيك وابن وافي وقد نزلا في شكترية لها عدة مقاديف ودفعوا في قوة التيار حتى وصلوا الى مصر ، ولم يصل معهم رؤوس كما أخبر المبشرون .

وفيه : قرر فرضة على البلاد ، وهى دراهم وغلل . وعينوا لذلك كاشفا ، فسافر ومعه عدة من العسكر وصحبتهم ثقاير . وسافر أيضا خازندار الباشا وصحبته على جلبى — وهو ابن أحمد كتحدا على ... قلده الباشا كشوفية شرقية بليس — وأخذ صحبته أكثر رفقائه وأصحابه

من أولاد البلد ، فسافروا على حين غفلة الى ناحية الدهلية .

١٠ منه (٢٨ مايو ١٨٠٦ م) :

وصلت الأخبار بأن الألفى ارتحل من البحيرة ورجع الى ناحية وردان ، وعدى من جيشه وعربانه طائفة الى جزيرة السبكية ، وهرب من كان مرابطا فيها من الأجناد المصرية وغيرهم ، وطلبوا من أهالى السبكية دراهم وغللا ، وفر غالب أهلها منها وجلوا عنها ، وتفرقوا في بلاد المنوفية .

١٢ منه (٣٠ مايو ١٨٠٦ م) :

عمل المولد النبوى ، ونصبوا بالازبكيسة صوارى تجاه بيت الباشا والشيخ محمد سعيد البكرى ... وقد سكن بدار مظلة على البركة داخل درب عبد الحق ، وأقام هناك لىالى المولد اظهرا لبعض الرسوم .

وفيه : علقوا تسعة رؤوس على السيل للمواجه لباب زويلة ... ذكروا انها من قتلى دمنهور ، وهى رؤوس مجهولة . ووضعوا بجانبهم يرقين ملطخين بالدماء .

وفيه : طلب الباشا دراهم سلفة من الملتزمين والتجار وغيرهم ، بموجب دفتر أحمد باشا خورشيد ، الذى كان قبضها في عام أول — قبل القومة والحراية — فعينوا مقاديرها ، وعينوا بطلبها المعينين بالطلب الحثيث من غير مهلة . ومن لم يجدوه ، بأن كان غائبا أو متغيبا ، دخلوا داره ، وطلبوا أهله أو جاره أو شريكه . فضاقت ذرع الناس ، وذهبوا أفواجا الى السيد عمر أفندى النقيب . فيتضرع ويتأسف ويتقلق ، ويهون عليهم الأمر ، وربما سعى في التخفيف عن البعض بقدر الامكان ... وقد تورط في الدعوى ١



مراكب المعاشات

لقلة المراكب ، وجفاف البحر الغربي ، والخوف من السلوك فيه من قطاع الطريق والعربان . فكانت المراكب المعاشات التي تأتي بالسفار وبضائع التجار ، يأتون بشحناتهم الى حد السد ومحل العمل والشغل ... فيرمون هناك ثم ينقلون ما بها من الشحنة والبضائع الى البر ، وينقلونها الى السفن والقوارب التي تنقل الأحجار ، ويأتون بها الى ساحل بولاق ، فيخرجون ما فيها الى البر ، وتذهب تلك السفن والقوارب الى أشغالها في نقل الحجر . ولا يخفى ما يحصل في البضائع من الاتلاف والضياع والسرقة وزيادة الكلف والأجر ، وغير ذلك ... وطال أمد هذا الأمر .

اواخره (حوالى منتصف يونية ١٨٠٦ م) :
نزل الباشا للكشف على التركة ، فغاب يومين وليلتين ، ثم عاد الى مصر .

ربيع الآخر

فيه : وردت سعاة من الاسكندرية ، وأخبروا بورود أربع مراكب وفيها عساكر من النظام الجديد وصحبهم ططريات وبعض أشخاص من الانكليز . ومعهم مكاتبة خطابا الى الألفى ، وبشارة بالرضا والعفو للأمراء المصرية من الدولة بشفاعة الانكليز .

وفيه : سافر السيد محمد المحرقى الى سد ترعة الفرعونية . وذلك أن التركة المذكورة لما اجتهد في سدها المصريون في سنة اثنتي عشرة ومائتين وألف ، كما تقدم ، انفتحت من محل آخر ينفذ الى ناحية التركة المسماة بالفيض ، وكان ذلك بإشارة أيوب بيك الصغير لعدم انقطاع الماء عن رى بلاده ، فتهورت أيضا هذه الناحية واتسعت وقوى اندفاع الماء اليها في مدة هذه السنين ... حتى جف البحر الغربى والشرقى ، وتغير ماء النيل في الناحية الشرقية ، وظهرت فيه الملوحة من حدود المنصورة ، وتعطلت مزارع الأرز ، وشرقت بلاد البحر الشرقى ، وشربوا الأجاج ومياه الآبار والسواقي ... وكثر تشكى أهالى البلاد ، فحصل العزم على سدها في هذا العام ، وتقييد بذلك السيد محمد المحرقى وذو الفقار كخددا . وطلبوا المراكب لنقل الأحجار من الجبل ، وذهب ذو الفقار الى جهة السد وجمع العمال والفلاحين ، وسيقت اليه المراكب المملوءة بالأحجار من أول شهر صفر الى وقت تاريخه . وجبوا الأموال من البلاد لأجل النفقة على ذلك . ثم سافر السيد المحرقى أيضا وبذل جهده . ورموا بها من الأحجار ما يضيق به الفضاء من الكثرة . وتعطل بسبب ذلك المسافرون

أرسل إلى الأمراء القبلين يستدعى منهم بعض عقلائهم ، مثل : أحمد أغا شويكار ، وسليم أغا مستحفظان ، ليتشاور معهم في الأمر . فلم يجب واحد منهم إلى الحضور . ثم اتفقوا على إرسال أحمد كاشف لكونه ليس معادودا من أفرادهم ، وبينه وبين الباشا نسب — لأن ربيته تحت حسن الشماشيرجي — فحضر واختلى به الباشا مرارا ، ثم أمره بالعود . فسافر في يوم الثلاثاء رابع عشره وأصبح معه هدية إلى إبراهيم بيسك والبرديسي وعثمان بيك حسن ، وغيرهم من الأمراء ، وهي عدد خيول وقلايعات وثياب وأمتعة وغير ذلك .

وفيه : قبض الباشا على إبراهيم أغا الوالي وحبسه مع أبواب الجرائم . وسبب ذلك : أن البضاصين شاهدوا حولا فيها ثياب من ملابس الأجناد أعدها بعض تجار النصارى ليرسلها إلى جهة قبلى ، لتباع على أجناد الأمراء المصريين ومماليكهم ويبيع فيها . وسئل حاملون لها ، فأخبروا أن أربابها فعلوا ذلك بإطلاع الوالي المذكور على مصلحة أخذها منهم . ووصل خبر ذلك إلى الباشا ، فأحضره ، وقبض عليه وحبسه ، ثم أطلقه بعد أيام على مصلحة تفررت عليه بشفاعه امرأة من القهارة المتقرين ١ وعاد إلى منصبه ، وأخذت البضاعة ، وضاعت على أصحابها ، وغرموهم زيادة على ذلك غرامة ، وكذلك اتهم الذي حجزها بأنه اختلس منها أشياء وحبس وأخذت منه مصلحة ١ فتحصل من هذه القضية جملة من المال ، مع أنها في خلال المراسلة والمهاداة . ونودى بعد ذلك بأن من أراد أن يرسل شيئا أو متجرا ، ولو إلى السويس ، فليستأذن على ذلك ويأخذ به ورقة من باب الباشا ، فإن لم يفعل وضاع عليه ... فاللوم عليه .

الثلاثاء ١٤ منه (أول يولية ١٨٠٦ م) :

ورد ساعى ، وصحبته مكتوب من حاكم

فلما وصلوا إليه بناحية حوش ابن عيسى بالبحيرة ، مر بقدمهم ، وعمل لهم شنكا ، وضرب لهم مدافع كثيرة ، ثم شملهم وأرسلهم إلى الأمراء القبلين ، وصحبتهم أحد صناعته — وهو أمين بيك — ومحمد كاشف تابع إبراهيم بيك الكبير . ثم أنه أرسل عدة مكاتبات بذلك الخبر إلى المشايخ وغيرهم بمصر ، وكذلك إلى مشايخ العربا ، مثل : الحويطات والعائد وشيخ الجزيرة وباقي المشاهير فأحضر بن شديد وابن شعير الأوراق التي أتتهم من الألفى إلى الباشا وفيها : « ونعلمكم أن محمد على باشا ربما ارتحل إلى ناحية السويس ، فلا تحملوا أقاله . وإن فعلتم ذلك فلا تقبل لكم عذرا » . ولما سمع الباشا ذلك قال : « انه مجنون وكذاب » . وفيه : فتح الباشا الطلب بفاظط البلاد والخصص من الملتزمين والفلاحين ، وأمر الروزنامجى وطائفته بتحرير ذلك عن السنة القابلة . فبضج الملتزمون وترددوا إلى السيد عمر النقيب ، والمشايخ ... فخطبوا الباشا . فاعتذر إليهم باحتياج الحال والمصاريف . ثم استقر الحال على قبض ثلاثة أرباعه : النصف على الملتزمين ، والربع على الفلاحين . وأن يحسب الريال في القبض منهم بثلاثة وثمانين نصفا ، ويقبضه باثنين وتسعين . وعلى كل مائة ريال خمسة أنصاف حق طريق ، سواء كان القبض من الملتزم عن حصته في المهر ، أو بيد المعينين من طرف الكاشف في الناحية ، وإذا كان التوجيه بالطلب من كاشف الناحية كانت أشنع في التعريم والكلف ... لترادف الإرسال ، وتكرار حق الطريق ١

الاثنين ٦ منه (٢٣ يونية ١٨٠٦ م)

حضر أحمد كاشف سليم من الجهة القبلية .

وسبب حضوره : أن الباشا لما بلغته هذه الأخبار ،

الأسكندرية خطابا الى الدفتردار ، يخبره بوصول
قبطان باشا الى الثغر ، وفي أثره واصل باشا
متولى على مصر ، واسمه موسى باشا ، وصحبته
مراكب بها عساكر من الصنف الذى يسمى النظام
الجديد .

وكان ورود القبطان الى الثغر ليلة الجمعة
عاشره . وطمعوا الى البر بالاسكندرية يوم السبت
حادى عشره .

فلما قرأ الدفتردار الورقة ، أرسل الى السيد
عبر النقيب ، فحضر اليه ، وركب صحبته للباشا ،
واختليا معه ساعة .. ثم فارقه .

ولما بلغ الألفى ورود هذه الدونامة ، وحضرت
اليه المبشرون — وهو بالبحيرة — امتلا فرحا ،
وأرسل عدة مكاتبات الى مصر صحبة السعاة .
فتقبضوا على السعاة ، وحضروا بهم الى الباشا ...
فأخفاها ، ووصل غيرها الى أربابها على غريد السعاة ،
وصورتها : الاخبار بحضور الدونامة صحبة قبطان
باشا والنظام الجديد وولاية موسى باشا على مصر ،
وانفصال محمد على باشا عن الولاية . وأن مولانا
السلطان عفا عن الأمراء المصريين ، وأن يكونوا
كعاداتهم فى اماره مصر وأحكامها ، والباشا المتولى
يستقر بالقلعة كعادته ، وأن محمد على باشا يخرج
من مصر ويتوجه الى ولايته التى تقلدها — وهى
ولاية سلانيك — وأن حضرة قبطان باشا أرسل
يستدعى اخواننا الأمراء من ناحية قبلى . فالله
يسهل بحضورهم ... فتكونوا مطمئنين الخاطر ،
وأعلموا اخوانكم من الأولدشات والرعية بأن
يضبطوا أنفسهم ويكونوا مع العلماء فى الطاعة .
وما بعد ذلك الا الراحة والخير والسلام .

الجمعة ١٧ منه (٤ يولية ١٨٠٦ م) :

ورد قاصد من طرف قبودان باشا الى بولاق ،
فأرسل اليه الباشا من قابله وأركبه وحضر به الى

بيت الباشا . وأراد أن ينزله بمنزل الدفتردار ،
فاستعفى الدفتردار من نزوله عنده ، فانزلوه بيت
الروزنامجى ، وأقام يوم السبت والأحد . ولم
يظهر ما دار بينهما . ثم سافر فى يوم الاثنين ،
وذهب صحبته سليم ، المعروف « بقبلى لركضى » .

وشرع الباشا فى عمل آلات حرب وجلل
ومدافع ، وجمعوا الحدادين بالقلعة ، وأصعدوا
بنبات كثيرة واحتياجات ومهمات الى القلعة . وظهر
منه علامات العصيان وعدم الامتثال ، وجمع اليه
كبار العسكر وشاورهم وتناجى معهم فوافقوه على
ذلك ، لأن ما من أحد منهم الأوصار له عدة بيوت
وزوجات والتزام بلاد وسيادة ... لم يتخيلا ، ولم
تخطر بذهنه ولا بفكره ، ولا يسهل به الانسلاخ
عنها والخروج منها .. ولو خرجت روحه !

وأخبر المخبرون : أن الألفى أرسل هدية الى
قبودان باشا ، وفيها ثلاثون حصانا : منها عشرة
برخوتها ، ومن الغنم أربعة آلاف رأس ، وجمل
أبقار وجواميس ، ومائة جمل محملة بالخيرة ،
وغير ذلك من النقود والثياب والأقمشة برسمه
ورسم كبار أتباعه .

ثم ان الباشا أحضر السيد عمر والخاصة وعرفهم
بصورة الأمر الوارد بعزله وولاية موسى باشا ،
وأن الأمراء المصريين أعرضوا للسلطنة فى طلب
العفو وعودهم الى امرياتهم ، وخروج العساكر التى
أفسدت الاقليم عن أرض مصر . وشرطوا على
أنفسهم القيام بخدمة الدولة والحرمين الشريفين
وارسال غلالها ، ودفع الخزينة وتأمين البلاد .
فحصل عنهم الرضا ، وأجيبوا الى سؤالهم على هذه
الشروط . وأن المشايخ والعلماء يتكفلون بهم ،
ويضمنون عهدهم بذلك ... فأعملوا فكرهم
ورأيكم فى ذلك . ثم انفصلوا من مجلسه .

وفيه : أرسل الباشا فجمع الأخشاب التى

وجدها ببولاق في الثوادر والحواصل والوكائل ،
وطلموا جميع ذلك الى القلعة لمعمل العربات والمعمل
برسم المدافع والقناير .

الثلاثاء ٢١ منه (٨ يولية ١٨٠٦ م) :

كان مولد المشهد الحسيني المعتاد ، وحضر الباشا
لزياره المشهد . ودعاه شيخ السادات — وهو
الناظر على المشهد والتقيد لمعمل ذلك — فدخل
اليه وتغدى عنده ، ثم ركب وعاد الى داره . وأكثر
من الركوب والطواف بشوارع المدينة والطلوع
الى القلعة ، والنزول منها ، والذهاب الى بولاق
وهو لابس برنسا .

الخميس ٢٣ منه (١٠ يولية ١٨٠٦ م)

حضر ديوان أفندي وعبد الله أغا بكتاش الترجمان
عند السيد عمر ، ومعهما صورة عرض يكتب عن
لسان المشايخ الى الدولة ... في شأن هذه الحادثة .
فتناجوا مع بعضهم حصّة من النهار ، ثم ركبا
وحضرا في ثاني يوم عند الشيخ عبد الله الشرقاوي ،
وأمروا المشايخ بتنظيم العرض حال وترصيعه ،
ووضع أسبائهم وختمهم عليه ، ليرسله الباشا الى
الدولة ... فلم تسهم المخالفة ، ونظموا صورته ،
ثم بيضوه في كاغد كبير ، وصورته بالحرف :

« بسم الله الرحمن الرحيم ، الرؤوف الحليم ،
الحمد لله ذي الجلال على جميع الشئون والأحوال .
فرغ اليك أكفا من بحر جودك مغترفة ، وتتوجه
الى كعبة فضلك بقلوب بخالص الوجدانية معترفة ،
أن تديم بهجة الزمان ، وروث غشوان اليمن
والأمان ... بدوام وزير تخضع لمهابته الرقاب ،
وتدنو لهمة سطوته المهمات الصعاب ... منتهى آمال
المقاصد والوسائل ، ومحط رحال المطالب من كل
سائل : حضرة صدر الصدور ، ومدير مهمات
الأمر ... الصدر الأعظم محمد علي باشا . أدام

الله دعائم العز بقسامه ، وفسح للأنام في أيامه ،
محقوقا بعناية الرب الكريم ، محضوظا بآيات
القرآن العظيم .. آمين

« أما بعد رفع القصد والرجاء ، ومد سواعد
الخضوع والاتجاه ، فاننا ننهي لمسامعكم العلية :
وشيم أخلاقكم المرضية : بأنه قد قدم حضرة
الدستور المكرم ، والمشير المفخم ، مدير مهمات
الاسكالات البحرية ، خادم الدولة العلية ، الوزير
قبودان باشا الى ثغر سكندرية . فأرسل كتبه
البوابين سعيد أغا ... وصحبته الأمر الشريف ،
الواجب القبول والتشريف ، المعنون بالرسم
الهمايوني العالي ... دامت مسراته على مير
الدهور والأعوام والأيام والليالي . فأوضح
مكنونه ، وأفصح مضمونه : بأنه قد تناولت
العناوة بين الوزير محمد علي باشا وبين الأمراء
المصريين . فتعطلت مهمات الحرمين الشريفين من
غلال ومرتبات ، وتنظيم أمير الحج على حكم
سوابق العادات ..

« والحال .. أنه ينبغي تقديم ذلك على سائر
المطلوبات ، وأن هذا التأخير سببه كثرة العساكر
والعلوفات ، وترتب على ذلك لكامل الرعية بالأقاليم
المصرية الدمار والاضمحلال ، وأنهت الأمراء المصرية
هذه الكيفية لحضرة البسدة السنية ، وأنهم يتعهدون
بالتزام جميع مرتبات الحرمين الشريفين من غلال
وعوائد ومهمات ، وإخراج أمير الحج على حكم
أسلوب المتقدمين ... مع الامتثال لكامل ما يرد من
الأوامر الشريفة الى ولاية الأمور بالديار المصرية ،
وأنهم يقومون في كل سنة بدفع الأموال الميرية الى
خزينة الدولة العلية .. ان حصل لهم العفو عن
جرائنهم الماضية ، والرضا بدخولهم مصر المحمية .
« والتمسوا من حضرة الدولة العلية قبول ذلك
منهم ، وبلوغهم مأمولهم . فأصدرتهم لهم الأمر



.. في مولد الحسين

لنا على ذلك .. لما تقدم من الأفعال الشهيرة ،
والأحوال والتطورات الكثيرة ، التي منها خيانة
المرحوم السيد على باشا — والى مصر سابقا —
بعد واقعة ميرميران طاهر باشا ، وقتل الحجاج
القادمين من البلاد الرومية ، وسلب الأموال بغير
أوجه شرعية !

« والصغير لا يسمع كلام الكبير ، والكبير
لا يستطيع تنفيذ الأمر على الصغير . وغير ذلك مما
هو معلومنا وبمشاهدتنا . خصوصا ما وقع في العام
الماضي من اقدامهم على مصر المحمية ، وهجومهم
عليها في وقت الفجرية . فجلاهم عنها حضرة المشار
اليه ، وقتل منهم جملة كثيرة ، فكانت واقعة
شهيذة ... فهذا شيء لا ينكر . فحيث لا يمكننا

الهمايونى الشريف ، المطاع المنيف ، بعزل الوزير
المشار اليه ، لتقرير العداوة معه . ووجهتم له ولاية
سلانيك ، ووجهتم ولاية مصر الى الوزير موسى
باشا ، وقبلتم توبتهم .

« وأن العلماء والوجاقلية ، والرؤساء والوجهاء
بالديار المصرية ، الداعين لحضرة مولانا الخنكار
يلوغ المأمولات المرضية .. ان تعهدوا بهم
وكفلوهم يحصل لهم المساعدة الكلية ، حكم
بالتماسهم من أعتاب حضرة الدولة العلية . فأمركم
مطاع ، وواجب القبول والاتباع .

« غير أننا نلتبس من شيم الأخلاق المرضية ،
والمراحم العلية ، العفو عن تعهدنا وكفالتنا لهم . فان
نرط الكفيل قدرته على المكفول ، ونحن لاقدرة

التكفل والتعهد ، لأننا لا نطلع على ما في السرائر ، وما هو مستكن في الضمائر .

« فترجو عدم المؤاخذه في الأمور التي لا قدرة لنا عليها ، لأننا لا تقدر على دفع المفسدين والطفاة والمتمردين الذين أهلكوا الرعايا ودمروهم ، فأنتم خلفاء الله على خليقته ، وأمناءه على بريته . »

« ونحن ممثلون لولاية أموركم في جميع ما هو موافق للشرعية المحمدية ، على حكم الأمر من رب البرية ، في قوله سبحانه وتعالى : « يا أيها الذين آمنوا أطعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم » فلا تسعنا المخالفة فيما يرضى الله ورسوله . فإن حصل منهم خلاف ذلك ، نكل الأمر فيهم إلى مالك الممالك لأن أهل مصر قوم ضعاف . وقال عليه الصلاة والسلام : « أهل مصر الجند الضعيف فبا كادهم أحد إلا كفاهم الله مؤنته » . وقال أيضا : « وكل راع مسئول عن رعيته يوم القيامة » .

« وتفيد أيضا حضرة المسمع العلية ، من خصوص القرض والسلف ، التي حصل منها الثقلة للأهالي ، من حضرة محسوبكم الوزير محمد علي باشا . فانه اضطر إليها لأجل اغراء العساكر وتقويتهم على دفع الأشقياء والمفسدين ، والطفاة المتمردين ... أمثالاً لأوامر الدولة العلية في دفعهم ، والخروج من حقهم . واجتهد في ذلك غاية الاجتهاد ، رغبة في حلول أنظار الدولة العلية

فالأمر مفوض إليكم ، وأللك أمانة الله تحت أيديكم . يسأل الله الكريم المنان ، أن يديم العز والامتنان ، لسدة السلطان ، مع رفعة تترشح بها في النفوس عظمته ، وسطوة تسرى بها في القلوب مهابته . وأن يبقى دولته على الأنام ، وأن يحسن البدء والختام بجاه سيدنا محمد خير البرية ، وآله وصحبه ذوى المناقب الوفية » .

وكتبوا من ذلك نسختين : أحدهما إلى

القبطان ، وأخرى إلى السلطان . وكتبوا عليهما الامضاء والختم وأرسلوهما .

الاثنين ٢٧ منه (١٤ يولية ١٨٠٦ م) :

وصل شاكرا أغا سلحدار الوزير إلى بولاق فتلقوه ، وأركبوه إلى بيت الباشا . فلما أصبح النهار ، أرسلوا أوراقا وصلت صحة السلحدار المذكور : أحداها خطاباً للمشايخ ، وأخرى إلى شيخ السادات ، وثالثة إلى السيد عمر النقيب ، وكلها على نسق واحد ، وهى من قبودان باشا ، وعليها الختم الكبير ، وهى بالعربى . وفرمان رابع — باللغة التركية — خطاباً للجميع . ومضمون الكل : الاجبار بعزل محمد علي باشا عن ولاية مصر وولايته سلايك ، وولاية الشيد موسى باشا المنفصل عنها — مصر ، وأن يكون الجميع تحت الطاعة والامتثال للأوامر ، والاجتهاد في المعاونة ، وتشهيل محمد علي باشا فيما يحتاج إليه من السفن ولوازم السفر ، ليتوجه هو وحسن باشا وإلى جرحا ، من طريق دمياط بالاعزاز والاكرام وصحبتهم جميع العساكر من غير تأخير ... حسب الأوامر السلطانية .

ثم انهم اجتمعوا في عصر ذلك اليوم بمنزل السيد عمر ، وركبوا إلى الباشا . فلما استقروا بالجلس . قال لهم : « وصلت اليكم المراسلات الواردة صحة السلحدار ؟ » ، قالوا : « نعم » . قال : « وما رأيكم في ذلك ؟ » . قال الشيخ الشرقاوى : « ليس لنا رأى .. والرأى ما تراه ، ونحن الجميع على رأيك ا » . فقال لهم : « في غد أبعث اليكم صورة تكتبونها في رد الحواب »

وأرسل إليهم من الغد صورة مضمونها : أن الأوامر الشريفة وصلت إلينا ، وتلقيناها بالطاعة والامتثال .. الا أن أهل مصر ورعيتها قوم ضعاف وربما عصت العساكر عن الخروج ، فيحصل لأهل

جمادى الأولى

الجمعة ٢ منه (١٨ يولية ١٨٠٦ م) :

احترق مغل البارود بناحية المدافع ، فحصل منه رجة عظيمة وصوت هائل ، مثل المدفع العظيم ، سمعه القريب والبعيد . ومات به عدة أشخاص . ويقال أنهم رموا بنبذة من القلعة ، بقصد التجربة على جهة بولاق . فسقطت في العمل المذكور ، وحصل ما ذكر .

السبت ٢ منه (١٩ يولية ١٨٠٦ م) :

في وقت الزوال ، ركب الباشا من داره يريد السفر لمحاربة الأتقى ، ونزل الى بولاق ، وعدى الى بر انبابة لتجهيز العرضى ، وأرسل أوراقا لتجمع العربان ، وعين لذلك حسن أغا محرم وعلى كاشف الشرقية .

الاثنين ٥ منه (٢١ يولية ١٨٠٦ م) :

حضر سليم أغا قابجي كتحدا — الذى تقدم سمره صحة سعيد أغا كتحدا البواين — مرسلا الى قبودان باشا من طرف محمد على باشا ، فرجع بجواب الرسالة ومحصلها : أن القبودان لم يقبل هذه الأعذار ، ولا مانقوه من التموهيات التى لا أصل لها ، ولا بد من تنفيذ الأوامر وسفر الباشا . ونزوله هو وحسن باشا وعساكرهما ، وخروجهم من مصر ، وذهابهم الى ناحية دمياط ، وسفرهم الى الجهة المأمورين بالذهاب اليها ، ولا شيء غير ذلك أبدا .

الخميس ٨ منه (٢٤ يولية ١٨٠٦ م) :

حضر على كاشف الشرقية ، وذلك أنه تقنطر من فوق جواده وكسرت رجله ، وأحضروه محمولاً .

وفيه : وصل الكثير من طوائف عرب الحويطات ،

البلدة الضرر وخراب الدور وهتك الحرمات . وأتم أهل للشفقة والرحمة والتلطف ... ونحو ذلك من التزيينات والتمويهات ، وأصدروها اليه .

وفي أثناء ذلك ... محمد على باشا أخذ في الاهتمام والتشهيل ، واطهار الحركة ، والخروج لمحاربة الأتقى ويرزت العساكر الى ناحية بولاق وخارج البلدة ، وعدوا بالخيام الى البر الغربى . وتقدم الى مشايخ العارات بالترغيف على كل من كان متصفا بالجندية . ويكتبوا أسماءهم ومحل سكنهم . ففعلوا ذلك .

ثم كتبت لهم أوراق بالأمر بالخروج ، وعليها ختم الباشا ، ومسطور في ورقة الأمر بأن المأمور يصبح معه شخصين أو ثلاثة ، على أن أكثرهم لا يملك حمارا يركبه ، ولا ما يحمل عليه متاعه ، ولا ما يصرفه على نفسه فضلا عن غيره . وكذلك أمر الوجاقلية جليلهم وحقيرهم بالخروج للمحاربة .

وفيه : شرع الباشا في تقرير فريضة على البلاد البحرية ، وهى : القليوبية والمنوفية والغربية والدقهلية ، والمزاحمتين الى آخر مجرى النيل . ورتبها أعلى وأدنى وأوسط ، وهى غلال : الأعلى ثلاثون أردبا ، وثلاثون رأسا من الغنم ، وأردب أرز ، وثلاثون رطلا من الجبن ومن السمن كذلك . وغير هذه الأصناف كالتبن والجلدة وغير ذلك . والأوسط : عشرون أردبا وما يتبعها مما ذكر والأدنى : اثنا عشر . ومع ذلك القبض والطلب مستمر في فائض الملتزمين : بعضه من ذواتهم ، وبعضه من فلاحهم ... مع ما يتبع ذلك من حق الطرق والخدم وتوالى الاستعجالات .

الثلاثاء ٢٨ منه (١٥ يولية ١٨٠٦ م) :

في ليلته سافر شاكر أغا السلحدار بالأجوبة .

ونصف حرام من ناحية شبرا الى بولاق . وضربوا
لحضورهم مدافع .

وفيه : ركب طوائف الدالاتية ، وتقدموا الى
جهة بحرى . وأشيع ركوب محمد على باشا ذلك
اليوم . فلم يركب .

الاثنين ١٢ منه (٢٨ يولية ١٨٠٦ م) :

ورد الخبر بوصول موسى باشا الى ثغر
مسكندرية يوم الأحد حادثى عشره . والمذكور
أرسل من طرفه قاصدا وعلى يده مرسوم خطابا
لأحمد أفندى الدفتردار بأن يكون قائما مقامه ،
ويأمره بضبط الايراد والمصرف . فلم يقبل الدفتردار
ذلك ، وقال : « لم يكن يسدى قبض ولا صرف ،
ولا علاقة لى بذلك » .

وفيه : وردت الأخبار بأن العساكر الكائنين
بالرحمانية ومرقص ، رجعوا الى النجيلة ، ونصرو
عرضيهم هناك . وحضر الألفى تجاههم . فركبوا
لمحاربته — وكانوا جمعا عظيما — فركب الألفى
بجيوشه وحاربهم . ووقع بينه وبينهم وقعة عظيمة
انجلت عن نصرته عليهم ، وانهمزاهم العسكر . وقتل
من الدلاة وغيرهم مقتلة عظيمة .

ولم يزالوا فى هزيمتهم الى البحر ، وألقوا
بأنفسهم فيه . وامتلا البحر من طراير الدالاتية .
وهرب كئخدا بيك وظاهر باشا الى بر المنوفية ،
وعدوا فى المراكب . واستولى الألفى وجيوشه على
خيولهم وخيامهم وحملاتهم وجباختهم ، وأرسل
برءوس القتلى والأسرى الى القبودان . وأشيع خبر
هذه الواقعة فى الناس وتحدثوا بها ، وانزعج الباشا
والعسكر انزعاجا عظيما ، وعدى الى بر بولاق .
وطاف الباشا وأصحاب الدرك ينادون على
العساكر بالخروج الى العرضى ، ويكتبوا أسماءهم .
وحضر الباشا الى داره ، وأكثر من الركوب
والذهاب والمجى والطواف حول المدينة

والشوارع ، ويذهب الى بولاق ومصر القديمة ،
ويرجع ليلا ونهارا وهو راكب رهوانا تارة أو فرسا
أو بغلة ، ومرتد بيرنس ابيض — مثل المغاربة —
والعسكر أمامه وخلفه .
ووصل مجاريح كثيرة ، وأخبروا بالواقعة
المذكورة .

ومات من جماعة الألفى : أحمد بيك الهنداوى
فقط ، وانجرح أمين بيك وغيره جرح سلامة .

الأحد ١٨ منه (٣ اقسطس ١٨٠٦ م) :

طافت جماعة قواسمة على ييوت الأعيان ،
ييشرونهم بأن العساكر الكائنين بناحية الرحمانية
ركبوا على عصى الألفى ، ووقعت بينهم مقتلة
كبيرة ، وقتلوا منه جملة فيهم أربع صناعق ، ونهبوا
منه زيادة عن ثمانمائة جمل بأحمالها وعدة هجن
محملة بالأموال ورجعت العساكر ومعهم نحو
الثمانين رأسا ومائة أسير ، وغير ذلك . وأن الألفى
هرب بمفرده الى ناحية الجبل ، وقيل الى
الأسكندرية فكانوا يطوفون على الأعيان بهذا
الكلام ويأخذون منهم البقاشيش . ثم ظهر أن هذا
الكلام لا أصل له ، وتبين أن طائفة من العرب يتال
لهم (الجواييص) وهم طائفة مرابطون ليس يقع
منهم أذية ولا ضرر لأحد مطلقا ، نزلوا بالجبل بتلك
الناحية ، فذهبهم العسكر ، وخطفوا منهم ابلا
وأغناما . وقتل فيما بينهم أنصار من الفريقين
لمدافعتهم عن أنفسهم .

وفى ذلك اليوم أيضا ، ركب حسن أغا
الشماشيرجى الى المنصورية — قرية بالجيزة —
ومعه طائفة من العسكر وهى بالقرب من الأهرام .
فضربوا القرية ، ونهبوا منها أغناما ومواشى
وأحضروها الى العرضى بالبابة . وحضر خلفهم
أصحاب الأغنام ، وفيهم نساء يصرخن ويصحن .
وصادف ذلك أن السيد عمر النقيب عدى الى

هناك ، وعلمنى هو فى قلة الى بر بولاق ولذهب الى داره بالأزبكية .

وكان من أمره : انه لما حصلت له الهزيمة ، ذهب الى المنوفية . وقد اغتناظ عليه الباشا ، وأرسل يقول له : « لا ترينى وجهك بعد الذى حصل » . وترددت بينهما الرسل . ثم أرسل اليه يأمره بالذهاب الى رشيد ، فذهب الى قوة ،

ثم حضر شاهين بيك الألفى الى الرحمانية . فأرسل الباشا الى طاهر باشا يأمره بالذهاب الى شاهين بك ويطرده من الرحمانية . فذهب اليه فى المراكب ، ففرض عليه شاهين بيك بالمداخ فكبس بعض مراكبه فرجع على أثره ، وركب من البر حتى تعدى بحر الرحمانية ، ثم حضر الى مصر . ووصل بعده الكثير من العسكر ، فأمرهم الباشا بالعود ، فعاد الكثير منهم فى المراكب .

وحضر أيضا اسماعيل آغا الطوبجى كاشف المنوفية ، وقد داخل الجميع الخوف من الألفى . وأما الألفى فانه بعد انفصال الحرب من النجيلة رجع الى حصار دمنهور . وذلك بعد أن ذهب أغنيائها الى قبودان باشا وقابلوه وامنهم ورجعوا على أماله . فافترقوا فرقتين : فرقة منهم الممات ورضيت بالأمان ، والأخرى لم تطمئن بذلك . وأرسلوا الى السيد عمر والباشا . فرجع اليهم الجواب يأمرهم باستمرارهم على المعانعة ومحاربة من يأتى لحربهم . فامتلوا ذلك ، وتبعتهم الفرقة الأخرى . وأرسل اليهم القبودان يدعوهم الى الطاعة ، ويضمن لهم عدم تعدى الألفى عليهم .. فلم يرضوا بذلك . فعند ذلك استفتى العلماء فى جواز حربهم حتى يذعنوا للطاعة ، فأفتوه بذلك فخذ ذلك . وأرسل الى الألفى يأمره بمصرهم . فحاصروهم وحاربهم واستمر ذلك .

العرضى ، فشاهدتهم على هذه الحالة ، فكلّم الباشا فى شأنهم . فأمر برد الأغنام التى للنساء والفقراء الصارخين ، وذهبوا بالباقي للمطابخ !

الاربعاء ٢١ منه (٦ اغسطس ١٨٠٦ م) :

وصلت العساكر المهزومة وكبراؤهم الى بولاق ، وفيهم مجاريح كثيرة ، وهم فى أسوأ حال فبينهم الباشا من طلوع البر ، وردهم بمراكبهم الى بر انبابة ، واستمر هناك الى آخر النهار . وهم عدد كثير ، وقد انضاف اليهم من كان ببر المنوفية . ولم يحضر المعركة لما داخلهم من الخوف . ثم انهم طلّعوا الى بولاق وانتشروا فى النواحي ، وذهب منهم الكثير الى مصر القديمة ، وحضر كثير منهم ودخلوا المدينة ، ودخلوا البيوت ، وأزعجوا كثيرا من الناس الساكنين بناحية قناطر السباع وسويقة اللالا والناصرية وغير ذلك من النواحي ، وأخرجوهم من دورهم .

وقد كانت الناس استراحت منهم مدة غيابهم .

الاربعاء ٢٨ منه (١٣ اغسطس ١٨٠٦ م - ٨ مسرى ١٥٢٢ ق) :

أوفى النيل أذرعه . وركب الباشا فى صبيحة يوم الخميس الى قنطرة السد . وحضر القاضى والسيد عمر النقيب ، وكسر الجسر بحضرتهم ، وجرى الماء فى الخليج جريانا ضعيفا ، بسبب علو أرضه ، وعدم تنظيفه من الأتربة المتراكمة فيه . ويقال انهم فتحوه قبل الوفاء لاشتغال بال الباشا ، وتطيره وخوفه من حادثة تحدث فى مثل يوم هذا الجمع ، وخصوصا وقد وصل الى بر الجيزة الكثير من أجناد الألفى .

جمادى الآخرة

الخميس ٦ منه (٢١ اغسطس ١٨٠٦ م) :

حضر طاهر باشا الى بر انبابة ، ونصب خيماته

الجمعة ٧ منه (٢٢ أغسطس ١٨٠٦ م) :

ورد الخبر بموت الكاشف الذى بدمتهور .

الخميس ١٣ منه (٢٨ أغسطس ١٨٠٦ م) :

وصلت قافلة من السويس وصحبها المحمل ، فأدخلوه وشقوا به من المدينة . وخلقه طبل وزمر ، وأمامه أكابر العسكر وأولاد الباشا ومصطفى جاويش المتسفر عليه .

ولقد أخبرنى مصطفى جاويش المذكور : أنه لما ذهب الى مكة — وكان الوهابى حضر الحج واجتمع به — فقال له الوهابى : « ما هذه العويدات انتى تأتون بها وتعظمونها بينكم ؟ » . (يشير بذلك القول الى المحمل) . فقال له : « جرت العادة من قديم الزمان بها . يجعلونها علامة واشارة لاجتماع الحجاج » . فقال : « لا تفعلوا ذلك ، ولا تأتوا به بعد هذه المرة . وان آتيتم به مرة أخرى فانى أكسره » .

الأربعاء ١٩ منه (٣ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

حضر الأفندى المكتوبجى من طرف القبودان الى بولاى . فأرسل اليه الباشا حصانا فركبه . وحضر الى بيت الباشا بالأزبكية فى صبح يوم الأربعاء المذكور . فأحضر الباشا الدفتردار وسعيد أغا ، واختلوا مع بعضهم ، ولم يعلم مادار بينهم .

الخميس ٢٠ منه (٤ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

ارتحل من بالجيزة من الأمراء المصريين — وعدتهم ستة من المتأمرين الجدد الذين أمرهم الألفى — فذهبوا عند أستاذهم بناحية دمنهور ، ولزلوا بالقرب منه .

الثلاثاء ٢٥ منه (٩ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

مر سليمان أغا صالح من ناحية الجيزة ، واجما من عند الأمراء القبلى ، وصنحته

هدايا من طرفهم الى القبودان ، وفيها خيول وعبيد وطواشية وسكر . ولم يجيبوا الى الحضور لممانعة عثمان بك البردى وحقده الكامن للألفى ... ولكون هذه الحركة — وهى مجىء القبودان وموسى باشا — باجتهاده وسفارته . وتديره كما سيتلى عليك فيما بعد .

وفيه : ظهرت فحوى النتيجة القياسية ، وانعكاس القضية . وهو أن القبودان لما لم يجد فى المصرية الاسعاف ، وتحقق ما هم عليه من التنافر والخلاف ، وتكررت ما بينه وبين الفريقين المراسلات والمكاتبات .. فعند ذلك استأنف مع محمد على باشا المصادقة ، وعلم أن الأروج له معه الموافقة . فأرسل اليه المكتوبجى ، واستوثق منه ، والتزم له بأضعاف ما وعد به من الكذايين معجلا ومؤجلا على مر السنين .. والالتزام بجميع المأمورات ، والعدول عن المخالفات .

فوقع الاتفاق على قدر معلوم . وأرسل الى محمد على باشا يأمره بكتابة عرضحال خلافه الأولين ، ويرسله صحة ولده على يد القبودان . فعند ذلك لخصوا عرضحال ، وختم عليه الأشياخ والاختيارية والوجاقية . وأرسله صحة ابنه ابراهيم بك ، وأصبح معه هدية حافلة وخيولا وأقمشة هندية وغير ذلك . وتلفت طبخة الألفى والتداير ، ولم تسعفه المقادير !

ومضون العرضحال وملخصه : « أن محمد على باشا كافل الاقليم ، وحافظ ثغوره ، ومؤمن سبله ، وقامع المعتدين . وأن الكافة من الخاصة والعامة والرعية راضية بولايته وأحكامه وعدله . والشريعة مقامة فى أيامه ! ولا يرتضون خلافه .. لما رأوا فيه من عدم الظلم ! والرفق بالضعفاء وأهل القرى والأرياف ، وعماها بأهلها ، ورجوع البشاردين منها فى أيام الممالك المصرية المعتدين

مع بعضهم مرارا . واقطعت السبل بسبب ذلك .
واتصر الباشا للحويطات ، وخرج بسببهم الى
العادية .. ثم رجع . ثم انهم اجتمعوا عند السيد
عمر النقيب وأصلح بينهم .

رجب

الأحد غرقه (١٤ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

وصل القاضى الجديد ، ويسمى عارف أفندى ،
وهو ابن الوزير خليل باشا المقتول . وانفصل
محمد أفندى سعيد ، حفيد على باشا المعروف
بحكيم أوغلى . وكان انسانا لا بأس به ، مهذبا في
نفسه . وسافر الى قضاء المدينة المنورة من القلزم
بصحبة القافلة .

الجمعة ٦ منه (١٩ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

سافر ابراهيم بيك ابن الباشا بالهدنة . وسافر
صحبه محمد أغا لاف ، الذى كان سلحدار محمد
باشا خسرو .



رجمان الباشا

الذين كانوا يتعدون عليهم ، ويسلبون أموالهم
ومزارعهم ، ويكلفونهم بأخذ القرض والكلف
الخارجة عن الحد .

« وأما الآن فجميع أهل القطر المصرى آمنون
مطمئنون بولاية هذا الوزير ! ويرجون من مراحم
الدولة العلية أن يقيه واليا عليهم ، ولا يعزله
عهم .. لما تحقوه فيه من العدل والصفاء
المظلومين ، وايصال الحقوق لأربابها ، وقمع
المفسدين من العربان الذين كانوا يقطعون الطرقات
على المسافرين ، ويتعدون على أهل القرى ،
ويأخذون مواشيهم وزرعهم ، ويقتلون من يعصى
عليهم منهم .

« وأما الآن فلم يكن شيء من ذلك . وجميع
أهل البلاد فى غاية من الراحة والأمن برا وبحرا ..
بحسن سياسته وعدله ، وامتناله للأحكام الشرعية ،
ومحبته للعلماء وأهل الفضائل ، والاذعان لقولهم
ونصحهم ! » . ونحو ذلك من الكلمات التى عنها
يسألون ، ولا يؤذن لهم فمعتذرون !

ولما كتبوا ذلك ... لم يطلع عليه الا بعض
الأفراد المتصدرين . ويكتب كاتبه جميع الأسماء
تحت بخطه ، ولا يمكنون البواقى — الذين يضعون
أسماءهم وأسماءهم — من قراءته ، بل يطلب منهم
الخاتم فيختمون به تحت اسمه ، اذ لا يمكنه
الشذوذ والمخالفة لحرصه على دوام ناموسه وقبوله
عند سلطانه ، ودائرة أهل دولته !

وان كان متورعا ، وليس له كبير صورة فيهم ،
ولا صدارة مثلهم ، وأبى أن يسلم خاتمه ليفعل به
كغيره .. ختموه بخاتم موافق لاسمه تحت امضائه
.. وهذا هو السبب فى عدم قنلى هذه الصورة ، بل
فهمت المضمون فقط . والله ولى التوفيق .

وفى هذه الأيام : تخاصم عرب الحويطات
والعايدة ، وتجمع الفريقان حول المدينة ، وتحاربوا

السبت ٧ منه (٢٠ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

أرسل الباشا الى الشيخ عبد الله الشرقاوى ترجمانه يأمره بلزوم داره ، وأنه لا يخرج منها .. ولا الى صلاة الجمعة ! وسبب ذلك أمور وضغائن ومنافسات بينه وبين اخوانه : كالسيد محمد الدواخلى ، والسيد سعيد الشامى ، وكذلك السيد عمر النقيب . فأغروا به الباشا ، ففعل به ما ذكر .. فامتثل الأمر ، ولم يجد ناصرا . وأهمل أمره .

وفيه : تواترت الأخبار بوقوع معركة عظيمة بين العسكر والألفى . وذلك أن الألفى لم يزل محاصرا دمنهور .. وهم ممنوعون عليه الى الآن . وسد خليج الأشرفية ، ومنع الماء عن البحيرة والاسكندرية لضرورة مرور الماء من ناحية دمنهور ليعطل عليهم المراد من الحصار . فأرسل الباشا يربر باشا الخازندار ومعه عثمان أغا ، ومعهما عدة كثيرة من العساكر فى المراكب . فوصلوا الى خليج الأشرفية من ناحية الرحمانية ... وعليه جماعة من الألفية ، فحاربوهم حتى أجلوهم عنها ، وفتحوا فم الخليج . فجرى فيه الماء ، ودخلوا فيه بمرابكهم . فسد الألفية الخليج من أعلى عليهم . وحضر شاهين بيك فسد مع الألفية فم الخليج بأعدال القطن والمشاق . ثم فتحوه من أسفل ، فسأل الماء فى السبخ ، ونضب الماء من الخليج ، ووقفت السفن على الأرض . ووصلتهم الألفية فأوفعوا معهم وقعة عظيمة .. وذلك عند قرية يقال لها « منية القران » . فأنهزموا الى سمنهور ، وتحصنوا بها فأحاطوا بهم ، واستمروا على محاربتهم حتى افترق الفريقان فيما بعد .

وفيه أيضا : وصلت الأخبار بأن يس بيك لم يزل يحارب من بمدينة القوم حتى ملكها وقتل من بها ، ولم ينج منهم الا القليل ! وكانوا أرسلوا يستنجدون بإرسال العسكر ، فلم يلحقوهم .

وفيه : وردت الأخبار من الجهة القبلية بأن الأمراء المصريين أخلوا منفلوط وملوى ، وترفعوا الى أسيوط وجزيرة منقباط ، وتحصنوا بهما . وذلك لما أخذ النيل فى الزيادة ، وبخشوا من ورود العساكر عليهم بتلك النواحي ، فلا يمكنهم التحصن فيها .. فترفعوا الى أسيوط .

فلما فعلوا ذلك ، أشاعوا هروبهم ، وذكروا أن عابدين بيك وحسن بيك ، حارباهم وطردهم الى أن هربوا الى أسيوط . ولما خلت تلك النواحي منهم .. رجع كاشف منفلوط وملوى وخلافهما ، الذين كانوا طردوهم فى العام الماضى ، وفروا من مقاتلتهم .

وفيه : شرع الباشا فى تجهيز عساكر وتسفيرهم الى جهة بحرى وقبلى . وحجزوا المراكب للعسكر ، فانقطعت سبل المسافرين .. وذلك عندما اطمأن خطره من قضية القبودان والعزل .

وفيه : شرع أيضا فى تقرير فردة عظيمة على البلاد والقرى والتجار ونصارى الأروام والأقباط والشوام ومسائير الناس ونساء الأعيان والمتزيمين وغيرهم — وقدرها ستة آلاف كيس — وذلك برسم مصلحة القبودان . وذكروا أنها سلفة لمدة ستة أيام ، ثم ترد الى أربابها .. ولا صحة لذلك .

الاثنين ٩ منه (٢٢ سبتمبر ١٨٠٦ م) :

وصل كتخدا القبودان الى ساحل بولاق . فضربوا لقدمه مدافع ، وعملوا له شكا وأرسل له فى صبحها خيولا صحبة ابنه طوسون ، ومعهم أكابر الدولة والأغا والوالى والأغوات . فركب فى موكب عظيم ، ودخلوا به من باب النصر . وشق من وسط المدينة .

وعمل الباشا الديوان ، واجتمع عنده السيد عمر والمشايخ المتصدرون ، ما عدا الشيخ عبد الله الشرقاوى ومن يلوذ به ، فسأل عليه القاضى وعلى من تأخر . ف قيل له : الآن يحضر . ولعل الذى

آخره ضعفه ومرضه . ثم انهم انتظروا باقى الوجاه
وارسلوا لهم جملة مراسيل . فلما حضروا قرأوا
المرسوم الوارد صجة الكتخدا المذكور .

ومضمونه : ابقاء محمد على باشا ، واستمراره
على ولاية مصر .. حيث أن الخاصة والعامة راضية
بأحكامه وعدله ، بشهادة العلماء وأشراف الناس .
وقبلنا رجاءهم وشهادتهم ، وأنه يقوم بالشروط
التي منها : ملئوع الحج ، ولوازم الحرمين ، وإيصال
الملائف والفلال لأربابها على النسق القديم . وليس
له تعلق بشتر رشيد ولا دمياط ولا سكندرية .
فانه يكون إيرادها من الجمارك يضبط إلى
الترسخانة السلطانية بإسلامبول . ومن الشروط
أيضا : أن يرضى خواطر الأمراء المصريين ، ويمتنع
من محاربتهم ، ويعطيهم جهات يتعيشون بها ، وهذا
من قبيل تحلية البضاعة !

وانقض المجلس . وضربوا مدافع كثيرة من
القلمة والأزبكية وبولاق . واشيع عمل زينة
بالبلدة . وشرع الناس في أسبابها ، وبعضهم علق
عليه داره تماثيل ثم بطل ذلك . وطاف المبشرون
من أتباعهم على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش .
وإذن الباشا بدخول المراكب إلى الخليج والأزبكية .
ثم عملوا شنكا وحراقات وسواربخ ، ثلاثة أيام
بلياليها ... بالأزبكية .

شعبان

فيه تكلم القاضي مع الباشا في شأن الشيخ عبد الله
الشرقاوى ، والافراج عنه ، وإاذن له في الركوب
والخروج من داره حيث يريد . فقال : « أنا لا ذنب
لنى في التحجير عليه . وإنما ذلك من تفاقمهم مع
بعضهم » . فاستأذنه في مصالحتهم ، فأذنه في ذلك .
فعمل القاضي لهم وليمة ، ودعاهم ، وتغدوا عنده ،
وصالحتهم . وقرأوا بينهم الفاتحة ، وذهبوا إلى
دورهم .. والذي في القلب مستقر فيه !

وفيه : وردت الأخبار من الديار الرومية بقيام
الروملى ، وتعصبهم على منع النظام الجديد
والحوادث . فوجهوا عليهم عسكر النظام ، فتلاقوا
معهم ، وتحاربوا ... فكانت الهزيمة على
النظام ، وهلك بينهم خلائق كثيرة . ولم يزلوا
في أثرهم حتى قربوا من دار السلطنة ، فترددت بينهم
الرسل ، وصانعوهم وصالحوهم على شروط ،
منها : عزل أشخاص من مناصبهم ، ونفى آخرين
— ومنهم الوزير ، وشيخ الاسلام ، والكتخدا ،
والدفتردار — ومنع النظام والحوادث ، ورجوع
الوجاقات على عادتهم ، وتقليد أغات النيكجربة
الصدارة .. وأشياء لم تثبت حقيقتها .

وفيه : حضر عابدين بك أخو حسن باشا من
الجهة القبلية .

الخميس ١٠ منه (٢٣ أكتوبر ١٨٠٦ م) :

تواترت الأخبار بوقوع وقائع بالناحية القبلية ،
واختلاف العساكر ، ورجوع من كان بناحية
منفلوط ، وعصيان المقيمين بالمنية بسبب تأخر
علائقهم . ورجع حسن باشا إلى ناحية المنية .
فغضب عليه من بها ، فالتحق إلى بنى سويف .

وفيه : حضر اسماعيل الطوبجى كاشف المنوقية
باستدعاء . فأرسله الباشا بمال إلى الجهة القبلية
ليصالح العساكر .

وفيه : وردت الأخبار ، من نجر الاسكندرية ،
بسفر قبودان باشا وموسى باشا إلى اسلامبول .
وأخذ القبودان صحبته ابن محمد على باشا . وكان
تزلولهم وسفرهم في يوم السبت خامسة . واستمر
كتخدا القبودان بمصر .. متخلقا حتى يستغرق مال
المصالحة .

وفيه : شرعوا في تقرير فريضة على البلاد أيضا
وفيه : حضر محو بيك من ناحية قبلى .

الأربعاء ١٦ منه (٢٩ أكتوبر ١٨٠٦ م) :

سافر كتحدا القبودان بعد ما استغلق المطلوب .

وفيه : وصل الى ثمر بولاق قابجى . وعلى يده تقرير لمحمد على باشا بالاستمرار على ولاية مصر وخلعة وسيف . فأركبوه من بولاق الى الأربكية فى موكب حفل ، وشقوا به من وسط المدينة :

وحضر المشايخ والأعيان والاختيارية . ونصب الباشا سحابة بحوش البيت للجلع والحضور . وقرئت المرسومات وهما فرمانان : أحدهما يتضمن تقرير الباشا على ولاية مصر ، بقبول شفاعة أهل البلدة والمشايخ والأشراف . والثانى يتضمن الأوامر السابقة وباجراء لوازم الحرمين ، وطلوع الحج ، وارسال غلال الحرمين ، والوصية بالرعية ، وتشهيل غلال — وقدرها ستة آلاف أردب — وتسفيرها على طريق الشام .. معونة للمساكر المتوجهين الى الحجاز . وفيه : الأمر أيضا بعدم التعرض للأمراء المصريين وراحتهم ، وعدم محاربتهم ... لأنه تقدم العفو عنهم ، ونحو ذلك . وانقضى المجلس ، وضربوا مدافع كثيرة من القلعة والأربكية .

رمضان

(١٢ نوفمبر — ١١ ديسمبر ١٨٠٦ م)

انقضى بخير ... ولم يقع فيه من الحوادث سوى توالى الطلب ، والفرص ، والسلف التى لا ترد ، وتجريد العسكر الى محاربة الألفى ، واستمرار الألفى بالجيزة ، ومحاصرة دمنهور ، واستمرار أهل دمنهور على الممانعة ، وصبرهم على المحاصرة ، وعدم الطاعة مع مشاركة المحاربة ..

وفيه : ورد الخبر بموت عثمان بيك البرديسى فى أوائل رمضان بمنفلوط . وكذلك سليم بيك أبو دياب ببنى عدى .

وفى أواخره : تقدم محمد على باشا الى السيد

عمر النقيب بتوزيع جملة أكياس على أناس من مياسير الناس على سبيل السلفة .

ولم يقع فى شهر رمضان هذا ارتباك فى هلاله أولا وآخرا كما حصل فيما تقدم . وكذلك حصل به سكون وطمأنينة من عريضة العساكر ... لولا توالى الطلب ، والسلف ، والدعاوى الباطلة فى المدينة والأرياف ، وعسف أرباب المناصب فى القرى .

شوال

الجمعة غرته (١٢ ديسمبر ١٨٠٦ م) :

عملوا شريكا للعيد بمدافع كثيرة فى الأوقات الخمسة ثلاثة أيام العيد .

وفيه : فتحوا طلب الميرى على السنة القابلة ، وجدوا فى التحصيل ، ووجهوا بالطلب العساكر والقواصة والأتراك بالعصى المفضضة ، وضيقوا على الملتزمين .

الأحد ١٠ منه (٢١ ديسمبر ١٨٠٦ م)

أخرج الباشا خياما ، ونصب عرضى بناحية شر . ومنية السيرج ، والتمس من السيد عمر توزيع أربعمئة كيس برأيه ومعرفته .. فضاقت صدره ، وشرع فى توزيعها على التجار ومساكين الناس ، حيث لم يمكنه التحلف ولا التبعاد عن ذلك .

الجمعة ٢٢ منه (٢ يناير ١٨٠٧ م) :

وصل حسن باشا طاهر من الجهة القبلية ، ودخل داره . وخرج محمد على باشا الى جهة الخلاء يريد السفر الى الألفى . ووصلت عربان الألفى وعساكره الى بر الجيزة ، وطلبوا الكلف من البلاد .

الأحد ٢٤ منه (٤ يناير ١٨٠٧ م) :

عدى محمد على باشا الى بر انبابة .

السبت ٨ منه (١٧ يناير ١٨٠٧ م) :

أداروا كسوة الكعبة والمحمل . وركب معها
المتسفر عليها من القلزم — وهو شخص يقال له
محمود أغا الجزيري — وركب أمامه الأغا وألوالى
والمحتسب وطائفة الدلاة وكثير من المسكر .

الاثنين ١٠ منه (١٩ يناير ١٨٠٧ م) :

وصلت الأخبار بوصول الألفى الى ناحية
الأخصاص ، وانتشار جيوشه باقليم الجيزة . وكان
الباشا معزوما ذلك اليوم عند سعودى الحناوى ،
بسوق الزلط ، وخارجة المقس . وركب قبيل المصر ،
وذهب الى بولاق ، وأمر العساكر بالخروج ، ولا
يتخلف أحد لخامس ساعة من الليل . وعدى بمن
معه الى بر انيابة .

الأربعاء ١٢ منه (٢١ يناير ١٨٠٧ م) :

في ليلته وقع بين الألفى والمسكر معركة . وانحاز
العسكر وتترسوا بداخل الكفور والبلاد ، ووصل
منهم جرحى الى البلد . واستمر الأمر على ذلك ..
وهم يهابون البروز الى الميدان ، وأخصاصهم
لا يحاربون المتاريس والحيطان ا

الثلاثاء ١٨ منه (٢٧ يناير ١٨٠٧ م) :

ركب الألفى بجيوشه ، وتوجه الى ناحية قناطر
شبرامنت . قلما غاب عنهم الباشا ومن معه مارين
ركب بعسكره من ناحية كفر حكيم وماحوله ،
وساروا الى جهة الجيزة ، ونصب وطاقه بحريها .
وباتوا تلك الليلة ، وعملوا شنكا في صباحها ..
وهم يشيعون هروب الألفى ا

والحال : أنه مر في جيش كثيف وصورة هائلة ،
وقد رتب جنوده وعساكره طوابير ، وبين يديه
النظام الذى رتبته — على هيئة عسكر
الفرنسيين — ومعهم طبول بكيفية خرعت عقولهم
.. والباشا واقف بجيوشه ينظر اليه تارة بعينه ،



كفر حكيم

الاثنين ٢٥ منه (٥ يناير ١٨٠٧ م) :

عدى محمد على باشا وغالب العسكر الى بر
بولاق . وأشاعوا أن الأخصاص هربوا من وجوههم
.. فلم يذهبوا خلفهم ، بل رجعوا على آخرهم ،
ونهبوا كفر حكيم وما جاوره من القرى .. حتى
أخذوا النساء والبنات والصبيان والمواشي ،
ودخلوا بهم الى بولاق والقاهرة ، ويبيعونهم فيما
بينهم من غير تحاش كأنهم سبايا الكفار ا

ذوالقعدة

السبت غرته (١٠ يناير ١٨٠٧ م) :

وصل الحجاج الطرابلسية ، وعبدوا الى بر

مصر .

الأحد ٢ منه (١١ يناير ١٨٠٧ م) :

وصلت قوافل الصعيد من ناحية الجبل ، وبها
أحمال كثيرة وبضائع مع عرب المعازة وغيرهم .
فركب الباشا ليلا وكبسهم على حين غفلة ، ونهبهم ،
وأخذ بجمالهم وأحمالهم ومتاعهم — حتى أولاد
العربان ، والنساء والبنات — ودخلوا بهم الى
المدينة بقرودونهم أسرى في أيديهم ، ويبيعونهم فيما
بينهم ... كما فعلوا بأهل كفر حكيم وما حوله ا
وفي ذلك اليوم : ضربوا مدافع كثيرة من القلعة
بورود أشخاص من الططر ببشارة الى الباشا ،
وتقريره على السنة الجديدة .

ونازة بالنظارة، ويقول : « هذا طهناز الزمان ! »
ويتعجب . وقال لطائفة الدلاة : « تقدموا لمحاربته ،
وأنا أعطيك كذا ، وكذا من المال » . فلم يجسروا
على التقدم .. لما سبق لهم معه .

الخميس ٢٠ منه (٢٩ يناير ١٨٠٧ م) :

حضر أشخاص من العرب الى الباشا ، وأخبروه
بأن الألفى قد مات يوم وصوله الى تلك المحطة —
وذلك ليلة الأربعاء تاسع عشره — وقد نزل به خلط
دموى فتقياً ثم مات .. وذلك بنساحة المحرقة
بالقرب من دهشور . وأن مماليكه اجتمعوا ،
وأمروا عليهم شاهين بيك ، وذلك بإشارة أستاذهم ،
وأن طائفة أولاد على انفصلوا عنهم ، ورجعوا الى
بلادهم ، وآخرين يطلبون الأمان

فاشتبه الحال ، وشاع الخبر . وصارت الناس
ما بين مصدق ومكذب . واستمر الاشتباه
والاضطراب أياما ، حتى أن الباشا خلع على ذلك
المخبر — بعد أن تحقق خبره — فروة سمور ،
وركب بها ، وشق من وسط المدينة .. والناس ما
بين مصدق ومكذب ، ويطنون أن ذلك من مكابده
وتحيلاته لأمر يدبرها .. الى أن حضر بعض
الخدم الى دوره ، وأخبروا بحقيقة الحال كما ذكر .
فعند ذلك زال الاشتباه . وعد ذلك من تمام
سعد محمد على باشا الديوى .. حتى انه قال في
مجلس خاصته : « الآن ملكت مصر »

ولما مات الألفى ارتحلت أجناده ومماليكه
وأمرأؤه ، وارتفعوا الى ناحية قبلى . فسبحان
الحى الذى لا يموت .

قال الشاعر :

فقل للشامتين بنا : أفيقوا

سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم ان الباشا أرسل الى أمرائه مكاتبة ،

يستميلهم ويطلبهم للصلح ، ويدعوهم للانضمام
اليه ، ويعدهم أن يعطيهم فوق أموالهم ... ونحو
ذلك . وأرسل تلك المكاتبة صحبة قادري أغا ،
الذى كان طرده الألفى ونشأه .

وأخذ محمد على باشا فى الاهتمام والركوب
واللحوق بهم . وفى كل يوم ينادى على العسكر
بالمدينة بالخروج . وقوى نشاطهم ، ورفعوا
رؤوسهم ، وسعوا فى قضاء أشغالهم ، وخطفوا
الجمال والحمر ! وحضر الباشا الى بيته بالأزبكية ،
وبات به ليلة الأحد ، وصرح بسفره يوم
الخميس . وخرج الى العرضى ثانيا ، وطلب السلف
والمال . ومضى الخميس والجمعة ولم يسافر .

السبت ٢٩ منه (٧ فبراير ١٨٠٧ م) :

نزل به حادر ، وتحرك عنده خلط ، وحصل له
اسهال وقىء . وأشاع الناس موته يوم السبت
وتناقضوه ، وكاد العسكر ينهبون العرضى .. ثم
حصلت له افاقة . وخرج السيد عمر والمشايخ
للسلام عليه يوم الأحد ، وليهنئوه بالعافية ، وكذلك
خرجوا لوداعه قبل ذلك مرارا .

وفيه : حضر قادري بجوابات الرسالة من أمراء
الألفى : أحدها للباشا ، وعليه ختم شاهين بيك
وباقى خشداشينه الكبار . وآخر خطابا لمصطفى
كاشف أغا الوكيل ، وعلى كاشف الصابونجى ،
ومن كان كاتبهم بالمعنى السابق .. يذكرون فى
جوابهم : ان كان سيدهم قد مات — وهو شخص
واحد — فقد خلف رجالا وأمراء .. وهم على
طريقة أستاذهم فى الشجاعة والرأى والتدبير ، ونحو
ذلك . وليس كل مدع تسلم له دعواه . ومن أمثال
المغاربة « ما كل حمراء لحمه ، ولا كل بيضاء
شحمة » . وذكروا فى الجواب أيضا : أنه ان اصطاح
مع كبرائهم الكائنين بقبلى — وهم : ابراهيم بيك
الكبير ، وعثمان بيك حسن ، وباقي أمرائهما —

كنا بثلهم . وان كان يريد صلحنا دونهم .. فيعطينا ما كان يطلبه أستاذنا من الأقاليم ، ونحو ذلك .

ذو الحجة

الاثنين غرته (٩ فبراير ١٨٠٧ م) :

ارتحل الساشا بالعرضى ، الى ساقية مكى بالجيزة ، متوجها لقبلى .

وفيه : طلبوا المراكب من كل ناحية . وعز وجودها ، وامتنعت الواردون ومراكب المعاشات والتجارات .. مع استمرار الطلب للمغارم والسلف ونحو ذلك .

وفي منتصفه : وردت مكاتبات من وزير الدولة العثمانية ، وفيها الخبر بوقوع الغزو بين العثماني والموسكوب ، والأمر بالتيقظ والتحقق ، وتحصين الثغور .. فربما أغاروا على بعضها على حين غفلة .

وكذلك وردت أخبار بمعنى ذلك ، من حاكم أزمير وحاكم رودس . وأن الانجليز معاونون لطائفة الموسكوب .. لاستمرار عداوتهم مع الفرنسيات ، لكون الفرنسيات متصادقين مع العثماني .

والخبر عن مجمل القضية : أن « بونا بارت » — أمير جيش الفرنسيات — وعساكرهم ، خرجوا في الغمام الماضى ، وأغاروا على القرانات والممالك الأفريقية ، واستولوا على النيسة



بونا بارت يغزو أوربا

— التى هى أعظم القرانات وبينهم وبين الموسكوب مصادقة وسبب — فأرسل الموسكوب جندا كثيفا ، مساعدة للنيساوية ، مع كبير من قرابة قرابتهم ، فتلاقوا مع بونا بارت ، بعد استيلائه على تخت النيسة ، فهزمهم أيضا ، وأسر عظماءهم وسبوا بجيوشه الى الروسية ، واستولى على عدة أساكل . وكلما استولى على جهة ، قرر بها حكماها ، وشرط عليهم شروطه التى منها : معاداة الانكليز ، ومنابذتهم .

وراسله العثماني ، وراسله هو أيضا . ورأى العثماني قوة بأسه .. فصادقه ، وأرسل اليه من طرفه « الحى » الى اسلامبول . فدخلها فى أهبة عظيمة ، وأنزلوه منزلا حسنا ، وأرسل صحبته هدايا ، وقوبل بأعظم منها . وكذلك أرسل الى خصوص (١) « بونا بارت » تحفا وهدايا وتاجا من الجواهر .

فعند ذلك انتبذ الموسكوب ، وتقضى الهدنة بينه وبين العثماني ، وطلب المحاربة . فخافه العثماني ... لما يعلمه منه من القوة والكثرة . وسعى الانجليز بينهما بالصلح ، واجتهد فى ذلك حتى أمضاه بشروط قبيحة ، وصلت إلينا صورتها ، وظهر لنا منها اثنا عشر شرطا . ونصها :

الأول : أن أمراء القلاع والبغازات يحتاج أن يتغيروا باذن الانكليز والموسكوب .

الثانى : مشيخة السبع جزائر من الآن فصاعدا لا تكون تابعة غير الموسكوب .

الثالث : تعريف الديوان فى بلاد العثماني ، هى التى كانوا يأخذونها قبل النظام الجديد .

الرابع : الدولة العلية تسمح للموسكوب فى طريق ثلثمائة ألف مقاتل يدخلون الى أى محل أرادوه من بلاد العثماني ١ وذلك مدة اتفاق الانكليز والموسكوب ، وهو تسع سنين .

(١) كناية عن « زوجته »

من بتقيد ببناء قلعة بالبرلس . وحصل لمصر قلق ولقط . وغلت الأسعار في البضائع المطلوبة . وعملوا جمعيات بيوت كتخدا بيك ، وبيت السيد عمر النقيب ، واتفقوا على ارسال تلك المراسلات الى محمد على باشا بالجهة القبلية ، صحبة ديوان أفندى .

السبت ٢٠ منه (٢٨ فبراير ١٨٠٧ م) :

اجتمعوا بالأزهر لقراءة صحيح البخارى في أجزاء صغار ١

وفيه : حضر ديوان أفندى بمكاتبات ، وفيها : طلب جماعة من الفقهاء ليسعوا في اجراء الصلح بين الأمراء المصريين وبين الباشا . فوقع الاتفاق على تعيين ثلاثة أشخاص ، وهم : ابن الشيخ الأمير ، وابن الشيخ العروسى ، والسيد محمد الدواخلى . فسافروا في يوم الأحد سادس عشر منه . ووصلت الأخبار بأن الانجليز حضروا في اثني عشر مركبا ، وعبروا بوغاز اسلامبول — وكانوا محترسين — فضربوا عليهم بالمدافع من الجهتين . فلم يكثرثوا ، ولم يفزعوا ، ولم يتسأخروا ، ولم يصب الضرب الا مركبا واحدا من الاثني عشر ، وعمره ثلثها في الحال . ولم يزلوا سائرين حتى رسوا بيز اسلامبول ... فهاج كل أهلها ، وصرخوا وانزعجوا انزعاجا عظيما ، وأبقنوا بأخذ الانجليز البلدة . ولو أرادوا حرقها لأحرقوها عن آخرها . فعند ذلك نزل اليهم السيد على باشا القبطان — وهو أخو على باشا الذى كان أخذ أسيرا مع البرديسى من برج مغيزل برشيد — فتكلم معهم وصالحهم . وخرجوا من البوغاز سالمين مغبوطين بعفوهم مع المقدرة . وانقضت السنة بحوادثها .

وأما من مات بها من العلماء والأمراء ، ممن له ذكر :

الخامس : يكون مسموحا لعمارة الموسكوب أنها تدخل لينة الترمخانة باسلامبول ، لأجل أنهم يأخذون من هناك كامل الذى يلزمهم .

السادس : جميع الرعايا والحمايات التى للموسكوب ، من جديد وقديم ، لهم الإقامة والتجارة وشراء الأملاك في كامل بلاد العثمانى .

السابع : كامل مراكب الموسكوب التجارى ، التى كانوا عن بعض الأسباب نزلوا ييسارقها ، يقدرؤن أن توجهوا بها الى قنصولية الموسكوب باسلامبول ... وحالا تعطى لهم بطانات جديدة .

الثامن : كامل الأروام الموجودين في بلاد العثمانى ، ويريدون أن يدخلوا في حماية الموسكوب ، يمكنهم بكل حرية .

التاسع : البراتلية والفرمائلية يحصلون على قوتهم التى كانوا بها سابقا .

العاشر : « الجى » الفرساوية ملزوم يسافر من اسلامبول بعد واحد وثلاثين يوما .

الحادى عشر : مراكب الأروام والعثمانى لا سافرون بها لبلاد فرانسما دام الحرب بين الموسكوب والفرساوية (١) .

فلما تقررت هذه الشروط ، واطلع عليها الفرساوى .. فكانه لم يرض بها ، وقال للعثمانى : « لم يبق بيدك مملكة » ، وأشار عليه بنقضها ، وتكفل بمساعدته ومقاومتهم . فركن اليه ، ونقض تلك الشروط .

فعند ذلك لبذوا صداقة العثمانى ، وأظهروا مخلصته ، ووافقهم على ذلك الانكليز ... لكونه صادق الفرساوية . وأغاروا على بعض النواحي ، وأخذوا الختن وغيرها .

وشرع أهل الاسكندرية في تحصين قلاعها وأبراجها . وكذلك أبو قير . وأرسل كتخدا بيك

(١) لم يرد في الأصل الشرط الثانى مفسرا

مات العمدة الفاضل ، صدر المدرسين وعمدة
المحققين ، الفقيه الورع . الشيخ محمد الخشنى
الشافعى .

تخرج على الشيخ عطية الأجهوزى وغيره من
أشياخ العصر المتقدمين ، كالحفنى والعدوى .
ومسكنه بخطة السيدة نفيسة . ويأتى الى الأزهر
فى كل يوم ، فيقرأ دروسه ثم يعود الى داره .
متقلا فى معيشته ، منزلا عن مخالطة غالب الناس
— وهو آخر الطبقة .

وتمرض شهورا بمنزله الذى بالمشهد النفيسى .
وكان دائما يسأل عن الشيخ سليمان البجيرمى ،
وكان يقول : « لا أموت حتى يموت البجيرمى ،
لأنه رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام ، وقال
له : « أنت آخر أقرانك موتا » . ولم يكن من
أقرانه سوى البجيرمى .. فلذلك كان يسأل عنه ا
ثم مات البجيرمى بقرية تسمى « مصطية » .
ومات هو بعده بنحو ثلاثة أشهر . وكانت وفاته فى
يوم الاثنين خامس عشرين ذى الحجة . ولم
يحضروا بجنازته الى الأزهر بل صلى عليه بالمشهد
النفيسى ودفن هناك .. رحمة الله تعالى عليه .

ومات الشيخ الفقيه المحدث ، خاتمة المحققين
وعدة المدققين ، بقية السلف ، وعمدة الخلف :
الشيخ سليمان بن محمد بن عمر البجيرمى الشافعى
الأزهري .. المنتهى نسب الى الشيخ جمعة الزيدى
المدفون ببجيرم ، نسبة الى « زيدة » بالقرب من
منية ابن خصيم .. وينتهى نسب الشيخ جمعة
المذكور الى سيدى محمد بن الحنفية .

ولد ببجيرم — قرية من القرية — سنة احدى
وثلاثين ومائة ألف . وحضر الى مصر صغيرا
دون البلوغ . ورباه قريبه الشيخ موسى البجيرمى ،
وحفظ القرآن ، ولزم الشيخ المذكور حتى تأهل

لطلب العلوم . وحضر على الشيخ العشماوى فى
الصحيحين وأبى داود والترمذى ، والشفاء
والمواهب وشرح المنهج لشيخ الاسلام ، وشرح
المنهاج لكل من الرملى وابن حجر .

وحضر دروس الشيخ الحفنى ، وأجازه الملوى
والجوهرى والمدابنى ، وأخذ عن الديربى وغيره .
وحضر أيضا دروس الشيخ على الصعدي والسيد
البلدى ، وشارك كثيرا من الأشياخ ، كالشيخ
عطية الأجهوزى وغيره .

وكان انسانا حسنا حميد الأخلاق ، منجمعا عن
مخالطة الناس ، مقبلا على شأنه . وقد انتفع به
أفاس كثيرون .

وكف بصره سنين ، وعمر وتجاوز المائة سنة (١).
ومن تأليفه بأيدي الطلبة ، حاشية على المنهج ،
وأخرى على الخطيب . وغير ذلك .

وقبل وفاته ، سافر الى « مصطية » بالقرب من
بجيرم ، فتوفى بها ليلة الاثنين وقت السحر ثالث
عشر رمضان من السنة المذكورة ، ودفن هناك .
رحمة الله تعالى عليه .

ومات الأجل العلامة ، والفاضل الفهامة ، فريد
عصره علما وعلا ، ووحد دهره تفصيلا وجملا :
الشيخ مصطفى العقباوى المالكى ... نسبة لمنية
عقبة بالجيزة .

حضر الى الأزهر صغيرا ، ولزم السيد حسن
البقلى ، ثم الشيخ محمد العقاد المالكى ، ثم الشيخ
محمد عبادة العدوى ، ملازمة كلية حتى تمهر فى
مذهبه فى المنقولات وفى المعقولات .

وحضر دروس أشياخ العصر ، كالشيخ الدردير
والشيخ محمد البيلى ، والشيخ الأمير ، وغيرهم .
وتصدر لالقاء الدروس ، وانتفع به الطلبة ،
واشتهر فضله .

(١) لعله يبنى تسعين سنة .

وكان انسانا حسن الأخلاق ، مقبلا على الافادة والاستفادة ... لا يتداخل فيما لا يعنيه ، ويأتيه من بلدته ما يكفيه ، قانعا متورعا متواضعا .

ومن مناقبه : أنه كان يجب افادة العوام حتى أنه كان اذا ركب مع المكاري يعلمه عقائد التوحيد وفرائض الصلاة .. الى أن توفي يوم الخميس تاسع عشر جمادى الآخرة . ولم يخلف بعده مثله .. رحمه الله تعالى ، وعفا عنا وعنه .

ومات الأجل العظيم المجبل ، المحقق المدقق المفضل ، العالم العامل ، الفاضل الكامل : الشيخ على النجاري المعروف بالقباني ، الشافعي مذهبا ، المكّي مولدا ، المدني أصلا ... ابن العالم الفاضل الشيخ أحمد تقي الدين ، ابن السيد تقي الدين المنتهى نسبة الى أبي سعيد الخدري ، وهو سعد بن مالك بن دينار بن تيم الله بن ثعلبة النجاري ، أحد بطون الخرج . وينتهي نسب أحواله الى السيد أحمد الناصب بن عبد الله بن ادريس بن عبد الله بن الحسن الأنور بن سيدنا الحسن السبط رضى الله تعالى عنه .

ولد المترجم بمكة سنة أربع وثلاثين ومائة ، وقدم الى مصر مع أبيه وأخيه السيد حسن سنة إحدى وسبعين ومائة : فليلة وصولهم ، مرض أخوه المذكور ، وتوفي صبح ثالث يوم . فجزع والده لذلك جزعا شديدا ، وتشاءم به ، وعزم على السفر الى مكة ثانيا ، ولم يتيسر له ذلك الا أواخر شوال من السنة المذكورة .

وبقى المترجم ، واشتغل بتحصيل العلوم وشراء الكتب النافعة واستكثابها ومشاركة أشياخ العصر في الافادة والاستفادة ، مع مباشرة شغل تجارتهم من بيع الارساليات التي ترد اليه من أولاد أخيه من جدة ومكة ، وشراء ما يشتري وارسالة لهم ... الى

أن تمرض ، واقطع بيته الذى بخطه عابدين قريبا من الأستاذ الحنفى ، سنة تسع ومائتين

وكان عالما ماهرا ، وأديبا شاعرا .. تخرج على والده وعلى غيره بمكة ، وعلى كثير من أشياخ العصر المتقدمين كالشيخ العشماوى ، والشيخ الحنفى ، والشيخ العدوى وغيرهم .

وتخرج في الأدب على والده ، وعلى الشيخ على بن تاج الدين المكّي ، وعلى الشيخ عبد الله الاتكاوى وغيرهم . وله مؤلفات منها : فتح الأكماء على منظومته في علم الكلام ، ومنها : تفسيره على الرملى — وهو مجلد ضخيم — ومنها : شرح بديعته التى سماها : « مراقى الفرج فى مدح على الدرج » . وله ديوان شعر صغير غالبه جيد .

وكان فى مدة انقطاعه لا يشتغل بغير المطالعة وتحصيل الكتب الغريبة . وقيد ولده السيد سلامة بأشغال تجارتهم ، ولده السيد أحمد بملازمته واسماعه فيما يريد مطالعته .

وكانت داره ، فى غالب الأوقات ، لا تخلو من المتردين ... الى أن توفي ليلة السابع والعشرين من رجب من السنة المذكورة ، وعمره سبع وثمانون سنة ، وصلى عليه بالأزهر ودفن بمقبرة أخيه بباب الوزير . وخلف ولديه المذكورين .

وكان وجيها لطيفا ، محبوبا للنفس ورعا . رحمة الله تعالى عليه .

ومات صاحبنا الأجل العظيم ، والوجيه المكرم : الأمير ذو الفقار البكرى — نسبة ونسابة — وهو مملوك السيد محمد بن على أفندى البكرى الصديقى . اشتراه سيده المذكور سنة إحدى وسبعين ومائة وألف . ورياه ، وأدبه ، وأعتقه ، وزوجه ابنته . ونشأ فى عز ورفاهية ، وسيادة وعفة ، وطيب خيم ، وعلو همة .

بيك الألفى الماردى . جلبه بعض التجار الى مصر
فى سنة تسع وثمانين ومائة ألف . فاشتره أحمد
جاويش المعروف بالمجنون . فأقام بيته أياها فلم
تعجبه أوضاعه لكونه كان مباحنا سفيها مازحا .
فطلب منه بيع نفسه ، فباعه لسليم أغا الغزاوى
المعروف بتمرنك ، فأقام عنده شهورا ثم أهده
الى مراد بيك . فأعطاه فى نظيره ألف أردب من
الغلال ... فلذلك سعى بالألفى .

وكان جميل الصورة ، فأحبه مراد بيك ، وجعله
جوخداره ، ثم أعتقه وجعله كاشفا بالشرقية . وعمر
دارا بناحية الخطة المعروفة بالشيخ ضلام ، وأنشأ
هناك حماما بتلك الخطة عرفت به .

وكان صعب المراس ، قوى الشكيمة . وكان
يجواره على أغا المعروف بالتوكلى . فدخل عليه
وتشفع عنده فى أمر ، فقبل رجاءه ثم نكث ، فحقق
منه واحتد ، ودخل عليه فى داره يغادره ويعاتبه .
فرد عليه بغلظة . فأمر الخدم بضربه . فبطحوه
وضربوه بالعصى المعروفة بالنبايت . فتألم لذلك
ومات بعد يومين . فشكوه الى أستاذه مراد بيك
فنفاه الى بحرى فعسف بالبلاد مثل : فوة ومطوبس
وبارنبال ورشيد ، وأخذ منهم أرزا وأموالا .
فتشكوا منه الى أستاذه ... وكان يعجبه ذلك ؟

وفى أثناء ذلك ... وقع خلاف بمصر بين الأمراء ،
وتقوا سليمان بيك الأغا ، وأخاه ابراهيم بيك
ومصطفى بيك — كما ذكر ذلك فى محله —
وأرسل اليه مراد بيك وأمره أن يتعين على مصطفى
بيك ويذهب به الى سكندرية منفيا ، ثم يعود هو
الى مصر . ففعل ورجع المترجم الى مصر . فعند
ذلك قلدوه الصنجدية ، وذلك فى سنة اثنتين وتسعين
ومائة وألف .

واشتهر بالفجور ... فخافته الناس ، وتحاموا
شدته . وسكن أيضا بدار بناحية قيصون — وذلك

ولما توفى سيده ، اتحد بولده السيد محمد
أفندى — وهو أخو زوجته — اتحادا كليا بحيث
صارا كالأخوين ... لا يصبر أحدهما عن الآخر
ساعة واحدة ، وسكنهما واحد فى بيتهم الكبير
بالأزبكية .

ولما توفى السيد محمد أفندى ، استقل
المترجم بالسكنى فى الدار الى أن حضر الفرنساوية .
فخرج مع من خرج من مصر الى ناحية الشام .
ونهب كتبته وداره . ثم رجس بأمان فى أيام
الفرنساوية ، فوجد الدار قد سكنها الفرنساوية ،
فاشترى دارا غيرها بخطة عابدين ، وجدد بها نظامه .

ولما حصلت حادثة عسكر الأروام العثمانية
مع الأمراء المصريين — التى خرج فيها ابراهيم بيك
والبرديس وأمراؤهم — نهب داره المذكورة أيضا
فيما نهب . فانتقل الى ناحية الأزهر ، ثم سكن
بحارة السبع قاعات بالأجرة .

واقتنى كتباً ، شراء واستكتاباً ، وجمع عدة أجزاء
متفرقة من تاريخ « مرآة الزمان » لابن الجوزى ،
و « خطط المقرئى » وغيرها .. الى أن اخترمته
المنية ، ومات فجأة يوم الثلاثاء فى ثمانى عشر من رجب
من السنة قبيل الغروب ، وصلى عليه فى صباحها
بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن بتربة البكرية ظاهر
قبة الامام الشافعى .

وكان انسانا حسنا محبوبا لجميع الناس ، وجيه
الذات ، مليح الصفات ، حسن المفاكهة والمعاشرة ،
متوقد الفطنة ، صادق الفراسة ، ساكن الجأش ،
وقورا أدوبا محتشما . وخلف من بعده السيد
محمد المعروف بالغزاوى ، المرزوق له من ابنة سيده
المذكور لكونه ولد بغزة حين كانوا بالشام ...
أنشأه الله انشاء صالحا وبارك فيه .

ومات الأمير الكبير ، والضرغام الشهير : محمد

عندما اتسعت دائرته — وهدم داره القديمة أيضا
ووسعها ، وأنشأها انشاء جديدا .

واشترى الممالك الكثيرة ، وأمر منهم أمراء
وكشافا . فنشأوا على طبيعة أستاذهم في التعدى
والعسف والفجور ، ويخافون من تجبره عليهم .

والتزم باقطاع فرشوط وغيرها من البلاد القبلية ،
ومن البلاد البحرية محلة دمنة ومليج وزوبر وغيرها .
وتقلد كشوفية شرقية بليس ونزل إليها . وكان
يغير على ما بتلك الناحية من اقطاعات وغيرها ،
وأخاف جميع عربان تلك الجهة ، وجميع قبائل
الناحية . ومنهم من التعدى والجور على الفلاحين
بتلك النواحي — حتى خافته الكثير من العربان
والقبائل وكانوا يخشونه . وصادهم بأشراك منهم .
وقبض على الكثير من كبرائهم وسحبهم في الجنازير
وصادهم في أموالهم ومواشيهم . وفرض عليهم
المغارم والجمال .

ولم يزل على حاله وسطوته الى أن حضر حسن
باشا الجزائر الى مصر . فخرج المترجم مع
عشيرته الى ناحية قبلى ، ثم رجع معهم فى أواخر
سنة خمس ومائتين بعد الألف ، بعد الطاعون الذى
مات فيه اسماعيل بيك . وذلك بعد اقامتهم فى
الصعيد زيادة عن أربع سنوات .

ففى تلك المدة ترزق عقله ، وانهمضت نفسه ،
وتعلق قلبه بمطالعة الكتب ، والنظر فى جزئيات
العلوم والفلكيات والهندسيات ، وأشكال الرمل ،
والزايرجات والأحكام النجومية والتقاويم ، ومنازل
القمر وأنوائها .

ويسأل عن له المام بذلك ، فيطلبه ليستفيد منه
واقتنى كتباً فى أنواع العلوم والتواريخ ، واعتكف
بداره القديمة ، ورغب فى الانفراد وترك الحالة التى
كان عليها قبل ذلك ، واقتصر على مماليسكه
والاقطاعات التى بيده . واستمر على ذلك مدة من

الزمان . فثقل هذا الأمر على أهل دائرته . وبدأ
يصغر فى أعين خشداشينه ويضعف جانبه ، وطفقوا
ببأكتونه ، وتجاسروا عليه ، وطمعوا فيما لديه .
وتطلع أدونهم للترفع عليه . فلم يسهل به ذلك ،
واستعمل الأمر الأوسط .

وسكن بدار أحمد جاويش المجنون بدرب
سعادة ، وعمر القصر الكبير بمصر القديمة بشاطيء
النيل تجاه المقياس ، وأنشأ أيضا قصرا فيما بين باب
النصر والدمرداش ، وجعل غالب اقامته فيهما .

وأكثر من شراء الممالك ، وصار يدفع فيهم
الأموال الكثيرة للجلالين ، ويدفع لهم أموالا مقدما
يشترونهم بها ، وكذلك الجوارى .. حتى اجتمع
عنده نحو الألف مملوك خلاف الذى عند كشافه ،
— وهم نحو الأربعين كشافا : الواحد منهم دائرته
قدر دائرة صنجن من الأمراء السابقين — وكل مدة
قليلة يزوج من يختاره من ممالكه لمن تصلح له
من الجوارى ، ويجهزهم بالجهاز الفاخر ، ويسكنهم
الدور الواسعة ، ويعطيهم الفائز والمناصب .

وقلد كشوفية الشرقية لبعض ممالكه ترفعا
لنفسه عن ذلك ، وينزل هو اليهم أيضا على سبيل
التروح .

وبنى له قصرا خارج بليس وآخر بالدمامين .
وأخذ شوكة عربان الشرق ، وجبى منهم الأموال
والجمال . وأخذ ناموسهم الذى كان يغشى أبدان
الفلاحين وأرواحهم . وأضعف شوكتهم ، وأخفى
صولتهم .

وكان يقيم بناحية الشرق شهورا ثلاثة أو أربعة
ثم يعود الى مصر . واصطنع قصرا من خشب مفصلا
قطعا ويركب بشناكل وأغربة متينة قوية يحمل على
عدة جمال . فاذا أراد النزول فى محطة تقدم الفراشون
وركبه خارج الصيوان فيصير مجلسا لطيفا يصعد
اليه ثلاث درج ، مفروش بالطنافس والوسائد يسهل

ثمانية أشخاص ، وهو مسقوف وله شبايك من الأربع جهات ، تفتح وتغلق بحسب الاختيار ، وحوله الأسرة من كل جانب ، وكل ذلك من داخل دهليز الصيوان !

وكان له داران بالأزبكية اخدهما كانت لرضوان بيك بلغيا ، والأخرى للسيد أحمد بن عبد السلام . فبدا له في سنة اثنتي عشرة ومائتين وألف ، أن ينشئ دارا عظيمة خلاف ذلك بالأزبكية : فاشتري قصر ابن السيد سمودي الذي بخطة الساكن فيما بينه وبين قنطرة الدكة من أحمد أغا شويكار ، وهدمه ، وأوقف في شيادته على العمارة كتخداه ذا الفقار ... أرسله قبل مجيئه من ناحية الشرقية ، ورسم له صورة وضعه في كاغد كبير . فأقام جدرانه وحيطانه ، وحضر هو — في أثناء ذلك — فوجده قد أخطأ الرسم . فاغتاز ، وهدم غالب ذلك ، وهندسه على مقتضى عقله . واجتهد في بنائه ، وأوقف أربعة من كبار أمرائه على تلك العمارة : كل أمير في جهة من جهاته الأربع يحثون الصناع ، ومعهم أكثر اتباعهم ومماليكهم .

وعملوا عدة قمن لحرق الأحجار وعمل النورة ، وكذلك ركب طواحين الجبس لطحنه ... وكل ذلك بجانب العمارة . وقطعوا الأحجار الكبار ونقلوها في المراكب من طرا إلى جنب العمارة بالأزبكية ، ثم نشروها بالمناشير ألواحا كبارا لتبليط الأرض وعمل الدرج والفسحات ، وأحضروا لها الأخشاب المتنوعة من بولاق واسكندرية ورشيد ودمياط . واشتري بيت حسن كتخدا الشعراوى المثل على بركة الرطلى من عتقائه ، وهدمه ونقل أخشابه وأنقاضه إلى العمارة ، وكذا نقلوا إليه أنواع الرخام والأعمدة .

ولم يزل الاجتهاد في العمل حتى تم على المنوال الذي أراد . ولم يجعل له خرجات ولا حرمادات

بارزة عن أصل البناء ، ولا رواشن .. بل جملة ساذجا حرصا على المتانة وطول البقاء . ثم ركبوا على فرجاته المظلة على البركة والبستان والرحبة الشبايك الخراط المصنعة ، وركبوا عليها شرائح الزجاج ، ووضع به النجف والأشياء والتحف العظيمة التي أهداها إليه الأفرنج .

وعملوا بقاعة الجلوس السفلى فسقية عظيمة بسلسبيل من الرخام قطعة واحدة ، ونوفرة كبيرة حولها نوفرات من الصفر يخرج الماء من أفواهها . وجعل بها حمامين علويا وسفليا . وبنوا بدائير حوشه عدة كبيرة من الطباق لسكنى المماليك ، وجعله دورا واحدا . ولما تم البناء والبياض والدهان .. فرش به بأنواع الفرش والوسائد والمساند والستائر المقصبات ، وجعل خلفه بستانا عظيما ، وأنشأ به جملونا مستطيلا متسعا به دك وأعمدة — وهو من الجهة البحرية — ينتهى آخره إلى الدور المتصلة بقنطرة الدكة .

وأهدى إليه أيضا الأفرنج فسقية رخام في غاية العظم ... فيها صورة أسماك مصورة ، يخرج من أفواهها الماء ، جعلها بالبستان ونجز البناء والعمل . وسكن بها هو وعياله وحريمه في آخر شهر شعبان من سنة اثنتي عشرة . واستهل شهر رمضان فأوقدوا فيها الوقدات والأحمال الممتلئة بالقناديل بدائر العروش والرحبة الخارجة ، وكذلك بقاعة الجلوس أحمال النجف والشموع والصحب والفناريات الزجاج

وهنته الشعراء . ونظم مولانا الأستاذ الفاضل الشيخ حسن العطار تاريخا لقاعة الجلوس في بيتين نقشوهما بالأزمير على أسكفة باب القاعة ، وموهوبهما بالذهب ، وهما :

شموس التهانى قد أضاءت بقاعة
محاسنها للمعين تزداد بالآلف

على بابها قال السرور مؤرخا :

سما سعاداتي تجدد بالألفى

١٥٤ ٤١١ ٥٤٦ ١٠١

١٢١٢ =

وازدحمت خيول الأمراء ببابه . فأقام على ذلك الى منتصف شهر رمضان ، وبدا له السفر الى الشرقية ... فأبطلوا الوقدة ، وأطفأوا السرج والشموع : فكان ذلك فالأفكانت مدة سكناه به ستة عشر يوما بلياليها . وانما أطنبنا في ذكر ذلك ، ليعتبر أولو الألباب ، ولا يجتهد العاقل في تعمير الخراب !

وفي أثناء غيبته بالشرقية ، وصلت الفرنساوية الى الاسكندرية ، ثم الى مصر . وجرى ما جرى مما سبق ذكره . وذهب مع عشيرته الى قبلى . وعند وصول الفرنساوية الى بر انبابة بالبر الغربى ، وتحاربهم مع المصريين ... أبلى المترجم وجنده - فى تلك الواقعة - بلاء حسنا ، وقتل من كشافه ومماليكه عدة وافرة . ولم يزل - مدة اقامة الفرنساوية بمصر - يتنقل فى الجهات القبلية والبحرية والشرقية والغربية ، ويعمل معهم مكاييد ، ويصطاد منهم بالمصايد .

ولما وصل عرضى الوزير الى ناحية الشام . ذهب اليه وقابله وأنعم عليه ... وكان معه رؤساء من الفرنساوية وعدة أسرى وأسد عظيم اصطاده فى سروحه . فشكره الوزير ، وخلع عليه الخلع السنية ، وأقام بعرضيه أياما . ثم رجع الى قاحبه مصر ، وذهب الى الصعيد ، ثم رجع الى الشام . والفرنساوية يأخذون خبره ، ويرصدونه فى الطرق ... فيزوغ منهم ، ويكبسهم فى غفلاتهم ، وينال منهم .

ولما وصل الوزير ، وحصل انتفاض الصلح ، وانحصر المصريون والعثمانيون بداخل المدينة

وقع له مع الفرنساوية الوقائع الهائلة : فكان يكر ويفر هو وحسن بيك الجداوى ، ويعمل الحيل والمكاييد . وقتل من كشافه فى تلك الحروب رجال معدودة ، منهم : اسماعيل كاشف المعروف بأبى قطية ، احترق هو وجنده بيت أحمد أغا شويكار الذى كان أنشأه برصيف الخشاب .

وكانت الفرنساوية قد عملوا تحته لغم بارود فى أسفل جدرانها - ولم يعلم به أحد - فلما اتزس فيه اسماعيل كاشف ومن معه ، أرسلوا من أهمه النار ... فالتهب على من فيه ، واحترقوا بأجمعهم ، وتطايروا فى الهواء .

ولما اصطاح مراد بيك مع الفرنساوية ، لم يوافق على ذلك واعتزله . ولما اشتد الأمر بين الفريقين ، وشاغت طبخة العثمانيين ومن تبعهم ... طفق يسعى بين الفريقين فى الصلح ، ويشى مع رسل الفرنساوية فى دخولهم بين العسكر وخروجهم ، ليمنع من سدى عليهم من أوباش العسكر ، خوفا من ازدياد الشر . الى أن تم الصلح .

وخرج المترجم مع العثمانية الى نواحي الشام ، ثم رجع الى جهة الشرقية ، فيحارب من يصادفه من الفرنسيين ، ويقتل منهم . فاذا جمعوا جيشه ، وأتوا لحربه ... لم يجدوه . ويمر من خلف الجبل ، ويمر بالحاجز الى الصعيد ، فلا يعلم أين ذهب ! ثم يظهر بالبر الغربى ، ثم يسير مشرقا ويعود الى الشام . وهكذا كان دأبه بطول السنة التى تخللت بين الصلحين ... الى أن نظم العثمانية أمرهم ، وتعاونوا بالانكليز ، ورجع الوزير على طريق البر ، وقبطان باشا بصحبة الانكليز من البحر .

فحضر المترجم وباقي الأمراء ، واستقر الجميع بداخل مصر ... والانكليز ببر الجيزة . وارتحلت الفرنساوية ، وخلت منهم مصر . فعند ذلك ، قلق

المرجم وداخله وسواس ، وفكر ... لأنه كان صحيح النظر في عواقب الأمور ، فكان لا يستقر له قرار . ولم يدخل الى الجريم ، ولم يبت بداره الا ليلتين على سجادة ومخدة في القاعة السفلى ، ولم يكن بها حريم !

يقول الفقير (١) : ذهبت اليه مرة في ظرف اليومين ، فوجدته جالسا على السجادة ، فجلست معه ساعة . فدخل عليه بعض أمرائه يستأذنه في زواج إحدى زوجات من مات من خشمداشيته . فنتر فيه وشتته وطرده . وقال لى : « انظر الى عقول هؤلاء المغفلين : يظنون أنهم استقروا بمصر ، ويتزوجوا ويتأهلوا ... مع أن جميع ما تقدم من حوادث الفرنسيين وغيرها ، أهون من الورطة التى نحن فيها الآن ! » .

ولما أطلق الوزير لبراهيم بيك الكبير التصرف ، وألبسه خلعة ، وجعله شيخ البلد كمادته ، وأن أوراق التصرفات في الاقطاعات والأطيان وغيرها تكون بختمه وعلامته ... اغتر هو وباقي الأمراء بذلك . وازدحم الديوان ببيت ابراهيم بيك المرادى وعثمان بيك حسن والبرديسى ، وتناقلوا في الحديث ... فذكروا ملاطفة الوزير ، ومحبه لهم ، واقامته لناموسهم . فقال المترجم : « لاتفتروا بذلك ، فانما هي حيل ومكايد ، وكأنها تروج عليكم . فانظروا في أمركم ، وتفتنوا لما عساه يحصل ، فان سوء الظن من الحزم ! » .

فقالوا له : « وما الذى يكون ؟ » . قال : « ان هؤلاء العثمانيين لهم السنين العديدة والأزمان المدينة يتنون نفوذ أحكامهم وتملكهم لهذا الاقليم . ومضت الأحقاب وأمراء مصر قاهرون لهم وغالبون عليهم ، ليس لهم معهم الا مجرد الطاعة الظاهرة ... وخصوصا دولتنا الأخيرة ، وما كنا نفعله معهم من

(١) الجبرى .

الاهانة ، ومنع الخزينة ، وعدم الامتثال لأوامرهم . وكل ذلك مكنون في نفوسهم ... زيادة على ما جبلوا عليه من الطمع والخيانة والشره . وقد لجوا البلاد الآن ، وملكوها على هذه الصورة ، وتأمرؤا علينا ، فلا يهون بهم أن يتركوها لنا كما كانت بأيدينا ، ويرجعوا الى بلادهم بعد ما ذاقوا حلاوتها ... فديروا رأيكم ، وتيقظوا من غفلتكم » . فلما سمعوا منه ذلك ، صادق عليه بعضهم ، وقال بعضهم : هذا من وساوسك . وقال آخر : « هذا لا يكون بعد ما كنا نقاتل معهم ثلاث سنوات وأشهر بأموالنا وأنفسنا ... وهم لا يعرفون طرائق البلاد ولا سياستها ، فلا غنى لهم عنا » . وقال آخر غير ذلك .

ثم قالوا له : « وما رأيك الذى تراه ؟ » . فقال : « الراى عندى ، ان قبلتموه ، أن نعدى بأجمعنا الى ير الجيزة ، وننصب خيامنا هناك ، ونجعل الانكليز واسطة بيننا وبين الوزير والقبطان ، ونتمم الشروط التى لمرتاح نحن وهم عليها بكفالة الانكليز ، ولا نرجع الى البر الشرقى ، ولا ندخل مصر حتى يخرجوا منها ، ويرجعوا الى بلادهم ، ويبقى منهم من يبقى : مثل من يقلدوه الولاية والدفتردارية .. ونحو ذلك » .

وكان ذلك هو الراى ، ووافق عليه البعض ولم يوافق البعض الآخر . وقال : « كيف نتأبذهم ، ولم يظهر لنا منهم خيانة ، ونذهب الى الانكليز — وهم أعداء الدين — فيحكم العلماء برءتنا وخياتتنا لدولة الاسلام ... على أنهم ان قصدوا بنا شيئا ، قمنا بأجمعنا عليهم ، وفيما — والله الحمد — الكفاية . وعند ذلك تتوسط بيننا وبينهم الانكليز . فتكون لنا المندوحة والمعذر » .

فقال المترجم : « أما الاستتكاف من الالتجاء للانكليز ، فان القوم لم يستتكفوا من ذلك ، واستعانوا بهم . ولولا مساعدتهم .. لما أدركوا هذا

المحصول ، ولا قدروا على اخراج فرنساوية من البلاد . وقد شاهدنا ما حصل في العام الماضي ، لما حضروا بدون الانكليز . على أنه قياس مع الفارق : فان تلك مساعدة حرب ، وأما هذه .. فهي وساطة مصلحة لا غير !

« وأما انتظار حصول المنابذة ، فقد لا يمكن التدارك بعد الوقوع ... لأمر . والرأى لكم » .

فسكتوا وتفرقوا على كتمان ما دار بينهم . ولما لم يوافقوا المترجم على ما أشار به عليهم ... أخذ يدبر في خلاص نفسه ، فانضم الى محمود أفندي رئيس الكتاب .. لقربه من الوزير ، وقبوله عنده ، وأوهمه النصيحة للوزير بتحصيل مقادير عظيمة من الأموال من جهة الصعيد ان قلده الوزير امانة الصعيد .. فانه يجمع له أموالا جمة من تركات الاغنياء الذين ماتوا بالطاعون في العام الماضي وخلافه ولم يكن لهم ورثة ، وغير ذلك من الجهات التي لا يحيط بها خلافه ، والمال والغلال الميرية .

فلما عرف الرئيس الوزير بذلك ، لم يكن بأسرع من اجابته لوجهين ، الأول : طمعا في تحصيل المال . والثاني : لتفريق جمعهم . فانهم كانوا يحسبون حسابه دون باقى الجماعة ، لكثرة جيشه وشدة احترازه . فانه كان اذا ذهب عند الوزير لا يذهب في الغالب الا وحوله جميع جنوده ومماليكه . وعندما أجاب الوزير الى سفره ، كتب له فرمانا بامارة الجهة القبلية ، وأطلق له الاذن ، ورخص له في جميع ما يؤدي اليه اجتهاده من غير معارض . وتمم الرئيس القصد .

وفي الوقت : حضر المترجم ، فأخذ المرسوم ، ولبس الخلعة بنفسه ، وودع الوزير والرئيس ، وركب في الوقت والساعة ، وخرج مسافرا ، وجعل رئيس أفندي وكيلا عنه وسفيرا بينه وبين الوزير ،

بعد ما أسكنه في داره ... ولم يشعر بذلك أحدا ، ولم ير للوزير وجها بعد ذلك .

وعندما أشيع ذلك ، حضر الى الوزير من اعترس عليه في هذه الغفلة ، وأشار عليه بنقض ذلك ، فأرسل يستدعيه لأمر تذكره على ظن تأخره . فلم يدركوه الا وقد قطع مسافة بعيدة ، ورجعوا على غير طائل . وذهب هو الى أسيوط ، وشرع في جبي الأموال ، وأرسل للوزير دفعة من المال وأغناما ، وعبدا طواشية ، وغلالا .

ثم لم يمض على ذلك الا نحو ثلاثة شهور ، وسافر طائفة من الانكليز الى سكندرية ، وكذلك حسين باشا القبطان . ونصبوا للمصريين الفخاخ . وأرسل القبطان بطلب طائفة منهم ، فأوقع بهم ما أوقع ، وقبض الوزير على من بمصر من الأمراء وجسهم ... وخبر ما هو مسطور في محله . وعينوا على المترجم طاهر باشا بعساكر . وحصلت المفاقة .. وقتل من قتل ، والتجأ من بقى الى الانكليز . ولم يندمل الجرح بعد تقرجه ، وذهب الجميع الى الناحية القبلية . وأرسلوا لهم التجاريد . وتصدى المترجم لحروبهم ، ثم حضر الى ناحية بحري ، ونزل بظاهر الجيزة ، وسار الى ناحية البحيرة — بعد حروب ووقائع — فاجتهد محمد باشا خسرو في اخراج تجريدة عظيمة ... وصارى عسكرها كتخداه — وهو يوسف كتخدايك — وهى التجريدة التي سماها العوام « تجريدة الحمير » لأنهم جمعوا من جملة ذلك حمير الحمار والتراتسين ، وحمير اللكاف والسقائين . وعملوا على أهل بولاق ألف حمار ، وكذلك مصر ومصر القديمة ، وطفقوا يخطفون حمير الناس ، ويكبسون البيوت ، يأخذون ما يجدونه .

وكان يأتي بعض معاكيس العسكر عند الدور ، ويضع أحدهم فيه عند الباب ويقول « زر .. ! » فينهق الحمار ... فيأخذوه !

فلما تم مرادهم من جمع الحير اللازمة لهم ، سافروا الى ناحية البحيرة . فكانت بينهم واقعة عظيمة برأى من الانكليز ، وكانت الغلبة له على العسكر ، وأخذ منهم جملة أسرى ، وانهزم الباقون شر هزيمة ، وحضروا الى مصر فى أسوأ حال .. وهذه الكسرة كانت سببا لحصول الوحشة بين الباشا والعسكر . فانه غضب عليهم ، وأمرهم بالخروج من مصر . فطلبوا علائقهم . فقال : « بأى شئء تستحقون العلائق .. ولم يخرج من أيديكم شئء ؟ » ... فامتنعوا من الخروج وكان المشار إليه فيهم محمد على سر ششمه ، فأراد الباشا اصطياذه ، فلم يتمكن منه لشدة احتراسه . فحاربه ، فوقع له ما ذكر فى محله . وخرج الباشا هاربا الى دمياط .

ومن ذلك الوقت ، ظهر اسم « محمد على » ، ولم يزل ينمو ذكره بعد ذلك .

وأما المترجم ، فانه — بعد كسرتة للعسكر — ذهب ناحية دمنهور ، وذهبت كشافه وأمرأؤه الى المنوفية والغربية والدقهلية . وطلبوا منهم المال والكلف ، ثم رجعوا الى البحيرة . ثم بعد هذه الوقائع ، سافر المترجم مع الانكليز الى بلادهم ، واختار من مماليكه خمسة عشر شخصا — أخذهم صحبته — وأقام عوضه أحد مماليكه المسمى « بشتك بيك » وسمى « الألفى الصغير » ، وأمره على مماليكه وأمرائه ، وأمرهم بطاعته ، وأوصاه وصايا . وسافر وغاب سنة وشهرا وبعض أيام ... لأنه سافر فى منتصف شهر شوال سنة سبعة عشر ، وحضر فى أول شهر ذى القعدة سنة ثمانية عشر .

وجرى فى مدة غيابه من الحوادث التى تقدم ذكرها ما يغنى عن اعاتها : من خروج محمد باشا خسرو ، وتولية طاهر باشا ثم قتله ، ودخول الأمراء المصريين وتحكمهم بمصر سنة ثمانية عشر ،

وتأمر صناعق من أتباع المترجم ، وما جرى بها من الوقائع بتقدير الله تعالى البارز ... بتدبير محمد على وثقافة وحيله . فانه سمى أولا فى تقضى دولة نخدومه محمد باشا خسرو ، بتواطؤه مع طاهر باشا ، وخازن داره محمد باشا المحافظ للقلعة ، ثم الاغراء على طاهر باشا حتى قتل ، ثم معاوئته للأمراء المصريين ودخولهم وتملكهم واطهار المساعدة الكلية لهم ، ومصادقتهم وخدمتهم ، ومعاوئتهم ، والرمح فى غفلتهم — وخصوصا عثمان بيك البرديسى ، فانه كان مخرقا غشوما يجب التراؤس — فظهر له الصداقة والمؤاخة والمصافاة .. حتى قضى منهم أغراضه : من قتل الدفتردار ، والكتخدا ، وعلى باشا الطرابلسى ، ومحاربة محمد باشا ، وأخذه أسيرا من دمياط ، وأخيه السيد على القبطان برشيد ... ونسبة جميع هذه الأفعال والقبائح اليهم !

فلما انقضى ذلك كله لم يبق الا الألفى وجماعته .. والبرديسى ، الذى هو خشداشه ، يحقد عليه ويفار منه ، ويعلم أنه اذا حضر ، لا يبقى له معه ذكرا ، وتخذ أنفاسه . فيتناجيا ، ويتسارا فى أمر المترجم ، ويتذكرا تعاظم وكيله وخصمداشينه ، وتقضهم عليه ما يرمونه — مع غياب أسستاذهم — فكيف بهم اذا حضر ! وبوهمه المساعدة والمعاوضة ، ويكون خادما له ، وعساكره جنسده ... الى أن حضر المترجم ، فأوقع به ما تقدم ذكره ، ونجا بنفسه ، واختفى عند عشية البدوى بالوادى .

فلما خلا الجو من الألفى وجماعته ، أوقع محمد على — عند ذلك -- بالبرديسى وعشيرته ما أوقع . وظهر — بعد ذلك — المترجم من اختفائه ، وذهب الى ناحية قبلى هو ومملوكه صالح بيك . واجتمعت عليه أمرأؤه وأجناده ، واستفحل أمره ، واصطالح مع عشيرته والبرديسى ... على ما فى نفوسهما .

وما زال منجمعا عن مخالطتهم . وجرى ما جرى :
من نجيتهم جوالى مصر ، وحروبهم مع العساكر —
في أيام خورشيد أحمد باشا — وانفصالهم عنها
لبدون طائل ، لتفاسلهم واختلاف آرائهم ، وفساد
تدبيرهم . ورجعوا الى ناحية قبلى ، ثم عادوا الى
ناحية بحرى ... بعد حروب ووقائع مع حسن باشا
ومحمد على وعساكرهم .

ثم لما حصلت المفاقمة بينهما وبين خورشيد أحمد
باشا . واتصر محمد على بالسيد عمر مكرم
القيب والمشايخ والقاضى ، وأهل البلدة والرعايا ،
وهاجت الحروب بين الباشا وأهل البلدة — كما هو
مذكور — كانت الأمراء المصريون بناحية التبين ،
والترجم منزّل عنهم بناحية الطرانة . والسيد عمر
يراسله ويعدده ، ويذكر له بأن هذا القيام من
أجلك ، وإخراج هذه الأوباش ، ويعود الأمر اليكم
كما كان ... وأنت المعنى بذلك لظننا فيك الخير
والصلاح والعدل . فيصدق هذا القول ، ويساعده
بارسال المال ليصرفه في مصالح المقاتلين والجارين .

ومحمد على يذاهن السيد عمر سرا ، ويتلق
اليه ، ويأتيه ويراسله ، ويأتي اليه في أواخر الليل ،
وى أوساطه ، مترددا عليه في غالب أوقاته ، حتى
تم له الأمر ... بعد المعاهدة والمعاقدة ، والإيمان
الكاذبة على سيره بالعدل ، وإقامة الأحكام
والشرائع ، والاقلاع عن المظالم ، ولا يفعل أمرا
الا بمشورته ومشورة العلماء ، وأنه متى خالف
الشروط عزلوه وأخرجوه — وهم قادرون على
ذلك ، كما يفعلون الآن — فيتورط المخاطب بذلك
القول ويظن صحته ، وأن كل الوقائع « زلاية »
وكل ذلك سرا لم يشعر به خلافتهم ... الى أن عقد
السيد عمر مجلسا عند محمد على ، وأحضر
المشايخ والأعيان ، وذكر لهم أن هذا الأمر وهذه
الحروب ما دامت على هذه الحالة ، لا تزداد الا
فشلا ، ولا بد من تعيين شخص من جنس القوم

للولاية . فانظروا من تجدونه وتختارونه لهذا الأمر ،
ليكون قائمقام حتى يتعين من طرف الدولة من
يتعين . فقال الجميع : « الرأى مآراء » . فأشار
الى محمد على . فأظهر التمتع وقال : « أنا لا أضلح
لذلك . ولست من الوزراء ، ولا من الأمراء ، ولا
من أكابر الدولة » . فقالوا جميعا : « قد اخترناك
لذلك برأى الجميع والكافة ، والعبرة رضا أهل
البلاد » . وفى الحال أحضروا فروة وألبسوها له ،
وباركوا له وهنأوه ، وجهروا بخلع خورشيد أحمد
باشا من الولاية ، وإقامة المذكور فى النيابة حتى
يأتى المتولى ... أو يأتى له تقرير بالولاية .

ونودى فى المدينة بعزل الباشا وإقامة محمد على
فى النيابة ... الى أن كان ما هو مسطور قبل ذلك فى
محله .

فلما بلغ المرحم ذلك — وكان بير الجيزة ،
ويراسل السيد عمر مكرم والمشايخ — انقبض
خاطره ، ورجع الى الحيرة ، وأراد دمنهور .
فامتنع عليه أهلها ، وحاربوه وحاربهم . ولم يزل
منهم غرضه .

والسيد عمر يقويه ، ويمدهم ويرسل اليهم البارود
وغيره من الاحتياجات . وظهر للترجم تلاعب
السيد عمر مكرم معه ، وكأنه كان يقويه على نفسه ،
فقبض على السفير الذى كان بينهما ، وحبس
وضربه ، وأراد قتله ، ثم أطلقه ... ثم عاد الى
بر الجيزة . وسكنت الفتنة .

واستقر الأمر لمحمد على باشا . وحضر قبطان
باشا الى ساحل أبى قير ، ووصل سلحداره الى
مصر ، وأنزل أحمد باشا المخلوع عن الولاية من
القلعة الى بولاق ليسافر . ومنع محمد على من
الذهاب والمجيء الى المصريين ، وأوقف أشخاصا
يرا وبحرا يرصدون من يأتى من قبلهم ، أو يذهب
اليهم بشىء من متاع وملبوس وسلاح وغير ذلك ،
ومن عثروا عليه بشىء قبضوا عليه ، وأخذوا ما

له ولاتباعه وأمرائه ، ووسق مراكب وذهب بها معه وعاقبوه . فامتنع الباعة والمتسبيون وغيرهم من الذهاب اليهم بشئ مطلقا .

فضاق خناق المترجم ، فاجتال بأن أرسل محمد كتخداه يطلب الصلح مع الباشا . فالسر لذلك وفرح ، واعتقد صحة ذلك ، وأنعم على الكتخدا ، وعنى هدية جلييلة لمخدومه من ملايس وفراوى وأسلحة وخيام وتقود وغير ذلك . وعندها قضى الكتخدا أشغاله من مطلوبات مخدومه واحتياجاته له ولاتباعه وأمرائه ، ووسق مراكب وذهب بها جهارا من غير أن يتعرض له أحد . وذهب صحبته السلحدار ، وموسى البارودى .

ثم عاد الكتخدا ثانيا ، وضحبه السلحدار وموسى البارودى ، وذكروا أنه يطلب كشوفية الفيوم وبني سوف والجيزة والبحيرة ومائتى بلد من الغريسة والمنوفية والدقهلية ... يستغل فائظها ، ويجعل اقامته بالجيزة ، ويكون تحت الطاعة . فلم يرض الباشا بذلك ، وقال : « اتنا صالحنا باقى الأمراء ، وأعطيناهم من حدود جرجا بالشروط التى شرطناها عليهم ... وهو داخل فى ضمنهم » . فرجع محمد كتخداه له بالجواب — بعد أن قضى أشغاله واحتياجاته ولوازمه من أمتعة وخيام وسروج وغير ذلك — وتمت حيلته ، وقضى أغراضه ، وذهب الى الفيوم ، وتحارب جنده مع جند ياسين بيك . وانخذل فيها ياسين بيك . ثم عاد شاهين بيك الألفى بجند كثير بعد شهر الى بر الجيزة .

وخرج محمد على باشا لمحاربته بنفسه ، فكانت له الغلبة . وقتل فى هذه الواقعة على كاشف الذى كان تزوج بزوجة حسن بيك الجداوى ، وهى بنت حسن بيك شئن ... رآه الأخصام متجملا ، فظنوه الباشا ، فأحاطوا به وأخذوه أسيرا ، ثم قتلوه . ورجع الباشا الى بر مصر ، واجتهد فى

تسهيل تجريدة أخرى . وكل ذلك مع طول المدى . وفى أثناء ذلك : مات بشتك بيك ، المعروف بالألفى الصغير ، مبطونا بناحية قبلى . ثم ان المترجم خرج من الفيوم فى أوائل المحرم من السنة المذكورة .

وكان حسن باشا طاهر بناحية جزيرة الهوا بمن معه من العساكر . فكانت بينهما واقعة عظيمة ، انهزم فيها حسن باشا الى الرق ، وأدركه أخوه عابدين بيك فأقام معه بالرق ، كما تقدم .

وحضر الألفى الى بر الجيزة وانابة ، وخرجت اليهم العساكر . فكانت بينهم واقعة بسوق الغنم ، ظهر عليهم فيها أيضا ، ثم سار مبحرا ، وعدى من عسكره وجنده جملة الى السبكية ، فأخذوا منها ما أخذوه ، وعادوا الى أستاذهم بالطرانة . ثم انه اتقل راحلا الى البحيرة ، وحرب دمنهور ومحاصرتها وكانوا قد حصنوها غاية التخصين ، فلم يقدر عليها ، فعاد الى ناحية وردان ، ثم رجع الى جوش ابن عيسى ، لأنه بلغه وصول مراكب ، وبها أمين بيك تابعه وعدة عساكر من النظام الجديد وأشخاص من الانكليز ... لأنه كان — مع ما هو فيه من التنقلات والحروب — يرسل الدولة والانكليز . وأرسل بالخصوص أمين بيك الى الانكليز ، فسعوا مع الدولة بمساعدته ، وحضروا اليه بمطلوبه . فعمل لهم بحوش ابن عيسى شنكا ، وأرسلهم مع أمين بيك الى الأمراء القبلين .

فلما بلغ محمد على باشا ذلك ، راسل الأمراء القبلين وداهنهم ، وأرسل لهم الهدايا . فراجت أموره عليهم ... مع ما فى صدورهم من الغل للمترجم .

وفى أثر ذلك : حضر قبطان باشا الى الاسكندرية ، ووردت الساعة بخير وروده ، وأن

بعده واصل موسى باشا واليا على مصر ... وبالعفو عن المصريين .

وكان من خبر هذه القضية والسبب في حركة القبطان : ارساليات الألفى للانكليز ، ومخاطبة الانكليز الدولة ووزيرها ، المسمى محمد باشا السلحدار — وأصله مملوك السلطان مصطفى ، ولا يخفى الميل الى الجنسية — فاتفق أنه اختلى بسليمان أغا تابع صالح بيك الوكيل — الذى كان يوسف باشا الوزير قلده سلحدارا ، وأرسله الى اسامبول — وسأله عن المصريين هل بقى منهم غير الألفى . فقال له : « جميع الرؤساء موجودون » . وعددهم له — وهم ومماليكهم يبلغون ألفين وزيادة — فقال : « انى أرى تمليكهم ورجوعهم على شروط نشتريها عليهم ، أولى من تمادى العداوة بينهم وبين هذا الذى ظهر من العسكر ... وهو رجل جاهل متحيل ، وهم لايسهل بهم اجلاؤهم عن أوطانهم وأولادهم ومسيادتهم التى ورثوها عن أسلافهم . فيتساقط الحال ، والحروب بينهم وبينه ، واحتياج الفريقين الى جمع العساكر ، وكثرة النفقات ، والملائم والمصاريف ، فيجمعونها من أى وجه كان ، ويؤدى ذلك الى خراب الإقليم . فالأولى والمناسب صرف هذا المتغلب واخراجه وتولية خلفه ... فما رأيك فى ذلك ؟ » .

فقال سليمان : « لا رأى عندى فى ذلك » . وخاف أن يكون كلامه له باطن خلاف الظاهر ... وأدرك منه ذلك ، فحلف له عند ذلك الوزير أن كلامه وخطابه له على ظاهره وحقيقته .. لكن لا بد من مصلحة للخزينة العامة .

فقال له سليمان أغا : « اذا كان كذلك ، ابعثوا الى الألفى باحضار كتخداه محمد أغا لأنه رجل يصلح للمخاطبة لمثل ذلك » . ففعل وحضر المذكور

فى أقرب وقت ، وتمسوا الأمر على مصلحة ألف وخمسة كيس ... كفلها محمد كتخداه المذكور يدفعها لقبطان باشا عند وصوله بيد سليمان أغا المذكور ، وكفاته أيضا لمحمد كتخداه ، بعد اتمام الشروط التى قررها له مخدمه . ومن جملتها : اطلاق بيع الممالك وشرايتهم ، وجلب الجلايين لهم الى مصر كمعادتهم . فإنهم كانوا منعوا ذلك من نحو ثلاث سنوات وغير ذلك .

وسافر كل من سليمان أغا الوكيل ومحمد كتخداه ، بصحبة قبودان باشا ، حتى طلعا على نجر سكندرية فركبا ، صحبة سلحدار القبودان ، فتلاقوا مع المترجم بالبحيرة ، وأعلموه بما حصل . فامتلا فرحا وسرورا وقال لسليمان أغا : « اذهب الى اخواننا بقبلى ، واعرض عليهم الأمر ، ولا يخفى أننا الآن ثلاث فرق : كبيرنا ابراهيم بيك وجماعته ، والمرادية وكبيرهم هناك عثمان بيك البرديسى ، وأنا وأتباعى ... فيكون ما يخص كل طائفة من مائة كيس . فاذا استلمت منهم الألف كيس ورجعت الى ... سلمتكم الخمسمائة كيس » .

فركب المذكور ، وذهب اليهم ، واجتمع بهم ، وأخبرهم بصورة الواقع ، وطلب منهم ذلك القدر . فقال البرديسى : « حيث ان الألفى بلغ من قدره أنه يخاطب الدول والقرايات ويراسلهم ، ويتم أغراضه منهم ، ويولى الوزراء ويعزلهم بمراده ، ويتعين قبودان باشا فى حاجته ... فهو يقوم بدفع المبلغ بتمامه ، لأنه صار الآن هو الكبير ، ونحن الجميع أتباع له وطوائف خلفه ، بما فيه والدنا وكبيرنا ابراهيم بيك وعثمان بيك حسن وحلافه » .

فقال سليمان أغا : « هو على كل حال واحد منكم وأخوكم » . ثم انه اختلى مع ابراهيم بيك الكبير وتكلم معه . فقال ابراهيم بيك : « أنا أرى بدخولى أى بيت كان ، وأعيش ما بقى من

شيء ، وأقنع بإيرادي الذي كان يبدى سابقا ،
فانه يكفيني .

وان اعتقدوا غدري لهم في المستقبل ، بسبب
ما فعلوه معي من قتلهم حسين بك تابعي ،
وتمصّبهم وحرصهم على قتلي واعدامي أنا
وأتباعي ، فبعض ما نحن فيه الآن أسانى ذلك
كله ، فان حسين بك المذكور مملوكي ، وليس
هو أبى ولا ابنى من صلبى ، والبا هو مملوكي
اشتريته بالدرهم ، واشترى غيره ، ومملوكي
مملوكهم ، وقد قتل لى عدة أمراء ومماليك في
الحروب فأفرضه من جملتهم، ولا يصينى ويصيههم
الا ما قدره الله علينا ... وعلى أن الذى فعلوه بى
لم يكن لسابق ذنب ولا جرم حصل منى في حقهم ،
بل كنا جميعا اخوانا . وتذكروا اشارتى عليهم
السابقة في الالتجاء الى الانكليز ، وندموا على
مخالفتى بعد الذى وقع لهم ، ورجعوا الى ، ثم
أجمع رأيهم على سفرى الى بلاد الانكليز ،
قامتلك ذلك ، وتجشمت المشاق ، وخاطرت
ينفسى وسافرت الى بلاد الانكلتره ، وقاسيت
أحوال البحار سنة وأشهر ، كل ذلك لأجل راحتى
وراحتهم .

وحصل ما حصل في غيابى ، ودخلوا مصر من
غير قياس ، وبنوا قصورهم على غير أساس ،
واطأوا الى عدوهم ، وتعاونوا به على هلاك
صدقهم . وبعد أن قضى غرضه منهم غدرهم
وأحاط بهم وأخرجهم من البلدة وأهانهم وشردهم ،
واحتال عليهم ثانيا - يوم قطع الخليج - فراجت
حيثه عليهم أيضا ، وأرسلت اليهم فنصحتهم ،
فاستغشوني وخالفوني ، ودخل الكثير منهم البلد ،
وانحصروا في أزقتها ، وجرى عليهم ما جرى من
القتل الشنيع ، والأمر القطيع ، ولم ينج الا من
تخلف منهم ، أو ذهب من غير الطريق .

عمرى مع عيالى وأولادى تحت اماره أى من كان
من عشيرتنا .: أولى من هذا الشتات الذى نحن
فيه . ولكن كيف أفعل في الرفيق المخالف ؟ وهذا
الذى حصل لنا كله بسوء تدبيره ونجسه ، وعشت
أنا ومراد بك المدة الطويلة بعد موت أستاذنا
- وأنا أتفاضى عن أفعاله وأفعال أتباعه ،
وأسامحهم في زلاتهم . كل ذلك حذرا وخوفا من
وقوع الشر والقتل والعداوة ... الى أن مات وخلف
هؤلاء الجماعة المجانين ، وترأس البرديسى عليهم
مع غياب أخيه الألفى ، ودخله الغرور ، وركن
الى أبناء جنسه ، وصادقهم ، واغتر بهم ، وقطع
رحمه ، وفعل بالألفى ، الذى هو خشدداشه وأخوه ،
ما فعل ، ولا يستمع لنصح ناصح أولا وآخر .
ومازال سليمان أغا يتفاوض معهم في ذلك أياما ،
الى أن اتفق مع ابراهيم بك على دفع نصف
المصلحة ، ويقوم المترجم بالنصف الثانى . فقال :
« سلمونى القدر اذهب به ، وأخبره بما حصل » .
فقالوا : « حتى ترجع اليه وتعلمه وتطيب خاطره
على ذلك ، لئلا يقبضه ثم بطلنا بغيره » .

فلما رجع اليه وأخبره بما دار بينهم ، قال :
« أما قولهم انى أكون أميرا عليهم ، فهذا لا يتصور
ولا يصح أنى أعظم على مثل والدى ابراهيم
بك وعثمان بك حسن ، ولا على من هو في
طبقتى من خشدداشيني ... على أن هذا لا يعيهم
ولا ينقص مقدارهم بأن يكون المتأمر عليهم واحدا
منهم ومن جنسهم ، وذلك أمر لم يخطر لى ببال ،
وأرضى بأدنى من ذلك ، وبأخذوا على عهد بما
أشترطه على نفسى : أننا اذا عدنا الى أوطاننا ،
أن لا أداخلهم في شيء ، ولا أقارصهم في أمر ،
وأن يكون كبيرنا والدنا ابراهيم بك على عادته ،
ويسمحوا لى بإقامتى بالجيزة ، ولا أعارضهم في

اقتلوه بعد ذلك وتستريحوا منه . فقالوا :
« هيات بعد أن يظهر علينا ، فانه يقتلنا واحدا بعد
واحد ، ويخرجنا الى البلاد ثم يرسل يقتلنا . وهو
بعيد المكر ، فلا نأمن اليه مطلقا » .

وغيرهم الخصم بتمويهاته ، وأرسل اليهم هدايا
وخيولا وسروجا وأقمشة . هذا ورسل القبودان
تذهب وتأتى بالمخاطبات والعرضحالات ، حتى
ثموا الأمر كما تقدم .

وفى أثناء ذلك : ينتظر القبودان جوابا كافيا ،
وسلحداره مقيم أيضا عند المترجم . والمترجم
يشاغل القبودان بالهدايا والأغنام والذخيرة من
الأرز واللال والسمن والعسل وغير ذلك ... الى
أن رجع اليه سليمان أغا بخفى حنين ، محزونا
مهموما متحيرا فيما وقع فيه من الورطة ، مكسوف
البال مع القبودان ووزير الدولة ، وكيف يكون
جوابه للمذكور ... والقبودان جعل فى الإبرة
خيطين ليتبع الأروج .

فلما وصل اليه سليمان أغا وأخبره أن الجماعة
القبليين لا راحة عندهم ، وامتنعوا من الدفع ومن
الحضور ، وأن المترجم يقوم بدفع القسدر الذى
يقدر عليه ، والذى يبقى ويتجمع عليه يقوم بدفعه .
فانحاز القبودان وقال : « أنت تضحك على ذقتى
ودقن وزير الدولة ! وقد تحركنا هذه الحركة على
ظن أن الجماعة على قلب رجل واحد . واذا حصل
من المالك للبلدة عصيان ومخالفة ، ولم يكن فيهم
مكافأة لمقاومته ... ساعدناهم بجيش من النظام
الجديد وغيره . وحيث أنهم متنافرون ومتحاسدون
ومتباغضون فلا خير فيهم ، وصاحبك هذا لا يكفى
فى المقاومة وحده ، ويحتاج الى كثير المعاولة ، وهى
لا تكون الا بكثرة المصاريف » .

ولما ظهر لسليمان أغا الفيظ والتغير من
القبودان ، خاف على نفسه أن يبطش به ، وعرف

ثم انه الآن أيضا يرأسهم ويداهنهم ، ويهاديهم
ويصالحهم ، ويضطهم عما فيه النجاح لهم ، وما أعلن
أن الغفلة استحكمت فيهم الى هذا الحد ؟

فارجع اليهم وذكرهم بما سبق لهم من الوقائع
فلعلمهم يتنبهوا من سكرتهم ، ويرسلوا معك الثلثين
أو النصف الذى سمح به والدنا ابراهيم بيك .
وهذا القدر ليس فيه كبير مشقة ، فانهم اذا
وزعوا على كل أمير عشرة أكياس ، وعلى كل
كاشف خمسة أكياس ، وكل جندى أو مملوك
كيسا واحدا ، اجتمع المبلغ وزيادة ... وأنا أفعل
ذلك مع قومي ، والحمد لله ليسوا هم ولا نحن
مفاليس . وثرة المال قضاء مصالح الدنيا ، وما
نحن فيه الآن من أهم المصالح .

وقل لهم : « البدار قبل فوات الفرصة ، والخصم
ليس بغافل ولا مهمل ، والعثمانيون عبيد الدرهم
والدينار » .

فلما فرغ من كلامه ، ودعه سليمان أغا ، ورجع
الى قبلى . فوجد الجماعة أصروا على عدم دفع
شئ .

ورجع ابراهيم بيك أيضا الى قولهم ورأيهم . ولما
ألقى لهم سليمان أغا العبارات التى قالها صاحبه ،
وأنه يكون تحت أمرهم ونهيهم ، ويرضى بأدنى
المعاش معهم ، ويسكن الجيزة الى آخر ما قال ...
قالوا : « هذا والله كله كلام لا أصل له ، ولا ينسى
نأره ، وما فعلناه فى حقه وحق أتباعه . ولو اعتزل
عنا ، وسكن قاعة الجبل ، فهو الألقى الذى شاع
ذكره فى الآفاق ، ولا تخاطب الدولة غيره . وقد
كنا فى غيبته لا نطبق غفريتا من غفاريته ، فكيف
يكون هو وغفاريته الجميع ومن ينشئه خلافهم ! » .
وداخلهم الحقد ، وزاد فى وساوسهم الشيطان .
فقال لهم سليمان أغا : « اقضوا شغلكم فى هذا
الحين ، حتى تنجلي عنكم الأعداء الأغراب ، ثم

منه أن المانع له من ذلك غياب السلحدار عند المترجم ، لأنه قال له : « وأين سلحدارى ؟ » . قال : « هو عند الألفى بالبحيرة » . فقال : « اذهب فأتني به ، واحضر صحبتي » .

وكان موسى باشا المتولى قد حضر أيضا . فما صدق سليمان أغا بقوله ذلك وخلصه من بين يديه ، فركب في الوقت وخرج من الاسكندرية ، فما هو الا أن بعد عنها مقدار غلوة ... الا والسلحدار قادم الى سكندرية . فسأله : الى أين يذهب ؟ فقال : « ان مخدمك أرسلنى فى شغل ، وهأنا راجع اليكم » . وذهب عند المترجم ولم يرجع .

وفي أثناء هذه الأيام كان المترجم يحارب دمنهور ، وبعث اليه محمد على باشا التجربة العظيمة التى بذل فيها جهده ، وفيها جميع عساكر الدلاة ، وظاهر باشا ومن معه من عساكر الأرئود والأتراك وعسكر المغاربة . فحاربهم وكسرتهم وهزمهم شر هزيمة ، حتى ألقوا بأنفسهم فى البحر ، ورجعوا فى أسوأ حال .

فلو تجاسر المترجم وتبعهم .. لهرب الباقون من البلدة ، وخرجوا جميعا على وجوههم من شدة ما داخلهم من الرعب ، ولكن لم يرد الله ذلك . ولم يجسروا للخروج عليه بعد ذلك .

ولما تنحت عنه عشيرته ، ولم يلبوا دعوته ، وأتلفوا الطبخة ، وسافر القبودان وموسى باشا من ثغر سكندرية على الصورة المذكورة ... استأنف المترجم أمرا آخر ، وراسل الانكليز يلتمس منهم المساعدة ، وأن يرسلوا له طائفة من جنودهم ليقوى بهم على محاربة الخصم ... كما التمس منهم فى العام الماضى ، فاعتذروا له بأنهم صلح مع العثماني ، وليس فى قانون الممالك — اذا كانوا صلحا — أن يتعدوا على المتصادقين معهم ، ولا يوجهون نحوها عساكر الا بأذن منهم ، أو بالتناس المساعدة فى

أمر مهم ، فغاية ما يكون المكالمة والترجى .. ففعلوا ، وحصل ما تقدم ذكره ، ولم يتم الأمر .

فلما خاطبهم بعد الذى جرى ... صادف ذلك وقوع الغرة بينهم وبين العثماني . فأرسلوا الى المترجم يعدونه بأقاذ ستة آلاف لمساعدته . فأقام بالبحيرة ينتظر حضورهم نحو ثلاثة شهور . وكان ذلك أوان القيقظ ، وليس ثم زرع ولا نبات . فضاقت على جيوشهم الناحية — وقد طال انتظاره للانكليز — فتشكى العربان المجتمعون عليه وغيرهم لشدة مأهم فيه من الجهد ... وفى كل حين يوعدهم بالفرج ، ويقول لهم : « اصبروا لم يبق الا القليل » . فلما اشتد بهم الجهد ، اجتمعوا اليه وقالوا له : « اما ان تنتقل معنا الى ناحية قبلى ... فان أرض الله واسعة ، واما أن تأذن لنا فى الرحيل فى طلب القوت » . فما وسعه الا الرحيل مكظوما مقهورا من معاندة الدهر فى بلوغ المآرب . الأول : مجئ القبودان وموسى باشا على هذه الهيئة والصورة ، ورجوعهما على غير طائل . الثانى : عدم ملكه دمنهور . وكان قصده أن يجعلها معقلا ويقيم بها حتى تأتية النجدة . الثالث : تأخر مجئ النجدة حتى قحطوا واضطروا الى الرحيل ، الرابع : وهو أعظمها ، مجانبة اخوانه وعشيرته ، وخذلانهم له ، وانتاعهم عن الانضمام اليه . فارتحل من البحيرة بجيوشه ومن يصحبه من العربان ، حتى وصل الى الأخصاص .

فنادى محمد على باشا على العساكر بالخروج ، ولا يتأخر منهم واحد . فخرجوا أفواجا ليلا ونهارا حتى وصلوا الى ساحل بولاق ، وعدوا الى بر انبابة ، وجيشوا بظاهرها .

وقد وصل المترجم الى كفر حكيم ، يوم الثلاثاء ثامن عشر القعدة ، وانتشرت جيوشه بالبر الغربى ناحية انبابة والجيزة . وركب الباشا وأصناف العساكر ، ووقفوا على ظهر خيولهم ، واصطفت

الرجال بينادقهم وأسلحتهم ... ومر المترجم في هيئة
عظيمة هائلة وجيوش تسد الفضاء ، وهم مرتبون
طواير ومعهم طبول ، وصحبته قبائل العرب من
أولاد على والهادى وعربان الشرق في كبكة
زائدة ... والباشا والعسكر وقوف ينظرون اليهم
من بعد ، وهو يتمجب ويقول : « هذا ملهماز
الزمان ! والا ايش يكون ؟ » . ثم يقول للدلاة
والخيالة : « تقدموا ، وحاربوا . وأنا أعطيكم كذا
وكذا من المال » . ويذكر لهم مقسدير عظيمة ،
ويرغبهم . فلم يتجاسروا على الاقدام ، وصاروا
باهتين ومتعجبين ، ويتساجون فيما بينهم
ويتشاورون في تقديمهم وتأخرهم ... وقد أداموا
بأعينهم !

ولم يزل سائرا حتى وصل الى قريب قناطر
شبرامنت ، فنزل على علوة هناك ، وجلس عليها .
وزاد به الهاجس والقهر ، ونظر الى جهة مصر
وقال : « يا مصر .. انظري الى أولادك ، وهم
حولك مشتتين ، متباعدين مشردين ، واستوطنك
أجلاف الأتراك واليهود وأراذل الأرثود ، وصاروا
يقبضون خراجك ، ويحاربون أولادك ، ويقاتلون
أبطالك ، ويقاومون فرسانك ، ويهدمون دورك ،
ويسكنون قصورك ، ويفسقون بولدائك
وحورك ، ويطمسون بهجتك ونورك ! » . ولم يزل
يردد هذا الكلام وأمثاله ، وقد تحرك به خلط
دموى ، وفي الحال تقايا دما ، وقال : « قضى
الأمر ، وخلصت مصر لمحمد على ، وما ثم من
ينازعه ويقال به ، وجرى حكمه على الممالك
المصرية ، فما أظن أن تقوم لهم راية بعد اليوم » .

ثم انه أحضر أمراءه ، وأمر عليهم شاهين بيك ،
وأوصاه بخشداشينه ، وأوصاهم به ، وأن يحرسوا
على دوام الألفة بينهم وترك التنازع الموجب للفرق
والتفائل ، وأن يحذروا من مخادعة عدوهم .

وأوصاهم أنه اذا مات حملوه الى وادى البهت
ويدفنوه بجوار قبور الشهداء . فمسات في
الليلة ، وهى ليلة الأربعاء تاسع عشر ذى القعدة
فلما مات ، غسلوه وكفنوه ، وصلوا عليه
وحملوه على بعير ، وأرسلوه الى البهنسا ، ودفع
هناك بجوار الشهداء . واقتضى نعبه ، فسبحان
له سرمدية البقاء .

وفي الحال : حضر المبشر الى محمد على بك
وبشره بموت المترجم . فلم يصدق ، واستغ
ذلك ، وحبس البدوى الذى أتاه بالبشارة أرب
أيام ... وذلك لأن أتباعه كانوا اكنموا أمر موته
يذيعوه في عرضيه . والذى أشاع الخبر وأ
بالبشارة رفيق البدوى الذى حمله على بعيره
ولما ثبت موته عند الباشا ، امتلا فرحا وسرور
وكذلك خاصته ، ورفعوا رؤوسهم .

وأحضر ذلك المبشر ، فألبسه فروة سمور
وأعطاه بالاً ، وأمره أن يركب بتلك الخلعة ويش
بها من وسط المدينة ليراه أهل البلدة .

وشاع ذلك الخبر فى الناس من وقت حضر
المبشر ، وهم يكذبون ذلك الخبر ، ويقولون : ه
من جملة تخيلات ، فانه لما سافر الى بلاد الانكليز
لم يعلم بسفره أحد ، ولم يظهر سفره الا بعد م
أشهر ... فلذلك أمر الباشا ذلك المبشر أن يرك
بالخلعة ويمر بها من وسط المدينة ، ومصح ذل
استمروا فى شكهم نحو شهرين حتى قويت عنده
القرائن بما حصل بعد ذلك .

فانه لما مات تفرقت قبائل العربان التى كانت
متجمعة حوله ، وبعضهم أرسل بل يطلب أمانا م
الباشا ، وغير ذلك مما تقدم ذكره وخبره فى ضم
ما تقدم ... وكان محمد على باشا يقول : « ماذا
هذا الألفى موجودا ... لا يهنا لى عيش ، ومثالي

أنا وهو : مثال بهلوانين يلعبان على الجبل ، لكن هو في رجليه قبقاب ا .

فلما أتاها المبشر بموته قال — بعد أن تحقق ذلك — : « الآن .. طابت لى مصر ، وما عدت أحسب لغيره حسابا ا » .

وكان المترجم أميرا جليلا مهيبا ، محتشما ، مدبرا بعيد الفكر في عواقب الأمور ، صحيح الفراسة . اذا نظر في سحنة انسان عرف حاله وأخلاقه بمجرد النظر اليه ، قوى الشكيمة ، صعب المراس ، عظيم البأس ، ذا غيرة حتى على من ينتمى اليه ، أو ينسب الى طرفه . يجب علو الهمة في كل شيء ، حتى أن التجار الذين يعاملهم في المشتريات ، لا يساووهم ولا يفصلهم في أثمانها ، بل يكتبون الأثمان بأنفسهم كما يحبون ويريدون في قوائم ، ويأخذها السكاتب ليعرضها عليه ، فيمضى عليها ولا ينظر فيها . ويرى أن النظر في مثل ذلك ، أو المحاققة فيه عيب وقص يخل بالأمرة .

ولا تمضى السنة الا والجميع قد استوفوا حقوقهم ، ويستأنفوا احتياجات العام الجديد . ولذلك راج حال المعاملين له رواجا عظيما لكثرة ربحهم عليه ومكاسبهم . ومع ذلك يواسيهم في جملة أحبابه والمنتسبين اليه ، بارسال الغلال لمثونة يميوتهم وغيالهم ، وكساوى العيد ا

ويقتصر لأتباعه ولمن انتهى اليه ، ويحب لهم رفعة القدر عن غيرهم ... مع أنه اذا حصل من أحد منهم هفوة تخل بالمرودة ، عنفه وزجره ، فترى كشافه ومماليكه — مع شدة مراسهم وقوة نفوسهم وصعوبتهم — يخافونه خوفا شديدا ، ويهابون خطابه .

ومن عجيب أمره ومناقبه التي انفرد بها عن غيره ، امتثال جميع قبائل العربان الكائنين بالقطر المصرى لأمره ، وتسخيرهم وطاقاتهم له .. لا يخالفونه

في شيء . وكان له معهم سياسة غريبة ، ومعرفة بأحوالهم وطبائعهم ... فكانما هو مربى فيهم ، أو ابن خليفتهم ، أو صاحب رسالتهم ... يقومون ويقعدون لأمره مع أنه يصادهم في أموالهم وجمالهم ومواشيهم ، ويحبسهم ويطلقهم ، ويقتل منهم . ومع ذلك لا ينفرون منه ا

وقد تزوج كثيرا من بناتهم : فالتى تعجبه بيقها حتى يقضى وطره منها ، والتي لاتوافق مزاجه يسرحها الى أهلها . ولم يبق في عصمته غير واحدة — وهى التى أعجبه — فمات عنها .

فلما بلغ العرب موته ... اجتمعت بنات العرب ، وصرن يندبنه بكلام عجيب ، تناقلته أرباب المغاني يغنون به على آلات اللهو المطربة ، وركبوا عليه أدوارا وقوافي وغير ذلك ا

والعجب منه — رحمه الله — أنه لما كان في دولتهم السابقة ، وينزل في كل سنة الى شرقية بليس ويتحكم في عربانها ، ويسومهم سوء المذاب بالقبض عليهم ووضعهم في الزناجير ، ويتعاون على البعض منهم بالبعض الآخر ، ويأخذ منهم الأموال والخيول والأباعر والأغنام ، ويفرض عليهم الفرض الزائدة ، ويمنعهم من التسلط على فلاحى البلاد ا ثم انه لما رجع من بلاد الانكليز ، وتعصب عليه البرديسى والعسكر ، وأحاطوا به من كل جانب ... فاخفى منهم ، وهرب الى الوادى عند عشية البدوى ، فأواه وأخفاه ، وكنم أمره . والبرديسى ومن معه يبالغون في الفحص والتفتيش ، وبذل الأموال والרגائب لمن يدل عليه أو يأتي به... فلم يطعموا في شيء من ذلك ، ولم يقشوا سره ، وقيدوا بالطرق الموصلة له أنفارا منهم تحرس الطريق من طارق يأتي على حين غفلة ... وهذا من المعجائب ، حتى كان كثير من الناس يقولون : « انه يسحرهم ، أو معه سر يسخرهم به ا » .

وله أيضا معرفة بالأشكال الرملية ، واستخراجات الضنائر بالقواعد الحرفية . وكان له في ذلك اصابات ، ومنها ما أخبرني به بعض أتباعه : أنه لما وصل الى ثغر سكندرية — راجعا من بلاد الانكليز — رسم شكلا وتأمل فيه ، وقطب وجهه ، ثم قال : « انى أرى حادثا في طريقنا ، وربما أنى أفترق منكم ، وأغيب عنكم نحو أربعين يوما » . فلذلك .. أحب أن يخفى أمره ويأتى على حين غفلة .

وكان البرديسى قد أقام بالثغر رقبيا ، يوصل خبر وروده . فلما وصل ، أرسل ذلك الرقيب ساعيا في الحال — وكان مذكرناه في سياق التاريخ ، من غدرهم وقتلهم حنين بيك الوشاش بالبر الغربى ، وهروب بشتك بيك من القصر ، وإرسال العسكر للملاقة المترجم على حين غفلة ليقتلوه ، وهروبه واختفاؤه ، ثم ظهوره واجتماعهم عليه بعد انقضاء تلك المدة ، أو قريب منها .

وكان — رحمه الله — اذا سمع بانسان فيه معرفة بمثل هذه الأشياء ، أحضره ومارسه فيها ، فان رأى فيه فائدة أو مزية أكرمه وأساءه وصاحبه وقربه اليه وأدناه .

وكان له مع جلسائه مباسطة — مع الحشمة والترفع عن الهديان والمجون . وكان غالب اقامته بقصوره التى عمرها خارج مصر — وهو القصر الكبير بمصر القديمة ، تجاه المقياس بشاطئ النيل ، والقصر الآخر الكائن بالقرب من زاوية الدمرداش ، والقصر الذى بجانب قنطرة المغربى على الخليج الناصرى .

وكان اذا خرج من داره — لبعض تلك القصور — لا يمر من وسط المدينة ، واذا رجع كذلك . فسئل عن سبب ذلك ، فقال :

« أستحي أن أمر من وسط الأسواق وأهل

فلما مات ، تفرق الجميع ، ولم يجتمعوا على أحد بعده ، وذهبوا الى أماكنهم ، وبعضهم طلب من الباشا الأمان . وأما مماليكه وأتباعه ، فلم يفلحوا بعده ، وذهبوا الى الأمراء القليلين ، فوجدوا طباعهم متنافرة عنهم ، ولم يحصل بينهم التئام ولا صفا كدر الفريقين من الآخر ، فانزلوا عنهم الى أن جرى ماجرى من صلحهم مع الباشا ، وأوقع بهم ماسيتلى عليك بعد ... ان شاء الله تعالى .

وبعد موت المترجم بنحو الأربعين يوما ، وصلت نجدة الانكليز الى ثغر الاسكندرية ، وطلعوا اليه . فبلغهم عند ذلك موت المذكور ، فلم يسهل بهم الرجوع ، فأرسلوا رسلهم الى الجماعة المصريين — ظانين أن فيهم أثر الهمة والنخوة — يطلبونهم للحضور ، ويساعدتهم الانكليز على ردهم لمملكتهم وأوطانهم .

وكان محمد على باشا — حين ذاك — بناحية قبلى يحاربهم ، فطلبهم للصلح معه ، وأرسل اليهم بعض فقهاء الأزهر وخادعهم وثبطهم ، فقعذوا عن الحركة ، وجهى ماجرى على طائفة الانكليز ، كما سيتلى عليك خبره ، ثم عليهم بعد ذلك .. وكان أمر الله مفعولا .

وكان للمترجم ولوع ورغبة في مطالعة الكتب ... خصوصا العلوم الغربية ، مثل : الجغريات ، والجغرافيا ، والاسطرنوميا ، والأحكام النجومية ، والمناسطرات الفلكية وما تدل عليه من الحوادث الكونية . ويعرف أيضا مواضع المنازل وأسماءها وطبائعها ، والخمسة المتحيرة ، وحركات الثوابت ومواقعها ... كل ذلك بالنظر والمشاهدة والتلقى على طريقة العرب من غير مطالعة في كتاب ، ولا حضور درس . واذا طالع أحد بحضرته في كتاب ، أو أسمع ، ناضلة مناضلة متضلع ، وناقشه مناقشة متطلع .

الحوادث والمارة ينظرون الى ، وأفرجهم على
نفسى .

وللمترجم أخبار وسير ووقائع .. لو سطرت ،
لكانت سيرة مستقلة ، خصوصا وقائمه وسياخه
ثلاث سنوات وثلاثة أشهر ، أيام أقام الفرنساوية
بالقطر المصرى ، ورحلته بعند ذلك الى بلاد
الانكلز ، وغايه بها سنة وشهورا . وقد تهذبت
أخلاقه بما اطلع عليه من عمارة بلادهم ، وحسن
مياسة أحكامهم ، وكثرة أموالهم ورفاهيتهم
وصنائهم ، وعدلهم فى رعيتهم ، مع كفرهم ، بحيث
لا يوجد فيهم فقير ولا مستجدى ، ولا ذوقا ولا
محتاج . وقد أهدوا له هدايا وجواهر ، وآلات
فلكية ، وأشكالا هندسية ، واسطرلابات وكرات
ونظارات . وفيها ما اذا نظر الانسان فيها فى الظلمة
يرى أعيان الأشكال كما يراها فى النور . ومنها
لخصوص النظر فى الكواكب ، فيرى بها الانسان
الكوكب الصغير عظيم الجرم ، وحوله عدة
كواكب لا تدرك بالبصر الحديد ! ومن أنواع
الأسلحة الحربية أشياء كثيرة . وأهدوا له آلة
موسيقى تشبه الصندوق ، بداخله أشكال
تدور بحركات ، فيظهر منها أصوات مطربة ، على
إيقاع الأنغام وضروب الألحان ، وبها نشانات
وعلامات لتبديل الأنغام بحسب ما يشتهى السامع ..
الذى غير ذلك ... نهب ذلك جميعه العسكر الذين
أرسلهم اليه البرديسى ليقتلوه ، وطلقوا يبيعونه فى
أسواق البلدة ، وأغلبه تكسر وتلف وتبدد .

وأخبرنى بعض من خرج لملاقاته عند منوف
العليا ، انه لما طلع اليها ، وقابله سليمان بيك
البواب ، أدخله الحمام — فى تلك الليلة —
وكان قد بلغه كافة أفعاله بالمتوفية من العسف
والتكاليف ، وكذا باقى اخوانه وأفعالهم بالأقاليم .
فكان مسامرتهم معه تلك الليلة فى ذكر العدالة
الموجبة لعمارة البلاد .

ويقول لسليمان بيك فى التمثيل : « الانسان
الذى يكون له ماشية — يقتات هو وعياله
من لبنها وسننها وجبنها — يلزمه أن يرفق بها فى
الملف ، حتى تدر وتسمن وتتجج له النجاج ،
بخلاف ما اذا أجاعها وأجففها وأتعبها وأشقاها
وأضعفها ، حتى اذا ذبحها لا يجد بها لحما
ولا دهنًا . »

فقال : « هذا ما اعتدناه ، وريينا عليه » .
فقال : « ان أعطانى الله سيادة مصر والامارة فى
هذا القطر ، لأمنن هذه الوقائع ، وأجرى فيسه
العدل ليكثر خيره ، وتمر بلاد ، وترتاح أهله ،
ويكون أحسن بلاد الله » . ولكن الاقليم المصرى
ليس له بخت ولا سعد ، وأهله تراهم مختلفين فى
الأجناس ، متنافرى القلوب ، منصرفى الطباع . فلم
يمض على هذا الكلام الا بقية الليل وساعات من
النهار ، حتى أحاطوا به ، وفر هاربا ونجا بنفسه .
وجرى ماتقدم ذكره من اختفائه وظهوره ، وانتقاله
الى النجعة القبلية ، واجتماع الجيوش عليه ،
وحكمت عليه الصورة التى ظهر فيها ، وحصل له
ما حصل .

وأخبرنى من اجتمع عليه فى البحيرة ،
وسامره ، فقال : « يافلان .. والله يخيل لى أن
أقتل نفسى .. ولكن لأنهم على ، وقد صرت
الآن واحدا بين ألوف من الأعداء ، وهؤلاء قومى
وعشيرتى فعلوا بى ما فعلوا ، وتجنبونى وعادونى
من غير جرم ولا ذنب سبق منى فى حقهم ،
وأشقونى وأشقوا أنفسهم ، وملكوا البنلاد
لأعدائى وأعدائهم ، وسعيت واجتهدت فى مرضاتهم
ومصالحتهم والنصح لهم ، فلم يزددهم ذلك الا
نفورا ، وتباعدا عنى . »

« ثم هذه الجنود ورؤيسهم ، الذين لجوا البلاد
وذاقوا خلاوتها ، وشبعوا بعد جوعهم ، وترفها
بعد ذلهم ، يجيشون على ويحاربونى ، ويكيدونى

عليه بالقهر ، وخاب أمله ، واتفق أجله ، وخانه الزمان ، وذهب في خبر كان . ومات وله من العمر نحو الخمسة والخمسين سنة .. غفر الله له .

ومات الأمير عثمان بيك البرديسي المرادي ، وسمى البرديسي لأنه تولى كشوفية برديس قبلى وعرف بذلك واشتهر به .

تقلد الأمرية والصنجدية في سنة ١٢١٠ ، وتزوج بنت احمد كتخدا على ، وهى أخت على كاشف الشرقية ، وعمل لها مهما ، وذلك قبل أن يتقلد الصنجدية . وسكن بدار على كتخدا الطويل بالأزبكية . واشتهر ذكره ، وصار معدودا من جملة الأمراء .

ولما قتل عثمان بيك البرديسي المرادي بساحل أبو قير . ورجع من رجع الى قبلى . كان الألفى هو المتعين بالرياسة على المرادية . فلما سافر الألفى الى بلاد الانكليز . تعين المترجم بالرياسة على خشداشينه مع مشاركة بشتك بيك الذى عرف بالألفى الصغير .

فلما حضروا الى مصر في سنة ثمان عشرة بعد خروج محمد باشا خسرو وقتل طاهر باشا ، انضم اليه محمد على باشا - وكان اذ ذاك سرششمه العساكر ، وتواخى معه وصادقه ، ورمح في ميدان غفلته ، وتحالفا ، وتعاهدا ، وتعاقدا على المحبة المصافاة ، وعدم خيانة أحدهما للآخر ، وأن يكون محمد على باشا وعساكره الأروام اتباعا له ، وهو الأمير المتبوع . فانتفخ جأشه - لأنه كان طائش العقل ، مقتبل الشيبة - فاغتر بظاهر محمد على باشا ، لأنه حين عمل شغله في مخدمه محمد باشا ، وبعده طاهر باشا ، دعا الأمراء المصريين ، وأدخلهم الى مصر ، وانتسب الى ابراهيم بيك الكبير ، لكونه رئيس القوم وكبيرهم ، وعين لابراهيم بيك خرجا وعلوفة مثل

ويقائلونى . ثم ان هؤلاء العربان المجتمعين على أصانهم وأسوسهم ، وأغاضبهم وأراضبهم ، وكذلك جندى ومباليكى ، وكل منهم يطلب منى رياسة وامارة ، ويظنون - بغفلتهم - أن البلاد تحت حكمى ، ويظنون أنى مقصر في حقهم : فتارة أعاملهم باللفظ ، وتارة أزجرهم بالعنف . فأنا بين الكل مثل الفريسة ، والجميع حولى مثل الكلاب الجياع ، يريدون نهشى وأكلى ، وليس ييدى كنوز قارون فأفق على هؤلاء الجموع منها ، فيضطربى الحالى الى التعدى على عباد الله ، وأخذ أموالهم ، وأكل مزارعهم ومواشيهم . فان قدر الله لى بالظفر ، عوضت عليهم ذلك ، ورفقت بحالهم ، وان كانت الأخرى ، فالله يلف بنا وبهم ، ولا بد أن يترحموا علينا ، ويسترضوا عن ظلمنا وجورنا بالنسبة لما يحل بهم بعدنا .

وبالجملة . فكان آخر من أدركنا من الأمراء المصريين شهامة وصرامة ، ونظرا في عواقب الأمور . وكان وحيدا في نفسه ، فريدا في أبناء جنسه . وبموته اضمحلت دولتهم ، وتفرقت جمعيتهم ، وانكسرت شوكتهم ، وزادت فقرتهم . وما زالوا في نقص وادبار ، وذلة وهوان وصغار ، ولم تقم لهم بعده راية ، والقرضوا وطرودوا الى أقصى البلاد في النهاية .

وأما مباليكه وصناجقه ، فانهم تركوا نصيحته ، ونسوا وصيته ، وانضموا الى عدوهم وصادقوه . ولم يزل بهم حتى قتلهم وأبادهم عن آخرهم ، كما سيتلى عليك خبر ذلك فيما بعد .

وكانت صفة المترجم معتدل القامة ، أبيض اللون مشربا بحمرة ، جميل الصورة ، مدور اللحية ، أشقر الشعر قد وخطه الشيب ، مليح العينين ، مقرون الحاجبين ، معجبا بنفسه ، مترفها في زيه وملبسه ، كثير الفكر ، كتوما لا يبيح سر ولا لأعز أحبابه . الا انه لم يسعفه الدهر ، وجنى

أتباعه وسيره واختبره ، فلم ترج سلته عليه ،
ووجده محرصا على دوام التراحم والألفة والمحبة ،
وعدم التفاشل فى عشيرته وأبناء جنسه ، متحرزا
من وقوع ما يوجب التقاطع والتنافر فى قبيلته .

فلما آيس منه ، مال عنه وانضم الى المترجم ،
واستخفه واحتوى على عقله ، وصاحبه وصادقه ،
وصار يختلى معه ، ويتعاقر معه الشراب ،
ويسامر ويساير ، حتى باح له بما فى ضيره من
الحقد لأخوانه ، وتطلب الانفراد بالرياسة . فصار
يقوى عزمه ، ويزيد فى اغرائه ، ويوعده بالمعاونة
والمساعدة على اتمام قصده .

ولم يزل به ، حتى رسم فى ذهن المترجم نصحه
وصدقه .. كل ذلك توصالا لما هو كامن فى نفسه
من أهلاك الجميع ، ثم أشار عليه ببناء أبراج حول
داره التى سكن بها بالناصرية . فلما أتمها ، أسكن
بها طائفة من عساكره كأنهم محافظون لما عساه
أن يكون .

ثم سار معه الى حرب محمد باشا خسرو
بدمياط فحاربوه ، وأتوا به أسيرا ، وحبسوه .
ثم فعلوا بالسيد على القبطان مثل ذلك ، ثم كائنة
على باشا النزاليسى وقتله — وقد تقدم خبر ذلك
كله ، وجميعه نسب فعله للمصريين — ولم يبق
الا الايقاع بينهم فكان وصول الألفى عقب ذلك ،
فأوقعوا به وبجندته ما تقدم ذكره ، وتقاتلوا
وتفرقوا بعد جمعهم ، وقلوا بعد الكثرة .

ثم أشار على المترجم ، المصادق الناصح ،
بتفريق أكثر الجمع الباقي فى النواحي والجهات :
البعض منهم لرصد الألفى والقبض عليه وعلى
جنده ، والبعض الآخر لظلم الفلاحين فى البلاد .
ولم يبق بالمدينة غير المترجم وابراهيم بيك الكبير
وبعض الأمراء . فعند ذلك سلط محمد على
العساكر بطلب علائقهم المنكسرة ، فعجزوا عنها .
فأراد المترجم أن يفرض على فقراء البلدة فريضة —

بعد أن استشار الأخ النصوح — وطافت الكتاب
فى الحارات والأزقة ، يكتبون أسماء الناس
ودورهم . ففزعوا وصرخوا فى وجوه العسكر .
فقالوا : « نحن ليس لنا عندكم شيء ، ولا نرضى
بذلك ، وعلائقنا عند أمرائكم ونحن مساعدون
لكم » . فعند ذلك قاموا على ساق ، وخرجت
نساء الحارات وبأيديهم الدفوف ، يغنون
ويقولون : « ايش تأخذ من تفلىسى يابرديسى ا » .
وصاروا يسخطون على المصريين ، ويترضون
عن العسكر . وفى الحال ، أحاطت العسكر بيوت
الأمراء ، ولم يشعر البرديسى الا والعسكر —
الذين أقامهم بالأبراج ، التى بناها حوله ليكونوا
له عزا ومنعة — يضربون عليه ويحاربونه ،
ويريدون قتله . وتسلقوا عليه . فلم يسع الجميع
الا الهروب والفرار . وخرجوا خروج الضب
من الوجار .

وذهب المترجم الى الصعيد مذهباً مدحوراً ،
مذبوما مطرودا ، وجوزى مجازاة من ينتصر
بعده ويعول عليه ، ويقص أجنحته برجليه ،
وكالباحث على حثفه بظلفه ، والجاذع بظفره
ما ن أنفه .

ولم يزل فى هياج وحروب — كما سطر فى
السياق — ولم ينتصر فى معركة . ولم يزل مصرا
على معاداة أخيه الألفى ، وحاقداً عليه وعلى
أتباعه ، محرصا على زلاته وأعظمها قضية القبودان
ومومى باشا .. الى غير ذلك .

وكان ظالما غشوما طائشا ، سيئ التدبير . وقد
أوجده الله جل جلاله ، وجعله سببا لزوال عزهم
ودولتهم ، واختلال أمرهم ، وخراب دورهم ،
وهتك أعراضهم ومذلتهم وتشتيت جمعهم . ولم
يزل على خبثه ، حتى مرض ومات بمنفلوط ،
ودفن هناك .

فلما رجع أستاذه ، وظهر من اختفائه ، وبعده
أفعاله ، مقتله وأبعده . ولم يزل مقبوتا عنده . حتى
مات مبطونا في حياة أستاذه . بناحية قبلى في تلك
السنة .

ومات غير هؤلاء ، من له ذكر مثل : سليمان
بيك المعروف بأبو دياب ، بناحية قبلى أيضا .

ومات أيضا ، أحمد بيك المعروف بالهنداوى
الألفى في واقعة النجيلة .

ومات أيضا ، صالح بيك الألفى ، وهو أيضا
من تأمر في غياب أستاذه . وعند حضور أستاذه
من بلاد الانكليز ، كان هو متوليا كشوفية
الشرقية ، وغائبا هناك . فأرسلوا له تجريدة
ليقتلوه — وكان بناحية شلشمون — فوصله
الخبر ، فترك خيامه وأعماله وأثقاله ، وهرب
واختفى .

فلما وقعت حادثة الأمراء مع العسكر وخرجوا
من مصر هارين ، وظهر الألفى من الوادى ، ذهب
اليه وأمدّه بما معه من الأموال ، وذهب مع
أستاذه الى قبلى . ولم يزل حتى مات أيضا في هذه
السنة . وغير أولئك كثير ، لم تحضرني أسماؤهم ،
ولا وفاتهم .

ومات الأمير بشتك بيك — وهو الملقب بالألفى
الصغير — وهو مملوك محمد بيك الألفى الكبير .
أمره وجعله وكيلًا عنه مدة غيابه في بلاد الانكليز .
وكان قبل ذلك سلحداره ، وأمر كشفه ومماليكه
وجنده بطاعته ، وامتنال أمره .

فلما حضر الأمراء المصريون في سنة ثمان عشرة
أقام هو بقصر مراد بيك بالجيزة . فلم يحسن
السياسة ، وداخله الغرور وأعجب بنفسه ، وشمخ
على نظرائه ، وعلى أعمامه الذين هم خشداشون
لأستاذه ... بل وعلى ابراهيم بيك الكبير الذى هو
بمنزلة جده . وكان يراد بيك — الذى هو أستاذ
أستاذه — يراعى حقه ، ويتأدب معه ، ويقبل يده
في مثل الأعياد ، ويقول : « هو أميرنا وكبيرنا » .
وكذلك أستاذ المترجم . كان اذا دخل على ابراهيم
بيك قبل يده ، ولا يجلس بحضرته الا بعد أن
يأذن له .

فلم يقتف المترجم في ذلك أسلافه ، بل سلك
مسلك التعاطف والتكبر على الجميع ، واستعمل
العسف في أموره ، مع الترفع على الجميع . واذا
عقدوا أمرا بدونه حله ، أو حلوا شيئا بدونه
عقده . فضاق لذلك خناق الجميع منه ، وكرهوه
وكرهوا أستاذه .

وكان هو من جملة أسباب نفورهم من أستاذه ،
وانحراف قلوبهم عنه .

الباشا ، لتلا يتوجه عليه اللوم من السلطنة ،
وينسب اليه التفريط .

الخميس ٩ منه (١٩ مارس ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبات مع السعادة من ثغر سكندرية ،
وذلك يوم الخميس وقت العصر ، وفيها : الاخبار
بورود مراكب الانكليز — وعدتهم اثنان وأربعون
مركبا ... فيهم عشرون قطعة كبار ، والباقي صغار



مراكب الانجليز

— فطلبوا الحاكم والقنصل ، وتكلموا معهم ،
وطلبوا الطلوع الى الثغر . فقالوا لهم :
« لا يمكنكم من الطلوع الا بمرسوم سلطاني » .
فقالوا : « لم يكن معنا مراسيم ، وانما مجيئنا
لمحافظة الثغر من الفرنسيين ، فانهم ربما طرخوا
البلاد على حين غفلة . وقد أحضرنا صحبتنا خمسة
آلاف من العسكر قميمهم بالأبراج ، لحفظ البلدة
والقلعة والثغر » . فقالوا لهم : « لم يكن معنا
اذن . وقد آتينا مراسيم بمنع كل من وصل عن
الطلوع من أى جنس كان » . فقالوا : « لا بد من
ذلك : فاما أن تسمحوا لنا في الطلوع بالرضا
والتسليم ، واما بالقهر والحرب . والمهلة في رد
الجواب بأحد الأمرين ، أربع وعشرون ساعة »

المستم

الأربعاء غرته (١١ مارس ١٨٠٧ م) :

وصل القابجي الذي على يده التقرير لمحمد على
باشا على ولاية مصر . وطلع الى بولاق .
وفيه : وردت مكاتبات من الجهة القبلية ، فيها :
أنهم كبسوا على عرضى الألفية — وصحبته
سليمان بيك البواب — وحاربوهم ، وهزموهم ،
ونهبوا حملاتهم ، وقطعوا منهم عدة رؤوس ، وهى
واصلة في طريق البحر .

وصادت هذه البشارة مع بشارة ورود القابجي
ووصوله ، فعمل لذلك شبك ، وضربت لذلك
مدافع كثيرة من القلعة في كل وقت من الأوقات
الخمسة ... ثلاثة أيام آخرها الجمعة .

ثم انه مضى عدة أيام ، ولم تحضر الرؤوس
التي أخبروا عنها . واختلفت الروايات في ذلك .

الثلاثاء ٧ منه (١٧ مارس ١٨٠٧ م) :

عملوا جمعية بيت القاضى ، حضرها المشايخ
والأعيان . وذكروا أنه لما وردت الأوامر بتحسين
الثغور ، أرسل الباشا سليمان أغا ، ومعه طائفة
من العسكر ، وأرسل الى أهالى الثغور والمحافظين
عليها مكاتبات بأنهم ان كانوا يحتاجون الى
عساكر فيرسل لهم الباشا عساكر زيادة على الذين
أرسلهم . فأجابوا بأن فيهم الكفاية ، ولا يحتاجون
الى عساكر زيادة تأتيهم من مصر... فانهم اذا كثروا
في البلد تأتى منهم الفساد والافساد ... فعملوا
هذه الجمعية لاثبات هذا القول ، ولخلاص عهدة

ثم تندموا على الممانعة . فكتبوا بذلك الى مصر . فلما وصلت تلك المكاتبات ... اجتمع كتبخدا بيك ، وحسن باشا ، وبونا بارتة الخازندار ، و طاهر باشا ، والدفتردار ، والروزنامجى ، وباقى أعيانهم — وذلك بعد الغروب — وتشاوروا فى ذلك . ثم أجمع رأيهم على ارسال الخبر بذلك الى محمد على باشا ، ويطلبونه للحضور هو ومن بصحبته من العساكر ، ليستعدوا لما هو أولى وأحق بالاهتمام . ففعلوا ذلك وانصرفوا الى منازلهم ، بعد حصّة من الليل ، وأرسلوا تلك المكاتبه اليه فى صبح يوم الجمعة . صحبة هجانين ، وشاع الخبر ، وكثر لفظ الناس فى ذلك .

ولما انقضت الأربع والعشرون ساعة التى جعلها الانكليز أجلا بينهم وبين أهل الاسكندرية — وهم فى الممانعة — ضربوا عليهم بالقناير والمدافع الهائلة من البحر .. فهدموا جانباً من البرج الكبير ، وكذلك الأبراج الصفار والصور . فعند ذلك طلبوا الأمان . فرفعوا عنهم الضرب ، ودخلوا البلدة .. وذلك يوم الجمعة التالى .

الاثنين ١٣ منه (٢٣ مارس ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبه من رشيد بذلك الخبر على سبيل الاجمال من غير معرفة حقيقة الحال ... بل بالعلم بأنهم طلّعوا الى الثغر ودخلوا البلدة ، وعدم علمهم بالكيفية وتغيّب الحال ، واشتبّه الأمر .

وفيه : حضر قنصل فرنساوية الى مصر — وكان بالاسكندرية — فلما وردت مراكب الانكليز ، انتقل الى رشيد . فلما بلغه طلوعهم الى البر ، حضر الى مصر ، وذكر أنه يريد السفر الى الشام هو وباقى فرنساوية القاطنين بمصر .

الخميس ١٦ منه (٢٦ مارس ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبه من الباشا يذكر فيها : أنه تحارب

مع المصريين ، وظهر عليهم ، وأخذ منهم أسلحتهم ، وقبض على أنفار منهم ؛ وقتل فى المعركة كثير من كشفهم ومماليكهم . ففعلوا فى ذلك اليوم شنكا وضربوا مدافع كثيرة ... من القلعة والأزبكية ، ثلاثة أيام — فى الأوقات الخمسة — آخرها السبت .

وأشاعوا أيضاً أن الاسكندرية ممتنعة على الانكليز ، وأنهم طلّعوا الى رأس التين والمجمى . فخرج عليهم أهل البلاد والعساكر ، وحاربوهم ، وأجلوهم عن البر ، ونزلوا الى المراكب مهزومين . وحرّقوا منهم مركبين . وأنه وصل اليهم عمارة العثمانيين والفرنساوية ، وحاربوهم فى البحر ، وأحرقوا مراكبهم ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، ولم يبق منهم الا القليل .

واستمر الأمر فى هذا الخط القبلى والبحرى عدة أيام . ولم يأت من الاسكندرية سعاة ولا خبر صحيح .

وفيه : وصل الكثير من أهالى الفيوم ، ودخلوا الى مصر ... وهم فى أسوأ حال من الشتات والعري ، مما فعل بهم ياسين بيك . فخرجوا على وجوههم ، وجلّوا عن أوطانهم ولم يمكنهم الخروج من بلادهم ... حتى ارتحل عنهم المذكور يريد الحضور الى ناحية مصر ، عندما بلغه خبر حضور الانكليز الى ثغر سكندرية .

الجمعة ١٧ منه (٢٧ مارس ١٨٠٧ م) :

وصل ياسين بيك المذكور الى ناحية دهشور ، وأرسل مكاتبه خطاباً للسيد عمر والقاضى وسعيد أغا ... يذكر فيها : أنه لما بلغه وصول الانكليز ، أخذته الحمية الاسلامية ، وحضر — وصحبته ستة آلاف من العسكر — ليرابط بهم بالجيزة أو بقلوب ، ويجاهد فى سبيل الله . فكتبوا له أجوبة ... مضمونها : ان كان حضوره يقصد

ماعدًا اسلامبول . وأما الغرب والشام وتونس وطرابلس ونحوها ، فمطلق السراح لا حرج ... ذهابا وإيابا .

ومن شروطهم التي شرطوها مع أهل البلد : أنهم ان احتاجوا الى قوامية أو مال .. لا يكلفون أهل الاسكندرية بشيء من ذلك ، وأن محكمة الاسلام تكون مفتوحة تحكم بشرائعها ، ولا يكلفون أهل الاسلام بقيام دعوى عند الانكليز بغير رضاهم . والحمابات ، من أى بنديرة ، تكون مقبولة عند الانكليز الموجودين في الاسكندرية ، ويسيرون مأمولين رعاية لخاطر أهل الاسكندرية ، ولم يحصل لهم شيء من المكروه من كامل الوجوه .. حتى الفرنساوية . والجمارك من كل الجهات ، على كل مائة اثنان ونصف . وعلى ذلك انتهت الشروط .

وليعلم أن هذه الطائفة من الانكليز ، ومن انضم اليهم — وعدتهم على ما قيل ستة آلاف — لم تأت الى الثغر طمعا في أخذ مصر ، بل كان ورودهم ومجيئهم مساعدة ومعاونة للألن في أخضامه .. باستدعائه لهم ، واستنجاهه بهم قبل تاريخه .

وسبب تأخرهم في المجيء .. لما بينهم وبين العثماني من الصلح . فلا يتعدون على ممالكه من غير اذنه ، لمحافظتهم على القوانين . فلما وقعت الفرة بينهم وبينه بما تقدم .. فعند ذلك انتهزوا الفرصة ، وأرسلوا هذه الطائفة .

وكان الألن ينتظر خضوعهم بالبحيرة ، فلما طال عليه الانتظار ، وضاعت عليه البحيرة ، ارتحل بجيوشه مقبلا .. وقضى الله موته باقليم الجيزة . وحضر الانكليز بعد ذلك الى الاسكندرية ، فوجدوه قد مات ، فلم يسعهم الرجوع . فأرسلوا الى الأمراء القبليين يستدعونهم ليكونوا مساعدين لهم على عدوهم . ويقولون لهم : « انما جئنا الى

الجهاد ، فينبغي أن يتقدم بمن معه الى الاسكندرية . وإذا حصل له النصر ، تكون له اليد البيضاء ، والمنقبة والذكر والشهرة الباقية . فانه لا فائدة باقامته بالجيزة أو قليوب ... وخصوصا قليوب بالبر الشرقي . »

وكان حسن باشا خرج بعرضيه في موكب الى ناحية الخلا ، قبل ذلك بأيام ، ويرجع الى داره ، آخر النهار ، فبييت بها . ثم يخرج في الصباح .. وعساكره وأوباشه ينتشرون بتلك النواحي ، يمشون ويخطفون متاع الناس ، ومبيعات الفلاحين وأهل بولاق . وفي كل يوم يشيعون بأنه مسافر الى جهة البحيرة لمحاربة الانكليز .

فلما ورد خبر مجيء ياسين بك ، تأخر عن السفر . وعملوا مشورة فلتقضي رأيهم أن حسن باشا يعدي الى البر الغربي ، ويقيم بالجيزة .. لئلا يأتي ياسين بك ويملكها . فعدي حسن باشا في يوم الاثنين عشرينه ، وأقام بها ، وأعرض عن السفر الى جهة البحيرة .

وفيه : وردت الأخبار الصحيحة بأخذ الاسكندرية ، واستيلاء الانكليز عليها يوم الخميس المتقدم ، تاسع الشهر . ودخلوها ، وملكوا الأبراج يوم الأحد صبيحة النهار ، وسكن صارى عسكرهم بوكالة القنصل .

وشرطوا مع أهالي البلد شروطا . منها : أنهم لا يسكنون البيوت قهرا عن أصحابها ، بل بالمؤاجرة والتراضي ، ولا يمتنون المساجد ، ولا يطلون منها الشعائر الاسلامية . وأعطوا أمين أغا الحاكم أمانا على نفسه وعلى من معه من العسكر ، وأذنوا لهم بالذهاب الى أى محل أرادوه . ومن كان له دين على الديوان .. يأخذ نصفه حالا ، والنصف الثاني مؤجلا . ومن أراد السفر في البحر من التجار وغيرهم .. فليسافر في خفارتهم الى أى جهة أراد ،

الخميس ٢٣ منه (٢ ابريل ١٨٠٧ م) :

ورد مكتوب من أهالى دمنهور — خطابا الى السيد عمر النقيب — مضمونه : « أنه لما دخلت المراكب الانكليزية الى سكندرية ، هرب من كان بها من العساكر ، وحضروا الى دمنهور . فعندما شاهدتهم الكاشف الكائن بدمنهور ، ومن معه من العسكر ، انزعجوا انزعاجا شديدا ، وعزموا على الخروج من دمنهور . فخطبهم أكابر الناحية قائلين لهم : « كيف تتركونا وتذهبوا .. ولم تروا منا خلافا ، وقد كنا ، فيما تقدم من حروب الألفى ، من أعظم المساعدين لكم .. فكيف لا نساعد الآن بعضنا بعضا فى حروب الانكليز ؟ » . فلم يستمعوا لقولهم لشدة ما داخلهم من الخوف . وعبوا متاعهم ، وأخرج الكاشف أثقاله وجبخته ومدافعه ، وتركها وعدى وذهب الى فوه من ليلته ، ثم أرسل فى ثانى يوم من أخذ الأثقال ! فهذا ما حصل أخبرناكم به . »

وأما « بونا بارت » الخازن دار ، الذى سافر لحرب الانكليز ، فانه نزل على القليوبية ، وفعل ما أمكنه وقدر عليه بالبلاد ، من السلب والنهب والجور والكلف والتساويف ، حتى وصل الى المنوفية .

وكذلك طاهر باشا الذى سافر فى أثره ، واسماعيل كاشف — المعروف بالطوبجى — فرض على البلاد جمالا وخيولا وأبقارا وغير ذلك .

ومن جملة أفاعيلهم : أنهم يوزعون الأغنام المنهوبة على البلاد ، ويلزمونهم بعلفها وكلفها ، ثم يطلبون أثمنها مضاعفة بما يضاف الى ذلك من حق طرق المعينين ... وأمثال ذلك !

الجمعة ٢٤ منه (٣ ابريل ١٨٠٧ م) :

وردت أخبار من ثغر رشيد يذكرون بأن طائفة من الانكليز وصلت الى رشيد ، فى صبح يوم الثلاثاء حادى عشر منه ، ودخلوا الى البلد .. وكان

بلادكم باستدعاء الألفى لمساعدته ومساعدتكم ، فوجدنا الألفى قد مات . وهو شخص واحد منكم وأنتم جمع .. فلا يكون عندكم تأخير فى الحضور لقضاء شغلكم . فانكم لا تجدون فرعة بعد هذه ، وتدمون بعد ذلك ان تلكأتم . »

فلما وصلتهم مراسلة الانجليز ، تفرق رأيهم .. وكان عثمان بك حسن منزلا عنهم — وهو يدعى الورع ، وعنده جيش كبير — فأرسلوا اليه يستدعونه . فقال : « أنا مسلم هاجرت وجاهدت وقاتلت فى الفرنساوية ، والآن أختم عملى وألتجئ الى الافرنج ، وأنتصر بهم على المسلمين ؟ . أنا لا أفعل ذلك ! » . وعثمان بك يوسف كان بناحية الهسو .

وكان الباشا يحارب الذين بناحية أسيوط ، وهم : المرادية ، والابراهيمية ، والألفى . والتقى معهم ، وانكسروا منه ، وقتل منهم أشخاصا . فلما ورد عليه خبر الانكليز ، انقلب لذلك ، وداخله وهم كبير ، وأرسل اليهم المشايخ وخلافهم يطلبهم للصلح . وكان ما سئلى عليك قريبا .. وما كان الا ما أراداه المولى جل جلاله .. من تعة الانكليز والقطر وأهله ... الى أن يشاء الله !

وفيه : وصل مكتوب من محمد على باشا بطلب مصطفى آغا الوكيل وعلى كاشف الصابوبجى ، ليرسلهم الى الأمراء القبالي . فتراخوا فى الذهاب لكونهم وجدوا تاريخ المكتوب حادى عشر الشهر ، فعلموا أن ذلك قبل تحقق خبر الانكليز .

ثم ورد منه مكتوب آخر يذكر فيه غزوه على الرجوع الى مصر قريبا .. فان العساكر يطالبونه بالعلاف ، ويأمرهم فيه بتجصيل ذلك وتنظيمه ، ليستلنوها عند حصولهم بمصر ، ويتجهزوا لمحاربة الانكليز .

وصولهم شنكا ومدافع ، وطلعوا بالأحياء مع
فسيالهم الى القلعة .

وفيه : نبه السيد عمر النقيب على الناس ،
وأمرهم بحمل السلاح والتأهب للجهاد في الانكليز
... حتى مجاوري الأزهر ، وأمرهم بترك حضور
الدروس وكذلك أمر المشايخ المدرسين بترك
القاء الدروس !

وفيه : وصل عابدين بيك وعمر بيك وأحمد
أغا لاط أوغلي ، من ناحية قبلى . وأشيع وصول
الباشا بعد يومين .

الاثنين ٢٧ منه (٦ ابريل ١٨٠٧ م) :

وصل أيضا جملة من الرؤوس والأبى الى
بولاق . فطلعوا بهم على الرسم المذكور .. وعدتهم
مائة رأس واحد وعشرون رأسا ، وثلاثة عشر
أسيرا ، وفيهم جرحى ، ومات أحدهم على بولاق .
فقطعوا رأسه ، ورشقوها مع الرؤوس . وشقوا بهم
من وسط المدينة آخر النهار .

الثلاثاء ٢٨ منه (٧ ابريل ١٨٠٧ م) :

حصلت جمعية بيت القاضى . وحضر حسن باشا
وعمر بيك والدفتدار وكتخدا بيك والسيد عمر
النقيب والشيخ الشرقاوى والشيخ الأمير وباقي
المشايخ ... فتكلموا في شأن حادثة الانكليز ،
والاستعداد لحربهم وقتالهم وطردهم .. فانهم أعداء
الدين والملة . وقد صاروا أيضا أخصاما للسلطان ،
فيجب على المسلمين دفعهم . ويجب أيضا أن يكون
الناس والعسكر على حال الألفة والشفقة
والاتحاد ، وأن تمتنع العساكر عن التعرض للناس
بالإيذاء كما هو شأنهم ، وأن يساعدوا بعضهم بعضا
على دفع العدو . ثم تشاوروا في تحصين المدينة وحفر
خنادق . فقال بعضهم : « ان الانكليز لا يأتون الا
من البر الغربى .. والنيل حاجز بين الفريقين ، وأن

أهل البلدة ، ومن معهم من العساكر ، متنبهين
ومستعدين بالأزقة والمطف وطيقات البيوت . فلما
حصلوا بداخل البلدة ، ضربوا عليهم من كل ناحية
فالتقوا ما بأيديهم من الأسلحة ، وطلبوا الأمان .
فلم يلتفتوا لذلك ، وقبضوا عليهم ، وذبحوا منهم
جملة كثيرة ، وأسروا الباقين . وفر طائفة الى ناحية
دمهور .. وكان كاشفها — عندما بلغه ما حصل
برشيد — اطمأن خاطره ، ورجع الى ناحية دبى
ومحلة الأمير ، وطلع بمن معه الى البر ، فصادف
تلك الشرذمة ، فقتل بعضهم ، وأخذ ما بقى منهم
أسرى . وأرسلوا الساعة الى مصر بالبشارة .

فضربوا مدافع ، وعملوا شنكا ، وخلع كتخدا
بيك على الساعة الواصلين . وأسرت المبشرون
من أتباع العثمانيين — وهم القواسم الأتراك —
بالسعى الى بيوت الأعيان يشرونهم ، وبأخذون
منهم البقاشيش والخلع ، وصار الناس ما بين
مصدق ومكذب .

الأحد ٢٦ منه (٥ ابريل ١٨٠٧ م) :

أشيع وصول رؤوس القتلى ومن معهم من
الأسرى الى بولاق . فهرع الناس بالذهاب للفرجة .
ووصل الكثير منهم الى ساحل بولاق . وركب
أيضا كبار العسكر ، ومعهم طوائفهم ، لملاقاتهم
فطلعوا بهم الى البر ، وصحبتهم جماعة العسكر
المتسافرين معهم ، فأتوا بهم من خارج مصر ،
ودخلوا بهم من باب النصر ، وشقوا بهم من وسط
المدينة .. وفيهم فسيال كبير ، وآخر كبير فى السن ،
وهما راكبان على حمارين ، والبقية مشاة فى وسط
العسكر . ورؤوس القتلى معهم على نبايت .. وقد
تغيرت وأتنت رائحتها — وعدتهم أربعة عشر
رأسا — والأحياء خمسة وعشرون . ولم يزالوا
سائرين بهم الى بركة الأزيكية . وضربوا عند

بسببه من السعى في الصالح ، فاستمهلهم ، وتركهم
بناحية ملوى ، واستعد وذهب الى أسبوط .
وأودع الجماعة بمنفلوط . وتلاقى مع الأمراء ،
وحاربهم ، وظهر عليهم . وقتل من الأمراء في تلك
المعركة سليمان بيك المردى ، المعروف بريحة
(بتشديد الياء) ، وسليمان بيك الأغا . ورجع
الأمراء القبالي الى ناحية بحرى .

فعند ذلك حضر المشايخ ، وكتب مكاتبات الى
الأمراء ، وأرسلها صحبة المشايخ المذكورين ، الى
الأمراء — وكانوا بالجانب الغربى بناحية ملوى —
فتفاوضوا معهم فيما أتوا بسببه : من أمر الصلح
مع الباشا ، وكف الحروب ، فقالوا : « كم من مرة
يراسلنا في الصلح ، ثم يغدر بنا ويحاربنا »
فاتحجوا عليهم بما لقنه لهم من مخالفتهم لأكثر
الشروط التى كان اشترطها عليهم : من ارسال
الأموال الميرية والغلل ، وتعديهم على الحدود التى
يحددها معهم في الشروط .

ثم انهم اختلفوا مع بعضهم ، وتشاوروا فيما
بينهم . وكان عثمان بيك حسن منعزلا عنهم بالبر
الشرقى ، ولم يكن معهم في الحرب ولا في غيره ،
وبعد انقضاء الحرب استعلى الى جهة قبلى .
وعثمان بيك يوسف كان أيضا بناحية الهو والكوم
الأحمر .

وفى أثناء ذلك : ورد على الباشا خبر
الانكليز ، وأخذهم الاسكندرية ، وأرسلوا رسلهم
الى الأمراء القبالي . فارتبك في أمره ، وأرسل الى
المشايخ يستعجلهم في اجراء الصلح ، وقبولهم كل
ما اشترطوه على الباشا ، ولا يخالفهم في شيء
يطلبونه أبدا !

ولما وصلتهم رسل الانكليز ، اختلفت آراؤهم ،
وأرسلوا الى عثمان بيك حسن يخبرونه ويستدعونه
للحضور .. فامتنع ، وتورع وقال : « أنا لا أتصر
بالكفار » ووافق على رأيه ذلك عثمان بيك

الفرنساوية كانوا أعلم بأمر الصروب . وأنهم لم
يحفروا الا الخندق المتصل من الباب الحديد الى
البر فنهضوا الاعتناء باصلاحه .. ولو لم يكن
كوضعمهم واتقاهم ، اذ لا يمكن فعل ذلك .
واتفقوا على ذلك .

وفيه : حضر مكتوب من ثغر رشيد .. عليه
امضاء على بيك حاكم رشيد ، وأحمد بيك المعروف
« بمونايارته » — مؤرخ بيوم الجمعة رابع عشر ربه
— يذكرون فيه : « أن الانكليز لمبا حضروا الى
رشيد ، وحصل لهم ما حصل من القتل والإسر ،
ورجعوا خائبين .. حصل لباقيهم غيظ عظيم .
وهم شارعون في الاستعداد للعود والمحاربة .
والقصد أن تسعفونا وتمدونا بارسال الرجال
والمحاربين والأسلحة والجبخانه .. بسرعة وعجلة ،
والا فلا لوم علينا بعد ذلك . وقد أخبرناكم
وعرفناكم بذلك » .

فأرسلوا في ذلك اليوم عدة من المقاتلين ، وكتبوا
مكاتبات الى البلاد والعربان الكائنين ببلاد
البحيرة ، يدعونهم للمحاربة والمجاهدة . وكذلك
أرسلوا في ثاني يوم عدة من العسكر .

الاربعاء ٢٩ منه (٨ ابريل ١٨٠٧ م) :

ركب السيد عمر النقيب والقاضى والأعيان
المتقدم ذكرهم ، ونزلوا الى ناحية بولاق لترتيب
أمر الخندق المذكور ، وصحبتهم قنصل فرنساوية
— وهو الذى أشار عليهم بذلك — وصحبتهم
الجمع الكثير من الناس والأتباع .. والكل
بالأسلحة .

وفيه : وصل المشايخ الثلاثة الذين كانوا ذهبوا
لاجراء الصلح بين الباشا والأمراء القبالي ، وذهبوا
الى دورهم .

وكان من خبرهم : أنهم لما وصلوا الى الباشا
بناحية ملوى .. استأذنوه في الذهاب فيما أتوا

يوسف . واختلفت آراء باقى الجماعة ، وهم :
ابراهيم بيك الكبير ، وشاهين بيك الماردى ،
وشاهين بيك الألفى ، وباقى أمرائهم .

فاجتمعوا ثانيا بالمشايخ وقالوا لهم : « ما المراد
بهذا الصلح ؟ » .

فقالوا : « المراد منه راحة الطرفين ، ورفع
الحروب ، واجتماع الكلمة . ولا نخفياكم أن
الانكليز تخاضعت مع سلطان الاسلام ، وأغارت
على ممالكه ، وطرقت نجر سكندرية ودخلتها .
وقصدتهم أخذ الاقليم المضرى كما فعل
الفرنساوية » .

فقالوا : « انهم أتوا باستدعاء الألفى لنصرتنا
ومساعدتنا » .

فقالوا : « لا تصدقوا أقوالهم فى ذلك واذا
تملكوا البلاد لا ييفوا على أحد من المسلمين ..
وحالهم ليس كحال فرنساوية .. فان فرنساوية
لا يتدينون بدين ، ويقولون بالحرية والتسوية !
وأما هؤلاء الانكليز فانهم نصارى على دينهم ...
ولا تخفى عداوة الأديان . ولا بصح ولا ينبغى
منكم الانتصار بالكفار على المسلمين ولا الالتجاء
اليهم » .

ووعظوهم ، وذكروا لهم الآيات القرآنية ،
والإحاديث النبوية . وأن الله هدامهم فى طفوليتهم ،
وأخرجهم من الظلمات الى النور . وقد نشأوا فى
كفالة أميادهم ، وتربوا فى حجور الفقهاء وبين
أظهر العلماء ، وقرأوا القرآن ، وتعلموا الشرائع ،
وقطعوا ما مضى من أعمارهم فى دين الاسلام ،
واقامة الصلوات ، والحج والجهاد .. ثم يفسدون
أعمالهم آخر الأمر ، ويوادون من حاد الله ورسوله ،
ويستمنون بهم على اخوانهم المسلمين ، ويملكونهم
بلاد الاسلام يتحكمون فى أهلها .. فالعياذ بالله
من ذلك !

وكان بصحبة المشايخ مصطفى أفندى كتخدا
قاضى المسكر يكلمهم باللغة التركية ، ويترجم لهم
ذلك — وهو فصيح الكلام — فقالوا : « كل
ما قلتموه وأبديتموه .. نعلمه ، ولو تحققنا الأمن
والصدق من مرسلكم ما حصل منا خلاف ، ولحاربنا
وقاتلنا بين يديه . ولكنه غدار لا يفى بمهد ولا
بوعده ، ولا يبر فى يمين ، ولا يصدق فى قول !
وقد تقدم أنه يصطلىح معنا ... وفى أثر ذلك يأتى
لحربنا ويقتلنا ، ويمنع عنا من يأتى إلينا باحتياجاتنا
من مصر ، ويماقب على ذلك حتى من يأتى من
الباعة والمتسبين الى الناحية التى نحن فيها . ولا
يخفياكم أنه لما أتى القبودان ، ومعه الأوامر بالرضا
والعفو الكامل عنا والأمر له بالخروج .. فلم يمتثل ،
وأرسل إلينا وخذعنا ، وتحيل علينا بارسال الهدايا ،
وصدقناه واصطلىحنا معه . فلما تم له الأمر غدر
بنا . وما مراده بصلحتنا الا تأخرنا عن ذهابنا الى
الانكليز .. فلا نذهب اليهم ، ولا نستعين بهم .
وان كان مراده يعطينا بلادا يصلحنا عليها ...
فها هى البلاد بأيدينا ، وقد دعما الخراب باستمرار
الحروب من الفريقين ، وقد تفرق شملنا ، وانهدمت
دورنا ، ولم يبق لنا ما نأسف عليه ، أو تتحمل
المذلة من أجله . وقد ماتت اخواتنا ومماليكننا ..
فحق نستمر على مانحن معه عليه حتى لموت عن
آخرنا ، ويرتاح قلبه من جهتنا » .

فقال لهم الجماعة : « هذه المرة ، هى الأخرى ...
وليس بعدها شر ولا حرب ، بل بعدها الصداقة
والمصافاة ، ويعطىكم كل ما طلبتموه من بلاد
وغيرها .. فلو طلبتم من الاسكندرية الى أسوان ،
لا يمنح ذلك بشرط أن تكونوا معنا بالمساعدة فى
حرب الانكليز ودفعهم عن البلاد . وأيضا تسرون
بأجمعكم من البر الغربى .. والباشا وعساكره
من البر الشرقى . وعند انقضاء أمر الانكليز ،
ورجوعكم الى بر الجيزة .. ينعقد مجلس الصلح

العدوية والأسسيوطية وأولاد البلد . وركب في صبحها الى كتخدا بيك ، واستأذنه في الذهاب .. فلم يرض ، وقال : « حتى يأتى أفندينا الباشا ، ويرى رأيه في ذلك » . فسافر من سافر ، وبقي من بقى . وانقضى الشهر وحوادثه .

وفيه : ورد الخبر ، بأن ركب الحاج الشامي رجع من منزلة هدية ، ولم يحج في هذا العام . وذلك أنه لما وصل الى المنزلة المذكورة ، أرسل الوهابي الى عبد الله باشا أمير الحاج يقول له : « لآثأت الا على الشرط الذى شرطناه عليك في العام الماضى » . وهو أن يأتى بدون المحصل وما يصحبهم من الطبل والزمر والأسلحة ، وكل ما كان مخالفا للشرع . فلما سمعوا ذلك .. زجعوا من غير حج ، ولم يتركوا مناكيرهم !

صفر

الجمعة فترته (١٠ ابريل ١٨٠٧ م) :

كتبوا مراسلة الى الأمراء القبالي . وختم عليها كثير من مشايخ الأزهر وغيرهم . وأرسلوها اليهم .

السبت ٢ منه (١١ ابريل ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبة أيضا من ثغر رشيد — وعليها امضاء على بك السناكللى حاكم الثغر ، وظاهر باشا ، وأحمد أغا المعروف ببونابارته — بمعنى مكتوب السيد حسن السابق . ويذكرون فيه : أن الانكليز ملكوا أيضا كوم الأفراح وأبو منصور .. ويستعجلون النجدة .

وفى تلك الليلة — أعنى ليلة الاحد — وصل محمد على باشا ، ودخل الى داره بالأزبكية في سادس ساعة من الليل .. وكان أشيع وصوله قبل ذلك اليوم . وخرج السيد عمر النقيب والمشايخ

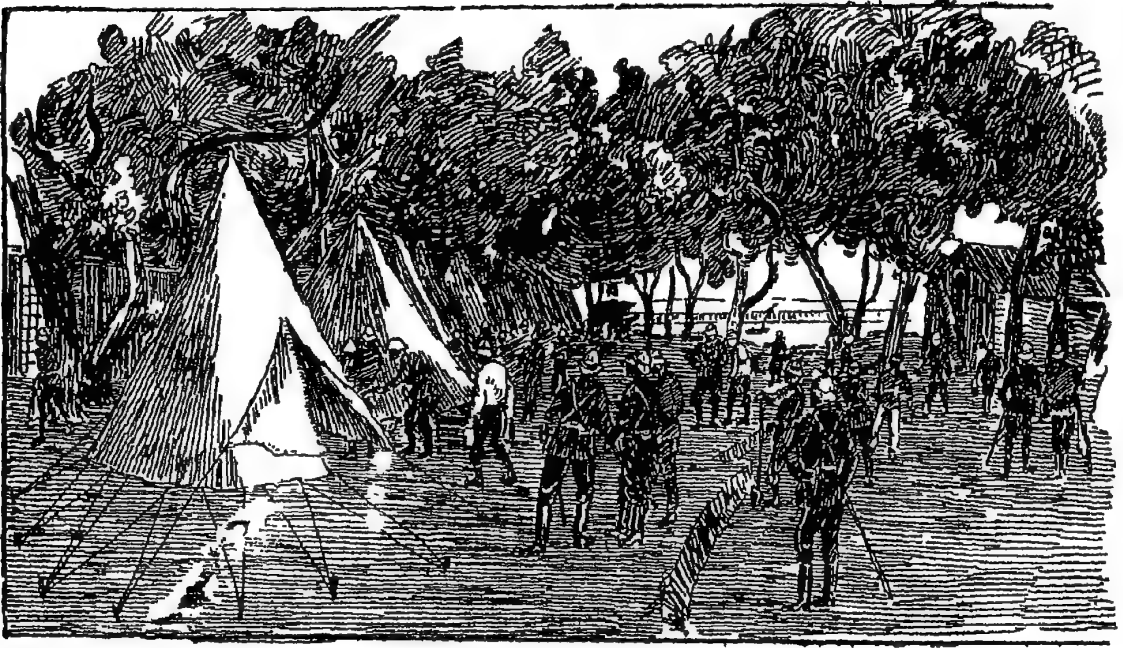
بخضرة المشايخ الكبار والنقيب والوجاقلية وأكابر العسكر . وأن شتم عقدنا مجلس الصلح بالجيزة قبل التوجه لمحاربة الانكليز . ولا شئ بعد ذلك أبدا .

فانخدعوا لذلك . وكتبوا أجوبة ، ورجع بها مصطفى أفندى كتخدا القاضى — وصحبته يحيى كاشف — ثم رجع اليهم ثانيا ، وسار الفريقان الى جهة مصر . وحضر المشايخ وأخبروا بما حصل . وفيه : شرعوا فى حفر الخندق المذكور . ووزعوا حفره على مياسير الناس وأهل الوكائل والخانات والتجار وأرباب الحرف والروزنامجى . وجعلوا على البعض أجرة مائة رجل من الفعلة . وعلى البعض أجرة خمسين ، وعشرين .. وكذلك أهل بولاق ، ونصارى ديوان المكس ، والنصارى الأروام ، والشوام والأقباط . واشتروا المقاطف والغلقان والفئوس والقزم وآلات الحفر . وشرعوا فى بناء حائط مستدير أسفل تل قلعة السبتية .

الخميس غايته (٩ ابريل ١٨٠٧ م) :

ورد مكتوب من السيد حسن كريت — نقيب الأشراف برشيد ، والمشار اليه بها — يذكر فيه « أن الانكليز لما وقع لهم ما وقع برشيد ، ورجعوا فى هزيمتهم الى الاسكندرية .. استعدوا ، وحضروا الى ناحية الحماد قبلى رشيد — ومعهم المدافع الهائلة والعدد — ونصبوا متاريسهم من ساحل البحر الى الجبل عرضا .. وذلك ليلة الثلاثاء ثامن عشر منه ، فهذا ما حصل أخبرناكم به ، ونرجو الاسعاف والامداد بالرجال والجبيخانة والعدة والعدد ، وعدم التأنى والاهمال » .

فلما وصل ذلك الجواب ... قرأه السيد عمر النقيب على الناس ، وحشم على التأهب والخروج للجهاد . فامتلوا ولبسوا الأسلحة ، وجمع اليه طائفة المغاربة ، وأتراك خان الخليلي ، وكثير من



مسكر الانجليز

البر ، وأخبروا أنهم حجوا وقضوا مناسكهم ، وأن مسعودا الوهابي وصل الى مكة بجيش كثيف ، وحج مع الناس بالأمن وعدم الضرر ورخاء الأسعار . وأحضر مصطفى جاويش أمير الركب المصري وقال له : « ما هذه العويدات والطبول التي معكم ؟ » . (يعنى بالعويدات : المحل) . فقال : « هو اشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عاداتهم » . فقال : « لا تأت بذلك بعد هذا العام ... وان آتيت به أحرقتة » . وأنه هدم القباب ، وقبة آدم ، وقباب ينبع والمدينة . وأبطل شرب التباك والتارجيلة من الأسواق ، وبين الصفا والمروة ، وكذلك البدع .

وفي تلك الليلة : أرسل الباشا وطلب السيد عمر ، في وقت العشاء الأخيرة ، وألزمه بتحصيل ألف كيس لنفقة العسكر ، وأن يوزعها بمعرفة .

الاثنين ٤ منه (١٢ أبريل ١٨٠٧ م) :

دخلت طوائف العسكر الواصلين من الجهة

والمحروقي لملاقاته يوم الجمعة : فبعضهم ذهب الى الآثار وبات هناك ، وبعضهم بات بالقرافة بضريح الامام الشافعي . ورجعوا في ثاني يوم ، ولم يحصل لهم ملاقة .

فلما طلع نهار ذلك اليوم ، وأشيع حضوره الى داره ، ركب الجيـع وذهبوا للسلام عليه . ودار بينهم الكلام في أمر الانكليز .. فأظهر الاهتمام ، وأمر كتخدا بيك وحسن باشا بالخروج في ذلك اليوم . فأخرجوا مطلوباتهم وعازتهم الى بولاق . وسخط على أهل الاسكندرية والشيخ المسيري وأمين أغا ... حيث مكثوا الانكليز من الثغر ، وملكوهم البلدة . ولم يقبل لهم عذرا في ذلك .

ثم قالوا له : « انا نخرج جميعا للجهاد مع الرعية والعسكر » . فقال : « ليس على رعية البلد خروج . وانما عليهم المساعدة بالمال لعلائف العسكر » .

واقضى المجلس ، وركبوا الى دورهم . وفيه : وصل حجاج المغاربة الى مصر من طريق

القبلية الى المدينة وطلبوا سكنى البيوت كماداتهم ولم يرجعوا الى الدور التى كانوا ساكنين بها وأخربوها .

الثلاثاء ٥ منه (١٤ ابريل ١٨٠٧ م) :

ورفت مكاتبة من رشيد ، وعليها امضاء السيد حسن كريت ، يخبر فيها : « بأن الانكليز محتاطون بالثغر ، ومتحلقون حوله ، ويضربون على البلاد بالمدافع والقنابر . وقد تهدم الكثير من الدور والأبنية ، ومات كثير من الناس . وقد أرسلنا لكم ، قبل تاريخه ، نطلب الاغاثة والنجدة .. فلم تسعفونا بارسمال شيء . وما عرفنا لى شيء هذا الحال ، وما هذا الاهمال ؟ فالحق ، الله فى الاسعاف ... فقد ضاق الخناق ، وبلغت القلوب الحناجر .. من توفع المكروه ، وملازمة المراقبة ، والسهر على المتاريس » . ونحو ذلك من الكلام .. وهى خطاب للسيد عمر النقيب والمشايخ ، ومؤرخة فى ثانى شهر صفر .

وفى ذلك اليوم : اهتم الباشا ، وعزم على السفر بنفسه . وركب الى بولاق ، وصحبته حسن باشا وعابدين بيك وعمر بيك ، فسافروا فى تلك الليلة

الاربعاء ٦ منه (١٥ ابريل ١٨٠٧ م) :

سافر أيضا حجوبيك . وخرج معه بعض المتطوعة من الأتراك وغيرهم .. تهيئوا واتفقوا مع المسافرين معهم ، وأمدهم الكثير من اخوانهم بالاحتياجات والذخيرة والمؤن ، ونصبوا لهم يرقا . وخرجوا ومعهم طبل وزمر .

الجمعة ٨ منه (١٧ ابريل ١٨٠٧ م) :

ركب أيضا أحمد آغا لاط ، وشق بمساكره الذين كان بهم بالمنية . وتداخل فيهم الكثير من أجناسهم ، وغيرهم من مغاربة وأتراك بلدية . ومر الجميع من وسط المدينة فى عدة وافرة .

ويذهب الجميع الى بولاق ، يوهمون أنهم مسافرون على قدم الاستعجال .. بهمة ونشاط واجتهاد . فاذا وصلوا الى بولاق .. تفرقوا ، ويرجع الكثير منهم ، ويراهم الناس فى اليوم الثانى والثالث بالمدينة ! ومن تقدم منهم ، وسافر بالفعل .. ذهب فريق منهم الى المنوفية ، وفريق الى الغربية ، ليجمعوا فى طريقهم من أهل البلاد والقرى ما تصل اليه قدرة عسفهم : من المال والمغارم والكلف ، وخطف البهائم ، ورعى المزارع ، وخطف النساء والبنات والصبيان ، وغير ذلك !

وفيه : سافر أيضا حسن باشا طاهر .

وفيه : نزل الدلاية الى بولاق ، وكذلك الكثير من المسكر . وحصل منهم الازعاج فى أخذ الحبير والجمال قهرا من أصحابها . ونزلوا بخيولهم على ربب البرسيم والغالل الطائبة التى بناحية بولاق وجزيرة بدران وخالقها .. فرعتها وأكلتها بهائمهم فى يوم واحد ! ثم انتقلوا الى ناحية منية السجرج وشبرا والزاوية الحمراء والمطرية والأميرية ... فأكلوا زروعات الجميع ، وخطفوا مواشيهم ، وفجروا بالنساء ، وافتضوا الأبنكار ، ولاطوا بالغللمان ، وأخذوهم وباعوهم فيما بينهم .. حتى باعوا البعض بسوق مسكة وغيره ... وهكذا يفعل المجاهدون !

ولشدة قهر الخلائق منهم ، وقبح أفعالهم .. غنوا مجيء الافرنج من أى جنس كان ، وزوال هؤلاء الطوائف الخاسرة ... الذين ليس لهم ملة ولا شرعة ولا طريقة يشنون عليها . فكانوا يصرخون بذلك بمسمع منهم ، فيزداد حقدهم وعداوتهم ، ويقولون : « أهل هذه البلاد ليسوا مسلمين لأنهم يكرهونا ويحبون النصارى ! » . ويتوعدونهم اذا خلصت لهم البلاد ، ولا ينظرون لقبح أفعالهم .

صفر

الاثنين ١١ منه (٢٠ أبريل ١٨٠٧ م) :

حضر جماعة من الططر .. الذين من عادتهم يأتون بالأخبار والبشارات بالمناصب — وقد وصلوا من طريق الشام — يبشرون بولاية السيد على باشا قبودان باشا ، وعزل صالح قبودان عن رئاسة الدوفانمة . ويذكرون أنه خرج بالدوفانمة التي تسمى بالعمارة — وصحبته عدة مراكب فرساوية — قاصدين جهة مالطة ليقطعوا على الانكليز الطرق . وأن هؤلاء الططر الواصلين لم يعلموا بورود الانكليز الى الاسكندرية الا عند وصولهم صيدا .

وذكروا أن سبب عزل صالح القبودان : أن الانكليز وردوا بغاز اسلامبول باثني عشر مركبا — وقيل أربعة عشر — وظلوا داخلين ... والمدافع تضرب عليهم من القلاع المتقابلة . فلم يبالوا بذلك حتى حصلوا بداخل المينة تجاه البلد . فانزعج أهالي البلد انزعاجا شديدا ، وصرخت النساء وهاجت المدينة وماجت بأناسها . ولو ضرب عليها الانكليز لاحترقت عن آخرها ... لكنهم لم يفعلوا ، بل استمروا يومهم ، ورموا مراسيمهم . ثم أخذوها وولوا راجعين .. ولسان حالهم يقول : ها نحن ولجنا بغازكم الذي تزعمون أنه لا أحد يقدر على عبوره ، وقدرنا عليكم وعفونا عنكم . ولو شئنا أخذ دار سلطنتكم لأخذناها أو أحرقناها ! وعند ما فعلوا ذلك ، طلب السلطان قبودان باشا ، فوجدوه يتعاطى الشراب في بعض الأماكن .

فعند ذلك أحضروا السيد على ، وقلدوه رياسة الدوفانمة . ونزل الى الانكليز ، وتكلم معهم الى أن خرجوا من بغاز . وأخرجوا صالح قبودان منفيا الى بعض الجهات .

وفي ذلك اليوم : طلع الباشا الى القلعة ، وصحبته قنصل فرنساوية يهندس معه الأماكن ومواطن الحصار .. والقنصل المذكور يظهر الاهتمام والاجتهاد ، ويسهل الأمر ، ويسذل النصيح ، ويكثر من الركوب والذهاب والاياب .. وأمامه الخدم وبأيديهم الحراب المفضضة ، وخلفه ترجمانه وأتباعه .

وفيه : أرسل الأمراء القبليون جوابا عن جواب أرسل اليهم قبل ذلك ، وعليه ختم كثيرة ، باستدعائهم ، واستعجالهم للحضور فأرسلوا هذا الجواب يعتذرون فيه بأن السبب في تأخرهم أنهم لم يتكاملوا ، وأن أكثرهم متفرقون بالنواحي : قتل عثمان بيك حسن وغيره ، وأنهم الي الآن لم يثبت عندهم حقيقة الأمر ، لأن من الثابت عندهم صداقة الانكليز مع العثماني من قديم الزمان ، وأن المراسيم التي وردت : بالتحذير والتحفظ من الموسكوب ... ولم يذكر الانكليز .

فاتفق الحال بأن يرسلوا لهم جوابا بالحقيقة ، صحبة مصطفى أفندي كتحدا القاضي ، ويصحب معه المراسيم التي وردت في شأن ذلك ، وفيها ذكر الانكليز ومنابذتهم للدولة . فسافر السكتخدا المذكور في صبحها اليهم .. وكانوا حضروا الى ناحية المينة .

بمكاتبات بتحقيق ذلك الخبر . وبالغا في الأخبار ، وأن الانكليز انجلوا عن متارس رشيد وأبى منضور والحماة ، ولم يزل المقاتلون من أهل القرى خلفهم ، الى أن توسطوا البرية وغنموا جيخاناتهم وأسلحتهم ومدافعهم ومهراسين عظيمين .

وذكرا أنه واصل خلفهم أسرى ورؤوس قتلى كثيرة في عدة مراكب ، وأنه وصل معهما من جملة المتطوعين رجالان من أهل مكة التجار المقيمين بمصر ... كانا في الواقعة بنحو مائة من البدو المغاربة وغيرهم : ينفكان عليهم ، ويحرضانهم على القتال ، ويعينان المقاتلين من الأهالي بما في أيديهما ، ويقاتلان بأنفسهما . وبذلا جهدهما في ذلك ، وأنهما — بعد هزم الانكليز وسلبهم — فرقا ما غنماه وما بقى معهما من الأشياء على من خرج خلف الانكليز ، وحضرا معهما وهما السيد أحمد النجارى ، وأخوه السيد سلامة فطلبهما الباشا وسألهما عن الخبر ، فأخبراه بحبر التركيين . فانسر الباشا لذلك سرورا عظيما ، وشكر فعلهما ، وأنعم عليهما ، وخلع عليهما ، ورتب لهما مرتبا ، وأوعدهما بالاستخدام في مصالحه وخلع على ذينك التركيين فروتى منور

وحضرا — بصحبه الساعين — الى منزل السيد عمر النقيب بعد الغروب وتعشوا عنده ، وطلبوا البقشيش وبعد أن أخذوه توسل التركيان به بأن يسعى لهما عند الباشا في أنه ينعم عليهما بمناصب فأوعدهما بذلك ، وترجى الباشا لهما . فضاعف مرتبهما وضربوا في صبح ذلك اليوم مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية وبولاق والجيزة ، وذلك بين الظهر والعصر .

الجمعة ١٥ منه (٢٤ ابريل ١٨٠٧ م) :

حضروا بأسرى — وعدتهم تسعة عشر شخصا —

وأما ياسين بك ، فانه أذعن للصلح ... على أن يعطيه الباشا أربعمائة كيس بعد ترداد المراسلات بينه وبين الباشا . ثم أنه عدى الى ناحية شرق أطفح ، وفرض عليهم الأموال الجسيمة .. وكان أهل تلك البلاد اجتمعوا بصول والبرنيل بمتاعهم وأموالهم ومواشيهم ، فنزل عليهم ، وطلب منهم الأموال ... فعضوا عليه . فأوقد فيهم النيران ، وحرق جروهم ونهبهم !

الثلاثاء ١٢ منه (٢١ ابريل ١٨٠٧ م) :

حضر جماعة من العرب ، وصحبته ثلاثة أنفار من الانكليز ... قبضوا عليهم من البرية ، وأحضروهم الى مصر . فمثلوا بين يدي الباشا ، وكلمهم ، ثم أمر بطلوهم الى القلعة .. وفيهم شخص كبير يقال انه من قباطينهم .

الخميس ١٤ منه (٢٢ ابريل ١٨٠٧ م) :

عملوا ديوانا بيت القاضي ... اجتمع فيه الدفتردار والمشايخ والوجاقية ، وقرأوا مرسوما تقدم حضوره قبل وصول الانكليز الى الاسكندرية مضمونه : ضبط تعلقات الانكليز وما لهم من المال والودائع والشركات مع التجار بمصر والثغور .

وفي ذلك اليوم : حضر شخصان من السعاة وأخبرا بالنصر على الانكليز وهزيمتهم .

وذلك أنه اجتمع الجهم الكثير من أهالى بلاد البحيرة وغيرها ، وأهالى رشيد ، ومن معهم من المتطوعة والعساكر وأهل دمنهور ... وصادف وصول كتفدا بك واسماعيل كاشف الطوبجى الى تلك الناحية فكان بين الفريقين مقتلة كبيرة ، وأسروا من الانكليز طائفة ، وقطعوا منهم عدة رؤوس . فخلع الباشا على الساعين جوختين .

وفي أثر ذلك وصل أيضا شخصان من الأتراك

وفيه : أرسل الباشا فسيالا كبيرا من الانكليز الى الاسكندرية ، بدلا عن ابن أخى عمر بيك . وقد كان المذكور سافر الى الاسكندرية قبل الحادثة ليذهب الى بلاده بما معه من الأموال . فعوقه الانكليز . فأرسلوا هذا الفسيال ليرسلوا بدله ابن أخى عمر بيك .

الاثنين ١٨ منه (٢٧ أبريل ١٨٠٧ م) :

وصلت خيام ياسين بيك وحملاته . ونصبوا وطاقه جهة شبرا ومنية السرج .

الأربعاء ٢٠ منه (٢٩ أبريل ١٨٠٧ م) :

وصل الى ساحل بولاق مراكب ، وفيها أسرى وقتلى وجرحى . فطلعوا بهم الى البر ، وساروا بهم على طريق باب النصر ، وشقوا بهم من وسط المدينة الى الأزبكية . فرشقوا الرؤوس بالأزبكية مع الرؤوس الأول — وهم نحو المائة واثنين وأربعين — والأحياء والمجاريح نحو المائتين وعشرين . فطلعوا بهم الى القلعة عند اخوانهم .. فكان مجموع الأسرى : أربعمائة أسير وستة وستين أسيرا ، والرؤوس ثلثمائة ونيّف وأربعون . وفى الأسرى نحو العشرين من فسيالاتهم .

وهذه الواقعة حصلت على غير قياس ، وصادف بناؤها على غير أساس !

وقد أقسّد الله رأى كل من طائفة الانكليز ، والأمراء المصرية ، وأهل الاقليم المصرى ... لبروز ما كتبه وقدره فى مكنون غيبه على أهل الاقليم من الدمار الحاصل وما سيكون بعد .. كما ستسمع به ، ويتلى عليك بعضه .

أما فساد رأى الانكليز ... فلتعديدهم الاسكندرية مع قتلهم ، وسماعهم بموت الألفى ، وتفريرهم بأنفسهم . وأما الأمراء المصريون فلا يخفى فساد رأيهم بطل . وأما أهالى الاقليم ،

وعدة روس ، فمروا بهم من وسط الشارع الأعظم . وأما الرؤوس فمروا بها عن طريق باب الشعرية — وعدتها يّف وثلاثون رأسا — موضوعة على ناييت ، رشقوها بوسط بركة الأزبكية مع الرؤوس الأولى ... صفين على يمين الممالك من باب الهواء الى وسط البركة وشماله .

وفيه : وصل ثلاث داوات من جدة الى ساحل السويس ، فيها أتراك وشوام وأجناس آخرون . وذكروا أن الوهابى نادى بعد انقضاء الحج : « ألا يأتى الى الحرمين بعد هذا العام من يكون حليق الذقن » . وتلا فى المنادة قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس . فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا » . وأخرجوا هؤلاء الواصلين الى مصر .

السبت ١٦ منه (٢٥ أبريل ١٨٠٧ م) :

وصل أيضا تسعة أشخاص أسرى من الانجليز ، وفيهم فسيال

الاحد ١٧ منه (٢٦ أبريل ١٨٠٧ م) :

وصل أيضا نيّف وستون ، وفيهم رأس واحدة مقطوعة ، فمروا بهم على طريق باب النصر من وسط المدينة . وهرع الناس للتفرج عليهم . وبعد الظهر أيضا مروا بثلاثة وعشرين أسيرا وثمانية رؤوس ، وبعد العصر بثلاثة وعشرين رأسا وأربعة وأربعين أسيرا من ناحية باب الشعرية ، وطلعوا بالجميع الى القلعة .

وفيه : وصل ياسين بيك الى ناحية طرا ، وحضر أبوه الى مصر ، ودخل كثير من أتباعه الى المدينة وهم لا يسبون زى الممالك المصرية .

وفيه : دفنوا رؤوس القتلى من الانكليز ... وكانوا قطعوا آذانهم ، ودفنوها وملحوها ، ليرسلوها الى اسلامبول !

فلاتتصارهم لمن يضرهم ويسلب نعمهم . « وما أصاب من مصيبة فيما كسبت أيدي الناس . وما أصابك من سيئة فمن نفسك » .

ولم يخطر في الظن حصول هذا الواقع ، ولا أن الرعايا والعسكر لهم قدرة على حروب الانكليز .. وخصوصا شهرتهم باتقان الحروب . وقد تقدم لك أنهم هم الذين حاربوا الفرنساوية وأخرجوهم من مصر .

ولما شاع أخذهم الاسكندرية ، داخل العسكر والناس وهم عظيم . وعزم أكثر العسكر على الفرار الى جهة الشام ، وشرعوا في قضاء أشغالهم واستخلاص أموالهم التي أعطوها للمتضايقين والمستقرضين بالربا ، وابدال ما بأيديهم من الدراهم والقروش والفرانسة التي يثقل حملها ... بالذهب البندقي والمحجوب الزر ، لخفة حملها . حتى أنها زادت في المصارفة بسبب كثرة الطلب لها . وبلغ صرف البندقي المشخص الناقص في الوزن ، أربعمائة وعشرين نصفا . والزر ، مائتين وعشرين . والفرانسة ، مائتين . واستمرت تلك الزيادة بعد ذلك ... وسيزيد الأمر فحشا !

وسعوا في مشتري أدوات الارتحال ، والأموار اللازمة لسفر البر . وفارق الكثير منهم النساء ، وباعوا ما عندهم من الفرش والأمتعة .

حتى ان محمد علي باشا لما بلغه حصولهم بالاسكندرية — وكان يحارب المصريين ويشدد عليهم — فعند ذلك انحلت عزائمه ، وأرسل يصالحهم على ما يريدونه ويطلبونه . وثبت في يقينه استيلاء الانكليز على الديار المصرية ، وعزم على العود متلكنا في السير ... يظن سرعة ورودهم الى المدينة ، فيسير مشرقا على طريق الشام ، ويكون له عذر بغيته في الجملة !

فلما وصلت الشرمذة الاولى من الانكليز الى

رشيد ، ودخلوها من غير مانع ، وحبسوا أنفسهم فيها ، فقتلوا وأسروا ، وهرب من هرب ، ووصلت الرؤوس والأسرى ، وأسرت المبشرون الى الباشا بالخبر ... فعند ذلك تراجعت اليه نفسه ، وأسرع في الحضور . وتراجعت نفوس العساكر ، وطمعوا عند ذلك في الانكليز ، وتجاسروا عليهم . وكذلك أهل البلاد قويت همهم ، وتأهبوا للبروز والمحاربة ، واشتروا الأسلحة ، ونادوا على بعضهم بالجهاد .

وكثر المتطوعون ، ونصبوا لهم بيارق وأعلاما ، وجمعوا من بعضهم دراهم ، وصرفوا على من انضم اليهم من الفقراء . وخرجوا في مواكب وطبول وزمور . فلما وصلوا الى متاريس الانكليز ، دهموهم من كل ناحية على غير قوانين حروبهم وترتيبهم ، وصدقوا في الحملة عليهم ، وألقوا أنفسهم في النيران ، ولم يبالوا برميهم ، وهجبوا عليهم ، واختلطوا بهم ، وأدهشوهم بالتكبير والصياح ... حتى أبطلوا رميهم ونيرانهم ، فألقوا سلاحهم ، وطلبوا الأمان ... فلم يلتفتوا لذلك ، وقبضوا عليهم ، وذبحوا الكثير منهم . وحضروا بالأسرى والرؤوس على الصور المذكورة . وفر الباقون الى من بقى بالاسكندرية .

وليت العامة شكروا على ذلك ، أو نسب اليهم فعل ... بل نسب كل ذلك للباشا وعساكره ، وجوزيت العامة بضد الجزاء بعد ذلك !

ولما أصدوا الأسرى الى القلعة ، طلع اليهم قنصل الفرنساوية ومعه الأطباء ، لمعالجة الجرحى . ومهد لهم أماكن ، وميز الكبار منهم والفتيات في مكان يليق بهم ، وفرش لهم فرشاة ، ورتب لهم تراتيب ، وصرف عليهم نفقات ولوازم . واستمر يتعاهدهم في غالب الأيام ... والجرائحة يترددون اليهم في كل يوم لمداواتهم ، كما هي عادة الافرنج

مع بعضهم : اذا وقع في أيديهم جرحى من المحاربين لهم ... فعلوا بهم ذلك ، وأكرموا الأسرى •

وأما من وقع منهم في أيدي العسكر من المردان ، فانهم اختصوا بهم ، وألبسوه من ملابسهم ، وباعوهم فيما بينهم . ومنهم من احتال على الخلاص من يد الفاسق بحيلة لطيفة . فمن ذلك : أن غلاما منهم قال للذي هو عنده : « ان لى بولصة عند قنصل فرنساوية ، وهى مبلغ عشرون كيسا » . ففرح ، وقال له : « أرنىها » . فأخرج له ورقة بخطهم — وهو لا يعرف ما فيها — فأخذها منه ، طمعا فى احرارها لنفسه ، وذهب مسرعا الى القنصل وأعطاها له . فلما قرأها قال له : « لا أعطيك هذا المبلغ الا بيد الباشا ، ويعطينى بذلك رجعة بختمه لتخلص ذمتى » .

فلما صاروا بين يدي الباشا ، أخبره القنصل . فأمر باحضار الغلام . فلما حضر سأله الباشا . فقال : « أريد الخلاص منه ، واحتلت عليه بهذه الحيلة لاتوصل اليك » . فطيب الباشا خاطر العسكرى



أحد التطوعين

بдраهم ، وأرسل الغلام الى أصحابه بالقلعة . ولما انقضى أمر الحرب من ناحية رشيد ، وانجلت الانكليز عنها، ورجعوا الى الاسكندرية ... نزل الأتراك على الحماد وما جاورها ، واستباحوا أهلها ونساءها وأموالها ومواشيها ... زاعمين أنها صارت دار حرب بنزول الانكليز عليها وتملكها ! حتى أن بعض الظاهرين كلمهم فى ذلك ، فرد عليه بذلك الجواب . فأرسلوا الى مصر بذلك . وكتبوا فى خصوص ذلك سؤالا . وكتب عليه المفتون بالمنع وعدم الجواز . وحتى يأتى الترياق من العراق يموت المسوع . ومن يقرأ ومن يسمع ! وعلى أنه لم يرجع طالب الفتوى ، بل أهملت عند المفتى وتركها المستفتى .

ثم أحاطت العساكر ورؤساؤهم برشيد ، وضربوا على أهلها الضرائب ، وطلبوا منها الأموال والكلف الشاقة ، وأخذوا ما وجذوه بها من الأرز للعلق فخرج كبيرها السيد حسن كريت الى حسن باشا وكنخدا بيك ، وتكلم معهما وشنع عليهما وقال . « أما كفانا ما وقع لنا من الحروب ؛ وهدم الدور ، وكلف العسكر ، ومساعدتهم ، ومحاربتنا معهم ومعكم ، وما قاسيناه من التعب والسهر وانفاق المال ... ونجازى منكم بعدها بهذه الأفاعيل ! فدعونا نخرج بأولادنا وعيالنا ، ولا تأخذ معنا شيئا ، وتترك لكم البلدة افعلوا بها ما شئتم » .

فلاطفوه فى الجواب ، وأظهروا له الإهتمام بالمناداة والمنع . وكتب المذكور أيضا مكاتبات بمعنى ذلك ، وأرسلها الى الباشا والسيد عمر بمصر . فكتبوا فرمانا وأرسلوه اليهم بالكف والمنع ... وهيئات !

ولما وصل من وصل بالقتلى والأسرى ، أنعم الباشا على الواصلين منهم بالخلع والبقاشيش ،

والبسهم ثلثجات فضة على رؤوسهم ... فازداد
جبروتهم وتعديهم . ولما رجع الانكليز الى ناحية
الاسكندرية ، قطعوا السد . فسالت المياه ،
وغرقت الأراضي حول الاسكندرية .

الثلاثاء ٢٦ منه (٥ مايو ١٨٠٧ م) :

وصل ياسين بيك المذكور ، وصحبته سليمان أغا
صالح وكيل دار السعادة سابقا — وهو الذى كان
باسلامبول ، وحضر بصحبته القبودان فى الحادثة
السابقة ، وتأخر عنه ، واستمر مع الألفى ، ثم مع
أمرائه بعد موته — وكان الباشا قد أرسل له
يستدعيه بأمان . فأجاب الى الحضور بشرط أن
يجرى عليه الباشا مرتبه بالضربانة . وقدر ذلك
ألف درهم فى كل يوم . فأجابه الى ذلك .

وحضر صحبته ياسين بيك ، وقابلا الباشا ،
وخلع عليهما خلعتى سمور ، ونزلا وركبا ولعبا مع
أجنادهما بوسط البركة بالرماح . وظهر من حسن
رماحة سليمان أغا ما أعجب الباشا ومن حوله
من الأتراك ، بل أصابوه بأعينهم .. لأنه بعد
انهضاء ذلك سار مع ياسين بيك الى ناحية بولاق
يترامحون ويتلاعبون . فأخرج طينجته بيده
الينى والرمح فى يده اليسرى — وكان زنادها
مرفوعا — فانطلقت رصاصتها ، وخرقت كفه
اليسار القابض به على سرع الجواد ، وتفتت من
الجهة الأخرى . فرجع الى داره بجراحته ، وأذن
له برد حملته . وذهب ياسين بيك الى بولاق فبات
بها فى دار حسن الطويل بساحل النيل .

وفيه : سافر المتسفر بأذان قتلى الانجليز —
وقد وضعوها فى صندوق — وسافر بها على
طريق الشام ، وصحبته أيضا شخصان من أسرى
فسيالات الانكليز . وكتبوا عرضا بصورة الحال
من انشاء السيد اسماعيل الخشاب ، وبالفوا فيه .
وفيه : حضر اسماعيل كاشف الطوبجى من

ناحية بحرى ليقضى بعض الأغراض ثم يعود .

الخميس ٢٨ منه (٧ مايو ١٨٠٧ م) :

سافر عمر بيك ، تابع عثمان بيك الأشقر ،
وعلى كاشف بن أحمد كئخدا الى ناحية القليوبية ..
لأجل القبض على أيوب فودة بسبب رجل يسمى
زغلول ينسب اليه بأنه يقطع الطريق على المسافرين
فى البحر . وكلما مرت بناحية مركب ، حاربها
ونهب ما فيها من بضائع التجار وأموالهم ، أو أنهم
يفتدون أنفسهم منه بما يرضيه من المال . فكثر
تشكى الناس منه . فيرسلون الى أيوب فوده ،
كبير الناحية ، فيتبرأ منه .

فلما زاد الحال عينا من ذكر للقبض عليه وقتله ،
فبلغه الخبر ، فهرب من بلده أبناس . فلما وصلوا
الى محله ، فلم يجدوه ، أحاطوا بموجوداته
وغلاله وبهائمه وما له من المواشى والودائع بالبلاد .

فلما جرى ذلك ، حضر الى السيد عمر ، وصالح
على نفسه بثلاثمائة كيس ، ورجع الحال الى
حاله ... وذلك خلاف ما أخذه الميعون من الكلف
والمغارم من البلاد التى مروا عليها ، وأقاموا فيها ،
واحتجوا عليها .

وفيه : حضر الكثير من أهل رشيد بحريهم
وأولادهم ، ورحلوا عنها الى مصر .

وفيه : حضر كئخدا القاضى من عند الأمراء
القبالى . وأخبر أنهم محتاجون الى مراكب لحمل
الغلال الميرية والذخيرة . فهيا الباشا عدة مراكب ،
وأرسلها اليهم . ومع هذه الصورة ، واطهار
المصالحة والمسالمة ، يمنعون ويحجزون من يذهب
اليهم من دورهم بثياب ومتاع . وكذلك يمنعون
المتسبين والباعة الذين يذهبون بالتاجر والأمتعة
التي يبيعونها عليهم . واذا وقعوا بشخص ، أو
غمزوا عليه عند الحاكم ، أو صادفه بعض العيون
الترقبة عليه ... قبضوا عليه ، ونهبوا ما معه ،

وعاقبوه وجسوه .. بل ونهبوا داره وغرموه ،
ولا يغفر ذنبه ، ولا تقال عثرته ، ويتبرأ منه كل
من يعرفه .

وكذلك نهبوا على القلقات الذين يسمونهم
الضوابط ، المتقيدين بأبواب المدينة ، مثل : باب
النصر ، وباب الفتوح ، والبرقية ، والباب الحديد ،
يمنع النساء عن الخروج خوفا من خروج نساء
القبالي وذهابهن الى أزواجهن .

واتفق أنهم قبضوا على شخص في هذه الأيام
يريد السفر الى فاحية قبلى ، ومعه تليس ، ففتحوه
فوجدوا بداخله مراكيب ونعالات مصرية ومغربية
التي تسمى بالبلغ . فقبضوا عليه ، واتهموه أنه
يريد الذهاب بذلك الى الأمراء وأتباعهم فنهبوا
منه ذلك وغيره ، وقبضوا عليه ، وجسوه .
واستمر محبوسا .

وكذلك اتفق أن الوالى ذهب الى جهة القرافة ،
وقبض على أشخاص من التريبة الذين يدفنون
الموتى ، واتهمهم بأن بعض أتباع الأمراء القبالي
يخرجون اليهم بالأمنعة لأسيادهم ، ويخفونها
عندهم بداخل القبور حتى يرسلوها الى أسيادهم
في الغفلات ... وضربهم ، وهجم على دورهم فلم
يجد بها شيئا واجتمع عليه خدام الأضرحة
وأهل القرافة ، وشنعوا عليه وكادوا يقتلونه ...
فهرب منهم وحضروا في صبحها عند السيد عمر
والمشايع يشكون من الوالى وما فعله مع الحفارين
ونحو ذلك ... فاعجب لهذا التناقض !

وفيه : وصل مكتوب من كبير الانكليز الذى
بالاسكندرية مضمونه : طلب أسماء الأسرى من
الانكليز ، والوصية بهم ، واکرامهم . كما هم
يملكون بالأسرى من العسكر . فانهم لما دخلوا الى
الاسكندرية ، أكرموا من كان بها منهم ، وأذنوا
لهم بالسفر بمتاعهم وأموالهم الى حيث شاءوا ،
وكذلك من أخذوه أسيرا في حراية رشيد .

ربيع الأول

السبت غرته (٩ مايو ١٨٠٧ م) :

كتبوا لكبير الانكليز جوابا عن رسالته .

السبت ١٥ منه (٢٣ مايو ١٨٠٧ م) :

حضر على كاشف الكبير الألفى بكلام من طرف
شاهين بيك الألفى ، يعتذر عن التأخير الى هذا
الوقت ، وأنهم على صلحهم واتفاقهم الأول ،
وحضورهم الى ناحية الجيزة ... وبات تلك الليلة
في بيته بمصر . ثم أقام ثلاثة أيام ، ورجع الى
مرسله .. وصحبته سليمان آغا الوكيل .

وفيه : حضر عابدين بيك أخو حسن باشا من
ناحية بحرى .. وحضر أيضا في أثره أحمد آغا لاظ
وغيره من ناحية بخرى . وذلك أنهم ذهبوا خلف
الانكليز الى قرب معدبة البحيرة فخرج عليهم
طائفة الانكليز من البر والبحر وضربوا عليهم
مدافع ونيرانا كثيرة ، فولوا راجعين ، وحضروا
الى مصر .

وفيه : حضر أيضا الفسيال الكبير الانكليزى
الذى كان أرسل بدلا عن ابن أخى عمر بيك —
وقيل انه ابن أخى صالح قوش — فلما وصل اليهم ،
أجابوا بأن المذكور سافر مع من سافر الى الروم
بمتاعهم وأموالهم قبل الواقعة . وحيث لم يكن
المطلوب موجودا فلا وجه لابقاء الانكليزى
المذكور فردوه بعد أن رفعوا منزلته ورتبته
عندهم فلما رجع الى مصر ، خلى سبيله الباشا ،
ولم يجسه مع الأسرى بل أطلق له الاذن أيضا
في الرجوع الى الاسكندرية ، أو الى بلاده متى
أحب واختار .

وفيه : استوحش الباشا من ياسين بيك ، وضاق
خناقه منه وذلك أنه لما حضر الى مصر ، وخلع عليه
اليشا ، ودفع اليه ما كان وعده به من الأكرام ،

فعند ذلك داخله الخوف ، وانحلت عزائم جيوشه ، وتفرق الكثير منهم . فلما كان بعد الغروب ، طلب الركوب ، ولم يعلم عسكره أين يريد . فركب الجبيع — وهم ثلاثة طواير — واشتبهت عليهم الطرق في ظلام الليل . فسار هو بفريق منهم الى ناحية الجبل .. على طريق حلق الجرة . وفرقة سارت الى ناحية بركة الحاج ، والثالثة ذهبت على طريق القليوبية ، وفيهم أبوه .

فلما علم الباشا بركوبهم ، ركب خلفهم ، وذهب خلف الطائفة التي توجهت الى ناحية البركة .. حصه . فلما علموا انفرادهم عن أميرهم ، رجعوا متفرقين في النواحي . ورجع الباشا الى داره ، ولم يزل ياسين يبك في سيره حتى نزل بمن معه في التين ، واستقر بها . وأما أبوه فانه التجأ الى شيخ قليوب .. الشواربي ، فأخذ له أمانا ، وأحضر في ثاني يوم الى الباشا . فألبسه فروة ، وأمره أن يلحق بابنه . فنزل الى بولاق ، ونزل في مركب مسافرا .

الاثنين ٢٤ منه (٢ يونية ١٨٠٧ م) :

عين الباشا عسكرا ورؤساء عساكر وخيالة . وأصبح معهم شديدا وجملة من عرب الحويطات للحقوق ياسين يبك ومحاربه . ولما نزل ياسين يبك بناحية التين ، نهب قرى الناحية بأسرها ، مثل : التين ، وحلوان ، وطرا ، والمعصرة ، والبساتين . وفعلوا بها أذايعهم الشنيعة .. من السلب والنهب ، وأخذ النساء ، ونهب الأجران والفلال والأتبان والمواشي ، وأخذ الكلف الشاقة . ومن عجز عن شيء من مطلوباتهم ، أحرقوه بالنار .

الخميس ٢٧ منه (٥ يونية ١٨٠٧ م) :

رجع العسكر والعربان الذين كانوا ذهبوا لمحاربة ياسين يبك . وذلك أنهم لما قربوا من وطاقهم

وقدم له تقادم وأنعامات ... على أنه يسافر الى الاسكندرية لمحاربة الانكليز ، طلب مطالب كثيرة له ولأتباعه ، وأخذ لهم الكساوى والسراريات ، وأخذ جميع ما كان عند جبجى باشا من الأقمشة والخيام والجبجانة والاحتياجات من القرب وروايا المساء ، ولوازم العسكر في سفر البر والافازة والمحصرة .. الى غير ذلك . وقلد أباه كشوفية الشقية ، وخرج هو بعرضه وخيامه الى ناحية الخلاء ببولاق . فانضم اليه الكثير من العسكر والدلانية وغيرهم ، وصار كل من ذهب اليه يكتبه في جملة عسكره . فاجتمع عليه كل عاص وأزعر ومخالف وعاق ، وصرح بالخلاف ، وتطلعت نفسه للرئاسة . وكلما أرسل اليه الباشا يردده وينهاه عن فعله ، يعرض عن ذلك . وداخله الغرور ، وانتشرت أوباشه يعبثون في النواحي ، وبث أكابر جنده في القرى والبلدان ، وعينهم لجمع الأموال والمغارم الخارجة عن المعقول ... ومن خالفهم نهبوا قرينته وأحرقوها ، وأخذوا أهلها أسرى . فعند ذلك أخذ الباشا في التدبير عليه ، واستمال العسكر المنضمين اليه . وحلل عرى رباطاته .

الاربعاء ١٩ منه (٢٧ مايو ١٨٠٧ م) :

أمر عساكر الأرثوود بالاجتماع والخروج الى ناحية بولاق . فخرجوا بأجمعهم الى نواحي السبتية والخندق ، وحالوا بينه وبين بولاق ومصر .

السبت ٢٢ منه (٣١ مايو ١٨٠٧) :

ركب الباشا بجنوده ، وخرج الى تلك الناحية ، وحصن أبواب المدينة بالعساكر ، وأيقن الناس بوقوع الحرب بين الفريقين . وأرسل الباشا الى ياسين يبك يقول له : « أن تستمر على الطاعة ، وتطرد عنك هذه اللوم ، وتكون من جملة كبار العسكر ... والا تذهب الى بلادك . والا فأنا واصل اليك ومحاربك » .

ارتحل الى صول والبرنيل . فولوا راجعين ،
وتموا في ذهابهم واياهم تدمير القرى !
وفيه : ورد قاصد قابجي من اسلامبول ، وعلى
يده مرسوم بالبشارة .. بولاية السيد على باشا
قبودان الدونانمة ، وتاريخه نحو ثلاثة أشهر ،
فضربوا لقدمه المدافع من القلعة .

السبت ٢٩ منه (٧ يونية ١٨٠٧ م) :

رجع سليمان آغا من قبلى الى مصر وأخبر
بقرب قدوم الأمراء المصريين ، وأن شاهين بيك
وصل الى زاوية المصلوب ، وابراهيم بيك جهة
قمن العروس ، وأنهم يستدعون اليهم مصطفى
آغا الوكيل ، وعلى كاشف الصابونجي .

ربيع الآخر

الاثنين غرته (٨ يونية ١٨٠٧ م) :

فيه : سافر مصطفى آغا والصابونجي الى جهة
قبلى ، وصحبتهما كئخدا القاضى .

السبت ٦ منه (١٣ يونية ١٨٠٧ م) :

وصل شخص طبرى ، وعلى يده مرسوم ، فعمل
الباشا ديوانا ، وقرأ المرسوم بحضرة الجمع
مضمونه : أن العرضى الهمايونى ، الموجه لحرب
الموسكوب ، خرج من اسلامبول ، وذهب الى
ناحية أدرنه ، وأن العساكر سارت لمحاربة الأعداء ،
ويذكرون فيه أن بشائر النصر حاصلة وقد وصل
رؤوس قتلى وأسر كثيرة ، وأنه بلغ الدولة
ورود نحو الأربع عشرة قطعة من المراكب الى ثغر
الاسكندرية ، وأن الكائنين بالثغر تراخوا في
حربهم .. حتى طلعا الى الثغر فمن اللازم
الاهتمام ، وخروج العساكر لحروبهم ، ودفعهم
وطردهم عن الثغر .

وقد أرسلنا البيورلديات الى سليمان باشا

والى صيدا ، والى يوسف باشا والى الشام ،
بتوجيه العساكر الى مصر للمساعدة . وإن لزم
الحال لحضور المذكورين لتمام المساعدة على
دفع العدو ... الى آخر ما نمقوه وسطروه
ومحل القصد من ورود هذه البيورلديات
والفرامانات والأغوات والقبيجات ، انما هو جر
المنفعة لهم بما يأخذونه من خدمهم وحق طريقهم ،
من الدراهم والتقاعد والهدايا .

فان القادم منهم ، اذا ورد ، استعدوا لقدمه ..
فان كان ذا قدر ومنزلة ، أعدوا له منزلا يليق به ،
ونظموه بالفرش والأدوات اللازمة . وخصوصا
اذا كان حضر فى أمر مهم ، أو لتقرير المتولى
على السنة الجديدة ، أو بصحبته خلع رصا
وهدايا ، فانه يقابل بالاعزاز الكبير ، ويشاع خبره
قبل وروده الى الاسكندرية ، وتأتى المبشرون
بوروده من الططر قبيل خروجه من دار السلطنة
بنحو شهر أو شهرين ، وبأخذون خدمتهم وبشارتهم
بالأكياس . واذا وصل هو أدخلوه فى موكب جليل ،
وعملوا له ديوانا ومدافع وشنكا ، وأنزل فى المنزل
المعد له وأقبلت عليه التقادم والهدايا من المتولى
وأعيان دولته ، ورتب له الرواتب والمصاريف لما كله
هو وأتباعه . لمطبخه وشراب حاقته ، أيام مكثه ،
شعرا أو شعورا ثم يعطى من الأكياس قدرا عظيما
وذلك خلاف هدايا الترحيلة من قدور الشربات
المتنوعة ، والسكر المكرر ، وأنواع الطيب . كالعود
والعنبر ، والأقمشة الهندية ، والمقصبات لنفسه
ورجال دولته .

وان كان دون ذلك ، أنزلوه بمنزل بعض الأعيان
بأتباعه وخدمه ومتاعه فى أعز مجلس ويقوم رب
المنزل بمصرفهم ولوازمهم وكلفهم وما تستدعيه
شهوات أنفسهم ، ويرون أن لهم المنة عليه بنزولهم
عنده ، ولا يرون له فضلا ، بل ذلك واجب عليه ،

وفرض يلزمه القيام به ، مع التامر عليه وعلى اتباعه ،
ويمكث على ذلك شهورا ، حتى يأخذ خدمته ،
ويقبض أكياسه . وبعد ذلك كله يلزم صاحب المنزل
أن يقدم له هدية ليخرج من عنده شاكرا ومثنيا
عليه عند مخدومه وأهل دولته .. أقضية يحار العقل
والنقل في تصورهما !

الاحد ٧ منه (١٤ يونيه ١٨٠٧ م) :

وصلت القافلة والحجاج من ناحية القلزم على
مرسى السويس . وحضر فيها أغوات الحرم ،
والقاضي الذي توجه لقضاء المدينة — وهو
المعروف بسعد بيك — وكذلك خدام الحرم
المكي ، وقد طردهم الوهابي جميعا . وأما القاضي
المنفصل ، فنزل في مركب ولم يظهر خبره . وقاضي
مكة توجه بصحبة الشاميين .

وأخبر الواصلون أنهم منعوا من زيارة المدينة ،
وأن الوهابي أخذ كل ما كان في الحجرة النبوية
من الذخائر والجواهر .

وحضر أيضا الذي كان أميرا على ركب الحجاج ،
وصحبه مكاتبة من مسعود الوهابي ومكتوب من
شريف مكة . وأخبروا أنه أمر بحرق المحمل .
واضطربت أخبار الاخباريين عن الوهابي بحسب
الأغراض . ومكاتبة الوهابي بمعنى الكلام السابق
في نحو الكراسة ، وذكر فيها ما ينسبه الناس
اليه من الأقوال المخالفة لقواعد الشرع ويتبرأ عنها .

وفيه : ورد الخبر بأن ابراهيم بيك وصل الى
بنى سويف ، وأن شاهين بيك ذهب الى الفيوم
لاختلاف وقع بينهم ، وأن أمين بيك وأحمد بيك
الأفنيين ذهبا الى ناحية الاسكندرية للانكليز .

وفيه : كمل تحرير دفاتر الفرضة والمظالم التي
ابتدعوها في العام الماضي على القرارات واقطاعات
الأراضي . وكذلك أخذ نصف فائض الملتزمين .

وعينوا المعينين لتحصيله من المزارعين ... وذلك
خلافه . ما فرضوه على البنادر من الأكياس الكثيرة
المقادير .

وفي ذلك اليوم : أرسل الأغا ووالى الشرطة
أتباعهما لأرباب الصنائع ، والحرف ، والبوايين
بالوكائل والخانات ... يأمرؤنهم بالحضور من الغد
الى بيت القاضي . فانزعجوا من ذلك ، ولم يعلموا
لأى شيء هذا الطلب وهذه الجمعية ، وباتوا
متفكرين ومتوهمين .

فلما أصبح يوم الاثنين ، واجتمع الناس ، أبرزوا
لهم مرسوما قرئ عليهم بسبب زيادة صرف
المعاملة . وذلك أن الريال الفرنسية وصلت مصارفته
الى مائتين وعشرة من الأنصاف العددية . والمحجوب
الى مائتين وعشرين وأكثر . والمشخص البندقي
وصل الى أربعمائة وأربعين قضة ونحو ذلك .

فلما قرأوا عليهم المرسوم ، وأمروهم بعدم
الزيادة ، وأن يكون صرف الفرنسية بمائتين فقط ،
والمحجوب بمائتين وعشرين قضة ، والبندقي بأربعمائة
وعشرين .. فلما سمعوا ذلك ، قالوا : « نحن لبس
لنا علاقة بذلك .. هذا أمر منوط بالسيارف » .
وانفض المجلس .

وفيه : وصلت مكاتبة من ابراهيم بيك ومن
الرسل مضمونها : الاخبار بقدمهم . وأرسل
ابراهيم بيك يستدعى اليه ابنه الصغير ، وولد ابنته
المسمى نور الدين ، ويطلب بعض لوازم وأمتعة .

السبت ١٣ منه (٢٠ يونيه ١٨٠٧ م) :

سافر أولاد ابراهيم بيك والمطلوبات التي أرسل
يطلبها ، وصحبتهم فراشون وباعة ومتسبيون وغير
ذلك .

الاثنين ٢٥ منه (٢٢ يونيه ١٨٠٧ م) :

ورد سلحدار موسى باشا .. وعلى يده مرسوم

ابن السلطان عبد الحميد بن أحمد — وخطب له
ببلاد الشام .

الخميس ٢٥ منه (٢ يولية ١٨٠٧ م) :

وصل ططرى من طريق البر بتحقيق ذلك الخبر .
وخطب الخطباء للسلطان مصطفى ، على منابر مصر
وبلاذ مصر وبولاق ... وذلك يوم الجمعة سادس
عشرينه

وفى اواخره (اوائل يولية ١٨٠٧ م) :

أحدثوا طلب مال الأتليان المسموح الذى لمشايع
البلاد ، وحرروا به دفترًا ، وشرعوا فى تحصيله ،
وهى حادثة لم يسبق مثلها : أضرت بمشايع البلاد ،
وضيقت عليهم معاشهم ومضايقتهم .

وفيه : كتبوا أوراقا للبلاد والأقاليم بالبشارة
بتولية السلطان الجديد ، وعينوا بها المعينين ،
وعليها حق الطرق .. مبالغ لها صورة ، وكل ذلك
من التحيل على سلب أموال الناس

وفيه : كتبوا مراسلة الى الأمراء القبلين
بالصلح . وأرسلوا بها ثلاثة من الفقهاء ، وهم :
الشيخ سليمان القيومى ، والشيخ ابراهيم السحبنى ،
والسيد محمد الدواخلى . وذلك أنه لما رجع شريف
أغا ، الذى كان توجه اليهم بمراسلتهم ، أرسلوا
يطلبون الشيخ الشرقاوى ، والشيخ الأمير ،
والسيد عمر النقيب ، لاجراء الصلح على أيديهم .
فأرسلوا الثلاثة المذكورين بدلا عنهم .

وفى هذه الأيام : كثر خروج العساكر والدلاة ،
وهم يعدون الى البر الغربى . وعدى الباشا بحر
النيل الى بر امبابة ، وأقام هناك أياما .

جمادى الأولى

الثلاثاء غرته (٧ يولية ١٨٠٧ م) :

فيه : شرع الباشا فى تعمير القلاع التى كانت

بالعربى ، وآخر بالتركى ، مضمونهما جواب رسالة
أرسلت الى سليمان باشا بعكا بخبر حادثة الانكليز ،
وملخصها : « أنه ورد علينا جواب من سليمان
باشا يخبر فيه وصول طائفة الانكليز الى ثغر
سكندرية ، ودخولهم اليها بمخامرة أهلها ، ثم
زحفهم الى رشيد .. وقد حاربتهم أهل البلاد
والعساكر ، وقتلوا الكثير منهم ، وأسروا منهم
كذلك . وتؤكد على محمد باشا ، والعلماء ،
وأكابر مصر : بالاستعداد والمحافظة ، وتحصين
الثغور — مثل السويس والقصير — ومحاربة
الكفار ، واخراجهم وابعادهم عن الثغر . وقد وجهنا
لكل من سليمان باشا ، وجنح يوسف باشا بتوجيه
ماتريدون من العساكر للمساعدة » . ونحو ذلك .

وفيه : أحضروا أربعة رؤوس من الانكليز ،
 وخمسة أشخاص أحياء ، فمروا بهم من وسط
المدينة .. ذكروا أن كاشف دمنهور حارب ناحية
الاسكندرية فقتل منهم وأسر هؤلاء . وقيل انهم
كانوا يسيرون لبعض أشغالهم نواحى الريف ، فبلغ
الكاشف خبرهم ، فأحاط بهم ، وفعل بهم ما فعل ،
وأرسلهم الى مصر .. وهم ليسوا من المعتبرين ،
وكانهم مالطية . وقيل انهم سألوهم ، فقالوا :
« نحن متسببون .. طلعنا ناحية أبو قير وتهنا عن
الطريق ، فصادفونا — ونحن تسعة لاغير —
فأخذونا ، وقتلوا منا من قتلوه وأبقونا » .

وفيه : وصلت مكاتبة من ابراهيم بيك . وأرسل
الباشا اليهم جوابا صحبة انسان يسمى شريف أغا .

الثلاثاء ٢٣ منه (٣٠ يولية ١٨٠٧ م) :

وردت أخبار من ناحية الشام ، بأنه وقع
باسلامبول فتنة بين الينكجيرة والنظام الجديد ،
وكانت الغلبة للينكجيرة ... وعزلوا السلطان
سليم ، وولوا السلطان مصطفى ابن عمه — وهو

أنشأتها الفرنسية خارج بولاق ، وعمل متاريس
بناحية منية عقبة وغيرها ، ووزع على الجيابة جيرا
كثيرا ، ووسق عدة مراكب ، وأرسلها الى ناحية
رشيد ليعمروا هناك سورا على البلد وأبراجا .
وجمعوا البنائين والفعلة والتجارين وأنزلوهم في
المراكب قهرا .

الثلاثاء ١٥ منه (٢١ يولية ١٨٠٧ م) :

وصل الى مصر نحو الخمسمائة من الدلاية ،
أتوا من ناحية الشام ، ودخلوا الى المدينة
وفيه : طلب الباشا من التجار نحو الألفى كيس
على سبيل السلفة ، فوزعت على الأعيان وتجار
البن ، وأهل وكالة الصابون ، ووكالة التفاح ،
ووكالة القرب وخلافها . وحجزوا البضائع ،
وأجلسوا العساكر على الحواصل والوكائل يمنعون
من يخرج من حاصله أو مخزنه شيئا الا بقصد
الدفع من اصل المطلوب منهم . ثم أردفوا ذلك
بمطلوبات من أفراد الناس المسائير فيكون
الاسان جالسا في بيته فما يشعر الا والمعينون
واصلون اليه ويدهم بصلة الطلب ، اما خمسة
أكياس أو عشرة أو أقل أو أكثر . فاما أن يدفعها ،
والأ قبضوا عليه وسحبوه الى السجن ، فيحبس
ويعاقب حتى يتم المطلوب منه . فنزل بالناس أمر
عظيم ، وكرب جسيم

وفي الناس من كان تاجرا ، ووقف حاله بتوالي
الفتن والمخارم ، وانقطاع الأسباب والأسفار ،
وأفلس وصار تتعيش بالكد والقرض ، وبيع متاعه
وأساس داره وعقاره — واسمه باقى في دفاتر
التجار — فما يشعر الا والطلب لاحقه بنحو ماتقدم
لكونه كان معروفا في التجار فيؤخذ ويحبس ،
ويستغيث فلا يفاث ، ولا يجد شافعا ولا راحما .
وهذا الشيء خلاف الفرض المتوالي على البلاد
والقرى في خصوص هذه الحادثة . وكذلك على

البنادر مقادير لها صورة ، وما تتبعها من حق
طرق المعينين والمباشرين ، وتوالى مرور العساكر
آناء الليل وأطراف النهار بطلب الكلف واللوازم
وأشياء يكل القلم عن تسطيرها ، ويستحي الانسان
من ذكرها ، ولا يمكن الوقوف على بعض جزئياتها
.. حتى خربت القرى ، واقتقر أهلها وجلوا عنها
فكان يجتمع أهل عدة من القرى في قرية واحدة
بعيدة عنهم ، ثم يلحقها وبأهلهم فتخرب كذلك .
وأما غالب بلاد السواحل ، فانها خربت ، وهرب
أهلها ، وهدموا دورها ومساجدها ، وأخذوا
أخشابها

ومن جملة أفاعيلهم الشنيعة التي لم يطرق
الأسباع نظيرها : أنهم قرروا فرضة من فرض المخارم
على البلاد فكتبوا أوراقا ، وسموها بشارة
الفرضة . يتولاهها بعض من يكون متطلعا لمنصب أو
منفعة . ثم يرتب له خدما وأعوانا ، ثم يسافر الى
الاقليم المعين له — وذلك قبل منصب الأصل —
وفي مقدمته يبعث أعوانه الى البلاد يیشرونهم
بذلك ، ثم يقبضون مارسم لهم في الورقة من حق
الطريق بحسب ما أدى اليه اجتهاده ، قليلا أو
كثيرا .. وهذه لم يسمع بما يقاربها في ملة ولا ظلم
ولا جور .

وسمعت من بعض من له خبرة بذلك أن الممارم
التي قررت على القرى بلغت سبعين ألف كيس ،
وذلك خلاف المصادرات الخارجة .

وفي اواخره (اوائل اغسطس ١٨٠٧ م) :
قوى عزم الباشا على السفر لناحية الاسكندرية ،
وأمر باحضار اللوازم والخيام ، وما يحتاج اليه
الحال من روايا الماء والقرب وباقي الأدوات .

جمادى الآخرة

الجمعة ٢ منه (٧ اغسطس ١٨٠٧ م) :

ركب الباشا الى بولاق ، وعدى الى ناحية

السبت والاحد ١٠ ، ١١ منه (١٥ ، ١٦ اغسطس ١٨٠٧ م) :

عمل الفرنساوية عيدا ومولدا بحارتهن .
وأولوا بينهم ولائم ، وأوقدوا قناديل كثيرة تلك
الليلة ، وحراقات نفوط ، وسواربخ وشنكا ...
حصاة من الليل . وهو عبارة عن مولد « بونا بارت »
السوى .

الثلاثاء ١٣ منه (١٨ اغسطس ١٨٠٧ م) :

طلب الباشا حسين أفندى الروزنامجى . فعدى
اليه ببر انبابة . فخلع عليه خلعة الدفتردارية .
وحضر الى داره الجديدة — وهو بيت الهياتم ،
بالقرب من قنطرة درب الجماميز — وذهب اليه
الناس يهنئونه . وانفصل أحمد أفندى عاصم
عن الدفتردارية .

الخميس ١٥ منه (٢٠ اغسطس ١٨٠٧ م) :

عمل الباشا شنكا بالبر الغربى بين المغرب
والعشاء . ولما أصبح أمر بالارتحال ، وتمهل حتى
تكامل ارتحال العساكر . فركب قريب الزوال
الى المنصورة .

الجمعة ١٦ منه (٢١ اغسطس ١٨٠٧ م — ١٦ مسرى ١٥٢٣ ق) :

أوفى النيل أذرعه . وذلك بعد أن حصل فى
الناس ضجر وقلق ، بسبب تأخر الوفاء ، ووقفات
حصلت فى الزيادة قبل الوفاء عدة أيام .. حتى
رفعوا الغلال من العرصات ، وزادت أثمانها .
فلما حصل الوفاء اطمأن الناس ، وتراجعت البهم
أنفسهم ، وأظهروا الغلال فى العرصات والرقع .
وركب كنخدا بيك فى صبح يوم السبت ، وكذلك
القاضى ، وطوسون ابن الباشا ، والسيد عمر
التيق . وكسر السد بحضرتهم ، وجرى الماء فى
الخليج .

وفيه : وصل قابجى الى نهر سكندرية .

بر انبابة . ونصبوا وطاقه هناك . وخرجت طوائف
المسكر الى ناحية بولاق وساحل البحر ، وطفقوا
يأخذون ما يجدونه من البغال والحير والجمال ،
واستعمروا على الدخول والخروج والذهاب
والمجيء والرجوع والتعدية أياما .. وهم على ذلك
النسق من خطف البهائم . وامتنعت السقاءون عن
قلل الماء من البحر حتى شح الماء ، وغلا سعره ،
وعطشت الناس ، وامتنع حمل البضائع .

السبت ٣ منه (٨ اغسطس ١٨٠٧ م) :

طلبوا أيضا خيول الطواحين لجبر المدافع
والعربات ، حتى تعطلت الطواحين عن طحن
الدقيق . ولما ذهبوا بها الى العرضى ، اختاروا
منها جيادها ، وأعطوا أربابها عن كل فرس خمسين
قرشا ، وردوا البواقي لأصحابها .

وفيه : طلبوا أيضا دراهم من طائفة القبانية
والخطابة ، وباعة السمك القذيد ، المعروف
بالفسيخ ... فكان القدر المطلوب من طائفة
القبانية مائة وخمسين كيسا .. فأغلقوا حوانيتهم ،
وهربوا ، والتجأوا الى الجامع الأزهر . وكذلك
الخطابة وغيرهم : منهم من هرب ، ومنهم من التجأ
الى السيد عمر .. واستمر كذلك ثلاثة أيام .

وركب السيد عمر ، وعدى الى الباشا ، وتشفع
فى الطوائف المذكورة . فرفعوا عنهم غرامتهم ،
وكتبوا لهم أمانا بذلك .

الاثنين ٥ منه (١٠ اغسطس ١٨٠٧ م) :

حضر قابجى من طرف الانكليز ، وصحبته
أشخاص ، فأنزلهم الباشا فى خيمة بمخيمه بانبابة .
فرقدوا بها ليأخذوا لهم راحة ، وناموا . فلما
استيقظوا لم يجدوا ثيابهم ، وسطا عليهم السراق
فشلحهم . فأرسلوا الى حارة الفرنساوية فأتوا
لهم بثياب وقنوت لبسوها .

النواحي يطلب الكلف أو الغرض التي يفرضونها ،
فزعوا عليه ، وطردوه وان عاند . قتلوه
فقتل أمره على الكشاف والعسكر . وصار له
عدة خيام وأخصاص ، واجتمع لديه من المردان نحو .



.. المردان

المائة وستين أمرد .. وغاليم أولاد مشايخ البلاد
وكان اذا بلغه أن بالبلد الفلانية غلاما وسيم
الصورة ، أرسل يطلبه . فيحضره اليه في الحال ..
ولو كان ابن عظيم البلدة ا حتى صاروا يأتون اليه
من غير طلب — ولا يخفى حال الاقليم المصرى في
التقليد في كل شيء — وهذا من جنس المردان ..
وكذلك ذوو اللحى هم كثيرون أيضا .

وعمل للمردان عقودا من الخرز الملون في
أعناقهم ولبعضهم أقرطا في آذانهم .

ثم ان شيخا من فقهاء الأزهر من أهالي بنها
— يقال له الشيخ عبد الله البنهاوى ادعى
دعوى بطين مستأجره من أراضى بنها كان لاسلافه ،
وأن الملتزمين بالقرية استولوا على ذلك الطين من
غير حق لهم فيه .. بل باغراء بعض مشايخ القرية .
والمذكور به رعونة ، ولم يحسن سبك دعواه —
وخصوصا كونه مفلسا ، وخليا من الدراهم التي
لا بد منها الآن في الجعالات والبراطيل للوسايط ،
وأرباب الأحكام وأتباعهم — ويظن في نفسه أنه
يقضى قضيته بقال المصنف : اكراما لعلمه ودرسه ا
فتخاصم مع الملتزمين ومشايخ بلده . وانعقدت

وحضر بعد ذلك الى ثغر بولاق من طريق البر
الى قبرص ، وتحرى الوصول الى دمياط . ثم
حضر الى بولاق وقابل الباشا في طريقه ، ووصل
على يده سكة ضرب المعاملة الجديدة بالضربخة
باسم السلطان الجديد . وكذلك الأمر بالخطبة
والدعاء ، والاخبار برفع النظام الجديد وابطاله من
اسلامبول ، ورجوع الوجاقات على قانونها الأول
القديم ... ووصل في نيف وخمسين يوما .

فاجتمعوا في صباحها ، يوم الأحد ، بباب الباشا
وأحضروا الأغا بموكب ، ودخل من باب النصر .
وقرىء فرمان يحضره الجمع ، وضربوا شسكا
ومدافع من أبراج القلعة ، ثلاثة أيام ، في الأوقات
الخمس

ومن الحوادث أنه ظهر في هذه الأيام رجل
بناحه بنها العسل يدعى بالشيخ سليمان فأقام
مدة في عشة باليعيط واعتقد فيه الناس بالولاية
والسلوك والجذب فاجتمع اليه الكثير من أهل
القرى — وأكثرهم الأحداث — ونصبوا له
خيمة وكثّر جمعه ، وأقبلت عليه أهالي القرى
بالندور والهدايا وصار يكتب الى النواحي
أوراقا يستدعى منهم القمح والدقيق ، ويرسلها
مع المريدين يقول فيها : « الذى نعلم به أهل
القرية الفلانية ، حال وصول الورقة اليكم ، تدفعوا
لحاملها خمسة أراذب قمح (أو أقل أو أكثر) برسم
طعام الفقراء . وكراء طريق المعين ثلاثون رغيفا »
أو نحو ذلك . فلا يتأخرون عن ارسال المطلوب
في الحال

وصار الذين حوله ينادون في تلك النواحي
بقولهم « لا ظلم اليوم ، ولا تعطوا الظلمة شيئا
من المظالم التي يطلبونها منكم ومن أتاكم
فاقتلوه ا » .

فكان كل من ورد من العسكر المعينين الى تلك

بسببه مجالس ، ولم يحصل منها شيء سوى التشنيع عليه من المشايخ الأزهرية والسيد عمر النقيب .

ثم كتب له عرضحال ، ورفع أمره الى كتخدا ييك والباشا . فأمر الباشا بعقد مجلس بسببه بحضرة السيد عمر والمشايخ . وقالوا للباشا : « انه غير محق » وطردوه . فسافر الى بلده . وسافر الباشا أيضا الى جهة البحيرة والاسكندرية .

فذهب الشيخ عبد الله المذكور الى الشيخ سليمان المذكور ، وأغراه على الحضور الى مصر ، وأنه متى وصل اجتمع عليه المشايخ وأهل البلدة وقابلوه ، ويكون على يده الفتح والفتوح . وحركته خساف العقول المحيطون به والمجتمعون حوله على المجيء الى مصر ، ويكون له شأن ... لأن ولايته اشتهرت بالمدينة ، ولهم فيه اعتقاد عظيم وحب جسيم .

ومن أوصاف ذلك الشيخ : أنه لا يتكلم الا بالذكر أو الكلام التزري الذي لا بد منه ، ويتكلم في أكثر أوقاته بالإشارة .

ثم انه أطاع شياطينه ، وحضر برجاله وغلماؤه ، ومعه طبول وكاسات على طريق مشايخ أهل العصر والأوان ... الذين يحسبون أنهم يحسنون صنعا ! ودخلوا الى المدينة على حين غفلة ، وبأيديهم فراقل يفرقعون بها فرقة متتابعة ، وصياح وجلبة ، ومن خلفهم الغلمان والبدانات .. وشيخهم في وسطهم . فما زالوا في سيرهم حتى دخلوا المشهد الحسيني ، وجلسوا بالمسجد يذكرّون . ودخل منهم طائفة الى بيت السيد عمر مكرّم النقيب ، وهم يفرقعون بما في أيديهم من الفرقلات . فأقاموا بالمسجد الى العصر . ثم دعاهم انسان من الأجناد — يقال له اسماعيل كاشف أبو مناخير — له في الشيخ المذكور اعتقاد . فذهبوا معه الى داره بنظفة عبد الله ييك . فمشاهم ، وباتوا عنده الى الصباح .

ولما طلع النهار : ركب الشيخ بغلة ذلك الجندي وذهب بطائفته الى ضريح الامام الشافعي ، فجلس بالمسجد أيضا مع أتباعه يذكرّون . وبلغ خبره كتخدا ييك وأمثاله . فكتب تذكرة ، وأرسلها الى السيد عمر النقيب بطلب الشيخ المذكور .. ليتركوا به ، وأكد في الطلب . وقصده أن يفتك به لقهرهم منه .

وعلم السيد عمر ما يراد به . فأرسل يقول له : « ان كنت من أهل الكرامة ، فاطهر مرك وكرامتك . والا فاذهب وتغيّب » .

وكان صالح أغا قوج — لما بلغه خبره — ركب في عسكره ، وذهب الى مقام الشافعي ، وأراد القبض عليه . فخوفه الحاضرون ، وقالوا له : « لا ينبغي لك التعرض له في ذلك المكان . فاذا خرج فدونك وإياه » . فانتظره بقصر شويكار ، فتباطأ الشيخ الى قريب العصر ، وأشاروا عليه بالخروج من الباب القبلي . وتفرق عنه الكثير من المجتمعين عليه . فذهب الى مقام الليث بن سعد ، ثم سار من ناحية الجبل ، وذهبت بذياته وغلماؤه الى دار اسماعيل كاشف التي باتوا بها .

ولما سار الى ناحية الصحراء ، لحقه الحاج سعودي الخناوي ، واقتفى أثره ، وبلغه رسالة السيد عمر ، ورجع الى السيد عمر فوجد كتخدا ييك ورجب أغا حضرا الى السيد عمر يسألانه عنه ، ولم يكتفوا بالطلب الأول . فأخبرهما أنه ذهب ولم تلحقه المراسيل .

فاغتazonوا وقالوا : « نرسل الى كاشف القلوبية بالقبض عليه أينما كان » . وانصرفوا ذاهبين .

وقصدت العساكر بيت اسماعيل كاشف أبو مناخير ، فقبضوا على الغلمان ، وأخذوهم الى دورهم . ولم ينج منهم الا من كان بعيدا وهرب . وتغيّب وتفرق أتباعه ذوو اللحي .

وأما الشيخ فسار من طريق الصحراء حتى وصل الى بهتيم ، وذهب الى نوب . فعرف بمكانه الشيخ عبد الله زقزوق البنهاوى الذى كان أغراه على الحضور الى مصر ، ولما سقط فى يده .. تبرأ منه ، وذهب الى كتخدا بيك ، وطلب له أمانا ، وأخبره أنه مخفى بضريح الامام الشافعى . فأعطاه أمانا ، وذهب اليه وأحضره من نوب .

فلما حضر عند الكتخدا قال له : « أرخ لحيتك ، واترك ما أنت عليه ، وأقم فى بلدك .. وأعطيك ملينا تزرعه ، ولا تتعرض لأحد ، ولا أحد يتعرض لك » .. والشيخ ساكت لا يتكلم ، وصحبته أربعة أنفار من تلاميذه ، هم الذين يخاطبسون البكتخدا ويكلمونه .

ثم أمر أشخاصا من العسكر ، فأخذوه وذهبوا به الى بولاق ، وأنزلوه فى مركب ، وانحدروا به ، ثم غابوا حصة واقلبوا راجعين . ثم بعد ذلك تبين أنهم قتلوه ، وألقوه فى البحر .. الا واحدا من الأربعة ألقى بنفسه فى البحر ، وسبح فى الماء ، وطلع الى البر وهرب ... وانقض أمره .

وفيه : أرسل الباشا ، وهو بالرحمانية ، يطلب شيخ دسوق . فحضر اليه طائفة من العسكر . فلما أتوا اليه .. امتنع ، وقال : « ما يريد الباشا منى ؟ أخبرونى بطلبه وأنا أدفعه .. ان كان غرامة أو كفسة » . فقالوا : « لا ندرى . وانما أمرنا باحضارك » . فشأغلهم بالطعام والقهوة ، ووزع بهائم وحريمه والذي يخاف عليه .

وفى الوقت وصلت مراكب وبها عساكر ، وطلعموا الى البر . فركب شيخ البلد خيوله وخيالاته ، واستعد لحربهم ، وحاربهم وأبلى معهم ، وقتل منهم عدة كبيرة ، ثم ولى هاربا . فدخل العسكر الى البلد ونهبوها ، وأخذوا ما وجدوه فى دور أهلها ، وعبروا مقام السيد

الدسوقى ، وذبحوا من وجدوه من المجاورين .. وفيهم من طلبه العلم العواجز !

وفيه : ركب كتخدا بيك ومر على بيت الداودية — وبه طائفة من الدلاة — فرأى شخصا منهم يرمي دجاجة بحجر ليرميها من سطح دار أخرى .. فانتهره وأراد ضربه . فقامت عليه رفقاؤه الدلائية ، وفزعوا عليه ، فولى هاربا منهم ، فعدوا خلفه .. ولم يزل رامحا هو وأتباعه حتى وصل الى ناحية الأذربكية .

رجب

الاثنين ٤ منه (٧ سبتمبر ١٨٠٧ م) :

وردت مكاتبات من الباشا بوقوع الصلح بينه وبين الانكليز . وانفقوا على خروجهم من الاسكندرية وخلوها . ونزلهم منها . وأرسل يطلب الأسرى من الانكليز .

الاحد ١٠ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠٧ م) :

ورد قابجى — ويسمى لجيب أفندى — فوصل الى بولاق يوم الاثنين حادى عشره . وكان وروده من ناحية دمياط . فلما علم أن الباشا بناحية البحيرة ، ذهب اليه وقابله بدمهور .. وبصحبه — لخصوص الباشا — قبطان وسيف وشلنج ، وخلع لكبار العسكر مثل : حسن باشا ، وظاهر باشا ، وعابدين بيك ، وعمر بيك ، وصالح قوج . فنزل ببيت محمد الطويل التنجى ببولاق .

وفيه : نزلوا بالأسرى من الانكليز الى المراكب ليسافروا الى الاسكندرية .

الاربعاء ١٢ منه (١٦ سبتمبر ١٨٠٧ م) :

وصل البشر بنزول الانكليز من ثغر الاسكندرية الى المراكب . ودخل اليها كتخدا بيك ونزل بدار الشيخ المسيرى . واستمر الباشا مقيما عند السد .

السبت ١٦ منه (١٩ سبتمبر ١٨٠٧ م) :

ركب القابجى من بولاق بالوكب ، وشق من وسط المدينة ، وذهب الى بيت الباشا . وضربوا قدومه مدافع من القلعة .

الأربعاء ٢٧ منه (٣٠ سبتمبر ١٨٠٧ م) :

ولد لـ محمد على باشا مولود من حظيته . وحضر المبشرون بنزول الانكليز من الاسكندرية ، ودخلوا الباشا بها . فعللوا شنكا ، وضربوا مدافع من القلعة ثلاثة أيام ، فى الأوقات الخمسة ، آخرها السبت .

الخميس والجمعة والسبت ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ منه (١ ، ٢ ، ٣ أكتوبر ١٨٠٧ م) :

وصلت عساكر كثيرة ، ودخلوا المدينة ، وطلبوا سكنى البيوت ، وأزعجوا الناس ، وأخرجوهم من أوطانهم وضجت الخلائق ، وحضر الكثير الى السيد عمر والمشايع .. فكتبوا عرضا فى شأن ذلك وأرسلوه الى كـتخدا بيك . فأظهر الاهتمام ، وأحضر طائفة من كبار العسكر وكلمهم فى ذلك ، وقال لهم : « كل من كان ساكنا قبل الخروج الى العرضى فى دار فليرجع إليها ويسكنها . ولا تعارضوا الناس فى مساكنهم » . فلم يقد كلامه فى ذلك شيئا . لأن البيوت التى كانوا بها أخربوها وحرقوا أخشابها ، وتركوها كيما نارا .. وذلك دأبهم !

شعبان

٣ منه (٦ أكتوبر ١٨٠٧ م) :

وصل الباشا الى ساحل بولاق . فضربوا لقدمه مدافع من القلعة ، وعملوا له شنكا ثلاثة أيام .

واتفق أن الباشا - فى حال رجوعه من الاسكندرية - نزل فى سفينة صغيرة ، وصحبته :

حسن باشا طاهر ، وسليمان أغا ، الوكيل سابقا ، فانقلب بهم ، وأشرف ثلاثتهم على الغرق ، وتعلق بعضهم بحرف السفينة . فلحقتهم مركب أخرى أقتذتهم من الغرق ، وطلعوا سبالين .. وكان ذلك عند زفينة .

وفيه : كتبوا أوراق البشارة بذهاب الانكليز وسفرهم من الاسكندرية ، وأرسلوها الى البلاد والقرى .. وعليها حق الطريق : أربعة آلاف وألفين فضة .

وصورة ما حصل : أنه لما وصل الباشا الى ناحية الاسكندرية ، راسل الانكليز ، وحضر اليه أنصار منهم ، واختلى معهم . ولم يعلم أحدا ما دار بينهم من الكلام . وذهبوا من عنده ، وأشيع الصلح . وفرحت العسكر ، لأنهم لما رأوا صورة المتاريس والطوابى والخنادق ، وجرى المياه بين ذلك بالأوضاع المتقنة .. هالهم ذلك .

ثم حضر من عظمائهم أشخاص . ولما علم الباشا بوصولهم ، رتب العساكر ، ونظم ديوانا وهياها ، وأوقف العساكر صفوفها يمنة ويسرة . وعندما وصلوا ضربوا لهم مدافع كثيرة وشنكا ، وقدم لهم خيولا وهدايا وأقمشة هندية ، وخلع عليهم خلعا وشبالا كشميرية وغير ذلك . ثم ركب معهم فى قلة الى حيث منزلة صارى عسكرهم وكبيرهم .. فتلاقى معهم ، وقدم له الآخر هدايا وظرائف . ثم ركب معه الى الاسكندرية ، وتسلم القلعة . وذلك بعد دخول كـتخدا بيك بخمسة أيام . وكان فى أسرى الانكليز أنصار من عظمائهم . فأحضرهم الباشا مع باقى الأسرى ، وتم الصلح على رد المذكورين .. على أنهم لم يأتوا طمعا فى البلاد كما تقدم .

ولما نزلوا بالمرائب لم يبعدوا عن الثغر الا مسافة قليلة ، واستمروا يقطعون على المراكب

الواردين على الثغور .. وذلك لما بينهم وبين
العثماني من المفاخرة

هذا ما كان من أمر الانكليز .

وأما العساكر ، فانهم أفحشوا في التعدي على
الناس ، وغضب البيوت من أصحابها ، فتأتى
الطائفة منهم الى الدار المسكونة ، ويدخلونها من
غير احتشام ولا اذن ، ويهجمون على سكن الحرم
بحجة أنهم يتفرجون على أعالي الدار .. فتصرخ
النساء . ويجتمع أهل الخطة ويكلمونهم ، فلا
يلتفتون اليهم . فيعالجونهم مرة بالملاطفة ، وأخرى
بكثرة الجمع .. ان كان بهم قوة ، أو بمعونة ذى
مقدرة .

وإذا انفصلوا .. فلا يخرجون من الدار الا
بمصلحة أو هدية لها قدر ، ويشترطون في ذلك
الشيلا الكشميري . فإذا أحضروا لهم مطلوبهم ،
فلا يعجب كبيرهم ، ويطلب خلفه أحمر أو أصفر .
واتفق أن بعضهم دخل عليه بمباشا بجماعته ،
فلم يزل به حتى صالحه على شال يأخذه ويترك له
داره . فاتاه بشال أصفر . فأظهر أنه لا يريد الا
الأحمر الدودة .. فلم يسعه الا الرضى ، وأراد أن
يرد الأصفر ويأتيه بالأحمر . فحجزه وقال : « دعه
حتى تأتى بالأحمر ، فأختار منها الذى يعجبني » .
فلما أتاه بالأحمر ضمه الى الأصفر ، وأخذ الاثنين
ثم انصرف عنه ! وذلك خلاف ما يأخذونه من
الدراهم .

فإذا انصرفوا ، وظن صاحب الدار أنهم انجلوا
عنه .. فيأتيه بعد يومين أو ثلاثة خلفهم . ويقع
في ورطة أخرى مثل الأولى أو أخف أو أعظم منها .
وبعضهم يدخل الدار ويسكنها بالتحيل والملاطفة
مع صاحب الدار فيقول له : « يا أخى .. يا حبيبى ..
أنا معى ثلاثة أنصار أو أربعة لا غير ، ونحن
مسافرون بعد عشرة أيام . والقصد أن تفسح لنا

تقيم في محل الرجال . وأنت بحريمك في مكانهم
أعلى الدار » . فيظن صدقهم ، ويرضى بذلك على
تخوف وكره . فيعبرون ويجلسون ، كما قالوا ، في
محل الرجال ، ويربطون خيولهم في الحوش ،
ويعلقون أسلحتهم ، ويقولون : « نحن صرنا
ضيوفك » . فإذا أراد أن يرفع فرش المكان ..
يقولون : « نحن نجلس على الحصر والبلاط !
وأى شئ يصيب الفرش ؟ » . فيتركه حياء وقهرا .
ثم يطلبون الطعام والشراب .. فما يسعه الا أن
يتكلف لهم ذلك في أوقاته . ويستعملون الأواني
ويطلبون ما يحتاجون اليه .. مثل الطشت والأبريق
وغير ذلك . ثم تأتيهم رفقائهم شيئا فشيئا ،
ويدخلون ويخرجون وبأيديهم الأسلحة ، ويضيق
عليهم المكان فيقولون لصاحب المكان : « اخل لنا
محلا آخر في الدار فوق لرفقائنا » . فان قال :
ليس عندنا محل آخر ، أو قصر في مطلوب ، ابتدأوه
بالقسوة ، فعند ذلك يعلم صاحب الدار أنهم لا
انفكاك لهم عن المكان .

وربما مضت العشرة أيام أو أقل أو أكثر ،
وظهرت قبائحهم ، وقذروا المكان ، وحرقوا البسط
والحصر — بما يتساقط عليها من الجمر — من
شربهم النارجيلات والتبناك والدخان ، وشربوا
الشراب ، وعربدوا وصرخوا وصفقوا ، وغنوا
بلغاتهم المختلفة ، وفقعت رائحة العرقى في المنزل .
فيضيق صدر الرجل وصدر أهل بيته ، ويطيب
خاطرهم على الخروج والنقلة .. فيطلبون لأنفسهم
مسكنا ، ولو مشتركا ، عند أقاربهم أو معارفهم .
وتخرج النساء في غفلة بشابهم وما يمكنهم حمله .
ثم يشرعون في اخراج المتاع والأواني والنحاس
والفرش . فيحجزونه منهم ويقولون : « اذا أخذتم
ذلك ... فعلى أى شئ نجلس ؟ وفى أى شئ
نطبخ .. وليس معنا فرش ولا نحاس ، والذى كان
معنا استهلك منا في السفر والجهاد ، ودفع الكفار

عنكم .. وأتمم مستريحون في بيوتكم وعند
حريكم ؟ » فيقع النزاع ، وينفصل الأمر بينهم
وبين صاحب الدار .. اما بترك الدار بما فيها ، أو
بالمقاسمة والمصالحة بالترجي والوسائط ونحو
ذلك !

وهذا الأمر يقع لأعيان الناس ، والمقيمين بالبلدة
من الأمراء والأجناد المصريين وأتباعهم ، ونحوهم .

ثم انهم تعدوا الى الحارات والنواحي التي لم
يتقدم لهم السكنى بها قبل ذلك ، مثل : نواحي
المشهد الحسيني ، وخلف الجامع المؤيدي ،
والخرفقش ، والجمالية ... حتى ضاقت المساكن
بالناس لقلتها ، وصار بعض المحتشمين ، اذا سكن
بجواره عسكر ، يرتحل من داره — ولو كانت
ملكه — بعدا من جوارهم ، وخوفا من شرهم
وتسلبهم على الدار ، لأنهم يصعدون على الأسطح
والحيطان ، ويتطلعون على من بجوارهم ، ويرمون
بالبنديقيات والطبنجات .

ومما اتفق أن كبيرا منهم دخل بطائفته الى منزل
بعض الفقهاء المعتبرين ، وأمره بالخروج منها
ليسكن هو بها ، فأخبره أنه من مشايخ العلم ..
فلم يلتفت لقوله فتركه وليس عمامته ، وركب
بغلته ، وحضر الى اخوانه المشايخ واستغاث بهم .
فركب معه جماعة منهم ، وذهبوا الى الدار ،
ودخلوا اليها راكبين بغالهم .

فعندما شاهدتهم العسكر ، وهم واصلون في
كبكة ، أخذوا أسلحتهم ، ومسحبوا عليهم
السيوف فرجع البعض هاربا ، وثبت الباقون ،
ونزلوا عن بغالهم ، وخطبوا كبيرهم ، وعرفوه أنها
دار العالم الكبير ، وهذا لا يناسب ، وأن النصارى
واليهود يكرمون قسيسهم ورجالهم وأتمم أولى
بذلك لأنكم مسلمون .

فقالوا لهم في الجواب : « أتمم لستم بمسلمين ،

لأنكم كنتم تتمنون تملك النصارى لبلادكم ،
وتقولون أنهم خير منا . ونحن مسلمون ومجاهدون
... طردنا النصارى ، وأخرجناهم من البلاد فنحن
أحق بالدور منكم » ! ونحو ذلك من القول
الشنيع .

ثم لم يزالوا في معالجتهم الى ثلثي يوم . ولم
ينصرفوا عن الدار حتى دفعوا لهم مائتي قرش ،
وشال كشمير لكبيرهم .

وفعل مثل ذلك بعدة بيوت ... دخلها على هذه
الصورة ، وأخذ منها أكثر من ذلك ومنها دار
اسماعيل أفندي صاحب العيار بالضربخانة ، وهو
رجل معتبر ، أخذ منه خمسمائة قرش وشال كشمير .
وفعل مثل ذلك بغيرهم . هو وأمثاله

ولما أكثر الناس من التشكى للبasha وللكتخدا ..
قال الكتخدا : « أناس قاتلوا وجاهدوا أشهرا
وأياما ، وقاسوا ما قاسوه في الحر والبرد والطل
حتى طردوا عنكم الكفار ، وأجلوهم عن بلادكم ..
أفلا تسعونهم في السكنى ؟ » ونحو ذلك من
القول !

ولما انقضى هذا الأمر ، واستقر الباشا ،
واطمأن خاطره ، وخلص له الاقليم المصري ، وثغر
الاسكندرية — الذي كان خارجا عن حكمه حتى
قبل مجيء الانكليز ... فان الاسكندرية كانت
خارجة عن حكمه فلما خصل مجيء الانكليز
وخروجهم ، صار الثغر في حكمه أيضا — فأول
ما بدأ به : أنه أبطل مسموح المشايخ والفقهاء
ومعالي البلاد التي التزموا بها .. لأنه لما ابتدع
المغارم والشهريات والقرض التي فرضها على القرى
ومظالم الكشوفية ، جعل ذلك عاما على جميع
الالتزامات والحصص التي بأيدي جميع الناس —
حتى أكابر العسكر وأصاغرهم — ما عدا البلاد
والحصص التي للمشايخ .. خارجة عن ذلك ،

ولا يؤخذ منها نصف الفائض ولا ثلثه ولا ربه ، وكذلك من ينتسب لهم أو يحتسب فيهم ، ويأخذون الجمالات والهدايا من أصحابها ، ومن فلاحهم تحت حمايتها ونظير صياتها .

واغثروا بذلك ، واعتقدوا دوامه ، واكثروا من شراء الحصص من أصحابها المحتاجين بدون القيمة ، واقتنوا بالدنيا ، وهجروا مذاكرة المسائل ، ومدارسة العلم .. الا بمقدار حفظ الناموس ، مع ترك العمل بالكلية !

وصار بيت أحدهم مثل بيت أحد الأمراء الألوفاقدمين ، واتخذوا الخدم والمقدمين والأعوان ، وأجروا الحبس والتعزير ، والضرب بالفلكة والكراييج المعروفة « ب... الفيل » واستخدموا كتبة الأقباط ، وقطاع الجرائم في الارماليات للبلاد ، وقدروا حق طرق لأتباعهم ، وصارت لهم استعجالات ، وتحذيرات وانذارات عن تأخر المطلوب .. مع عدم سماع شكاوى الفلاحين ، ومخاصمتهم القديمة مع بعضهم .. بموجبيات التحاسد والكراهية ، المجبولة والمركوزة في طباعهم الخبيثة .

وانقلب الوضع فيهم بضده ، وصار ديدنهم واجتماعهم : ذكر الأمور الدنيوية ، والحصص والالتزام ، وحساب الميرى ، والفائض والمضاف ، والرماية والمرافعات ، والمراسلات والتشكى ، والتناجى مع الأقباط ، واستدعاء عظمائهم في جمعياتهم وولائمهم ، والاعتناء بشأنهم ، والتفاخر بتردادهم والترداد عليهم ، والمهاداة فيما بينهم .. الى غير ذلك مما يطول شرحه .

وأوقع مع ذلك زيادة عما هو بينهم من التنافر ، والتحاسد ، والتحاقد على الرياسة ، والتفاقم والتكالب على مناسف الأمور ، وحظوظ الأنفس على الأشياء الواهية .. مع ما جبلوا عليه من الشح

والشكوى ، والاستجداء ، وفراغ الأعين ، والتطلع للأكل في ولائم الأغنياء والفقراء ، والمعاتبة عليها .. ان لم يدعوا اليها ، والتعريض بالطلب ، واطهار الاحتياج لكثرة العيال والأتباع واتساع الدائرة ، وارثكابهم الأمور المخلة بالمروعة ، المسقطة للعدالة : كالاجتماع في سماع الملاحى والأغاني والقيان والآلات المطربة ، واعطاء الجوائز والنقود بمناداة الخلبوص وقوله : « واعلاماه ! » في السامر ، وهو يقول في سامر الجمع بسمع من النساء والرجال من عوام الناس وخواصهم ، برفع الصوت الذى يسمعه القاصى والدانى ، وهو يخاطب رئيسة المغانى : « يا ستى ! حضرة شيخ الاسلام والمسلمين .. مفيد الطالبين : الشيخ العلامة فلان .. منه كذا .. وكذا » من النصفيات الذهب : قدر مسماه كثير ، وجرمه قليل .. تتيجته التفاخر الكذب ، والاردراء بمقام العلم بين العوام وأوباش الناس الذين اقتدوا بهم في فعل المحرمات الواجب عليهم النهى عنها كل ذلك من غير احتشام ولا مبالاة ، مع التضاحك والقهقهة المسموعة من البعد في كل مجمع ، ومواظبتهم على الهزليات والمضحكات وألفاظ الكناية المعبر عنها عند أولاد البلد بالألقاظ والتنافس في الأحداث ... الى غير ذلك .

وفيه : فتحوا الطلب من الملتزمين بسواقى الميرى على أربع سنوات ماضية .

١٠ منه (١٣ أكتوبر ١٨٠٧ م) :

فتحوا أيضا دفاتر الطلب بميرى السنة المقابلة . ووجهوا الطلب بها الى العسكر فدهى الناس بدواه متوالية . منها : خراب القرى بتوالى المظالم والمغارم والكلف ، وحق الطرق والاستعجالات ، والتساويف والبشارات . فكان أهل القرية النازل بها ذلك ، ينتقلون الى القرية المحمية لشيخ من الأشياء ... وقد بطلت الحماية أيضا حينئذ ثم

أنزلوا بالبنادر مغارم عظيمة لها قدر من الأكياس
الكثيرة ، وذلك عقب فرضة البشارة ، مثل حمياد
ورشيد والمحلة والمنصورة : مائة كيس ، وخمسون
كيسا ، ومائة وخمسون ... وأكثر وأقل .

وفي أثناء ذلك : قرروا أيضا فرضة غلال وسمن
وشعير وفول على البلاد والقرى . وإن لم يجد
المعينون للطلب شيئا من الدراهم عند الفلاحين ،
أخذوا مواشيهم وأبقارهم لتأني أربابها ويدفعوا
ما تقرر عليهم ويأخذوها ، ويتركونها بالجوع
والعطش ، فعند ذلك يبيعونها على الجزائريين ،
ويرمونها عليهم قهرا بأقصى القية ، ويلزمونهم
باحضار الثمن ... فإن تراخوا وعجزوا ، شددوا
عليهم بالحبس والضرب .

١٣ منه (١٦ أكتوبر ١٨٠٧ م) :

مر الباشا في ناحية سوقة العزى سائرا إلى
ناحية بيت بلغيا ، وهناك المكتب فوق السبيل الذي
بين الطريقين تجاه من تأتي من تلك الناحية ، فطلع
إلى ذلك المكتب شخصان من العسكر يرصدان
الباشا في مروره . فحينما أتى مقابلا لذلك المكتب ،
أطلقا في وجهه برودتين فأخطأته ، وأصابته إحدى
الرصاصتين فرض فارس من الملازمين جوله فسقط .
ونزل الباشا عن جواده على مصنطة حانوت
مغلوبة ، وأمر الخدم باحضار الكامنين بذلك
المكتب . فطلعوا اليهما وقبضوا عليهما . ثم حضر
كبيرهم من دار قريبة من ذلك المكان ، واعتذر إلى
الباشا بأنهما مجنونان وسكرانيل ، فأمره بإخراجهما
وسفرهما من مصر . وركب وذهب إلى داره .

٢٣ منه (٢٦ أكتوبر ١٨٠٧ م) :

اجتمع عسكر الأرثوود والترك على بيت محمد علي
باشا وطلبوا علائقهم ، فوعدهم بالدفع ، فقالوا :

« لا نصبر » ، وضربوا بنادق كثيرة ، ولم يزالوا
واقفين ، ثم انصرفوا وتفرقوا .

وارتجت البلد ، وأرسل السيد عمر إلى أهل
الغورية والعقادين والأسواق يأمرهم برفع بضائعهم
من الحوانيت . ففعلوا وأغلقوها .

فلما كان قبيل الغروب ، وصل إلى بيت الباشا
طائفة الدلائية ، وضربوا أيضا بنادق . فضرب عليهم
عسكر الباشا كذلك . فقتل من الدلاة أربعة أنفار ،
وانجرح بعضهم ، فأنكفوا ورجعوا .

وبأت الناس متخوفين ، وخصوصا نواحي
الأزهر ، وأغلقوا البوابات من بعد الغروب ،
وسهروا خلفها بالأسلحة ... ولم تفتح إلا بعد طلوع
الشمس .

٢٤ منه (٢٧ أكتوبر ١٨٠٧ م) :

أصبح .. والحال على ما هو عليه من الاضطراب .
وتقل الباشا أمتعته الثمينة تلك الليلة إلى القلعة ،
وكذلك في ثاني يوم .

ثم انه طلع إلى القلعة في ليلتها ، وشيعة
حسن باشا إلى القلعة ورجع إلى داره . ويقال ان
طائفة من العسكر الدين معه بالدار ، أرادوا غدره
تلك الليلة ، وعلم ذلك منهم بأشارة بعضهم لبعض
رمزا . فغالطهم وخرج مستخفيا من البيت ، ولم
يعلم بخروجه إلا بعض خواصه الملازمين له ،
وأكثرهم أقاربه وبلدياته .

ولما تحققوا خروجه من الدار ، وطلوعه إلى
القلعة ... صرف بونا باراته الخازندار الحاضرين
في الحال ، وتقل الأمتعة والخزينة في الحال ، وكذلك
الحيول والسروج . وخرجت عساكره يحملون
ما بقي من المتاع والفرش والأواني إلى القلعة .

وأشيع في البلدة أن العساكر نهبوا بيت الباشا ،
وزاد اللغط والاضطراب . ولم يعلم أحد من الناس

رمضان

الاثنين غرته (٢ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

في ليلته ، بين العصر والمغرب ، ضربوا مدافع كثيرة من القلعة . وأردفوا ذلك بالبنادق الكثيرة المتتابعة . وكذلك العسكر الكائون بالبلدة فعلوا كفعلهم من كل ناحية ومن أسطحة الدور والمساكن — وكان شيئاً هائلاً — واستمر ذلك الى بعد الغروب . وذلك شنك لقدم رمضان ، في دخوله وانقضائه .

الخميس ٤ منه (٥ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

انكشفت القضية عن طلب مبلغ ألفي كيس بعد جمعيات ومشاورات : تارة ببيت السيد عمر النقيب ، وتارة في أمكنة أخرى ، كبيت السيد المحروقي وخلافه ، حتى رتبوا ذلك ونظموه ... فوزع منه جانب على رجال دائرة الباشا ، وجانب على المشايخ الملتزمين نظير مسموحهم في فرض حصصهم التي أكلوها — وهي مبلغ مائتي كيس — وزعت على القرايط : على كل قباط ثلاثة آلاف نصف فضة على سبيل القرض ، لأجل أن ترد أو تحسب لهم في الكشوفات من رفع المظالم ومال الجهاد .. يأخذونها من فلاحهم . وفرض من ذلك مبالغ على أرباب الحرف ، وأهل الغورية ، ووكالة الصابون ، ووكالة القرب ، والتجار الآفاقية .

واستقر ديوان الطلب ببيت ابن الصاوي بما يتعلق بالفقهاء ، واسماعيل الطوبجي بالملطوب من طائفة الأتراك وأهل خان الخليلي .. والمرجع في الطلب والدفع والرفع الى السيد عمر النقيب .

واجتمع الكثير من أهل الحرف ، كالصرماتية وأمثالهم ، والتجأوا الى الجامع الأزهر ، وأقاموا به ليالى وأياماً فلم ينفعهم ذلك .

حقيقة الحال حتى ولا كبار العسكر . وزاد تخوف الناس من العسكر . وحصل منهم عريجات وخطف عمائم وثياب وقتل أشخاص .

٢٦ منه (٢٩ أكتوبر ١٨٠٧ م) :

أصبح وباب القلعة مفتوح ، والعساكر مرابطون به ، وواقفون بأسلحتهم . وطلع أفراد من كبار العسكر بدون طوائفهم ونزلوا . واستمر الحال على ذلك يوم الجمعة .. والعسكر والناس في اضطراب ، وكل طائفة متخوفة من الأخرى ، والأرتوود فرقتان : فرقة تميل الى الأتراك ، وفرقة تميل الى جنسها . والدلاة تميل الى الأتراك وتكره الأرتوود .. وهم كذلك . والناس متخوفة من الجميع . ومهم من يخشى من قيام الرعية ، ويظهر التودد لهم . وقد صاروا مختلطين بهم في المساكن والحارات وتأهلوا وتزوجوا منهم .

٢٨ منه (٣١ أكتوبر ١٨٠٧ م) :

طلع طائفة من المشايخ الى القلعة ، وتكلموا وتشاوروا في تسكين هذا الحال بأى وجه كان . ثم نزلوا .

٢٩ منه (اول نوفمبر ١٨٠٧ م) :

كانت رؤية هلال رمضان . فلم يعمل الموسم المعتاد وهو الاجتماع ببيت القاضي ، وما يعمل به من الحراقة والبنفوط والشنك ، وركوب المحتسب ومشايخ الحرف ، والزمور والطبول ، واجتماع الناس للفرجة بالأسواق والشوارع وبيت القاضي . فبطل ذلك كله . ولم تثبت الرؤية تلك الليلة .

وأصبح يوم الأحد .. والناس مفطرون . فلما كان وقت الضحوة نودى بالامساك ، ولم تعلم الكيفية !

وابتث المعينون بالطلب ، وبأيديهم الأوراق بمقدار المبلغ المطلوب من الشخص ، وعليها حق الطريق ، وهم : قواصة أتراك ، وعسكر ، ودلاة ، وقواصة بلدى .

ودهى الناس بهذه الداهية فى الشهر المبارك . فيكون الانسان نائما فى بيته ، ومتفكرا فى قوت عياله .. فيدهمه الطلب ، ويأتيه المعين قبل الشروق ، فيزعجه ويصرخ عليه ، بل ويطلع الى جهة حريمه فينتبه كالمفلوج من غير اصطباح ، ويلطف المعين ، ويوعده ويأخذ بخاطره ، ويدفع له كراء طريقه المرسوم له فى الورقة المعين بها المبلغ المطلوب قبل كل شيء . فما يفارقه .. الا ومعين آخر واصل اليه على النسق المتقدم ، وهكذا !

وفيه : حضر محمد كتحدا شاهين بيك الألفى بجواب عن مراسلة أرسلها الباشا الى مخدومه . فأقام أياما يتشاور مع الباشا فى مصالحته مع شاهين بيك . وحصل الاتفاق على حضور شاهين بيك الى الجيزة ، وتراضى مع الباشا على أمره ، وسافر فى ثانى عشره ، وصحبته صالح أغا السلحدار .

الخميس ١٨ منه (١٩ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

قصد الباشا نفى رجب أغا الأرثوودى . وأرسل اليه يأمره بالخروج والسفر بعد أن قطع خرجه وأعطاه علوفته . فامتنع من الخروج ، وقال : « أنا لى عنده خمسون كيسا ولا أسافر حتى آقبضها » .

وذلك أنه فى حياة الألفى الكبير اتفق مع الباشا بأن يذهب عند الألفى ، وينضم اليه ، ويتحيل فى اغتياله وقتله . فان فعل ذلك وقتله ، وتمت حيلته عليه ... أعطاه خمسين كيسا . فذهب عند الألفى ، والتجأ اليه ، وأظهر أنه راغب فى خدمته ، وكره الباشا وظلمه . فرحب به وقبله ، وأكرمه مع التحذر منه . فلما طال به الأمد ، ولم يتمكن

من قصده .. رجع الى الباشا . فلما أمره بالذهاب ، أخذ يطالبه بالخمسين كيسا . فامتنع الباشا ، وقال : « جعلت له ذلك فى نظير شيء » . ففعله ، ولم يخرج من يده فعله ، فلا وجه لمطالبته به . واستمر رجب أغا فى عناده .. وذلك أنه لا يهون بهم مفارقة مصر التى صاروا فيها أمراء وأكابر ، بمسد أن كانوا يحتطبون فى بلادهم ، ويتكسبون بالصنائع الدنيئة .

ثم انه جمع جيشه اليه من الأرثوود بناحية سكنه — وهو بيت حسن كتحدا الجربان بباب اللوق — فأرسل اليه الباشا من بحاربه ، فحضر حسن أغا مرششة من ناحية كنطرة باب الخرق ، وحضر أيضا الجم الكثير من الأتراك وكبرائهم من جهة المدانغ . وعمل كل منهم متاريس من الجهتين ، وتقدموا قليلا حتى قربوا من مساكن الأرثوود تجاه بيت البارودى . فلم يتجاسروا على الاقدام عليهم من الطريق ، بل دخلوا من البيوت التى فى صفهم ، وتقبوا من بيت الى آخر حتى انتهوا الى أول منزل من مساكنهم ، فنقبوا البيت الذى يسكن به الشيخ محمد سعد البكرى ، ونفذوا منه الى المنزل الذى بجواره ، ثم منه الى منزل على أغا الشعراوى ، ثم الى بيت سيدى محمد وأخيه سيدى محمود ، المعروف بأبى دفية ، الملاصق لمسكن طائفة من الأرثوود .

وعبثوا فى الدور ، وأزعجوا أهلها بقبيح أفعالهم .. فانهم عندما يدخلون فى أول بيت يصعدون الى الحريم بصورة منكرة ، من غير دستور ولا استئذان ، وينقبون من مساكن الحريم العليا ، فيهدمون الحائط ، ويدخلون منها الى محل حريم الدار الأخرى . وتصعد طائفة منهم الى السطح .. وهم يرمون بالبنادق فى الهواء فى حال مشيهم وسيرهم وهكذا !

الباشا أيضا . وخلق شاهين بيك على ابن الباشا
فروة ، وقدم له تقديما وسلاحا نفيسا انكليزيا .

السبت ٢٧ منه (٢٨ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

وصل شاهين بيك الأتلي الى دهشور ، ووصل
صحبه مراكب بها سفار وهدية من ابراهيم بيك
ومحمد بيك المرادى ، المعروف بالمنفوخ ، يرسم
الباشا .. وهى نحو الثلاثين حصانا ، ومائة قنطار
بن قهوة ، ومائة قنطار سكر ، وأربعة خصيان ،
وعشرون جارية سوداء . فلما وصل شاهين بيك
الى دهشور ، حضر محمد كتخداه وعلى كاشف
الكبير . فأرسل الباشا اليه صحبتهما هدية ومعها
ولده وديوان أفندى .

الاحد ٢٨ منه (٢٩ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

وصل شاهين بيك الى شبرامنت ... وقد أمر
الباشا بأن يخلوا له الخيزة ، وينتقل منها الكاشف
والعسكر . فعدى الجميع الى البر الشرقى ، وتسلم
على كاشف الكبير الأتلي القصر وما حوله وما به
من الجبنخانة والمدافع وآلات الحرب وغيرها .

شوال

غرة (٢ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

لم يعمل العسكر شئناهم تلك الليلة ، من رميهم
بالرصاص واليارود الكثير المزيج من سائر
النواحي والبيوت والأسلحة ، لانتقاض نفوسهم ،
وانما ضربوا مدافع من القلعة مدة ثلاثة أيام العيد
فى الأوقات الخمسة .

٥ منه (٦ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

اعتنى الباشا بتعمير القصر لسكن شاهين بيك
بالخيزة .. وكان العسكر أخربوه . وكذلك يسوت
الخيزة ، ولم يتركوا بها دارا عامرة الا القليل .
فرسم الباشا للعمارجية بعمارة القصر . فجمعوا

ولا يخفى ما يحصل للنساء من الانزعاج ،
ويصرن يصرخن ويصحن بأطفالهن ، ويهربن الى
الحارات الأخرى ، مثل : حارة قواديس ، وناحية
حارة عابدين — بظاهر الدور المذكورة — بغاية
الخوف والرعب والمشقة .

وظفقت العساكر تنهب الأمتعة والثياب
والفرش ، ويكسرون الصناديق ، ويأخذون
ما فيها ، ويأكلون ما فى القدور من الأطعمة فى نهار
رمضان ... من غير احتشام !

ولقد شاهدت أثر قبيح فعلهم بيت أبى دفية
المذكور : من الصناديق المكسرة ، وانتشار حشو
الوسائد والمراتب التى فتقوها وأخذوا ظروفها ،
ولم يسلم لأصحاب المساكن سوى ما كان لهم
خارج دورهم وبعيدا عنها ، أو وزعوه قبل الحادثة .
وأصيب محمد أفندى أبو دفية برصاصة أطلقها
بعضهم من النقب الذى نصب عليهم نفذت من
كتفه . وكذلك فعل العساكر التى أتت من ناحية
المدانج بالبيوت الأخرى . واستمروا على هذه
الأفعال ثلاثة أيام بلياليها .

الاثنين ٢٢ منه (٢٣ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

حضر فى ليلته عمر بيك كبير الأرثود ،
الساكن ببولاك ، وصالح قوج ، الى رجب أغا
المذكور ، وأركباه وأخذاه الى بولاك . وبطل
الحرب بينهم ، ورفعوا المتساريس فى صباحها
وانكشفت الواقعة عن نهب البيوت ونهبها وازعاج
أهلها . ومات فيها بينهم أنفار قليلة . وكذلك مات
أناس وانجرح أناس من أهل البلد .

الخميس ٢٥ منه (٢٦ نوفمبر ١٨٠٧ م) :

سافر رجب أغا ، وتخلف عنه كثير من عساكره
وأتباعه ، وذهب من ناحية دمياط .
وفيه : حضر ديوان أفندى من دهشور وابن

البنائين والتجارين والخراطين ، وحملوا الأخشاب من بولاق وغيرها ، وهدموا بيت أبى الشوارب ، وأحضروا الجبال والحميز لنقل أخشابه وأقاضه ، وأخرجوا منه أخشابا عظيمة فى غاية العظم والثن ليس لها نظير فى هذا الوقت والأوان .

٧٠ منه (٨ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

حضر شاهين بيك الى بر الجيزة وبات بالقصر . وضربوا لقدمه مدافع كثيرة من الجيزة وعمل له على جربجى موسى الجيزاوى وليمة ، وفرض مصروفها وكلفتها على أهل البلدة ، وأعطاه الباشا اقليم الفيوم بتمامه التزاما وكشوفية ، وأطلق له فيها التصرف ، وأنعم عليه أيضا بثلاثين بلدة من اقليم البنسبا مع كشوفيتها ، وعشرة بلاد من بلاد الجيزة من البلاد التى تنتقيها ويحتارها وتعجبه مع كشوفية الجيزة وكتب له بذلك تقاسيط ديوانية ، وضم له كشوفية البحيرة بتمامها الى حد الاسكندرية ، وأطلق له التصرف فى جميع ذلك . ومرسوماته نافذة فى سائر البر الغربى .

٩٠ منه (١٠ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

ركب السيد عمر أفندى النقيب والمشايع . وطلعوا الى القلعة باستدعاء ارسالية أرسلت اليهم فى تلك الليلة . فلما طلعوا الى القلعة ، ركب معهم ابن الباشا طوسون بيك . ونزل الجميع ، وساروا الى ناحية مصر القديمة .

وكان شاهين بيك عدى الى البر الشرقى ، بطائفة من الكشاف والماليك والهوراة ، فسلموا عليه . وكان بصحبته طائفة من الدلاة ، ساروا أمام القوم بطلائهم وسفاهيرهم ، ومن خلفهم طائفة من الهوراة ، ومن خلفهم الكشاف والماليك ، والسيد عمر النقيب والمشايع . ثم شاهين بيك ، وبجانبه ابن الباشا ، وخلفهم الطوائف والأتباع

والخدم ، وخلفهم النقاقير . فساروا الى ناحية جهة القرافة ، وزاروا ضريح الامام الشافعى . ثم ركبوا وساروا الى القلعة ، وطلعوا من باب العزب الى سراية الديوان . وانفصل عنهم المشايخ ، ونزلوا الى دورهم وقابلوا الباشا ، وسلم شاهين بيك عليه . فخلع عليه الباشا فروة سمور مشنة وسيفا وخنجرا مجوهرات وتعايبى ، وقدم له خيولا بسروجها

وعزم عليه ابن الباشا ، فأذن له أن يتوجه صحبته الى سرايته ، فركب معه وتغدى عنده . ثم ركب بصحبته ، ونزلا من القلعة ، وذهب عند حسن باشا ، فقابلته أيضا ، وسلم عليه ، وخلع عليه أيضا ، وقدم له خيولا وركب صحبتهما وذهبوا عند طاهر باشا ابن اخت الباشا . فسلم عليه أيضا وقدم له تقادم . ثم ركب عائدا الى الجيزة ، وذهب الى مخيمه بشبرامنت ، واستمر مقيما بالمخيم حتى تم عمارة القصر وتردد كشافهم وأجنسادهم الى بيوتهم بالمدنة ، فبيتون الليلة والليتين ويرجعون الى مخيمهم

وفيه : قطع الباشا رواتب طوائف من الدلاة وأمرؤا بالسفر الى بلادهم .

١١٠ منه (١٢ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

انتقل الألفية بعرضهم وخيامهم الى بحرى الجيزة

١٢٠ منه (١٣ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

وصل أربعة من صانق الألفية ، وهم : أحمد بيك ، ونعمان بيك ، وحسين بيك ، ومراد بيك فطلعوا الى القلعة ، وخلع عليهم الباشا فراوى ، وقلدهم سيوفا ، وقدم لهم تقادم . ثم نزلوا الى حسن باشا فسلموا عليه ، وخلع عليهم أيضا خلعا . ثم ذهبوا الى بيت صانع أغا السلحدار ، فأقاموا عنده الى أواخر النهار ثم ذهبوا الى البيوت التى

بها حريمهم ، فباتوا بها ، وذهبوا في الصباح الى الجيزة .

١٥ منه (١٦ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

عملت وليمة . وعقدوا لأحمد بيك الالقي على عديلة هانم بنت ابراهيم بيك الكبير ، والوكيل في العقدة شيخ السادات ، وقبل عنه محمد كتحدا بوكالته عن أحمد بيك . ودفع الصداق الباشا من عنده ، وقدره ثمانية آلاف ريال .

وفيه : اتفقوا على ارسال نعمان بيك ، ومحمد كتحدا ، وعلى كاشف الصابونجي الى ابراهيم بيك الكبير لاجراء الصلح .

وفيه أيضا : أرادوا اجراء عقد زينب هانم ابنة ابراهيم بيك على نعمان بيك . فامتنعت . وقالت : « لا يكون ذلك الا عن اذن أبي . وها هو مسافر اليه فليستأذنه ، ولا أخالف أمره » . فأجيبته الى ذلك .

وآراد شاهين بيك أن يعقد لنفسه على زوجة حسين بيك المقتول ، المعروف بالوشاش — وهو خشداشه ... وهى ابنة السفطى — فاستأذن الباشا . فقال : « انى أريد أن أزوجه ابنتى وتكون صهرى ، وهى واصلة عن قريب ... أرسلت بخضورها من بلدى « قوله » . فان تأخر حضورها جهزت لك سرية وزوجتك اياها » .

١٦ منه (١٧ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

نزل الباشا من القلعة ، وذهب الى مضرب الشباب ، واستدعى شاهين بيك من الجيزة ، وعمل معه ميدانا ، وترامحوا وتسابقوا ولعبوا بالرماح والسيوف . ثم طلع الجميع الى القلعة .

واستمر شاهين بيك عند الباشا الى بعد الظهر . ثم نزل مع نعمان بيك الى بيت عديلة هانم ، فمكثا الى قبيل المغرب . ثم أرسل اليهما

الباشا ، فطلعا الى القلعة ، فباتا عنده ، ونزلا في الصباح ، وعديا الى الجيزة . قال الشاعر :

أمور تضحك السفهاء منها

ويكى من عواقبها الليب

وفيه : تقلد حسن أغا سرشمة امارة دمياط عوضا عن أحمد بيك . وتقلد عبد الله كاشف الدردلى امارة المنصورة عوضا عن عزيز أغا .

٢٣ منه (٢٤ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

وصل قابجى ومعه مرسومات : يتضمن أحدها التقرير لمحمد على باشا على ولاية مصر . وآخر بالدفردارية باسم ولده ابراهيم . وآخر بالغفو عن جميع العسكر جزاء عن اخراجهم الانكليز من ثغر الاسكندرية . وآخر بالتأكيد فى التشميل والسفر لمحاربة الخوارج بالحجاز ، واستخلاص الحرمين ، والوصية بالرعية والتجار ... وصحبه أيضا خلع وشلنجات . فأركبوه فى موكب فى صبح يوم الخميس ، وطلع الى القلعة . وقرئت المراسيم المذكورة بحضرة الباشا والمشايخ وكبار العسكر وشاهين بيك وخشداشينه الألفية . وضربوا مدافع وشنكا .

وفيه : سافر ابراهيم بيك ابن الباشا على طريق القليوبية ، وصحبه طائفة من مباشرى الأقباط ، وفيهم جرجس الطويل — وهو كبيرهم — وأفندية من أفندية الروزنامة ، وكتبة مسلمين للكشف على الأطيان التى رويت من ماء النيل ، والشرافى . فأنزلوا بالقرى النوازل : من الكلف ، وحق الطرقات . وقرروا على كل فدان رواه النيل أربعمئة وخمسين نصف فضة ... تقبض للديوان ، وذلك خلاف ما للملتزم والمضاف والبرانى ، وما يضاف الى ذلك من حق الطرق والكلف المتكررة ا

ذوالقعدة

في غوته (٣١ ديسمبر ١٨٠٧ م) :

فرضوا على مساتير الناس سلف أكياس .
ويحسب لهم ما يؤخذ منهم من أصل ما يتقرر على
حصصهم من المغارم في المستقبل ، وعينوا العساكر
بطلبها . فتغيب غالبهم وتوارى لعدم ما بأيديهم ،
وخلو أكياسهم من المال . والتجأ الكثير منهم الى
ذوى الجاه ، ولازموا أعتابهم حتى شفّعوا فيهم ،
وكشفوا غمتهم .

١٠ منه (٩ يناير ١٨٠٨ م) :

ورد الخبر من الجهة القبليّة بأن الأمراء المصريين
تحاربوا مع ياسين بيك بناحية المنية — وذلك عن
أمر الباشا — وهزموه فدخل الى المنية ونهبوا
حملكه ومتاعه وفي أثر ذلك : حضر أبو ياسين بيك
الى مصر وعينت عساكر الى جهة قبلى —
وأمرها بونابارته الخازندار — وتقدمهم سليمان
بيك الألفى في آخرين

٢٠ منه (١٩ يناير ١٨٠٨ م) :

تعين أيضا عدة عساكر الى ناحية بحرى — وفيهم
عمر بيك تابع الأشقر المصرلى — لمحافظة رشيد ،
وآخرين الى الاسكندرية . ثم تعوق عمر بيك عن
السفر وسبب ذلك أنه ورد قائف الانكليز الى
نهر مسكندرية ، وأخير بخروج عمارة الفرنسيين
الى البحر بسييلية ، وربما استولوا عليها .
وكذلك مالطة فلما ورد هذا الخبر ، حضر
« البطروش » ، قنصل الانجليز المقيم برشيد ، الى
مصر بأهله وعياله .

اواخره (اواخر يناير ١٨٠٨ م) :

جمعوا عدة كبيرة من البنائين ، والنجارين ،

وأرباب الأشغال .. لعمارة أسوار وقلاع
الاسكندرية وأبى قير والسواحل .

ذوالحجّة

١٢ منه (١٠ فبراير ١٨٠٨ م) :

ورد الخبر بأن سليمان بيك الألفى لما وصل
الى المنية ونزل بفنائها ، خرج اليه ياسين بيك
بجموعه وعساكره وعربانه فوقع بينهما وقعة
عظيمة ، وانهمز ياسين بيك ، وولى هاربا الى المنية
فتبعه سليمان بيك فى قلة ، وعدى الخندق خلفه ،
فأصيب من كمين بداخل الخندق ، ووقع ميتا ...
بعد أن نهب جميع متاع ياسين بيك وجماله وأثقاله ،
وشنت جموعه ، وانحصر هو وعساكره وعربانه ،
وما بهى منهم ، بداخل المنية . وكانت الواقعة يوم
الأربعاء سادس الشهر .

فلما ورد الخبر بذلك على الباشا ، أظهر أنه
اغتم على سليمان بيك ، وتأسف على موته وأقام
العزاء عليه خشداشيته بالجيزة وفى بيوتهم وطلق
الباشا يلوم على جراءة المصريين واقدامهم وكيف
أن سليمان بيك يخاطر بنفسه ، ويلقى بنفسه من
داخل الخندق ويقول : « أنا أرسلت إليه أحذره
وأقول له انه ينتظر بونابارته الخازندار ، ويراسل
ياسين بيك ويطلعه على ما بيده من المراسيم ، فإن
أبى وخالف ما فى ضمنها فعند ذلك يجتمعون
على حربه ، وتتقدم عسكر الأتراك لمعرفةهم
وصبرهم على محاصرة الأبنية فلم يستمع لما قلب
له وأغرى بنفسه وايضا ينبغى لكبير الجيش
التأخر عن عسكره ، فإن الكثير عبارة عن المدبر
الرئيس ، وبمصابه تنكسر قلوب قومه
وهؤلاء القوم بخلاف ذلك ... يلقون بأنفسهم فى
المهالك » .

ولما أرسل جماعة سليمان بيك يخبرون بموت
كبيرهم ، وأنهم مجتمعون على حالتهم ، ومقيمون

والخارجة وبين يديه . وتكلم عمر بـيك وصالح
أغا مع الباشا في أمره ، وأن يقيم بمصر . فقال
الباشا : « لا يمكن أن يقيم بمصر ... والساعة
أقتله وأنظر أى شئ يكون » . فلم يسمع المتعصبين
له الا الامتثال . ثم أحضره ، وخلع عليه فروة ،
وأنعم عليه بأربعين كيسا . ونزلوا بصحبته بعد
الظهر الى بولاق . وسافر الى دمياط ليذهب الى
قبرص ومعه محافظون .

٢٠ منه (١٨ فبراير ١٨٠٨ م) :

حضر بونابارته الخازندار من المنية الى مصر .
واقضت السنة .

وأما من مات فيها ممن له ذكر . فمات الشيخ
العلامة ، بقية العلماء والفضلاء والصالحين ، الورع
القانع : الشيخ أحمد بن على بن محمد بن عبد
الرحمن بن علاء الدين البرماوى الذهبى الشافعى
الضريز .

ولد ببلدة « برما » بالمنوفية سنة ١١٣٨ ، ونشأ
بها وحفظ القرآن والمتون على الشيخ المعاصرى ،
ثم انتقل الى مصر ، فجاور بالمدرسة الشيخونية
بالصلبية ، وتخرج في الحديث على الشيخ أحمد
البرماوى ، وحضر دروس مشايخ الأزهر : كالشيخ
محمد فارس والشيخ على قاتباى والشيخ الدفرى
والشيخ سليمان الزيات والشيخ الملوى والشيخ
المداينى والشيخ الغنيمى والشيخ محمد الحفنى
وأخيه الشيخ يوسف وعبد الكريم الزيات والشيخ
عمر الطحلاوى والشيخ سالم النفراوى والشيخ
عمر الشنوانى والشيخ أحمد رزه والشيخ سليمان
البسوسى والشيخ على الصعيدى .

وأقرأ الدروس ، وأفاد الطلبة ، ولازم الاقراء .
وكان منجمعا عن الناس ، قائما راضيا بما قسم له ،
لا يزاحم على الدنيا ، ولا يتدخل فى أمورها .

بعضيهم ومحطتهم على المنية ، وأنهم منتظرون من
يقيم الباشا رئيسا مكانه ... فعند ذلك أرسل
الباشا الى شاهين بـيك يعزبه ، ويلتمس منه أن
يختار من خشداثينه من يقلده الباشا إمارة
سليمان بـيك . فتشاور شاهين بـيك مع خشداثينه ،
فلم يرض أحد من الكبار أن يتقلد ذلك . ثم وقع
اختيارهم على شخص من الماليك يسمى يحيى ،
وأرسلوه الى الباشا . فخلع عليه ، وأمره بالسفر
الى المنية . فأخذ فى قضاء أشغاله ، وعصى الى
بر الجيزة .

١٥ منه (١٢ فبراير ١٨٠٨ م) :

ورد الخبر بأن بونابارته الخازندار وصل الى
المنية بعد الواقعة ، وياسين بـيك محصور بها ، فأرسل
اليه يستدعيه الى الطاعة ، وأطلعه على المكاتبات
والمراسيم التى بيده من الباشا خطابا له وللأمراء
الحاضرين والغائبين المصرية . وفى ضمنها : « ان
أبى ياسين بـيك عن الدخول فى الطاعة ، واستمر على
عناده وعصيانه .. فان بونابارته والأمراء المصرية
يحاربونه » . فعند ذلك نزل ياسين بـيك على حكم
بونابارته . وحضر عنده ، بعد أن استوثق منه
بالأمان ، ووصلت الأخبار بذلك الى مصر .
وخرجت العربان المحصورون بالمنية بعد أن
صالحوا على أنفسهم ، وفتحوا لهم طريقا ، وذهبوا
الى أماكنهم . واستلم بونابارته المنية ، فأقام بها .
يومين ، وارتحل عنها وحضر الى مصر .

١٩ منه (١٧ فبراير ١٨٠٨ م) :

حضر ياسين بـيك الى ثغر بولاق ، وركب فى
صبحها وطلع الى القلعة . فعوقه الباشا وأراد
قتله . فتعصب له عمر بـيك الأرثوودى وصالح قوج
وغيرهما ، وطلعوا فى يوم الجمعة ... وقد رتب
الباشا عساكره وجنده ، وأوقعهم بالأبواب الداخلة

وأخبرني ولده العلامة الفاضل الشيخ مصطفى :
أنه ولد بصيرا ، فأصابه الجدري ، فطمس بصره في
صغره ، فأخذه عم أبيه الشيخ صالح الذهبي ، ودعا
له ، فقال في دعائه : « اللهم كما أعميت بصره ، نور
بصيرته » . فاستجاب الله دعاءه . وكان قوى الإدراك
ويعشى وحده من غير قائد ، ويركب من غير خادم ،
ويذهب في حوائجه المسافة البعيدة ، ويأتى إلى
الأزهر ولا يحطىء الطريق ، ويتنحى عما عساه
يصيبه من راكب أو جمل أو حمار مقبل عليه ، أو
شيء معترض في طريقه . أقوى من ذى بصر فكان
يضرب به المثل في ذلك من شدة التعجب . كما
قال القائل :

ما عماء العيون مثل عمى القلب
فهمذا هو العمى واليلاء
فعماء العيون تغميض عين
وعماء القلوب فهو الشقاء

ولم يزل ملازما على حالته من الانجماع ،
والاشتغال بالعلم والعمل به ، وتلاوة القرآن ،
وقيام الليل فكان يقرأ كل ليلة نصف القرآن ..
الى أن توفي يوم الثلاثاء حادى عشر ربيع الأول من
هذه السنة ، وله من العمر أربع وثمانون سنة ،
وصلى عليه بجامع طولون ، ودفن بجوار المشهد
المعروف بالسيدة سكيئة رضى الله عنها ، بجانب
الشيخ البرماوى رحمه الله وبارك في ولده الشيخ
مصطفى ، وأعاناه على وفاته

ومات المدة الفاضل ، حاوى الكمالات
والفضائل الشيخ محمد بن يوسف ابن بنت
الشيخ محمد بن سالم الحفناوى الشافعى
ولد سنة ١٢٦٣ ، وتربى في حجر جده ، وتخلق
بأخلاقه ، وحفظ القرآن والألفية والمتون ، وحضر

دروس جده وأخى جده الشيخ يوسف الحفناوى ،
وحضر أشياخ الوقت : كالشيخ على العدوى
والشيخ أحمد الدردير والشيخ عطية الأجهورى
والشيخ عيسى البراوى وغيرهم .

وتمهر وأنجب ، وأخذ طريق الخلوتية عن جده ،
ولقنه الأسماء ولما توفي جده ، ألقى الدروس في
محله بالأزهر ونشأ من صغره على أحسن طريقة
وعفة نفس ، وتباعد عن سفاسف الأمور الدنيوية ،
ولازم الاشتغال بالعلم ، وفتح بيت جده وعمل به
مبيعا الذكر كمادته

وكان عظيم النفس مع تهذيب الأخلاق والتبسط
مع الاخوان والممازحة مع تجنبه ما يحل بالمروءة .
وله بعض تعليقات وحواش وشعر مناسب ولم
يزل على حالته الى أن توفي يوم السبت رابع شهر
ربيع الأول من السنة وصلى عليه بالأزهر في مشهد
حافل ، ودفن مع جده في تربة واحدة بمقبرة
المجاورين ولم يخلف ذكورا .. رحمه الله

ومات الشيخ العلامة المفيد ، والنحرير المجيد :
محمد الحصافى الشافعى ، الفقيه النحوى القرضى
تلقى العلوم ، وحضر أشياخ الطبقة الأولى ، ودرس
العلوم بالأزهر ، وأفاد الطلبة ، وقرأ الكتب
المفيدة ، وعاش طول عمره منعكفا في زوايا الخمول ،
منعزلا عن الدنيا ، وهى منعزلة عنه ، راضيا بما
قسم الله له ، قانعا بما يسره له مولاه لا يدعى
في وليمة ، ولا ينهمك على شيء من أمور الدنيا
ولم يزل على حالته ، حتى توفي يوم الاثنين
ثالث عشر شوال من السنة

ومات المدة المفضل : الشيخ محمد عبد الفتاح
المالكى ، من أهالى « كفر حشاد » بالمنوفية .

اتتقاه منه . وفتح باب التفتيش على جهات أوقاف الحرمين وغيرها .

وأخاف الناس ، وحضر اليه كتبة الأوقاف ، وجلسوا لمقارفة الناس ، والتعنّت عليهم بطلب السندات ، ويهولون عليهم بالأغا المذكور ، ويأخذون منهم المصالحات ، ثم ينهون اليه الأمر على حسب أغراضهم ، ويعطونه جزءا ، ويأخذون لأنفسهم الباقي . ثم تنبه لذلك ، فطرد غالبهم وشدد على الباقين ، وتساهل مع الناس .

وكان رئيسا عاقلا ، معدودا في الرؤساء . تعمل عنده الدواوين والاجتماعات في مهمات الأمور والوقائع — كما تقدم ذكر ذلك في مواضعه — ثم انه تمريض بذات الرئة شهورا ، ومات في يوم الاثنين رابع شهر صفر .

* * *

ومات الأمير سليمان بك المرادى — وهو من الأمراء الذين تأمروا بعد موت مراد بك — وكان ظلما غشوما ، ويعرف بريجه (بتشديد الياء) . وسبب تسميته بذلك : أنه كان اذا أراد قتل انسان ظلما يقول لأحد أعوانه : « خذه وريجه » . فيأخذه ويقتله !

ومات في واقعة أسيوط الأخيرة ... أخذت جلة المدفع دماغه ، وقطع ذراعه . وعرفوا قتله بخاتمته الذى فى أصبعه فى ذراعه المقطوع .

* * *

ومات سليمان بك الألفى الذى قتل فى واقعة ياسين بك بالمنية عند الخندق ... وغير هؤلاء . والله أعلم .

قدم من بلدة صغيرا ، فجاور بالأزهر ، وحضر على أشياخ الوقت ، ولازم دروس الشيخ الأمير وبه تخرج ، وتفقه عليه وعلى غيره من علماء المالكية ، وتمهر فى المعقولات وأنجب ، وصارت له ملكة واستحضار . ثم سافر الى بلده ، وأقام بها يفيد ويفتى ، ويرجعون اليه فى قضاياهم ودعاويهم فيقضى بينهم ، ولا يقبل من أحد جعالة ولا هدية . فاشتهر ذكره بالاقليم ، واعتقدوا فيه الصلاح والعفة ، وأنه لا يقضى الا بالحق ، ولا يأخذ رشوة ولا جعالة ، ولا يحابى فى الحق . فامتثلوا لقضاياه وأوامره . فكان اذا قضى قاض من قضاة البلدان بين خصمين ، رجعا الى المترجم وأعادا عليه دعواهما فان رأى القضاء صحيحا موافقا للشرع أمضاه ، وامتثل الخصم الآخر ولا يمانع بعد ذلك أبدا ، ويدعن لما قضاه الشيخ لعلمه أنه لا لغرض دنيوى . والا أخبرهم بأن الحق خلافه . فيمتثل الخصم الآخر .

ولم يزل على حالته .. حتى كان المولد المعتاد بطندتا . فذهب ابن الشيخ الأمير الى هناك ، فأتى لزيارة ابن شيخه ، ونزل فى الدار التى هو نازل فيها ، فانهدمت الجهة التى هو بها ، وسقطت عليه ، فمات شهيدا مردوما ومعه ثلاثة أنفار من أهالى قرية « المكروت » ، وذلك فى أوائل شهر الحجة . ولم يخلف بعده مثله ، رحمه الله .

* * *

ومات الأمير سعيد ، أغا دار السعادة ، العثماني الجبشى . قدم الى مصر بعد مجيء يوسف باشا الوزير فى أهبة ، ونزل بدرج الجماميز فى البيت الذى كان نزل به شريف أفندى الدفتردار ، بعد

الجمعة ٦ منه (٤ مارس ١٨٠٨ م) :

حضر مرزوق بيك ، وسليم بيك المحرمجي ، وعلى كاشف الصابونجي المرسل . فطلعوا الى القلعة ، وقابلوا الباشا . وخلع على مرزوق بيك والمحرمجي فروتين ، ونزلا الى دورهما . ثم ترددا وطلعوا ونزلوا وبلغوا رسائل الأمراء القبليين ، وذكروا مطالبهم وشروطهم وشروط الباشا عليهم ، والاتفاق في تقرير الصلح والمصالحة عدة أيام .

وفيه : حضر عرب الهنادى والجهة وصالحوا على أنفسهم ، وأن يرجعوا الى منازلهم بالبحيرة . ويتردوا أولاد على — وكانوا تغلبوا على الاقليم ، وحصل منهم الفساد والافساد — وكانت مصالحتهم بيد شاهين بيك الألفي ، وسافر معهم شاهين بيك وخشداشيه ، ولم يبق بالجيزة سوى نعمان بيك ، وذهبوا الى ناحية دمنهور ، وارتحل أولاد على الى حوش ابن عيسى . وذلك أواخر المحرم .

ثم ان شاهين بيك ركب بمن معه وحاربوهم ، ووقع بينهم مقتلة عظيمة ، وقتل فيها شحصان من كبار الأجناد الألفية ، وهم : عثمان كاشف وآخره ، ونحو ستة ممالك ، وقتل جملة كثيرة من العرب ، وانكشف الحرب عن هزيمة العرب ، وأسروا منهم نحو الأربعين ، وغنموا منهم غنائم كثيرة من أغنام وجمال . وتفرقوا وتشتتوا ، وذهبوا الى ناحية قبلى والقيوم ... وذلك في شهر صفر .

ملحوظة : لم يرد شيء من شهرى صفر وربيع الاول ، ولعل ذلك لعدم وجود حوادث بهما .

المحترم

الأحد غرته (٢٨ فبراير ١٨٠٨ م) :

برز القابجي ، المسمى بيانجي بيك ، الى السفر على طريق البر . وخرج الباشا لوداعه .

وهذا القابجي كان حضر بالأوامر بخروج العساكر للبلاد الحجازية ، وخلاص البلاد من أيدي الوهاية . وفي مراسيمه التي حضر بها : التأكيد والحث على ذلك . فلم يزل الباشا يخادعه ، ويعده بانفاذ الأمر ، ويعرفه أن هذا الأمر لا يتم بالعجلة ، ويحتاج الى استعداد كبير ، وانشاء مراكز في القلزم ... وغير ذلك من الاستعدادات .

وعمل الباشا ديوانا جمع فيه الدفتردار والمعلم غالى والسيد عمر والمشايخ . وقال لهم : « لا يخفاكم أن الحرمين استولى عليها الوهايون ، ومثما أحكامهم بها . وقد وردت علينا الأوامر السلطانية ، المرة بعد المرة ، للخروج اليهم ومحاربتهم وجلائهم وطردهم عن الحرمين الشريفين . ولا تخفى عنكم الحوادث والوقائع التي كانت سببا في التأخير عن المبادرة في امثال الأوامر . والآن حصل الهدوء ، وحضر قابجي باشا بالتأكيد والحث على خروج العساكر وسفرهم . وقد حسبنا المصاريف اللازمة في هذا الوقت فبلغت أربعة وعشرين ألف كيس .. فأعملوا رأيكم في تحصيلها . فحصل ارتباك واضطراب ، وشاع ذلك في الناس ، وزاد بهم الوسواس . ثم اتفقوا على كتابة عرضحال ليصحبه ذلك القابجي معه .. بصورة نمقوها .

ربيع الآخر

الأحد ١٠ منه (٥ يونية ١٨٠٨ م) :

حضر شاهين بك وباقي الألفية .

الأربعاء ٢٠ منه (١٥ يونية ١٨٠٨ م) :

ورد الخبر بموت شاهين بك المرادى . فخلع الباشا على سليم بك المخرمجى ، وجعله كبيرا ورئيسا على المرادية ، عوضا عن شاهين بك ، وسافر الى قبلى

وفيه حضر أيضا أمين بك الألفى من غيبته . وكان مسافرا مع الانكليز الذين كانوا حضروا الى الاسكندرية ورشيد ، وحصل لهم ما حصل ... فلم يزل غائبا حتى بلغه صلح خشد اشبته مع الباشا ، فرجع وطلع على رده . فأرسلوا له الملاقاة والخيول واللوازم ، وحضر في التاريخ المذكور .

وفيه : زوج الباشا شاهين بك سرية ... اتقنتها زوجة الباشا ونظمتها وفرش له سبعة مجالس بقصر الجيزة ، وجمعوا لذلك المتجدين ، وتقيد بتحيز الشوار والأقمشة واللوازم الخواجا محمود حسن وكذلك زوج نعمان بك سرية أخرى ، وسكن بيت المشهدى بدرج الدليل ... بعد أن عمرت له الدار ، وفرشت على طرف الباشا وكذلك تزوج عمر بك بجارية من جوارى الست نفيسة المرادية ، وجهازها نفيسا من مالها وتزوج أيضا على كاشف الكبير الألفى بزوجة أستاذة .

جمادى الأولى

(يونية - يولية ١٨٠٨ م) :

سافر مرفوق بك بعد تقرير أمر الصلح بينه وبين الأمراء المصريين القبالي وقلد الباشا مرزوق بك ولاية جرجا وامارة الصعيد ، وألبسه الحلعة ، وشرط عليه ارسال المال والغلال الميرية . فعند

ذلك اطمأنت الناس ، وسافرت السفار والمتسبيون ، ووصل الى السواحل مراكب الغلال ، والأشياء التى تجلب من الجهة القبيلة .

جمادى الآخرة

قطع الباشا مرتب الدلاة الأغراب ، وأخرجهم ، وعزل كبيرهم الذى يسمى كردى بوالى ، الساكن ببولاق . وفقد ذلك مصطفى بك من أقاربه ، وجعله كبيرا على طائفة الدلاتية الباقين ، وضم اليهم طائفة من الأتراك .. ألبسهم طراوير وجعلهم دلاتية وسافر كردى بوالى لبلاده في منتصف الشهر ، وخرج صحته عدة كبيرة من الدلاة

أواخره (أواخر اغسطس ١٨٠٨ م) :

وردت الأخبار من اسلامبول وذلك أن طائفة من الينكجيرية تعصبت ، وقامت على السلطان سليم ... وعزلوه ، وأجلسوا مكانه السلطان مصطفى . وأبطلوا النظام الجديد ، وقتلوا دفتردار النظام الحديد وكتحداد الدولة ودفتردار الدولة وغيرهم ، وقطعوه في « أت ميدان » ، بعد أن نفيسوا واختفوا في أماكن ... حتى في بيوت النصارى . واستدلوا عليهم واحدا بعد واحد ، فكانوا يسحبون الأمير منهم المترفة ، على صورة منكرة ، الى « أت ميدان » فيقتلونه ، وبعضهم قطعوه في الطريق وسكن الحال على سُلطنة السلطان مصطفى بن عبد الحميد .

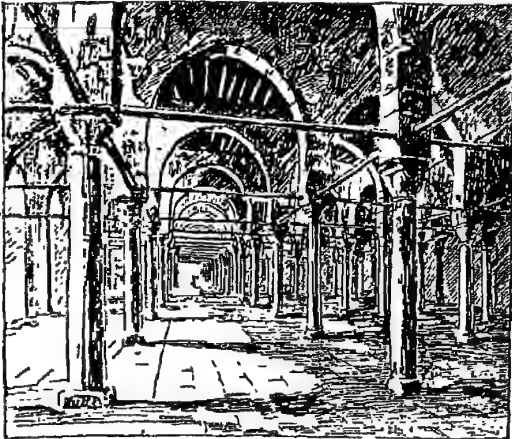
وكان السلطان سليم — عندما أحس بحركة الينكجيرية — أرسل يستنجد ويستدعى مصطفى باشا البيرقدار ، وكان « برشق » بالرملى بمخيم العرضى المتعين على حرب الموسكوب ، ووصل خبر الواقعة الى من بالعرضى ، فأقام أيضا الينكجيرية الفتنة بالعرضى ، وقتلوا أغلة العرضى وخلافه .

السبت ٢٧ منه (٢٠ أغسطس ١٨٠٨ م - ١٥ هجري
١٥٢٤ ق) :

تقص النيل نحو خمسة أصابع . وانكشف
الحجر الراقد الذي عند قم الخليج تحت الحجر
القائم . فضج الناس ، ورفعوا القلال من الرقع
والعرصات والسواحل . وانزعجت الخلائق بسبب
شحة النيل في العام الماضي ، وهيفان الزرع ، وتنوع
المظالم ، وخراب الريف وجلاء أهله .

واجتمع في ذلك اليوم المشايخ عند الباشا ،
فقال لهم : « اعملوا استسقاء ، وأمروا الفقراء
والضعفاء والأطفال بالخروج الى الصحراء وادعوا
الله » . فقال له الشيخ الشرقاوى : « ينبغي أن
ترفقوا بالناس وترفعوا الظلم » . فقال : « أنا لست
بظالم وحدي ، وأنتم أظلم مني ... فاني رفعت
عن حصتكم الفرض والمغارم اكراما لكم .. وأنتم
تأخذونها من الفلاحين ! وعندي دفتر محرر فيه
ما تحت أيديكم من الحصص يبلغ ألفين كيس .
ولا بد اني أفحص عن ذلك . وكل من وجدته
يأخذ الفرضة المدفوعة من فلاحينه ، أرفع الحصّة
عنه » . فقالوا له : « لك ذلك » .

ثم اتفقوا على الخروج والسقيا في صباحها
بجامع عمرو بن العاص — لكونه محل الصحابة
والسلف الصالح — يصلون به صلاة الاستسقاء ..



جامع عمرو بن العاص

وهرب الرئيس وخلافه عند مصطفى باشا
المذكور — وقد وصله مراسلة السلطان سليم —
فحركوا همته على القيام بنصرة السلطان سليم
على الينكجارية ، فركب من العرضى في عدة وافرة ،
وحضر الى اسلامبول ، وشق بجمعه وعسكره من
وسطها في كبكة حتى وصل الى باب السراية ،
فوجده مغلوقا ، فأراد كسره أو حرقه ... الى أن
فتحوه بالعنف . وعبر الى داخل السراية ، وطلب
السلطان سليم فعند ذلك أرسل السلطان مصطفى
المتولي جماعة من خاصته فدخلوا على السلطان
سليم في المكان الذي هو مختف به ، وقتلوه
بالخنجر والسكاكين حتى مات ، وأحضره ميتا
الى مصطفى باشا اليرقدار ، وقالوا له : « ها هو
السلطان سليم الذي تطلبه » . فلما رآه ميتا
بكى وتأسف .

ثم انه عزل السلطان مصطفى ، وأحضر محمودا
أخاه ابن عبد الحميد ، وأجلسه على تخت الملك .
ونودي باسمه — وكان ذلك يوم الخميس خامس
جمادى الثانية من السنة — وعمره ثلاث وعشرون
سنة . ومات السلطان سليم وعمره احدى
وخمسون سنة ، لأنه ولد سنة ١١٧٢ . ومدة
ولايته نحو العشرين سنة تنقص شهرا

فلما وردت هذه الأخبار ، وتواترت في مكاتبات
التجار والسفار ... خطب بعض الخطباء ، يوم
الجمعة سادس عشرينه ، باسم السلطان محمود ،
وبعضهم أطلق في الدعاء ولم يذكر الاسم .

وفيه : قوى عزم الباشا على السفر الى جهة
دمياط ورشيد والاسكندرية فطلب لوازم السفر ،
وواعد بسفره بعد قطع الخليج . وطلق يستعجل
بالوفاء ، ويطلب ابن الرداد المقياسى ويسأله عن
الوفاء ، ويقول : « اقطعوا جسر الخليج في غد أو
بعد غد » فيقول : « تأمرونا بقطعه قبل الوفاء ؟ »
فيقول : « لا » ويقول : « ليس الوفاء بأيدينا » .

رجب

٢ منه (٢٤ أغسطس ١٨٠٨ م) :

وصل الى بولاق راغب افندى - وهو أخو خليل افندى الرجائى ، الدفتردار المقتول - وعلى يده مرسوم بإجراء الخطبة باسم السلطان محمود بن عبد الحميد . وأنزلوه بيت ابن السباعى بالغورية . وضربوا مدافع بالقلعة وشنكا ، ثلاثة أيام ، فى الأوقات الخمسة .. وخطب الخطباء فى صبحها باسم السلطان محمود والدعاء له فى جميع المساجد .

٥ منه (٢٧ أغسطس ١٨٠٨ م) :

سافر محمد على باشا الى بحرى ، ونزل فى المراكب . وأرسل قبل نزوله بأيام بتشكيل الاقامات والكلف على البلاد ، من كل صنف خمسة عشر . وأخلوا له ولمن معه بيوت البنادر - مثل المنصورة ، ودمياط ، ورشيد ، والمحلة ، والاسكندرية - وفرض الفرض والمغارم على البلاد ، على حكم القرارات التى كانوا ابتدعوها فى العام الماضى ... على كل قيراط سبعة آلاف وسبعمئة نصف فضة ، وسماها . كلفة الذخيرة ، وأمر بكتابة دفتر لذلك .

فكتب اليه الروزنامجى « أن الخراب استولى على كثير من البلاد . فلا يمكن تحصيل هذا الترتيب » فأرسل من المنصورة يأمر بتحرير العمار بدفتر مستقل ، والخراب بدفتر آخر .

فلما فعل الروزنامجى ذلك ، أدخل فيها بلادا بها بعض الرmq لتخلص من الفرضه ، وفيها ماهو لنفسه . فلما وصلت اليه ، أمر بتوزيع ذلك الخراب على أولاده وأتباعه وأغراضه - وعدتها مائة وستون بلدة - وأمر الروزنامجى بكتابة تقاسيها بالأسماء التى عيئها له . فلم يمكن الروزنامجى

ويدعون الله ويستغفرونه ، ويتضرعون اليه فى زيادة النيل .. وبالجمله ركب السيد عمر والمشايخ وأهل الأزهر وغيرهم ، والأطفال . واجتمع عالم كثير ، وذهبوا الى الجامع المذكور بمصر القديمة . فلما كان صبحها ، وتكامل الجمع ، صعد الشيخ جاد المولى على المنبر ، وخطب بعد أن صلى صلاة الاستسقاء ، ودعا الله ، وأمن الناس على دعائه . وحول رداه . ورجع الناس بعد صلاة الظهر . وبات السيد عمر هناك .

وفى تلك الليلة : رجع الماء الى محل الزيادة الأولى ، واستتر الحجر الرائد بالماء .

الاثنين ٢٩ منه (٢٢ أغسطس ١٨٠٨ م) :

خرجوا أيضا ، وأشار بعض الناس باحضار النصارى أيضا ... فحضروا ، وحضر المعلم غالى ، ومن يصحبه من الكتبة الأقباط ، وجلسوا فى ناحية من المسجد يشربون الدخان ! وانفض الجمع أيضا .

وفى تلك الليلة ، التى هى ليلة الثلاثاء ، زاد الماء ، ونودى بالوفاء . وفرح الناس ، وطلق النصارى يقولون : ان الزيادة لهم تحصل الا بخروجنا ...

فلما كانت ليلة الأربعاء : طاف المنادون بالرايات الحمراء ، ونادوا بالوفاء ، وعمل الشنك والوقدة ... تلك الليلة على العادة

وفى صبحها حضر الباشا والقاضى ، واجتمع الناس وكسروا السد وجرى الماء فى الخليج جريانا ضعيفا لعلو أرض الخليج وعدم تنظيفه من الأنزبة المتراكمة فيه من مدة سنين . وكان ذلك يوم الأربعاء غرة شهر رجب وتاسع عشر مسرى القبطى .

أن يتلافى ذلك فتظهر خياته . ووزعت وارثت عن أصحابها .

وكذلك حصل باقليم البحيرة ، لما عمها الخراب وتعطل خراجها ، وطلبوا الميرى من المتزمين . فتظلموا واعتذروا بعموم الخراب . فرفعوها عنهم ، وفرقها الباشا على أتباعه . واستولوا عليها ، وطلبوا الفلاحين الشاردة ، والمتسحبة من البلاد الأخر ، وأمروهم بسكنائها .

وزادوا فى الطنبسور نغمات ، وهو أنهم صاروا يتتبعون أولاد البلد ، وأرباب الصنائع الذين لهم نسبة قديمة بالقرى ، وذلك باغراء أتباعهم وأعوانهم .. فيكون الشخص منهم جالسا فى حافوته وصناعته ، فما يشعر الا والأعوان محيطون به يطلبونه الى مخدومهم . فان امتنع أو تلكأ ، سحيوه بالقهر ، وأدخلوه الى الحبس ، وهو لا يعرف له ذلبا . فيقول : « وما ذنبى ؟ » . فيمال له : « عليك مال الطين » . فيقول : « وأى شئ يكون الطين ؟ » . فيقولون له : « طين فلاحتك ... من مدة سنين لم تدفعه ، وقدره كذا وكذا » . فيقول : « لا أعرف ذلك ، ولا أعرف البلد ، ولا رأيتهما فى عمرى ... لا أنا ولا أبى ولا جدى » . فيقال له : « ألسنت فلانا ... الشبراوى أو النياوى مثلا ؟ » فيقول لهم : « هذه نسبة قديمة سرت الى من عمى أو خالى أو جدى .. » . فلا يقبل منه ، ويحبس ويضرب حتى يدفع ما ألزموه به ، أو يجد شاقما يصلح عليه . وقد وقع ذلك لكثير من المتسبيين والتجار وصناع الحرير وغيرهم .

ولم يزل الباشا فى سيره حتى وصل الى دمياط ، وفرض على أهلها أكياسا ، وأخذ من حكائما هدايا وتقادم . ثم رجع الى سمبود ، وركب فى البر الى المحلة ، وقبض مافرضه عليها ، وهو خمسون كيسا ، تقصت سبعة أكياس ... عجزوا

عنها بعد الحبس والعقاب . وقدم له حاكمها ستين جملا وأربعين حصانا خلاف الأقمشة المحلاوية مثل الزردخانات والمقاطح الحرير ، وما يصنع بالمحلة من أنواع الثياب والأمتعة ، صناعة من بقى بها من الصناع .

ثم ارتحل عنها ورجع الى بحر منوف ، وذهب الى رشيد والاسكندرية . ولما استقر بها عبي هدية الى الدولة ، وأرسل الى مصر فطلب عدة قناطير من البن ، والأقمشة الهندية ، وسبعمئة أردب أرز أبيض .. أخذت من بلاد الأرز . وأرسل الهدية صحبة ابراهيم افندى المهردار . وحضر اليه ، وهو بالاسكندرية ، قابجى من طرف مصطفى باشا اليرقدار الوزير برسالة ورجع بالجواب على أثره . ولم يعلم ما دار بينهما .

شعبان

الخميس ١٥ منه (٦ أكتوبر ١٨٠٨ م) :

حضر محمد على باشا من غيبته ، وطلع على ساحل بولاق ليلة الخميس خامس عشره ، وذهب الى داره بالأزبكية . ثم طلع فى ثانى يوم الى القلعة ، وضربوا لقدمه مدافع .

رمضان

الجمعة غرته (٢١ أكتوبر ١٨٠٨ م) :

وردت الأخبار بحرق القمامة القدسية ، وظهر حريقها من كنيسة الأروام .

وفيه : سافر عدة من العسكر والدلاة وعمر بك الألفى ، ومعه طائفة من المماليك ، الى البحيرة بسبب عريان أولاد على . فانهم كانوا بعد الحوادث المتقدمة نزلوا بالاقليم ، وشاركوا ، وزرعوا مثل ما كان عليه الهنادى والجهنة . فلما اصطلاح الألفية مع الباشا ، توسط شاهين بك فى صلح الهنادى والجهنة على قدر ، وذلك لما كان بينهم وبين أستاذ

من النسابة . ولزل صحتهم الى البحيرة ، وعمرهم بأرضها كما كانوا أولا ، وطرد أولاد على وحاربهم ، ومكن الهنادى والجهنة ، ورجع الى الجيزة .

فراسل أولاد على الباشا بوساطة بعض أهل الدولة ، وعملوا للباشا مائة ألف ريال على رجوعهم للبحيرة واخراج الهنادى . فأجابهم طمعا في المال . فحقق أولئك وعصوا ، وحاربوا أولاد على ، ونهبوا ونالوا منهم بعد أن كانوا ضيقوا عليهم .

وحصلت اختلافات ، وامتنع أولاد على من دفع المال الذى قرروه على أنفسهم ، واجتمعوا بحوش ابن عيسى . فأرسل اليهم الباشا عمر بيك المذكور ومن معه ، فحاربوهم مع الهنادى . فظهر عليهم أولاد على وهزموهم ، وقتل من الدلاة أكثر من مائة ، وكذلك من العسكر ، ونحو الخمسة عشر من المماليك . فأمر الباشا بسفر عساكر أيضا ، وصحبته نعمان بيك وخلافه . وسافرت طائفة من العرب الى ناحية الفيوم ، فأرسلوا لهم عدة من العسكر .

آخره (١٩ نوفمبر ١٨٠٨ م) :

سافر أيضا شاهين بيك وباقي الألفية ، خلاف أحمد بيك ، فانه أقام بالجيزة .

وفيه : نودى على المعاملة بأن يكون صرف الريال الفرنسا بمائتين وعشرين ، وكان بلغ في مصارفته الى مائتين وأربعين . والمحجوب بمائتين وخمسين ، فنودى على صرفه بمائتين وأربعين وذلك كله من عدم القضة العددية بأيدي الناس والسيارف لتحكيرهم عليها ، ليأخذها تجار الشام بفرط في مصارفتها تضم للبيرى ... فيدور الشخص على صرف القرش الواحد ، فلا يجد صرفه الا بعد جهد شديد ، ويصرفه الصراف أو خلافه للبضطر بنقص نصفين أو ثلاثة .

وفيه : سافر أيضا حسن الشاشرجى ولحق بالمجردين .

وفيه : ورد الخبر بأن محو بيك ، كاشف البحيرة ، قبض على السيد حسين تقيب الأشراف بدمهور ، وأهانته وضربه وصادره ، وأخذ منه ألفى ريال بعد أن حلف أنه أن لم يأت بها في مدة أربع وعشرين ساعة ، والا قتله . فوقع في عرض النصارى المباشرين ، فدفعوها عنه حتى تخلص بالحياة . وكذلك قبض على رجل من التجار ، وقرر عليه جملة كثيرة من المال . فدفع الذى حصلته يده . وبقي عليه باقى ما قرره عليه . فلم يزل في حبسه حتى مات تحت العقوبة . فطلب أهله رمته . فحلف لا يعطيها لهم حتى يكون ابنه في الحبس مكانه ! ومن الحوادث المساوية : أن في سابع عشرين رمضان غيمت السماء بناحية الغربية والمحلة الكبرى ، وأمطرت بردا في مقدار بيض الدجاج وأكبر وأصغر فهدمت دورا ، وأصابا أنعاما .. غير أنها قتلت الدودة من الزرع البدرى .

شمال

اواخره (حوالى منتصف ديسمبر ١٨٠٨ م) :

حضر شاهين بيك الألفى من ناحية البحيرة ، وذلك بعد ارتحال أولاد على من الاقليم .

وفيه أيضا : حضر سليمان كاشف البواب من ناحية قهلى ، وصحبته عدة من المماليك ، وأربعة من الكشاف فقابل الباشا وخلع عليه ، وأزله بيت طنان بسويقة العزى ، وسكن بها . وحضر مطرودا من اخواله المرادية .

ذوالقعدة

الاثنين غرته (١٩ ديسمبر ١٨٠٨ م) :

فيه : عزل الباشا السيد المحروقى عن نظارة الضربخانة ، ونصب بها شخصا من أقاربه .

السبت ١٢ منه (٢١ ديسمبر ١٨٠٨ م) :

ذو الحجة

غزته (١٨ يناير ١٨٠٩ م) :

وصلت الأخبار من اسلامبول بوقوع فتنة عظيمة . وأنه لما حصل ما حصل في منتصف السنة من دخول مصطفى باشا البيردار على الصورة المذكورة ، وقتل السلطان سليم ، وتولية السلطان محمود ، وخذلان النيكجيرية وقتلهم ونفيهم ، وتحكم مصطفى باشا في أمور الدولة ... واستمر من بقى منهم تحت الحكم ، فأجمعوا أمرهم ، ومكروا مكروهم . وحذر بعضهم مصطفى باشا من المذكورين ، فلم يكثر بذلك ، واستهون أمرهم ، واحتقر جانبهم ، وقال : « أى شئ هؤلاء ؟ .. مناوئرى » بمعنى أنهم يباغون الفاكهة . فكان حاله كما قيل :

فلا تخنقر كيد العدو فربما

تموت الأفاعي من سموم العقارب

ثم انهم تحزبوا وحضروا الى سرايته على حين غفلة ، بعد السحور ، ليلة السابع والعشرين من رمضان — وجماعته وطائفته متفرقون في أماكنهم — فحرقوا باب السراية ، وكبسوا عليه . فقتل من قتل من أتباعه ، وهرب من هرب على حمية . واختفى مصطفى باشا في سرداب فلم يجدوه ، وأوقعوا بالسراية الحرق والهدم والنهب . وخاف السلطان ، لأن سراية الوزير بجانب السراية السلطانية ، ففتح باب السراية التي بناحية البحر ، وأرسل يستعجل قاضى باشا بالحضور ، وكذلك قبطان باشا .. فحضرا الى السراية ، واشتد الحرب بين الفريقين ، وأكثر النيكجيرية من الحريق في البلدة ، حتى أحرقوا منها جانبا كبيرا .

فلما غاب السلطان ذلك ... هاله ، وخاف من عموم حريق البلدة — وهو ومن معه محصورون

نزل والى الشرطة ، وأمامه المنسادة على ما يستقرضه الناس من العسكر بالربا والزيادة .. على أن يكون على كل كيس مئة عشر قرشا في كل شهر لا غير — والكيس عشرون ألف نصف فضة ، وهو الكيس الرومى — وذلك بسبب ما انكسر على المحتاجين والمضطرين من الناس من كثرة الربا لضيق المعاش ، واقطاع المكاسب ، وغلو الاسعار ، وزيادة المكوس . فيضطر الشخص الى الاستدانة فلا يجد من يداينه من أهل البلد ، فيستدين من أحد العسكر ، ويحسب عليه على كل كيس خمسين قرشا في كل شهر . واذا قصرت يد المديون عن الوفاء ، أضافوا الزيادة على الأصل . ويطول الزمن تفحش الزيادة ، ويؤول الأمر لكشف حال المديون .

وجرى ذلك على كثير من مسائير الناس ، وباعوا أملاكهم ومتاعهم . والبعض لما ضاق به الحال ، ولم يجد شيئا ، خرج هاربا ، وترك أهله وعياله خوفا من العسكرى وما يلاقى منه ، وربما قتله . فأعرض بعض المديونين الى الباشا . فأمر بكتابة هذا البيورلدى ، ونزل به والى الشرطة ، ونادى به فى الأسواق . فعد ذلك من غرائب الحكام ... حيث ينادى على الربا جهارا فى الأسواق ، من غير احتشام ولا مبالاة ، لأنهم لا يرون ذلك عيبا فى عيذتهم !

الأربعاء ٢٤ منه (١١ يناير ١٨٠٩ م) :

غضب الباشا على محويك الكبير ، الذى كان كاشفا بالبحيرة ، ونفاه الى أبى قير وأخذ أمواله ، وأنهم بيته — وهو بيت حسين أغا شنن بحارة عابدين — وما بها من الخيل والجمال والجنوار والخيام والمتاع ، على محويك الصغير الأورفلى .

قصده انشاء سواقي وعمائر وبساتين ومزارع .
واخذ في الاستيلاء على ما يحاذي ذلك من القرى
والأطيان والرزق والاقطاعات من ساحل شبرا الى
جهة بركة الحاج ... عرضا .

١٧ منه (٢ فبراير ١٨٠٩ م) :

خرجت عساكر كثيرة الى البر الغربي بقصد
الذهاب الى القيوم ، صحة شاهين بيك والألفية ،
بسبب أولاد على الذين كانوا بالبحيرة .

٢٢ منه (٨ فبراير ١٨٠٩ م) :

وصل واحد قابجي وأصبح أنه طلع من بولاق ،
وذهب الى بيت الباشا ، وعلى يده مرسومان :
أحدهما تقرير للباشا على ولاية مصر . والثاني يذكر
فيه أن يوسف باشا المعدني ، الصدر السابق ، تعين
بالسفر على جهة الشام لتنظيم بلاد العرب والحجاز ،
وأن يقوم محمد على باشا بلوازمه وما يحتاج اليه
من أدوات وذخيرة وغير ذلك . ولم يظهر لذلك
الكلام أثر .

ولما أصبح النهار ، وحضر ذلك القابجي في
موكب الى بيت الباشا ، وحضر الأشياخ
والأعيان — وكان الباشا غائبا في التربة كما
تقدم — وعوضه كتخدا بيك ، وأكاير دولتهم ،
وقرئت المراسيم ... تحقق الخبر .

واقضت السنة بحوادثها التي لا يمكن ضبط
جزئياتها لعدم الوقوف على حقيقتها .

فمن الحوادث العامة : توالي الفرض والمظالم
المتوالية ، واحداث أنواع المظالم على كل شيء ،
والتزايد فيها ، واستمرار الغلاء في جميع أسعار
المبيعات والمأكول والمشارب بسبب ذلك ، وفقر أهل
القرى ، ويمهم لمواشيهم في المغارم ، فقلل اللحم
والسمن والجبن . وأخذ مواشيهم وأغنامهم من
غير ثمن في الكلف ، ثم رميها على الجزارين بأعلى

بالسراية يوما وليلة — فلم يسعه الا تلافى الأمر .
فراسل كبار النكجيرية ، وصالحهم . وأبطلوا
الحرب ، وشرعوا في اطفاء الحريق . وخرج قاضي
باشا هاربا ، وكذلك قبودان باشا — وهو عبد الله
رامز أفندي الذي كان في أيام الوزير بمصر — ثم
انهم أخرجوا مصطفى باشا من المكان الذي اختفى
فيه ميتا من تحت الردم ، وسحبوه من رجليه الي
خارج ، وعلقوه في شجرة ، ومثلوا به ، وأكثروا
على رمته من السخيرة .

وعند وقوع هذه الحادثة ، ومجيء قاضي باشا
— وكان من أغراض السلطان مصطفى المنفصل —
فحاف السلطان أن قاضي باشا ، ان غلب على
النكجيرية ، فيعزله ويولي أخاه ، ويرده الى
السلطنة ... فقتل السلطان محمود أخاه مصطفى
خنقا . ثم لما سكن الحال ، عينوا على قاضي باشا
وقتلوه ، وكذلك عبد الله أفندي رامز قبودان
باشا .

وكان مصطفى باشا البيرقدار هذا ، مشكور
السيرة ، يحب اقامة العدل .. والوقت بخلاف
ذلك .

وفيه : قوى الاهتمام بسد ترعة الفرعولية ،
وتعين لذلك شخص يسمى عثمان السلانكلي الذي
كان مباشرا على جسر الاسكندرية .

١٥ منه (اول فبراير ١٨٠٩ م) :

سافر الباشا ، وبصحبه حسن باشا ، لمباشرة
لترعة التي يريدون سدها ، وأمر بوسق الأحجار .
وأفردوا لذلك عدة كثيرة من المراكب تشحن
بالأحجار والأخشاب الكثيرة ، وترجع فارغة ،
وتعود موسوقة في كل يوم مرة . وأمر بجمع
الرجال من القرى للعمل .

وفيه أيضا : شرع الباشا في انشاء أبنية بساحل
شبرا — الشهيرة الآن بشبرا المكاسة — وأصبح أن

ثمن ، ولا يذبحونها الا في المذبح ، ويؤخذ منهم أسقاطها وجلودها ورؤوسها وروائب الباشا وأهل دولته ثم يذهبون بما يبقى لهم لعوائلهم . فتباع على أهل البلد بأعلى ثمن حتى يخلص للجزار رأس ماله . وإذا عثر المحتسب على جزار ذبح شاة اشتراها في غير المذبح ، قبض عليه وأشهره ، وأخذ ما في حانوته من اللحم من غير ثمن ثم يحبس ويضرب ويفرم مالا ، ولا يغفر ذنبه ، ويسمى خائنا وفلاتيا .

ومنها : انقطاع الحج الشامي والمصرى ، معتلين بمنع الوهابى الناس عن الحج .. والحال ليس كذلك فإنه لم يمنع أحدا يأتى الى الحج على الطريقة المشروعة ، وإنما يمنع من يأتى بخلاف ذلك من البدع التى لا يجيزها الشرع : مثل المحمل والطبل والزمر وحمل الأسلحة . وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة ، وحجوا ورجعوا في هذا العام وما قبله ، ولم يتعرض لهم أحد بشئ .

ولما امتنعت قوافل الحج المصرى والشامى ، وانقطع عن أهل المدينة ومكة ما كان يصل اليهم من الصدقات والعلائف والصرر التى كانوا يعيشون منها .. خرجوا من أوطانهم بأولادهم ونسائهم ، ولم يمكث الا الذى لبس له ايراد من ذلك ، وأتوا الى مصر والشام . ومنهم من ذهب الى اسلامبول يتشكون من الوهابى ، ويستغيثون بالدولة فى خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التى كانوا عليها : من اجراء الأرزاق ، واتصال الصلات ، والنيابات والخدم فى الوظائف التى بأسماء رجال الدولة ، كالفراشة والكناسة ونحو ذلك ، ويذكرون أن الوهابى استولى على ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر ، ونقلها وأخذها ... فيرون أن أخذه لذلك من الكبائر العظام .

وهذه الأشياء أرسلها ووضعها خساف العقول من

الأغنياء والملوك والسلطين الأعاجم وغيرهم : اما حرصاً على الدنيا وكراهة أن يأخذها من يأتى بعدهم ، أو لنوائب الزمان . فتكون مدخرة ومحفظة لوقت الاحتياج اليها ، فيستعان بها على الجهاد ودفع الأعداء . فلما تقادمت عليها الأزمنة ، وتوالت عليها السنين والأعوام الكثيرة — وهى فى الزيادة — ارتصدت معنى لاهقية ، وارتسم فى الأذهان حرمة تناولها ، وأنها صارت مالا للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلا يجوز لأحد أخذها ولا اتقاقها . والنبي عليه الصلاة والسلام منزّه عن ذلك ، ولم يدخر شيئاً من عرض الدنيا فى حياته . وقد أعطاه الله الشرف الأعلى ، وهو الدعوة الى الله تعالى والنبوة والكتاب ، واختار أن يكون نبيا عبداً ، ولم يختار أن يكون نبيا ملكا . وثبت فى الصحيحين وغيرهما أنه قال : « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا » . وروى الترمذى بسنده عن أبى أمامة رضى الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « عرض على ربي ليجعل لى بطحاء مكة ذهباً . قلت : لا يارب . ولكن أشبع يوما وأجوع يوما — أو قال : ثلاثاً ، أو نحو ذلك — فإذا جعت تضرعت اليك وذكرتك ، وإذا شبعت شكرتك وحمدتك » .

ثم ان كانوا وضعوا هذه الذخائر والجواهر صدقة على الرسول ، ومحبة فيه ، فهو قاسد .. لقول النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الصدقة لا تنبغى لآل محمد ... انما هى أوساخ الناس » . ومنع بنى هاشم من تناول الصدقة وحرمها عليهم . والمراد الانتفاع فى حال الحياة لا بعدها فان المال أوجده المولى سبحانه وتعالى من أمور الدنيا ، لا من أمور الآخرة قال تعالى : « انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد » . وهو من جملة السبعة التى ذكرها الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز فى قوله

به أحد ... إلا ما يختلصه العبيد الخصيون الذين
يقال لهم أغاوات الحرم .

والفقراء من أولاد الرسول ، وأهل العلم ،
وال محتاجون وأبناء السبيل ، يموتون جوعاً ...
وهذه الذخائر محجور عليها ، وممنوعون منها .
الى أن حضر الوهابي ، واستولى على المدينة ،
وأخذ تلك الذخائر . فبقال : انه عبي أربعة سحاحين
من الجواهر المحلاة بالأماس والياقوت ، العظيمة
القدر . ومن ذلك : أربع شبعانات من الزمرد ،
وبدل الشبعة قطعة الماس مستطيلة يضئ نورها في
الظلام ، ونحو مائة سيف : قراياتها ملبسة بالذهب
الخالص ، ومنزل عليها الماس والياقوت ، ونصابها
من الزمرد واليشم ونحو ذلك ، وسلاحها من
الحديد الموصوف — كل سيف منها لاقية له —
وعليها دمغات باسم الملوك والخلفاء السالفين
وغير ذلك .

ومنها : أن الباشا عزم على عمارة المجرة التي
تنقل الماء الى القلعة . وقد خربت وتلاشى أمرها ،
وتهدمت قناطرها ، وبطل نقل الماء عليها من نحو
عشرين سنة . فقيد بعمارتها محمد أفندي طبل
ناظر المهمات ، فعمرها ، وأجرى الماء بها في أواخر
الشهر الماضي .

ومنها : أحداث عدة مكوس على أصناف
كثيرة ، منها على بضاعة اللبان عن كل قطعة
ثلثمائة نصف فضة . وكذلك على صنف الحناء ،
عن كل مخلة عشرة أنصاف . وكذلك الموزونات ،
كل مائة درهم أربعة دراهم : على البائع درهمان ،
وعلى المشتري درهمان . وغير ذلك حوادث
كثيرة لا نعلمها .

وأما من مات بها ممن له ذكر :
فمات الأجل البجل ، والمجترم المفضل : السيد

تعالى : « زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والأنتام والحرث . ذلك متاع
الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب » . فهذه السبعة
بها تكون الخبائث والقبائح . وليست هي في نفسها
أمورا مذمومة ، بل قد تكون معينة على الآخرة
إذا صرفت في محلها

وعن مطرف ، عن أبيه قال : « أتيت النبي صلى
الله عليه وسلم ، وهو يقرأ « ألهاكم التكاثر » . قال :
يقول ابن آدم : مالي مالي .. فهل لك يا ابن آدم من
مالك الا ما أكلت فأفنيته ، أو لبست فأبليت ، أو
تصدقت فأمضيت » الى غير ذلك .

ومحبة الرسول بتصديقه واتباع شريعته
وسنته ، لا بمخالفة أوامره ، وكبذ المال بحجرته
وحرمان مستحقه من الفقراء والمساكين ، وباقي
الأصناف الثمانية .

وان قال المدخسر : آكنزها لنوائب الزمان ،
ليستعان بها على مجاهدة الكفار والمشركين عند
الحاجة اليها . قلنا : قد رأينا شدة احتياج ملوك
زماننا ، واضطرارهم في مصالحات المتغلبين عليهم
من قرانات الافرنج ، وخلو خزائهم من الأموال
التي أفنوها بسوء تدبيرهم وتفاخرهم ورفاهيتهم .
فيصالحون المتغلبين بالمقادير العظيمة ... بكفالة
أحد الفرق من الافرنج المسلمين لهم . واحتالوا على
تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس
والمصادرات والطلبات ، والاستيلاء على الأموال
بغير حق .. حتى أفقروا تجارهم ورعاياهم ، ولم
يأخذوا من هذه المدخرات شيئا ... بل ربما كان
عندهم أو عند خونداتهم جوهر نفيس من بقايا
المدخرات ، فيرسلونه هدية الى الحجرة ، ولا
ينتفعون به في مهماتهم ، فضلا عن اعطائه لمستحقه
من المحتاجين . وإذا صار في ذلك المكان لا يتنعم

خليل البكرى الصديقى — ووالدته من ذرية شمس الدين الحنفى — وهو أخو الشيخ أحمد البكرى الصديقى الذى كان متوليا على سجادتهم . ولما مات أخوه لم يلبها المترجم ، لما فيه من الرعونة ، وارتكابه أمورا غير لائقة ، بل تولاهما ابن عمه السيد محمد أفندى — مضافة لتقابة الأشراف — فتنازع مع ابن عمه المذكور ، وقسموا البيت الذى هو مسكنهم بالأزبكية نصفين ، وعمر منابه عمارة مثقنة ، وزخرفة ، وأنشأ فيه بستانا زرع فيه أصناف الأشجار والفواكه .

فلما توفى السيد محمد أفندى ، تولى المترجم مشيخة السجادة ، وتولى تقابة الأشراف السيد عمر مكرم الأسيوطى . فلما طرق البلاد الفرنساوية ، تدخل المترجم فيهم . وخرج السيد عمر مع من خرج هاربا من الفرنساوية الى بلاد الشام .

وعرف المترجم الفرنساوية أن التقابة كانت لبيتهم ، وأنهم غضبوا منه ... فقلدوه اياها . واستولى على وقفها وإيرادها ، وانفرد بسكن البيت ، وصار له قبول عند الفرنساوية . وجعلوه من أعظم رؤساء الديوان الذى كانوا نظمونه لاجراء الأحكام بين المسلمين فكان وافر الحرمة ، مسموع الكلمة ، مقبول الشفاعة عندهم . فازدحم بيته بالدعاوى والشكاوى ، واجتمع عنده ممالك من ممالك الأمراء المصرية — الذين كانوا خائفين ومتغيين — وعدة خدم وقواسم ، ومقدم كبير وسرايين وأجناد .

واستمر على ذلك الى أن حضر يوسف باشا الوزير فى المرة الأولى التى انتقض فيها الصلح ، ووقعت الحروب فى البلدة بين العثمانية والفرنساوية والأمراء المصرية وأهل البلدة . فهجم على داره المتهورون من العامة ونهبوه ، وهتكوا حريمه ، وعروه من ثيابه ، وسحبوه بينهم مكشوف الرأس

من الأزبكية الى وكالة ذى الفقار بالجمالية — وبها عثمان كتخدا الدولة — فشنع فيه الحاضرون ، وأطلقوه بعد أن أشرف على الهلاك . وأخذ الخواجة أحمد بن محرم الى داره ، وأسكن روعه ، وألبسه ثيابا وأكرمه . وبقي بداره الى أن انقضت أيام الفتنة ، وظهرت الفرنساوية على المحاربين لهم ، وخرجوا من البلدة ، واستقر بها الفرنساوية .

فعند ذلك ذهب اليهم ، وشكا لهم ما حل به بسبب مولاته لهم ، فعوضوا عليه ما نهب له ، ورجع الى الحالة التى كان عليها معهم .

وكانت داره أخرجها النهابون . فسكن بيت البارودى بباب الخرق ، ثم انتقل منه الى بيت عبد الرحمن كتخدا القزدغلى بحارة عابدين ، وجدد بها عمارة .

وكان له ابنة خرجت عن طورها فى أيام الفرنسيس . فلما أشيع حضور الوزير والقبودان والانكليز ، وظهر على الفرنساوية الخروج من مصر ... فقتل ابنته المذكورة بيد حاكم الشرطة . فلما استقرت العثمانية بالديار المصرية ، عزل المترجم عن تقابة الأشراف ، وتولاهما السيد عمر مكرم ... كما كان قبل الفرنساوية

ولما حضر محمد باشا خسرو ، أنهى اليه الكارهون له بأنه مرتكب للموبقات ، ويعاقر الشراب .. وغير ذلك . وأن ابنته كانت تذهب الى الفرنسيس بعلمه ، وأنه قتلها خوفا وتبرئة لنفسه من الشهرة التى لا يمكنه سترها ، ولا يقبل عذره فيها ، ولا التنصل منها ، وأنه لا يصلح لمشيخة سجادة السادة البكرية . وعرفوه أن هناك شخصا من سلسلتهم يقال له الشيخ محمد سعد ، وهو من جملة أتباع المترجم ، ولكنه فقير لا يملك شيئا ، ولا دابة يركبها .

فقال الباشا : « أنا أواسيه وأعطيه » . فأخضروه له ، بعد أن ألبسوه تاجا كبيرا وثيابا — وهو رجل مبارك ، طاعن في السن — فألبسه فروة سمور ، وقدم له حصانا معددا ، وقيد له ألف قرش . وسكن دارا بناحية باب الخرق ، وترش حاله . واخل أمر المترجم .

واشترى دارا بدير الجماميز بمطقة القرن ، وكان بظاهرها قطعة جينة ، فاشتراها وغرس بها أشجارا ، وحسنها وأتقنها . وبنى له مجلسا مطلا عليها ، وبالأسفل مساطب ولواوين جلوس لطيفة ، واشترى دارين من دور الأمراء المتقدمين — بظاهر ذلك — وهدمهما ، وبنى بأقواسهما وأخشابهما ، وباع ما كان تحت يده من حصص الالتزام ، وسد بأثمانها ديونه ، واقتصر على إيرادها فيما يخصه من وقف جده لأمه الأستاذ الحنفى ، وتصدى لمفاقمتها وأذنته أنفار من المتظاهرين مثل : السيد عمر مكرم النقيب ، والشيخ محمد وفا السادات ، وخلافهما ... حتى أنه كان عقد لابنه سيدى أحمد ، على بنت المرحوم محمد أفندى البكرى . فتعصبوا عليه ، بعد عزله من المشيخة والنقابة ، وأبطلوا العقد ، وفسخوا النكاح بيت القاضى ، وتسلط عليه من له دين أو دعوى أو مطالبة ، حتى يبعوه حصصه . وكان قد اشترى مملوكا — فى أيام الفرنساوية — جميل الصورة . فلما حصل له ما حصل ، ادعى عليه البائع أنه أخذه بدون القيمة ، ولم يدفع له الثمن . فلم يثبت عليه ذلك .

وكان المملوك ذهب من عنده ، وتم الأمر والمصالحة على أن عثمان ييك المردى أخذ ذلك المملوك لنفسه ... وقد تقدم ذكر قصته فى الحوادث السابقة .

ولم يزل المترجم على حالة خموله ، حتى تحرك عليه داء الفتق ، ومات على حين غفلة فى منتصف شهر ذى الحجة ، وصلى عليه بسجد جده لأمه الشيخ شمس الدين أبى محمد الحنفى ، ودفن عند أسلافه بمشهد السادة البكرية بالقرافة . رحمه الله ، وعفا عنا وعنه .

ومات الأمير شاهين ييك المردى — ويعرف بباب اللوق ، لأنه كان ساكنا هناك — وهو من ممالك مراد ييك ، وأصله جركسى الجنس . ولما اعتقه مراد ييك ، أنعم عليه بكشوفية اقليسم الغربية ، ثم رجع الى مصر ، وأقام بطلا متطلعا للامارة ويرى أنه أحق بها من غيره .

ولما رجع المصريون الى مصر بعد قتل طاهر باشا — وكان الألفى غائبا ببلاذ الانكليز — انضم اليه عثمان ييك البرديسى وواقفه على كراهة الألفى الباطنية . وكان هو أحد المباشرين والضاربين لحسين ييك الوشاش بالبر الغربى ليلة خروجه وتعديتهم لملاقاة الألفى . ثم خرج من مصر مع عشيرته .

ولم يزل حتى مات فى منتصف شهر ربيع الأول من السنة المذكورة . والله أعلم .

كهوف ومغارات وتجاويف . وتحدث الناس بذلك بأنواع الأكاذيب والخرافات ، كقولهم : ظهر في الجبل باب من حديد ، وعليه أقفال ، ففتحوه ونظروا من داخله أشخاصا على خيول ... الى غير ذلك !

وفيه : حضر قاصد من قبودان باشا ، بطلب عوائده بالاسكندرية . فقال له حاكم الاسكندرية : « ينبغي أن تذهب الى الباشا بالترعة وتقابله » . فذهب اليه وقابله عند السد . فبات تلك الليلة ، وأصبح ميتا . فأخرجوه الى المقبرة .

ثم حضر قاصد آخر يخبر بوصول قابجي وعلى يده مرسومان : أحدهما : الاخبار عن صلح الدولة مع الانجليز والموسكوب ، وانتتاح البحر ، وأمن المسافرين . والثاني : الأمر بالسفر والخروج الى فتح الحرمين ، وطرد الوهابية عنهما . وأن يوسف باشا — الصدر السابق ، المعروف بالمعدن — تعيين بالسفر للحرمين على طريق الشام . وكذلك سليمان باشا والى بغداد متعين أيضا بالسفر من ناحيته على الدرعية . وأحضر للباشا تقريرا بالولاية مجددا وخلعة وسيفا .

سفر

السبت غرته (١٨ مارس ١٨٠٩ م) : حضر الأغا الواصل الى بولاق . فركب لملاقاته أغاة النكجارية والوالى وأرباب العكاكيز فأركبوه في موكب ، ودخلوا به من باب النصر وطلع الى القلعة . وقرأوا المراسيم بحضرة الجمع . وبعد الفراغ من قراءتها ضربوا مدافع وشنكا .

المستم

الجمعة ٢ منه (١٧ فبراير ١٨٠٩ م) :

مرت سحابة سوداء مظلمة في وقت العشاء ، وحصل فيها رعد مزعج وبرق مستتير شديد اللعان ، وأمطرت في محلات قليلا وفي أخرى كثيرا . ثم انجلت السماء سريعا ، فظهرت النجوم . وبعد أيام أخبر الواردون من ناحية بلاد السماحات بالقرية ، أنها أمطرت بتلك الناحية في تلك الليلة برذا كبيرا وصغيرا ، والكبير في مقدار حجر الطاحون ! والصغير في مقدار بيض الدجاج . وتهدمت منها دور ، وقتلت مواشى وأدمية ، وأهلكت زروعا كثيرة .

الأحد ٤ منه (١٩ فبراير ١٨٠٩ م) :

قتل الباشا حسين بن الخيبرى ، وهو بترعة الفرعونية ، وأرسل رأسه الى مصر فعلقت بباب زويلة .

أواخره (حوالى منتصف مارس ١٨٠٩ م) :

حضر الباشا من ترعة الفرعونية ، وقد عجز عن سدها بعد أن بذل جهده ، وفرض الفرض العظيمة على البلاد ، وأشغلوا المراكب في نقل الأحجار ليلا ونهارا ... والسيد محمد المحروقى متقيد لذلك ، ومقيم بمسجد الآثار لتشهيل الحجارين ، ووسقها بالمراكب ، وقطعها من الجبل قطعا وصخورا . فكانوا يشقون الجبل بالغمم البارود ، مثل عمل الأفريج ، وظهر في قطعهم

وفيه : غيمت السماء بالسحاب ، وأمطرت كثيرا ، ونزل مطر بركة الحاج .. وجدوا فيه سمكا صغيرا ، من جنس السمك الذى يعرف بالقاروص ، وصار يتنطط على الأرض .. وأحضروا منه الى مصر وشاهدناه ... وهو فى غاية البرودة !

وفيه : اهتم الباشا باخراج تجريدة الى الأمراء القبطيين . وذلك أنه تقدم بالارسال اليهم يطالبهم بالغلل والأموال الميرية ، المرار العديدة ، ويعدون ولا يوفون . ووصل اليه من عندهم رضوان كتخدا البرديسى — وهو بالترعة — ومعه أجوبة وهدية ، وفيها خيول وجوار وعبيد وسكر وخصيان . فاغتاط الباشا وقال : « أنا لست أطلب احسانهم وصدقاتهم ، حتى أنهم يضحكون على ذقنى بهذه الأمور . وحيث أنهم لا يرجعون عن الكامن فى رؤوسهم ، فلا بد من خروجى اليهم ومحاربتهم » . وأرسل الى من بمصر من الأكابر يأمرهم بالبراز والخروج . فخرج حسن باشا ، وصالح أغا قوج ، ومظاهر باشا ، وأحمد بيك ، والكثير من أعيانهم بعساكرهم . وعدوا الى بر الجزيرة ونصبوا وطاقهم وخيامهم .

ثم ان رضوان كتخدا لم يزل يلاطفه حتى توافق معه على وعد مقدار مسافة ذهاب الجواب ورجوعه أياما معدودة . فلما حضر من التربة أخذ فى التشهيل والخروج . فانتقلت العساكر الى البر الغربى . وأخذ يستحث فى المطلوبات ، وخروج الخيام ، وجمع المراكب . وسافر قبودان بولاق الى جهة بحرى لجمع المراكب ، وفرضوا على القرى غلالا وجبالا . وذلك فى عقب ما فرضه عليهم فى مهمات التربة المتقدمة وخلافها : من بشارة القبطان والتقرير ، وما فى ضمن ذلك من حق طرق المباشرين والمعينين .. مع ما الناس فيه من

القحط والغلاء فى الغلال وغيرها ، وعدم وجود العلة . والذين لا يقدرّون على تحصيل العلة ، يلزمونهم بدفع ثمنها ، بأقصى القيمة ، بعد مصانعة المباشرين لذلك ، واعطائهم الرشوات .

وحضر أيضا نعمان سراج باشا من عند ابراهيم بيك ، وقابل الباشا على التربة . فلم ينمّع حضوره أيضا ، ولم يسمع له قول ، ورجع مزيفا .

الأربعاء ٥ منه (٢٢ مارس ١٨٠٩ م) :

حضر على بيك أيوب ، وصحبته آخر — يقال له رضوان بيك البرديسى — فطلعا الى القلعة ، وتقابلا مع الباشا . وانخضع له على بيك أيوب وقبل رجله ، وترجى عنده فى عدم خروج التجريدة ، وكلمه فى أمر الغلال المنكسرة والجديدة ، وعلى أنهم يقومون بدفع الغلال القديمة بالثمن والجديدة بالكيل ، وليس عندهم مخالفة ... والقصد الامهال الى حصاد الغلال . فقال : « أنهم اذا حصدوا الغلال أخذوها ، وفروا الى الجبال » . واستمر هذا القيل والقال نحو أربعة أيام ، ثم أشيع فى ثامنه الصلح . وفرح الناس ، واستبشروا بذلك لما يترتب وما يحصل من الفساد ، وأكل الزروع ، وخراب البلدان ... فانهم أكلوا فى الأربعة أيام التى ترددوا فيها بالجزيرة ، نيفا وخمسائة فدان .

ولما أشيع بالجهة القبلية خروج العساكر للتجريدة ، انزعجوا وأيسوا من زروعاتهم : وخرجوا من أوطانهم على وجوههم لا يدرون أين يذهبون بأولادهم ونساءهم وقصاعهم ، وتفرقوا فى مصر والبلاد البحرية .

السبت ٨ منه (٢٥ مارس ١٨٠٩ م) :

أعيد أمر التجريدة . وأشيع خروج العساكر ثانيا . فاقبضت النفوس ثانيا ، وباتوا فى نكد ،

وطلبت السلف من المساتير والمليئين ، وكتب
الدفاتر ، وحولت الأكياس ، وانبث المعينون
للطلب .

الاثنين ١٠ منه (٢٧ مارس ١٨٠٩ م) :

بطل أمر التجريدة . واقضى أمر الضلح على
شروط ، وهى : أنهم التزموا بثلك ماعليهم من
غلال الميرى ، وقدره مائة ألف أردب وسبعة آلاف
أردب ، بعد مناقشات ومحققات ، والذي تولى
المناقشات معهم مساعدا للباشا شاهين بيك الألفى .
والموعد أحد وثلاثون يوما .

وسافر على بيك أيوب ورضوان بيك
البرديسى . وآكرهما الباشا وخلق عليهما .

الثلاثاء ١١ منه (٢٨ مارس ١٨٠٩ م) :

قتل الباشا مصطفى آغا تابع حسن بيك فى قسبة
رصوا ، ظلما وسبب ذلك : أنه لما نزل قبودان
بولاق لجمع المركب المملوكة لسفر التجريدة ،
فصادف شخصا من الأرثوود — الذين يتسبون
فى بيع الغلال — فى مركب ومعه غلة ، وذلك عند
قرية تسمى « سهرجت » ، فحجزه لياخذ منه
السفينة . فقال : « كيف تأخذها وفيها غلتى ؟ » .
قال : « أخرج غلتك منها على البر واركها ، فانها
مطلوبة لمهمات الباشا » . فلم يرض ، وخاف على
تبددها ، ولم يجد سفينة أخرى ، لأن جميع السفن
مطلوبة مثلها ، وقال له : « عندما أصل بها الى
مصر ، وأقل منها الغلة ، أرسل معى من يأخذها » .
فقال القبودان : « لا سبيل الى ذلك ، » وتشاجرا .

فحقن القبودان على الأرثوودى ، وسل عليه سيفه
ليضربه ، فعاجله الأرثوودى ، وضربه بالطبنجة
فقتله . فأراد أتباع القبودان القبض عليه . ففر
منهم الى البلدة — وبها جماعة من الدلاة معينون

لقبض الفرضة — فالتجأ اليهم . فمانعوا عنه ...
وتنازع الفريقان .

وكان مصطفى آغا المذكور ملتزم البلدة هناك ،
وغائبا فى بعض شئون ، فبلغه الخبر . فحضر
اليهم ، وخاف من وقوع قتل أو شر يقع بالبلدة ،
فيكون سببا لخراب الناحية . فقال : « يا جماعة ،
اذهبوا بنا الى الباشا ليرى رأيه » . فرضوا بذلك .
وحضر بصحبته — والقاتل معهم — وطلعوا الى
ساحل بولاق . فعند ما وصلوا الى البر ، هرب
القاتل ، وذهب عند عمر بيك الأرثوودى الساكن
ببولاق . فتبعه الأمير مصطفى المذكور . فقال له
عمر بيك : « اذهب الى الباشا وأخبره أنه عندى ،
وأنت لا بأس عليك » . ففعل . فقال له الباشا :
« ولأى شىء لم تحتفظ عليه وتتركه حتى يهرب ؟ »
فاعتذر بعدم قدرته على ذلك من الدلائية المتحجى
اليهم — وكأنهم هم الذين أفلتوه — فأمر بحجسه .
فأرسل الى عمر بيك ، فحضر الى الباشا وترجى فى
اطلاقه . فوعده أنه فى غد يطلقه اذا حضر القاتل .
فقال : « انه عند أزمير آغا ، وهو لا يسلم فيه » ،
وركب الى داره .

فلما كان فى الصباح ، أمر بقتل الأمير مصطفى
المذكور . فأنزلوه الى الرميطة ، ورموا رقبته عند
باب القلعة ظلما .

وفى صبحها : قتلوا شخصا من الدلاة بسبب
هذه الحادثة .

الأربعاء ١٢ منه (٢٩ مارس ١٨٠٩ م) :

قتل الأرثوود شخصين من الدلاة أيضا .

الخميس ١٣ منه (٣٠ مارس ١٨٠٩ م) :

أرسل الباشا وطلب الأرثوودى القاتل للقبودان
من عمر بيك ، وشدد فى الطلب ، وقال : « ان لم
يرسله .. والا أحرقت عليه داره » . فامتنع من

أرساله ، وجمع اليه طائفة الأرثوود ، وصالح أغا قوچ جاره .

وركب الباشا ، وذهب الى ناحية الشيخ فرج . وحصل بيولاقي قلقة وانزعاج . ثم ركب الباشا راجعا الى داره بالأزبكية وقت الغروب . وكثرت الأرجاف والقلقة بين الأرثوود والدلاتية .

السبت ١٥ منه (أول ابريل ١٨٠٩ م) :

قتل الأرثوود شخصين من الدلاتية أيضا جهة قناطر السباع . ثم ان القاتل الذي قتل القبودان التجأ الى كبير من كبار الأرثوود . فأرسل الباشا الى حسن باشا يطلب منه ذلك الكبير ، وأكد في طلبه ، أو أنه يقطع رأس القاتل ويرسلها — فكانه فعل — وأرسل اليه برأس ملفوفة في ملاية تسكينا لحدته ! وبردت القضية ، ومكنت الحدة ، وراحت على من راحت عليه .

أواخره (حوالى منتصف ابريل ١٨٠٩ م) :

أمر الباشا بتحرير دفاتر فريضة الأطيان ، وزادوا فيها عن عام الشراقي الماضي الثلث ، وربطوها ورتبوها أربع مراتب : تزيد كل ضريبة عن الأخرى مائة نصف فضة ، أعلاها يبلغ ثمانمائة نصف فضة . على أن الفريضة الماضية بقي الكثير منها بالذمم ، لخراب القرى وعجزهم . واختلى لتنظيم ذلك من الأفندية والأقباط بجهات متباعدة : الأفندية برقع أيوب بيولاقي ، والأقباط بدير مصر العتيقة . حتى حرروا ذلك وتمموا ورتبوه في عدة أيام . ووقع الطلب في جانب معجلا ، سموه « الترويجة » .

وفيه : أمر الباشا عمر بيك الأرثوودي بالسفر من مصر ، وقطع خرجه ورواتبه هو وعسكره . فلم تقمعه المخالفة ، وحاسب على المنكسر له ولعسكره

من العلائف ، وكذلك حلوان البلاد التي في تصرفه . فبلغ نحو ستائة كيس وزعت على دائرة الباشا وخلافهم .

وكان الباشا ضبط جملة من حصص الناس ، واستولى عليها من بلاد القليوبية ، بحرى شبرا ، واختصها لنفسه . فلما استولى على حصص عمر بيك ، ودفع له حلوانها — وهى بالمنوفية والغربية والبحيرة — عوض بعض من يراعى جانبه من ذلك . وأخذ عمر بيك ومن يلوذ به في تشميل أنفسهم وقضاء حوائجهم .

ربيع الأول

(١٦ ابريل - ١٥ مايو ١٨٠٩ م)

فيه : شرع السيد عمر مكرم نقيب الأشراف في عمل مهم لختان ابن ابنته ، ودعا الباشا والأعيان ، وأرسلوا اليه الهدايا والتعابى . وعمل له زفة ، يوم الاثنين سادس عشره ، مشى فيها أرباب الحرف والعربات والملاعب وجمعيات ، وعصب صعايدة وخلافهم ، من أهالى بولاقي والكفور والحسنية وغيرها من جميع الأصناف ، وطبول وزمور وجموع كثيرة . فكان يوما مشهودا ، اكرت فيه الأماكن للفرجة . وكان هذا الفرح هو آخر طنطنة السيد عمر بمصر . فانه حصل له عقيب ذلك ماستلى عليك قريبا من النفى والخروج من مصر .

وفيه : كمل سد ترعة الفرعونية ، واستمر العمل فيها وفي تأييد السد بالأحجار والمشعات والأترية نحو ستة أشهر ، وصرف عليها من الأموال ما لا يحصى . وجرى مجرى البحر الشرقى وغزر مأؤه ، وجرت فيه السفن من دمياط بعد أن كان مخاضة ، وملحت عذوبة النيل بما انعكس فيه وخالطه من ماء البحر الملح ... الى قبلى « فارس كور » .

وأقام بالسد عمر بيك تابع الأشقر لحفارته وتمهد الخلل ، وكنم الجسر من النشع والتنفيس ، وسكن

هناك ولم يفارقه . واستمر في هذه الوظيفة
والخدمة ، ولم يقيم بمصر .

ربيع الآخر

الأحد ٦ منه (٢١ مايو ١٨٠٩ م) :

وردت مراسيم من الروم ، وبشارة بمولودة
ولدت للسلطان وسموها « فاطمة » . وفي المراسيم
الأمر بالزينة . فاقضى الرأي أن يعملوا شنكا
ومدافع من القلعة ، تضرب في الأوقات الخمسة
سبعة أيام .. وهذا شيء لم يسمع بمثله فيما سبق :
أن يعملوا للأشئ شنكا أو زينة ، أو يذكر ذلك
مطلقا ، وإنما يعمل ذلك للمولود الذكر .. من بدع
الأعاجم !

الثلاثاء ٨ منه (٢٣ مايو ١٨٠٩ م) :

حضر من الأمراء المصريين القبالي مرزوق بيك
ابن ابراهيم بيك ، وسليم أغا مستحفظان ، وقاسم
بيك سلحدار مراد بيك ، وعلى بيك أيوب ، حسب
الاتفاق المتقدم في تقرير الصلح . ولكن لم يكن
سليم أغا مذكورا في الحضور ، بل كان منجمعا
وممتنعا عن التداخل في هذه الأحوال . والسبب
في حضوره أن زوجته توفت من نحو نصف شهر ،
فحضر لأجل نركتها ومتاعها ومتاعه الذي عندها .
وحصصها .

ولما حضر وحده الباشا استولى على ذلك ، وأخذ
المتاع والمصاغ والجواهر والعقار ، وأخذ الحصص ،
وأخذ حلوانها وذلك بيد محمود بيك الدويدار .
فلما حضر سليم أغا لم يجد شيئا . لا دار ولا
عقار ولا نافخ نار ! فنزل عند على بيك أيوب
بمنزله بشمس الدولة فحضر اليه محمود بيك
الدويدار والترجمان ، وأخذوا بخاطره وطمأنه ،
وأخبراه أن الباشا سيعوض عليه ما ذهب منه ...
وزيادة ! وزوعا له فوق السطوح . فلم يسمع الا
التسليم .

وفيه : تشحطت الغلال وغلا سعرها . حتى بلغ
الأردب القمح ألف وستمائة نصف فضة ، وعز
وجوده بالرقع والعرصات . وأما السواحل فلا
يكاد يوجد بها شيء من الغلة بطول السنة ، ولولا
لطف الله بوجود الذرة لهلكت الخلائق . ومع ذلك
استمرار المغارم والقرض ، حتى فرض الغلة عين ،
وكذلك تبين وجمال وما ينضاف الى ذلك مما
سمعته غير مرة مما يطول شرحه .

وفيه : نودى على صرف الفرائسة والمحجوب
والمجر ، كما نودى في العام الماضي ، لأنه لما
نودى بنقص صرفها ، ومضى نحو الشهر أو
الشهرين ، رجع الصرف الى ما كان عليه وزيادة .
فأعيد النداء كذلك ... ومسيعود الخلاف مادام
الكرب والضيق بالناس . على أن هذه المنادة
والأوامر بالنقص وزيادة ليست من باب الشفقة
على الناس ، ولا الرحمة بهم ، وإنما هي بحسب
أغراضهم وزيادة طمعهم فانه اذا توجهت المطالبات
بالقرض والمغارم ، نودى بالنقص ليزيد القرض ،
وتتفرغ لهم الزيادة ، ويحصل التشديد والعاقبة
على من يقبض بالزيادة من أهل الأسواق . واذا
كان الدفع من خزائنتهم في علائف العسكر أو
لوازمهم الكبيرة ، قبضوها بأزيد من الزيادة التي
نادوا عليها ، من غير مبالاة ولا احتشام ... تناقض
ما لنا الا السكوت عنه !

في اواخره (منتصف مايو ١٨٠٩ م) :

تواجلت الغلال ، وانحل سعرها . وحضر
الفلاحون ببدارى الغلة ، وانحط السعر ... والحمد
لله !

وفيه : سقط سقف القصر الذى أنشأه الباشا
بشيرا . وشرعوا فى تعميده ثانيا .

وفيه : وصل الخبر بحضور زوجة الباشا أم
أولاده ، وابنه الصغير — واسمه اسماعيل — وابن
بوفابارته الخازندار ، وكثير من أقاربهم وأهاليهم ...
حضر الجميع من بلدهم « قولة » الى سكندرية .
فانهم لما طابت لهم مصر ، واستوطنوها وسكنوها ،
وتنعموا فيها ... أرسلوا الى أهاليهم وأولادهم
وأقاربهم بالحضور . فكانوا فى كل وقت يأتون
أفواجا أفواجا ، نساء ورجالا وأطفالا .

فلما وصل خبر وصولهم الى سكندرية ،
سافر للملاقاتها ابنها ابراهيم بيك الدفتردار . وذلك
حادى عشره .

الأحد ١٢ منه (٢٨ مايو ١٨٠٩ م) :

حضر المذكور قبل حضور الواصلين . ولما
وصلوا نزل الباشا لملاقاتهم الى بولاق .

الاثنين ١٤ منه (٢٩ مايو ١٨٠٩ م) :

نهبوا على جميع النساء والخوندات ، وكل من
كانت لها اسم فى الالتزام ، أن يركبن بأسرهن
ويذهبن الى ملاقة امرأة الباشا ببولاق ، وذلك
صبح يوم الأربعاء ، واعتذرت الست نفيسة
المرادية بأنها مريضة ، ولا تقدر على الحركة
والخروج . فلم يقبلوا لها عذرا .

الأربعاء ١٦ منه (٣١ مايو ١٨٠٩ م) :

اجتمع السواد الأعظم من النساء بساحل بولاق
على الحمار المكارية — وهم أزيد من خمسمائة
مكارى — حتى ركبت زوجة الباشا ، وساروا معها
الى الأزبكية . وضربوا لوصولها وحلولها بمصر
عدة مدافع كثيرة من القلعة والأزبكية . ثم وصلت
الهدايا والتقدم ، وأقبلت من كل ناحية الهدايا
المختصة بالأولاد ، والمختصة بالنساء .

جمادى الأولى

٣ منه (١٦ يونية ١٨٠٩ م) :

نزل عمر بيك الأرثوذى الى المراكب من يت
من بولاق ، وسافر على طريق دمياط ليذهب الى
بلادته ، وسافر معه نحو المائة — وهم الذين جمعوا
الأموال — واجتمع لعمر بيك المذكور من المال
والنوال أشياء كثيرة ، عبأها فى صناديق كثيرة
وأخذها معه . وذلك خلاف ما أرسله الى بلادته فى
دفعات قبل تاريخه .

١٥ منه (٢٨ يونية ١٨٠٩ م) :

سافر على بيك أيوب ، وسليم أغا مستحفظان
الى ناحية قبلى . واستمر بمصر مرزوق بيك ،
وقاسم بيك المرادى :

وفيه : طلب الباشا ألف كيس من المعلم غالى ،
وألزمه بها . فوزعها على المباشرين والكتبة وجمعها
فى أقرب زمن .

وفيه : حضر سلحدار الوزير يوسف باشا وعلى
يده مرسوم مضمونه : طلب ما كان أحدثه حين
كان بمصر على أوراق الاقطاعات والفسراغات
وتقاسيط الالتزام ، الذى سموه « قصر اليد »
و « خرج القلم » ، وجعل ايراد ذلك لنفسه .
فأرسل بطلب ذلك ، من تاريخ سنة سبعة عشر
ومائتين وألف الى وقت تاريخه ، حسب قدر ذلك
فبلغ ليها وأربعة آلاف كيس .

وفيه : شرعوا فى تحرير دفتر بنصف فائض
الملتزمين ، ودفتر آخر بفرض مال على الرزق
الأحباسية المرصدة على المساجد والأسبلة والخيرات
وجهاً البر والصدقات ، وكذلك أطيان الأوسية
المختصة أيضا بالملتزمين . وكتبوا بذلك مراسيم
الى القرى والبلاد ، وعينوا بها معينين وحق طرق

من طرف كشاف الأقاليم بالكشف على الرزق المرصدة على المساجد والخيرات .

وتقدموا الى كل متصرف في شيء من هذه الأطنان ، وواضع عليها يده : بأن يأتي بسنده الى الديوان ، ويجدد سندده ، ويقوى بمرسوم جديد ، وإن تأخر عن الحضور في ظرف أربعين يوما ، يرفع عنه ذلك ، ويمكن منه غيره .

وذكروا في مرسوم الأمر علة وحجة ، لم يترك الأسماع نظيرها ، بأنه إذا مات السلطان أو عزل ، بطلت تواقيعه ومراسيمه ، وكذلك نوابه ، ويحتاج الى تجديد تواقيع من نواب المتولى الجديد .. ونحو ذلك

ثم ليعلم أن هذه الارصادات والأطنان موضوعة من أيام الملك الناصر يوسف صلاح الدين الأيوبي في القرن الخامس ، وجعلها من مصاريف بيت المال ، ليصل الى المستحقين بعض استحقاقهم من بيت المال بسهولة ثم اقتدى به في ذلك الملوك والسلاطين والأمراء الى وقتنا هذا فينون المساجد والتكايا والربط والخوانق والأسبلة ، ويرصدون عليها أطنانا يخرجونها من زمام أوسيتهم ، فيستغل خراجها أو غلالها لتلك الجهة .

وكذلك يربطون على بعض الأشخاص من طلبه العلم والفقراء ، على وجه البر والصدقة ، ليتعيشوا بذلك ويستعينوا به على طلب العلم وإذا مات المرصد عليه ذلك ، قرر القاضى أو الناظر خلفه ممن يستحق ذلك ، وقيد اسمه في سجل القاضى ودفتر الديوان السلطاني عند الأفندى المقيد بذلك ، الذى عرف بكتاب الرزق فيكتب له ذلك الأفندى سنداً بموجب التقرير يقال له « الافراج » ، ثم يضع عليه علامته ثم علامة الباشا والدفتردار . ولكل اقليم من الأقاليم القبلية والبحرية دفتر مخصوص عليه طرة من خارج مكتوب فيها اسم ذلك الاقليم ،

ليسهل الكشف والتحرير والمراجعة عند الاشتباه وتحرير مقادير حصص أرباب الاستحقاقات

ولم يزل ديوان الرزق الاحباسية محفوظا مضبوطا في جميع الدول المصرية ، جيلا بعد جيل ، لا يتطرقه خلل ، الا ما نزل عنه أربابه لشدة احتياجهم — بالفراغ لبعض المتزمين — بقدر من الدراهم معجل ويقرر للمفرغ على نفسه قدرا مؤجلا — دون القيمة الأصلية — في نظير المعجل الذى دفعه للمفرغ . ويسمونها حينئذ « داخل الزمام » . ولم تزل على ذلك بطول القرون الماضية .

وتملك الفرساوية الديار المصرية ، فلم يتعرضوا لشيء من ذلك ولما حضر شريف أفندى الدفتردار — بعد دخول يوسف باشا الوزير — ووجه الطلب على المتزمين بأن يدفعوا للدولة حلوانا جديدا ، على النظام والنسق الذى ابتدعوه للتحويل على تحصيل المال بأى وجه ... زاعمين أن أرض مصر صارت دار حرب بتملك الفرساوية وأنهم استنفذوها منهم ، واستولوا عليها استلاء جديدا ، وصارت جميع أراضيها ملكا لهم فمن يريد الاستيلاء على شيء من أرض وغيرها ، فليشتريه من نائب السلطان بمبلغ الحلوان الذى قدره .

واطلعوا على التقاسيط ، وفي بعضها ما رفع عنه الميرى الذى قبض للحرنة باذن الولاية ، بعد المصالحات والتعويض من المصاريف والمصارف الميرية ، كالعلائف والغلال والبعض تم ذلك بمراسيم سلطانية كما قولون — شريفة ! بحيث يصير الالتزام مثل الرزق الاحباسية ، ويسمونه « خزينة بند » ومنهم من أبقى على التزامه شيئا قليلا ، سموه « مال الحماية » ... فلم يسهل بهم ابطال ذلك ، بل جعل عليها الدفتردار الميرى الذى كان مقيدا عليها أو أقل أو أزيد ، بحسب واضح

اليد واكرامه ، ان كان ممن يكرم ، وضحه الى مال الحماية الاصلى أو المستجد فقط .

وضيع على الناس سعيهم وما بذلوه من مرتباتهم وعلائقهم التى وضعوها وقيدوها فى نظير جعلها « خزينة بند » كما ذكر .

ثم تقييد لكتابة الاعلامات عبد الله أفندى رامز القبودان وقاضى باشا ، وسمى فى ذلك الوقت بكتائب الميرى ، وتوجه نحوه الناس لأجل كتابة الاعلامات لثبوت رزقهم الأجاسية وتجديد سنداتهما . فتعنت عليهم بضروب من التعنت : كأن يطلب من صاحب المرضحال اثبات استحقاقه ، فإذا ثبت له ، لا يخلو اما أن يكون ذلك بالفراغ أو المحلول ... فيكلفه احضار السندات ، وأوراق الفراغات القديمة ، فربما عذمت أو بليت لتقدم السنين ، أو تركها واضع اليد لاستغنائها بالسند الجديد ، أو كان القديم مشتتلا على غير المفروغ عنه ، فيخصم بهامشه بالمنزول عنه ، ويبقى القديم عند صاحب الأصل ... فان أحضره اليه ، تعلل بشيء آخر ، واحتج بشبهة أخرى . فإذا لم يبق له شبهة ، طالبه بحلوانها عن مقدار ايرادها ثلاث سنوات ... والا فخمس سنوات ، وذلك خلاف المصاريف .

فضج الناس ، واستغاثوا بشريف أفندى الذفتردار . فعزل عبد الله أفندى رامز المذكور عن ذلك ، وقيد أحد كتابه بكتابة الاعلامات ، وقرر على كل فدان عشرة أنصاف فضة فما دونها ... برسمها فى السند الجديد ، وجعلها مال حماية ، وأوهم الناس أن مال الحماية يكون زيادة فى أكيد الأجاس ، وحماية له من تطرق الخلل . استسهل الناس ذلك ، وشاع فى الاقليم المصرى ، أقبل الناس من البلاد القبلية والبحرية لتجديد سنداتهم ، فطفقوا يكتبون السندات على نسق قاسيط الالتزام ، لا على الوضع القديم ، ويعلم

عليها الذفتردار فقط . وأما الصورة القديمة فكانت تكتب فى كاغد كبير ، بخط عربى مجود ، وعليها طرة بداخلها اسم والى مصر ، ومهورة بختمه الكبير ، وعليها علامة الذفتردار ، وبداخلها صورة أخرى تسمى « التذكرة » مستطيلة على صورة التقسيط الفرمة ، مهورة أيضا وعليها العلامة والختم ، وهى متضمنة مافى الكبيرة . وعلى ذلك كان استمرار الحال الى هذا الأوان ... من قرون خلت ، ومادة مضت .

وفيه أيضا : حرروا دفترا لاقليم البحيرة بمساحة الطين الرى والشراقى ، وأضافوا اليه طين الأوسية والرزق ، وكتبوا بذلك مناشير ، وأخرج المباشرون كشوفاتها بأسماء الملتزمين . فضج الناس واجتمعوا الى مشايخ الأزهر وتشكوا ، فوعدهم بالتكلم فى شأن ذلك بعد التثبت .

وفيه : قبض أغاة التبديل على شخص من أهل العلم — من أقارب السيد حسن البقلى — وجبسه . فأرسل المشايخ يترجون فى اطلاقه . فلم يفعل ، وأرسله الى القلعة .

وفيه : سعى محمد أفندى طبل — ناظر المهمات — لصديقه السيد سلامة النجارى عند الباشا فى انعام ووظيفة . وسبب ذلك أن المذكور أرسل جملة طاقات من الأقمشة الهندية الغربية المقصبة وغيرها ، وحصانا من أعظم خيول المصريين — كان اشتراه منهم — هدية الى محمد أفندى المذكور . فاقتضت مروءته أنه أخذها وقدمها للباشا ، وقال له : « ان السيد سلامة أحضر هذه الهدية لأفندينا ، شكرا لانعامه السابق عليه » . فقبلها الباشا ، وأنعم عليه بعشرة آكياس ، وأمر محمد أفندى بأن يجعله فى وظيفة معه .

وفيه أيضا : شرعوا فى تحرير دفتر بنصف فائظ الملتزمين بأنواع الأقمشة وباعة النعالات — التى هى الصرم والبلغ — وجعلوا عليها ختمية . فلا يباع

منها شيء حتى يعلم بيد الملتزم ويختم ... وعلى وضع الختم والعلامة قدر مقدر بحسب تلك البضاعة وثمنها . فزاد الضجيج واللغط في الناس .

١٧ منه (٢٠ يونية ١٨٠٩ م) :

حضر المشايخ بالأزهر على عادتهم لقراءة الدروس . فحضر الكثير من النساء والعامه ، وأهل المسجون — وهم بصرخون ويستغيثون — وأبطلوا الدروس . واجتمع المشايخ بالقبلة ، وأرسلوا الى السيد عمر النقيب . فحضر اليهم ، وجلس معهم . ثم قاموا وذهبوا الى بيوتهم . ثم اجتمعوا في ثاني يوم ، وكتبوا عرضحالا الى الباشا ... يذكرون فيه المحدثات من المظالم والبدع ، وختم الأمتعة ، وطلب مال الأوسية والرزق ، والمقاسمة في الفائض ، وكذلك أخذ قريب البقل وحجسه بلا ذنب . وذلك بعد أن جلسوا مجلسا خاصا ، وتعاهدوا وتعاقدوا على الاتحاد وترك المنافرة .

وعند ذلك حضر ديوان أفندي وقاله : « الباشا يسلم عليكم ، ويسأل عن مطلوباتكم » . فعرفوه بما سطره اجمالا ، وينسوه له تفصيلا . فقال : « ينبغي ذهابكم اليه ، وتخطبوه مشافهة بما تريدون ، وهو لا يخالف أوامركم ، ولا يرد شفاعتكم . وانما القصد أن تلاطفوه في الخطاب لأنه شاب مغرور جاهل ، ومظالم غشوم ، ولا تقبل نفسه التحكم ، وربما حمله غروره على حصول ضرر بكم ، وعدم انفاذ الغرض » .

فقالوا بلسان واحد : « لا نذهب اليه أبدا مادام يفعل هذه الفعال ، فان رجع عنها وامتنع عن احداث البدع والمظالم عن خلق الله ، رجعنا اليه ، وترددنا عليه كما كنا في السابق ، فاننا بايعناه على العدل لا على الظلم والجور » . فقال لهم ديوان أفندي : « وأنا قصدي أن تخطبوه مشافهة ويحصل انفاذ الغرض » . فقالوا : « لا نجتمع عليه أبدا ولا

ثير فتنة ، بل نلزم ميوتنا ونقتصر على حالنا ، ونصبر على تقدير الله بنا وبغيرنا » .

وأخذ ديوان أفندي العرضحال ، وأوعدهم يرد الجواب . ثم بعد رجوعه ، أطلقوا قريب السيد حسن البقل الذي كان محبوسا ولم يعلم ذلك . ثم انتظروا عودة ديوان أفندي ، فأبطأ عليهم ، وتأخر عوده الى خامس يوم بعد الجمعية . فاجتمع الشيخ المهدي والشيخ الدواخلي عند محمد أفندي طبل ناظر المهمات — وثلاثتهم في أنفسهم للسيد عمر ما فيها — وتناجوا مع بعضهم ، ثم انتقلوا في عصرتهما وتفرقوا .

وحضر المهدي والدواخلي الى السيد عمر وأخبراه أن محمد أفندي ذكر لهم أن الباشا لم يطلب مال الأوسية ولا الرزق ، وقد كذب من تقل ذلك ، وقال : « انه يقول اني لا أخالف أوامر المشايخ . وعند اجتماعهم عليه ومواجهته يحصل كل المراد » . فقال السيد عمر : « أما انكاره طلب مال الرزق والأوسية فما هي أوراق من أوراق المباشرين عندي لبعض الملتزمين ، مشتملة على الفرضه ونصف الفائض ، ومال الأوسية والرزق . وأما الذهاب اليه فلا أذهب اليه أبدا ، وإن كنتم تنقضون الأيمان والعهد الذي وقع بيننا ... فالرأي لكم » . ثم انفض المجلس .

وأخذ الباشا يدبر في تفريق جمعهم ، وخذلان السيد عمر . لما في نفسه منه من عدم انفاذ أغراضه ، ومعارضته له في غالب الأمور . وبخشي صولته ، ويعلم أن الرعية والعامه تحت أمره : ان شاء جمعهم ، وان شاء فرقهم . وهو الذي قام بنصره ، وساعده وأعانه ، وجمع الخاصة والعامه حتى ملكه الاقليم . ويرى أنه ، ان شاء ، فعل بنقيض ذلك . فطفق يجمع اليه بعض أفراد من أصحاب المظاهر ، ويختلي معه ، ويضحك اليه ... فيغتر بذلك ، ويرى

أنه صار من المقرين ، وسيكون له شأن ان وافق ونصح . فيفرغ له جراب حقه ، ويرشده بقدر اجتهاده لما فيه من المعاونة .

ثم في ليلتها حضر ديوان أفندي وعبد الله بكتاش الترجمان ، وحضر المهدي والدواخلي ... الجميع عند السيد عمر . وطال بينهم الكلام والمعالجة في طلوعهم ومقابلتهم الباشا ، ورقرق لذلك كل من المهدي والدواخلي ... والسيد عمر مصمم على الامتناع . ثم قالوا : « لا بد من كون الشيخ الأمير معنا ، ولا يذهب بدونه » . فاعتذر الشيخ الأمير بأنه متوعك . ثم قام المهدي والدواخلي وخرجا ، صحبة ديوان أفندي والترجمان ، وطلعوا الى القلعة ، وتقابلوا مع الباشا ، ودار بينهم الكلام . وقال في كلامه : « أنا لا أرد شفاعتكم ، ولا أقطع رجاءكم ، والواجب عليكم اذا رأيتم مني انحرافا أن تنصحنوني وترشدوني » ! ثم أخذ يلوم على السيد عمر في تخلفه وتعمته ، ويشي على البواقى « وفي كل وقت يماندني ويظل أحكامي ، ويخوفني بقياس الجمهور » .

فقال الشيخ المهدي : « هو ليس الا بنا ، واذا خلا عنا فلا يسوى بشيء . ان هو الا صاحب حرقه ، أو جابى وقف ... يجمع الابرار ويصرفه على المستحقين » !

فعند ذلك تبين قصد الباشا لهم ، ووافق ذلك ما في نفوسهم من الحقد للسيد عمر ... والشيخ الدواخلي حضوره نيابة عن الشيخ الشرفاوى وعن نفسه ، ثم تناجوا معه حصة ، وقاموا منصرفين مذبتين ومظهرين خلاف ما هو كامن في نفوسهم من الحقد وحفظ النفس ، غير مفكرين في العواقب . وحضروا عند السيد عمر — وهو متلى — بالغيظ مما حصل من الشذوذ وقض العهد — فأخبروه بأن الباشا لم يحصل منه خلاف . وقال : « أنا لا أرد شفاعتكم ، ولكن تقسى لا تقبل التعكم ،

والواجب عليكم — اذا رأيتموني فعلت شيئا مخالفا — أن تنصحنوني وتشفعوا . فأنا لا أردكم ، ولا أمتنع من قبول نصحكم . وأما ما تفعلونه من التشنيع والاجتماع بالأزهر ، فهذا لا يناسب منكم ، وكأنكم تخوفوني بهذا الاجتماع ، وتهيج الشرور ، وقيام الرعية ، كما كنتم تفعلون في زمان المماليك ، فأنا لا أفزع من ذلك . وان حصل من الرعية أمر ما ، فليس لهم عندي الا السيف والانتقام » .

فقلنا له : « هذا لا يكون ، ونحن لانحب ثوران الفتن ، وانما اجتماعنا لأجل قراءة البخارى .. ونسعو الله برفع الكرب » . ثم قال : « أريد أن تخبروني عمن اتبذ لهذا الأمر ، ومن ابتدأ بالخلف » فبالطناه ، وأنه وعدنا بإبطال الدمغة ، وتضعيف الفائض الى الربع بعد النصف ، وأنكر الطلب بالأوسية والرزق من اقليم البحيرة ثم قاموا منصرفين ، واقتح بينهم باب النفاق ، واستمر القال والقال ، وكل حريص على حظ نفسه ، وزيادة شهرته وسعته ، ومظهر خلاف ما في ضميره .

جاردى الآخرة

الجمعة غرته (١٤ يولية ١٨٠٩ م) :

حضر ديوان أفندي وعبد الله بكتاش الترجمان . واجتمع المشايخ بيت السيد عمر ، وتكلموا في شأن الطلوع الى الباشا ومقابلته . فحلف السيد عمر أنه لا يطلع اليه ، ولا يجتمع به ، ولا يرى له وجها ... الا اذا أبطل هذه الأحداث . وقال : « ان جميع الناس يتهمونى معه ، ويؤمنون أنه لا يتجارأ على شيء يفعله الا باتفاقى معه ، وبكفى ما مضى ، ومهما تقدم يتزايد في الظلم والجور » ، وتكلم كلاما كثيرا . فلما لم يجهم الى الذهاب ، قالوا : « اذن يطلع المشايخ » . وأرسلوا الى الشيخ الأمير ، فاعتذر بأنه متوعك الجسم ، ولا يقدر على الحركة ولا الركوب .

ثم اتفقوا على طلوع الشيخ عبد الله الشرقاوى والمهدى والدواخلى والفيومى . وذلك على خلاف غرض السيد عمر ، وقد ظن أنهم يمتنعون لامتناعه ، للعهد السابق والأيمان . فلما طلعوا الى الباشا وتكلموا معه — وقد فهم كل منهم لغة الآخر الباطنية — ثم ذكروه فى أمر المحدثات . فأخبرهم أنهم يرفع بدعة الدفعة ، وكذلك يرفع الطلب عن الأتليان الأوسية ، وتقرير ربع الفائض . وقاموا على ذلك ، ونزلوا الى بيت السيد عمر ، وأخبروه بما حصل . فقال : « وأعجبكم ذلك ؟ » قالوا ... (١) بال : « انه أرسل يخبرنى بتقرير ربع المال الفائض ، فلم أرض وأبيت الرفع ذلك بالكلية . فانه فى العام السابق لما طلب أحداث الربع ، قلت له هذه تصير سنة متبعة . فحلف أنها لا تكون بعد هذا العام وذلك لضرورة النفقة ، وان طلبها فى المستقبل يكون ملعونا ومطرودا من رحمة الله ، وعاهدنى على ذلك . وهذا فى علمكم كما لا يخفاكم . قالوا : نعم ... وأما قوله انه رفع الطلب الى الأوسية والرزق ، فلا أصل لذلك ، وهامى أوراق البحيرة .. وجهوا بها الطلب . »

فقالوا : « اتنا ذكرنا له ذلك فأنكر ، وكابرنا به بأوراق الطلب ، فقال : ان السبب فى طلب ذلك من اقليم البحيرة خاصة ، أن الكشافين لما نزلوا للكشف على أراضى الرى والشرقى — ليقرروا عليها فرضة الأتليان — حصل منهم الخيانة والتدليس . فاذا كان فى أرض البلدة خمسمائة فدان رى ، قالوا عليها مائة ، وسموا الباقي رزقا وأوسية . فقررت ذلك عقوبة لهم فى نظير تدليسهم وخيانتهم . » فقال السيد عمر : « وهل ذلك أمر واجب فعله ؟ أليس هو مجرد جور وظلم أحدثه فى العام الماضى ... وهى فرضة الأتليان التى ادعى

(١) كذا فى الأصل .

لزومها لانتماء العلوفة ، وحلف أنه لا يعود لمثلها ؟ فقد عاد وزاد ، وأتم توافقه وتسايرونه ، ولا تصدونه ولا تصدعونه بكلمة ، وأنا الذى صرت وحدى مخالفا وشاذا . » . ووجه عليهم اللوم فى تقضهم العهد والأيمان .

وانقض المجلس ، وتفرقت الآراء ، وراج سوق النفاق ، وتحركت حفاظ الحقد والحسد ، وكثر سعيهم وتناجيههم بالليل والنهار ... والباشا يرسل السيد عمر ، ويطلبه للحضور اليه والاجتماع به ، ويعده بانجاز ما يشير عليه به . وأرسل اليه كئذاه ليتفرق به ، وذكر له أن الباشا يرتب له كيسا فى كل يوم ، ويمطيه فى هذا الحين ثلثمائة كيس خلاف ذلك ... فلم يقبل .

ولم يزل الباشا متعلق الخاطر بسببه ، ويتجسس ويتفحص عن أحواله ، وعلى من يتردد عليه من كبار العسكر ... وربما أغرى به بعض الكبار فراسلوه سرا ، وأظهروا له كراهيتهم للباشا ، وأنه ان اتبذ لمفاقمته ساعده ، وقاموا بنصرته عليه . فلم يخف على السيد عمر مكره ، ولم يزل مصمما وممتنعا عن الاجتماع به ، والامتنال اليه ، ويسخط عليه ... والمترددون أيضا ينقلون ويحرفون بحسب الأغراض والأهواء .

واتفق فى أئناء ذلك : أن الباشا أمر بكتابة عرضحال بسبب المطلوب لوزير الدولة — وهى الأربعة آلاف كيس — ويذكر فيه أنها صرفت فى المهمات : منها ماصرف فى سد ترعة الفرعوية — ومبلغه ثمانمائة كيس — وعلى تجاريد العساكر لمحاربة الأمراء المصرية ، حتى دخلوا فى الطاعة ، كذلك مبلغا عظيما ، وما صرف فى عمارة القلعة والمجرة التى تنقل المياه اليها مبلغا أيضا ، وكذلك فى حفر الخلجان والترع ، وتقصى المال الميرى بسبب شراقى البلاد ونحو ذلك . وأرسله الى السيد

عمر ليضع خطه وختمه عليه فامتنع وقال : « أما ماصرفه على سد الترعة ، فإن الذي جمعه وجباه من البلاد يزيد على ماصرفه أضعافا كثيرة ، وأما غير ذلك .. فكله كذب لا أصل له وإن وجد من يحاسبه على ما أخذه من القطر المصرى من القرض والمظالم ، لما وسعته المدفاتر » .

فلما ردوا عليه وأخبروه بذلك الكلام ، حق واغتاط في نفسه ، وطلبه للاجتماع به ، فامتنع . فلما أكثر من التراسل ، قال : « إن كان ولا بد .. فأجتمع معه في بيت السادات ، وأما طلوعى اليه فلا يكون » . فلما قيل له في ذلك ، ازداد حنقه ، وقال : « انه بلغ به أن يزدرنى ويرذلنى ، ويأمرنى بالنزول من محل حكى الى بيوت الناس » .

الأربعاء ٢٧ منه (٩ اغسطس ١٨٠٩ م) :

ركب الباشا وحضر الى بيت ولده ابراهيم بيك الدفتردار ، وطلب القاضي والمشايع المذكورين ، وأرسل الى السيد عمر رسولا من طرفه ، ورسولا من طرف القاضي ، يطلبه للحضور ليتحقق ويتشاور معه . فرجعا وأخبرا بأنه شرب دواء ولا يمكنه الحضور في هذا اليوم .

وكان قد حضر شيخ السادات الوفائية والشيخ الشرقاوى . فعند ذلك حضر الباشا خلعة ، وألبسها لشيخ السادات على رقابة الأشراف ، وأمر بكتابة فرمان بخروج السيد عمر ونفيه من مصر — يوم تاريخه — فتشفع المشايخ في امهاله ثلاثة أيام حتى يقضى أشغاله . فأجاب الى ذلك . ثم سألوه في أن يذهب الى بلدة أسيوط . فقال : « لا يذهب الى أسيوط ، ويذهب اما الى سكندرية أو دمياط » .

فلما ورد الخبر على السيد عمر بذلك . قال : « أما منصب النقابة ، فاني راغب عنه وزاهد فيه ، وليس فيه الا التعب . وأما النفى فهو غاية

مطلوبى ، وأرتاح من هذه الورطة . ولكن أريد أن يكون في بلدة لم تكن تحت حكمه ، اذا لم يأذن لي في الذهاب الى أسيوط ، فليأذن لي في الذهاب الى الطور أو الى درنة » فعبروا الباشا ، فلم يرض الا بذهابه الى دمياط . ثم ان السيد عمر أمر باشجاويش أن يأخذ الجاويشية ، ويذهب بهم الى بيت السادات . وأخذ في أسباب السفر

الخميس ٢٨ منه (١٠ اغسطس ١٨٠٩ م - ٥ مسرى ١٥٢٥ ق) :

أوفى النيل المبارك ونودى بالوفاء تلك الليلة . وخرج الناس لأجل الفرجة والضيافات في الدور المطلة على الخليج فلما كان آخر النهار ، بررت الأوامر بتأخير الموسم لليلة السبت بالروضة . فبرد طعام أهل الولايم والضيافات ، وتضاعفت كلهم ومصاريفهم .

وحصلت الجمعية بلة السبت بالروضة وعند قنطرة السد . وعملوا الجراقات والشنك ، وحضر الباشا وأكابر دولته والقاضى ، وكسر السد بحضرتهم ، وجرى الماء في الخليج ، وانفض الجمع .

وفيه : اعتنى السيد محمد المحروقى بأمر السيد عمر . وذهب الى الباشا وكلمه وأخبره بأنه أقامه وكيلا على أولاده وبيته وتعلقاته فأجازه بذلك ، وقال : « هو آمن من كل شيء ، وأنا لم أزل أراعى خطره ولا أفوته » . ثم أرسل السيد المحروقى فأحضر ابن ابنة السيد عمر ، فقابل به الباشا ، وطمن خطره . ولكن قال : « لا بد من سفره الى دمياط » . وعندما طلب السيد المحروقى الغلام الى الباشا أشيع في الناس وقوع الرضا ، وتناقل الناس ذلك ، وفرح أهل منزله ، وزغرموا وسروا ، واستمروا على ذلك حتى رجع الغلام ، وتبين أنه لا شيء .

فانقلب الفرع بالترح . وتعين بالسفر ، صحبة السيد عمر ، كتحدا الألفى الى دمياط .

رجب

غرة (١٢ اغسطس ١٨٠٩ م) :

اجتمع المودعون للسيد عمر . ثم حضر محمد كتحدا المذكور ، فعند وصوله ، قام السيد عمر وركب في الحال ، وخرج صحبته . وشيعة الكثير من المتعممين وغيرهم ، وهم يتباكون حوله حزنا على فراقه . وكذلك اغتم الناس على سفره وخروجه من مصر ، لأنه كان ركنا وملجأ ومقصدا للناس ، ولتعصبه على نصرة الحق . فسار الى بولاق ، ونزل في المركب وسافر من ليلته — بأتباعه وخدمه الذين يحتاج اليهم — الى دمياط .

وفيه : حضر الشيخ المهدي عند الباشا ، وطلب وثائق السيد عمر . فأعتم عليه الباشا بنظر أوقاف الامام الشافعى . ونظر وقف سنان باشا ببولاق ، وحاسب على المنكسر له من الغلال مدة أربع سنوات . فأمر بدفعها له من خزينته نقدا ، وقدرها خمسة وعشرون كسبا ، وذلك في نظير اجتهاده في خيانة السيد عمر ، حتى اوبعوا به ما ذكر .

وفيه : تقيد الخواجا محمود حسن بزرجان باشا بعمارة القصر والمسجد الذى يعرف بالآثار النبوية . فعمرها على وصمها القديم . وقد كان آل الى الخراب .

٣ منه (١٤ اغسطس ١٨٠٩ م) :

خلع الباشا على ثلاثة من الأجناد المصرية المنسوبين لسليمان بك البواب ، وقلدهم صناجق وأمراء الوقت ، وضم اليهم عساكر أنشراك وأرنؤود ، لينسافر الجميع الى الجهة القبليّة ، بسبب عصيان الأمراء المرادية ، وتوقعهم عن دفع المال

والغلال . وكذلك عين للسفر أيضا أحمد أغا لاط ، وصالح قوج ، وبونا بارتته ، وحسن باشا ، وعابددين بيك ... فارتجت البلد .

وطلبوا المراكب ، فتعطل المسافرون الى الجهة القبليّة والبحرية ، وكذلك امتنع مجيء الواصلين بالغلال والبضائع خوفا من التسخير . وقد كان حصل بعض الاطمئنان وسلوك الطريق القبليّة ، ووصول المراكب بالغلال والمجلوبات .

١٠ منه (٢١ اغسطس ١٨٠٩ م) :

١٠ - افر أحمد أغا لاط وصالح قوج . خرجوا بمساكرهم ونزلوا في المراكب وذهبوا الى قبلى . وفيه : حضر محمد كتحدا الألفى من دمياط راجعا من تشييع السيد عمر ، ووصله الى دمياط واستقراره بها .

١٩ منه (٣٠ اغسطس ١٨٠٩ م) :

سافر من كان متأخرا الى الجهة القبليّة ، ولم يبق منهم أحد .

٢٢ منه (٢ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

نادى منادى المعمار على أرباب الأشغال في العمائر من البنائين والحجارين والفعلة ، بالا يشتغلوا في عمارة أحد من الناس كائنا من كان ، وأن يجتمع الجميع في عمارة الباشا بناحية الجبل .

٢٩ منه (٩ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

وردت أخبار عن التجريدة أزعجت الباشا . فاهتم اهتماما عظيما ، وقصد الذهاب بنفسه ، ونه على جميع كبراء العساكر بالخروج ، وأن لا يتخلف منهم أحد ، حتى أولاده ابراهيم بيك الدفتردار وطوسون بيك ، وأنا هو المتقدم عنهم في الخروج في يوم الخميس . واستجل التشهيل والطلب ، وأمر بتحرير دفتر فرضة « ترويجة » على اقليم المنوفية

والغربية والشرقية والقلبوية . وذكروا أنها من أصل حساب الشهرية المبتدعة .

وفيه : قتل حسن أغا الشاشرجى كشوفية المتوفية ، وأرخصي لحيته على ذلك .

شعبان

غرة (١١ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

نمق مشايخ الوقت عرضحال في حق السيد عمر بأمر الباشا ليرسله صحة السلحدار . وذكروا فيه سبب عزله وتقيع عن مصر ، وعدوا له مثالب ومعايب وجنحا وذنوبا منها : أنه أدخل في دفتر الأشراف أسماء أشخاص ممن أسلم من القبط واليهود . ومنها : أنه أخذ من الألفى — في السابق — مبلغاً من المال ليملكه مصر في أيام فتنة أحمد باشا خورشيد . ومنها : أنه كاتب الأمراء المصريين أيضاً في وقت الفتنة — حين كانوا بالقرب من مصر — ليحضروا على حين غفلة في يوم قطع الخليج ، وحصل لهم ما حصل ، ونصر الله عليهم حضرة الباشا . ومنها : أنه أراد إيقاع الفتنة في العساكر لينقض دولة الباشا ، ويولي خلافة ، ويجمع عليه طوائف المغاربة والصعائدة وأخلاق العوام وغير ذلك . وذلك على حد من أعان ظالما سلط عليه . وكتبوا عليه أسماء المشايخ ، وذهبوا به اليهم ليضعوا ختمهم عليه . فامتنع البعض من ذلك وقال : « هذا كلام لا أصل له » . ووقع بينهم محاججات ، ولأم الأعظم المتنعيين على الامتناع ، وقالوا لهم : « أستم لستم بأروع منا ، وأثبت لنفسه ورعا » . وحصل بينهم منافسات ومخالفات ومقابلات .

ثم غيروا صورة المرضحال بأقل من التحامل الأول ، وكتب عليه بعض المتنعين . وكان من المتنعين أولا وآخرها : السيد أحمد الطحطاوي

الحنفي . فزادوا في التحامل عليه ، وخصوصا شيخ السادات والشيخ الأمير وخلافهما . واتفق أنه دعى في وليمة عند الشيخ الشنواني بحارة حوش قدم وتأخر حضوره عنهم : فصادفهم حال دخوله الى المجلس ، وهم خارجون ، فسلم عليهم ولم يضافهم ... لما سبق منهم في حقه من الإيذاء . فتناول عليه ابن الشيخ الأمير ورفع صوته بتوبيخه وشتمه لكونه لم يقبل يد والده . ويقول له في جملة كلامه : « اليس هو الأ قليل الأدب والحياء . ثالث طبقة للشيخ الوالد » ! ونحو ذلك .

٣ منه (١٣ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

سافر الباشا الى الجهة القبلية ، وتبعه العساكر .

١٣ منه (٢٣ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

سافر حسن باشا وعساكر الأرثوود ، وتناهبوا في الخروج . وتحدث الناس بروايات عن الباشا والأمراء المصريين وصلحه معهم ، وأن عثمان بك حسن ، ومحمد بك المنفوخ ، ومحمد بك ابراهيمي وصلوا عند الباشا وقابلوه . وأنه أرسل إلى ابراهيم بك الكبير ولده طوسون باشا ، فقلقه وأكرمه . وأرسل هو أيضا ولده الصغير الى الباشا فأكرمه . ووصل الى مصر بعض نساء حريمه وحریم الأمراء .

١٥ منه (٢٥ سبتمبر ١٨٠٩ م) :

خرجت الدلاة والأرثوود ، وباقي الأجناد والعسكر . وأقام الباشا كتخدا بك قائم مقامه ، وأقام بالقلمة

وفيه : اتفق الأشياخ والمتصدرون على عزل

السيد أحمد الطحطاوي من افتاء الحنفية وأحضروا الشيخ حسين المنصوري ، وركبوا صعبته ، وطلعوا به الى القلمة — بعد أن مهدوا

القضية — فألبس قائمقام الشيخ حسين ... فروة ،
ثم نزلوا . ثم طاف للسلام عليهم ، وخلصوا هم عليه
أيضا خلصهم .

فلما بلغ الخبر السيد أحمد الطحطاوى ، طوى
الخلع التى كانوا ألبسوها له عندما تقلد الافتاء ،
بعد موت الشيخ ابراهيم الحريرى ، فى جمادى
الأولى ، بقرب عهد ، وأرسلها لهم . وكان الشيخ
السادات ألبسه حين ذاك فروة ، فلما ردها عليه ،
احتد واغتاض ، وأخذ يسبه ، ويذكر لجلسائه
جرمه ، ويقول : « انظروا الى هذا الخبيث .. كأنه
يجملنى مثل الكلب الذى يعود فى قيئه » .. ونحو
ذلك .

وأما السيد أحمد فإنه اعتكف فى داره ، لا يخرج
منها الا الى الشيخونية بجواره ، واعتزلهم وترك
الخلطة بهم ، والتباعد عنهم . وهم يبالغون فى ذمه
والخط عليه ، لكونه لم يوافقهم فى شهادة الزور .
والحامل لهم على ذلك كله ، الحظوظ النفسانية
والحسد . مع أن السيد عمر كان ظلا ظليلا عليهم
وعلى أهل البلدة ، ويدافع ويرافع عنهم وعن
غيرهم . ولم تقم لهم بعد خروجه من مصر راية ،
ولم يزالوا بعده فى انحطاط وانخفاض .

وأما السيد عمر ... فإن الذى وقع له بعض
ما يستحقه . ومن أعان ظالما سلط عليه . ولا
يظلم ربك أحدا .

رمضان

اواخره (اوائل نوفمبر ١٨٠٩ م) :

وصل طائفة من الدلاتية من ناحية الشام ،
ودخلوا الى مصر ، وهم فى حالة رثة ، كما حضر
غيرهم وصحبته من المخنثين المعروفين بـ
الذين يتكلمون بالكلام المؤث ، ومعهم دفوف
وطناير .

وفيه : حرروا دفتر الأميان على ضريبة واحدة :
عن كل فدان خمسة ريالات غير البرانى والخدم ،
ولم يحصل فى ذلك مراجعة ولا كلام ولا مرافعة فى
شئ ... كما وقع فى العام الماضى والذى قبله ، فى
المراجعة بحسب الرى والشرافى . وأما فى هذه
السنة فليس فيها شرافى ، فحسابها بالمساحة
الكاملة لعموم الرى .

فإن النيل فى هذه السنة زاد زيادة مغرطة ،
وعلا على الأعالي ، وتلف بزيادته المغرطة الدراوى
والأقصاب بقبلى ، وكذلك غرق مزارع الأرز
والسمسم والقطن وجنائن كثيرة بالبحر الشرقى ،
بسبب انسداد ترعة الفرعونية بتلك الناحية .

ولما تمموا تحرير الدفاتر على النسق المطلوب
— والباشا بقبلى — وأرسل بطلبها ليطلع عليها .
فسافر اليه بها المعلم غالى ، وأخذ صحبتة أحمد
أفندى اليتيم من طرف الروزنامة وعبد الله بكتاش
الترجمان ، فذهبوا اليه بأسويط وأطلعوه عليها ،
فختم عليها . وانقضى شهر رمضان .

شوال

الثلاثاء ١٣ منه (٢١ نوفمبر ١٨٠٩ م) :

حضر المعلم غالى وأحمد أفندى وبكتاش وغيرهم
من غيبتهم . وحضر أيضا فى أثرهم المعلم جرجس
الجوهري . وقد تقدم أنه خرج من صر هاربا
الى الجهة القبلىة واختفى مدة ، ثم حضر بأمان
الى الباشا ، وقابله وأكرمه . ولما حضر نزل فى
بيته الذى بحارة الوندليك ، وفرشه له المعلم غالى ،
وقام له بجميع لوازمه . وذهب الناس ، مسلمهم
ونصرانيهم ، وعالمهم وجاهلهم ، للسلام عليه .

الثلاثاء ٢٠ منه (٢٨ نوفمبر ١٨٠٩ م) :

وصل الباشا على حين غفلة الى مصر فى تطريدة ،

ذوالقعدة

غوته (٨ ديسمبر ١٨٠٩ م) :

حضر ابراهيم بيك ابن الباشا ، وباقي
العسكر ، وسكنوا الدور ، وأزعجوا الناس ،
وأخرجوهم من مساكنهم ومنازلهم ويولاق ومعر
وغيرها .

واتفق أن بعض ذوى المكر من العسكر
— عندما أراد السفر الى جهة قبلى — أرسل
لصاحب الدار ، التى هو غاصبها وساكن فيها ،
فأحضره وسلمه المفتاح ، وهو يقول له : « تسلم
يا أخى دارك واسكنها ، بارك الله لك فيها ، وساعنى
وأبرئ ذمتى ... فربما أنى أموت ولا أرجع ! » ،
ولأن الكثير منهم تولى المناصب والأمريات
بالجهة القبلية .

وعندما يتسلم صاحب الدار داره ، يفرح
بخلاصها ، ويشرع فى عمارتها واعادة ما تهدم
منها ، فيكلف نفسه — ولو بالدين — ويعمرها
فما هو الا أن تم العبارة والمرة فى مدة غيبتهم .
فما يشعر الا وصاحبه داخل عليه بحصانه وجبله
وخدمه ... فما يسع الشخص الا الرحلة ، ويتركها
لغيره . وقد وقع ذلك لكثير من الناس المغفلين !

وفيه : وصلت أخبار بأن عمارة الفرنساوية
نزلت الى البحر . وعدة مراكبهم مائتان ومسيمة
عشر مركبا محارين ، لا يعلم قصدهم أى جهة من
الجهات .. وحضر ثلاثة أشخاص من الططر المحدثين
لتوصيل الأخبار ، ويدهم مرسوم ، مضمونه :
الأمر بالتحفظ على الثغور . فعند ذلك أمر الباشا
بالاستعداد وخروج العساكر الى الثغور .

٨ منه (١٥ ديسمبر ١٨٠٩ م) :

سافر جملة من العسكر الى ناحية بحرى
فسافر كبير منهم ومعه جملة من العسكر الى

وقد وصل من أسبوط الى ناحية مصر القديمة فى
ثلاثين ساعة ، وصحبته ابنه طوسون وبونابارته
الخازندار وسليمان أغا ، الوكيل سابقا ، لا غير .
فركبوا حميرا متكرين حتى وصلوا الى القلعة من
ناحية الجبل ، وطلع من باب الجبل . وعند طلوعه
من السفينة ، أمر ملاحيا أن لا يذكروا لأحد
وصوله ، حتى يسموا ضرب المدافع من القلعة .
ثم طلع الى سرايته ودخل الى الحرم ، فلم يشعروا
به الا وهو بالحريم . وعند ذلك أمر بضرب المدافع ،
وأشيع حضوره . فركب كنفخا يبك وغيره مسرعين
للملاقاتة ، ثم بلغهم طلوعه الى القلعة ، فرجعوا على
أثره .

وكان الخواجا محمود حسن البزرجان خرج
للملاقاتة — قبل وصوله بثلاثة أيام — الى ناحية
الأنار ، وأخرج معه مطايخ وأغناما ، واستعد
لقدومه استعدادا زائدا ... وذهب تعب في الفارغ
البطال .

ثم بعد وصول الباشا بثلاثة أيام ، وصلت
طوائف العسكر وعظماهم ، ومعهم المنهوبات من
الغلال والأغنام والمقحم والحطب والقلل وأنواع
التمر وغير ذلك ، حتى أخشاب الدور وأبوابها .

الاثنين ٢٦ منه (٤ ديسمبر ١٨٠٩ م) :

وصل حسن باشا وطوائف الأرثوود وصالح
قوج والدلاة والترك ، ووصل أيضا شاهين بيك
الألفى ، وصحبته محمد بيك المنفوخ المرادى ،
ومحمد بيك الابراهيمى — وهم الذين حضروا فى
هذه المرة من المخالفين — وقيل ان البواقى أخذوا
مهلة لبعد التخضير . أما ابراهيم بيك تابع الأشقر ،
ومحمد أغا تابع مراد بيك الصغير ، وصحبتهم
عساكر ، فذهبا الى ناحية السويس بسبب وصول
طائفة من الريان ، قالوا انها من التابعة للوهايين ،
حضرُوا وأقاموا عند بئر الماء ، ومنعوا السقيا منها .

سكندرية ، وكذلك سافر خلفه الى رشيد ، والى دمياط وأبى قير والبرلس .

١٨ منه (٢٥ ديسمبر ١٨٠٩ م) :

ركب الباشا ليلا ، وخرج مسافرا الى السويس ليكشف على قلاع القلزم . وقام له بالاحتياجات — من أحمال الماء والعليق والزوادة واللوازم — السيد محمد المحروقى . وكان خروجه ومن معه على الهجن .

٢٤ منه (٢١ ديسمبر ١٨٠٩ م) :

حضر الباشا من السويس — وكان وصوله ليلا — وطلع الى القلعة .

ذراعجة

الاحد غرته (٧ يناير ١٨١٠ م) :

شرع الباشا فى انشاء مراكب لبحر القلزم . فطلب الأخشاب الصالحة لذلك ، وأرسل المعينين لقطع أشجار التوت والنبق من القطر المصرى القبلى والبحرى ، وغيرها من الأخشاب المطلوبة من الروم ، وجعل بساحل بولاق ترسحانة وورشات ، وجمعوا الصناع والتجارين والشاربين ، فهيئونها وتحمل أخشابا على الجمال ، ويركبها الصناع بالسويس سفينة ، ثم يلقطونها ويبيضونها ويلقونها فى البحر . فعملوا أربع سفائن كبار ، احداها يسمى « الأبريق » ، وخلاف ذلك داوات لحمل السفار والبضائع .

ومن الحوادث فى آخره : أن امرأة ذهبت الى عرصة الغلة بباب الشعيرة واشترت حنطة ، ودفعت فى ثمنها قروشاً . فلما ذهبت ، نظروها وتقدهوها ، فإذا هى من عمل الزغلية . ثم عادت بعد أيام فاشتريت الغلة ودفعت الثمن قروشاً أيضا فذهب البائع معها الى الصيرفى ، فوجدها مزغولة مثل الأولى فعلموا أنها الغريعة فقال لها الصيرفى : « من

أين لك هذا ؟ » فقالت : « من زوجى » . فقبضوا عليها وأنوا بها الى الأغا . فسألها الأغا عن زوجها فقالت : « هو عطار يسوق الأزهر » . فأخذها الأغا وحضر بها الى بيت الشيخ الشرقاوى — بعد العشاء — وأحضروا زوجها ، وسألوه فقال : « أنا أخذتها من فلان تابع الشيخ الشرقاوى » . فانقلع الشيخ وقال : « ان يكن هو ابنى .. فأنا برىء منه » . وطلبوه . فتغيب واختفى . وأخذ الأغا المرأة وزوجها وقررها ، فأقر الرجل ، وعرف عن عدة أشخاص يفعلون ذلك ، وفيهم من مجاورى الأزهر ، فلم يزل يتجسس ويتفحص ويستدل على البعض بالبعض ، وقبض على أشخاص ومعهم العدد والآلات ، وجسهم أيضا بالقلعة عند كتخدا ييك وفر ناس من مجاورى الأزهر من مصر ، لما قام بهم من الوهم .

وفى كل يوم يشاع بالتنكيل والتجريس للمقبوض عليهم ، وقتلهم ولم يزل الأغا يتجسس حتى جمعوا ستة عشر عدة ، وأرسلوها الى بيت محمد أفندى ناظر المهمات ، وسألوا الحدادين عن اصطنع هذه العدد منكم ، فأذكروا وجحدوا ، وقالوا : « هذا من صناعه الشام » . ثم كسروها وأبطلوها . وطال أمر المحبوسين ، والتفحص عن غيرهم فكان بعض المقبوض عليهم يعرف عن غيره أو شريكه .

فكانت هذه الحادثة من أشنع الحوادث ... خصوصا بنسبتها لخطبة الأزهر . فكان كل من اشترى شيئا ، ودفع الثمن للبائع قروشاً ، ذهب بها الى الصيرفى — لأن فى ذلك الوقت لم يكن موجودا بأندى الناس خلافتها — وكانوا يقولون فى ذهابهم الى الصيرفى . « ربما تكون أزهرية » ! ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم

واقضت السنة بحوادثها التي منها ما ذكر .
ومنها : احداث بدعة المكس على النشوق . وذلك
أن بعض المتصدرين من نصارى الأروام ، أنهى
الى كئخدا ييك أمر النشوق وكثرة المستعملين له
والدقاقين والباعة ، وأنه اذا جمع دقاؤه وصناعه
فى مكان واحد ، ويجعل عليهم مقادير ، ويلتزم به
ويضبط رجاله وجمع ماله وايصاله الى الخزينة ...
من يكون ناظرا وقيما عليه ، كغيره من أقلام
المكوس التي يعبرون عنها بالجمارك ، فانه يتحصل
من ذلك مال له صورة .

فلما سمع كئخدا ييك ذلك أنهاه الى مخدومه .
فأمر فى الحال بكتابة فرمان بذلك . واختار الذى
جعلوه ناظرا على ذلك خانا بخصة « بين الصوريين » .
ونادوا على جميع صناع النشوق وجمعوهم بذلك
الخان ، ومنعوهم من جلوسهم بالأسواق والخطط
المتفرقة ... والقيم على ذلك يشتري الدخان المعد
لذلك من تجاره بثمن معلوم حدده : لا يزيد على
ذلك ، ولا يشتريه سواه . وهو يبيعه على صناع
النشوق بثمن حدده ولا ينقص عنه . ومن وجده
باع شيئا من الدخان أو اشتراه ، أو سحق نشوقا
خارجا عن ذلك الخان — ولو لخاصة نفسه —
قبضوا عليه وعاقبوه وغرموه مالا .

وعينوا معينين لجميع القرى والبلدان القبلية
والبحرية ، ومعهم من ذلك الدخان ، فيأتون الى
القرية ويطلبون مشايخها ويعطونهم قدرا موزونا ،
ويلزمونهم بالثمن المعين بالمرسوم الذى يدهم .
فيقول أهل القرية : « نحن لانستعمل النشوق ولا
نعرفه ، ولا يوجد عندنا من يصنعه ، وليس لنا به
حاجة ، ولا نشترى به ولا تأخذ » . فيقال لهم : « ان
لم تأخذوه .. فهايتوا ثمنه » ! فان أخذوه أو لم
يأخذوه ، فهم ملزمون بدفع القدر المعين المرسوم ،
ثم كراء طريق المعينين وكلفتهم وعليق دوابهم !
ومنها أيضا : « النظرون » فرقوه وفرضوه على

القرى ، محتجين أيضا باحتياج الحياكة والقزاذين
اليه ، لغسل غزل الكتان وبياض قمائيه ونحو ذلك !
وأشنع من ذلك كله : أنهم أرادوا فعل مثل هذا
فى الشراب المسكر المعروف « بالعرقى » . والزام
أهل القرى بأخذه ودفع ثمنه — ان أخذوه أو لم
يأخذوه — قليل لهم فى ذلك فقالوا : « ان شربه
يقوى أبدانهم على أعمال الزرع والزراعة والحرث
والكد فى القطوة والنطالة والشادوف » . ثم بطل
ذلك .

ومنها : أن الباشا شرع فى عمل زلاقة تجاه باب
القلعة — المعروف بباب الجبل — موصلة الى أعلى
الجبل المقطم . فجمعوا البنائين والحجارين والصعفة
للعمل ، وحرقوا عدة قمينات للجير بجانب العمارة ،
وطواحين للجبس . ونودى بالمدينة على البنائين
والفعلة بأن لا يشتغلوا فى عمارة أحد من الناس ،
كأننا من كان ، ويجتمع الجميع فى عمارة الباشا
بالقلعة والجبل ، الى أن كمل عملها فى السنة التالية :
طريقا واسعا ، منحدرًا من الأعلى الى الأسفل ،
متدا فى المسافة ، سهلا فى الطلوع الى الجبل أو
الانحدار منه ، بحيث يجوز عليه الماشى والراكب
من غير مشقة ولا تعب كثير .

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر :

مات العلامة المفيد ، والنحرير الفريد ، المحقق
النبية : الشيخ ابراهيم ابن الشيخ محمد الحريرى
الحنفى ، مفتى مذهب السادات الحنفية كوالده .

تفقه على والده ، وحضر فى المعقولات على أشياخ
الوقت : كالبلى والدردير والصبان وغيرهم .

وأنجب وتمهر ، وصارت فيه ملكة جيدة ،
واستحضر للفروع الفقهية . ولما مات والده فى
شهر رجب سنة عشرين ومائتين وألف ، تقلد
منصب والده فى الافتاء . وكان لها أهلا مع التصريح

من التعلقات الديورية سوى النظر على ضريح
سيدى أبى السعود أبى العثائر .

ولم يتجراً على الفتيا ، مع أهليته لذلك وزيادة ،
ولم تطمح نفسه لزخارف الدنيا وسفاسف الأمور...
مع التجمل فى الملبس والمركب وإظهار الغنى ، وعدم
التطلع لما فى أيدي الناس . ويصدع بالحق
فى المجالس ، ولا يتردد الى بيوت الحكام
والأكابر ... الا فى النادر ، بقدر الضرورة ،
مع الأتفة والحشمة . ولا يشكو ضرورة ولا حاجة
ولا زمانا .

ولم يزل على حاله ، حتى مرض أياما ،
وتوفى ليلة الخميس حادى عشر ذى القعدة ، عن
أربع وثمانين سنة . وخرجوا بجنائزه من منزله
الكائن بدرب الحلفاء بالقرب من باب البرقية .
فبروا بالجنائزة على خطة الجمالية ، على النحاسين ،
على الأشرقية ، ودخلوا من حارة الخراطين الى
الجامع الأزهر ، وصلى عليه فى مشهد حافل . ودفن
على والده بتربة المجاورين .

وخلف من الأولاد الذكور أربعة رجال ذوي
لحي صلحاء ، وخطهم الشيب ، خلاف البنات ،
رحمه الله وغفا عنا وعنّه .

ومات الفقيه النبيه ، الصالح الورع ، العالم
المحقق : الشيخ أحمد ، الشهير ببرغوت ، المالكي .
ومولده بالبلدة المعروفة « باليهودية » بالبحيرة .

تفقه على أشياخ العصر ، ومهر فى الفقه
والمعقول . وأقرأ الدروس ، وانتفع به الطلبة ،
واشتهر ذكره بينهم ، وشهدوا بفضلّه . وكان على
حالة حسنة منجمعا عن الناس ، وراضيا بما قسمه
له مولاه ، متكسر النفس ، متواضعا . ولم يتزى
بعمامة الفقهاء ... يمشى فى حوائجه .

وتمرّض « بالزمالة » مدة سنين يتعكز بعصاه ،

والمراجعة فى المسائل المشككة ، والعفة والصيانة
والديانة ، والتباعد عن الأمور المخلة بالمرؤة .
مواطبا لوظائفه ودروسه ، ملازما لداره الا مادعته
الضرورة اليه من المواساة وحضور المجالس مع
أرباب المظاهر .

وكان مبتلى بضعف البصر ، وبآخرته اعتزاه داء
الباسور ، وقامى منه شدة ، وانقطع بسببه عن
الخروج من داره . ووصف له حكيم بدمياط فصار
اليه لأجل ذلك ، وقصد تغيير الهواء — وذلك
بإشارة نسيبه الشيخ المهدي — وقامى أهوالا فى
معالجته ، وقطعه بالآلة ... فلم ينجح .

ورجع الى مصر متزايدا الألم . ولم يزل ملازما
للفرش حتى توفى الى رحمة الله سبحانه وتعالى فى
يوم الاثنين ، تاسع عشر جمادى الأولى من هذه
السنة ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بمدرسة
الشعبانية بحارة الدويدارى ، ظاهر حارة كتامة
المعروفة الآن بالعينية بالقرب من الجامع الأزهر ،
وخلف ولده النجيب الأديب : سيدى محمد ، الملقب
عبد المعطى . بارك الله فيه وأعانه على وقته .

ومات الامام العلامة ، والعمدة الفهامة ، شيخ
الاسلام والمسلمين : الشيخ عبد المنعم ابن شيخ
الاسلام الشيخ أحمد العماوى المالكي الأزهرى .
وهو من آخر طبقة الأشياخ من أهل القرن الثانى .
تفقه على الشيخ الزهار وغيره من علماء مذهبه ،
وحضر الأشياخ المتقدمين : كالدفرى ، والحفنى ،
والصعيدى ، والشيخ سالم النفراوى ، والشيخ
الصباغ السكندرى ، والشيخ فارس .

وقرأ الدروس ، وانتفع به الطلبة . ولم يزل
ملازما على لقاء الدروس بالأزهر — على طريقة
المتقدمين — مع العفة والديانة ، والانجماع عن
الناس ، راضيا بحاله ، قانعا بمعبشته ، ليس يسده

ولم يقطع درسه ولا أماليه حتى توفي الى رحمة الله سبحانه وتعالى يوم الأربعاء خامس شهر صفر من السنة ، ودفن بترية المجاورين . رحمه الله .



ومات العمدة التحرير ، والنبييل الشهير : الشيخ سليمان الفيومي المالكي . ولد بانقيوم ، وحضر الى مصر ، وحفظ القرآن ، وجاور برواق القيمة بالأزهر .

وكان في أول عمره يمشى خلف حمار الشيخ الصفيدي ، وعليه دراعة صنوف وشملة صفراء . ثم حضر دروسه ودروس الشيخ الدردير وغيرهما . واختلط مع المنشدين — وكان له صوت شجي — فيذهب مع المتذكرين الى بيوت الأعيان في أليالي ، فينشد الانشادات ، ويقرأ الأعشار . فيعجبون به ويكرمونه زيادة على غيره .

واختلط ببعض الأعيان الذين يقال لهم « البروقية » من ذرية السلطان « برقوق » — وهم نظار على أوقافه — فراج أمره ، وكثرت معارفه بالأغوات الطواشية ، وبهم توصل الى نساء الأمراء والسعى في حوائجهم وقضاياهم ، وصار له قبول زائد عندهم وعند أزواجهن .

وتجمل بالملابس ، وركب البغال ، وأحدق به المحدثون . وتزوج بامرأة بناحية قنطرة الأمير حسين ، وسكن بدارها فمات فورثها .

ولما مات الشيخ محمد العقاد ، تعين المترجم لمشيخة رواق « القيمة » . وبني له محمد بيك ، المعروف بالمبدول ، دارا عظيمة بخارة عابدين . واشتهر ذكره ، وعلا شأنه ، وطار صيته .

وسافر في بعض مقتضيات الأمراء الى دار السلطنة ، وعاد الى مصر . وأقبلت عليه الهدايا من الأمراء والعريصات والأغوات والأقبساط وغيرهم . واعتنوا بشأنه وزوجته الست « زليخا »

زوجة ابراهيم بيك الكبير بنت عبد الله الرومي وتصرف في أوقاف أبيها ، ومنها عزب البر تجاه رشيد وغيرها ، فاشتهر بالبلاد القبلية والبحرية .

وكان — مع قلة بضاعته في العلم — مشاركا بسبب التداخل في القضايا . وكان كريم النفس جدا : يجود ، وما لديه قليل ، مع حسن المعاشرة والبشاشة والتواضع ، والمواساة للكبير والصغير ، والجليل والحقير . وطعامه مبذول للواردين ، ومن أتى الى منزله في حاجة أو زائرا ، لا يمكنه من الذهاب حتى يغديه أو يعشيه .

واذا أتاه مستترفا ، ولم يجد معه أشياء ... اقترض وأعطاه فوق مأموله ، ولا يبخل بجاهه وسمعه على أحد ، كائنا ما كان ، بعوض وبدونه .

ومما اتفق له مرارا ، أنه يركب من الصباح في حوائج الناس فلا يعود الا بعد العشاء الأخيرة ، فيلاقيه آخر — ذو حاجة — في نصف الطريق أو آخره ، فينهي اليه قصته : اما بشفاعة عند أمير ، أو خلاص مسجون أو غير ذلك . فيقف له ، ويستمع قصته ، وهو راكب ، فيقول له : « في غد نذهب اليه فان الوقت صار ليلا » فيقول صاحب الحاجة : « هو في داره في هذا الوقت » فيعود من طريقه مع صاحب الحاجة الى ذلك الأمير — ولو بعدت داره — ويقضى حاجته ، ويعود بعد حصة من الليل . وهكذا كان شأنه ، ولا ينتظر ولا يؤمل جمالة ولا أجرة نظير سعيه ، فان أتوه بشيء أخذه ، أو هدية قبلها — قلت أو كثرت — وشكرهم على ذلك . فمالت اليه القلوب ، ووفدت اليه ذوو الحاجات من كل ناحية . فلا يرد أحدا ، ويستقبلهم بالبشاشة ، وينزلهم في داره ، ويطعمهم ويكرمهم ، ويستمرون في ضيافته حتى يقضى حوائجهم ويؤدوهم ، ويرجعون الى أوطانهم مسرورين ، ومجبورين ، وشاكرين . ثم يكافئونه بما أمكنهم من المكافآت . واذا وصلت

اليه هدية ، وصادف وصولها حضوره بالمنزل ،
فرق منها على من بمجلسه من الحاضرين .
قبذلك انجذبت اليه القلوب ، وساد على أقرانه
ومعاصريه ، كما قيل :

يبدل وحلم ساد في قومه الفتى

وكونك إياه عليك يسير

ولما حضر حسن باشا الجزائر لي الى مصر ،
وارتحل الأمراء المصريون الى الصعيد ، وأجاط
بدورهم ، وطلب الأموال من نسائهم ، وقبض على
أولادهم وجواربهم وأمهات أولادهم ، وأنزلهم
سوق المزاد ... التجأ الى المترجم الكثير من
نساء الأمراء الكبار ، فأواهن ، وأجهد نفسه في
السعى في حمايتهن ، والرفق بهن ومواساتهن ، مدة
اقامة حسن باشا بمصر ، وبعدها في اماره اسمعيل
بيك .

فلما رجع أزواجهن — بعد الطاعون — الى
امارتهم ، ازداد قدر المترجم عندهم وقبوله ومحبة
ووجاهته ، واشتهر عندهم بعدم قبوله الرشوة ،
ومكارم الأخلاق والديانة والتورع . فكان يدخل
الى بيت الأمير ، ويعبر الى محل الحريم ، ويجلس
معهن ، وينسرون بدخوله عندهم ، ويقولون :
« زارنا أبونا الشيخ ... وشاورنا أبانا الشيخ ...
فأشار علينا بكذا ... » ونحو ذلك .

ولم يزل مع الجميع على هذه الحالة ، الى أن
طرقت الفرنساوية البلاد المصرية ، وأخرجوا منها
الأمراء . وخرج النساء من بيوتهن ، وذهبن اليه
أفواجا أفواجا حتى امتلأت داره وما حولها من
الدور بالنساء . فتصدى لهن المترجم ، وتداخل في
الفرنساوية ، ودافع عنهن . وأقمن بداره شهورا .
وأخذ أمانا لكثير من الأجناد المصرية وأحضرهم الى
مصر ، وأقاموا بداره ليلا ونهارا .

وأحبه الفرنسية أيضا ، وقبلوا شفاعاته ،
ويحضرون الى داره ، ويعمل لهم الولائم . وماس
أموره معهم ، وقرروا في رؤساء الديوان الذي
رتبوه لأجراء الأحكام بين المسلمين .

ولما نظموا أمور القرى والبلدان المصرية على
النسق الذي جعلوه ، ورتبوا على مشايخ كل بلد
شيخا ترجع أمور البلدة ومشايخها اليه ، وشيخ
المشايخ المترجم ، مضافا ذلك لمشيخة الديوان ،
وحاكمهم الكبير فرنساوى يسمى « ابريزون » .
فازدحت داره بمشايخ البلدان ، فيأتون اليه
أفواجا ، ويذهبون أفواجا . وله مرتب خاص خلاف
مرتب الديوان .

واستمر معهم في وجاهته الى أن انقضت أيامهم ،
وسافروا الى بلادهم . وحضرت العشائية والوزير .
والمترجم في عداد العلماء والمتصدرين : وافر
الحرمة ، شهير الذكر ، بميد الصيت ، مرعى
الجانب ، مقبول القول عند الأكابر والأصاغر .

ولما قتل خليل أفندى الرجائي الدفتردار
وكتخدا بيك في حادثة مقتل طاهر باشا ، التجأ اليه
أخو الدفتردار وخازن داره وغيرهما ، وذهبوا الى
داره ، وأقاموا عنده ... فحاهم وواساهم حتى
سافروا الى بلادهم .

ولم يزل على حالته حتى نزل به خلط بارد ،
فأبطل شقه ، وعقد لسانه ، واستمر أياما ، وتوفي
ليلة الأحد ، خامس عشر ذى الحجة ، وخرجوا
بعثازته من بيته بحارة عابدين ، وصلى عليه بالأزهر
في مشهد عظيم جدا مثل مشاهد العلماء الكبار
المتقدمين ، وربما كان جمع النساء خلفه ، كجمع
الرجال في الكثرة ، ووجدوا عليه ديونا نحو العشرة
آلاف ريال ، سامحه أصحابها . ولم يحلف من
الأولاد الا ابنتين . رحمه الله وسامحه ، وعفا عنا
وعنه آمين .

وسقطت منارة بسوس ، ونصف منارة بأم اخنان بالمنوفية ، وغير ذلك لانعلمه .

المستم

غرته (٦ فبراير ١٨١٠ م) :

وردت الأخبار من الديار الرومية بغلبة الموسكوب ، واستيلائهم على ممالك كثيرة . وأله واقع بإسلامبول شدة حصر وغلاء في الأسعار وتخوف . وأنهم يذيعون في الممالك بخلاف الواقع لأجل التطمين .

٥ منه (١٠ فبراير ١٨١٠ م) :

حضر ابراهيم أفندى القابجى ، الذى كان توجه الى الدولة من مدة سابقة ، وعلى يده مراسيم بطلب ذخيرة وغلال . وعملوا لقدمه شنكا ومدافع . وطلع في موكب الى القلعة .

وفيه : رجع ديوان أفندى من ناحية قبلى ، وصحبته أحمد أغا شويكار ، فأقاما بمصر أياما ، ثم رجعا بجواب الى الأمراء القبلين .

١٢ منه (١٨ فبراير ١٨١٠ م) :

في ليلته حصلت زلزلة عجيبة مزعجة ، وارتجت منها الجهات ثلاث رجات متواليات ، واستمرت نحو أربع دقائق . فانزعج الناس منها من منامهم ، وصار لهم جلبة وقلقة ، وخرج الكثير من دورهم هارين الى الأزقة يريدون الخلاص الى الفضاء .. مع بعده عنهم . وكان ذلك في أول الساعة السابعة من الليل . وأصبح الناس يتحدثون بها فيما بينهم . وسقط بسببها بعض حيطان ودور قديمة ، وتسفتت جدران ،

وفي عصره أيضا حصلت زلزلة — ولكن دون الأولى — فانزعج الناس منها أيضا ، وهاجوا ، ثم سكنوا ، ثم كثر لغط العالم بمعاودتها . فمنهم من يقول ليلة الأربعاء ، ومنهم من يقول خلافه ، وأنها تستمر طويلا . وأسندوا ذلك لبعض المنجسين . ومنهم من أسنده لبعض النصارى واليهود . وأن رجلا نصرانيا ذهب الى الباشا وأخبره بحصول ذلك ، وأكد في قوله وقال له : « اجسنى .. وأن لم يظهر صدقى ، اقتلنى » . وأن الباشا حبسه حتى يمضى الوقت الذى عنه ليظهر صدقه من كذبه . وكل ذلك من تخيلاتهم واختلاقاتهم وأكاذيبهم ، وما يعلم الغيب الا الله .

١٤ منه (١٩ فبراير ١٨١٠ م) :

أمر الباشا بالاحتياط على بيوت عظماء الأقباط : كالمعلم غالى ، والمعلم جرجس الطويل ، وأخيه ، وفلتىوس ، وفرانسيكو — وعدتهم سبعة — فأحضروهم في صورة منكرة ، وسمروا دورهم ، وأخذوا دفاترهم . فلما حضروا بين يديه ، قال لهم : « أريد حسابكم بموجب دفاتركم هذه » . وأمر بحبسهم . فطلبوا منه الأمان ، وأن يأذن لهم في خطابه . فأذن لهم . فخطبهم المعلم غالى ، وخرجوا من بين يديه الى الحبس . ثم قرر عليهم بواسطة حسين أفندى الروزفامجى سبعة آلاف كيس ، بعد أن كان طلب منهم ثلاثين ألف كيس .

١٨ منه (٢٣ فبراير ١٨١٠ م) :

شاع في الناس حصول زلزلة تلك الليلة — وهي ليلة الجمعة — ويكون ذلك في نصف الليل . فتأهب غالب الناس للطلوع بخارج البلد ، فخرجوا بنسائهم وأولادهم الى شاطئ النيل ببولاق ولواحي الشيخ قمر ، ووسط بركة الأزبكية ... وغيرها . وكذلك خرج الكثير من العسكر أيضا ، ونصبوا خياما في وسط الرميلة وقراميدان والقرافتين . وقاسوا تلك الليلة من البرد ما لا يكيف ولا يوصف ، لأن الشمس كانت ببرد الدلو ، وهو وسط الشتاء ، ولم يحصل شيء مما أشاعوه وأذاعوه وتوهموه . وتسلق العيارون والحرامية تلك الليلة على كثير من الدور والأماكن ، وفتشوها .

فلما أصبح يوم الجمعة كثر التشكى الى الحكام من ذلك . فتنادوا في الأسواق بأن لا أحد يذكر أمر الزلزلة ، وكل من خرج لذلك من داره ... عوقب . فانكفوا وتركوا هذا اللغط الفارغ .

وفيه : ظهر بالأزهر أنفار يقفون بالليل بصحن الجامع الأزهر . فاذا قام انسان لحاجته منفردا أخذوا ما معه ، وأشيع ذلك . فاجتهد الشيخ المهدي في الفحص والقبض على فاعل ذلك ، الى أن عرفوا أشخاصهم ونسبهم . وفيهم من هو من أولاد أصحاب المظاهر المتعمين . فستروا أمرهم ، وأظهروا شخصا من رفقائهم ليس له شهرة ، وأخرجوه من البلدة منفيًا ، ونسبوا اليه الفعال . وسينكشف ستر الفاعلين فيما بعد ، ويفتضحون بين العالم ... كما يأتي خبر ذلك في سنة سبع وعشرين .

وكذلك أخرجوا طائفة من القوادين والنسباء الفواحش ، سكنوا بحارة الأزهر ، واجتمعوا في

أهله . حتى ان أكابر الدولة وعساكرهم ، بل وأهل البلد والسوقة ، جعلوا سرهم ، وديدهم ذكر الأزهر وأهله ، ونسبوا له كل رذيلة وقبيحة . ويقولون : نرى كل موبقة تظهر منه ومن أهله . وبعد أن كان منبع الشريعة والعلم صار بعكس ذلك . وقد ظهر منه قبل الزغلية ، والآن الحرامية وأمور غير ذلك مخفية .

وفيه : طلب الباشا تمهيد الطريق الموصلة من القلعة الى الزلاقة ، التي أنشأها طريقا يصعد منها الى الجبل المقطم السابق ذكرها . وأراد أن يفرض على الأخطاط والحارات رجالا للعسل بعدد مخصوص ، ومن اعتذر عن الخروج والمساعدة ، يفرض عليه بدلا عنه ، أو قدرا من الدراهم يدفعها نظير البذل . وأشيع هذا الأمر ، واستحضر الأوباش على الطبول والزمر ... كما كانوا يفعلون في قضية عمارة محمد باشا خسرو . ثم ان الشيخ المهدي اجتمع بكتخدائيك ، وأدخل عليه وهما أن محمد باشا خسرو لما فعل ذلك لم يتم له أمر ، وعزل ولم تطل أيامه . ونحن نطلب دوام دولتكم ، والأولى ترك هذا الأمر . فتركوا ذلك ، ولم يذكروه بعد .

صفر

غرفته (٨ مارس ١٨١٠ م) :

قلد الباشا خليل أفندي النظر على الروزنامجي وكتابه ، وسماه كاتب الذمة — أى ذمة الميرى من الأيراد والمصرف — وكان ذلك عند فتح الطلب بالميرى عن السنة الجديدة ، فلا يكتب تحويل ولا تنبيه ولا تذكرة حتى يطلعوه عليها ، ويكتب عليها علامته . فتكدر من ذلك الروزنامجي وباقي الكتب . وهذه أول دميصة أدخلوها في الروزنامة ، وابتداء فضيحتها ، وكشف سرها ... وذلك بأغراء بعض الأفندية الخاملين . أنهى اليهم أن الروزنامجي ومن

معه من الكتاب يوفرون لأنفسهم الكثير من الأموال الميرية ، ويتوسعون فيها . وفي ذلك اجحاف بمال الخزينة . و خليل أفندي هذا كان كاتب الخزينة عند محمد باشا خسرو ، ولا يفوق من الشرب !

وفيه : طلب الباشا ثلاثة أشخاص من كتبة الأقباط ، الذين كانوا متقيدين بقياس الأراضي بالمنوفية ، وضربهم وجسهم ... لكونه بلغه عنهم أنهم أخذوا البراطيل والرشوات على قياس طين أراضي بعض البلاد ، وأنقصوا من القياس فيما ارتوى من الطين ... وهى البدعة التى حدثت على الطين الرى ، وسموها القياسة — وقد تقدم ذكرها غير مرة — وحررت فى هذه السنة على السكامل ، لكثرة النيل ، وعموم الماء الأرضى . على أنه بقى الكثير من بلاد البحيرة وغيرها شراقى بسبب عدم حفر الترع ، وجبس الجبوس ، وتجسين الجسور ، واشتغال الفلاحين والملتزمين بالقرض والمظالم وعجزهم عن ذلك .

• منه (١٢ مارس ١٨١٠ م) :

طلب الباشا كشف الأقاليم . وشرع فى تقرير فرضة على البلاد ، بما يقتضيه نظره ونظر كشف الأقاليم والمعلمين القبط . فقررروا على أعلاها ثمانين كيسا ، والأدنى خمسة عشر كيسا . ولم يتقيد بتحرير ذلك أحد من الكتبة الذين يحررون ذلك بدفاتر ويوزعونها على مقتضى الحال ، ولم يعطوا بالمقاسدير أوراقا للملتزمى الحصص ، كما كانوا يفعلون قبل ذلك .

فان الملتزم كان اذا بلغه تقرير فرضة ، ثدازك أمره ، وذهب الى ديوان الكتبة ، وأخذ علم القدر المقرر على حصته وتكفل بها ، وأخذ منهم مهلة بأجل معلوم ، وكتب على نفسه وثيقة وأبقاها عندهم . ثم يجتهد فى تحصيل المبلغ من فلاحيه .

وان لم يسعفوه فى الدفع ، وحولوا عليه الطلب ، دفعه من عنده ان كان ذا مقدرة ، أو استدانه ولو بالريا ، ثم يستوفيه بعد ذلك من الفلاحين شيئا فشيئا .. كل ذلك حرصا على راحة فلاحى حصته وتأمينهم واستقرارهم فى وطنهم ، ليحصل منهم المطلوب من المال الميرى ، وبعض ما يقتاتون به هم وعيالهم . وان لم يفعل ذلك ، تحول باستخلاص ذلك كاشف الناحية ، وعين على الناحية الأعوان بالطلب الحثيث ، وما يضاف الى ذلك من حق طرق المعينين وكلفهم .

وان تأخر الدفع ، تكرر الارسال والطلب على النسق المشروح . فيتضاعف لهم ... وربما ضاع فى ذلك قدر الأصل المطلوب وزيادة عنه مرة أو مرتين . والذى يقبضونه يحسبونه بالفرط — وهو فى كل ريال عشرة أنصاف فضة يسمنونها ديوانى — فيقبض المباشر عن الريال تسعين نصفا فضة ، ويجعل التسعين ثمانين ... وذلك خلاف ما يقرره فى أوراق الرسم من خدم المباشرين من كتبة القبط . فيتكشف حال الفلاح ، ويبيع ما عنده من الغلة والبهيمة ، ثم يفر من بلدته الى غيرها ، فيطلبه الملتزم ، ويبعث اليه المعينين من كاشف الناحية بحق طريق أيضا : فربما أداه الحال — ان كان خفيف اليمال والحركة — الى الفرار والخروج من الاقليم بالكلية !

وقد وقع ذلك حتى امتلأت البلاد الشامية والرومية من فلاحى قرى مصر ... الذين جلوا عنها وخرجوا منها ، وتغربوا عن أوطانهم من عظيم هول الجور .

واذا ضاق الحال بالملتزم ، وكتب له عرضا حاليا يشكو حاله أو حال بلده أو حصته وضعف حالها ويرجو التخفيف ، وتجاسر وقدم عرضا حاله الى الباشا ، يقال له : هات التقسيط ، وخذ ثمن حصتك أو بدلها . أو يعين له ترتيبا بقدر فائظها على بعض

تحت نظره — وكذلك قاعة الفضة . وجمر ك اللبان وغيره .

وفيه : وصلت الاخبار من البلاد الرومية والشامية وغيرها ، بوقوع الزلزلة في الوقت الذي حصلت فيه بصر ... الا أنها كانت أعظم وأشد وأطول مدة . وحصل في بلاد كريت اتلافات كثيرة . وهدمت أماكن ودورا كثيرة . وهلك كثير من الناس تحت الردم ، وخسفت أماكن ، وتكسر على ساحل مالطة عدة مراكب . وحصل أيضا باللاذقية خسف .

وحكى الناقلون : أن الأرض انشقت في جهة من اللاذقية . فظهر في أسفلها أبنية انخسفت بها الأرض قبل ذلك ثم انطبقت ثانيا 1

وفيه من الحوادث : ما وقع ببيت المقدس . وهو أنه لما احترقت القمامة الكبرى (كما تقدم ذكر خرقها في العام الماضي) عرضوا الى الدولة . فبرز الأمر السلطاني باعادة بنائها ، وعينوا لذلك أغا قابجي وعلي يده مرسوم شريف . فحضر الى القدس وحصل الاجتهاد في تشهيل مهمات العمارة ، وشرعوا في البناء على وضع أحسن من الأول ، وتوسعوا في مساحة جرمها ، وأدخلوا فيها أماكن مجاورة لها ، وأقنوا البناء اتفاقا عجيبا ، وجعلوا أسوارها وحيطانها بالحجر النحيت ، ونقلوا اليها من رخام المسجد الأقصى . فقام بمنح ذلك جماعة من الأشراف الينكجرية ، وشنعوا على الأغا المعين وعلي كبار البلدة ، وتعصبوا حماية للدين ، قائلين : « ان الكنائس اذا خربت لا يجوز اغادتها الا بأقاضيها ، ولا يجوز الاستلاء بها ولا تشييدها ، ولا أخذ رخام الحرم القدسي ليوضع في الكنيسة » ، ومانعوا في ذلك . فأرسل ذلك الأغا المعين الى يوسف باشا يعرفه عن المعارضين لأوامر الدولة . فأرسل يوسف باشا طائفة من عسكره في عدة وافرة ، فوصلوا من طريق « الغور » — وهو مسلك

الجهات المبرية من المكوس والجمارك التي أخذوها . فان سلم سنده وكان ممن يراعى جانبه ، حول الى بعض الجهات المذكورة صورة ، والا أهمل أمره . وبعضهم باعها لهم بما انكسر عليه من مال الفرض . وقد وقع ذلك لكثير من أصحاب الذمم المتعددة : انكسر عليه مقادير عظيمة ، فنزل عن بعضها ، وخصبوا له ثمنها من المنكسر عليه من الفرض ، وبقي عليه الباقي يطالب به . فان حدثت فرصة أخرى قبل غلاق الباقي ، وقعد بها ، وضمت الى الباقي ، وقصرت يده لمعجز فلاحيه ، واستدان بالربا من العسكر ... تضاعف الحال ، وتوجه عليه الطلب من الجهتين فيضطر الى خلاص نفسه ، وينزل عما بقي تحت يده كالأول . وقد يبقى عليه الكسر ويصبح فارغ اليد من الالتزام ومديونا . وقد وقع ذلك لكثير ... كانوا أغنياء ذوي ثروة ، وأصبحوا فقراء محتاجين من حيث لا يشعرون . ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وفيه : تحركت همم الأمراء المصريين القبطيين الى الحضور الى ناحية مصر ، بعد تردد الرسل والكتابات ، وحضور ديوان أفندي ورجوعه ، وحضور محمد بيك المنفوخ أيضا . وكل من حضر منهم أنعم عليه الباشا ، وأبسه الخلع ، ويقدم له التقادم ، ويعطيه المقادير العظيمة من الأكياس — وقصده الباطني صيدهم — حتى أنه كان أنعم على محمد بيك المنفوخ بالتزام جمر ك ديوان بولاق ، ثم عرضه عنه ستمائة كيس وغير ذلك .

وفيه : قلد الباشا نظر المهمات لصالح بن مصطفى كتخدا الرزاز . وثقلوا ورشة الحدادين و منافخهم وعددهم من بيت محمد أفندي طبل الودلى — المعروف بناظر المهمات — الى بيت صالح المذكور بناحية التبانة . وكذلك العربية وصناع الجلل والمدافع ، ونزعوا منه أيضا معمل البارود — وكان

موصول الى القدس ، قرب المسافة خلاف الطريق المعتاد — فدهموا الجماعة المعارضين على حين غفلة ، وحاصروهم في دير ، وقتلوه عن آخرهم — وهم نيف وثلاثون نفرا — وشيدوا القمامة ، كما أرادوا ، أعظم وأضخم منها كانت عليه قبل حرقها . فنسأل المولى السلامة في الدين .

ذوا بحجة

غرفته (٦ أبريل ١٨١٠ م) :

وصلت الأمراء المصريون القبالي الى ناحية بنى سويف ، وكثير من الأجناد الى مصر . وترددت الرسل ، وحضر ديوان أفندى ثم رجع ثانيا اليهم . وفيه : أمر الباشا الكتاب بعمل حساب حسين أفندى الروزنامجى عن الستين الماضيتين — وهما سنة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين — وذلك باغراء البنض منهم فاستمروا في عمل الحساب أياما . فزاد لحسين أفندى مائة وثمانون كيسا . فلم يعجب الباشا ذلك ، واستخوهم في عمل الحساب ، ثم ألزمه بدفع أربعمئة كيس . وقال : « أنا كنت أريد منه ستمائة كيس ، وقد سامحته في مائتين في نظير الذى تأخر له ا » .

وطلع في صباحها الى الباشا ، وخلع عليه قسوة باستقراره في منصبه ، ونزل الى داره . فلما كان بعد الغروب ، حضر اليه جماعة من العسكر في هيئة مزعجة ، ومعهم مشاعل ، وطلبوا الدفاتر وهم يقولون : « معزول .. معزول » ! وأخذوا الدفاتر وذهبوا ، وحولوا عليه الحوالات بطلب الأربعمئة كيس فاجتهد في تحصيلها ودفعا ثم ردوا له الدفاتر ثانيا .

وفيه : حصلت كاتبة أحمد أفندى المعروف باليتيم من كتاب الروزنامة وذلك أن الباشا كان بيت الأريكية ، فوصل اليه مكتوب من كاشف اقليم

الدقهلية ، يعرفه فيه أنه قاس قطعة أرض جارية في اقطاع أحمد أفندى المذكور ، فوجد مساحتها خلاف المقيد بدفتر المقاس الأول ، ومسقوط منها نحو الخمسمائة فدان ، وذلك من فعل المذكور ومخامرته مع النصارى الكتبة والمساحين ، لأنهم يراغونه ويدلسون معه لأن ذفاتر الروزنامة بيده . فلما قرأ المكتوب ، أمر في الحال بالقبض على أحمد أفندى وسجنه — وكان السيد محمد المحرقى حاضرا ، وكذلك على كاشف الكبير الألفى — فترجيا عند الباشا ، وأخبراه بأن المذكور مريض بالسرطان في رجله ولا يقدر على حركتها ، واستأذنه السيد المحرقى بأن يأخذه الى داره ، فان داره باب من أبوابه . فأجابه الى ذلك . وركب في الحال ولحق بالمعينين ، وكانوا قد وصلوا اليه وأزعجوه ، فمنعهم عنه وأخذه الى داره ، وراجع الباشا في أمره ، فقرر عليه ثمانين كيسا بعد أن قال : « انى كنت أريد أن أقول ثلثمائة كيس ، فسبق لسانى فقلت مائة كيس ! وقد تجاوزت لأجلك عن عشرين كيسا ، وهو يقدر على أكثر من ذلك لأنه يفعل كذا وكذا » . وعدد أشياء تدل على أنه ذو غنية كبيرة ، منها : أنه لما سافر الى الباشا بدفتر الفرضة الى ناحية أسيوط ، طلع الى البلدة في هيئة وصحبته فرش وسحائر وبشخانات وكرارات وفراشون وخدم وكيلارجية ومضاحجية والحكيم والمزين . فلما شاهد الباشا هيئته ، سأل عنه وعن منصبه ، فقبل له : انه جاجرت من كتبة الروزنامة فقال : « اذا كان جاجرت (بمعنى تلميذ) ، فكيف يكون باش جاجرت أو قلفاوات الاقليم ، فضلا عن كبيرهم الروزنامجى ، وأى شيء ذلك ا » . وأسر ذلك في نفسه ، وطفق يسأل ويتجسس عن أحوالهم . لأنه من طبعه الحقده والخسد ، والتطلع لما في أيدي الناس . ولما قلد خليل أفندى كتابة الذمة في الروزنامة ،

وذهب اليهم مصطفى آغا الوكيل ، وعلى كاشف الصابونجي ، وديوان أفندي ، ثم الباشا ، ثم في أثرهم طوسون ابن الباشا . وقدم له ابراهيم بيك تقادم ، وأقام بوطاقه أياها ثم رجعوا . وكثر ترداد المراسلات والاختلافات في أمر الشروط .

٥ منه (١٠ مايو ١٨١٠ م) :

حضر عثمان بيك يوسف ، وصحبته صنيق آخر ، فطلعا الى القلعة وقابلا الباشا . ثم رجعا وحضرا في ثاني يوم كذلك . فخلع عليهما خلعا وأعطاهما أكياسا ، وأرسل الى ابراهيم بيك هدايا ، والى سليم بيك المحرمجي المرادى أيضا .

١١ منه (١٦ مايو ١٨١٠ م) :

وصل الجميع الى الجيزة ، ونصبوا وطاقهم خارج الجيزة ، وصحبتهم عربان وهواة كثيرة ، وانتظروا أن الباشا يضرب لحضورهم مدافع . فلم يفعل . وقال ابراهيم بيك : « سبحان الله ! ما هذا الاحتقار ؟ ألم أكن أمير مصر نيفا وأربعين سنة ، وتقلدت قائممقامية ولايتها ووزارتها مرارا ، وبآخره صار من أتباعي ، وأعطيه خرجة من كلاري .. ثم أحضر أنا وباقي الأمراء على صورة الصلح ، فلا يضرب لنا مدافع ... كما يفعل لحضور بعض الافرنج » ! وتأثر من ذلك .

وأشيع في الناس تعدية الباشا من الغد للسلام على ابراهيم بيك فلم يثبت . وظهر أنه لم يفعل ، وأصبح مبكرا الى شبرا وجلس في قصره . وحضر اليه شاهين بيك الألفى في سفينة ، ووقع بينهما مكالمات ، ورجع من عنده عائدا الى الجيزة منفعل الخاطر . ثم ان الباشا أعرض عساكره . فاجتمع اليه الجميع وبدأ اللفظ وكثرت اللقطة .

وعندما وصل شاهين بيك الى الجيزة ، أزر حريمه ، وأركبهن وأرسلهن الى الفيوم ، ونقل

كما تقدم ، انضم اليه الكارهون للمذكور ، الذين كانوا خاملين الذكر بوجوده ، وتوصلوا الى باب الباشا وكتخدا بيك ، وأنها فيه أنه يتصرف في الأموال الميرية كما يختار ، وأن حسين أفندي الروزنامجي لا يخرج عن مراده وإشارته ، وبينته مفتوح للضيفان ، ويجتمع عنده في كل ليلة عدة من الفقراء ، يثرد لهم الشريد في القصاع ، ويواسي الكثير من أهل العلم وغيرهم ، ويتعهد بكثير من الملتزمين بالعرض التي تقرر على حصصهم ، ويضمها في حسابه ، ويصبر عليهم حتى يوفوها له في طول الزمن ونحو ذلك . وكل ما ذكر دليل على سعة الحال والمقدرة . وأما الذنب الذي أخذه به ، فان القدر المذكور من الطين كان من الموات . فاتفق المذكور مع شركائه ملتزمي الناحية ، وجرفوه وأحيوه وأصلحوه — بعد أن كان خرسا ومواتا لا ينتفع به — وجعلوه صالحا للزراعة . وظن أن ذلك لا يخل في المساحة فأسقطه منها فوقع له ما وقع ، وأسقطوا اسمه من كتاب الروزنامة ، ومنعوه منها ، واقطع في داره وزاد به ألم رجله . وفيه : انحرف أيضا الباشا على الخواجا محمود حسن ، وعزله من الجمارك والبزرجانية ، وأكل عليه المطلوب له وهو مبلغ ألفان وخمسون كيسا .

ربيع الآخر

غرة (٦ مايو ١٨١٠ م) :

وصلت الأخبار من البلاد الحجازية بنزول سيل عظيم ، حصل منه ضرر كثير ، وهدم دورا كثيرة بمكة وجدة ، وأتلف كثيرا من البضائع للتجار ... حكوا أنه هدم بمكة خاصة ستمائة دار . وكان ذلك في شهر صفر .

وفيه : وصل الأمراء المصريون الى ناحية الرق ، وأوائلهم وصلوا الى دهشور . وخرج اليهم الأتباع بالملاقة من ييوتهم ، وأجابهم

والبهنسا ، مما هو تحت حكمه ، ويراعى جانبه الى الغاية » .

فقال له ابراهيم بيك : « نعم ... انه فعل مع شاهين بيك ما لا تفعله الملوك ، فضلا عن الوزراء . وليس ذلك لسابق معروف فعله شاهين بيك معه ليستحق به ذلك ، بل هو لغرض سوء يكمنه في نفسه وشبكة يصطاد بها غيره . فانتا سبرنا أحواله وخيائته ، وشاهدنا ذلك في كثير ممن خدموه ونصحوا معه ، حتى ملكوه هذه المملكة » .

قال : « ومن هم ؟ » . قال : « أولهم مخدومه محمد باشا خسرو ، ثم كنتخده وخازلداره عثمان أغا جنج ، الذي خامر معه وملك مع أخيه المرحوم طاهر باشا القلعة ، وأحرق سرايته ، ثم سلط الأتراك على طاهر باشا حتى قتلوه في داره .

» وأظهر موالاتنا وصداقتنا ومساعدتنا ، وصبر نفسه من عسكرنا ، واتحد بعثمان بيك البرديسى ، وأظهر له خلوص الصداقة والأخوة ، وعاهده بالايمان حتى أغراه على على باشا الطرابلسى ، وجرى ما جرى عليه من القتل ، ونسب ذلك اليه . ثم اشتغل معه على خيائته لأخيه الألقى وأتباعه . ثم سلط علينا العساكر بطلب العلوفة ، وأشار على عثمان بيك بطلب المال من الرعية حتى وقع لنا ماوقع ، وخرجنا من مصر على الصورة التى خرجنا عليها . ثم أحضر أحمد باشا خورشيد وولاه وزيرا ، وخرج هو لمحاربتنا . ثم اتضح أمره لأحمد باشا ، وأراد الايقاع به ، فعجل العود الى مصر ، وأوقع بينه وبين جنده حتى نفروا منه وناذبوه .

» وألقى الى السيد عمر والقاضى والمشايع أن أحمد باشا يريد الفتك بهم . فهيجوا العامة والخاصة ، وجرى ما جرى من الحروب ، وحرق الدور . وبذل السيد عمر جهده في النصيح معه ، بما يظهره له من الحب والصداقة ، وراجت عليه أحواله ، حتى تمكن

متاعه وفيرشه من قصر الجيزة في بقية اليوم ، وكسر المراتى وزجاج الشبايك التى في مجالسه الخاصة ... ثم ركب في طوائفه وأتباعه ، وخشداشينه ومماليكه ، وذهب الى عرضى اخوانه وقبيلته ، ونصب خيامه ووطاقه بحذائهم ، واجتمع بهم وتصافى معهم . وقد كان حضر اليه عبد الرحمن بيك تابع عثمان بيك المرادى المعروف بالطنبرجى ، وحول دماغه ، واتفق معه على الانضمام اليهم والخروج عن الباشا . ففعل ما فعل ، وجعلوه رئيس الأمراء المرادية .

وفي ذلك اليوم : عدى حسن باشا ، وصالح أغا قوج الى بر الجيزة . وذهبا الى عرضى الأمراء ، وسلموا عليهم ، وتغديا عند شاهين بيك ، وجرى بينهما وبين ابراهيم بيك كلام كثير . وقال له حسن باشا : « انكم وصلتكم الى هنا لتتمام الصلح على الشروط التى حصلت بينكم وبين الباشا ، والاتفاق الذى جرى بأسيوط ، ويكون تمامه عند وصولكم الى الجيزة واجتماعكم ... وقد حصل » . فقال له ابراهيم بيك : « وما هى الشروط ؟ » . قال : « هى أن تسخلوا تحت حكمه وطاعته ، وهو يوليكم المناصب التى تريدونها ، بشرط أن تقوموا بدفع الفرض التى يقررها على النواحى ، والغلال الميرية والخراج ، وتعين من يريده منكم صحبة العساكر الموجهة الى البلاد الحجازية لفتح الحرمين ، وتكونوا معه أمراء مطيعين ، وهو يعطيكم الأسريات والانعامات الجزيلة ، ويعمر لكم ما تريدونه من الدور والقصور التى لكم ولأتباعكم على طرفه ... لا يكلفكم بشيء من الأشياء . وقد رأيتم وسعتم ما فعله من الاكرام والانعام على شاهين بيك ، وما أعطاه من الممالك والجوارى الحسان ، وشفاعاته عنده لا ترد ، وأطلق له التصرف فى البر الغربى من رشيد الى اليوم الى بنى سويف

فقال حسن باشا : « حاشا لله .. لم يكن ذلك ،
ودائما يقول والدنا ابراهيم بيك ، ولكن لا يخفاكم
أن الله أعطاه ولاية هذا القطر — وهو يؤتى الملك
من يشاء — ولا ترضى نفسه من يخالف عليه ، أو
يشاركه بالقهر والاستيلاء . فإذا صار الصلح ،
ووقع الصفا ، أعطاكم فوق مأمولكم » . فهر
ابراهيم بيك رأسه وقال : « صحيح يكون خيرا » .
وانقض المجلس ، ورجع حسن باشا وصالح قوج ،
وعديا الى بر مصر .

وفي تلك الليلة : خرج جميع من كان بمصر من
الأمراء والأجناد المصرية بخيلهم وهجنهم ومتاعهم ،
وعدوا الى بر الجيزة ، ولم يبق منهم الا القليل ،
 واجتمعوا مع بعضهم ، وقسموا الأمر بينهم ثلاثة
أقسام : قسم للراية وكبيرهم شاهين بيك ، وقسم
للمحمدية وكبيرهم على بيك أيوب ، وقسم
للإبراهيمية وكبيرهم عثمان بيك حسن . وكتبوا
مكاتبات وأرسلوها الى مشايخ العربان ... لم أقف
على مضمونها .

١٤ منه (١٩ مايو ١٨١٠ م) :

أوقصوا عساكر على أبواب المدينة يمنعون
الخارجين من البلد حتى الخدم ، ومنعوا التعدية
الى البر الغربى ، وجمعوا المراكب والمعادى الى البر
الشرقى ، ونقلوا البضائع التى فى مراكب التجار
المعدة لسفر رشيد ودمياط ، المعروفة بالزواجل ،
وأخذوها اليهم ، وشرعوا فى التعدية بطول يوم
الجمعة والسبت .

وعدى الباشا آخر النهار ، ودخل الى قصر
الجيزة الذى كان به شاهين بيك ، وكذا عدوا
بالخيام والمدافع والعربات والأنتقال . واجتمعت
طوائف العسكر من الأتراك والأرنؤود والدلاة
والسجبان بالجيزة ، وتحققت المفاصة ... والأمراء
المصرية خلف السور فى مقابلتهم ، واستمروا على

أمره ، وبلغ مراده ، وأوقع به ما أوقع ، وأخرجه
من مصر ، وغربه عن وطنه ، ونقض العهد
والمواثيق التى كانت بينه وبينه .. كما فعل بعض
بيك وغيره . وكل ذلك معلوم ومشاهد لىكم
ونغيركم ... فمن يأمن لهذا ، ويعقد معه صلحا ؟ !

« واعلم ، يا ولدى ، أننا كنا بمصر نحو العشرة
آلاف أو أقل أو أكثر : ما بين مقدمى ألوف وأمراء
وكشاف ، وأكابر وجاقات ، ومماليك وأجناد ،
وطوائف وخدم وأتباع ... مرفهى المعاش
بأنواع الملاذ ، كل أمير مختص ومعتكف باقطاعه ،
مع كثرة مصارفنا وانعاماتنا على أتباعنا ومن ينتسب
اليينا . وأسسطة الجميع ممدودة فى الأوقات
المعهودة ، ولا نعرف عسكرا ولا علوفة عسكر .
والقرى والبلاد مطمئة ، والفلاحون ومشايخ
البلاد مرتاحون فى أوطانهم ، ومضايقتهم مفتوحة
للواردين والضيفان ... مع ما كان يلزم علينا من
المصارف الميرية ومرتبات الفقراء وخزينة السلطان ،
وصرة الحرمين والحجاج وعوائد العربان ، وكلف
الوزراء المتولين والأغاوات ، والقبالجية المعينين
وخدمهم ، والهدايا السلطانية وغير ذلك .

« وأفندينا ماكفاه ايراد الاقليم ، وما أحدثه من
الجمارك والمكوس ، وما قرره على القرى والبلدان :
من فرض المال والغلال والجمال والخيول ، والتعدى
على الملتزمين ، ومقاسمتهم فى فائضهم ومعاشهم .
وذلك خلاف مصادرات الناس والتجار فى مصر
وقراها ، والدعاوى والشكاوى ، والتزايد فى
الجمارك ، وما أحدثه فى الضريبة من ضرب
القروش النحاس ، واستغراقها أموال الناس ...
بحيث صار ايراد كل قلم من أقلام المكوس ، بإيراد
اقليم من الأقاليم ، ويخل علينا بما تتعيش به نحن
وعيالنا ومن بقى معنا من أتباعنا ومماليكنا ، بل
وقصده سيدنا وهلاكنا عن آخرنا » .

ذلك الى ثانى يوم ، والناس متوقعون حصول الحرب بين الفريقين . ولم يحصل .
وانتقل المصرية وترفعوا الى قبلى الجزيرة بناحية دهشور وزنين .

١٧ ، ١٨ منه (٢٢ ، ٢٣ مايو ١٨١٠ م) :

أنفق الباشا على العسكر ، وكان له مدة شهر لم ينفق عليهم .

١٨ منه (٢٣ مايو ١٨١٠ م) :

ركب الباشا ليلا وسافر الى ناحية كرداسة على جرائد الخيل ، ورجع فى ثانى ليلة . وكان سبب ركوبه : أنه بلغه أن طائفة من العربان مارون يريدون المصرية ، فأراد أن يقطع عليهم الطريق ، فلم يجد أحدا ، وصادف نجما مقيمين فى محطة ، فذهب مواشيهم ، ورجع متعبا ، واقتطع عنه أفراد من العسكر ، ومات بعضهم من العطش .

٢١ منه (٢٦ مايو ١٨١٠ م) :

ارتحل المصرية ، وترفعوا الى ناحية جزر الهوا بالقرب من الرقق .

وفيه : حضر مشايخ عربان أولاد على للباشا . فكساهم وخلع عليهم ، وألبسهم شالات كشميرى



مشايخ العربان

عدتها ثمانية شالات ، وأنعم عليهم بمائة وخمسين كيسا . وحضر عند المصرية عربان الهنادى ومشايخهم وانضموا اليهم .

٢٢ منه (٢٨ مايو ١٨١٠ م) :

عدى الباشا الى بر مصر ، وذهب الى يته بالأزبكية ، فبات به ليلتين ، ثم طلع فى يوم الثلاثاء الى القلعة ، وقد تكدر طبعه من هذه الحادثة بعد أن حصلوا بالجزيرة ، وكاد يتم قصده فيهم ، وخضوصا ما فعله شاهين بيك الذى أنفق عليه ألوف من الأموال ، ذهبت جميعها فى الفارغ البطال .

وفى هذه الأيام — أعنى منتصف شهر بشنس القبطى — زاد النيل زيادة ظاهرة ، أكثر من ذراع ونصف ، واستمر أياما . ثم رجع الى حاله الأول . وهذا من جملة عجائب الوقت !

جمادى الأولى

غريته (٤ يونية ١٨١٠ م) :

عمل الباشا ميدان رماحة بالجزيرة ، فتقنطر به الحصان ووقع به الأرض ، فأقاموه . وأصيب غلام من مماليكه برصاصة فمات . ويقال ان الضارب لها كان قاصد الباشا ، فأخطأته ، وأصاب ذلك المملوك .. والأجل حصن .

وفيه : نهوا على العسكر بالخروج . فسمعوا بالجد والمجلة فى قضاء أشغالهم ولوازمهم ، وطفقوا يخطفون حمير الناس وجمالهم ، ومن يصادفونه ويقدررون عليه من أهل البلد وخلافهم ، ويقولون : « فى غد مسافرون وراحلون لمحاربة المصريين » . والمصريون أيضا مسترون فى منزلتهم لم ينتقلوا عنها .

٥ منه (٨ يونية ١٨١٠ م) :

خرج حسن باشا ، وبرز خيامه بناحية الآثار .

« أن السلاح عندنا من قديم وله مدد ، ورؤيته تدل على ذلك . وأما الخيول فمنها أربعة أحضرتها هدية لأفندينا ، وجاءت ضعيفة فأبقيتها عندي حتى تتقوى وأقدمها اليه ، والحصان الخامس اشتريته لنفسى من رجل عميلنا اسمه عطوان أحمد من أهالى كفر حكيم ، أخبرنى أنه اشتراه من ناحية صول ، ولما رأيت فيه علامات الجودة — وجاءت الأربعة خيول — تركت ركوبه وأبقيته معها حتى أقدم الجميع لأفندينا

فمعد ذلك توجه محمد أفندى طبل للبasha وقهقهه براءة ذمة المذكور ، وأخبره بما صار وما وجدوه ، وما قاله المذكور . وسعى فى إزالة هذه التهمة عنه ، وعرفه أن هذا الرجل مستقيم الأحوال ، وأنه من وقت توظيفه معه لم ينظر عليه ما يخالف وصدق عليه الحاضرون .

فلما ظهر للبasha كذب التهمة ، وتحقق براءته ، وأنه أحضر هذه الخيول هدية له ، أمر بإطلاقه من السجن ، واسترجاع ما نهبت الأعداء من منزله ، وتخليق عليهم بسبب ذلك . ثم أمر باحضاره واحضار الخيول المهدة له ، فقبلها منه . ثم سأله عن علامات الجودة وما يحمى فى الخيل وما يذم فيها . فأجابته بأجوبة مفيدة استحسنتها . فأنعم عليه ، وضاعف مرتبه ، وأحال عليه نظر مشترى الخيول .

وفيه : وصلت الأخبار بأن حسن باشا وصالح قوچ وعابدين بيك وعساكر الأرثوود وصلوا الى ناحية صول والبرنبل ، فوجدوا المصريين جعلوا متاريس ومدافع على البر لينموا مرور المراكب . فحاربوهم حتى أجلوهم عنها ، وملكوا المتاريس ، وقتل رجل من الأجناد — وهو الذى كان محافظا على المتاريس — يقال له ابراهيم أغا ، سقط به الجرف الى البحر ، فأخذوه اليهم ومعه آخسر .

وخرج أيضا محو بيك بمسكركه وطوائفه ، ومعههم ييارق . وسافر جملة عساكر فى المراكب ليرابطوا فى البنادر ، فانها خالية ليس بها أحد من المصريين . وفى كل يوم يخرج عساكر ثم يرجعون الى المدينة وهم مستنديمون على خطف الدواب ، وحمير البطيخ وجمال السقائن . والبasha يعمدى الى بر مصر فى كل يومين أو ثلاثة ، ويطلع الى القلعة ثم يعود الى مخيمه فى الجيزة . وامتنع سفر المسافرين قبلى وبحرى .

١٧ منه (٢٠ يونية ١٨١٠ م) :

بلغ البasha أن الأمراء المرادية والابراهيمية وغالب المصرية لهم مراسلات ومعاملات مع السيد سلامة النجارى وأخيه وابن أخيه ، وأنه يرسل لهم جميع ما يلزم ، من أسلحة وأمتعة وخلافها ، بواسطة بعض عملائهم من العربان خفية ، وأنه اشترى جملة أسلحة وخيول وثياب وغيرها ، وأخذ أشياء من بيوت بعضهم لأجل أن يرسل الجميع اليهم ، وأن جميع ذلك موجود عند المذكور الآن ... ومن جملة أيام حضر مرسل من عندهم بدرامهم ومعه حصان نعبان بيك وهو عنده أيضا . فأمر بجلبه وجبسه ، وهجم منزله ، وضبط أوراقه وضبط ما يوجد بها . ففعلوا ذلك ، وجبسوا معه ابن أخيه وأزعجوهما ، وهجموا منزله فوجدوا فيه خمسة خيول وجملة أسلحة . فطغوا وبغوا ، ونهبوا متاعه ، وبددوا شمل كتب أبيه ، ولم يجدوا مكاتبات من الأمراء القبالي ولا أثر لذلك ، بل انهم وجدوا جوابا من أخيه السيد أحمد . مضمونه : أننا عند وصولنا الى مكة المشرقة اشترينا أربعة خيول نجدية ، بها العلامات التى أفدتونا عنها ، وهى مرسولة لكم عسى أن تفوزوا بتقديمتها لأفندينا .

ولما مثل عن الأسلحة والخيول التى عنده قال :

٢٠ منه (٢٣ يونية ١٨١٠ م) :

ظهر التفاشل بين الأمراء المصريين ، وتبين أن الذين كانوا عدوا الى البر الشرقى ، هم ثلاثة أمراء من الألفية وهم : نعمان بيك ، وأمين بيك ، ويحيى بيك . وذلك أنهم لما تصالحوا مع الباشا ، وأميرهم شاهين بيك ، وهو الرئيس المنظور اليه ، ومطلق التصرف فى معظم البر الغربى والقيوم ... يتحكم فيهم ، وفى طوائف العربان ، وأهالى البلاد والفلاحين بما يريد ، وكذلك أموال المعادى ، بناحية الاخصاص وانابة والخيرى وغير ذلك — وهو شئ له قدر كبير — وزاد فيهم أيضا أضعاف المعتاد . فياخذ جميع ذلك ويختص به ... وذلك خلاف انعامات الباشا عليه بالئين من الأكياس ، ويشترى الممالك والجوارى الحصان ولا يدفع لهم ثمنًا . فيشكون الى الباشا ، فيدفعه الى السيرجية من خزنته وهو منشرح الخاطر ...

وأخوانه يتأثرون لذلك وتأخذهم الغيرة ، ويطمعون فى جانبه ، وهو يقصر فى حقهم ، ولا يعطيهم الا النزر ... مع المن والتضجر . وفيهم من هو أقدم منه هجرة ، ويرى فى نفسه أنه أحق بالتقدم منه . ولما دنت وفاة أستاذهم ، أحضر شاهين بيك وسلمه خزنته ، وأوصاه بأن يعطى لكل أمير من خشداشينه سبعة آلاف مشخص ، ولم يعطهم وطلق كلما أعطاهم شيئًا ، حسبه عليهم من الوصية ... حتى اذا أعطى اليك والبش لنعمان بيك مثلاً ، يعطيه له أنقص من بنش أمين بيك نصف ذراع ، ويقول : هو قصير القامة ! ونحو ذلك . فيحقدون عليه ، ويتشكون من خسته وتقصيره فى حقهم ، ويعلم الباشا ذلك .

فلما نقض شاهين بيك عهده ، وانضم الى المخالفين — وخشداشينه المذكورون معه بالتنافر القلبى — راسلهم الباشا سرا . ووعدهم ومناهم بأنهم اذا حضروا اليه ، وفارقوا شاهين بيك الخائن المقصر فى

وقتلوهما ، وقطعوا رؤوسهما ، وأرسلوهما صحبة المبشرين الى الباشا . فعلقوا الرأسين بباب زويلة . ولما بلغ الأمراء المصريين أخذ المتاريس ، تأهبوا وساروا من أول الليل — وهى ليلة السبت رابع عشره — مكنين وكاتمين أمرهم ، فدهموا الأرثوود من كل ناحية . فوقع بينهم مقتلة عظيمة . وأخذوا منهم عدة بالحياة ، وأخذوا منهم أشياء . ركان حسن باشا وأخوه عابدين بيك صعدا بمراكبهما الى قبلى المتاريس ، فاحترق من مراكب أخيه مركب ، وألقى من فيها بأنفسهم الى البحر : فمنهم من نجا ، ومنهم من غرق . وأما مراكب حسن باشا فانه ساعدها الريح أيضا فسارت الى ناحية بنى سويف . ثم ان المصريين عدى منهم طائفة الى شرق أطيح ، وانتقل بواقيتهم راجعين الى ناحية الجيزة ... قريبا من عرضى الباشا .

١٩ منه (٢٢ يونية ١٨١٠ م) :

عدى الباشا الى بر مصر ، وطلع الى القلعة . فلما كان الليل ، وصل طائفة من المصريين الى المرباطين لخرقة عرضى الباشا ، وأختاطوا بهم وساقوهم اليهم فانزعج العرضى وحصل فيهم غاغة .. فأرسل طوسون باشا الى آبيه . فركب ونزل من القلعة فى سادس ساعة من الليل ، وعدى الى البر الغربى . ومما سمعته : أن الباشا عندما نزل المدينة ، وسار بها فى البحر ، سمع واحدا يقول لآخر : « قدم حتى تقتل المصريين ونبدد شملهم » ويكرر ذلك .. فأرسل الباشا مركبا ، وأرسل بعض اتباعه بها لينظروا هذين الشخصين ، ولأى شئ نزل البحر فى هذا الوقت . فلما ذهبوا الى الجهة التى سمع منها الصوت ، لم يجدوا أحدا ، وتمحصوا عنها فلم يجدوهما . فاعتقد من له اعتقاد منهم ، أنهما من الأولياء ، وأن الباشا مساعد بأهل الباطن !

حقهم ، أنزلهم منزلة شاهين بيك وزيادة ، واختص بهم اختصاصا كبيرا ... فمالت نفوسهم لذلك القول ، واعتقدوا — بخسافة عقولهم — صحته ، وأنهم اذا رجعوا اليه هذه المرة ، ونهذوا المخالفين ، اعتقد صداقتهم وخلوصهم ، وزاد قدرهم ومنزلتهم عنده .

وتذكروا عند ذلك ما كانوا فيه ، مدة اقامتهم بمصر ، من التمتع والراحة في القصور التي عمروها بالجيزة ، والبيوت التي اتخذوها بداخل المدينة ، والرفاهية والفرش الوطيئة . وتحركت غلمتهم للنساء والسراري ، التي أنعم عليهم الباشا بها . وقالوا ما لنا والغربة ، وتعب الجسم والخطر ، والانزعاج والحروب ، والالقاء بنفوسنا في المهالك ، وعدم الراحة في النوم واليقظة .

فردوا الجواب بالاجابة ، وتمنوا عليه أيضا ما حاك في نفوسهم ، بشرط طرح المؤاخذه ، والعتو الكامل ، بواسطة من يعتمد صدقه . فأجابهم لكل ما سألوه وتمنوه ، بواسطة مصطفى كاشف المورلي ... وهو معدود سابقا منهم ، وانفصل عنهم وانتمى الى كتخدا بيك ، وصار من أتباعه .

فعند ذلك شرعوا في مناكدة أخيه شاهين بيك ومفارقتة ، وعقدوا معه مجلسا ، وقالوا له : « قاسنا في ريع المملكة التي خصصونا به في القسمة التي شرطوها ، فانا شركاؤك ... فان ابراهيم بيك قسم مع جبايته ، وكذلك عثمان بيك ، وعلى بيك أيوب » . فقال لهم : « وما هو الذي ملكناه حتى أقاسمكم فيه ؟ » فقالوا : « أنت تجحف علينا وتختص بالشيء دوننا . فانك لما اصطلحنا معك مع الباشا ، وصرفك في البر الغربي . اختصيت بإيراده — وهو كذا وكذا — دوننا . ولم تشاركنا معك في شيء ، ولولا أن الباشا كان يرأفنا ويواسينا من عنده ... لمتنا جوعا .. فنحن

لا نرافقك ولا نصحبك ولا نحارب معك ، حتى تظهر لنا ما تقاتل معك عليه » . وتزايدوا معه في المكالمات والمعاتبة والمفاخرة ، ثم انفصلوا عنه ونقلوا خيامهم الى ناحية البحر ، واعتزلوه وفارقوا عرضي الجميع .

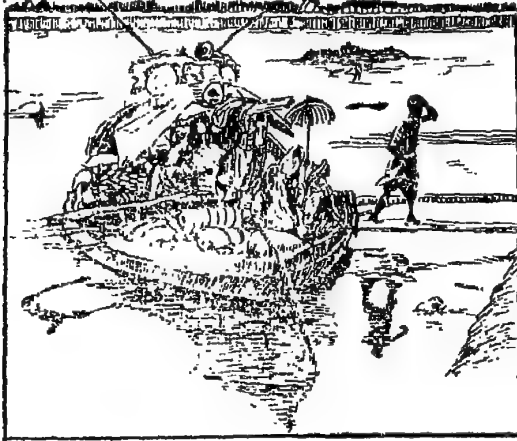
فلما علم بذلك ابراهيم بيك الكبير ، تنكد خاطره ، وقال : « لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .. أي شيء هذا الفشل وخسافة العقل ، والتفرق بعد الالتئام والاجتماع » ! وذهب اليهم ليصلحهم ويضمن لهم كل ما طلبوه ، وطمعوا فيه عند تملكهم ، وقال لهم : « ان كنتم محتاجين في هذا الوقت لمصرف ، أنا أعطيكم من عندي عشرين ألف ريال ، اقسموها بينكم ، وعودوا لمضربكم معنا » . فامتنعوا من صلحهم مع شاهين بيك ، فرجع ابراهيم بيك يريد أخذ شاهين بيك اليهم . فامتنع من ذهابه اليهم ، وقال : « أنا لست محتاجا اليهم ، وان ذهبوا قلدت أمراء خلافهم . وعندي من يصلح لذلك ، ويكون مطيعا لى دونهم ، فان هؤلاء يرون أنهم أحق مني بالرياسة » . والجماعة شرعوا في التعدية ، وانتقلوا الى البر الشرقي ... وحال البحر بين الفريقين .

ووصل اليهم مصطفى كاشف المورلي بمرسوم الباشا ، واجتمعوا معه عند عبد الله أغا ، المقيم بناحية بنى سويف ، وضرب لهم شنكا ومدافع . ثم انهم عزموا على الحضور الى مصر . فوصلوا في يوم الخميس خامس عشرينه ، وقابلوا الباشا وخلع عليهم ، وأعطاهم تقادم . ورجعوا الى مضربهم ناحية الآثار ، وصحبهم ستة عشر من كشافهم ، والجميع يزيدون عن المائتين . وأنعم عليهم الباشا بمائتي كيس : لكل كبير من الأربعة عشرون كيسا ، ومائة وعشرون كيسا لبقيتهم . واشتروا دورا واسعة ، وشرعوا في تعميرها وزخرفتها على طرف الباشا .. فاشترى أمين بيك دار عثمان كتخدا

وأما حسن باشا وضالغ قوج وعابدين بك ،
ومن معهم ، فانهم صعدوا الى قبلى ، وملكوا
البنادر .. الى حد جرجا واستقر دبوس أغلى
بنمية ابن خصيب .

٥ منه (٨ يولية ١٨١٠ م) :

ارتحل الباشا بعساكره من الجيزة ، وانتقل الى
جزيرة الذهب ونودى فى المدينة بخروج العساكر
المقبمين بمصر ، ولا يتخلف منهم أحد . فزاد
تعدبهم وخطفهم الحبير والجمال والرجال الفلاحين
وغيرهم لتسخيرهم فى خدمتهم وفى المراكب ،
عوضا عن النوتية والملاحين ، الذين هربوا وتركوا
سفائنهم . فكانوا يقبضون على كل من يصدفونه ،
يجبسونهم فى الحواصل ببولاق . واتفق أنهم
حبسوا نحو ستين نفرا فى حاصل مظلم ، وأغلقوه
عليهم ، وتركوهم من غير أكل ولا شرب أياما ،
حتى ماتوا عن آخرهم ! وانحدر قبطان بولاق
وأعرانه فى طلب المراكب من بحر النيل ، فكانوا
يقبضون على المراكب الواصلة الى مصر بالغلال
والبضائع والسفار ، فيلقون شحنها التى لا حاجة
لهم بها على شطوط اللق ، ويأتون بالمراكب الى
بولاق والجيزة ... الا أن يعطوهم براطيل على
تركهم الغلة بالمركب حتى يصلوا بها الى ساحل



المركب .. محملة بالبضائع والسلع

المنفوخ بدرب سعادة من عتقائه ، ودفع له الباشا
ثمنها وأمر لكل أمير منهم بسبعة آلاف ريال ،
لبص فيها فيما يحتاج اليه فى العمارة واللوازم ،
وحولهم بذلك على المعلم غالى .

ولما تحقق شاهين بك انفصالهم ، قلد أربعة من
أتباعه أمرياتهم ، وأعطاهم بيرقا وخبولا ، وضم
اليهم معاليك وطوائف . وتمت حيلة الباشا التى
أحكمها بمكره . وعند ذلك أشيع فى الاقليم القبلى
والبحرى ، تفرقهم وتفاشلهم ، ورجع من كان عازما
من القبائل والعربان عن الانضمام اليهم .. وطلبوا
الأمان من الباشا ، وحضروا اليه ، ودخلوا فى
طاعته ، وأنعم عليهم وكساهم ..

وكانت أهالى البلاد عندما حصلت هذه الحادثة
عصت عن دفع الفرض والمغارم ، وطرردوا المعينين
وتعطل الحال ، وخصوصا عندما شاع غلبة المصريين
على الأرثوود . وتفرقت عنهم العربان الذين كانوا
انضموا اليهم ، وأطاع المخالف والعاصى والمنايع .
وكلها أسباب لبروز المقدور المستور فى غيبه
سبعائه وتعالى .

فى اواخره (اواخر يونية ١٨١٠ م) :

حضر كثير من عسكر الدلاة ، من الجهة
الشامية . وكذلك حضر أتراك من على ظهر البحر
كثيرون .

جمادى الآخرة

٣ منه (٦ يولية ١٨١٠ م) :

قلد الباشا ديوان افندى نظر مهمات الحرمين ،
والتأهب لسفر الحجاز ، لمحاربة الوهاية ، وسكن
بيت قصبة رضوان . كل ذلك مع توجه البعثة ،
والاستعداد لمحاربة الأمراء المصريين . وللمذكورون
بناحية قنطرة اللاهون .

بولاق ، فيخرجونها منها ، ثم يأخذون المركب .
وهكذا كان دأبهم بطول هذه المدة .

١٠ منه (١٢ يولية ١٨١٠ م) :

ارتحل الباشا من جزيرة الذهب يريد محاربة
المصريين .

١٥ منه (١٨ يولية ١٨١٠ م) :

ورد الخبر بأن حنين بيك ، تابع حنين بيك
المعروف بالوشاش الألفى ، أراد الهروب والمجيء
الى الباشا . فقبض عليه شاهين بيك ، وأهانته وسلب
نعمته ، وكتفه وأركبه على جمل يغطي الرأس ،
وأرسله الى الواحات . فاحتال وهرب ، وحضر
الى عرضى الباشا ، فأكرمه وأنعم عليه ، وأعطاه
خمسین كيسا واستمر عنده .

٢٥ منه (٢٨ يولية ١٨١٠ م) :

وصلت الأخبار بأن الباشا ملك قناطر اللاهون ،
وأن المصريين ارتحلوا الى ناحية البهنسا ، ولم يقع
بينهم كبير محاربة . وأن الباشا استولى على
الفيوم . وأرسل الباشا هدايا لمن في سرايته
ولكنه أخذ بيك من ظرائف الفيوم ، مثل ماء الورد
والعنب والفاكهة وغير ذلك . واستولى على ما كان
مودوعا للمصريين من الغلال بالفيوم .

في اواخره (اواخر يولية ١٨١٠ م) :

وصلت أخبار من ناحية الشام بأن طائفة من
الوهابية جردوا جيشا الى تلك الجهة . فتوجه
يوسف باشا الى المزريب وحصن قلعتها ، واستعد
اليهم بجيش ، وحاربوهم وطردهم . ثم اضطربت
الأخبار واختلفت الأقوال .

رجب

الخميس غرته (٢ افسطس ١٨١٠ م) :

وردت الأخبار بورود قزلار آغا من طرف

الدولة ... وعلى يده أوامر وخلعة وسيف وخنجر
لمحمد على باشا ، وصحبه أيضا مهمات وآلات
مراكب ، ولوازم حروب لسفر البلاد الحجازية ،
ومحاربة الوهابية — وهو يسمى عيسى آغا — وأله
طلع الى ثغر مسكنه بركة .

السبت ١٠ منه (١١ افسطس ١٨١٠ م — ٦ مسرى
١٥٢٦ ق) :

أوفى النيل ، وحصلت الجمعية ، وحضر كتحدا
بيك والقاضى وباقي الأعيان ، وكسر السد بحضرتهم
في صباحها يوم الأحد ، وجرى الماء في الخليج .

وفيه : وصل الأغا شبرا . وعملوا له هناك
شنكا وحرقات ، وتعليقات قبالة القصر الذى
أنشأه الباشا بساحل شبرا .. وخرجوا للملاقاته في
صباحها بعد ثلاث ليال .

الثلاثاء ١٣ منه (١٤ اغسطس ١٨١٠ م) :

عملوا له موكبا عظيما ، وطلع الى القلعة ،
وضربوا عند طلوعه الى القلعة مدافع . وهذا الأغا
أسمر اللون ، حبشى مخصى ، لطيف الذات ، متعاطف
في نفسه ، قليل الكلام وفي حال مروءة كان بجانبه
شخصان ينثران الذهب والفضة الاسلامبولى على
الناس المتفرجين .

وحضر صحبته ، وصحبة أتباعه ، السكة
الجديدة التى ضربت باسلامبول من الذهب
والفضة . وهى دراهم فضة خالصة سالمة من
النش ، زنة الدرهم منها درهم وزنى كامل ستة
عشر قيراطا ، بصرف بخمسة وعشرين نصفًا من
الأنصاف المعاملة العددية ، المستعملة في معاملة
الناس الآن .. وكذلك قطعة مضروبة وزن درهمن
بالدرهم الوزنى ، تصرف بخمسين . وكذلك قطعة
مضروبة وزنها أربعة دراهم ، وتصرف بمائة نصف .
وقطعة وزنها ثمانية دراهم ، وتصرف بمائتين .

وكذلك ذهب فندقلي اسلامي ، يصرف بأربعمائة نصف ، وأربعين نصفاً ، ونصفه وربعه .

الجمعة ١٦ منه (١٢ اغسطس ١٨١٠ م) :

حضر الأغا المذكور الى المسجد الحسيني ، وصلى به الجمعة ، وخرج وهو يفرق على الفقراء والمستجدين أربع الفداقة . وأعطى خدمة الضريح وخدمة المسجد ، قروشاً اسلامبولي في صرر ... أقل ما في الصرة الواحدة عشرة قروش .

السبت ١٧ منه (١٨ اغسطس ١٨١٠ م) :

عملوا ديواناً بالقلعة ، وأحضروا خلعة وصلت صحبة الأغا المذكور . أرسلها صحبة خازن داره ، وألبسوها لابن الباشا ، وجعلوه باشا مير ميران . وابن الباشا المذكور ولد مراهق صغير يسمى اسماعيل ، وضربوا شنكا ومدافع . وأشيع أنه وصلت مبشرون من الجهة القبلية بنصرة الباشا على المصريين ، وأرسلوا بذلك أوراقاً للأعيان ، أخبروا فيها بوقوع الحرب بين الفريقين ليلة السبت أو يوم السبت عاشر رجب .

الثلاثاء ٢٠ منه (٢١ اغسطس ١٨١٠ م) :

أرسلوا تناييه الى المشايخ بالحضور من الغد لأنفسار عدوها ، ويكون حضورهم بالمشهد الحسيني . فبات الناس في ارياب وظنون وتخمين . فلما أصبح اليوم ، حضر شيخ السادات — وهو الناظر على أوقاف المشهد — الى قبة المدفن ، وحضر الشيخ البكري ، وأغلقوا باب القبة ، ومنعوا الناس من العبور بالمسجد متشوفين لثمرة هذا الاجتماع . وكل من حضر من الاشياخ المشاهير ، استأذنوا له وأدخلوه الى القبة ، وحضر الشيخ الأمير والشيخ المهدي ، وتأخر حضور الشيخ الشراقوي ، لكونه كان بيت في بولاق . ثم حضر الأغا المذكور ودخل الى القبة ، وصحبته ظرف من خشب ، ففتح .

وأخرج منه لوحاً طوله أزيد من ذراعين ، في عرض ذراع ونصف ، مكتوب فيه البسلة بخط الثلث مسوّه بالذهب ، وهي بخط يد السلطان محمود ، وتحتها طرة العلامة السلطانية . فعلقوه على مقصورة المقام ، وقرأوا الفاتحة ، ودعا السيد محمد المنزلاوي ، خطيب المسجد ، بدعوات للسلطان . ولما فرغ دعا أيضاً السيد بدر الدين المقدسي ، ثم خلع على المشايخ خلعا ، وفرق ذهباً . ثم خرج الجميع ، وركبوا الى دورهم . فكان هذا الجمع جمع سخف لا غير !

الجمعة ٢٣ منه (٢٤ اغسطس ١٨١٠ م) :

ركب الأغا المذكور ، وذهب الى ضريح السادات الوفاة بالقرافة ، صحبة الشيخ المتولي خلافتهم ، فزار مقابرهم وعلق هناك لوحاً أيضاً ، وفرق دراهم ، وخلع على الشيخ المذكور خلعة .

ومن الحوادث البديعة من هذا القبيل : أن عثمان أغا المتولي أغات مستحفظان ، سولت له نفسه عمارة مشهد الرأس — وهو رأس زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم — ويعرف هذا المشهد عند العامة بزين العابدين ، وبذلك اشتهر ، ويقصدونه بالزيارة صبح يوم الأحد . فلما كانت الحوادث ، ومجيء الفرنسيين ، أهملوا ذلك وتخرب المشهد ، وأهليت عليه الأتربة . فاجتهد عثمان أغا المذكور في تجميع ذلك . فعمره وزخرفه وبيضه وعمل به سترًا وتاجاً ليوضعا على المقام . وأرسل فنادى على أهل الطرق الشيطانية ، المعروفين بالأشيار ، وهم السوفة وأرباب الحرف المزدولة ، الذين ينسبون أنفسهم لأرباب الضرائح المشهورين : كالأحمديّة ، والرفاعيّة ، والقادريّة ، والبرهامية ، ونحو ذلك . وأكد في حضورهم قبل الجمع بأيام .

ثم انهم اجتمعوا في يوم الأحد خامس عشرية

الى قبلى . فعملوا لذلك اليوم شنتكا ومدافع ،
ثلاثة أيام ، كل يوم ثلاث مرات .

شعبان

السبت غرقه (اول سبتمبر ١٨١٠ م) :

حضر الباشا وقت الغروب فى تطريده ، وصحبته
جماعة قليسلون ، وطلع من البحر من بر طرا
والمعصرة . وركب من هناك خيولا من خيول
العرب ، وطلع الى القلعة على حين غفلة . فضربوا
فى ذلك الوقت مدافع ... اعلاما بحضوره .

وفى ثانى ليلة : صعد اليه عيسى آغا المذكور
عند الغروب ، وقابله وسلم عليه .

الاثنين ٣ منه (٣ سبتمبر ١٨١٠ م) :

عمل الباشا ديوانا ، وركب ذلك الاغا من بيت
عثمان آغا الوكيل الكائن بدرب الجماميز ... فى
موكب ، وطلع الى القلعة وقرأ المرسوم الذى وصل
صحبته بالمعنى السابق ، وهو الأمر بالخروج الى
الحجاز . ولبس الباشا الخلعة والسيف بحضرة
الجمع . وضربوا مدافع كثيرة عقيب ذلك .

وفيه : وردت الأخبار بمجيء يوسف باشا والى
الشام الى ثغر دمياط . وكان من خبر وروده على
هذه الصورة : أنه لما ظهر أمره وأتته ولاته
الشام ، فأقام العدل ، وأبطل المظالم ، واستقامت
أحواله ، وشاع أمر عدله النسبى فى البلدان
فثقل أمره على غيره من الولاة وأهل الدولة .
لمخالفته طرائقهم فقصدهوا عزله وقتله ، فأرسلوا
له ولوالى مصر أوامر بالخروج الى الحجاز ،
فحصل التوائى .

وفى أثناء ذلك حضر فرقة من العربان الوهابيين ،
وخرج اليهم يوسف باشا المذكور وحسن المزيرب
كما تقدم ، ورجع الى الشام وتفرقت الجموع . ثم

بأنواع من الطبول والزمامير والبيارق ، والأعلام
والشراميط والخرق الملونة والمصبغة . ولهم أنواع
من الصياح والبياح والجلبة والصراخ الهائل ...
حتى ملأوا النواحي والأسواق ، وانتظموا وساروا
وهم يصيحون ، ويترددون ويتجاوبون بالصلوات
والآيات التى يحرفونها ، وأنواع التوسلات ومناداة
أشيائهم أيضا المتتبعين اليهم بأسمائهم ، كقولهم
برفع الصوت وضرب الطبالات ، وقولهم : ياهو
ياهو ياجباوى ، ويابدوى ، ويادسوقى ، ويابيومى
ويصحبهم الكثير من الفقهاء والمتبعين ... والأغا
المذكور راكب معهم ، والستر المصنوع مركب على
أعواد ، وعليه العمامة مرفوعة بوسط الستر على
خشب ، ومتحلقين حوله بالصياح والمقارع بمنعون
أبدى الناس الذين يمدون أيديهم للتمسح والتبرك ،
من الرجال والنساء والصبيان المتفرجين ، ويرمون
الخرق والطرح ، حتى أنهم يرخوها من الطيقان
بالجبال لتصل الى ذلك التمثال ، لينالوا جزءا من
بركته !

ولم يزالوا سائرين به على هذا النمط ، والخلائق
تزداد كثرة ، حتى وصلوا الى ذلك المشهد ...
خارج البلدة بالقرب من كوم الجارح ، حيث
المجراة . وصنع فى ذلك اليوم والليلة أطعمة
وأسمطة للمجتمعين ، وباتوا على ذلك الى ثانى يوم .
وفيه : بعث عيسى آغا الواصل بجيب أفندى
الى الباشا ، بحبره بحضوره ، وبالغرض الذى
حضر من أجله ويستدعيه للمجيء .

الجمعة غايته (٢١ اقسطس ١٨١٠ م) :

وردت أخبار بوقوع حراة بين الباشا والمصريين .
وقتل بين الفريقين مقتلة عظيمة ، عند « دلجه » ،
و « البدرمان » . وكانت الغلبة للباشا على المصريين .
وأخذوا منهم أسرى . وحضر الى الباشا جماعة
من الأمراء الأكلية بأمان ، وهرب الباقون وصعدوا

وعملوا في ذلك اليوم سيانة وحانات وقهوات
وأسمطة وسكرانات عند جميز العبد . ويقولون
ان النيل لما توقفت زيادته في العام الذي قبل
العام الماضي ، وخرج الناس يستسقون بجامع
عمرو ، وخرج النصارى في ثانى يوم ، زاد النيل
تلك الليلة ... وذلك لا أصل له . على أنه
لا استغراب للزيادة في أوانها . وهذه الأيام أيضا
أواخر مسرى وأيام النسيء — وفيها قوة الزيادة —
وأيام التوروز .

السبت ٨ منه (٨ سبتمبر ١٨١٠ م) :

خرج المشايخ والناس الى جامع عمرو بمصر
القديمة ، وأرسلوا تلك الليلة فجمعوا الأطفال من
مصر وبولاق ، فحضر الكثير ، وخطبوا وصلوا
وأضر بالمجتمعين الجوع في ذلك اليوم ولم يجدوا
مأياكلونه ،

الاحد ٩ منه (٩ سبتمبر ١٨١٠ م) :

نقص النيل واستمر ينقص في كل يوم ،

الخميس ١٣ منه (١٣ سبتمبر ١٨١٠ م) :

حضرت العساكر والتجريدة الى نواحي الآثار
والبساتين . ودخلوا في صبحية يوم الجمعة رابع
عشره ، بطموشهم وحملاتهم ، حتى ضاقت بهم
الأرض ، وحضر صحبتهم الكثير من الأجناد المصرية
أسرى ومستأمنين .

وفيه : حضر يوسف باشا المنفصل عن الشام ،
ونزل بقصر شبرا ، وضربوا لقدمه مدافع ، ثم
انتقل الى الأزبكية ، وسكن هناك كما تقدم ذكره .

الثلاثاء ٢٥ منه (٢٥ سبتمبر ١٨١٠ م) :

زاد النيل ، ورجع ما كان انتقصه ، وزاد على
ذلك نحو قيراطين ، وثبت الى أواخر توت ، واطمان
الناس .

وصل عيسى أغا هذا ، وعلى يده مراسيم بولاية
سليمان باشا على الشام ، وعزل يوسف باشا ،
وأشاعوا ذلك . وخرج سليمان باشا تابع الجزائر
من عكا في جمع ، وخرج يوسف باشا بجموعه
أيضا ... فتخاربا ، فانهزم يوسف باشا ونزل بالمزة ،
واستعجل الرجوع الى الشام ، فقامت عليه عساكره
ونهبوا متاعه . وخرج سليمان باشا تابع الجزائر
من عكا وتفرقوا عنه ، فما وسعه الا الفرار ، وترك
ثقله وأمواله ، ونزل في مركب ، ومعه نحو الثلاثين
نفرا ، وحضر الى مصر ملتجئا لواليتها محمد على
باشا ، لأن بينهما صداقة ومراسلات .

فلما وصلت الأخبار بوصوله ، أرسل الى ملاقاته
طاهر باشا ، وحضر صحبتته الى مصر ، وأنزله بمنزل
مطل على بركة الأزبكية ، وعين له مايكفيه ،
وأرسل اليه هدايا وخيولا وما يحتاج اليه .

وفي هذه الأيام : اختل سد ترعة الفرعونية ،
وانفتح منه شرم ، واندفع فيه الماء ، فضج الناس ،
وتعين لسدها ديوان أفندى ، وأخذ معه مراكب
وأحجارا وأخشابا ، وغاب يومين ثم رجع ، واتسع
الخرق ، واستمر عمر بيك تابع الأشقر مقيما عليها
لخفارتها ، وليمنع مرور المراكب ، ويقوى ردمها ،
لئلا تنحرها المياه فيزداد اتساع الخرق .

وفي هذه الأيام : توقفت زيادة النيل ، فكان
يزيد من بعد الوفاء قليلا ، ثم ينقص قليلا ، ثم
يرجع النقص وهكذا . فأشار البعض بالاجتماع
للاستسقاء بالأزهر ، فتجمع القليل ، ثم تفرقوا .
وذلك يوم الثلاثاء رابعه .

وخرج النصارى الأقباط يستسقون أيضا ،
واجتمعوا بالروضة ، وصحبتهم القساقسة والرهبان
وهم راكبون الخيول والرهوانات والبغال والحمير
في تجمل زائد . وصحبتهم طائفة من أتباع الباشا
بالعصى المفضضة .

السبت غايته (٢٩ سبتمبر ١٨١٠ م) :

سؤال

الثلاثاء غرته (٣٠ أكتوبر ١٨١٠ م) :

نزلت طلبخانة الباشا الى بيت المعلم غالى . واستمروا يضربون النوبة التركية ، ثلاثة أيام



اصحاب الطبل ...

العيد ، بيته . وكذلك الطبل الشامى ، وباقي الملاعب ، وترمى لهم الخلع والبقاشيش .

الاثنين ٧ منه (٥ نوفمبر ١٨١٠ م) :

حضر المعلم غالى ، وطلع الى القلعة ، وخلع عليه الباشا خلع الرضا ، والبسه فروة سمور ، وأنعم عليه ، ونزل له عن أربعة آلاف كيس من أصل الأربعة وعشرين ألف كيس المطلوبة في المصالحة . ونزل الى داره وأمامه الجاوشية والأتباع بالعصى المفضضة ، وجلس بدكة داره ، وأقبل عليه الأعيان من المسلمين والنصارى للسلام عليه ، والتهنئة له بالتقدم المبارك ! وأما المعلم منصور ضريمون ، فجبروا خاطره بأن قيدوه بخدمة

سافر عيسى أغا بعدما قبض ما أهداه اليه الباشا له ولخدمه ، من الهدايا والأكياس ، والتحف والسكر والشرايات والأقمشة الهندية ، وغير ذلك . ونزل لتشيعه عثمان أغا الوكيل ، وسافر صحبته نجيب أفندى .

وفيه : سافر سليمان بيك البواب ، لمصالحة الأمراء المنهزمين على يد حسين باشا .

رمضان

الثلاثاء ١٧ منه (١٦ أكتوبر ١٨١٠ م) :

قبض الباشا على المعلم غالى ، كبير المباشرين الأقباط ، والمعلم فلتىوس ، والمعلم جرجس الطويل ، والمعلم فرنسيس أخى المعلم غالى ، وباقي أعيان المباشرين . فأما غالى وفتىوس فنزلوا بهما تلك الليلة الى بولاق ، وأنزلوهما فى مركب ليسافرا الى دمياط . وجلسوا الباقيين بالقلعة ، وختموا على دورهم ، ووجدوا عند المعلم غالى نيفا وستين جارية بيضاء وسوداء وحشية . ثم قلدوا المباشرة الى المعلم منصور ضريمون الذى كان معلم ديوان الجبرك ببولاق سابقا ، والمعلم بشارة ورزق الله الصباغ مشاركان معه . ثم أنزلوا النصارى المعتقلين من القلعة الى بيت ابراهيم بيك الدفتردار بالأزبكية — وفيهم جرجس الطويل ، وأخوه حنا ، وجريس ، وفرنسيس أخو غالى ، ويعقوب كاتبه ، وغيرهم — وأشاعوا عمل حسابهم ، ثم دار الشغل ، وسعت الساعون فى المصالحة على غالى ورفقائه ... الى أن تم الأمر على أربعة وعشرين ألف كيس ، ونزل له فرمان الرضا والخلع والبشائر ! وذلك فى آخر رمضان .

بيت ابراهيم بيك ابن الباشا الدفتردار ، وقيدوا رفيقه في خدم أخرى .

الخميس ١٠ منه (٨ نوفمبر ١٨١٠ م) :

حضر شاهين بيك الألفى ومن معه الى مصر ، ونصب وطاقه بناحية البساتين ... وذلك بعد أن تموا الصلح على يد حسن باشا بواسطة سليمان بيك البواب . فلما استقر بخيامه وعرضيه ببر مصر ، حضر مع رفقائه ، وقابل الباشا — وهو بيت الأزبكية — فبش في وجهه فقال شاهين بيك : « نرجو سماح أفندينا وعفوه عما أذنبناه » . فقال : « نعم من قبل مجيئكم بزمان ا » . وهو مصر لهم على كل كريمة . وأخلى له بيت محمد كتحدا الأشقر ، بجوار طاهر باشا بالأزبكية ، وفرشوه ونظموه ، ووعدوه برجوعه الى الجيزة في مناصبه كما كان ، حتى يتحول منها محرم بيك صهر الباشا . لأنه عند انتقال شاهين بيك من الجيزة ، عدى اليها محرم بك بحريمه — وهى ابنة الباشا — وسكن القصر بعسكره ، وكذلك أسكن كبار أتباعه وخواصه القصور التي كان يسكنها الألفية ، وكذلك البيوت والدور . فوعده بالرجوع الى محله ، وظن — بخسافة عقله — صحة ذلك . وحضر صحبة شاهين بيك جملة من العسكر والدلاة وغيرهم ، واستمرت حملاتهم وأمتعته تدخل الى المدينة أرسالا في عدة أيام .

الجمعة ١١ منه (٩ نوفمبر ١٨١٠ م) :

عمل الباشا ديوانا بالأزبكية في بيت ابنه ابراهيم بيك الدفتردار . واجتمع عنده المشايخ والوجاقلية وغيرهم فتكلم الباشا وقال : « يا أحبائنا ... لا يحفكم احتياجي الى الأموال الكثيرة لنفقات العساكر والمصاريف والمهمات ... والاياد لا يكتفى ذلك ، فلزم الحال لتقرير الفرض على البلاد والأطيان . وقد أجحف ذلك بأهاليها ، حتى جلت

وخربت القرى ، وتعطلت المزارع ، وبارت الأطيان ، ولا يمكننى رفع ذلك بالكلية . والقصد أن تدبروا لنا تدبيرا وطريقا لتحصيل المال من غير ضرر ولا اجحاف على أهل القرى ، وتعود مصلحة التدبير عليهم وعلينا »

فقال الجميع : « الراى لك » فقال : « الى فوضت الراى في تدبير الأمور السابقة لجماعة الكتبة ، وهم الأفندية والأقباط ، فوجدت الجميع خائنين ، وانى دبرت رأيا لاتدخله التهمة ... وهو أن من المعلوم أن جميع الحصص لها سندات ، ومعين بها مقدار الميرى والفائظ ، فنقرر على كل حصة قدر ميريتها وفائظها ، اما سنة أو سنتين ، فلا يضر ذلك بالملتزمين ولا بالفلاحين » .

فاتخذ أيوب كتحدا الفلاح — وهو كبير الاختيارية — وقال : « لكن يا أفندينا الى مساواة الناس ... فان حصص كثير من المشايخ مرفوع ماعليها من المغارم ، ويرجع تنميم الغرامة على حصص الشركاء » . فحنق من كلامه الشيخ الشرقاوى ، وقال له : « أنت رجل سوء » . وثار عليه باقى المشايخ الحاضرين ، وزاد فيهم الصياح . فقام الباشا من المجلس وتركهم ، وذهب بعيدا عنهم ... وهم يتراددون ويتشاجرون . فأرسل اليهم الباشا الترجمان ، وقال : « انكم شوشتم على الباشا ، وتكدر خاطره من صياحكم ! فسكتوا وقاموا من المجلس ، وذهبوا الى دورهم وهم منفعلو المزاج .

ولعل كلام أيوب كتحدا وافق غرض الباشا ، أو هو باغرائه . ثم شرعوا في تحرير الدفاتر وتبديل الكيفيات .

وكان في العزم أولا أن يجعلها على ذمم الأطيان شارقا وغارقا ، بما فيها من الأوسية التى

والجر والفراشة ، وعروض البضائع من الجوخ المتنوعة ، والدودة التي يقال لها القرمز ، والقزدير ، وأصناف البضائع الأفرنكية ، وأحدث — وهو بالاسكندرية — أهدانا ومكوسا .

ذوالحجّة

٢٢ منه (١٨ يناير ١٨١١ م) :

حضر الباشا من الاسكندرية الى مصر ، وذلك يوم الجمعة أواخر النهار ، وحضر في العشية الى بيت الأربكية وبات عند حريمه . وطلع في صبح يوم السبت الى القلعة ، وضربوا مدافع كثيرة لحضوره .. وبذلك علم الناس حضوره .



واقضت السنة بحوادثها التي قصصنا بعضها ، اذ لا يمكن استيفائها للتباعد عن مباشرة الأمور ، وعدم تحققها على الصحة ، وتحريف النقلة ، وزيادتهم وتقصهم في الرواية . فلا أكتب حادثة حتى أتحقق صحتها بالتواتر والاشتهار ... وغالبها من الأمور الكلية التي لا تقبل الكثير من التحريف . وربما أشرت قيد حادثة حتى أثبتها ، ويحدث غيرها وأنساها ، فأكتبها في طيارة حتى أقيدها في محلها ان شاء الله تعالى عند تهذيب هذه الكتابة . وكل ذلك من تشويش البال ، وتكدر الحال ، وهم العيال ، وكثرة الاشتغال ، وضعف البدن ، وضيق العطن .

ومن حوادثها : أحداث عدة مكوس زيادة على ما أحدث على الأرز والكتان والحرير والحب والملح ، وغير ذلك مما لم يصل إلينا خبره .. حتى غلت أسعارها الى الغاية . وكان سعر الدرهم الحرير نصين ، فصار بخسة عشر نصفا . وكنا نشتري القنطار من الحطب الرومي في أوانه بثلاثين نصفا ، وفي غير أوانه بأربعين نصفا ، فصار بثلاثمائة نصف . وكان الملح يأتي من أرضه بطن القفاف التي يوضع

للملتزمين ، والأرزاق ، ومسموح مشايخ البلاد . وذكر ذلك في المجلس . ف قيل له : « ان الأوسية معاش الملّتمزمين ، والرّزق قسمان : قسم داخل في زمام أطيان البلد ، ومحسوب في مساحة فلاحتها ، وقسم خارج عن زمامها . والقسمان من الارصادات على الخيرات ، وعلى جهات البر والصدقة والمساجد والأسبلة والمكاتب والأحواض لسقي الدواب وغير ذلك ، فيلزم منه ابطال هذه الخيرات وتعطيلها » . فقال الباشا : « ان المساجد غالبها متخرب ومتهدم » . فقالوا له : « عليك بالفحص والتفتيش والزام المتولى على المسجد بعمارته اذا كان ايسراده راجيا » . الى آخر ما قيل .

الاثنين ٢١ منه (١٩ نوفمبر ١٨١٠ م) :

قتلوا شخصا من الأجناد الألفية ، وقطعوا رأسه بباب الخرق ، بسبب أنه قتل زوجته من غير جرم يوجب قتلها .

ذوالقعدة

الخميس ٢ منه (٢٩ نوفمبر ١٨١٠ م) :

سافر الباشا الى ثغر سكندرية ليكشف على عمارة الأبراج والأسوار ، ويبيع الغلال التي جمعها من البلاد في الفرض التي فرضت عليهم ، وكذلك ما أحضره من البلاد القبلية . فجمعوا المراكب وشحنوها بالغلال ، وأرسلها الى الاسكندرية ليبيعها على الافرنج . فباع عليهم أرز من مائتي ألف أردب : كل أردب بمائة قرش ، وسعرها بمصر ثمانية عشر قرشا ، وهو لم يشتريها ، ولم تكن عليه بمال ... بل أخذها من زراعات الفلاحين من أصل ما فرضه عليهم من الظلم ، مع تظفيف الكيل عليهم ، والزامهم بكلفة شيله وأجرة نقله الى المجل الذي يلزمهم بوضعه فيه ، وأخذ من الافرنج في ثمنه أصناف النقود : من الذهب المشخص البندقي ،

يحفرون تحت ذلك الماء المصبوب قليلا ، فتظهر النار ، ويظهر دخانها . فيقربون منها الخرق والحلفاء واليدكات فتورى وتدخن . واستمر الناس يغدون ويروحون للفرجة عليها نحو شهرين . وشاهدت ذلك فى جملتهم ، ثم بطل ذلك .

ومنها : أنه نودى فى أواخر السنة ، على صرف المحبوب بزيادة صرفه ثلاثين نصفًا ، وكان يصرف بمائتين وخمسين ، من زيادات الناس فى معاملاتهم . فكانوا ينادون بالنقص ، ورجوعها الى ما كان قبل الزيادة ، ويعاقبون على التزايد . وفى هذه الأيام نودى بالزيادة .. وذلك بحسب الأغراض والمقاصد والمقتضيات ، ومراعاة مصالح أنفسهم لا المصلحة العامة ... هذا مع نقص عياره ووزنه عما كان عليه قبل المناذرة .

وكذلك نقصوا وزن القروش ، وجعلوا القرش على النصف من القرش الأول ، ووزنه درهمان ، وكان أربعة دراهم ، وفى الدرهمين ربع درهم فضة . هذا مع عدم الفضة العددية ، ووجودها بأيدى الناس والصيارف . وإذا أراد انسان صرف قرش واحد من غيره ، صرفه بنقص ربع العشر ، وأخذ بدله قطعًا صغارًا أفرنجية : يصرف منها الواحدة باثنى عشر ، وأخرى بعشرة ، وأخرى بخمسة ... ولكنها جيدة العيار . وهم الآن يجمعونها ويضربونها بما يزداد عليها من النحاس — وهو ثلاثة أرباعها — قروشًا ، لأن القطعة الصغيرة التى تصرف بخمسة أنصاف ، وزنها درهم واحد وزنى ، فيصيرونها أربعة قروش ، فتضاعف الحمسة الى ثمانين . وكل ذلك نقص واختلاس أموال الناس من حيث لا يشعرون !

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر :

فمات الفقيه الفريد ، والعلامة المفيد : الشيخ على الحصاوى الشافعى . ولا أعلم له ترجمة ، وإنما

فيها لا غير ، ويبيعه الذين ينقلونه الى ساحل بولاق : الأردب بعشرين نصفًا ، وأردبه ثلاثة أرباب ، ويشتريه المتسبب بمصر بذلك السعر ، لأن أردبه أردبان ، ويبيعه أيضا بذلك السعر ، ولكن أردبه واحد .. فالتفاوت فى الكيل لا فى السعر . فلما احتكر صار الكيل لا يتفاوت . وسعره الآن أربعمائة وخمسون نصفًا ، والتزم به من التزم ، وأوقف رجاله فى موارده البحرية لمنع من يأخذ منه شيئًا من المراكب المارة بالسعر الرخيص من أربابه ، ويذهب به الى قبلى أو نحو ذلك .

ومنها ، وهى من الحوادث القريبة : أنه ظهر بالتل الكائن خارج رأس الصوة ، المعروفة الآن بالحطابة ، قبالة الباب المعروف بباب الوزير ، فى وهدة بين التلؤل .. نار كامنة بداخل الأتربة ، واشتهر أمرها ، وشاع ذكرها ، وزاد ظهورها فى أواخر هذه السنة . فيظهر من خلال التراب ثقب ، ويخرج منها الدخان بروائح مختلفة كرائحة الخرق البالبة وغير ذلك . وكثر تردد الناس للاطلاع عليها أفواجا أفواجا ، نساء ورجالا وأطفالا ، فيمشون عليها وحولها ، ويجدون حرارتها تحت أرجلهم ، فيحفرون قليلا ، فتظهر النار مثل نار الدمس ، فيقربون منها الخرق والحلفاء ونحو ذلك ، فتدق فيها النار وتورى ، وبصعد منها الدخان ... وان غوصوا فيها خشبة أو قصبة احترقت .

ولما شاع ذلك ، وأخبروا بها كتحدا ييك ، نزل اليها بجمع من أكابره وأتباعه وغيرهم ، وشاهد ذلك . فأمر والى الشرطة بصب الماء عليها ، وإهالة الأتربة من أعالى التل فوقها ... ففعلوا ذلك ، وأحضروا السقائين ، وصبوا عليها بالقرب ماء كثيرا ، وأهالوا عليها الأتربة .

وبعد يومين صارت الناس المتجمعة والأطفال

الدخان وغيره ، ويراعون جابه ، ويشاورونه في الأمور .

وكان عظيم النفس ، ويعطى العطايا ويفرق على جميع الأعيان ، عند قدوم شهر رمضان ، الشموع العسلىة والسكر والأرز والكساوى والبن ، ويعطى ويهب . وبنى عدة بيوت بجارة الوندك والأزبكية ، وأنشأ دارا كبيرة — وهى التى يسكنها الدفتردار الآن ، ويعمل فيها الباشا وابنه الدواوين — عند قنطرة الدكة . وكان يقف على أبوابه الحجاب والخدم .

ولم يزل على حالته حتى ظهر المعلم غالى ، وتداخل في هذا الباشا ، وفتح له الأبواب لأخذ الأموال ... والمترجم يدافع في ذلك. وإذا طلب الباشا طلبا واسما من المعلم جرجس ، يقول له : « هذا لا ييسر تحصيله » ، فيأتى المعلم غالى فيسهل له الأمور ، ويفتح له أبواب التحصيل . فضاق خناق المترجم ، وخاف على نفسه ، فهرب الى قبلى ، ثم حضر بأمان — كما تقدم — وانحط قدره ، ولازمته الأمراض . حتى مات في أواخر شعبان ، وانقضى وخلا الجو للمعلم غالى ، وتمين بالتقدم . ووافق الباشا في أغراضه الكلية والجزئية .. وكل شيء له بداية وله نهاية . والله أعلم .

رأيته يقرر الدروس ويفيد الطلبة في الفقه والمعقول ، ويشهد الفضلاء بفضله ورسوخه .

وكان على طريقة المتقدمين في الاقطاع للافادة ، وعدم الرفاهية والرضا بما قسم له ، منعكفا في حاله . وتمرض بالبرودة ولم ينقطع عن ملازمة الدروس حتى توفى في منتصف جمادى الثانية من السنة ، وصلى عليه بالأزهر ، ودفن في تربة المجاورين بالصحراء .

ومات المعلم جرجس الجوهري القبطى ، كبير المياشرين بالديار المصرية ، وهو أخو المعلم ابراهيم الجوهري . ولما مات أخوه في زمن رئاسة الأمراء المصرية ، تعين مكانه في الرئاسة على المياشرين والكتبة ويده حل الأمور وربطها في جميع الأقاليم المصرية ، نافذ الكلمة ، وافر الحرمة . وتقدم في أيام القرسيس ، فكان رئيس الرؤساء . وكذلك عند مجيء الوزير والعثمانيين ، وقدموه وأجلسوه لما يسديه اليهم من الهدايا والרגائب ، حتى كانوا يسمونه جرجس أفندى .

ورأيته يجلس بجانب محمد باشا خسرو وبجانب شريف أفندى الدفتردار ، ويشرب بحضرتهم

المحرم

السبت غرته (٢٦ يناير ١٨١١ م):

أظهر الباشا الاهتمام بأمر الحجاز والتجهيز للسفر ، وركب في ليلة الجمعة سابعه الى السويس . وسافر صحبته السيد محمد المحروقي ، وقام باحتياجاته ولوازمه فلما وصل الى السويس حجز الداوات التي وصلت بالمحمل ، وسفر عدة من المراكب التي أنشأها ليقبضوا على الداوات والسفن التي بالأساكن وحوزها ، واستولى على البن الذي وجدته بيندر السويس للتجار . فلما وصل خبر ذلك الى مصر ، غلا سعر البن ، وزاد حتى وصل الى خمسين ريالاً فرانسة ، بعد أن كان بسنة وثلاثين ، عنها اثنا عشر ألف قضة وخمسمائة نصف قضة

سبتمبر

٢ منه (٢٦ فبراير ١٨١١ م):

حضر الباشا من السويس الى مصر في سنادس ساعة من الليل . فضربوا في صباحها عدة مدافع لحضوره . وقد حضر على هجين بمفرده ، ولم يصحبه الا رجل يدوى على هجين أيضا ليدله على الطريق ، وقطع المسافة في احدى عشرة ساعة . وحضر من كان بصحبته في ثاني يوم ، وهم مجدون السفر ، وحضر السيد محمد المحروقي بحموله في اليوم الثالث .

واخبروا أن الباشا أنزل من ساخل السويس

خمسة مراكب من المراكب التي أنشأها ، باحتياجاتها ولوازمها وعساكرها ، ووجههم الى ناحية اليمن ، ليقبضوا على ما يجدونه من المراكب ، وأن الصناع مجتهدون في العمل في مراكب كبار لحمل الخيول والعساكر واللوازم .

وفيه : حضر صالح أغا قوج حاكم أسيوط ، وتناقلت الأخبار عن الأمراء المصريين القبلين ، بأنهم حضروا الى الطينة ، ورجعوا الى ناحية قنا وقوص . وخرج اليهم أحمد أغا لاط ، وتطارب معهم ، وقتل من عساكره عدة وافرة .

وفيه : قلد الباشا ابنه طوسون باشا صارى عسكر الركب الموجه الى الحجاز ، وأخرجوا جيشهم الى ناحية قبة العزب ، ونصبوا عرضيا وخياما . وأظهر الباشا الاجتهاد الزائد والعجلة وعدم التواني ، ونوه بتفسير عساكر ل ناحية الشام ، لتبليك يوسف باشا لمحله .. وصارى عسكرهم شاهين بيك الألفى ، ونحو ذلك من الابهامات . وطلب من المنجمين أن يختاروا وقتا صالحا لالباس ابنه خلعة السفر . فاختراروا له الساعة الرابعة من يوم الجمعة .

٤ منه (٢٨ فبراير ١٨١١ م):

طاف آلاى جاويش بالأسواق ، على صورة الهيئة القديمة في المتاداة على المواك العظيمة ، وهو لابس الضلعة والطبق على رأسه ، وراكب حمار عال ، وأمامه مقدم بمكاز ، وحوله قابجية ينادون بقولهم : « يارنى آلاى » . ويكررون ذلك في أخطاط المدينة . وطاقوا بأوراق التناية على كبار

العسكر والبيانات والأمراء المصرية الألفية وغيرهم ،
يطلبونهم للحضور في باكر النهار الى القلعة ليركب
الجميع بتجملاتهم وزيتهم أمام الموكب
٦ منه (٢ مارس ١٨١١ م) :

ركب الجميع ، وطلعوا الى القلعة . وطلع المصرية
بماليكهم وأتباعهم وأجنادهم . فدخل الأمراء عند
الباشا ، وصبحوا عليه ، وجلسوا معه حصرة ،
وشربوا القهوة وتضاحك معهم .

ثم انجر الموكب على الوضع الذي رتبوه : فانجر
طائفة الدلاة وأميرهم المسمى أزوز على ، ومن
خلفهم الوالى والمحتسب والأغا والوجاقلية
والالدشات المصرية ومن تريا بزيم ، ومن خلفهم
طوائف العسكر الرجالة والخيالة والبيكباشيات
وأرباب المناصب منهم ، وابراهيم أغا أغات الباب ..
وسليمان بيك الباب يذهب ويجيء ويرتب
الموكب .

وكان الباشا قد بيت مع حسن باشا وصالح
قوج والكتخدا فقط غدر المصرية وقتلهم ، وأسر
بذلك في صبحها ابراهيم أغا أغات الباب . فلما
انجر الموكب ، وفرغ طائفة الدلاة ومن خلفهم من
الوجاقلية والدشات المصرية ، وانفصلوا من باب
العزب .. فعند ذلك أمر صالح قوج بفتح الباب ،
وعرف طائفته بالمراد فالتفتوا ضاربين بالمصرية -
وقد انحصروا بأجمعهم في المضيق المنحدر الحجر ،
المقطوع في أعلى باب العزب ، مسافة ما بين الباب
الأعلى الذى يتوصل منه الى رجة سوق القلعة
الى الباب الأسفل - وقد أعدوا عدة من العساكر
أوقفوهم على علاوى النقر الحجر والجيطان التى
به . فلما حصل الضرب من التحتانيين ، أراد الأمراء
الرجوع القهقرى ، فلم يمكنهم ذلك .. لا تنظروا
الخيول فى مضيق النقر ، وأخذهم ضرب السنادق
والقرايين من خلفهم أيضا . وعلم العسكر الواقفون
بالأعلى المراد ، فضربوا أيضا .

فلما نظروا ما حل بهم ، سقط فى أيديهم ،
وازتكوا فى أنفسهم ، وتحيروا فى أمرهم ، ووقع
منهم أشخاص كثيرة .. فنزلوا عن الخيول ، واقتحم
شاهين بيك وسليمان بيك البواب وآخرون فى عدة
من ماليكهم راجعين الى فوق ، والرصاص نازل
عليهم من كل ناحية ، ونزعوا ما كان عليهم من
الفراوى والثياب الثقيلة ، ولم يزلوا سائرين
وشاهرين سيوفهم ، حتى وصلوا الى الرجة
الوسطى المواجهة لقاعة الأعمدة .. وقد سقط
أكثرهم ، وأصيب شاهين بيك وسقط الى الأرض
فقطعوا رأسه ، وأسرعوا بها الى الباشا ليأخذوا
عليها البقشيش .

وكان الباشا ، عندما ساروا بالموكب ، ركب من
ديوان السراية ، وذهب الى البيت الذى به الحريم ،
وهو بيت اسمعيل أفندى الضريخانة .

وأما سليمان بيك البواب ، فهرب من حلاوة
الروح ، وصعد الى حائط البرج الكبير فتابعوه
بالضرب حتى سقط ، وقطعوا رأسه أيضا . وهرب
كثير الى بيت طوسون باشا ، يظن الالتجاء به ،
والاحتباء فيه .. فقتلوهما .

وأسرف العسكر فى قتل المصريين ، وصلب
ما عليهم من الثياب ، ولم يرحموا أحدا ، وأظهروا
كامن حقدهم ، وضبعو فيهم وفين رافقهم متجسلا
بعضهم من أولاد النكاس وأهالى البلد الذين تزيوا
بزيهم لزيئة الموكب ، وهم يصرخون ويستغيثون ،
ومنهم من يقول : « أنا لست جنديا ولا مملوكا » ،
وآخر يقول : « أنا لست من قبيلتهم » ، فلم يرقوا
لصارخ ولا شاك ولا مستغيث .

وتبعوا المشتتين والهربانين فى نواحي القلعة
وزواياها ، والذين فروا ودخلوا فى البيوت
والأماكن ، وقبضوا على من أمسك حيا ولم يمت
من الرصاص ، أو متخلقا عن الموكب وجالسا مع

الكتخدا : كآحمد بك الكيلارج . ، ويحيى يسك
الأنفى ، وعلى كاشف الكبير .. فسلبوا ثيابهم ،
وجمعوهم الى السجن تحت مجلس كتخدا بك ،
ثم أحضروا أيضا المشاعلى لرمى أعناقهم فى حوش
الديوان ، واحدا بعد واحد ، من ضحوة النهار الى
أن مضى حصه من الليل فى المشاعل .. حتى امتلأ
الحوش من القتلى !

ومن مات من المشاهير المعروفين ، وانصرع فى
طريق القلعة ، قطعوا رأسه ، وسحبوا جثته الى
باقى الجثث .. حتى أنهم ربطوا فى رجلى شاهين
بيك ويديه حبالا ، وسحبوه على الأرض ، مثل
الحمار الميت ، الى حوش الديوان !

هذا ما حصل بالقلعة . و أما أسفل المدينة : فانه
عندما أغلق باب القلعة ، وسمع من بالرميلة صوت
الرصاص ، وقعت الكرشة فى الناس ، وهرب من
كان واقفا بالرميلة من الأجناد فى انتظار الموكب ،
وكذلك المتفرجون . واتصلت الكرشة بأسواق
المدينة .. فانزعجوا ، وهرب من كان بالحوانيت
لانتظار الفرجة ، وأغلق الناس حوانيتهم . وليس
لأحد علم بما حصل وظنوا ظنوننا

وعندما تحقق العسكر حصول الواقعة ، وقتل
الأمراء ، انبثوا كالجراد المنتشر الى بيوت الأمراء
المصريين ومن جاورهم ، طالبين النهب والغنيمة ،
فولجوها بقتة ونهبوها بها ذريعا ، وهتكوا الجرائر
والحریم ، وسحبوا النساء والجوارى والخوندات
والستات ، وسلبوا ما عليهن من الحلى والجواهر
والثياب ، وأظهروا الكامن فى نفوسهم ، ولم
يجدوا مانعا ولا رادعا . وبعضهم قبض على يد امرأة
ليأخذ منها السوار فلم يتمكن من نزاعها بسرعة ،
فقطع يد المرأة !

وحل بالناس فى بقية ذلك اليوم من الفرع
والخوف وتوقع المكروه ما لا يوصف . لأن الممالك

والأجناد تداخلوا ، وسكنوا فى جميع الحارات
والنواحي ، وكل أمير له دار كبيرة فيها عيالة
وأتباعه ومماليكه وخيوله وجماله ، وله دار وداران
صغار فى داخل العطف ، ونواحي الأزهر والمشهد
الحسينى .. يوزعون فيها ما يخافون عليه لظنهم
بعدها وحمايتها بحرمة الخطه ، وصونها عند وقوع
الحوادث .

وكثير من كبار العسكر مجاورون لهم فى جميع
النواحي ، ويرمقون أحوالهم ، ويطلعون على أكثر
حركاتهم وسكناتهم ، ويتدخلون فيهم ،
ويعاشرهم ويسامرونهم بالليل ، ويظهرون لهم
الصدقة والمحبة .. وقلوبهم محشوة من الحقد
عليهم والكراهة لهم ، بل ولجميع أبناء العرب

فلما حصلت هذه الحادثة ، بادروا لتحصيل
مأمولهم ، وأظهروا ما كان مخفيا فى صدورهم ..
وخصوصا من التشفى فى النساء . فان العظيم منهم
كان اذا خطب أدنى امرأة ليتزوج بها ، فلا ترضى
به ، وتعافه ، وتأنف قربه . وان الح عليهما ،
استجارت بمن يحميها منه ، والا هربت من يتها ،
واختفت شهورا ... وذلك بخلاف ما اذا خطبها
أسفل شخص من جنس الممالك ، أجابته فى الحال

واتفق أنه لما اصططح الباشا مع الألفية ، وطلبوا
البيوت ، ظهر كثير من النساء المستترات المخفيات ،
وتنافسوا فى زواجهن ، وعملوا لهم الكساوى :
وقدموا لهم التقادم ، وصرفوا عليهم لوازم البيوت
التي تلزم الأزواج لزواجهن .. كل ذلك برأى مر
الأترك يحققونه فى قلوبهم .

وفيه من حى جاره ، وصان دياره ، ومايع
أعلاهم أدناهم — وقليل ماهم — وذلك لغرض
يتغيه ، وأمر برتجيه ! فانه بعد ارتفاع النهب ،
كانوا يقبضون عليهم من البيوت ، فيستولى الذى
حماء ودافع عنه على داره وما فيها . وانتهت دور



ملوحة القلعة

وركب الباشا في الضحوة ، ونزل من القلعة ، وحوله أمراؤه الكبار مشاة ، وأمامه الصفاشية والجاويشية بزنتهم وملابسهم الفاخرة . والجميع مشاة ليس فيهم راكب سواء ، وهم محدقون به وأمامه وخلفه عدة وافرة . والفرح والسرور بقتل المصريين ونهبهم والظفر بهم ، طافح من وجوههم . فكان كلما مر على أبواب الدرك والقللقات والضابطين ، وقف عليهم ووبخهم على النهب وغدم منعهم لذلك .. والحال أنهم هم الذين كانوا ينهبون أولا ، ويتبعهم غيرهم !

فمر على العقادين الرومي والشوائين ، فخرج إليه شخص من تجار المغاربة ، يسمى العربي الحلو ، وصرخ في وجهه وهو يقول : « ايش هذا الحال ! ايش لنا علاقة حتى ينهبنا العسكر . ونحن ناس فقراء مغاربة متسبيون ، ولسنا ممالك ولا أجناد » .

كثيرة من المجاورين لهم أو لدور أتباعهم ... بأدلى شبهة وبغير شبهة . أو يدخلون بحجة التفتيش ، ويقولون : « عندكم مملوك ، أو سبعا أن عندكم ودعة لمملوك » . وبات الناس وأصبحوا على ذلك .

ونهب في هذه الحادثة من الأموال والأمتعة ما لا يقدر قدره ، ويحصيه الا الله سبحانه وتعالى . ونهبت دور كثيرة من دور الأعيان الذين ليسوا من الأمراء المقصودين ، ومن المتقيدين بخدمة الباشا ، مثل : ذى الفقار كئخدا المتولى خوليا على بساتين الباشا التي أنشأها بشبرا ، وبيت الأمير عثمان أنما الورداني ، ومصطفى كاشف المورلى ، والأفندية الكتبة وغيرهم .

وأصبح يوم السبت .. والنهب والقتل والقبض على المتساورين والمختفين مستمر ، ويدل البعض على البعض أو يغمز عليه .

عن ذلك . ولولا نزول الباشا وابنه في صبح ذلك اليوم لنهب العسكر بقية المدينة ، وحصل منهم غاية الضرر .

وأما القبض على الأجناد والمماليك فمستمر ، وكذلك كل من كان يشبههم في الملبس والزي . وأكثر من كان يقبض عليهم عساكر حسن باشا الأرثوودي ، فيكبسون عليهم في الدور ، أو في الأماكن التي تواروا فيها واستدلوا عليهم ، فيقبضون على من يقبضون عليه ، وينهبون من الأماكن ما يمكنهم حمله ، وثياب النساء وحليهن ، ويسحبون الواحد والاثنين أو أكثر بينهم ، يأخذون عمامتهم وثيابهم وما في جيوبهم في أثناء الطريق !

وإذا كان كبيرا أو أميرا يستحى منه ، طلبوه بالرفق . فإذا ظهر لهم ، قالوا له : « سيدنا حسن باشا يستدعيك اليه فلا تخش من شيء » . ويطمئن قليلا ، ويظن أنهم يجيرونه ... وعلى أى حال لا يسعه الا الاجابة ، لأنه ان امتنع أخذوه قهرا . فإذا خرج من الدار استصحبه جماعة منهم ، وطلع البواقي الى الدار ، فأخذوا ما قدروا عليه ولحقوا بهم ... وجرى على المأخوذ ما يجرى على أمثاله من المأخوذين .

والبعض توارى ، والتجأ الى طائفة الدلاة ، وتزيا بشكلهم ، ولبس له طرطورا وأجاروه . وهرب كثير في ذلك اليوم ، وخرجوا الى قبلى . وبعضهم تزيا بزي نساء الفلاحين ، وخرج في ضمن الفلاحات اللاتي يعمن الجلة والجنة . وذهبوا في ضمنهم . وفر من نجا منهم الى الشام وغيرها .

وأما كنتخدا بيك فانه ، لشدة بغضه فيهم ، صار لا يرحم منهم أحدا . فكان كل من أحضره — ولو فقيرا هرما من ممالك الأمراء الأقدمين —

فوقف اليه ، وأرسل معه تقرا الى داره ، فوجدوا بها شخصين : أحدهما تركي ، والآخر بلدي ، وهما يلتقطان آخر النهب وما سقط من النهابين .. فأمر بقتلهما . فأخذوهما الى باب الخرق ، وقطعوا رؤوسهما .

ثم انه عطف على جهة الكعكين ، فلاقاه من أخبره بأن المشايخ مجتمعون ، ونيتهم الركوب لملاقاته والسلام عليه والتهنئة بالظفر ! فقال : « أنا أذهب اليهم » . ولم يزل في سيرة حتى دخل الى بيت الشيخ الشرقاوى ، وجلس عنده ساعة لطيفة . وكان قد التجأ الى الشيخ شخصان من الكشاف المصرية ، فكلمه في شأنهما ، وترجى عنده في اعتاقهما من القتل ، وأن يؤمنهما على أنفسهما . وقال له : « لاتفصح شيبتي يا ولدى ، واقبل شفاعتي ، وأعطهما محرمة الأمان » . فأجابه الى ذلك ، وقال له : « شفاعتك مقبولة ، ولكن نحن لا نعطي محارم ، وأنا أمانى بالقول ، أو نكتب ورقة ونرسلها اليك بالأمان » . فاطمان الشيخ لذلك .

ثم قام الباشا وركب وطلع الى القلعة ، وأرسل ورقة الى الشيخ يطلبهما فقال لهما الشيخ : « ان الباشا أرسل هذه الورقة يؤمنكما ويطلبكما اليه » . فقالا : « وما يفعل بذهابنا اليه ؟ فلا شك في أنه يقتلنا » فقال الشيخ : « لا يصح ذلك ولا يكون .. كيف أنه يأخذكم من بيتي ويقتلكم بعد أن قبل شفاعتي » . فذهبا مع الرسول . فعندما وصلا الى الجوش — وهو مملوء بالقتلى ، وضرب الرقاب واقع في المحبوسين والمحضرين — قبضوا عليهما ، وأدرجا في ضمنهم !

وفي ذلك اليوم : نزل طوسون ابن الباشا — وقت نزول أبيه — وشق المدينة ، وقتل شخصا من النهابين أيضا فارتفع النهب ، وانكف العسكر

يأمر بضرب عنقه . وأرسل أوراقا الى كشف النواحي والأقاليم بقتل كل من وجدوه بالقرى والبلدان . فورحت الرؤوس في ثاني يوم من النواحي ، فيضعونها بالرميلة وعلى مصطبة السبيل المواجه لباب زويلة .

وكان كثير من الأجناد بالأرياف لتحصيل الفرض التي تعهدوا بدفعها عن فلاحهم . واقضت أجلتهم ، وطولبوا بالدفع والفلاحون قصرت أيديهم ، ولم يقبلوا للملتزمين عذرا في التأخير . فلم يسعهم الا الذهاب بأنفسهم لأجل خلاص المطلوب منهم للديوان . فعند ما وصلت الأوامر الى كشف الأقاليم بقتل الكائنين بالبلاد ، بادروا بقتل من يمكنهم قتله . ومن بعد عنهم أرسلوا لهم العساكر في محلاتهم ، فيدهمونهم على حين غفلة ، ويقتلونهم وينهبون متاعهم وما جمعوه من المال ، ويرسلون برؤوسهم ، أو يتحيلون على القبض عليهم وقتلهم . فصار يصل في كل يوم العدد من الرؤوس من قبلى وبحرى ، ويضعونها على باب زويلة وباب القلعة ، ولم يقبلوا شفاعة في أحد أبدا . ويعطون الأمان للبعض ، فاذا حضروا ... قبضوا عليهم وشلحوهم ثيابهم وقتلوهم .

والباشا يعلم من كتحذاه شدة الكراهة لجنس الماليك ، ففوض له الأمر فيهم . حتى أنه كان بينه وبين محمد أغا ، كتحذا الجاويشية سابقا ، بعض منافرة من مدة سابقة ، أو لكونه صاهر بعض الألفية وزوجه ابنته . وكان غائبا ببلدة يقال لها الفرعونية جارية في اقطاعه ، وتعهد بما عليها من الفرض ، فذهب اليها بنفسه ليستخلص منها الفرضه والمال الميرى . فأرسل الكتحذا بيك الى كاشف المنوفية قبل الحادث يوم يأمره فيه بأمره . فأرسل اليه طائفة من العسكر دخلوا عليه في

التجرية — وهو يتوضأ لصلاة الصبح — فقتلوه وقطعوا رأسه وأحضروها الى مصر !

وكانوا يأتون بأشخاص من بقايا النيوت القديمة ، فيمثلونهم بين يدي الكتحذا . فيسألهم فيحبرون عن أنفسهم ونسبتهم ، فيكذبهم ويأمرهم الى الحبس الأعلى حتى يتبين أمرهم ... فاما تدركهم الألفاف فينجون بعد معاينة الموت — وهذا في النادر — فقتل في هذه الحادثة أكثر من ألف انسان ، أمراء وأجناد وكشاف ومماليك . ثم صاروا يحملون رممهم على الأخشاب ويرمونهم عند المغسل بالرميلة ، ثم يرفعونهم ويلقونهم في حفرة من الأرض فوق بعضهم البعض ... لا يتميز الأمير عن غيره . وسلخوا عدة رؤوس من رؤوس العظام ، وألقوا جماجمهم المسلوخة على الرمم في تلك الحفرة .

فكانت هذه الكائنة من أشنع الحوادث التي لم يتفق مثلها . ولم ننج من الألفية الا أحمد بيك زوج عديلة هانم بنت ابراهيم بيك الكبير ، فانه كان غائبا بناحية بوش ، وأمين بيك تسلق من القلعة وهرب الى ناحية الشام ، وعمر بيك أيضا الألفى كان مسافرا في ذلك اليوم الى القيوم ، فقتلوه هناك وبعثوا برأسه بعد خمسة أيام ، ومعها نحو الخمسة عشر رأسا . وأرسل دبوس أوغلى حاكم المنية خمسة وثلاثين رأسا . وحضر من ناحية بحرى غير ذلك كثير .

وأما من قتل في ذلك اليوم ، ممن له ذكر وبلغنى خبره ، فهم : شاهين بيك كبير الألفية ، ويعيى بيك ، ونعمان بيك ، وحسين بيك الصغير ، ومصطفى بيك الصغير ، ومراد بيك ، وعلى بيك .. هؤلاء من الألفية .

ومن غيرهم أحمد بيك الكيلارجى ، ويوسف بيك أبو دياب ، وحسن بيك صالح ، ومرزوق بيك ابن ابراهيم بيك الكبير ، وسليمان بيك البواب ،

يومين من الحادثة . واجتمع عندها الكثير من أهل
المقتولين ونسائهم ، وأقاموا على ذلك شهورا .
وفي يوم الحادثة أرسل محرم بيك ، صهر الباشا
حاكم الجيزة ، فجمع مال المصرية باقليم الجيزة في
الريبع ، من الخيول والجمال والهجن وغيرها ،
فكان شيئا كثيرا .

٨ منه (٤ مارس ١٨١١ م) :

نودى على نساء المقتولين بالأمان ، وأن يحضرن
الى بيوتهن ويسكنن فيها — مع كونها صارت
بلاقع — فرجع البعض ، وهن اللاتي لم يحصل
لهن كثير الضرر ، وبقي البعض في اختفائه .

وأنعم الباشا على خواصه بالبيوت بما فيها ،
فنزلوها وسكنوها ، وألبسوا النساء الخواتم ،
وجددوا الفرش والأواني ... وغالبها من المنهويات .

وأنعم بيت شاهين بيك على حسين أغا من
أقاربه ، ولم يحصل به ما حصل بغيره لكونه
ملاصقا لبيت طاهر باشا ، وأرسل الباشا طائفة من
العسكر جلسوا على بابيه .

وأما أحمد بيك الألفى ، فانه وصله النذير ،
فاتنقل من بوش ، وذهب عند الأمراء القبالي . ولما
وصلتهم أخبار هذه الحادثة ، وبلغ ابراهيم بيك
موت ولده على هذه الصورة ... أقاموا العزاء على
اخوانهم ، ولبسوا السواد .

وفي ثاني يوم الواقعة حضر أحد الكشاف رسولا
من عند الأمراء القبليين ، يطلبون العفو من الباشا ،
وأن يعطيهم جهة يتميشون منها . فوعده ببرد
الجواب في غير الوقت ، فأهمله وما أدري ما تم له
وفيه : قلد الباشا مصطفى بيك ابن أخته ،
وجعله كبيرا على طائفة الدلاة . وكان أحضره من
ناحية الشرقية ليزهد الى قبلى ، وأقام بدله في
كشوفية الشرقية على كاشف بن أحمد كتخدا من
المصرية .

وأحمد بيك تابعه ورشوان بيك ، وابراهيم بيك
تابعاه ، وقاسم بيك تابع مراد بيك الكبير ، وسليم
بيك الدمرجى ، ورستم بيك الهرقاوى ، ومصطفى
بيك أيوب ، ومصطفى بيك تابع عثمان بيك حسن
وعثمان بيك ابراهيم ، وذو الفقار تابع جوجر ،
وهو رجل كبير من الأقدمين البطالين ... هرب هو
ومصطفى بيك الجداوى وآخر عند صالح بيك
السلحدار ، والتجأوا اليه ، وطمنهم ، وأرسل
بخبرهم ، فحضر الأمر بقطع رؤوسهم ، فأحضر
المشاعلى وقطع رؤوسهم في مقعده ، وأرسلها .

ومن الأمراء الكشاف الألفية فهم : على كاشف
الخازندار ، وعثمان كاشف الحبشى ، ويحيى
كاشف ، ومرزوق كاشف ، وعبد العزيز كاشف ،
ورشوان كاشف ، وسليم كاشف ططر ، وقايد
كاشف ، وجعفر كاشف ، وعثمان كاشف ، ومحمد
كاشف أبو قطية ، وأحمد كاشف الفلاح ، وأحمد
كاشف صهر محمد أغا ، و خليل كاشف ، وعلى
كاشف قيطاس ، وأحمد كاشف ، وموسى كاشف ،
وغير ذلك ممن لم يحضرلى أسماؤهم — وهم
كثيرون .

وختم الله للجميع بالخير ا فانه بلغنى ممن عاينهم
بالحبوس ، وفي حال القتل ، أنهم كانوا يقرأون
القرآن ، وينطقون بالشهادتين والاستغفار .
وبعضهم طلب ماء وتوضأ وصلى ركعتين قبل أن
يرمى عنقه . ومن لم يجد ماء تيمم .

ولاشتغال أهل المقتولين بأنفسهم ، وما حصل
لهم من النهب والسلب والتشتيت عن أوطانهم ، لم
يعوا ولم يسألوا عن موتاهم ... غير أم مرزوق بيك
ابن ابراهيم بيك الكبير ، فانها وجدت عليه وجدا
عظيما ، وطلبته في القتل ، فعرفوا جثته بعلامة
فيه ، وجميعته بكونه كان كريم العين ، فأخرجوه
وكفنوه ودفنوه في تربتهم ... وذلك بعد مضي

١٨ منه (١٤ مارس ١٨١١ م) :

عدي مصطفى بك المذكور الى بر الجيزة
ليسافر الى قبلى ، ونصب وطاقه بحرى القصر .
وعدي أيضا الباشا وأقام بالقصر ، وشرع عسكره
الدلاة فى التعدي ليلًا ونهارًا .

وفيه أيضا : خرج عدة من عسكر الدلاة ، نحو
الخمسمائة نفر ، الى ناحية قبة العزب ليسافروا
الى بلادهم . فاستمروا فى قضاء أشغالهم أياما ،
ثم سافروا .

٢٣ منه (١٩ مارس ١٨١١ م) :

ارتحل مصطفى بك ، وانتقل الى ناحية
الشيخ عثمان ، مسافرا الى قبلى . وعدي الباشا
راجعا الى مصر .

وفيه : حضر ططريان من الروم يبشران بالمغو
عن يوسف باشا المنفصل عن الشام . وقبل فيه
ترجى باشة مصر وشفاعته .

٢٥ منه (٢١ مارس ١٨١١ م) :

أحضروا من ناحية قبلى أربعة وستين شخصا ،
وأكثرهم من الذين كانوا مستوطنين بالبلاد .. من
بقايا البيوت القديمة ، السنين العديدة ، وعترتين .
فلما أحضروهم الى مصر القديمة ، أبقوهم الى
الليل فى مجبس . ثم أوقدوا المشاعل بساحل
البحر ، وقطعوا رؤوسهم ، ورموا بجثثهم الى
البحر ، وأتوا بالرؤوس ، فوضعوها تجاه باب
زويلة ليراها الناس كما رأوا غيرها !

ربيع الأول

الأحد ٦ منه (٣١ مارس ١٨١١ م) :

عمل الباشا لابنه طوسون باشا موكبا عظيما .
ونهبوا فى ليلتها على اجتماع العسكر فى صباحها .
ونزل هو الى جامع الغورية ليتفرج على الموكب ،
وصحبته حسن باشا . واستعد لذلك السيد

المحروقى ، وفرش له بالجامع المذكور فروشا
ومراتب ووسائد . فمر الموكب ، وفى أوله طائفة
الدلاة . فلما فرغوا ... مروا بعشرة مدافع كبار
على عربيات ، وعريتين . تحملان هوتين قنابير ،
وخلفهم طوائف العسكر الرجالة : أرثود ،
وأتراك ، وسجبان — وهم كثيرون — محتلطون
من غير ترتيب مدة طويلة ، ثم كبارهم ركبانا
بطوائفهم ، ثم الوالى والمحتسب وأغاة مستحفظان ،
ثم طوائف صاحب الموكب وجنائبه ، وكذا هجنه ،
ثم الجاوشية والسعاة والملازمون ، ثم طوسون
باشا وخلفه أتباعه وأغواته ، ثم الكتخدا — وهو
محمد كتخدا ، المعروف بالبرديسى ، وهو الذى
كان كتخدا الألفى — وصحبته الخازندار ، وخلفهم
النوبة التركية .

ولما انقضى أمر الموكب ، دعاه المحروقى الى
منزله . فنزل معه من باب السر الذى بالجامع
المعروف بالغورى ، وصحبته حسن باشا ، وتوجهوا
الى بيت المحروقى ، وتفدى عنده هو وأتباعه
وخواصه ، وأحضر له آلات الطرب ، واستمر
هناك الى آخر النهار فى حظ وكيف ، وقدم له
المحروقى تعابى هدية ... ثم ركب عائدا الى محله .

الاثنين ١٤ منه (٨ ابريل ١٨١١ م) :

نزل الباشا الى ترعة الفرعونية للاهتمام بسدها ،
ونقل الأحجار فى المراكب مستمر ، فأقام عند السد
أربع ليال . وذهب الى الاسكندرية عندما أتته
الأخبار بورود مراكب الانكليز لأجل مشترى
الغلال ، فذهب ليباع عليهم الغلال التى جمعها .
فباع عليهم كل أردب بمائة قرش رومى ، عنها
أربعة آلاف فضة وأكثر . واجتهد ببناء أسوار
الاسكندرية ، وجدد بها أبراجا وحصونا ، وأرسل
بطلب البنائين والصناع ، فجمعوهم من كل ناحية
وطالت غيبته هناك واقامته لتتيم أغراضه .
وأمن مشايخ عريان أولاد على المستولين على

فيجتمع أهل الحرفة ، ويضجون ، ويأتون بدفاترهم وبيان رأس مالهم ، وما ينضاف اليه من غلو جزئيات تلك البضاعة ، وما استحدث عليها من الجبارك والمكوس ، وغلو الأجر في البحر والبر ... فلا يستمع لقولهم ، ولا يقبل لهم عذرا ، ويأمر بهم الى الحبس . فعند ذلك يطلبون الخلاص ويصالحون على أنفسهم بقدر من المال يدفعونه ، ويوزعون ذلك على أفرادهم فيما بينهم . ثم يزدون في سعر تلك البضاعة ليعوضوا غرامتهم من الناس ... معتذرين بتلك الغرامة وما حل بهم من الخسارة ، ثم تستمر الزيادة على الدوام ... وأظن استمرار الغرامة أيضا ! فجمع بهذه الكيفية أموالا عظيمة . وهي في الحقيقة سلب أموال الناس من الأغنياء والفقراء .

في اواخره (النصف الثاني من مايو ١٨١١ م) :

حضر الباشا من الاسكندرية على حين غفلة ، فبات بقصر شبرا . ثم حضر الى بيت الأربكية ، فأقام به يومين ، ثم طلع الى القلعة . وفيه : وصلت عساكر كثيرة من الأرثوود والأتراك حتى غصت بهم المدينة . فلا يكاد المسار يقع بصره الا عليهم أمام وخلف وبدخل الأزقة والعطف . وذلك خلاف الذين أقرهم وأبقاهم في الاسكندرية ومن هو بالجهات والأقاليم القبلية والبحرية ... وما يعلم جنود ربك الا هو ! وفيه : اهتم الباشا بتشغيل العرضي اهتماما زائدا وفرض على البلاد جمالا وأتابانا وغلالا .

جمادى الأولى

(٢٤ مايو - ٢٢ يونية ١٨١١ م)

فيه : ورد قاصد من الديار الرومية وعلى يده إشارة : بأنه ولد السلطان مولودة أنثى . فعملوا لها شنكا ، وهي مدافع تضرب من أبراج القلعة في الأوقات الخمسة ... ثلاثة أيام .

البحيرة ، وتحيل عليهم . فلما حضروا اليه قبض عليهم ، وقرر عليهم أموالا عظيمة ، ثم خلع عليهم وعوقبهم . وأرسل العساكر فنهبت نجوعهم ، وسبوا نساءهم وأولادهم ومواشيهم !

وأما كتحدا بيك ، فانه ببصر يقرر الفرض على البلاد هو والكتبة حسب أوامر مخدومه . ونظموا كيفية أخرى ، وهي أنهم جمعوا الميرى والمضاف والفائض والرزق ... ايراد أربع سنوات ، وكتبوا بها مراسيم بنصف المقرر ليقبض في دفعتين . وبعد أن تقرر النصف الأول ، وتحصل منه ما تحصل ، وبقي الباقي مع النصف الآخر ، ويطلب من أربابه ولا بد ... لا مسامحة في شيء منه . ومن تكفل بما تقرر على حصته ، وألزم نفسه بدفعه ، وكتب على نفسه وثيقة لأجل ... طوالب به ، حتى قبل حلول الأجل ، لاحتياج المهمات . فتنوجه عليه الحوالات بيد العساكر ، فينزلون بداره ويلزمونها ويضيقون أنفاسه ، ويكلفونه ما لا يطيق . فلا يجد ملجأ ولا خلاصا الا بأحد الشيئين : اما الدفع بأى وجه كان ، واما ينزل عن حصته بالفراغ للديوان . ولا يبقى بيده ما يتقوت به هو وعياله ، ويصبح فقيرا لا يملك شيئا ان لم يكن له ايراد من جهة أخرى .

ربيع الآخر

(٢٥ ابريل - ٢٣ مايو ١٨١١ م)

... الكتحدا يتنوع في استجلاب الأموال ، وتحيل في استخراجها بأنواع من الحيل فمنها : أنه يرسل الى أهل حرفة من الحرف ، ويأمرهم ببيع بضاعتهم بنصف ثمنها ، ويظهر أنه يريد الشفقة والرافة بالناس ، ويرخص لهم في أسعار المبيعات ، وأن أرباب الحرف تعدوا الحدود في غلاء الأسعار .

الثلاثاء ، بحضرة كتحدايك . والباشا غائب بالسويس .

شعبان

٢ منه (٢٢ اغسطس ١٨١١ م) :

سافر ديوان أفندي بمن بقي من العساكر البحرية .

٨ منه (٢٨ اغسطس ١٨١١ م) :

حضر الباشا من السويس ، وشرع في تشييل العساكر البرية .

١٥ منه (٤ سبتمبر ١٨١١ م) :

خرج الباشا الى العادلية ، واجتهد في تشييل سفر العساكر البرية اجتهدا كبيرا ، وجمع من أهل كل حرفة طائفة ، وكذلك من أهل كل صنعة . والذي يعجز عن السفر ، يخرج عنه بدلا . ونعين من الفقهاء للسفر الشيخ محمد المهدي من الشافعية ، ومن الحنفية السيد أحمد الطحطاوى ، وشيخ خبلى وصل من ناحية الشام . وكانوا رسموا باحضار السيد حسن كريت المالكي من رشيد ، والشيخ على خفاجى من دمياط ، فحضرا واعتذرا ، فأعفيا من السفر ورجعا الى بلديهما .

وفى هذا الشهر : ظهر نجم له ذنب فى جهة الشمال بين بنات نعش الصغرى ، وبين منار بنات نعش الكبرى : رأسه جهة المغرب ، وذنبه صاعدا الى جهة المشرق ، وله شعاع مستطيل فى مقدار الرمح . واستمر يظهر فى كل ليلة ... والناس ينظرون اليه ، ويتحدثون به ، ويسألون الفلكيين عنه ، ويبحثون عن دلائله وعن الملاحم المصنفة فى ذوات الأذنان . واستمر ظهوره قريبا من ثلاثة أشهر ، واضمحل بعض جرمه ، ومشى الى ناحية الجنوب ، وقرب من النسر الطائر .

وفيه : فرضوا فريضة بغال على مياسير الناس وأهل الحرف : بغلة وبغلتين وثلاثة . والذي لم يكن عنده بغلة ، يلزم بالشراء ، أو أنه يدفع ثمنها كيما عشرون ألف فضة .

وفيه : انقطع الوارد من الديار الحجازية ، وغلا سعر البن حتى وصل الى مائتين وسبعين نصف فضة كل رطل ، وقل وجوده من الأسواق والدكاكين ... فلا يوجد الا مع المشقة . وصنع الناس القهوة من أنواع الجنبوب المخصصة : كالشعير والقمح والبقول ، وبزر العاقول وغيره ... مخلوطا مع البن ، وبغير خلط !

جداى الآخرة

الجمعة ٢٠ منه (١٢ يولية ١٨١١ م) :

خرج الباشا الى البركة ، وطلب الجمال وقوافل العرب ، وشييل طائفة من العسكر للسفر الى السويس فاهتموا بالدخول والخروج من المدينة ، وطلقوا يخطفون الحمير والبغال والجمال ، وكل ما صادفوه من الدواب . ومن وجدوه راكبا ، ولو من وجهاء الناس ، أنزلوه عن دابته وركبوا . فانقبض الناس ، وانكمش غالبهم عن الركوب لمصلحتهم ، وأخفوا حميرهم وبغالهم . وأقام الباشا ثلاثة أيام جهة البركة ، ثم ركب الى السويس .

وفيه : وردت مراكب وداوات وفيها البن . وذلك باستدعاء الباشا لها من ناحية جدة واليمن لأجل حمل العساكر واللوازم ، وانحل سعر البن قليلا .

رجب

الاثنين ٢٢ منه (١٢ اغسطس ١٨١١ م - ٧ مسرى ١٥٢٧ ق) :

أوفى النيل أنذرعه ، وكسر السد فى صباحها يوم

رمضان

٩ منه (٢٧ سبتمبر ١٨١١ م) :

ارتحل العسكر من الحصوة ونزلوا ببركة الحج.

١٢ منه (٣٠ سبتمبر ١٨١١ م) :

ارتحلوا من البركة . فكان مدة مكث العرضى ، من يوم خروج الموكب الى يوم ارتحالهم من البركة ، قريبا من ستة أشهر ونصف . والناس فى أمر مريج فى كل شىء .

وفيه : خرج السيد محمد المحرقى لیسافر صحبة الركب ، وخرج فى موكب جلیل ، لأنه هو المشار اليه فى رئاسة الركب ولوازمه واحتياجاته ، وأمور العربان ومشايخها . وأوصى الباشا ولده طوسون باشا أمير العسكر بأن لايفعل شيئا من الأشياء الا بمشورته وإطلاعه ، ولا ينفذ أمرا من الأمور الا بعد مراجعته .

وفيه : وردت الأخبار بأن العساكر البحرية ملكوا ينبع البحر ، ونهبوا ماكان فيه من ودائع التجار . وذلك أنه كان بمرساة ينبع عدة مراكب وداوات .

والشريف غالب ، أمير مكة ، يكتب الباشا ويراسله ، ويظهر له النصيح والصداقة وخلوص المودة . والباشا أيضا يراسله ويكاتبه . وأرسل له السيد سلامة النجارى ، والسيد أحمد المنلا الترجمان المحرقى بمراسلات وجوابات مرارا عديدة ، فكانا هما السفيرين بينهما . وأيضا الشريف ، فى كل كتابة مع كل مرسل ، يعاهد الباشا ويعاقده ، ويواعده بنصر عساكره متى وصلت ، وينافق للطرفين : الذى هو العثمانى ، والوهابى ، ويداهنهما .

أما الوهابى فلخوفه منه ، وعدم قدرته عليه ، فيظهر له الموافقة والامتنال ، وأنه معه على العهود التى عاهده عليها من ترك الظلم ، واجتناب البدع

ونحو ذلك . ويميل باطنا للعثمانيين ، لكونه على طريقتهم ومذاهبهم .

وتعاقد مع الباشا أنه متى وصلت عساكره ، قام بنصرتهم ، وساعدهم بكلية وجميع همتة . وأرسل الى المراكب الكائنة بمرساة ينبع ، بأن ينقلوا ما فيها من مال التجار وغيرهم ، ويودعوه قلعة ينبع تحت يد وزيره ، وترك معه نحو الخمسمائة من عساكره ، وأخذ المراكب فأوسقها من بضائمه وبهاره وبنيه ، وأرسلها الى السويس لتباع بمصر ، ثم توسق بمهمات العسكر البحرية .

فلما وصلت مراكب العساكر البحرية ، وألقت مراسيها قبالة ينبع ... احتاجوا الى الماء ، فلم يسعفهم بالماء . فطلع طائفة من العسكر الى البر فى طلب عين الماء ، فمانعهم من عندها مرابط . فقاتلوهم وطردهم ومنعهم عن الماء ... وفى حال رجوعهم ، رموا عليهم من القلعة المدافع والرصاص . والحال أن الأمر مبهم على الفريقين !

فعند ذلك استعدت العساكر لمحاربة من بالقلعة ، واحتاطوا بها ، وضربوا عليها القناير والمدافع ، وركبوا على سورها سلاهم ، وصعدوا عليها ، وتسلقوا على سور القلعة من غير مبالاة بالرصاص النازل عليهم من الكائنين بالقلعة ، فملكوا القلعة ، وقتلوا من كان بها . ولم ينج منهم الا الوزير ومنه ستة أنفار ، خرجوا هاربين على الخيول . ونهبوا كل ماكان بالينبع من الودائع والأموال والأقمشة والبن ، وسبوا النساء والبنات الكائنات بالبندر ، وأخذوهن أسرى ، ويبيعهن على بعضهم البعض .

ووصل المشرون بذلك فى عشرينه . فضربوا لذلك مدافع من القلعة كثيرة ، وعمالوا شنكا . وطافت المشرون على بيوت الأعيان ليأخذوا منهم البقاشيش . وأرسلوا بتلك البشارة شخصا معيها

كبيراً الى اسلامبول . يشرّون أهل الدولة وسُلطان
الاسلام . وكان ذلك أول فتح حصل .

شوال

استهل بيوم الجمعة ، وكان حقه أن يكون يوم
السبت ، لأن الهلال لم يكن موجوداً ليلة الجمعة ،
ولم يره ليلة السبت الا النادر من الناس . وكان
قوسه ليلة السبت عشر درجات .

١٦ منه (٣ نوفمبر ١٨١١ م) :

وصلت هجانة ومكاتبات من عساكر البر يخبرون
بوصولهم الى بندر المويلح في اليوم السابع من
الشهر . وكان السيد عندهم بمغائر شعيب يوم
السبت .

وفيه : خرجت تجريدة لتسافر الى قبلى لمحاربة
من بقى من الأمراء المصريين بناحية أبريم .

ذوالقعدة

الاحد غرته (١٧ نوفمبر ١٨١١ م) :

وصلت حجاج مغاربة في عدة مراكب على ظهر
البحر ، وتلف منهم نحو ثلاثة مراكب وحضر
بعدهم بأيام الركب الطرابلسي ، ونزل بساحل
بولاق .

الجمعة ٦ منه (٢٢ نوفمبر ١٨١١ م) :

حضر أيضا الركب الفاسي ، وفيهم ابن سلطان
الغرب مولاي ابراهيم ابن مولاي سليمان . فاعتنى
الباشا بشأنه ، وأرسل كتخدًا بيك لملاقاته ، وقدم
له تقادم ، وأعدوا له منزل على كاشف بالقرب من
بيت المحروقي لينزل فيه ، وتقيد بخدمته الرئيس
حسن المحروقي وحواشيهم لمطبخه وكلف طعامه .
فلما عدى ، طلع الى القلعة ، وقابل الباشا ،
ونزل الى المنزل الذي أعده له ... وأمامه قواسة
أتراك وطرادون وأشخاص أتراك يضربون على

طبالات ، وأمامه جميع المغاربة مشاة ، ويأمرزون
الناس الجالسين بالحوانيت بالقيام له على أقدامهم .
فأقام خمسة أيام ، حتى قضى أشغاله . وفي تلك المدة
تعدوا اليه وتروح رسل الباشا . وأرسل له هدية
وذخيرة من كل صنف : سكر وعسل وسمن ودقيق
وبقسماط ، وأشياء أخر ، وبارود . وأعطى له
ألف بندقية لضرب الرصاص ، وبرز في عاشره ،
وسافروا في ثاني عشره .

الخميس ١٩ منه (٥ ديسمبر ١٨١١ م) :

وصلت هجانة على أيديهم مكاتبات خطابا الى
الباشا وغيره . وفيهم الخبر بأن العسكر البري
اجتمع مع العسكر البحري ، وأخذوا بنج البر
من غير حرب ، وأن العربان أتت اليهم أفواجا ،
وقابلوا طوسون باشا وكسامهم ، وخلع عليهم ثم
انقطعت الأخبار .

ذوالحجّة

الثلاثاء ١٥ منه (٢١ ديسمبر ١٨١١ م) :

وصلت هجانة ومعهم رؤوس قتلى ومكاتبات
مؤرخة في منتصف شهر ذي القعدة .. مضمونها :
أنهم وصلوا الى ينبع البر في حادي عشرين شوال ،
 واجتمع هناك العسكران البري والبحري ، وأنهم
ملكوا قرية ابن جبارة من الوهاية — ويسى قرية
السويق — وفر ابن جبارة هاربا . وحضرت عربان
كثيرة ، وقابلوا ابن الباشا ، وأنهم مقيمون وقت
تاريخه في منزلة الينبع ، منتظرين وصول الذخيرة .
وعاق المراكب ريح الشتاء المخالف .

وأنه ورد عليهم خبر ليلة أربع عشرة شهره : بأن
جماعة من كبار الوهاية حضروا بنحو سبعة آلاف
خيال — وفيهم عبد الله بن مسعود ، وعثمان
المضايفي ، ومعهم مشاة — وقصدوا أن يذهبوا
العرضى على حين غفلة . فخرج اليهم شديد شيخ

الحويطات ، ومعه طوائفه ودلاة وعساكر ، فوافاهم قبل شروق الشمس ، ووقع بينهم القتال والواهية يقولون : « هاه يامشركون ! » . وانجلت الحرب عن هزيمة الوهاية ، وغنموا منهم نحو سبعين هجينا من الهجن الجياد محملة أدوات . وكانت الحرب بينهم مقدار ساعتين ... هذا ملخص ما ذكروه في الأجوبة التي حضرت .

الجمعة ٢٥ منه (١٠ يناير ١٨١٢ م) :

وصلت قافلة من السويس . وحضر فيها جاويز باشا وصحبته مكاتبات . وحضر أيضا السيد أحمد الطحطاوى ، والشيخ الحنبلى . وأخبروا أن العرضى ارتحل من ينبع البر في سابع عشر ذى القعدة ، ووصلوا الى منزلة الصفراء والجديدة ، ونصبوا عرضيهم وخيامهم ووطاقتهم بالقرب من الجبال . فوجدوا هناك متاريس وأحجارا ، فحاربوا على أول متراس حتى أخذوه ، ثم أخذوا متراسا آخر . وصعدت العساكر الى قلال الجبال ، فهالهم كثرة الجيش ، وسارت الخيالة في مضيق الجبال .

هذا ... والحرب قائم في أعلى الجبال يوما وليلة الى بعد الظهيرة من يوم الأربعاء ثالث عشرى القعدة ... فما يشعر السفلايون الا والعساكر الذين في الأعلى هابطون منهزمون . فانهزموا جميعا ، وولوا الأدبار ، وطلبوا جميعا الفرار ، وتركوا خيامهم وأحمالهم وأثقالهم ، وطفقوا يهربون ويخطفون ما خف عليهم من أمتعة رؤسائهم ... فكان القوى منهم يأخذ متاع رفيقه الضعيف ، ويأخذ دابته ويركبها ، وربما قتله وأخذ دابته !

وساروا طالين الوصول الى السفائن بساحل البريك ، لأنهم كانوا أعدوا عدة مراكب بساحل البريك من باب الاحتياط . ووقع في قلوبهم الرعب ، واعتقدوا أن القوم في أثرهم ... والحال أنه لم يتبعهم أحد ، لأنهم لا يذهبون خلف المدير .

ولو تبعوهم ما بقى منهم شخص واحد . فكانوا يصرخون على القطائر فتأتى اليهم القطيرة — وهى لاتسع الا القليل — فيتكاثرون ويتزاحمون على النزول فيها . فيصعد منهم الجماعة ، وينعون البواقى من اخوانهم . فان لم يمتنعوا مانعوهم بالبنادق والرصاص ا حتى كانوا ، من شدة حرصهم وخوفهم ، واستعجالهم على النزول فى القطائر ، يخوضون فى البحر الى رقابهم ... وكأننا العفاريت فى أثرهم تريد خطفهم .

وكثير من العسكر والخدم ، لما شاهدوا الازدحام على أسكلة البريك ، ذهبوا مشاة الى ينبع البحر .

ووقع التشبث فى الدواب والأحمال والخلائق من الخدم وغيرهم . ورجع طوسون باشا الى ينبع البحر بعد أن تغيب يوما عن معسكره ، حتى أنهم ظنوا فقدوه . ورجع أيضا المحروقى وديوان أفندى ، واستقروا بالينبع .

وترك المحروقى خيامه بما فيها . فنزل بها طائفة من العسكر المنهزمين ، وهم على جهد من التعب والجوع ، فوجدوا بها المأكلا والحلاوات وأنواع الملابس ، والكعك المصنوع بالمعجينة والسكر المكرر والغريبات والخشكانات والمربيات وأنواع الشرابات ، فوقعوا عليها أكلا ولها . ولما تحققوا أن العرب لم تتبعهم ولم تأت فى أثرهم ، أقاموا على ذلك يومين حتى استوفوا أغراضهم ، وشبعت بطونهم ، وارتاحت أبدانهم . ثم لحقوا باخوانهم . فكانوا هم أثبت القوم وأعقلهم ... ولو كان على غير قصد منهم ! فكان مدة إقامة العسكر والعرضى ينبع البر أربعة وعشرين يوما .

وأما الخيالة فاهم اجتمعوا وساروا راجعين الى المويلح ، وقد أجهدهم التعب ، وعدم الذخيرة والعليق ... حتى حكوا : أنهم كانوا قبل الواقعة يعلقون على الجمل بنصف قدح قمع مسوس !

وكانت علائقهم في كل يوم أربعمئة وخمسين أردبا .

وأما المحروقي ، فإن كبار العسكر قامت عليه ، وأسمعه الكلام القبيح ، وكادوا بقتلونه فنزل في سفينة وخلص منهم ، وحضر من ناحية القصير . وحضر الكثير من أتباعه وخدمه متفرقين الى مصر .

فأما الذين ذهبوا الى المولج ، فهم : تامر كاشف وحسين بيك دالي باشا وآخرون فأقاموا هناك في انتظار إذن الباشا في رجوعهم الى مصر أو عدم رجوعهم .

وأما صالح أغا قوج فانه عند ما نزل السفينة ، كر راجعا الى القصير ، واستقل برأيه لأنه يرى في نفسه العظمة ، وأنه الأحق بالرياسة ، ويسفه رأى المحروقي وطوسون باشا ، ويقول : « هؤلاء الصغار كيف يصلحون لتسيير الحروب ؟ » ويصرح بمثل هذا الكلام وأزيد منه ، وكان هو أول منهزم . وعلم كل ذلك الباشا بمكاتبات ولده طوسون ، فحقده في نفسه وتمم ذلك بسرعة رجوعه الى القصير ، ولم تنتظر اذنا في الرجوع أو المكث .

ولما حصل ذلك لم يتزلزل الباشا ، واستمر على همته في تجهيزه عساكر أخرى . وبرزوا الى خارج البلدة ، وفرض على البلاد جمالا ، ذكر أنها من أصل الغنائم والفرض في المستقبل . وكذلك فرض غللا ، فكان المفروض على اقليم الشرقية خاصة اثني عشر ألف أردب ، بعناية جلي كاشف ، قابله الله بما يستحق .

وانقضت السنة بحدوثها التي منها هذه الحادثة ، وأظنها طويلة الذيل .

ومنها : أن النيل هبط قبل الصليب بأيام قليلة بعد أن بلغ في الزيادة مبلغا عظيما حتى غرق الزرع الصيفي والدرأوى . ولما انحسر عن الأرض

زرعوا البرسيم - والوقت صائف ، والحرارة مستحثة في الأرض - فتولدت فيه الدودة ، وأكلت الذي زرع . فبذروه ثانيا ، فأكلته أيضا . وفحش أمر الدودة جدا في الزرع البدرى ، وخصوصا باقليم الجيزة والقليوبية والمنوفية ، بل وباقي الأقاليم .

ومنها : أن الباشا أحدث ديوانا ، ورتبوه بيت البكرى القديم بالأزبكية . وأظهر أن هذا الديوان لمحاسبة ما تتعلق به من البلاد ومحاسباتها - والنفسد الباطني غير ذلك - وقيد به ابراهيم كتبخدا الرزاز ، والشيخ أحمد يوسف كاتب حسين أفندي الرونامجي ، وما انضم اليهم من الكتبة المسلمين - دون الأقباط - ليحرروا به قوائم المصروف والمضاف والبراني فكانوا يجلسون لذلك كل يوم ماعدا يوم الجمعة ثم تطرق الحال لسور بلاد الباشا . وهو أن الكثير من الفلاحين لما سمعوا في ذلك ، أتوا من كل ناحية الى مصر ، وكتبوا عرضحالات الى كتبخدا بيك وللباشا ، يتظلمون من استاذبهم : وينهون أنهم يزيدون عليهم زيادات في فوائهم المصروف ، ويشددون عليهم في طلب الفرض أو بواقيتها فيدفعهم الباشا أو الكتبخدا الى ذلك الديوان المحدث ليظفر في أمورهم ، ويصحبهم معين تركي مباشر يأتي بالملتزم أيضا والفلاحين والشاهد والصراف وقوائم المصروف لأجل المحاسبة فعند ذلك تعنت ابراهيم كتبخدا في القوائم ، ويطلب قوائم السنين الماضية المختومة ... ونحو ذلك .

ولما قشنا هذا الأمر ، وأشيع في البلدان ، أتت طوائف الفلاحين أفواجا الى هذا الديوان يطلبون الملتزمين ، ويخاصمونهم ويكافحونهم . فيكون أمرا مهولا ، وغاية في الزحام والعياط والشباطا وكذلك رفعوا المعلم منصور ، ومن معه من

وخرموا أنفسه ، وصلبوه على حانوته ، وعلقوا
الريال في أنفسه ردعا لغيره ... وفي أثناء ذلك : اذا
بالمناداة بأن يكون صرف الريال بمائتين وسبعين ،
والمحبوب بثلاثمائة وعشرة ١

فاستمع وتعجب من هذه الأحكام الغريبة التي لم
يطرق سماع سامع مثلها ١ .

هذا مع عدم الفضة العددية في أيدي الناس .
فيدور الشخص بالقرش ، وهو ينادى على صرفه
بنقص أربعة أنصاف ، نصف يوم ، حتى يصرفه
بقطع أفرنجية : منها ما هو باثنى عشر ، أو خمسة
وعشرين ، أو خمسة فقط ... أو يشتري من يريد
الصرف شيئا من الزيات أو الخضري أو الجزار ،
وببقى عنده الكسور الباقية يوعده بغلقها .
فيعود اليه مرارا حتى يتحصل عنده غلقها ...
وليس هو فقط بل أمثاله كثير ١

وسبب شحة الفضة العددية أنه يضرب منها كل
يوم بالضربخانة ألوف مؤلفة يأخذها التجار بزيادة
مائة نصف في كل ألف يرسلونها الى بلاد الشام
والروم ، ويعوضون بداها في الضربخانة الفرائسة
والذهب ، لأنها تصرف في تلك البلاد بأقل مما
تصرف به في مصر . وزاد الحال بعد هذا التاريخ
حتى استقر على صرف الألف مائتين ، وتقرر ذلك
في حساب الميرى . فيدفع الصارف ثلاثين قرشا ١
عنها ألف ومائتان ، يأخذ ألفا فقط . والفرائسة
والمحبوب بحسابه المتعارف بذلك الحساب .
والأمر لله وحده .

وأما من مات في هذه السنة ممن له ذكر :

فلم يمت من مشاهير الفقهاء من له شهرة ولا
ذكر . وأما الأمراء ، فقد تقدم ذكرهم وما وقع
لهم ، ومقتلهم اجمالا ، فأغنى عن التكرار ، فالحمد
لرحمنا أجمعين .

الكتبة ، من مباشرة ديوان ابنه ابراهيم بيك
الدفتردار . وقيدوا بدلهم : السيد محمد غانم
الرشيدى ، ومحمد أفندى سليم ، ومن انضم اليهم .
وأظهر الباشا أنه يفعل ذلك لما علمه من خيانة
الأقباط ... والقصد الخفى خلاف ذلك ، وهو :
الاستيلاء والاستحواذ الكلى والجزئى ، وقطع
منفعة الغير ... ولو قليلا ، فيضرب هذا بهذا —
والناس أعداء بعضهم لبعض ، وقلوبهم متنافرة ١ —
فيغري هذا بذلك وذلك بهذا . ومن الناس من سمى
هذا الديوان « ديوان الفتنة » ١ .

ومنها : الزيادة الفاحشة في صرف المعاملة ،
والنقص في وزنها وعيارها . وذلك أن حضرة الباشا
أبقى دار الضرب على ذمته ، وجعل خاله ناظرا عليها ،
وقرر لنفسه عليها في كل شهر خمسمائة كيس ، بعد
أن كان شهرتها ، أيام نظارة المحروقى ، خمسين
كيسا في كل شهر . ونقصوا وزن القرش نحو
النصف عن القرش المعتاد ، وزادوا في خلطه حتى
لا يكون فيه مقدار ربعه من الفضة الخالصة .
ويصرف بأربعين نصفا . وكذلك المحبوب نقصوا
من عياره ووزنه .

ولما كان الناس يتساهلون في صرف المحبوب ،
والريال الفرائسة ، ويقبضونها في خلاص الحقوق
من الماطلين والفلسين ، وفي المبيعات الكاسدة
بالزيادة لضيق المعاش ، حتى وصل صرف الريال
الى مائتين وخمسين نصفا ، والمحبوب الى مائتين
وثمانين .

ثم زاد الحال في التساهل في الناس بالزيادة أيضا
عن ذلك . فينادى الحاكم بمنع الزيادة ، ويمشى
الحال أياما قليلة ويعود لما كان أو أزيد . فتحصل
المنادة أيضا ، ويعقبونها بالتشديد والتنكيل بمن
يفعل ذلك ، ويقبض عليه أعوان الحاكم ، ويجبس
ويضرب ، ويغرمونه غرامة ... وربما مثلوا به ،

وصلوا صلاة الخوف ! فتتقدم طائفة للحرب ،
وتأخر الأخرى للصلاة ... وعسكرنا يتعجبون من
ذلك لأنهم لم يسمعوا به فضلا عن رؤيته . وينادون
في معسكرهم : هلموا الى حرب المشركين ، المحلقين
الذقون ، المستبيحين الزنا واللواط ، الشاريين
الخنور ، التاركين للصلاة ، الآكلين الربا ، القاتلين
الأنفس ، المستحلين المحرمات ! ... وكشفوا عن
كثير من قتلى العسكر ، فوجدوهم غلغا غير
محتونين .

« ولما وصلوا بدرًا ، واستولوا عليها وعلى
القرى والخيوف — وبها خيار الناس ، وبها أهل
العلم والصلحاء — نهبوهم ، وأخذوا نساءهم
وبنائهم وأولادهم وكتبهم ... فكانوا يفعلون فيهم ،
ويبيعونهم من بعضهم لبعض ، ويقولون هؤلاء
الكفار الخوارج ... حتى اتفق أن بعض أهل بدر
الصلحاء طلب من بعض العسكر زوجته ، فقال
له : حتى تبيت معي هذه الليلة ، وأعطيها لك
من الغد » !

وفيه : خرج العسكر المجرد الى السويس —
وكبيرهم بونا بارتة الخازندار — ليذهب لمحافظة
الينبع صحبة طوسون باشا .

وفيه : وصل جماعة من الانجليز ، وصحبته
هدية الى الباشا ، وفيها طيور بيضا هندية خضر
الألوان وملونة ، وريالات فرانسة تقود معبأة في
براميل ، وحديد وآلات . ومجيئهم وحضورهم في
طلب أخذ الغلال . وفي كل يوم تساق المراكب
المشحونة بالغلال الى بحرى . وكلما وردت مراكب

المحترم

السبت ١٠ منه (٢٥ يناير ١٨١٢ م) :

وصل كثير من كبار العسكر الذين تخلفوا
بالمويلح . فحضر منهم حسين بيك دالى باشا
وغیره . فوصلوا الى قبة النصر جهة العادلية .
ودخلت عساكرهم المدينة شيئا فشيئا ... وهم في
أسوأ حال من الجوع وتغير الألوان وكآبة المنظر
والسجن ، ودوابهم وجمالهم في غاية العى .
ويدخلون الى المدينة في كل يوم ، ثم دخل آكابرهم
الى بيوتهم ... وقد سخط عليهم الباشا ، ومنع
أن لا يأتيه منهم أحد ولا يراه . وكأنهم كانوا قادرين
على النصر والغلبة وفرطوا في ذلك ! ويلومهم على
الانهزام والرجوع .

وظفقوا بتهم بعضهم البعض في الانهزام ...
فتقول الخيالة : سبب هزيمتنا القراية ، وتقول
القراية بالعكس

ولقد قال لى بعض آكابرهم من الذين يدعون
الصلاح والتورع « أين لنا بالنصر ... وأكثر
عساكرنا على غير الملة ، وفيهم من لا يتدين بدين ،
ولا ينتحل مذهبا ؟ وصحبتنا صناديق المسكرات ،
ولا يسمع في عرضنا أذان ، ولا تقام به فريضة ،
ولا يخطر في بالهم ولا خاطرهم شعائر الدين !
والقوم اذا دخل الوقت أذن المؤذنون ، وينتظمون
صفوفا خلف امام واحد بخشوع وخضوع . واذا
حان وقت الصلاة ، والحرب قائم ، أذن المؤذن

سيرت الى بحرى ، حتى شحت الغلال ، وغلا
سرعا ، وارتفعت من السواحل والرقع ، ولا يكاد
يباع الا ما دون الويبة . وكان سعر الأردب من
أربعمائة نصف الى ألف ومائتين ... والفول
كذلك ... وربما كان سعره أزيد من القمح لقلته ،
فانه هاف زرعه في هذه السنة ، ولم يتحصل من
رميه الا نحو التقاوى .

وحصل للناس في هذه الأيام شدة بسبب ذلك .
ثم بعد قليل وردت غلال ، وانحلت الأسعار ،
وتواجدت الغلال بالسواحل والرقع .

الخميس ١٥ منه (٢٠ يناير ١٨١٢ م) :

حضر رجل نصراني من جبل الدروز ، وتوصل
الى الباشا ، وعرفه أنه يحسن الصناعة بدار
الضرب ، ويوفر عليه كثيرا من المصاريف ، وانها بها
نحو الخمسمائة صانع ، وأن يقوم بالعمل بأربعين
شخصا لاغير ، وأنه يصنع آلات وعددا لضرب
القروش وغيرها ، ولا تحتاج الى وقود يران ولا
كثير من العمل . فصدق الباشا قوله ، وأمر بأن
يفرد له مكان ، ويضم اليه ما يحتاجه من الرجال
والحدادين والصناع ، ليعمل لصناعته العدد
والآلات التي يحتاجها ، وشرع في أشغاله ، واستمر
على ذلك شهورا .

وفيه : التفت الباشا الى خدمة الضربانة
وأفنديتها . وطمعت نفسه في مصادرتهم وأخذ
الأموال ، لما يرى عليهم من التجمل في الملابس
والمراكب ، لأن من طبعه داء الحسد والشرة والطمع
والتطلع لما في أيدي الناس وأرزاقهم فكان ينظر
اليهم ويرمقهم ، وهم ينفدون ويروحون الى
الضربانة هم وأولادهم ، راكبون البغال
والرهوانات المجملّة ، وحولهم الخدم والأتباع ...
فيسأل عنهم ، ويستخبر عن أحوالهم ودورهم
ومصارفهم .

وقد اتفق أنه رأى شخصا خرج آخر الصنّاع ،
وهو راكب رهوانا ، وحوله ثلاثة من الخدم .
فسأل عنه ، فقيل له : ان هذا البواب الذي يعلق
باب الضربانة بعد خروج الناس منها ، ويفتحه لهم
في الصباح . فسأل عن مرتبه في كل يوم ، فعرفوه
أن له في كل يوم قرشين لاغير . فقال : « ان هذا
المرتب له لا يكفي خدمه الذين هم حوله ... فكيف
بمصرف داره ، وعليق دوابه ، وجميع لوازمه مما
ينفقه ويحتاجه في تجملاته وملابسه وملابس أهله
وعياله ! ان هؤلاء الناس كلهم سراق ، وكل ما هم
فيه من السرقة والاختلاس ، ولا بد من اخراج
الأموال التي اختلسوها وجمعوها » .

وتناجى في ذلك مع المعلم غالى وقرنائه ثم
طلب أولا اسماعيل أفندي ليلا — وهو الأفندي
الكبير — وقال له : « عرفني خيانة فلان النصراني ،
وفلان اليهودي المورد » ا فقال : « لا أعلم على أحد
منهم خيانة ... وهذا شيء يدخل بالميزان ويخرج
بالميزان » . ثم صرفه وأحضر النصراني وقال له :
« عرفني بخيانة اسماعيل أفندي وأولاده ، والمداد ،
وابراهيم أفندي الحضراوي الغنّام وغيره » فلم
يزد على ما قاله اسماعيل أفندي . ثم أحضر الحاج
سالم الجواهرجي وهدده فلم يزد على قول الجماعة
شيئا فقال « الجميع شركاء لبعضهم البعض ،
ومتفقون على خيائتي » . ثم أمر بحبس الحاج
سالم وأحضر شخصا آخر من الجواهرجية يسمى
صالح الدنف ، وألبسه فروة وجعله في خدمة
الحاج سالم .

ثم ركب الباشا الى بيت الأزيكية ، وطلب
اسماعيل أفندي ليلا هو وأولاده فأحضرهم
بجماعة من العسكر في صورة هائلة ، وهددهم
بالقتل ، وأمر باحضار المشاعلي فأحضره ،
وأوقدوا المشاعل وسعت المتكلمون في العفو عنهم
من القتل ، وقرروا عليهم مبلغا عظيما من الأكياس ،

الأحد ١٥ منه (٢٩ مارس ١٨١٢ م) :

حضر أحمد أغا لاف ، الذى كان أميراً بقنا وقوص ، وباقي الكشاف بعد أن راكوا جميع البلاد القبلية والأراضى ، وفرضوا عليها الأموال : على كل فدان سبعة ريالات — وهو شيء كثير جداً — وأحصوا جميع الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والبر والصدقة ، بالصعيد ومصر ، فبلغت ستمائة ألف فدان . وأشاعوا بأنهم يطلقون للمرصد على المساجد خاصة نصف المفروض ، وهو ثلاثة ريال ونصف .

فضجت أصحاب الرزق ، وحضر الكثير منهم يستغيثون بالمشايخ . فركبوا الى الباشا ، وتكلموا معه فى شأن ذلك . وقالوا له : « هذا يترتب عليه خراب المساجد » . فقال : « وأين المساجد العامرة ؟ الذى لم يرض بذلك ، يرفع يده ، وأنا أعمر المساجد المتخربة ، وأرتب لها ما يكفيها » . ولم يفد كلامهم فائدة ، فنزلوا الى بيوتهم .

أواخره (حوالى منتصف ابريل ١٨١٢ م) :

اتقل السيد عمر مكرم النقيب من دمياط الى طنطا ، وسكن بها .

وسبب ذلك : أنه لما طالت اقامته بدمياط ، وهو ينتظر الفرج وقد أبطأ عليه ، وهو يتنقل من المكان الذى هو فيه ، الى مكان آخر على شاطئ البحر ، وتشاغل بعمارة خان أنشاء هناك ، والحرس ملازمون له . فلم يزل حتى ورد عليه صديق أفندى قاضى العسكر فكلمه بأن يتشفع له عند الباشا فى انتقاله الى طنطا ... ففعل . وأجاب الباشا الى ذلك .

ربيع الآخر

٤ منه (١٧ ابريل ١٨١٢ م) :

وصل الحجاج المغاربة . ووصل أيضا مولاي

الترموا بدفعها خوفا من القتل ! ففرضوا على الحاج سالم بمفرده سبعمائة وخمسين كيسا ، وعلى ابراهيم المداد مائتى كيس ، وعلى أحمد أفندى الوزان مائتى كيس ، وعلى أولاد الشيخ السحيمى مائتى كيس لأن لهم بها آلات ختم ووظائف يستغلون أجرتها . وأخذ الجماعة فى تحصيل ما فرض عليهم . فشرعوا فى بيع أمتعتهم ، وجهات ايرادهم ، ورهنوا ، وتداينوا بالربا ، وحولت عليهم الحوالات ... لطف الله بنا وبهم !

مر

٧ منه (٢١ فبراير ١٨١٢ م) :

حضر السيد محمد المحروقى الى مصر ، ووصل من طريق القصير ، ثم ركب بحر النيل . ولم يحضر الشيخ المهدي ، بل تخلف عنه بقنا وقوص لبعض أغراضه .

وفيه : ألبس الباشا صالح أغا السلحدار خلعة ، وجعله سر عسكر التجريدة المتوجهة على طريق البر الى الحجاز . وكذلك ألبس باقى الكشاف .

١٠ منه (٢٤ فبراير ١٨١٢ م) :

ورد قايسى وعلى يده مرسوم ببشارة مولود ولد للسلطان محمود ، وتسمى بمراد ، وصحبته أيضا مقرر للباشا على ولاية مصر . فضربوا مدافع لوروده ، وطلع الى القلعة فى موكب وقرئت المراسيم . وعملوا شنكا ومدافع تضرب فى الأوقات الخمسة ، سبعة أيام ، من القلعة والأزبكية وبولاق والحيزة .

ربيع الأول

الأحد غرته (١٥ مارس ١٨١٢ م) :

حضر ابراهيم بيك ابن الباشا من الجهة القبلية .

وخدمة الكشوفية ، وأجرة المعادى . وبعض البلاد يطلق له الادن بدفع المطلوب بالثمن ، والبعض النصف غلال والنصف الآخر دراهم ، حسب رسم المعلم غالى وأوامره واذنه ، فانه هو المرخص فى الأمر والنهى . فيبيع المأذون له غلته بأقصى قيمة يرى من المسكين الآخر الذى لم تسعده الأقدار . وحضر الكثير من الفلاحين ، وازدحموا بباب المعلم غالى ، وتركوا بيادهم ، وتعطلوا عن الدراس ١

١٥ منه (٢٨ ابريل ١٨١٢ م) :

ذهب الباشا الى قصر شبرا ، وسافر تلك الليلة الى ثغر الاسكندرية . ورجع ابنه ابراهيم بيك الى الجهة القبلىة . وكذلك أحمد أغا لاط لتحرير وقبض الأموال .

وفيه : ورد الخبر بأن العسكر بقبلى ذهبوا خلف الأمراء القبليين الفارين الى خلف أبريم ، وضيفوا عليهم الطرق ، وماتت خيولهم وجمالهم ، وتفرق عنهم خدمهم ، واضمححل حالهم ، وحضر عدة من مماليكهم وأجنادهم الى ناحية أسوان بامان من الأتراك . فقبضوا عليهم ، وقتلوه عن آخرهم ١ وفعلوا قبل ذلك بغيرهم كذلك .

اواخره (حوالى منتصف مايو ١٨١٢ م) :

سافر عدة من عسكر المغاربة الى ينبع . ووصل جملة كبيرة من عسكر الأروام الى الاسكندرية . فصرف عليهم الباشا علائف ، وحضروا الى مصر ، وانتظموا فى سلك من بها ، ويعين منهم للسفر من يعين .

وفيه : وقعت حادثة بخط الجامع الأزهر . وهو أنه من مدة سابقة ، من قبل العام الماضى ، كان يقع بالخطبة ونواحيها من الدور والحواليت سرقات وضياح أمتعة . وتكرر ذلك حتى ضج الناس ، وكثر لعظهم ، وضاع تخمينهم . فمن قائل : أنه

ابراهيم ابن السلطان سليمان سلطان الغرب . وسبب تأخيرهم الى هذا الوقت : أنهم أتوا من طريق الشام ، وهلك الكثير من قرائهم المشاة وأخبروا أنهم قضوا مناسكهم ، وحجوا ، وزاروا المدينة ، وأكرمهم الوهايبية أكراما زائدا ، وذهبوا ورجعوا من غير طريق العسكر .

١٠ منه (٢٣ ابريل ١٨١٢ م) :

حضر تامر كاشف ومحو بيك وغبد الله أغا — وهم الذين كانوا حضروا الى المولى بعد الهزيمة — فأقاموا به مدة ، ثم ذهبوا الى ينبع البحر عند طوسون باشا ، ثم حضروا فى هذه الأيام باستدعاء الباشا . وكان محو بيك فى مركب من مراكب الباشا الكبار التى أنشأها ، فانكسر على شعب ، وهلك من عسكره أشخاص ، ونجا هو بمن بقى معه . وأخبروا عنه أنه كان أول من تقدم فى البحر هو وحسين بيك ، فقتل من عسكرهما الكثير من دون البقية الذين استعجلوا الفرار .

وفيه : خرجت أوراق الفرضة ، على نسق العام الأول ، عن أربع سنوات ، مال وفائظ ومضاف وبرانى ورزق وأوسية . واستقر طلبها فى دفعة واحدة ، ويؤخذ من أصل حسابها الغلال من الأجران : بحساب ثمانية ريال عن كل أردب . ويجمع غلال كل اقليم فى نواحى عينوها ، لتساق الى الاسكندرية ، وتباع على الافرنج .

- فشحت الغلال ، وغلا سعرها ... مع كون الفلاح لا يقدر على رفع غلته المتحصلة له من زراعة أرضه التى غرم عليها المغارم بطول السنة ، بل تؤخذ منه قهرا مع الاجحاف فى الثمن والكيل ، بحيث يكال الأردب أردبا ونصفا ١ ثم يلزمونه بأجرة حملها للمحل المعد لذلك . ويلزم أيضا بأجرة الكيال وعوائد المباشرين لذلك من الأعوان ،

مستترعات يدخلون من نواحي السور ، ويتفرقون في الخطة ، ويفعلون ما يفعلون . ومنهم من يقول : ان ذلك فعل طائفة من العسكر الذين يقال لهم الحيلة في بلادهم ... الى غير ذلك .

ثم في تاريخه سرق من بيت امرأة رومية صندوق ومتاع ، فاتهمت أشخاصا من العميان المجاورين بزوايتهم تجاه مدرسة الجوهريّة الملاصقة للأزهر . فقبض عليهم الأغا ، وقرّره . فأنكروا وقالوا : « لسنا سارقين . وانما سمعنا فلانا — سموه ، وهو محمد بن أبي القاسم الدرقاوى المغربى ، المنفصل عن مشيخة رواق المغاربة — ومعه اخوته وآخرون ، ونعرفه بصوته ، وهم يتذكرون في ذلك ونحن نسمعهم » .

فلما تحققوا ذلك ، وشاع بين الناس والأشياخ ، ذهب بعضهم الى أبى القاسم ، وخطبوه وكلّموه سرا ، وخوفوه من العاقبة . وكان المذكور جعل نفسه مريضا ومنقطعا في داره ... فغالطهم . فقالوا له : « نحن قصدا بخطابك التستر على أهل الخرقّة المنتسبين الى الأزهر ، في العمل بالشرعة وأخذ العلم . أوما علمت ما قد جرى في العام السابق من حادثة الزغل ؟ » وغير ذلك . فلم يزالوا به حتى وغدّهم أنه يتكلم مع أولاده ، ويفحصون على ذلك بنباهتهم ونجابتهم .

وفي اليوم الثالث — وقيل الثانى — أرسل أبو القاسم المذكور فأحضر السيد أحمد ، الذى يقال له جندى المطبخ ، وابن أخيه — وهما اللذان يتعاطيان الجسبة والأحكام بخط الأزهر ، ويتكلمان على الباعة والخضرية والجزارين الكائنين بالخطة — فلما حضرا عنده ، عاهدتهما وحلفهما بأن يسترا عليه وعلى أولاده ، ولا يفضحاهم ، ويبيعا عنهم هذه القضية . وأخبرهما بأن ولده لم يزل يتفحص بفظاته حتى عرف السارق ، ووجد بعض الأمتعة .

ثم فتح خزائنه بمجلسه ، وأخرج منها أمتعة . فسأله عن الصندوق ، فقال : « هو باق عند من هو عنده ، ولا يمكن احضاره في النهار . فاذا كان آخر الليل ، انتظروا ولدى محمدا هذا عند جامع الفكاهالى بالعقادين الرومى ، وهو يأتىكم بالصندوق مع سارقه ، فاقبضوا عليه ، واتركوا أولادى ولا تذكروهم ولا تتعرضوا لهم » . فقالوا له « كذلك » .

وحضر الجندى وابن أخيه في الوقت الذى وعدهم به ، وصحبتهما أشخاص من أتباع الشرطة ، ووقفوا في انتظاره عند جامع الفكاهى . فحضر اليهم ، وصحبته شخص صرمانى ، فقالا لهم : « مكانكم حتى نأتىكم » . ثم طلعا الى ريع بعطفة الماطين ، ورجعا في الحال بالصندوق حامله الصرمانى على رأسه . فقبضوا على ذلك الصرمانى ، وأخذوه بالصندوق الى بيت الأغا ، فعاقبوه بالضرب .. وهو يقول : « أنا لست وحدى ، وشركائى ابن أبى القاسم وأخواه ، وآخر يسمى شلاطة ، وابن عبد الرحيم ... الجميع خمسة أشخاص » !

فذهب الأغا وأخبر كنتخدا بك . فأمره بطلب أولاد أبى القاسم . فأرسل اليه ورقة يطلبهم . فأجابه بأن أولاده حاضرون عنده بالأزهر ، من طلبة العلم ، وليسوا بسارقين . فبالاختصار أخذهم الأغا ، وأحضر ذلك الصرمانى معهم لأجل المحاكمة . فلم يزل يذكر لابن أبى القاسم ما كانوا عليه في سرحاتهم القديمة والجديدة ، ويقول له : « أما كنا كذا وكذا ، وفعلنا ما هو كذا في ليلة كذا ، واقتسمنا ما هو كذا وكذا ؟ » وقيم عليه أدلة وقرائن وأمارات ، ويقول له « أنت رئيسنا وكبيرنا في ذلك كله ، ولا نمشى الى ناحيته ولا سرحة ، الا بإشارتك » .

فعند ذلك لم يسع ابن أبى القاسم الانكار .

القبطان ، ثم أنزلوهم في مركب ، وصحبهم أبوهم أبو القاسم وولده الآخران اللذان لم تقطع أيديهما ، وسفروهم الى الاسكندرية . وذلك في منتصف شهر جمادى الأولى من السنة .

جمادى الآخرة

غرفته (١٢ يونيه ١٨١٢ م) :

حضر الثلاثة أشخاص المقطوعين الأيدي . وذلك أنهم لما وصلوا الى الاسكندرية — وكان الباشا هناك — تشفع فيهم المتشفعون عنده قائلين : « انه جرى عليهم الحد بالقطع ، فلا حاجة الى نفيهم وتغريبهم » . فأمر بنفى أبى القاسم وولديه الصغار الى أبى قير . ورجع ولده الآخر مع رفيقه الصرمتى والصباغ الى مصر فحضروا اليها ، وذهبوا الى دورهم .

وأما ابن أبى القاسم فذهب الى داره ، وسلم على والدته ، ونزل الى السوق يطوف على أصحابه ويسلم عليهم ، وهو يتألم مما حصل في نفسه ، ولا يظهر ذلك لشدة وقاحته وجمودة صدغه وغلظة وجهه ... بل يظهر التجلد وعدم المبالاة بما وقع له من النكال وكسوف البال . ومر في السوق والأطفال حوله وخلفه وأمامه ، يتفرجون عليه ، ويقولون : « انظروا الحرامى » ... وهو لا يبالي بهم ، ولا يلتفت اليهم . حتى قيل انه ذهب الى مسجد خرب بالباطلية ، ودعا اليه غلاما يهواه بناحية درب الأحمر ، فجلس معه حصة من النهار ، ثم فارقه وذهب الى داره ! واشتد به الألم ، لأن الذى باشر قطع يده لم يحسن القطع ، فمات في اليوم الثالث .

وفي هذا الشهر وما قبله : وردت عساكر كثيرة من الأتراك ، وعينوا للسفر ، وخرجوا الى مخيم المرضى ، خارج بابى النصر والفتوح ، فكانوا يخرجون مساء ، ويدخلون في الصباح ، ويقع منهم

وأقر واعترف هو واخوته ، وحبسوا سوية . وأما شلاطه ورفيقه فانهما تغيبا وهربا واختفيا .

وشاعت القضية في المدينة ، وكثر القول والقليل في أهل الأزهر ونواحيه ، وتذكروا قضية الدراهم الزغل التى ظهرت قبل تاريخه ، وتذكروا أقوالا آخر . واجتمع كثير من الذين سرق لهم : فمنهم رجل يبيع السمن أخذ من مجزئه عدة مواعين سمن ، وصينية الفطاطرى التى يعمل عليها الكنافة ، وأمتعة وفرش وجدوا في ثلاثة أماكن ، وخاتم باقوت ذكروا أنه يبيع بجملة دنابير ، وعقد لؤلؤ وغير ذلك .

واستمروا أياما ... والناس يذهبون الى الأغا ، ويذكرون ماهربق لهم . ويسألهم فيقرون بأشياء دون أشياء ، ويذكرون ضياع أشياء تصرفوا فيها وباعوها وأكلوا بشمنها .

ثم اتفق الحال على المرافعة في المحكمة الكبيرة ، فذهبوا بالجميع . واجتمع العالم الكثير من الناس ، وأصحاب السراقات وغيرهم ، نساء ورجالا ، وادعوا على هؤلاء الأشخاص المقبوض عليهم . فأحضروا بعض ما ادعوا به عليهم ، وقالوا : أخذنا ، ولم يسلوا سرقنا . وبرأ محمد بن أبى القاسم أخويه ، وقال : « انهما لم يكونا معنا في شيء من هذا » .

وحصل الاختلاف في ثبوت القطع بلفظ أخذنا ... وقد حضرت دعوى أخرى مثل هذه على رجل صباغ . ثم ان القاضى كتب اعلاما للكتخدا بيك بصورة الواقع ، وفوض الأمر اليه . فأمر بهم الى بولاق ، وأنزلوهم عند القبطان — وصحبهم أبوهم أبو القاسم — فأقاموا أياما . ثم ان كتخدا بيك أمر بقطع أيدي الثلاثة ، وهم : محمد بن أبى القاسم الدرقاوى ، ورفيقه الصرمتى ، والصباغ الذى ثبتت عليه السرقة في الحادثة الأخرى . فقطعوا أيدي الثلاثة في بيت

مايقع من أخذ الدواب ، وخطف بعض النساء والأولاد كماداتهم !

٢٢ منه (٣ يوليه ١٨١٢ م) :

حضر الباشا من الاسكندرية ليلا ، وصحبته حسن باشا ، الى القصر بشبرا وطلع في صباحها الى القلعة . وضربوا لقدميه مدافع من الأبراج . فكان مدة غيبته في هذه المدة شهرين وسبعة أيام . واجتهد فيها في عمارة سور المدينة وأبراجها ، وحصلها تحصينا عظيما ، وجعل بها جبانات وبارودا ومدافع وآلات حرب . ولم تزل العمارة مستمرة بعد خروجه منها على الرسم الذى رسمه لهم . وأخذ جميع ماورد عليه من مراكب التجار من البضائع على ذمته ، ثم باعه للتسبين بما أحب من الثمن .

وورد من ناحية بلاد الافرنج كثير من البن الأفرنجى ، وحبه أخضر ، وجرمه أكبر من حب البن اليمنى الذى يأتى الى مصر في مراكب الحجاز ... أخذه في جملة ما أخذ في معاوضة الغلال ، ورماه على باعة البن بمصر بثلاثة وعشرين فرانسة القنطار والتجار يبيعونه بالزيادة ، ويخلطونه مع البن اليمنى

وفي ابتداء وروده كان يباع رخيصة ، لأنه دون البن اليمنى في الطعم واللذة في شربه وتعاطيه ، وبينهما فرق ظاهر يدركه صاحب الكيف ألبته .

وفيه : وصل مرسوم صحة قابجى من الديار الرومية . مضمونه : وكالة دار السعادة باسم كتخدا ييك ، وعزل عثمان أغا الوكيل تابع سنعيد أغا .

فعمل الباشا ديوانا يوم الأحد ، وقرىء المرسوم ، وخلق على كتخدا ييك خلعة الوكالة وخلعة أخرى باستمراره في الكتخدائية على عادته ، وركب في موكب الى داره .

فلما استقر في ذلك ، أرسل في ثانى يوم فأحضر الكتبة من بيت عثمان أغا ، وأمرهم بعمل حسابيه من ابتداء سنة ١٢٢١ لغاية تاريخه . فشرعوا في ذلك . وأصبح عثمان أغا المذكور مسلوب النعمة بالنسبة لما كان فيه ، ويطالب بما دخل في طرفه ، وانتزعت منه بلاد الوكالة وتعلقات الحرمين وأوقافهما وغير ذلك .

غايته (١٠ يوليه ١٨١٢ م) :

وصل صالح قوج ومحو بيك وسليمان أغا و خليل أغا ، من ناحية الينبع على طريق القصير من الجهة القبليية ، وذهبوا الى دورهم .

رجب

٢ منه (١٢ يوليه ١٨١٢ م) :

طلع الجماعة الواصلون الى القلعة ، وسلموا على الباشا ... وخاطره منحرف منهم ومتكدر عليهم ، لأنه طلبهم للحضور مجردين بدون عساكرهم ليتشاور معهم ، فحضرُوا بجملته عساكرهم . وقد كان ثبت عنده أنهم هم الذين كانوا سببا للهزيمة : لمخالفتهم على ابنه ، واضطراب رأيهم ، وتقصيرهم في نفقات العساكر ، ومبادرتهم للهرب والهزيمة عند اللقاء ، ونزولهم بخاصتهم الى المراكب ، وما حصل بينهم وبين ابنه طوسون باشا من المكالمات . فلم يزالوا مقيمين في بيوتهم ببولااق ومصر ... والأمر بينهم وبين الباشا على السكوت نحو العشرين يوما ، وأمرهم في ارتجاج واضطراب ، وعساكرهم مجتمعة حولهم . ثم ان الباشا أمر بقطع خرجهم وعلائقهم فعند ذلك تحققوا منه المقاطعة .

٢٤ منه (٣ اغسطس ١٨١٢ م) :

أرسل اليهم علائقهم المنكسرة — وقدرها ألف

أغا وطساھر آغا ، وهم راكبون أمامه ، وطوائف الأرثوود .. عدد كبير مشاة حوله .

شعبان

٤ منه (١٣ أغسطس ١٨١٢ م - ٧ مسرى ١٥٢٨ ق) :
أوفى النيل المبارك أذرعه ، ونزل الباشا في صبح يوم الخميس في جم غفير ، وعدة وافرة من العساكر . وكسر السيد بهضرته وحضرته القاضي ، وجرى الماء في الخليج ، ومنع المراكب من دخولهم الخليج .

١٥ منه (٢٤ أغسطس ١٨١٢ م) :
سافر سليمان آغا ومحو بيك ، بعد أن قضوا أشغالهم ، وباعوا تملقاتهم ، وقبضوا علائقهم .

١٩ منه (٢٨ أغسطس ١٨١٢ م) :
سافر صالح آغا قوج ، وصحبته نحو المائتين ممن اختارهم من عساكره الأرثوودية ، وتفرق عنه الباقون ، وانضموا إلى حسن باشا وأخيه عابدين بيك وغيرهما .

٢٠ منه (٢٩ أغسطس ١٨١٢ م) :
برزت خيام الباشا إلى خارج باب النصر ، وعزم على الخروج والسفر بنفسه إلى الحجاز . وقد اطمأن خاطره عندما سافر الجماعة المذكورون ... لأنه لما قطع خرجهم ورواتبهم ، وأمرهم بالسفر ، جمعوا عساكرهم إليهم وخيولهم ، وأخذوا الدور والبيوت ببولاق وسكنوها ، وصارت لهم صورة هائلة . وكثرت القالة ، وتخوف الباشا منهم وتحذر ، ونبه على خاصته وسفاسيته وغيرهم بالملازمة والمبيت بالقلعة ، وغير ذلك .

٢١ منه (٣٠ أغسطس ١٨١٢ م) :
اجتمعت العساكر ، وانجر الموكب من باكر النهار : فكان أولهم طوائفه الدلاة ، ثم العساكر وأكابرهم ، وحسن باشا وأخوه عابدين بيك ، وهو

وثمائمائة كيس ، جميعها ريبالات فرائسة - وأسر يحملها على الجمال ، ووجه إليهم بالسفر . فشرعوا في بيع بلادهم وتملقاتهم ، وضاق ذرعهم ، وتكدر طبعهم إلى الفساية ، وعسر عليهم منسارقة أرض مصر ، وما صاروا فيسه من التتبع والرفاهية والسيادة والامارة ، والتصرف في الأحكام والمساكن العظيمة ، والزوجات والسراري والخدم ، والعبيد والجواري ... فإن الأقل منهم له البيتان والثلاثة من بيوت الأمراء ، ونسائهم اللاتي قتلت أزواجهن على أيديهم وظنوا أن البلاد منبت لهم ... حتى أن النساء المترفات ، ذوات البيوت والايادات والالتزامات ، صرن يعرضن أنفسهن عليهم ليحتمين فيهم ، بعد أن كن يعنفنهم ، ويأنفن من ذكرهم ... فضلا عن قربهم

وفيه : ورد آغا قابجي من دار السلطنة وعلى يده مرسوم بالبخارة بمولود ولد للسلطان . فعملوا ديوانا يوم الأحد رابع عشرينه ، وطلّسح الأغا المذكور في موكب إلى القلعة ، وقرئ ذلك المرسوم ، وصحبته الأمراء ، وضربوا شنكا ومدافع ، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام في وقت كل أذان كأيام الأعياد .

٢٥ منه (٤ أغسطس ١٨١٢ م) :
مات أحمد بيك - وهو من عظماء الأرثوود وأركانهم - وكان عندما بلغه قطع خرج المذكورين ، أرسل إلى الباشا يقول له : « اقطع خرجي ، وأعطني غلوفة عساكري وأسافر مع اخواني . فمنعه الباشا ، وأظهر الرأفة به . فتغير طبعه ، وزاد قهره ، وتمرض جسمه . فأرسل إليه الباشا بكيتنه ، فسقاه شربة ، واقتصد ... فمات من ليلته فخرجوا بجنازته من بولاق ودفنوه بالترافة الصغرى ، وخرج أمامه صالح آغا وسليمان

ماش على أقدامه في طوائفه أمام الباشا ، ثم الباشا ،
وكنخدائيك وأغواتهم الصقلية وطوائفهم ، وخلفهم
الطبلخانات . وعند ركوبه من القلعة ، ضربوا عدة
مدافع . فكان مدة مروهم نحو خمس ساعات .
وجروا أمام الموكب ثمانية عشر مدفعا وثلاث قناير .

رمضان

٢٤ منه (اول أكتوبر ١٨١٢ م) :

وردت هجانة مبشرون باستيلاء الأتراك على عقبة
الصفراء والجديدة من غير حرب ... بل بالمخادعة
والمصالحة مع العرب ، وتدمير شريف مكة ، ولم
يجدوا بها أحدا من الوهابيين . فعندما وصلت هذه
البشارة ، ضربوا مدافع كثيرة تلك الليلة من
القلعة ، وظهر فيهم الفرح والسرور .

وفي تلك الليلة : حضر أحمد أغا لاط ، حاكم
قنا ونواحيها . وكان من خبره : أنه لما وصلت اليه
الجماعة الذين سافروا في الشهر الماضي ، وهم :
صالح أغا ، وسليمان أغا ، ومحيييك ، ومن معهم ،
واجتمعوا على المذكور بشوا شكواهم ، وأسروا
نجاوهم ، وأضربوا في نفوسهم أنهم اذا وصلوا الى
مصر ووجدوا الباشا منحرفا منهم ، أو أمرهم
بالخروج والعود الى الحجاز ... امتنعوا عليه
وخالفوه . وان قطع خرجهم ، وأعطاهم علائقهم ،
بارزوه ونابذوه وحاربوه .

واتفق أحمد أغا المذكور معهم على ذلك ، وأنه
متى حصل هذا المذكور ، أرسلوا اليه فيأتيهم على
الفور بعسكره وجنده ، وينضم اليه الكثير من
المقيمين بمصر من طوائف الأرثوود : كما بدى بيك ،
وحسن باشا وغيرهم ، بعساكرهم لاتحاد الجنسية .

فلما حصل وصول المذكورين ، وقطع الباشا
راتبهم وخرجهم ، وأعطاهم علائقهم المنكسرة ،
وأمرهم بالسفر ، أرسلوا أحمد أغا لاط المذكور

بالحضور ... بحكم اتفاقهم معه . فتقاعس وأحب
أن يبدى لنفسه عذرا في شقاؤه مع الباشا ، فأرسل
اليه مكتوبا يقول له فيه : « ان كنت قطعت خرج
اخواني ، وعزمت على سفرهم من مصر واخراجهم
منها فاقطع أيضا خرجي ودعني أسافر معهم » .
فأخفى الباشا تلك المكاتبة ، وأخر عود الرسول —
ويقال له الخجا — لعله بما أضروه فيما بينهم ،
حتى أعطى للمذكورين علائقهم على الكامل ، ودفع
لصالح أغا كل ما طلبه وادعاه ... حتى أنه كان
أنشأ مسجدا بساحل بولاق بجوار داره ، وبني له
منارة ظريفة ، واشترى له عقارا وأمكنة وقفها على
مصالح ذلك المسجد وشعائره . فدفع له الباشا
جميع ما صرفه عليه وضمن العقار وغيره ، ولم يترك
لهم مطالبة يحتجون بها في التأخير . وأعطى الكثير
من رواتبهم لحسن باشا وعابدين بيك أخيه ،
فمالوا عنهم ، وفارقهم الكثير من عسكرهم ،
وانفسوا الى أجناسهم المقيمين عند حسن باشا
وأخيه ، فرتبوا لهم العلائق معهم . وأكثرهم
مستوطنون ومتزوجون ، بل ومتناسلون ، ويصعب
عليهم مفارقة الوطن وما صاروا فيه من التمتع ،
ولا يهون بطلاق الحيوان استبدال النعيم بالجحيم !
ويعلمون عاقبة ما هم صائرون اليه ... لأنه — فيما
بلغنا — أن من سافر منهم الى بلاده ، قبض عليه
حاكمها ، وأخذ منه ما معه من المال الذي جمعه من
مصر وما معه من المتاع ، وأودعه السجن ...
ويفرض عليه قدرا ، فلا يطلقه حتى يقوم بدفعه ،
على ظن أن يكون أودع شيئا عند غيره ، فيشتري
نفسه به ، أو يشتريه أقاربه ، أو يرسل الى مصر
مراسلة لعشيرته وأقاربه ... فتأخذهم عليه الغيرة ،
فيرسلون له ما فرض عليه ويفتدونه ، والا فيموت
بالسجن ، أو يطلق مجردا ويرجع الى حالته التي
كان عليها في السابق ! من الخدم المتهنة ،
والاحتطاب من الجبل ، والتكسب بالصنائع الدنية

بيع الأسقاط والكروش والمؤاجرة في حمل الأمتعة ونحو ذلك .

فلذلك يختارون الإقامة ، ويتركون مخاضهم ... خصوصا والخسة من طباعهم !

هذا والباشا يستحث صالح أغا ورفقائه في الرحيل حيث لم يبق له عذر في التأخير .

فعندما نزلوا في المراكب ، وانحدروا في النيل ... أحضر الباشا الخجا المذكور — وهو عبارة عن الأفندي المخصوص بكتابة سره وإيراده ومصرفه — وأعطاه جواب الرسالة ، مضمونها : تطمينه وتأمينه ، ويذكر له أنه صعب عليه ، وتأثر من طلبه المقاطعة وطلبه المفارقة . وعدد له أسباب انحرافه عن صالح أغا ورفقائه ، وما استوجبوا به ما حصل لهم من الاخراج والابعاد . وأما هو فلم يحصل منه ما يوجب ذلك ، وأنه باق على ما يعهده من المودة والمحبة . فان كان ولا بد من قصده وسفره ، فهو لا يمنعه من ذلك ، فيأتي بجميع أتباعه ويتوجه بالسلامة أينما شاء .. والا بأن صرف عن نفسه هذا الهاجس ، فيحضر في القنجة في قلة ، ويترك وطاقه وأتباعه ليوافقه ويتحدث معه في مشورته وانتظام أموره التي لا يتحملها هذا الكتاب ، ويعود الى محل ولايته وحكمه مكرما .

فراج عليه ذلك التمويه ، وركن الى زخرف القول ، وظن أن الباشا لا يصله بمكروه ، ولا يوافقه بقبيح من القول ، فضلا عن الفعل ، لأنه كان عظيما فيهم ، ومن الرؤساء المعدودين ، صاحب همة وشهامة وأقدام ، جسورا في الصروب والخطوب ... وهو الذي مهد البلاد القبلية ، وأخلاها من الأجناد المصرية . فلما خلت الديار منهم ، واستقر هو بنفسه وقوص ، وهو مطلق التصرف ، وصالح أغا قوج بالأسبوطية .

ثم ان الباشا وجه صالح أغا الى الحجاز ، وقلد

ابنه ابراهيم باشا ولاية الصعيد . فكان يضايق عليه أحمد أغا المذكور في أفعاله ، ويمنعه التعدي على أطيان الناس وأرزاق الأوقاف والمساجد ، ويحل عقد ابراماته . فيرسل الى أبيه بالأخبار ، فيجهد ذلك في نفسه ، ويظهر خلافه ويتغافل .

وأحمد أغا المذكور على جليته وخلوص نيته ، فلما وصلت الرسالة ، اعتقد صدقه ، وبادر بالحضور في قلة من أتباعه حسب اشارته . وطلع الى القلعة ليلة السبت ، وهي ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان ، فعبر عند الباشا وسلم عليه ، فحادثه وعاتبه ، وقيم عليه أشياء ، وهو يجاوبه ويرادده ، حتى ظهر عليه الغيظ .

فقام كتخدا بيك وابراهيم أغا فأخذاه وخرجا من عند الباشا ، ودخلا الى مجلس ابراهيم أغا وجلسوا يتحدثون ، وصار الكتخدا وابراهيم أغا يلطفان معه القول ، وأشارا عليه بأن يستمر معهما الى وقت السحور وسكون حدة الباشا ، فيدخلون اليه ، ويتسحرون معه . فأجابهم الى رأيهم ، وأمر من كان بصحبته من العسكر — وهم نحو الخمسين — بالنزول الى محلهم . فامتنع كبيرهم ، وقال : « لا نذهب وتركك وحيدا » . فقال الكتخدا : « وما الذي يصيبه ، وهو همشري ومن بلدي ، وان أصيب بشيء كنت أنا قبله ؟ » فعند ذلك نزلوا وفارقوه ، وبقي عنده من لا يستغنى عنه في الخدمة .

فعند ذلك أتاه من يستدعيه الى الباشا .. فلما كان خارج المجلس ، قبضوا عليه ، وأخذوا سيفه وسلاحه ، ونزلوا به الى تحت سلم الركوب . وأشعل الضوى المشعل ، وأداروا كتافه ورموا رقبته ، ورفعوه في الحال ، وغسلوه وكفنوه ودفنوه ... وذلك في سادس ساعة من الليل .

وأصبح الخبر شائعا في المدينة . وأحضر الباشا

الخبا ، وطولب بالتحريف عن أمواله وودائعهم ، وعين في الحال باشجاويش ليذهب الى قنسا ، ويختم على داره ، ويضبط ما له من الفلال والأموال . وطلبت الودائع ممن هي عنده التي استدلوها عليها بالأوراق . فظهر له ودائع في عدة أماكن ، وصناديق مال ، وغير ذلك . ولم يتعرض لمنزله ولا لحرمة .

سؤال

٤ منه (١١ أكتوبر ١٨١٢ م) :

قدم قاجي من اسلامبول ، وعلى يده مقرر للباشا بولاية مصر على السنة الجديدة ، ومعه فروة لخصوص الباشا . فلما وصل الى بولاق ، فنزل كتحدا بيك لملاقاته . فركب في موكب جليل ، وخلفه النوبة التركية ، وثنق من وسط البلد وصعد الى القلعة . وحضر الأثياخ وأكابر دولتهم ، وقرىء المرسوم بحضرة الجميع . فلما انقضى الديوان ، ضربوا عدة مدافع من القلعة .

وفيه : ألبس شيخ السادات ابن أخيه سيدي أحمد خلعة وتاجا ، وجعله وكيلا عنه في تسمية الأشراف ، وأركبه فرسا بعباءة ، ومشى أمامه أيضا الجاويشية المختصون بنقيب الأشراف . وأمره بأن يذهب الى الباشا ويقابله ليخلص عليه ، وأرسل صحبته محمد أفندى ، فقال : « مبارك » . وأشار اليه محمد أفندى بأن يخلص عليه فروة . فقال الباشا : « ان عمه جعله نائبا عنه ووكيلا . فليس له عندي تلبيس لأنه لم يتقلدها بالأصالة من عندي » . فقام ونزل من غير شيء الى داره بجوار المشهد الحسيني .

٢٣ منه (٣٠ أكتوبر ١٨١٢ م) :

سافر مصطفى بيك دالى باشا بجميع الدلاة وغيرهم من العسكر الى الحجاز .

وخصل للناس في هذا الشهر عدة كربات ، منها - وهو أعظمها - عدم وجود الماء العذب ، وذلك في وقت النيل وجريان الخليج من وسط المدينة ، حتى كاد الناس يموتون عطشا ... وذلك بسبب أخذهم الخمير للسخرة ، والرجال لخدمة العسكر المسافرين ، وغلو ثمن القرب التي تشتري لنقل الماء .

فان الباشا أخذ جميع القرب الموجودة بالوكالة ، عند الخيلية ، وما كان بغيرها أيضا ... حتى أرسل الى القدس والخليل ، فأحضر جميع ما كان بهما وبلغت الغاية في غلو الأثمان ، حتى بيعت القرية الواحدة ، التي كان ثمنها مائة وخمسين نصفا ، بألف وخمسمائة نصف . ويأخذون أيضا الجبال التي تنقل الماء بالروايا الى الأسبلة والصهاريج وغيرها من الخليج ، فامتنع الجميع عن السراح والخروج .

واحتاج العسكر أيضا الى الماء ، فوقفوا بالطرق يرصدون مرور السقائين أو غيرهم من الفقراء الذين ينقلون الماء بالبلايص والجرار على رؤوسهم . فيوجد على كل موردة من الموارد عدة من العسكر ، وهم واقفون بالأسلحة ، ينتظرون من ستنقى من السقائين أو غيرهم . فكان الخدم والنساء والفقراء والبنات والصبيان ينقلون بطول النهار والليل بالأوعية الكبيرة والصغيرة على رؤوسهم بمقدار ما يكفيهم للشرب . وبيعت القرية الواحدة بخمسة عشر نصف فضة وأكثر ، وشح وجود اللحم ، وغلا في الثمن زيادة على غلو سعره المستمر ، حتى بيع بشمانية عشر نصف فضة كل رطل ... هذا ان وجد ، والجاموس الجفيف بأربعة عشر .

وطلبوا للسفر طائفة من القباينة ومن الخبازين ومن أرباب الصنائع والحرف ، وشددوا عليهم

وكتبوا بذلك أوراقا ، وألصقوها بحيطان دوائرهم وحاراتهم . ولما حضر الباشا طلع اليه القنصل ، وأخبره بتلك الأخبار ، وأطلعه على الكتب الواردة من بلادهم .

الثلاثاء ١٩ منه (٢٤ نوفمبر ١٨١٢ م) :

عدى الباشا الى بر الجيزة ، وأمر بخروج العساكر الى البر الغربى . وعدى أيضا كتخدأ بيك ... وذلك بسبب أن عربان أولاد على نزلوا بناحية الفيوم بجمع عظيم ، وأكلوا الزروعات فخرج اليهم حسن أغا الشاشرجى ، فوزن نفسه معهم ، فرأى أنه لا يقاومهم لكثرتهم ، فحضر الى مصر وأخبر الباشا .

وتحرك الباشا للخروج اليهم ، ثم يعقبه أرسل لهم وخادعهم . فحضر اليه عظماءهم ، فأخذ منهم رهائن ، وخلع عليهم وكساهم ، وأعطاهم راحتهم ، وعين لهم جهات ، وشرط عليهم ألا يتعدوها . ثم رجع وعدى الى بر مصر فى ليلة الخميس حادى عشرته .

الثلاثاء ٢٦ منه (اول ديسمبر ١٨١٢ م) :

نهب العرب القافلة القادمة من السويس بحمل بضائع التجار وغيرهم ، وقتلوا العسكر الذين بصحبتهم وخفارتهم ، وأخذوا الجمال بأحمالها ، وذهبوا بها لناحية الوادى .

والجمال المذكورة على ملك الباشا وأتباعه ... لأنهم سيروا لهم جمالا وأعدوها لحمل البضائع ، ويأخذون أجرتها لأنفسهم بدلا عن جمال العرب ، وذلك من جملة الأمور التى احتكروها طمعا وحسدا فى كل شيء . ولم ينبج من الجمال إلا البعض الذين سبقوهم ، وهم لكتخدأ بيك . فحقق لذلك الباشا ، وأرسل فى الحال مراسلات الى سليمان باشا محافظ عكا يعلمه بذلك ، ويلزمه بإحضارها ، ويتوعدده ان ضاع منها عقال بعير ... والذي ذهب بالمراسلة ابراهيم أفندى المهردار .

الطلب فى أواخر الشهر ، فتغيبوا وهربوا ، فسمرت بيوتهم وحوانيتهم ... وكذلك الحجازون والفرانجون بالطواوين والأفران ، حتى عدم الخبز من الأسواق ، ولم يجد أصحاب البيوت فرنا يخبزون فيه عجينهم . فمن الناس ، القادرين على الوقود ، من يخبز عجينه فى داره أو عند جاره الذى يكون عنده فرن ، أو عند بعض الفرائين التى تكون فرنه بداخل عطفة مستورة خفية ، أو ليلا من الخوف من العسس والمرصدين لهم . وكذلك عدم وجود التبن بسبب رصد العسكر فى الطرق لأخذ ما يأتى به الفلاحون من الأرياف ، فيخطفونه قبل وصوله الى المدينة . وحصل بسبب هذه الأحوال المذكورة شبكات ومشاجرات ، وضرب وقتل وتجريح أبدان ... ولولا خوف العسكر من الباشا ، وشدته عليهم ، حتى بالقتل اذا وصلت الشكوى اليه ، لحصل أكثر من ذلك .

ذوالقعدة

الخميس ٧ منه (١٢ نوفمبر ١٨١٢ م) :

سافر الباشا هجانا الى السويس وصحبته حسن باشا .

الجمعة ١٥ منه (٢٠ نوفمبر ١٨١٢) :

وصل مبشرون من ناحية الحجاز ، وهم أترك على الهجن ، والخبر عنهم أن عساكرهم وصلوا الى المدينة المنورة ونزلوا بفنائها .

الاحد ١٧ منه (٢٢ نوفمبر ١٨١٢ م) :

رجع الباشا من ناحية السويس الى مصر . وفيه : وردت أخبار لطائفة الفرنساوية وقنصلهم المقيمين بمصر بأن « بونا بارت » وعساكر الفرنساوية ، زحفوا فى جمع عظيم على بلاد المسكوب ، ووقع بينهم حروب عظيمة ، فكانت الهزيمة على المسكوب ، وإنكسروا كسرة قوية

ذو الحجة

١٠ منه (١٥ ديسمبر ١٨١٢ م) :

المتأداة على الناس بتزيين الأسواق وما فيها من الحوانيت والدور ، ووقود قناديل وتعالىق ، ويسهرون ثلاث ليال بأيامها : أولها يوم الخميس ، وآخرها يوم السبت الذي هو خامس عشره وأخرجوا وطاقت وخياما الى خارج بابى النصر والقشوح .

وخرج الباشا فى ثانى يوم الى ناحية العادلية — وهو ليلة يوم الزينة — وعملوا حراقات ونفوطا وسواربخ ومدافع من كل ناحية مدة أيام الزينة وكتبت البشائر الى جميع النواحي ، وأنعم الباشا بأمرىات ومناصب على عشرين شخصا من خواصه ، وعين لطيف بيك ، أغات المفتاح ، للتوجه الى دار السلطنة بالبشائر والمفاتيح صحبته وسافر فى صبح يوم الزينة على طريق البر ، وتعين خلفه أيضا للسفر بالبشائر الى البلاد الرومية والشامية والأساكل الاسلامية : مثل بلاد الأنضول والرومنلى ورودرس وسلانيك وأزمير وكريت وغيرها .

اواخره (أوائل يناير ١٨١٢ م) :

وردت الأخبار المترادفة بوقوع الطاعون الكثير بإسلامبول . فأشار الحكماء على الباشا بعمل كورتيلة بالاسكندرية على قاعدة اصطلاح الافرنج ببلادهم . فلا يدعون أحدا من المسافرين والواردين فى المراكب من الديار الرومية يصعد الى البر الا بعد مضى أربعين يوما من وروده . واذا مات بالمركب أحد فى أثناء المدة استأنقوا الأربعين

وفيه : أوشى بعض اليهود على الحاج سالم الجواهريجى — المباشر لايراد الذهب والفضة الى الضربخانة ، وانعزل عنها كما ذكر فى وسط السنة ، وذلك عند ورود الرجل النصرانى الدرزى الشامى — بأنه كان فى أيام مباشرته لايراد يضرب نفسه دنائير خارجة عن حساب الميرى خاصة به .

وردت هجانة من ناحية الحجاز ، وعلى يدهم البشائر بالاستيلاء على قلعة المدينة المنورة ، ونزول المتولى بها على حكمهم ، وأن القاصد الذى أتت بشائره وصل الى السويس وصحبته مفاتيح المدينة . فحصل للباشا بذلك سرور عظيم . وضربوا مدافع وشنكا بعد مدافع العيد وانتشرت المبشرون على بيوت الأعيان لأجل أخذ البقاشيش !

١١ منه (١٦ ديسمبر ١٨١٢ م) :

وصل القادمون الى العادلية ، فعملوا لقدومهم شنكا عظيما ، وضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة وخارج فة العزب حيث العرضى المعد للسفر ، وأيضا. ضربوا بنادق كثيرة متتابعة من جميع الجهات ، حتى من أسطحة البيوت الساكنين بها ، واستمر ذلك أكثر من ساعتين فلكيتين .. فكان شيئا مهولا مزعجا . وأشيع فى الناس دخول الواصلين فى موكب ، واختلفت رواياتهم .

وخرج الباشا الى ناحية العادلية ، فاصطف الناس على مساطب الدكاكين والسقائف للفرجة . فلما كان قريب الغروب ، دخل طائفة من العسكر ، وصحبتهم بعض أشخاص راكين على الهجن ، وفى يد أحدهم كيس أخضر ، وييد الآخر كيس أحمر ، بداخلهما المكاتبات والمفاتيح . وعاد الباشا من ليلته وصعد الى القلعة .

هذا والمدافع والشنك يعمل فى كل وقت من الأوقات الخفية ، وفى الليل .

١٢ منه (١٧ ديسمبر ١٨١٢ م) :

شق الأغا والوالى وأغات التبديل ، وأمامهم

فأمر الباشا بإثبات ذلك وتحقيقه . فحصل كلام كثير .. والحاج سالم يجحد ذلك وينكره . فقال له : « أيوب تابعك الذي كان ينزل آخر النهار بالخرج على حمارة في كل يوم بحجة الأنصاف العددية التي يفرقها على الصيارف بالمدينة .. وأكثر ما في الخروج خاص بك » . فأحضروا أيوب المذكور ، وطلبوه للشهادة . فقال : « لا أشهد بما لا أعلم . ولم يحصل هذا مطلقا ، ولا يجوز لى ، ولا يخلصنى من الله أن أتهم الرجل بالباطل » . فقال اليهودى : « هذا رفيقه وصاحبه وخادمه ، ولا يمكنه أنه يخبر ويقر إلا اذا خوف وعوقب . واذا ثبت قولى ، فانه يطلع عليه ستة آلاف كيس » .

فلما سمع الباشا قول اليهودى « ستة آلاف كيس » ، أمر بحبس الحاج سالم ، ثم أحضروا إخوته والحاج أيوب وسجنوهم وضربوهم ... والباشا يطلب ستة آلاف كيس كما قال اليهودى واستمروا على ذلك أياما . وذلك الحبس عند قرا على بجوار بيت الحريم بالأزبكية .

وسبب خصومة شمعون اليهودى مع الحاج سالم : أنهم احتجوا على اليهودى بأشياء ، وقرروا عليه غرامة أيضا . فطلب من الحاج سالم المساعدة ، وقال له : « ساعدنى كما ساعدتك فى غرامتك » . فقال الحاج سالم : « انك لم تساعدنى بمال من عندك ، بل هو من حسابى معك » . فقال اليهودى : « ألسنت كنت أدارى عليك فيما تفعله ؟ » .

واتسع الكلام بينهما ... وحضرة الباشا وأعوانه مترقبون لحادث يستخرجون به الأموال بأى وجه كان ، ويتقولون ويوقعون بين هذا وهذا . والناس أعداء لبعضهم البعض .. تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى !

ثم ان السيد محمد الحروقى خاطب الباشا فى

شأن الحاج سالم ، وحلف له أن الغرامة الأولى تأخر عليه منها ثلاثمائة كيس ، استدانها من الأوربيين ، ودفعها ، وهى باقية عليه الى الآن ومطلوبة منه ... وذلك بعد أن باع أملاكه وحصه التزامه . فاذا كان ولا بد من تفرغه ثانيا فانتا نهمل أصحاب الديون ، وتقوم بدفع الثلاثمائة كيس المطلوبة للمدينين وتدفعها للخزينة . فأجابه لذلك ، وأمر بالافراج عن الحاج سالم وإخوته ومن معه . فدفعوا لقرا على المتولى سجنهم وعقوبتهم واتباعه سبعة أكياس .

وفيه : اشتد الأمر على اسماعيل أفندى أمين عيسار الضربخانة وأولاده ، بالطلب من أرباب الجالات ، مثل دالى باشا وخلافه . وضيق العسكر المعينون عليهم منافسهم ، ولازموا دورهم ، ولم يجدوا شافعا ولا دافعا ولا رافعا ، فاعوا أملاكهم وعقاراتهم وفراشهم ومصاغ حريمهم وأوانيهم وملابسهم .

وكان الباشا أخذ من اسماعيل أفندى المذكور داره التي بالقلعة عندما انتقل الى القلعة ، فأمره بإخلائها ففعل ، ونزل الى دار بحارة الروم بالقرب من دار ابنه محمد أفندى ، فاتخذ الباشا دار اسماعيل أفندى دارا لحريمه ، وأسكنهم بها لأنها دار عظيمة جليلة .. عمرها المذكور وصرف عليها فى الأيام الخالية أموالا جمة . فلما استولى عليها الباشا ، أسكن بها حريمه وجواريه ومراريه . ولما قرر عليه غرامته ، أسقط عنه منها عشرين كيسا لا غير وجعلها فى ثمن داره المذكورة ... وذلك لا يقوم بشئ رخامها فقط !

فلما اشتد الحال باسماعيل أفندى أشار عليه بعض المتشفعين بأن يكتب له عرضحالا ، ويطلع به الى الباشا صحبة المعلم غالى ، كبير الأقباط المباشرين ، ففعل ، ودخل معه المعلم غالى الى الباشا . فعندما رآه مقبلا صحبة المذكور ، أشار

اليه بالرجوع ، ولم يدعه يتكلم فرجع يقهره ،
ونزل الى داره فمرض وتوفى بعد أيام الى رحمة
الله تعالى .

ومات قبله ولده حسن أفندى ، وبقي جميع
الطلب على ولده محمد أفندى . فحصل له مشقة
زائدة ، وباع أثاث بيته وأوانيهِ وكتبه التي اقتناها
وحصلها بالشراء والاستكتاب ، فباعها بأبخس
الأمثان على الصحافين وغيرهم . وطال عليه الحال ،
وانقضت مواعيد المدائنين له ، فطالبوه وكرهوه ،
فتدائين من غيرهم بالربا والزيادة ... وهكذا . والله
يحصن لنا وله العاقبة .

وفيه : قدم الى الاسكندرية قليون من بلاد
الانكليز فيه بضائع وأشياء للبasha ، ومنها خمسون
ألف كيس نقودا ثمن غلال وخيول يأخذونها من
مصر الى بلادهم . فطفقوا يطلبون لهم الخيول من
أربابها ، فيقيسون طولها وعرضها وقوائمها بالأشبار
.. فان وجدوا ما يوافق غرضهم ومطلوبهم في
القياس والقيافة ، أخذوه ... ولو بأعلى ثمن ،
والا تركوه .

وفيه أيضا : أرسل البasha لجميع كشاف الوجه
القبلى بحجز جميع الغلال والحجر عليها لطرفه :
فلا يدعون أحدا يبيع ولا يشتري شيئا منها ، ولا
يسافر بشيء منها في مركب مطلقا . ثم طلبوا ما عند
أهل البلاد من الغلال ، حتى ما هو مخز في دورهم
للقوت ، فأخذوه أيضا ثم زادوا في الأمر حتى
صاروا يكبسون الدور ويأخذون ما يجدون
من الغلال ، قل أو كثر ، ولا يدفعون له ثمن ، بل
يقولون لهم : « نحسب لكم ثمنه من مال السنة
القابلة » ! ويشحنون بذلك جميع مراكب البasha
التي استجدها وأعددها لنقل الغلال ، ثم يسيرون بها
الى بحرى فتنتقل الى مراكب الافرنج بحساب
مائة قرش عن كل أردب .

وانقضت السنة ولم تنقضى حوادثها ... بل
استمر ماحدث بها كالتى قبلها وزيادة :

فمنها ما أحاط به علمنا وذكرنا بعضه ، ومنها
ما لم يحط به علمنا أو أحاط ولسيناه بحدوث غيره
قبل التثبت .

ومنها : أن البasha عمل ترسخانة عظيمة بساحل
بولاق ، واتخذ عدة مراكب بالاسكندرية لخصوص
جلب الأخشاب المتنوعة ، وكذلك الحطب الرومى ،
من أماكنها على ذمته ، ويبيعه على الحطابين بما
حدده عليهم من الثمن ، ويحصل في المراكب المختصة
به بأجرة محددة أيضا ، ويأتى الى ديوان الكمره
ببولاق فيؤخذ كمره — أى مكسه — وهو
راجع اليه أيضا ... الى أن استقر سعر القنطار
الواحد من الحطب بثلاثمائة وخمسة عشر نصف
فضة ، وأجرة حمله من بولاق الى مصر ثلاثة عشر
نصف فضة ، وأجرة تكسيه مثل ذلك . فيكون
مجموع ذلك ثلاثمائة وأربعين نصف فضة القنطار !
وقد اشتريناه قبل استيلاء هذه الدولة بثلاثين
نصفا ، وأجرة حمله في المركب عشرة أنصاف ،
وأجرته من بولاق الى مصر ثلاثة أنصاف ،
وتكسيه كذلك ، فيكون مجموع ذلك ستة
وأربعين نصفا .

وكذلك فعل في أنواع الأخشاب الكرسة
والحديد والرصاص والقصدير وجميع المجلويات
واستمر ينشئ في المراكب الكبار والصغار التي
تسرح في النيل من قبلى الى بحرى ومن بحرى
الى قبلى ، ولا يبطل الانشاء والأعمال والعمل على
الدوام . وكل ذلك على ذمته ، ومرمتها وعمارها
ولوازمها وملاجيوها بأجرتهم على طرفه ... لا
بالضمان كما كان في السابق . ولهم قومة ومباشرون
متقيدون بذلك الليل والنهار .

ومنها — وهى من الحوادث الغريبة التي لم
يتفق في هذه الأعصار مثلها — : أن في أواخر

ربيع الآخر احترق بحر النيل ، وجف بحر بولاق ، وكثرت فيه الرمال وعلت فوق بعضها حتى صارت مثل التلول ، وانحسر الماء حتى كان الناس يمشون الى قريب انبابة بمداساتهم ... وكذلك بحر مصر القديمة بقى مخاضا . وفقدت أهل القاهرة الماء الحلو ، واشتد بالناس العطش بسبب ذلك ، وبسبب تسخير السقائين . ونادى الأغا والوالى على أن يكون حمل القربة للمكان البعيد بائنى عشر نصف فضة .

واستهل شهر بشنس القبطى فزاد النيل فى أوله ، فى ليلة واحدة ، نحو ذراع . ثم كان يزيد فى كل يوم وليلة مثل دفعات أواخر أيب ومسرى . وجرى بحر بولاق ومصر القديمة ، وغطى الرمال ، وسارت فيه المراكب الكبار منحدره ومقلعة ، وغرقت المقائى مثل : البطيخ والخيار والعبدللاوى ، وما كان مزروعا بالسواحل — وهو شئ كثير جدا — واستمرت الزيادة نحو عشرين يوما ، حتى تغير وابيض وكاد يحمر .

وداخل الناس من ذلك وهم عظيم من هذه الزيادة التى فى غير وقتها ، حتى اعتقدوا أنه يوفى أذرع الوفاء قبل نزول النقطة ... ولم يعهد مثل ذلك . وكان ذلك رحمة من الله بعبده الفقراء العطاش .

ثم انى طالعت فى تاريخ الحافظ المقرئى ، المسمى بالسلوك فى دول الملوك ، فذكر مثل هذه النادرة فى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة .

ولما ترادفت هذه الزيادات ، خرج والى الى قنطرة السد ، وجمع الفعلة للعمل فى سد فم الخليج ، وتادى على نزع الخليج وتنظيفه وكسح أوساخه وقطع أرضه . ثم وقفت الزيادة ، بل نقص قليلا . وزاد فى أوان الزيادة على العادة ، وأوفى أذرع فى أيامه المعتادة ... فسبحان الفعال .

ومنها : شحة الغلال وخلو السواحل منها ... فلا يجد الناس الا ما بقى بأيذى فلاحى الجهات البحرية القريبة ، فيحملونه على الحمير الى العرصات والرقع ، ويبيعونه على الناس كل أردب بأربعة وعشرين قرشا خلاف المكس والكلف . واستقر مكس الأردب الواحد أربعة وثلاثين نصف فضة ، وأجرته اذا كان من طريق البحر من المنوفية أو نحوها مائة نصف وأقل وأكثر ، وأجرته من بولاق الى مصر خمسة وعشرون نصفاً .

ومنها : أنه لما انتظم له ملك بلاد الصعيد ، ولم يبق له فيه منازع ، وقد امارته لابنه ابراهيم باشا ، ورسم بأن يضبط جميع أطيان بلاد الصعيد ، حتى الرزق الاحباسية المرصدة على المساجد والخيرات الكائنة بمصر وغيرها ، وأوقاف سلاطين مصر المتقدمين وخيراتهم ومساجدهم ومكاتبهم وصهاريجهم ، ووظائف المدرسين والمقرئين وغير ذلك . ففعل ذلك وراك الأراضى بأسرها .

وشاع أنه جعل على كل فدان من أراضى الرزق والأوقاف ثلاثة ريالات لا غير ، وعلى باقى فدادين الأطيان ثمانية ريالات خلاف النبارى — وهو مزارع الذرة — فجعل على كل عود من عيدان القطوة سبعة ريالات . فرضى أصحاب الرزق والأطيان بهذا التنظيم ، وظنوا استمراره . فان الكثير من المرتزقة ما كان يحصل له من مزارعى رزقته مقدار ما يحصل له على هذا الحساب .

ومنها : أنه رسم له بالحجر على جميع حصص الالتزام ، فلم يبق لأربابها شيئا الا ما ندر — وهو شئ قليل جدا — واحتج فى ذلك باستيلاء الأمرا المصريين عليها عندما خرجوا من مصر ، وأقاموا بالبلاد القبلية ، فوضعوا أيديهم على ذلك . وأنه حاربهم وطردهم وقتلهم وورث ما كان بأيديهم بحق أو باطل ، وسموه المضبوط . وأما ما كان بأيدي

التجار الذين كانوا معتادين بالصرف عليهم . واستقر الحال الى أن صار جميعه أصلا وفرعا لديوان الباشا . وبيع الموجود على ذمته لأهل الأقاليم المسييين وغيرهم . وهو عن كل أردب مائة قرش بل وزيادة ، وللأفرنج وبلاد الروم والشام بما لا أدري .

ومنها : أنه حصل بين عبد الله أغا بكتاش الترجان وبين النصراني الدرزي منافسة . وهو الذي حضر من جبل الدروز ، ويسمى الياس ، واجتمع بمصر على من أوصله الى الباشا — وهو بكتاش وخلافه — وعرفوه عن صناعته ، وأنه يعمل آلات بأسهل مما يصنعه صناع الضربخانة ، ويوفر على الباشا كذا وكذا من الأموال التي تذهب في الدوايب والكلف ، وما يأخذه المباشرون من المكاسب لأنفسهم . وأقرده بقعة خاصة به بجانب الضربخانة ، وأمر بحضور ما يطلبه اليه من الحديد والصناع واستمر على ذلك شهورا .

ولما تم الآلة ، صنع قروشا وضربها ناقصة في الوزن والعيار ، وجعل كتابتها على نسق القروش الرومية ، ووزن القرش درهمان وربع ، وفيه من الفضة الخالصة الربع ، بل أقل ، والثلاثة أرباع نحاس . وكان المرتب في الأموال من النحاس في كل يوم قنطارين ، فضوعف الى ستة قناطير ... حتى غلا سعر النحاس والأواني المتخذة منه ، فبلغ سعر الرطل النحاس المستعمل مائة وأربعين نصف فضة ، بعد أن كان سعره في الأزمان السابقة أربعة عشر نصفا ، والقراضة سبعة أنصاف أو أقل . ثم زاد الطلب للضربخانة الى عشرة قناطير في كل يوم ... والمباشر لذلك كله بكتاش افندي .

ثم ان بكتاش افندي المذكور انحرف على ذلك الدرزي ، وذلك باغراء المعايير ، وحصل بينهما مناقشة بين بدى الباشا ، والمعلم غالى بينهم — وانحط الأمر في ذلك المجلس على منع الدرزي من

أربابه أيام استيلاء المصريين — وهم الملتزمون القاطنون بالبلاد القبلية أو بمصر ، ممن يراعى جانبه — فانه اذا عرض حاله ، وطلب اذنا في التصرف ، وأخبر بأنه كان مفروجا عنه أيام استيلاء المصريين ، وأثبت ذلك بالكشف من الروزنامة وغيرها ... فاما أن يؤذن له في التصرف ، أو يقال له : نعوضك بدلها من البلاد البحرية . ويسوف ، وتتبادى الأيام ، أو يحيل ذلك على ابنه ابراهيم باشا ، ويقول : « أنا لا علقبة لى في البلاد القبلية ، والأمر فيها لابراهيم باشا » ، واذا ذهب لابراهيم باشا يقول له : « أنا أعطيك الفائط » ، فان رضى أعطاه شيئا نذرا ، ووعدته بالأعطياء . وان لم يرض ، قال له : « هات لى اذنا من أفندينا » . وكل منهما : اما مرتحل أو مسافر ، أو أحدهما حاضر والآخر غائب فيصير صاحب الحاجة كالجملة المعترضة بين الشارط والشروط ... وأمثال ذلك كثير .

ومنها : الاستيلاء على جميع مزارع الأرز بالبحر الغربي والشرقي ، ورتب لهم مباشرين وكتابا يصرفون عليهم من الكلف والتقاوى والبهاثم . ويؤخذ ذلك جميعه من حساب القرض التي قررهما على النواحي . وعند استغلال الأرز يرفعونها بأيديهم ويسعرونها بما يريدونه ، ويستوفون المصاريف ، ومعاليهم القومة والمباشرين المعين لهم . وان فضل بعد ذلك شيء أعطوه للمزارع ، أو أخذوه منه وأعطوه ورقة يحاسب بها في المستقبل . وفرض على كل دائرة من دوائر الأرز خمسة آكياس في كل سنة خلاف المقرر القديم ، وعلى كل عود ثلاثة آكياس . فاذا كان وقت الحصاد وزنوه شعيرا على أصحاب الدوائر والمناشر ... حتى اذا صلح وابتض ، حسبوا كلفه من أصل المقرر عليهم فان زاد لهم شيء أعطوهم به ورقة ، وحاسبوا بها من قابل . وأبطل تعامل المزارعين مع

بباشرة العمل . ورتب له الباشا أربعة أكياس لمصره
في كل شهر ، ومنعوا أيضا من كان معه من نصارى
الشوام من الطلوع الى الضربخانة . واستمر
بكتاش أفندي ناظرا عليها ، ودقق على أرباب
الوظائف والخدم ليأخذ بذلك وجاهة عند
مخدومه . ثم ان الباشا بعد أيام أمر بنفى الدرزي
من مصر وجميع أهله وأولاده . وانقضى أمره بعد
أن تعلموا تلك الصناعة منه .

وفي تلك المدة بلغ ايراد الضربخانة لخزينة
الباشا في كل شهر ألفا وخمسمائة كيس . وكان
الذى يرد منها ، في زمن المصريين ، ثلاثين كيسا
في كل شهر أو أقل من ذلك . فلما التزم بها السيد
أحمد المحروقي أوصلها الى خمسين ، واستمرت
على ابنه السيد محمد كذلك مدة . فانتبذ لها محمد
أفندي طبل المعروف بناظر المهمات ، وزاد عليها
ثلاثين كيسا ، وبقيت تحت نظارة المحروقي بذلك
القدر . ثم ان الباشا عزل السيد محمد المحروقي
عنها ، وأبقاها على ذمته ، وقيد خاله في نظارتها .
ولم يزل الباشا يلعب هذه الملاعب حتى بلغت
هذا المبلغ المستمر ، وربما يزيد ... وذلك خلاف
الغرامات والمصادرات لأربابها .

ثم وشى له على عبد الله أغا بكتاش بأنه يزيد في
وزن القروش وينقص منه عن القدر المحدود . فاذا
حسب القدر المنقوص ، وعمل معدله في مدة
نظارته ، تحصل منه مقدار عظيم من الأكياس .
فلما نوقش في ذلك قال : « هذا الأمر يسأل فيه
صاحب العيار » . فأحضروه ، وأحضروا محمد
أفندي ابن اسماعيل أفندي بدفتره ، وتحققوا في
الحساب ، فسقط منهم خمسة أكياس لم تدخل
الحساب ... فقالوا : « أين ذهبت هذه الخمسة
أكياس » فطفقوا ينظرون الى بعضهم . فقال
المورد : « الحق أن هذه الخمسة أكياس من
حساب محمد أفندي ، ومطلوبة له ، وتجاوز عنها

لقلان اليهودى المورد من مدة سابقة » . فالتفت
الباشا الى محمد أفندي ، وقال : « لأى شيء
تجاوزت لليهودى عن هذا القدر ؟ » . فقال :
« لعلنى أنه خلى ، لبس عنده شيء ... فأخذتني
الرأفة عليه ، وتركت مطالبته حتى يحصل له
اليسار » . فقال : « كيف تنعم بمالى على
اليهودى ؟ » . فقال : « انه من حسابى » .
فقال : « ومن أين كان لك ذلك ؟ » . وأمر به
فبطحوه وضربوه بالعصى ، ثم أقاموه ، وأضافوا
الخمسة أكياس على باقى الغرامة المطلوبة منه التى
هو متخير في تحصيلها ، ولو بالاستدانة من
الربويين ، كما قال القائل :

شكوت جلوس انسان ثقیل

فجاءونى بمن هو منه أثقل

فكنت كمن شكك الطاعون يوما

فزادوه على الطاعون دمل

ومحمد أفندي هذا من وجهاء الناس وخيارهم .
يفعل به هذه الفحال ! ثم انحط الحال مع بكتاش
أفندي على أن فرض عليه ستمائة كيس يقوم
بدفعها . فقال : « ويعفونى أفندينا من نظارة
الضربخانة » . فلم يجبه الى ذلك . واستمر في تلك
الخدمة مكرها خائفا من عواقبها .

ومنها : أن الريال الفرائسة بلغ في مصارفته ،
من الفضة العديدة ، الى مائتين وثمانين نصفاً ...
بل وزيادة خمسة أنصاف . فنودى عليه بنقص
عشرة ، وشددوا في ذلك . وبعد أيام نودى بنقص
عشرة أخرى . فخسر الناس حصة من أموالهم .
ثم ان ذلك القرش الذى يضاف اليه من الفضة ربع
درهم ، ووزن الريال تسعة دراهم فضة ، فيكون
الريال الواحد ، بما يضاف اليه من النحاس على
هذا الحساب ، ستة وثلاثين قرشا .. يخرج منها ثمن
الريال ستة قروش ونصف ، وكلفة الشغل في الجنية
قرش أو قرشان ، يبقى بعد ذلك سبعة وعشرون

قرشا ونصف ، وهو المكسب في الريال الواحد .
الواحدة تباع بنصف . وقس على ذلك باقى
الخضراوات .

وان الباشا لما وضع يده على الأراضى القريبة ،
وأنشأ السواقي تجاه القصر والبستان بناحية
شبرا ، وحرث الأراضى الخرس ، وزرع فيها
أنواع الخضراوات ، وأجرى عليها المياه ، وقيد
لخدمتها المراعين أيضا ، والمزارعين بالمواجرة ...
والمبائر على ذلك كله ذو الفقار كتحدا . وعند ما
يبدو صلاح البقول والخضراوات ، يبيعها
على المتسبين فيها بأعلى ثمن ، وهم يبيعونها على
الناس بما أحبوا .

وشاع بين الناس إضافة ذلك الى الباشا ،
فيقولون كرب الباشا ، ولقت الباشا ، وملوخية
الباشا ، وفجل الباشا ، وقربيط الباشا ! وزرع
أيضا بستانه من أنواع الزهور العجيبة المنظر ،
المتنوعة الأشكال . من الأحمر والأصفر والأزرق
والملون وأتوا بنقائلها من بلاد الروم . فتنجت
وأفلحت ، وليس لها الا حسن المنظر فقط ،
ولا رائحة لها أصلا .

ومنها أن ديوان المكس ببولاق — الذى
يعبرون عنه بالكمرى — لم يزل يتراد فيه
المترايدون حتى أوصلوه الى ألف وخمسة كيس في
السنة . وكان في زمن المصريين يؤدى من يلتزمه
ثلاثين كيسا ، مع محابة الكثير من الناس ، والعفو
عن كثير من البصائع لمن ينسب الى الأمراء
وأصحاب الوجاهة من أهل العلم وغيرهم فلا
تعرضون له ، ولو تحامى في بعض أتباعهم ولو
بالكذب ، ويعاملون غيرهم بالرفق مع التجاوز
الكثير ، ولا يبشون المتاع ولا رباط الشئ
المحزوم بل على الصندوق أو المحزوم قدر يسير
معلوم فلما ارتفع أمره الى هذه المقادير ، صاروا
لا يفتون عن شئ مطلقا ، ولا يسامحون أحدا ...
ولو كان عظيما من العلماء أو من غيرهم .

وهو من جملة سلب الأموال ، لأن صاحب
الريال ، اذا أراد صرفا ، أخذ بدله ستة قروش
ونصفا ، وفيها من الفضة درهم ونصف وثن ،
وهى بدل التسعة دراهم التى هى وزن الريال .

ثم زيد في الطنبور نعمة ، وهى الحجر على
الفضة العديدة ، فلا يصرفون شيئا منها للصيارف
ولا لغيرهم ... الا بالفرط ، وهو أربعة قروش على
كل ألف ، فيعطى للضربانة تسعة وعشرون قرشا
زلائط ، ويأخذ ألف فضة عنها خمسة وعشرون
قرشا . ثم زادوا بعد ذلك في الفرط ، فجعلوه
خمس قروش . فيعطى ألفا ومائتين ، ويأخذ
بدلها ألفا فانظر الى هذه الزيادة والردالة ...
وكذا السفالة !

ومنها . استمرار غلاء الأسعار في كل شئ ،
وخصوصا في الأقوات التى لا يستغنى عنها الغنى
والفقير في كل وقت ، بسبب الاحداث والمكوس
التي تروبت على كل شئ ، ومنها المأكولات
كاللحم والسمن والعسل والسكر ، وغير ذلك
مثل الحضارات

وابطال جميع المذابح خلاف مذبح الحسينية
والترزم به المحتسب بمبلغ عظيم مع كفاية لحم
الباشا وأكابر دولته بالثمن القليل ، وبوزع الباقي
على الجزارين بالسمر الأعلى الذى يخرج منه
نعم لحوم الدولة من غير ثمن فينزل الجزار بما
يكون معه من الغنم أو الاثني الجھيط الى بيت
أو عطفة مستورة ، فتزدحم عليه المتبعون له
والمنتظرون اليه ، وضع يدهم من المضاربة والمشاجرة
ما لا يوصف وثن الرطل اثنا عشر نصفا . وقد
يزيد على ذلك ، ولا ينقص عن الاثنى عشر .

وكذلك الخضراوات التى كانت تباع جزافا ،
تباع بأقصى القيمة ... حتى أن الخس مثلا ، الذى
كان يباع كل عشرة أعداد بنصف واحد ، صارت

وكان من عادة التجار اذا بعثوا الى شركائهم مجزوما من الأقمشة الرخيصة ، مثل العاتكى والنابلسى ، جعلوا بداخل طيها أشياء من الأقمشة الغالية فى الثمن ، مثل المقصات الحلبي والكشميري والهندي ونحو ذلك ، فتندرج معها فى قلة الكمرك . وفى هذا الاوان يحلون رباط المحزوم ، ويفتحون الصناديق ، وينبشون المتاع ، ويهتكون ستره ، ويحصون عدده ، ويأخذون عشره — أى من كل عشرة واحدا — أو ثمنه كما يبيعه التاجر ، غالبا أو رخيصة .. حتى البوانيج والأخفاف والمسوت التى تجلب من الروم ، يفتحون صناديقها ، ويعدهونها بالواحد ، ويأخذون عشورها عينا أو ثمننا . ويفعل ذلك أيضا متولى كمرك الاسكندرية ودمياط واسلامبول والشام .

فبذلك غلت أسعار البضائع من كل شيء ، لفحش هذه الأمور .. وخصوصا فى الأقمشة الشامية والحلية والرومية المنسوجة من القطن والحرير والصوف ، فإن عليها بمفردها مكوسا فاحشة قبل نسجها .

وكان الدرهم الحرير فى السابق بنصف فضة ، فصار الآن بخمسة عشر نصفا ، وما يضاف اليه من الأصباغ ، وكلف الصناع ، والمكوس المذكورة ... فبذلك بلغ الغاية فى غلو الثمن ، فيباع الثوب الواحد من القماش الشامى المسمى بالألاجة ، الذى كانت قيمته فى السابق مائتى نصف فضة ، بألفين فضة ... مع ما يضاف اليه من ربح البائع وطمع التاجر . والنعل الرومى ، الذى كان يباع بستين نصفا ، صار يباع بأربعمائة نصف . والذراع الواحد من الجوخ ، الذى كان يباع بمائة نصف فضة ، بلغ فى الثمن الى ألف نصف فضة ... وهكذا مما يستقصى تتبعه ولا تستقصى مفرداته . ويتولى هذه الكمارك كل من تزايد فيها من

أى ملة كان : من نصارى القبط أو الشوام أو الأروام ، أو من يدعى الاسلام — وهم الأقل — فى الأشياء الدون . والمتولى الآن فى ديوان كمرك بولاق ، شخص نصرانى رومى يسمى كرايت . من طرف طاهر باشا لأنه مختص بإمراده ، وأعوان كرايت من جنسه ، وعنده قواسة أتراك يحجزون متاع الناس ، ويقبضون على المسلمين ، ويسجنونهم ويضربونهم حتى يدفعوا ما عليهم . واذا عثروا بشخص أخفى عنهم شيئا ، حبسوه وضربوه وسبوه ونكلوا به ، وألزموه بغرامة مجازاة لفعله .

والعجب أن بضائع المسلمين يؤخذ عشرها (يعنى من العشرة واحد) ، وبضائع الافرنج والنصارى ومن ينتسب اليهم ، يؤخذ عليها من المائة اثنان ونصف !

وكذلك أحدث عدة أشياء واحتكارات فى كثير من البضائع ، مثل السكر الذى يأتى من ناحية الصعيد ، وزيادات فى المكوس القديمة خلاف المحدثات . وذلك أن من كان بطالا ، أو كاسد الصنعة ، أو قليل الكسب ، أو خامل الذكر ، فيعمل فكرته فى شيء مهمل مغفول عنه ، ويسعى الى الحضرة بواسطة المتقربين أو بعرضحال يقول فيه : « ان الداعى للحضرة يطلب الالتزام بالصف الفلانى ، ويقوم للخرينة العامرة بكذا من الأكياس فى كل سنة » . فاذا فعل ذلك تنبه المشار اليه ، فيوعده بالانجاز ، ويؤخر أياما . فتتسامع المتكالبون على أمثال ذلك ، فيزيدون على الطالب حتى تستقر الزيادة على شخص ، اما هو أو خلافه ، ويقيد اسمه فى دفتر الروزنامة . ويفعل بعد ذلك الملتزم ما يريد وما يقرره على ذلك الصنف ، ويتخذ له أعوانا وخدمة وأتباعا يتولون استخلاص المقررات ، ويجعلون لأنفسهم أقدارا خارجة عن الذى يأخذه كبيرهم .

والذى تولى كبر ذلك ، وفتح بابيه ، نصارى

وأشيع أنهم وجدوا مخبآت بها ذخائر للملك مصر
الأقدمين .

ومنها : أن الباشا أرسل لقطع الأشجار المحتاج
إليها في عمل المراكب ، مثل التوت والنبق ، من
جميع البلاد القبلية والبحرية . فأنبت المعينون
لذلك في البلاد ، فلم يبقوا من ذلك الا القليل ..
لمصانة أصحابه بالرشا والبراطيل حتى يتركوا لهم
ما يزركون . فيجتمع بترسخانة الأخشاب لصناعة
المراكب ، مع ما ينضم إليها من الأخشاب الرومية ،
شيء عظيم جدا ، يتعجب منه الناظر من كثرتة
وكلما نقص منه شيء في العمل ، اجتمع خلفه
أكثر منه .

ومنها : أن أحمد أغا ، أخا كنتخدا بيك ، لما
تقلد وكالة دار السعادة وفتارة الحرمين ، انضم
إليه أباليس الكتبة لتحرير الايراد والمصرف .
وحصروا الأحكار المقررة على الأماكن والأطيان
التي أجراها النظار السابقون ، المدد الطويلة ،
وجعلوا عليها قدرا من المال يقبض في كل سنة
لجهة وقف أصله .. على عادة مصر السابقة واللاحقة
في استئجار الأوقاف من نظارها والأطيان والأماكن
المستأجرة من أوقاف الحرمين وتوابعها : كالدشيشة
والخاصكية ، والمحمدية ، والمرادية ، وغير ذلك
كثيرة جدا ..

ففتحوا هذا الباب ، وتسلطوا على الناس في
طلب ما بأيديهم من السندات ، وحجج التآجرات .
فإذا اطلعوا عليها ، فلا يخلو اما أن تكون المدة
قد انقضت ومضت ، أو بقي منها بقية من السنين .
فان كان بقي منها بقية ، زادوا في الأجرة المؤجلة .
التي هي الحكر ، مثلها أو مثليها بحسب حال المحل
ورواجه . وان كانت المدة قد انقضت ومضت .
استولوا على عين المحل وضبطوه ، أو جددوا له
تآجرا وزادوا في حكره ، ويكون ذلك بمصلحة
جميمة . وعلى كلتا الحالتين لا بد من التفرغ

الأروام والأرمن . فترأسوا بذلك ، وعلت أسافلهم
ولبسوا الملابس الفاخرة ، وركبوا البغال
والرهوانات ، وأخذوا يبيت الأعيان التي
بمصر القديمة ، وعمروها وزخرفوها ، وعملوا
فيها بساتين وجناين ... وذلك خلاف البيوت التي
لهم بداخل المدينة . ويركب الكلب منهم ، وحوله
وأمامه عدة من الخدم والقواسة ، يطرودون الناس
من أمامه وخلفه . ولم يدعوا شيئا خارجا عن
المكس ... حتى الفهم الذي يجلب من الصعيد ،
والحطب السنط والرتم ، وحطب الذرة الذي كان
يباع منه كل مائة حزمة بمائة نصف ، فلما احتكروه
صار يباع كل مائة حزمة بألف ومائتي نصف .

وبسبب ذلك تشحطت أشياء كثيرة ، وعلت
أثمانها ، مثل الجبس والجير ، وكل ما كان يحتاج
للقود .. حتى الخبازين في الأفران . فاننا أدركنا
الأردب من الجبس بثمانية عشر نصف فضة ،
والآن ببائتين وأربعين نصفاً . وكذلك أدركنا
القنطار من الجير بعشرة أنصاف ، والآن بمائة
وعشرين ، والحال في الزيادة !

ومنها : أن الباشا شرع في عمارة قصر العيني ،
وكان قد ثلاثي ، وخربته العسكر وأخذت أخشابه ،
ولم يبق فيه ولا الجدران . فشرع في انشائه
وتعميره وتجديده على هذه الصورة التي هو عليها
الآن .. على وضع الأبنية الرومية .

ومنها أنه هدم سراية القلعة ، وما اشتملت
عليه من الأماكن . فهدم المجالس التي كانت بها
والدواوين ، وديوان قايتباي — وهو المقعد المواجه
للداخل الى الحوش ، علو الكلار. الذي به
الأعمدة — وديوان القوروي الكبير ، وما اشتمل
عليه من المجالس التي كانت تجلس بها الأفندية
والقلقاوات ، أيام الدواوين ، وشرع في بنائها على
وضع آخر واصطلاح رومي . وأقاموا أكثر الأبنية
من الأخشاب ، ويبنون الأعلى قبل بناء السفلى

والصالحات الجوانية والبرانية للكتاب والمباشرين
والخدم والمعينين ، ثم المرافعة الى القاضي ، ودفع
المحاصيل والرسوم والتسجيل وكتابة السندات
التي يأخذها واضع اليد .

ومنها : التحجير على الأجراء والمعمرين المستعملين
في الأبنية والعمائر ، مثل البنائين والنجارين
والنشارين والخراطين ، والزاهم في عمائر الدولة
بمصر وغيرها بالاجارة والتسخير . واختفى الكثير
منهم ، وأبطل صناعته ، وأغلق من له حانوت
حانوته . فيطلبه كبير حرفته الملزم باحضاره عند
معمار باشا : فاما أنه يلزم الشغل ، أو يقتدى
نفسه ، أو يقيم بدلا عنه ويدفع له الأجرة من عند !
فترك الكثير صناعته وأغلق حانوته ، وتكسب
بحرفة أخرى . فتعطل بذلك احتياجات الناس في
التعمير والبناء .. بحيث أن من أراد أن يبنى له
كانونا أو مذودا لدابته ، تحير في أمره ، وأقام
أياما في تحصيل البناء وما يحتاجه من الطين والجير
والقصرمل ..

وكان الباشا اشترى إلف حمار ، وعملوا لها
مزابل ، وأعدوها لنقل أتربة عمائره وشيئيل القصرمل
من مستوقدات الحمامات بالمدينة ببولاق ، ونودي
في المدينة بمنع الناس كافة عن أخذ شيء من
القصرمل . فكان الذي تلزمه الضرورة لشيء منه ،
ان كان قليلا ، أخذه كالسرقة في الليل من المستوقد
بأغلق ثمن ، وان كان كثيرا لا يأخذه الا بفرمان
بالاذن من كتخد بيك ، بعد أن كان شيئا مبتذلا ،
وليس له قيمة ... ينقلونه اذا كثر بالمستوقدات
الى الكيمان بالاجرة . وان احتاجه الناس في
أبنيتهم : اما نقلوه على حميرهم ، أو نقله خدمة
المستوقد بأجرتهم : كل فردين بنصف وأقل
وأزيد ... ونحو ذلك . كما اذا ضاع لانسان مفتاح

خشب ، لا يجد نجارا يصنع له مفتاحا آخر الا
خفية ، ويطلب ثمنة خمسة عشر نصف فضة !
وكان من عادة المفتاح نصف فضة ان كان كبيرا ،
أو نصف نصف ان كان صغيرا .

ومنها : أن الذي التزم بعمل البارود قرر على
نفسه مائتي كيس ، واحتكر جميع لوازمه ، مثل
الفحم وخطب الترمس والذرة والكبريت ، فقرر
على كل صنف من ذلك قدرا من الأكياس ، وأبطل
الذين كانوا يعملون في السباخ بالكيمان ،
ويستخرجون منه ملح البارود ، ثم يؤخذ منهم
عبيطا الى العمل ، فيكررونه حتى يخرج ملحا أبيض
يصلح للعمل . وهي صناعة قدرة متنهنة ، فأبطلهم
منها ، وبنى أحواضا بدلا عن الصناديق ، وجعلها
متسعة ، وطلاها بالخافقي ، وعمل ساقية ، وأجرى
الماء منها الى تلك الأحواض ، وأوقف العمال
لذلك بالأجرة يعملون في السباخ المذكور .

ومنها : شحة الخطب الرومي في هذه السنة ،
واذا ورد منه شيء حجزه الباشا لاحتياجاته ، فلا
يرى الناس منه شيئا . فكان الخطابة يبيعون بدله
خشب الأشجار المقطوعة من القطر المصري ،
وأفضلها السنط ، فيباع منه الحملة بثلثمائة نصف
فضة ، وأجرة حملها عشرة ، وتكسبها عشرة .
وعز وجود الفحم أيضا حتى بيعت الأقة بعشرين
نصفا ، وذلك لانتقطاع الجالب ... الا ما يأتي قليلا
من ناحية الصعيد مع العسكر .. يتسببون فيه
ويبعونه بأعلى ثمن : كل حصيرة بائتي عشر قرشا
 وخمسة عشر قرشا — ولى دون القنطار — وكانت
تباع في السابق بستين نصفا ، وهي قرش ونصف
وغير ذلك أمور واحداثات وابتداعات لا يمكن
استقصاؤها ، ولم يصل اليها خبرها ... اذ لا يصل
اليها الا ما تعلق به اللوازم والاحتياجات الكلية .
وقد يستدل بالبعض على الكل .

أما من مات في هذه السنة ممن له ذكر :

فمات الشيخ الامام العلامة ، والنحرير الفهامة ،
الفقيه الأصولي النحوي ، شيخ الاسلام والمسلمين :

الشيخ عبد الله بن حجازي بن ابراهيم الشافعي
الأزهري الشهير بالشرقاوي ، شيخ الجامع الأزهر .

ولد ببلدة تسمى « الطويلة » بشرقية بلبس
بالقرب من القرين ، في حدود الخمسين بعد المائة ،
وتربى بالقرين فلما ترعرع ، وحفظ القرآن ،

قدم الى الجامع الأزهر ، وسمع الكثير من
الشهابين : الملو ، والجوهري ، والحفني ، وأخيه
يوسف ، والدمهري ، والبليدي ، وعطية
الأجهوري ، ومحمد الفارسي ، وعلى المنسفي

الشهير بالصعدي ، وعمر الطحلاوي .. وسمع
الموطأ فقط على علي بن العربي الشهير بالسقاط

وبأخرة تلقن بالسلوك والطريقة على شيخنا الشيخ
محمود الكردي ، ولازمه ، وحضر معنا في أذكاره
وجمعياته ، ودرس الدروس بالجامع الأزهر ،
وبمدرسة البنانية بالصنادقية ، وبرواق الجبرت
والطيرسية وأفتى في مذهبه ، وتميز في الالتقاء
والتحريير . وله مؤلفات دالة على سعة فضله ...

من ذلك : حاشيته على التحرير ، وشرح نظم يحيى
العريطي ، وشرح العقائد المشرقية والمثنى له أيضا ،
وشرح مختصر في العقائد والفقه والتصوف —
مشهور في بلاد داغستان — وشرح رسالة
عبد الفتاح العادلي في العقائد ، ومختصر الشمائل
وشرحه له ، ورسالة في لا اله الا الله ، ورسالة
في مسألة أصولية في جمع الجوامع ، وشرح الحكم

والوصايا الكردية في التصوف ، وشرح ورد سحر
للبركي ، ومختصر المغني في النحو .. وغير ذلك .
ولما أراد السلوك في طريق الخلوتية ، ولقنه
الشيخ الحفني الاسم الأول حصل له وله واختلال
في عقله ، ومكث بالمارستان أياما ، ثم شفى ، ولازم
الاقراء والافادة ، ثم تلقن من شيخنا الشيخ محمود
الكردي ، وقطع الأسماء عليه ، وألبسه التاج ،
وواظب على مجالسته

وكان في قلة من خشونة العيش ، وضيق المعيشة ،
فلا يطبخ في داره الا نادرا ، وبعض معارفه
يواسونه ، ويرسلون اليه الصحن من الطعام ، أو
يدعونه ليأكل معهم .

ولما عرفه الناس ، واشتهر ذكره ، واصله
بعض تجار الشوام وغيرهم بالزكوات والهدايا
والصلات ... فراج حاله ، وتجل بالملابس ، وكبر
تاجه . ولما توفي الشيخ الكردي ، كان المترجم من
جملة خلفائه ، وضم اليه أشخاصا من الطلبة
والمجاورين الذين يحضرون في درسه : يأتون اليه
في كل ليلة عشاء يذكرون معه ، ويعمل لهم في
بعض الأحيان ثريدا ، ويذهب بهم الى بعض البيوت
في مياتم الموتى ، وليالي السبح والجمع المعتادة ،
ومعهم منشدون ومولهون ، ومن يقرأ الأعشار عند
ختم المجلس ، فيأكلون العشاء ، ويسهرون حصّة
من الليل في الذكر والانشاد والتولة ، وينادون في
انشادهم بقولهم : « يابكرى مدد ، يا حننى مدد ،
يا شرقاوى مدد » . ثم يأتون اليهم بالطاوى ، وهو
الطعام ، بعد انقضاء المجلس ، ثم يعطونهم أيضا

دراهم . ثم اشترى له دارا بحارة كتامة ، المسماة بالعينية ، وساعده في ثمنها بعض من يعاشره من المياسير ، وترك الذهاب الى البيوت ... الا في النادر .

وامستمر على حاله حتى مات الشيخ أحمد العروسي ، فتولى بعده مشيخة الجامع الأزهر ، فزاد في تكبير عمامته وتعظيمها ، حتى كان يضرب بعظمها المشل . وكانت تعارضت فيه وفي الشيخ مصطفى الصاوي . ثم حصل الاتفاق على المترجم ، وأن الشيخ الصاوي يستمر في وظيفة التدريس بالمدرسة الصلاحية ، المجاورة لضريح الامام الشافعي بعد صلاة العصر ، وهي من وظائف مشيخة الجامع . ولما تولاهما الشيخ العروسي ، تعدى على الوظيفة المذكورة الشيخ محمد المصليحي الضرير ، وكان يرى في نفسه أنه أحق بالمشيخة من العروسي .. فلم ينازعه فيها حسا للشر .

فلما مات المصليحي تنزه عنها العروسي ، وأجلس فيها الصاوي ، وحضر درسه في أول ابتدائه لكونه من خواص تلامذته . فلما مات العروسي وتولى المترجم للمشيخة ، اتفقوا على بقاء الصاوي في الوظيفة ، ومضى على ذلك أشهر . ثم ان المجتمعين على الشرقاوي وسوسوا له ، وحرصوه على أخذ الوظيفة ، وأن مشيخته لا تتم الا بها — وكان مطوعا — فكلم في ذلك الشيخ محمد بن الجوهري ، وأيوب بيك الدفتردار ، ووافقاه على ذلك ، واغتر بهما ، وذهب بجماعته ومن انضم اليهم — وهم كثيرون — وقرأ بها درسا .

فلم يحتمل الصاوي ذلك ، وتشاور مع ذوى الرأي والمكاييد من رفقاءه — كالشيخ بدوي الهيتي وأضرابه — فبيتوا أمرهم ، وذهب الشيخ مصطفى الى رضوان ، كتخدا ابراهيم بيك الكبير — وله به صداقة ومعاملة ومقارضة — فسأجه في

مبلغ كان عليه له . فعند ذلك اهتم رضوان كتخدا المذكور ، وحضر عند الشرقاوي ، وتكلم معه وأفحجه . ثم اجتمعوا في ثاني يوم بيت الشرقاوي ، وحضر الصاوي وعزوته ، وباقي الجماعة ، فقال الشرقاوي : « اشهدوا يا جماعة أن هذه الوظيفة استحقاقي ، وأنا نزلت عنها الى الشيخ مصطفى الصاوي » . فقال له الصاوي : « ارجع .. أما الآن فلا . ولا جميلة لك الآن في ذلك » . وبأكثره بكلام كثير ، وبانفاذه لرأى من حوله ، وغير ذلك .

وانقض المجلس على منعه من الوظيفة ، واستمرار الصاوي فيها الى أن مات ، فعادت الى المترجم عند ذلك من غير منازع ، فواظب الاقراء فيها مدة ، وطالب سدة الضريح بمعلومها ، فعاطلوه ، فتشاجر معهم وسبهم ، فشكوه للمعاضدين لهم ، وهم أهل المكاييد من الفقهاء وغيرهم ، وتمصبوا عليه ، وأنهبوا الى الباشا ، وضموا الى ذلك أشياء ... حتى أوغروا عليه صدره ، واتفقوا على عزله من المشيخة . ثم انخط الأمر على أن يلزم داره ولا يخرج منها ، ولا يتداخل في شيء من الأشياء . فكان ذلك أياما ، ثم عفا عنه الباشا بشفاعة القاضي ، فركب وقابله ، ولكن لم يعد الى القراءة في الوظيفة .. بل استتاب فيها بعض الفقهاء ، وهو الشيخ محمد الشبراويني . ولما حضرت فرنساوية الى مصر في سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف ، ورتبوا ديوانا لاجراء الأحكام بين المسلمين ، جعلوا المترجم رئيس الديوان . وانتفع في أيامهم بما يتحصل اليه من المعلوم المرتب له عن ذلك ، وقضايا وشفاعات لبعض الأجناد المصرية ، وجعالات على ذلك واستيلاء على تركات وودائع خرجت أربابها في حادثة فرنساوية ، وهلكوا .

واتسعت عليه الدنيا ، وزاد طمعه فيها ، واشترى دار بن يبره بظاهر الأزهر — وهي دار واسعة من مساكن الأمراء الأقدمين — وزوجته بنت الشيخ

على الزعفرانى هى التى تدبر أمره وتحرز كل ما يأتىه
ويجمعه ، ولا يروح ولا يغدو الا عن أمرها
ومشورتها . وهى أم ولده سيدى على .. الموجود
الآن .

وكانت قبل زواجه بها فى قلة من العيش ، فلما
كثرت عليه الدنيا ، اشترت الأملاك والعقار ،
والحمامات والحوائت ، بما يغل إيراده مبلغا فى كل
شهر له صورة . وعمل مهمًا لزواج ابنه المذكور فى
أيام محمد باشا خسرو سنة سبع عشرة ومائتين
وآلف ، ودعا اليه الباشا وأعيان الوقت ، فاجتمع اليه
شئ كثير من الهدايا . ولما حضر اليه الباشا أنعم
على ابنه بأربعة آكياس منها ثمانون ألف درهم ،
وذلك خلاف البقاشيش .

واتفق للمترجم فى أيام الأمراء المصرية أن طائفة
المجاورين بالأزهر ، من الشرقاوين ، يقطنون
بمدرسة الطيرسية بباب الأزهر ، وعمل لهم المترجم
خزائن برواق معمر ، فوقع بينهم وبين بعض
المجاورين بها مشاجرة ، فضربوا قليب الرواق .
فتعصب لهم الشيخ ابراهيم السجيني — شيخ
الرواق — على الشرقاوين ، ومنعهم من الطيرسية
وخزائنها ، وقهروا المترجم وطائفته . فتوسط بامرأة
عبياء فقيهة — تحضر عنده فى درسه — الى عديلة
هانم ابنة ابراهيم بيك . فكلمت زوجها ابراهيم بيك
— المعروف بالوالى — بأن يبنى له مكانا خاصا
بطائفته . فأجابه الى ذلك ، وأخذ سكن امام الجامع
المجاور لمدرسة الجوهريه ، من غير ثمن ،
وأضاف اليه قطعة أخرى ، وأنشأ ذلك رواقا خلاصا
بهم ، ونقل اليه الأحجار والعمود الرخام الذى
بوسطها من جامع الملك الظاهر بيبرس ، خارج
الحسينية ، وهو تحت نظر الشيخ ابراهيم
السجيني ، ليكون ذلك نكابة له نظير تعصبه عليه .
وعمل به قوائم وخزائن ، واشترى له غلالا من

جرايات الشون وأضافها الى أخباز الجامع ، وأدخلها
فى دفتره ، يستلمها خباز الجامع ويصرفها خبز قرصة
لأهل ذلك الرواق فى كل يوم . ووزعها على الأتغار
الذين اختارهم من أهل بلاده .

ومما اتفق للمترجم أن بخارج باب البرقية
«خانكاه» أنشأتها خوندطغاي الناصرية بالصحراء ،
على يمنة السالك الى وهدة الجبانة المعروفة الآن
بالبستان ، وكان الناظر عليها شخص من شهود
المحكمة يقال له « ابن الشاهينى » . فلما مات تقرر
فى نظرها المترجم ، واستولى على جهات إيرادها .
فلما ولج الفرنسية أراضي مصر ، وأحدثوا القلاع
فوق التلول والأماكن المستعيلة حوالى المدينة .
هدموا منارة هذه الخانكاه وبعض الحوائط
الشمالية ، وتركوها على ذلك .

فلما ارتحلوا عن أرض مصر بقيت على وضعها
فى التخرب ، وكانت ساقيتها تجاه بابها فى علوة
يصعد اليها بمزلقان ، ويجرى الماء منها الى
الخانكاه على حائط مبنى ، وبه قطرة يمر من تحتها
المارون ، وتحت الساقية حوض لسقى الدواب .
وقد أدركنا ذلك ، وشاهدنا دوران الثور فى
الساقية .

ثم ان المترجم أبطل تلك الساقية ، وبنى مكانها
زاوية وعمل لنفسه بها مدفنا وعقد عليه قبة ، وجعل
تحتها مقصورة بداخلها تابوت عال مربع ، وعلى
أركانها عساكر فضة ، وبنى بجانبها قصرا ملاصقا لها
يحتوى على أروقة ومساكن ، ومطبخ وكلار .

وذهبت الساقية فى ضمن ذلك وجعلها بئرا
وعليه خرزة يملأون منها بالدلو ، ونسيت تلك
الساقية وانطمست معالمها ، وكأنها لهم تكن .

وقد ذكر هذه الخانكاه العلامة المقرئ فى
خطه عند ذكر الخوانك — لا بأس بإيراد ما نصه
للمناسبة — فقال :-

« خانكاه أم أنوك ... هذه الخانكاه خارج باب البرقية بالصحراء ، أنشأتها الخاتون طغاي تجاه تربة الأمير طاشتير الساقى . فجاءت من أجل المباني ، وجعلت بها صوفية وقراء ، ووقفت عليها الأوقاف الكثيرة ، وقررت لكل جارية من جوارىها مرتبا يقوم بها » .

ثم ترجمها بقوله : « طغاي الخونده الكبرى ، زوج السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وأم ابنه الأمير « أنوك » كانت من جملة امائه فأعتقها وتزوجها ، ويقال انها أخت الأمير آقبا عبد الواحد ، وكانت بديعة الحسن بأهرة الجمال ، رأت من السعادة ما لم يره غيرها من نساء ملوك الترك بمصر ، وتنعمت في ملاذ ما وصل سواها لمثلها ، ولم يدم السلطان على محبة امرأة سواها ، وصارت خونده بعد ابنة توكاى ... أكبر نسائه ، حتى من ابنة الأمير « تنكز » ، وحج بها القاضي كريم الدين الكبير ، واحتفل بأمرها ، وحمل لها البقول في محابر طين على ظهور الجمال ، وأخذ لها الأبقار الحلابة ، فسارت معها طول الطريق ، لأجل اللبن الطرى والجبن ، وكان يقلى لها الجبن في الغداء والعشاء .

« وناهيك بمن وصل الى مداومة البقل والجبن واللبن في كل يوم بطريق الحج ! فما عساه يكون بعد ذلك !

« وكان القاضي كريم الدين ، وأمير مجلس ، وعدة من الأمراء يترجلون عند النزول ، ويسرون بين يدي محفتها ويقبلون الأرض لها ، كما يفعلون بالسلطان .

« ثم حج بها الأمير بشتاك في سنة تسع وثلاثين وسبعماية ، وكان الأمير تنكز اذا جهز من دمشق مقدمة للسلطان لا بد أن يكون لخوند طغاي منها جزء وافر .

« فلما مات السلطان الملك الناصر ، استمرت عظمتها من بعده الى أن ماتت في شهر شوال سنة تسع وأربعين وسبعماية ، أيام الوباء ، عن ألف جارية وثمانين خصيا ، وأموال كثيرة جدا وكانت غنيمة طاهرة ، كثيرة الخير والصدقات والمعروف ... جهزت سائر جوارىها ، وجعلت على قبر ابنها — بقبة المدرسة الناصرية ، بين القصرين — قراء ، ووقفت على ذلك وقفا ، وجعلت من جملته خبرا يفرق على الفقراء ، ودفنت بهذه الخانكاه ، وهي من أعمار الأماكن الى يومنا هذا » .

يقول الحقيز : انى دخلت هذه الخانكاه في أواخر القرن الماضى ، فوجدت بها روحانية لطيفة ، وبها مساكن وسكان قاطنون بها ، وفيهم أصحاب الوظائف مثل المؤذن والوقاد والكناس والملاء ، ودخلت الى مدفن الواقعة وعلى قبرها تركية من الرخام الأبيض ، وعند رأسها ختمة شريفة كبيرة على كرسى بخط جليل وهى مذهبة ، وعليها اسم الواقعة رحمها الله تعالى ... فلو أن الشيخ المترجم عمر هذه الخانكاه بدل هذا الذى ارتكبه من تخريبها لكان له بذلك منقبة وذكر حسن في حياته ، وبعد مماته . وبالله التوفيق .

وللمترجم طبقات جمعها في تراجم الفقهاء الشافعية المتقدمين والمتأخرين من أهل عصره ، ومن قبلهم من أهل القرن الثانى عشر ... نقل تراجم المتقدمين من طبقات السبكي والأسنوى ، وأما المتأخرون فنقلهم من تاريخنا هذا بالحرف الواحد .

وأظن أن ذلك آخر تأليفاته ، وعمل تاريخا قبله مختصرا فى نحو أربعة كرايس — عند قدوم الوزير يوسف باشا الى مصر ، وخروج الفرنساوية منها — وأهداه اليه ، عدد فيه ملوك مصر ، وذكر فى آخره خروج الفرنسيين ودخول العثمانية — فى نحو ورقتين — وهو فى غاية البرود ، وغلط فيه غلطات ، منها : أنه ذكر الأشرف شعبان بن الأمير حسين

ابن الناصر محمد بن قلاوون . فجعله ابن السلطان حسن .. ونحو ذلك .

ولم يزل المترجم حتى تعلل ومات ، في يوم الخميس ثانی شهر شوال من السنة ، وصلى عليه بالأزهر في جمع كثير ، ودفن بمدفنه الذي بناه لنفسه كما ذكر ، ووضعوا على تابوته المذكور عمامة كبيرة ، أكبر من طييزته التي كان يلبسها في حياته بكثير ، وعمموها بشاش أخضر ، وعصبوها بشال كشميري أحمر ، ووقف شخص عند باب مقصورته ، ويده مفرقة يدعو الناس لزيارته ، ويأخذ منهم دراهم ١

ثم ان زوجته وابنها ومن يلوذ بهم ابتلعوا له مولدا وعيدا في أيام مولد العفيفي ، وكتبوا بذلك فرمانا من الباشا ، ونادى به تاج الشرطة بأسواق المدينة على الناس بالاجتماع والحضور لذلك المولد ، وكتبوا أوراقا ورسائل للأعيان ، وأصحاب المظاهر وغيرهم بالحضور ، وذبحوا ذبائح ، وأحضروا طباقين وفراشين ، ومدوا أسبطة بها أنواع الأطعمة والحلاوات والمحمرات والخشافات لمن حضر من الفقهاء والمشايخ والأعيان وأرباب الأشاير والبدع ، ونصبوا قبالة تلك القبة صواري علقوا بها قناديل وبيارق وشراريب حمراء وصفراء يلوحها الريح . واجتمع حول ذلك من غوغاء الناس ، وعملوا قهاوى وبياعين الحلوى والمخللات والترمس المسح والقول المقلی ، ودهسوا ما بتلك البقعة من قبور الأموات ، وأوقدوا بها النيران ، وصبوا عليها القاذورات ... مع ما يلحقهم من البول والغائط . وأما ضجة الأوباش والأولاد وصراخهم وفرقتهم بالبارود ، وصياحهم وضجيجهم ، فقد شاهدنا به ما كنا نسمعه من غفارت التراب ، وضرب المثل بهم ، فهم أقبح منهم . فان الغفارت الحقيقة لم نر لهم أفعالا مثل هذه .

ولما مات الشيخ المترجم ، ومضى على موته ثلاثة أيام ... اجتمع المشايخ في يوم الأحد ، خامسه ، وطلعوا القلعة ، ودخلوا الى الباشا ، وذكروا له موت المترجم ، ويستأذونه فيمن يجعلونه شيخا على الأزهر . فقال لهم الباشا : « أعملوا رأيكم ، واختاروا شخصا يكون خاليا عن الأغراض ، وأنا أقلده ذلك » . فقاموا من مجلسه ، ونزلوا الى بيوتهم ، واختلفت آراؤهم : فالبعض اختار الشيخ المهدي ، والبعض ذكر الشيخ محمد الشنواني ، وأما الشيخ محمد الأمير فانه امتنع من ذلك ، وكذلك ابن الشيخ العروسي .

والشيخ الشنواني المذكور منحل عنهم ، وليس له درس بالأزهر ، ويقرأ دروسه بجامع الفاكهاني — الذي في العقادين — ويده وظائف خدم الجامع ، وعند فراغه من الدروس يغير ثيابه ويكنس المسجد ، ويفسل القناديل ، ويممرها بالزيت والفتائل ... حتى يكنس المراحيض فلما بلغه أنهم ذكروه ... تغيب .

ثم ان الباشا أمر القاضي ، وهو بهجة أفندي ، بأن يجمع المشايخ عنده ، ويتفقوا على شخص يجتمع رأيهم عليه بالشرط المذكور . فأرسل اليهم القاضي وجمعهم .. وذلك في يوم الثلاثاء سابعه . وحضر فقهاء الشافعية ، مثل القويسني والفضالي ، وكثير من المجاورين والشوام والمغاربة ، فسأل القاضي : « هل بقي أحد ؟ » . فقالوا : « لم يكن أحد غائبا عن الحضور الا ابن العروسي ، والهيتمي ، والشنواني » . فأرسلوا اليهم . فحضر العروسي والهيتمي . فقال : « وأين الشنواني ؟ فلا بد من حضوره » . فأرسلوا رسولا فغاب ورجع ويده ورقة ، ويقول الرسول : « انه له ثلاثة أيام غائبا عن داره ، وترك هذه الورقة عند أهله ، وقال ان طلبوني ~~مخطوهم~~ هذه الورقة » . فأخذها القاضي

وقرأها جهارا، يقول فيها : « بسم الله الرحمن الرحيم
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم ، لحضرة شيخ الاسلام ، اننا نزلنا عن
المشيخة للشيخ بدوى الهيتى » الى آخر ما قال .
فعندما سمع الحاضرون ذلك القول ، قاموا
قومة ، وأكثرهم طائفة الشوام ، وقال بعضهم : « هو
لم يثبت له مشيخة حتى أنه ينزل عنها لغيره » .
وقال كبارهم من المدرسين : « لا يكون شيخا من
يدرس العلوم ، ويفيد الطلبة » . وزادوا فى اللفظ ،
فقال القاضى : « ومن الذى ترضونه ؟ » ، فقالوا :
« نرضى الشيخ المهدي » ، وكذلك قال البقية .
وقاموا وصافحوه ، وقرأوا الفاتحة .

وكتب القاضى اعلاما الى الباشا بما حصل ،
وانقض الجمع ، وركب الشيخ المهدي الى بيته فى
كبكبة ، وحوله وخلفه المشايخ وطوائف المجاورين ،
وشربوا الشربات ، وأقبلت عليه الناس للتهنئة .

وانتظر جواب الاعلان بقية ذلك اليوم ، فلم يأت
الجواب . ومضى اليوم الثانى والمدبرون يدبرون
شغلهم ، وأحضروا الشيخ الشنوانى من المكان
الذى كان متغيبا فيه بمصر القديمة ، وتمموا
شغلهم ، وأحضروا السيد منصور اليافاوى
— المنفصل عن مشيخة الشوام — ليلا ، ليعيده
الى مشيخة الشوام ، ويمنعوا الشيخ قاسما المتولى
قمعا له ولطائفته ، الذين تناولوا فى مجلس القاضى
بالكلام ، وجمعوا بقية المشايخ آخر الليل ، وركبوا
فى الصباح الى القلعة ، فقابلوا الباشا ، فخلع على
الشيخ محمد الشنوانى فروة سمور ، وجعله
شيخا على الأزهر ، وكذلك على السيد منصور
اليافاوى ، ليكون شيخا على رواق الشوام كما
كان فى السابق . ثم نزلوا وركبوا وصحبهم أغات
الينكجيرية بهيئة الموكب ، وعلى رأسه المجوزة
الكبيرة ، وأمامه الملازمون بالبراقع والريش على

رؤوسهم . وما زالوا سائرين حتى دخلوا حارة
خوشقدم ، فنزلوا بدار ابن الزليجى ، لأن دار
ذات الشيخ الشنوانى صغيرة وضيقة لا تسع ذلك
الجمع . والذى أنزله فى ذلك المنزل السيد محمد
المحروقى ، وقام له بجميع الاحتياجات ، وأرسل
من الليل الطباخين والفراشين والأغنام والأرز
والحطب والسمن والعسل والسكر والقهوة ،
وأوقف عبيده وخدمه لخدمة القادمين للسلام
والتهنئة ، ومناولة القهوة والشربات ، والبخور
وماء الورد . وازدحمت الناس عليه ، وأتوا أفواجا
اليه ، وكان ذلك يوم الثلاثاء رابع عشره .
ووصل الخبر الى الشيخ المهدي ومن معه ،
وحصل لهم كسوف ، وبطلت مشيخته .

ولما كان يوم الجمعة ، حضر الشيخ الجديد
الى الأزهر ، وصلّى الجمعة ، وحضر باقى المشايخ ،
وعملوا الختم للشيخ الشراقوى ، وحصل ازدحام
عظيم ، وخصوصا للترجى على الشيخ الجديد ،
وكأنه لم يكن طول دهره بينهم ولا يلتفتون اليه !
وبعد فراغ الختم أنشد المنشد قصيدة يرثى بها
المتوفى ، من نظم الشيخ عبد الله العدوى ،
المعروف بالقاضى ، وانقض الجمع .

ومات الأستاذ المكرم ، بقية السلف الصالحين ،
وتتبعه الخلف المعتقد : الشيخ محمد ، المكنى أبا
السعود ، ابن الشيخ محمد جلال ابن الشيخ
محمد أفندى ، المكنى بأبى المكارم ، ابن السيد
عبد المنعم ابن السيد محمد ، المكنى بأبى
السرور ، صاحب الترجمة ابن السيد ، القطب
الملقب بأبى السرور البكرى ، الصديقى العمرى
من جهة الأم ، تولى خلافة سجادتهم فى سنة سبع
عشرة ومائتين وألف عندما عزل ابن عمه السيد
خليل البكرى . ولم تكن الخلافة فى فرعهم ، بل
كانت فى أولاد الشيخ احمد بن عبد المنعم ،

ويطلعوا الى القلعة ، ويقابلوا به الباشا فأجابوه الى ذلك ، وركبوا من الغد ، سحبتة ، الى القلعة ، فخلع عليه الباشا فروة سمور ، ونزل الى داره بالأزبكية بدرب عبد الحق .

وتوفى المترجم في أواخر شهر شوال من السنة ، وحضروا بجنائزته الى الأزهر ، فصللوا عليه ، وذهبوا به الى القرافة ، ودفن بمشهد أسلافهم . رحمه الله تعالى .

ومات الأجل المكرم ، المهذب في نفسه ، النادرة في أبناء جنسه : محمد افندي الوددلى ، الذى عرف بناظر المهمات ، ويعرف أيضا بـ « طبل » ، أى الأعرج ، لأنه كان به عرج .

قدم الى مصر في أيام قدوم الوزير يوسف باشا ، وولاه محمد باشا خسرو كثوفية أسيوط ثم رجع الى مصر في ولاية مجاهد على باشا ، فجعله ناظرا على مهمات الدولة ، وسكن بيت سليمان أفندى ميسوا ، بعطفة أبى كلبه بناحية الدرب الأحمر ، فتقيد بعمل الخيام والسروج والبرقات ، ولوازم الحروب ، فضاقت عليه الدار ، فاشتري بيت ابن الدالى باللبودية ، بالقرب من قطرة عمر شاه — وهى دار واسعة عظيمة متخربة — هى وما حولها من الدور والرباع والحوانيت فعمرها وسكن بها ، رتب بها ورشات أرباب الأشغال والصنائع والمهمات المتعلقة بالدولة ، كسبك المدافع والجلل والقنابر والمكاحل والعربات وغير ذلك من الخيام والسروج ، ومصاريف طوائف العساكر الطبية والعربية والرماة ، وعمر ما حول تلك الدار من الرباع والحوانيت والمسجد الذى بجواره ، ومكتبا لاقراء الأطفال ، ورتب تدريسا فى المسجد المذكور بعد العصر ، وقرر فيه السيد أحمد الطحطاوى انحنى ، ومعه عشرة من الطلبة ، ورتب لهم ألف

وآخرهم السيد خليل المذكور . فلما حضرت العثمانية الى مصر ، واستقر فى ولايتها محمد باشا خسرو ، سعى فى السيد خليل الكارهون له ، وأنهوا اليه فيه ، ورموه بالقبائح ، ومنها : تداخله فى الفرنسيين ، وامتزاجه بهم . وعزلوه من رقابة الأشراف ، وردت للسيد عمر مكرم . ولم يكتفوا بذلك ، وذكروا أنه لا يصلح لخلافة البكرية ، فقال الباشا : « وهل موجود فى أولادهم خلافة ؟ » . قالوا : « نعم » . وذكروا المترجم فيمن ذكروه ، وأنه قد طعن فى السن ، وفقير من المال ، فقال الباشا : « الفقر لا ينفى النسب » . وأمر له بفرس وسرج وعباءة — كمادة مركوبهم — فأحضروه وألبسوه التاج والفرجية ، وخلع عليه الباشا فروة سمور ، وأنعم عليه بخمسة أكياس ، وأن يأخذ له فائضا فى بعض الاقطاعات ، ويعفى من الحلوان . وسكن بدار جهة باب الخرق ، وراج أمره ، واشتهر ذكره من حينئذ ، وسار سيرا حسا مقرونا بالكمال ، جاريا على نسق نظامهم بحسب الحال ، ويتحاكم لديه خلفاء الطرائق الصوفية ، وأصحاب الأشرار البدعية كالأحمدية والرافعية والبرهامية والقادرية فيفصل فوائدهم العادية وينتقل فى أوائل شهر ربيع الأول الى دار بالأزبكية بدرب عبد الحق ، فيعمل هناك وليمة المولد النبوى على العادة ، وكذلك مولد المعراج فى شهر رجب بزواية الدشطوطى ... خارج باب العدوى .

ولم يزل على حالته وطريقته — مع انكسار النفس — الى أن ضعفت قواه ، وتعلل ولازم الفراش . فعند ذلك طلب الشيخ الشنوانى ، وباقى المشايخ ، وعرفهم أن مرضه الذى هو به مرض المسوت ، لأنه بلغ التسعين وزيادة ، وأنه عهد بالخلافة على سجداتهم لولده السيد محمد لأنه بالغ رشيد ، والتمس منهم بأن يركبوا معه من الغد ،

فضة ، ثم يأخذون أيضا من ذلك الشيء ، يأخذون على كل حمل حمار أو بغل أو جمل نصف فضة . وإذا اشترى شخص من ساحل بولاق أو مصر القديمة أردب غلة أو حملة حطب لبياله ، أخذ منه المتقيدون عند قنطرة الليمون . فإذا خلس منهم استقبله الكائنون بالباب الحديد ... وهكذا سائر الطرق التي يدخل منها المسار إلى المدينة ويخرجون ، مثل باب النصر ، وباب الفتوح ، وباب الشعرية ، وباب العدوى ، وطرق الأزبكية وباب القرافة والبرقية وطرق مصر القديمة . فسعى المترجم بإبطال ذلك ، وتكلم مع الباشا ، وعرفه تضرر الناس ... وخصوصا الفقراء . وهؤلاء المتقيدون لهم علائف يقبضونها من الباشا كغيرهم — وهذا قدر زائد — فرخص له في إبطال هذا الأمر ، وكتب له « بيورلدى » بمنع هؤلاء المركوزين عن أخذ شيء من الناس جملة كافية . وقيد بكل مركز شخصا من أتباعه لمراقبتهم ، وأشاع ذلك في الناس . فانكفوا وامتنعوا عن أخذ شيء من عامة الناس .

وكانوا يجمعون من ذلك مقادير من الفضة العديدة يتقاسمونها آخر النهار ، وذلك خلاف ما يأخذونه من الأشياء المحمولة ، كالجن والزبد والحيار والقضاء ، وأنواع البطيخ والفاكهة والبرسيم والأحطاب والخضارات وغير ذلك .

ومن مناقبه أيضا : أن الجاويشية والقواسة الأتراك ، المختصين بخدمة الباشا والكتخدا ، كان من عوائدهم القبيحة أنهم في كل يوم جمعة يلبسون أحسن ملابسهم ، وينتشرون بالمدينة ، ويطوفون على بيوت الأعيان ، وأرباب المظاهر ، وأصحاب المناصب ، يأخذون منهم البقاشيش ، ويسمونهم الجمعية — فما هو الا أن يصطحب أحد من ذكر ، ويجلس مجلسه ، الا واثنان أو ثلاثة عابرون عليه من غير استئذان ، فيقفون قبالة وبأيديهم العصي

عثماني ، تصرف لهم من الروزنامة ، وللأطفال وكسوتهم خلاف ذلك ، ويشترى في عيد الأضحى جواميس وكباشا ، يذبح منها ويفرق على الفقراء والموظفين ، ويرسل إلى أصحابه عدة كباش في عيد الأضحى إلى بيوتهم — الكبش والكبشين — علي قدر مقاديرهم ، ويرسل في كل ليلة من ليالي رمضان عدة قصاع ملووة بالثريد واللحم إلى الفقراء بالجامع الأزهر .

واتفق أن الباشا قصد تعيير المجرة والسواقى التي تنقل الماء من النيل إلى القلعة . وكانت قد تهست وتخربت وتلاشت ، وبطل عملها مدة سنين . فأحضروا المعمارية ، فهولوا عليه أمرها ، وأخبروه أنها تحتاج خمسمائة كيس تنفق في عمارتها ، فعرض ذلك على المترجم فقال له : « أنا أعمرها بمائة كيس » . قال : « كيف تقول ؟ » . قال : « بل بشمانين كيسا » .

والتزم بذلك ، ثم أسرع في عمارتها حتى أتمها على ما هي عليه الآن ، وأهدى إليه رجال دولتهم عدة أثوار معونة له ، فعمر أيضا سواقيها ، وأدارها ، وجرى فيها الماء إلى القلعة ونواحيها ، وانتفع بها أهل تلك الجهات ، ورخص الماء ، وكثر في تلك الأخطاط ، وكانوا قاسوا شدة من عدم الماء عدة سنين .

ومما عد من مناقبه أن القلقات المقيدون بالمراكز وأبواب المدينة ، كانوا يأخذون من الواردين والداخلين والخارجين والمسافرين ، من الفلاحين وغيرهم ، ومعهم أشياء أو أحنال — ولو حطبا أو برسيما أو تبا أو سرجينا — دراهم على كل شيء ، ولو امرأة فقيرة معها ، أو على رأسها ، مقطف من رجيع البهائم تبيعه في الشارع وتقتات بشفته ... فيحجزونها ولا يدعونها تمر حتى تدفع لهم نصف

المفضضة ، فيعطيههم القرشين أو الثلاثة ... بحسب
مئصبه ومقامه . فاذا ذهبوا وانصرفوا حضر البه
خلافهم ... وهكذا . ولا يرون في ذلك ثقلا ولا
ردالة ، بل يرون أن ذلك من اللزمات الواجبة .
فلا يكفي أحد المقصودين : الخمسون قرشا ، أو
أقل ، أو أكثر — في ذلك اليوم — تذهب سهلا .
فكان منهم من ينقطع في حريمه ذلك اليوم ، أو
يتوارى ويتغيب عن منزله . فاذا صادفوه مرة
أخرى ذاكروه فيما فاتهم في السابق : فاما ساعوه
وامتنوا عليه بتركها ، أو طالبوه بها ان لم يكن
من يخشوه ، فسعى أيضا المترجم مع الباشا في
منعهم من ذلك .

ومن مساويه : أنه أول من فتح باب الزيادة في
متحصل الضريبة ، حتى تنبه الباشا من ذلك
الوقت لأهل الضريبة ، وأوقع بهم ما تقدم ذكره .
ومنها أحداث المكس على اللبان والحناء والصنع
على ما قيل :

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها

كفى المرء نبلا أن تعد معاياه

وبالجملة « فمن رأس العين يأتي الكدر » كما
قاله الليث بن سعد لما سأله الرشيد ، وقال له :
« يا أبا العرث . ما صلاح بلدكم ؟ » . فقال له :
« أما صلاح أمر زراعتها وجدها وخصبها ...
فبالنيل . وأما صلاح أحكامها ... فمن رأس العين
يأتي الكدر » . فقال له : « صدقت » . ذكر ذلك
الحافظ بن حجر في « المرحمة الغيثية في الترجمة
الليثية » .

وعلى كل ... فكان المترجم أحسن من رأينا في
هذه الدولة .. وكان قريبا من الخير وفعله ، مواظبا
على الصلوات الخمس في أوقاتها ، ملازما على
الاشتغال ومطالعة الكتب ، والممارسة في دقائق

الفنون . واقتنى كتباً كثيرة في سائر الفنون
واستنباط الصنائع ، حتى أنه صنع الجوخ الملون
الذي يعمل ببلاد الافرنج ، ويجلب الى الآفاق ،
ويلبسه الناس للتجمل ... وكان قل وجوده بمصر ،
وغلا ثمنه . فعمل عدة أنوال ومناسج غريبة
الوضع ، وأحضر أشخاصا من النساجين ، فنسجوا
ألصوف بعد غزله مدات حدددها لهم في الطول
والعرض ، ثم يتسلمه رجال أعددهم لتخميمه وتلييده
بالقلى والصابون ، منشورا ومطويا بكيفيات في
أوقات وأيام ، بمباشرة لهم في العمل وإشارته ، ثم
يضعونه مطويا في أحواض من خشب ثخين مزفت ،
تمتلئ بالماء من ساقية ، صنعها لخصوص ذلك ،
يصب منها الماء الى تلك الأحواض ، تديرها
الأثوار . وعلى تلك الأحواض مدقات شبيهة بمدقات
الآرز ، تتحرك في صعودها وهبوطها من ترس
خاص يدور بدوران الساقية ، وما يفيض من ماء
الأحواض يجري الى بستان زرعه حول ذلك ،
فيستقى ما به من الأشجار والمزارع ، فلا يذهب
الماء هدرًا ، ثم يخرجونه بعد ذلك ويردونه
ويصبغونه بأنواع الأصباغ ، ويضعونه في مكبس
كبير يقال له « التخت » صنعه لذلك ، وعند ذلك
يتم عمله . فكان الناس يذهبون للتفرج على ذلك
لقرابته عندهم .

ثم حضر اليه شخص فرساوى ، وأشار عليه
بإشارات في تغيير المدقات ، وأفسد العمل ، واشتغل
هو بكثرة المهمات ، فتكاسل عن إعادتها ثانيا ،
وبطل ذلك .

وكان ، مع كثرة أشغاله ومصاريفه ، ليس له
كاتب ، بل يكتب ويحسب لنفسه ، وبين يديه عدة
دفاتر : لكل شيء دفتر مخصوص ، ولا يشغله
شيء عن شيء .

ولما اتسعت دائرته ، وكثرت حاشيته ، واجتمعت

بأنواع الليق ، ويعيد على النقوشات بالسندروس
المحلول ، ويضعها في صندوق من الزجاج صنعه
لخصوص تلك الأشياء والقبورات ، وجفاف دهانها
بحرارة الشمس المحجوب بالزجاج عن الهواء
والغبار . وعند تمامها تكون في غاية الحسن والظرافة
والبهجة ، بحيث لا يشك من يراها بأنها من صناعة
الهند أو الافرنج المتقنين الصناعة .

وكان كلما سمع بشخص ذى معرفة لصناعة من
الصنائع أو المعارف ، اجتهد في تحصيلها وتلقيها
عنه بأي وجه كان — ولو يبذل الرغائب وأعد
بمنزله أماكن لأشخاص من أرباب المعارف : ينزلهم
فيها ، ويجرى عليهم النفقات والكساوى حتى
يجتنى ثمار معارفهم وصنائعهم . ويجتمع عنده في
كل ليلة جمعة جماعة من القراء التى مساكنهم قريبة
من داره فيذكر الله معهم حصّة من الليل ، ثم يفرق
فيهم دراهم .

ولما طال به الهمال ، وفتور الأحوال ...
وباشا قليل الإقامة بمصر ، وأكثر أيامه غائب
عنها ، فحسن بباله الرحلة من مصر الى الديار
الرومية ، ويذهب الى بلاده فاستأذن الباشا عند
وداعه ، وهو متوجه الى ناحية قبلى ، فأذن له .
وأخذ في أسباب السفر ، فأرسل الكتخدا الى
الباشا ، ودس اليه كلاما ، فأرسل بمنعه ويرتب له
خروجا لمطبخه ... فتعوق عن السفر على غير
خاطره .

وفي أوائل السنة حضرت اليه والدته وابنته
وزوجها ، فأنزلهم في دار تجاه داره ، وأجرى عليهم
ما يحتاجون اليه من النفقة . فاتفق أن صهره
المذكور حلف يمينا بالطلاق الثلاث ، وحنث فيه ،
ففرق بينه وبين ابنته ، وطرده ، فشكاه الى كتخدا
ت ، فقدمه في سجن ، فلم يقبل وقال . « لا يجوز

فيه عدة مناصب ، مضافة لنظر المهمات — مثل :
معمل البارود ، وقاعة الفضة ، ومدافع الجلود ،
وغير ذلك — فكان كتخدا ييك يحقّد عليه في
الباطن لأموور بينهما ، حتى قيل ان نفسه طمحت في
الكتخدائية . فكان يتصدر في الأمور والقضايا ،
ويرافع ويدافع ويهزل مع الباشا ويضاحكه
ويرادده ، ويدخل عليه من غير استئذان . فلم يزل
الكتخدا يلقي فيه الدسائس ، ويعمل معدّل الأشغال
التى تحت نظره ، ويعرف الباشا بما يتوفر من
ذلك ... حتى نزع من نظارة جميع المهمات ، وقلدها
صالح كتخدا الرزاز .

ومما نغمه عليه ، أن الكتخدا حضر لزيارة المشهد
الحسينى في عصرية يوم من رمضان ، ثم ركب
متوجها الى داره قبيل الغروب فصادف في طريقه
عدة قصاع كبار مغطاة ، تحملها الرجال . فسأل
عنها فعرفوه أن المترجم يرسلها في كل ليلة من ليالى
رمضان الى فقراء الجامع الأزهر — وبها الثريد
واللحم — فامتعض من ذلك ، وعرف الباشا أنه
يؤلف الناس ويتودد اليهم بأموالك ، ونحو ذلك ا

واستمر المترجم بطالا نحو السنتين ، ولم
بتضعف ، ولم يظهر عليه تغير ، ونظامه ومطبخه
على حاله ، وطعامه مبدول ، وراتبه جار . وفى تلك
المدة اشتغل بمطالعة الكتب والممارسة والمدارسة ،
وعانى الحسابيات وصناعة التقويم ... حتى مهر في
ذلك ، وعمل الدستور السنوى ، وما يشتمل عليه
من تقويم الكواكب السيارة ، وتداخل التواريخ
والأهلة ، والاجتماعات والاستقبالات . وطوال
التحصيل والنصب . ويصنع بيده أيضا الصنائع
الفائقة : مثل الظروف التى تأتى من بلاد الهند
والافرنج والروم ، ويضع فيها الكتبة محابرهم
وأقلامهم ، فيصنعها أولا من الخشب الرقيق
والقرطاس المقوم المتلاصق ، ويصبغها وينقشها

والبستان خارج قناطر السباع ، وما زاد عن حاجته من الأشياء والأمتعة ، واشترى عبيدا وجواري ، وقضى لوازمه ، وسافر الى رشيد ... فعند ما مضى من نزوله يومان أو ثلاثة ، كتبوا الى خليل بيك ، حاكم الاسكندرية ، مرسوما بقتله . فبلغه خبر ذلك ، وهو بشرف رشيد ، فلم يصدق ، وقال : « أى ذنب أستوجب به القتل ؟ ولو أراد قتلى ما الذى يمنعه منه وأنا عنده بمصر . وأنا سافرت بأذنه وودعته ، وقبلت يديه وطرفه ، وأخذت خاطره ، وهو مبشوش معى كمادته ا » . فلما حصل بالاسكندرية ، واستقر بالسفينة ، ومضى أيام وهم ينتظرون اعتدال الريح ، والاذن من الحاكم بالاقلاع ، ووصل المرسوم الى خليل بيك ، أرسل اليه فى وقت يدعوه ليتفدى معه فى رأس الثين . ونظر الى خليل بيك ، وهو واقف فى انتظاره على بعد منه فوق علوة ، فأجاب ، وخرج من السفينة ، فوصل اليه جماعة من العسكر ، وأحاطوا به ... فتحقق عند ذلك ما كان بلغه وهو برشيد ، ونظر الى خليل بيك فلم يره ، فقال : « أمهلونى حتى أتوضأ وأصلى ركعتين » . وقام من حلاوة الروح وألقى بنفسه فى البحر ، ف ضربوا عليه بالرصاص ، وأخرجوه وتمموا قتله ، وأخرجوا صناديقه ، وأخذوا ما فيها من الكتب لأن الباشا أرسل بطلبها . وأخذ ما معه من المال والدرهم خليل بيك ، فأعطى لولده جانبا منه ، وأذن له بالسفر مع عياله . واقضى أمره ، ووصلت الكتب الى سراية الباشا ، وأودعت عند ولى خوجا ، وتبدد الكثير منها ، وفرق منها عدة على غير أهلها . وكانت قتلته فى أواخر شهر صفر من السنة . والله أعلم .

أن أحل المحرم لأجلك » . واستمر صهره يتردد على الكتخدا ويلقى ما يلقيه فى حقه من النيمة ، ويذكر له عنه فى حقه ما يزيده غيظا وكراهة ، ويقول له : « انه يجمع أناسا فى كل ليلة جمعة يقرءون ويدعون عليك وعلى مخدومك » ، وذكر له أنه يقول لكم ان قصده السفر الى بلده ، وانما قصده السفر الى اسلامبول ، وليجتمع على مخدومه الأول لكونه تولى قبودان باشا ورياسة الدونائة ، ويقول عندما آكون بدار السلطنة أفعل وأفعل ، وأخبرهم بحقيقة هؤلاء وأفاعيلهم ، وأنقض عليهم أمرهم . وذكر له أيضا أنه استخرج من أحكام النجوم التى يعانها ، أن الباشا يحصل له نكبة بعد مدة قريبة ، ويحصل ما يحصل من الفتن ... فيريد الخروج من مصر قبل وقوع ذلك ، ونحو ذلك .

فلما رجع الباشا من سفرته ، توسل المترجم بالكتخدا فى أن يأخذ له اذنا من الباشا بالسفر — وهو لا يعلم سريره — ففاوض الباشا فى ذلك ، وألقى اليه ما ألقاه ، حتى أوغر صدره منه ، ثم رد عليه بقوله : « انى استأذنت الباشا فلم يسهل به مغارقتك ، وقال : ان كان عن ضيق فى المعيشة ، فأطلق له فى كل شهر كيسين ، عنها أربعون ألف نصف فضة » . فلما قال له ذلك قال : « أنا لا يكفينى هذا المقدار ، فان كان فيطلق لى خمسة أكياس » . فقال : « لم يرض بأزيد مما ذكرته لك » . وكل ذلك مخادعة من الكتخدا ليحقق ما حشده فى صدر مخدومه . وما زال يتردد فى طلب الاذن ، حتى أذن له ، وأضر له القتل بعد خروجه من مصر ا

فعند ذلك باع داره ، وما استجده حولها ،

ويخفيها عن الباشا ، وأنه اذا حوسب على السنين الماضية ، يطلع عليه ألوف من الأكياس .

فعندما سمع ذلك أمرهما بمباشرة حسابه عن أربع سنوات متقدمة . فخرجا من عنده ، وأخذوا صحبتهما مباشرة تركيا ، ونزلوا على حين غفلة بعد العصر ، وتوجهوا الى منزل أخيه عثمان أفندى السرجي ، ففتحوا خزانة الدفاتر ، وأخذوها بتسامها ، الى بيت ابن الباشا ابراهيم بيك الدفتردار .

واجتمعوا في صبحها للمحاكمة والحساب مع أخيه عثمان أفندى المذكور ، واستمروا في المناقشة والمحاكمة عدة أيام ... مع المرافعة والمدافعة ، والميل الكلى على حسين أفندى ، ويذهبون في كل ليلة يخبرون الباشا بما يفعلون ، وبالقدر الذي ظهر عليه . فيعجبه ذلك ، ويشئ عليهما ، ويحرضهما على التدقيق ، فتنتفخ أوداجهما ، ويزيدان في الممانعة والمدافعة والمرافعة في الحساب .

وحسين أفندى على جليته ، ويظن أنه على عادته في كونه مطلقا التصرف في الأموال الميرية ، ويبلغها اذا سئل فيها للقائم بالدولة ، ايرادا ومصرفا ، ليكون اجمالا لا تفصيلا ، لكونه أمينا وعدلا .

وكان الايراد والمصرف محررا ومضبوطا في الدفاتر التي بأيدي الأفندية الكتاب ، ومن انضم اليهم من كتاب اليهود في دفاترهم أيضا بالعبراني ، لتكون كل فرقة شاهدة وضابطة على الأخرى .

فلما استقل هذا الباشا بمملكة الديار المصرية ، واستغول في تحصيل الأموال بأي

المحتمر

الأثنين غرقه (٤ يناير ١٨١٢ م) :

فيه : وصل الخبر من الجهة القبلية بأن ابراهيم بيك — ابن الباشا — قبض على أحمد أفندى ابن حافظ أفندى ، الذي يئده دفاتر الرزق الأحباسية ، وشنقه ، وضرب قاسم أفندى ابن أمين الدين — كاتب الشهر — علقة قوية . وكان والده أضجها معه لياشرا معه الأمور ، ويعرفاه الأحوال . وكان قاسم أفندى خصيصا به مثل الوزير ، والصاحب ، والنديم ، ورتب له الباشا في كل سنة ثمانين كيسا خلاف الخروج والكساوى ، وشرط عليه المناصحة في كشف المستورات ، وما يكون فيه تحصيل الأموال ... فكأنه قصر في كشف بعض الأشياء ، وأرسل الى والده يعلمه بخيائته ، هو وكاتب الأرزاق ، وأنها منهمكان في ملاذهما ، فأذن له في فعله بهما ما ذكر ، وأخذ ما كانا جمعاه لأنفسهما ، وأظهر أنه انما فعل بهما ذلك عقوبة على ارتكابهما المعصية .

السبت ٢٠ منه (٢٣ يناير ١٨١٣ م) :

حضر ابراهيم بيك المذكور الى مصر .

وفيه : حصلت منافسة بين حسين أفندى الروزناجي وبين شخصين من كتابه ، وهما : مصطفى باشا جاجرت ، وقيطاس أفندى ، ولعل ذلك باغراء باطنى على حسين أفندى ، فرفعا أمرهما الى الباشا وعرفاه عن مصارف وأمرور يفعلها حسين أفندى

وجه ، واستحدث أقلام المكوس ، وجعلها في دفاتر تحت أيدى الأفندية وكتبه الروزنامة ، فصارت من جملة الأموال الميرية : في قبضها وصرفها ، وتحاولها .. والباشا مرخى العنان للروزنامجي ، ومرخص له في الاذن والتصرف ... والروزنامجي كذلك مرخى العنان لأحد خواص كتابه ، المعروف بأحمد اليتيم ، لقطاته ، ودرايته . فكان هو المشار اليه من دون الجميع ، ويتناول عليهم ، ويمقت من فعل فعلا دون اطلاعه ، وربما سبه — ولو كان كبيرا أو أعلى منزلة منه في فنه — فيمتلىء غيظا ، وينقطع عن حضور الديوان ، فيهمله ولا يسأل عنه .. والأفندی الكبير لا يخرج عن رأيه لكونه سادا مسد الجميع . فدبروا على أحمد أفندی المذكور ، وحفروا له ، وأغروا به حتى نكبه الباشا ، وصادره في ثمانين كيسا ، ومخدومه حسين أفندی ، في أربعمائة كيس .

واقطع أحمد أفندی عن حضور الديوان ، وتقدم المتأخر ، وضم الباشا الى ديوانهم من طرفه خليل أفندی ، وسموه « كاتب الذمة » بمعنى أنه لا يكتب تحويلا ، ولا ورقة ميري ، ولا خلاف ذلك ، مما يسطر في ديوانهم ، حتى يطلع عليه خليل أفندی المذكور ، ويرسم عليه علامته . فأحاط غلمه بجميع أسرارهم ... وكل قليل يستخبر منه الباشا ، فيحيطه بمعلوماته . ولم يزل حتى تحول ديوانهم ، وانتقل الى بيت خليل أفندی تجاه منزل ابراهيم بيك ابن الباشا بالأزبكية ، وترأس بالديوان قاسم أفندی كاتب الشهر وقريبه قيطاس أفندی ومصطفى أفندی باش جاجرت .

وبعد عدة أشهر سافر ابراهيم بيك ، وأخذ صحبته قاسم أفندی على الصورة المتقدمة ... والروزنامجي وولده محمد أفندی يراعيان جانب رفيقيه ولا يتعرضان لهما فيما يتصدران له ، ويضمانه في عهدتهما . فلما وصل الخبر بنكبة

ابراهيم بيك لقاسم أفندی ، فعند ذلك قصرا معهما ، وأظهر ابن الروزنامجي مكمون غيظه في حقهما ، ومانعهما أيضا ، وخشن القول لهما ، فاتفقا على انهاء الحال الى باب الباشا ففعلا ما ذكر .

وكان حسين أفندی عند ما استأذن الباشا في صرف الجامكية السائرة ، للعامه والخاصة ، فأذن له في صرف ما يتعلق بمشايع العلم والأفندية الكتبة ، والسيد محمد المحروقي بالكامل ، وما عداهم ربع استحقاقهم ، وكتب له فرمانا بذلك ... فقال له الروزنامجي : « في بعضهم من يستحق المراعاة ك بعض أهل العلم الخاملين ، وأهل الحرمين المهاجرين ، ومستوطنين بمصر بعيالهم ، وليس لهم ايراد يتعيشون منه إلا ما هو مرتب لهم من العلائف في كل سنة ، وكذلك بعض الملتزمين الذين اعتادوا سداد ما عليهم من الميري ، وبعضه بما لهم من الاتلافات ، والعلائف والغلال » . فقال له : « النظر في ذلك في ذلك لرأيك ... فان هذا شيء يعسر ضبط جزئياته » . فاعتمد ذلك ، ووفق يفعل في البعض بالنصف ، والبعض بالثلث ، أو الثلثين . وأما العامة والأرامل ، فيصرف لهم الربع لاغير ، حسب الأمر ، ويقاسون في تحصيل ربع استحقاقهم الشدائد من السعي وتكرار الذهاب ، والتسويق ، والرجوع في الأكثر من غير شيء ، مع بعد المسافة ، وفيهم الكثير من العواجز .

فلما ترفعوا في الحساب ، مانع المتصدر فيما زاد على الربع ، وطلع الى الباشا فعرفه بذلك ، فقال الباشا : « لا تخصصوا له الا ما كان باذني وفرماني ، وما كان بدون ذلك فلا » . وأنكر الحال السابق منه له ، وقال : « هو متبرع فيما فعله » . فتأخر عليه مبلغ كبير في مدة أربع سنوات . وكذلك كان يحول عليه حوالات لكبار العسكر برسول من أتباعه ، فلا يسعه الممانعة ، ويدفع القدر المحول عليه بدون فرمان ، اتكالا على الحالة التي هو معه

الثلاثاء ٧ منه (٩ فبراير ١٨١٣ م) :

وردت يشائر من البلاد الحجازية ، باستيلاء
العساكر على جدة ومكة من غير حرب . وذلك أنه
لما انهزمت الأتراك في العام الماضي ، ورجعوا على
الصورة التي رجعوا عليها ، مشتين ومتفرقين ،
وفيه من حضر من طريق السويس ، ومنهم من
أتى من البر ، ومنهم من حضر من ناحية القصير ،
ونفى الباشا من استعجل بالهزيمة والرجوع من غير
أمره ، ويخشى صولته ، ويرى في نفسه أنه أحق
بالرياسة منه — مثل صالح قوج ، وسليمان ،
وحجو — وأخرجهم من مصر ، واستراح منهم ،
ثم قتل أحمد أغا لاط ... جدد ترتيبا آخر .

وعرفه كبراء العرب الذين استمالهم واندرجوا
معه ، وشيخ الحويطات ، أن الذي حصل لهم إنما
هو من العرب المزهين — وهم عرب حرب —
والصفراء ، وأنهم مجهودون ... والوهابية لا
يعطونهم شيئا ، ويقولون لهم : « قاتلوا عن دينكم
وبلادكم » . فاذا بذلتهم لهم الأموال ، وأغدقتهم
عليهم بالانعام والعطاء ، ارتدوا ورجعوا وصاروا
معكم ، وملكوكم البلاد .

فاجتهد الباشا في جمع الأموال بأي وجه كان ،
واستأنف الطلب ، ورتب الأمور ، وأشاع الخروج
بنفسه ، ونصب العرضى خارج باب النصر ، وذلك
في شهر شعبان . وخرج بالموكب كما تقدم ، وجلس
بالصبيان ، وقرر للسفر في المقدمة بونابارته
الخازندار ، وأعطاه صناديق الأموال والكساوى ،
ورافق معه عابدين بيك ومن يصحبهما ، وواظب
على الخروج الى العرضى ، والرجوع تارة الى
القلعة ، وتارة الى الأربكية والجيزة وقصر شبرا ،
ويعمل الرماحة والميدان في يومى الخميس والاثنين ،
والمصاف على طرائق حرب الافرنج .

وسافر بونابارته في أواخر شعبان ، واستمر
العرضى منصوبا ، والطلب كذلك مطلوبا ،

عليها . فرجعوا عليه في كثير من ذلك ، وتأخر عليه
مبلغ كبير أيضا ، فتمسوا حساب سنة واحدة على
هذا النسق ، قبلت نحو الألف كيس ومائتى كيس
وكسور تبلغ في الأربع سنوات خمسة آلاف كيس .
فتقلق حسين أفندى ، وتحير في أمره ، وزاد
وسواسه ، ولم يجد مغيثا ولا شافعا ولا دافعا .

اواخره (اواخر يناير ١٨١٣ م) :

عمل الباشا مهما لختان ابن بونابارته الخازندار
الغائب ببلاد الحجاز ، وعملوا له زفة في يوم الجمعة
بعد الصلاة ، اجتمع الناس للفرجة عليها .

وفيه أيضا : زاد الارجاف بحصول الطاعون
وواقع الموت منه بالأسكندرية ، فأمر الباشا بعمل
كرتيلة بشجر رشيد ودمياط والبرلس وشبرا ،
وأرسل الى الكاشف الذى بالبحيرة بمنع المسافرين
المارين من البر . وأمر أيضا بقراءة صحيح البخارى
بالأزهر ، وكذلك يقرأون بالمساجد والزوايا سورة
الملك والأحقاف في كل ليلة بنية رفع الوباء
فاجتمعوا الا قليلا بالأزهر نحو ثلاثة أيام ، ثم
تركوا ذلك ، وتكاسلوا عن الحضور .

الاثنين ٢٩ منه (اول فبراير ١٨١٣ م) :

كسفت الشمس وقت الضحوة . وكان المنكسف
نحو ثلاثة أرباع الجرم ، وكانت الشمس في برج
الدلو أيام الشتاء فأظلم الجو الا قليلا ، ولم ينتبه
له كثير من الناس لظنهم أنها غيوم متراكمة لأنهم
في فصل الشتاء .

سفر

الاربعاء غرته (٣ فبراير ١٨١٣ م) :

في أخريات النهار هبت ريح جنوبية غربية عاصفة
باردة ، واستمرت لعصر يوم السبت ، وكانت قوتها
يوم الجمعة . أثارت غبارا أصفر ، ورمالا ، مع غيم
مطبق وقمام ، ورش مطر قليل في بعض الأوقات

والعساكر واردة من بلادها على طريق الاسكندرية
ودمياط ، ويخرج الكثير الى العرضى ، ويستمرون *
على الدخول الى المدينة فى الصباح لقضاء
أشغالهم ، والرجوع أخريات النهار مع تعدى
أذاهم للباعة والحمار وغيرهم .

ولما غدر الباشا بأحمد أغا لآظ وقتله فى أواخر
رمضان ، ولم يبق أحد ممن يخشى سطوته ،
وسافر عابدين بيك فى شوال ، وارتحل بعده بنحو
شهر مصطفى بيك دالى باشا ، وصحبته عدة وافرة
من العسكر ، ثم سافر أيضا يحيى أغا ومعه نحو
الخمسائة ، وهكذا ... كل قليل ترحل طائفة بعد
أخرى . والعرضى كما هو ، وميدان الراحة
كذلك .

ولما وصل بونايرته الى ينبع البر ، أخذوا فى
تأليف العربان واستمالتهم ، وذهب اليهم ابن شديد
الحويطى ومن معه ، وتقابلوا مع شيخ حرب ، ولم
يزالوا به حتى وافقهم . وحضروا به الى بونايرته ،
فأكرمهم وخلع عليه الخلع ، وكذلك على من حضر
من أكابر العربان ، فألبسهم الكساوى والفراوى
السور والشالات الكشميرى ... ففرق عليهم من
الكشمير ملء أربع سحاحير وصب عليهم الأموال ،
وأعطى لشيخ حرب مائة ألف فرانسة عين . وحضر
باقى المشايخ فخلع عليهم وفرق فيهم ، فخص شيخ
حرب بمفرده ثمانية عشر ألف فرانسة . ثم
رتب لهم غلائف تصرف لهم فى كل شهر : لكل
شخص خمسة فرانسة ، وغرارة بقسماط ، وغرارة
عدس . فعند ذلك ملكوهم الأرض ، والذي كان
متآمرا بالمدينة من جنسهم استمالوه أيضا ،
وسلم لهم المدينة . وكل ذلك بمخامرة الشريف
غالب أمير مكة ، وتدييره وإشاراته . فلما تم
ذلك أظهر الشريف غالب أمره ، وملكهم مكة
والمدينة .

وكان ابن سعود الوهابى حضر فى الموسم وحج ،

ثم ارتحل الى الطائف . وبعد رحيله فعل الشريف
غالب فعله ، وسيلقى جزاءه !

ولما وصلت البشائر بذلك فى يوم الثلاثاء سابعه ،
ضربوا مدافع كثيرة ، ونودى فى صبح ذلك بزينة
المدينة ومصر وبولاق ، فزينوا خمسة أيام : أولها
الأربعاء ، وآخرها الأحد . وقاسى الناس فى ليالى
هذه الأيام العذاب الأليم من شدة البرد والصقيع
وسهر الليل الطويل . وكان ذلك فى قوة فصل
الشتاء ، وكل صاحب حانوت جالس فيها ،
وبين يديه مجرة نار يتدفأ ويصطفى بحرارتها ،
وهو ملتف بالعباءة والأكسية الصوف أو اللحاف .
وخرج الباشا من ليلة الأربعاء المذكور ، ونصبت
الخيام ، وخرجت الجمال المحملة باللوازم من
الفرش والأواني وأزيار الماء ، والبارود لعمل
الشنانك والحرائق . وفى كل يوم يعمل مرمح
وشنك عظيم مهول بالمدافع وبنادق الرصاص
المتواصلة من غير فاصل ، مثل الرعود والطبول ،
من طلوع الشمس الى قريب الظهر .

وفى أول يوم من أيام الرمى أصيب ابراهيم بيك
ابن الباشا برصاصة فى كتفه .. أصابت شخصا من
السواس ، ونفذت منه اليه وهى باردة ، فتعلل
بسببها ، وخرج بعد يومين فى عربة الى العرضى
ثم رجع .

ولما كان يوم الأحد وقت الزوال ، ركب الباشا
وطلع الى القلعة ، وقلموا خيام الشنك ، وحملوا
الجمال ، ودخلت طوائف العسكر . وأذن للناس
بقطع الزينة ونزول التعاليق ... وكان الناس قد
عمروا القناديل ، وأشاعوا أنها سبعة أيام .

فلما حصل الاذن بالرفع فكأنما نشطوا من عقال ،
وخلصوا من السجون لما قاسوه من البرد والسهر ،
وتعطيل الأشغال وكساد الصنائع ، والتكليف بما
لا طاقة لهم به . وفيهم من لا يملك قوت عياله ،
أو تعبير سراحه ، فيكلف مع ذلك هذه التكاليف .

بطلب خمسمائة كيس من أصل الحساب ، فضايق
 خناقه ، ولم يجد له شافعا ولا ذا مرحلة . فأرسل
 ولده الى محمود بيك الدويدار يستجير فيه ،
 وليكون واسطة بينه وبين الباشا — وهو رجل
 ظاهره خلاف باطنه — فذهب معه الى الباشا
 فبش في وجهه ورحب به ، وأجلسه محمود بيك
 في ناحية من المجلس ، وتناجى هو مع الباشا ،
 ورجع اليه يقول له : « انه يقول : ان الحساب لم
 يتم الى هذا الحين ، وأنه ظهر على أيك تاريخ
 أمس ، خمسة آلاف كيس وزيادة ، وأنا تكلمت
 معه ، وتشفعت عنده في ترك باقى الحساب والمساعدة
 في نصف المبلغ والكسور ، فيكون الباقي ألفين
 وخمسمائة كيس تقومون بدفعها » !

فقال : « ومن أين لنا هذا القدر العظيم ..
 وقد عزلنا من المنصب أيضا حتى كنا تتداین ؟ ولا
 يأمننا الناس اذا كان القدر دون هذا أيضا » .
 فرجع الى الباشا وعاد اليه يقول له : « لم
 يمكننى تضعيف القدر بسوى ما سامح فيه . وأما
 المنصب فهو عليكم ... وفي غد يطلع والدك
 ويتجدد عليه الابقاء ، وينكمد الخصم . وعلى
 الله السداد » .

ونهض وقبل يده ، وتوجه فنزل الى دارهم ،
 وأخبر والده بما حصل ... فزاد كربه ، ولم يسعه
 الا التسليم ، وركب في صباحها وطلع الى الباشا ،
 فخلع عليه ، ونزل الى داره بقهره ، وشرع في بيع
 تعلقاته وما يتحصل لديه !

الاثنين ١٢ منه (١٥ فبراير ١٨١٣ م) :

خلع الباشا على مصطفى أفندى ، ونزل إلى
 داره ، وأتاه الناس يهنئونه بالمنصب !

الأربعاء ٢٢ منه (٢٤ فبراير ١٨١٣ م) :

وردت بشائر بتملكهم الطائف ، وهروب
 المضايقي منها . فعملوا شنكا ، وضربوا مدافع



ابراهيم

وكتب الباشا بالبشائر الى دار السلطنة ،
 وأرسلها صحبة أمين جاويز . وكذلك الى جميع
 النواحي ، وأنعم بالمناصب على خواصه .
 وفي هذا الشهر : وردت أخبار بوقوع أمطار
 وثلوج كثيرة بناحية بحرى وبالأسكندرية ورشيد
 بحدود الغربية والمنوفية والبحيرة ، وشدة برد .
 ومات من ذلك أناس وبهائم ، والزروع البدرية ،
 وطف على وجه الماء أسماك موتى كثيرة ، فكان
 موج البحر يلقيه على الشطوط ، وغرق كثير من
 السفن من الرياح العواصف التي هبت في أول
 الشهر .

وفيه : أحضر الباشا حسين أفندى الروزنجى ،
 وخلع عليه خلة الابقاء على منصبه في الروزنامة ،
 وقرر عليه ألفين وخمسمائة كيس ! وذلك أنهم لما رفعوه
 في الحساب على الطريقة المذكورة أرسل اليه الباشا

الخطط والحارات ، وقيد عليهم بأنهم يخبرونه بكل من مات من ذكر أو أنثى ، ولو كان ذا أولاد أو ورثة أو غير ذلك ، وكذلك على حوايت الأموات . وأرسل فرمانات الى بلاد الأرياف والبنادر بمعنى ذلك .

الأحد ٤ منه (٧ مارس ١٨١٣ م) :

طلب الباشا حسين أفندي الروزنامجى ، وطلب منه ما قرره عليه — وكان قد باع حصصه وأملاكه ودار مسكنه ، فلم يوف الا خمسمائة كيس — فقال له : « ما لك لم توف القدر المطلوب ؟ وما هذا التأخير وأنا محتاج الى المال ؟ » . فقال : « لم يبق عندى شيء ، وقد بعث التزامى وأملاكى وبيتى ، وتداينت من الربوين حتى وفيت خمسمائة كيس وها أنا بين يديك » ! فقال له : « هذا كلام لا يروج على ، ولا ينفعك ، بل أخرج المال المدفون » . فقال : « لم يكن عندى مال مدفون . وأما الذى أخبرك عنه فيذهب فيخرجه من محله » ! فحقق منه وسّيه ، وقبض على لحيته ، ولطمه على وجهه ، وجرد السيف ليضربه فترجى فيه الكتخدا والحاضرون فأمر به فبطحوه ، وأمر القواسة الأتراك بضربه ، فضربوه بالعصى المفضضة التى بأيديهم ، بعد أن ضربه هو بيده عدة عصي ، وشج جبهته ... حتى أتوا عليه ثم أقاموه والبسوه فروته ! وحملوه وهو مغشى عليه ، وأركبوه حمرا ، وأحاط به خدمه وأتباعه حتى أوصلوه الى منزله ، وأرسل معه جماعة من العسكر يلازمونه ، ولا يدعونه بدخل الى حريمه ، ولا يصل إليهم منه أحد .

وركب فى أثره محمود بيك الدويدار بأمر الباشا ، وعبر داره ودار أخيه عثمان أفندي المذكور ، وأخذ صحبته الى القلعة ، وسجنوه ... وأما ولده وأخواه ، فانهم تغيّبوا من وقت الطلب ، واختفوا .

كثيرة من القلعة وغيرها ، ثلاثة أيام ، فى كل وقت أذان . وشرع الباشا فى تشهيل ولده اسماعيل باشا بالبشارة ليسافر الى اسلامبول . وتاريخ تملكها فى سادس عشرين المحرم (٢٩ يناير ١٨١٣) .

وفى هذه الأيام : ابتدعوا تحرير الموازين ، وعملوا لذلك ديوانا بالقلعة ، وأمروا بإبطال موازين الباعة واحضار ما عندهم من الصنّج ... فيزنون الصنّجة : فان كانت زائدة أو ناقصة ، أخذوها وأبقوها عندهم ، وان كانت محررة الوزن ، ختموها بختم . وأخذوا على كل ختم صنّجة ثلاثة أنصاف فضة ، وهى النصف أوقية والأوقية ... الى الرطل الذى يكون وزنه غير محرر يعطوه رطلا من حديد ويدفع ثمنه مائة نصف فضة ، والنصف رطل خسون ... وهكذا . وهو باب يتجمع منه أكياس كثيرة .

وفيه أيضا : طلب الباشا من عرب الفوائد غرامة سبعين ألف فرانسة فعصوا ورمحوا باقليم الجيزة ، وأخذوا المراثى ، وشلحوا من صادفوه . ورمح كاشف الجيزة عليهم ، فصادف منهم أباعر محملة أمتعة لهم ، وصحبتهن نساء وأولاد ، فأخذهم ورجع بهم .

وفيه : سافر ابراهيم بيك ابن الباشا الى ناحية قبلى ، ووصلت الأخبار بوقوع الطاعون بالاسكندرية . فاشتد خوف الباشا والعسكر مع قساوتهم وعسفهم وعدم مرحمتهم !

ربيع الأول

الخميس فرتة (٤ مارس ١٨١٣ م) :

قلدوا شخصا يسمى حسين البرلى ، وهو الكتخدا عند كتخدا بيك ، وجعلوه فى منصب بيت المال ، وعزلوا رجب أغا ... وكان انسانا سهلا لا بأس به . فلما تولى هذا ، أرسل لجميع مشايخ

أخباره ، وأرسل الى أمراء الثغور بالاسكندرية
ودمياط بالاعتناء بملاقاته عند وروده على ثغر منها
وفيه : حضر خليل بك حاكم الاسكندرية الى
مصر فرارا من الطاعون لأنه قد فشا بها ، ومات
أكثر عسكره وأتباعه

ربيع الآخر

٨ منه (١٠ ابريل ١٨١٣ م) :

حضر الباشا على حين غفلة من القيوم الى
الجيزة . وأخبروا أنه لما وصل الى ناحية بنى
سوريف ، ركب بغلة سريعة العدو ، ومعه بعض
خواصه على الهجن والبغال ، فوصل الى القيوم في
أربع ساعات ، واقطع أكثر المرافقين له ، ومات
منهم سبعة عشر هجينا .

١٠ منه (١٢ ابريل ١٨١٣ م) :

عملوا مولد المشهد الحسينى المعتاد ، وتعيد
تنظيمه السيد المحرقى الذى تولى النظارة عليه
وجلس بييت السادات الجاور للمشهد بعد أن
أخلوه له .

وفى ذلك اليوم : أمر الباشا بعمل كورتيلة
بالجيزة ، وبوه باقامته بها ، وزاد به الخوف والرهيم
من الطاعون لحصول القليل منه بمصر . وهلك الحكيم
الفرنساوى ، وبعض نصارى أروام ... وهم
يعتقدون صحة الكورتيلة ، وانها تمنع الطاعون
وقاضى الشريعة ، الذى هو قاضى العسكر ، يحقق
قولهم ، ويمشى على مذهبهم . ولرغبة الباشا فى
الحياة الدنيا ، وكذلك أهل دائرته ، وخوفهم من
الموت ... يصدقون قولهم حتى انه اتفق أنه مات
بالحكمة عند القاضي شخص من أتباعه ، فأمر بحرق
ثيابه ، وغسل المحل الذى مات فيه ، وتبخره
بالبخورات .. وكذلك غسل الأواني التى كان
يمسها ، وبخروها . وأمروا أصحاب الشرطة أنهم

ونزل اليه فى اليوم الثانى ابراهيم أغا أغات
الباب ، يطلبه بطلاق ثمانية كيس وقتل فقال له :
« وكيف أحصل شيئا وأنا رجل ضعيف ، وأخى
عثمان عندكم فى الترسيم ؟ وهو الزعيم يعينى
ويقضى أشغالى ، وأخذتم دفاترى المختصة
بأحوالى مع ما أخذتموه من الدفاتر . فأقام عنده
ابراهيم أغا برهة ، ثم ركب الى الباشا وكلمه فى
ذلك فاطلقوا له أخاه ليسعى فى التحصيل .

الأحد ١١ منه (١٤ مارس ١٨١٣ م) :

عدى الباشا الى بر الجيزة بقصد السفر الى
بلاد القيوم ، وأخذ صحبته كتبة مباشرين ، مسلمين
ونصارى ، وأشاع أن سفره الى الصعيد ليكشف
على الأراضى وروكها . وارتحل فى ليلة الثلاثاء
ثالث عشره بعد أن وجه ابنه اسماعيل الى الديار
الرومية فى تلك الليلة بالبشارة .

الأحد ٢٥ منه (٢٨ مارس ١٨١٣ م) :

حضر لطيف أغا راجعا من اسلامبول ، وكان قد
توجه ببشارة فتح الحرمين . وأخبروا أنه لما وصل
الى قرب دار السلطنة ، خرج لملاقاته الأعيان .
وعند دخوله الى البلدة ، عملوا له موكبا عظيما ...
مضى فيه أعيان الدولة وأكابرها ، وصحبته عدة
مفاتيح ، زعموا أنها مفاتيح مكة وجدة والمدينة ،
وضعوها على صفائح الذهب والفضة ، وأمامها
البخورات فى مجامر الذهب والفضة والمطر
والطيب ، وخلفهم الطبول والزمر . وعملوا لذلك
شكرا ومدافع ، وأنعم عليه السلطان ، وأعطاه خلعاً
وهدايا ... وكذلك أكابر الدولة . وأنعم عليه
الخنكار بطوخين ، وصار يقال له لطيف باشا .

وفيه : وردت الأخبار بقدم قهوجى باشا ،
ومعه خلع وأطواق للباشا ، وعدة أطواخ بولايات
لن يختار تقليده . فاحتفل الباشا به عند ما وصلته



أسرة احتجبت بالبيت

جمادى الأولى

٧ منه (٨ مايو ١٨١٣ م) :

نودى بالأسواق : بأن السيد محمد الحروقي شاه بندر التجار بمصر ، وله الحكم على جميع التجار ، وأهل الحرف ، والمتسبين ... في قضاياهم وقوانينهم ، وله الأمر والنهي فيهم .

وفيه وصل الى مصر عدة كبيرة من العساكر الرومية على طريق دمياط ، ونصبوا لهم وطافا خارج باب النصر ، وحضر فيهم نحو الخمسمائة نفر ... أرباب صنائع : بنائين ونجارين وخراطين ، فأنزلوهم بوكالة بخط الخليفة .

٨ منه (٩ مايو ١٨١٣ م) :

تقلد الحسبة الخواجا محمود حسن ، ولبس الخلعة ، وركب وشق المدينة وأمامه الميزان ، فرسم برد الموازين الى الأرطال الزيتي ، التي عبرة الرطل منها أربع عشرة أوقية ، في جميع الأدهان

يأمرون الناس ، وأصحاب الأسواق ، بالكنس والرش والتنظيف في كل وقت ونشر الثياب . وإذا ورد عليهم مكاتبات خرقوها بالسكاكين ، ودخنوها بالبخور قبل ورودها .

ولما عزم الباشا على كورتيلة الجيزة ، أرسل في ذلك اليوم بأن ينادوا بها على سكانها : بأن من كان يملك قوته وقوت عياله ستين يوما ، وأحب الإقامة ... فليكت بالبلدة . والا فليخرج منها ويذهب ، ويسكن حيث أراد في غيرها . ولهم مهلة أربع ساعات . فانزعج سكان الجيزة ، وخرج من خرج ، وأقام من أقام .

وكان ذلك وقت الحصاد ، ولهم مزارع وأسباب مع مجاورهم من أهل القرى . ولا يخفى احتياجات الشخص لنفسه وعياله وبهائمه ... فمنعوا جميع ذلك ، حتى سدوا خروق السور والأبواب ، ومنعوا المعادى مطلقا .

وأقام الباشا بيت الأزبكية لايجتمع بأحد من الناس الى يوم الجمعة فعدى في ذلك اليوم ، وقت الفجر ، وطلع الى قصر الجيزة ، وأوقف مركبين : الأولى ببر الجيزة ، والأخرى في مقابلتها ببر مصر القديمة . فاذا أرسل الكتخدا أو المعلم غالى البه مراسلة ، تناولها المرسل للمقيد بذلك في طرف مزراق ، بعد تبخير الورقة بالشيخ واللبن والكبريت ، ويتناولها منه الآخر بمزراق آخر ، على بعد منهما ، وعاد راجعا . فاذا قرب من البر ، تناولها المنتظر له أيضا بمزراق ، وغمسها في الخل ، وبخرها بالبخور المذكور ، ثم يوصلها لحضرة المشار اليه بكيفية أخرى فأقام أياما وسافر الى الفيوم ، ورجع كما ذكر . وأرسل مماليكه ، ومن يعز عليه ويخاف عليه من الموت ، الى أسبوط .

والخضراوات على العادة القديمة ، ونقص من أسعار اللحم وغيره . ففرح الناس بذلك ... ولكن لهم يستمر ذلك .

١١ منه (١٢ مايو ١٨١٣ م) :

بين الظهر والعصر كانت السماء مصحبة ، والشمس مضيئة صافية ... فما هو الا والسماء والجو طلع به غيم وقتام ورياح نكباء غريبة جنوبية ، وأظلم ضوء الشمس ، وأرعدت رعدتين : الثانية أعظم من الأولى ، وبرق ظهر ضوؤه ، وأمطرت مطر متوسطا . ثم سكن الريح ، وانجلت السماء وقت العصر .. وكان ذلك سابع بشنس القبطي ، وآخر يوم من نيسان الرومي . فسبحان الملك الفعال ، مغير الثئون والأحوال .

وحصل في تاليه — يوم الجمعة — مثل ذلك الوقت أيضا ، غيوم ورعود كثيرة ، ومطر أزيد من اليوم الأول .

جمادى الآخرة

السبت ١٢ منه (١٢ يونية ١٨١٣ م) :

وصل في النيل على طريق دمياط ، أغا من طرف الدولة ، يقال له قهوجى باشا السلطان فاعتنى الباشا بشأنه ، وحضر الى قصره بشبرا ، وأمر باحضار عدة من المدافع وآلات الشنك . وعملوا أمام القصر بساحل النيل تعاليق وقناديل وقدرات . ونبه على الطوائف بالاجتماع بملايسهم وزينتهم .

ووصل الأغا المذكور يوم الأحد ، فخرج الأغوات ، والسفاشية ، والصقلية ، وهم لابسون القوايق ، وجميع العساكر الخيالة ليلا ... فما طلعت الشمس حتى اجتمعوا بأسرهم جهة شبرا ، وانتظموا في موكب ، ودخلوا من باب النصر ، ويقدمهم طوائف الدلاة وأكابرههم ، ويتلوهم أرباب المناصب ، مثل : الأغا ، والوالى ،

والمحتسب ، وبواقى وجاقات المصرية ... ثم موكب كتخدا بيك ، وبعده موكب الأغا الواصل ، وفي أثره ما وصل معه من الخلع ، وهى : أربع بقعج ، وخنجران مجوهران ، وسيف ، وثلاث شلنجات عليها ريش مجوهره ... وخلف ذلك العساكر الخيالة ، والتفكجية ، وخلفهم النوبة التركية .. فكان مدة مرورهم نحو ساعتين وربع . وليس فيهم رجاله مشاة سوى الخدم ، وقليل عسكر مشاة ، وأما بقية العسكر فهم متفرون بالأسواق والأزقة ، كالجراد المنتشر ، خلاف من يرد منهم في كل وقت من الأجناس المختلفة برا وبحرا . فمن الخلع الواردة ما هو مختص بالباشا ، وهو فروة ، وخنجر ، وريشة بشلنج ، وأطواخ ، ولابنه ابراهيم بيك مثل ذلك .

وأسكنوا ذلك الأغا ورفيقه وأتباعهما ، بمنزل ابراهيم بيك ابن الباشا بالأزبكية ، بقنطرة الدكة وأرسل باحضار ولده من ناحية قبلى ، فحضر على الهجن ، ولبس الخلعة بولايتيه على الصعيد . فنزل بالجيزة ، وعدى الى بر مصر عند أبيه بقصر شبرا ، ولبس الخلعة ، وأقام عند أبيه ثلاث ليال ، ثم عدى الى بر الجيزة . وعندما وصل الى البر أمر بتغريق السفينة بما فيها من الفرش ، ثم أخرجوها ! وكذلك أمر من معه من الرجال بالغطوس فى الماء وغسل ثيابهم ... كل ذلك خوفا من رائحة الطاعون ، وتطيرا وهروبا من الموت !

الجمعة ٢٥ منه (٢٥ يونية ١٨١٣ م) :

سافر ابراهيم بيك راجعا الى الصعيد . وفيه حضر عرضى الباشا الذى كان سافر في ربيع الأول الى الجهة القبلية ، ومعه الكتبة أيضا المسلمون ، لتحرير حساب الأقباط ، ومساحة الأراضى .

في اواخره (اواخر يونية ١٨١٣ م) :

نودى على أهل الجيزة : باستمرار الكورتيلة شهرى رجب وشعبان ، وأن يعطوا لهم فسحة للمتسبين والباعة ، ثلاثة أيام : وكذلك لمن يخرج ، أو اذا دخل لا يخرج اذا كان عنده ما يكفيه ويكفى عيالا فى مدة الشهرين والثلاثة أيام المفسح لهم فيها ليقضوا أشغالهم واحتياجاتهم . فخرج أهل البلدة بأسرهم ... لم يبق منهم الا القليل النادر ، القادر . وأيضا تفرقوا فى البلاد ، وبقي الكثير منهم حول البلدة ، وفى الغيطان حول بيادرهم وأجرانهم ، وعملوا لهم أعشاشا تظلمهم من حر الشمس ووهج الهجير . وينادى المقيم بالبلدة بحاجته من أعلى السور لرفيقه أو صاحبه الذى هو خارج البلدة ، فيجيبه ويرد جوابه من مكان بعيد ، ولا يمكنونهم من تناول الأشياء . وأما العسكر فانهم يدخلون ويخرجون ويقضون حوائجهم ، ويشتررون الخضراوات والبطيخ وغيره ويبيعونه على المقيمين بالبلدة بأعلى الأثمان . واذا أراد أحد من أهل البلدة الخروج ، منعه من أخذ شيء من متاعه أو بهيمته أو شاته أو حماره ، ولا يخرج الا مجردا بطوله !

وفيه : وصل من الديار الرومية واصل ، وعلى يده مرسوم ، فقرئ بالمحكمة فى يوم الأحد ، ثامن عشر منه ، بحضرة كتخدا بيك ، والقاضى والمشايع وأكابر الدولة ، والجم الغفير من الناس . ومضمونه : الأمر للخطباء فى المساجد يوم الجمعة على المنابر ، بأن يقولوا عند الدعاء للسلطان ، فيقولوا : السلطان ابن السلطان (بتكرير لفظ السلطان ثلاث مرات) محمود خان ، ابن السلطان عبد الحميد خان ، ابن السلطان أحمد خان المغازى ، خادم الحرمين الشريفين ... لأنه استحق أن ينعت بهذه النعوت لتكون عساكره افتتحت بلاد الحرمين ، وغزت الحوارج ، وأخرجتهم

منها . لأن المفتى أفتاهم بأنهم كفار ... لتكفيرهم المسلمين . ويجعلونهم شركين ، ولخروجهم على السلطان ، وقتلهم الأنفس ، وأن من قاتلهم يكون مغازيا ، ومجاهدا ، وشهيدا اذا قتل .

ولما انقضى المجلس ضربوا مدافع كثيرة من القلعة وبولاق والجيزة ، وعملوا شنكا . واستمر ضربهم المدافع عند كل أذان ، عشرة أيام ، وذلك ونحوه من الخور .

رجب

١٥ منه (١٤ يولية ١٨١٣ م) :

حضر بونابارته الخازندار من الديار الحجازية على طريق القصير .

في اواخره (اواخر يولية ١٨١٣ م) :

سافر قهوجى باشا ، الذى تقدم ذكر حضوره ، بالخلع والشنجات والخناجر ، بعد ما أعطى خدمته مبلغا من الأكياس ، وأصبح معه الباشا هدية عظيمة لصاحب الدولة وأكابرها ، وقدره من الذهب العين أربعون ألف دينار ، ومن النصفيات — يعنى نصف الدينار — ستون ألفا ، ومن فروق البن خمسمائة فرق ، ومن السكر المكرر مرتين مائة فنطار ، ومن المكرر مرة واحدة مائتى قنطار ، ومائتا قدر صينى ، الذى يقال له « أسكى معدن » ، مملوءة بالمرببات وأنواع الشربات ، المسك المطيب المختلف الأنواع ، ومن الخيول خمسون جة اذا مرخته بالجواهر والتمدكش واللؤلؤ والمرجان ، وخمسون حصانا من غير رخوت ، وأقمشة هندية كشيرى ، ومقصبات وشاهى ، ومهترخان فى عنة تعابى بقيق ، وبخور عود وعنبر ، وأشياء أخرى . وفيه أيضا : حضر أغا يقال له « جانم افندى » وصحبته مرسوم قرئ بالديوان فى يوم الاثنين . ومضمونه : البشارة بمولود ولد للسلطان وسموه

به المشايخ والأعيان ، وأكابر الدولة . وقرى
الفرمان الواصل في شأن ذلك . وفي مرسومه :
الأمر للكافة بالفرح والسرور !!! وعمل الشنك !
وبعد الفراغ من ذلك ضربت المدافع من أبراج
القلعة ، واستمر ضربها ، في كل وقت إذان ،
خمس أيام . وهذا لم يعمد في الدول الماضية الا
للأولاد الذكور . وأما الاناث فليس لهم ذكر .

٢٧ منه (٢٣ سبتمبر ١٨١٣ م) :

عمل الباشا جمعية بيت الأزبكية ، وأحضر
الأعيان والمشايخ والقضاة الثلاثة ، وهم : بهجت
أفندي المنفصل عن قضاء مصر ، وصديق أفندي
المتوجه الى قضاء مكة ، المنفصل عن قضاء مصر
العام الذي قبله ، والقاضي المتوجه الى المدينة ..
ففقدوا عقد ابنه اسماعيل باشا ، على ابنة عارف
بيك التي حضرت بصحبته من الديار الرومية ،
وعقدوا عقد أخته ، ابنة الباشا ، على محمد أفندي
الذي تقلد الدفتردارية .

ولما تم ذلك قدموا لهم تعابى بقج ، في كل
واحدة أربع قطع من الأقمشة الهندية . وهى : شال
كشميرى ، وطاقه مسجر ، وطاقه قطنى هندى ،
وطاقة شاهى . وفرقوا على الدون من الناس
الحاضرين محارم .

ثم ان الباشا شرع في الاهتمام الى سفر
الحجاز ، وتشهيل المطالبين واللوازم . فمن
جملة ذلك : أربعون صندوقا من الصفيح المشع
داخلها بالشمع والمصطكى وبالخشب من خارج ،
وفوق الخشب جلود البقر المدبوغ ، ليودع بها
ماء النيل المغلى لشربه وشرب خاصته ، ومثلها في
كل شهر ... يتقيد بعمل ذلك وغيره السيد
المحرقى ، ويرسله في كل شهر !

« عثمان » . واجتمع لسماع ذلك المشايخ
والأعيان ، وضربوا بعد قراءته شنكا ومدافع ،
واستمر ذلك سبعة أيام في كل وقت من الأوقات
الخمس .

شعبان

٢٠ منه (١٩ افسطس ١٨١٣ - ١٣ مسرى ١٥٢٩ ق) :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، ونودى بعد ذلك في
الأسواق على العادة ، وكثر اجتماع غوغاء الناس
للخروج الى الروضة ، وناحية السد ... والولائم
في البيوت المطلّة على الخليج ، وما يحصل من
اجتماع الأخطا أمام جرى الماء — كما هو المعتاد
في كل سنة — وأنه اذا نودى بالوفاء حصل ذلك
الاجتماع في تلك الليلة ، وكسروا السد في صباحها ...
عادة لا تتخلف فيما نعلم .

فلما كان آخر النهار ، ورد الخبر بأن الباشا أمر
بتأخير فتح الخليج الى يوم الخميس تانيه ، فكان
كذلك . وخرج الباشا في صبح يوم الخميس ،
وكسر السد ، وجرى الماء في الخليج ، وتكلف
أرباب الدور المطلّة على الخليج كلفة ثانية لضيقاتهم .

رمضان

٥ منه (أول سبتمبر ١٨١٣ م) :

حضر ابن الباشا — المسمى باسماعيل — من
الديار الرومية ، ووصل الى ساحل النيل بشبرا ،
وضربوا لوصوله مدافع من القلعة وبولاق وشبرا
والجيزة وتقدم أنه توجه ببشارة الحرمين ، وأكرمه
الدولة ، وأعطوه أطواخا .

١٠ منه (٦ سبتمبر ١٨١٣ م) :

حضر قاصد من الديار الرومية ، ووصل الى
ساحل النيل ، وصحبته ببشارة بمولودة ولدت
لحضرة السلطان . فعملوا الديوان بالقلعة ، واجتمع

شمال

٧ منه (٢ أكتوبر ١٨١٣ م) :

أداروا كسوة الكعبة ، وكانت مصنوعة من نحو خمس سنوات ، ومودوعة في مكان بالمشهد الحسيني ، فأخرجوها في مستهل الشهر ، وقد توسخت لطول المدة ، فحلوها ومسحوها . وكان عليها اسم السلطان مصطفى ، فغيروه ، وكتبوا اسم السلطان محمود . فاجتمع الناس للفرجة عليها ، وكان المباشر لها الرئيس حسن المحروقي ، فركب في موكبها .

١٤ منه (١٠ أكتوبر ١٨١٣ م) :

خرج محمد علي باشا مسافرا إلى الحجاز ... وكان خروجه ، وقت طلوع الفجر من يوم السبت المذكور ، إلى بركة الحاج . وخرج الأعيان والمشايخ لوداعه بعد طلوع النهار ، فأخذوا خاطره ورجعوا آخر النهار . وركب هو متوجها إلى السويس بعد مضي ثمانى ساعات وربع من النهار ، وبرزت الخيالة والسفاشية إلى خارج باب النصر ، ليذهبوا على طريق البر . وقبل خروج الباشا ييومين قدمت هجانة مبشرون بالقبض على عثمان المصايفى بناحية الطائف . وكان قد جرد على الطائف ، فبرز إليه الشريف غالب ، وصحبته عساكر الأتراك والعربان ، فحاربوه وحاربهم ، فأصيب جواده ، فنزل إلى الأرض واختلط بالعسكر فلم يعرفوه ، فخرج من بينهم ومشى ، وتباعد عنهم نحو أربع ساعات ، فصادفه جماعة من جند الشريف ، فقبضوا عليه ، وأصابته جراحة ... وعندما سقط من بين قومه ، ارتفع الحرب فيما بين الفريقين أخريات النهار . ولما أحضروه إلى الشريف غالب ، جعل في رقبتة الجنزير .

والمصايفى هذا زوج أخت الشريف . وخرج عنه ، وانضم إلى الوهابيين ، فكان أعظم أعوانهم ... وهو الذى كان يحارب لهم ويقاثل ، ويجمع قبائل العربان ، ويدعوهم عدة سنين ، ويوجه سرايا على المخالفين . ونما أمره ، واشتهر لذلك ذكره في الأقطار . وهو الذى كان اقتتح الطائف ، وحاربها وحاصرها ، وقتل الرجال ، وسبى النساء ، وهدم قبة ابن عباس ، الغريبة الشكل والوصف . وكان هو المحارب للعسكر مع عربان حرب في العام الماضى بناحية الصفراء والجديدة ، وهزمهم وشتت شملهم .

ولما قبضوا عليه أحضروه إلى جدة ، واستمر في الترسيم عند الشريف ليأخذ بذلك وجاهة عند الأتراك الذى هو على ملتهم ، ويتحقق لديهم نصحه لهم ، ومسالمة أياهم ... وسيلقى قريبا منهم جزاء فعله ، ووبال أمره ، كما سيتلى عليك بعضه بعد قليل .

ذوالقعدة

أوائله (أواخر أكتوبر وأوائل نوفمبر ١٨١٣ م) :

وردت أخبار من الجهة الرومية ، بأن عساكر العثمانيين استولوا على بلاد بلغارد من أيدي طائفة الصرب . وكانوا استولوا عليها نيفا وأربعين سنة . والله أعلم بصحة ذلك !

وفيه : عزل محمود حسن من الحسبة ، وتقلدها عثمان أغا المعروف بالوردانى .

الثلاثاء ١٥ منه (٩ نوفمبر ١٨١٣ م) :

وصل عثمان المصايفى ، صحبة المتسفرين معه ، إلى الريدانية آخر الليل ، وأشيع ذلك . فلما طلعت الشمس ، ضربوا مدافع من القلعة ... اعلاما وسرورا بوصوله أسيرا .

وركب صالح بيك السلحدار في عدة كبيرة ، وخرجوا للملاقاته واحضاروه . فلما واجهه صالح بيك ، نزع من عنقه الحديد ، وأركبه هجيناً ، ودخل به الى المدينة ، وأمامه الجاوشية والقواسة الأتراك ، وبأيديهم العصي المفضضة ، وخلفه صالح بيك ، وطوائفه ، وطلعوا به الى القلعة ، وأدخله الى مجلس كتخدا بيك ، وصحبته حسن باشا وطاهر باشا وباقي أعيانهم ، ونجيب أفندي قبي كتخدا الباشا ووكيله بواب الدولة . وكان متأخراً عن السفر ينتظر قدوم المضايقي ليأخذه بصحبته الى دار السلطنة .

فلما دخل عليهم ، أجلسوه معهم ، فحدثوه ساعة ... وهو يجيبهم من جنس كلامهم بأحسن خطاب ، وأفصح جواب . وفيه سكون وثودة في الخطاب ، وظاهر عليه آثار الامارة والحشمة والنجابة ، ومعرفة مواقع الكلام ، حتى قال الجباعة لبعضهم البعض : « يا أسفا على مثل هذا ! اذا ذهب الى اسلامبول يقتلونه » .

ولم يزل يتحدث معهم حصة ، ثم احضروا الطعام فواكلهم ، ثم أخذه كتخدا بيك الى منزله فأقام عنده مكرماً ثلاثاً ، حتى تم نجيب أفندي أشغاله ، فأركبوه ، وتوجهوا به الى بولاق ، وأنزلوه في السفينة مع نجيب أفندي ، ووغسوا في عنقه الجزير ، وانحدروا طالين الديار الرومية . وذلك يوم الاثنين حادي عشرينه .

اواخره (النصف الثاني من نوفمبر ١٨١٣ م) :

وصلت أخبار بأن مسعودا الوهابي أرسل قصاداً من طرفه الى ناحية جلدة ، فقابلوا طوسون باشا ... والشريف غالب خلع عليهم ، وأخذهم الى آييه ، فخطبهم وسألهم عما جاءوا فيه ، فقالوا : « الأمير سعود الوهابي يطلب الافراج عن المضايقي ، ويفتديه بمائة ألف فرانسة ، وكذلك يريد اجراء الصلح بينه وبينكم ، وكف القتال » .

فقال لهم : « انه سافر الى الدولة ، وأما الصلح فلا نأباه بشروط ، وهو أن يدفع لنا كل ماصرقاته على العساكر ، من أول ابتداء الحرب الى وقت تاريخه ، وأن يأتي بكل ما أخذه واستلمه من الجواهر والذخائر التي كانت بالحجرة الشريفة ، وكذلك ثمن ما استهلك منها ، وأن يأتي بعد ذلك ويتلاقى معي وأتعاهد معه ويتم صلحنا بعد ذلك . وان أبى ذلك ولم يأت ... فنحن ذاهبون اليه » . فقالوا له : « اكتب له جواباً » . فقال : « لا أكتب جواباً ، لأنه لم يرسل معكم جواباً ، ولا كتاباً ... وكما أرسلكم بمجرد الكلام فعودوا اليه كذلك » . فلما أصبح الصباح ، وقت انصرافهم ، أمر باجتماع العساكر ... فاجتمعوا ، ونصبوا ميدان الحرب ، والرمي المتتابع من البنادق والمدافع ، ليشاهد الرسل ذلك ، ويروه ، ويخبروا عنه مرسلهم .

ذو الحجة

١٩ منه (١٣ ديسمبر ١٨١٣ م) :

وقعت كائنة لطيف باشا . وذلك أن المذكور مملوك الباشا ... أهده له عارف بيك — وهو عارف أفندي ابن خليل باشا المنفصل عن قضاء مصر نحو خمس سنوات — واختص به الباشا ، وأحبه ، ورقاه في الخدم والمناصب ... الى أن جعله أنختار أغاسي ، أي صاحب المفتاح ، وصار له حرمة زائدة ، وكلمة في باب الباشا ، وشهرة .

فلما حصلت النصر للعسكر ، واستولوا على المدينة ، وأتوا بمفاتيح زعموا أنها مفاتيح المدينة ، كان هو المتعين بها للسفر للديار الرومية بالبشارة للدولة ، وأرسلوا صحبته « مضيان » الذي كان متأمراً بالمدينة . ولما وصل الى دار السلطنة ، ووصلت أخباره ، احتفل أهل الدولة بشأنه احتفالاً زائداً ، ونزلوا لملاقاته في المركب في مسافة بعيدة ،

ودخلوا الى اسلامبول في موكب جليل وأبهة عظيمة الى الغاية ، وسعت أعيان الدولة وعظماؤها بين يديه مشاة وركبانا . وكان يوم دخوله يوما مشهودا ، وقتلوا « مضيان » المذكور في ذلك اليوم وعلقوه على باب السراية . وعملوا شنانك ومدافع ، وأفراحا وولائم . وأنعم السلطان على لطيف المذكور ، وأعطاه أطواخا ، وأرسل اليه أعيان الدولة الهدايا والتحف ، ورجع الى مصر في أبهة زائدة .

وداخله الغرور ، وتعاطف في نفسه ، ولم يحتفل الباشا بأمره ، وكذلك أهل دولته لكونه من جنس المماليك ، وأيضا قد تأسست عداوتهم في نفوسهم ، وكرهتهم له أشد من كراهتهم لأبنائنا ، وخصوصا كنتخدا بيك ، فانه أشد الناس عداوة وبغضا في جنس المماليك ، وطلق يلقي لمخدومه ما يغير خاطره عليه ، ومنها : أنه يضم اليه أجناسه من المماليك البطالين ، ليكونوا عزوته ويغترون به ، بحيث أن الباشا فوض اليه الأمر أن ظهر منه شيء في غيابه .

وسافر الباشا في اثر ذلك ، واستمر لطيف باشا مع الجماعة في صلف ، وهم يحدقون عليه ، ويرصدون حركاته ، ويتوقعون ما يوجب الايقاع به ... وهو في غفلة موته لا يظن بهم سوءا . فطلب من الكتخدا الزيادة في رواتبه وعلائقه ، لسعة دائرته ، وكثرة حواشيه ، ومصاريفه . فقال له الكتخدا : « أما أنا لست صاحب الأمر ، وقد كان هنا ولم يردك شيئا ... فراسله وكتبه . فإن أمر بشيء ، فأنا لا أخالف مأمورياته » . وتزايد هو والحاضرون في الكلام والمفاكمة ... ففارقهم على غير حالة ، ونزل الى داره وأرسل في العشية الى مماليك الباشا ليحضروا اليه في الصباح ، ليعمل معهم ميدان رماحة على العادة ، وأمر اليهم أن

يصحبوا ما خف من متاعهم واسلحتهم . فلما أصبحوا استعدوا ، كما أشار اليهم ، وشدوا خيولهم ، فوصل خبرهم الى الكتخدا فطلب كبيرهم وسأله ، فأخبره أن لطيف باشا طلبهم ليعمل معهم رماحة ، فقال : « ان هذا اليوم ليس هو موعد الرماحة » ومنعهم من الركوب . وفي الحال أحضر حسن باشا ، وطاهر باشا ، وأحمد آغا — المسمى بونا بارتة الخازندار — وصالح بيك السلحدار ، وإبراهيم آغا ، آغات الباب ، ومحو بيك وخلافهم ودبوس أوغلي ، واسماعيل باشا ، ابن الباشا ومحمود بيك الدويدار ... وتوافق الجميع على الايقاع به . وأصبحوا يوم السبت مجتمعين ، وقد بلغه الخبر ، وأخذ عليه الطرق ، وأرسلوا يطلبونه للحضور في مجلسهم ... فامتنع ، وقال : « ما المراد من حضوري ؟ » ، فنزل اليه دبوس أوغلي وخدعه فلم يقبل ، فركب وعاد اليه ثانيًا يأمره بالخروج من مصر ان لم يحضر مجلسهم ، فقال : « أما الحضور فلا يكون ، وأما الخروج فلا أخالف فيه بشرط أن يكون بكفالة حسن باشا أو طاهر باشا ، فإني لا آمن أن يتبعوني ويقتلونني خصوصا وقد أوقفوا بجميع الطرق » . ففارقه دبوس أوغلي . فتحير في أمره وأمر بشد الخيول ، وأراد الركوب ، فلم يتسع له ذلك . ولم يزل في قلق وإبرام الى الليل فشرکوا الجهات ، وأبواب المدينة أيضا ، بالعساكر ، وكثر جمعهم بالقلعة وأبوابها .

وفي تاسع ساعة من الليل نزل حسن باشا ومحو بيك في نحو الألفين من العسكر ، واحتاطوا بداره بسوق العزى ، وقد أغلق داره ، فصاروا يضربون عليه بالبنادق والقرايين ... الى آخر الليل . فلما أغياهم ذلك ، هجموا على دور الناس التي حوله ، وتسلقوا عليه من الأسطحة ، ونزلوا الى سطح داره ، وقتلوا من صادفوه من عسكره وأتباعه ، واختفى هو في مخبأة أسفل الدار مع ستة أشخاص

الأعيان والأكابر من الناس الأتراك وغيرهم ، وفي جيبه من ذلك الحمص ، فيفرق على أهل المجلس منه ، ويلطفهم ويضاحكهم ويمزح معهم ، ويعرف باللغة التركية ، ويجانس الفريقين ، فمن أعطاه شيئا أخذه ، ومن لم يعطه لم يطلب منه شيئا . وبعضهم يقول له : « انظر ضميري أو فالي » فيعد على سبخته أزواجا وأفرادا ، ثم يقول : « ضميرك كذا وكذا » . فيضحكون منه .

فوشى بحسن أفندي هذا الى كتخدا بيك وباقي الجماعة ، بأنه كان يقول للطفيف باشا انه سيلي سيادة مصر وأحكامها ، ويقول له : « هذا وقت انتهاز الفرصة في غيبة الباشا » . ونحو ذلك وجسموا الدعوى ، وأنه كان يعتقد صحة كلامه ، ويزوره في داره ، ورتب له ترتيبا . وأشاعوا أنه أراد أن يضم اليه أجناس المماليك والخاملين من العساكر وغيرهم ، ويعطيهم نفقات ويريد اثارة فتنة ، ويتآل الكتخدا بيك ، وحسن باشا ، وأمثالهما على حين غفلة ، ويتملك القلعة والبلد ، وأن اللبلى يغريه على ذلك .. وكل وقت يقول له : « جاء وقتك » . ونحو ذلك من الكلام الذى المولى جل جلاله أعلم بصحته .

فأرسل كتخدا بيك الى اللبلى ، فحضر بين يديه في يوم الاثنين ، فسأله عنه ، فقال : لا أدرى . فقال : « انظر في حسابك هل نجده أم لا ؟ » . فمسك سبخته وعدها كمادته وقال : « انكم تجدونه وتقتلونه » . ثم ان الكتخدا أشار الى أعوانه ، فأخذوه ونزلوا به ، وأركبوه على حمارة ، وذهبوا به الى بولاق ، فأنزلوه في مركب ، وانحدروا به الى شلقان ، وشلحوه من ثيابه ، وأغرقوه في البحر !

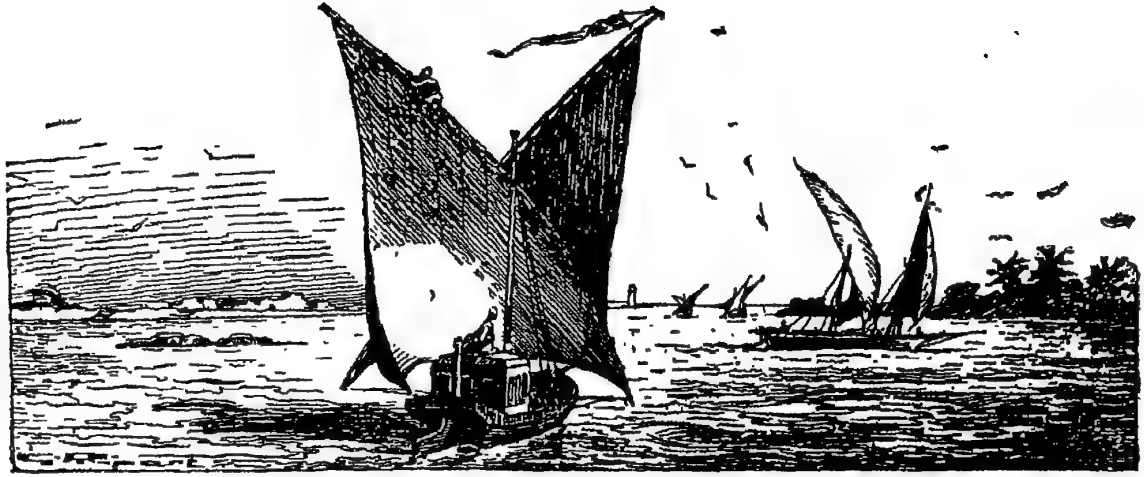
وفيه : عرفهم أغات حريم لطيف باشا ، بعد أن هددوه وقرروه ، عن محل أستاذة ،

من الجوارى ، ومملوك واحد ، وعلم بمكانهم أغات الحريم ... فداروا بالدار يفتشون عليه فلم يجدوه ، فنهبوا جميع ما فى الدار ، ولم يتركوا بها شيئا ، وسبوا الحريم والجوارى ، والمماليك ، والعبيد ... وكذلك ما حوله وما جاوره من دور الناس ، ودور حواشيه ، وهم نيف وعشرون دارا ، حتى حوانيت الباعة وغيرهم التى بالخطه ، ودار على كتخدا صالح الفلاح !

هذا ما جرى بتلك الناحية ، وباقي نواحي المدينة لا يدرون بشيء من ذلك ... الا أنهم لما طلع نهار يوم الأحد ، وخرج الناس الى الأسواق والشوارع ، وجدوا العساكر مائجة ، وأبواب البلد مغلقة ، وحولها العساكر مجتمعة ، ومنهم من يمدو ومعه شيء من المنهوبات ، فامتنع الناس من فتح الحوانيت والقهاوى التى من عادتهم التذكير بفتحها ، وظنوا ظنا .

واستمر لطيف باشا بالمخبة الى الليل ، واشتد به الخوف ، وتيقن أن العبد الطواشى سينم عليه ، ويعرفهم بمكانه . فلما أظلم الليل ، وفرغوا من النهب والتفتيش ، وخلا المكان ، خرج من المخبة بمفرده ، ونظ من الأسطحة حتى خلص الى دار خازن داره ، وصحبته كبير عسكره ، وآخر يسمى يوسف كاشف دياب من بقايا الأجناد المصرية ، وباتوا بقية تلك الليلة ويوم الاثنين ... والكتخدا وأهل دولته يدأبون فى الفحص والتفتيش عليه ، ويتهمون كثيرا من الناس بمعرفة مكانه . ومحمود بيك داره بالقرب من داره ، أوقف أشخاصا من عسكره على الأسطحة ليلا ونهارا لرصده !

وكان المذكور له اعتقاد فى شخص يسمى حسر أفندي اللبلى — ولبلب لفظ تركى علم على الحمص المجوهر أى المقلد — ومن شأن حسن أفندي هذا أنه رجل درويش ، يدخل الى بيوت



البلبي في قبضة إخوان الكتخدا متحدين به الى شلفان

فلما طلع نهار يوم الثلاثاء طلع به محمود بيك الى القلعة ... وقد اجتمع اكابرهم بديوان الكتخدا ، واتفقوا على قتله ووافقهم على ذلك اسماعيل ابن الباشا بما تمقوه عليه ، لأنه في الأصل مملوك صهره عارف بيك . فعندما وصل الى الدرج ، قبض عليه الأعوان ، وهو بجانب محمود بيك ، فقبض بيده على علاقة سيفه وهو شول له بالتركي : « عرطندايم » ، يعنى أنا فى عرضك ، ومات يده على قيطان السيف ، فأخرج بعضهم سكيناً وقطع القيطان ، وجذبوه الى أسفل سلم الركوبة وأخذوا عمامته ، وضربه المشاعلى بالسيف ضربات ، ووقع الى الأرض ولم ينقطع عنقه ، فكملوا ذبحه مثل الشاة ، وقطعوا رأسه ، وفعلوا برفيقه كذلك ، وعلقوا رؤوسهما تجاه باب زويلة طول النهار .

٢٢ منه (١٦ ديسمبر ١٨١٣ م) :

أحضروا أيضا يوسف كاشف دياب ، وقتلوه أيضا عند باب زويلة ، وانقضى أمرهم ... والله أعلم بحقيقة الحال .

وفتح أهل الأسواق حوانيتهم بعد ما تخيل الناس بأنها ستكون فتنة عظيمة ، وأن العسكر

وأخبرهم أنه فى المخبأة ، وأراهم المكان ، ففتحوه فوجدوا به الجوارى الستة والمملوك ، ولم يجدوه معهم ، فسألوهم عنه ، فقالوا : « انه كان معنا ، وخرج فى ليلة أمس ، ولم تعلم أين ذهب » . فأخرجوهم ، وأخذوا ما وجدوه فى المخبأة من متاع وسروج ومصاغ وتقود ، وغير ذلك .

فلما كان بعد الغروب من ليلة الثلاثاء ، اشتد بلطيف باشا الخوف والقلق ، فأراد أن ينتقل من بيت الخازندار الى مكان آخر ، فطلع الى السطح ، وصعد على حائط يريد النزول منها هو ورفيقه البيوكباشى ، ليخلص الى حوش مجاور لتلك الدار ، فنظرهما شخص من العسكر المرصد بأعلى سطح دار محمود بيك الدوبدار ، فصاح على القرييين منه لينتبهوا له فعندما صاح ، ضربه لطيف باشا رصاصة ، فأصابته ، وتنبه المرصدون بالنواحي عند سماع الصيحة ، وبندقة الرصاصة ، وتسارعوا اليه من كل ناحية ، وقبضوا عليه وعلى رفيقه ، وأتوا بهما الى محمود بيك ... فبات عنده ، ورمخ المبشرون الى بيوت الأعيان يبشرونهم بالقبض عليه ، يأخذون على ذلك البقاشيش !

المرصدة التى يزرعها وينفق منها مائة فدان ، فضبوطها ولم يسحوا له منها الا بمائة فدان بعد التوسط ، والترجى ، والتشفيع ، وأمثال ذلك بجرجا وأسيوط ومنفلوط وفرشوط وغيرهم .

واذا قال المتشفيع والمترجى للمتأمر : « ينبغى مراعاة مثل هذا ومسامحته لأنه يطعم الطعام ، وتنزل يداه الضيفان » . فيقول : « ومن كلفه بذلك ؟ » . فيقال له : « وكيف يفعل اذا نزلت به الضيوف على حسب ما اعتادوه ؟ » . فيقول : « يشترون ما يأكلون بدراهمهم من أكياسهم ، أو يغلقون أبوابهم ، ويستقلون بأنفسهم وعيالهم ، ويقتصدون فى معاشهم ، فيعتادون ذلك ، وهذا الذى يفعلونه تبذير واسراف ! » . ونحو ذلك على حسب حالهم وشأنهم فى بلادهم . ويقول : « الديوان أحق بهذا ، فان عليه مصاريف ونفقات ومهمات ومحاربات الأعداء ، وخصوصا افتتاح بلاد الحجاز » .

ولما حضر ابراهيم باشا الى مصر — وكان آيوه على أهبة السفر الى الحجاز — حضر الكثير من أهالى الصعيد يشكون ما نزل بهم ، ويستغيثون ويتشفعون بوجهاء المشايخ وغيرهم . فاذا خوطب الباشا فى شئ من ذلك يعتذر بأنه مشغول بالبال ، واهتمامه بالسفر ، وأنه أناط أمر الجهة القبلية وأحكامها وتعلقاتها لابنه ابراهيم باشا . وأن الدولة قلدته ولاية الصعيد فأنا لا علاقة لى بذلك ! واذا خوطب ابنه أجابهم بعد المحاججة بما تقدم ذكره ، ونحو ذلك . واذا قيل له هذا على مسجد . فيقول : « كشفت على المساجد فوجدتها خرابا ، والنظار عليها يأكلون الايراد ، والخزينة أولى منهم ، ويكفيهم أنى أسامحهم فيما أكلوه فى السنين الماضية ، والذى وجدته عامرا أطلقت له ما يكفيه وزيادة . وانى وجدت لبعض المساجد أطيانا واسعة ، وهى خراب ومعطلة ، والمسجد يكفيه مؤذن واحد ، وأجرته نصفان ، وامام مثل ذلك ،

ينهون المدينة ، وخصوصا الكائنون بالعرضى — خارج باب النصر — فانهم جياع وبردانون ، وغالبهم مفلس . لأن معظمهم من الجدد الواردين الذين لم يحصل لهم كسب من لهب أو حادث واقع أدركوه ، ولولا أنهم أوقفوا عساكر عند الأبواب منعته من العبور لحصل منهم غاية الضرر .

وانقضت السنة وحوادثها التى ربما استمرت الى ما شاء الله بدوامها وانقضائها .

فمنها : أن الباشا لما فرغ من أمر الجهة القبلية بعد ما ولى ابنه ابراهيم باشا عليها ، وحرر أراضى الصعيد ، وقاس جملة أراضيه وفدنه ، وضبط بأجمعه ، ولم يترك منه الا ما قل . وضبط لديوانه جميع الأراضى الميرية والاقطاعات التى كانت للملتزمين من الأمراء والهواره وذوى البيوت القديمة ، والرزق الاحباسية ، والسراوى ، والمتأخرات والمرصد على الأهالى والخيرات وعلى البر والصدقة ، وغير ذلك مثل : مصارف الولاية التى رتبها أهالى الخير المتقدمون لأربابها رغبة منهم فى الخير ، وتوسعة على الفقراء المحتاجين ، وذوى البيوت والدواوير المفتوحة ، المعدة لطعام الطعام للضيفان والواردين والقاصدين ، وأبناء السبيل والمسافرين .

فمن ذلك أن بناحية سهاج ، دار الشيخ عارف ، وهو رجل مشهور كآسلافه ، ومعتقد بتلك الناحية وغيرها ، ومنزله محط لرحال الوافدين والقاصدين من الأكابر والأصاغر والفقراء والمحتاجين .. فيقرى الكل بما يليق بهم ، ويرتب لهم الترتيب والاحتياجات ، وعند انصرافهم — بعد قضاء أشغالهم — يزودهم ويهاديهم بالغلل والسمن والعسل والتسر والأغنام ... وهذا دأبه ودأب آسلافه من قبله على الدوام والاستمرار . ورزقته

وأما فرشه واسراجه فاني أرتب له راتباً من الديوان في كل سنة . فاذا تكرر عليه الرجاء أحال الأمر على أبيه ، ولا يمكن العود اليه لحر كاته ، وتنقلاته وكثرة أشغاله وزوغانه .

ولما زاد الحال بكثرة المتشكين والواردين وبرز الباشا للسفر ، بل وسافر بالفعل ، فلم يمكث بعده ابنه الا أياماً قليلة : ببيت البجيزة ليلة ، وعند أخيه ببولاق ليلة أخرى ، ثم سافر راجعاً الى الصعيد ، يتم ما بقي عليه لأهله من المذاب الشديد ، فانه فعل بهم فعل التتار عندما جالوا بالأقطار . وأذل أعزة أهله ، وأساء أسوأ السوء معهم في فعله ، فسلب نعيمهم وأموالهم ، وبأخذ أبقارهم وأغنمهم ، ويحاسبهم على ما كان في تصرفهم واستهلكوه ، أو يحتج عليهم بذنب لم يقترفوه ، ثم يفرض عليهم المغارم الهائلة ، والمقادير من الأموال التي ليست أيديهم اليها طائلة . ويلزمهم بتحصيلها وغلقها وتمجيلها . فتعجز أيديهم عن الاتمام ، فعند ذلك يجرى عليهم أنواع الآلام من الضرب والتعليق ، والكي بالنار والتحريق . فانه بلغني — والعهد على الناقل — أنه ربط الرجل ممدوداً على خشبة طويلة ، ومسك بطرفيها الرجال وجعلوا يقلبونه على النار المضمرة مثل الكباب ! وليس ذلك ببعيد على شاب جاهل ، سنه دون العشرين عاماً ، وحضر من بلده ولم ير غير ما هو فيه : لم يؤدبه مؤدب ، ولا يعرف شريعة ولا مأمورات ولا منهيات . وسمعت أن قائلاً قال له : « وحق من أعطاك » . قال : « ومن هو الذي أعطاني ؟ » . قال له : « ربك » . قال له : « انه لم يعطيني شيئاً ، والذي أعطاني أبي ... فلو كان الذي قلت ، فانه كان يعطيني وأنا ببلدى ! وقد جئت وعلى رأسي قبع مزفت مثل المقلادة » . فلهذا لم تبلغه دعوى ولم يتخلق الا بالأخلاق التي دربه عليها والده ، وهي تحصيل المال بأي وجه كان .

فأنزل بأهل الصعيد الذل والهوان ، فلقد كان به من المقادم والهواره ، كل شهم يستحق الرئيس من مكالمته ، والنظر اليه بالملابس الفاخرة ، والأكرام السور ، والخيول المسومة والأنعام والأتباع والجند والعبيد ، والأكام الواسعة والمضايف والانعامات والاعداقات والتصدقات ، وخصوصاً أكابرهم المشهورون ... وهمام — وما أدراك ما همام ! — وقد تقدم في ترجمته ما يغني عن الاعادة . فخربت دور الجميع ، وتشتتوا وماتوا غرباء . ومن عسر عليه مفارقة وطنه ، جرى عليه ما جرى على غيره ، وصار في عداد المزارعين .

وقد رأيت بعض بنى همام وقد حضروا الى مصر ليعرضوا حالهم على الباشا لعله يرفق بهم ويسامحهم في بعض ما ضبطه ابنه من تعلقاتهم يتعيشون به ، وهم أولاد عبد الكريم وشاهين ولدى همام الكبير ومعهم حريمهم وجوارهم وزوجة عبد الكريم — ويقولون لها الست الكبيرة — وهي أم أولاده . فلما وصلوا الى ساحل مصر القديمة ، ورأى أرباب ديوان المكس الجوارى — وعدتهم ثلاثة — حجزوهم وطالبوهم بكمر كهن ! فقالوا : « هؤلاء جوارنا للخدمة ، وليسوا مجلويين للبيع » . فلم يعبأوا بذلك ، وقبضوا منهم ما قبضوه ، ثم انهم لم يتمكنوا من الباشا — وكان اذ ذاك قد توجه الى الفيوم ، وعاد الى العرضى مسافراً الى الحجاز — فاستمروا بمصر حتى نفدت نفقاتهم ، ورأيتهم مرة مارين بالشارع ، وهم مخلقون ، وفيهم صغير مراهق . واتفق أنهم تفاقموا مع ابن عمهم ، وهو عمر ، وشكوه الى مصطفى بك دالى باشا بأنه حاف عليهم في أشياء من استحقاقهم ... دعوى مفلس على مفلس ! فأحضره وجبسه مدة وما أدري ما حصل لهم بعد ذلك .

وهكذا .. تخفض العالى وتعالى من سفل ، اللهم
انا نعوذ بك من زوال النعم ، ونزول النقم .

وأما من مات فى هذه السنة ، فمات الأستاذ
الشهير ، والجهيد التحرير ، الرئيس المفضل ،
والفريد المبجل ، نادرة عصره ، ووحيد دهره :
الشيخ شمس الدين محمد أبو الأنوار بن عبد
الرحمن ، المعروف بابن عارفين ، سبط بنى الوفاء ،
وخليفة السادات الحنفاء ، وشيخ سجادتها ، ومحط
رحال سيادتها ... وشهرته غنية عن مزيد الافصاح ،
ومناقبه أظهر من البيان والابضاح وأمه السيدة
صفية بنت الأستاذ جمال الدين يوسف أبى الارشاد
ابن وفا ، تزوج بها الخواجه عبد الرحمن المعروف
بعارفين ، فأولدها المترجم وأخاه الشيخ يوسف —
— وكان أسن منه — فتربى مع أخيه فى حجر
السيادة والصيانة والحشمة ، وقرأ القرآن ، وتولع
بطلب العلم .

وحضر دروس أشياخ الوقت ، وتلقى طرفة
أسلافه وأورادهم وأحزابهم ، عن خاله
الأستاذ شمس الدين محمد أبو الاشراق بن وفا ،
عن عمه الشيخ عبد الخالق ، عن أبيه الشيخ يوسف
أبى الارشاد ، عن والده أبى التحصيص عبد
الوهاب ... الى آخر السند المنتهى الى الأستاذ أبى
الحسن الشاذلى . ولازم العلامة القدوة : الشيخ
موسى البجيرمى ، فحضر عليه — كما ذكره فى
برنامج شيوخه — أم البراهين ، وشرح المصنف
عليها ، والأجرومية وشرحها للشيخ خالد ، وشرح
الستين مسألة للجلال المحلى — وهو أول أشياخه
— ثم لازم الشيخ خليل المغربى ، فحضر عليه شرح
ايساغوجى لشيخ الاسلام زكريا الأنصارى ،
وشرح العصام على السمرقندية ، وإلهاكى على

القطر ، ومتن التوضيح والأشموى على الخلاصة ،
ورسالة البوضع والمغنى .

وحضر دروس شيخ الشيوخ الشيخ أحمد الميجرى
الملوى فى صحيح البخارى ، والشيخ عبد السلام على
الجوهرية ، وأجازه بروياته ومؤلفاته الاجازة
العامة ، وكذلك أجازه الشيخ أحمد الجوهري
الشافعى ، اجازة عامة واجازة خاصة ، بطريقة
مولاي عبد الله الشريف ، ولازم وقرأ وشارك ولده
الشيخ محمد الجوهري الصغير .

وحضر أيضا دروس الأستاذ الحنفى فى شرح
التلخيص للسعد التفتازانى ، وشرح التحرير لشيخ
الاسلام ، وشرح الألفية لابن عقيل ، والأشموى .
وحضر دروس الشيخ عمر الطحلاوى المالكى فى
شرح الأجرومية للشيخ خالد ، وشيئا من شرح
الهزمية للحافظ بن حجر ، وشيئا من تفسير الجلالين
والبيضاوى .

وحضر الشيخ مصطفى السندوبى الشافعى فى
شرح بن قاسم العزى على أبى شجاع ، وعلى السيد
البليدى فى شرح التهذيب للخيصى ، وعلى الشيخ
عطيه الأجهورى الشافعى فى شرح الخطيب على أبى
شجاع ، وشرح التحرير لشيخ الاسلام ، وتفسير
الجلالين ، وعلى الشيخ محمد النارى شرح السلم
لمصنفه ، وشرح التحرير ، وعلى الشيخ أحمد
القوصى شرح الورقات الكبير لابن قاسم العبادى .

وسمع المسلسل بالأولية من عالم أهل المغرب فى
وقته الشيخ محمد بن سودة التاودى ، الفاسى
المالكى ، عند وروده مصر فى سنة اثنتين وثمانين
ومائة وألف بقصد الحج ، وكتب له اجازة بخطه
مع سنده ، وأجازه أيضا بدلائل الخيرات ،
وأحزاب الشاذلى .

وكذلك تلقى الاجازة من الأستاذ المسلك عبد
الوهاب بن عبد السلام العفيفى المرزوقى ، وتلقى

بمنزل ملاصق لدار الخليفة .. توصلا وتقربا
لأمواله . ولم تطل مدة الشيخ أبى الامداد ، وتوفى
سنة اثنتين وثمانين كما ذكرناه فى ترجمته . وعند
ذلك لم يبق للمترجم معارض ... وقد مهد أحواله ،
وثبت أمره مع من يخشى صولته ومعارضته من
الأشياخ وغيرهم .

ودفن السيد أحمد ، وركب المترجم فى صباحها
مع أشياخ الوقت ، والشيخ أحمد البكرى ،
وجماعة الحزب وتقباهم الى الرباط بالخرنفس .
ودخل الى خلوة جدهم ، فجلس بها ساعة ، وقرأ
أرباب الحزب وظيفتهم ، ثم ركب مع المشايخ الى
أمير البلدة — وكان اذ ذاك على ييك — فخلع
عليه ، وركبوا الى دارهم ومحل سيادتهم المعهودة ...
وأصبح متقلدا خلافة أسلافهم ، ومشيخة
سجادتهم ... فكان لها أهلا ومجلا . وتقدم على
أخيه الشيخ يوسف — مع كونه أسن منه — لما
فيه من زيادة الفضيلة ، ولما ثبطه به من مخادعته ،
وسلامة صدر أخيه وحسن ظنه فيه .

وانتظم أمره ، وأحسن سلوكه بشهامة وحشمة
ورأسة وتؤدة وأدب مع الأشياخ والأقران ، وتجنب
الى أرباب المظاهر والأكابر ، واستجلاب الخواطر ،
وسلوك الطرائق الحميدة ، والتباعد عن الأمور
المخلطة بالمروءة ، والأخذ بالحزم والرفق ... مع
الاشتغال فى بعض الأحيان بالمطالعة والمذاكرة فى
المسائل الدينية والأدبية ، ومعاشرة الفضلاء
ومجالستهم ، والمناقشة معهم فى النكات ، واقتناء
الكتب من كل فن ... كل ذلك مع الجد والتحصيل
للأسباب الدنيوية ، وما يتوصل به الى كثرة
الاراد .. بحسن تداخل ، وجميل طريقة مبعدة
عما يخل بالمقدار ... بحيث يقضى مرامه من العظيم ،
وجميل الفضل له .

أيضا من امام الحرم المكى الشيخ ابراهيم ابن
الرئيسى محمد الزمزمى الاجازة بالمسبغات ،
واستجازه هو أيضا بما لأسلافه من الأحزاب ،
وكناه بأبى الفوز وذلك فى سنة تسع وسبعين ومائة
وآلف بمكة ... سنة حجة المترجم .

ولما مات السيد محمد أبو هادى ، وانقرضت
بموته سلسلة أولاد الظهور — وذلك فى سنة ست
وسبعين ومائة وآلف — فاقت نفس المترجم لخلافة
بيتهم ، وتمهيا لذلك ، ولبس التاج أيضا ، والعصابة
التي يجعلونها عليه ... فلم يتم له ذلك ، وعورض
بسيدي أحمد بن اسماعيل ييك ، المعروف
بالدالى — المكنى بأبى الامداد — لأنه فى طبقة فى
النسب ، وأمه السيدة « أم المفاخر » ابنة الشيخ
عبد الخالق ، باتفاق أرباب الحل والعقد ، لكونه
من بيت الامارة . وقد صار منزلهم كمنازل الأمراء
فى الاتساع والتأنق والمجالس المزخرفة ، والقيعان
والقصور ، وفى ضمنه البستان بالنخيل والأشجار ،
وما يجتنى منها من الفواكه والثمار ... لأن معظم
الوجاهة والسيادة فى هذه الأزمان بالمساكن الأنيقة
والملابس الفاخرة ، وكثرة الاراد والخدم والحشم ،
خصوصا ان اقترن بذلك شئ من المزايا المتعدية :
من بذل الاحسان ، واکرام الضيفان . فعند ذلك
يصير ربه قطب الزمان ، وفريد العصر والأوان .
فلو فرضنا أن شخصا اجتمعت فيه أوصاف
الكلمات المعنوية ، والمعارف الدنية ، وخلا عما
ذكر — وكان صعلوكا قليل المال ، كثير العيال —
فلا يعد فى الرجال ، ولا يلتفت اليه بحال ... حكم
الهية ، وأحكام ربانية !

فلما تقلدها سيدي أحمد المذكور دون المترجم ،
بقى متطلعا يسلى نفسه بالأمانى ، ثم قصد الحج
فى سنة تسع وسبعين كما ذكر . فلما عاد من الحج ،
تزوج بوالدة الشيخ محمد أبى هادى ، وأسكنها

ويراسل ويكتب ، ويشاحح على أدنى شيء ، ويحاسب ، ولا يدفع لأرباب الأقاليم عوائدهم المقررة في الدفاتر ... بل يرون أن أخذها منه من الكبائر ! وكذلك دواوين المكوس المبنى على الاجحاف ، فكل ما نسب له فيها فهو معاف . وكلما طال الأمل ، زاد المدد ، وخصوصا اذا تقلبت الدول ، وارتفعت السفل . كان الأسبق القديم في أعينهم ، هو الجليل العظيم ... وهم لديه حغار ، لا ينظر اليهم الا بعين الاحتقار .

ولما انقضت بقايا الشيوخ الذين كان يهابهم ، ويخضع لهم ، ويتأدب معهم ... وكانوا على طرائق الأقدمين في العفة والانجماع عما يخل بتعظيم العلم وأهله ، والتباعد عن بنى الدنيا الا بقدر الضرورة ، وخلف من بعدهم من هم على خلاف ذلك — وهم أعظم مدرسى الوقت — فأحدقوا به ، وأكثروا من الترداد عليه وعلى موائده ، وبالغوا في تعظيمه وتقبيل يده ، ومدحوه بالقصائد البليغة طمعا في صلاته ونجوائزه القليلة ، وحصول الشهرة لهم ، وزوال الخمول ، والتعارف بمن يتردد الى داره من الأمراء والأكابر ... وزاد هو أيضا وجها ووجاهة بهجالتهم ، ولا يريهم فضلا يسعيهم اليه ، ويزداد كبرا وتيها . وبلغ به انه لا يقوم لأكثرهم اذا دخل عليه ، ومنهم من يدخل بغاية الأدب فيضم ثيابه ويقول عند مشاهدته : « يا مولاي يا واحد » ، فيجيبه هو بقوله : « يا مولاي يا دائم » ، يا على يا حكيم . فاذا حصل بالقرب منه ، ينحو ذراعين ، حبا على ركبته ، ومد يمينه لتقبيل يده أو طرف ثوبه . وأما الأدون ، فلا يقبل الا طرف ثوبه . وكذلك أتباعه وخدمه الخواص .

واذا كان من أهل الذمة أو كبار المباشرين ، وقبلوا يده وخاطبهم في أشغاله — وهم قيام — وانصرفوا ... طلب الطهيت والابريق ، وغسل

يده بالصابون لازالة أثر أفواههم ! ولا يجيب في رد التحية الا بقول : « خير . خيرا » . ولا يقطع غالب أوقاته مع مجالسيه وحاصته ومسامريه الا بانتقاد أهل مصره ، وغيبة غالب أهل عصره . وتنسبط نفسه لذلك ، واليه يصغى ... كلا ان الانسان ليطنى !

وفي سنة تسعين ومائة وألف ، ورد الى مصر عبد الرزاق أفندى رئيس الكتاب ، ومن أكابر أهل الدولة ، فتدخل معه ، واصطحب به ، وأهدى اليه هدايا ، واستدعاه وأضافه .

وحضر في ذلك العام محمد باشا — المعروف بالعزتى — واليا على مصر ، فأنهى اليه بعمونة الرئيس المذكور احتياج زاوية أسلافه للعمارة ، ودعا الباشا لزيارة قبورهم في يوم المولد المعتاد السنوى ، وذكر له المقصود ، وأظهر له بعض الخلل ، وزين له ذلك الفصل ، وأنه من تمام الشعائر الاسلامية ، والمشاهد التى يجب الاعتناء بشأنها ، والسعى والطواف بحرمها .

وكان المعين والسفير والمساعد في ذلك أيضا ، شيخنا محدث العصر ، السيد محمد مرتضى ، وهو عند العثمانيين مقبول القول ، وكان عبد الرزاق الرئيس يتلقى عنه المسلسلات والاجازات ، وقرأ عليه مقامات الحريرى ، فأجاب الباشا ووعد بانعام ذلك وكاتب الدولة ، وورد الأمر باطلاق خمسين كيسا لمصرف العمارة من خزانة مصر . فشرع في هدم حوائطها ووسعها عن وضعها الأصيل ، واندرس في جدرانها قبور ومدافن ، وحولها وزخرفها بالنقوش ، وأنواع الرخام الملون والمموه بالذهب ، والأعمدة الرخام .

ثم كاتب الدولة ، وأنهى أن ذلك القدر لم يكف ، وأن العمارة لم تكمل ، والاحسان بالانعام ... فاطلقوا له خمسين كيسا أخرى ، وأتمها على

هذا الوضع الذى هى عليه الآن ، وأنشأ حولها مساكن ومخادع ، ووسع القصر الملاصق لها ، المختص به لجلوسه ، ومواضع الحرم أيام الموالد .

ثم أرسل فى اثر ذلك كئخداه ووزيره الشيخ 'ابراهيم السندوبى ، الى دار السلطنة بمكاتبات ، وأعرض لرجال الدولة ، والتمس رفع ما على قرية زفتا وغيرها ، مما فى حوزة من الالتزام ، من المال الميرى الذى يدفع الى الديوان فى كل سنة .

وكان ابراهيم المذكور غاية فى الدهاء والحيل السامانية ، والتصنعات الشيطانية ، والتخليطات الوهمية وتقلبات الملامتية ، قسم مرامه بما ابتدعه من المخرفة ، والايهات الملققة ... ولم يدفع ما جرت به العادة من العوائد ، بل اجتلب خلاف ذلك فوائد .

ولما حضر حسن باشا للجزايرلى الى مصر على رأس القرن ، وخرج الأمراء المصريون الى الجهة القبيلة ، واستباح أموالهم ، وقبض على نساءهم وأولادهم ، وأمر بانزالهم سوق المزاد ويبيعهم زاعما أنهم أرقاء لبيت المال ، وفعل ذلك . فاجتمع الأشياء ، وذهبوا اليه ... فكان المخاطب له المترجم ، قائلا له : « أنت أتيت الى هذه البلدة ، وأرسلك السلطان الى اقامة العدل ، ورفع الظلم ... كما تقول ، أو لبيع الأحرار ، وأمهات الأولاد ، وهتك الحرم ؟ » . فقال : « هؤلاء أرقاء لبيت المال » . فقال له : « هذا لا يجوز ، ولم يقل به أحد » . فاغتاظ غيظا شديدا ، وطلب كاتب ديوانه ، وقال له : « اكتب أسماء هؤلاء ، وأخبر السلطان بمعارضتهم لأوامره » . فقال له السيد محمود البنوفرى : « اكتب ماتريد بل نحن نكتب أسماءنا بخطنا » فافحم ، وانكف عن اتمام قصده ، وأيضا تتبع أموالهم وودائعهم .

وكان ابراهيم بيك الكبير قد أودع عند المترجم وديعة ، وكذلك مراد بيك أودع عند محمد أفندى البكرى وديعته ، وعلم ذلك حسن باشا فأرسل عسكريا الى السيد البكرى ، فلم تسعه المخالفة ، وسلم ما عنده ، وأرسل كذلك يطلب من المترجم وديعة ابراهيم بيك ... فامتنع من دفعها قائلا : « ان صاحبها لم يمت » ، وقد كتبت على نقصى وثيقة ، فلا أسلم ذلك مادام صاحبها فى قيد الحياة » . فاشتد غيظ الباشا منه ، وقصد البطش به ، فحماه الله منه ببركة الانتصار للحق . فكان يقول : « لم أر فى جميع الممالك التى ولجتها من اجترأ على مخالفتى مثل هذا الرجل ؟ فانه أحرق قلبى » .

ولما ارتحل من مصر ، ورجع المصريون الى دولتهم ، حصل من مراد بيك فى حق السيد البكرى ما حصل ، وغرمه مبلغا عظيما ، باع فيه أقطاعه فى نظير تفریطه فى وديعته ، واحتج عليه بامتناع نظيره ، وحصل له قهر تمرض بسببه وتسلسل به المرض حتى مات . ويقال ان مراد بيك أرسل اليه الحكيم ودس له السم فى العلاج ، ثم مات رحمه الله . وكانت منه هفوة . ولا بد للجواد من كبوة . ومن لم ينظر فى العواقب فليس له الدهر بصاحب ... حتى قيل انه هو الذى عرف حسن باشا عن ذلك لينال به زيادة فى الخطوة عنده ، ويترك منها حصة لنفسه بقرينة ما ظهر عليه فى عقب ذلك من التوسع . وقد غلب على ظنه ، بل وظن غالب الناس ، انقراض المصريين ، وغفلوا عن تقلبات الدهر فى كل حين . وأما المترجم فانه لما أخذ بالحزم سلم ، ورد الأمانة الى صاحبها حين قدم ، وحسنت فيهم سيرته ، وزادت عندهم محبته . وفى عقب ذلك نزل السيد محمد أفندى البكرى المذكور عن وظيفة نظير المشهد الحسينى للمترجم ، وأرسل اليه بصندوق دفاتر الوقف — وكان نظر المشهد بييتهم مدة طويلة —

ووعده المترجم بأن يبذله عنه وظيفة النظر على وقف الشافعى . فلما حصل الفراغ واحتوى على الدفاتر ، نكث وطمع على الوظيفتين ، بل ومد يده الى غيرهما لعدم من يعارضه ، ولا يدافعه من الأمراء وغيرهم ، مثل نظر المشهد النفيسى والزينى ، وباقي الأضرحة الكثيرة الأيراد ... التى يصاد بها الدينامن كل ناد ، وتأتيها الخلائق بالقربانات وأنواع النذورات . وأخذ يحاسب المباشرين وخدمة الأضرحة المذكورة على الإيرادات والنذورات . ويحافظهم على الذرات ، ويسبهم ويهينهم ، ويضربهم بالجريد المحمص على أرجلهم . وفعل ذلك بالسيد بدوى ، مباشر المشهد الحسينى ، وهو من وجهاء الناس الذين يخشى جانبهم ، ومشهور ومذكور فى المصر وغيره .

وكان معظم انقباض السيد البكرى ، ونزوله عن نظر المشهد ... ضيق صدره من المذكور ، ومناكדתه له ، واستيلائه على المحل ، ومحصول الوقف ، والتقصير فى بصارفه اللازمة ... وينسب التقصير للناظر . وكان — رحمه الله عظيم الهمة ، يغلب عليه الحياء والمسامحة ، ويرى خلاف ذلك من سفاسف الأمور ... فتنصل من ذلك ، وترك فعله لغيره .

فلما أوقع المترجم بالسيد بدوى وباقي عظماء السدنة ما أوقع ، انقمع الباؤون ، وذلوا ، وخافوه أشد الخوف ، ووشوا على بعضهم البعض . وطلق يطالبهم بالنذور والشموع والأغنام والمجول ، وما يتحصل بصندوق الضريح من المال — وكانوا يختصون بذلك كله ، وأقلهم فى رفاهة من العيش ، وجمع المال مع السفالة والشحاذة ... حتى من الفقير المعدم الفللس والكسرة الناشفة !

وكان إذا أراد الايقاع بشخص أو اهاتته ، وخشى عاقبة ذلك ، أو لوما يلحقه ممن ينتصر له ،

مهد له الطريق سرا قبل الايقاع به . فانه لما أراد ضرب السيد بدوى ، طاف على الشيخ العروسى وأمثاله ، وأسرهم ما فى نفسه .

وامتدت يده أيضا الى شهود بيت القاضى . فكان اذا بلغه أن أحدهم كتب حجة استبدال أو اجارة مكان ، مدة طويلة ، لناظر أو مستحق وكان ذلك المكان يؤول ، بعد انقراض مستحقه ، لضريح من الأضرحة التى تحت نظره — أحضر ذلك الكاتب ووبخه ولعنه ، ولربما ضربه ، وأبطل تلك المكاتبه ، ومحاها من سجل القاضى ، أو يصلحونه على تنفيذ ذلك — مع أنها لا تؤول الى تلك الجهة الا بعد سنين وأعوام متطاولة .

وقد نص علماء الشرع على أن الوقف والنذر للقبور والأضرحة ... باطل . فان قيل بصحته على الفقراء ، قلنا : ان سدنة هذه الأضرحة ليسوا بفقراء ، بل هم الآن أغنى الناس . والفقراء حقيقة خلفهم من أولاد الناس الذين لا كسب لهم ، والكثير من أهل العلم الخاملين ، والذين يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف .

ولما استولى المترجم على وظيفة نظر المشهد الحسينى ، قهر السيد بدوى المباشر المذكور ، وأخذ دار سكنه شرقى المسجد ، وأخرجه منها ، وهدمها وأنشأها دارا لنفسه ، ينزل بها أيام المولد المعتاد ، ويأتى اليها فى كل جمعة أو جمعتين . ولما تم بناؤها ونظامها ، وقرب وقت أيام المولد ، انتقل اليها بخدمة وحريه ، وتقدم الى حكام الشرطة بأمر الناس والمناداة على أهل الأسواق والحوانيت : بالسهر بالليل ، ووقود السرج والقناديل ، خمس عشرة ليلة المولد ، وكان فى السابق ليلة واحدة . وأحدثوا فى تلك الليالى سيارات ، وجمعيات ، وطبولا ، وزمورا ، ومناور ومشاعل ، وجمع خلائق من أوباش العالم الذين ينتسبون الى الطرائق ،

كالأحمدية والسعدية والشيعية ، ويتجاوبون في وسط الطبول بألفاظ مستهجنة ، ينادون بها مشايخ طرقتهم بكلمات وعبارات تشتمز منها الطباع ، وأمرهم بأن يمشوا من تحت داره ، ودعا أمراء البلدة في ظرف تلك الأيام متفرقين ، ودعا عابدين بأشياء يوم المولد .

ولما سكن بتلك الدار — وهى قبالة الميضاة والمراحض — فكان يتضرر من الرائحة ، فقصد إبطالها من تلك الجهة ، فاشتري دارا قبلى المسجد — وهى بجانب حائط المسجد الجنوبية الفاصلة بينها وبين المسجد — وأدخل منها جانبا فى المسجد ، وزاد فيه مقدار باكية ، وجعلها مرتفعة عن أرض المسجد درجة لئلا تتأثر من البناء القديم ، وجعل به محرابا ، ومن خلفه خلوة يسلك إليها من باب يصدر اللوان المذكور الى فسحة لطيفة أمام الخلوة ... وبالخلوة شبك مظل على اللوان الصغير الذى بقية الضريح . وأنشأ فيما بقى من الدار ميضاة ومراحض ، وفتح لها بابا من داخل المسجد من آخره بجانب باب السبيل ، وأبطل الميضاة القديمة ، لانحراف مزاجه وتأذيه من رائحتها .

وتحول عبور الناس من داخل وخارج الى هذه الجديدة ، وأتت عليها عدة أيام ففاحت الروائح على المصلين ومن بالمسجد ، وما انضاف الى ذلك أيضا من البلل والتقذير من أرجل الأوباش لقربها من المسجد . فلغظ الناس ومن يحضر فى أوقات الصلاة ، من أتراك خان الخليلى والتجار ، وشنعوا القالة ، وقاموا قومة واحدة ، وأغلقوا الباب ، وأبطلوا تلك الميضاة ، ومنعوا من دخولها . وساعدهم المتصوفون من أجناسهم ، فانكسف بال المترجم لذلك ، ولم يمكنه تنفيذ فعله ، وأعاد الميضاة القديمة كما كانت ، وجعل المستجدة مربطا للحمير يستغل أجرته ! بعد أن أزال تلك الميضاة ، ومحا أثر ذلك .

وكان بناء هذه الزيادة سنة ست بعد المائتين . ثم زاد فى منزل سكنهم زيادة من ناحية البركة المعروفة ببركة الفيل — خلف البستان — أخذ فى تلك الزيادة مقدارا كبيرا من أرض البركة ، وأنشأ مجلسا مربعا متسعا ، مطلا على البركة من جهته ، وبوسطه عمود من الرخام ، وبلط دور قاعته بالرخام ، وجعل به مخدعا ، وخارجه فسحة كبيرة ، وشبابيكها مظللة على البركة . وصارت القاعة القديمة ، المعروفة بالغزال المنفتحة ، بابها فى ضمن الفسحة ، وبها باب القيطون . وسمى هذه المنشية « الأسعدية » ، وبتلك الفسحة باب يدخل منه الى منافع ومرافق . ثم عن له التغيير والتبديل لأوضاع البيت من ناحية أخرى ، فهدم الساتر على القاعة الكبيرة وفسحتها ، وهى التى يسمونها « بأم الأفراح » ، وهى من انشاء الشيخ أبى التخصيص ، وهى أعظم المجالس التى بدارهم .. مزخرفة بالنقوش الذهب والقيشاني الصينى بجميع حيطانها والرخام الملون ، وبها الفسقية والسبيل ، والقمرية الملونة . فكشف حائطها وأدخل فسحتها فى رحبة الحوش ، وهدم القاعة الأخرى التى كان يصعد إليها بسلم من الفسحة الأخرى ، وأبطل الحواصل التى أسفلها ، وساواها بالأرض ، وعمل بها فسقية بالرخام ، ومرافقها من داخلها ، وبها باب يتوصل منه الى الحريم ، وسماها « الأنوارية » نسبة لكنيته ، وأمامها فسحة عظيمة — ديوان بدكك وكراسى — بجانب البستان ، وبها الطرقة والدهليز المتد بوسط البستان الموصل الى القاعة المسماة « بالغزال والأسعدية » ، وهدم المقعد القديم الذى به العمود وقناطره ، وما كان بظاهر الحاصل — المسمى بحاصل السجادة — من الحواصل السفلية ، وجعله مسجدا يصلى فيه الجمعة ، وتصب فيه منبرا للخطبة .. وذلك لبعد المساجد الجامعة عن داره ، وتعاطفه عن السعى الكثير ، والاختلاط بالعامية .

وأخذ قطعة وافرة من بيت كتخدا الجاوشية وسع بها البستان ، وغرس بها الأشجار والرياحين والثمار .

وأفنى غالب عمره في تحصيل الدنيا ، وتنظيم المعاش والزفافة ، واقتناء كل مرغوب للنفس ، وشراء الجوارى والممالك والعييد والحبوش والخصيان ، والتأني في المآكل والمشارب والملابس ، واستخراج الأدهان والعطريات والمركبات المفرحة ، والمنعشة للقوة .

وتعاطف في نفسه ، وتعالى على أبناء جنسه ... حتى أنه ترفع على لبس التاج ، وحضور المحيا بالأزهر ليلة المراج ، وكذا الحضور في مجلس وردهم ، الذي هو محل عزهم وفخرهم ، وصار يلبس قاووقا بعمامة خضراء ، تشبها بأكابر الأمراء ، وبعدا عن التشبه بالمتمممين والفقهاء والمقرئين .

ولما طالت أيامه ، وماتت أقرانه ، والذين كان يستحى منهم ويهابهم ، وتقلبت عليه الدول ، واندرجت أكابر الأمراء ، وتأمرا أتباعهم ومبايكتهم الذين كانوا يقومون على أقدامهم بين يدي مخادعهم وأسيادهم جلوس بالأدب مع المترجم ... لا جرم كانت هيئته في قلوبهم أعظم من أسلافهم ، واستصغاره هو لهم كذلك . فكان يصدعهم بالكلام وينفذ أمره فيهم ، ويذكر الأمير الكبير بقوله : « ولدنا الأمير فلان » . وحوائجه عندهم مقضية ، وكلامه لديهم مسوع ، وشفاعته مقبولة ، وأوامره نافذة فيهم وفي حواشيهم وحرمااتهم .

واتفق أن بعض أعظم المباشرين من الأقباط توقف معه في أمر ، فأحضره ولعنه وسبه ، وكشف رأسه وضربه على دماغه بزخمة من الجلد ، ولم يراع حرمة أميره ، وهو إذ ذاك أمير البلدة .

ولما شكوا إلى مخدومه ما فعل به ، قال له : « وما تريد أن أصنع بشيخ عظيم ضرب نصرانيا » ! فرحم الله عظامهم .

واتفق أيضا أن جماعة من أولاد البلد ووجهائها اجتمعوا ليلة بمنزل بعض أصحابهم وتباسطوا ، فأخذ بعضهم يسخر ويقلد بعض أصحاب المظاهر . فوشى للمترجم مجلسهم ، وأنهم أدرجوه في سخرتهم ، فتسامهم ، وأحضرهم واحدا بعد واحد ، وعزهم بالضرب والاهانة ... فكان كل قليل يقع في بيته الضرب والاهانة لأفراد من الناس ، وكذلك فلاحو الحصص التي حازها والتزم بها ... فانه زاد في خراجهم عن شركائه ، يفرض عليهم زيادات ، ويجبسهم عليها شهورا ، ويضربهم بالكراييج .

وبالجملة فقد قلب الموضوع ، وغير الرسم المطبوع ، بعد أن كان منزلهم محل سلوك ورشاد ، وولاية واعتقاد ، فصار كبيت حاكم الشرطة ، يخافه من غلط أدنى غلطة ، ويتحاماه الناس من جميع الأجناس ... وجلساؤه ومراقفوه لا يعارضونه في شيء ، بل يوافقونه ، ولا يتكلمون معه إلا بميزان ، وملاحظة الأركان ، ويتأدبون معه في رد الجواب ، وحذف كاف الخطاب ، ونقل الضمائر عن وضعها في غالب الإلفاظ — بل كلها — حتى في الآثار المروية ، والإحاديث النبوية ... وغير ذلك من المبالغات وتحسين العبارات ، والوصف بالمناقب الجليلة ، والأوصاف الجميلة ... حتى أن السيد حسين المنزلاوى الخطيب ، كان ينشئ خطبا يخطب بها يوم الجمعة التي يكون المترجم حاضرا فيها بالمشهد الحسيني ، وبزاويتهم — أيام المولد — ويدرج فيها الاطراء العظيم في المترجم والتوسل به في كشف المهمات ، وتفريج الكرب ، وغفران الذنوب ! حتى اني سمعت قائلا يقول بعد الصلاة : « لم يبق على الخطيب الا أن يقول : اركعوا واسجدوا واعبدوا شيخ السادات » !

ولما قدمت الفرنساوية الى الديار المصرية في أوائل سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف لم يتعرضوا

له في شيء ، وراعوا جانبه ، وأفرجوا عن تعلقاته ، وقبلوا شفاعاته ، وتردد اليه كييرهم وأعازمهم . وعمل لهم ولآئهم ، وكنت أصحابه في الذهاب الي مساكنهم ، والتفرج على صنائعهم وقوشهم وتصاويرهم وغرائبهم ...

الى أن حضر ركب العثمانيين في سنة خمس عشرة ، وحصلت بينهم المصالحة على التتقال الفرنساوية من أرض مصر ، ورجوعهم الي بلادهم على شروط اشترطوها بينهم وبين وزير الدولة العثمانية ، ومنها حسابات تدفع اليهم ، وأخرى تخصم عليهم . وظن المترجم وخلافه اتمام الأمر والارتحال لا محالة . فعند ذلك لحقه الطمع ، فذكر مصلحة دفعها لكتاب جيشهم في نظير الافراج عن تعلقاته ، وأرسل يطلبها من «بوسليك» مدير الجمهور ، وكذلك ما قبضه ترجمانه . فقال : « هذه عوائد لا بد منها ، ودخلت في حساب الجمهور » . وتغير خاطرهم منه ، وكانت منه هفوة ، ترتب عليها بينهم وبينه الجفوة .

ولما انتقض الصلح ، وحصلت المفاقمة ، ووقعت المحاربة في داخل المدينة ، وترست العساكر الاسلامية ، وأهل البلد ، في النواحي والجهات ، وانقطع الجالب عن أهل البلد مدة ستة وثلاثين يوما - التزم أغنياء الناس وأصحاب المظاهر ، الاعلام والانفاق على المحاربين والمقاتلين في جهتهم ونواحيهم ، والتزم المترجم كغيره الانفاق على من حوله .

فلما انقضت أيام المحاربة ، وانتصر الفرنساوية ، ورجع الوزير ومن معه الى جهة الشام منهزمين ... فعند ذلك انتقم الفرنساوية من البارزين لهم بأخذ المسال بدلا عن الأرواح ، وقبضوا على المترجم وجسوه وأهانوه أياما ، وفرضوا عليه قدرا عظيما من المال ... قام بدفعه ، كما ذكرنا ذلك مفصلا في

مجله . وقيل ان الذي زاد الفرنساوية اغراء به ، مراد بيك ، حين اصططح معهم ، وعمل لهم ضيافة ببر الجيزة .

وسببه : أنه لما دهمت الفرنساوية ، وطلعوا الاسكندرية ، ووصل الخبر الى مصر .. اجتمع الأمراء بالمساطب ، وطلبوا المشايخ ليشاوروا في هذا الحادث ، فتكلم المترجم وخاطبهم بالتوبيخ ، وقال : « كل هذا سوء فعالكم وظلمكم . وآخر أمرنا معكم ملكتمونا للافراج » . وشافه مراد بيك « ... وخصوصا بأفعالك وتمديدك أفت وأمرائك على متاجرهم وأخذ بضائعهم واهانتهم » . فحقدها عليه ، وكنها في نفسه حتى اصططح مع الفرنساوية ، وألقى اليهم ما ألقاه . ففعلوا به ما ذكر .. وذلك في ثاني يوم الضيافة .

فلما رجع العثمانية في السنة الثانية الى مصر بعمونة الانكليز ، وصاروا بالقرب من المدينة ، حبسوا المترجم مع من حبس بالقلعة من أرباب المظاهر ... خوفا من احداثهم فتنة بالبلدة .

ومات ولده ، الذي كان سباه : محمد نور الله ، وهو معوق ومنوع ، فأذنوا له في حضوره جنازة ولده ، فنزل وصحبته شخص حرس منهم ، فلزمه حتى واره ، وعاد به ذلك الحرس الى القلعة وكان هذا الولد مراهقا له من العمر اثنتا عشرة سنة ... كان في أمله أن يكون هو الخليفة في بيتهم من بعده ، ويأبى الله الا ما يريد !

ولما انفصل الأمر ، وارتحل الفرنساوية من أرض مصر ، ودخل اليها يوسف باشا الوزير ومن معه ، تقدم المترجم يشكو اليه حاله وما أصابه ، وادعى الفقر والاملاق ... مع أن الفرنساوية لم يحجزوا عنه شيئا من تعلقاته وإيراده ، وجعل شكواه وما حصل له سلما للافراج عن جميع تعلقاته وإيراده من غير حلوان كغيره من

الناس ، وزاد على ذلك أشياء ومطالب ومسامحات ، ودعا الوزير الى داره ، وأفراد رجال الدولة الذين ييدهم مقاليد الأمور ، وعاد الى حالته فى التعاطف والكبرياء .

وارتحل الوزير بعد استقرار محمد باشا خسرو على ولاية مصر — وكان سموها — وكذلك شريف أفندى الدفتردار ، فرمح فى غفلتهما ، واستكثر من التحصيل والايراد ... الى أن تقلبت الأحوال ، وعادت للمصريين فى سنة ثمان عشرة ، ثم خروجهم ، وما وقع من الحوادث التى تقدم ذكرها .

واستقر محمد على باشا ، وثبتت قدمه بمعونة العامة والسيد عمر مكرم بمملكة مصر ، وشرع فى تمهيد مقاصده ، فكان السيد عمر يماقه . فدبر على اخراجه من مصر ، وجمع المشايخ ، وأحضر المترجم ، وخلع عليه وقلده النقابة ، وأخرج السيد عمر من مصر منفيا الى دمياط ... وذلك فى سنة أربع وعشرين . كما تقدم . ووافق فعله ذلك غرض المترجم ، بل ربما كان بمعونته لحقده الباطنى على السيد عمر ، وتشوفه الى النقابة ، وادعائه أنها كانت بيتهم ... لكون الشيخ أبى هادى تولاهما أياما ، ثم تولاهما بعده أبو الامداد ، ثم نزل عنها لمحمد أفندى البكرى الكبير — فلم يزل فى نفس المترجم التطلع لنقابة الاشراف ويصرح بقوله : « انها من وظائفنا القديمة » وأحضر بها مرسوما من دار السلطنة وأخفاه ولم يظهره مدة حياة محمد أفندى البكرى الكبير . فلما مات وتقلدها ولده محمد أفندى .. ادعاها وأظهر المرسوم ، وشاع خبر ذلك . فاجتمع الجرم الفير من الاشراف بالمشهد الحسينى ممانعين وقائلين : « لا لرضاء نقيبا ولا حاكما علينا » ، فلم يتم له مراده .. فلما توفى محمد أفندى الصغير ، ظن أنه لم يبق له فيها منازع ... فلا يشعر الا وقد تقلدها السيد عمر بمعونة مراد بك

وابراهيم بك ، لصحبته معهما ، ومراقبته لهما فى القرية حين كان المصريون بالصعيد . فبكت على ضغن وغيظ ، يخفيه تارة ويظهره أخرى ، وخصوصا وهو يرى أن السيد عمر فى ذلك ... دون ذلك بكثير .

فلما خرج الفرنسيون ، ودخل الوزير الى مصر ، وصحبته السيد عمر متقلدا للنقابة كما كان ، وانفصل عنها السيد خليل البكرى ، وارتفع شأن السيد عمر ، وزاد أمره بمباشرة الوقائع ، وولاه محمد على باشا ، وصار بيده الحل والعقد ، والأمر والنهى ، والمرجع فى الأمور الكلية والجزئية ... والمترجم يحقد عليه فى الباطن ويظهر له خلافه ، وهو الآخر كذلك ، كقول الشاعر :

أصادقه كرها ، ويظهر أنه

صديقى كرها .. والعداوة تشتد

ولست بمعتبد له بصداقة

كما أنه منى بها ليس يعتد

وذلك لآلى عالم ، وهو عالم ،

فعلنى منه انى مثله ضد

ولكننى أخشاه وهو يخافنى

فيخفى ويبدو بيننا بغض والود

فلما أخرج الباشا السيد عمر ، وتقلد المترجم النقابة ، وبلغ مأموله ... عند ذلك أظهر الكامن فى نفسه ، وصرح بالمكروه فى حق السيد عمر ومن ينتمى اليه أو يواليه ، وسطر فيه عرضا محضرا الى الدولة ، نسب اليه فيه أنواعا من الموبقات التى منها أنه أدخل جماعة من الأقباط فى دفتر الاشراف ، وقطع أناسا من الشرفاء المستحقين ، وصرف راتبهم للأقباط المدخلين .. ومنها : أنه تسبب فى خراب الاقليم واثارة الفتن ، وموالة البغاة المصريين ، وتعليمهم فى المملكة ... حتى أنه وعدهم بالهجوم على

البلدة يوم قطع الخليج في غفلة الباشا والناس والعساكر ، وأنه هو الذى أغرى المصريين على قتل على باشا برغل الطرابلسى حين قدم واليا على مصر ، وهو الذى كاتب الانجليز وطمعهم فى البلاد مع الألفى حين حضروا الى سكندرية وملكوها ونصر الله عليهم العساكر الاسلامية... وغير ذلك من عبارات عكس القضية ، وتنميق الأغراض النفسانية . وكتب الأشياخ عليه خطوطهم ، وطبعوا تحتها ختمهم ، ما عدا الطحطاوى الخنفى ، فانه تنحى عن الشرور ، وامتنع من شهادة الزور ، فأومعوه سخطا ومقتا ، وعزلوه من الافتاء .

وقد تقدم خبر ذلك فى حوادث سنة أربع وعشرين ، وانما المعنى باعادة ذلك هنا لتتمة لترجمة المشار اليه ، وحذرا من نقصها مع النسيان لأكثر جملة... فلو سلمت الفكرة من النسيان ، لفاقت سيرته كان وكان .

وفى سنة ست وعشرين أنشأ دارا عظيمة بجانب المنزل ، وصرف جملا من المال ، وأنشأ بها مجالس وقاعات ورواشن ومنافع ومرافق وفساقى ، وأنشأ فيها بستانا غرس فيه أنواع الأشجار المثمرة ، وأدخل به ما حازه من دور الأمراء المتخربة .

وكان السيد خليل البكرى اشترى دارا بدرب القرن ، وذلك بعد خروج الفرنساوية ، وخمول أمره وعزله من مشيخة البكرية والنقابة ، وأنشأ بها بستانا أيضا ، وأنشأ قصرا برسم ولده مطلا على البستان . فلما توفى السيد خليل ، تعدى على ولده سيدى أحمد وقهره ، وأخذ منه ذلك البستان بأبخس الأثمان ، وخلطه ببستان الدار الجديدة ، وبني سور وأحاطه ، وأقام حائطا بينه وبين دار المذكور ، وطمسها وأعمأها ، وسدت الحائط شبايك ذلك القصر وأظلمته . ولم يزل كلما طال عمره ، زاد كبره ، وقل بره ، وتعدى شره . ولما

ضعفت قواه تقاعد عن القيام لأعظم الناس اذا دخل عليه ، محتجا بالاعياء والضعف ، ولازم استعمال المنعشات والمركبات المفرحة ، ولا يصلح العطار ما أفسد الدهر !

وفى شهر شوال من السنة التى توفى فيها ، أحضر ابن أخيه سيدى أحمد الذى تولى المشيخة بعده ، وألبسه خلعة وتاجا ، وجعله وكيله عنه فى نقابة الأشراف ، وأركبه فرسا بعباءة ، وأرسله الى الباشا صحبة سيدى محمد ، المعروف بأبى ذفيه ، وأمامه جاويفية النقابة على العادة . فلما دخلا الى الباشا وعرفه الرسول بأن عمه أقامه وكيله عنه ، فقال : « مبارك » . فأشار اليه أن يلبسه خلعة ، فقال : « ان موكله ألبسه ولم يتقلدها بالاصالة ، ولو كنت قلدته أنا ، كنت أخلع عليه وألبسه » ، فقام ونزل الى داره التى أسكنه بها عمه ، وهى الدار التى عند المشهد الحسينى ، وحضر اليه الناس للسلام والتهنئة .

وفى هذه السنة أيضا ، عن للمترجم أن يزيد فى المسجد الحسينى زيادة مضافة لزيادته الأولى التى كان زادها فى سنة ست ومائتين وألف ، فهدم الحائط التى كان بناها الجنوبية ، وأدخل القطعة التى كان عمل بها الميضاة ، وزاد باكية أخرى ، وصف عواميد ، وصارت مع القديمة ليوانا واحدا . وشرع فى بناء دار عظيمة لينزل فيها وقت مجيئه هناك فى أيام المولد وغيره — عوضا عن الدار التى نزل عنها لابن أخيه — فتكون هذه بعيدة عن روائح الميضاة القديمة ، وتكون بالشارع ، وتمر من تحتها مواكب الأشاير ، ولا يحتاجون الى تعديهم المسجد ودخولهم من طريق باب القبة . وجعل بالحائط الفاصل بين الزيادة والدار المستجدة ، شبايك مظلة على المسجد ، لينظر منها المجالس والوقودات ، من يكون بالدار من الحريم وغيرهم .. فما هو الا وقد قرب اتمام

وكنته : أبو الاقبال — باجناع من الخاص والعام ،
وجلس هو وأخوه سيدى يحيى لتلقى العزاء .

وفي الصباح : حضر الى الرباط بالخرنقش
وكان بزاوية الرباط المذكور ، خلوة جدهم ... أقام
بها حين حضر من الغرب الى مصر . وعادتهم اذا
تولى شخص منهم المشيخة لابد أن يأتى فى
الصباح ، ويلخل الخلوة فيجلس بها حصة
لطيفة ، فيتروحن وتلبسه الولاية .

فلما كان المترجم هدم حائط تلك الخلوة ، زاعما
أنه خاتمة أوليائه ، وأنه لم يأت من يصلح للمشيخة
سواه ... وكأنه أخذ بذلك عهدا وميثاقا ، ولم يعلم
أن ربه لم يزل خلأقا ، وأن الولاية ليست بفعل
العبد ، ولا بالسعى والقصد . قال تعالى فى محكم
آياته : « الله أعلم حيث يجعل رسالته » ، وقال
سبحانه : « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون » ، « ان
أولياؤه الا المتقون » . نسأله التوفيق والهداية ،
والحفظ عن أسباب الغواية .

ولما كان ذلك ، وأحبوا اجراء العادة القديمة ،
حضر المتولى وصحبته أشياخ الوقت ، والسيد
محمد المحروقى ، وجناعة الحزب وغيرهم من
المتخرجين ، وقد جعلوا على محل الخلوة ساترا
— بدل الحائط المهودم — ودخل المتولى خلفها ،
وقرأ جماعة الحزب شيئا من القرآن ، ثم قام
النقيب مع الشيخ البكرى ، فتلقوا الشيخ ، فخرج
على الحاضرين متطيلسا ، وصافحهم ، وركب
بصحبته الى القلعة ، فخلع عليه كتخدا بىك خلعة
سمور ، وقاموا ونزلوا الى زاويتهم بالقرافة ،
وأمامهم جماعة الحزب ، وجاوشية النقابة ،
فجلسوا حصة ، وقرأوا أحزابهم ، ثم ركب ورجع
الى المنزل ، وجلس مع أخيه لعل المائم والقراءة
الجمعية على العادة .

ذلك الا وقد زاد به الاعياء والمرض ، وانقطع عن
النزول من الحرم ... وتمت الزيادة ، ولم يبق الا
اتمام الدار ، فيستعجل ويشتم المشد والمهندس ،
وينسب اليهم اهمال استحثاث العمال ويقول : « قد
قرب المولد ، ولم تكمل الدار ، فأين لجلس أيام
المولد ؟ » . هذا وكل يوم يزيد مرضه ، وتورمت
قدماء ، وضعف عن الحركة ... وهو يقول ذلك
ويؤمل الحياة !

فلما زاد به الحال ، وتحقق الرحيل الى
مغفرة المولى الجليل ، أوصى لأتباعه بدرهم ،
ولذى الفقار — الذى كان كتخدا الألفى ، والآن فى
خوالة بستان الباشا الذى بشبرا — بخمسمائة ريال
لكون زوجته خشداشة حريمه ، وهما من جوارى
اسماعيل بىك الكبير ، وليكون مغينا لها ومسياعدا
فى مهماتها ، ولسيدى محمد أبى ذفية مثلها فى نظير
خدمته وتقيدته وملازمته له . وأوصى ألا يغسل
الا على سريريه الهندى الذى كان ينام عليه فى
حياته ليكون مخالفا للعالم .. حتى فى حال الموت !

فلما كان يوم الاحد ثامن عشر ربيع الأول من
السنة انقضى نحبه ، وتوفى الى رحمة الله تعالى ،
وقت العصر ، وبات بالمنزل ميتا . فلما أصبح يوم
الاثنين ، غسل وكفن — كما أوصى — على
السرى ، وخرجوا بجنازته من المنزل ، ووصلوا
بها الى الأزهر ، فصلى عليه ، بعد ما أنشد المنشد
مرثية من انشاء العلامة الشيخ حسن العطار ،
وجعل براعة استهلالها الاشارة الى ما كان عليه
المترجم من التعاضم والتفاخر فقال : « سلام على
الدنيا فقد ذهب الفخر » ، ثم حمل الى مشهد
أسلافه بالقرافة ، ودفن فى التربة التى أعدها لنفسه
بجانب مقام جدهم .

وتقلد مشيخة سجادتهم فى ذلك اليوم السيد
أحمد بن الشيخ يوسف — وهو ابن عمه وعصبته ،

وأرسل كتحدا بيك ساعيا بخبر مونه الى الباشا بالفيوم ... لأنه لما سافر الى جهة قبلى ، ووصل الى ناحية بنى سويف ، ركب بغلة سريعة العدو ، وركب خلفه خواصه بالهجن والبغال ، فوصلها فى أربع ساعات ، وانقطع أكثر المتوجهين معه ، ومات منهم سبعة عشر هجينا . ورجع الساعى بعد ثلاثة أيام بجواب الرسالة ومضمونها : عدم التعرض لورثة المتوفى ، حتى يقدم الباشا من غيبته . فبقى الأمر على السكوت أربعة عشر يوما .

وحضر الباشا ليلة الأحد ، ثامن ربيع الآخر ، فبجرد وصوله الى الجيزة . أرسل بالختم على منزلهم ، فما يشعرون الا وحسين ، كتحدا كتحدا بيك وبيت المال ، واصل اليهم ومعه آخرون ، فختموا على المجالس التى بالحريم ، ومجلس الجلوس الرجالى ... ختموا على خزائنه ، وقبضوا على الكاتب القبطى ، المسمى « عبد القدوس » والفراش ... وحبسوهما .

وعدى الباشا من ليلته الى بر مصر ، وطلع الى القلعة . فركب اليه فى صباحها المشايخ ، وصحبتهم ابن أخى المتوفى — وهو الذى تولى المشيخة — فخطبوه ، وقالوا له كلاما معناه أن يبيوت الأشياء مكرمة ، ولم تجر العادة بالختم على أماكنهم ، وخصوصا أن هذا المتوفى كان عظيما فى بابہ ، وأنتم أخبر به ، وكان لكم به مزيد عناية ومراعاة ، فقال : « نعم .. انى لا أريد اهانة بيتهم ، ولا أطمع فى شئ مما يتعلق بشيختهم ، ولا وظائفهم القديمة . ولا يخفاكم أن المتوفى كان لماعا وجماعا للمال ، وطالت مدته ، وحاز التزامات واقطاعات ، وكان لا يجب قرابته ، ولا يخصهم بشئ ، بل كتب ما حازه لزوجته ، وهى جاريه نهاية ثمنها ألفا قرش أو أقل أو أكثر ، ولم يكتب لأولاد

أخيه شيئا ... فلا يصح أن أمة تختص بذلك كله ، والخزينة أولى به لاحتياجات مصاريف العساكر ، ومحاربة الخوارج ، واستخلاص الحرمين ، وخزينة السلطان ... وأنا أرفع الختم رعاية لخواطركم » !

فدعوا له ، وقاموا الى مجلس الكتحدا ، وخلص على الشيخ المتولى فروة سمور أخرى ، وقلد السيد محمد الدواخلى نقابة الأشراف ، وخلص عليه فروة سمور عوضا عن سيدى احمد أبى الاقبال ، المتولى على خلافة السادات ، فانفصل من النقابة ، ونزلت الجاويشية ولوازم النقابة — مثل باش جاويش والكاتب — أيام الدواخلى وخلفه . وقلد السيد المحروقى نظارة المشهد الحسينى عوضا عن المتوفى . وكان فرغ بها لابن أخيه ، فلم ينفذ الباشا ذلك .

وفى ثانى يوم حضر الأعوان الى بيت السادات ، وفكوا الختم ، وطلبوا سقاء الحرير ، فأخذوه معهم ، وأوجعوه بالضرب ، وأحضروا البناء ، وسألوهما عن محل الخبايا ثم رجعوا الى المنزل ، ففتحوا مخبأة مسدودة بالبناء ، فوجدوا بها قوالب مساند قطيفة غير محشوة ، ووجدوا نحاسا وقطنا وأوانى صينية ، فتركوا ذلك وذهبوا ، وأبقوا بالدار عدة من العسكر ، فباتوا بها .

ثم رجعوا فى ثالث يوم ، وفتحوا مخبأة أخرى فوجدوا بها أكياسا مربوطة ، فظنوا بداخلها المال ففتحوها ، فوجدوا بها بن قهوة ، وبغيرها صابون وشموع عسل ، ولم يجدوا شيئا من المال ، فتركوا تلك الأشياء ، ونزلوا الى قاعة جلوسه ، وفتحوا خزانة فوجدوا بها نقودا ، فعدوها وحصروها فبلغت مائة وسبعة وعشرين كيسا ، فأخذوها .

واستقر المشار اليه في المنزل ، خليفة وشيخا على
سجادتهم ومحل سيادتهم ، ومسكن معه أخوه سيدي
يحيى ، زادهما الله توفيقا وخيرا واتفاقا ، وأشرق نجم
المتصدر على أفق السعادة اشراقا ، فهو أبو الأقبال
المتطلى بالجمال والكمال .

في المهد ينطق عن سعادة جده
أثر النجاة واضح البرهان
ان الهلال اذا رأيت نسوه
أيقنت أن سيزيد في اللعان

ومات الشيخ النامك : محمد بن عبد الرحمن
البومى المغربى . ورد الى مصر وجج ورجع ، ونزل
بدار الحاج مصطفى الهجين العطار ، منجمعا عن
خلطة الناس ، والسعى على طريقة حميدة ، ومذاكرة
حسنة . ويأتى اليه الناس يزورونه ، ويتبركون به
ويسألونه الدعاء ، ويستفهمون منه مسائل ...
فيجيب كل انسان بما ينسره منه ، بتواضع وانكسار
وتزهد في الدنيا . وتمرض سنينا ، وتوفى يوم
الثلاثاء ثامن عشرين المحرم ، وصلى عليه بالأزهر
في مشهد حافل ، ودفن بجانب الخطيب الشرينى ،
بترية المجاورين ، وهى القرافة الكبرى .

ثم سعى السيد محمد المحروقى
في مصالحة الباشا حتى قرر عليهم ألف كيس
وخمسين كيسا وخمسة أكياس برانى لبيت المال ،
وخصموا منها الذى وجدوه بالخزائن ، وطولوا
بالباقى ... وذلك بعد التشديد والتهديد على
الزوجة ، وتوعدها بالتفريق في البحر ان لم تظهر
المال .

وأمر الكاتب بحساب ايراده ومصرفه في كل
سنة ، وما صرفه في الأبنية ، وينظر ما يتبقى بعد ذلك
في مدة سنين ماضية ... فلم يزل السيد محمد
المحروقى يدافع ويسعى حتى تقرر القدر المذكور ،
والتزم هو بدفعه ، وحولت هليته الحوالات .
وضبط الباشا حصص الالتزام التى كتبت باسم
الزوجة ، ومنها قلقشندة بالقليوبية ، وسوادة
ودفرينة بالجهة القبلية ، وغير ذلك .

وبعد انقضاء عدة الزوجة ، استأذن السيد
المحروقى الباشا فى عقد نكاحها على ابن أخى
المتوفى ... الذى هو السيد احمد أبو الأقبال ،
الذى تولى خلافة بيتهم ، فادن بذلك .
فحضر فى الحال وأجرى العقد بعد أن حكمت عليه
بطلاق التى فى عصمته ، وهى جاريتها ، زوجته بها فى
حياة عمه ، ورزق منها أولادا .

المحرم

الجمعة ٨ منه (٢١ ديسمبر ١٨١٢ م) :

وردت مكاتبات من الديار الحجازية ، وفيها الاخبار بأن الباشا قبض على الشريف غالب ، أمير مكة ، وقبض على أولاده الثلاثة ، وأربعة عبيد طواشية من عبيده ، وأرسلهم الى جدة ، وأنزهم في مركب من مراكبه ، وهي واصلة بهم . والذي وصل بالخبر وصل في مركب صغيرة تسمى « السبحان » سبقتهم في الحضور الى السويس .

وأخبروا أيضا في المكاتبة : أنه لما قبض عليهم ، أحضر يحيى ابن الشريف سرور وقلده الامارة عوضا عن عمه غالب ، وقبضوا أيضا على وزيره الذي بجدة ، وأصبحوه معهم ، وقلد مكانه في الكمارك شخصا من الأتراك ، يسمى على الوجاقل .

فلما وصل الهجان بهذه المكاتبة الى السيد محمد المحروقي ليلا ، ركب من وقته الى كتخدا بيك في بيته ، وأطلعته على المكاتبات . فلما طلع النهار — نهار يوم الجمعة — ضربوا عدة مدافع من القلعة اعلاما وسرورا بذلك .

وفيه : احتفل كتخدا بيك بعمل مهم أيضا لزواج اسماعيل باشا ، ابن محمد علي باشا ، ومحمد بيك الدفتردار على ابنة الباشا ، واسماعيل باشا ، على ابنة عارف بيك ابن خليل باشا ، التي أحضرها صحبتته من اسلامبول . وقد

تقدم ذكر العقد عليهما في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان من السنة الماضية ، قبل توجه الباشا الى الحجاز .

فألزم كتخدا بيك ، السيد محمد المحروقي ، بتنظيم الفرح والاحتياجات واللوازم واتفقوا على أن يكون نصبة الفرح ببركة الأزيكية — تجاه بيت حريم الباشا وطاهر باشا — وتعمل الولائم ، واجتماع المدعوين ببيت طاهر باشا ، والمطبخ بخرائب بيت الصابونجي . وأرسلوا أوراق التنايه للمدعوين على طبقات الناس بالترتيب ، ونصبوا بوسط البركة عدة صواري لأجل الوقفات والقناديل التي تعمل عليها التصاوير من القناديل ... فترى من البعد صورة مركب ، أو سبعين متقابلين ، أو شجرة ، أو محمل على جمل ، أو كتابة مثل « ماشاء الله » ونحو ذلك

وصفوا بوسط البركة عدة مدافع ، صفين متقابلين ، ونصب بهلوان الجبل جبله : أوله من تجاه بيت الباشا ، وآخره برأس المنارة التي جهة حارة الفوالة خلف رصيف الخشاب ، حيث الأبنية المتخربة في الحوادث الماضية ، بالقرب من القشلة ، وعمارات محمد باشا خسرو التي لم تكمل ... و بهلوان آخر شامى بالناحية الأخرى . وانتقل السيد محمد المحروقي من داره الى بيت الشرايبي — تجاه جامع أزيك — لأجل مباشرة المهمات . فلما أصبح يوم السبت — وهو يوم الابتداء ودعوة الأشياء — رتبوهم فرقتين : فرقة تأتي ضحوة النهار ، وأخرى بعد العصر . واجتمع بالأزيكية أصناف أرباب الملاعب والمغزلكين

والجنباذية والحبيظية والحواة والقرداتية والرقاصين والبرامكة ، وغير ذلك أصناف وأشكال ... فاحتفلت . وأقبل من كل ناحية أصناف الناس . رجال ونساء ، وأقارب وأباعد ، وأكابر وأصاغر ، وعساكر وفلاحون ، ويهود ونصارى وأروام ... لأجل التفرج ، حتى ازدحمت الطرق الموصلة الى الأزبكية من جميع النواحي بأصناف الناس الذاهبين والراجعين والمترددن . واستمر ضرب المدافع من ليلة السبت المذكور الى ليلة الجمعة التالية الأخرى ، ليلاً ونهاراً ، والحرائق والنفوط والسواربخ في الليل . ولعبت أرباب الملاعب والبهلوانات على الجبال . وكذلك احتفل النصارى ، وعملوا وقداث وحراقات تجاه حاراتهم ومساكنهم ، وصادف ذلك عيد الميلاد ، وعملوا لهم مراجيح وملابيح .

وفي أثناء ذلك : وقع التنبيه على أصحاب الحرف والصنائع بعمل عربات مشككة ومشكلة بحرفتهم وصنائعهم ليمشوا بهم في زفة العروس . فاعتنى أهل كل حرفة وصناعة بتنسيق وتزيين شكله ، وتباهوا وتناظروا ، وتفاخروا على بعضهم البعض .

فكان كل من سولت له نفسه ، وحده الشيطان بأحداث شيء ... فعله ، وذهب الى المتعين لذلك ، فيعطيه ورقة ... لأن ذلك لم يكن لأناس مخصوصة أو عدد مقدر ، بل بتحكيماتهم ، والزام بعضهم البعض . فيفرض رئيس الحرفة على أشخاص أهلها فرائض ودراهم يجمعها منهم ، وينفقها على العرب ، وما يلزمها من أخشاب وجبال وحير أو خيل أو رجال يسحبونها ، وما يكثره أو يستميره لزيئتها من المزركشات والمقصبات والطلعيات ، وأدوات الصنعة التي تتميز بها عن غيرها ، فتصير في الشكل كأنها حانوت والبائع جالس فيها : كالحلواني وأمامه الأواني فيها أنواع

الحلوى والسكري ، وحوله أواني الملبس السكر معلقة حوله ، والشربات والشربتلو والحريري والعقاد البلدي والروى والزباد والنجار والخياط والقزاز والعاك ، وهو ينشر الخشب بمتشار ، المعلق ، والفران ، ومعه الفرن ، وهو يخبز والفظاطرى والجزار ، وحوله لحم الغنم . جزار الجاموس والكبابجي والنيفاوي الجبن والسك ، والجيارين والجباسين . والثور يدور به وهو ماش بالعربة ، والبنا والمبيض للنحاس وللبناء ، والسمكري احدى وتسعون عربة ، وفيهم حتى المر قنجة كبيرة كاملة العدة والقلوغ ، ته الأرض على العجل ، خلاف أربع عربات الم بالعروس !

فلما كان يوم الأربعاء ، سحبوا تلك الوانجروا بمواكبهم وطبولهم وزمورهم ، وعربه أهل حرفتها وصناعها ، مشاة خلف والزمر ، وهم مزينون بالملابس ، وملابسهم — وأكثرها مستعارة — فكانوا ينزلون الى من ناحية باب الهواء ، ويمرون من تحت بين

الى ناحية رد الخشاب . ويأت الحرفة بورقة المتعين . للملاقاتهم عليه بخلمة ود فيعطى البعض ش كشميرى وألفين والبعض طاقة تفا قطنى أو أربعة جوخ — على قد الصنعة وأهلها



مسير الحرفة

الأحد ١٧ منه (٩ يناير ١٨١٤ م) :

وصل السيد غالب — شريف مكة — الى مصر القديمة . وقد أتت به السفينة من القلزم الى مرساة ثغر القصير ، فتلقاها ابراهيم باشا ، وحضر صحبته الى قنا وقوص ، ثم ركب النيل بمن معه من أولاده وعبيده ، والعسكر الواصلون صحبته ، وحضر الى مصر القديمة . فلما وصل الخبر الى كتخدا بيك ، ضربوا عدة مدافع من القلعة اعلاما بوصوله واكراما ... على حد قوله تعالى : « ذق انك انت العزيز الكريم » .

وركب صالح بيك السلحدار ، وأحمد أغا — أخو كتخدا بيك — في طائفة لملاقاته واحضاره ، وهياؤا له مكانا بمنزل أحمد أغا — أخى كتخدا بيك — بعطفة ابن عبد الله بيك بخط السروجية ، لينزل فيه ، وانتظروا الكتخدا هناك ، وصحبته بونا بارت الخازندار ، ومحمود بيك ، ومحو بيك ، وابراهيم أغا أغات الباب ، والسيد محمد المحرقى . فلما وصل الى الدار، نزل الكتخدا والجماعة ولاقوه عند مسلم الركوبة ، وقبلوا يده . ولزم الكتخدا يده تحت ابطه ، حتى صعد الى محل الجلوس الذى أعدوه له . واستمر الكتخدا قائما على قدميه ، حتى أذن له فى الجلوس هو وباقى الجماعة . وعرفه الكتخدا عن السيد محمد المحرقى ، فتقدم وقبل يده ... فقام له ، وسلم عليه ، وجلس بجذاء الكتخدا ليترجم عنه فى الكلام ويؤانسوه ، ويطمئنونوا خاطره . ثم ان الكتخدا اعتذر له باشتغاله بأحوال الدولة ، واستأذنه فى الذهاب الى ديوانه ، وعرفه أن أخاه نوب عنه فى الخدمة ولوازمه ... فقبل عذره . وقام منصرفا هم وباقى الجماعة ، ما عدا السيد محمد المحرقى ، ومحمود بيك ، فان الكتخدا أمرها بالتخلف عنده ساعة ، فجلسا معه ، وتفديا صحبته ، ومعه أولاده الثلاثة وعبيده ، ثم انصرفا الى منزلها . ولم ياذن

واستمر مرورهم من أول النهار الى بعد الغروب ، واصطفوا بأسرهم عند رصيف الخشاب .

ولما أصبح يوم الخميس ، رتبوا مرور الزفة ، وعين لترتيبها أشخاصا ، ومنهم السيد محمد ضرب الشمس — وهو كبير المنظمين — وكان خروجها من بيت الحريم ، وهو الذى كان سكن الشيخ خليل البكرى ، وذهبوا وانجروا على طريق الموسكى ، على تحت الربع ، الى باب زويلة ، الى الغورية ، الى بين القصرين ، الى سوق مرجوش ، الى باب الحديد ، الى بولاق ، الى سراية اسماعيل باشا التى جدوها قبل بولاق قريبا من الشون ... فلم تصل الى منزلها الا عند الغروب .

وكان فى أول الزفة طائفة من العسكر الدلاة ، ثم والى الشرطة ، ثم المحتسب ، ثم موكب أغات اليكجرية ، وبعدهم المبخاخ والنقاير — وعدتها عشرة نقاير — وعلى كل نقارة تفصيلة ، ثم العربات المذكورة ، وفيها أيضا تجار الغورية ، وطائفة تجار خان الخليلى — فى موكب حفل — وتجار الحمزاوى من نصارى الشام وغيرهم . وكان يوماً مشهودا ، اجتمعت فيه الخلائق للفرجة فى طرقها ، حتى طريق بولاق ، واكثرى الناس الأماكن المظلة على الشوارع والحوانيت بأعلى الأثمان

ولما وصلت العروس الى قصرها ، ضربوا عدة مدافع من بولاق والأزبكية والجيزة . وكان العزم على عمل المهم الثانى ، والابتداء فيه من يوم السبت الذى بعد الجمعة ، فرسموا بتأخيرها الى الجمعة الأخرى لتأخر أم العروس ومن بصحبها من النساء ، وأقمن ببولاق تلك الجمعة ، واستمرت لصبغة الصوارى والجمال والآلات ، على حالها ، بالأزبكية .

الكتخدا لأحد من الأشياخ أو غيرهم من التجار
بالسلام عليه ، والاجتماع به .

والذى بلغنا فى كيفية القبض عليه : أنه لما ذهب
الباشا الى مكة ، واستمر هو وابنه طوسون باشا
مع الشريف غالب على المصادقة والمسالمة والمصافاة ،
وجدد معه العهد والأيمان فى جوف الكعبة : بأن
لا يخون أحد صاحبه . وكان الباشا يذهب اليه
فى قلة ، وهو الآخر يأتى اليه والى ابنه كذلك ،
واستمروا على ذلك خمسة عشر يوما من ذى
القعدة ... دعاه طوسون باشا اليه ، فأتى اليه
كعادته فى قلة ، فوجد بالدار عساكر كثيرة ، فعند
ما استقر به المجلس ، وصل عابدين بيك فى عدة
وافرة ، وطلع الى المجلس ، فدنا منه ، وأخذ
الجنبيية من حزامه ، وقال له : « أنت مطلوب
للدولة » . فقال : « سمعا وطاعة ، ولكن حتى أقضى
أشغالى فى ظرف ثلاثة أيام وأنوجه » . فقال : « لا
سبيل الى ذلك » ، والسفينة حاضرة فى انتظارك !
فحصل فى جماعة الشريف وعبيده رجة ،
وصعدوا على أبراج سرايته ، وأرادوا الحرب .
فأرسل اليهم الباشا يقول لهم : « ان وقع منكم
حرب ، أحرقت البلدة ، وقتلت أستاذكم » . وأرسل
لهم أيضا الشريف يكفهم عن ذلك ، وكان بها أولاده
الثلاثة ، فحضر اليهم الشيخ أحمد تركى ، وهو من
خواص الشريف وخدمهم ، وقال لهم : « لم يكن
هناك بأس ، وانما والدكم مطلوب فى مشاورة
مع الدولة ويعود بالسلامة ... وحضرة الباشا يريد
أن يقلد كبيركم — نيابة عن أبيه — الى حين
رجوعه » .

ولم يزل حتى انخدع كبيرهم لكلامه ،
وقاموا معه ، فذهب بهم الى محل خلاف الذى به
والدهم ... محتفظا بهم . وفى الوقت أحضر الباشا
الشريف يحيى بن سرور — وهو ابن أخى الشريف

غالب — وخلع عليه ، وقلده امارة مكة ، ونودى فى
البلدة باسمه . وعزل الشريف غالب حسب الأوامر
السلطانية ، واستمر الشريف غالب أربعة أيام عند
طوسون باشا ، ثم أركبوه وأصحبوا معه عدة من
العسكر ، وذهبوا به وبأولاده الى بندر جدة ،
وأزولهم السفينة ، وساروا بها من ناحية القصير
من صعيد مصر ، وحضر كما ذكر .

الأربعاء ٢٠ منه (١٢ يناير ١٨١٤ م) :

وصل قاصد من الديار الرومية ، وعلى يده
مثالان ، فعمل كتخدا بيك ديوانا فى صبيحة يوم
الخميس حادى عشرينه ، وقرئ ذلك . وهما مثالان
يتضمن أحدهما : التقرير لمحمد على باشا على ولاية
مصر على السنة الجديدة ، والثانى : الاخبار
والبشارة باستيلاء العثمانيين على بلاد الصرب . ولما
فرغوا من قراءتهما ضربوا عدة مدافع من القلعة .

وفى عصرية ذلك اليوم : حضر حريم الباشا من
بولاق الى الأزبكية فى عربات ، فضربوا الحضورهن
مدافع من الأزبكية ، وشرعوا فى عمل المهم الثانى
لابنة الباشا على الدفتردار ، وافتتحوا ذلك من ليلة
السبت — على النسق المتقدم — وعملوا العزائم
والولائم ، واحتفلوا أزيد من المهم الأول .
وأحضروا الشريف غالب ، وأعدوا له مكانا ببيت
الشرابيى — على حدته — هو وأولاده ، ليتفرجوا
على الملاعب والبهلوانات نهارا ، والشنك والحراقات
ليلا . وعلى الشريف وأولاده الحرس ، ولا يجتمع
بهم أحد ، على الوجه والصررة التى كانوا عليها
بالمنزل الذى أنزلوا فيه .

وفيه : اجتمع أرباب العربات وأصحابها ، وقد
زادوا عن الأولى خمس عشرة عربة — وفيهم معمل
الزجاج — وباتوا بنواحي البركة ، على النسق
المتقدم ، ونصبوا لهم خياما تقيهم من البرد والمطر ،
لأن الوقت شات .

الخميس ٢١ منه (١٢ يناير ١٨١٤ م) :

ولما أصبح يوم الخميس انجرت العربات ، وموكب الزفة من ناحية باب الهواء ، على قنطرة الموسيقى ، على باب الخرق ، على درب الجمايز . وعطفوا من الصليية على المظفر ، على السروجية ، على قصبة رضوان بيك ، على باب زويلة ، على شارع النورية ، على الجمالية ، على سوق مرجوش ، على بين السورين ، على الأزيكية ، على باب الهواء ... الى المنزل الذى أعده لهما ، وهو بيت ابنة اسماعيل بيك ، وهى بنت ابراهيم بيك ، وكانت متزوجة باسمايل بيك ، ولما مات تزوج بها مملوكه محمد أغا — ويعرف بالألفى — وقد تولى أغاوية مستحفظان فى هذه الدولة ، واعتنى بهذه الدار ، وعمر بها مكانين بداخل الحريم ، وزخرفها ونقشها نقشا بديعا — صناعة صناعات العجم — واستمروا فى نقشها سنتين . ولما ماتت المذكورة فى أوائل هذه السنة ، واستمر هو ساكنا فيها ، وأنزل الباشا عنده القاضي المنفصل عن قضاء مصر ، المعروف ببهجة أفندى ، وقاضى مكة « صادق أفندى » حين حضر من اسلامبول ثم أمره الباشا بالخروج منها وإخلاؤها ، لأجل أن يسكن بها ابنته هذه المزفوفة ، فخرج منها فى أوائل شوال ، وكذلك سافر القاضيان الى الحجاز ، بصحبة الباشا ، وعند ذلك ييضاها ، وزادوا فى زخرفتها ، وفرشوها بأنواع الفرش الفاخرة ، ونقلوا اليها جهاز العروس والصناديق ، وما قدم اليها من الهدايا والأمتعة والجواهر والتحف ، من الأعيان وحرمايتهم ... حتى من نساء الأمراء المصريين المنكوبين ! وقد تكلفوا فوق طاقتهم ، وباعوا واستدانوا وغرموا فى النقوش والتقادم والهدايا فى هذين المهمين ، ما أصبحوا به مجردين ومديونين .

وكان اذا قدمت إحدى المشهورات منهن هديتها عرضوها على أم العروسين ، التى هى زوجة الباشا ، فقلبت ما فيها من المصاغ المجوهر ، والمقصبات وغيرها ... فان أعجبتها تركتها ، والا أمرت بردها ، قائلة : « هذا مقام فلانة التى كانت بنت أمير مصر ، أو زوجته ؟ » ، فتكلف المسكينة للزيادة ونحو ذلك ، مع ما يلحقها من كسر خاطر ، وانكساف البال .. ثم أدخلوا العروس الى تلك الدار عندما وصلت بالزفة .

ومما حصل : أنه قبل مرور موكب الزفة بيومين ، طاف أصحاب الشرطة ، ومعهم رجال ، وبأيديهم مقياس ... فكلما مروا بناحية أو طريق يضيق عن القياس ، هدموا ما عارضهم من مساطب الدكاكين أو غيرها ، من الجهتين ، لاتساع الطريق لمرور العربات والملاييب وغيرها ، فأتلفوا كثيرا من الأبنية . ونودى فى يوم الأربعاء بزينة الحوانيت والطرق التى تمر عليها الزفة بالعروس .

ومما حصل من الحوادث المساوية : أن فى يوم الخميس المذكور ، عندما توسطت الزفة فى مرورها بوسط المدينة ، أطبق الجو بالغيام ، وأمطرت السماء مطرا غزيرا ، حتى تبهرت الطرق ، وتوحدت الأرض ، وابتلت الخلائق من النساء والرجال المتجمعين للفرجة ... وخصوصا الكائنين بالسقائف وفوق الحوانيت والمساطب . وأما المتعينون بالمشى فى الموكب ولا بد ... الذين لا مفر لهم من ذلك ولا مهرب ، فاختل نظامهم ، وابتلت ثيابهم ، وتكدرت طباعهم ، وانتفضت أوضاعهم ، وزادت وساوسهم ، وتلفت ملابسهم . وهطل الغيث على الأبرسم والحرير ، والشالات الكرخانة ، والسليمى والكشمير ، وما زينت به العربات من أنواع المزركش والمقصبات ، وثفنت على من بداخلها من القيان والأغاني الحسان .. وكثير من الناس وقع بعد ما ترحلوا ، وصار ثوبه

فالتهب بالنار ، وسرت الى باقى الأحمال ، فالتهب الجميع ، وصعد الى عنان السماء ... فاحترقت المشيئة المظلة على الشارع ، وما بناحيتهما من البيوت ، والذي أسفلها من الحوانيت ، وكذلك من صاذف مروره فى ذلك الوقت ، واحترق ذلك العسكرى والجمال فيمن احترق . واتفق مرور امرأة من النساء المحتشمات مع رفيقتها ، فاحترقت ثيابها مع رفيقتها ، وذهبت تجرى والنار ترعى فيها ، وكانت دارها بالقرب من تلك الناحية ، فما وصلت الى الدار حتى احترق ما عليها من الثياب ، واحترق أكثر جسدها ، ووصلت الأخرى بعدها وهى محترقة وcriانة ... فماتت من ليلتها ، ولحققتها الأخرى فى ضحوة اليوم الثانى .

ومات فى هذه الحادثة أكثر من المائة نفس ، من رجال ونساء وأطفال وصبيان . وأما الجمال فأخذوها الى بيت أبى الشوارب — وهى سود محترقة الجلود ، وفيها من خرجت عينه — فاما يعالجوها أو ينحروها ... وكل هذا الذى حصل من الحرق والموت والهدم فى طرفه عين .

الاثنين ٢ منه (٢٤ يناير ١٨١٤ م) :

وصل مصطفى بيك ، أمير ركب الحجاج ، الى مصر ، وترك الحجاج بالدار الحمراء ، فبات فى داره ، وأصبح عائدا الى البركة ، فدخل مع المحمل يوم الأربعاء ، ودخل الحجاج ، وأتبعهم بحيث أنه أخذ المسافة فى أحد وعشرين يوما .

وسبب حضور المذكور ، أنه ذهب بمساكره وعساكر الشريف من الطائف الى ناحية تربة ، والمتأمر عليها امرأة ، فحاربتهم ، وانهمز منها شر هزيمة فحقن عليه الباشا ، وأمره بالذهاب الى مصر مع المحمل .

وفيه : أرسل الباشا يستدعى ثنتين أو ثلاثا — عينهن — من محاطيه ، وصحبتهن خمس من

بالوحد أبلق ومنهم من ترك الزفة ، وولى هاربا فى عطفة ، يمسح يديه فى الحيط ، بما تلتطخ بها من الرملط . وتعارجت الحمير ، وتعثرت البياجير ، وانهدم تنور الزجاج ، ولم ينفع به العلاج ، وتلف للناس شئ كثير ، ولا يدفع قضاء الله حيلة ولا تدبير !

ولم تصل العروس الى دارها ، الا قبيل دنو الشمس من غروبها . وعند ذلك انجلى الجو ، وانكشفت بيوت النو . ووافق ذلك اليوم ثالث عشر طوبة ، من شهور القبط المحسوبة ، وحصل بذلك الفيث العميم ، النفع لمزارع الغلة والبرسيم . وفيه : وردت مكاتبات من العقبة فيها الأخبار بوصول قافلة الحج ، صحبة المحمل ، وأميرها مصطفى بيك دالى باشا .

الجمعة ٢٩ منه (٢١ يناير ١٨١٤ م) :

وصل كثير من الحجاج الأتراك وغيرهم ، وردوا فى البحر الى بندر السويس . ووصل تابع قهوجى باشا ، وأخبر عنه أنه فارق مخدمه من العقبة ، ونزل فى مركب مع أم عابدين بيك ، وحضر الى السويس .

صفحة

الأحد غرته (٢٣ يناير ١٨١٤ م) :

ما وقع فى ذلك اليوم من الحوادث : أن صناع البارود ، الكائنين بباب اللوق ، حملوا نحو عشرة أجمال من الجبال ، أوعية ملأنة بارود — وهى الظروف المصنوعة من الجلود التى تسمى البطط — يريدون بها القلعة ، فمروا من باب الحرق الى ناحية تحت الربع . فلما وصلوا تجاء معمل الشمع ... وبصحبة الجمال شخص عسكرى ، فتشاجر مع الجمال ، ورد عليه القول ، فحقن منه ، فضربه بفرد الطبنجة فأصابته إحدى البطط ،

بذلك تعب للمتسبين الفقراء ، والقطاعين ، ومن يشتري بالقنطار أو دونه . فهذه المناداة يدفع المشتري ما يشاء من جنس المعاملات : قروشاً أو ذهباً أو فرائسة ، أو أى صنف من المعاملات ، ويحسبه المعاملة والريال المعروف بين الناس — الذى صرفه تسعون نصفاً فضة — وإذا سعى سعر القنطار فلا يسمى الا بهذا الريال . وهذه المناداة بإشارة السيد محمد المحروقي ، بسبب ما كان يقع من تعطيل الأسباب .

وفيه : سافر محمود بيك ، وصحبته المعلم غالى ، للكشف عن قياس الأراضى البحرية ، التى نزل إليها القياسون بصحبة مباشرهم من النصارى والمسلمين — من وقت انحصار الماء عن الأراضى — وانتشروا بالأقاليم البحرية ، وهم يقيسون بقصبة تنقص عن القصبة القديمة .

الاثنين ٩ منه (٢١ يناير ١٨١٤ م) :

وصل حريم الشريف غالب من السويس ، فأزلهون بيت السيد محمد المحروقي ... وعدتهن خمس : احدهن جارية بيضاء ، والأربع حبشيات ، ومعهن جوارى سود وطواشية ، وحضر اليهم سيدهم وصحبته أحمد أغا أخو كتخدا بيك وصحبته نحو العشرين نفراً من العسكر . واستمر الجميع مقيمين بمنزل المذكور ، وهو يجرى عليهم النفقات اللائقة بهم والمصاريف ، وفصل لهم كساوى من مقصبات وكشيري تفاصيل هندية .

السبت ١٤ منه (٥ فبراير ١٨١٤ م) :

خرج محو بيك الى ناحية الآثار بعساكره ، ليسافر من ساحل القصير الى الحجاز ، باستدعاء الباشا . فاستمر مقيماً هنالك عدة أيام — لمخالفة الريح — وارتحل فى أواخره .

وفى أوائل هذا الشهر ، بل والذى قبله ، عملوا كورتيلة فى سكندرية ودمياط .

الجوارى السود ، الاسطاوات فى الطبخ وعمل أنواع الفطور ، فأرسلوهن فى ذلك اليوم الى السويس ، وصحبتهن نفيسة القهرمانه — وهى من جواريه أيضاً — وكانت زوجاً لقاضى أوغلى المحتسب الذى مات بالحجاز فى العام الماضى .

وفيه أيضاً : وصل حريم الشريف غالب ، فعيّنوا له داراً يسكنها مع حريمه جهة سوقة العزى ، فسكنها معه أولاده ، وعليهم المحافظون . واستولى الباشا على موجودات الشريف غالب ، من نقود وأمتعة ، وودائع ومخبات ، وشرك وتجارات ، وبن وبهار ، ونقود بمكة وجدة والهند واليمن ... شئ لا يعلم قدره الا الله . وأخرجوا حريمه وجواريه من سرايته بما عليهن من الثياب ، بعدما فتشوهن تفتيشاً فاحشاً ، وهتك حرمة !

قل اللهم مالك الملك ... هذا الشريف غالب انتزع من مملكته ، وخرج من دولته وسيادته وأمواله وذخائره ، وانسل من ذلك كله كالشجرة من العجين ... حتى انه لما ركب وخرج مع العسكر ، وهم متوجهون به الى جدة ، أخذوا ما فى جيوبه ... فليعتبر من يعتبر !

وكل الذى وقع له ، وما سيقع له بعد — من التغريب وغيره — فيما جناه من الظلم ، ومخالفة الشريعة ، والطمع فى الدنيا ، وتحصيلها بأى طريق . نسأل الله السلامة وحسن العاقبة .

الخميس ٥ منه (٢٧ يناير ١٨١٤ م) :

طاف الأغا أيضاً بأسواق المدينة ، وأمامه المناداة على أبواب الخانات والوكائل من التجار : بأنهم لا يتعاملون فى بيع البن والبهار الا بحساب الريال المتعارف فى معاملة الناس — وهو الذى يصرف تسعين نصفاً — لأن باعة البن لا يسمون فى بيعه الا الفرائسة ، ولا يقبضون فى ثمنه الا اياها بأعيانها ، ولا يقبلون خلافها من جنس المعاملات . فيحصل

ربيع الأول

الاثنين غرته (٢١ فبراير ١٨١٤ م) :

فيه : رجع محمود بيك والمعلم غالى من سرحتها .

وفيه : انتقل الشريف غالب بعياله من بيت السيد محمد المحروقي الى المنزل الذى أعدوه له — وهو بيت لطيف باشا بسويقة العزى — بعدما أصلحوه وبمضوه ، وأسكنوه به ، وعليه اليسق والمسكر الملازمون لبابه .

وفيه : أبرز كتحدا بيك فرمانا وصل اليه من الباشا يتضمن ضبط جميع الالتزام لطرف الباشا ، ورفع أيدى الملتزمين عن التعرض ، بل الملتزم يأخذ فائظه من الخزنة .

فلما أشيع ذلك ، ضج الناس ، وكثر فيهم اللغط ، واجتمعوا على المشايخ ، فطلعوا الى كتحدا بيك ، وسألوه . فقال : « نعم . ورد من أفندينا أمر بذلك ، ولا يمكننى مخالفته » . فقالوا له : « كيف تقطعون معاش الناس وأرزاقهم ، وفيهم أراامل وعواجز ، وللواحدة قيراط أو نصف قيراط يتعيشن من إرادته ، فينقطع عنهن ؟ ! » . فقال : « يأخذن الفائظ من الخزينة العامة » .

فرادوه وناقشوه ، وهو يهون ويقرب ويبعد ، الى أن قالوا له : « نكتب للباشا عرضحالا ، وننتظر الجواب » . فأجابهم الى ذلك من باب المسايرة وفك المجلس ! وشرع الشيخ المهدي فى ترصيف العرضحال ... فكتبوه ، وختموا عليه بعد امتنباع البعض ، الذى ليس له التزام ، وكثر اللغط فيهم بسبب ذلك .

الجمعة ٥ منه (٢٥ فبراير ١٨١٤ م) :

حضر جمع كثير من النساء الملتزمات الى

الجامع الأزهر ، وصرخوا فى وجوه الفأ وأبطلوا الدروس ، وبددوا محافظهم وأور ففترقوا وذهبوا الى دورهم .

وكان قد اجتمع معهم الكثير من ال واستمروا فى هرج الى بعد العصر ، ثم جا يقول لهم كلاما كذبا مسكن به حديثهم . الجمع ، وذهب النساء وهن يقنن : « تأتى يوم على هذا المنوال ، حتى يفرجوا لنا عن ومعاشنا وأرزاقنا » .

وفى ظن الناس وغفلتهم أن فى الالة بقية ، يدفعون الرزية . وما علموا أن البساط قد ا وكل قد ضل وأضل وغوى ، ومال عن واتبع الهوى ، وكلب الجور قد كشر أليابه ولم يجد له طاردا ، ولا معارضا ولا معانا ولما وصل الخبر الى كتحدا بيك ، طلا المشايخ ، وقال له : « ما خبر هذه ال بالأزهر ؟ » فقال له : « بسبب ما بلغهم معاشهم » . قال : « ومن قطع معاشهم ؟ وال الذين تسلطونهم على هذه الفعل ، لأغرا ولا بد أنى أستخير على من أغراهم وأخر حقه » .

وطلب على أغا الوالى وقال له : « أخبر هؤلاء النساء من أى البيوت ؟ » . فقال على : « ومن يميزهن ... وغالبهن وأكثره العساكر ، ولا قدرة لى على منعهن ؟ » . المجلس ، وبردت همتهم ، والكمشوا ، وش تنفيذ ما أمروا به ، وترتيبه وتنظيمه !

وفيه : حضر محمود بيك والمعلم غالى أياما ، وسافرا فى ثالث عشره .

وفيه : أحضروا حسن أغا محرم — بنجاتى — من اقليم المنوفية وهو مريض فى ثالى يوم ودفن .

الاثنين ١٥ منه (٧ مارس ١٨١٤ م) :

مر الأغا والوالى وأغات التبديل ، وهم يأمرؤن الناس بكنس الأسواق ورشها حالا فى ذلك الوقت من غير تأخير . فابتدر الناس ، ونزلوا من حوانيتهم ، وبأيديهم المسكناى يكنسون بها تحت حوانيتهم ثم يرشونها .

الجمعة ١٩ منه (١١ مارس ١٨١٤ م) :

حضر الشريف عبد الله ابن الشريف سرور ... أرسله الباشا الى مصر من ناحية القصير منفيا من أرض الحجاز . فأنزلوه بمنزل أحمد أغا ، أخى كئخدايك ، محجورا عليه . ولم يجتمع بعه ، ولم يره .

وفيه : كثر الطلب للريال الفرنسية ، بسبب احتياج دارالضرب وما يرسل الى الباشا من ذلك . وألزموا التجار باحضار جملة من ذلك ، ويأخذون بدلها قروشاً ، فوزعوا مقادير على أفرادهم بما يخطرله ، وجمعوا ما قدروا عليه منها .

وفيه : شنى شخص ، يسمى صالح ، عند باب زويلة ، واستمر معلقا يومين . وسبب ذلك أنه يدعى الجذب والولاية ، وتزوج امرأة وأخذ متاعها وبأها ، وحصل لها خلل فى عقلها . فأنهوا أمره الى كئخدايك ، فأمر بحبسه ، واستخلصوا منه جانبا مما أخذ من متاع المرأة ، وكثر كلام الناس فى حقه ، فأمر الكئخدا بشنقه .

فى اواخره (النصف الاخير من مارس ١٨١٤ م) :

حضر ابراهيم بيك ابن الباشا من الجهة القبلىة ، ونزل بالبيت الذى اشتراه بناحية الجبالية ، بدرب المسقط ، وهو بيت أحمد بن محرم .

ربيع الآخر

الاثنين ٦ منه (٢٨ مارس ١٨١٤ م) :

حضر ميمش أغا من ناحية الحجاز ، مرسلا من عند الباشا باستعجال حسن باشا للحضور الى الحجاز . وكان قبل ذلك بأيام أرسل يطلب سبعة آلاف عسكرى ، وسبعة آلاف كىس . فشرع كئخدايك فى استكتاب أشخاص من أخلاط العالم ما بين مغاربة وصعايدة ، وفلاحى القرى . فكان كل من ضاق به الحال فى معاشه يذهب ويعرض نفسه ، فيكتبونه . وان كان وجيها جعله أميرا على مائة أو مائتين ، ويعطيه أكياسا يفرقها فى أنفاره ، ويشترى فرسا وسلاحاً ، ويتقلد بسيف وطبنجات ... وكذلك أنفاره ، ويلبسون قناطيش ولباسا مثل لبس العسكر . ويعلق له وزنة بارود تحت ابطة ، ويأخذ على كتفه بندقية ، ويشون أمام كبيرهم مثل الموكب ، وفيهم أشخاص من الفعلة الذين يستعملون فى شيل التراب والطين فى العمارت ... وبرابرة .

وأرسل الكئخدا الى الفيوم وغيرها بطلب رجال من أمثال ذلك ، وجمعوا الكثير من أرباب الصنائع ، مثل : الخبازين والفرائين والنجارين والحدادين والبياطرة وغيرهم من أرباب الصنائع ، ويسحبونهم قهرا . فأغلق الفرانون مخابزهم ، وتمطل خبز خبز الناس أياما .

وفيه : ورد الطلب لحسن باشا ، فشرع فى تشهيل أحواله ، ولوازم سفره . ثم حضر ميمش أغا باستعجاله واستعجال المطلوبات من الأموال وغيرها .

وفيه : قبضوا على اليهود الموردين الذين يوردون الذهب والفضة لدار الضرب ... بسبب احضار الفرنسية ، وقد قلت بأيدي الناس جدا

لكثرة أخذها والطلب لها واقتطاع مجيئها من بلادها ، فحبسوهم وضربوهم ، ونزلوا في أسوأ حال متحيرين وذلك أن راتب الضريبة سبعة آلاف في كل يوم : عنها ثلاثة وستون ألف درهم ، وقدرها ثلاث مرات من النحاس ... يضربون ذلك قروشاً ، حتى بلغ سعر النحاس القراضة مائة وعشرين نصفاً فضة .

الخميس ٩ منه (٢١ مارس ١٨١٤ م) :

حضر محمود بيك الدويدار والمعلم غالى من سرختها الى مصر ، وهما المتأمران على مباشرة قياس الأراضي ، وتشهيل المال المفروض . وسبب حضورهما : أن ابراهيم باشا ، أرسل يطلبهما الحضور ، ليتشاور معهما في أمر ، فأقاما أربعة أيام ، وعادا راجعين الى شغلها .

الاربعاء ١٥ منه (٦ ابريل ١٨١٤ م) :

سافر ابراهيم باشا عائدا الى أسيوط ، وذهب صحبته أخوه اسماعيل باشا والبيكات الصغار ... خوفاً وهربوا من الطاعون .

وفيه : كمل تعمير الجامع الذى عمره دبوس أوغلى ، الذى يقرب داره التى بغيط العدة — وهو جامع جوهر العيني — وكان قد تخرب فهدمه جميعه ، وأنشأ وزخرفه ، ونقل لعمارتها أنقاضاً كثيرة ، وأخشاباً ورخاماً من بيت أبى الشوارب ، وعمل به منبرا بديع الصنعة ، واستخلص جهة أوقافه أطياناً وأماكن من واضعى اليد .

وفيه : أرسلوا جملة أخشاب الى الحجاز مطلوبة الى الباشا .

وفيه أيضاً : نادوا على سكان الجيزة بالخروج منها بعد عصر يوم السبت . ومن لا يريد الخروج ، فلا يخرج بعد ذلك . ومن خرج ، فلا يدخل ، وأمهلهم الى الغروب . فخرجوا بآمتعتهم وأطفالهم

وأولادهم وأوانهم الى خارج البلدة . وبات الأكثر منهم تحت السماء لضيق الوقت على الرحيل الى بلدة أخرى . وخرج أيضاً الكثير من عساكرهم وأتباعهم ممن لا يريد المقام والجس . فكانوا كلنا وجدوا من حمل متاعه من أهل البلدة على حمار ، ليذهب الى جهة يستقر بها ، رموا به الى الأرض وأخذوا الحمار .

وحصل لأهل الجيزة في تلك الليلة ما لا مزيد عليه من الكرب ، والجلأ عن أوطانهم . وكل ذلك مجرد وهم ، مع قلة وجود الطعن ... الا التزر اليسير .

الخميس ٢٣ منه (١٤ ابريل ١٨١٤ م) :

سافرت خزينة المال المطلوبة الى الباشا الى جهة السويس . وأصبحوا معها عدة كبيرة من عسكر الدلاة لخفارتها ، وقدرها ألفان وخمسمائة كيس ... جميعها قروش .

جمادى الأولى

٣ منه (٢٣ ابريل ١٨١٤ م) :

خرج حسن باشا بعساكره ، ونزل بوطاقه وخيامه التى نصبت له بالعادية قبل خروجه بيومين .

٤ منه (٢٤ ابريل ١٨١٤ م) :

وصلت هجانة من ناحية الحجاز بطلب حسين بيك دالى باشا ، وأخشاب واحتياجات وجمال . والذى أخبر به المخبرون عن الباشا وعساكره : أن طوسون باشا وعابدين بيك ، ركبوا بعساكرهم على ناحية تربة التى بها المرأة ... التى يقال لها غالية ، فوقعت بينهم حروب ثمانية أيام ، ثم رجعوا منهزمين ، ولم يظفروا بطائل ، ولأن العربان نفرت طباعهم من الباشا لما حصل منه في حق الشريف ، من القبض عليه . وهاجر الكثير من

والأشراف ، وانضموا الى الأخصام ، وتفرقوا في
النواحي ، ومنهم شخص يقال له : الشريف
راجح ، فأتى من خلف العسكر — وقت قيام
الحرب — وحاربهم ، ونهب الذخيرة والأحمال ،
وقطع عنهم المدد

١٥ منه (٥ مايو ١٨١٤ م) :

وصلت قافلة من السويس ، وفيها جملة من
العسكر المتمرضين ، ونحو العشرة من كبارهم
نفاهم الباشا الى مصر وفيهم حجو أوغلى ، ودالى
حسن ، وعلى أغا درمنلى ، وترجوا ، وحسن أغا
أزرجنلى ، ومصطفى ميسوا ، وأحمد أغا قنبور .

وفيه أيضا : خرج عسكر المغاربة ، ومن معهم
من الأجناس المختلفة ، الى مصر العتيقة ليذهبوا
من ناحية القصير الى الحجاز . وأما محويك ،
فانه لم يزل بقنا لقلة المراكب بالقصير التى تحملهم
الى الحجاز .

١٦ منه (٦ مايو ١٨١٤ م) :

وصلت قافلة وفيها أنفار من أهل مكة والمدينة ،
وسفار وبضائع تجارة بن وأقمشة وبياض ... شئ
كثير . وقد أتت الى جدة من تحارات الشريف
غالب ، ولسم يبلغهم خبر الشريف غالب ، وما
حصل له .

فلما حضروا ، وضع الباشا يده عليه جميعه ،
وأرسله الى مصر . فتولى ذلك السيد محمد
المحروقى ، وفرقها على التجار بالثمن الذى قدره
عليهم ، وألزمهم ألا يدفعوه الا قرانسة .

وفى هذا الشهر : وصل الخبر بموت الشيخ
مسعود ، كبير الوهاية ، وتولى مكانه ابنه عبد الله .
وفيه : خرج طائفة الكتبة والأقباط والروزنامجى
والعاجرية ، وذهب الجميع الى جزيرة شلقان ،
ليحرروا دفاتر على الروك الذى راكوه من قياس

وأخبروا أن الجمال قل وجودها عند
الباشا ، وشترتها من العربان المسالين له
بأغلى ثمن . وأخبروا أيضا أنه واقع بالحرمين غلاء
شديد لقلة الجالب ، واحتكار الباشا للفلال
الواصلة اليه من مصر ، فبيعه حتى على عسكره
بأغلى ثمن ، مع التحجير على المسافرين والحجاج
فى استصحابهم شيئا من الحب والدقيق ، فيفتشون
متاعهم فى السويس ، ويأخذون ما يجدونه معهم
مما يتزودون به فى سفرهم ، من القمح أو الدقيق ،
وما يكون معهم من القرانسة لنفقتهم ، وأعطوهم
بدلها من القروش .

وفيه : بلغ صرف الريال القرانسة من الفضة
المدنية ، ثمانمائة وعشرين نصفا ، عنها ثمانية
قروش ، والمشخص عشرون قرشا . وقل وجود
القرانسة والمشخص ، بل والمحجوب المصرى ، بأيدي
الناس جدا . ثم نودى على أن يصرف الريال
بسبعة قروش ، والمشخص بستة عشر قرشا .
وشددوا فى ذلك ، وتكلموا بمن يخالف ذلك ،
وعاقبوا من زاد على ذلك فى قبض أثمان المبيعات ،
وأطلقوا فى الناس جواسيس وعيوننا ... فمن عثروا
عليه فى مبيع أو غيره ، أنه قبض بالزيادة ، أحاطوا
به وأخذوه وعاقبوه بالحبس والضرب والتفريم ...
وربما أرسلوا من طرفهم أشخاصا متتكرين ،
يأتى أحدهم للبائع ، فيساومه السلعة كأنه مشتر ،
ويدفع له فى ضمن الثمن ريالا ، أو شخصا ،
ويحسبه بحسابه الأول ، وينكره فى ذلك . فربما
تجاوز البائع ... خوفا من بوار سلعته ،

عند قبض المال ، فيغالطهم وينساكرهم ... وهم له أطوع من أستاذهم ، وأمره نافذ فيهم ، فيأمر قائمقام بحبس من شاء أو ضربه ، محتجا عليه ببواقي لا يدفعها .

وإذا غلق أحدهم ما عليه من المال الذى وجب عليه فى قائمة المصروف ، وطلب من المعلم ورده — وهى ورقة الغلاق — وعده لوقت آخر حتى يحرر حسابه ، فلا يقدر الفلاح على مرادده خوفا منه . فإذا سأله من بعد ذلك قال له : « بقى عليك حبتان من فدان ، أو خروبتان » أو نحو ذلك ! ولا يعطيه ورقة الغلاق حتى يستوفى منه قدر المال ، أو يصانعه بالهدية والرشوة وغير ذلك ... أمور وأحكام خارجة عن ادراك البهيمية ... فضلا عن البشرية ، كالشكاوى ونحوها .

وذلك كما اذا تشاجر أحدهم مع آخر على أمر جزئى ، بادر أحدهم بالحضور الى الملتزم ، وتمثل بين يديه قائلا : « أشكو اليك فلانا بمائة ريال مثلا » . فبمجرد قوله ذلك ، يأمر بكتابة ورقة خطابا الى قائمقام أو المشايخ : باحضار ذلك الرجل المشتكى ، واستخلاص القدر الذى ذكره الشاكي — قليلا أو كثيرا — أو حبسه وضربه حتى يدفع ذلك القدر ، ويرسل الورقة مع بعض أتباعه ، ويكتب بهامشها كراء طريقه ، قليلا أو كثيرا ، فيسمنه حق الطريق . فعند وصوله : أول شيء يطالب به الرجل حق الطريق المعين ، ثم الشكاوى .. فان بادر ودفعها ، والا حبس أو حضر به المعين الى بيت أستاذه ، فيوعده الحبس ، ويعاقبه بالضرب حتى يوفى القدر الذى تلفظ به الشاكي . وان تأخر عن حضوره ، أو حضور المعين ، أردفه بآخر وحق طريق الآخر كذلك ، ويسمونها الاستعجالة ، وغير ذلك ... أحكام وأمور غير معقولة المعنى ، قد ربوا عليها واعتادوها ، لا يرون فيها بأسا ولا عيبا !

الأراضى ، وزيادة الأطنان وجفل الكثير من الفلاحين وأهالى الأرياف ، وتركوا أوطانهم وزروعهم . وهالهم هذا الواقع لكونهم لم يعتادوه ويألفوه ، وباعوا مواشيهم ، ودفعوا أثمنها فى الذى طلع عليهم فى الزيادات الهائلة ، وسيعودون مثل الكلاب ، ويعتادون سلخ الاهداب !

وأما الملتزمون ، فبقوا حيارى باهتين ، وارتفع أيدى تصرفهم فى حصصهم ، ولا يدرون عاقبة أمرهم ... منتظرين رحمة ربهم . وآن وقت الحصاد وهم ممنوعون عن ضم زرع وساياهم ، الى أن أذن لهم الكتخدأ بذلك ، وكتب لهم أوراقا ، وتوجهوا بأنفسهم أو بمن ينوب عن مخدومه ، وأراد ضم زرعه ، ولم يجد من يطيعه بهم . وتناولوا عليهم بالأسنة ، فيقول الحرفوش منهم اذا دعى للشغل بأجرته : « روح انظر غيرى أنا مشغول فى شغلى ، أتم ايش بقالك فى البلاد ؟ قد انقضت أيامكم ... احنا صرفنا فلاحين الباشا » .

وقد كانوا مع الملتزمين أذل من العبيد المشتري . فربما أن العبد يهرب من سيده اذا كلفه فوق طاقته ، أو أهانه بالضرب . وأما الفلاح فلا يمكنه ولا يسهل به أن يترك وطنه وأولاده وعياله ويهرب . واذا هرب الى بلدة أخرى ، واستعلم أستاذه مكانه ، أحضره قهرا ، وازداد ذلا ومقتا وأهانة !

وكان من طرائقهم : أنه اذا آن وقت الحصاد والتخضير ، طلب الملتزم ، أو قائم مقامه ، الفلاحين فينادى عليهم الغفير أمس اليوم المطلوبين فى صبحه بالتبكير الى شغل الملتزم . فمن تخلف لعذر ، أحضره الغفير أو المشد ، ومحببه من شنبه ، وأشبعه سبا وشتما وضربا — وهو المسمى عندهم بالعونة والسخرة — واعتادوا ذلك ... بل يرونه من اللازم والواجب . وهذا خلاف ما يلقونه من الازدلال والتحكم من مشايخهم ، والشاهد والنصرالى الصراف — وهو العدة والهددة — خصوصا

٢٧ منه (١٧ مايو ١٨١٤ م) :

قبل الغروب بنحو نصف ساعة ، وصل جراد كثير مثل الغمام ، وصار يتساقط على الدور والأسطحة والأزقة مثل الغمام ، وأفسد كثيرا من الأشجار ، وانقطع أثره في ثاني يوم .

جمادى الآخرة

١٠ منه (٣٠ مايو ١٨١٤ م) :

ارتحل حسن باشا من ناحية الشيخ قبر الى بركة الحج .

١٥ منه (٤ يونيه ١٨١٤ م) :

حضر الروزنامجى والأفندية بعد أن استملى منهم القبط الدفاتر وأسماء الملتزمين ، ومقادير حصصهم ، ثم حضر محمود بيك والمعلم غالى ، ومن معهم من الكتبة الأقباط . وظهر للناس عند حضورهم نتيجة ما صنعوه ونظموه ورتبوه من قياس الأراضى ، وروك البلاد . وهو أن الأراضى زادت فى القياس بالقصبة التى قاسوا بها ، وحددوها مقدار الثلث ، أو الربع ، حتى قاسوا الرزق الأحباسية بأسماء أصحابها ومزارعيها ، وأطيان الوسايا على حدتها ... حتى الأجران وما لا يصلح للزراعة ، وما يصلح من البور ... الصالح وغير الصالح .

فلما تم ذلك حسبوها بزياداتها بالأفدنة ثم جعلوها ضرائب ، منها : ضريبة خمسة عشر ريالا ، وأربعة عشر ، واثني عشر ، وأحد عشر ، وعشرة ... مال الفدان بحسب جودة الاقليم والأرض . فبلغ ذلك مبلغا عظيما ... بحيث ان البلدة التى كانت يفرض عليها فى مغارم الفرض التى كانوا فرضوها قبل ذلك فى سنيهم الماضية ، ويتشكى منها الفلاحون والملتزمون ويستغيثون ، ويبقى منها بواقى ويمعزون عنها ... ألف ريال — طلع عليها فى هذه

وقد سلط الله على هؤلاء الفلاحين : بسوء أفعالهم ، وعدم دياتهم ، وخياتهم ، واضرارهم لبعضهم البعض .. من لا يرحمهم ، ولا يعفو عنهم . كما قال فيهم البدر الحجازى :

وسبعة بالفلس قد أنزلت
لما حووه من قبيح الفعل :

شيوخهم ، أستاذهم ، والمشد
والقتل ، فيما بينهم ، والقتال

مع النصارى كاشف الناحية
وزد عليها كدهم فى اشتغال

وققرهم ما بين عينيهم
مع اسوداد الوجه ... هذا النكال

وإذا التزم بهم ذو رحمة ، ازدروه فى أعينهم : واستهانوا به وبخدمه ، وماطلوه فى الخراج ، وسموه بأسماء النساء ، وتمنوا زوال التزامه بهم ، وولابة غيره من الجبارين الذين لا يخافون ربهم ، ولا يرحمهم ... لينالوا بذلك أغراضهم بوصول الأذى لبعضهم .

وكذلك أشياخهم : إذا لم يكن الملتزم ظالما يتمكنون هم أيضا من ظلم فلاحهم ... لأنهم لم يحصل لهم رواج الا بطلب الملتزم الزيادة والمغارم ، فيأخذون لأنفسهم فى ضمنها ما أحبوا ، وربما وزعوا خراج أطيانهم وزراعاتهم على الفلاحين .

وقد انخرم هذا الترتيب بما حدث فى هذه الدولة من قياس الأراضى والقدن ، وما سيحدث بعد ذلك من الاحداث التى تبدو قرائنها شيئا بعد شيء .

٢٢ منه (١٢ مايو ١٨١٤ م) :

برز حسن بيك دالى باشا خيامه الى خارج باب النصر ، وخرج هو فى ثاني يوم فى موكب ، ونزل بوطاقه ليتوجه الى الحجاز على طريق البر .

اللفة عشرة آلاف ريال ، الى مائة ألف ، وأقل وأكثر .

وأحضر الكتبخدا ابراهيم آغا الرزاز ، والشيخ أحمد بومف ، وخلع عليهما خلعتين ، وجعلوا لهما ديوانا خاصا لمن يلتزم بالقدر الذى تحرر على حصته التى فى تصرفه ... فيعطونه ورقة تصرف ، ويكتب على نفسه وثيقة بأجل معلوم : يقوم بدفع ذلك ، ويتصرف فى حصته بشرط ألا يكون له الا اطيان الأوسية : ان شاء زرعها وأخذ غلتها ، وان شاء أجراها لمن شاء . وليس له من مال الخراج الا المال الحر ، المعين بسند الديوان — المعروف بالتقسيط . وما زاد فى قياس الأرض من طين الفلاحة والأوسية ، فهو للميرى ... قل أو كثر .

وأما الرزق الأجبسية ، المرصدة على البر والصدقة ، ولأهل المساجد والأسبلة ، والمكاتب والخيرات .. فانهم مسحوها بقياسهم . فما وجدوه زائدا عن الحد الأصلي جعلوه للديوان ، وما بقى قيده وحرروه باسم واضع اليد عليها ، واسم واقفها وزارعها ، أو ما يملكه المزارع الحاضر وقت القياس ، وسؤال المباشرين . وقرروا عليها المال ، مثل ضريبة البلد . فان أثبتها صاحبها ، وكان بيده سند جديد من أيام الوزير وشريف أفندى ، وما بعده ... على سبقه لوقت تاريخه ، قيدوا له نصف مال تأجرها ، والنصف الثانى الباقي للديوان .

ورسموا لكاتب الرزق أن يعمل ديوانا لذلك ، ومعه عدة من الكتبة ، ويأتى اليه الناس بأوراق سنداتهم : فمن وجد بيده سندا جديدا ، كتب له صورة — قيد الكشف بموجب ما هو بدفتره — فى ورقة ، فيذهب بها الى الديوان ، فيقيدون ذلك بعد البحث والتعنت من الطرفين .

ويقع الاشتباه الكثير فى أسماء أربابها وأسماء حيفانها وغيطانها ، فيكلفون صاحب الحاجة باثبات ما ادعاه ، ويكتب له أوراقا لمشايخ الناحية وقاضيه باثبات ما يدعيه ، ويعود مسافرا ، ويقاسى ما يقاسيه من مشقة السفر والمصرف ، ومعاكسة المشايخ وقاضى الناحية ، ثم يعود الى الديوان بالجواب ، ثم يمكن الاحتجاج عليه بحجة أخرى ... وربما كان سعيه وتعبه على فدان واحد ، أو أقل أو أكثر !

وازدحم الناس على بيت كاتب الرزق ، وانفتح له بذلك باب ، لأنه لا يكتب كشفا حتى يأخذ عليه دراهم ... تعينت على قدر الأفادة .

وأضاع الكثير من الناس ما تلقوه عن أسلافهم ، وما كانوا يرتقون منه ، وأهملوا تجديد السندات ، واتكلوا على ما بأيديهم من السندات القديمة لجهلهم ، أو ظنهم انقضاء الأمر ، وعدم دوام الحال ، وتغير الدولة ، وعود النسق الأول ، أو لفقرهم وعدم قدرتهم على ما ابتدعوه من كثرة المصاريف التى تصرف على تجديد السند ، واشتغال مال الحماية ... التى قدرها شريف أفندى على أراضي الرزق عن كل فدان عشرة أنصاف أو خمسة فكثير من الناس استعظم ذلك ، واعتمد على أوراقه القديمة ، فضاعت عليه رزقته ، وانحلت ، وأخذها الغير . والذى لم يرض بالتوت ، بل ولا حصل حطبه ، رضى بالولاش !

وكان الشأن فى أمر الرزق : أن أراضيها تزيد عن موقع أراضي البلاد زيادة كثيرة ، وخراجها أقل من خراج أراضي البلاد ... الذى يقال له المال الحر الأصلي . وليس عليها مصاريف ولا مغارم ولا تكاليف ... فالمزارع من الفلاحين اذا كان تحت يده تأجر رزقة أو رزقتين ، فانه يكون مغبوطا ومحسودا فى أهل بلده ، ويدفع لصاحب الأصل القدر النزر . والمزارع يتلقى ذلك سلفا عن خلف ، ولا يقدر صاحب الأصل أن يزيد

عليه زيادة ... وخصوصا اذا كانت تحت يد بعض مشايخ البلاد ، فلا يقدر أحد أن يتصدى عليه من الفلاحين ، ويستأجرها من صاحبها . وإن فعل لا يقدر على حمايتها .

والكثير من الرزق واسعة القياس جدا ، ومالها قليل جدا ، وخصوصا في الأراضى القبلية ، فإن غالبها رزق وشرأوى ومتأخرات لم تمسح ، ولم يعلم لها فدادين ولا مقادير . وقد تزيد أيضا بانحصار البحر عن سواحلها ، وكذلك في البلاد البحرية ... ولكن دون ذلك .

ومعظم أراضى الرزق القبلية مرصدة على جهات الأوقاف بمصر وغيرها . والواضمون أيديهم عليها لا يدفعون لجهات ولا لمستحقيها ، إلا ما هو مرتب ومقرر من الزمن الأول السابق — وهو شيء قليل — وليتهم لو دفعوه ! فإن في أوقاف السلاطين المتقدمة القطعة من الأراضى التى عبرتها أكثر من ألف فدان ، وخارجها خمسون زكية ، والزكية خمس وبيات ، أو من الدراهم ألفان قضة ، وأقل وأكثر ، وهى تحت يد بعض كبراء البلاد ، يزرعها ويأخذ منها الألوف من الأرباب من أجناس الغلال ، ويضن ويبخل بدفع ذاك القدر اليسير لجهة وقته ، ويكسر السنة على السنة . فإن كانت يد صاحب الأصل قوية ، أو كان واضح اليد فيه خيرية — وقليل ما هم ! — دفع لأربابها ثمنها ، بعد أن يرد الخمسين الى الأربعين بالتكسير والخلط ، ثم يخس الثمن جدا . فإن كان ثمن الأرباب أربعمئة حسبه بأربعين نصفًا ، أو أقل ، فيعود ثمن الخمسين زكية الى ثمن زكيتين ... وقس على ذلك !

والذى يكون تحت يده شيء من أطيان هذه الأوقاف ، وورثها من بعده ذريته فزرعوها وتقاسوها ، معتقدين ملكيتها ، تلقوها بالارث من مورثهم ، ولا يرون أن لأحد سواهم فيها حقًا ،

ولا يهون بهم دفع شيء لأربابه — ولو قل — الا قهرا !

وبالجملة ما أصاب الناس الا ما كسبت أيديهم ، ولا جنوا الا ثمرات أعمالهم .

وكان معظم ادارات دوائر عظماء النواحي ، وتوسعاتهم ومضايقتهم من هذه الأرزاق التى كانت تحت أيديهم ... بغير استحقاق . الى أن سلط الله عليهم من استحوذ على جميع ذلك ، وسلب عنهم ما كانوا فيه من النعمة ، وتشتتوا فى النواحي ، وتغربوا عن أوطانهم ، وخربت دورهم ومضايقتهم ، وذهدت سيادتهم . « وكم أهلكنا قبلهم من قرن ، هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا »

وفى بعض الأرزاق من مات أربابه ، وخربت جهاته ، ونسى أمره ، وبقي تحت يد من هو تحت يده من غير شيء أصلا . وقد أخبرنى بنحو ذلك ، شمس الدين بن حمودة من مشايخ برما بالمنوفية ، عندما أحضر الى مصر فى وقت هذا النظام ، أنه كان فى حوزهم ألف فدان لا علم للملتزم ولا غيره بها ، وذلك خلاف ما بأيديهم من الرزق التى يزرعونها بالمال اليسير ، وخلاف المرصد على مساجد بلادهم التى لم يبق لها أثر . وكذلك الأسبله وغيرها ... وأطيانهم تحت أيديهم من غير شيء وخلاف فلاحتهم الظاهرة بالمال القليل لمصارف الحج ، لأنها كانت من جملة البلاد الموقوفة على مهمات أمير الحاج ... وقد انتسخ ذلك كله !

وفيه : أخبر المخبرون : أن مراكب الموسم وصلت فى هذا العام الى جدة ... وكان لها مدة سنين ممتنعة عن الوصول خوفا من جور الشريف وزواله ، وتملك الدولة البلاد ، وظنهم فيهم العدل فاطمانوا وعبوا متاجرهم ، وحضروا الى جدة . فجمع الباشا مكوسهم فبلغت أربعة وعشرين « لكا » واللك الواحد مائة ألف فرانسا ، فيكون أربعة

الأربعاء ١١ منه (٢٩ يونية ١٨١٤) :

هرب الشريف عبد الله ابن الشريف سرور في وقت الفجرية ، ولم يشعروا بهروبه الا بعد الظهر . فلما بلغ كئخدا بيك الخبر ، فتكدر لذلك ، وأرسل مشايخ الحارات وغيرهم ، وبث العربان في الجهات ، فلما كان ليلة السبت ، حضروا به في وقت الغروب وقد حجزوه بحلوان ، وأتوا به الى بيت السيد مجيد المحروقي ، فأخذه الى كئخدا بيك ، فأرسله الى بيت أخيه أحمد أغا .. ومن ذلك الوقت ضيقوا عليه ، ومنعوه من الخروج والدخول ، بعد أن كان مطلق السراح : يخرج من بيت أحمد أغا ، ويذهب الى بيت عمه الشريف غالب ويعود وحده . فعند ذلك ضيقوا عليه وعلى عمه أيضا .

الخميس ١٩ منه (٧ يولية ١٨١٤ م) :

حضر المشايخ عند كئخدا بيك ، وعادوه في الخطاب فيما أحدثوه على الرزق ، وعرفوه أنه يلزم من هذا الاحداث ابطال المساجد والشعائر . فتتصل من ذلك ، وقال : « هذا شيء لا علاقة لى فيه ، وهذا شيء أمر به أفندينا ومحمود بيك والمعلم غالى » . ثم كلموه أيضا في صرف الجامكية ، المعروفة بالسائرة والدعاجوى ، للفقراء والعامه . فوعدهم بصرفها وقت ما يتحصل المال ، فان الحزينة فارغة من المال !

السبت ٢١ منه (٩ يولية ١٨١٤ م) :

حضر محمود بيك والمعلم غالى من سرحتهما . فذهب اليهما المشايخ في ثانى يوم ، ثم خاطبوهما بالكلام في شأن الرزق . فأجابهم المعلم غالى بقوله : « يا أسيادنا .. هذا أمر مفروغ منه بأمر أفندينا من عام أول — من قبل سفره — فلا تتعبوا خاطركم . وواجب عليكم مساعدته خصوصا في خلاص كعبتكم ولييكم من أيدي الخوارج » ... فلم يردوا عليه جوابا ، وانصرفوا .

وعشرين مائة ألف فرانسا . فقبضها منهم بضائع وتقودا ، وحسب البضائع بأبخس الأثمان . ثم التفت الى التجار الذين اشتروا البضائع ، وقال لهم : « انى طلبت منكم مرارا أن تقرضونى المال ، فادعيتهم الافلاس . ولما حضر الموسم ، بادرتهم بأخذه ، وظهرت أموالكم التى كنتم تبخلون بها . فلا بد أن تقرضونى ثلثمائة ألف فرانسة » ! فصالحوه على مائتى ألف دفعوها له تقودا وبضائع مشترواتهم ... حسبها لهم العشرة ستة ، ثم فرض على أهل المدينة ثلاثين ألف فرانسة .

رجب

الخميس ٥ منه (٢٣ يونية ١٨١٤ م) :

ضربوا عدة مدافع ، وأخبروا بوصول بشارة ، وأن عساكرهم حاربوا « قنفذه » واستولوا عليها ، ولم يجدوا بها غير أهلها .

الجمعة ٦ منه (٢٤ يونية ١٨١٤ م) :

سار حسين بيك دالى باشا بعساكره الخيالة برا . وفيه : عزم على السفر والد محرم بيك ، زوج ابنة الباشا الى بلاده ، وذلك بعد عوده من الحجاز . فأرسلوا الى الأعيان تناييه بالأمر لهم بمهاداته ففعلوا وعبوا له بقجا وبنا وأرزا وأقمشة هندية ومحلاوية ... كل أمير على قدر مقامه .

الاثنين ٩ منه (٢٧ يونية ١٨١٤ م) :

حصلت في وقت أذان العشاء زلزلة نحو دقيقتين ، وكان المؤذنون طلعموا على المنارات ، وشرعوا فى الأذان .. فلما اهتزت بهم ظن كل من كان على منارة سقوطها ، فأسرعوا بالنزول . فلما علموا أنها زلزلة ، طلعموا وأعادوا الأذان ، وسقط من شرائف الجامع الأزهر شرافة ، وتحركت الارض أيضا في خامس ساعة من الليل ، ولكن دون الأولى ، وكذلك وقت الشروق هزة لطيفة .

الأحد ٢٩ منه (١٧ يولية ١٨١٤ م) :

حصل كسوف شمس ، وكان ابتداءؤه بعبد الشروق ، ومقداره قريبا من ثلثي الجرم ، وتم انجلاؤه في ثمانى ساعة من النهار . وكانت الشمس ببرج السرطان أربعاً وعشرين درجة في حادي عشر أييب القبطى .

وفيه : وصلت القافلة من ناحية السويس . وأخبر الواصلون عن واقعة « قنفذة » وما حصل بها بعد دخول العسكر إليها . وذلك أنهم لما ركبوا عليها — برا وبحرا — وكبيرهم محمود بيك ، وزعيم أوغلى ، وشريف أغا ... فوجدوها خالية ، فظلموا إليها وملكوها من غير مبالغ ولا مدافع ، وليس بها غير أهلها ، وهم أناس ضعاف ، فقتلهم وقطعوا أذانهم ، وأرسلوها الى مصر ، ليرسلوها الى اسلامبول .

وعندما علم العربان بنجى الأتراك خلوا منها — ويقال لهم عرب العسير — وترافعوا عنها ... وكبيرهم يسمى « طامى » . فلما استقر بها الأتراك ، ومضى عليهم بها نحو ثمانية أيام ، رجموا عليهم وأحاطوا بهم ، ومنعهم الماء . فعند ذلك ركبوا عليهم وحاربهم ... فانهزموا ، وقتل الكثير منهم ، ونجا محوبيك بنفسه في نحو سبعة أنفار ، وكذلك زعيم أوغلى ، وشريف أغا ، فنزلوا في سفينة وهربوا . فغضب الباشا — وقد كان أرسل لهم نجدة من الشفاسية الخيالة — فحاربهم العرب ، ورجعوا منهزمين من ناحية البر ، وتواتر هذا الخبر .

شعبان

الاربعاء ٢ منه (٢٠ يولية ١٨١٤ م) :

حضر ميمش أغا من الديار الحجازية ، وعلى يده فرامانات ... خطابا لدبوس أوغلى وآخرين ، يستدعيهم الى الحضور بعساكرهم . وكان دبوس أوغلى في بلدة البزلسى ، فتوجه اليه الطلب . وكذلك

فرع كئخدا بيك في استكتاب عساكر أتراك ومغاربة وعربان وغير ذلك .

الجمعة ٤ منه (٢٢ يولية ١٨١٤ م) :

سافر طائفة من العسكر ، وأرسل كئخدا بيك بمنع الحجاج الواردين من بلاد الروم وغيرهم من النزول الى السفائن الكائنة بساحل السويس والقصير ، وبأن يخلوها لأجل نزول العساكر المسافرين ، وبتأخير الحجاج .

وذلك أنه لما وصلت البشائر الى الديار الرومية بفتح الحرمين ، وخلاص مكة وجدة والطائف والمدينة ، ووصول ابن مضيان والمضايفى وغيرهم ، الى دار السلطنة ، وهروب الوهابيين الى بلادهم — فعملوا ولائم وأفراحا وتهانى ، وكتب مراسيم سلطانية الى بلاد الروملى والأنضول : بالبشائر بالفتح ، والاذن والترخيص والاطلاق لمن يريد الحج الى الحرمين ... بالأمن والأمان والرفاهية والراحة . فتحركت همم مريدى الحج ، لأن لهم سنين وهم ممتنعون ومتخوفون عن ورود الحج . فعند ذلك أقبلوا أفواجا بحريهم وأولادهم ومتاعهم ، حتى أن كثيرا من المتصوفين منهم باع داره وتعلقاته ، وعزم على الحج والمجاورة بالحرمين بأهله وعياله . ولم يبلغهم استمرار الحروب ، وما بالحرمين من الغلاء والقحط الا عند وصولهم الى ثغر سكندرية ، ولم يتحققوا الا بمصر . فوقعوا في حيرة ، ما بين مصدق ومكذب : فمنهم من قصد السفر ولم يرجع عن عزمه ، وسلم الأمر لله ، ومنهم من تأخر بمصر الى أن ينكشف له الحال .

وقرروا على كل شخص من المسافرين في مراكب السويس عشرين فرانسة ، وذلك خلاف أجرة متاعه وما يتزود به في سفره ... فانهم يزنونه بالميزان ، وعلى كل أفة قدر معلوم من الدراهم . وأما من يسافر في بحر النيل

انزل صحبته الى بولاق ، وصالحوه عما أخذ منه من المال وغيره بخمسمائة كيس . فأرادوا دفعها له قروشاً ، فامتنع قائلاً : « انهم أخذوا مالي ذهباً مشخصاً وفرانسة ، فكيف آخذ بدل ذلك نحاساً لا نفع بها في غير مصر ؟ » . فأعطوه مائتي كيس ذهباً وفرانسة ، وتحول بالباقي وكيله مكى الخولاني ، ثم زودوه وأعطوه سكرًا وبنا وأرزًا وشربات وغير ذلك ، ونزل مسافراً الى المراكب صحبة المعين الى الحجاز من ناحية القصير . وبرز ابن ناشت طرابلس وصحبته عساكر أيضاً الى ناحية المادلية ، وآخر يقال له قنجة بيك ، ومعهم نحو الألف خيال من العرب والمغاربة ، على طريق البر الى الحجاز .

الخميس ٢٤ منه (١١ أغسطس ١٨١٤ م - ٦ مسرى ١٢٣٠) :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، فداروا بالرايات ، ونودي بالوفاء ، وكسروا السد - في صبح يوم الجمعة - بحضرة كتخدا بيك والقاضي ، والجم الغفير من العساكر .

في أواخره (حوالى منتصف أغسطس ١٨١٤ م) :
وصلت الأخبار بأن الباشا توجه الى الطائف وأبقى حسن باشا بمكة .

رمضان

السبت ٤ منه (٢٠ أغسطس ١٨١٤ م) :

حضر موسى أغا تفكجي باشا من الديار الحجازية . وكان فيمن باشر حراقة قنفذة ، ومن جملة من انهزم بها . وهلك جميع عساكره وخدمه ، ورجع الى مصر وصحبته أربعة أنفار من الخدم .

الجمعة ١٠ منه (٢٦ أغسطس ١٨١٤ م) :
خرجت العساكر المجردة لسفر الحجاز الى

- على جهة القصير - في مراكب الباشا ، فيؤخذ على رأس كل شخص من مصر القديمة الى ساحل قنا ثلاثون قرشاً ، ثم عليه أجره حملة من قنا الى القصير ، ثم أجره بحر القلزم - ان وجد سفينة حاضرة - والا تأخر اما بالقصير أو السويس حتى يتيسر له النزول ، ويقاسى ما يقاسيه في مدة انتظاره - وخصوصاً في الماء وغلو ثمنه وردائه - ولا يسافر شخص ويتحرك من مصر الا باذن كتخدا بيك ، ويعطيه مرسوماً بالاذن .

وبلغنى أن الذين خرجوا من اسلامبول خاصة بقصد الحج نحو العشرة آلاف ، خلاف من وصل من بلاد الروملى والأنضول وغيرهما وحضر الكثير من أعيانهم ، مثل امام السلطان وغيره ، فنزل البعض بمنزل عثمان، أغا - وكيل دار السعادة سابقاً - والبعض بمنزل السيد محمد المحروقي ، وببيت شيخ السادات ، ومنهم من استأجر دوراً في الخانات والوكائل .

وفيه : حضر قاصد من باب الدولة ، وعلى يده مرسوم ، مضمونه : الأمر باسترجاع ما أخذ من الشريف غالى ، من المال والنخائر ، اليه .
وكان الباشا أرسل الى الدولة بسبحتى لؤلؤ عظام من موجودات الشريف ، فحضر بهما ذلك القبجي ، وردهما الى الشريف غالب ، ثم سافر ذلك القبجي بالأوامر الى الباشا بالحجاز .

الاثنين ٧ منه (٢٥ يولية ١٨١٤ م) :

وصلت هجانة باستعجال العساكر ، وتوالى حضور الهجانة لخصوص الاستعجال .

السبت ١٩ منه (٦ أغسطس ١٨١٤ م) :

أنزلوا الشريف غالب الى بولاق بحريمه وأولاده وعييده . وكان قد وصل الى مصر أغا عين بقصد سفر المذكور الى سلايك ،

بركة الحج — وهم مغاربة وعربان — وارتفعوا
يوم الأحد ثاني عشره .

الأربعاء ١٥ منه (٢١ أغسطس ١٨١٤ م) :

برز دبوس أوغلي خارج باب الفتوح ليسافر
بمساكره الى الحجاز ، وكذلك حسن أغا مرششمة .
ونصبوا خيامهم .

واستمرؤا يخسرجون من المدينة ويصلون
غدا وعشيا ، وهم يأكلون ويشربون جهارا في نهار
رمضان ، ويقولون : « نحن مسافرون وغدا نعود » .
ويسرون بالأسواق ، ويجلسون على المناسط ...
وبأيديهم الأقباب ، والشبكات التي يشربون فيها
الدخان ، من غير احتشام ولا حياء ، ويجوزون
بحارات الحسينية على التهاوى في الضحوة ،
فيجدونها مغلوقة ، فيسألون عن التهويجي ويطلبونه
ليفتح لهم القهوة ، ويوقد لهم النار ، ويعلى لهم
القهوة ، ويسقيهم ... فرما هرب القهوجي واختفى
منهم ، فيكسرون الباب ، ويمشون بآلاته وأوانيّه ،
فما يسمعه الا المجيء وايقاد النار .

وأشنع من ذلك ، أنه اجتمع بنساحية
عرضهم وخيامهم الجمل الكثير من النساء
الخصواطي والبغايا ، ونصبوا لهم خياما
وأخصاصا ، وانضم اليهم يساع البوطة والعرقى
والحشاشون والغوازي والرقاصون ، وأمثال
ذلك ، وانحشر معهم الكثير من الفساق وأهل
الاهواء والعياق من أولاد البلد ... فكانوا جمعا
عظيما : يأكلون الحشيش ، ويشربون المسكرات ،
ويزنون ويلوطون ، ويشربون الجوزة ، ويلعبون
القفار جهارا في نهار رمضان ولياليه ، مختلطين مع
العساكر ، كأنما سقط عن الجميع التكليف ،
وخلصوا من الحساب !

وسمعت ممن شاهد بعينه محمود بيك
المهردار ... الذي هو أعظم أعيانهم ، وهو

التي على على قياس الأراضي مع المعلم غالي ،
وهي جالس في ديوانهم المخصوص — بالقرب من
سوق اللالا — وهو يشرب في النارجيلة التباك ،
ويأتونه بالصداء جهارا ، ويقول : « أنا مسافر
الشرقية لعملي نظام الأراضي » !

الثلاثين من أيلول (١٥ سبتمبر ١٨١٤ م) :

وصلت هجانة باستعجال العساكر .

شوال

في فوقه (١٦ سبتمبر ١٨١٤ م) :

في ليلته : قلدوا عبد الله كاشف الدردلي أميرا
على ركب الحجاج .

٢ منه (١٨ سبتمبر ١٨١٤ م) :

خرج دبوس أوغلي في موكب الى مخيمه ،
وكذلك حسن أغا مرششمة ليسافر الى الحجاز .

١١ منه (٢١ سبتمبر ١٨١٤ م) :

نزلوا بكسوة الكعبة ، بالطبول والزمور ، الى
المشهد الحسيني . واجتمع الناس على عادتهم
للفرجة .

وفيه : انتقل محمود بيك والمعلم غالي الى بيت
حسن أغا نجاتي ، وعملوا ديوانهم فيه ، وأتلفوا
الجنينة التي به ، وجلسوا تحت أشجارها ، وربط
الأقباط حيرهم فيها ، وشرع محمود بيك في عمارة
الجهة القبليّة منه ، وانزوت صاحبة المنزل في ناحية
منه

١٧ منه (٢ أكتوبر ١٨١٤ م) :

ارتحل دبوس أوغلي وحسن أغا مرششمة .
ومن معهم من العساكر ، من منزلتهم متوجهين الى
الديار الحجازية .

٢٢ منه (٧ أكتوبر ١٨١٤ م) :

رسم كتحدا ييك بنفى طائفة من الفقهاء من ناحية طنطا إلى أبى قير بسبب فتيا أقتوها فى حادثة يبلدهم ، وقضى بها قاضيههم . وأنهيت الدعوى ، الى ديوان مصر ، فطلبوا الى إعادة الدعوى ، فحضرُوا وترافعوا الى قاضى العسكر ، وأثبتوا عليهم الخطأ .. فرسم بنفى الشاكى والمفتين والقاضى رابعهم .

٢٤ منه (٩ أكتوبر ١٨١٤ م) :

عملوا موكبا لخروج المحمل ، واستعد الناس للفرجة على عاداتهم . فكان عبارة عن نحو مائة جل تحمل روايا الماء والقرب ، وعدة من طائفة الدلاة ، على رؤوسهم طرايطر سود قلابق ... وأمير الحج على شكلهم ، وخلفه أرباب الأشرار يبيارقهم وشرايطهم وطببولهم وزمورهم وجوقاتهم ، وخلفهم المحمل ... فكان مدة مرورهم — مع تقطيعهم وعدم نظامهم — نحو ساعتين . فأين ما كان يعمل من المواكب بمصر ... التى يضرب بحسنها وترتيبها ونظامها المثل فى الدنيا ؟ فسبحان مغير الشئون والأحوال !

وفيه : خرجت زوجة الباشا الكبيرة — وهى أم أولاده — تريد الحج ... الى خارج باب النصر فى ثلاثة تخوت ، والمتسفر بها بونا بارته الخازندار . وقد حضر لوداعها ولدها ابراهيم باشا من الصعيد ، وخرج لتشيعها هو وأخوه اسماعيل باشا وصحبتها محرم ييك — زوج ابنتها — حاكم الجيزة ، ومصطفى ييك دالى باشا ، ويقال انه أخوها . وكذلك محمد ييك الدفتردار — زوج ابنتها أيضا — وطاهر باشا ، وصالح ييك السلحدار . وارتحلت ومن معها فى سادس عشرته

الى بندر السويس . وفى ذلك اليوم برزت عساكر المغاربة ، وغيرهم ممن تمسكروا . وارتحل أمير الحج من الحصوة الى البركة .

٢٧ منه (١٢ أكتوبر ١٨١٤ م) :

خرجت عساكر كثيرة مجردين للسفر .

٢٩ منه (١٤ أكتوبر ١٨١٤ م) :

ارتحل أمير الحج ومن معه من البركة فى تاسع ساعة من النهار . وفى ذلك اليوم هبت رياح غربية شمالية باردة ، واشتد هبوبها أواخر النهار ، وأطبقت السماء بالغيوم والقتام ، وأبرق البرق برقاً متتابعاً ، وأرعدت رعداً له دوى متصل . ولما قرب من سمت رؤوسنا ، كان له صوت عظيم مزعج ، ثم نزل مطر غزير استمر نحو نصف ساعة ، ثم سكن بعد أن تبحرت منه الأزقة والطرق . وكان ذلك اليوم رابع شهر بابة القبطى .

وفيه : ورد الخبر من السويس : أن امرأة الباشا لما وصلت الى هناك ، وجدت عالماً كبيراً من الحجاج المختلفة الأجناس ممنوعين من نزول المراكب .. فصرخوا فى وجهها ، وشكوا اليها تخلفهم ، وأن أمير البندر مانعهم من النزول فى المراكب ، وبذلك المنع يفوتهم الحج الذى تجشوا الأسفار ، وصرفوا أيضا الأموال من أجله . وهم فى مشقة عظيمة من عدم الماء ، ولا يمكنهم الرجوع لعدم من يحملهم ، وأن أمير البندر يشتط عليهم فى الأجرة ، ويأخذ على كل رأس خمسة عشر فرانسا . فحلفت أنها لا تنزل الى المركب حتى ينزل جميع من بالسويس من الحجاج ... المراكب ، ولا يؤخذ منهم الا القدر الذى جعلته على كل فرد منهم . فكان ما حكمت به هذه الحرمة صار لها به منقبة حميدة ، وذكرنا حسناً ، وفرجاً لهؤلاء الخلائق بعد الشدة !



الغلام ..

وفي ذلك الوقت حصل في الناس فزعة ، وأغلقت
أهل سوق الغورية ، والشواتين والفحامين ...
حوادثهم . وبقي ذلك الغلام محبوسا ، ومات
الدلائي المضروب ، في ليلة السبت خامس عشرة ،
فأحضروا ذلك الغلام الى باب زويلة وقطعوا رأسه
ظلما ... ولم يكن هو الضارب !

الخميس ٢٠ منه (٣ نوفمبر ١٨١٤ م)
سافر ابن باشت طرابلس ، وسافر معه عسكر
المغاربة الخيالة .

ذو الحجة

الاثنين غرته (١٤ نوفمبر ١٨١٤ م) :
ورد نجاب من الحجاز ، وأخبر بموت طاهر

الاثنين ٣ منه (١٧ أكتوبر ١٨١٤ م) :

نادى المنادى بوقود قناديل سهارى على
البيوت والوكائل . وكل أربع دكاكين قنديل .

السبت ٨ منه (٢٢ أكتوبر ١٨١٤ م) :

جرسوا شخصا ، وأركبوه على حمار بالملقوب ،
وهو قابض بيده على ذئب الحمار ، وعمبوه
بمصارين ذبيحة ، وعلى كتفه كرش ، بعد أن حلقوا
نصف لحيته وشواربه !

قيل : ان سبب ذلك أنه زور حجة تقرير على
أماكن تتعلق بامرأة أجنبية ، وباع بعض الأماكن .
وكانت تلك المرأة غائبة من مصر ، فلما حضرت ،
وجدت مكانها مسكونا بالذى اشتراه ... فرفعت
قصتها الى كتخدا بيك ، ففعل به ذلك بعد
وضوح القضية .

الاربعاء ١٢ منه (٢٦ أكتوبر ١٨١٤ م) :

سافر عبد الله ابن الشريف سرور الى الحجاز ،
باستدعاء من الباشا ، فأعطوه أكياسا ، وقضى
أشغاله وخرج مسافرا .

وفيه : وقعت حادثة بحارة الكعكيين بين
شخصين من الدلانية رمحا خلف غلام بدوى عمل
نفسه عسكريا مع طائفة المغاربة ، يدعى أحدهما أن
له عنده دراهم ، فهرب منهما الى الخطة المذكورة ،
فرمحا خلفه ، ويبد كل منهما سيفه مسلولا ، فدخل
الغلام الى عطفة الحمام . وفزعت عليهما المغاربة
المتعسكرون القاطنون بتلك الناحية . وضربوا
عليهما بنادق ، فسقط حصان أحد الدلاة ، وأصيب
راكبه ، وهرب رفيقه الى كتخدا بيك ، فأخبره ،
فأمر باحضار كبراء المغاربة ، وطالبهم بالضارب
 فلم يتبين أمره ، وقبضوا على الغلام الهارب
 فحبسوه .

أفندى — وهو أفندى ديوان الباشا — وكان موته في شهر شوال بالمدينة ... حتف أنه .

وورد الخبر أيضا بصلح الشريف راجح مع الباشا ، وأنه قابله ، وأكرمه ، وأنعم عليه بمائتي كيس . وأخبر أيضا بأنه تركه الباشا بناحية الكلخة . وهى ما بين الطائف وتربة .

وانقضت السنة بحوادثها .

وأما من مات في هذه السنة : فمات العمدة الفاضل ، الفقيه النبيه ، الشيخ حسين ، المعروف بابن الكاشف الدمياطى ، ويعرف بالرشيدى .

تعلق بالعلم ، وانخلع من الأمرية والجندية ، وحضر أشياخ العصر ، ولازم حضور الشيخ عبد الله الشرقاوى ، وانتقل من مذهب الحنفية الى الشافعية ، ملازمته لهم في المعقول والمنقول ، وتلقى عن السيد مرتضى أسانيد الحديث والمسلسلات ، وحفظ القرآن في مبدأ أمره برشيد ، وجوده على السيد صديق ، وحفظ شيئا من المتنون قبل مجيئه الى مصر ، وأكب على الاشتغال بالأزهر ، وتزيا بزي الفقهاء .. يلبس العمامة والفرجية ، وتصدر ودرس في الفقه والمعقول وغيرهما .

ولما وصل محمد باشا خسرو الى ولاية مصر ، اجتمع عليه عند قلعة أبى قير ، فجعله اماما يصلى خلفه الأوقات ، وحضر معه الى مصر ولم يزل مواظبا على وظيفته ، وانتفع بنسبته اليه ، واقتنى حصصا واقطاعات ، وتقلد قضايا مناصب البلاد البنادر ، ويأخذ ممن يتولاها الجمالات والهدايا . وأخذ أيضا نظر وقف أزيك وغيره ، ولم يزل تحت نظره بعد انفصال محمد باشا خسرو . واستمر المذكور على القراءة والاقراء حتى توفي أواخر السنة .

ومات الفاضل الشيخ عبد الرحمن الجمل — وهو أخو الشيخ سليمان الجمل — تفقه على أخيه ، ولازم دروسه ، وحضر غيره من أشياخ العصر ، ومشى على طريقة أخيه في التقشف والانجماع عن خلطة الناس . ولما مات أخوه — وكان يملئ الدروس بجامع المشهد الحسينى ، بين المغرب والعشاء على جمع من مجاورى الأزهر والعامه — تصدر للاقراء في محله في ذلك الوقت . فقرأ الشمايل والمواهب والجلالين ، ولم يزل على حالته حتى توفي ثانى عشر ذى الحجة .

ومات الشيخ المفيد محمد الاسناوى ، الشهير بجاد المولى ... ممن جاور بالأزهر ، وحضر دروس أشياخ الوقت من أهل عصره ، ولازم الشيخ عبد الله الشرقاوى في دروسه وبه تخرج ، وواظب عليه في مجالس الذكر ، وتلقى عنه طريقة الخلوتية وألبسه التاج ، وتقدم في خطابة الجمعة والأعياد بالجامع الأزهر ، بدلا عن الشيخ عبد الرحمن البكرى عندما رفعوها عنه . وخطب بجامع عمرو بمصر العتيقة يوم الاستسقاء عندما قصرت زيادة النيل في سنة ثلاث وعشرين ، وتأخر في الزيادة عن أوانه .

ولما حضر محمد باشا خسرو الى مصر ، وصلى صلاة الجمعة بالأزهر ، في سنة سبع عشرة ، خلع عليه بعد الصلاة فروة سمور ، فكان يخرجها من الخزنة ، ويلبسها وقت خطبة الجمعة والأعياد .

وواظب على قراءة الكتب للمبتدئين : كالشيخ خالد والأزهرية ، ثم قرأ شرح الأشموني على الخلاصة . واشتهر ذكره ، ونما أمره في أقبل زمن . وكان فصيحاً مفوهاً في التقرير والالقاء لتفهيم الطلبة . ولم يزل على حالة حميدة في حسن السلوك والطريقة حتى توفي في شهر ذى الحجة ، وقد ناهز الأربعين .

وقيل ان سبب اشاعة خبر مجيئه أنه وصل الى ساحل القصير سفينة بها سبعة عشر شخصا من العسكر ، فسألهم الوكيل الكائن بالقصير عن مجيئهم ، فأجابوه انهم مقدمة الباشا ، وأنه واصل في أثرهم فعندما سمع جوابهم ، أرسل خطابا الى كاتب من الأقباط بقنا يعرفه بقدم الباشا . فكتب ذلك القبطي خطابا الى وكيل شخص من أعيان كتبة الأقباط بأسسوط ، يسمى المعلم بشارة ، فعندما وصله الجواب أرسل جوابا الى موكله بشارة المذكور بمصر ... بذلك الخبر . وفي الحال طلع به الى القلعة ، وأعطاه لبراهيم باشا ، فانتقل به ابراهيم باشا الى مجلس كئخدا بيك . فخلع كئخدا بيك على بشارة خلعة ، وأمر بضرب المدافع ، ونزل المبشرون ، وانتشروا بالبشائر الى بيوت الأعيان ، وأخذ البقاشيش .

ولما حصل التراخي والتباطؤ والتأخر في الحضور بعد الاشاعة ، أخذ الناس في اختلاق الروايات والأقاويل ، كعادتهم ... فمنهم من يقول : « انه حضر مهزوما » ، ومنهم من يقول : « مجروحا » ، ومنهم من يثبت موته ... والشئ الذي أوجب في الناس هذه التخليطات ، ما شاهدوه من حركات أهل الدولة ، وانتقال نسائهم من المدينة ، وطلوعهم الى القلعة بمتاعهم ، وإخلاء الكثير منهم البيوت ، وانتقال طائفة الأرثوود من الدور المتباعدة ، واجتماعهم ، وسكناهم بناحية خطة عابدين ... وكذلك انتقل ابراهيم باشا الى القلعة ، ونقل اليها الكثير من متاعه .

المحترم

٥ منه (١٨ ديسمبر ١٨١٤ م) :

وصل نجاب من الحجاز ، وعلى يده مكاتبات ، بالاخبار عن الباشا والحجاج ، بأنهم حجوا ووقفوا بعرفة ، وقضوا المناسك ..

٩ منه (٢٢ ديسمبر ١٨١٤ م) :

حضر ابراهيم باشا من الجهة القبيلة الى داره الجمالية .

١٠ منه (٢٣ ديسمبر ١٨١٤ م) :

وصل في ليلته قابجي وعلى يده تقرير للباشا من الحجاز الى ساحل القصير ، فضربوا لذلك مدافع من القلعة .

وفي صباحها : خرج ابن الباشا وأخوه ، وكذلك أكابر دولتهم الى ناحية البساتين ، ومنهم من عدى النيل الى البر العربي لملاقاته على مقتضى عادته في عجلته في الحضور ، وعلى حساب مضي الأيام ، من يوم وصوله الى القصير ... فغابوا في انتظاره حتى انقضى النهار ، ثم رجعوا .

١١ منه (٢٤ ديسمبر ١٨١٤ م) :

في صبحه : خرجوا ثم عادوا الى دورهم آخر النهار ، واستمروا على الخروج والرجوع ، ثلاثة أيام ، ولم يحضر .

وكثر لفظ الناس عند ذلك ، واختلفت رواياتهم وأقاويلهم مدة أيام ، ليلا ونهارا ، ثم ظهر كذب هذا الخبر ، وأن الباشا لم يزل بأرض الحجاز .

صيف

الاثنين ٢٥ منه (٦ فبراير ١٨١٥ م) :

نودى بنقص مصارفة أصناف المعاملة ... وقد وصل صرف الريال الفرائسة من الفضة العديدة الى ثلثمائة وأربعين نصفاً ، عنها ثمانية قروش ونصف ، فنودى عليه بنقص نصف قرش . والمحجوب وصل الى عشرة قروش ، فنودى عليه بتسعة قروش . وشدوا في هذه المناداة تشديداً زائداً ، وقتل كل من زاد على ذلك من غير معارضة . وكتبوا مراسيم الى جميع البنادر وفيها التشديد والتهديد ، والاتقام ممن يزيد .

اواخره (اوائل فبراير ١٨١٥ م) :

التزم المعلم غالى بمال الجزية التي تطلب من النصارى ، على خمسة وثمانين كيساً . وسبب ذلك أن بعض أتباع المقيد لقبض الجوالى قبض على شخص من النصارى ، وكان من قسوسهم ، وشد عليه في الطلب وأهانته فأنهوا الأمر الى المعلم غالى ، ففعل ذلك ، قصداً لمنع الايذاء عن أبناء جنسه ، ويكون الطلب منه عليهم ، ومنع المتظاهرين بالاسلام عنهم .

ربيع الأول

الاحد ٩ منه (١٩ فبراير ١٨١٥ م) :

وصلت قافلة طيارى من الحجاز . قدم صحبتها السيد عبد الله الأقماعى ، ومعها هجانة من الحجاز ، وعلى يدهم مكاتبات ، وفيها : الاخبار والبشرى بنصرة الباشا على العرب ، وأنه استولى على « تربة » وغنم منها جمالا وغنائم ، وأخذ منهم أمرى . فلما وصلت الاخبار بذلك ، انطلق المبشرون الى بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش ، وضربوا في صبحها مدافع كثيرة من القلعة .

وأغرب من هذا كله ، اشاعة اتفاق عظماء الدولة على ولاية ابراهيم باشا على الأحكام — عوضاً عن أبيه — في يوم الخميس . ويرتبوا له موكباً يركب فيه ذلك اليوم ، ويشق من وسط المدينة . واجتمع الناس للفرجة عليه ، واصطفوا على المصاطب والدكاكين ... فلم يحصل . وظهر كذب ذلك كله وبطلانه .

واتفق في أثناء ذلك من زيادة الأوهام والتخيلات ، أن رضوان كاشف — المعروف بالشعراوى — سد باب داره التي بالشارع ، بخط باب الشرعية ، وفتح له باباً صغيراً من داخل العطفة التي بظاهره ... فأوشى بعض مبغضيه الى كتحدا ييك فعلته في هذا الوقت — والناس يزداد بهم الوهم ، ويعتقدون صحة ما دار بينهم من الأكاذيب ، وخصوصاً كونه من الأعيان المعروفين — فطلبه كتحدا ييك وقال له : « لأى شىء سددت باب دارك ؟ وما الذى قاله المنجم لك ؟ » . فقال : « ان طائفة من العسكر تشاجروا بالخطة ، ودخلوا الى الدار وأزعجونا ، فسددتها من ناحية الشارع بعدا من الشر ، وخوفا مما جرى على دارى سابقاً من النهب » . فلم يلتفت لكلامه ، وأمر بقتله . فشفع فيه صالح ييك السلحدار ، وحسن أغا مستحفظان . فعفا عنه من القتل ، وأمر بضربه فبطحوه وضربوه بالعصى . ثم نزل بصحبته الأغا الى داره وفتح الباب كما كان .

٢٤ منه (٦ يناير ١٨١٥ م) :

وصلت مكاتبات من الديار الحجازية — من عند الباشا وخلافه — مؤرخة في ثالث عشر ذى الحجة ، يذكرون فيها أن الباشا بمكة ، وطلوسون باشا ابنه بالمدينة ، وحسن باشا وأخاه عابدين ييك وخلافهم بالكلخة ، ما بين الطائف وتربة .

الثلاثاء ١١ منه (٢١ فبراير ١٨١٥ م) :

كان المولد النبوى ، فنودى فى صبحه يزينة المدينة وبولاق ، ومصر القديمة ، ووقود القناديل ، والسهر ثلاثة أيام بلياليها . فلما أصبح يوم الأربعاء — والزينة بحالها الى بعد أذان العصر — نودى برفعها . ففرح أهل الأسواق بازالتها ورفعها ... لما يحصل لهم من التكاليف والسهر فى البرد والهواء ، خصوصا وقد حصل فى آخر ليلة رياح شديدة باردة .

وفى هذه الأيام : سافر محمود بيك والمعلم غالى ، ومن يصحبهم من النصارى الأقباط ، وأخذوا معهم طائفة من الكتبة الافندية المختصين بالروزنامة ، ومنهم محمد أفندى ابن حسين أفندى — المنفصل عن الروزنامة — ونزلوا لاعادة قياس الأراضى ، وتحرير الرى والشراقى . وسبقهم القياسون بالأقصاب ... نزلوا وسرحوا قبلهم بنحو عشرة أيام وشرع كشف النواحي فى قبض الترويجة من المزارعين ، وفرضوا على كل فدان : الأدنى تسع ريالات الى خمسة عشر ... بحسب جودة الأراضى وردائها . وهذا الطلب فى غير وقته ، لأنه لم يحصل حصاد للزرع ، وليس عند الفلاحين ما يقتاتون منه .

ومن العجب أنه لم يقع مطر فى هذه السنة أبدا ، ومضت أيام الشتاء ودخل فصل الربيع ، ولم يقع غيث أبدا ... سوى ما كان يحصل فى بعض الأيام من غيوم وأهوية غربية ، ينزل مع هبوبها بعض رشاش قليل : لا تبتل الأرض منه ، ، يجف بالهواء بمجرد نزوله .

أواخره (اوائل مارس ١٨١٥ م) :

ورد لحضرة الباشا هدية من بلاد الانكليز ، وفيها طيور مختلفة الأجناس والأشكال ، كبار وصغار ، وفيها من يتكلم ويحاكى ،

وآلة مصنوعة لنقل الماء ، يقال لها « الظلمبة » ، وهى تنقل الماء الى المسافة البعيدة ، ومن الأسفل الى العلو ، ومراة زجاج نجف كبيرة — قطعة واحدة — وساعة تضرب مقامات موسيقى فى كل ربع يمضى من الساعة ... بأنغام مطربة ، وشمعدان به حركة غريبة ، كلما طالت فتيلة الشمعة غمز بحركة لطيفة ، فيخرج منه شخص لطيف من جانبه ، فيقط رأس القليلة بمقص لطيف يده ، ويعود راجعا الى داخل الشمعدان ... هذا ما بلغنى ممن ادعى أنه شاهد ذلك .

وفيه : عملوا تسعيرة على المبيعات والمأكولات ، مثل : اللحم والسمن والجبن والشمع ، ونادوا بنقص أسعارها نقصا فاحشا ، وشددوا فى ذلك بالتنكيل والشنق والتعليق ، وخرم الآناف . فارتفع السمن والزبد والزيت من الحوانيت ، وأخفوه ، وطفقوا يبيعونه فى العشيات بالسعر الذى يختارونه على الزبون . وأما السمن فلكثرة طلبه لأهل الدولة شح وجوده ، وإذا ورد منه شيء خطفوه وأخذوه من الطريق بالسعر الذى سعره الحاكم . وانعدم وجوده عند القبانية ، وإذا بيع منه شيء ... يبيع سرا بأقصى الثمن . وأما السكر والصابون قبلنا الخاية فى غلو الثمن ، وقلة الوجود ، لأن ابراهيم باشا احتكر السكر بأجمعه الذى يأتى من الصعيد — وليس بغير الجهة القبلية شيء منه — فيبيعه على ذمته .. وهو فى الحقيقة لأبيه . ثم صار نفس الباشا يعطى لأهل المطابخ بالثمن الذى يعينه عليهم ، ويشاركهم فى ربحه . فزاد غلو ثمنه على الناس ، وبيع الرطل من السكر الصعدي ، الذى كان يباع بخمسة أنصاف فضة ، بشانين نصفاً . وأما الصابون ففرضوا على تجاره غرامة ، فامتنع وجوده ، وبيع الرطل الواحد منه — خفية — بستين نصفاً وأكثر .

وفى هذه الأيام غلا سعر الخنطة والفول وبيع

جمادى الأولى

الأحد ٦ منه (١٦ إبريل ١٨١٥ م) :

ضربت مدافع بغداد الظهيرة لورود مكاتبة بأن
الباشا استولى على ناحية من النواحي ، جهة
قنفدة .

الجمعة ١٨ منه (٢٨ إبريل ١٨١٥ م) :

وصل المحمل الى بركة الحج ، وصحبته من بقى
من رجال الركب ، مثل خطيب الجبل ، والصيرفي ،
والمحملية . ووردت مكاتبات بالقبض على طامى ،
الذى جرى منه ما جرى فى وقائع « قنفدة »
السابقة ، وقتله العساكر ... فلم يزل راجح الذى
اصطالح مع الباشا ينصب له الجبال حتى صاده

وذلك أنه عمل لابن أخيه مبلغا من المال ان هو
أوقعه فى شركه . فعمل له وليمة ، ودعاه الى محله ،
فأتاه آمنا ، فقبض عليه واغتاله طمعا فى المال !

وأثوا به الى عرضى الباشا فوجهه الى بندو
جدة فى الحال ، وأنزلوه السفينة ، وحضروا به الى
السويس ، وعجلوا بحضوره . فلما وصل الى
البركة — والمحمل اذ ذاك بها — خرجت جميع
العساكر فى ليلة الاثنين ، حادى عشرته ، وانجروا
فى صبحها طوائف وخلفهم المحمل . وبعد مرورهم
دخلوا بطامى المذكور ، وهو راكب على هجين ،
وفى رقبتة الحديد ، والجنزير مربوط فى عنق
الهجين ... وصورته : رجل شهم عظيم اللحية ،
وهو لابس عباءة عبدانى ، ويقرأ وهو راكب
وعملوا فى ذلك اليوم شنكا ومدافع ، وحضر أيضا
عابدين بيك ، وتوجه الى داره فى ليلة الاثنين .

جمادى الآخرة

الاثنين ٥ منه (١٥ مايو ١٨١٥ م) :

وصلت عساكر فى داوات الى السويس ، وحضروا

الأردب بألف ومائتى نصف فضة — خلاف الكلف
والأجرة — مع أن الأهراء والشون ببولاقي ملانة
بالفلال ، ويأكلها السوس ، ولا يخرجون منها
للبيع شيئا ... حتى قيل لكتخد بيك فى اخراج
شيء منها يباع فى الناس ، فلم يأذن ... وكأنه لم
يكن مأذونا من مخدمه .

ربيع الآخر

الاثنين ٨ منه (٢٠ مارس ١٨١٥ م) :

عمل محرم بيك الكورتنيلة بالجيزة على نسق
السنة الماضية ، من اخراج الناس وازعاجهم ، تطيرا
وخوفا من الطاعون .

وفيه : خوزقوا شيخ عرب بلى — فيما بين
قبة العزب والهيايل — بعد حبسه أربعة أشهر .

٢٨ منه (٩ إبريل ١٨١٥ م) :

ضربت مدافع ، وأشيع الخبر بوصول شخص
عسكرى بمكاتبات من الباشا وخلافه ، والخبر
بقدوم الباشا .

واتنشرت المبشرون الى بيوت الأعيان وأصحاب
المظاهر — على عاداتهم — لأخذ البقاشيش . فمن
قائل انه وصل الى القصير ، ومن قائل انه نزل الى
السفينة بالبحر ، ومنهم من يقول انه حضر الى
السويس . ثم اختلفت الروايات وقالوا : ان الذى
وصل الى السويس حريم الباشا فقط . ثم تبين
كذب هذه الأقاويل ، وأنها مكاتبات فقط مؤرخة
أواخر شهر صفر ، يذكرون فيها أن الباشا حصل
له نصر ، واستولى على ناحية يقال لها يشة ورينة ،
وقتل الكثير من الوهابيين ، وأنه عازم على الذهاب
الى ناحية قنفدة ، ثم ينزل بعد ذلك الى البحر ،
ويأتى الى مصر .

ووصل الخبر بوفاة الشيخ ابراهيم كاتب

الصرة .

الأطفال جلبة وغوغاء في ذهابهم ورجوعهم في الأسواق ، وعلى بيت الذى يقسم عليهم .

رجب

الأربعاء ٦ منه (١٤ يوية ١٨١٥ م) :

وصلت هجانة من ناحية قبلى ، وأخبروا بوصول الباشا الى القصير . فخلع عليهم كتخدا بيك كسناوى ، ولم يأمر بعمل شنك ولا مدافع حتى يتحقق صحة الخبر .

الجمعة ٨ منه (١٦ يونية ١٨١٥ م) :

احترق بيت طاهر باشا بالأزبكية ، والبيت الذى بجواره أيضا .

وفيه - قبل العصر - ضربت مدافع كثيرة من القلعة والجزيرة ، وذلك عندما ثبت وتحقق ورود الباشا الى قنا وقوص . ووصل أيضا حريم الباشا ، وطلعوا الى قصر شبرا ، وركب للسلام عليها جميع نساء الأكابر والأعيان ... بهديا لهم وتقادهم . ومنعوا المارين من المسافرين والفلاحين الواصلين من الأرياف ... المرور من تحت القصر ، الذى هو الطريق المعتادة للمسافرين فكانوا يذهبون ويسرون من طريق استحدثوها ، منعقة خلف تلك الطريق ، ومستبعدة بمسافة طويلة .

الخميس ١٤ منه (٢٢ يوية ١٨١٥ م) :

انخسف جرم القبر جميعه بعد الساعة الثالثة ، وكان فى آخر برج القوس .

الجمعة ١٥ منه (٢٣ يوية ١٨١٥ م) :

وصل الباشا الى الجزيرة ليلا ، فأقام بها الى آخر الليل ، ثم حضر الى داره بالأزبكية فأقام بها يومين . وحضر كتخدا بيك وأكابر دولته للسلام عليه ، فلم يأذن لأحد ... وكذلك مشايخ الوقت ذهبوا ورجعوا . ولم يجتمع به أحد سوى لالى

الى مصر ، وعلى رءوسهم شلنجات فضة ... اعلاما واشارة بأنهم مجاهدون ، وعائدون من غزو الكفار ، وأنهم افتتحوا بلاد الحرمين ، وطردوا المخالفين لديانتهم . حتى أن ملوسون باشا وحسن باشا كتبوا فى امضاءهما على المراسلات - بعد اسمهما - لفظة « المغازى » والله أعلم بخلقه .

الجمعة ٩ منه (١٩ مايو ١٨١٥ م) :

أخرجوا عساكر كثيرة ... وجهوهم الى الثغور ومحافظة الأساكل خوفا من طارق بطرق الثغور لأنه أشيع أن بونايرته كبير الفرساوية خرج من الجزيرة التى كان بها ، ورجع الى فرانسا وملكها ، وأغار على بلاد الجورنة ، وخرج بمسيرة كبيرة لا يعلم قصده الى أى جهة يريد ... فرعا طرق نجر الاسكندرية أو دمياط على حين غفلة وقيل غير ذلك .

وسئل كتخدا بيك عن سبب خروجهم ، فقال : « خوفا عليهم من الطاعون ، ولئلا يوخسوا المدينة » لأنه وقع فى هذه السنة موتان بالطاعون ، وهلك الكثير من العسكر وأهل البلدة والأطفال والجواري والعييد - خصوصا السودان - فانه لم يبق منهم الا القليل النادر ، وخلت منهم الدور .

الخميس ١٥ منه (٢٥ مايو ١٨١٥ م) :

أخرج كتخدا بيك صدقة تفرق على الأولاد الأيتام الذين يقرأون بالكتاتيب ، ويلبسون برفع الطاعون ! فكانوا يجمعونهم ، ويأتى بهم فقهاؤهم الى بيت حسين ، كتخدا الكتخدا ، عند حيضان مصلى ، ويدفعون لكل صغير ورقة بها ستون نصفاً فضة : يأخذ منها جزء الذى يجمع الطائفة منهم ويدعى أنه مجلبهم ، زيادة عن حصته . لأن معظم المكاتب مغلوقة ، وليس بها أحد بسبب تعطيل الأوقاف وقطع ايرادهم . وصار لهذه

وفيه : حضر محمود بيك والمعلم غالى من
مرحتهما ، وقابلا الباشا ، وخلع عليهما وكساهما ،
وألبسهما فراوى سمور . فركب المعلم غالى ، وعليه
الخلعة ، وشق من وسط المدينة ، وخلفه عدة كثيرة
من الأقباط ليراه الناس ، ويكمد الأعداء ، ويظهر
ما قبل من التقولات . ثم قام هو ومحمود بيك
أياما قليلة ، ورجعا لأشغالهما وتنظيم أفعالهما من
تحرير القياس وجبى الأموال . وكانا أرسلتا قبل
حضورهما عدة كثيرة من الجمال الحاملة للأموال :
فى كل يوم قطارات بعضها اثر بعض ، من الشرقية
والغربية والمنوفية وباقى الأقاليم .

وفيه : حضر شيخ طرهونة بجهة قبلى ، ويسمى
كريم — بضم الكاف وفتح الراء وتشديد الياء
وسكون الميم — وكان عاصيا على الباشا ، ولم
يقبله أبدا . فلم يزل يحتال عليه ابراهيم باشا ،
ويصالحه ويمنيه ، حتى أتى اليه وقابله وأمنه .
فلما حضر الباشا — أبوه — من الحجاز ، أتاه على
أمان ابنه ، وقدم معه هدية وأربعين من الابل ..
فقبل هديته ، ثم أمر برمى عنقه بالرميلة !

شعبان

الأحد غرته (٩ يولية ١٨١٥ م) :

استهل .. والناس فى أمر مريج من قطع أرزاقهم .
وأرباب الالتزامات والحصص التى ضبطها الباشا ،
ورفع أيديهم عن التصرف فى شىء منها — خلاطين
الأوسية — فانه ساعهم فيه ... سوى ما زاد عن
الروك الذى قاسنوه ، فانه لديوانه . ووعدهم
بصرف المال الحر المعين بالسند الديوانى فقط ...
بعد التحرير والمحافقة ، ومناقضة الكتبة الأقباط فى
القوائم . وأقاموا منتظرين انجاز وعده ، أياما ،
يغدون ويروحون ، ويسألون الكتبة ومن له صلة
بهم .. وقد ضاق خناقهم من التفليس ، وقطع
الاراد ، ورضوا بالأقل ، وتشوفوا لحصوله . وكل

يوم . وترادفت عليه التقادم والهدايا من كل نوع :
من أكابر الدولة ، والنصارى بأجناسهم ، خصوصا
الأرمن وخلافهم .. بكل صنف من التحف ، حتى
السرارى البيض بالحلى والجواهر وغير ذلك !
وأشيع فى الناس ، فى المصر وفى القرى ، بأنه تاب
عن الظلم ، وعزم على اقامة العدل . وأنه نذر على
نفسه : أنه اذا رجع منصورا ، واستولى على أرض
الحجاز ، أفرج للناس عن حصصهم ، ورد الأرزاق
الاجباسية الى أهلها . وزادوا على هذه الاشاعة
أنه فعل ذلك فى البلاد القبلية ، ورد كل شىء الى
أصله . وتناقلوا ذلك فى جميع النواحي ، وباتوا
يتخيلونه فى أحلامهم !

ولما مضى من وقت حضوره ثلاثة أيام ،
كتبوا أوراقا لمشاهير الملتزمين . مضمونها :
أنه بلغ حضرة أفندينا ما فعله الأقباط من ظلم
الملتزمين والجور عليهم فى فائظهم ، فلم يرض
بذلك ... والحال أنكم تحضرون بعد أربعة
أيام ، وتحاسبوا على فائظكم وتقبضونه ، فان
أفندينا لا يرضى بالظلم ... وعلى الأوراق امضاء
الدفتردار .

ففرح أكثر المغفلين بهذا الكلام ، واعتقدوا
صحته . وأشاعوا أيضا أنه نصب تجاه قصر شبوا
خوازيق للمعلم غالى وأكابر القبط .

الأحد ٢٤ منه (٢ يولية ١٨١٥ م) :

حضر الكثير من أصحاب الأرزاق الكائنين
بالقرى والبلاد ، مشايخ وأشرافا وفلاحين ،
ومعهم ييارق وأعلام ... مستبشرين وفرحين بما
سمعوه وأشاعوه ، وذهبوا الى الباشا — وهو
يعمل رماحة بناحية القبة ، برمى بنادق كثيرة
وميدان تعليم — فلما رأهم وأخبروه عن سبب
مجيئهم ، فأمر بضربهم وطردهم ! ففعلوا بهم
ذلك ، ورجعوا خائبين ..

فليل يوعدون : بعد أربعة أيام أو ثلاثة أيام ،
حتى تحرر الدفاتر . فإذا تحررت قيل ان
الباشا أمر بتغييرها وتحريرها على نسق آخر .
ويكرر ذلك ثانيا وثالثا على حسب تفاوت المتحصل
في السنين ، وما يتوفر في الخزينة قليلا أو كثيرا .
وفيه : وصل رجل تركى على طريق دمياط ،
يُزعم أنه عاش من العمر زمنا طويلا ، وأنه أدرك
أوائل القرن العاشر ، ويذكر أنه حضر الى مصر مع
السلطان سليم ، وأدرك وقته وواقعه مع السلطان
النورى ، وكان في ذلك الوقت تابعا لبعض
البيروقراطية وشاع ذكره ، وحكى من رآه أن
ذاته تخالف دعواه ، وامتحنه البعض في مذاكرة
الأخبار والوقائع ، فحصل منه تخليط . ثم أمر
الباشا بنفيه وإبعاده ، فأنزلوه في مركب ، وغاب
خبره ، فيقال أنهم أغرقوه . والله أعلم .

الأربعاء ٢٥ منه (٢ اغسطس ١٨١٥ م) :

عملوا الديوان ببیت الدفتردار ، وفتحوا باب
صرف الفائض على أبواب حصص الالتزام . فجعلوا
يعطون منه جانبا ... وأكثر ما يعطونه نصف القدر
الذى قرروه ، وأقل وأزيد قليلا .

وفيه : أمر الباشا لجميع العساكر بالخروج الى
الميدان لعمل التعليم والراحة ، خارج باب النصر ،
حيث قبة العزب . فخرجوا من ثلث الليل الأخير ،
وأخذوا في الراحة والبسطة المتواصلة المتتابة
مثل الرعود — على طريقة الافرنج — وذلك من
قبيل الفجر الى الضحوة . ولما انقضى ذلك رجعوا
داخلين الى المدينة في كبكة عظيمة ، حتى زحموا
الطرق بخيولهم من كل ناحية ، وداسوا أشخاصا
من الناس بخيولهم ... بل وحميرا أيضا .

وأشيع أن الباشا قصده احصاء العسكر وترتيبهم
على النظام الجديد ، وأوضاع الافرنج ، ولبسهم
الملابس المقطعة ، ويغير شكلهم .

وركب في ثانى يوم الى بولاق ، وجمع عساكر
ابنه اسماعيل باشا ، وصنفهم على الطريقة المعروفة
بالنظام الجديد ، وعرفهم قصده ... فعل ذلك بجميع
العساكر ، ومن أبى ذلك ، قابله بالضرب والطرده
والنفى ، بعد سلبه حتى من ثيابه ، ثم ركب من
بولاق وذهب الى شبرا . وحصل فى العسكر
قلقلة ولغط ، وتناجوا فيما بينهم ، وتفرق الكثير
منهم عن مخاديمهم وأكابرهم ، ووافقهم على
النفور بعض أعيانهم ، واتفقوا على غدر الباشا .
ثم أن الباشا ركب من قصر شبرا ، وحضر الى
بيت الألبكية — ليلة الجمعة ثامن عشرينه —
وقد اجتمع عند عابدين بيك ، يداره ، جماعة
من أكابرهم فى وليمة ، وفيهم حجويك ، وعبد الله
أغا صارى جلّه ، وحسن أغا الازرنجلى ...
فتفاوضوا بينهم أمر الباشا وما هو شارع فيه ،
واتفقوا على الهجوم عليه فى داره بالألبكية فى
الفجيرة . ثم ان عابدين بيك غافلهم ، وتركهم فى
أنسهم ، وخرج متسكرا مسرعا الى الباشا وأخبره
ورجع الى أصحابه . فأسرع الباشا فى الحال
الركوب فى سادس ساعة من الليل ، وطلب عساكر
ظاهر باشا فركبوا معه ، وحوط المنزل بالعساكر .
ثم أخلف الطريق ، وذهب على ناحية الناصرية
ومرمى الشباب ، وصعد الى القلعة ، وتبعه من
يثق به من العساكر .

وانخرم أمر المتوافقين ، ولم يسعهم الرجوع
عن عزميتهم ، فساروا الى بيت الباشا يريدون
نهبه فمانعهم المرابطون ، وتضاربوا بالرصاص
والبنادق ، وقتل بينهم أشخاص ، ولم ينالوا
غرضا . فساروا على ناحية القلعة ، واجتمعوا
بالرميلة وقراميدان ، وتحيروا فى أمرهم ، واشتد
غيظهم ، وعلموا أن وقوفهم بالرميلة لا يجدى
شيئا ... وقد أظهروا المخاصمة ، ولا غرة تعود
عليهم فى رجوعهم وسكونهم ، بل ينكشف بهم ،

وتنذك أنفسهم ، ويلحقهم اللوم من أقرانهم الذين لم ينضموا إليهم .

فأجمع رأيهم — لسوء طباعهم وخبت عقيدتهم وطرائقهم — أنهم يتفرقون في شوارع المدينة ، وينهبون متاع الرعية وأموالهم ! فإذا فعلوا ذلك فيكثر جمعهم ، وتقوى شوكتهم ، ويشاركهم المتخلفون عنهم لرغبة الجميع في القبايح الذميمة ، ويعودون بالغنيمة ، ويحصلون من الحواصل ، ولا يضيع سعيهم في الباطل ، كما يقال في المثل : « ما قدر على ضرب الحمار ، فضرب البرذعة » ! ونزلوا على وسط قصبة المدينة ، على الصليبة ، على السروجية... وهم يكسرون ويهشمون أبواب الحوائيت المغلقة ، وينهبون ما فيها ، لأن الناس لما تسمعوا بالحركة ، أغلقوا حوائيتهم وأبوابهم ، وتركوا أسبابهم ... طلبا للسلامة .

وعند ما شاهد باقيهم ذلك أسرعوا للقوق ، وبأدروا معهم للنهب والخطف ... بل وشاركهم الكثير من الشطار والزعر والعامة المقلين والجياع ، ومن لا دين له . وعند ذلك كثر جمعهم ، ومضوا على طريقهم إلى قصبة رضوان ، إلى داخل باب زويلة ، وكسروا حوائيت السكرية ، وأخذوا ما وجدوه من الدراهم ، وما أحبوه من أصناف السكر . فجعلوا يأكلون ويحملون ، ويبددون الذي لم يأخذوه وبلقونه تحت الأرجل في الطريق . وكسروا أواني الحلوى ، وقبضوا المربيات ... وفيها ما هو من الصيني والبياغوري والأفنجي ، ومجامع الأشربة وأقراص الحلوى الملونة والرشال والملبس والفانيد والحماض والبنفسج .

وبعد أن يأكلوا ، ويحملوا هم وأتباعهم ، ومن انضاف لهم من الأوباش البلدية والحرافيش والجميدية ، يلقون ما فضل عنهم على قارعة الطريق .. بحيث صار السوق — من حد باب

زويلة إلى المناخلية ، مع اتساعه وطوله — مرسوما ومنقوشا بألوان السكاكر ، وأقراص الأشربة الملونة ، وأعسال المربيات سائلة على الأرض .

وكان أهل ذلك السوق ، المتسبون ، جددوا وطبخوا أنواع المربيات والأشربة عند وفور الفواكه وكثرتها في هوانها — وهو هذا الشهر المبارك — مثل الخسوخ والتفاح والبرقوق والتوت والقرع المسير ، والحصرم والسفرجل . وملأوا الأوعية ، وصنفوها في حوائيتهم للبيع ... وخصوصا على موسم شهر رمضان .

ومضوا في سيرهم إلى العقادين الرومي ، والغورية ، والأشرفية ، وسوق الصاغة . ووصلت طائفة إلى سوق مرجوش ، فكسروا أبواب الحوائيت والوكائل ، والخانات ، ونهبوا ما في حواصل التجار من الأقمشة المحلاوي والبر والحرير والزردخان .

ولما وصلت طائفة إلى رأس خان الخليلي ، وأرادوا العبور والنهب ... فزعت فيهم الأتراك والأرتوود ، الذين يتعاطون التجارة ، الساكنون بخان اللبن والنحاس وغيرها ، وضربوا عليهم بالرصاص . وكذلك من سوق الضرماتية ، والأتراك الخردجية — الساكنون بالرباع بباب الزهومة — جعلوا يرمون عليهم من الطيقان بالرصاص حتى ردوهم ومنعوهم .

وكذلك تعصبت طائفة المغاربة ، الكائنون بالمفحامين وحارة الكمكيين ... رموا عليهم بالرصاص ، وطردوهم عن تلك الناحية ، وأغلقوا البوابات التي على رموس العطف . وجلس عند كل درب أناس ، ومن فوقهم أناس من أهل الحطة بالرصاص ، تمنع الواصل إليهم .

ووصلت طائفة إلى خان الحزاوي ، فعالجوا في بابه جتي كسروا الخوخة التي في الباب ، وعبروا الخان ، وكسروا حواصل التجار

لأنفسهم . وإذا هشتت العساكر حانوتا ، وخطفوا منها شيئا ، ولحقهم من يطردهم عنها ... استأصل اللاحقون ما فيها ، واستباح الناس أموال بعضهم البعض !

وكان هذا الحادث ، الذى لم نسمع بنظيره فى دولة من الدول ، فى ظرف خمس ساعات ، وذلك من قبيل صلاة الجمعة الى قبيل العصر .. حصل للناس فى هذه المدة اليسيرة من الانزعاج والخوف الشديد ، ونهب الأموال ، واتلاف الأسباب والبضائع ... ما لا يوصف . ولم تصل الجمعة فى ذلك اليوم ، وأغلقت المساجد الكائنة بداخل المدينة ، وأخذ الناس حذرهم ، ولبسوا أسلحتهم ، وأغلقت البوابات ، وقعدوا على الكرائك والمرايط والتاريس ، وسهروا الليالى ، وأقاموا على التحذر والتحفظ والتخوف ... أياما وليالى .

السبت ٢٨ منه (٥ اغسطس ١٨١٥ م - ٣٠ أيبب ١٢٣١ ق) :

أوفى النيل المبارك أذرعه ، وكان ذلك اليوم أيضا ليلة رؤية هلال رمضان ، فصادف حصول الموسمين فى آن واحد ، فلم يعمل فيها موسم ولا شنك — على العادة — ولم يركب المحتسب ولا أرباب الحرف بموكبهم وطبولهم وزمورهم . وكذلك شنك قطع الخليج ، وما كان يعمل فى ليلته من المهرجان فى النيل وسواحله ، وعند السد ، وكذلك فى صبحه ، وفى البيوت المطلة على الخليج ... فبطل ذلك جميعه ، ولم يشعر بهما أحد ، وصام الناس باجتهادهم .

وكان وفاء النيل فى هذه السنة من النوادر . فان النيل لم تحصل فيه الزيادة بطول الأيام التى مضت من شهر أيبب ، الا شيئا يسيرا ، حتى حصل فى الناس وهم زائد ، وغلا سعر الغلة ، ورفعوها من السواحل والعرصات . فأفاض المولى فى النيل واندفعت فيه الزيادة العظيمة . وفى ليلتين أوفى

من نصارى الشوام وغيرهم ، ونهبوا ما وجدوه من النقود ، وأنواع الأقمشة الهندية والشامية ، والمقصبات ، وبالات الجوخ والقטיפه ، والأصطوفة وأنواع الأطلس ، والألارجات والسهلاوى ، والجنفس والصندل والحبر ، وأنواع الثيت والحريير الخام والأبريسم ... وغير ذلك .

وتبعهم الحدم والعامه فى النهب ، وأخرجوا مافى الدكاكين والخواصل من أنواع الأقمشة ، وأخذوا ما أعجبهم واختاروه وانتقوه ، وتركوا ما تركوه ، ولم يقسروا على حمله ... مطروحا على الأرض ودهلز الخان وخارج السوق ، يطأون عليه بالأرجل والنعال .

ويعدو القوى على الضعيف فيأخذ ما معه من الأشياء الثمينه ، وقتل بعضهم البعض ، وكسروا أبواب الدكاكين التى خارج الخان بالخطه ، وأخرجوا مافيه من التحف والأوانى الصينى ، والزجاج المذهب ، والكاسات البلور ، والصحون والأطباق والفناجين البيشة ، وأنواع الخردة وأخذوا ما أعجبهم وما وجدوه من نقود ودراهم ، وهشموا البواقى وكسروه ، وألقوه على الأرض تحت الأرجل ... شقافا متنوعه .

وكذلك فعلوا بسوق البندقانيين وما به من حوائت العطارين ، وطرحوا أنواع الأشياء العطرية بوسط الشارع تداس بالأرجل أيضا !

وفعلوا ما لا خير فيه ، من نهب أموال الناس والاتلاف . ولولا الذين تصدوا لدفعهم ومنعهم بالبنادق والكرائك وغلق البوابات ، لكان الواقع أفظع من ذلك ، ولنهبوا أيضا البيوت وفجروا بالنساء ، والعياذ بالله ، ولكن الله سلم . وشاركهم فى فعلهم الكثير من الأوباش ، والمغاربة المدافعين أيضا ... فانهم أخذوا أشياء كثيرة ، وكانوا يقبضون على من يرب بهم — ممن يقدرون عليه من النهاين — ويأخذون ما معهم

رضان

الاثنين غوته (٧ اغسطس ١٨١٥ م) :

استهل ... والناس في أمر مريع ، وتخوف شديد ، وملازمون للسهر على الكرانك ، ويتحاشون المشى والذهاب والمجيء . وكل أهل خطة ملازم لخطته وحارته . وكل وقت يذكرون وينقلون بينهم روايات وحكايات ووقائع مزعجات . وتناولت أيدي العساكر بالتعدي والأذية والفتك والقتل لمن يتفردون به من الرعية .

الثلاثاء ٢ منه (٨ اغسطس ١٨١٥ م) :

في ليلته : طلع السيد محمد المحروقي ، وطلع صحبته : الشيخ محمد الدواخلي تقيب الاشراف ، وابن الشيخ العروسي ، وابن الصاوي ، المتعينون في مشيخة الوقت ، وصحبتهم شيخ الغورية وطائفته . وقد ابتدأوا بهم في املاء ما نهب لهم من حوائثهم بعدما حرروها عند السيد محمد المحروقي ، وتحليفهم — بعد الاملاء — على صدق دعواهم . وبعد التحليف والمحاكمة ، يتجاوز عن بعضه لحضرة الباشا ، ثم يثبتون له الباقي ... فاستقر لأهل الغورية خاصة مائة وثمانون كيسا . فدفعت لهم ثلثيها ، وآخر لهم الثلث ، وهو ستون كيسا ، يستوفونها فيما بعد : اما من عروضهم ان ظهر لهم منها شيء ، أو من الخزينة . ولازم الجماعة الطلوع والنزول ، في كل ليلة ، لتحرير بواقى المنهوبات . وأيضا استقر لأهل خان الحمزاوي نحو من ثلاثة آلاف كيس كذلك ، ولطائفة العسكرية نحو من سبعين كيسا خصمت لهم من ثمن السكر الذي يتناعون من الباشا .

واستمر الباشا بالقلعة يدبر أموره ، ويجذب قلوب الناس من الرعية ، وأكابر دولته ... بما

أذرعته قبل مظنته .. فان الوفاء لا يقع في الغالب الا في شهر مسرى ، ولم يحصل في أواخر أييب الا في النادر . واني لم أدركه في سنين عمرى أوفى في أييب الا مرة واحدة ... وذلك في سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف ، فتكون المدة بين تلك وهذه المدة سبعا وأربعين سنة .

وفيه : أرسل الباشا بطلب السيد محمد المحروقي . فطلع اليه ، وصحبته عدة كبيرة من عسكر المغاربة لخفارته . فلما واجهه قال له : « هذا الذي حصل للناس من نهب أموالهم .. في صحائف ، والقصد أنكم تتقدمون لأرباب المنهوبات ، وتجمعونهم بديوان خاص — طائفة بعد أخرى — وتكتبون قوائم لكل طائفة بما ضلح لها ، على وجه التحرير والصحة ، وأنا أقوم لهم بدفعه بالغا ما بلغ » . فشكر له ودعا له ، ونزل الى داره .

وعرف الناس بذلك ، وشاع بينهم فحصل لأربابه بعض الاطمئنان .

وطلع الى الباشا كبار العسكر ، مثل : عابدين بيك ، ودبوس أوغلي ، وحجو بيك ، ومجويك ... واعتذروا ، وتنصلوا ، وذكروا وأقروا أن هذا الواقع اشتركت فيه طوائف العسكر ، وفيهم من طوائفهم وعساكرهم ، ولا يخفاه خبث طباعهم . فتقدم اليهم بأن يتفقدوا بالفحص ، واحصاء ما حازه وأخذه كل من طوائفهم وعساكرهم . وشدد عليهم في الأمر بذلك .. فأجابوه بالسمع والطاعة ، وامتثلوا لأمره ، وأخذوا في جمع ما يمكنهم وارساله الى القلعة ، وركبوا وشقوا بشوارع المدينة ، وأمامهم المناداة بالأمان !

وأحضر الباشا المعمار ، وأمره بجمع النجارين والمعمرين واشغالهم في تعمير ما تكسر من أخشاب الدكاكين والأسواق ، ويدفع لهم أجرتهم ، وكذلك الأخشاب على طرف الميرى .

لهم بخمسة وعشرين كيسا ، ففرقت فيهم ...
فسكتوا !

وفيه : نزل كنتخدا بيك ، وشق من وسط المدينة ،
ونزل عند جامع الغورية ، وجلس فيه ، ورسم
لأهل السوق بفتح حوائيتهم ، وأن يجلسوا
فيها ... فامتلأوا ، وفتحوا الحوائيت ، وجلسوا
على تخوف .. كل ذلك مع عدم الراحة والهدوء ،
وتوقع المكروه ، والتظير من العسكر ، وتمعدى
السفهاء منهم فى بعض الأحيان ، والتحرز
والاحتراس .

وأما النصارى فانهم حصنوا مساكنهم ونواحيهم
وحاراتهم ، وسدوا المنافذ ، وبنوا كراك ،
واستعدوا بالأسلحة والبنادق ، وأمدهم الباشا
بالبارود وآلات الحرب — دون المسلمين — حتى
أنهم استأذنوا كنتخدا بيك فى سد بعض الطارات
النافذة التى يخشون وقوع الضرر منها ، فمنع
من ذلك . وأما النصارى فلم يمنعهم . وقد تقدم
ذكر فعله مع رضوان كاشف ... عندما سد باب
داره ، وفتح من جهة أخرى ، وعززه وضربه
وبهدله بوسط الديوان .

وفيه : وصل نجيب أفندى — وهو قبى
كنتخدا الباشا عند الدولة — الى بولاق . فركب
اليه كنتخدا بيك وأكابر الدولة والأغا والوالى ،
وقابلوه ونظموا له موكبا من بولاق الى القلعة ،
ودخل من باب النصر . وحضر صحبته خلع
برسم الباشا وولده طوسون باشا ، وسيفان ،
وشلنجان . وهدايا ، وأحقاق نشوق مجوهره .
وعملوا لوصوله شنكا ومدافع من القلعة وبولاق .
وفيه : ارتحل الدلاة المسافرون الى الحجاز ،
ودخل حجوا بيك الى المدينة بطائفته .

وفى ضحوة ذلك اليوم — بعد انقضاء
أمر الموكب — حصل فى الناس زعجة وكرشات ،

يفعله من بذل المال ، ورد المنهوبات ، حتى ترك
الناس يسخطون على العسكر ، ويترضون عنه .
ولو لم يفعل ذلك ، وثارت العساكر هذه الثورة ،
ولم يقع منهم نهب ولا تعد .. لساعدتهم الرعية ،
 واجتمعت عليهم أهالى القرى ، وأرباب
الاقطاعات .. لشدة نكايتهم من الباشا ، بضبط
للرزق والالتزامات ، وقياس الاراضى ، وقطمع
العايش . وذلك من سوء تدبير العسكر ، وسعادة
الباشا ، وحسن سياسته : باستجلابه الخواطر ،
وتملقه بالكلام اللين ، والتصنع ، ويلوم على
فعل العسكر ، ويقول بمسمع الحاضرين : « ما ذنب
الناس معهم ؟ خصوصا خصامهم : معى أو مع
الرعية ؟ .. ها أنا لى منزل بالأزبكية فيه أموال
وجواهر وأمتعة ، وأشياء كثيرة ، وسراية ابنى
اسماعيل باشا ببولاق ، ومنزل الدفتردار » ! ونحو
ذلك .

ويتحصيل ويتحوقل ، ويعمل فكرته ، ويدبر
أمره فى أمر العسكر وعظمائهم ، وينعم عليهم ،
ويعطيهم الأموال الكثيرة ، والأكياس العديدة ...
لأنفسهم وعساكرهم . وتنبذ طائفة منهم ويقولون :
« نحن لم نهب ولم يحصل لنا كسب » ، فيعطيه
ويفرق فيهم المقادير العظيمة . فأنعم على عابدين
بيك بألف كيس ، ولغيره دون ذلك .

وفى أثناء ذلك أخرج جردة من عسكر الدلاة
ليسافروا الى الديار الحجازية ، فبرزوا الى خارج
باب الفتوح — حيث المكان المسمى بالشيوخ
قمر — ونصبوا هناك وطاقهم ، وخرجت أحمالهم
وأثقالهم .

الخميس ٤ منه (١٠ افسطس ١٨١٥ م) :

ثارت طائفة الطوبجية ، وخاضوا ، وضجوا
— وهم نحو الأربعمائة — وطلبوا نفقة ... فأمر

وأغلقوا البوابات والدروب . واتصل هذا الانزعاج بجميع النواحي ... حتى الى بولاق ومصر القديمة ، ولم يظهر لذلك أصل ولا سبب من الأسباب مطلقا .

وفي تلك الليلة : ألبس الباشا حجو بيك خلعه ، وتوجه بطرطور طويل ، وجعله أميراً على طائفة من الدلاة ، وانخلع هو وأتباعه من طريقتهم التركية التي كانوا عليها .

وهؤلاء الطائفة — التي يقال لهم دلاة — نسبوا أنفسهم الى طريقة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وأكثرهم من نواحي الشام وجبال الدروز والمتأولة .. وتلك النواحي يركبون الأكادش ، وعلى رؤوسهم الطراير السود ، مصنوعة من جلود الغنم الصغار ... طول الطرطور نحو ذراع ، وإذا دخل الكنيف نزع من على رأسه ووضعه على عتبة الكنيف ! وما أدري : أذلك تعظيم له عن مصاحبته معه في الكنيف ، أو لخوف وحذر من سقوطه ان انصدم بأسكفة الباب في صحن المرحاض أو الملاقى ؟

وهؤلاء الطائفة مشهورة في دولة العثمانيين بالشجاعة والاقدام في الحروب ، ويوجد فيهم من هو على طريقة حبيدة ، ومنهم دون ذلك — وقليل ما هم . ولكونهم من تمام النظام ، رتبهم الباشا من أجناسه وأتراكه خلاف الأجناس الغربية ومن بقى من أولئك يكون تبعا لا متبوعا .

الثلاثاء ١٦ منه (٢٢ اغسطس ١٨١٥ م) :

حصل مثل ذلك المتقدم من الانزعاج والكرشات ... بل أكثر من المرة الأولى . ورمح الرامحون ، وأغلقت الحوانيت ، وطلبت الناس السقائين ، الذين ينقلون الماء من الخليج ، ويبيع القربة بعشرة أنصاف فضة ، والراوية بأربعين . فنزل الأغا ، وأغات التبديل ، وأمامهم المناداة بالأمان ،

وينادون على العساكر أيضا ، ومنعهم من حمل البنادق ، ويأمرون الناس بالتحفظ .

واستمر هذا الأمر والارتجاج الى قبيل العصر ، وسكن الحال ، وكثر مرور السقائين ، وبيعت القربة بخمسة أنصاف ، والراوية بخمسة عشر ... ولم يظهر لهذه الحركة سبب أيضا . وتقول الناس بطول نهار ذلك اليوم أصنافا وأنواعا من الروايات والأقاويل التي لا أصل لها

الأربعاء ١٧ منه (٢٣ اغسطس ١٨١٥ م) :

حضر الشريف راجح من الحجاز ، ودخل المدينة وهو راكب على هجين ، وصحبته خمسة أنصار على هجن أيضا ، ومعهم أشخاص من الأرمنود من أتباع حسن باشا الذي بالحجاز ... فطلعوا به الى القلعة ، ثم أنزلوه الى منزل أحمد أغا ، أخى كئخدا بيك .

الخميس ١٨ منه (٢٤ اغسطس ١٨١٥ م) :

قلد الباشا عبد الله أغا — المعروف بصارى جلّه — وجعله كبيراً على طائفة من الينكجارية أيضا ، وجعل على رأسه الطربوش الطويل المرخى على ظهره — كما هي عادتهم هو وأتباعه — وكان من جملة المتهمين بالمخامرة على الباشا .

وفيه : برز أمر الباشا لكبار العسكر بركوب جميع عساكرهم الخيول ، ومنعهم من حمل البنادق ، ولا يكون منهم راجل أو حامل للبندقية ، الا من كان من أتباع الشرطة والأحكام ، مثل : الوالى ، والأغا ، وأغات التبديل .

ولازم كئخدا بيك ، وأيوب أغا — تابع ابراهيم أغا أغات التبديل — والوالى ... المرور بالشوارع والجلوس في مراكز الأسواق ، مثل : الغورية ، والجمالية ، وباب الحمزاوى ، وباب زويلة ، وباب الخرق ... وأكثر أتباعهم مفطرون في نهار رمضان ، ومتجاهرون بذلك .. من غير احتشام ولا مبالاة



ويجلسون على الحوائيت والمسابب ..

آلاف فرانسة ، فلم يذكرها ، ومات قهرا . وكذلك ضاع لأهل خان الحمزاوى من صرر الأموال والنقود والودائع والرهونات والمصاغ والجوهر — مما يرهنه النساء على ثمن ما يشترونه من التجار ، والتفاصيل والمقضبات ، أو على ما يتأخر عليهم من الأثمان — ما لا يدخل تحت الحصر ، ويستحيا من ذكره . وضاع لرجل يبيع القسيخ والبطارخ تجاه الحمزاوى — من حانوته — أربعة آلاف فرانسة فلم يذكرها ... وأمثال ذلك كثير .

وانقضى شهر رمضان ، والناس فى أمر مريع ، وخوف وانزعاج ، وتوقع المكروه . ولم ينزل الباشا من القلعة بطول الشهر . وذلك على خلاف عادته ، فانه لا يقدر على الاستقرار بمكان أياما . وطبيعته الحركة ... حتى فى الكلام .

وكبار العساكر ، والسيد محمد المحروقي ، ومن يصحبه من المشايخ ، وتقيب الأشراف ، مستمرون على الطلوع والنزول فى كل يوم . وللمتقيدين بالمنهويين ديوان خاص . وفرق الباشا كساوى العيد على أربابها .

ولم يظهر فى هذه القضية شخص معين ، والكثير

بانتهاك حرمة شهر الصوم ، ويجلسون على الحوائيت والمسابب يأكلون ويشربون الدخان . ويأتى أحدهم ويده شبك الدخان فيدنى مجمره لأنتف ابن البلد على غفلة منه ، وينفخ فيه على سبيل السخرية والهزيان بالصائهم . وزادوا فى الغنى والتعدي ، وخطف النساء نهارا وجهارا ... حتى اتفق أن شخصا منهم أدخل امرأة الى جامع الأشرفية ، و ... بها فى المسجد بعد صلاة الظهر فى نهار رمضان !

أواخره (أواخر أغسطس ١٨١٥ م) :

عملوا حساب أهل سوق مرجوش ، فبلغ ذلك أربعمائة وخمسين كيسا ... قبضوا ثلثها ، وتأخر لهم الثلث . كل ذلك خلاف النقود لهم ولغيرهم مثل تجار الحمزاوى — وهو شيء كثير ومبالغ عظيمة — فان الباشا منع من ذكرها . وقال « لآى شيء يؤخرون فى حوائيتهم وحواصلهم النقود ولا يتجرون فيها ! »

واتفق لتاجر من أهل سوق أمير الجيوش أنه ذهب من حاصله — من حواصل الخان — ثمانية

من العساكر الذين يمشون مع الناس في الأسواق ،
يظهرون الخلاف والسخط ، ويظهر منهم التعدي ،
ويخطفون عائم الناس والنساء جهارا ، ويتوعدون
الناس بعودهم في النهب ... وكأننا بينهم وبين أهل
البلدة عداوة قديمة ، أو ثارات يخلصونها منهم !
وفيه من يظهر التأسف والتندم واللوم على
المعتدين ، ويسفه رأيهم ... وهو المحروم الذي
غاب عن ذلك !

وبالجملة : فكل ذلك تقادير الهية ، وقضايا
سماوية ، ونقمة حلت بأهل الأقليم وأهله من كل
ناحية .

نسأل الله العفو السلامة ، وحسن العاقبة .

ومما اتفق أن بعض الناس زاد بهم الوهم ،
فنقل ماله من حانوته أو حاصله — الكائن ببعض
الوكائل أو الخانات — الى منزله ، أو حرز آخر ...
فسرقها السراق ، وحانوته أو حاصله لم يصبه
ما أصاب غيره . وتعدد نظير ذلك لأشخاص
كثيرة . وذلك من فعل أهل البلدة : يراقبون بعضهم
بعضا ، ويداورونهم في أوقات الغفلات في مثل هذه
الحركات !

ومنهم من اتهم خدمه وأتباعه ، وتهدهم ،
وشكاهم الى حكام الشرطة ، ويفرم مالا
على ذلك أيضا ... وهم بريئون ، ولا يفيد الا
ارتكاب الائم والفضيحة ، وعداوة الأهل والخدم ،
وزيادة الغرم .

وغالب ما بأيدي التجار ، أموال الشركاء والودائع
والرهونات ، ويطالبه أربابها . ومنهم قليل الديانة ،
وذهب من حانوته أشياء ، وبقي أشياء ، فادعى
ضياع الكل ... لقوة الشبهة !

شمال

غرفته (٦ سبتمبر ١٨١٥ م) :

وهو يوم عيد الفطر ، وكان في غاية البرودة

والخمول ... عديم البهجة من كل شيء : لم يظهر
فيه من علامات الأعياد الا فطر الصائمين ، ولم يغير
أحد ملبوسه ، بل ولا فصل ثيابا مطلقا ، ولا شيئا
جديدا . ومن تقدم له ثوب ، وقطعه وقصه في
شعبان ، تأخر عند الخياط — مرهونا على مصاريفه
ولوازمه — لتعطل جميع الأسباب من بطانة وعقادة
وغيرها ... حتى أنه اذا مات ميت ، لم يدرك أهله
كفنه الا بمشقة عظيمة !

وكسد في هذا العيد سوق الخياطين وما أشبههم ،
من لوازم الأعياد ، ولم يعمل فيه كعك ولا شريك
ولا سبك ملح ، ولا قفل . ولم يخرجوا الى الجبال
والمداخن أيضا كعادتهم ، ولا نصبوا خياما على
المقابر . ولم يحسن في هذه الحادثة الا امتناع هذه
الأمر ... وخصوصا خروج النساء الى المقابر ،
فانه لم يخرج منهن الا بعض حرافيشهن ، على
تخوف ، ووقع لبعضهن من العسكر ما وقع عند
باب النصر والجامع الأحمر .

٣ منه (٨ سبتمبر ١٨١٥ م) :

نزل الباشا من القلعة من باب الجبل وهو في
عدة من عسكر الدلاة والإتراك الخيالة والمشاة ،
وصحبته عابدين بيك ، وذهب الى ناحية الآثار ،
فبعد على يوسف باشا — المنفصل عن الشام —
لأنه مقيم هناك لتغيير الهواء بسبب مرضه . ثم
عدى الى الجيزة وبات بها عند قصره محرم بيك .
ولم أصبح ، ركب السفائن وانحدر الى شبرا ،
وبات بقصره ، ورجع الى منزله بالأزبكية ، ثم طلع
الى القلعة .

٨ منه (١٣ سبتمبر ١٨١٥ م) :

عمل ديوانا ، وجمع المشايخ المتصدرين ،
وخطبهم بقوله : « انه يريد أن يفرج عن حصص
الملتزمين ، ويترك لهم وسايهم يؤجرونها ويزرعوها
لأنفسهم ، ويرتب نظاما لأجل راحة الناس . وقد

أمر الأفندية — كتاب الروزنامة — بتحرير دفاتر ،
وأمرهم اثني عشر يوما يحررون في ظرفها الدفاتر
على الوجه المرضي . فأتوا عليه خيرا ،
ودعوا له .

فقال الشيخ الشنوائى : « ولرجو من أفندينا
أيضا الافراج عن الرزق الأجاسية كذلك » . فقال :
« كذلك ننظر في محاسبات الملتزمين ، ونحررها
على الوجه المرضي أيضا ... ومن أراد منهم أن
يتصرف في حصته ، ويلتزم بخلاص ما تحرر عليها
من المال الميرى لجهة الديوان من الفلاحين بموجب
المساحة والقياس ، صرفناه فيها ... والا أبقاها على
طرفنا ويقبض فائظه الذى يقع عليه التحرير من
الخزينة نقدا وعدا » . فدعوا له أيضا ، وسكتوا .
فقال لهم : « تكلموا ... فانى ما طلبتكم الا
للمشاورة معكم » . فلم يفتح الله عليهم بكلمة
يقولها أحدهم غير الدعاء له .

على أن الكلام ضائع ، لأنها حيل ومخادعة تروج
على أهل الغفلات ، ويتوصل بها الى ابراز ما يرومه
من المراتل .

وعند ذلك انقض المجلس ، وانطلقت المبشرون
على الملتزمين بالبشائر ، وعود الالتزام لتصرفهم ،
ويأخذون منهم البقاشيش ... مسح أن الصورة
معلولة ، والكيفية مجهولة . ومعظم السبب في
ذكره ذلك أن معظم حصص الالتزام كان بأيدي
العساكر وعظمائهم وزوجاتهم ، وقد انحرفت
طبائعهم ، وتكدرت أمزجتهم بمنعهم عنه ، وحجزهم
عن التصرف ، ولم يسهل بهم ذلك : فمعهم من
كظم غيظه وفي نفسه ما فيها ، ومنهم من لم يطق
الكتمان وبارز بالمخالفة والتسلط على من لا جناية
عليه ... فلذلك الباشا أعلن في ديوانه بهذا الكلام
بمسمع منهم ، لتسكن حداثهم ، وتبرد حرارتهم الى
أن يتم أمر تدييره معهم .

وفيه : وصلت هجانة وأخبار ومكاتبات من
الديار الحجازية بوقوع الصلح بين طوسون باشا
وعبد الله بن مسعود الذى تولى بعد موت أبيه
كبيرا على الوهاية ، وأن عبد الله المذكور ترك
الحروب والقتال ، وأذعن للطاعة وحقق الدماء .
وحضر من جماعة الوهاية نحو العشرين نفرا من
الأنصار الى طوسون باشا ، ووصل منهم اثنان الى
مصر ... فكان الباشا لم يعجبه هذا الصلح ، ولم
يظهر عليه علامات الرضا بذلك ، ولم يحسن نول
الواصلين .

ولما اجتمعا به ، وخاطبهما ... عاتبهما على
المخالفة ، فاعتذرا ، وذكر أن الأمير مسعود المتوفى
كان فيه عناد وحدة مزاج ، وكان يريد الملك واقامة
الدين . وأما ابنه الأمير عبد الله ، فانه لين الجالب
والعريكة ، ويكره سفك الدماء ، على طريقة سلفه
الأمير عبد العزيز المرحوم ، فانه كان مسالما للدولة ،
حتى أن المرحوم الوزير يوسف باشا حين كان بالمدينة
كان بينه وبينه غاية الصداقة ، ولم يقع بينهما منازعة
ولا مخالفة في شيء . ولم يحصل التفاقم والخلاف
الا في أيام الأمير مسعود ، ومعظم الأمر للشريف
غالب ... بخلاف الأمير عبد الله ، فانه أحسن
السير ، وترك الخلاف ، وأمن الطرق والسبل
للحجاج والمسافرين ... ونحو ذلك من الكلمات
والعبارات المستحسنات .

وانقضى المجلس ، وانصرفا الى المحل الذى أمرا
بالنزول فيه ، ومعهما بعض أتراك ملازمون
لصحبتهما مع أتباعهما فى الركوب والذهاب
والاياب . فانه أطلق لهما الاذن الى أى محل أراداه
... فكانا يركبان ويمران بالشوارع بأتباعهما ومن
يصحبهما ، ويتفرجان على البلدة وأهلها ، ودخلا
الى الجامع الأزهر فى وقت لم يكن به أحد من
المتصدرين للاقراء والتدريس ، وسألوا عن أهل
مذهب الامام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، وعن

٢٢ منه (٢٨ سبتمبر ١٨١٥ م) :

وصل قابجى ، وعلى يده تقرير ولاية مصر
لمحمد على باشا على السنة الجديدة . فعملوا لذلك
الواصل موكبا من بولاق الى القلعة ، وضربوا
مدافع وشنكا وبنادق .

ذوالقعدة

١٦ منه (٢٠ أكتوبر ١٨١٥ م) :

سافر الباشا الى الاسكندرية ، وأخذ صحبته
عابدين بك ، واسماعيل باشا ولده ، وغيرهما من
كبرائهم وعظمائهم . وسافر أيضا نجيب أفندى
وسليمان أغا ، وكيل دار السعادة سابقا — تابع
صالح بك المصرى المحمدى — الى دار السلطنة .
وأصبح الباشا الى الدولة وأكابرها ، الهدايا من
الخيول والمهارى والسروج المكحلة بالذهب واللؤلؤ
والخيش ، وتعابى الأقمشة الهندية المتنوعة ، من
الكشمير والمقصبات والتحف ، ومن الذهب
المضروب السكة : أربعة قناطير ، ومن الفضة
الثقيلة فى الوزن والعيار عدة قناطير ، ومن السكر
المكرر مرارا ، وأنواع الشراب ... خافاه فى القدور
الصينى ، وغير ذلك .

وفيه : وردت الأخبار بوصول طوسون باشا
الى الطور ، فهرعت أكابرهم وأعيانهم الى ملاقاته ،
وأخذوا فى الاهتمام واحضار الهدايا والتقديم ،
وركبت الخوندات والنساء والستات ، أفواجا
أفواجا ، يطلعن الى القلعة ليهنين والدته بقدمه .

غايته (٣ نوفمبر ١٨١٥ م) :

وصل طوسون باشا الى السويس ، فضربوا
مدافع اعلاما بقدمه . وحضر نجيب أفندى
راجعا من الاسكندرية لأجل ملاقاته لأنه قبى
كنخداه اليوم أيضا عند الدولة ، كما هو لوالده .

الكتب الفقهية المصنفة فى مذهبه ، فقبل انقضوا
من أرض مصر بالكلية . واشتريا نسخا من كتب
التفسير والحديث ، مثل : الخازن ، والكشاف ،
والبغوى ، والكتب الستة المجمع على صحتها ،
وغير ذلك .

وقد اجتمعت بهما مرتين ، فوجدت منهما أنسا
وطلاقة لسان ، واطلاعا وتضلعا ومعرفة بالأخبار
والتوارد . ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق ،
وحسن الأدب فى الخطاب ، والتفقه فى الدين ،
واستحضار الفروع الفقهية ، واختلاف المذاهب
فيها ... ما يفوق الوصف . واسم أحدهما عبد الله
والآخر عبد العزيز ، وهو الأكبر حسا ومعنى .

١٩ منه (٢٤ سبتمبر ١٨١٥ م) :

خرجوا بالمحمل الى الحصوة — خارج باب
النصر — وشقوا به من وسط المدينة ، وأمير
الركب شخص من الدلاة ، يسمى أوزون أوغلى ،
وفوق رأسه طرطور الدلائية . ومعظم الموكب من
عساكر الدلاة ، وعلى رؤوسهم الطراطير السود ...
بذاتهم المستبشعة . وقد عم الأقاليم المسخ فى كل
شئ : فقد تعصّ الطبيعة ، وتتكدر النفس اذا
شاهدت ذلك أو سمعت به . وقد كانت نضارة
المواكب السالفة فى أيام المصريين ، ونظامها وحسنها
وترتيبها وفخامتها وجمالها وزينتها ، التى لم يكن
لها نظير فى الربع المعمور ... يضرب بها المثل فى
الدنيا كما قال قائلهم فيها :

مصر السعيدة مالها من مثيل

فيها ثلاثة من الهنا والسرور

مواكب السلطان ، وبحر الوقا ،

ومحمل الهادى نهار بدور

فقد فقدت هذه الثلاثة فى جملة المفقودات .

ذو الحجة

٤ منه (٧ نوفمبر ١٨١٥ م) :

نودى بزينة الشارع الأعظم لدخول طوسون باشا ... سرورا بقدومه .

٥ منه (٨ نوفمبر ١٨١٥ م) :

احتفل الناس بزينة الحوانيت بالشارع ، وعملوا له موكبا خافلا . ودخل من باب النصر ، وعلى رأسه الطلخان وشعار الوزارة ، وطلع الى القلعة ، وضربوا في ذلك اليوم مدافع كثيرة وشنكا وحراقات .

١٥ منه (١٨ نوفمبر ١٨١٥ م) :

سافر طوسون باشا المذكور الى الاسكندرية ليراه أبوه ، ويسلم هو عليه ، وليرى هو ولدا له ولد في غيبته يسمى عباس بيك ، أصحبه معه جده مع حاضنته ومنه دون الستين ... يقال ان جده قصد ارساله الى دار السلطنة ، فلم يسهل بأبيه ذلك ، وشق عليه مفارقتة ، وخصوصا كونه لم يره . ويمافر صحبة طوسون باشا لجيب أفندي عائدا الى الاسكندرية .

٢٠ منه (٢٣ نوفمبر ١٨١٥ م) :

خضر طوسون باشا الى مصر راجعا من الاسكندرية في تطريدة ، ومعه ولده ... فكانت مدة غيبته ، ذهابا وايابا ، ثمانية أيام . فطلع الى القلعة ، وصار ينزل الى بستان بطريق بولاق ظاهر التبانة — عمره كتحدا بيك ، وبنى به قصرا — فيقيم به غالب الأيام التي أقامها بمصر .

واقصت السنة وما تجدد فيها من استمرار المبتدعات والمكوس والتحكير ، واهمال السوقة والتسبيين ... حتى عم غلو الأسعار في كل شيء ، حتى بلغ سعر كل صنف عشرة أمثال سعره في الأيام

الخالية ... مع الحجر على الايراد وأسباب المعاش فلا يهنا بعيش في الجملة الا من كان مكاسا أو في خدمة من خدم الدولة ، مع كونه على خطر . فانه وقع لكثير ممن تقدم في منصب أو خدمة : أنه حوس وأهين ، وألزم بما رافعه فيه — وقد استهلكه في نفقات نفسه وحواشيه — فباع ما يملكه واستدان ، وأصبح ميتوسا مديونا .

وصارت المعاش ضنكا ، وخصوصا الواقع في اختلاف المعاملات والتقود والزيادة في صرفها وأسعارها ، واحتجاج الباعة والتجار والتسبيين بذلك ، وبما حدث عليها من مال المكس ... مع طمعهم أيضا وخصوصا سفلة الأسواق ، ويباعي الخضارات ، والجزارين ، والزيتان ... فانهم يدفعون ما هو مرتب عليهم للمحتسب مياومة ومشاهرة ، ويخلصون أضعافه من الناس ، ولا رادع لهم ، بل يسعون لأنفسهم . حتى أن البطيخ في أوان كثرته تباع الواحدة التي كانت تساوى لصفين ، بعشرين وثلاثين . والرطل من العنب الشرقاوى ، الذي كان يباع في السابق بنصف واحد ، يبعونه يوما بعشرة ويوما باثنى عشر ، ويوما بشمائية .. وقس على ذلك الخوخ والبرقوق والمشمش . وأما الزبيب والتين واللوز والبندق والجوز والأشياء التي يقال لها اليميش ، التي تجلب من بلاد الروم ، فبلغت الغاية في الثمن ... بل قد لا توجد في أكثر الأوقات . وكذلك ما يجلب من الشام ، مثل : الملبن ، والقمير الدبن ، والمشمش الحموى ، والعناب ، وكذلك الفستق والصنوبر ، وغير ذلك ما يطول شرحه ، ويزداد بطول الزمان قبحه .

ومات في هذه السنة العلامة الأوحده ، والفهامة الأمجد ، محقق عصره ، ووحيد دهره ... الجامع لأشتات العلوم ، والمنفرد بتحقيق المنطوق

وخطه حسن ، وخلقه أحسن ... الى أن تمل
وتوفى يوم الأربعاء الحادى والعشرين من شهر
ربيع الثانى .

وخرجوا بجنائزه من درب الدليل ، وصلى عليه
بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن بتربة المجاورين
بالمدفن الذى بداخل المحل الذى يسمى بالطاولية .
وقام بكلفة تجهيزه وتكفينه ، ومصاريف
جنائزه ومدفنه ... الجنازب المكرم ، السيد
محمد المحروقى ، وكذلك مصاريف المآثم بمنزله
وأرسل من قيده لذلك من أتباعه ... بإدارة المطبخ
ولوازمه من الأغنام والسمن والأرز والعسل
والحطب والفحم والقهوة ، وجميع الاحتياجات
للمقرئين ، ومن يأتى لتعزية أولاده ... جزاه الله
خيرا . واستمر اجراؤه لذلك فى الثلاث جمع
المعتادة بالمنزل ، وما يعمل فى ضبح يوم الجمعة
بالمدفن من الكعك والشريك الذى يفرق على
الفقراء والحاضرين والتربية والخدمة .

وقد رثاه أمثل من عنه أخذ ، وأكمل من له
تتلمذ : صاحبنا العلامة ، وصديقنا الفهامة ، المنفرد
الآن بالعلوم الحكيمية ، والمشار اليه فى العلوم
الأدبية ... صاحب الانشاء البديع ، والنظم الذى
هو كزهر الربيع : الشيخ حسن العطار ، حفظه
الله من الأغيار ... بقوله شعرا :

أحاديث دهر قد ألم فأوجعما
وحل بنادى جمعنا فتصدعا
لقم صال فينا البين أعظم صولة
فلم يخل من وقع المصيبة موضعا
وجاءت خطوب الدهر تترى فكلما
مضى حادث يعقبه آخر مسرعا
وحل بنا ما لم تكن فى حسابه
من الدهر ما أبكى العيون وأفزعا
خطوب زمان لو تبادى ألقها
بشامخ رضوى أو ثبير تضعفعا

والمفهوم ، بقية الفصحاء والفضلاء المتقدمين ،
والتميز عن المتأخرين : الشيخ محمد بن أحمد
ابن عرقة ، الدسوقي المالكي .

ولد ببلدة دسوق ، من قرى مصر ، وحضر الى
مصر ، وحفظ القرآن ، وجوده على الشيخ محمد
المنير . ولازم حضور دروس الشيخ على الصعيدى ،
والشيخ الدردير ، وتلقى الكثير من المعقولات عن
الشيخ محمد الجناجى الشهير الشافعى — وهو
مالكى — ولازم والده حسن الجبرتى مدة طويلة ،
وتلقى عنه ، وبواسطة الشيخ محمد بن اسماعيل
النفراوى ، علم الحكمة والهيئة والهندسة وفن
التوقيت ، وحضر عليه أيضا فى فقه الحنفية ، وفى
المطول وغيره ... برواق الجبرت بالأزهر ، وتصدر
للاقراء والتدريس ، وإفادة الطلبة .

وكان فريدا فى تسهيل المعالى ، وتبيين
المبهمات ... يفك كل مشكل بواضح تقريره ،
يفتح كل مغلق برائق تحريره ، ودرسه
مجمع أذكياء الطلاب ، والمهرة من ذوى الأفهام
والألباب .. مع لين جانب وديانة ، وحسن خلق ،
وتواضع ، وعدم تصنع وإطراح تكلف ... جاريا
على سعيته : لا يرتكب ما يتكلفه غيره من التعاضم
وقفامة الألفاظ . ولهذا كثر الآخذون عليه ،
والمترددون اليه .

وله تأليفات واضحة العبارات ، سهلة المأخذ ،
ملتزمة بتوضيح المشكل . فمن تأليفه : حاشية على
مختصر السعد على التلخيص ، وحاشية على شرح
الشيخ الدردير على سيدى خليل فى فقه المالكية ،
وحاشية على شرح الجلال المحلى على البردة ،
وحاشية على الكبرى للامام السنوسى ، وحاشية
على شرحه للصغرى ، وحاشية على شرح الرسالة
الوضعية ... هذا ما عنى بجمعه وكتابته ، وبقي
مسودات لم يتيسر له جمعها .

ولم يزل على حاله فى الافادة واللقاء والافتاء ،

وأصبح شأن الناس ما بين عائد
 مريضاً واثان للجيب مشيعاً
 لقد كان روض العيش بالأمن يانما
 فأضحى هشيماً ظله متشعماً
 أيحسن ألا يبذل الشخص مهجة
 ويكي دما .. أن أفنت العين أدماً
 وقد سار بالأحباب في حين غفلة
 سرير النايأ عاجلاً متسرعا
 وفي كل يوم روعة بعد روعة
 فله ما قاسى الفؤاد وروعا
 عزاء بنى الدنيا بفقد أئمة
 لكأس مرير الموت كل تجرعا
 يمينا ... لقد جل المصاب بشيخنا الـ
 دسوقي وعاد القلب بالهم مترعا
 وشابت قلوب ، لا مفارق ، عند ما
 تنكرت الأسماع صوت الذى نعى
 فللناس عذر في البكاء وللأسى
 عليه وأما في السواء فتجزعا
 وكيف وقد ماتت علوم بفقده
 لقد كان فيها جهنذا مبيدعا
 فمن بعده يجلو دجنة شبهة
 ويكشف عن ستر الدقائق مقنعا
 وإن ذو اجتهاد قد تفرش فهمه
 فياليت شعرى من يقول له : لعا ؟
 يقرر في فن البيان بمنطق
 بديع معانيه .. يتوج مسبحا
 وسار مسير الشمس غر علومه
 ففى كل أفق أشرقت فيه مطالعا
 وأبقى بتأليفاته بيننا هدى
 بها يسلك الطلاب للحق مهيماً
 وحل بتحرياته كل مشكل
 فلم يبق للأشكال في ذاك مطمعا

فأى كتاب لم يفك ختامه
 إذا ما سواه من تعاصيه ضيعا ؟
 ومن يتبع تعداد حسن خصاله
 فليس ملوما أن أطال وأشبعما
 فللصدق عون للمقال فمن يقل
 أصاب مكان القول فيه موسما
 تواضع للطلاب فانتفعوا به
 على أنه بالحلم زاد ترفعا
 وكان حليما واسع الصدر ماجدا
 تقياً تقياً زاهدا متورعا
 سعى في اكتساب الحمد طول حياته
 ولم نره في غير ذلك قد سعى
 ولم تله الدنيا بزخرف صورة
 عن العلم كيما أن تفر وتخدعا
 لقد صرف الأوقات في العلم والتقى
 فما أن لها يا صاح أمس مضيعة
 فقدناه لكن نفعه الدهر دائم
 وما مات من أبقى علوما لمن وعى
 فجوزى بالحسنى وتوج بالرضى
 وقوبل بالاكرام ممن له دعا

ومات الأستاذ الفريد ، واللودعى المجيد ،
 الامام العلامة ، والتحرير الفهامة ، الفقيه النحوى ،
 الأصولى الجدلى المنطقى : الشيخ محمد المهدى
 الحفنى . ووالده من الأقباط ، وأسلم هو صغيرا
 دون البلوغ على يد الشيخ الحفنى ، وحلت عليه
 أنظاره ، وأشرقت عليه أنواره ، وفارق أهله وتبرا
 منهم ، وحضنه الشيخ ، ورباه وأجبه ، واستمر
 بمنزله مع أولاده ، واعتنى بشأنه ، وقرأ القرآن .
 ولما قرع ، اشتغل بطلب العلم ، وحفظ أبا
 شجاع ، وألفية النحو ، والمتون . ولازم دروس
 الشيخ ، وأخيه الشيخ يوسف ، وغيرهما من

أشياخ الوقت مثل : الشيخ العدوى ، والشيخ عطية الأجهوري ، والشيخ الدردير ، والبيلي ، والجمل ، والخرشي ، وعبد الرحمن المقرئ ، والشرقاوي ، وغيرهم .

واجتهد في التحصيل ليلا ونهارا ، ومهر وأنجب ، ولزم في غالب مجالس الذكر عن الشيخ الدردير — بعد وفاة الشيخ الحفنى — وتصدر للتدريس في سنة تسعين ومائة وألف .

ولما مات الشيخ محمد الهلباوى سنة اثنتين وتسعين ، جلس مكانه بالأزهر ، وقرأ شرح الألفية لابن عقيل ، ولزم الالقاء ، وتقرير الدروس ... مع الفصاحة وحسن البيان والتفهيم ، وسلسلة التعبير ، وإيضاح العبارات ، وتحقيق المشكلات . ونما أمره ، واشتهر ذكره ، وبعد صيته . ولم يزل أمره ينمو ، واسمه يسمو ، مع حسن السمعة ، ووجاهة الطلعة ، وجمال الهيئة ، وبشاشة الوجه ، وطلاقة اللسان ، وسرعة الجواب ، واستحضار الصواب في تردد الخطاب ، ومسايرة الأصحاب .

وصاهر الشيخ محمدا الحرير الحفنى ، على ابنته ، وأقبلت عليه الدنيا ، وتداخل في الأكابر ، ونال منهم حظا وافرا بحسن معاشرته ، وحلاوة ألفاظه ، وتنسيق كلماته . ويقضى أشغاله وقضاياهم ، ومن حواشيهم وحرمانهم ، ويخاطب كلا بما يليق به ويناسبه . واتحد بإسماعيل بيك كتحدا حسن باشا الجزايرلى ، وعاشره وأكثر من الترداد عليه . فلما أتته ولاية مصر ، واستقر بالقلعة ، واطب على الطلوع والنزول الى القلعة ، وببيت عنده غالب الليالى ، وأنعم عليه بالخلع والعطايا والكساوى ، ورتب له وظائف في الضربخانة والسلخانة والجوالى .

ووقع في ولايته الطاعون الذى أفنى غالب أمراء مصر وأهلها ، وذلك سنة خمس ومائتين وألف ... فاخص بما أحبه مما انحل عن الموتى من اقطاعات

ورزق وغيرها ، وزادت ثروته ورغبته وسعيه في أسباب تحصيل الدنيا ، وعانى الشركات والمتاجر في كثير من الأشياء مثل : الكتان والقطن والأرز ، وغير ذلك من الأصناف . والتزم بعدة حصص بالبحيرة مثل شابور ، وخلافها بالمنوفية والجيزة والغربية ، وابتنى دارا عظيمة بالأزبكية ، بناحية الرويعى ، بما يقابلها من الجهة الأخرى عند السباط .

ولما حضرت الفرنساوية الى الديار المصرية ، وخافهم الناس ، وخرج الكثير من الأعيان وغيرهم — هاربا من مصر — تأخر المترجم عن الخروج ، ولم ينقبض كغيره عن المداخلة فيهم ... بل اجتمع بهم ، وواصلهم ، وانضم اليهم وسائرهم ، ولاطفهم في أغراضهم ، وأحبوه وأكرموه وقبلوا شفاعاته ، ووثقوا بقوله ... فكان هو المشار اليه في دولتهم ، مدة اقامتهم بمصر ، والواسطة العظوى بينهم وبين الناس ، في قضاياهم وحوائجهم ، وأوراقه وأوامره نافذة عند ولاية أعمالهم ، حتى لقب عندهم وعند الناس ، بكاتم السر . ولما رتبوا الديوان الذى رتبوه لاجراء الأحكام بين المسلمين في قضاياهم ودعائهم ، كان هو المشار اليه فيه ، وخدمة الديوان الموظفون فيه تحت أوامره . وإذا ركب أو مشى يمشون حوله وأمامه ، وبأيديهم العصى يوسعون له الطريق .

وراج أمره في أيامهم جدا ، وزاد إirاده وجمعه ، واحتوى بلادا وجهات وأرزاقا ، وأقاموه وكيلا عنهم في أشياء كثيرة ، وبلاد وقرى : يجبى اليه خراجها ، ويصرف عنها ما يصرفه ، ويأتيه الفلاحون منها ومن غيرها بالهدايا والأغنام والسمن والعسل ... وما جرت به العادة ، ويتقدمون اليه بدعائهم وشكاويهم ، ويفعل بهم ما كان يفعل أرباب الالتزامات من الحبس والضرب وأخذ المصالح . وصار له أعوان وأتباع وخدم من وجهاء الناس ومن دونهم : يرسل منهم لجبى

الأموال من القرى، وفي مراسلاته في القضايا العامة ،
ويبحث الأمان للفارين والهاربين والمتحوفين من
الفرسيين ... الراحلين الى بلاد الشام ، والمختفين
بالقرى من الأجناد وغيرهم ، فيرسل اليهم أوراقا
بالعود الى أوطانهم . اما باستدعائهم وطلبهم
ذلك ، واما من باب الشفقة والمعروف منه عليهم ،
ويحمى دورهم وحريمهم ، ويمانع عنهم في غيابهم ،
ويكون له المنة العظيمة التي يستحق بها الجوائز
الجزيلة .

وبالجملة فكان بوجوده وتصدره في تلك الأيام
النفع العام سد بعقله تقويا واسعة وخروقا ،
وداوى برأيه جروحا وفتوقا ... لا سيما أيام
الهيازع والخصومات والتنازع ، وما يكدر طباع
الفرساوية من مخارق الرعية ، فيتلافاه بمراهم
كلماته ، ويسكن حدتهم بملاطفاته .

ولما مضت أيامهم ، وتنكست أعلامهم ،
وارتحلوا عن الأقطار المصرية ، ووردت الدولة
العثمانية ... كان المترجم أعظم المتصدرين في
مقابلتهم ، وأوجه الوجهاء في مخاطبتهم ومكالمتهم .
ولم يتأخر عن حالته في ظهوره ، ولازمهم في
عشياته وبكوره ، وبهرهم بتحيله واحتياله ،
واسترهبهم بسحره وحباله . واتحد بشرف
أفندي الدفتردار ، وواظبه الليل والنهار ، وتمم
معه أغراضه في جميع تعلقاته ، وتقرير وظائفه
والتزاماته ومسوحاته ، واستجد غير ذلك مما
ينتقيه من الديوان ، وكل ذلك من غير مقابلة ولا
حلوان .

وتزوج بعدة زوجات ، ورزق أولادا ذكورا
واناثا ... فمنهم الشيخ محمد أمين ، وهو من ابنة
الشيخ الحريري وتغذهب حنفيا على مذهب جده .
وآخر يسمى محمد تقي الدين ... توفي في حياة
والده — من نحو خمس عشرة سنة أو أكثر —

عن نحو عشرين سنة ، وكان مالكا بإشارة أبيه
والشيخ عبد الهادي ، وتوفي بعد أبيه ، وكان
شافعي المذهب ، وعقدوا له درسا بعد موت أبيه
فلم تطل أيامه .

وزوج أولاده وبناته ، وعمل لهم مهمات
وأفراحا ... استجلب بها هدايا من أعيان المسلمين
والنصارى والنساء الأكابر والتجار وغيرهم ثم
احترقت داره التي أنشأها بالأزبكية في حرابة
الفرنساوية مع العثمانية والمصريين — عند مجي
الوزير المرة الأولى — فشرع في بناء دار عند باب
الشعرية ، ولم يتمها ... بل تركها وأهلها وهي
منهدمة ، ولم يحدث بها شيئا من الأبنية ثم انه
تزوج بابنة الشيخ أحمد البشاري ، وكانت تحت
بعض الأجناد في دار جهة التبانة — بالقرب من
سوق السلاح وسوق العزى — يذهب اليها في
بعض الأحيان .

واشترى دارا عظيمة بناحية الموسيقى — وكانت
لبعض عتقى بقايا الأمراء الأقدمين — وهي دار
واسعة الأرجاء ، ذات رحبتين متسعيتين والرحبة
الخارجة ، التي يسلك اليها من باب الرقاق الكبير ،
على ظهر قنطرة الخليج التي تعرف الآن بقنطرة
الحفناوى لقربها من داره ... وبهذه الدار مجالس
وقيعان متسعة ، ومن جملتها قاعة عظيمة ذات ثلاث
لواوين ، مفروشة أرضها وحيطانها بأنواع الرخام
الملون والقيشاني ، مظلة على بستان عظيم ،
مغروس بأنواع الأشجار ... وهو أيضا من حقوق
الدار . وتنتهى حدود هذه الدار الى حارة
المناصرة ، والى كوم الشيخ سلامة وحارة الافرنج
من الناحية الأخرى .

ولما عمل بزارها ، وعقد عقد شرائها من
أصحابها ، ودفع لهم بعض دراهم — يقال لها
العربون — وكتب حجة المشتري وسكنها ...

غيابه ، فأمر بدفعها له من الخزينة نقدا بالثمن الذي قدره لنفسه ، وهو خمسة وعشرون كيسا .

وفي اليوم الذي خرج فيه السيد عمر ، أنعم عليه الباشا أيضا بنظر وقف سنان باشا ، ونظر ضريح الشافعى — بعرضه له بطلب النظرين — وكانا تحت يد السيد عمر يتحصل منهما مال كثير . وعند ذلك رجع الى حالته الأولى التي كان قد انقبض عن بعضها : من كثرة السعى والتردد على الباشا وأكابر دولته ... فى القضايا والشفاعات ، وأمور الالتزام والفائض والرزق والأطيسان ، وما يتعلق به فى بلاد الصعيد والقيوم ، ومحاسبة الشركاء .

وازدحمت عليه الناس ، وشرع يقرأ بالأزهر . فاذا حضر ، اجتمع حول درسه طابى من الناس ، فاذا فرغ تكبكب عليه أرباب الدعاوى والفتاوى ، فيكتب لهذا ، ويوعده ذاك ، ويسوف آخر .

يذهب من يريد أن يذهب معه لطاحته ، فيقطع نهاره وليله طوافا وسعيا ، وذهابا وإيابا ، لا يستقر بمكان ، ولا يعثر به صاحب حاجة الا نادرا ولا يبيت فى بيت من بيوته الا فى الجمعة مرة أو مرتين ، ويتفق مجيئه الى داره بعد العشاء الأخير — وغالب لياليه فى غيرها — واذا غاب لا يعلم طريقه الا بعض أتباعه . فيذهب الى بولاق مثلا ، فيقيم بها عدة أيام وليال ، ينتقل فى الأماكن عند شركائه ، ومن يعاملهم من الأمناء والخصاصين ، والإبزار وغيرهم ، أو يذهب الى بلده نهيـة بالجيزة أو غيرها ، فيقيم أياما أيضا ، وهكذا دأبه قديما . واذا قيل له فى ذلك قال : « أنا بيتى ظهر بغلتى » ! وعلى ما كان فيه من الغنى ، وكثرة الإيراد والمصرف ... تراه مفقود اللذة ، عديم الراحة البدنية والنفسية . وانما ذلك لأولاده والمقيمين أيضا بداره . ويتفق أنه يذبح بداره الثلاثة أغنام

أخذ يوعدهم بدفع الثمن ، ويماطلهم كعادته فى دفع الحقوق ! ثم تركهم وسافر الى دميـاط ، وجعل يطوف البلاد التى تحت التزامه وغيرها ، مثل المحلة الكبيرة وطندتا والأسكندرية ، وغاب نحو الخمس سنوات ، ومات فى غيبته بعض أصحاب الدار التى اشترها منه ، وبقي من مستحقها امرأة ... فكانت تتظلم وتشتكى ، وتراسله ، فأعرض أمرها لكتخدائيك والباشا ... الى أن حضر الى مصر ، وقبضت منه — وهى مطلة — ما أمكنها من ثمن استحقاقها .

وبنى ابنه المسمى بأمين ، بقطعة من أرضها ، دارا جهة حارة المنصرة على البستان ، ومختلطة به وناقذة اليه ، وجعل لها بابا من المنصرة ينفذ منه الى الأزبكية وقنطرة الأمير حسين ، أنفق عليها جملة كبيرة من المال ... بحيث أن المرخين أقاموا فى شغلهم نحو أربع سنوات ، خلاف من عداهم من أرباب الأشغال وتجهيز الأدوات ، من الأخشاب وغيرها من أنواع الاحتياجات . ويتعاطى ابنه المذكور التجارة أيضا والشركة فى كثير من الأصناف ... خلاف الإيراد الواسع الخاص به .

ولما رجع المترجم من سرحته الى مصر ، أقام مصاحبا ليسير الخمول ، وتقيد لالقاء الدروس بالأزهر أشهرا ، ويعانى مع ذلك الاشتغال والتولع بعلم الصنعة ، ومطالمة ما صنف فيها ، ويدبر مع بعض أصحابه ، فى دورهم ، باغرائه من مالهم ... الى أن بدت الوحشة بين الباشا والسيد عمر مكرم ، فتولى كبر السعى عليه سرا ، هو وباقى الجماعة — حسدا وطمعا — ليخلص لهم الأمر دونه ، حتى أوقعوا به كما تقدم ذكر ذلك فى حوادث سنة أربع وعشرين .

وفى أثناء هذه الحادثة ، طلب من الباشا اذنا فى قبض استحقاقه من ثمن غلال الأنبار فى مدة

لضيوف من النساء — عند الحريم — ولا يأكل منها شيئا ، بل يتركها ويذهب الى بعض أغراضه ببولاق مثلا ، ويتغدى بالجبن الحلوم ، أو النسيخ أو البطارخ ، ويبيت بأى مكان ... ولو على نخ أو حصير فى أى محل كان !

ولما مات الشيخ سليمان الفيومى عن زوجته ، المعروفة بالسحراوية ، وكانت من نساء القدماء : مشهورة بالفنى وكثرة الايراد ، وتزوجت بالشيخ الفيومى حماية لمالها . وكانت طاعنة فى السن فاشتريت له جارية بيضاء وأعتقتها ، وزوجتها له ، ولم يدخل بها ، ومات عنها وعن زوجته الأخرى .

ثم ماتت السحراوية المذكورة لا عن وارث ، فى غضبون طنطنة المترجم ، فوضع يده على دارها ومالها وجواربها وتعلقاتها ... من عقار والتزام وغيره ، وزوج الجارية لابنه عبد الهادى ... وكأنها سقطت بمالها ونوالها فى بئر عميق !

ولما جرد الباشا ، وعين العساكر الى الحجاز ، مع ابنه طوسون باشا ... اختار أن يصحب معه من أهل العلم . فكان المتعين لذلك المترجم مع السيد أحمد الطحطاوى ، وأنعم عليه بأكياس وترحيلة للنفقة . فلما وقعت الهزيمة بالصفراء ، رجع مع الراجعين .

ولما توفى الشيخ الشرقاوى ، تعين المترجم لمشيخة الجامع . ثم انتقضت عليه وقلدوها الشيخ الشنوائى ، كما تقدم ذكر ذلك ، فلم يظهر الا الانسراح وعدم التأثير من الانكساف . وحضر اليه الشيخ الشنوائى ، فخلع عليه قروة سمور خاص ، وزاد فى اكرامه .

وبأخرة ... تملك دارا بالكعكيين — على شريطته فى مشروعاته — وهى التى كانت سكن الشيخ الحفنى قبل سكناه بالموسكى ، ثم تملكها الشيخ المرحوم عبد الرحمن العريشى ، ثم ابن الحنفى ،

ثم لا أدري لمن آلت بعد ذلك — فلما أخذها شرع فى تجديدنها وتعميرها ، وفتح بها مرمة واسعة ، وأحضر أخشابا كثيرة وأحجارا وبلاطا ورخاما ... وبجانبها زاوية قديمة بها مدافن ، فهدمها وأدخلها فى الدار ، وأخرج عظام الموتى من قبورهم ، ودفنهم بتربة المجاورين — كما أخبرنى عن ذلك من لفظه — وعمل مكان الزاوية قاعة لطيفة ، بخارجها فسحة يتوصل اليها من حوش الدار . وجعل مكان القبور مخابى ، وعليها طوابق ، وأسكن فى تلك الدار احدى زوجاته — وهى التى كانت تحت الشيخ الدنجيى الديماطى — تزوج بها بدمياط ، وأحضرها الى مصر ، وأسكنها بهذه الدار ومعها ضررتها التى كانت من شابور ، وأكثر من المبيت فيها مع استمرار العمارة .

فلما كان فى آخر المحرم ، توعك أياما ثم عوفى ، وذهب الى الحمام ، وهناك الناس بالعافية . ومشى الى جيرانه يتحدث عندهم كعادته ، مثل الخواجا سيدى محمد ابن الحاج طاهر ، والسيد صالح الفيومى . فخرج ليلة الجمعة ، الثانى من شهر صفر ، وذهب عند عثمان بن سلامة السنارى ، فتحدث عندهم حصة من الليل وتمكثوا ، ثم قام ذاهبا الى داره ماشيا على أقدامه وصحبته صاحبنا الشيخ خليل الصفتى يحادثه حتى وصل الى داره المذكورة ، وانصرف الشيخ خليل الى داره أيضا ، ومضى نحو ساعة ... واذا بتابع الشيخ المهدي يناديه ، ويطلبه اليه . فقام فى الحين ودخل اليه فوجده راقدا فى المكان الذى نبش من القبور ، فحس يده ، فقال له النساء : « انه ميت » ، وأخبرت زوجته أنه جامعا ثم استلقى ... وفارق الدنيا عن نحو خمس وسبعين سنة !

وأرسلوا الى أولاده فحضروا ، وحملوه فى تابوت الى الدار الكبيرة بالموسكى ليلا . وشاع موته ، وجهاز ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل

جدا ، ودفن عند الشيخ الحفنى بجانب القبر .
فسبحان الحى الذى لا يموت .

فرحم الله عبدا زهد فى الفانى ، وعمل لما بعده ،
ونظر الى هذه الدار بعين الاعتبار ... نسأله
التوفيق والقناعة وحسن الخاتمة .

وحاصل أمر المرحوم المترجم : أنه كان من
فحول العلماء ، يدرس الكتب الصعاب فى المعقول
والمقول ، بالتحقيق والتدقيق ، ويقررها
بالحاصل . وانتفع عليه الكثير من الطلبة ، ومنهم الآن
مدرسون مشتهرون ومميزون بين نظرائهم من أهل
العصر . ولو استمر على طريقة أهل العلم السابقين
وبعض اللاحقين ، ولم يشتغل بالانهماك على الدنيا ،
لكان نادرة عصره . وأداه ذلك الى قطع الاشتغال ،
واذا شرع فى الاقراء فلا يتم الكتاب فى الغالب ،
ويحضر الدرس فى الجمعة يوما أو يومين ، ويعمل
كذلك . ولم يصنف تأليفا ، ولا رسالة فى فن من
الفنون مع تأمله لذلك ، ولم يعان الشعر ولا النظم ،
ونثره فى المراسلات ونحوها ، متوسط فى بعض
المقوافى السهلة ، وتقيد بقراءة الحكم لابن عطاء الله
بعد العصر فى رمضان ... للثلاث سنين الأخيرة .

ومات الأستاذ العلامة ، والنحرير الفهامة ،
الفقيه النبيه ، المذهب المتواضع : الشيخ مصطفى
ابن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن — الشهير
بالصفوى القلعاوى — الشافعى .

ولد فى شهر ربيع الأول من سنة ثمان وخمسين
ومائة وألف ، وتفق على الشيخ الملوى والسحيمى
والبراوى والحفنى ، ولازم شيخنا ، الشيخ أحمد
المروسى ، وانتفع عليه ، وأذن له فى الفتيا عن
لسانه ، وجمع من تقريراته ، واقتطف من تحقیقاته ،
وآلف وصنف ، وكتب حاشية على ابن قاسم الغزى
على أبى شجاع فى الفقه ، وحاشية على شرح المطول

للسعد التفتازانى على التلخيص ، وشرح شرح
السمرقندى على الرسالة العضدية فى علم الوضع .
وله منظومة فى آداب البحث ، وشرحها ، ومنظومة
لمتن التهذيب فى المنطق وشرحها ، وديوان شعر
سماه « اتحاف الناظرين فى مدح سيد المرسلين »
وعدة من الرسائل فى معضلات المسائل ، وغير ذلك .

وكان سكنه بقلعة الجبل ، ويأتى فى كل يوم
الى الأزهر للاقراء والافادة . فلما أمر الباشا سكان
القلعة باخلائها والنزول منها الى المدينة ، فنزلوا الى
المدينة ، وتركوا دورهم وأوطانهم ، نزل المترجم مع
من نزل ، وسكن بحارة أمير الجيوش — جهة باب
الشعرية — ولم يزل هناك حتى تمرض أياما ،
وتوفى ليلة السبت ، سابع عشرى شهر رمضان ،
وصلى عليه بالأزهر ، ودفن بزاوية الشيخ سراج
الدين البلقينى بحارة بين السيارج ... رحمه الله
تعالى . فانه كان من أحسن من رأينا سمنا وعلمنا ،
وصلاحا وتواضعا وانكسارا ، وانجباعا عن خلطة
الكثير من الناس ... مقبلا على شأنه ، راضيا
مرضيا ، طاهرا نقيا ، لطيف المزاج جدا ، محبوبا
الناس . عفا الله عنه ، وغفر لنا وله .

ومات الشيخ الفاضل ، للأجل الأمثل ،
والوجيه المفضل : الشيخ حسين بن حسن كنانى
ابن على المنصورى الحنفى . تفقه على خاله الشيخ
مصطفى بن سليمان المنصورى ، والشيخ محمد
إلدجى ، والشيخ أحمد الفارسى ، والشيخ عمر
الدبركى ، والشيخ محمد المصلى . وأقرأ فى
فقه المذهب دروسا فى محل جده لأمه بالأزهر ،
وسكن داره بحارة الحبانية على بركة الفيل ، مع
أخيه الشيخ عبد الرحمن ، ثم انتقلا فى حوادث
الفرنساوية الى حارة الأزهر .

ولما كانت حادثة (نفى) السيد عمر مكرم ،
النقيب من مصر الى دمياط ، وكتبوا فيه عرضا

صحبتة ، وتفاخروا بمجالسته ، ومنهم : مصطفى بيك للمحدى ، أمير الحاج ، وحسن أفندي العربية ، وشيخ السادات ، وغيرهم من الأماثل ... فيراتحون لمنادمته ، ويتنقلون على طيب مفاكمتة ، وحسن مخاطبته ، ولطف عباراته .

وكان الوقت اذ ذلك غاصا بالأكابر والرؤساء ، وأرباب الفضائل . والناس في بلهنية من العيش ، وأمن من المخاوف والطيش . وللمترجم ، رحمه الله ، قوة استحضار في ابداء المناسبات بحسب ما يقتضيه حال المجلس ... فكان يجانس ويشاكل كل جليس بما يدخل عليه السرور في الخطاب ، ويجلب عقله بلطف محادثته ، كما يفعل بالعقول الشراب .

ولما رتب الفرنسية ديوانا لقضايا المسلمين ، عين المترجم في كتابة التاريخ لحوادث الديوان ، وما يقع فيه من ذلك اليوم ... لأن القوم كان لهم مزيد اعتناء بضبط الحوادث اليومية في جميع دواوينهم وأماكن أحكامهم ، ثم يجمعون المتفرق في ملخص ، يرفع في سجلهم ، بعد أن يطبعوا منه نسخا عديدة يوزعونها في جميع الجيش ... حتى لمن يكون منهم في غير مصر من قرى الأرياف ، فتجد أخبار الأمس معلومة للجليل والحقير منهم .

فلما رتبوا ذلك الديوان ، كما ذكر ، كان هو المتقيد برقم كل ما يصدر في المجلس : من أمر أو نهي ، أو خطاب أو جواب ، أو خطأ أو صواب . وقرروا له في كل شهر سبعة آلاف نصف فضة . فلم يزل متقيدا في تلك الوظيفة مدة ولاية عبد الله جاك منو ، حتى ارتحلوا من الاقليم ... مضافة لما هو فيه من حرفة الشهادة بالمحكمة ودواوينهم هذا ، ضحوة يومين في الجمعة . فجمع من ذلك عدة كراريس . ولا أدري ما فعل بها .

وبعد أن رجع صاحبنا العلامة الشيخ حسن العطار من سياحته ، مازج المذكور وخالطه ، ورافقه ووافقه ولازمه ... فكان كثيرا ما يبيتان معا ،

الدولة ، وامتنع السيد أحمد الطحطاوى من الشهادة عليه — كما تقدم — وتمصبوا عليه ، وعزلوه من مشيخة الحنفية ... قلدوها المترجم ، فلم يزل فيها حتى تمرض وتوفي يوم الثلاثاء ، تاسع عشر المحرم ، وصلى عليه بالأزهر ودفن بتربة المجاورين . رحمه الله وإيانا .

ومات البليغ النجيب ، والنبه الأريب ، فادرة الزمان ، وفريد الألوان ... أخونا ، ومحبنا في الله تعالى ، ومن أجله : السيد اسماعيل بن سعد الشهير بالخشاب .

كان أبوه نجارا ، ثم فتح له مخزنا لبيع الخشب — تجاه تكية الكلشنى ، بالقرب من باب زويلة — وولد له المترجم ، وأخوه : ابراهيم ومحمد — وهو أصغرهما — فتولع السيد اسماعيل ، المترجم ، بحفظ القرآن ، ثم بطلب العلم . ولازم حضور السيد على المقدسى ، وغيره من أفاضل الوقت ، وأنجب في فقه الشافعية والمقول ، بقدر الحاجة ، وثقيف اللسان والفروع الفقهية الواجبة والفرائض . وتنزل في جرفة الشهادة بالمحكمة الكبيرة لضرورة التكسب في المعاش ، ومصارف العيال . وتمسك بمطالعة الكتب الأدبية ، والتصوف والتاريخ ، وأولع بذلك ، وحفظ أشياء كثيرة من الأشعار والمراسلات ، وحكايات الصوفية ، وما تكلموا فيه من الحقائق ... حتى صار فادرة عصره في المحاضرات والمحاورات ، واستحضار المناسبات ، والماجريات . وقال الشعر الرائق ، ونثر النثر الفائق ، وصحب — بسبب ما احتوى عليه من دماثة الأخلاق ، ولطف السجايا ، وكرم السمائل ، وخفة الروح — كثيرا من أرباب المظاهر والرؤساء من الكتاب والأمراء ، والتجار . وتنافسوا في

ويقطعان الليل بأحاديث أرق من نسيم السحر ،
والطف من اتساق نظم الدرر . وكثيرا ما كانا
يتنادمان بدارى ، لما بينى وبينهما من الصبغة
الأكيدة ، والمودة العتيدة ، فكانا يرتاحان عندي
ويطرحان التكلفات التي هي على النفس شديدة ،
ويتمثلان بقول من قال :

في انقباض وحشة فاذا
رأيت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسي على سجيتهما
وقلت ما قلت غير محتشم

ثم يتجاذبان أطراف الكلام ، فيجولان في كل
فن من الفنون الأدبية ، والتواريخ والمحاضرات :
فتارة يتشاكيان تغير الزمان ، وتكدر الاخوان ،
وأخرى يترنغان بحاسن الغزلان ، وما وقع لهما من
صد وهجران ، ووصل واحسان . فكانت تجري
بينهما مناديات أرق من زهر الرياض ، وأفتك
بالعقول من الحدق المراض . وهما حينئذ فريدا
وقتهما ، ووحيدا مصرهما ... لم يمززا في ذلك
الوقت بثالث ، اذ ليس ثم من يدانيهما ، فضلا عن
مساواتهما في تلك الشئون التي أربت على المثاني
والمثالث .

واستمرت صحبتهما ، وتزايدت على طول
الأيام مودتهما ... حتى توفي المترجم ، وبقي بعده
الشيخ حسن : فريدا عن يشاكله ويناشده ،
ويتجارى معه ويحاوره . فسكت بعد حسن البيان ،
وترك نظم الشعر والنثر الا بقدر الضرورة ، ونفاق
أهل العصر ... وذلك لتناقض الخطوب ، وتزايد
الكروب ، وفقد الاخوان ، وعدم الخلان . واشتغل
بما هو خير من ذلك ، وأبقى ثوابا فيما هنالك ...
من تقرير العلوم وتحقيقها ، والتأليفات المتنوعة في
الفنون المختلفة ، وتنسيقها . وهو الآن على ما هو

عليه من السعي في خدمة العلم ، وإقرار الكتب
الصعبة . وله بذلك شهرة بين الطلاب .

وقد جمع المذكور للمترجم ديوان شعره ، وهو
صغير الحجم ، له شهرة بين المتأدبين بمصر ، ولهم
به عناية ، ووفور رغبة . وقد كان له فيه غلو زائد ،
وتأدب في الجلوس والحديث ، انتقد فيه ولهم عليه هذه
الأموار ، حتى كان لا يخاطبه الا بضمير الغيبة (١) ،
حتى ربما وقع ذلك في بعض آيات وأحاديث
— كما قدمنا الإشارة بذلك في ترجمته — وكان
ذلك يوافق غرضه ، لما جبل عليه من التعاطف .
وقد كان جلساؤه لما رأوا محبته لذلك ، يتشبهون
بالمترجم في سلوك هذه الشئون ، مع أنه لا داعي
ولا باعث لارتكاب هذه المعاصي ... طلبا لمرضاة
من هو كثير التلون على جلسائه . وانما الناس
شأنهم التقليد ، وفي طياعهم الميل الى أرباب الدنيا ،
ونو لم ينلهم منها شيء . ولم يكن للمترجم شيء
يعاب به الا هذه الارتكابات .

ولما وردت الفرنسية لمصر ، اتفق أن علق شابا
من رؤساء كتابهم ، كان جميل الصورة ، لطيف
الطبع ، عالما ببعض العلوم العربية ، مائلا الى
اكتساب النكات الأدبية ، فصيح اللسان بالعربي ،
يحفظ كثيرا من الشعر ... فلتلك المجانسة مال كل
منهما للآخر ، ووقع بينهما توادد وتصاف ، حتى
كان لا يقدر أحدهما على مفارقة الآخر . فكان
المترجم تارة ينهب لداره ، وتارة يزوره هو ، ويقع
بينهما من لطف المحاورة ما يتعجب منه . وعند ذلك
قال المترجم الشعر الرائق ، ونظم الغزل الفائق ،
فما قاله فيه :

علقت له لؤلؤى الشعر باسمه

فيه خلعت عذارى ، بل حلا نسكى ا

(١) لعل هنا سقطا في الاصل . وقد يكون المقصود بأن الخشاب
(المترجم) لا يخاطبه الا بضمير النيبسة هو أبو الانوار ، شيخ
السادات ، كما ورد في ترجمته .

ملكته الروح طوعا ، ثم قلت له :
متى ازديارك لى أفديك من ملك
فقال لى ، وحميا الراح قد عقلت
لسانه ، وهو يثنى الجيد من ضحك :
إذا غزا الفجر جيش الليل وانهمزت
منه عساكر ذاك الأسود الحلك
فجاءنى وجبين الصبح مشرقة
عليه من شغف آثار معترك
فى حلة من أديم الليل رصعها
بمثل أنجمه فى قبة الفلك
فخلت بدرا به حفت نجوم دجا
فى أسود من ظلام الليل محتبك
وفى وولى بعقل غير مختبل
من الشراب وستر غير منهتك
وله فى آخر يسمى « ريج » :
أدرها على زهر الكواكب والزهر
واشراق ضوء البدر فى صفحة النهر
وهات على نغم المثانى فعاطنى
على خدك المحمر حمراء كالجمر
وموه لجين الكأس من ذهب الطلا
وخضب بنانى من منا الراح بالتبر !
وهاك عقودا من لآلى جبابها
فم الكاس عنها قد تبسم بالبشر
ومزق رداء الليل وامح بنورها
دجا ، وطف بالشس فينا الى الفجر
وأصل بنار الخد قلبى وأطفه
يبرد ثناياك الشهية والثغر

أريج ! زكى المسك أنفاسك التى
أريج شذاها قد تبسم عن عطر
معبرة يسرى النسيم بطيها
فتغدو رياض الزهر طيبة النشر
وبى ذابل الأجفان كالبيض طرفه
مكحلة أجفانه الأسود بالسحر
رشافاتك الألحاظ عيناه غادرت
فؤادى فى دمعى دما سائلا يجرى
طويل لجاد السيف ، ألمى ، محجب
شقيق المها ، زاهى البها ، ناحل الخصر
رقيق حواشى الطبع يغنى حديثه
عن اللؤلؤ المنظوم والنظم والنشر
يعير الرماح اللين عاذل قده
ويزرى الدرارى ضوء مبسم الدر
ويحكيه أغصان الربا فى شمائل
فيرفل فى أثواب أوراقها الخضر
وفوق سننى ذاك الجبين غياهب
من الشعر تبدو دونها طلعة البدر
ولما وقفنا للوداع عشية
وأمسى بروحى يوم جد النوى سبرى
تباكى لتوديع ، فأبدى شقائقا
مكللة من لؤلؤ الطل بالقطر (١)
ولم يزل المترجم على حالته ، ورقته ولطافته ،
مع ما كان عليه من كرم النفس والعفة والنزاهة ،
والتولع بمعالى الأمور ، والتكسب وكثرة الانفاق ،
وسكنى الدور الواسعة والحزم .

(١) فليسجل التاريخ ما آل اليه أمر الفتاة البواسل !

المحترم

فهرته : (٣ ديسمبر ١٨١٥ م) :

استهل .. وحاكم مصر وصاحبها واقطاعها
وثغورها ، وكذلك بندير جندة ومكة والمدينة
المنورة وبلاد الحجاز ... محمد علي باشا ! وذلك
فضل الله يؤتیه من يشاء . ولاظ محمد — الذي
هو كنتخدا بيك — قائممقامه هو المتصدر
لاجراء الأحكام بين الناس عن أمر مخدومه .
وابراهيم آغا .. آغات الباب . والدفتردار : محمد
أفندی ... صهر الباشا : والروزنامجي : مصطفى
أفندی — تابع محمد أفندی باش جاکرت سابقا —
وغيطاس أفندی سرجي ، وسليمان أفندی الكماخي
... باشمحاسب ، ورفيقه أحمد أفندی ... باش
قلقة ، وصالح بيك السلحدار ، وحسن آغا ... آغات
الينكجيرية ، وعلى آغا الشعراوي ، وزعيم مصر
— وهو الوالي — وآغات التبديل أحمد آغا ، وهو
أخو حسن آغا المذكور ، وكاتب الخزينة ولي خوجه ،
ورئيس كتبة الأقباط المعلم غالي ... وأولاد الباشا .
ابراهيم باشا حاكم الصعيد ، وطوسون باشا فاتح
بلاد الحجاز ، واسماعيل باشا ببولاقي ، ومجرم
بيك — صهر الباشا أيضا على ابنته — بالجيزة ،
وأحمد آغا ... المعروف ببونابارته الخازندار .
وباقى كشاف الأقاليم ، وأكابر أعيانهم ، مثل :
دبوس أوغلي ، وحسن آغا سرشمة ، وحجوب
بيك ، ومحو بيك وخلافهم .

وفي ذلك اليوم : قبض كنتخدا بيك على المعلم
غالي وأمر بحبسه ، وكذلك أخوه المسمى فرسيس

وخازنداره المعلم سمعان ... وذلك عن أمر مخدومه
من الاسكندرية ، لأنه حول عليه الطلب بسنة
آلاف كيس ، تأخر أداؤها اياه من حسابه القديم ،
فاعتذر بعدم القدرة على أدائها في الحين ، لأنها
بواقى على أربابها ... وهو مساع في تحصيلها ،
ويطلب المهلة الى رجوع الباشا من غيبته فأرسل
الكتخدا بمقالته واعتذاره الى الباشا .

واتبذ طائفة من الأقباط في الحط على غالي مع
الكتخدا ، وعرفوه أنه اذا حوسب يظهر عليه ثلاثون
ألف كيس ، فقال لهم : « وان لم يتأخر عليه هذا
القدر تكونوا ملزومين به الى الخزينة » فأجابوه الى
ذلك . فأرسل يعرف الباشا بذلك ، فورد الأمر
بالقبض عليه وعلى أخيه وخازنداره وحبسهم ،
وعزله ومطالبته بستة آلاف كيس القديمة أولا ،
ثم حسابه بعد ذلك .

فأحضر المرافعين عليه ، وهم . المعلم جرجس
الطويل ، ومنقريوس البتولي ، وحنا الطويل ،
والبسهم خلعا على رئاسة الكتاب ... عوضا عن
غالي ومن يليه .

واستمر غالي في الحبس . ثم أحضره مع
أخيه وخازنداره ، فضربوا أخاه أمامه ، ثم
أمر بضربه . فقال : « وألا أضرب أيضا ؟ » .
قال : « نعم » . ثم ضربه على رجليه بالكراييج
ورفع ، وكرر عليه الضرب ، وضرب سمعان
ألف كبرياج ، حتى أشرف على الهلاك
ووجدوا في جيبه ألف شخص بندقي ، ومائتى
محبوب ، عنها اثنان وعشرون ألف قرش .

الأحد ١٢ منه (١١ فبراير ١٨١٦ م) :

طلب الباشا المشايخ . فلما جلسوا مجلسهم ، وفيهم الشيخ البكرى ، أحضروا خلعة وألبسوها له على منصب نقابة الأشراف ... عوضا عن السيد محمد المحروقى . وفاوضه فى ذلك ورأى أن يقلده إياه ، فاعتذر السيد محمد المحروقى ، واستغنى ، وقال : « أنا متقيد بخدمة أفندينا ومهمات المتاجر والعرب والحجاز » . فقال : « قد قلدتك إياها فأعطها لمن شئت » . فذكر أنها كانت مضافة للشيخ البكرى .. وهو أولى من غيره . فلما حضروا ، وتكاملوا ، ألبسوه الخلعة ، واستصوب الجماعة ذلك ، وانصرفوا .

وفى الحال .. كتب فرمان بإخراج الدواخلى منفا إلى قرية دسوق ، فنزل إليه السيد أحمد الملا ، الترجمان ، وصحبته قواس تركى ، ويده فرمان . فدخلوا إليه على حين غفلة — وكان بداخل حريمه ، لم يشعر بشئ مما جرى — فخرج إليهم ، فأعطوه فرمان . فلما قرأه ، غاب عن حواسه ، وأجاب بالطاعة ، وأمره بالركوب ، فركب بغلته ، وسار به إلى بولاق إلى المنزل الذى كان شراه بعد موت ولده ، والشيخ سالم الشرفاوى . وانسل مما كان فيه كانشلال الشعرة من العجين ، وتفرق الجمع الذى كان حوله .

وشرع الأشياخ فى تنميق عرضحال على لسانهم ، بأمر الباشا ، بتعداد جنایات الدواخلى ، وذنوبه ، وموجبات عزله ... وأن ذلك بترجيهم والتماسهم عزله ونفيه ، ويرسل ذلك العرضحال لنقيب الأشراف ، بدار السلطنة ، لأن الذى يكون قهيا بمصر نيابة عنه ، ويرسل إليه الهدية فى كل سنة فالذى تقمونه عليه من الذنوب : أنه تطاول على حسين أفندى شيخ رواق الترك ، وسبه وحبسه من غير جرم . وذلك أنه اشترى منه جارية حبشية بقدر من الفرائسة . فلما أقبضه الثمن ، أعطاه

ثم بعد أيام أفرجوا عن أخيه وسبعان ليسعيا فى التحصيل ، وهلك سمعان ، واستمر غالى فى السجن ، وقد رفعوا عنه وعن أخيه العقاب لثلا يموتا .

١٠ منه (١٢ ديسمبر ١٨١٥ م) :

رجع الباشا من غيبته من الاسكندرية . وأول ما بدأ به إخراج العساكر مع كبرائهم إلى ناحية بحرى ، وجهة البحيرة والثغور . فنصبوا خيامهم بالبر الغربى والشرقى تجاه الرحمانية ، وأخذوا صحبتهم مدافع وبارودا ، وآلات الحرب . واستمر خروجهم فى كل يوم ، وذلك من مكايده معهم ، وابعادهم عن مصر جزاء فعلتهم المتقدمة ... فخرجوا أرسالا .

سفر

(يناير ١٨١٦ م)

فيه : تشفع جونى الحكيم فى المعلم غالى وأخذه من الحبس إلى داره . والعساكر مسترون فى التشميل والخروج ، وهم لا يعلمون المراد بهم . وكثرت الروايات والأخبار والايهامات والظنون ... ومعنى الشعر فى بطن الشاعر !

ربيع الأول

الأربعاء غرته (٣١ يناير ١٨١٦ م) :

فيه : سافر طوسون باشا وأخوه اسماعيل باشا ، إلى ناحية رشيد ، ونصبوا عرضيهما عند الحماد وناحية أبى منصور . وحسين بيك دالى باشا وخلافه ، مثل حسن آغا أرزجلى ، ومحو بيك ، وصرارى جلة ، وحجو بيك ... جهة البحيرة . وكل ذلك تولى وتلبس للعساكر بكونه أخرج حتى أولاده العزاز للمحافظة ، وكذلك الكثير من كبرائهم إلى جهة البحر الشرقى ودمياط .

بدلها قروشاً بدون الفرط الذى بين المعاملتين . فتوقف السيد حسين وقال : « اما تعطينى العيين التى وقع عليها الانفصال ، أو تكمل فرط النقص » . وتشاحاً ، وأدى ذلك الى سبه وجسه ... وهو رجل كبير متضلع ، ومدرس ، وشيخ رواق الأتراك بالأزهر . وهذه القضية سابقة على حادثة نفيه بنحو سنتين .

ومنها أيضاً : أنه تناول على السيد منصور الياق بسبب فتيا رفعت اليه . وهى أن امرأة وقتت وقتاً فى مرض موتها ، وأفتى بصحة الوقف ، على قول ضعيف . فسبه فى ملأ من الجمع ، وأراد ضربه ، ونزع عمامته من على رأسه .

ومنها أيضاً : أنه يعارض القاضى فى أحكامه ، وينقص محاصيله ، ويكتب فى بيته وثائق قضايا صالحة ، ويسب أتباع القاضى ، ورسل المحكمة ، ويعارض شيخ الجامع الأزهر فى أموره ... ونحو ذلك .

وعندما سطروه ، وتمموه ... وضعوا عليه ختمهم ، وأرسلوه الى اسلامبول .

على أن جناياته عند الباشا ليست هذه النكات الفارغة ... بل ولا علم له بها ولا التفات . وانما هى أشياء وراء ذلك كله : ظهر بعضها ، وخفى عنا باقياها . وذلك أن الباشا يحب الشوكة ونفوذ أوامره فى كل مرام ، ولا يصطفى ويجب الا من لا يعارضه ... ولو فى جزئية ، أو يفتح له باباً يهب منه ريح الدراهم والدنانير ، أو يدله على ما فيه كسب ، أو ربح من أى طريق أو سبب ... من أى ملة كان .

ولما حصلت واقعة قيام العسكر فى أواخر السنة الماضية ، وأقام الباشا بالقلعة يدبر أمره فيهم ، وألزم أعين المتظاهرين الطلوع اليه فى كل ليلة ... وأجل المتحمين الدواخلى لكونه معدوداً فى العلماء ، وتقياً على الأشراف — وهى رتبة الوالى عند العثمانيين —

فداخله الغرور ، وظن أن الباشا قد حصل فى ورطة يطلب النجاة منها بفعل القربات والتذور ، ولكونه رآه يسترضى خواطر الرعية المنهوبين ، ويدفع لهم أثمانها ، ويستميل كبار العساكر ، وينعم عليهم بالمقادير الكثيرة من أكياس المال ، ويسترسل معه فى المسامرة والمسايرة ، ولين الخطاب والمذاكرة والمضاحكة . فلما رأى اقبال الباشا عليه ، زاد طمعه فى الاسترسال معه ، فقال له : « الله يحفظ حضرة أفندينا ، وينصره على أعدائه والمخالفين له ، ونرجو من احسانه — بعد هدو سره ، وسكون هذه الفتنة — أن ينعم علينا ويجرينا على عوائدنا فى الجبايات والمسامحات فى خصوص مايتعلق بنا من حصص الالتزام والرزق » .

فأجابه بقوله : « نعم يكون ذلك ، ولا بد من الراحة لكم ولكافة الناس » . فلما له ، وأنس فؤاده ، وقال : « الله تعالى يحفظ أفندينا ، وينصره على أعدائه ... كذلك يكون تمام ما أشرتكم به من الراحة لكافة الناس ، الافراج عن الرزق الأحباسية على المساجد والفقراء » . فقال : « نعم » ووعد مواعيده العرقية . فكان الدواخلى اذا نزل من القلعة الى داره ، يحكى فى مجلسه ما يكون بينه وبين الباشا من أمثال هذا الكلام ، ويذيعه فى الناس .

ولما أمر الباشا الكتاب بتحرير حساب المتزمين على الوجه المرضى : بديوان خاص لرجال دائرة الباشا وأكابر العسكر — وذلك بالقلعة — تطييباً لخواطرهم ، وديوان آخر فى المدينة لعامة المتزمين ، فيجرون للخاصة بالقلعة ما فى قوائم مصروفهم ، وما كانوا يأخذونه من المضاف والبرانى والهدايا ، وغير ذلك ... والديوان العام التحتانى بخلاف ذلك .

فلما رأى الدواخلى ذلك الترتيب ، قال للباشا :

« وأنا الفقير محسوبكم من رجال الدائرة » .
فقال : « نعم » . وحرروا قوائمه مع الأكابر ،
وأكابر الدولة ، وأنعم عليه الباشا بأكياس أيضا
كثيرة زيادة على ذلك .

فلما راق الحال ، ورتب الباشا أموره مع العسكر ،
أخذ يذكر الباشا بانجاز الوعد ويكرر القول عليه ،
وعلى كتفها ييك بقوله : « أتم تكذبون علينا ،
ونحن نكذب على الناس » .

وأخذ يتناول على كتفه الأقباط بسبب أمور
يلزمهم ويكلفهم باتمامها وعذرهم يخفى عنه في
تأخيرها . فيكلمهم بحضرة الكتخدا ، ويشتمهم
ويقول لبعضهم : « أما اعتبرتم بما حصل للعين غالى ؟ »
فيحقدون عليه ، ويشكون منه للباشا والكتخدا ...
وغير ذلك أمورا ، مثل تعرضه للقاضي في قضاياها ،
وتشكيه منه .

واتفق أنه لما حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية ،
وكان بصحبته أحمد جلبي ابن ذى الفقار كتخدا
الفلاح — وكأنه كان كتخداه بالصعيد — وتشكت
الناس من أفاعيله واغوائه ابراهيم باشا ... فاجتمع
به الدواخلي عند السيد محمد المحروقي ، وحضر
قبل ذلك اليه للسلام عليه . وفي كل مرة يوبخه
بالكلام ، ويلومه على أفاعيله بالقول الخشن ،
في ملا من الناس . فذهب الى الباشا ، وبالح في
الشكوى ، ويقول فيها : « أنا نصحت في خدمة
أفندينا جهدي ، وأظهرت من المخبات ما عجز عنه
غيري ، فأجازي عليه من هذا الشيخ ما أسعني
من قبيح القول ، وتجيهي بين الملا . وإذا كان
محبيا لأفندينا فلا يكره نفعه ، ولا النصيح في
خدمته » وأمثال ذلك مما يخفى عنا خبره . فمثل
هذه الأمور هي التي أوغرت صدر الباشا على

الدواخلي ، مع أنها في الحقيقة ليست خلافا عند
من فيه قابلية للخير !

وأنا أقول : ان الذي وقع لهذا الدواخلي ، انما
هو قصاص ، وجزاء فعله في السيد عمر مكرم ...
فانه كان من أكبر الساعين عليه الى أن عزله ،
وأخرجوه من مصر ... والجزاء من جنس العمل ،
كما قيل :

فقل للشامتين بنا أفيقوا

سيلقى الشامتون كما لقينا

ولما جرى على الدواخلي ماجرى من العزل
والنفى ، أظهر الكثير من نظرائه المتفهمين الشماتة
والفرح ، وعملوا ولائم وغزائم ومضاحكات
كما يقال :

أمور تضحك السفهاء منها

- ويكي من عواقبها اللبيب

وقد زالت هيبتهم ووقارهم من النفوس ،
وانهمكوا في الأمور الدنيوية ، والحفظ
النفسانية ، والوساوس الشيطانية ، ومشاركة
الجهال في المآثم ، والمسارة الى الولايم في الأفراح
والمآثم ... يتكالبون على الأسمطة كالبهائم .
فتراهم في كل دعوة ذاهبين ، وعلى الخوانات
راكعين ، وللكسب والمحرمات خاطفين ، وعلى
ما وجب عليهم من النصح تاركين .

في أواخره (أواخر فبراير ١٨١٦ م) :

شرعوا في عمل مهم عظيم بمنزل ولي
أفندي — ويقال له : ولي خجا — وهو كاتب
الخزينة العامة ، وهو من طائفة الأرثوذكس ...
واختص به الباشا ، واستأمنه على الأمور ، وضم
اليه دفاتر الايراد ، من جميع وجوه جبايات
الأموال ، من خراج البلاد والمحدثات ، وحسابات
المباشرين .

وأنشأ داراً عظيمة بخطبة باب اللوق ، على البركة المعروفة بأبى الشوارب ، وأدخل فيها عدة بيوت — بجاليها وتجاهها — على نسق واصطلاح الأبنية الأفرنجية والرومية ، وتأثق في زخرفتها واتساعها ، واستمرت العمارة بها نحو الستين .

ولما كملت وتمت ، أحضروا القاضى والمشايع ، وعقدوا لولديه على ابنتين من أقارب الباشا ، بمنزلة الأعيان ومن ذكر . واحتفلوا بعمل المهم احتفالاً زائداً ، وتقيّد السيد محمد المحروقى بالمصاريف ، والتنظيم واللوازم ... كما كان في أفراح أولاد الباشا . واجتمعت الملاعب والبهلوانات بالبركة ، وما حولها وبالشارع ، وعلقوا تعاليق قناديل ونجفات وأحمال بلور وزينات ، واجتمع الناس للفرجة ... وبالليل حراقات ونفوط ، ومدافع ، وسواريح ، سبع ليال متوالية ، وعملت الزفة يوم الخميس ، واجتمعت العربات لأرباب الحرف ، كما تقدم في العام الماضى ... بل أزيد . وذلك لأن الباشا لم يشاهد أفراح أولاده ، لكونه كان غائبا بالديار الحجازية . وحضر الباشا للفرجة ، وجلس بمدرسة الغورية ، بقصد الفرجة ، وعمل له السيد محمد المحروقى الغداء ، وخرجوا بالزفة ، أوائل النهار ، وداروا بها دورة طويلة ، فلم يروا بسوق الغورية الا قريب الغروب أواخر النهار .

ريش الآخـر

فترته (أول مارس ١٨١٦ م) :

فيه : خروج العساكر الى ناحية يجرى مستمر . وأفصح الباشا ، وذكر في كلامه — في مجالسه — ويّين السر في اخراجهم من المدينة : بأن العساكر قد كثروا ، وفي اقامتهم بالبلدة ، مع كثرتهم ، ضرر وافساد ، وضيق على الرعية ، مع عدم الحاجة اليهم داخل البلدة . والأولى والأحوط أن يكونوا

خارجها ، وحولها مرابطين ، لحفظ الثغور من طارق على حين غفلة أو حادث خارجى . وليس لهم الا رواتبهم وعلائقهم تأتيهم في أماكنهم ومراكزهم والسر الخفى اخراج الذين قصدوا غدره وخيائته ، ووقع بسبب حركتهم ما وقع من النهب والازعاج في أواخر شعبان من السنة الماضية .

وكان قد بدأ باخراج أولاده ، وخواصه — من تحيله — واحدا بعد واحد . وأسر الى أولاده بما في ضميره ، وأصبح مع ولده طوسون باشا شخصا من خواصه ، يسمى أحمد أغا البجورجى المدلى . وأخذ طوسون باشا في تدبير الايقاع مع من يريد به ، فبدأ بمحو بيك — وهو أعظمهم ، وأكثرهم جندا — فأخذ في تأليف عساكره حتى لم يبق معه الا القليل . ثم أرسل في وقت بطلب محو بيك عنده في مشورة . فذهب اليه أحمد أغا المدلى المذكور ، وأسر اليه ما يراد به ، وأشار اليه بعدم الذهاب . فركب محو بيك في الحال ، وذهب عند الدلاة ، فأرسلوا الى مصطفى بيك — وهو كبير على طائفة الدلاة ، وأخو زوجة الباشا وقريبه — والى اسماعيل باشا ابن الباشا ، ليتوسطا في صلح محو بيك مع الباشا ، وليعفوه ويذهب الى بلاده . فأرسلوا الى الباشا بالخبر ، وبما نقله أحمد أغا المدلى الى محو بيك ، فسفه رأيه في تصديق المقالة ، وفي هروبه عند الدلاة ... ثم يقول : « لولا أن في نفسه خيانة لما فعل ما فعل من التصديق والهروب » !

وكان طوسون باشا ، لما جرى من أحمد أغا ما جرى من نقل الخبر لمحو بيك ، عوقه ، وأرسل الى أبيه يعلمه بذلك ، فطلبه للحضور اليه بمصر . فلما مثل بين يديه ، وبخه وعززه بالكلام ، وقال له : « ترمى الفتن بين أولادى وكبار العسكر » ، ثم أمر بقتله . فنزلوا به الى باب زويلة ، وقطعوا

رأيه هناك ، وتركوه مرميا طول النهار ، ثم رفعوه الى داره ، وعملوا له في صباحها مشهدا ودفنوه .
وفيه : حضر اسماعيل باشا ، ومصطفى بيك الى مصر .

في اواخره (اواخر مارس ١٨١٦ م) :

حضر شخص يسمى سليم كاشف من الأجناد المصرية ، مرسلا من عند بقاياهم من الأمراء وأتباعهم ... الذين رماهم الزمان بكله ، وأقصاهم وأبعدهم عن أوطانهم ، واستوطنهم « دنقلة » من بلاد السودان ، يتقوتون مما يزرعونه بأيديهم من الدخن ، وبينهم وبين أقصى الصعيد مسافة طويلة ، نحو من أربعين يوما .

وقد طال عليهم الأمد ، ومات أكثرهم ، ومعظم رؤسائهم مثل : عثمان بيك حسن ، وسليم أغا ، وأحمد أغا شويكار ، وغيرهم ممن لا علم لنا بخبرة أخبارهم ، لبعد المسافة حتى على أهل منازلهم . وبقي ممن لم يمت منهم : ابراهيم بيك الكبير ، وعبد الرحمن بيك — تابع عثمان بيك المرادى — وعثمان بيك يوسف وأحمد بيك الألفى — زوج عديلة ابنة ابراهيم بيك الكبير — وعلى بيك أيوب ، وبواقي صغار الأمراء والمماليك ... على ظن خيانتهم وقد كبر من ابراهيم بيك الكبير ، وعجزت قواه ، ووهن جسمه .

فلما طالت عليهم الغربة ، أرسلوا هذا المرسل بمكاتبة الى الباشا ... يستعطفونه ، ويسألون فضله ، ويرجون مراحمة ، بأن ينعم عليهم بالأمان على نفوسهم ، ويأذن لهم بالانتقال من دنقلة الى جهة من أراضى مصر : يقيمون بها أيضا ، ويتعيشون فيها بأقل العيش تحت أمانه ، ويدفعون ما يجب عليهم من الخراج الذى يقرره عليهم ، ولا يتعدون مراسمه وأوامره .

فلما حضر ، وقابل الباشا وتكلم معه ، وسأله عن حالهم وشأنهم ، ومن مات ومن لم يمت منهم — وهو يخبره خبره — أمره بالانصراف الى محله الذى نزل فيه الى أن يرد عليه الجواب ، وأنعم عليه بخمسة أكياس ... فأقام أياما حتى كتب له جواب رسالته . مضمونها : أنه أعطاهم الأمان على أنفسهم ، بشروط شرطها عليهم ، ان خالفوا منها شرطا واحدا ... كان أمانهم منقوضا ، وعهدهم منكوثا ، ويحل بهم ما حل بمن تقدم منهم .

فأول الشروط — أنهم اذا عزموا على الانتقال من المحل الذى هم فيه ، يرسلون أمامهم نجابا يخبره بخبرهم وحركتهم وانتقالهم ، ليأتيهم من أعينه لملاقاتهم .

الثانى — اذا حلوا بأرض الصعيد ، لا يأخذون من أهل النواحي كلفة ، ولا دجاجة ، ولا رغيفا واحدا ... وانما الذى يتعين للملاقاتهم يقوم لهم بما يحتاجون اليه من مؤونة وعليق ومصرف .

الثالث — أنى لا أقطعهم شيئا من الأراضى والنواحي ، ولا اقامة فى جهة من جهات أراضى مصر ... بل يأتون عندى ، وينزلون على حكمى ، ولهم ما يلىق بكل واحد منهم من المسكن والتعيين والمصرف . ومن كان ذا قوة ، فلدته منصبا أو خدمة تليق به ، أو ضمته الى بعض الأكابر من رؤساء العسكر . وان كان ضعيفا أو هرما ، أجريت عليه نفقة لنفسه وعياله .

الرابع — أنهم اذا حصلوا بمصر على هذه الشروط ، وطلبوا شيئا من اقطاع أو رزقة أو قنطرة ، أو أقل مما كان فى تصرفهم فى الزمن الماضى ، أو نحو ذلك — انتقض معنى عهدهم ، وبطل أمانى لهم ... بمخالفة شرط واحد من هذه الشروط . وهى سبعة غاب عن ذهنى باقيها . فسبحان المعز المذل ، مقلب الأحوال ، ومغير الشئون !

فمن العبر : أنه لما حضر المصريون ، ودخلوا الى مصر بعد مقتل طاهر باشا ، وتأمرؤا وتحكموا ... فكانت عساكر الأتراك فى خدمتهم ، ومن أرذل طوائفهم ، وعلائفهم تصرف عليهم من أيدى كتابهم وأتباعهم . وإبراهيم بيك هو الأمير الكبير ، وراتب محمد على باشا ... هذا — من الخبز واللحم والأرز والسن الذى عينه له — من كيلاره ! نعوذ بالله من سوء للتقلب .

ورجع سليم كاشف ، للمرسل اليهم بالجواب المشتمل على ما فيه من الشروط .

وفيه : أمر الباشا بحبس أحمد أفندى المعارجى بدار الضرب . وحبس أيضا عبد الله بكتاش ، ناظر الضربخانه ، واحتج عليهما باختلاسات يختلسانهما ، واستمرأ أياما حتى قدر عليهما نحو السبعمائة كيس ، وعلى الحاج سالم الجواهرجى — وهو الذى يتعاطى إيراد الذهب والفضة الى شغل الضربخانه — مثلها . ثم أطلق المذكوران ليحصلأما تقرر عليهما ، وكذلك أطلق الحاج سالم . وشرعوا فى التحصيل بالبيع والاستدانة ، واشتد القهر بالحاج سالم ، ومات على حين غفلة . وقيل انه ابتلع فص اللأس ، وكان عليه ديون باقية من التى استدانها فى المرة الأولى ، والغرامة السابقة .

ومن النوادر الغريبة ، والاتفاقات العجيبة : أنه لما مات إبراهيم بيك المداد بالضربخانه — قبل تاريخه — تزوج بزوجه أحمد أفندى المعارجى المذكور . فلما عوق أحمد أفندى ، خافت زوجته المذكورة أن يدهمها أمر : مثل الختم على الدار ، أو نحو ذلك ... فجئمت مصاعها ، وما تخاف عليه — مما خف حمله وثقل ثمنه — وربطته فى صرة ، وأودعتها عند امرأة من معارفها . فسطا على بيت تلك المرأة شخص حرامى ، وأخذ تلك الصرة ، وذهب بها الى دار امرأة من أقاربه ، بالقرب من

جامع مسكة ، وقال لها : « اتخفظى عندك هذه الصرة حتى أرجع » . ونزل الى أسفل الدار ، فنادته المرأة : « اصبر حتى آتيك بشيء تأكله » ، فقال : « نعم . فاني جيعان » . وجلس أسفل الدار ينتظر آتيانها له بما يأكله .

وصادف مجيء زوج المرأة تلك الساعة ، فوجده فحرب به — وهو يعلم بحاله ، ويكره مجيئه الى داره — وطلع الى زوجته فوجد بين يديها تلك الصرة ، فسألها عنها ، فأخبرته أن قريبها المذكور أتى بها اليها حتى يعود لأخذها ... فجسها فوجدتها ثقيلة ، فنزل فى الحال ، ودخل على محمد أفندى سليم — من أعيان جيران الحطة — فأخبره ، فأحضر محمد أفندى أنفارا من الجيران أيضا — وفيهم الخجا المنسوب الى أحمد أغا لآل المقتول — ودخل الجميع الى الدار — وذلك الحرامى جالس ومشتغل بالأكل — فوكلوا به الخدم ، وأحضروا تلك الصرة وفتحوها ، فوجدوا بها مصاعا وكيسا بداخله أنصاف فضة عديدة — ذكروا أن عدتها أربعون ألفا — ولكنها من غير ختم ، وبدون نقش السكة ... فأخذوا ذلك ، وتوجهوا لكتخذها بيك ، وصحبتهم الحرامى ، فسألوه وهددوه ، فأقر وأخبر عن المكان الذى اختلسها منه . فأحضروا صاحبة المكان ، فقالت : « هو وديعة عندى لزوجة أحمد أفندى المعارجى » . فثبت لديهم خيائته واختلاسه .

وسئل أحمد أفندى ، فحلف أنه لا يعلم بشيء من ذلك ، وأن زوجته كانت زوجا لإبراهيم المداد ... فلمل ذلك عندها من أيامه . وسئلت هى أيضا عن تحقيق ذلك ، فقالت : « الصحيح أن إبراهيم المداد كان اشترى هذه الدراهم من شخص مغربى ، عند ما نهب عسكر المغاربة الضربخانه فى وقت حادثة الأمراء المصريين ، وخروجهم من مصر ... عند ما قامت عليهم عسكر

الأتراك . فلم يزيلوا الشبهة عن أحمد أفندى ، بل زادت .

وكانت هذه النادرة من عجائب الاتفاق ، فقدروا أثمانها ، وخصوها من المطلوب منه .

٢٠ منه (٢٠ مئذس ١٨١٦ م) :

حصلت جمعية بيت البكرى ، وحضر المشايخ وخلافهم . — وذلك بأمر باطنى من صاحب الدولة — وتذاكروا ما يفعله قاضى العسكر من الجور والطمع فى أخذ أموال الناس والمحاصيل .

وذلك أن القضاة الذين يأتون من باب السلطنة ، كانت لهم عوائد وقوانين قديمة — لا يعتمدونها — فى أيام الأمراء المصريين . فلما استولت هؤلاء الأروام على الممالك — والقاضى منهم — فحش أمرهم ، وزاد طمعهم ، وابتدعوا بدعا ، وابتكروا حيلاً لسلب أموال الناس والأيتام والأرامل . وكلما ورد قاض ، ورأى ما ابتكره الذى كان قبله ، أحدث هو الآخر أشياء يمتاز بها عن سلفه . حتى فحش الأمر ، وتمدى ذلك لقضايا أكابر الدولة وكتخدا بيك ... بل والباشا ، وصارت ذريعة وأمرًا محتسباً : لا يحتشون منه ، ولا يراعون خليلاً ولا كبيراً ولا جليلاً .

وكان المعتاد القديم : أنه اذا ورد القاضى فى أول السنة التوتية ، التزم بالقسمة بعض الميزين من رجال المحكمة بقدر معلوم يقوم بدفعه للقاضى ... وكذلك تقرير الوظائف ، كانت بالفراغ أو المحلول . وله شهرات على باقى المحاكم الخارجة : كالصالحية ، وباب سعادة ، والخرق ، وباب الشعرية ، وباب زويلة ، وباب الفتوح ، وطيلون ، وقناطر السباع ، وبولاق ، ومصر القديمة ونحو ذلك . وله عوائد واطلاقات وغلال من الميرى ، وليس له غير ذلك الا معلوم الامضاء

— وهو خمسة أنصاف فضة — فاذا احتاج الناس فى قضاياهم ومواريتهم ، أحضروا شاهداً من المحكمة القريبة منهم ، فيقضى فيها ما يقضيه ، ويعطونه أجرته ... وهو يكتب التوثيق ، أو حجة المبايعة أو التورث ، ويجمع العدة من الأوراق فى كل جمعة أو شهر ثم يمضيها من القاضى ، ويدفع له معلوم الامضاء لا غير . وأما القضايا لمثل العتاء والأمراء ، فبالمسامحة والاكرام .

وكان القضاة يخشون صولة الفقهاء وقت كونهم يصعدون بالحق ، ولا يداهون فيه . فلما تغيرت الأحوال ، وتحكمت الأتراك وقضاتها ... ابتدعوا بدعا شتى . منها : ابطال نواب المحاكم ، وابطال القضاة الثلاثة خلاف مذهب الحنفى ، وأن تكون جميع الدعاوى بين يديه ويدي نائبه ... وبعد الانفصال بأمرهم بالذهاب الى كتخداه ليدفع المحصول ، فيطلب منهم المقادير الخارجة عن المعقول ... وذلك خلاف الرشوات الخفية ، والمصالحات السرية . وأضاف التقرير والقسمة لنفسه ، ولا يلتزم بها أحد من الشهود كما كان فى السابق . واذا دعى بعض الشهود لكتابة توثيق أو مبايعه أو تركه ، فلا يذهب الا بعد أن يأذن له القاضى ، ويصعبه بكجوقه دار لياشر القضية ... وله نصيب أيضاً !

وزاد طمع هؤلاء الجخدارية حتى لا يرضون بالقليل ، كما كانوا فى أول الأمر ، وتخلف منهم أشخاص بمصر عن مخاديمهم ، وصاروا عند المتولى لما انتفتح لهم هذا الباب . واذا ضبط تركه من التركات ، وبلغت مقداراً ، أخرجوا للقاضى العشر من ذلك ، ومعلوم الكتاب والجوخدار والرسول ، ثم التجهيز والتكفين والمصرف والديون ... وما بقى بعد ذلك يقسم بين الورثة . فيتفق أن الوارث واليتيم لا يبقى له شيء ! ويأخذ من أرباب الديون عشر ديونهم .

أيضا ، ويأخذ من محاليل وظائف التقارير معلوم سنتين أو ثلاث ، وقد كان يصلح عليها بأدنى شيء ... والا اكراما .

وابتدع بعضهم الفحص عن وظائف القباينة والموازن ، وطلب تقاريرهم القديمة ، ومن أين تلقوها . وتعلل عليهم بعدم صلاحية المقرر ، وفيها من هو باسم النساء ، وليسوا أهلا لذلك ، وجمع من هذا النوع مقدارا عظيما من المال . ثم محاسبات نظار الأوقاف ، والعزل والتولية فيهم ، والمصالحات على ذلك . وقرر على نصارى الأقباط والأروام قدرا عظيما في كل سنة ... بحجة المحاسبة على الديور والكنائس !

وما هو زائد الشناعة أيضا : أنه اذا ادعى مبطل على انسان دعوى لا أصل لها ... بأن قال : ادعى عليه بكذا وكذا ... من المال وغيره ، كتب للمقيد ذلك القول — حقا كان أو باطلا ، معقولا أو غير معقول — ثم يظهر بطلان الدعوى ، أو صحة بعضها ... فيطالب الخصم بمحصول القدر الذى ادعاه المدعى ، وسطره الكاتب ... يدفعه المدعى عليه للقاضى : على دور النصف الواحد ، أو يحبس عليه حتى يوفيه . وذلك خلاف ما يؤخذ من الخصم الآخر !

وحصل نظيرها لبعض من هو ملتجئ لكتبخدا بيك ، فحبس على المحصول ، فأرسل الكتبخدا يترجى فى اطلاقه ، والمصالحة عن بعضه ... فأبى . فعند ذلك حنق الكتبخدا ، وأرسل من أعوانه من استخرجه من الحبس .

ومن الزادات فى نفمة الطنبور ... كتابة الاعلامات . وهو أنه اذا حضر عند القاضى دعوى بقاصد من عند الكتبخدا أو الباشا ليقضى فيها ، وقضى فيها لأحد الخصمين .. طلب المقضى له اعلاما بذلك الى الكتبخدا أو الباشا يرجع به مع القاصد ... تقييدا واثباتا . فعند ذلك لا يكتب له ذلك الاعلام

الا بما عسى لا يرضيه الا أن يسلم من جلده طاقا أو طاقين ! وقد حكمت عليه الصورة ... وتابع الباشا أو الكتبخدا ملازم له ، ويستعجله ، ويساعد كتبخدا القاضى عليه ، ويسليه على ذلك الظفر والنصرة على الخصم ... مع أن الفرنساوية ، الذين كانوا لا يتدينون بدين ، لما قلدوا الشيخ أحمد العريشى القضاء بين المسلمين بالمحكمة ... حددوا له حدا فى أخذ المحاصيل لا يتعداه ، بأن يأخذ على المائة اثنين فقط : له منها جزء ، والكتاب جزء .

فلما زاد الحال ، وتعدى الى أهل الدولة ... رتبوا هذه الجمعية . فلما تكاملوا بمجلس بيت البكرى ، كتبوا عرضا محضرا ذكروا فيه بعض هذه الاحداثات ، والتمسوا من ولى الأمر رفعها ... ويرجون من المراحم أن يجرى القاضى ويسلك فى الناس طريقا من احدى الطرق الثلاث : اما الطريقة التى كان عليها القضاة فى زمن الأمراء المصريين ، واما الطريقة التى كانت فى زمن الفرنساوية ، أو الطريقة التى كانت أيام مجيء الوزير — وهى الأقرب والأوفق — وقد اخترناها ورضيناها بالنسبة لما هم عليه الآن من الجور . وتمموا العرض محضرا ، وأطلعوا عليه الباشا ، فأرسله الى القاضى فامتلل الأمر ، وسجل بالسجل — على مضض منه — ولم تسعه المخالفة .

مصادى الآخرة

الاثنين ١٥ منه (١٣ مايو ١٨١٦ م) :

ورد الخبر بموت مصطفى بيك دالى باشا بناحية الاسكندرية ، وهو قريب الباشا ، وأخو زوجته

رجب

الخميس ٣ منه (٣٠ مايو ١٨١٦ م) :

قبل الغروب حصل فى الناس انزعاج ولغط ،

ونقل أصحاب الحوائيت بضائعهم منها ، مثل سوق الغورية ، ومرجوش ، وخان الحمزاوى ، وخان الخليلى ... وغيرهم . ولم يظهر لذلك سبب من الأسباب ، وأصبح الناس مبهوتين ، ولغطوا بموت الباشا ، وحضر أغات الينكجرية ، وأغات التبديل الى الغورية ، وأقاما بطول النهار ، وهما يأمران الناس بالسكون وفتح الدكاكين ، وكذلك على أغا الوالى بباب زويلة .

السبت ٥ منه (اول يونية ١٨١٦ م) :

ركب الباشا ، وخرج الى قبة العزب ، وعمل رماحة وملعبا ، ورجع الى شبرا . وحضر كتحدايك الى سوق الغورية ، وجلس بالمدفن ، وأمر بضرب شيخ الغورية .. فبطحوه على الأرض فى وسط السوق ، وهو مرشوش بالماء ، وضربه الأتراك بعصيم ، ثم رفعوه الى داره . ثم أمر الكتحدا بكتابة أصحاب الدكاكين الذين نقلوا متاعهم ، فشرعوا فى ذلك ، وهرب الكثير منهم ، وجبسه فى داره .

ثم ركب الكتحدا ، ومر فى طريقه على خان الحمزاوى ، وطلب البواب . فلما مثل بين يديه ، أمر بضربه كذلك ، وضرب أيضا شيخ مرجوش . وأما طائفة خان الخليلى ، ونصارى الحمزاوى ... فلم يتعرض لهم !

شعبان

الخميس غرقه (٢٧ يونية ١٨١٦ م) :

فيه : من الحوادث أن بعض العيارين — من السراق — تعدوا على قهوة الباشا بشبرا ، وسرقوا جميع ما بالنسبة من الأوانى والبكارج والفناجين والظروف ... فأحضر الباشا بعض أرباب الدرك بتلك الناحية ، وألزمه باحضار السراق والمسروق ،

ولا يقبل له عذرا فى التأخير ... ولو يصالح على نفسه بخزينة أو أكثر من المال ، ولا يكون غير ذلك أبدا ، والا نكل به فكالا عظيما ... وهو المأخوذ بذلك . فترجى فى طلب المهلة ، فأمهله أياما ، وحضر بخمسة أشخاص ، وأحضروا المسروق بتمامه ... لم ينقص منه شيء . وأمر بالسراق ، فخورقوهم فى نواحى ... متفرقين ، بعد أن قررهم على أمثالهم ، وعرفوا عن أماكنهم ، وجمع منهم زيادة على الخمسين ، وشنق الجميع فى نواحى متفرقة بالأقاليم ، مثل : القليوبية ، والغريسة ، والمنوفية .

الخميس ١٥ منه (١١ يولية ١٨١٦ - ٤ مسرى ١٥٣٢ م) :

أوفى النيل أذرعه ، وفتح سد الخليج يوم السبت .

وفيه : وقع من النوادر أن امرأة ولدت مولودا برأسين وأربع أيد ، وله وجهان متقابلان ، والوجهان بكتفیهما مفروقان من حد الرأس ، وقيل لحد الصدر ، والبطن واحدة ، وثلاث أرجل ، واحدى الأرجل لها عشرة أصابع . فيقال انه أقام يوما ليلة حيا ... ومات . وشاهده خلق كثير ، وطلعوا به الى القلعة ، ورآه كتحدايك ، وكل من كان حاضرا بديوانه . فسيحان الخلاق العظيم !

رمضان

الثلاثاء ١٩ منه (١٣ أغسطس ١٨١٦ م) :

حصل فيه فى النوادر ، أن فى تاسع عشره علق شخص عسكري غلاما من أولاد البلد ، وصار يتبعه فى الطرقات الى أن صادفه ليلة بالقرب من جامع المساس بالشارع . فقبض عليه ، وأراد الفعل به فى الطريق . فخذعه الغلام ، وقال له : « ان كان

اواخره (النصف الثانى من سبتمبر ١٨١٦ م) :

قلد الباشا شخصا من أقاربه — بسمى شريف
أغا — على دواوين المبتدعات ، وضم اليه جماعة
من الكتبة أيضا ، المسلمين والأقباط ، وجعلوا
ديوانهم بيت أبى الشوارب ، وعمره عمارة عظيمة ،
وواظبوا الجلوس فيه كل يوم لتحرير المبتدعات
ودفاتر المكوس .

ذوالقعدة

الاثنين غرته (٢٣ سبتمبر ١٨١٦ م) :

فيه : انهدم جانب من السواقى التى أنشأها الباشا
بشبرا على حين غفلة . وقد قوى عليها النيل فتهدمت
وتكسرت أخشابها ، وسقط معها أشخاص كانوا
حولها ... فنجا منهم من نجا ، وغرق منهم من غرق
وكان الباشا بقصر شبرا مقيما به وهو يرى ذلك

وانقضت السنة وأخبار بعض حوادثها ، واستمرار
ما تجدد فيها من المبتدعات التى لا حصر لها

منها : الحجر على المزارع التى يزرعها الفلاحون
فى الأراضى التى يدفعون خراجها ... من التكتان
والسمسم والعصفر والنيلة والقطن والقرطم وإذا
بدا صلاحه لا يبيعون منه شيئا كعادتهم ، وانما
يشتره الباشا بالثمن الذى يفرضه ويقدره على يد
أمناء النواحي والكشاف ، ويحملونه الى المحل الذى
يؤمرون بحمله اليه ، ويعطى لهم الثمن أو يحسب
لهم من أصل المال . فان احتاجوا لشيء من ذلك ،
اشتروه بالثمن الزائد المفروض ! وكذلك القمح
والقول والشعير ، لا يبيعون منه شيئا لغير طرف
الباشا ... بالثمن المفروض والكيل الوافى !

ومنها : الأمر لكشاف الأقاليم بالمناداة العامة :
بالمنع لمن يأخذ أو يأكل من القول الأخضر والحمص
والحلبة ، وأن المعينين فى الخدم والمباشرين وكشاف
النواحي ، لا يأخذون شيئا من الفلاحين ، كعادتهم ،

ولا بد ، فادخل بنا فى مكان لا يرانا فيه أحد من
الناس » فدخل معه درب حلب — المعروف الآن
بدرج الحمام ، خير بك حديد — وهناك دور
الأمراء ، التى صارت خرائب ، فحل العسكرى
سراويله ، فقال له الغلام : « أرنى بتاعك . فلعله
يكون عظيما لا أتحملة جميعه » ! وقبض عليه — وكان
بيده موسى مخفية فى يده الأخرى — فقطع ذكره
بتلك الموسيقى سريعا ، وسقط العسكرى مغشيا عليه
سارخا ، وتركه الغلام وذهب فى طريقه وحضر
فقاء ذلك العسكرى وحملوه ، وأحضروا له سليم
الجرائحى ، فقطع ما بقى من مذاكيره ، وأخذ فى
معالجته ، ومداواته . ولم يمض العسكرى !

سؤال

السبت غرته (٢٥ أغسطس ١٨١٦ م) :

وكان حقه يوم الأحد ... وذلك أن فى أواخر
رمضان حضر جماعة من دمنهور البحيرة ، وأخبروا
عن أهل دمنهور : أنهم صاموا يوم الخميس .
فطلب الباشا حضور من رأى الهلال تلك الليلة ،
فحضر اثنان من العسكر ، وشهدا برؤيته ليلة
الخميس . فأثبتوا بذلك هلال رمضان ، ويكون
تمامه يوم الجمعة . وأخبر جماعة أيضا أنهم رأوا
هلال شوال ليلة السبت ، وكان قوسه فى حساب
قواعد الأهلة ، تلك الليلة ، قليلا جدا . ولم ير فى
ثانى ليلة منه الا بعسر . وانما اشتبه على الرائيين
لأن المريخ كان مقارنا للزهرة فى برج الشمس من
خلفها ، وبينهما وبين الشمس رؤيا بعدها فى شعاع
الشمس ، شبه الهلال . فظن الرءاؤون أنه الهلال ...
فليتنبه لذلك ، فان ذلك من الدقائق التى تخفى
على أهل الفطنة ... فضلا عن غيرهم من العوام ،
الذين يستارعون الى افساد العبادات — حسبة
بالظنون الكاذبة — لأجل أن يقال : شهد فلان ...
ونحو ذلك .

من غير ثمن ... فمن عثر عليه بأخذ شيء — ولو رغيها أو تبنا أو من رجيح البهائم — حصل له مزيد الضرر ... ولو كان من الأعظم . وكذلك الأمر بتكسيم أفواه المواشى التى تسرح للمرعى حوالى الجسور والغيطان .

ومنها : أن نصرايا من الأرمن التزم بقلم الأبرار التى تأتى من بلاد الصعيد ، مثل : الحبة السوداء ، والشمر ، والأنيسون ، والكمون ، والكراوية ، ونحو ذلك ... بقدر كبير من الأكياس . ويتولى هو شراءها دون غيره ، ويبيعها بالثمن الذى يفرضه ، ومقدار ما التزم بدفعه من الأكياس للخرينة — على مابلغنا — خمسمائة كيس . وكانت فى أيام الأمراء المصريين عشرة أكياس لا غير . فلما تولى على وكالة دار السعادة : صالح بيك المحمدى ، زادها عشرة أكياس .

وكانت وكالة الأبرار والقطن وفقا لمصطفى — أغا دار السعادة سابقا — على خيرات الحرمين وخلافهما . فلما كانت هذه الدولة ، تحولها شخص على مائتى كيس . وعند ذلك سعر الأبرار أضعاف الثمن الأسمى . ومن داخل الأبرار : التمر الأبرىسى والسلطانى ، والحوص والمقاطف ، والسلب والليف . وبلغ سعر المقطف الذى يسع الكيلة من البر : خمسة وعشرين نصفا ، وكان يباع بنصف أو نصفين ، ان كان جيدا . وفى الجملة بأقل من ذلك .

ومنها : أن « كراييت » معلم ديوان الكمرك ببولاق التزم بشيخة الحامية ، وأحدث عليها وعلى توابعها حوادث . وعلى النساء البلاغات فى كل جمعة قدرا من الدراهم ، وجعل لنفسه يوما فى كل جمعة ، يأخذ إيراده من كل حمام .

ومنها : ما حصل فى هذه السنة من شحة الصابون ، وعدم وجوده بالأسواق ومع السراحين ،

وهو شيء لا يستغنى عنه الغنى ولا الفقير . وذلك أن تجاره بوكالة الصابون ، زادوا فى ثمنه ، محتجين بما عليهم من المغارم والرواتب لأهل الدولة ... فيأمر الكتخدا فيه بأمر ، ويسعره بشمن ، فيدعون الخسران وعدم الربح . وتكرر الحال فيه المرة بعد المرة ، ويتشكون من قلة المجلوب ... الى أن سعر رطله بستة وثلاثين نصفا . فلم يرتضوا ذلك ، وبالغوا فى التشكى . فطلب قوائهم ، وعمل حسابهم ، وزادهم خمسة أنصاف فى كل رطل ، وحلف ألا يزيد على ذلك ... وهم مصمون على دعوى الخسران . فأرسل من أتباعه شخصا تركيا لمباشرة البيع ، وعدم الزيادة . فأتى الى الخان فى كل يوم يياشر البيع على من يشتري بذلك الثمن لأربابه ، ويمكث مقدار ساعتين من النهار ، ويفلق الحواصل ، ويرفع البيع لثانى يوم . وفى ظرف هاتين الساعتين تزدهم العسكر على الشراء ، ولا يتمكن خلافهم من أهل البلد من أخذ شيء . وتخرج العسكر فيبيعون من الذى اشتروه على الناس بزيادة فاحشة ... فيأخذ الرطل بقرش ، ويبيعه على غيره بقرشين .

ورفع التشكى الى كتخدا ، فأمر يبيعه عند باب زويلة فى السبيلين — المواجه أحدهما للباب ، والسبيل الذى أنشأته الست نفيسة المرادية عند الخان تجاه الجامع المؤيدى — ليسهل على العامة تحصيله وشراؤه ، فلم يزد الحال الا عسرا .

وذلك أن البائع يجلس داخل السبيل ، ويفلق عليه بابه ، ويتناول من خروق الشبابيك من المشتري الثمن ، ويتناوله الصابون . فازدحت طوائف العساكر على الشراء ، ويتعلقون بأيديهم وأرجلهم على شبابيك السبيلين ، والعامة أسفلهم لا يتمكنون من أخذ شيء ، ويمنعون من يزاحمهم ... فيكون على السبيلين ضجة وصياح من الفريقين ، فلا يسع ابن البلد ، الفقير المضطر ، الا أن يشتري من

العسكري بما أحب ... والا رجع الى منزله من غير شيء . واستمر الحال على هذا المتوال أياما .

وفي بعض الأحيان يكثر وجود الصابون بين يدي الباعة بوسط السوق ، ولا تجد عليه مزاحمة وأمام البائع كوم عظيم ، وهو ينتظر من يشتري ، وذلك في غالب الأسواق مثل : الغورية والأشرفية وباب زويلة ، والبندقانيين ، والجهات الخارجة ، ثم يصبحون فلا يوجد منه شيء ، ويرجع الازدحام على السيلين كالأول .

ومنها : أن الباشا أطلق المناداة في البلدة ، وندب جماعة من المهندسين والمباشرين للكشف على الدور والمساكن . فان وجدوا به أو ببعضه خللا ، أمروا صاحبه بهدمه وتعميره . فان كان يعجز عن ذلك ، فيؤمر بالخروج منها وإخلائها ، ويعاد بناؤها على طرف الميرى ، وتصير من حقوق الدولة !

وسبب هذه النكتة : أنه بلغ الباشا سقوط دار ببعض الجهات ، ومات تحت ردمها ثلاثة أشخاص من سكانها . فأمر بالمناداة ، وأرسل المهندسين والأمر بما ذكر . فنزل بأهالى البلد من الكرب أمر عظيم ، مع ما هم فيه من الإفلاس ، وقطع الأيراد ، وغلو الأسعار .

على أن من كان له نوع مقدرة على الهدم والبناء ، لا يجد من أدواته شيئا ... بحسب التحجير الواقع على أرباب الأشغال واستعمال الجميع في عمائر الباشا وأكابر الدولة ... حتى ان الانسان اذا احتاج لبناء كانون لا يجد من يبنيه ! ولا يقدر على تحصيل صانع ، أو فاعل ، أو أخذ شيء من رماد الحمام ... الا بفرمان . ومن حصل شيئا من ذلك — على طريق السرقة — في غفلة ، وعثر عليه ... نكلوا به ، وبرئيس الحمام . وحмир الباشا — وهى أزيد من ألفى حمار — تنقل بالزرائب والسرقات ، طول النهار ، ما يوجد بالحمامات

من الرماد ، وتنقل أيضا الطوب والدبش والأتربة وأنقاض البيوت المتهدمة لمحل العمائر بالقلعة ، وغيرها . فترى الأسواق والعطف مزدحمة بقطارات الحير الذاهبة والراجعة .

واذا هدم انسان داره ، التى أمره بهدمها ، وصل اليه في الحال قطار من الحير لأخذ الطوب الذى يتساقط ... الا أن يكون من أهل القدرة على منعهم . وربما كانت هذه الأوامر حيلة على أخذ الأتقاض . وأما الأتربة فتبقى بحالها — حتى في طرق المارة — للعجز عن نقلها . فترى غالب الطرق والنواحي مردومة بالأتربة .

وأما الهدم ، ونقل الأتقاض من البيوت الكبار ، والدور الواسعة ، التى كانت مساكن الأمراء المصريين بكل ناحية — وخصوصا بركة النيل ، وجهة الحباية — فهو مستمر ، حتى بقيت خرائب خربة ، ودعائم قائمة ، وكيانا هائلة ، واختلطت بها الطرق ، وأصبحت موحشة ... ولا مأوى بها حتى لليوم ! بعد أن كانت مراتع غزلان . فكنت كلما رأيتها أتذكر قول القائل :

هذى منازل أقوام عهدتهم

في خفض عيش نعيم ما له خطر

صاحت بهم نوب الأيام فارتحلوا

الى القبور فلا عين ولا أثر

وكذلك بولاق ، التى كانت منزله الأجيال والرفاق ، فانه تسلط عليها كل من سليمان أغا السلحدار واسماعيل باشا ... فى الهدم ، وأخذ أنقاض الأبنية لأبنيتهم . بربانابة ، والجزيرة الوسطى بين انبابة وبولاق . فان سليمان أغا أنشأ بستانا كبيرا بربانابة ، وسوره وبنى به قصرا وسواقي ، وأخذ يهدم أبنية بولاق ، من الوكائل والدور ، وينقل أحجارها وأنقاضها فى المراكب ، ليلا ونهارا ، الى البر الآخر . واسماعيل باشا كذلك

أنشأ بستانا وقصرا بالجزيرة ، وشرع أيضا في اتساع سرايته ومحل سكنه بيولاقي ، وأخذ الدور والمساكن ، والوكائل ... من حد الشون القديم الى آخر وكالة الأبرار العظيمة طولاً فيهدمون الدور وغيرها من غير مانع ولا شافع ، وينقلون الأتقاض الى محل البناء .

وكذلك ولي خوجة شرع في بناء قصر بالروضة ببستان . فهو الآخر يهدم ما يهدمه من مصر القديمة ، وينقل أتقاضه لبنائه ، وهلك قبل اتمامه ! وأما نصارنى الأرمن — وما أدراك ما الأرمن ! — الذين هم أخصاء الدولة الآن ، فالهم أنشأوا دورا وقصورا وبساتين بمصر القديمة لسكنهم فهم يهدمون أيضا وينقلون لأبنيتهم ماشاءوا ، ولا حرج عليهم ، وانما الحرج والمنع والحجر والهدم على المسلمين ، من أهل البلدة فقط !

ومنها : أن الباشا أمر ببناء مساكن للعسكر الذين أخرجهم من مصر ... بالأقاليم ، يسمونها القشلات ، بكل جهة من أقاليم الأرياف ، لسكن العساكر المقيمين بالنواحي ، لتضردهم من الإقامة الطويلة بالخيام ، في الحر والبرد ، واحتياج الخيام في كل حين الى تجديد وترقيع ، وكثير خدمة . وهى جمع قشلة — بكسر القاف وسكون الشين — وهى فى اللغة التركية المكان الشتوى ، لأن الشتاء فى لغتهم يسمى «قش» — بكسر القاف وسكون الشين — فكتب مراسيم الى النواحي بسائر القرى بالأمر لهم بعمل الطوب اللبن ، ثم حرقه وحمله الى محل البناء . وفرضوا على كل بلد وقرية فرسا ، وعددا معينا . فيفرض على القرية مثلا : خمسمائة ألف لبنة وأكثر ... بحسب كبر القرية وصغرها فيجمع كاشف الناحية مشايخ القرى ، ثم يفرض على كل شيخ قدرا وعددا من اللبن : عشرين ألفا ، أو ثلاثين ألفا ، أو أكثر ، أو أقل . ويلزم بضربها

وحرقها ورفعها ، وأجلهم مدة ثلاثين يوما . وفرضوا على كل قرية أيضا مقادير من أفلاق النخل ، ومقادير من الجريد ... ثم فرضوا عليهم أيضا أشخاصا من الرجال لمحل الأشغال والعمائر ، يستعملونهم فى فعالة نقل أدوات العمارة فى النواحي ، حتى الاسكندرية وخلافها . ولهم أجره أعمالهم ، فى كل يوم ، لكل شخص سبعة أنصاف فضة لاغير ، ولمن يعمل اللبن أجره أيضا ، ولثمن الأفلاق والجريد قدر معلوم ، لكنه قليل

ومنها : أنه توجه الأمر لكشاف النواحي ، عند انكشاف الماء عن الأراضى ، بأن يتقدموا الى الفلاحين : بأن من كان زارعا فى العام الماضى فدانى كتان ، أو حمص ، أو سمسم ، أو قطن ... فليزرع فى هذه السنة أربعة أفدنة ضعف ما تقدم لأن المزارعين عزموا على عدم زراعة هذه الأشياء لما حصل لهم من أخذ ثمرات متاعهم وزراعاتهم ، لثتى دفعوا خراجها الزائد ، بدون القيمة التى كانوا يبيعون بها ... مع قلة الخراج الذى كانوا يماطلون فيه الملتزمين السابقين ، مع التظلم ، والتشكى . فيزرع الزارع ما يزرعه من هذه الأشياء من التقاوى المتروكة فى مخزنه ، ثم يبيع الفساد من الكتان الأخضر فى غيطه ، ان كان مستعجلا ، بالثمن الكثير ... والا أبقاه الى تمام صلاحه ، فيجمعه ويدقه ويبيع ما يبيعه من البزر ، خاصة ، بأعلى ثمن ، ثم يتم خدمته ، من التعطين والنشر والتمحير ... الى أن يصفى ، وينظف من أدراجه وخشوناته ، وينصلح للغزل والنسج ، فيباع حينئذ بالأوقية والرطل . وكذا القطن والنيلة والعصفر .

فلما وقع عليهم التحجير ، وحرّموا من المكاسب ، التى كانوا يتوسعون بها فى معاشهم ، باقتناء المواشى والحلى للنساء ، قالوا : ما عدنا نزرع هذه الأشياء . وظنوا أن يتركوا على هواهم ،

ونسوا مكر أوليائهم ، فنزل عليهم الأمر والالزام ،
بزرع الضعف ... فضجوا ، وترجوا واستشفعوا ،
ورضوا بمقدار العام للماضى ، فمنهم من سومح ،
ومنهم من لم يسامح ... وهو ذو المقدرة .

وبعد اتمامه وكمال صلاحه ، يؤخذ بالثمن المفروض
على طرف الميرى ، ويباع لمن يشتري ، من أربابه أو
خلافهم ، بالثمن المقدر . وبيع زيادته لطرف حضرة
الباشا ... مع التضييق والحجر البليغ والفحص عن
الاختلاس . فمن عثروا عليه باختلاس شيء ، ولو
قليلا ، عوقب عقابا شديدا ليرتدع خلافه . والكتبة
والموظفون لتحرير كل صنف ووزنه وضبطه في
تنقالات أطواره ، وعند تسليم الصناع .

وتتج من ذلك وأثر عزة الأشياء ، وغلو الأسعار
على الناس ، منها : أن المقطع القماش ، الذى كان
ثمنه ثلاثين نصفا ، بلغ سعره عشرة قروش ... مع
عزة وجدانه بالأمواق المعدة لبيعه ، مثل : سوق
مرجوش وخلافه ... خلا الطوافين به . والثوب
البطانة ، الذى كان ثمنه قرشين ، بلغ ثمنه سبعة
قروش ، وأدركناه فى الأزمان السابقة يباع بعشرين
نصفا . وبلغ ثمن الثوب من البفتة المحلاوى أربعة
عشر قرشا ، وكان يباع — فيما أدركنا — بدكان
التاجر بستين نصفا ... وقس على ذلك !

وبسبب التحجير على النيلة ، غلا صبغ ثياب
الفقراء ، حتى بلغ صبغ الذراع الواحد ، نصف
قرش ... والله يلفظ بحال خلقه . وما دام «توزون»
له امرأة مطاعة فالميل فى الجمر !

ومنها : استمر التحجير على الأرز ومزارعه ،
على مثل هذا النسق ، بحيث أن الزراعين له
التعبانين فيه ، لا يمكنون من أخذ حبة منه ،
فيؤخذ بأجمعه لطرف الباشا ، بما قدره من الثمن ،
ثم يخدم ويضرب ويبيض فى المداوير والمدقات ،

والمناشر ، بأنجرة العمال على طرفه ، ثم يباع بالثمن
المفروض .

واتفق أن شخصا من أبناء البلد ، يسمى
حسين جلبى عجوة ، ابتكر بفكره صورة دائرة ،
وهى التى يدقون بها الأرز ، وعمل لها مثالا من
الصفائح تدور بأسهل طريقة ... بحيث أن الآلة
المعتادة اذا كانت تدور بأربعة أنوار ، فيدير هذه
ثوران . وقدم ذلك المثال الى الباشا ، فأعجبه ،
وأنعم عليه بدراهم ، وأمره بالمسير الى دمياط ،
ويبنى بها دائرة ويهندسها برأيه ، ومعرفته . وأعطاه
مرسوما بما يحتاجه من الأخشاب والحديد
والمصرف ... ففعل ، وصح قوله ... ثم فعل
أخرى برشيد ، وراج أمره ، بسبب ذلك .

ومنها : أن الباشا لما رأى هذه النكتة من
حسين جلبى هذا ، قال : « ان فى أولاد مصر
نجابة ، وقابلية للمعارف » . فأمر ببناء مكتب بحوش
السراية ، ويرتب فيه جملة من أولاد البلد ، ومباليك
الباشا ، وجعل معلمهم حسن أفندى — المعروف
بالدوريش الموصلى — يقرر لهم قواعد الحساب
والهندسة ، وعلم المقادير والقياسات والارتفاعات ،
واستخراج المجهولات ... مع مشاركة شخص
رومى ، يقال له : روح الدين أفندى ... بل
وأشخاصا من الأفرنج . وأحضر لهم آلات هندسية
متنوعة من أشغال الانكليز ، يأخذون بها الأبعاد ،
والارتفاعات ، والمساحة . ورتب لهم شهريات .
وكساوى فى السنة .

واستبروا على الاجتماع بهذا المكتب ، وسبوه
مهندس خانة ، فى كل يوم من الصباح الى بعد
الظهرة ، ثم ينزلون الى بيوتهم ، ويخرجون فى بعض
الأيام الى الخلاء ، لتعليم مساحات الأراضى
وقياساتها بالأقصاب ... وهو الغرض المقصود
للباشا !

ليحسب له من أصل المال الذي سيطالب به في العام القابل .

ومنها : أن الباشا سنج له أن ينشئ بالمحل المعروف برأس الوادي ، بشرقية بليس ، سواقي وعمارات ومزارع وأشجارتوت وزيتون . فذهب هناك ، وكشف عن أراضيها ، فوجد لها متسعة ، وخالية من المزارع ... وهي أراضي رمال وأودية - فوكل أناسا لاصلاحها وتمهيدها ، وأن يحفروا بها جملة من السواقي ، تزيد عن الألف ساقية ، ويبنوا أبنية ومساكن ، ويزرعوا أشجار التوت لتربية دود القز ، وأشجارا كثيرة من الزيتون لعمل الصابون .

وشرعوا في العمل والخفر والبناء ، وفي انشاء توابيت خشب للسواقي ، تصنع بييت الجبجي بالتبانة ، وتحمل على الجمال الى رأس الوادي ، شيئا بعد شيء ، وأمر أيضا ببناء جامع الظاهر ببرس خارج الحسينية ، وأن يعمل مصبنة لصناعة الصابون وطبخه ، مثل الذي يصنع ببلاد الشام ، وتوكل بذلك السيد أحمد بن يوسف فخر الدين ، وعمل به أحواضا كبيرة للزيت والقلى .

ومن المتجددات أيضا : محل بخطة تحت الربع ، يعمل به وتسبك أواني ودسوت من النحاس ، في غاية الكبر والعظم .

ومنها : شغل البارود ، وصناعته بالمكان والصناع المعدة لذلك بجزيرة الروضة ، بالقرب من المقياس ، بعد أن يستخرجوه من كيمان السباخ ، في أحواض مبنية ومخففة ، ثم يكرروه بالطبخ ، حتى يكون ملحه غاية في البياض والحدة ، كالذي يجلب من بلاد الانكليز

والمتقيد كبيرا على صناعه شخص أفرنكي ، ولهم معالم تصرف في كل شهر ، ومكان أيضا بالقلعة عند باب الينكجرية ، لسبك المدافع ، وعملها ، وقياساتها ، وهندستها ... والبنسات ، وارتفاعها

ومنها : استمرار الانشاء في السفن الكبار والصغار ، لنقل الغلال من قبلى وبحرى لناحية الاسكندرية ، لتباع على الافرنج ... من سائر أصناف الحبوب . فيشحنون السفن من سواحل البلاد القبلية ، وتأتى الى ساحل بولاق ، ومصر القديمة ، فيصبونها كيما نا هائلة ، عظيمة ، صاعدة في الهواء . فتصل المراكب البحرية لنقلها ، فتصبح ولا يبقى شيء منها . ويأتى غيرها ، وتعود كما كانت بالأمس ... ومثل ذلك بساحل رشيد . وأما الحبوب البحرية فانها لا تأتى الى هذه السواحل ، بل تذهب من سواحلها الى حيث هي برشيد ، ثم الى الاسكندرية .

ولما بطل البناز ، جمعوا الحمبر الكثيرة والجمال ، ينقلون عليها على طريق البر بالأجرة القليلة ، فكافت تموت ، من قلة العلف ، ومشقة الطريق ، وتوسق بها السفن الواصلة بالطلب الى بلاد الافرنج بالثمن ، عن كل أردب من البر ستة آلاف فضة .

وأما القول والشعير ، والحلبة والذرة ، وغيرها من الحبوب والأدهان فأسعارها مختلفة ، ويموض بالبضائع والنقود من الفرائسة ، معبأة في صناديق صغيرة تحمل الثلاثة منها على بعير الى الخزينة - وهي مصفحة بالحديد - يبرون بها قطارات الى القلعة .

وعند قلة الغلال ، ومضى وقت الحصاد ، يتقدم الى كشف النواحي القبلية والبحرية ، بفرض مقادير من الغلال على البلدان والقرى ، فيلزمون مشايخ البلدان بما تقرر على كل بلد ، من القمح والفول والذرة ، ليجمعوه ويحصلوه من الفلاحين ، وهم أيضا يعملون بفلاحي بلادهم ما يعملون بجورهم وأغراضهم ، ويأخذون الأقوات المدخرة للعمال ، وذلك بالثمن : عن كل أردب من البر ثمانية ريال ، يعطى له نصفها ، ويبقى له النصف الثانى

وأبطل دواليب الصنائع لذلك ومعلمهم ، وأقامهم يشتغلون ، وينسجون في المناسج التي أحدثها بالأجرة ، وأبطل مكاسبهم أيضا وطرائقهم التي كانوا عليها . فيأخذ من ذلك ما يحتاجه في اليكيات والكساوى ، وما زاد يرميه على التجار ، وهم يبيعونه على الناس بأعلى ثمن ، وبلغ ثمن الدرهم من الحرير خمسة وعشرين نصفا ، بعد أن كان يباع بنصفين .

ومنها : أنه أبطل ديوان المنجرة ، وهى عبارة عما يؤخذ من المعاشات ، وهى المراكب التي تغدو وتروح لموارد الأرياف مثل : شيبين السكوم ، وسمنود والبلاد البحرية ، وعليها ضرائب وفرائض للملتزم بذلك ، وهو شخص يسمى : على الجزار . وسبب ذلك أن معظم المراكب التي تصعد ببحر النيل وتنحدر من انشاء الباشا ، ولم يبق لغيره الا القليل جدا . والعمل والانشاء بالترسخانة مستمر على الدوام ، والرؤساء والملاحون يخدمون فيها بالأجرة ، وعمارة خللها وأحبالها ، وجميع احتياجاتها على طرف الترسخانة ، ولذلك مباشرين وكتاب وأمناء يكتبون ، ويقيدون الصادر والوارد . وهذه الترسخانة بساحل بولاق بها الأخشاب الكثيرة والمتنوعة ، وما يصلح للمعائر والمراكب ، ويأتى اليها المجلوب من البلاد الرومية ، والشامية . فاذا ورد شيء من أنواع الأخشاب سمحوا للخشابة بشيء يسير منها ، بالثمن الزائد ، ورفع الباقي الى الترسخانة . وجميع الأخشاب الواردة والأحطاب جميعها في متاجر الباشا ، وليس لتجارها الا ما كان من داخل متاجره ، وهو القليل .

ومن النوادر : أنه وصل من بلاد الانكليز سواقى بالآلات الحديد تدور بالماء ، فلم يستقم لها دوران على بحر النيل .

ومنها : أنه أنشأ جسرا متندا من ناحية قنطرة الليمون — على يمنة السالك الى طريق بولاق —

ومقاديرها ، وسمى ذلك المكان « الطبخانة » وعليه رئيس وكتبة ، وصنائع ، ولهم شهریات . ومنها : شدة رغبة الباشا في تحصيل الأموال والزيادة من ذلك من أى طريق بعد استيلائه على البلاد ، والاقطاعات ، والرزق الأحباسية ، وإبطال الفراغ ، والبيع ، والشراء ، والمحلول عن الموتى من ذلك ، والعلوفات ، وغلل الأنبار ، ونحو ذلك . فكل من مات عن حصته أو رزقه أو مرتب ، انحل بموته ما كان على اسمه ، وضبط ، وأضيف الى ديوانه ... ولو له أولاد ، أو كان هو كتبه باسم أولاده ، ومات أولاده قبله ، انحل عنه ، وأصبح هو وأولاده من غير شيء . فان أعرض حاله على الباشا ، أمر بالكشف عن إيراده ، فان وجدوا بالدفاتر جهة أو وظيفة أخرى ، قيل له : هذه تكفيك . وان لم يوجد في حوزة خلافها ، أمر له بشيء يستغله من أقلام المكوس : اما قرش ، أو نصف قرش في كل يوم ، أو نحو ذلك .

هذا مع التفاته ورغبته في أنواع التجارات والشركات ، وانشاء السفن ببحر الروم والقلم . وأقام له وكلاء بسائر الأساكن ، حتى ببلاد فرانسة والانكليز ، ومالطة ، وأزمير ، وتونس ، والنا بلطان والونديك والبناذقة ، واليمن والهند ، وأعطى أناسا جملا عظيمة من أموال يسافرون بها ، ويجلبون البضائع ، وجعل لهم الثلث في الربح ، في نظير سفرهم ، وخدمتهم . فمن ذلك أنه أعطى للرئيس حسن المحروقى خمسمائة ألف فرانسة يسافر بها الى الهند ويشتري البضائع الهندية ، ويأتى بها الى مصر ، ولشخص نصرانى أيضا ستمائة ألف فرانسة . وكذلك لمن يذهب الى بيروت ، وبلاد الشام لمشتري القز والحرير ، وغير ذلك .

وعمل بمصر أماكن ومصانع لنسج القطنى ، التي يتخذها الناس في ملابسهم من القطن والحرير ، وكذلك الجنفس والصندل . واحتكر ذلك بأجمعه ،

متصلا الى شبرا على خط مستقيم . وزرعوا حافتيه أشجار التوت ، وعلى هذا النسق جسور بطرق الأرياف والأقاليم .

ومنها : أن اللحم قل وجوده من أول شهر رجب الى غاية السنة ، وغلا سعره مع رداءته وهزاله ... حتى بيع الرطل بعشرين نصفا ، وأزيد وأقل ، مع ما فيه من العظام وأجزاء السقط والشفت . وسبب ذلك رواتب الدولة ، وأخذها بالثمن القليل ، فيستعوض الجزائريون خسارتهم من الناس . وكان البعض من العسكر يشتري الأغنام ويذبحها ، ويبيعها بالثمن الغالى ، وينقص الوزن ، ولا يقدر ابن البلد على مراجعته .

ومنها : أن ابراهيم أغا — الذى كان كتخدا ابراهيم باشا — قلده الباشا كشوفية المنوفية ، فمن أفاعيله : أنه يطلب مشايخ البلدة أو القرية ، فيسأل الشخص منهم على من شيخه فيقول : « أسناد البلدة » . فيقول له : « فى أى وقت ؟ » ، فيقول : « سنة كذا » . فيقول : « وما الذى قدمته له فى شياحتك ؟ » . ويهدده أو يجسه على الانكار ، أو يخبر من بادى الأمر ، ويقول : « أعطيته كذا وكذا » . اما دراهم ، أو أغناما ، فيأمر الكاتب بتقييده وتحريره وضبطه على الملتزم ، وسطر بذلك دفترا وأرسله الى الديوان ليخصم على الملتزمين من فائظهم المحرر لهم بالديوان . فيتفق أن المحرر عليه يزيد على القدر المطلوب له فيطالب بالباقي أو يخصم عليه من السنة القابلة !

ومنها : التحجير على القصب الفارسي ، فلا يتمكن أحد من شراء شيء منه — ولو قصبه واحدة — ، ولا بمرسوم من كتخدا بيك . فمن احتاج منه فى عمارة أو شباك ، أو لدورات الحرير ، أو أقصاب الدخان ، أخذ فرمانا بقدر احتياجه ، واحتاج الى وسائط ومعالجات واحتجاجات حتى يظهر بمطلوبه . ومنها : — وهى من محاسن الإفعال — أن

الباشا أعمل همته فى إعادة السد الأعظم المتسد الموصل الى الاسكندرية ، وقد كان اتسع أمره وتخرّب من مدة سنين ، وزحف منه ماء البحر المالح ، وأتلف أراضى كثيرة ، وخربت منه قرى ومزارع ، وتعطلت بسببه الطرق والمسالك ، وعجزت الدول فى أمره ، ولم يزل يتزايد فى التهور وزحف المياه المالحة على الأراضى حتى وصلت الى خليج الأشرفية — التى يمتلىء منها صهاريج الثغر — فكانوا يجسرون عليه بالأتربة والطين ، فلما اعتنى الباشا بتعمير الاسكندرية ، وتشيد أركانها وأبراجها وتحصينها ولم تزل بها العمارات ، اعتنى أيضا بأمر الجسر ، وأرسل اليه المباشرين والقومة والرجال والفعلة والتجارين والبنائين والسامير وآلات الحديد والأحجار والمؤن والأخشاب العظيمة ، والبهوم والبراطيم حتى تمه وكان له مندوحة لم تكن لغيره من ملوك هذه الأزمان فلو وفقه الله بشيء من العدالة — على ما فيه من العزم والرياسة والشهامة والتدبير والمطاولة — لكان أعجوبة زمانه ، وفريد أوانه

وأما أمر العاملة ، فلم يزل حالها فى التزايد حتى وصل صرف الريال الفرانسة الى تسعة قروش ، وهو أربعة أمثال الريال المتعارف ولما بطل ضرب القروش من العام الماضى ، ضربوا بدلها أنصاف قروش وأرباعها وأثمانها ، وتصرف بالفرط والأنصاف العادية لا وجود لها بأيدي الناس ... الا ما قل جدا . فاذا أراد انسان منها ، دفع فى ايدائها عشرة قروش : عنها أربعمائة نصف فضة زيادة على المبدل ان كان ذهباً أو فرانسة أو قروشا ووصل صرف البندقي الى ثمانمائة نصف ، والمحر ثمانية عشر قرشا ، والمحبوب المصرى الى أربعمائة ، والاسلامبولى الى أربعمائة وثمانين ... كل ذلك أسماء لا مسميات لانعدام الانصاف ، مع أنه يضرب منها القنادير والقناطير ، يأخذها التجار الشاميون

والروميون بالقرط ، ثم يرسلونها متاجر بدلا عن البضائع ، لأن الريال في تلك البلاد صرفه ثلثمائة نصف فقط . فيكون فيه من الربح ستون نصفا في كل ريال .

ولما علم الباشا ذلك . جعل يرسل لوكلائه بالشام في كل شهر ألف كيس من الفضة العديدة ويأتيه بدلها فرانسة ، فيضيف عليها ثلاثة أمثالها نحاسا ، ويضربها فضة عديدة فيربح فيها ربحا — بدون جاء (أى بدون ربا) — عظيما ، وهكذا من هذا الباب فقط .

ومن حوادث السنة الآفاقية : واقعة الانكليز مع أهل الجزائر ، وهو أن لأهل الجزائر صولة واستعدادا وغزوات في البحر ، ويغزون مراكب الافريج ، ويغتنمون منها غنائم ، ويأخذون منهم أسرى ، وتحت أيديهم من أسارى الانكليز وغيرهم شيء كثير ، وميتتهم حصينة يدور بها سور خارج في البحر كنصف الدائرة في غاية الضخامة والمتانة ، ذو أبراج مشحونة بالمدافع والقنابر والمرايطين والمحارين ، ومراكبهم من داخله ، فوصل اليهم بعض مراكب الانكليز ، ومعهم مرسوم من السلطان العثماني . ليفشدا أسراهم بمال ، فأعطوهم ما يزيد عن الألف أسير ، ودفعوا عن كل رأس أسير مائة وخمسين فرانسا ، ورجعوا من حيث أتوا .

وبعد مدة وصل منهم بعض سفائن الى خارج المينا ، رافعين أعلام السلم والصلح . فعبروا داخل المينا من غير ممانع ، ونزل منهم أنصار في فلوكة ، وييدهم مرسوم بطلب باقى الأسرى ، فامتنع حاكمهم من ذلك ، وترددوا في المخاطبات ، وفي أثناء ذلك وصلت عدة مراكب من مراكبهم ، وشلنبات — وهى المراكب الصغار المعدة للحرب — وعبروا مع مساعدة الريح الى المينا ، وأثاروا الحرب والضراب بطرائقهم المستحدثة ، فأحرقوا مراكب أهل الجزائر مع المضاربة أيضا من أهل

المدينة ، مع تأخر استعدادهم ، وسرعة استعداد الحشم ، ومدافع الأبراج الداخلة لا تصيب الشلنبات الصغيرة المتسقلة — وهم لا يخطئون . ثم هم في شدة الغارة والحرب ، اذ قيل للحاكم بأن عساكره الأتراك تركوا المحاربة ، واشتغلوا بنهب البلدة ، واحرق الدور ، فسقط في يده ، واحتار في أمره ... ما بين قتال العدو الواصل ، أو قتال عساكره ومنعهم وكفهم عن النهب والاحراق والفساد — وهذا شأنهم — فلم يسعه الا خفض الأعلام ، وطلب الأمان من الانكليز ، فعند ذلك أبطلوا الحرب ، وكفوا عن الضراب .

وترددوا في الصلح على شرائطهم .. التى منها : تسليم بواقى الأسرى ، واسترداد المال الذى سلموه في الفداء السابق حالا من غير مهلة . فكان ذلك ، وتسلموا الأسرى .

وفيه من كان صغيرا وأسلم وقرأ القرآن واتفقوا على المتاركة والمهلة زمنا مقداره ستة أشهر ، ورجعوا الى بلادهم بالظفر والأسرى . والأمر لله وحده !

ثم ان الجزائريه اجتهدوا في تعمير ما تهدم وتخرب من السور والأبراج والجامع في الحرب ، وكذلك ما أخربه عساكرهم ، الذين هم أعدى من الأعداء — وأضر ما يكون على الاسلام وأهله . وسارت الأخبار بذلك فى الآفاق ، وأمدتهم سلطان المغرب مولاي سليمان ، وبعث اليهم مراكب عوضا عن الذى تلف من مراكبهم ، فأرسل اليهم معمرين وأدوات ولوازم عمارات ، وكذلك حاكم تونس وغيرها ، ومن السلطان العثماني أيضا .

ولم يتفق فيما نعلم لأهل الجزائر مثل هذه الحادثة الهائلة ، ولا أشنع منها . وكانت هذه الواقعة غرة شهر شوال من السنة ، وهو يوم عيد الفطر ، وكان عيدا عليهم فى غاية الشناعة ...

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ...

يحفظ جميع الجوامع ، مع شرحه للجلال المحلي في الأصول ، ومختصر السعد ، وقرأ الدروس ، ويفيد الطلبة .

وكان انسانا حسنا مهذبا متواضعا ، ولا يرى لنفسه مقاما ... عاش معانقا للخمول في جهد وقلة من العيش ، مع العفة وعدم التطلع لغيره ، صابرا على مناكدة زوجته . وبأخرة أصيب في شقه بداء الفالج انقطع بسببه أشهرا ، ثم انجلى عنه يسيرا مع سلامة حواسه ، وعاد الى الاقراء والافادة .

ولم يزل على حسن حاله ، ورضاه وانشراح صدره ، وعدم تضجره وشكواه للمخلوقين الى أن توفي في شهر جمادى الثانية سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف . رحمه الله وايانا .

ومات الشيخ العلامة ، والنحرير الفهامة : السيد أحمد بن محمد بن إسماعيل ، من ذرية السيد محمد الدوقاطي الطهطاوي الحنفى .

والده رومى حضر الى أرض مصر متقلدا القضاء بطهطا — بلدة بالقرب من أسيوط بالصعيد الأدنى — فتزوج بامرأة شريفة فولد له منها المترجم ، وأخوه السيد إسماعيل . ولم يزل مستوطنا بها الى أف مات وترك ولديه المذكورين وأختا لهما .

حضر المترجم الى مصر في سنة احدى وثمانين ومائة وألف — وكان قد بدأ نبات لحيته — بعدما حفظ القرآن ببلده ، وقرأ شيئا من النحو ، فدخل الأزهر ولازم الحضور في الفقه على الشيخ أحمد

وأما من مات في هذه السنة ممن له ذكر :
ومات الشيخ الفهامة ، والنحرير العلامة ، الفقيه النحوى الأصولى .. ابراهيم البسيونى البجيرمى الشافعى . وهو ابن أخت الشيخ موسى البجيرمى .. الشيخ الصالح المقتصد الورع الزاهد .

حضر جل الأشياء المتقدمين ، وهو فى عسداد الطبقة الأولى ، ودرس وأفاد ، وانتفع به الطلبة ... بل غالب الناس .

كان طارحا للتكلف ، متشفا مع التواضع والانكسار ، ملازما على العبادة ، مستحضرا للفروع الفقهية والمقولية ، والمناسبات الشعرية ، والشواهد النحوية والأدبية .. جيد الحافظة ، لا تمل مجالسته ومؤانسته . ولم يزل على حالته وأفادته ، وانجماعه وعفته ، حتى تمرض وتوفي يوم السبت ، منتصف المحرم من السنة ، عن نحو الخمسة وسبعين ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل . رحمه الله تعالى وايانا .

ومات الشيخ العلامة ، الأصولى ، الفقيه النحوى : على الحساوى الشافعى ... نسبة الى بلدة بالقليوبية تسمى الحصة .

حضر الى الجامع الأزهر صغيرا ، وحفظ القرآن والمتون ، وحضر دروس الأشياء : كالشيخ على العدوى المنفسى الشهير بالصعيدى ، والشيخ عبد الرحمن النحريرى الشهير بالمقبرى . ولأزم الشيخ سليمان الجمل ، وبه تخرج . وحضر على الشيخ عبد الله الشرقاوى مصطلح الحديث . وكان

الناحية وأكابرهم ، واعتنوا بشأته ، وأسكنوه في دار تليق به ، وهادوه ، وواسوه ، وأكرموه .

وكانت تلك الناحية عامرة بأكابرها . وانفرد المترجم عندهم لكونه على مذهبهم ، وأصله من جنس الأتراك ، وخلق تلك النواحي من أهمل العلم — وخصوصا الأخاف — وملازمة المترجم للحالة المحمودة من الافادة ... مع شرف النفس ، والتباعد عما يخل بالمروءة — الا ما يأتيه عفوا — فازدادت محبتهم له ، ووثقوا فيما يقضيه .

ثم تصدى لوقف الشيوخينتين وإيرادهما ، واستخلاص أمانتهما ، وشرع في تعميرهما . وساعده على ذلك كل من كان يجب الإصلاح ، فجدد عمارة المسجد والتكية ، وأنشأ بها صهريجا . وفي أثناء ذلك انتقل بأهله الى دار مليحة بجوار المسجد — بالدرب المعروف بدرب الميضة — وقفها بانيها على المسجد .

كل ذلك والمترجم لم ينقطع عن الحضور الى الأزهر في كل يوم ، ويقرأ درسه أيضا بالجامع . ولما كثرت جماعته ، انتقل الى المدرسة العينية بالقرب من الأزهر .

ولما عمر محمد أفندي الودنلي الجامع المجاور لمنزله ، تجاء القنطرة المعروفة بعمارشاه ، والمكتب ... قرر المترجم في درس الحديث بها في كل يوم بعد العصر ، وقرر له عشرة من الطلبة ، ورتب للشيخ والطلبة معلوما وأفرا يقبض من الديوان .

ولما مات الشيخ إبراهيم الحريري ، تعين المترجم لمشيخة الحنفية ، فتقلدها على امتناع منه ، فاستبر الى أن أخرج السيد عمر مكرم من مصر منفيا ، وكتبوا في شأنه عرضحالا الى الدولة ، نسبوا اليه فيه أشياء لم تحصل منه ، وطلبوا الشهادة فيها ... فامتنع . فشنعوا عليه ، وبالنوا في

الحماقي ، والمقدسي ، والحريري ، والشيخ مصطفى الطائي ، والشيخ عبد الرحمن العريشي ... حضر عليه من أول كتاب الدر المختار الى كتاب البيوع ، وتم حضوره على المرحوم الوالد مع الجماعة ، لتوجه الشيخ عبد الرحمن لدار السلطنة لبعض مقتضيات عن أمر على بيك في سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف . فالتبس الجماعة تكملة الكتاب على الوالد ، فأجابهم لذلك . فكانوا يأتون للتلقى عنه في المنزل ، والمترجم معهم .

وفي أثناء ذلك قرأت مع المترجم على الوالد متن نور الايضاح بعد انصراف الجماعة عن الدرس وتخلف المترجم ... وذلك لعلو السند ، فان الوالد تلقاه عن ابن المؤلف ، وهو عن جد الوالد ، عن المؤلف . وجد الوالد والمؤلف يسميان « بحسن » ، فهو من عجيب الاتفاق .

وكان المترجم يلائم طبع الفقير في الصحبة ، فكنت معه في غالب الأوقات ، اما في الجامع أو في المنزل ، للطافة طبعه ، وقرب سنى من سنه . وكان الوالد يرى ذلك ، ويسألني عنه اذا تخلف في بعض الأحيان ، ويقول : « أين رفيقك الصعيدي ؟ » . فكان يعيد معنى ويفهمني ما يصعب على فهمه . ولم يزل يدأب في الاشتغال والطلب ، مع لجودة ذهنه ، وخلق باله وتفرغه ... والفقير بخلاف ذلك (١) .

وتلقى المترجم الحديث سماعا واجازة عن كل من الشيخ حسن الجداوي ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ عبد العليم الفيومي ... ثلاثهم عن الشيخ على العدوي المنسفي ، عن الشيخ محمد عقيلة بسنده المشهور .

ولما ترشح للافادة والتدريس — وكان مسكنه بناحية الصليبة — جلس للاقراء بالمدرسة الشيخونية والعمرغتمشية ، واحتف به سكان تلك

(١) يعني نفسه .

سامعه أنه مجيد في ذلك الفن ، منفرد به . وليس الأمر كذلك ، وإنما ذلك بقوة الفهم والحفظ ، وما فيه من القابلية ، فيستغنى بذلك عن التلقى من الأشياء .

وأيضا فقد انقضى أهل الفنون ، فيحفظ اصطلاحات الفن وأوضاع أهله ، ويبرزه في ألفاظ يتمقها ويحسنها ، ويذكر أسماء كتب مؤلفة ، وأشياخا وحكما يقل الاطلاع عليها والوصول إليها . ولمعرفته باللغات خالط كل ملة حتى يظن أهل كل ملة أنه واحد منهم ، ويحفظ كثيرا من الشبه والمدرجات العقلية والبراهين الفلسفية .

وأهل الواجبات الشرعية والفرائض القطعية ... وربما قلد كلام الملحدين وشكوك المارقين ، ويزلق لسانه في بعض المجالس بغلطيات من ذلك ووساوس . فلذلك طعن الناس عليه في الدين ، وأخرجوه عن اعتقاد المسلمين ، وساءت فيه الظنون ، وكثر عليه الطاعنون ، وصرخوا بعد موته بما كانوا يخفونه في حياته لاتقاء شره وسطواته .

وكان له تداخل عجيب في الأعيان ، ومع كل أهل دولة وزمان ، ورؤساء الكتبة والمباشرين من الأقباط والمسلمين ... بالمعزة الزائدة ، واستجلاب الفائدة . لا تمل مجالسته ولا معاشرته .

وبأخرة لما رغب الباشا في انشاء محل لمعرفة علم الحساب والهندسة والمساحة ، تعين المترجم رئيسا ومعلما لمن يكون متعلما بذلك المكتب ، وذلك أنه تداخل بتحصيلاته لتعليم ممالك الباشا الكتابة والحساب ونحو ذلك ، ورتب له خروجا وشهرة ، ونجب تحت يده بعض الممالك في معرفة الحسابات ونحوها .

وأعجب الباشا ذلك ، فذاكره وحسن له بأن يفرد مكانا للتعليم ، ويضم الي ممالكه من يريد

الحط عليه ، وعزلوه من المشيخة وقلدوها الشيخ حسين النصوري . فلما مات المذكور ، أعيد المترجم الى مشيخة الحنفية — وذلك في غرة شهر صفر سنة ألف ومائتين وثلاثين — ولبس الخلع من الشيخ السنواني ، شيخ الجامع ، ثم من الباشا ، وباقي المشايخ أرباب المظاهر ، ولم يختلف عليه اثنان .

وفي هذه السنة استأذن الفقير في بناء مقبرة يدفن فيها اذا مات ، بجوار الشيخ أبي جعفر الطحاوي بالقرافة ، لكوني ناظرا عليها . فأذنت له في ذلك ، فبنى له قبرا بجانب مقام الأستاذ . ولما توفي دفن فيه .

وكانت وفاته ليلة الجمعة بعد الغروب ، خامس عشر رجب سنة احدى وثلاثين ومائتين وألف . وله من المآثر حاشية على الدر المختار : شرح تنوير الأبصار في أربعة مجلدات ، جمع فيها المواد التي على الكتاب ، وضم اليها غيرها .

ومات النجيب الأريب ، والنادرة العجيب ... أعجوبة الزمان ، وبهجة الخلان : حسن افندي — المعروف بالدرويش الموصلي ، كما أخبر عن نفسه — الذكي الألمى ، والسميذع اللودعى .

كان انسانا عجيبا في نفسه ، مميذا شهيرا في مصره . طاف البلاد والنواحي ، وجال في الممالك والضواحي ، واطلع على عجائب المخلوقات ، وعرف الكثير من الألسن واللغات ، ويعتزى لكل قبيل ، ويخالط كل جيل : فمرة ينتسب الى فارس ، وأخرى الى بنى مكائن ، فكأنه المعنى بما قيل :

طسورا يمان اذا لاقيت ذا يمن

وان رأيت معسديا فعدناني

هذا مع فصاحة لسان ، وقوة جنان ، والمشاركة في كل فن من الرياضيات والأدييات ... حتى يظن

التعليم من أولاد الناس . فأمر بإنشاء ذلك المكتب، وحضر إليه أشياء من آلات الهندسة والمساحة والهيئة الفلكية من بلاد الانجليز وغيرهم .

واستجلب من أولاد البلد ما ينيف على الثمانين شخصا من الشبان الذين فيهم قابلية للتعليم . ورتبوا لكل شخص شهرة وكسوة في آخر السنة . فكان يسعى في تعجيل كسوة الفقير منهم ليتجمل بها بين أقرانه ، ويواسى من يستحق المواساة ، ويشتري لهم الحبير مساعدة لطلوعهم ونزولهم الى القلعة ... فيجتمعون للتعليم في كل يوم من الصباح الى بعد الظهر .

وأضيف اليه آخر حضر من اسلامبول له معرفة بالحسابيات والهندسيات لتعليم من يكون أعجميا لا يعرف العربية ، مساعدا للمترجم في التعليم ، يسمى روح الدين أفندى . فاستمر نحو من تسعة أشهر .

ومات المترجم ... وذلك أنه افتصد وطلع الى القلعة ، فحنق على بعض المتعلمين وضربه ، فانحلت الرفادة ، فسال منه دم كثير فحمى مختلطة ، واستمر أياما وتوفى ، ودفن بجامع السراج البلقينى بين السيارج .

وعند ذلك زاد قول الشامتين ، وصرحوا بما كانوا يخفونه في حياته . فيقول البعض : « مات رئيس الملحدين » وآخر يقول : « انهدم ركن الزندقة » . ونسبوا اليه أن عنده الكتاب الذى ألفه ابن الراوندى لبعض اليهود وسماه « دافع القرآن » ، وأنه كان يقرأه ويعتقد به . وأخبروا بذلك كخدأ بيك ، فطلب كتبه ، وتصفحوها فلم يجدوا بها ذلك الكتاب . وما كفى مبغضه وحاسده من الشناعات حتى رأوا له منامات شنيعة تدل على أنه من أهل النار ! والله أعلم بخلقه .

وبالجملة فكان غربيا في بابه . وكانت وفاته يوم

الخميس سابع عشرى جمادى الثانية من السنة ، وانفرد برياسة المكتب روح الدين أفندى المذكور .

ومات الأجل المكرم « الشريف غالب » بسلانيك وهو المنفصل عن عمارة مكة وجدة والمدينة وما انضاف الى ذلك من بلاد الحجاز ... فكانت امارته نحو من سبع وعشرين سنة ، فانه تولى بعدموت الشريف سرور في سنة ثلاث ومائتين وألف .

وكان من دهاة العالم ، وأخباره ومناقبه تحتاج الى مجلدين . ولم يزل حتى سلط الله عليه بأفاعيله هذا الباشا ، فلم يزل يخادعه ، حتى تمكن منه وقبض عليه ، وأرسله الى بلدة سلانيك . وخرج من سبطنته وسيادته الى بلاد العربية ، ونهبت أمواله ، وماتت أولاده وجواريه ، ثم مات هو في هذه السنة .

ومات الأمير مصطفى بيك دالى باشا ، وهو قريب الباشا ونسيبه أيضا ، وكان من أعظم أركان دولته ... شهير الذكر ، موصوفا بالاقدام والشجاعة . ومات بالاسكندرية . ولما وصل خبره الى الباشا اغتم غما شديدا ، وتأسف عليه .

وكان الباشا ولاء كشوفية الشرقية ، وقرن به على كاشف ... فأقام بها نحو السنتين ، ومهد البلاد ، وأخاف العربان وأذلهم ، وقتل منهم الكثير وجمع لمخدومه أموالا جمة .

وكان جسيما بطينا ... يأكل التيس المخصى وحده ، ويشرب عليه الزق من الشراب ، ثم يتبعه بشالية أو اثنتين من اللبن ، ويستلقى نائما مثل العجل العظيم ذى الخوار ! الا أنه كان يقضى حاجة من التجأ اليه ، ويجب أولاد الناس ويواسيهم ، ويتجاوز عن الكثير ، ويعطى ما يلزمه من الحقوق لأربابها .

ويراعى جانب الصغير منهم قبل الكبير ، ويحرص على جميعية أمرهم وألفة قلوبهم ... فطالت أيامه ، وتولى قائم مقامية مصر على الوزراء نحو العشرة مرارا .

وطلع أميرا على الحج في سنة ست وثمانين ، وتولى الدفتردارية في سنة سبع وثمانين ... وكلاهما في حياة أستاذة ، واشترى المالك الكثير ورباهم وأعتقهم ، وأمر وقلد منهم صناجق وكشافا ، وأسكنهم الدور الواسعة ، وأعطاهم الاقطاعات . ومات الكثير منهم في حياته ، وأقام خلفهم من ممالكه ، ورأى أولاد أولاده ... بل وأولادهم ، وما زال يولد له ، وأقام في الامارة نحو ثمان وأربعين سنة ، وتنعم فيها ، وقاسى في أواخر أمره شدائد وغترايا عن الأهل والأوطان . وكان موصوفا بالشجاعة والفروسية ، وبأشهر عدة حروب . وكان ساكن الجاش ، صبورا ذا ثؤدة وحلم ، قريبا للانقياد للحق ، متجنبا للمهزل .. الا نادرا ، مع الكمال والحشمة . لا يحب سيفك الدماء ، مرخصا لخشداشينه في أفاعيلهم ، كثير التغافل عن مساوئهم مع معارضتهم له في كثير من الأمور ... وخصوصا مراد بيك وأتباعه . فيغضى ويتجاوز ، ولا يظهر غما ولا خلافا ولا تأثرا ... حرصا على دوام الألفة وعدم المشاغبة . وإن حدث فينا بينهم ما يوجب وحشة ، تلافاه وأصلحه .

وكان هذا الاهمال والترخص والتغافل سببا لمبادئ الشرور ، فانهم تبادوا في التعدي ، وداخلهم الغرور ، وغمرتهم الغفلة عن عواقب الأمور ، واستصغروا من عداهم ، وامتدت أيديهم لأخذ أموال التجار وبضائع الافرنج الفرنساوية وغيرهم ، بدون الثمن ... مع الحقارة لهم ولغيرهم ، وعدم المبالاة والاكتراث بسلطانهم الذي يدعون أنهم في طاعته ، مع مخالفة أوامره ، ومنع خزينته ، واحتقار الولاة ، ومنعهم من التصرف ، والحجر

ولما تحققت أخته ، التي هي زوج الباشا ، وكذلك والدته ... أمرتا بإحضار رمتة الى مصر ، وبدفن بـدفنهم . وتعين لذلك سليمان أغا النجندار ، فسافر الى الاسكندرية ، ووضع في صندوق مزفت على عريّة ، ووصل به بعد اثني عشر يوما من موته . وكان وصوله في ثالي ساعة من ليلة الجمعة سادس عشرى جمادى الثانية . وذهبوا به الى المدفن في المشاعل من خلف المجرة .

فلما وصلوا الى المدفن ، أرادوا النزاله الى القبر بالصندوق ، فلم يمكنهم . فكسروا الصندوق ، فعبقت رائحته ، وقد تهوى ، فهرب كل من كان حاضرا ، فكبوه على حصير ولفوه فيه ، وأنزلوه الى البفرة . وغشى على الفحارين ، وجزعت النفوس من رائحة أخشاب الصندوق . فحثوا عليه الأتربة ... وليس من يفكر أو يعتبر !

ومات أيضا حسن أغا ، حاكم بندر السويس ، مطعوناً . فولى الباشا عوضه السيد أحمد الملا الترجمان .

ومات أيضا سليمان أغا حاكم رشيد .

ومات الأمير الكبير الشهير بابراهيم بيك المحمدي ... عين أعيان أمراء الألوف المصريين . ومات بدقلقة متغربا عن مصر وضواحيها ، وهو من ممالك محمد بيك أبى الذهب .

تقلد الامرة والامارة في سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ، في أيام على بيك الكبير ، وتقلد مشيخة البلد ورياسة مصر ، بعد موت أستاذة ، في سنة تسع وثمانين ومائة وألف ، مع مشاركة خشداشه مراد بيك وباقي أمرائهم ... والجميع راضون برياسته وامارته : لا يخالفهم ولا يخالفونه ،

عليهم ، فلا يصل للمولى عليهم الا بعض
صدقاتهم ... الى أن تحرك عليهم حسن باشا
الجزائري في سنة مائتين وألف ، وحضر على
الصورة التي حضر فيها ، وساعده الرعية .
وخرجوا من المدينة الى الصعيد ، وانتهكت
حرماتهم ... ثم رجعوا — بعد الفصل — في سنة
ست ومائتين الى امارتهم ودولتهم ، وعادوا الى
حالتهم الأولى ... بل وأزيد منها في التعدي ،
فأوجب ذلك ركوب الفرنساوية عليهم .

ولم يزل الحال يتزايد ، والأحوال يتلو بعضها
بعضا حتى انقلبت أوضاع الديار المصرية ، وزالت
حرماتها بالكلية . وأدى الحال بالترجم إلى الخروج
والتشيت والتشريد ، هو ومن بقي من عشيرته ،
إلى بلاد العبيد : يزرعون الدخن ، ويتقوتون منه ،
وملابسهم القمصان التي يلبسها الجلابة في
بلادهم ... الى أن وردت الأخبار بموته في شهر
ربيع الأول من السنة .

وأما جملة أخباره فقد تقدمت في ضمن السوابق
والماجريات واللواحق .

ومات الأمير الأجل : أحمد أغا الخازندار ،
المعروف « بيونابارته » . وهو أيضا شهير الذكر
من أعظم الدولة ، وقد تقدم كثير من أخباره
وسفره الى الحجاز . وكان عمر دارا عظيمة على
بركة الأزبكية — جهة الرويعي — ثم عمل مهما
كبيراً لزواج ابنه ، وهو اذ ذاك مريض في حياض
الموت ، حتى أشيع في الناس يوم زفة العروس ، ثم
مات بعد أيام قليلة مضت من الفرح . وذلك يوم
الأربعاء ثالث شهر جمادى الثانية .

ومات الست الجليلة « خاتون » ، وهي سرية
على بيك بلوط قبان الكبير . وكانت محظيته ،

وبنى لها الدار العظيمة على بركة الأزبكية بدرب
عبد الحق ، والساقية والطاحون بجانبها . ولما مات
على بيك ، وتأمر مراد بيك ، تزوج بها . وعمرت
طويلا مع العز والسيادة والكلمة النافذة . وأكثر
نساء الأمراء من جواربها ، ولم يأت ، بعد الست
شويكار ، من اشتهر ذكره وخبره ... سواها .

ولما كان أيام الفرنساوية ، واصطلح معهم مراد
بيك ، حصل لها منهم غاية الكرامة ، ورتبوا لها
من ديوانهم في كل شهر مائة ألف نصف قضة ،
وشفاعتها عندهم مقبولة لا ترد .

وبالجملة فانها كانت من الخيرات . ولها على
الفقراء بر واحسان ، ولها من المآثر الخان الجديد
والصهريج داخل باب زويلة .

توفيت يوم الخميس لعشرين من شهر جمادى
الأولى بمنزلها المذكور . بدرب عبد الحق ، ودفنت
بحوشهم في القسرافة الصغرى بجوار الامام
الشافعي ، وأضيفت الدار الى الدولة ، وسكنها
بعض أكابرها ... وسبحان الحي الذي لا يموت .

ومات المقر الكريم المخدم : أحمد باشا ،
الشهير بطوسون ، ابن حضرة الوزير محمد على
باشا مالك الأقاليم المصرية والحجازية والثغور
وما أضيف اليها .

وقد تقدم ذكر رجوعه من البلاد الحجازية ،
وتوجهه الى الاسكندرية ، ورجوعه الى مصر ، ثم
عوده الى ناحية رشيد ... وعرض خيسامه جهة
الحماة بالعسكر على الصورة المذكورة . وهو
ينتقل من العرض الى رشيد ، ثم الى بربرال
وأبى منصور والعزب .

ولما رجع من هذه المرة ، أخذ صحبته من مصر
المغنين ، وأرباب الآلات المطربة بالعود والقانون ،
والنساء والكنجيات ، وهم : ابراهيم الوراق ،

من غير ترتيب ، والجميع مشاة أمامه وخلفه ، وليس فيها من جوقات الجنائز المعتادة — كالفقهاء وأولاد الكتائب والأحزاب — شيء ، من ساحل بولاق على طريق المدايح ، وباب الخرق على الدرب الأحمر ، على التبانة الى الرميطة ... فصلوا عليه بمصلى المؤمنين ، وذهبوا به الى المدفن الذى أعده الباشا لنفسه ولموته .

كل هذه المسافة ووالده خلف نعشه ينظر اليه ويكي ، ومع الجنازة أربعة من الحمير تحمل القروش وربيعات الذهب ودراهم أنصاف عديدة ، ينثرون منها على الأرض وعلى السكبان ! وعن يمين الكتخدا ويساره شحصان يتناول منها قراطيس الفضة يفرق على من يتعرض له من الفقراء والصبيان فاذا تكاثروا عليه ، ثر ما بقى في يده عليهم ، فيشتغلون عنه بالنقاطها من الأرض . فكان جملة ما فرق وبذر من الأنصاف العديدة فقط ، خمسة وعشرين كيسا : عنها خمسمائة ألف فضة ... وذلك خلاف القروش أيضا والربيعات الذهب !

وساقوا أمام الجنازة ستة رؤوس من الجواميس الكبار ، أخذ منها خدمة التربة ومن حولهم ، وخدمة ضريح الامام الشافعى . ولم ينل الفقراء الا ما فضل عنهم وأخرجوا لاسقاط صلاة المتوفى خمسة وأربعين كيسا تناولها فقراء الأزهر ، وفرقت بجامع الفاكهاني بحسب الأغراض . للفقير منهم أضعاف قسم الفقير وأكثر الفقراء من الفقهاء لم ينالوا ولا القليل .

ولما وصلوا الى المدفن هدموا التربة ، وأزلوه فيها بتابوته الخشب لتعسر اخراجه منه بسبب اتفاخه وتهريه ... حتى أنهم كانوا يطلقون حول تابوته البخورات فى المجامر الذهب ، والرائحة غالبية على ذلك . وليس ثم من يتمط أو يعتبر ! ولما مات لم يخبروا والدته بموته الا بعد

والجبايى ، وقشوه ، ومن يصحبهم من باقى رفقاءهم ... فذهب ببعض خواصه الى رشيد — ومعهم الجباعة المذكورون — فأقام أياما ، وحضر اليه من جهة الروم جوار وغلمان أيضا رقاصون ، فانتقل بهم الى قصر برنبال ... ففى ليلة حلوله بها نزل به ما نزل به من المقدور ، فتمرض بالطاعون ، وتلعلل نحو عشر ساعات . ، وانقضى نحبه . وذلك ليلة الأحد ، مابغ شهر القعدة ، وحضره خليل أفندى قوللى حاكم رشيد .

وعندما خرجت روحه ، اتفخ جسمه ، وتغير لونه الى الزرقة ، فغسلوه وكفنوه ، ووضعوه فى صندوق من الخشب ، ووصلوا به فى السفينة منتصف ليلة الأربعاء عاشره .

وكان والده بالجيزة ، فلم يتجاسروا على اخباره ، فذهب اليه أحمد أغا أخو كتخدا ييك . فلما علم بوصونه ليلا ، استنكر حضوره فى ذلك الوقت ، فأخبره عنه أنه ورد الى شبرا متوعكا ، فركب فى الحين القنجة ، وانحدر الى شبرا ، وطلع الى القصر ، وصار يمر بالمخادع ويقول : « أين هو ؟ فلم يتجاسر أحد أن يصرح بموته .

وكانوا ذهبوا به ، وهو فى السفينة ، الى بولاق ، ورسوا به عند الترسخانة . وأقبل كتخدا ييك على الباشا فرآه ييكى فانزعج انزعاجا شديدا ، وكاد أن يقع على الأرض ، ونزل السفينة ... فأتى بولاق آخر الليل .

وانطلقت الرسل لاختبار الأعيان ، فركبوا بأجمعهم الى بولاق ، وحضر القاضى والأشياخ ، والسيد المحرقى . ثم نصبوا نظلك ساترا على السفينة ، وأخرجوا الناووس والدم والصديد يقطر منه ، وطلبوا القلافة لسد خروقه ومنافسه ، ونصبوا غودا عند رأسه ، ووضعوا عليه تاج الوزارة ... المسمى بالطلخان ! وانجروا بالجنازة

دفننه ، فجزعت عليه جزءا شديدا ، ولبست السواد . وكذلك جميع نسائهم وأتباعهم ، وصبغوا براقعهم بالسواد والزرقة ، وكذلك من يتألفهم من الناس ... حتى لطخوا أبواب البيوت بسولاق وغيرها بالوحل .

وامتنع الناس ، بالأمر عليهم ، من عمل الأفراح ودق الطبول مطلقا ، ونوبة الباشا واسماعيل باشا وطاهر باشا ... حتى ما يفعله دراويش المولوية في تكاياهم عند المقابلة ، من الناي والطبل ... أربعين يوما .. وأقاموا عليه العزاء عند القبر ، وعدة من الفقهاء والمقرئين يتناوبون قراءة القرآن مدة الأربعين يوما . ورتبوا لهم ذبائح ومأكلا وكل ما يحتاجونه . ثم ترادفت عليهم العطايا من والدته وأخواته والواردين من أقارب وغيرهم على حد قول القائل : « مضائب قوم عند قوم فوائد » !

ومات وهو مقتبل الشبيبة لم يبلغ العشرين ، وكان أبيض جسيما ، كما قد دارت لحيته ... بطلا شجاعا جوادا : له ميل لأولاد العرب ، منقادا للملة الاسلام ، ويعترض على أيه في أفعاله ، تخافه العسكر وتهابه . ومن اقترف ذنبا صغيرا قتله ... مع احسانه وعطاياه للمنقاد منهم ، ولأمرائه . ولغالب الناس اليه ميل ، وكانوا يرجون تأمره بعد أيه ، ويأبى الله الا ما يريد .

ومات الوزير المعظم يوسف باشا ، المنفصل عن إنشادة الشام ، وحضر إلى مصر من نحو ثلاث سنوات هاربا وملتجئا إلى حاكم مصر ، وذلك في أواخر سنة سبع وعشرين ومائتين وألف . وأصله من الأكراد الدكرلية ، وينسب إلى الأكراد المليية . وابتداء أمره باخبار من يعرفه : أنه هرب من أهله — وعمره اذ ذاك خمس عشرة سنة — فوصل إلى حماة ، وتعاطى بيع الخشيش والسرجين والروث . ثم خدم عند رجل يسمى ملا حسين مدة سنين إلى

أن ألبسه قلبق ، ثم خدم بعده ملا اسماعيل بلكتاش ، وتعلم الفروسية والراحة ، فلعب يوما في القمار وخسر فيه ، وخاف على نفسه فخرج هاربا إلى عمر آغا باسيلى — من اشراقات ابراهيم باشا المعروف بالأزدن — فتوجه معه إلى غزة .

وكان مع المترجم جواد أشقر من جياد الخيل ، فقلد على آغا — متسلم غزة — عمر آغا المذكور وجعله دالى باشا . ففى بعض الأيام طلب المتسلم من المترجم الجواد ، فقال له : « ان قلدتنى دالى باشا قدمته لك » . فأجابه الى ذلك ، وعزل عمر آغا ، وقلد المترجم المنصب عوضا عنه . وامتنع من اعطائه ذلك الجواد ، وأقام في خدمته مدة ، فوصل مرسوم من أحمد باشا الجزائر ، خطابا للمترجم ، بالقبض على المتسلم واحضاره الى طرفه ، وان فعل ذلك ينعم عليه بمبلغ خمسين كيسا ومائة يريق ... ففعل ذلك ، وأوقع القبض على عمر آغا المتسلم ، وتوجه الى عكة بلدة الجزائر .

فقال المتسلم للمترجم في أثناء الطريق : « تعلم أن الجزائر رجل سفاك دماء ، فلا توصلنى اليه ، وان كان وعدك بمال أنا أعطيك أضعافه ، وأطلقنى أذهب حيث شاء الله ، ولا تشاركه في دمي » . فلم يجبه الى ذلك وأوصله الى الجزائر فحبسه ، ثم قتله ورماه في البحر !

وأقام المترجم بيباب الجزائر أياما ، ثم أرسل اليه يأمره بالذهاب الى حيث يريد ، فانه لا خير فيه لخياثته لمخدومه . فذهب الى حماة ، وأقام عند أغاته اسماعيل آغا — وهو متولى من طرف عبد الله باشا المعروف بابن المعظم — فأقام في خدمته كلارجى زمنا نحو الثلاث سنوات .

وكان بين عبد الله باشا وأحمد باشا الجزائر عداوة ، فتوجه عبد الله باشا الى الدورة . فأرسل الجزائر عساكره ليقطع عليه الطريق ، فسلط طريقا أخرى . فلما وصل الى جيننى — وهى مدينة قريبة

من بلاد الجزائر — وجه الجزائر عساكره عليه . فلما تقارب العسكران ، وتسامعت أهل النواحي ... امتنعوا من دفع الأموال . فما وسع عبد الله باشا إلا الرحيل ، وتوجه الى ناحية نابلس ، مسافة يومين ، وحاصر بلدة تسمى صوفين ، وأخذ مدافع من يافا ، وأقام محاصرا لها ستة أيام ... ثم طلبوا الأمان فأمّنهم ، ورحل عنهم الى طرف الجبل ، مسيرة نصف ساعة ، وفرق عساكره لقبض أموال الميرى من البلاد ، وأقام هو في قلة من العسكر .

فوصل اليه خيال ، وقت العصر في يوم من الأيام يخبره بوصول عساكر الجزائر ، وأنه لم يكن بينه وبينهم الا نصف ساعة ، وهم خمسة آلاف مقاتل . فارتبك في أمره ، وأرسل الى النواحي ، فحضر اليه من حضر — وهم نحو الثلاثمائة خيال ، وهو بدائرتة نحو الثمانين — فأمر بالركوب . فلما تقاربا هاله كثرة عساكر العدو ، وأيقنوا بالهلاك . فتقدم المترجم الى العسكر ، وأشار عليهم بالثبات ، وقال لهم : « لم يكن غير ذلك ، فانا ان فررنا هلكنا عن آخرنا » .

وتقدم المترجم مع أغاته ملا اسماعيل ، وتبعهم العسكر ، وولجوا وسط خيل العدو ، وصدقوا الحملة بجلة واحدة ، فحصلت في العدو الهزيمة ، وركبوا أقفيتهم ، وتبعهم المترجم حتى حال الليل بينهم ، فرجعوا براء من القتلى والقلائع . فلما أصبح النهار عرضوها على الوزير — وهى نحو الألف رأس وألف قلعة — فخلع عليهم ، وشكرهم ، وارتحلوا الى دمشق .

وذهب المترجم مع أغاته الى مدينة حماة ، واستمر هناك الى أن حضر الوزير الأعظم يوسف باشا ، المعروف بالمعدن ، الى دمشق بسبب الفرنساوية . ففارق المترجم مخدومه في نحو السبعين خيالا ، وجعل يدور بأراضى حماة بطلا ، ويقال له قيس ، فيراسل الجزائر لينضم اليه .

وكان الجزائر ، عند حضور الوزير ، انفصل حكمه عن دمشق ، ووجه ولايتها الى عبد الله باشا العظم . فلما بلغ المترجم ذلك توجه الى لقاء عبد الله باشا بالمعرة ، فأكرمه عبد الله باشا ، وقلده دالى باشا كبيرا على جميع الخيالة .. حتى على أغاته ملا اسماعيل أغا . وأقام بدمشق مدة الى أن حاصر عبد الله باشا مدينة طرابلس . فوصل اليه الخبر بأن عساكر الجزائر استولوا على دمشق وبلادها . فركب عبد الله باشا وذهب الى دمشق ، ودخلها بالسيف ، ونصب عرضيه خارجها .

فوصل خبر ذلك الى الجزائر ، فكتب عساكر عبد الله باشا يستميلهم لأن معظمهم غرباء ، فاتفقوا على خيائته ، والقبض عليه وتسليمه الى الجزائر . وعلم ذلك وتبته ، فركب في بعض مماليكه وخاصته الى وطاق المترجم — وهو اذ ذاك دالى باشا — وأعلمه الخبر ، وأنه يريد النجاة بنفسه . فركب بمن معه ، وأخرجته من بين العسكر قهرا عنهم ، وأوصله الى شول بغداد .

ثم ذهب على الهجن الى بغداد ، ورجع المترجم الى حماة . فقبل وصوله اليها ورد عليه مرسوم الجزائر يستدعيه ، فذهب اليه ، فجعله مقدم ألف ، وقلده باش الجردة ، فسافر الى الحجاز بالملاقة . وكان أمير الحاج الشامى اذ ذاك سليمان باشا عوضا عن مخدومه أحمد باشا الجزائر . فلما حصلوا في نصف الطريق ، وصلهم خبر موت الجزائر ، فرجع يوسف المترجم الى الشام ، واستولى اسماعيل باشا على عكا ، وتوجه منصب ولاية الشام الى ابراهيم باشا المعروف بقطر اغاسى (أى أغات البغال) . وفي فرمان ولايته الأمر بقطع رأس اسماعيل باشا ، وضبط مال الجزائر .

فذهب المترجم بخيله وأتباعه الى ابراهيم باشا ، وخدم عنده ، وركب الى عكا وحصروها ، وخطوا في أرض الكردانى — مسيرة ساعة من عكا —

وكانت الحرب بينهم سجالا ، وعساكر اسماعيل باشا نحو العشرة آلاف ، والمترجم يباشر الوقائع ، وكل واقعة يظهر فيها على الخصم .

ففى يوم من الأيام لم يشعر الا وعسكر اسماعيل باشا نافذ اليهم من طريق أخرى . فركب المترجم ، وأخذ صحبته ثلاثة مدافع ، وتلاقى معهم ، وقتلهم وهزمهم الى أن حصرهم بقرية تسمى دعوق ، ثم أخرجهم بالأمان الى وطاقة وأكرمهم ، وعمل لهم ضيافة ثلاثة أيام ، ثم أرسلهم الى عكا بغير أمر الوزير . .

ثم توجه ابراهيم باشا الى الدورة ، وصحبته المترجم ، وتركوا سليمان باشا مكانهم ، وخرج اسماعيل باشا من عكا ، وأغلقت أبوابها فاتفقت عساكره ، وقبضوا عليه ، وسلموه الى ابراهيم باشا فعند ذلك برز أمر ابراهيم باشا بتسليم عكا الى سليمان باشا ، وذهب بالمرسوم المترجم ، فأدخله اليها ورجع الى مخدمه ، وذهب معه الى الدورة ثم عاد معه الى الشام .

وورد الأمر بعزل ابراهيم باشا عن الشام ، وولاية عبد الله باشا المعروف بالعظم على يد باشت بغداد . فخرج المترجم لملاقاته من على حلب ، فقلده دالى باشا على جميع العسكر فلما وصل الى الشام ، ولاء على حوران وأربد والقنطرة ليقبض أموالها ، فأقام نحو السنة ، ثم توجه صحبة الباشا مع الحج . وتلاقوا مع الوهابية فى الجديدة ، فحاربهم المترجم وهزمهم ، وحجوا واعتمروا ورجعوا . ومكثوا الى السنة الثانية ، فخرج عبد الله باشا بالحج ، وأبقى المترجم نائبا عنه بالشام فلما وصل الى المدينة المنورة منعه الوهابيون ، ورجع من غير حج .

ووصل خبر ذلك الى الدولة ، فورد الأمر بعزل عبد الله باشا عن ولاية الشام وولاية المترجم على

الشام وضواحيها ، فارتاعت النواحي والعربان ، وأقام السنة ، ولم يخرج بنفسه الى الحج ... بل أرسل ملاحين عوضا عنه ، فمنع أيضا عن الحج . فلما كانت القابلة ، انفتح عليه أمر الدورة ، وعصى عليه بعض البلاد ، فخرج اليها ، وحاصر بلدة تسمى كردانية ، ووقع له فيها مشقة كبيرة الى أن ملكها بالسيف وقتل أهلها ثم توجه الى جبل نابلس وقهرهم ، وجبى منهم أموالا عظيمة .

ثم رجع الى الشام ، واستقام أمره ، وحسنت سيرته ، وسلك طريق العدل فى الأحكام ، وأقام الشريعة والسنة ، وأبطل البدع والمنكرات ، واستتاب الخواطيء ، وزوجهن ، ووفق يفرق الصدقات على الفقراء وأهل العلم والغرباء وابن السبيل ، وأمر بترك الاسراف فى المآكل والملابس . وشاع خبر عدله فى النواحي ، ولكن ثقل ذلك على أهل البلاد بترك مألوفهم ا

ثم انه ركب الى بلاد النصيرية ، وقتلهم وانتصر عليهم ، وسبى نساءهم وأولادهم ... وكان خيرهم بين الدخول فى الاسلام أو الخروج من بلادهم ، فامتنعوا وحاربوا ، وانخذلوا ، وبيعت نساؤهم وأولادهم فلما شاهدوا ذلك أظهروا الاسلام تقية فعفا عنهم ، وعمل بظاهر الحديث ، وتركهم فى البلاد ، ورحل عنهم الى طرابلس ، وحاصرها بسبب عصيان أميرها بربر باشا على الوزير ، وأقام محاصرا لها عشرة أشهر حتى ملكها واستولى على قلعتها . ونهبت منها أموال للتجار وغيرهم .

ثم ارتحل الى دمشق ، وأقام بها مدة ، فطرقه خبر الوهابية أنهم حضروا الى المزيريب ، بساغر مسرعا ، وخرج الى لقائهم فلما وصل الى المزيريب وجدهم قد ارتحلوا من غير قتال ، فأقام هناك أياما ، فوصل اليه الخبر بأن سليمان باشا وصل الى الشام وملكها ، فعاد مسرعا الى الشام ، وتلاقى

التاريخ المذكور ، فلاقاه صاحب مصر وأكرمه ،
وقدم اليه خيولا وقماشاً ومالا ، وأنزله ابدار واسعة
بالأزبكية ، ورتب له خروجاً زائدة من لحم وخبز
وسمن وأرز وحطب ، وجميع اللوازم المحتاج إليها ،
وأنعم عليه بجوارى وغير ذلك .

وأقام بمصر هذه المدة ، وأرسل في شأنه الى
الدولة ، وقبلت شفاعته محمد علي باشا فيه ، ووصله
العفو والرضا . — ماعدا ولاية الشام — وحصلت
فيه علة ذات الصدر ؟ فكان يظهر به شبه السعلة
مع الفواق بصوت يسمعه من يكون بعيداً عنه ،
ويذهب اليه جماعة الحكماء من الافرنج وغيرهم ،
ويطالع في كتب الطب مع بعض الطلبة من
المجاورين ... فلم ينجع فيه علاج ، وانتقل الى قصر
الآثار بقصد تبديل الهواء . ولم يزل مقيماً هناك
حتى اشتد به المرض ، ومات في ليلة السبت العشرين
من شهر ذي القعدة ، وحملت جنازته من الآثار الى
الترافة من ناحية الخلاء ، ودفن بالحوش الذي
أنشأه الباشا وأعد له ولواته . وكانت مدة إقامته
بمصر نحو الست سنوات ... فسبحان المحر الذي
لا يموت ، الدائم الملك السلطان .

مع عسكر سليمان باشا ، وتحارب العسكران الى
المساء ، وبات كل منهم في محله . ففي نصف الليل
— في غفلتهم ... والمترجم نائم وعساكره أيضاً
هائمة — فلم يشعروا الا وعساكر سليمان باشا
كبستهم ، فحضر اليه كتخداه وأيقظه من منامه ،
وقال له : « ان لم تسرع ، والا قبضوا عليك » .
فقام في الحين ، وخرج هارباً ، وصحبته ثلاثة
أشخاص من مباليكه فقط ، ونهبت أمواله ويرقه ،
وزالت عنه سيادته في ساعة واحدة .

ولم يزل حتى وصل الى حماة فلم يتمكن من
الدخول اليها ، ومنعه أهلها عنها وطردوه . فذهب
الى سيجر ، وارتحل منها الى بلدة يعمل بها
البارود ، ومنها الى بلدة تسمى ريمة ، ونزل عند
سعيد أغا فأقام عنده ثلاثة أيام . ثم توجه الى
لواحي انطاكية ، بصحبته جماعة من عند سعيد أغا
المذكور ، ثم الى السويدية ، ولم يبق معه سوى
فرس واحد !

ثم انه أرسل الى محمد علي باشا — صاحب
مصر — واستأذنه في حضوره الى مصر ، فكاتبه
بالحضور اليه والترحيب به ، فوصل الى مصر في



المحتدم

الخميس غرته (٢١ نوفمبر ١٨١٦ م) :

استهل المحرم وحاكم مصر والمتولى عليها ، وعلى ضواحيها ونفورها من حد رشيد ودمياط الى أسوان وأقصى الصعيد ، وأسكلة القصير والسويس ، وساحل القلزم وجدة ومكة والمدينة والأقطار الحجازية بأسرها ... محمد على باشا القولى . وزيره وكتخده : محمد آغا لاط . والدفتردار : محمد بيك — صهر الباشا وزوج ابنته — وآغات الباب : ابراهيم آغا . ومدير أمور البلاد والأطبان والرزق والمساحات ، وقبض الأموال الميرية وحساباتها ومصارفها : محمود بيك الخازن دار . والسلخدار سليمان آغا . وحاكم الوجه القبلى : محمد بيك الدفتردار — صهر الباشا — عوض ابراهيم باشا ولد الباشا ، لانفصاله عن اماره الوجه القبلى ، وسفره الى الحجاز آنفا لمحاربة الوهابيين . وباقي أمراء الدولة : مثل عابدين بيك ، واسماعيل باشا ابن الباشا ، و خليل باشا — وهو الذى كان حاكم الاسكندرية سابقا — وشريف آغا ، وحسين بيك دالى باشا ، وحسين بيك الشماشرجى ، وحسن بيك الشماشرجى الذى كان حاكما بالفيوم ... وغير هؤلاء ، وحسن آغا آغات الينكجerie ، وأحمد آغا آغات التبديل ، وعلى آغا الوالى ، وكاتب الروزنامة مصطفى أفندى ، وحسن باشا بالديار الحجازية . وشاه بندر التجار : السيد محمد المحرقى ، وهو المتعين لمهمات الأسفار وقوافل العربان

ومخاطباتهم ، وملاقة الأخبار الواصلة من الديار الحجازية ، والمتوجه اليها ، وأجر المحمول ، وشحنة السفن ، ولوازم الصادرين والواردين والمتتبعين والمقيمين والراجلين ، والمتعهد بجميع فرق القبائل والعشير وغوائلهم ومحاكماتهم وارغابهم واربابهم وسياستهم على اختلاف أخلاقهم وطباعهم ... وهو المتعين أيضا لفصل قضايا التجار والباعة وأرباب الحرف البلدية وفصل خصوماتهم ومشاجراتهم ، وتأديب المنحرفين منهم والنصايين ، وبعوثات الباشا ومراسلاته ، ومكاتباته ، وتجاراته ، وشركاته وابتداعاته ، واجتهاده فى تحصيل الأموال من كل وجه وأى طريق ، ومتابعة توجيه السرايا والعساكر والذخائر الى نواحي الحجاز للاغارة على بلاد الوهابية .

وأخذ الدرعية مستمر لا ينقطع ، والعرضى منصوب خارج باب النصر وباب الفتوح ... وإذا ارتحلت طائفة خرجت أخرى مكانها

وفيه : سومحت أرباب الحرف والباعة والزياتون والجزارون والخضرية والحساسزون ونحوهم من المسانحات والمشاهرات واليوميات الموظفة عليهم للمحتسب ، ونودى برفعها أمام المحتسب فى الأسواق ، وعوض المحتسب عنها خمسة أكياس فى كل شهر يستوفىها من الخزينة العامة .

وعملوا تسعيرا بترخيص أسعار المبيعات ، بدلا عما كانوا يغمونه للمحتسب ، ولكن من غير مراعاة النسبة والمعادلة فى غالب الأصناف . فان

لجميع الأسباب . ولا يتقرب اليه من يريد قربه الا بمساعدته على مراداته ومقاصده . ومن كان بخلاف ذلك فلا حظ له معه مطلقا ، ومن تجاسر عليه من الوجهاء بنصح أو فعل مناسب — ولو على سبيل التشفع — حقد عليه ، وربما أقصاه وأبعده وعاداه معاداة من لا يصفو أبدا .

وعرفت طباعه وأخلاقه في دائرته وبطاقته ، فلم يمكنهم الا الموافقة والمساعدة في مشروعاته : اما رهبة أو خوفا على سيادتهم ورياستهم ومناصبهم ، واما رغبة وطمعا وتوصلا للرياسة والسيادة — وهم الأكثر — وخصوصا أعداء الملة من نصارى الأرمن وأمثالهم الذين هم الآن أخصاء لحضرته ومجالسته ، وهم شركاؤه في أنواع المتاجر ، وهم أصحاب الرأي والمشورة ، وليس لهم شغل ودرس الا فيما يزيد حظوتهم ووجاهتهم عند مخدمهم ، وموافقة أغراضه ، وتحسين مخترعاته . وربما ذكروه ونهوه على أشياء تركها أو غفل عنها من المبتدعات ، وما يتحصل منها من المال والمكاسب التي يسترزقها أرباب تلك الحرفة لمعاشهم ومصاريف عيالهم . ثم يقع الفحص على أصل الشيء ، وما يتفرع منه ، وما يؤول اذا أحكم أمره وانتظم ترتيبه ، وما يتحصل منه بعد التسعير الذي يجعلونه مصاريف الكتبة والمباشرين ... أبرزت مبادئه في قالب العدل والرفق بالرعية !

ولما وقع الالتفات الى أمر المذابح والسلخانة ، وما يتحصل منها ، وما يكتسبه الموظفون فيها ... فأول مابدأوا به : ابطال جميع المذابح التي بجهات مصر والقاهرة وبولاك ، خلاف السلخانة السلطانية التي خارج الحسينية . وتولى رياستها شخص من الأتراك ، ثم سمرت هذه التسعيرة : فجعل الرطل الذي يبيعه القصاب بسبعة أنصاف فضة ، وثنى على القصاب من المذبح ثمانية

المادة عند اقبال وجود الفاكهة أو الخضراوات تباع بأعلى ثمن لعزتها وقلتها حينئذ ، وشهوة الطباع ، واشتياق النفوس لجديد الأشياء ، وزهدها في القديم الذي تكرر استعماله وتعامله ... كما يقال « لكل جديد لذة » . فلم يرعوا ذلك ، ولم ينظروا في أصول الأشياء أيضا . فان غالب الأصناف داخل في المعتكرات ، وزيادة المكوس الحادثة في هذه السنين ، وما يضاف الى ذلك من طمع الباعة والسوقة وغشهم وقبحهم وعدم دياتهم وخبث طباعهم .

فلما نودى بذلك ، وسمع الناس رخص المبيعات ، فلنوا بففلتهم حصول الرخاء ، ونزلوا على المبيعات مثل الكلاب السمرانة ، وخطفوا ما كان بالأسواق — بموجب التسعيرة — من اللحم وأنواع الخضراوات والفاكهة والأدهان !

فلما أصبح اليوم الثاني لم يوجد بالأسواق شيء من ذلك ، وأغلقت الفكمانية حوانيتهم ، وأخفوا ما عندهم ، وطفقوا يبيعونه خفية ، وفي الليل ، بالثمن الذي يرتضونه ... والمحتسب يكثر الطواف بالأسواق ، ويتجسس عليهم ، ويقبض على من أغلق حانوته أو وجدها خالية ، أو غش عليه أنه باع بالزيادة ، وينكل بهم ، ويسحبهم مكشوفين الرؤوس مشنوقين وموثقين بالحبال ، ويضربهم ضربا مؤلما ، ويصلبهم بفنارق الطرق مخزومين الأنوف ، ومعلق فيها النوع المزاد في ثمنه ... فلم يرتجعوا عن عادتهم .

ثم ان هذه المنادة والتسعيرة ظاهرها الرفق بالرعية ورخص الأسعار ، وباطنها المكر والتحيل والتوصل لما سيظهر بعد عن قريب . وذلك أن ولي الأمر لم يكن له من الشغل الا صرف همته وعقله وفكرته في تحصيل المال والمكاسب ، وقطع أرزاق المسترزقين ، والحجر والاحتكار

العسل والشحم المصنوع من الشحم ، لاختكار الشحم ، والحجز على عمال الشمع فلا يصنعه السماعون ولا غيرهم . ونودى على بيع الموجود منه بأربعة وعشرين نصفا ، وكان يباع بثلاثين وأربعين ، فأخفوه ، وطفقوا يبيعونه خفية بما أحبوا . وانعدم وجود بيض الدجاج لجعلهم العشرة منه بأربعة أنصاف ، وكان قبل المناداة اثنان بنصف .

وكل ذلك والمحسوب يطوف بالأسواق والشوارع ، ويشدد على الباعة ويؤلمهم بالضرب والتجريس . وفقد وجود الدجاج فلا يكاد يوجد بالأسواق دجاجة ، لأنه نودى على الدجاجة باثنى عشر نصفا ، وكان الثمن عنها قبل ذلك خمسة وعشرين فأكثر .

صفر

(٢١ ديسمبر ١٨١٦ — ١٨ يناير ١٨١٧ م)

فيه : حضر المعلم غالى من الجهة القبلية ، وبمعه مكاتبات من محمد بيك الدفتردار — الذى تولى اماره الصعيد عوضا عن ابراهيم باشا ابن الباشا الذى توجه الى البلاد الحجازية لمحاربة الوهابية — يذكر فيها نصح المعلم غالى ، وسعيه فى فتح أبواب تحصيل الأموال للخزينة ، وأنه ابتكر أشياء وحسابات يتحصل منها مقادير كثيرة من المال ... فقبول بالرضا والاكرام ، وخلع عليه الباشا ، واختص به ، وجعله كاتب سره ، ولازم خدمته . وأخذ فيما ندب اليه وحضر لأجله .. التى منها حسابات جميع الدفاتر ، وأقلام المبتدعات ومباشرها وحكام الأقاليم .

وفيه : تجردت عدة عساكر أتراك ومغاربة الى الحجاز ، وصحبتهم أرباب صنائع وحرف .
وفيه : أرسل الباشا الى بندر السويس أخشابا

أنصاف ونصف ! وكان يباع قبل هذه التسعيرة بالزيادة الفاحشة ، فشح وجود اللحم ، وأغلقت حوانيت الجزارين ، وخسروا فى شراء الأغنام وذبحها وبيعها بهذا السعر .

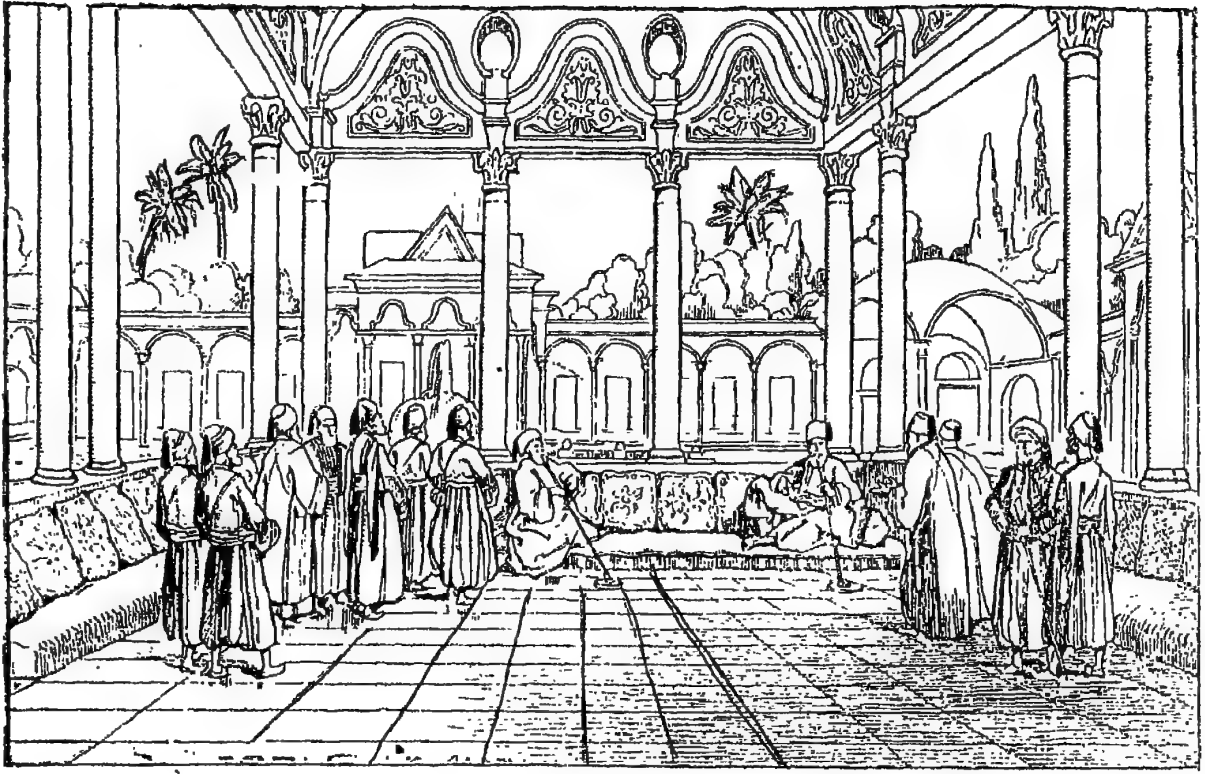
وأنهى أمر شحة اللحم الى ولى الأمر ، وأن ذلك من قلة المواشى ، وغلو أثمان مشترواتها على الجزارين ، وكثرة رواتب الدولة والعساكر . أشيع أنه أمر براسيم الى كشاف الأقاليم — قبلى وبحرى — لشراء الأغنام من الأرياف لخصوص رواتبه ورواتب العسكر والخاصة وأهل الدولة ، ويترك ما يذبحه جزارو المذبح لأهل البلدة . وعند ذلك ترخص الأسعار ... ثم تبين خلاف ذلك ، وأن هذه الاشاعة توطئة وتقدمة لما سيأتى عن قريب .

الخميس ١٥ منه (٥ ديسمبر ١٨١٦ م) :

وصلت أغنام وعجول وجواميس من الأرياف ... هزيلة ، وازدادت باقائتها هزالا من الجوع وعدم مراعاتها . فذبحوا منها بالمذابح أقل من المعتاد ، ووزعت على الجزارين ، فيخص الشخص منهم الاثنان أو الثلاثة . فعندما يصل الى حانوته — وهو مثل الحرامى — فيتخاطفها العساكر التى بتلك الخطة ، وتزدهم الناس فلا ينوبهم شيء ، وتذهب فى ملح البصر ، ثم امتنع وجودها ، واستمر الحال ... والناس لا يجدون ما يطبخونه لعيالهم .

وكذلك امتنع وجود الخضراوات ، فكان الناس لا يحصلون القوت الا بغارة المشقة ، واقتاتوا بالنول المصلوق والعدس والبيصار ، ونحو ذلك .

والعدم وجود السمن والزيت والشيرج ، وزيت البزر وزيت القرطم ... لاختكارها لجهة الميرئ وأغلقت المعاصر والسيارج ، وامتنع وجود الشمع



حمام الأقاليم بعد أن عزلهم محمد علي وطلبهم للحضور

ويحررون أثمان مفرق الأشياء ، من غنم أو دجاج أو تبن أو عليق أو بيض أو غير ذلك ، في المدة التي أقامها أحدهم بالناحية . فحصل للكثير من قائم مقاماتهم الضرر ، وكذلك من اتى اليهم ، فمنهم من اضطر وباع فرسه واستدان .

وفيه : حضر علي كاشف من شرقية بليس معزولا عن كشوفيتها ، وقلدها خيلافه ، وكان كاشفا بالأقاليم عدة سنوات . وكذلك جرى لكاشف المنوفية والغربية ، وحضر أيضا حسن بيك الشماشجي من الفيوم معزولا ، ووجهه الباشا الى ناحية درنة لمحاربة أولاد علي .

ربيع الآخر

(١٨ فبراير - ١٨ مارس ١٨١٧ م)

فيه : حصل الحجز والمنع على من يذبح شيئا من

وأدوات عمارة ، وبلاط كذان وحديدا ، وصناعا بقصد عمارة قصر لخصوصه اذا نزل هناك .

ربيع الأول

(١٩ يناير - ١٧ فبراير ١٨١٧ م)

فيه : شحت المبيعات والغلل والأدهان ، وغلا سعر الجبوب ، وقل وجودها في الرقع والسواحل ... فكان الناس لا يحصلون شيئا منها الا بفعاية المشقة !

وفيه : عزل الباشا حكام الأقاليم والكشاف ونوابهم ، وطلبهم للحضور ، وأمر بحسابهم وما أخذوه من الفلاحين زيادة على ما فرضه لهم . وأرسل من قبله أشخاصا مفتشين للفحص والتجسس على ماعسى يكون أخذوه منهم من غير ثمن . فأخذوا يقررون الميثاخيخ والفلاحين ،

للميرى . وكذلك يفعل فيما يرد لخاصية الناس من الأغنام ... يفعل بها كذلك ، ولا يأخذ الا قدر راتبه في كل يوم من المذبح .

وفيه : شح وجود الغلال في الرقع والسواحل حتى امتنع وجود الخبز في الأسواق ، فأخرج الباشا جانب غلة ، ففرقت على الرقع ، وبيعت على الناس ، وهى ألف أردب انقضت في يومين ، ولا يبيعون أزيد من كيلة أو كيلتين . وبيع الأردب بألف ومائتين وخمسين نصفا .

وفيه : أفرد محل لعمل الشمع الذى يعمل من الشحوم ، بعطفا ابن عبد الله بك جهة السروجية . واحتكروا لأجل عمله جميع الشحوم التى من المذبح وغيره . وامتنع وجود الشحم من حوانيت الدهانين . ومنعوا من يعمل شيئا من الشمع في داره أو في القواليب الزجاج ، وتتبعوا من يكون عنده شئ منها فأخذوها منه ، وحذروا من عمله ، خارج العمل ، كل التحذير ، وسعروا رطله بأربعة وعشرين نصفا .

جسادى الأولى

(١٩ مارس - ١٧ ابريل ١٨١٧ م)

فيه : حول معمل الشمع الى جهة الحسينية ، عند الدرب الذى يعرف بالسبع والضبع

وفيه : ارتحلت عساكر مجردة الى الحجاز .

وفيه : برزت أوامر الى كشاف النواحي باحصاء عدد أغنام البلاد والقرى ، ويفرض عليها كل عشرة شياه ، واحدة من أعظمها : اما كبش أو نعجة بأولادها ... يجمعون ذلك ويرسلون به الى مجمع أغنام الباشا . وفرض أيضا على كل فدان رطلا من السمن ، يجمع الأرطال مشايخ البلاد من الفلاحين عند كشاف النواحي ، ويرسلونها الى مصر .

وسبب هذه المحدثات : أنه لما عملت التسعيرة ،

المواشى في داره أو غيرها ، ولا يأخذ الناس لحوم أطعمتهم الا من المذبح ، وأوقفت عساكر بالطرق وصدا لمن يدخل المدينة بشئ من الأغنام .

وذلك أنه لما نزلت المراسيم الى الكشاف بمشترى المواشى من الفلاحين وارسالها الى المكان الذى أعده الباشا لذلك ، ويؤخذ منها مقدار ما يذبح بالسلكانة في كل يوم لرواتب الدولة والبيع . وطلب كشاف النواحي شراء الأغنام والعجول والجواميس بالثمن القليل من أربابها ... فهرب الكثير من الفلاحين بأغنامهم ، فيخرجون من القرية ليلا ، ويدخلون المدينة ، ويمرون بها في الأسواق ، وبيعونها بما أحبوا من الثمن على الناس . فانكب الناس على شرائها منهم لجودتها ، ويشترك الجماعة في الشاة فيذبحونها ويقسمونها بينهم ... وذلك لقلّة وجدان اللحم كما سبقت الاشارة اليه ، وان تيسر وجوده فيكون هزيلا رديئا : فان في كل يوم ترد الجملة الكثيرة من بحرى وقبلى الى المكان المعد لها ، ولم يكن ثم من يراعيا بالعلف والسقى ، فتهمز وتضعف .

فلما كثر ورود الفلاحين بالأغنام ، وشراء الناس لها ، ووصل خبر ذلك الى الباشا ، فأمر بوقوف عساكر على مفارق الطرق خارج المدينة من كل ناحية ، فيأخذون الشاة من الفلاحين اما بالثمن أو يذهب صاحبها معها الى المذبح فتذبح في يومها أو من الغد ، ويوزن اللحم خالصا ويعطى صاحبها ثمنه : عن كل رطل ثمانية فضة ونصف ، ويوزن على الجزارين بذلك الثمن بما فيه من القلب والكبد والمنحر والمذاكير ، والمخرج بما فيه من الزيل أيضا ... والجزارون يبيعونها على من يشتري — لشدة الطلب — بزيادة النصف والنصفين ، بل والثلاثة والأربعة ، ان كان به نوع جودة . وأما الأسقاط من الرؤوس والجلود والكروش ، فهو

وصولها الى دورهم ، فشكوا الى الباشا فأطلق
الاذن فيما دون العشرة .

وفيه أيضا : امتنع وجود الغلال بالعرصات
والسواحل بسبب احتكارها ، واستمرار انجرارها
ونقلها في المراكب ، قبلى وبحرى ، الى جهة
الاسكندرية للبيع على الافرنج بالثمن الكثير كما
تقدم .

ووجهت المراسيم الى كشف النواحي بمنع
بيع الفلاحين غلالهم لمن يشتري منهم من المتسبين
والتراسين وغيرهم ، وبأن كل ما احتاجوا لبيعه ،
مما خرج لهم من زراعتهم ، يؤخذ لطرف الميرى
بالثمن المفروض بالكيل الوافى .

واشتد الحال في هذا الشهر وما قبله حتى قل
وجود الخبز من الأسواق ، بل امتنع وجوده في
بعض الأيام . وأقبلت الفقراء نساء ورجالا الى
الرقع بمقاطفهم ، ورجعوا بها فوارغ من غير شيء .
وزاد الهول والتشكى ، وبلغ الخبر الباشا ،
فأطلق أيضا ألف أردب توزع على الرقع وبيع
على الناس ، اما ربع واحد أو كيلة فقط ، وكل
ربع ثمنه قرش ، فيكون الأردب بأربعة وعشرين
قرشا .

وفيه : حضر حسن بيك الشماشرجى من ناحية
درة وبلد أخرى يقال لها « سيوة » ، وصحبته
فرقة من أولاد على . وذلك أن أولاد على افترقوا
فرقتين : احدهما طائفة ، والأخرى عاصية عن
الطاعة ومنحازون الى هذه الناحية . فجرد الباشا
عليهم حسن بيك المذكور ، فحاربهم فهزمهم ،
وهزموه ثانيا . فرجع الى مصر ، فضم اليه الباشا
جملة من العساكر ، وأصبح معه الفرقة الأخرى
الطائفة ، فسار الجمع ودهموهم على حين غفلة ،
وتقدم لحربهم اخوانهم الطائفة ، وقتلوا منهم ،
وأغاروا على مواشيهم وأباغهم وأغنامهم ،

وتسعر رطل السمن بستة وعشرين نصيفا ، وبيعه
السمان والزيتات بزيادة نصفين ... امتنع وجوده
وظهوره : فيأتى به الفلاح ليلا في الخفية ، وبيعه
للزبون أو للمتسبب بما أحب ، وبيعه المتسبب أيضا
بالزيادة لمن يريده سرا ، فيبيعون الرطل بأربعين
وخمسين . ويزيد على ذلك غش المتسبب وخلطه
بالدقيق والقرع والشحم وعكر اللبن ، فيصفو على
النصف ، ولا يقدر مشتريه على رد غشه للبائع
لأنه ما حصله الا بناية المشقة والعزة والانكار
والمنع ... وان فعل ، لا يجد من يعطيه ثانيا !

وتقف الطائفة من العسكر بالطرق ليلا وفي وقت
الغفلات ، يرصدون الواردين من الفلاحين ،
ويأخذونه منهم بالقهر ، ويعطونهم ثمنه بالسعر
المرسوم ، ويحتكرونه هم أيضا ، وبيعونه لمن
يشتريه منهم بالزيادة الفاحشة . وامتنع وروده الا
في النادر خفية مع الحرر أو الخفارة ، والتجاسى في
بعض العساكر من أمثالهم .

واشتد الحال في انعدام السمن ، حتى على أكابر
الدولة ، فعند ذلك ابتدع الباشا هذه البدعة ،
وفرض على كل فدان من طين الزراعات رطلا من
السمن ، ويعطى في ثمن الرطل عشرين نصيفا .
فاشتغلوا بتحصيل ما دهمهم من هذه النازلة ،
وطولب المزارع بمقدار ما يزرعه من الأقدنة أرتالا
من السمن ، ومن لم يكن متأخرا عنده شيء من
سمن بهيمته ، أو لم يكن له بهيمة ، أو احتاج الى
تكملة موجود عنده ... فيشتريه ممن يوجد عنده
بأعلى ثمن ليسد ما عليه اضطرابا جزاء وفاقا !

وفيه : حصل الاذن بدخول مادون العشرة من
الأغنام الى المدينة ، وكذلك الاذن لمن يشتري
شيئا منها من الأسواق وسبب اطلاق
الاذن بذلك مجيء بعض أغنام الى أكابر الدولة —
ولا غنى عن ذلك لأدنى منهم أيضا — وحجزوا عن

فأرسلوا المنهوبات الى جهة الفيوم ، وفي ظن العرب
أن الغنائم تطيب لهم !

وحضر حسن بيك وصحبته كبار العرب من
أولاد على الطائعين ، وفي ظنهم الفوز بالغنيمة ،
وأن الباشا لا يطمع فيها لكون النصره كانت
بأيديهم ، وأنه يشكر لهم ويزيدهم انعاما .. وكالوا
نزلوا ببر الجيزة . وحضر حسن بيك الى الباشا ،
فطلب كبار العرب ليخلع عليهم ويكسوهم . فلما
حضروا اليه أمر بحبسهم واحضار الغنيمة من ناحية
الفيوم بتمامها ، فأحضروها بعد أيام وأطلقهم .
فيقال ان الأغنام ستة عشر ألف رأس ، أو أكثر ،
ومن الجمال ثمانية آلاف جبل وناقة . وقيل أكثر
من ذلك .

وفيه : نجزت عمارة السواقي التي أنشأها
الباشا بالأرض المعروفة برأس الوادي ، بناحية
شرقية بليس ... قيل انها تزيد على ألف ساقية ،
وهي سواقي دواليب خشب تعمل في الأرض التي
يكون منبع الماء فيها قريبا . واستمر الصنّاع مدة
مستطلة في عمل آلاتها عند بيت الجبجي — وهو
بيت الرزاز الذي جهة التبانة بقرب المحجر —
وتحمل على الجمال الى الوادي ، وهناك المباشرون
للعمل المقيدون بذلك . وغرسوا بها أشجار التوت
الكثيرة لتربية دود القز واستخراج الحرير ، كما
يكون بنواحي الشام وجبل الدروز .

ثم برزت الأوامر الى جميع بلاد الشرقية بأشخاص
أنفار من الفلاحين البطالين الذين لم يكن لهم أطياف
فلاحة يستوطنون بالوادي المذكور ، وتبنى لهم
كفور يسكنون فيها ، ويتعاطون خدمة السواقي
والمزارع ، ويتعلمون صناعة تربية القز والحرير .
واستجلب أناسا من نواحي الشام والجبل — من
أصحاب المعرفة بذلك — ويرتب للجميع نفقات

الى حين ظهور النتيجة ، ثم يكولون شركاء في ربح
المتحصل .

ولما برزت المراسيم يطلب الأشخاص من بلاد
الشرق ، أشيع في جميع قرى الأقاليم المصرية
اشاعات ، وتقولوا أقاويل ، منها : أن الباشا يطلب
من كل بلدة عشرة من الصبيان البالغين وعشر من
البنات ، يزوجهن بهن ، ويمهرهن من ماله ، ويرتب
لهم نفقات الى بدو صلاح المزارع !

ثم أشاعوا الطلب للصبيان الغير مختونين
ليرسلهم الى بلاد الافرنج ليتعلموا الصنائع التي لم
تكن بأرض مصر . وشاع ذلك في أهل القرى ،
وثبت ذلك عندهم ! فختن الجميع صبيانهم .
ومنهم من أرسل ابنه أو بنته وغيبها عند معارفه
بالمدينة ... الى غير ذلك من الأقاويل التي لم
يثبت منها الا ما ذكر أولا من أن المطلوب جلب
الفلاحين البطالين من بلد الشرقية لا غير . وقد
تعمر هذا الوادي بالسواقي والأشجار والسكان
من جميع الأجناس ، وانتشأ دنيا جديدة متسمة
لم يكن لها وجود قبل ذلك ... بل كانت بركة خرابا
وفضاء واسعا .

وفيه : سافر جملة من عساكر الأتراك والمغاربة ،
وكبيرهم ابراهيم أغا — الذي كان كتخدا ابراهيم
باشا ، ثم تولى كشوفية المنوفية — وصحبته
خزينة وجبخانه ومطلوبات لمخدومه .

جداى الآخرة

في اوائله (النصف الثاني من ابريل ١٨١٧ م) :

حضر الى مصر ابن يوسف باشا — حاكم
طرابلس — ومعه أخوه أصغر منه ، يستأذنان
الباشا في حضور والدهما الى مصر فارا من
والده . وكان ولاء على ناحية درنة وبنى غازى ،
فحصل منه ما غير خاطر والده عليه ، وعزم على

أو ادره ، فليذهب الى خان بالموسكى به أربعة من حكماء الافرنج أطباء يداوونه من غير مقابلة شئ . فتعجب الناس من هذا وتحاكوه ، وسعوا الى جهتهم لطلب التداوى .

وفه : حضر ابن باشت طرابلس ، ودخل الى المدينة — وصحبته نحو المائتى نفر من أتباعه — فأنزله الباشا فى منزل أم مرزوق بيك بحارة عابدين ، وأجرى عليه النفقات والرواتب له ولأتباعه .

٢١ منه (٨ مايو ١٨١٧ م) :

وصل خبر الأطباء ومباداتهم الى كتحدا بيك ، فأحضر حكيم باشا وسأله فأنكر معرفتهم ، وأنه لا علم عنده بذلك ، فأمر باحضارهم وسألهم ، فخلطوا فى الكلام ، فأمر باخراجهم من البلدة ، ونفهم فى الحال ، وذهبوا الى حيث شاء الله ... ولو فعل مثل هذه الفعلة بعض المسلمين ، لجوزى بالقتل أو الخازوق !

وكان صورة جلوسهم أن يجلس أحدهم خارج المكان والآخر من داخل ، وبينهما ترجمان . ويأتى مريد العلاج الى الأول — وهو كأنه الرئيس — فيجس نبضه أو ييضه ، وكأنه عرف علته ، ويكتب له ورقة فيدخل مع الترجمان بها لآخر يداخل المكان ، فيعطيه شيئا من الدهن أو السفوف أو الحب المركب ، ويطلب منه اما قرشا أو قرشين أو خمسة بحسب الحال ... وذلك ثمن الدواء لاغير !

وشاع ذلك ، وتسامع الناس — وأكثرهم معلول ! ومن طبيعتهم التقليد والرغبة فى الوارد الغريب — فتكاثروا وتزاحموا عليهم ، فجمعوا فى الأيام القليلة جملة من الدراهم . واستلطف الناس طريقتهم هذه بخلاف ما يفعله الذين يدعون التطيب من الافرنج . واصطلحهم :

أن يحدد عليه ! فأرسل أولاده الى صاحب مصر بهدية ، ويستأذن فى الحضور الى مصر والاتجاء اليه . فأذن له فى الحضور . وهو ابن أخى الذى بمصر أولا ، وسافر مع الباشا الى الحجاز ، ورجع الى مصر ، واستمر ساكنا بالسبع قاعات .

وفيه : وصل الخبر بأن ابراهيم أغا ، الذى سافر مع الجردة ، لما وصل الى العمبة أمر من بصحبته من المغاربة والعسكر بالرحيل . فلما ارتحلوا ركب هو فى خاصته وذهب على طريق الشام .

١٦ منه (٣ مايو ١٨١٧ م) :

وصل جراد كثير ليلا ، ونزل بستان الباشا بشبرا ، وتعلق بالأشجار والزهور ، وصاحت الخولة والبستانجية : وأرسل الباشا الى الحسينية وغيرها ، فجمعوا مشاعل كثيرة وأوقدوها ، وضربوا بالطبول والصنوج النحاس لطرده . وأمر الباشا لكل من جمع منه رطلا فله قرشان ، فجمع الصبيان والفلاحون منه كثيرا !

١٩ منه (٦ مايو ١٨١٧ م) :

وصل قبل الغروب جراد كثير من ناحية المشرق ، مارا بين السماء والأرض مثل السحاب ، وكان الريح ساكنا فسبقت منه الكثير على الجنائن والمزارع والمقائى . فلما كان فى نصف الليل هبت رياح جنوبية ، واستمرت ، واشتد هبوبها عند انتصاف النهار ، وأثارت غبارا أصفر وعبوقا بالجو ، ودامت الى بعد العصر يوم السبت ، فطردت ذلك الجراد وأذهبت ... فسبحان الحكيم المدير اللطيف !

٢٠ منه (٧ مايو ١٨١٧ م) :

طاف مناد أعمى بقوده آخر بالأسواق ، ويقول فى ندائه : « من كان مريضا أو به رمد أو جراحة

رجب

٢ منه (١٩ مايو ١٨١٧ م - ١٢ بشنس ١٥٣٣ ق) :

قبل الغروب بنحو ساعة ، تغير الجو بسحاب وقتام ، وحصل رعد متتابع ، وأعقبه مطر بعد الغروب . ثم انجلى ذلك .

والسبب في ذكر مثل هذه الجزئية شيئان : الأول وقوعها في غير زمانها لما فيه من الاعتبار بخرق العوائد . الثاني : الاحتياج اليها في بعض الأحيان في العلامات السماوية ، وبالأكثر في الوقائع العامية . فان العامة لا يؤرخون غالبا بالأعوام والشهور ، بل بحادثة أرضية أو سماوية ، خصوصا اذا حصلت في غير وقتها ، أو ملحمة أو معركة أو فصل أو مرض عام أو موت كبير أو أمير افاذا سئل الشخص عن وقت مولده أو مولد ابنه أو ابنته أو موت أبيه أو سنة بلوغه سن الرشد ، يقول : كان بعد الحادثة الفلانية بكذا من الأيام . ثم لا يدرى في أى شهر أو عام ... وخصوصا اذا طال الزمان بعدها .

وقد تكرر الاحتياج الى تحرير الوقت في مسائل شرعية في مجلس الشرع — في مثل الحضانة ، والعدة ، والنفقة ، وسن اليأس ، ومدة غيبة المفقود — بأن يتفق قولهم على أن الصبى ولد يوم السيل الذى هدم القبور ، أو يوم موت الأمير فلان ، أو الواقعة الفلانية ... ويختلفون في تحقيق وقتها . وعند ذلك يحتاجون الى السؤال ممن عساه يكون أرخ وقتها . وفي غير وقت الاحتياج يسخرون بمن يشغل بعض أوقاته بشئ من ذلك ، لاعتيادهم اهمال العلوم التى كان يعتنى بتدوينها الأوائل ... الا بقدر اقامة الناموس الذى يحصلون به الدنيا . ولولا تدوين العلوم — وخصوصا علم الأخبار — ماوصل اليها شئ منها ، ولا الشرائع الواجبة . ولا

اذا دعى الواحد منهم لمعالجة المريض ، فأول مايبداً به نقل قدمه بدراهم يأخذها اما ريال فرانسة أو أكثر ، بحسب الحال والمقام ، ثم يذهب الى المريض فيجسه ويزعم أنه عرف علته ومرضه ... وربما هول على المريض داءه وعلاجه . ثم يقول على سعيه في معالجته بمقدار من الفرانسة ، اما خمسين أو مائة ، أو أكثر بحسب مقام العليل ، ويطلب نصف الجعالة ابتداء ، ويجعل على كل مرة من الترددات عليه جعالة أيضا ، ثم يزاوله بالعلاجات التى تجددت عندهم ، وهى مياه مستقطرة من الأعشاب أو أدهان ... كذلك يأتون بها للمرضى في قوارير الزجاج اللطيفة فى المنظر يسمونها بأسماء بلغاتهم ، ويعربونها بدهن البادزهر ، وأكسير الخاصة ونحو ذلك فان شفى الله العليل ، أخذ منه بقية ماقوله عليه... أو أماته ، طالب الورثة بياقى الجعالة وثنم الأدوية طبق مايدعيه . واذا قيل له : انه قد مات . قال فى جوابه : « انى لم أضمن أجله ، وليس على الطبيب منع الموت ولا تطويل العمر » وفيهم من جعل له فى كل يوم عشرة من الفرانسة .

وفيه : رأى رايه حضرة الباشا حفر بحر عميق يجرى الى بركة عميقة ، تحفر أيضا بالاسكندرية ، تسير فيها السفن بالغالل وغيرها ... ومبدؤها من مبدأ خليج الأشرفية عند الرحمانية . فطلب لذلك خمسين ألف فأس ومسحة يصنعها صناع الحديد ، وأمر بجمع الرجال من القرى — وهم مائة ألف ، فلاح — توزع على القرى والبلدان للعمل والحفر بالأجرة . وبرزت الأوامر بذلك ، فارتبك أمر الفلاحين ومشايخ البلاد ، لأن الأمر برز بحضور المشايخ وفلاحهم . فشرعوا فى التشهيل وما يتزودون به فى البرية ، ولا يدرون مدة الاقامة : فمنهم من يقدرها بالسنة ، ومنهم بأقل أو أكثر .



ابراهيم .. في حروبه مع الوهابية

١٨ منه (٤ يونية ١٨١٧ م) :

سافر الباشا الى أسكلة السويس — وصحبته
السيد محمد المحروقي — ليتلقى سفائنه الواصلة
بالبضائع الهندية .

شعبان

فيه : رجع الباشا من السويس ، وأخلوا
للبضائع الواصلة ثلاث خانات توضع في
حواصلها ، ثم توزع على الباعة بالثمن الذي
يفرضه .

يشك شك في فوائد التدوين وخصائصه بنص
التنزيل قال تعالى : « وكلا نقض عليك من أنباء
الرسل ما ثبت به قوادك وجاءك في هذه الحق
وموعظة وذكرى للمؤمنين » .

١٠ منه (٢٧ مايو ١٨١٧ م) :

وصلت هجانة وأخبار عن ابراهيم باشا من
الجزاز : بأنه وصل الى محل يسمى الموتان ، فوق
بينه وبين الوهابية ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأخذ
منهم أسرى وخياما ومدفعين . فضربوا لتلك
الأخبار مدافع سرورا بذلك الخبر .

وفيه : وصل الخبر أيضا بوصول سفائن الى بندر جدة ، وفيها ثلاثة من الفيلة .

وفيه : قوى اهتمام الباشا لحفر الترعة الموصلة الى الاسكندرية كما تقدم ، وأن يكون عرضها عشرة أقصاب ، والعمق أربعة أقصاب بحسب علو الأراضي وانخفاضها .

وتعينت كشاف الأقاليم لجمع الرجال ، وفرضوا أعدادهم بحسب كثرة أهل القرية وقلتها ، وعلى كل عشرة أشخاص شخص كبير . وجمعت الغلقان ، ولكل غلق فأس وثلاثة رجال لخدمته ، وأعطوا كل شخص خمسة عشر قرشاً ترحيلة ، ولكل شخص ثلاثون نصفاً في أجرته كل يوم وقت العمل . وحصل الاهتمام لذلك في وقت اشتغال الفلاحين بالحصيدة والدراس ، وزراعة الذرة التي هي معظم قوتهم . وشرعوا في تشييل احتياجاتهم وشراء القرب للماء ... فإن بتلك البرية لا يوجد الماء الا ببعض الحفائر التي يحفرها طالب الماء ، وقد تخرج مألحة لأنها أراض مسبعة .

وتعين جماعة من مهندسخانة ، ونزلوا مع كبيرهم لمساحتها وقياسها ، فقاموا من فم ترعة الأشرفية حيث الرحمانية ، الى حد الحفر المراد بقرب عمود السوارى الذى بالاسكندرية ، فبلغ ذلك ستة وعشرين ألف قصبة ثم قاموا من أول الترعة القديمة المعروفة بالناصرية — وابتدأوها من المكان المعروف بالعطف عند مدينة فوة — فكان أقل من ذلك ، ينقص عنه خمسة آلاف قصبة وكسر . فوقع الاختيار على أن يكون ابتداءها هناك .

وفى أثناء ذلك : زاد النيل قبل المنادة عليه بالزيادة — وذلك في منتصف بؤونة القبطى — وغرق المقائى من البطيخ والخيار والبدلاوى ، وأهمل أمر الحفر في الترعة المذكورة الى ما بعد

النيل ، واستردت الدراهم التي أعطيت للفلاحين لأجل الترحيلة ! وفرحوا بذلك الاهمال . وقد كان أطلق الباشا لمصارفها أربعة آلاف كيس من تحت الحساب ، ورجع المهندسون الى مصر وقد صوروا صورتها في كواغد ليطلع عليها الباشا عيانا ، وكان رجوعهم في ثامن عشر شعبان .

وفيه : تقلد ابراهيم آغا — المعروف بأغات الباب — أمر تنظيم الأصناف والمحدثات وعمل معدلاتها ، لبيان سرقات ومخفيات المتقلدين أمر كل صنف من الأصناف ، بعد البحث والتفتيش والتفحص على دقائق الأشياء .

وفيه : وصل نحو المائتى شخص من بلاد الروم ... أرباب صنائع : معمرين ، ونجارين ، وحدادين ، وبنائين . وهم ما بين أرمنى ونجريجى ، ونحو ذلك .

وفيه أيضا : اهتم الباشا ببناء حائطين بحرى رشيد — عند الطينة على يمين الغاز وشماله — لينحصر فيما بينهما الماء ، ولا تطفى الرمال وقت ضعف النيل ، ويقع بسبب ذلك العطب للمراكب وتلف أموال المسافرين ، وقد كمل ذلك في هذا الشهر . وهذه القعلة من أعظم الهمم الملوكية التي لم يسبق بمثلها .

السبت ٢٠ منه (٥ يولية ١٨١٧ م) :

شنت شخص بيباب زويلة بسبب الزيادة في المعاملة ، وعلقوا بأنفه ريال فرائسة .. مع أن الزيادة سارية في المبيعات والمشتريات من غير انكار !

وفيه أيضا : خرم المحتسب آتاف أشخاص من الجزارين في نواحي وجهات متفرقة وعلق في آتافهم قطعا من اللحم . وذلك بسبب الزيادة في ثمن اللحم ، وبيعهم له بما أجبوه من الثمن في بعض

يرحمهم ، ولا يهملهم » ! فوق اختياره على مصطفى كاشف كرد هذا ، فقلده ذلك ، وأطلق له الأذن .

فعند ذلك ركب في كبكبة ، وخلفه عدة من الخيالة ، وترك شعار المنصب من المتقدمين والخدم الذين يتقدمونه ، وكذلك الذى أمامه بالميزان ، ومن بأيديهم الكراييج لضرب المستحق والمنقص فى الوزن . وبات يطوف على الساعة ، ويضرب بالدبوس هشما يأذنى سبب ، ويعاقب بقطع شحمة الأذن . فأغلقوا الجوانيت ، ومنعوا وجود الأشياء — حتى ماجرت به العادة فى رمضان ، من عمل الكعك والرقاق المعروف بالسحير وغيره — فلم يلتفت لامتناعهم وغلقهم الجوانيت ، وزاد فى العسف ، ولم يرجع عن سعيه واجتهاده . ولازم على السعى والطواف ليلا ونهارا ، لايام الليل ... بل ينام لحظة وقت ما يدرکه النوم فى أى مكان ، ولو على مصطبة حانوت !

وأخذ يتفحص على السمن والجبن ونحوه ، المخزون فى الحواصل ، ويخرجه ، ويدفع ثمنه لأربابه بالسعر المفروض ، ويوزعه لأرباب الجوانيت ليعيروه على الناس بزيادة نصف أو نصفين فى كل رطل .

وذهب الى بولاق ومصر القديمة ، فاستخرج منهما سنا كثيرا ... ومعظم ذلك فى مخازن للعسكر . فان العسكر كانوا يرصدون الفلاحين وغيرهم ، فيأخذونه منهم بالسعر المفروض — وهو مائتان وأربعون فى العشرة منه — ثم يبيعونه على المحتاجين اليه بما أجبوا من الزيادة الفاحشة ... فلم يراع جانبهم ، واستخرج مخبأتهم قهرا عنهم . ومن خالف عليه منهم ، ضربه وأخذ سلاحه ، ونكل به .

وذهب فى بعض الأوقات الى بولاق فأخرج من حاصل بيع الوكائل ثلثمائة وخمسين ماعونا

الأماكن خفية ... لأن الجزارين اذا نزلوا باللحم من المذبح — وأكثره هزيل ونعاج ومعر ، والقليل من المناسب الجيد — فيعلقون الردىء بالحوانيت ويبيعونه جهارا بالثمن المسعر ، ويخفون الجيد ويبيعونه فى بعض الأماكن بما يحبون .

الخميس ٢٥ منه (١٠ يولية ١٨١٧ م) :

وصلت الأفيال الثلاثة من السويس — أحدها كبير عن الاثنين ، ولكن متوسط فى الكبر — فعبروا بها من باب النصر ، وشقوا من وسط المدينة ، وخرجوا بها من باب زويلة على الدرب الأحمر ، وذهبوا بها الى قراميدان . وهرولت الناس والصبيان للفرجة عليها ، وذهبوا خلفها ، وازدحموا فى الأسواق لرؤيتها ... وكذلك العسكر والدلاة ، ركبانا ومشاة ، وعلى ظهر الفيل الكبير مقعد من الخشب .

رمضان

الثلاثاء غرته (١٥ يولية ١٨١٧ م) :

عملت الرؤية تلك الليلة ، وركب المحتسب ، وكذا مشايخ الحرف كعادتهم . وأثبتوا رؤية الهلال تلك الليلة ، وكان عسر الرؤية جدا .

وفى صبح ذلك اليوم : عزل عثمان آغا الوردانى من الحسبة ، وتقلدها مصطفى كاشف كرد ... وذلك لما تكرر على سماع الباشا أفعال السوفة وانحرافهم ، وقلة طاعتهم ، وعدم مبالاتهم بالضرب والايذاء وخزم الأنوف والتجريس ... قال فى مجلس خاصته : « لقد سرى حكى فى الأقاليم البعيدة فضلا عن القرية ، وخافنى العربان وقطاع الطريق وغيرهم ... خلاف سوقة مصر ، فانهم لا يرتدعون بما يفعله فيهم ولالة الحسبة من الاهانة والايذاء ، فلا بد لهم من شخص يقهرهم ولا

لكثير من العسكر . فحضر اليه بطائفته ، فلم يلتفت اليه ووبخه ، وقال له : « أأنتم عساكر ... لكم الرواتب والملائف واللحوم والأسمان وخلافها ، ثم تحتكرون أيضا أقوات الناس وتبيعونها عليهم بالثمن الزائد » ! وأعطاه الثمن المفروض ، وحمل المواعين على الجمال الى الأمكنة التي أعدها لها عند باب الفتوح .

وعندما رأى أرباب الخوانيت الجد وعدم الاهتمام ، والتشديد عليهم — فتح المغلق منهم حانوته ، وأظهروا مخبأتهم أمامهم ، وملأوا السدريات والطسوت من السمن وأنواع الجبن ... خوفا من بطش المحتسب ، وعدم رحمة بهم . ويقف بنفسه على باعة البطيخ والقاوون !

الثلاثاء ١٥ منه (٢٩ يولية ١٨١٧ م) :

وصلوا برمة ابراهيم يسك الكبير من دققة . وذلك أنه لما وصل خبر موته استأذنت زوجته أم ولده الباشا في إرسالها امرأة تدعى تقيسة لاحضار رمته . فأذن بذلك ، وأعطى المتسفرة ، فيما بلغنا ، عشرة أكياس ، وكتب لها مكاتبات لكشاف الوجه القبلى بالمساعدة . وسافرت وحضرت به في تابوت — وقد جف جلده على عظمه لتخافته — وذلك بعد موته بنحو ستة شهور . وعملوا له مشهدا وأمامه كفارة ، ودفنوه بالقرافة الصغرى عند ابنه مرزوق بك .

الخميس ١٧ منه (٢١ يولية ١٨١٧ م) :

طلب المحتسب حجاج الخضرى ، الشهبير بنواحي الرميلة ، فأخذه الى الجبالية ، وشنقه على السبيل المجاور لحارة المبيضة ، وذلك في سادس ساعة من الليل وقت السحور ، وتركوه معلقا لمثلها من الليلة القابلة ! ثم أذن برفعه ، فأخذه أهله ودفنوه .

وحجاج هو الذى تقدم ذكره غير مرة في واقعة خورشيد باشا وغيرها . وكان مشهورا بالاقدام والشجاعة ، طويل القامة ، عظيم الهمة . وكان شيخا على طوائف الخضرية ، صاحب صولة وكلمة بتلك النواحي ، ومكارد أخلاق . وهو الذى بنى البوابة بآخر الرميلة عند عرصة الغلة أيام الفتنة ، واختفى مرارا ، بعد تلك الحوادث ، وانضم الى الألفى ، ثم حضر الى مصر بأمان . ولم يزل على حاله في هدو وسكون ، ولم يؤخذ في هذه بجرم فعله يوجب شنقه ... بل قتل مظلوما لحقد سابق ، وزجرا لغيره !

الاثنين ٢٨ منه (١١ اغسطس ١٨١٧ م — ٦ مسرى ١٥٣٣ ق) :

أوفى النيل أذرعه بالوفاء ، وكسر السد — صبح يوم الثلاثاء — بحضرة كتخدا بك والقاضى وغيره ، وجرى الماء في الخليج ، ولم يقع فيه مهرجان مثل العادة .

هذا والمحتسب مواظب على السروح ليلا ونهارا ، ويعاقب بجرح الآذان والضرب بالدبوس ، وأقعد بعض صناع الكنافة على صوانهم التي على النار ، وأمر بكس الأسواق ومواظبة رزاشها بالماء ، ووقود القناديل على أبواب الدور ، وعلى كل ثلاثة من الخوانيت قنديل .

ويركب آخر الليل ، ثم يذهب الى بولاق ، ليتلقى الواردين بالبطيخ الأخضر والأصفر ، ويعرف عدة الشروات ، ويأمرهم بدفع مكوسها المفروض ، ثم يأمرهم بالذهاب الى مراكز بيعهم ... ولا يبيعون شيئا حتى يأتيهم بنفسه ، أو بحضرة من يرسله من طرفه . ثم يعود طائفا عليهم فيحصي ما في فرش أحدهم عددا ، ويميز الكبير بثن والصغير بثن ، ويترك عند البائع من يباشره ، أو يقف هو بنفسه ، ويبيع على الناس بما فرضه ، ويعطى لمصاحبه

حتى البيطارية والبزدرية ، ومعلمو الأطفال في المكاتب ، ومعلمو السباحة في الماء ، والنظر في وسق المراكب في الأسفار ، وأعمال الدواب في نقل الأشياء ومقادير روبا الماء ، مما يطول شرحه . وفي ذلك مؤلف للشيخ ابن الرفعة . وقد يسهل بعض ذلك مع العدالة ، وعدم الاحتكار ، وطمع المتولى وتطلعه لما في أيدي الناس وأرزاقهم . وما يحكى : أن الرشيد سأل الليث بن سعد فقال له : « يا أبا الحرث ... ما صلاح بلدكم ؟ » يعنى مصر . فقال له : « أما صلاح أمرها ومزارعها فبالنيل . وأما أحكامها ... فمن رأس العين يأتى الكدر » ١٠

في أواخره (حوالى منتصف اغسطس ١٨١٧ م) :

زاد المحتسب في نعمات الطنبور ، وهو أنه أرسل مناديه في مصر القديمة ينادى على نصارى الأرمن والأروام والشوام : بإخلاء البيوت التى عمروها وزخرفوها ، وسكنوا بها بالانشاء والملك والمأجرة ... المظلة على النيل ، وأن يعودوا الى زيهم الأول من لبس العمام الزرق ، وعدم ركوبهم الخيول والبغال والرهوانات الفاراه ، واستخدامهم المسلمين . فتقدم أعاضهم الى الباشا بالشكوى ، وهو يراعى جانبهم لأنهم صاروا أخصاء الدولة وجلساء الحضرة ، ولدناء الصجبة . وأيضا : نادى مناديه على المردان ، ومحلقى اللحى : بأنهم يتركونها ولا يحلقونها . وجميع العسكر ، وغالب الأتراك ، ستهم حلق اللحى — ولو طعن في السن — فأشيع فيهم أن يأمرهم بترك لحاهم ، وذلك خرم لقواعدهم ... بل يرويه من الكبائر . وكذلك السيد محمد المحرقى بسبب تعرضه الى بضائع التجار وأهل الغورية ، فإن ذلك منوط به .

وفي أثناء ذلك ، ورد الى عابدين بيك مواعين

الثن والريح ، فبراه قد ربح العشرة قروش وأكثر بعد مكسه ومصارفه ، فيقول له : « أما يكفى مثلك ربح هذا القدر حتى تطمع أيضا في الزيادة عليه ؟ » وهو مع ذلك يكر ويطوف على غيره .

ويخلق على ما يرد من السمن الوارد الذى تقرر على المزارعين ، فيزنه منهم بالسعر المفروض — وهو أربعة وعشرون نصفا الرطل — ويرد عليهم الفوارغ ، ويعطيه للبائع بالثن المقرر — وهو ستة وعشرون — وهم يبيعونه بزيادة نصفين في كل رطل — وهو ثمانية وعشرون — ويناله الناس بأسهل وجدان ، سبالا من الخطط والغش ، ويأمرهم باعادة ما عسى يوجد فيه من المرة والعمار الى مواعينه ليوزن مع فوارغه .

ورصد أيضا ما يرد للناس — ولو لأكابر الدولة — من السمن ، فيطلق البعض ، ويأخذ الباقى بالثن . وكذلك ما يأتهم من البطيخ والدجاج ولو كان لصاحب الدولة ، حسب اذنه له بذلك — كل ذلك للحرص على كثرة وجدان الأشياء .

وتعدت أحكامه الى بضائع التجار والأقمشة الهندية وأهل مرجوش والمحلاوية وخلافهم ، وطلب قوائم مشترواتهم ، والنظر في مكاييلهم . فضاق خناق أكثر الناس من ذلك ، لكونهم لم يعتادوه من محتسب قبله . وكأنه وصله خبر ولادة الحسبة وأحكامهم في الدول المصرية القديمة : فان وظيفة أمين الاحتساب وظيفة قضاء ، وله التحكم والعدالة ، والتكلم على جميع الأشياء .

وكان لا يتولاها الا المتضلع من جميع المعارف والعلوم والقوانين ونظام العدالة ، حتى على من يتصدر لتقرير العلوم . فيجسر مجلسه ويباحثه ، فانه وجد فيه أهلية للالقاء أذن له بالتصدر ، أو منعه حتى يستكمل . وكذلك الأطباء والجراحية ...

السبت ١٠ منه (٢٣ اغسطس ١٨١٧ م) :

نزلوا بكسوة الكعبة من القلعة ، وشقوا بها من وسط الشارع إلى المشهد الحسيني .

السبت ١٧ منه (٣٠ اغسطس ١٨١٧ م) :

أداروا المحمل ، وخرج أمير الركب إلى خارج باب النصر ، ووصلت حجاج كثيرة من فاحية المغرب إلى بر انبابة وبولاق ، وطفقوا يشترون الأغنام من الفلاحين ويذبحونها ويبيعونها ببولاق وطرقها على الناس جزافا من غير وزن . ويذهب الكثير من الناس إلى الشراء منهم فيقعون في الغبن الفاحش والزيادة على السعر بالضعف وأكثر . وضرورتهم في الشراء منهم ، رداءة ما يحصله القصابون من المذبح من أغنام الباشا المحضرة من البلاد والقرى ، وقد هزلت من السفر والاقامة بالجوع والعطش ، ويموت الكثير منها فيسلخونه ويزنونه على الجزارين بالبيع للناس . وفيه المتغير الرائحة ، وما تعافه النفوس . فبسبب ذلك اضطر الناس إلى الشراء من هؤلاء الأجناس بالغبن ، وتحمل سوء أخلاقهم . وحصل بينهم وبين بعض العسكر شرور ، وقتل بينهم قتلى ومجاريح ... والباشا وحكام الوقت يتغافلون عنهم خوفا من وقوع الفتن . ثم ارتحلوا لأنهم كثروا وملأوا الأزقة والنواحي .

وحضر أيضا الركب الفاسي ، وفيه ولدا السلطان سليمان ومن يصحبهما ، فأحسن الباشا نزلهم ، وتقيد السيد محمد المحروقي ببلاقاتهم ولوازمهم . وأنزلوهم في منزل بجوار المشهد الحسيني ، وأجريت عليهم نفقات تليق بهم ، وأهديا للباشا هدية وفيها عدة بغال وبرانس حرير ، وغير ذلك .

الأربعاء ٢٨ منه (١٠ سبتمبر ١٨١٧ م) :

ارتحل الحج المصري من البركة ، وكانت الحجوج في هذه السنة كثيرة من سائر الأجناس :

سمن ، فأرسل الجمال إلى حملها من ساحل بولاق ، فبلغ خبرها المحتسب ، فأخذها وأدخلها مخزنه ، وعادت الجمال فارغة . وأخبروا مخدمهم بحجز المحتسب لها ، فأرسل عدة من العسكر فأخرجوها من المخزن وأخذوها ولم يكن المحتسب حاضرا . واتفق أنه ضرب شخصا من عسكر المذكور أرثوودي بالدبوس حتى كاد يموت ، فاشتد بعابدين بيك الحنق ، وركب إلى كتخدا بيك وشنع على المحتسب . وتعددت الشكاوى ، وصادفت في زمن واحد ... فأنهى الأمر إلى الباشا ، فتقدم إليه بكف المحتسب عن هذه الأفعال ، فأحضره الكتخدا وزجره ، وأمره ألا يتعدى حكمه الباعة ، ومن كان يسرى عليهم أحكام من كان في منصبه قبله ، وأن يكون أمامه الميزان ، ويؤدب المستحق بالكراييج دون الدبوس .

سؤال

الخميس غرته (١٤ اغسطس ١٨١٧ م) .

ترك المحتسب السروح في أيام العيد . وأشيع بين السوق عزله ، فأظهروا الفرح ، ورفعوا ما كان ظاهرا بين أيديهم من السمن والجبن وأخفوه عن الأعين ، ورجعوا إلى حالتهم الأولى في الغش والخيانة وغلاء السعر ، وأغلق بعضهم الحانوت ، وخرجوا إلى المنتزهات وعملوا ولائم .

الأحد ٤ منه (١٧ اغسطس ١٨١٧ م) :

شنعوا عدة أشخاص في أماكن متفرقة قيل أنهم سراق وزغلية ، وكانوا مسجونين في أيام رمضان . ولم يركب المحتسب حسب الأمر ، بل أركب خازن داره ، وشق بالميزان عوضا عنه ، ثم ركب هو أيضا ، وبیده الدبوس ، لكن دون الحالة الأولى في الجبروت ، ولم يسر حكمه على النصارى فضلا عن غيرهم .

أتراك ، وطر ، وبشناق ، وجركس ، وفلاحين ،
ومن سائر الأجناس . ورجع الكثير من المسافرين
على بحر القلزم الى الحجاز من السويس لقلة
المراكب التى تحملهم ، وغصت المدينة من كثرة
الزحام ... زيادة على ما بها من ازدحام العساكر
وأخلاق العالم : من فلاحي القرى المشيعين
والسافرين ، ومن يرد من الآفاق والبلاد الشامية ،
ونصارى الروم والأرمن ، والدلاة ، والواردين ،
والذين استدعاهم اليأشام من الدروز ، والمتنولة
والنصيرية وغيرهم ، لعمل الصنائع والمزارع وشغل
الحرير ، وما استجده بوادى الشرق ... حتى ان
الانسان يقاسى الشدة والهول اذا مر بالشارع من
كثرة الازدحام ، ومرور الحياة وحير الأوسية
والجمال التى تحمل الأتربة والأقراض والأحجار
لمعائر الدولة ، سوى من عداها من حمول الأخطاب
والبضائع والتراسين ... حتى الزحمة فى داخل
العطف الضيقة !

وزيادة على ذلك كثرة الكلاب ! بحيث يكون
فى القطعة من الطريق نحو الحسين ثم صياحها
وبباحها المستمر - وخصوصا فى الليل - على
المارين ، وتشاجرها مع بعضها ، مما يزعج
النفوس ، ويمنع الهجوع !

وقد أحسن الفرنسيون بقتلهم الكلاب : فانهم
لما استقروا ، وتكرر مرورهم ، ونظروا الى كثرة
الكلاب من غير حاجة ولا منفعة سوى الهبة
والعواء - وخصوصا عليهم لغرابة أشكالهم -
فطاف عليها طائف منهم باللحم المسموم ، فما أصبح
النهار الا وجميعها موتى مطروحة بجميع
الشوارع فكان الناس والصغار يسحبونها كذا
بالجبال الى الخلاء ، واستراحت الأرض ومن فيها
منها فآله يكشف عنا مطلق الكرب فى الدنيا
والآخرة بمنه وكرمه .

ذوالقعدة

٥ منه (١٦ سبتمبر ١٨١٧ م) :

ارتحل ركب الحجاج المغاربة من الحصوة .

اواخره (اوائل اكتوبر ١٨١٧ م) :

حصل الأمر للفقهاء بالأزهر بقراءة صحيح
البخارى . فاجتمع الكثير من الفقهاء والمجاورين ،
وفرقوا بينهم أجزاء وكراريس من البخارى يقرأون
فيها فى مقدار ساعتين من النهار بعد الشروق .
فاستمروا على ذلك خمسة أيام ... وذلك بقصد
حصول النصر لابراهيم باشا على الوهاية ! وقد
طالت مدة انقطاع الأخبار عنه ، وحصل لأبيه قلق
زائد ولما انقضت أيام قراءة البخارى ، نزل
للفقهاء عشرون كيسا فرقت عليهم ، وكذلك على
أطفال المكاتب .

ذوالحجة

الأربعاء ٤ منه (١٥ اكتوبر ١٨١٧ م) :

شقوا أشخاصا قيل انهم خمسة ، ويقال انهم
جرامية .

وفيه : أرسلت الأفيال الثلاثة الى دار السلطنة
صحبة الهدايا المرسله . ثلاثة سروج ذهب ، وفيها
سرج مجوهر ، وخيول ، وكباش ، وتقود ، وأقمشة
هندية ، وسكاكر وأرز .

وفيه وصل فيل آخر كبير ، مربوا به من وسط
المدينة ، وذهبوا به الى رحبة بيت السيد محمد
المحروقى .. وقفوا به فى أواخر النهار ، والناس
تجتمع للفرجة عليه الى أواخر النهار ثم طلعوا به
الى القلعة وأوقفوه بالطبخانة ، وهى محل عمل
المدافع

وحضر بصحبته شخص يدعى العلم والمعرفة
بالطب والحكمة ، ومعه مجلد كبير فى حجم الوسادة

يحتوى على الكتب الستة الحديثة ، وخطه دقيق ، قال انه نسخه بيده . ونزل بيت السيد محمد المحروقي ، وركب له معجون الجواهر أنفق فيه جملة من المال ، وكحلا . وركب أيضا تراكيب لغيره ، وشرط عليهم في الاستعمال بعد مضي ستة أشهر ، وشيء منها بعد شهرين وثلاثة . وأقام أياما ، ثم سافر راجعا الى صنعاء .

الثلاثاء ١٠ منه (٢١ أكتوبر ١٨١٧ م) :

كان عيد النحر ، ولم يرد فيه مواشى كثيرة ، كالأعياد السابقة ، من الأغنام والجواميس التي تأتي من الأرياف ، فكانت تزدهم منها الأسواق لكثرتها ، والوكائل والرميلة ... فلم يرد الا النزر القليل قبل النحر بيومين ، ويباع بالثمن الغالى . ولم يذبح الجزارون في أيام النحر للبيع كماداتهم ... الا القليل منهم ، مع التحجير على الجلود وعلى من يشتريها ، وتباع لطرف الدولة بالثمن الرخيص جدا ...

وانقضت السنة ... مع استمرار ما تجدد فيها من الحوادث التي منها ما حدث في آخر السنة : من الحجر وضبط أنوال الحباكة ، وكل ما يصنع بالملكوك ، وما ينسج على نول أو نحوه من جميع الأصناف من ابرسم ، أو حرير ، أو كتان — الا الخيش والفل والحصير — في سائر الاقليم المصرى ، طولا وعرضا ، قبلى وبحرى : من الاسكندرية ودمياط الى أقصى بلاد الصعيد والفيوم ، وكل ناحية تحت حكم هذا المتولى .

وانتظمت لهذا الباب دواوين بيت محمود بيك الخازندار ، وأياما بيت السيد محمد المحروقي ، وبحضرة من ذكر والمعلم غالى . ومتولى كبير ذلك ، والمفتش لأبوابه : المعلم يوسف كنعان الشامى ، والمعلم منصور أبو سريمون القبطى . ورتبوا لضبط ذلك كتابا ومباشرين يتقرون بالنواحى والبلدان

والقرى ، وما يلزم لهم من المصاريف والمعاليق والمشاهرات ما يكفيهم في نظير تقيدهم وخدمتهم . فيمضى المتعينون لذلك فيحصون ما يكون موجودا على الأنوال بالناحية ، من القماش والبز والأكسية الصوف المعروفة بالزعاييط والدفاقي ، ويكتبون عدده على ذمة الصانع ، ويكون ملزوما به ... حتى اذا تم لسجه ، دفعوا لصاحبه ثمنه بالفرض الذى يفرضونه . وان أرادها صاحبها ، أخذها من الموكلين بالثمن الذى يقدرونه ، بعد الختم عليها من طرفيها بعلامة الميرى . فان ظهر عند شخص شيء من غير علامة الميرى ، أخذت منه ... بل وعوقب ، وغرم تأديبا على اختلاسه ، وتحذيرا لغيره !

هذا شأن الموجود الحاصل عند النساجين ، واستئناف العمل المجدد : فان الموكل بالناحية ومباشريها يستدعون من كل قرية شخصا معروفا من مشايخها ، فيقيمونه وكيفا ، ويعطونه مبلغا من الدراهم ، ويأمرونه باحصاء الأنوال والشغالين والبطالين منهم في دفتر ، فيأمرون البطالين بالنسج على الأنوال التي ليس لها صناع بأجرتهم كغيرهم على طرف الميرى . ويدفع المتوكل لشخصين أو ثلاثة دراهم يطوفون بها على النساء اللاتي يغزلن الكتان بالنواحي ، ويجعلنه أذرا ، فيشترون ذلك منهن بالثمن المفروض ، ويأتون به الى النساجين ، ثم تجمع أصناف الأقمشة في أماكن للبيع بالثمن الزائد . وجعلوا لمبيعها أمكنة مثل : خان أبو طليقة ، وخان الجلاد . وبه يجلس المعلم كنعان ومن معه ، وغير ذلك .

وبلغ ثمن الثوب القطن ، الذى يقال له البطانة ، الى ثلثمائة نصف فضة ، بعدما كان يشتري بمائة نصف ، وأقل وأكثر ، بحسب الرداءة والجودة ... وأدركناه يباع في الزمن السابق بعشرين نصفا . وبلغ ثمن المقطع القماش الغليظ الى مئتمائة نصف

فضة ، وكان يساع بأقل من ثلث ذلك ... وقس على ذلك باقى الأصناف . وهذه البدعة أشنع البدع المحدثه ، فان ضررها عم الغنى والفقير ، والجليل والحقير . والحكم لله العلى الكبير .

ومنها : أن المشار اليه هدم القصر الذى بالآثار ، وأنشأه على الهيئة الرومية التى ابتدعوها فى عمارتهم بمصر ، وهدموه وعمره وبيضوه فى أيام قليلة . وذلك أنه بات هناك ليلتين فأعجبه هواؤه ، فاختار بناءه على هواه . وعند تمامه وتنظيمه بالفرش والزخارف ، جعل يتردد الى المبيت به بعض الأحيان مع السراى والعلمان ، كما يتنقل من قصر الجيزة وشبرا والأزبكية والقلعة وغيرها من سرايات أولاده وأصهاره . والملك لله الواحد القهار .

ومنها : أن طائفة من الافرنج الانكليز قصدوا الاطلاع على الأهرام المشهورة الكائنة ببر الجيزة غربى القسطنطينية ، لأن طبيعتهم ورغبتهم الاطلاع على الأشياء المستغربات ، والفحص عن الجزئيات ... وخصوصا الآثار القديمة ، وعجائب البلدان والتساوير والتماثيل التى فى المغارات والبرابى بالناحية القبلىة وغيرها . ويطوف منهم أشخاص فى مطلق الأقاليم بقصد هذا الغرض ، ويصرفون لذلك جملا من المال فى نفقاتهم ولوازمهم ومؤاجريهم .

حتى انهم ذهبوا الى أقصى الصعيد ، وأحضروا قطع أحجار عليها نقوش وأقلام وتساوير ، ونواويس من رخام أبيض ، كان بداخلها موتى باكتافها وأجسامها باقية بسبب الأطلية والأدهان الحافظة لها من البلى ، ووجه المقبور مصور على تمثال صورته التى كان عليها فى حال حياته ، وتماثيل آدمية من الحجر السناقى الأسود المنقط الذى لا يعمل فيه الحديد جالسين على كراسى ، واضعين أيديهم على الركب ، ويبد كل واحد شبه مفتاح

بين أصابعه اليسرى ، والشخص مع كرميه قطعة واحدة مفرغ معه أطول من قامة الرجل الطويل ، وعلو رأسه نصف دائرة منه فى علو الشبر ... وهم شبه العبيد المشوهين الصورة ، وهم ستة على مثال واحد كأنما أفرغوا فى قالب واحد ، يحمل الواحد منهم الجملة من العتالين ، وفيهم السابع من رخام أبيض جميل الصورة . وأحضروا أيضا رأس صنم كبير ، دفعوا فى أجرة السفينة التى أحضروه فيها ستة عشر كيسا : عنها ثلثائة وعشرون ألف نصف فضة ، وأرسلوها الى بلادهم لتباع هناك بأضعاف ما صرفوه عليها ... وذلك عندهم من جملة المتاجر فى الأشياء الغريبة .

ولما سمعت بالصنور المذكورة ، ذهبت بصحبة ولدنا الشيخ مصطفى باكير ، المعروف بالساعاتى ، وسنيدى ابراهيم المهدي الانكليزى ، الى بيت قنصل بدرب البرابرة بالقرب من كوم الشيخ سلامة جهة الأزبكية ، وشاهدت ذلك كما ذكرته ، وتعجبتنا من صناعتهم وتشابهم ، وصقالة أبدانهم الباقية على ممر السنين ، والقرون التى لا يعلم قدرها الا علام الغيوب .

وأرادوا الاطلاع على أمر الأهرام ، وأذن لهم صاحب المملكة ، فذهبوا اليها ونصبوا خيمة ، وأحضروا القلعة والمساحى والعلقان ، وعبروا الى داخلها ، وأخرجوا منها أتربة كثيرة من زبل الطوطاط وغيره ، ونزلوا الى الزلاقة ، وقلعوا منها ترابا كثيرا وزبلا ، فأتتهوا الى بيت مربع من الحجر المنحوت غير مسلوك — هذا ما بلغنا عنهم — وحفروا حوالى الرأس العظيمة التى بالقرب من الأهرام ، التى تسميها الناس رأس أبى الهول ، فظهر أنه جسم كامل عظيم من حجر واحد ، ممتد كأنه راقد على بطنه ، رافع رأسه — وهى التى يراها الناس — وباقى جسمه مغيب بما انهال عليه من الرمال ، وساعده من مرفقيه ممتدان أمامه ،

وبينهما شبه صندوق مربع الى استطالة ، من سباق أحمر عليه نقوش شبه قلم الطير : في داخله صورة سبع مجسم من حجر مدهون بدهان أحمر رابض ، باسط ذراعيه في مقدار الكلب ، رفعوه أيضا الى بيت القنصل ، ورأيته يوم ذاك . وقيس المرتفع من جسم أبي الهول من عند صدره الى أعلى رأسه ، فكان اثنين وثلاثين ذراعا ، وهى نحو الربع من باقى جسمه ، وأقاموا في هذا العمل نحو من أربعة أشهر .

وأما من مات في هذه السنة من المشاهير : فمات العالم العلامة ، الفاضل الفهامة ، صاحب التحقيقات الرائقة ، والتأليفات الفائقة ... شيخ شيوخ أهل العلم ، وصدر صدور أهل الفهم ، المتفنن في العلوم كلها ، تقلبها وعقلها وأديبها . اليه انتهت الرئاسة في العلوم بالديار المصرية ، وباهت مصر ما سواها بتحقيقاته البهية . استنبط الفروع من الأصول ، واستخرج نفائس الدرر من بحور المعقول والمنقول ، وأودع الطروس فوائده ، وقلدها عوائد فرائد : الأستاذ الشيخ محمد بن محمد بن أحمد ابن عبد القادر بن عبد العزيز بن محمد السنبأوى ، المالكى الأزهرى ، الشهير بالأمير ، وهو لقب جده الأدنى أحمد . ومببه أن أحمد وأباه عبد القادر كان لهما امرة بالصعيد .

وأخبرنى المترجم من لفظه أن أصلهم من المغرب ، نزلوا بمصر عند سيدى عبد الوهاب أبى التخصيص ، كما أخبر عن ذلك وثائق لهم ، ثم التزموا بحصة بناحية سنبل ، وارتحلوا اليها وقطنوا بها ، وبها ولد المترجم .

وكان مولده في شهر ذى الحجة سنة أربع وخمسين ومائة وألف بأخبار والديه ، وارتحل معهما الى مصر وهو ابن تسع سنين .

وكان قد ختم القرآن ، فجهوده على الشيخ المنير ، على طريقة الشاطبية والدرة ، وحبب اليه طلب العلم . فأول ما حفظ : متن الأجرومية ، وسمع سائر الصحيح والشفاء على سيدى على بن العربى السقاط ، وحضر دروس أعيان عصره ، واجتهد في التحصيل . ولأزم دروس الشيخ الصعبدى في الفقه وغيره من كتب المعقول ، وحضر على السيد البليدى شرح السعد على عقائد النسفى والأربعين النووية ، وسمع الموطأ على هلال المغرب وعالمه : الشيخ محمد التاودى ابن سودة ، بالجامع الأزهر سنة وروده بقصد الحج ، ولأزم المرحوم الوالد حسن الجبرتى سنين ، وتلقى عنه الفقه الحنفى ، وغير ذلك من الفنون : كالهئية ، والهندسة ، والفلكيات ، والأوقاف ، والحكمة عنه ، وبواسطة تلميذه الشيخ محمد بن اسماعيل النفرأوى المالكى . وكتب له اجازة مثبتة في برنامج شيوخه . وحضر الشيخ يوسف الجفنى في آداب البحث وبانت سعاد ، وعلى الشيخ محمد الحفنى أخيه ، مجالس من الجامع الصغير والشمائل والنجم الغيطى في المولد ، وعلى الشيخ أحمد الجوهري في شرح الجوهرة للشيخ عبد السلام ، وسمع منه المسلسل بالأولية ، وتلقى عنه طريق الشاذلية من سلسلة مولاي عبد الله الشريف . وشملته اجازة الشيخ الملوى ، وتلقى عنه مسائل في أواخر أيام انقطاعه بالمنزل .

ومهر وأنجب ، وتصدر لالقاء الدروس في حياة شيوخه ، ونما أمره ، واشتهر فضله — خصوصا بعد موت أشيخه — وشباع ذكره في الآفاق ، وخصوصا بلاد المغرب ، وتأتية الصلات من سلطان المغرب وتلك النواحي في كل عام . ووفد عليه الطالبون للإخذ عنه والتلقى منه ، وتوجه في بعض لمقتضيات الى دار السلطنة ، وألقى هناك دروسا حضره فيها علماءهم ، وشهدوا بفضله ،

واستجازوه وأجازهم بما هو مجاز به من أشياخه .
وصنف عدة مؤلفات اشتهرت بأيدي الطلبة ،
وهي في غاية التحرير ، منها مصنف في فقه مذهب
سماء « المجموع » حاذى به مختصر خليل : جمع
فيه الراجح في المذهب ، وشرحه شرحا نفيسا .
وقد صار كل منهما مقبولا في أيام شيخه
العدوى ... حتى كان اذا توقف شيخه في موضع
يقول : « هاتوا مختصر الأمير » ، وهي منقبة
شريفة . وشرح مختصر خليل ، وحاشية على المغنى
لابن هشام ، وحاشية على الشيخ عبد الباقي على
المختصر ، وحاشية على الشيخ عبد السلام على
الجوهرية ، وحاشية على شرح الشذور لابن هشام ،
وحاشية على الأزهرية ، وحاشية على الشنشوري
على الرحبية في الفرائض ، وحواشي على المعراج ،
وحاشية على شرح المالوي على السمرقندية ،
ومؤلف سماء : مطلع النيرين فيما يتعلق بالقدرتين ،
واتحاف الأنس في الفرق بين اسم الجنس وعلم
الجنس ، ورفع التلبس عما يسأل به ابن خميس ،
وثمر التمام في شرح آداب الفهم والافهام ،
وحاشية على المجموع ، وتفسير سورة القدر .
ومن نظمه قوله متغزلا :

أيها السيد المدلل ضاعت
في الهوى ضيعتي وأنسيت لسكى
يا لك الله لا تمل لسوائى
وتحكم ولو بما فيه فتكى
وانظر الحق في علو غناه
كل شيء يحويه غير الشرك
وله في التشبيه :

ياحسن لون الشمس عند غروبها
في روض أنس نزهة للأنس
فكأنه وكأنه في ناظري
ذهب يجول على بساط سندس

وله أيضا :

تخيلت أن الشمس والبحر تحتها
وقد بسطت منها عليه بوارق
مليح أتى المرأة ننظر وجهه
ففى وجهها من وجهه الضوء دافق
وله أيضا :

يامالك القلب من بين الملاح وان
توهم الغير أن القلب مشترك
انى أغار على حظى لديك فغسر
أيضا على قلب صب فيك مرتبك
وقل لهم ينتهوا عما تسوله
نفوس سومهم طرق الردى سلکوا
توهبوا أنهم حلوا وقد ملكوا
ويعلم الله ما حلوا وما ملكوا
ياسبد الكل ياقطب الجمال ومن
في دولة الحسن يروى أنه الملك
ما كان قلبى يهوى الغير يا أملى
فابعت رميى أذ أهل الهوى هلكوا
وأسقط البين وارفع حجب شأنك لى
ليشتفى خاطر بالفكر يعترك
بلطف ذاتك لا تقطع رجاء فتى
على عيوب له بالعهد يمتسك
وله أيضا :

دع الدنيا فليس بها مرور
يتم ولا من الأحزان تسلم
ونعرض أنه قد تم فرضا
فغهم زواله أمر محتتم
فكن فيها غريبا ثم عبي
الى دار البقا ما فيه تغنم
وان لا بد من لهو فلهو
بشيء نافع والله أعلم

وله غير ذلك من النظم المليح ، والدوق الصحيح ،
واللسان الفصيح .

وكان رحمه الله رقيق القلب ، لطيف المزاج ،
ينزعج طبعه من غير انزعاج ... يكاد الوهم يؤلمه ،
وسماع المتأخر يوهنه ويسقته . وبأخرة ضعفت
قواه ، وتراخت أعضائه ، وزاد شكواه . ولم يزل
يتعلل ، ويزداد أئنه ويتملل ، والأمراض به
تسلسل ، وداعى الموت عنه لا يتحول ... الى أن
توفي يوم الاثنين عاشر ذى القعدة الحرام . وكان
له مشهد حافل جدا ، ودفن بالصحراء بجوار مدفن
الشيخ عبد الوهاب العفيفي ، بالقرب من عمارة
السلطان قايتباي . وكثر عليه الأسف والحزن .
وخلف ولده العلامة التحرير الشيخ محمد الأمير ،
وهو الآن أحد الصدور كوالده : يقرأ الدروس ،
ويفيد الطلبة ، ويحضر الدواوين والمجالس العالية
... بارك الله فيه .

ومات الشيخ الفقيه العلامة : الشيخ خليل
المدائني ... لكونه يسكن بحارة المدابغ .

حضر دروس الأشياخ من الطبقة الأولى ،
وحصل الفقه والمقول ، واشتهر فضله ، مع فقره ،
وانجتماعه عن الناس ... متقشفا متواضعا ،
ويكتسب من الكتابة بالأجرة . ولم يتجمل
بالملايس ، ولا يزي الفقهاء . يظن الجاهل به أنه
من جملة العوام . توفي يوم الاثنين ثامن عشر ذى
القعدة من السنة .

ومات الشيخ الفقيه الورع : الشيخ علي ،
المعروف بأبي زكري البولاقى ... لسكنه ببولاق .
وكان ملازما لاقراء الدروس ببولاق ، ويأتى الى
الجامع الأزهر في كل يوم : يقرأ الدروس ، ويفيد
الطلبة ، ويرجع الى بولاق بعد الظهر .

ومات حمارة الذى كان يأتى عليه الى الجامع
الأزهر ، فلم يتخلف عن عايدته ، ويأتى ماشيا ثم
يعود مدة ... حتى أشفق عليه بعض المشفقين من
أهالى بولاق ، واشتروا له حمارا . ولم يزل على
حالته وانكساره حتى توفي يوم الخميس ثامن
شهر ذى القعدة من السنة ، رحمه الله وإيالا ،
وجمعنا فى مستقر رحمته ... آمين .

ومات من أكابر الدولة ، المسمى ولى افندى ،
ويقال له : ولى خوجا . وهو كاتب خزينة الباشا ،
وأشأ الدار العظيمة التى بناحية باب اللوق ،
وأدخل فيها عدة بيوت ، ودورا جليطة تجاهها
وملاصقة لها من الجهتين ، وبعضها مطل على
البركة المعروفة ببركة أبى الشوارب .

وتقدم فى أخبار العام الماضى أن الباشا صاهره ،
وزوج ابنته لبعض أقارب الباشا الخصيصين به
— مثل الذى يقال له شريف أغا ، وآخر — وعمل
له مهما عظيما احتفل فيه الى الغاية ، وزفة وشنكا
... كل ذلك وهو ممرض ، الى أن مات فى ثابى
عشرين ربيع الثانى ، وضبطت تركته فوجد له
كثير من النقود والجواهر والأمتعة وغير ذلك .
فسبحان الحى الذى لا يموت .

المحرم

في غرته (١١ نوفمبر ١٨١٧ م) :

استهل ... ووالى مصر وحاكمها : الوزير محمد على باشا ، وهو المتصرف فيها : قبلها وبحريها ، بل والأقطار الحجازية وضواحيها . وييده أزمة الثغور الاسلامية .

وزيره : محمديك لآظ — المعروف بكتخدا بيك — وهو قائم مقامه في حال غيابه وحضوره ، والمتصدر في ديوان الأحكام الكلية والجزئية ، وفصل الخصومات ، ومباشرة الأحوال ... نافذ الكلمة ، وافر الحرمة .

وأغات الباب : ابراهيم أغا ، ومتولى أيضا أمر تعديل الأصناف ليوفر على الخزينة ما يأكله المتولى على كل صنف ، ويخفى أمره . فيشدد الفحص في المكيل والموزون والمذروع ... حتى يستخرج المخبأ ، ولو قليلا ، فيجتمع من القليل الكثير من الأموال ، فيحاسب المتولى مدة ولايته ، فيجتمع له ما لا قدرة له على وفاء بعضه ... لأن ذلك شيء قد استهلك في عدة أيدي أشخاص وأتباع . ويلزم الكبير بأدائه ، ويقاسى ما يقاسيه من الحبس والضرب ، وسلب النعمة ، ومكابدة الأهوال .

وسلحدار الباشا : سليمان أغا — عوضا عن صالح بيك السلحدار لاستغفائه عنها في العام السابق — وهو المسلط على أخذ الأماكن وهدمها ، وبناءها خانات ورباعا وجوانيت . فيأتى الى الجهة

التي يختار البناء فيها ، ويشرع في هدمها . ويأتيه أربابها فيعطيههم أثمانها ، كما هي في حججهم القديمة . وهو شيء نادر بالنسبة لغلو أثمان العقارات في هذا الوقت ... لعموم التخرب ، وكثرة العالم ، وغلاء المؤن ، وضيق المساكن بأهلها . حتى ان المكان الذى كان يؤجر بالقليل ، صار يؤجر بعشرة أمثال الأجرة القديمة ... ونحو ذلك .

ومحمود بيك الخازندار ، وخدمته : قبض أموال البلاد والأطيان والرزق ، وما يتعلق بذلك من الدعاوى والشكاوى . وديوانه بخط مسوقة اللالا .

والمعلم غالى ، كاتب سر الباشا ، ورئيس الأقباط . وكذلك الدفتردار : محمد بيك ، صهر الباشا وحاكم الجهة القبلية . والروزنامجى : مصطفى أفندى . وأغا مستحفظان حسن أغا البهلوان ، والزعيم على أغا الشعراوى .

ومصطفى أغا كرد : المختسب ، وقد بردت همته عما كان عليه ، ورجع الحال في قلة الأدهان كالأول ، وازدحم الناس على معمل الشمع ... فلا يحصل الطالب منه شيئا الا بشق الأنفس . وكذلك انعدم وجود بيض الدجاج لعدم المجلوب ، ووقوف العسكر ورصدهم من يكون معه شيء منه من الفلاحين الداخلين الى المدينة من القرى ، فيأخذونه منهم بدون القيمة ... حتى بيعت البيضة الواحدة بنصفين . وأما المعاملة فلم يزل أمرها في اضطراب بالزيادة والنقص ، وتكرار المنادة كل قليل ،

ايام . وهى مدافع تضرب فى كل وقت من الأوقات الخمسة .

وفى هذا الشهر : انعدم وجود القناديل الزجاج ،
وبيع القنديل الواحد الذى كان ثمنه خمسة
أنصاف بستين نصفاً ... اذا وجد !

ربيع الآخر

١٤ منه (٢٢ فبراير ١٨١٨ م) :

سافر أولاد سلطان المغرب والكثير من حجاج
المغاربة . وكانوا فى غاية الكثرة بحيث ازدهمت
منهم أسواق المدينة وبولاق وما بينهما من جميع
الطرق : فكانوا يشترون الأغنام من الفلاحين
ويذبونها ويبيعونها على الناس جزافاً من غير
وزن بعد أن يتركوا لأنفسهم مقدار حاجتهم .
فذهب الكثير للشراء منهم بسبب رداءة اللحم
الموجود بحوانيت الجزارين ... ولو وقف عليهم
بالثمن الزائد .

فى أواخره (أوائل مارس ١٨١٨ م) :

حضر مبشر من ناحية الديار الحجازية يخبر
بنصرة حصلت لإبراهيم باشا ، وأنه استولى على
بلدة تسمى الشقراء ، وأن عبد الله بن مسعود كان
بها فخرج منها هارباً الى الدرعية ليلاً ، وأن بين
عسكر الأتراك والدرعيين مسافة يومين . فلما
وصل هذا المبشر ، ضربوا لقدمه مدافع من أبراج
القلعة . وذلك وقت الغروب من يوم الأربعاء
سادس عشره .

جمادى الأولى

فى غرته (٩ مارس ١٨١٨ م) :

نودى على طائفة المخالفين للملة — من
الأقباط والأروام — بأن يلزموا زيهم من الأزرق
والأسود ، ولا يلبسون العمائم البيض ... لأنهم

وصرف الريال الفرنسية الى أربعمائة نصف فضة ،
والمحبوب الى أربعمائة وثمانين ، والبندقى الى
تسعمائة نصف ، والمجر الى ثمانمائة نصف . وأما
هذه الأصناف العديدة التى تذكر فى أسماء
لا وجود لمسمياتها فى الأيدى !

١٢ منه (٢٢ نوفمبر ١٨١٧ م) :

سافر الباشا الى جهة الاسكندرية لمحاسبة
الشركاء ، والنظر فى بيع الغلال والمتاجر
 والمراسلات .

١٩ منه (٢٩ نوفمبر ١٨١٧ م) :

ارتحلت عساكر أترك ومغاربة مجردة الى
الحجاز .

صفر

١٣ منه (٢٣ ديسمبر ١٨١٧ م) :

وصل الكثير من حجاج المغاربة .

١٧ منه (٢٧ ديسمبر ١٨١٧ م) :

وصل جاويز الحاج . وفى ذلك اليوم — وقت
العصر — ضربوا عدة مدافع من القلعة لبشارة
وصلت من إبراهيم باشا بأنه حصلت له نصرة ،
وملك بلدة من بلاد الوهاية ، وقبض على أميرها ،
ويسمى عتية ، وهو ظاعن فى السن .

٢١ منه (٢١ ديسمبر ١٨١٧ م) .

وصل ركب الحاج المصرى والمحصل . وأمير
الحاج من الدلاة .

ربيع الأول

الجمعة غرته (٩ يناير ١٨١٨ م) :

وصل قابجى من دار السلطنة . فعملوا له
موكباً ، وطلع الى القلعة ، وضربوا له شنكا سبعة

خرجوا عن الحد في كل شيء ، ويتممون بالشيلا
الكشميري الملونة والغالية في الثمن ، ويركبون
الرهوانات والبغال والخيول ، وأمامهم وخلفهم
الخدم بأيديهم المعصى يطردون الناس عن طريقهم ،
ولا يظن الرائي لهم الا أنهم من أعيان الدولة ،
ويلبسون الأسلحة ، وتخرج الطائفة منهم الى
الخلاء ، ويعملون لهم نشانا يضربون عليه بالبنادق
الرصاص وغير ذلك .

فما أحسن هذا النهى .. لو دام !

٢١ منه (٢٩ مارس ١٨١٨ م) :

حضر الباشا من غيبته بالاسكندرية أواخر
النهار ، فضربوا لقدمه مدافع ، فبات بقصر شبرا .
وطلع في صباحها الى التلعة ، فضربوا بها مدافع
أيضا . فكان مدة غيبته بالاسكندرية أربعة أشهر
وتسعة أيام .

في اواخره (اوائل ابريل ١٨١٨ م) :

وسل هجان من شرق الحجاز ببشارة بأن
ابراهيم باشا استولى على بلد كبير من بلاد
الوهابية ، ولم يبق بينه وبين الدرعية الا ثمانى
عشرة ساعة . فضربوا شنكا ومدافع .

وفيه : وصل هجان من حسن باشا ، الذى
بجدة ، بمراسلة يخبر فيها بعصيان الشريف حمود
بناحية يمن الحجاز ، وأنه حاصر من بتلك النواحي
من العساكر وقتلهم ، ولم ينج منهم الا القليل ،
وهو من فر على جوائد الخيل .

ووقع فيه أيضا : الاهتمام في تجريد عساكر
للسفر . وأرسل الباشا بطلب خليل باشا للحضور
من ناحية بحرى هو وخلافه . وحصل الأمر بقراءة
صحيح البخارى بالأزهر ، فقرئ يومين ، وفرق
على مجاورى الأزهر عشرة أكياس ، وكذلك فرقت
دراهم على أولاد المكاتب !

جمادى الآخرة

١٥ منه (٢٢ ابريل ١٨١٨ م) :

حصل خسوف للقمر في سادس ساعة من الليل .
وكان المنخسف منه مقدار النصف ، وحصل الأمر
أيضا بقراءة صحيح البخارى بالأزهر .
وفيه : ورد الخبر ببوت الشريف حمود ، وأنه
أصيب بجراحة ومات بها .

٢٩ منه (٦ مايو ١٨١٨ م) :

حصل كسوف للشمس في ثالث ساعة من النهار .
وكان المنكسف منها مقدار الثلث .
وفيه : ضربت مدافع لوصول بشارة من ابراهيم
باشا بأنه ملك جانبا من الدرعية ، وأن الوهابية
محصورون ، وهو ومن معه من العربان محيطون
بهم .

شعبان

(٦ يونية - ٤ يولية ١٨١٨ م)

فيه : حضر خليل باشا وحسين بيك دالى باشا
من الجهة البحرية ، ونزلوا بدورهم .

رمضان

الأحد ١٥ منه (١٩ يولية ١٨١٨ م) :

وصل نجاب ، وأخبر بأن ابراهيم باشا ركب الى
جهة من نواحي الدرعية لأمر يتبعه ، وترك عرضيه
فاغتنم الوهابية غيابه ، وكبسوا على العرضى على
حين غفلة ، وقتلوا من العساكر عدة وافرة ،
وأحرقوا الجبخانه .

فمنذ ذلك قوى الاهتمام ، وارتحل جملة من
العساكر في دفعات ثلاث ، برا وبحرا ، يتلو بعضهم
بعضا ... في شعبان ورمضان . وبرز عرضى خليل
باشا الى خارج باب النصر ، وترددوا في الخروج

واشتغال حمير الترايين باستعمالهم في عمائر أهل الدولة . فلو كان هذا الاهتمام في قطع أرض الخليج الذي يجري به الماء ، فانه لم تقطع أرضه . وينقطع جريانه في أيام قليلة لعلو أرضه من الطمي ، وبما يتهدم عليه من الدور القديمة ، وما يلقيه السكان فيه من الأتربة ... وزاد على ذلك — بهذه الفعلة — القاء ما يحفرونه وينقلونه من أتربة الأزقة والبيوت القديمة القريبة منه ... فيه ، ليلا ونهارا .

٨ منه (١٠ أغسطس ١٨١٨ م) :

ارتحل خليل باشا مسافرا الى الحجاز من القلزم ، وعساكره الخيالة على طريق البر .

١٣ منه (١٥ أغسطس ١٨١٨ م) :

نزلوا بكسوة الكعبة الى المشهد الحسيني على العادة .

٢٢ منه (٢٤ أغسطس ١٨١٨ م) :

عمل الموكب لأمر الحاج — وهو حسين بيك دالي باشا — وخرج بالمحمل خارج باب النصر تجاه الهمايل ، ثم انتقل في يوم الأربعاء الى البركة ، وارتحل منها يوم الاثنين تاسع عشره .

وسافر الكثير من الحجاج ، وأكثر فلاحى القرى والصعايدة ، ومن باقى الأجناس — مثل المغاربة والقرمان والأتراك — أنفار قليلة .

وفيه : وصل قابجى وعلى يده تقرير لحضرة الباشا على السنة الجديدة ، وطلع الى القلعة في موكب ، وقرئ التقرير بحضرة الجمع ، وضربت مدافع كثيرة . وكذلك وصل قبله قابجى صبحته فرمان بشارة بمولود ولد لحضرة السلطان ، فعمل له شئك ومدافع ، ثلاثة أيام في الأوقات الخمسة ، وذلك في منتصفه .

والدخول ، واستباحوا الفطر في رمضان بحجة السفر ، فيجلس الكثير منهم بالأسواق يأكلون ويشربون ، ويمرون بالشوارع وبأيديهم أقصاب للدخان والتتن ، من غير احتشام ولا احترام لشهر الصوم ... وفي اعتقادهم الخروج بقصد الجهاد وغزو الكفار المخالفين لدين الاسلام ، وانقضى شهر الصوم ... والباشا متكدر خاطر ومتقلق ، ومنتظر ورود خبر ينسر بسماعه .

شوال

غرفته (٣ أغسطس ١٨١٨ م — ٢٨ ايبب ١٥٣٤ ق) :

كان هلاله عسر الرؤية جدا . فحضر جماعة من الأتراك الى المحكمة وشهدوا برؤيته .

وفيه : أوفى النيل أذرعه ، فأخروا فتح سد الخليج ثلاثة أيام العيد ، ونودى بالوفاء يوم الأربعاء ، وحصل الجمع يوم الخميس رابعة . وحضر فتح الخليج كتخدا بيك والقاضى ، ومن له عادة بالحضور ... فكان جمعا وازدحاما عظيما من أخلاط العالم في جهة السد والروضة ... تلك الليلة . واشتعلت النار في الحديقة واحترق فيها أشخاص ، ومات بعضهم .

٦ منه (٨ أغسطس ١٨١٨ م) :

خرج خليل باشا المعين الى السفر في موكب ، وشق من وسط المدينة ، وخرج من باب النصر ، وعطف على باب الفتوح ، ورجع الى داره في قلة من أتباعه في طريقه التى خرج منها .

وفيه : انتدب مصطفى أغا المحتسب ، ونادى في المدينة ، ويأمر الناس بقطع أراضي الطرقات والأزقة ... حتى العطف والحدارات الغير النافذة . فأخذ أرباب الحوانيت والبيوت يعملون بأنفسهم في قطع الأرض والحفر ، وتقل الأتربة وحملها ... من خوفهم من أديته ، ولعدم الفعلة والأجراء

ذوالقعدة

(٢ سبتمبر — أول أكتوبر ١٨١٨ م)

لهذا الخبر سرورا عظيما ، والجلى عنه الضجر والقلق ، وأنعم على المبشر . وعند ذلك ضربوا مدافع كثيرة من القلعة والجيزة وبولاق والأزبكية ، وانتشر المبشرون على بيوت الأعيان لأخذ البقاشيش

الثلاثاء ١٢ منه (١٣ أكتوبر ١٨١٨ م) :

وصل المرسوم بمكاتبات من السويس والينبع ، وذلك قبيل العصر ، فأكثروا من ضرب المدافع من كل جهة ، واستمر الضرب من العصر الى المغرب بحيث ضرب بالقلعة خاصة ألف مدفع .

وصادف ذلك شباك أيام العيد . وعند ذلك أمر بعمل مهرجان وزينة داخل المدينة وخارجها ، وبولاق ومصر القديمة والجيزة ، وشباك على بحر النيل تجاه الترسانة ببولاق ، من النجارين والخراطين والحدادين . وتقيد لذلك أمين أفندي المعمار ، وشرعوا في العمل . وحضر كشف النواحي والأقاليم بمساكرهم ، وأخرجوا الخيام والصاوين

انقضى ... والباشا منفعل الخاطر ، لتأخر الأخبار ، وطول الانتظار . وكل قليل يأمر بقراءة صحيح البخارى بالأزهر ، ويفرق على صغار المكاتب والفقراء دراهم . ولضيق صدره ، واشتغال فكره ، لا يستقر بمكان : فيقيم بالقلعة قليلا ، ثم ينتقل الى قصر شبرا ، ثم الى قصر الآثار ، ثم الأزبكية ، ثم الجيزة ... وهكذا .

ذوالحجّة

الخميس ٧ منه (٨ أكتوبر ١٨١٨ م) :

وردت بشائر من شرق الحجاز بمراسلة من عثمان أغا الورداني ، أمير الينبع ، بأن ابراهيم باشا استولى على الدرعية والوهابية . فانسر الباشا



قصر شبرا

الأنوال التي تقدم ذكرها ، وكان يتعيش منها ألوف من العالم .

ولما اشتد الضنك بالملتزمين ، وتكرر عرض حالهم ، فأمر لهم بصرف الثلث . وتحول المصرفي على بعض الجهات ، فكان كلما اجتمع لديه قدر يلحقه الطلب بحالة من لوازم عساكر السف المجردين .

واقضى العام ... وأكثر الناس لم يحصل على شيء ، وذلك لكثرة المصاريف والارصاليات : من الذخائر والغلال والمؤن ، وخزائن المال من أصناف خصوص الريال الفرائسة والذهب البندقى والمحجوب الاسلامى ... بالأحمال ، وهى الأصناف الرائجة بتلك النواحي . وأما القروش فلارواج لها الا بمصر وضواحيها فقط .

أخبرنى أحد أعيان كتاب الخزينة عن أجرة حمل الذخيرة على جمال العرب خاصة فى مرة من المرات : خمسة وأربعين ألف فرانسة ، وذلك من الينبع الى المدينة ، حسابا عن أجرة كل بعير ستة فرانسة : يدفع نصفها أمير الينبع ، والنصف الأخير يدفعه أمير المدينة عند وصول ذلك . ثم من المدينة الى الدرعية ما يبلغ المائة والأربعين ألف فرانسة . وهو شيء مستمر التكرار والبعوث ، ويحتاج الى كنوز قارون وهامان ، واكسير جابر بن حيان !

ومنها : العمارة التى أمر بإنشائها الباشا المشار اليه بين السورين ، وحارة النصارى ، المعروفة بخميس العدس ، المتوصل منها الى جهة الخرشف . وذلك بإشارة أكابر نصارى الافرنج ليجتمع بها أرباب الصنائع الواصلون من بلاد الافرنج وغيرهم ، وهى عمارة عظيمة ابتدأوا فيها من العام الماضى ، واستمروا مدة فى صناعة الآلات الأصولية التى يصطنع بها اللوازم ، مثل السندالات والمخارط

والوطاقات ، خارج باب النصر وباب الفتوح . وذلك يوم الثلاثاء سادس عشرته .

ونودى بالزينة — وأولها الأربعاء — فشرع الناس فى زينة الحوانيت والخانات وأبواب الدور ، ووقود القناديل والسهر ، وأظهروا الفرح والملاعب .

كل ذلك ... مع ما النام فى من ضيق الحال ، والسكد فى تحصيل أسباب المعاش ، وعدم ما يسرجون به من الزيت والشيرج والزيت الحار . وكذا السمن فانه شح وجوده ، ولا يوجد منه الا القليل عند بعض الزياتين ، ولا يبيع الزيادات زيادة عن الأوقية . وكذلك اللحم : لا يوجد منه الا ما كان فى غاية الرداءة من لحم النعاج الهزيل ، وامتنع أيضا وجود القمح بالساحل وعرصات الغلة ... حتى الخبز امتنع وجوده بالأسواق !

ولما أنهى الأمر الى من لهم ولاية الأمر ، فأخرجوا من شون الباشا مقدارا لبيع فى الرقع ، وقد أكلها السوس ، ولا يباع منها أزيد من الكيلة ... أكثرها مسوس ! وكذلك لما شكوا الناس من عدم ما يسرج به فى القناديل ، أطلقوا للزياتين مقدارا من الشيرج فى كل يوم ، يباع فى الناس لوقود الزينة . وفى كل يوم يطوف المنادى ، ويكرر المناداة بالشوارع على الناس : بالسهر والوقود والزينة ، وعدم غلق الحوانيت ليلا ونهارا !

واقضى العام بحوادثه ، ومعظمها مستمر .

فمنها — وهو أعظمها — شدة الأذية والضييق — وخصوصا بذوى البيوت والمسائير من الناس — بسبب قطع ايرادهم وأرزاقهم : من الفئات والجامكية السائرة ، والرزق الأحباسية ، وضبط

للحديد والقواديم والمناشير والتزجات ونحو ذلك .
وأفردوا لكل حرفة وصناعة مكانا وصناعا ، يحتوى
المكان على الأنوال والدواليب والآلات الغريبة
الوضع ، والتركيب لصناعة القطن ، وأنواع الحرير
والأقمشة والمقصبات .

وفى أواخر هذا العام : جمعوا مشايخ الحارات
وألزموهم . بجمع أربعة آلاف غلام من أولاد البلد
ليشتغلوا تحت أيدي الصناع ، ويتعلموا ويأخذوا
أجرة يومية ، ويرجعوا لأهاليهم أواخر النهار :
فمنهم من يكون له القرش والقرشان والثلاثة ،
بحسب الصناعة وما يناسبها ... وربما احتيج الى
نحو العشرة آلاف غلام بعد اتمامها . والمحتاج اليه
فى هذا الوقت القدر المذكور ، وهى كرخانة عظيمة
سرف عليها مقادير عظيمة من الأموال .

ومنها : أنه ظهر بأراضى الأرز — بالبحر الشرقى
بناحية دمياط — حيوان يخرج من البحر الشرقى
فى قدر الجاموس العظيم ولونه ، فيرعى الفدان من
الزروع ثم يتقايأ أكثره ، وكان ظهوره من العام
الماضى ، فيجتمع عليه الكثير من أهل الناحية ،
ويرجمونه بالحجارة ، ويضربون عليه بنادق
الرصاص ، فلا تؤثر فى جلده ، ويهرب الى
البحر ، واتفق أنه ابتلع رجلا ... الى أن أصيب فى
عينه وسقط ، وتكاثروا عليه وقتلوه وسلخوا
جلده وحشوه تبنا ، وأتوا به الى بولاق ، وتفرج
عليه الباشا والناس .

وأخبرنى غير واحد ممن رآه أنه أعظم من
الجاموس الكبير : طوله ثلاث عشرة قدما ، ولونه
لونه ، وجلده أملس ، ورأسه عظيم يشبه رأس
ابن عرس ، وعيناه فى أعلى دماغه ، واسع الفم ،
وذنبه مثل ذنب السمك ، وأرجله غلاظ مثل أرجل
الفيل فى أواخرها أربع ظلوف طوال ، وأسفلها
كخف الجمل . وأدخلوه الى بيت الافرنج ، وأنعم

به الباشا على بغوص الترجمان الأرمنى ، وهو
يبيعه على الافرنج بثمن كبير .

ومنها : أن امرأة ، يقال لها الشبيخة رقية ، تنزر
بمنزر أبيض ، ويدها خبزراة وسبحة ، تطوف
على بيوت الأعيان ، وتقرأ وتصلى ، وتذكر على
السبحة ... ونساء الأكابر يعتقدن فيها الصلاح ،
ويسألن منها الدعاء ، وكذلك الرجال حتى بعض
الفقهاء . وتجتمع على الشيخ العالم المعتقد الشيخ
تعيلب الضرير ، ويكثر من مدحها للناس فيزدادون
فيها اعتقادا ، ولها بمنزل خليل بيك طوقان النبلسى
مكان مفرد تأوى اليه على حديثها ، وإذا دخلت
بيتا من البيوت قام اليها الخدم ، واستقبلوها
بقولهم : « نهارنا سعيد ومبارك » ونحو ذلك .
وإذا دخلت على الستات قمن اليها ، وفرحن
بقصودها ، وقبلن يدها ، وتبيت معهن ومع
الجوارى .

فذهبت يوما الى دار الشيخ عبد العليم الفيومى
— وذلك فى شهر شوال — فتمرضت أياما وماتت .
فضجروا وتأسفوا عليها ، وأحبوا تغيير ما عليها من
الثياب ، فأروا شيئا معجرا بين أفخاذها فظنوه
صرة دراهم ... وإذا هو آلة الرجال : الخصيتان
والذى فوقهما ! فبهت النساء وتعجبن ، وأخبروا
الشيخ تعيلب بذلك فقال : « استروا هذا الأمر » .
وغسلوه وكفنوه ، وواروه فى التراب ، ووجدوا فى
جيبه مرآة وموسا وملقاطا . وشاع أمره ، واشتهر
وتناقله الناس بالتحدث والتعجب !

ومنها : زيادة النيل فى هذا العام الزيادة المفرطة
التي لم لسمع ولم نر مثلها ، حتى غرق الزروع
الصيفية ، مثل الذرة والنيلة والسمسم والقصب
والأرز وأكثر الجنائن ، بحيث صار البحر وسواحه
والملى لجة ماء . وانهدم بسببه قرى كثيرة ، وغرق

الكثير من الناس والحيوان ... حتى كان الماء ينبع بين الناس من وسط الدور .

واختلط بحر البعيزة ببحر مصر العتيقة ، حتى كانت المراكب تمشى فوق جزيرة الروضة . وكثر عويل الفلاحين وصراخهم على ما غرق لهم من المزارع ، وخصوصا الذرة الذى هو معظم قوتهم . وكثير من أهل البلاد نذبوا بالدقوف .

ومنها : أن الباشا زاد فى هذه السنة الخراج ، وجعل على كل فدان ستة قروش وسبعة وثمانية ، وذكر أنها مساعدة على حروب الحجاز والخوارج ... فدهى الفلاحون بهاتين الداهيتين : وهى زيادة النيل ، وزيادة الخراج فى غير وقت وأوان .

فان من عادة الفلاحين وأهل القرى اذا انقضت أيام الحصاد والدراوى ، وشطبوا ما عليهم من مال الخراج للتمتيمهم — ويكون ذلك فى مبادئ زيادة النيل — وارتفع عنهم الطلب ، وارتحلت كشاف النواحي ، وقائمقام المتزيمين والصيارف والمعينون ، وخلت النواحي منهم ... فعند ذلك ترتاح نفوسهم ، وتجتمع حواسهم ، ويعملون أعراسهم ، ويجددون ملابسهم ، ويزوجون بناتهم ، ويختنون صبيانهم ، ويشيدون بنيانهم ، ويصلحون جسورهم وحبوسهم . فاذا أخذ النيل فى الزيادة ، شرعوا فى زراعة الصيفى الذى هو معظم قوتهم وكسبهم ... حتى اذا انحسر الماء ، وانكشفت الأراضى ، وآن أوان التخضير وزراعة الشتوى ، من البرسيم والغلة ، وجدوا ما يسدون به مال التجهية ، وما يرفعون به أحوالهم من بهائم الحرث ومحارث وتقاوى وأجر عمال ونحو ذلك ، فدهموا هذه السنة بهاتين الآفتين : الأرضية والسماوية ، ورحل الكثير عن أهله ووطنه . وكان ابتداء طلب هذه

الزيادة قبل زيادة النيل ، ومجئ خبر النصرة ، فلما ورد خبر النصرة لم يرتفع ذلك .

ومنها : الاضطراب فى المعاملة بالزيادة والنقص والمناداة عليها كل قليل ، والتنكيل والترك .

وبلغ صرف البندقى ثمانمائة وثمانين نصفا فضة ، والفرانسة أربعمائة نصف وعشرة ، والمحجوب أربعمائة وأربعين — وهو المصرى — وأما الاسلامبولى فيزيد أربعين ، والمجر ثمانمائة نصف . وأما هذه الأنصاف — وهى الفضة العديدة — فهى أسماء من غير مسميات لمنعها واحتكارها : فلا يوجد منها فى المعاملة بأيدي الناس الا النادر جدا ، ولا يوجد بالأيدى فى محقرات الأشياء وغيرها الا المجرأ بالخمسة والعشرة والعشرين ، وتصرف من اليهود والصارف بلفظ والنقص . ومن حصل بيده شئ من الأنصاف عَصَ عليه بالنواجذ ، ولا يسمح باخراج شئ منها الا عند شدة الاضطرار اللازم .

ومنها : أن السيد محمد المحرقى أنشأ ببركة الرطلى دارا وبستانا فى محل الأماكن التى تخربت فى الحوادث .

وذلك أنه لما طرقت الفرنساوية الديار المصرية ، واختل النظام ، وجلا أكثر الناس عن أوطانهم — وخصوصا سكان الأطراف — بقيت دور البركة خالية من السكان . وكان بها عدة من الديار الجليلة ، منها : دار حسن كتخدا الشعراوى وتابعه عمر جاويش ، وداره على سمته أيضا ، ودار على كتخدا الخربطلى ، ودار قاضى البهار ، ودار سليمان أغا ، ودار الحموى ، وخلاف ذلك دور كانت جارية فى وقف عثمان كتخدا القباذلى وغيره . وهذه الدور هى التى أدركناه ، بل وسكننا بها عدة سنين ، وكانت فى الزمن الأول غلة دور

الأشجار ودوالي الكروم ، وهى بمكان حسن
كتخذوا وما كان على مسنته من الدور نحو
الثلاثين .

وأنشأ كاتبه السيد عمر الحسينى دارا عظيمة
لخصوصه ، أخذ فيها باقى أراضى الأماكن ،
وزخرفها ، وانتقل إليها بأهله وعياله ، وجعلها دارا
لسكناء صيفا وشتاء . وبني خارج ظاهرها حائطا
يكون لدورها سوراً ، وعملا بها بوابة تفتح
وتغلق . وكان بجوار ذلك جامع متخرب ، يسمى
جامع الحريشى ، فعمره أيضا السيد محمد الحروقى ،
وأقام حوائطه وأعمدته ومقفه وبيضه ، وأقام
الخطبة آخر جمعة فى شهر المحرم .

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر :

فمات شيخ الاسلام ، وعمدة الأنام ... الفقيه
العلامة ، والنحرير الفهامة : الشيخ محمد
الشنوانى — نسبة الى شنوان الغرف — الشافعى
الأزهري ، شيخ الجامع الأزهر ... من أهل الطبقة
الثانية ، الفقيه النحوى المعقولى .

حضر الأئـمـمـيـاـخ : أجـلـهـم الشيخ فارس ،
وكالصعيدى والدردير والفرماوى ، وتفقه على
الشيخ عيسى البراوى ، ولأزم دروسه وبه تخرج ،
وأقرأ الدروس ، وأفاد الطلبة بالجامع المعروف
بالفاكهانى بالقرب من دار مكناه بخشقدم ، مهذب
النفس مع التواضع والانكسار والبشاشة لكل
أحد من الناس ، ويشمر ثيابه ويخدم بنفسه ،
ويكنس الجامع ، ويسرج القناديل .

ولما توفى الشيخ عبد الله الشرقاوى ، اختاروه
للمشيخة . فامتنع وهرب الى مصر العتيقة — بعد
ما جرى ما تقدم ذكره من تصدر الشيخ محمد
المهدى — فأحضروه قهرا عنه ، وتلبس بالمشيخة
مع ملازمته لجامع الفاكهانى كمادته . وأقبلت عليه

مختصرة يسكنها أهل الرفاهية من أهالى البلد .
وكان بها بيت البكرية القديم بالناحية الجنوبية
تجاه زاوية جدهم الشيخ جلال الدين البكرى .
وكان الناس يرغبون فى سكناها لطيب هواها
وانكشاف الريح البحرى بها ، وليس فى تجاهها
من البر الآخر سوى الأشجار والمزارع ، ويعبرها
المراكب والسفائن والقنـج فى أيام النيل بالمتفرجين
والمتزهين وأهل الخلاعة بمزامرهم ومغانيمهم ،
ولصدى أصواتهم المطربة طرب آخر .

فلما انتشع عنها السكان ، تداعت الدور الى
الخراب ، وبقيت مسكنا اليوم والغراب مدة اقامة
الفرنساوية .

فلما حضر يوسف باشا الوزير فى المرة الأولى
— وذلك سنة أربع عشرة ومائتين وألف —
وانتفض الصلح بينه وبين فرنساوية ، وحصلت
المفارقة ، ووقعت الحروب داخل البلدة ، واحتاطت
الفرنساوية بجهات البلد ... وجرى ما تقدم ذكره
فى الحوادث السابقة ، وكان طائفة من فرنساوية
أتوا الى ناحية هذه البركة ، وملكوا التل المعروف
بتل أبو الريش ، وأخذوا يرمون بالمدافع والقناير
على أهل باب الشعرية وتلك النواحي . فما انجلت
الحروب حتى خربت بيوت البركة ، وما كان بتلك
النواحي من الدور التى بظاهرها ، وبقيت كيما نا .
فحسن ببال السيد المذكور أن يجعل له سكنا
هناك ، فاحتكر أراضى تلك المساكن من أربابها من
مدة سابقة ، ثم تكاسل عن ذلك ، واشتغل بتوسعة
دار سكنه التى بخطة الفحامين ، محل دكة الحسبة
القديمة ، حتى أتمها على الوضع الذى قصده .
ثم شرع فى السنة الماضية فى انشاء سكن لخصوص
بنزاهته ، فشرع فى تنظيف الأتربة واصلاح الأرض ،
وأنشأ دارا متسعة وقيعانا وفسحات ، وهى مفروشة
بالرخام ، وحولها بستان ، وغرس به أنواع

واشتهر ذكره — وخصوصاً أيام الفرنساوية حين تقلد شيخه رأسه ديوانهم — وانتفع في أيامهم انتفاعاً عظيماً من تصديه لقضايا نساء الأمراء المصرية وغيرهم .

ومات والده فأحرز ميراثه ، وكذلك لما قتل عديله الحاج مصطفى البشتيلي في الحراية ببولاق لاعن وارث ، فاستولى على تعلقاته وأطيانه وبستانه التي ببشتيل . واتسع حاله ، واشترى العييند والجوازي والخدم .

ولما ارتحل الفرنساوية ، ودخلها العثمانيون ، انطوى إلى السيد أحمد المحروقي ، لأنه كان يرأسه سرا بالأخبار حين خرج مع العثمانيين في الكسرة إلى الشام ... فلما رجع ، راعاه وراشاه ، ونوه بذكره عند أهل الدولة ، وفي أيام الأمراء المصريين — حين رجعوا إلى مصر بعد قتل طاهر باشا في سنة ثمان عشرة — واحتوى على رزق وأطيان وحصص التزام ، ولبس الفراوى بالأقبية ، وركب البغال ، وأحدث به للأشياخ والأتباع . وعنده ميل عظيم للتقدم والرياسة ، ولا يقنع بالكثير .

ولما وقع ما وقع في ولاية محمد على باشا ، وانفرد السيد عمر أفندي في الرياسة ، وصار بيده مقاليد الأمور ... ازداد به الحسد ، فكان هو من أكبر الساعين عليه سرا مع المهدي وباقي الأشياخ ، حتى أوقعوا به ، وأخرجوه الباشا من مصر كما تقدم . فعند ذلك صفا لهم الوقت ، وتقلد المترجم النقابة بعد موت الشيخ محمد بن وفا ، وركب الخيول ، ولبس التاج الكبير ، ومشت أمامه الجاويشية والمقدمون وأرباب الخدم ، وازدحم بيته بأرباب الدعاوى والشكاوى . وعمر دار سكنهم القديمة بكفر الطماعين ، وأدخل فيها دوراً ، وأنشأ تجاهها مسجداً لطيفاً ، وجعل فيه منبراً وخطبة ، وعمر داراً ببركة جنائز ، وأسكنها إحدى

الدنيا فلم يتنها بها ، واعتزته الأمراض ، وتعلل بالزحير أشهراً ، ثم عوفي ... ثم بأخرة بالبرودة ، واقطع بالدار كذلك أشهراً . ولم يزل منقطعاً حتى توفي يوم الأربعاء رابع عشر المحرم ، وصلى عليه بالأزهر في مشهد عظيم . ودفن بترية المجاورين ، وله تأليف منها : حاشية جلييلة على شرح الشيخ عبد السلام على الجوهرة ، مشهورة بأيدي الطلبة . وكان يجيد حفظ القرآن ، ويقرأ مع فقهاء الجوقة في الليالي ،

وتقلد المشيخة بعده الشيخ العلامة السيد محمد ابن شيخنا الشيخ أحمد العروسي من غير منازع ، وباجتماع أهل الوقت . ولبس الخلع من بيوت الأعيان مثل البكرى والسادات وباقي أصحاب المظاهر ، ومن يجب التظاهر .

ومات العمدة الشيخ محمد بن أحمد بن محمد — المعروف هو بالدواخلي — الشافعي . ويقال له السيد محمد ، لأن أباه تزوج بفاطمة بنت السيد عبد الوهاب البرديني فولد له المترجم منها ، ومنها جاءه الشرف ، وهم من محلة الداخل بالغربية .

وولد المترجم بمصر ، وتربى في حجر أبيه ، وحفظ القرآن ، واجتهد في طلب العلم ، وحضر الأشياخ من أهل وقته : كالشيخ محمد عرفة الدسوقي ، والشيخ مصطفى الصاوي وخلافه من أشياخ هذا العصر . ولازم الشيخ عبد الله الشرفاوي في فقه مذهبه وغيره من العقولات ملازمة كلية ، واقتسب له ، وصار من أخص تلامذته .

ولما مات السيد مصطفى الدمنهوري — الذي كان بمنزلة كتخذه — قام مقامه ، واشتهر به ، وأقرأ الدروس الفقهية والعقولية ، وحف به الطلبة ، وتداخل في قضايا الدعاوى والمصالح بين الناس .

وكان ناظرا على ديوان الكمرك ببولاق وعلى
الخماير ... ومصارفه من ذلك . وشرع في عمارة
داره التي بالأزبكية ، بجوار بيت الشرايبي — تجاه
جامع أزبك — على طرف الميرى . وهى فى الأصل
بيت المدنى ومحمود حسن ، واحترق منه جانب ...
ثم هدم أكثرهما ، وخرج بالجدار الى الرحبة وأخذ
منها جانبا ، وأدخل فيه بيت رضوان كتحدا —
الذى يقال له « ثلاثة ولىة » ، تسمية له باسم
العامودين الرخام الملتفين على مكسلتى الباب
الخارج — وشيد البناء بخرجات فى العلو متعددة ،
وجعل بابه مثل باب القلعة ، ووضع فى جهتيه
العمودين المذكورين . وصارت الدار كأنها قلعة
مشيدة فى غاية من الفخامة . فما هو الا أن قارب
الانتماء ، وقد اعتراه المرض ، فسافر الى
الاسكندرية بقصد تبديل الهواء ، فأقام هناك
أياما ، وتوفى فى شهر جمادى الآخرة . وأحضروا
رمته فى أواخر الشهر ، ودفنوه بمدفنه الذى بناه
محل بيت الزعفرانى بجوار السيدة بقناطر السباع ،
وترك ابنا مراهقا فأبقاه الباشا على منصب أبيه
ونظامه وداره .



ومات الأمير أيوب كتحدا الفلاح ، وهو مملوك
الأمير مصطفى جاويش تابع صالح الفلاح . وكان
آخر الأعيان المبجلين من جماعة الفلاح المشهورين ،
وله عزوة وأتباع ، وبينه مفتوح للواردين ، ويجب
العلماء والصلحاء ، ويتأدب معهم . وكان الباشا
يجله ويقبل شفاعته ، وكذلك أكابر الدولة فى كل
عصر . وعلى كل حال كان لا بأس به ... توفى يوم
الأربعاء لعشرين من شهر شعبان ، وقد جاوز
السبعين ، رحمه الله تعالى .

زوجاته . وداخله الغرور ، وظن أن الوقت قد
صفا له .. فأول ما ابتدأ به الدهر من فكباته ، أن
مات ولده أحمد — وكان قد ناهز البلوغ — ولم
يكن له من الأولاد الذكور غيره ، فوجد عليه وجدا
شديدا ... حتى كان يتكلم بكلام تقبه الناس عليه ،
وعمل له ميتما ودفنه بمسجده تجاه بيته ، وعمل
عليه مقاما ومقصورة مثل المقامات التى تقصد
للزيارة ، وكان موته فى منتصف سنة تسع وعشرين .
ووقعت حادثة قومة العسكر على الباشا فى أواخر
شهر شعبان من السنة المذكورة ، والمترجم اذ ذاك
من أعيان الرؤوس : يطلع وينزل فى كل ليلة الى
القلعة ، ويشار اليه ، ويحل ويعقد فى قضايا الناس ،
ويسترسل معه الباشا ، كما تقدم ذكر ذلك ، وداخله
الغرور الزائد . ولقد تناول على كبار الكتبة
الأقباط وغيرهم ، ويراجع الباشا فى مطالبه ، بعد
انقضاء الفتنة ، الى أن ضاق صدر الباشا منه ،
وأمر باخراجه ونفيه الى دسوق ... وذلك فى سنة
احدى وثلاثين . فأقام بها أشهرا ، ثم توجه بشفاعته
السيد المحروقى الى المحلة الكبرى ، فلم يزل بها
متعلق الحواس ، منحرف المزاج ، متكدر الطبع .
وكل قليل يرأسل السيد المحروقى فى أن يشفع فيه
عند الباشا ، وليأذن له فى الحج ، ومرة يحتج بالمرض
— ليموت فى داره — فلم يؤذن له فى شئ من
ذلك . ولم يزل بالمحلة حتى توفى فى منتصف شهر
ربيع الأول من السنة ، ودفن هناك . وكان — رحمه
الله — يميل الى الرياسة طبعاً ، وفيه حدة مزاج ،
وهى التى كانت سبباً لموته بأجله ... رحمه الله
تعالى وإيانا .



ومات الصدر المعظم ، والدستور المكرم : الوزير
طاهر باشا . ويقال انه ابن أخت محمد على باشا .

الخيالة المتراحمين ، رعدوا هائلة . ورتبوا المدافع
أربع صفوف .

ورسم الباشا أن الخيالة ينقسمون كذلك
طواير ، ويكمنون في الأعلى ، ثم ينزلون متراحمين
وهم يضربون بالبنادق ، ويهجمون على المدافع في
حال اندفاعها بالرمل . فمن خطف شيئا من أدوات
الطبخية الرماة ، يأتي به الى الباشا ويعطيه البقشيش
والانعام . فمات بسبب ذلك أشخاص ومواس ،
ويكون مبادئ نهاية وقوف الخيالة نهاية محط جلة
المدفع . فانهم عند طلوع الفجر يضربون مدافع
معنورة بالجلل بعدد الطواير ، فتستعد الخيالة ،
ويقف كل طابور عند مرمى جلته ، ويأخذون أهبتهم
من ذلك الوقت الى بعد شروق الشمس ، ويتدأثون
في الرمي والراحة الحصة المذكورة .

وبعد العشاء الأخيرة يعمل كذلك الشنك برمي
المدافع المتتالية المختلطة أصواتها بدون الراحة ،
ومع المدافع الحراقة والنفوط والسواربخ التي
تصعد في الهواء وفيها من خشب الزان بدل
القصب ، وكرنجة بارودها أعظم من تلك ... بحيث
أنها تصعد من الأسفل الى العلو مثل عمود النار ...
وأشياء أخر لم يسبق نظائرها ، تفنن في عملها
الافرنج وغيرهم . وحول محل الحراقة حلقة دائرة
متسعة حولها ألوف من المشاعل الموقدة .

وطلبوا لعمل أكياس بارود المدافع مائتي ألف
ذراع من القماش البز . وكان راتب الأرز الذي
يطبخ في القزانات ، ويفرق في عراضى العساكر في
كل يوم أربعمئة أردب وما يتبعها من السمن ...

المحرم

السبت غرته (٣١ أكتوبر ١٨١٨ م) :

استهل ... وسلطان الاسلام : السلطان
محمود شاه ابن عبد الحميد بداز سلطنته
اسلامبول . ووالى مصر وحاكمها : محمد على
باشا القوللى . وكتنخده وبقى أرباب المناصب على
حالهم وما هم عليه في العام الماضى .

ووردت الأخبار من شرق الحجاز والبشائر
بنصرة حضرة ابراهيم باشا على الوهاية قبل
استهلال السنة بأربعة أيام . فعند ذلك نودى
بزينة المدينة سبعة أيام ، أولها الأربعاء سابع
عشرى الحجة ، ونصبت الصواوين خارج باب النصر
عند الهمايل ، وكذلك صيوان الباشا . وباقي
الأمراء والأعيان خرجوا بأسرهم لعمل الشنك
والحرائق ، وأخرجوا من المدافع مائة مدفع وعشرة ،
وتماثيل وقلاعا وسواقي وسواربخ ، وصورا من
بارود .

وبدأوا في عمل الشنك من يوم الأربعاء :
فيضربون بالمدافع ، مع رماحة الخيالة ، من أول
النهار — مقدار ساعة زمانية وربع — قريبا من
عشرين درجة ضربا متتابعيا لا يتخلله سكون — على
طريقة الافرنج في الحروب — بحيث انهم يضربون
المدفع الواحد اثنتى عشرة مرة ، وفيل أربع عشرة
مرة في دقيقة واحدة . فعلى هذا الحساب يزيد
ضرب المدافع في تلك المدة على ثمانين ألف مدفع
بحيث يتخيل الانسان أصواتها ، مع أصوات بنادق



القيان والراقصات ...

هذا ... والتهيز والأشغال والاستعداد لعمل
الدونامة على بحر النيل ببلاق ، فصنعوا صورة
قلعة بأبراج وقباب وزوايا وأنصاف دوائر
وخورتقات وطيقان للمدافع ، وطلوها وبيضوها
وقشوها بالألوان والأصباغ ، وصورة باب مالطة ،
وكذلك صورة بستان على سفائن : وفيه الطين ،
ومغروس به الأشجار ، ومحيط به درابزين مصبغ ،
وبه دوالي العنب وأشجار الموز والفاكهة والنخيل ،
والرياحين في قصارى لطيفة على حافته ، وصورة
عربة يجرها أفراس ، وبها تماثيل وصور جالسين
وقائمين ، وتمثال مجلس وبه جنك رقاصات من
تماثيل مصورة تتحرك بالآلات ... ابتكار بعض
المبتكرين . لأن كل من تخيل بفكره شيئا ملعوبا
أو تصويرا ، ذهب الى الترسخانة ، حيث الأخشاب
والصناع ، فيعمله على طرف الميرى حتى يبرزه في
الخارج ، يأخذ على ابتكاره البقشيش . وأكثرها

وهذا خلاف مطابخ الأعيان ، وما يأتيهم من
بيوتهم ، من تعابى الأطعمة وغيرها .
واستمر هذا الضرب والشنك الى يوم الثلاثاء
رابع المحرم ... وأهل البلد ملازمون للسهر والزينة
على الحوانيت والدور ، ليلا ونهارا ، وتكرار
المناداة عليهم في كل يوم .
وركب حضرة الباشا وتوجه الى داره بالأزبكية ،
وهدمت الصواوين والخيام ، وبطل الرمي ، ودخلت
العساكر واليبنات بمتاعهم وعازقهم أفولجا الى
المدينة ، وذهبوا الى دورهم . ورفع الناس الزينة
— وكان معظمها حيث مساكن الافرنج والأرمن —
فانهم تفننوا في عمل التصاوير والتماثيل ، وأشكال
السرَج والفنيارات الزجاج والبلور وأشكال
النجف ، ومعظمها في جهات المسلمين بخان الخليلي
والغورية والجمالية ، وبيع بعض الأماكن والخانات
ملاهى وآغاني وسماعات وقيان وجنك رقاصات .

لخصوص الحراقات والنفوط والبارود والسوارىخ وغير ذلك .

وبعد انقضاء السبعة أيام المذكورة ، حصل السكون — من يوم الثلاثاء المذكور الى يوم الأحد التالى له من الجمعة الأخرى — مدة خمسة أيام . فى أثناءها اجتهد الناس من الأعيان ، وكل من له اسم من أكابر الناس ، وأهل الدائرة والأفندية الكتبة ... حتى الفقهاء أرباب المناصب والمظاهر ، ومشايخ الافتاء والنواب والمتفرجين ، فى نصب الخيام بحاقتى النيل ، واستأجروا الأماكن المطلة على البحر ، ولو من البعد ، وتنافسوا واشتط أربابها فى الأجرة حتى بلغ أجرة أحقر طبقة — يمثل وكالة الفسيخ — الى خمسمائة قرش وزيادة .

وكان الباشا أمر بإنشاء قصر لخصوص جلوسه بالجزيرة تجاه بولاق ، قبل قصر ابنه اسماعيل باشا ، وتمموا بياضه ونظامه فى هذه المدة القليلة . فلما كان ليلة الاثنين — وهو يوم عاشوراء — خرج الباشا فى ليلته ، وعدى الى القصر المذكور وخرج أهل الدائرة والأعيان الى الأماكن التى استأجروها وكذلك العامة أفواجا . وأصبح يوم الاثنين المذكور ، فضربت المدافع الكثيرة التى صفوها بالبرين ، وزين أهالى بولاق أسواقهم وحوائيتهم وأبواب دورهم ، وذقت الطبول والمزامير والنقرزانات فى السفائن وغيرها . وطبلخانة الباشا تضرب فى كل وقت ، والمدافع الكثيرة فى ضحوة كل يوم وعصره ... وبعد العشاء كذلك ، وتوقد المشاعل ، وتعمل أصناف الحراقات والسوارىخ والنفوط والشعل ، وتتقابل القلاع المصنوعة على وجه الماء ، ويرمون منها المدافع على هيئة المتحارين ، وفيها فوانيس وقناديل ، وهيئة باب مالطة ... بوابة مجسمة مقوصرة لها بدنان ، ويرى بداخلها سرج وشعل ، ويخرج منها حراقات

وسوارىخ ... وغالب هذه الأعمال من صناعة الافرنج .

وأحضروا سفائن رومية صغيرة — تسمى الشلنبات — يرمى منها مدافع وشناير وشيطيات وغلايين مما يسير فى البحر المالح . وفى جميعها وقذات وسرج وقناديل ، وكلها مزينة بالبيارق الحرير والأشكال المختلفة الألوان .

ودبوس أوغلى ببولاق التكرور ، وعنده أيضا الحراقات الكثيرة والشعل والمدافع والسوارىخ . وبالجزيرة عباس بيك ابن طوسون باشا . والتصارى الأرمن بمصر القديمة وبولاق والافرنج ، وأبرز الجميع زيتهم وتمائيلهم وحرائقهم . وعند الأعيان ، حتى المشايخ ، فى القنج والسفائن المعدة للسروح والتفرج والنزاهة ، والخروج عن الأوضاع الشرعية والأدبية ، واستمروا على ما ذكر الى يوم الاثنين سابع عشره .

الاثنين ١٧ منه (١٦ نوفمبر ١٨١٨ م) :

فى ذلك اليوم : وصل عبد الله بن سعود الوهابى ، ودخل من باب النصر — وصحبته عبد الله بكتاش قبطان السويس — وهو راكب على هجين ، وبجانبه المذكور ، وأمامه طائفة من الدلاة . فضربوا عند دخوله مدافع كثيرة من القلعة وبولاق وخلافهما .

واقضى أمر الشنك وخلافه من ساحل النيل وبولاق ، ورفعوا الزينة . وركب الباشا الى قصر شبرا فى تلك السفينة ، وانقض الجمع ، وذهبوا الى دورهم .

وكان ذلك من أغرب الأعمال التى لم يقع نظيرها بأرض مصر ... ولا مايقرب من ذلك ! ومطبخ الميرى يطبخ به الأرز على النسق المتقدم والأطعمة ، ويؤتى لأرباب المظاهر منها فى وجبتى الغداء والعشاء ، بخلاف المطابخ الخاصة بهم ،

وما يأتيهم من بيوتهم . وأما العامة والمتفرجون من الرجال والنساء ، فخرجوا أفواجا ، وكثر زحامهم في جميع الطرق الموصلة الى يولاق ليلا ونهارا ، بأولادهم وأطفالهم ركبانا ومشاة .

وقد ذهب في هاتين الملعبتين من الأموال ما لا يدخل تحت الحصر ، وأهل الاستحقاق يتلظون من القشل والتفليس ! مع ما هم فيه من غلاء الأسعار في كل شيء ، وانعدام الأدهان — وخصوصا السمن والشيرج والشحم — فلا يوجد من ذلك الشيء اليسير الا بغاية المشقة ، ويكون على حافوت الدهان الذي يحصل عنده بعض السمن شدة الزحام والصياح ، ولا يبيع بأزيد من خمسة ألساف ، وهي أوقية اثنا عشر درهما ، بما فيها من الخط . وأعوان المحتسب مرصدون لمن يرد من الفلاحين والمسافرين بالسمن ، فيحجزونه لمطالب الدولة ومطالبهم ودورهم في هذه الولائم والجمعيات ، ويدفع لهم ثمنه على موجب التسعيرة ، ثم يوزع ما يوزعه — وهو الشيء القليل — على المتسبين ، وهم يبيعونه على هذه الحالة ، ومثل ذلك الشيرج وخلافه حتى الجبن القريش .

وفيه : وصل عبد الله الوهابي ، فذهبوا به الى بيت اسماعيل باشا ابن الباشا فأقام يومه ، وذهبوا به في صباحها عند الباشا بشيرا ، فلما دخل عليه قام له ، وقابله بالبشاشة ، وأجلسه بجانبه ، وحادثه وقال له : « ما هذه الطاولة ؟ » فقال : « الحرب سجال » . قال : « وكيف رأيت ابراهيم باشا ؟ » . قال : « ماقصر ، وبذل همته ، ونحن كذلك ... حتى كان ماكان قدره المولى » . فقال : « أنا ان شاء الله تعالى أترجى فيك عند مولانا السلطان » . فقال : « المقدر يكون » . ثم ألبسه خلعة وانصرف عنه الى بيت اسماعيل باشا بيولاق .

ونزل الباشا في ذلك اليوم السفينة ، وسافر

الى جهة دمياط . وكان بصحبة الوهابي صندوق صغير من صفيح ، فقال له الباشا : « ما هذا ؟ » ، فقال : « هذا ما أخذه أبى من الحجرة أصعبه معى الى السلطان » . وفتح فوجد به ثلاثة مصاحف قرآنا مكلفة ، ونحو ثلثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد كبيرة ، وبها شريط ذهب . فقال له الباشا : « الذي أخذه من الحجرة أشياء كثيرة غير هذا » ، فقال : « هذا الذي وجدته عند أبى فانه لم يتأصل كل ما كان في الحجرة لنفسه بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة » . فقال الباشا : « صحيح وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك » .

الأربعاء ١٩ منه (١٨ نوفمبر ١٨١٨ م) :

سافر عبد الله بن سعود الى جهة الاسكندرية ، وصحبته جماعة من الططر الى دار السلطنة ، ومعه خدم لزمومه .

صفر

الأربعاء ٣ منه (٢ ديسمبر ١٨١٨ م) :

وصلت طائفة من الحجاج المغاربة يوم الأربعاء وصحبتهم حجاج كثيرة من الصباعدة وأهل القرى ، فدخلوا على حين غفلة . وكان الرئيس فيهم شخص من كبار عرب أولاد على يسمى الجبالي ، وهذا لم يتفق نظيره فيما وعيناه ، وسببه أمن الطريق ، وانكماش العربان وقطاع الطريق .

وفيه : أخبر المخبرون بأن الباشا أقام بدمياط أياما قليلة ، ثم توجه الى البرلس ، ونزل في بقيرة ، وذهب الى الاسكندرية على ظهر البحر المالح . وقد استعد أهلها لقدمه ، وزينوا البلد . والذي تولى الاعتناء بذلك طائفة الاقرنج : فانهم نصبوا طريقا من باب البلد الى القصر الذي هو سكن الباشا ، وجعلوا بناحيته — يمنى ويسرى —

أنواع الزينة والتماثيل والتساوير والبلور والزجاج والمرايات ، وغير ذلك من البدع البديعة الغربية .

الاثنين غايته (٢٨ ديسمبر ١٨١٨ م) :

وصل الحاج المصرى ، ودخلوا أرسالا شيئا فشيئا ، ومنهم من دخل ليلا ، وخصوصا ليلة الاثنين ، وفي صبحه دخل حسن باشا أرثوود الذى كان مقيما بجدة . وفي ذلك اليوم دخل بواقى الحجاج الى منازلهم .

ربيع الأول

الثلاثاء غرته (٢٩ ديسمبر ١٨١٨ م) :

في صبحه : دخلوا بالمجمل المدينة ، وأكثر الناس لم يشعر بدخوله ، وهذا لم يتفق فيما نعلم تأخر الحاج الى شهر ربيع الأول .

الثلاثاء ٨ منه (٥ يناير ١٨١٩ م) :

احترق سوق الشرم والجميلون ، الكائن أسفل جامع الغورية ، بما فيه من الحوانيت وبضائع التجار والأقمشة الهندية وخلافها ، فظهرت به النار من بعد العشاء الأخيرة . فحضر الوالى وآغات التبديل ، فوجدوا الباب الذى من جهة الغورية مغلوقا من داخل ، وكذلك الباب الذى من الجهة الأخرى — وهما في غاية المتانة — فلم يزالوا يعالجون فتح الباب بالعتلات والكسر الى بعد نصف الليل ، والنار عمالة من داخل . وهرب الخفير ، واحترق ليوان الجامع البرانى والدلهيز ، وأخذوا فى الهدم وصب المياه بآلات القصارين ، مع صعوبة العمل ، بسبب علو الحيطان الشاهقة والأخشاب العظيمة والأحجار الهائلة والعقود ، فلم يخذ لهب النار الا بعد حصة من النهار . وسرحت النار فى أخشاب الجامع التى بداخل

البناء ، ولم يزل الدخان صاعدا منها ، وسقطت الشبائيك النحاس العظام ، وبقيت مفتتة ومكلسة ، واستمر العلاج فى اطفاء الدخان ثلاثة أيام .

ولولا لطف المولى ، وتأخير فتح الباب لكونه مصفحا بالحديد فلم تعمل فيه النار ... فلو لم يكن كذلك لاحترق ، وسرحت النار الى الحوانيت الملاصقة به ... وهى كلها أخشاب ، ويعلوها سقائف أخشاب كذلك ، ومن فوق الجميع السقيفة العظيمة الممتدة على السوق من أوله الى آخره ، وهى فى غاية العلو والارتفاع وكلها أخشاب وحجنة وسهوم وبراطيم من أعلى ومن أسفل لحملها من الجهتين ، ومن ناحيتها الرابع والوكايل والدور ، وحيطان الجميع من الحجنة والأخشاب العتيقة التى تشتعل بأدنى حرارة . فلو وصلت النار — والعاذ بالله تعالى — الى هذه السقيفة لما أمكن اطفائها بوجه ، وكان حريقا دوميا ، ولكن الله سلم .

السبت ١٢ منه (٩ يناير ١٨١٩ م) :

حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف سابقا . وذلك أنه لما حصلت النصرة والمصرة للبasha ، كتب اليه مكتوبا بالتهنئة ، وأرسله مع حفيده السيد صالح الى الاسكندرية . فتلقاه بالبشاشة ، وطلق يسأله عن جده ، فيقول له : « بخير ، ويدعو لكم » . فقال له : « هل فى نفسه شئ أو حاجة تقضيها له ؟ » . فقال : « لا يطلب غير طول البقاء لحضرتكم » . ثم انصرف الى المكان الذى نزل به . فأرسل اليه فى ثانى يوم عثمان السلانكلى ليسأله ويستفسره عما عسى أن يستحى من مشافهة الباشا بذكره ، فلم يزل يلاطفه حتى قال : « لم يكن فى نفسه الا الحج الى بيت الله ان أذن له أفندينا بذلك » . فلما عاد بالجواب أنعم عليه بذلك ، وأذن له بالذهاب الى مصر ، وأن يقيم

الامام الشافعى ، وطلع الى القلعة ، وقابل الكتخدا وسلم عليه . وهنته الشعراء بقصائدهم ، وأعطاهم الجوائز ، واستمر ازدهام الناس أياما . ثم امتنع عن الجلوس فى المجلس العام نهارا ، واعتكف بحجرته الخاصة فلا يجتمع به الا بعض من يريده من الأفراد ، فانكف الكثير عن التردد ... وذلك من حسن رأى !

ربيع الآخر

فيه : حصل الاهتمام بحفر الترعة المعروفة بالأشرفية الموصلة الى الاسكندرية . وقد تقدم فى العام الماضى ، بل والذى قبله ، اهتمام الباشا . ونزل اليها المهندسون ، ووزنوا أرضها ، وقاسوا طولها وعرضها وعمقها المطلوب . ثم أهمل أمرها لقرب مجىء النيل ، وتركوا الشغل فى مبدئها ، ولم يترك الشغل فى منتهاها عند الاسكندرية بالقرب من عمود السوارى . فحفروا هناك منبتها — وهى بركة متسعة — وحوطوها بالبناء المحكم المتين ، وهى مرسى المراكب التى تعبر منها الى الاسكندرية بدلا عن البغاز ، وهو ملتقى البحرين ، وما يقع فيه من تلف المراكب ... فتكون هذه أسلم وأقرب وأقل كلفة — ان صحت — بل وأقرب مسافة .

ونزل الأمر لكشاف الأقاليم بجمع الفلاحين والرجال على حساب مزارع الفدادين ، فيحصون رجال القرية المزارعين ، ويدفعون للشخص الواحد عشرة ريال ، وبخصم له مثلها من المال . واذا كان له شريك ، وأحب المقام لأجل الزرع الصيفى ، أعطاه حصته وزاده عليها حتى يرضى خاطره ، وزوده بما يحتاج اليه أيضا ، وعند العمل يدفع لكل شخص قرش فى كل يوم .

ويخرج أهل القرية أفواجا ، ومعهم أنفار من مشايخ البلاد ، ويجتمعون فى المكان المأمورين

بداره الى أوان الحج ... ان شاء برا ، وان شاء بحرا . وقال : « أنا لا أتركه فى الغربة هذه المدة الا خوفا من الفتنة ، والآن لم يبق شئ من ذلك ، فانه أبى ، وبينى وبينه ما لا أنساه من المحبة والمعروف » . وكتب له جوابا بالاجابة . وصورته بحروفه :

« مظهر الشائل سنيها ، حميد الشئون وسميها ، سلالة بيت المجد الأكرم : والدنا السيد عمر مكرم ، دام شأنه .

« أما بعد : فقد ورد الكتاب اللطيف من الجناب الشريف ، تهنة بما أنعم الله علينا ، وفرحا بمواهب تأييده لدينا ... فكان ذلك مزيدا فى السرور ، ومستديما لحمد الشكور ، ومجلبة لثناكم ، واعلانا بنيل مناكم . جزيتم حسن الثناء مع كمال الوقار وويل المنى .

« هذا وقد بلغنا نجلكم عن طلبكم الاذن فى الحج الى البيت الحرام ، وزيارة روضته عليه الصلاة والسلام ... للرغبة فى ذلك ، والترجى لما هنالك . وقد أذناكم فى هذا المرام تقربا لذى الجلال والاكرام ، ورجاء لدعواتكم بتلك المشاعر العظام ، فلا تدعوا الابتهال ولا الدعاء لنا بالقال والحال ، كما هو الظن فى الطاهرين ، والمأمول من الأصفياء المقبولين .

« والواصل لكم جواب منا خطابا الى كتخدائنا . ولسكم الاجلال والاحترام ، مع جزيل الثناء والسلام » .

وأرسل اليه المكتوبين صحة حفيده السيد صالح ، وأرسل الى كتخدا بياك كتابا وصل اليه قبل قدومه . فأرسل الكتخدا ترجمانه الى منزله ليشرهم بذلك . وأشيع خبر مقدمه ، فكان الناس بين مصدق ومكذب ، حتى وصل فى اليوم المذكور الى بولاق . فركب من هناك ، وتوجه الى زيارة

باجتماعهم فيه ، ثم سيرون مع الكاشف الذى بالناحية ، ومعهم طبول وزمور وبيارق ونجارون وبناءون وحدادون ، وفرضوا على البلاد التى فيها التخييل غلقانا ومقاطف وعراجين وسلبا ، وعلى البنادق فوسا ومساحى ... شئ كثير بالثمن . وطلبوا أيضا طائفة الغواصين لأنهم كانوا اذا تسفلوا فى قطع الأرض — فى بعض المواضع منها — ينبع الماء قبل الوصول الى الحد المطلوب .

٢٠ منه (١٦ فبراير ١٨١٩ م) :

ورد مرسوم من الباشا بعزل كتبخدا بيك عن منصب الكتبخداية ، وتولية محمود بيك فيها عوضا عنه . وحضر محمود بيك فى ذلك اليوم قادما من الاسكندرية ، وطلع الى القلعة ، وحضر أيضا حسن باشا . وكان قد ذهب الى الاسكندرية ليسلم على الباشا لسكونه كان بالديار الحجازية المدة المديدة ، وحضر الى مصر والباشا بالاسكندرية ، فتوجه اليه ، وأقام معه أباما ، وعاد الى مصر صحبة محمود بيك . وحضر أيضا ابراهيم افندى من اسلامبول — وهو ديوان افندى الباشا — فتقلد فى نظر الأطيان والرزق والالتزام عوضا عن محمود بيك .

جمادى الأولى

الخميس ٧ منه (٤ مارس ١٨١٩ م) :

ضربت مدافع كثيرة وقت الشروق بسبب ورود نجابة من الديار الحجازية باستيلاء خليل باشا على بمن الحجاز صلحا .

وفيه : وصلت الأخبار أيضا عن عبد الله بن سعود ، أنه لما وصل الى اسلامبول طافوا به البلدة ، وقتلوه عند باب همايون ، وقتلوا أتباعه أيضا فى نواح متفرقة ... فذهبوا مع الشهداء ! وفيه : أشيع وصول قابجى كبير من طرف

الدولة ، يقال له قهوجى باشا ، الى الاسكندرية ، وورد الأمر بالاستعداد لحضوره مع الباشا . فطلعوا بالمطابخ الى ناحية شبرا ، وطلبت الخيول من الربيع ، واستمر خروج المساكر ودحرجهم ، وكذلك طبخ الأطعمة ، وفى كل يوم يشيرون الورود ، فلم يأت أحد ، ثم ذكروا أن ذلك القابجى ، حين قرب من الاسكندرية ، رده الريح الى رودس ، واستمر هذا الريح الى آخر الشهر !

وفيه : قوى الاهتمام بأمر حفر التربة المتقدم ذكرها ، وسيقت الرجال والفلاحون من الأقاليم البحرية ، وجدوا فى العمل بعدما حددوا لكل أهل اقليم أقصا بما توزع على أهل كل بلد من ذلك الاقليم . فمن أتم عمله المحدود ، انتقل الى مساعدة الآخرين . وظهر فى حفر بعض الأماكن منها صورة أماكن ومساكن وقيعان ، وحمام بعقوده وأحواضه ومغاطسه ، ووجد ظروف بداخلها فلوس نحاس كفسرية قديمة ، وأخرى لم تفتح — لا يعلم ما فيها — رفعوها للباشا مع تلك .

الأربعاء ٢٧ منه (٢٤ مارس ١٨١٩ م) :

حضر الباشا الى شبرا ، ووصل فى اثره قهوجى باشا . وعملوا له موكبا فى صبيحة يوم الخميس ، وطلعوا الى القلعة ، ومع الأغا المذكور ما أحضره برسم الباشا وولده ابراهيم باشا الذى بالحجاز ، وهو خلعتا سمور لكل واحد خلعة ، وخنجر مجوهر لكل واحد ، وشلنجان مجوهران ، وساعة جوهر وغير ذلك . وقرىء الفرمان بحضرة الجمع ، وفيه الشناء الكثير على الباشا والعفو عن بقى من الوهاية . وبعد القراءة ضربت مدافع كثيرة ، وكذلك عند ورودهم . واستمر ضرب المدافع ثلاثة أيام فى جميع الأوقات الخمس .

ونزل القابجى المذكور بيت طاهر باشا



باب همايون ... حيث قتل عبد الله بن سعود

في أواخره (أواخر أبريل ١٨١٩ م) :

رجع الكثير من فلاحى الأقاليم الى بلادهم من
الاشرفية ، وهم الذين أتموا ما لزمهم من العمل
والحفر . ومات الكثير من الفلاحين من البرد
ومقاساة التعب !

وفيه : حصل بعض موت بالطاعون . فداخل
الناس وهم بسبب ما حدث فى أكابر الدولة
والنصارى من التحجب وعمل الكورنتيلات ، وهى
التباعد من الملامسة ، وتبخير الأوراق والمجالس
ونحو ذلك .

رجب

الجمعة ٥ منه (٣٠ ابريل ١٨١٩ م) :

مات عبود النصرانى كاتب الخزينة . وكان
مشكور السيرة فى صناعته ، وعنده مشاركة

بالأزبكية ، وحضر أيضا عقبه أطواخ لكل من
عباس بيك ابن طوسون باشا ابن الباشا ، ولأحمد
بيك ابن طاهر باشا . وفى ضمن فرمان الاذن
للباشا بتولية أمريات وقبجيات لمن يختار .

الجمعة ٢٩ منه (٢٦ مارس ١٨١٩ م) :

خلع الباشا على أربعة أو خمسة من أمرائه
بقبجيات باشا ، وهم : على بيك السلانكلى قابجى
باشا ، وحسن أغا أزرغانلى كذلك ، و خليل أفندى
حاكم رشيد ، وشريف بيك .

جمادى الآخرة

الأحد غرته (٢٨ مارس ١٨١٩ م) :

فيه : حضر محمد بيك الذفتردار من الجهة
القبلية ، فأقام أياما وعاد الى قبلى .

ودعوى عريضة ودعوى علم ، ويتكلم بالمناسبات والآيات القرآنية ، ويضمن انشاءاته ومراسلاته آيات وأمثالا وسجعات ، وأخذ دار القيسرلى بدرب الجنيّة وما حولها ، وأنشأها دارا عظيمة وزخرفها ، وجعل بها بستانا ومجالس مفروشة بالرخام الملون ، وفساقى وشازروانات وزجاج بلور ... وكل ذلك على طرف الميرى ، وله مرتب واسع . وكان الباشا يحبه ويشق به ، ويقول « لولا الملامة لقلدته الدفتردارية » .

الأحد ٧ منه (٢ مايو ١٨١٩ م) :

حضر الى مصر حاكم يافا المعروف بمحمد بيك أبو نبوت معزولا عن ولايته فأرسل الى الباشا يستأذنه فى الحضور الى مصر فأطلق له الاذن فحضر ، فأنزله بقصر العيني وصحبته فحسو الخمسمائة مملوك وأجناد وأتباع ، واجتمع بالباشا وأجله وسلم عليه ، وأقام معه حصّة من الليل ، ورتب له مرتبا عظيما ، وعين له ما يقوم بكفايته وكفاية أتباعه .

فمن جملة ما رتب له : ثلاثة آلاف تذكرة كل تذكرة بألفين وستمائة نصف فضة فى كل شهر ، وذلك خلاف المعين واللوازم من السمن والخبز والسكر والعسل والحطب والأرز والفحم والشمع والصابون ، فمن الأرز خاصة فى كل يوم أردبان ، وللعليق خمسة وعشرون أردبا فى كل يوم .

السبت ١٣ منه (٨ مايو ١٨١٩ م) :

سافر قهوجى باشا عائدا الى اسلامبول ، واحتفل به الباشا احتفالا زائدا ، وقدم له ولمخدومه وأرباب الدولة من الأموال والهدايا والخيول والبن والأرز والسكر والشربات وتعابى الأقمشة الهندية وغيرها شيئا كثيرا ، وكذلك قدم له أكابر الدولة هدايا كثيرة ، ولأنه لما حضر الى مصر قدم لهم هدايا

فقابلوه بأضعافها ، وعند ما سافر احتجب الباشا ، وأمر كل من كان يلزم ديوانه بالانصراف والتجيب ، فتكرتن منهم من تكرتن فى داره ومنهم فى القصور ، وسافر مع قهوجى باشا سليمان أغا السلحدار وشربتشى باشا وآخرون لتشجيعه الى الاسكندرية .

الخميس ١٨ منه (١٣ مايو ١٨١٩ م) :

حضر بواقى الوهاية بحريمهم وأولادهم — وهم نحو الأربعمائة نسمة — وأمسكنوا بالقشلة التى بالأزبكية ، وابن عبد الله بن سعود بدار عند جامع مسبكة هو وخواصه من غير حرج عليهم ، وطفقوا يذهبون ويحيئون ويترددون على المشايخ وغيرهم ، ويمشون فى الأسواق ، ويشترون البضائع والاحتياجات .

شعبان

(٢٦ مايو — ٢٣ يونية ١٨١٩ م) :

فيه : وصل جماعة هجانة من جهة الحجاز ، وصحبتهم ابن حمود أمير يمن الحجاز . وذلك أنه لما مات أبوه تأمر عوضه ، وأظهر الطاعة وعدم المخالفة للدولة . فلما توجه خليل باشا الى اليمن ، أخلى له البلاد ، واعتزل فى حصن له ، ولم يخرج لدفعه ومحاربه كما فعل أبوه . وترددت بينهما المراسلات والمخادعات حتى نزل من حصنه ، وحضر عند خليل باشا . فقبض عليه وأرسله مع الهجانة الى مصر .

وفيه : صرفوا الفلاحين عن العمل فى التربة لأجل حصاد الزرع ، ووجهوا عليهم طلب المال !

رمضان

الخميس غرته (٢٤ يونية ١٨١٩ م) :

استهل والباشا مكرتن بشبرا ، ولم يطلع الى القلعة/كعادته فى شهر رمضان .

الأربعاء ٢٨ منه (٢١ يولية ١٨١٩ م) :

طلع الى القلعة ، وعيد بها

ذوالقعدة

الأحد غرته (٢٢ اغسطس ١٨١٩ م) :

استهل والعمل في التربة مستمر .

شوال

١٤ منه (٥ اغسطس ١٨١٩ م — آخر ايب ١٥٣٥ ق) :

نودى بوفاء النيل ، وكان الباشا سافر الى جهة
لأسكندرية بسبب ترعة الأشرفية ، وأمر حكام
الجهات بالأرياف بجمع الفلاحين للعمل . فأخذوا
في جمعهم ، فكانوا يربطونهم قطارات بالجمال ،
ويزلون بهم المراكب . وتعطلوا عن زرع الدراوى
الذى هو قوتهم ، وقاسوا شدة بعد رجوعهم من
المرّة الأولى بعد ما قاسوا ما قاسوه ومات الكثير
منهم من البرد والتعب ، وكل من سقط أهلكوا عليه
من تراب الحضر ... ولو فيه الروح !

ولما رجعوا الى بلادهم للحصيدة ، طولوا
بالمال ، وزيد عليهم عن كل فدان حمل بعير من
التبن وكيلة قمح وكيلة فول ، وأخذ ما يبيعونه
من الغلة بالثمن الدون والكيل الوافر ... فما هم
الا والطلب للعود الى الشغل في التربة ، ونزح المياه
التي لا ينقطع نبعها من الأرض ، وهى في غاية
الملوحة . والمرّة الأولى كانت في شدة البرد ، وهذه
المرّة في شدة الحر ، وقلة المياه العذبة ، فينقلوها
بالروابا على الجمال مع بعد المسافة وتأخر رى
الاسكندرية !

٢٧ منه (١٨ اغسطس ١٨١٩ م) :

ارتحل ركب الحجاج من البركة . وأمير الحاج
عابدين بيك أخو حسن باشا .

ذوالحجة

الثلاثاء ١٥ منه (٥ اكتوبر ١٨١٩ م) :

سافر الباشا الى الصعيد ، وسافر صحبته
حسن باشا طاهر ، ومحمد آغا لافظ المنفصل عن
الكتخدائية ، وحسن آغا أزرجانلى ، وغيرهم من
أعيان الدولة .

وفيه : وصل الخبر بموت سليمان باشا حاكم
عكا ، وهو من ممالك أحمد باشا الجزائر .

في أواخره (النصف الثانى من اكتوبر ١٨١٩ م) :

وفى أواخره : وصل ابن ابراهيم باشا ، وصحبته
حريم أبيه . فضربوا لوصولهم مدافع ، وعملوا
للصغير موكبا ، ودخل من باب النصر ، وشق من
وسط المدينة .

واقضت السنة وما تجدد بها من الحوادث
التي منها : زيادة النيل الزيادة المفردة أكثر من
العام الماضى . وهذا من النواذر — وهو الفرق —
في عامين متتابعين ، واستمر أيضا في هذه السنة الى
منتصف هاتور ، حتى فات أوان الزراعة ، وربما
قص قليلا ثم يرجع في ثالى يوم أكثر ما قص .

المحتدم

الخميس غرته (٢١ أكتوبر ١٨١٩ م) :

كان أول المحرم بالهلال يوم الخميس ، وفيه ، وما قبله بأيام : حصل بالأرياف ، بل وبداخل المدينة ، انزعاجات بسبب تواتر سرقات ، وإشاعة سروح مناسر وحرامية ، وعمر الناس أبواب الدور والدروب ، وحصل منع الناس من المسير والمشى بالأزقة من بعد الغروب . وصار كتحذد بيك وأغات التبديل والوالى يطوفون ليلا بالمدينة ، وكل من صادفوه قبضوا عليه وحبسوه ... ولو كان مالا شبهة فيه ، واستمر هذا الحال الى آخر الشهر .

صفر

الجمعة غرته (١٩ نوفمبر ١٨١٩ م) :

سافر محمد أغا ، المعروف بأبو نبوت ، الشامى الى دار السلطنة باستدعاء من الدولة ، وذلك أنه لما حضر الى مصر ، ونزل برحاب الباشا كما تقدم ، وكاتب الباشا فى شأنه الى الدولة ، فحضر الأمر بطلبه وأوكد بالاكرام . فعند ذلك هيا له الباشا ما يحتاج اليه من هدية وغيرها ، وتعين للسفر صحبته خمسة وثلاثون شخصا أرسل اليهم الباشا كساوى وفرأوى ، وترك باقى أتباعه بمصر أنزلوهم فى دار بسويقة اللالا — وهم يزيدون عن المائتين — ويصرف لهم الرواتب فى كل يوم والشهرية .

وفيه : وصل جماعة من عسكر المغاربة والعرب الذين كانوا ببلاد الحجاز ، وصحبتهم أسرى من الوهاية نساء وبنات وغلمانا ، نزلوا عند الهمايل ،

الثلاثاء ٢٧ منه (١٦ نوفمبر ١٨١٩ م) :

حضر الباشا من الصعيد بعد أن وصل فى سرحته الى الشلال . وكان الناس يقولوا على ذهابه الى قبلى أقاويل ، منها : أنه يريد التجريد على بواقى المصريين المنقطعين بدنقلة : فإنهم استفحل أمرهم ، واستكثروا من شراء العبيد ، وصنعوا البارود والمدافع وغير ذلك .

ومنها : أنه يريد التجريد أيضا ، وأخذ بلاد دارفور والنوبة ، ويمهد طريق الوصول اليها .

ومنها : أنهم قالوا انه ظهر بتلك البلاد معدن الذهب والفضة والرصاص والزمرد ، وان ذهابه للكشف على ذلك وامتحانه ، وعمل معدله ومقدار ما يصرف عليه حتى يستخرج صافيه .

وبطل كل ما توهموه وخمنوه برجوعه . وأما

وظفوا يبيعونهم على من يشتريهم ... مع أنهم مسلمون وأحرار !

الجمعة ١٥ منه (٣ ديسمبر ١٨١٩ م) :

مات مصطفى أغا وكيل دار السعادة سابقا ، ومات أيضا الشيخ عبد الرحمن القرشي الحنفى .

الأحد ١٧ منه (٥ ديسمبر ١٨١٩ م) :

وصل الحاج المصرى ، ومات الكثير من الناس فيه بالحمى ، وكذلك كثرت الحمى بأرض مصر ، وكأنها تناقلت من أرض الحجاز .

الخميس ٢١ منه (٩ ديسمبر ١٨١٩ م) :

وصل ابراهيم باشا ابن الباشا من ناحية القصير . وكان قبل وروده بأيام وصل خبر وصوله الى القصير . وضربوا لذلك الخير مدافع من القلعة وغيرها ، ورمحت المبشرون لأخذ البقاشيش من الأعيان ، واجتمعت نساء أكابرهم عند والدته ونسائهم للتهنئة ، ونظّموا له القصر الذى كان أنشأه ولى خوجة وتمه شريف بيك الذى تولى فى منصبه ، وهو بالروضة بشاطيء النيل تجاه الجيزة وعند وصول المذكور عملوا جسا من الروضة الى ساحل مصر القديمة على مراكب من البر الى البر ، ورددوه بالأتربة من فوق الأخشاب . وفى ذلك اليوم : وصل قابجى من دار السلطنة بالشارة بمولود ولد لحضرة السلطان ، وطلع الى القلعة فى موكب .

وفيه : عند وصول ابراهيم باشا نودى بزنة المدبنة سبعة أيام بلياليها . فشرع الناس فى تزيين الخوانيت والدور والخانات بما أمكنهم ، وقدروا عليه من الملونات والمقصبات . وأما جهات النصارى وحاراتهم وخاناتهم فانهم أبلدعوا فى عمل تصاوير مجسمات وقنايل وأشكال غريبة . وشكا الناس من عدم وجود الزيت والشيرج ، فرسموا بجملة قناطير شيرج تعطى للزياتين لتباع على الناس بقصد ذلك ،

فيأخذونها ويبيعونها بأغلى ثمن بعد الانكار والكتمان .

ولما أصبح يوم الجمعة — وقد عدى ابراهيم باشا الى بر مصر — رتبوا له موكبا ، ودخل من باب النصر ، وشق المدينة ، وعلى رأسه الطلخان السليمى — من شعار الوزارة — وقد أرخى لحيته بالحجاز . وحضر والده الى جامع الغورية بقصد الفرجة على موكب ابنه ، وطلع بالموكب الى القلعة ، ثم رجع سائرا بالهيئة الكاملة الى جهة مصر القديمة ، ومر على الجسر ، وذهب الى قصره المذكور بالروضة .

واستمرت الزينة والوقود ، والسهر بالليل ، وعمل الحرافات ، وضرب المدافع فى كل وقت من القلعة ، ومغانى وملاعب فى مجامع الناس ، سبعة أيام بلياليها ، فى مصر الجديدة والقديمة وبولاق وجميع الأخطاط .

ورجع ابراهيم باشا من هذه الغيبة متعظما فى نفسه جدا ، ودخله من الفرور ما لا مزيد عليه . حتى ان المشايخ لما ذهبوا للسلام عليه والتهنئة بالقُدوم ، فلما أقبلوا عليه — وهو جالس فى ديوانه — لم يقيم لهم ، ولم يرد عليهم السلام . فجلسوا وجعلوا يهتفون بالسلامة ، فلم يجبههم ... ولا بالاشارة ا بل جعل يحدث شخصا سخرية عنده . وقاموا على مثل ذلك منصرفين ومنكسفين ومنكسرى خاطر .

ربيع الأول

٨ منه (٢٥ ديسمبر ١٨١٩ م) :

مات ابن ابراهيم باشا — وهو الذى تقدمه فى المجيء الى مصر — وعملوا له الموكب ، وعمره نحو ست سنوات . وكان موته فى أول الليل من ليلة الأحد . فأرسلوا التنايه لأعيان الدولة والمشايخ ، فخرج البعض منهم فى ثلث الليل الأخير الى مصر القديمة حيث المعادى ، لأنه مات بقصر

امارة الصعيد ، وقلد عوضه أحمد باشا ابن طاهر باشا ، وسافر في خامسه .

الأحد ٧ منه (٢٣ يناير ١٨٢٠ م) :

سافر الباشا الى الاسكندرية للكشف على التربة ، وسافر صحبته ابنه ابراهيم باشا ومحمد بيك الدفتردار والكتخدا القديم ودبوس أوغلى .

السبت ١٣ منه (٢٩ يناير ١٨٢٠ م) :

حضر الباشا ومن معه من غيبتهم ، وقد انشرح خاطره لتمام التربة وسلوك المراكب وسفرها فيها : وكذلك سافرت فيها مراكب رشيد والنقاير بالبضائع . واستراحوا من وبر البوغاز ، والسفر في المالح الى الاسكندرية ، والنقل والتجريم ، وانتظار الرياح المناسب لاقتحام البوغاز والبحر الكبير . ولم يبق في شغل التربة الا الأمر اليسير ، واصلاح بعض جسورها .

واتفق وقوع حادثة في هذا الشهر : وهو أن شخصا من الافرنج الانكليز ورد من الاسكندرية ، وطلع الى بلدة تسمى كفر حشاد ، قمشى بالغيظ ليصطاد الطير ، فضرب طيرا بيندقته فأصاب بعض الفلاحين في رجله . وصادف هناك شخصا من الارنؤود بيده هراوة أو مسوكة ، فجاء الى ذلك الافرنجى ، وقال له : « أما تخشى أن يأتى اليك بعض الفلاحين ويضربك على رأسك هكذا » ، وأشار بما في يده على رأس الافرنجى لكونه لا يفهم لغته . فاغتاز من ذلك الافرنجى ، وضربه بيندقته فسقط ميتا .

فاجتمع عليه الفلاحون ، وقبضوا على الافرنجى ، ورفعوا الارنؤودى المقتول ، وحضروا الى مصر ، وطلعوا بمجلس كتخدا بيك . واجتمع الكثير من الأرثوود وقالوا : « لابد من قتل الافرنجى » . فاستعظم الكتخدا ذلك ، لأنهم يراعون جالب الافرنج الى الغاية ، فقال : « حتى نرسل الى القناصل ونحضرهم ليروا حكمهم في ذلك » .

الجيزة . فما طلع النهار حتى ازدحموا بمصر القديمة ، وما حضروا به الا قرب الزوال . وانجروا بالمشهد الى مدفنهم بالقرب من الامام الشافعى ، وعملوا له مأتما ، وفرقوا دراهم على الناس والفقهاء وغير ذلك .

ثم حكى المخبرون عن كيفية موته : أنه كان نائما في حجر دأدته — جارية سوداء — فشاجرتها جارية بيضاء ، ورفصتها برجلها فأصابته الغلام ، فاضطرب . ووصل الخبر الى آبيه ، فدخل اليهم ، وقبض على الجوارى الحاضرات وحسهن في مكان بالقصر ، وقال : « ان مات ولدى قتلتكن عن آخر كن » ، فمات من ليلته . فخنق الجميع وألقاهن في البحر بما فيهن الدادة . قيل انهن خمس ، وقيل ست ... والله أعلم .

في اواخره (حوالى منتصف يناير ١٨٢٠ م) :

انقضى أمر الفجر بترعة الاسكندرية ، ولم يبق من الشغل الا القليل . ثم فتحوا لها شرما ، خلاف قبها المعول ، خوفا من غلبة البحر . فجرى فيها الماء ، واختلط بالمياه المالحة التى نبعت من أرضها ، وعلا الماء منها على بعض المواطن المسبخة ، — وبها روبة عظيمة — وساح على الأرض ، وليس هناك جسور تمنع ، وصادف أيضا وفوق بوة وأهوية علا فيها البحر المالح على الجسر الكبير ، ووصل الى التربة . فأشيع في الناس أن التربة فسد أمرها ولم تصح ، وأن المياه المالحة ، التى منها ومن البحر ، غرقت الاسكندرية ، وخرج أهلها منها ... الى أن تحقق الخبر بالواقع — وهو دون ذلك — ورجع المهندسون والفلاحون الى بلادهم بعدما هلك معظمهم ا

ربيع الآخر

الاثنين غرته (١٧ يناير ١٨٢٠ م) :

في أوله : عزل الباشا محمد بيك الدفتردار عن

الكثير من أتباعه بالحمى . فتكدر حظهم ، وبطلت
الضيافات وحضر الباشا ومن معه — فى أواخره —
لعمل العزاء والميتم . وأخبر الواردون بكثرة
الحمى بالديار الحجازية ، حتى قالوا انه لم يبق
من طائفة عابدين بيك الا القليل جدا .

ربيع الآخر

الثلاثاء ٢٠ منه (٤ ابريل ١٨٢٠ م) :

وردت هدية من والى الشام ، فيها من الخيول
الخاص عشرة : بعضها ملبس ، والباقي من غير
سروج ، وأشياء أخر لا نعلمها .

أواخره (النصف الأول من ابريل ١٨٢٠ م) :

ورد الخبر بأن حسن بيك الشباشرجى استولى
على سيوة .

وفيه : ورد الخبر بأنه وقع باسلامبول حريق
كبير .

وفيه : ورد الخبر أيضا عن حلب بأن أحمد
باشا — المعروف بخورشيد ، الذى كان سابقا
والى مصر — استولى على حلب ، وقتل من أهلها
وأعيانها أناسا كثيرة . وذلك أنه كان متوليا عليها ،
فحصل منه ما أوجب قيام أهل البلدة عليه ، وعزلوه
وأخرجوه ... وذلك من مدة سابقة . فلما أخرجوه
أقام خارجها ، وكاتب الدولة فى شأنهم ، وقال
ما قال فى حقهم . فبعثوا أوامر ومراسيم لولاة
تلك النواحي بأن يتوجهوا لمعنته على أهل حلب .
فاحتاطوا بالبلدة ، وحاربوها أشهرا حتى ملكوها ،
وفتكوا فى أهلها ، وضربوا عليهم ضرائب عظيمة
... وهم على ذلك .

وفيه أيضا : تقلد أغوية مستحفظان مصطفى
أغا كرد — مضافة للحسبة — عوضا عن حسن أغا
الذى توفى فى الحج . فأخذ يعسف كعاداته فى
مبادئ توليته للحسبة ، وجعل يطوف ليلا ونهارا ،
ويحتج على المارين بالليل بأدنى سبب ، فيضرب

وأرسل باحضارهم ... وقد تكاثر الأرثوود
وأخذتهم الحمى ، وقالوا : « لآى شئ تؤخر قتله
الى مشورة القناصل ؟ وان لم يقتل هذا فى الوقت ،
نزلنا الى حارة الافرنج ونهناها وقتلنا كل من بها
من الافرنج » . فلم يسع الكتخد الا أن أمر بقتله .
فنزلوا به الى الرميطة ، وقطعوا رأسه . وطلع أيضا
القناصل فى كبكبتهم ... وقد نفذ الأمر . وكان
ذلك فى غيبة الباشا .

جمادى الأولى

(١٥ فبراير — ١٥ مارس ١٨٢٠ م)

فيه : جرد الباشا حسن بيك الشباشرجى ،
حاكم البحيرة ، على سيوة من الجهة القبليّة ،
فتوجه اليها من البحيرة بجنده ومعه طائفة من العرب .

وفيه : قوى عزم الباشا على الاغارة على نواحي
السودان . فمن قائل انه متوجه الى سنار ، ومن
قائل الى دارفور . وصارى العسكر ابنه اسماعيل
باشا وخلافه . ووجه الكثير من اللوازم الى الجهة
القبليّة ، وعمل بالقسماط والذخيرة ببلاد قبلى
والشرقية . واهتم اهتماما عظيما ، وأرسل أيضا
باحضار مشايخ العربان والقبائل .

وفيه : خرج الباشا الى ناحية القليوبية ، حيث
الخيول بالربيع ، وخرج محو بيك لضيافته
بقلقشندة ، وأخرج خياما وجمالا كثيرة محملة
بالفرش والنحاس وآلات المطبخ والأرز والسمن
والعسل والزيت والحطب والسكر وغير ذلك ،
وأضافه ثلاثة أيام ، وكذلك تامر كاشف الناحية
وغيره ، وكذلك أحضر له ضيافة ابن شديد شيخ
الحويطات ، وابن الشواربى كبير قليوب ، وابن
عسر . وكان صحبة الباشا ولداه ابراهيم باشا
واسماعيل باشا ، وحسن باشا .

وفى أثناء ذلك : ورد الخبر بموت عابدين بيك ،
أخو حسن باشا ، بالديار الحجازية ، وكذلك

من يصادفه راجعا من مهر ونحوه ، أو يقطع من
أذنه أو أنفه !

رجب

الأحد ٣ منه (١٦ ابريل ١٨٢٠ م) :

تقلد نظر الحسبة شخص يسمى حسين أغا
المورلى ، وهو بخشونجى بساتين الباشا .
وفيه : رجع حسن بيك الشماشجى من ناحية
سيوة ، بعد أن استولى عليها ، وقبض من أهاليها
مبلغا من المال والتمر ، وقرر عليها قدرا يقومون به
فى كل عام الى الخزينة .

الأربعاء ٢٠ منه (٣ مايو ١٨٢٠ م) :

سافر محمد أغا لآظ — وهو المنفصل عن
الكتخدائية — الى قبلى بمعنى أنه فى مقدمة الجردة
يتقدمها الى الشلال .

فى أواخره (النصف الأول من مايو ١٨٢٠ م) :

وصل الخبر بموت خليل باشا بالديار الحجازية
فخلع الباشا على أخيه أحمد بيك — وهو ثالث
أخوته — وهو أوسطهم ، وقلده فى منصب أخيه
عوضا عنه ، وأعطى البيرق واللاوازم .

وفيه أيضا : توجه الباشا الى ناحية الوادى لينظر
ما تجدد به من العمار والمزارع والسواقى . وقد
صار هذا الوادى اقليما على حدته ، وعمر به قرى
ومساكن ومزارع .

شعبان

الأحد غرته (١٤ مايو ١٨٢٠ م) :

فيه : سافر ابراهيم باشا الى القليوبية ، ثم الى
المنوفية والغربية ، لقبض الخراج عن سنة تاريخه ،
والطلب بالبواقى التى انكسرت على الفقراء
— وكان الباشا سامح فى ذلك ، وتلك بواقى مبيع
ستين — فكان يطلب مجموع ما على القرية من
المال والبواقى فى ظرف ثلاثة أيام . ففزعت الفلاحون

ومشايع البلاد ، وتركوا غلالهم فى الأجران ،
وطششوا فى النواحي بنسائهم وأولادهم . وكان
يجبس من يجده من النساء ويضربهن . فكان
مجموع المال المطلوب تحصيله ، على ما أخبرنى به
بعض الكتاب ، مائة ألف كيس (١) .

الأحد ١٥ منه (٢٨ مايو ١٨٢٠ م) :

حضر الباشا من ناحية الوادى .

فى أواخره (النصف الأول من يونية ١٨٢٠ م) :

وقع حريق ببولاق فى مغالق الخشب التى خلف
جامع مرزة وأقام الحريق نحو يومين حتى طفىء ،
واحترق فيه الكثير من الخشب المعد للعمائر المعروفة
بالكرسنة ، والزفت ، وحطب الأشراق وغيره .

رمضان

الاثنين غرته (١٢ يونية ١٨٢٠ م) :

واستهل والاهتمام حاصل وكل قليل يخرج عساكر
ومغاربة مسافرين الى بلاد السودان ومن جملة
الطلب ثلاثة أنفار من طلبة العلم يذهبون بصحبة
التجريدة . فوقع الاختيار على محمد أفندى
الأسيوطى ، قاضى أسيوط . والسيد أحمد البقل
الشافعين ، والشيخ أحمد السلاوى المغربى المالكى .
وأقبضوا محمد أفندى المذكور عشرين كيسا
وكسوة ، ولكل واحد من الاثنين خمسة عشر
كيسا وكسوة . ورتبوا لهم ذلك فى كل سنة .

الأحد ٧ منه (١٨ يونية ١٨٢٠ م) :

وقع حريق فى سراية القلعة . فطلع الأغا والوالى
وآغات التبديل ، واهتموا بطفء النار ، وطلبوا
السقائين من كل ناحية ، حتى شح الماء ولا يكاد
يوجد — وكان ذلك فى شدة الحر ، وتوافق شهر
بؤونة ورمضان — وأقاموا فى طفء النار يومين ،
واحترق ناحية ديوان كتخدا بيك ومجلس شريف
بيك ، وتلفت أشياء وأمتعة ودفاتر .. حرقا ونهباً .

(١) فى بعض النسخ « مائة وسبعين ألف كيس » .

عمل مهم لختان عباس باشا ابن أخيه طوسون باشا — وهو غلام فى السادسة — فشرعوا فى ذلك فى تاسع عشره ، ونصبوا خياما كثيرة تحت القصر . وحضرت أرباب الملاعب والحواة ، والمغزلكون والبهلوانيون ، وطبخت الأطعمة والحلواء والأسمطة ، وأوقدت الوقودات بالليل من المشاعل والقناديل ، والشموع بداخل القصر ، وتعاليق النجفات البلور وغير ذلك .

ورسموا باحضار غلمان أولاد الفقراء ، فحضر الكثير منهم وأحضروا المزيّنين . فختنوا فى أثناء أيام الفرح نحو الأربعمئة غلام ، ويفرشون لكل غلام طراحة ولخافا يرقد عليها حتى يبرأ جرحه ، ثم يعطى لكل غلام كسوة وألف نصف فضة . وفى كل ليلة يعمل شنك وحرقات ونقوطة ومدافع بطول الليل ودعوا فى أثناء ذلك كبار الأشياخ والقاضى والشيخ السادات والبكرى — وهو تقيب الإشراف أيضا — والمقاتلى . وصار كل من دخل منهم يجلسونه من سكوت ، ولم يقم لواحد منهم ، ولم يرد على من يسلم — ولا بالإشارة — السلام . ولم يكلمهم بكلمة يؤانسهم بها . وحضرت المائدة فتعاطوا الذى تعاطوه . حتى انقضى المجلس ، وقاموا وانصرفوا من سكوت .

الأربعاء ٢٣ منه (٢ أغسطس ١٨٢٠ م) :
خرجوا بالمحمل الى الحصوة ، وأمير الحاج شخص من الدلاة لم نعرف اسمه .

الخميس ٢٤ منه (٣ أغسطس ١٨٢٠ م) :
عملوا الزفة لعباس باشا ، ونزلوا به من القلعة على الدرب الأحمر ، على باب الخرق الى القصر ... وختنوه فى ذلك اليوم . وامتلا طشت المزين الذى ختنه بالدنانير من نقوطة الأكابر والأعيان ، وخلعوا عليه قرونة وشال كشميرى ، وأنعموا على باقى المزيّنين بثلاثين كيسا واقضى ذلك .

وذلك أن أبنية القلعة كانت من بناء الملوك المصرية بالأحجار والصخور والعقود ، وليس بها الا القليل من الأخشاب ... فهدموا ذلك جميعه ، وبنا مكانه الأبنية الرقيقة — وأكثرها من الحجنة والأخشاب ، على طريق بناء اسلامبول والاقرنج — وزخرفوها ، وطلوها بالبياض الرقيق والأدهان والنقوش ، وكله سريع الاشتعال ... حتى أن الباشا لما بلغه هذا الحريق — وكان مقيما بشبرا — تذكر بناء القلعة القديم وما كان فيه من المتانة ، ويلوم على تغيير الوضع السابق ، ويقول : أنا كنت غائبا بالحجاز ، والمهندسون وضعوا هذا البناء . وقد تلف فى هذا الحريق ما ينيف عن خمسة وعشرين ألف كيس ... حرقا ونهبا . ولما حصل هذا الحريق ، انتقلت الدواوين الى بيت طاهر باشا بالأزبكية . وانقضى شهر رمضان .

شوال

الثلاثاء غرته (١١ يولية ١٨٢٠ م) :

وقع فى تلك الليلة اضطراب فى ثبوت الهلال لكونه كان عسر الرؤية جدا ، وشهد اثنان برؤيته . ورد الواحد ، ثم حضر آخر . ولم يزلوا كذلك الى آخر الليل ، ثم حكم به عند الفجر ... بعد أن صليت التسراويج ، وأوقدت المنارات ، وطاف المسحرون بطبلاهم ، وتسحرت الناس ، وأصبح العيد باردا .

السبت ٥ منه (١٥ يولية ١٨٢٠ م) :

سافر الباشا الى ثغر سكندرية كعادته ، وأقام ولده ابراهيم باشا للنظر فى الأحكام والشكاوى والدعاوى . وكانت اقامته بقصره الذى أنشأه بشاطيء النيل ... تجاه مضرب النشاب ، وتعاضم فى نفسه جدا .

ولما رجع ابراهيم باشا من مرحته ، شرعوا فى

الثلاثاء ٢٩ منه (٨ أغسطس ١٨٢٠ م — ٣ مسرى
١٥٣٦ ق) :

أوفى النيل أذرعه ، وكسر السد في صباحها يوم
الأربعاء ، وجرى الماء في الخليج .. وذلك بحضرة
كتخدا بيك والقاضى .

وفي هذا الشهر : حضر طائفة من بواقى الأمراء
المصرية من دقلة الى بر الجيزة . وهم نحو الخمسة
وعشرين شخصا ، وملابسهم قمصان بيض لاغير .
فأقاموا في خيمة ينتظرون الاذن ، وقد تقدم منهم
الارسال بطلب الأمان عندما بلغهم خروج التجاريد ،
وحضر ابن على بيك أيوب وطلب أمانا لأبيه —
فأجيبوا الى ذلك ، وأرسل لهم أمانا لأجمعهم .. ماعدا
عبد الرحمن بيك ، والذي يقال له المنفوخ ، فليس
يعطيهم أمانا ، ولما حضرت مراسلة الأمان لعلى بيك
أيوب ، وتأهب للرحيل .. حقدوا عليه وقتلوه .
ووصل خبر موته ، فعملوا نعيه في بيته — سكن
زوجته الكائن بشمس الدولة — وأكثروا من
النذب والصراخ عدة أيام .

وفي هذا الشهر أيضا : حضر أشخاص من بلاد
العجم ، وصحبته هدية الى الباشا ، وفيها خيول ،
فأنزلوهم بيت حسين بيك الشماشرجى بناحية
سويقة العزى .

ذوالقعدة

الأحد ٤ منه (١٣ أغسطس ١٨٢٠ م) :

وصل قابجى وعلى يده مرسوم تقرير للباشا
بولاية مصر على السنة الجديدة ، وتقرير آخر
لولده ابراهيم باشا بولاية جدة .. وركب القابجى
المذكور في موكب من بولاق الى القلعة ، وقرئت
المراسيم بحضرة كتخدا بيك و ابراهيم باشا
وأعيانهم ، وضربوا مدافع .

وفيه : سافر اسماعيل باشا الى جهة قبلى ، وهو
أمير العسكر المعينة لبلاد النوبة .. كل ذلك والباشا
الكبير على حاله بالأسكندرية .

ذوالحجّة

(٩ سبتمبر — ٨ أكتوبر ١٨٢٠ م)

فيه : توجه ابراهيم باشا الى أبيه بالأسكندرية
فأقام هناك أياما وعاد في آخر الشهر فأقام بمصر
أياما قليلة ، وسافر الى ناحية قبلى ليجمع ما يجده
عند الناس من القمح والفول والعدس الثلاثة
أصناف . وأخذوا كل سفينة غصبا ، وساقوا
الجميع الى قبلى لحمل الغلال ، وجمعها في الشون
البحرية لتباع على الافرنج والروم بالأثمان الغالية .
وانقضت السنة . ومن حوادثها : زيادة النيل
الزيادة المفرطة وخصوصا بعد الصليب . وقد كان
حصل الاعتناء الزائد بأمر الجسور بسبب ما حصل
في العامين السابقين من التلف ، فلما حصلت هذه
الزيادة بعد الصليب ، وطف المساء على أعلى
الجسور ، وغرق مزارع الذرة والنيلة والقصب
والأرز والقطن وأشجار البساتين ، وغالب أشجار
الليمون والبرتقان بما عليها من الثمار ، وصار
الماء ينبع من الأرض المنوعة نبعا . ولا عاصم من
أمر الله !

وطال مكث الماء على الأرض حتى فات أوان
الزراعة ، ولم نسمع ولم نر في خوالى السنين تتابع
الغرفات ، بل كان الغرق نادر الحصول . وعلا ماء
الخليج حتى سد غالب فرجات القناطر ، ونبع الماء
من الأراضي الواطية القريبة من الخليج مثل غيط
العدة ، وجامع الأمير حسين ونحو ذلك .

ومنها : أن ترعة الأسكندرية المحدثه — لما
تم حفرها ، وسموها بالمحمودية على اسم السلطان
محمود — فتحو لها شرما دون فمها المعد لذلك ،
وامتلأت بالماء . فلما بدأت الزيادة زادت ، وطف
الماء في المواضع الواطية ، وغرقت الأراضي ،
فسدوا ذلك الشرم ، وأبقوا من داخله فيها عدة
مراكب للمسافرين ، فكانوا ينقلون منها الى

مراكب البحر ، ومن البحر الى مراكبها وبقي ماؤها مالحة متغيرا ، واستمر أهل الثغر في جهدهم من قلة الماء العذب ، وبلغ ثمن الراوية قرشين .

ومنها : أنه لما وقع القياس في أراضي القرى ، قرروا مسموحا لمشايخ البلاد — في نظير مضايقتهم — خمسة أفدنة من كل مائة فدان . وفي هذا العام يدفع مال المسموح ستين ... وذلك عقب مطالبتهم بالخراج قبل أوانه ، وما صدقوا أنهم غلقوه ببيع غلالهم بالنسيئة والاستدانة ، وبيع المواشى والأمتعة ومصاغ النساء . وكانوا أيضا طولبوا بالبواقي في السنين الخوالي التي كانوا عجزوا عنها . ولم يزل رمى الغلال في هذه السنة ، وكذلك الفول وثمر التخل والفواكه . ولما طولب مشايخ البلاد بمال المسموح ، ازداد كربهم : فانه ربما يجيء على الواحد ألف ريال وأقل وأكثر ، وقد قاسوا الشدائد في غلاق الخراج الخارج عن الحد ، وعدم زكاة الزرع ، وغرق مزارع النيلة والأرز والقطن والقبص والكتان وغير ذلك .

وفي أثر ذلك : فرضوا على الجواميس كل رأس عشرون قرشا ، وعلى الجمل ستون قرشا ، وعلى الشاة قرش ، والرأس من المعز سبعة وعشرون نصفا وثلاث ، والبقرة خمسة عشر ، والفرس كذلك .

ومنها : احتكار الصابون ، ويحجز جميع الوارد على ذمة الباشا . ثم سُمح تجاره بشرط أن يكون جميع صابون الباشا ومرتباته ودائرته من غير ثمن — وهو شيء كثير — ويستقر ثمنه على ستين نصفا بعد أن كان بخمسين جردا من غير ققو .

ومنها : ما أحدث على البلح بأنواعه ، وما يجب من الصعيد والأبريمي وأنواع العجوة ، حتى جريد النخل والليف والخص ، يؤخذ جميع ذلك بالثمن القليل ، ويباع ذلك للمتسببين بالثمن الزائد ، وعلى الناس بأزيد من ذلك .

وفي هذه السنة لم ثمر التخل الا القليل جدا ، ولم يظهر البلح الأحمر في أيام وفرته ، ولم يوجد بالأسواق الا أياما قليلة ، وهو شيء رديء ، وبسر ليس بجيد . ورطله بخمسة أنصاف ، وهى ثمن العشرة أرطال في السابق ، وكذلك العنب لم يظهر منه الا القليل ، وهو الفيومي والشرقاوى . وقد التزم به من يعصره شرابا بأكياس كثيرة مثل غيره من الأصناف ... وغير ذلك جزئيات ، لم يصل إلينا علمها ، ومنها ما وصل إلينا علمها وأهملنا ذكرها .

ومنها : أن حسن باشا سافر الى الجهة القبلىة ، وصحبته بعض الافرنج الذين كان رخص لهم الباشا السياحة والغوص بأراضي الصعيد والفحص وفجر الأراضي والكهوف والبرابى ، واستخراج الآثار القديمة والأمم السالفة — من التماثيل والتصاوير ونواويس الموتى — وقطع الصخور بالبارود .

وأشاعوا أنه ظهر لهم شيء مخرفش يشبه خمر الرصاص أو الحديد ، وبه بعض بريق ، ذكروا أنه معدن اذا تصفى خرج منه فضة وذهب ، وأخبرنى بعض من أثق بخبره أنه أخذ منه قطعة تزيد في الوزن على رطلين ، وذهب بها عند رجل صائغ ، فأوقد عليها نحو قنطار من الفحم بطول النهار ، فخرج منها في آخر الأمر — وهو ينقلها من بوط الى آخر بعد كسره — قطعة من الرصاص قدر الأوقية .

وذكروا أيضا أن بالجبل أحجارا سودا توقد في النار مثل الفحم . وذلك لأنهم أتوا بمثل ذلك من بلاد الافرنج ، وأوقدوها بالضربخانة : كريمة الرائحة مثل الكبريت ، ولا تصير رمادا ، بل تبقى على حجريتها مع تغير اللون ، ويحتاج الى نقلها الى الكيمان . وقالوا ان بدخل جبال الصعيد كذلك .

ستين نصفا . وكذلك الفندقلى الاسلامبولى يصرف في بلدته بأحد عشر قرشا ، وبمصر بسبعة عشر كما تقدم . فتكون زيادته ستة قروش . وكذلك الفرائسا في بلادها تصرف بأربعة قروش ، وباسلامبول بسبعة ، وبمصر باثنى عشر . وأما الأنصاف العددية ، التي تذكر في المصارفات ، فلا وجود لها أصلا .. الا في النادر جدا . واستغنى الناس عنها لغلو الأثمان في جميع المبيعات والمشتريات . وصار البشلك ، الذي يقال له الخمساوية — أى صرفه خمسة أنصاف — هي بدل النصف ، لأنه لما بطل ضرب القروش بضربخانه مصر ، وعوض عنها نصف القرش وربعه وثمنه الذي هو البشلك ، ولم يبق بالقطر الا ما كان موجودا قبل — وهو كثير ... يتناقل بأيدي الناس وأهل القرى ، ويعود الى الخزينة ، ويصرف في المصارف والمشاهرات وغلائف العساكر ... وهم كذلك يشترون لوازمهم فتذهب وتعود ، وهكذا تدور مع الفلك كلما دار ، ويصرف القرش عند الاحتياج الى صرفه بسبعة من البشلك بنقص الثمن ، فباعتبار كونها في مقام النصف ، يكون القرش بسبعة أنصاف لا غير ، وباعتبار ذلك يكون الألف فضة بمائة وخمسة وسبعين فضة ، لأن الخمسة وعشرين قرشا — التي هي بدل الألف — اذا نقصت في المصارفة الثمن ، تكون احدى وعشرين . واذا ضربنا السبعة في الخمسة وعشرين كانت مائة وخمسة وسبعين ، وفيها من الفضة الخالصة ستة دراهم لا غير . وأوزان هذه القطع مختلفة ، لا تجد قطعة وزن نظيرتها . وفي ذلك فرط آخر . والقليل في الكثير كثير !

والذي أدركناه في الزمن السابق أن هذه القروش لم يكن لها وجود بالقطر المصرى البتة . وأول من أحدثها بمصر على بيك القازدغلى — بعد الثمانين ومائة وألف — عندما استفحل

فسافر حسن باشا بقصد استخراج هذه الأشياء وأمثالها ، فأقام نحو ثلاثة أشهر — وذلك بأمر الباشا الكبير — وهم يكسرون الجبل بالبارود ، فظهر بالجبل بحس ينسيل منه دهن أسود بزرقة ورائحته زنخة كبريتية يشبه النفط ... وليس هو . وأتوا بشيء منه الى مصر ، وأوقدوا منه في السرج ، فملأوا منه سبعة مصافي ... وانقطع ، وأشيع في الناس قبل تحقق صورته ، بل وصلت مكاتبات بأنه خرج من الجبل عين تسيل بالزيت الطيب ، ولا ينقطع جسرانها ، يكفي مصر واقطاعها ... بل والدنيا أيضا ! وأخبرني بعض أتباعهم أن الذي صرف في هذه المرة نحو الألفى كيس .

ومن حوادث هذه السنة الخارجة عن أرض مصر : أن السلطان محمود تغير خاطره على باشا — المعروف بتيه رنلى حاكم بلاد الأرثوود . ووجد عليه العساكر ، ووقع لهم معه حروب ووقائع ، واستولوا على أكثر البلاد التي تحت حكمه ، وتحصن هو في قلعة منيعة .

وعلى باشا هذا في مملكة واسعة وجنود كثيرة ، وله عدة أولاد متأمرين كذلك ، وبلادهم بين بلاد الروملى والنيمسا . ويقال ان بعض أولاده دخل تحت الطاعة ، وكذلك الكثير من عساكره . وبقي الأمر على ذلك ، ودخل الشتاء ، وانقضت السنة ولم يتحقق عنه خبر .

ومنها : أمر المعاملة وما يقع فيها من التخليط والزيادة ، حتى بلغ صرف الريال الفرائسة اثني عشر قرشا ، عنها أربعمائة وثمانون نصفا . والبندقى ألف فضة ، وكذلك المجرى والفندقلى الاسلامبولى — بمعنى المضروب هناك المنقول الى مصر — يصرف بقرشين وربع ، يزيد عن المصرى

أمره ، وأكثر من العساكر والنفقات ، وأظهر العصيان على الدولة . ولما استولى محمد بيك المعروف بابى الذهب ، أبطلها رأسا من الاقليم . وخسر الناس بسبب ابطالها حصة من أموالهم مع فرحهم بابطالها ، ولم يتأثروا بتلك الخسارة لكثرة الخير والمكاسب . ولم يبق من أصناف المعاملة الا أنواع الذهب الاسلامي والافرنجى والفرانسة ونصفه وربعه ، والفضة الصغيرة التى يقال لها نصف فضة ... مع رخاء الأسعار وكثرة المكاسب . ويصرف هذا النصف بعدد من الأفلس النحاس التى يقال لها الجدد : أما عشرة أو اثنا عشر ، اذا كانت مضروبة ومختومة ، أو عشرين اذا كانت صغيرة وبخلاف ذلك ، ويقال لها السحاتة . فكان غالب المحقرات يقضى بهذه الجدد ، بل . وخلاف المحقرات ، وفى البيع والشراء .

وكان يجلب منها الكثير مع الحجاج المغاربة فى المخابى ، ويبيعونها على أهل الأسواق بوزن الأرطال ، ويربحون فيها . فكان الفقير أو الأجير اذا اكتسب نصفاً وصرفه بهذه الجدد ، كفاه نفقة يومه مع رخاء الأسعار ، ويشترى منها خبزاً وأدماً . واذا احتاج الطابخ لوازم الطبخة فى الثقيلة ، أخذ من البقال البصل والثوم والسلق والكسبرة والبقدونس والفجل والكراث والليمون : الصنف أو الصنفين أو الثلاثة بالجديد الواحد .

وقد انعدمت هذه الجدد بالكلية ، واذا وجدت فلا ينتفع بها أصلاً ، وصار النصف الفضة بمنزلة الجديد النحاس ولا وجود له أيضاً ، وصارت الخمساوية بمنزلة النصف بل وأحقر ... لأنه كان يصرف بعدد كثير من الجدد ، وهذه بخمسة فقط . فاذا أخذ الشخص شيئاً من المحقرات بنصف أو نصفين أو ثلاثة — ما كان يؤخذ بجديد أو

جديدين — لم يجد عند البائع بقية الخمساوية : فاما يترك الباقي لوقت احتياج آخر ان كان يعرفه ، والا تعطلا . واذا كان الانسان بالسوق ولحقه العطش فيشرب من السقاء الطواف ويعطيه جديداً ، أو يملأ صاحب الحانوت ابريقه بجديد ، وفى هذه الأيام : اذا كان الشخص لم يكن معه بشك يشرب به ، والا يبق عطشانا حتى يشرب من داره ، ولا يهون عليه أن يدفع ثمن قربة فى شربة ماء ... وذلك لعدم وجود النصف ، وكذلك الصدقة على الفقراء وأمثالهم .

وقد كان الناس من أرباب البيوت اذا زاد بعد ثمن اللحم والخضار نصف ، يسألون الخادم فى اليوم الثانى عنه لكونه نصف المصروف ، ويحاسبونه عليه . وكان صاحب العيال وذوو البيوت المحتوية على عدة أشخاص ، من عيال وجوار وخدم ، اذا ادخر الغلة والسنن والعسل والحطب ونحو ذلك ، يكفيه فى مصروف يومه العشرة أنصاف فى ثمن اللحم والخضار وخلافه . وأما اليوم فلا يقوم مقامها العشرة قروش وأزيد ... لعلو الأسعار فى كل شيء بسبب الحوادث والاحتكارات السابقة والمتجددة كل وقت فى جميع الأصناف . ولا يخفى أن أسباب الخراب التى نص عليها المتقدمون اجتمعت وتضاعفت فى هذه السنين ، وهى زيادة الخراج ، واختلال المعاملة أيضاً والمكوس .

وزاد على ذلك احتكار جميع الأصناف ، والاستيلاء على أرزاق الناس ... فلا تجد مرزوقاً الا من كان فى خدمة الدولة متولياً على نوع من أنواع المكوس ، أو مباشراً أو كاتباً أو صانعاً فى الصنائع المحدثه . ولا يخلو من هفوة ينم بها عليه فيحاسب مدة امتيلائه ، فيجتمع عليه جملة من الأكياس ، فيلزم بدفعها ... وربما باع داره ومتاعه فلا يبقى بما تأخر عليه : فاما يهرب ان أمكنه الهرب ، واما يبقى فى الحبس ... هذا ان كان من أبناء

العرب وأهالي البلدة . وأما إن كان بخلاف ذلك ،
فربما سومح ، أو تصدى له من يخفف عنه ، أو
يدخله في منصب أو شركة ... فيترفع حاله ويرجع
أحسن ما كان !

ومما حدث أيضا في هذه السنة : الاستيلاء على
صناعة المخيش والقصب والتلى الذى يصنع من
الفضة للطرازات والمقصبات والمناديل والمحارم
وخلافها من الملابس ، وذلك باغراء بعض صناعاتهم
وتحاسدهم ، وأن مكسبها يزيد على ألف كيس في
السنة — لأن غالب الحوادث باغراء الناس على
بعضهم البعض — وكذلك الاستيلاء على وكالة
الجلابة التى يباع فيها الرقيق من العبيد والجواري
السود ، وغيرهم من البضائع التى تجلب من بلاد
السودان : كسفن القيل ، والتمر هندی ، والششم
وروايا الماء ، وريش النعام وغير ذلك .

ومنها : الحجر على غسل النحل وشمعه ،
فيضبط جميعه للدولة ، ويبيع رطل الشمع بستة
قروش ، ولا يوجد الا ما كان مختلسا ويبيع
خفية ، وكان رطله قبل الحجر بثلاثة قروش . فاذا
وردت مراكب الى الساحل نزل اليها المفتشون على
الأشياء — ومن جملةها الشمع — فيأخذون
ما يجدونه ، ويحسب لهم بأبخس ثمن ، فان أخفى
شيئا ، وعثروا عليه ، أخذوه بلا ثمن ، ونكلوا
بالشخص الذى يجدون معه ذلك ، وسموه
حراميا ... ليرتدع غيره .

والتولى على ذلك نصارى ، وأعوانهم
لا دين لهم .

وقد هاف النحل في هذه السنة ، وامتنع وجود
العسل ، وكذلك ثمر النخيل ... بل والغلال . فلم
تزل في هذه السنين مع كثرة الأسيال التى غرقت
منها الأراضي ، بل وتعطل بسببها الزرع ، وزادت
أثمانها ، خصوصا الفول . وأما العدس فلا يوجد
أيضا الا نادرا .

وكذلك التزم بالملاحاة وتوابعها من زاد في
مالها ، وبلغ ثمن الكيلة قرشا ، وكانت قبل ذلك
بثلاثين نصفا . وفيما أدر كنا بثلاثة أنصاف . وأما
أجر الأجراء والفعلة والمعمرين فأبدل النصف
بالقرش ، وكذلك ثمن الجير البلدى والجبس ...
لأن عمائر أهل الدولة مستديمة لا تنقضى أبدا .
ونقل الأتربة الى الكيمان على قطارات الجمال
والحمير من شروق الشمس الى غروبها ... حتى
ستر علوها الأفق من كل ناحية ، واذا بنى أحدهم
دارا فلا يكفيه في ساحتها الكثير ، ويأخذ ماحولها
من دور الناس ، بدون القيمة ، ليوسع بها داره ،
ويأخذ ما بقى في تلك الخطة لخاصته وأهل دائرته ،
ثم يبنى أخرى كذلك لديوانه وجميعته وأخرى
لمسكره وهكذا .

وأما سليمان أغا السلحدار فهو الداهية
العظمى والمصيبة الكبرى ، فانه تسلط على بقايا
المساجد والمدارس والتكايا التى بالصحراء ،
ونقل أحجارها الى داخل باب البرقية المعروف
بالغريب ، وكذلك ما كان جهة باب النصر ، وجمعوا
أحجارها خارج باب النصر ، وأنشأ جهة خان
الخليلى وكالة ، وجعل بها حواصل وطباقا ،
وأسكنها نصارى الأروام والأرمن بأجرة زائدة ،
أضعاف الأجرة المعتادة ، وكذلك غيرهم ممن
رغب في السكنى ، وفتح لها بابا يخرج منه الى
وكالة الجلابة الشهيرة التى بالخراطين لأنها بظاهاها ،
وأجر الحوانيت كذلك بأجرة زائدة : فأجر الحانوت
بثلاثين قرشا في الشهر ، وكانت الحانوت تؤجر
بثلاثين نصفا في الشهر .

والعجب في اقدام الناس على ذلك ، واسراعهم في
تأجيرهم قبل فراغ بنائها ، مع ادعائهم قلة المكاسب
ووقف الحال . ولكنهم أيضا يستخرجونها من لحم
الزبون وعظمه !

ثم أخذ بناحية داخل باب النصر مكانا متسعا

يسمى حوش عطى (بضم العين ، وفتح الطاء وسكون الياء) كان محطاً لعربان الطور ونحوهم — اذا وردوا بقوافلهم بالفحم والقلوى وغيره — وكذلك أهالى شرقية بليس . فأنشأ فى ذلك المكان أبنية عظيمة تحتوى على خانات متداخلة ، وحوائيت وقهاوى ومساكن وطباق .

وسكن غالبها أيضا الأرمن وخلافهم بالأجر والزائدة ، ثم انتقل الى جهة خان الخليلى ، فأخذ الخان المعروف بخان القهوة وما حوله من البيوت والأماكن والحوائيت ، والجامع المجاور لذلك تصلى فيه الجمعة بالخطبة . فهدم ذلك جميعه ، وأنشأه خانا كبيرا يحتوى على حواصل وطباق وحوائيت عدتها أربعون حانوتا ، أجرة كل حانوت ثلاثون قرشا فى كل شهر .

وأنشأ فوق السبيل وبعض الحوائيت زاوية لطيفة ، يصعد إليها بدرج عوضا عن الجامع ، ثم انتقل الى جهة الخرنفش بخط الامشاطية فأخذ أماكن ودورا وهدمها ... وهو الآن مجتهد فى تعميرها كذلك ، فكان يطلب رب المكان ليعطيه الثمن فلا يجد بدا من الاجابة ، فيدفع له ماسحت به نفسه ، ان شاء عشر الثمن أو أقل أو أزيد بقليل ، وذلك لشغاعة أو واسطة خير . واذا قيل له انه وقف ولا مسوغ لاستبداله لعدم تخريبه ، أمر بتخريبه ليلا ثم يأتى بكشاف القاضى فيراه خرابا فيقضى له .

وكان يثقل عليه لفظة « وقف » ويقول : « ايش يعنى وقف ؟ » . واذا كان على المكان حكر لجهة وقف أصله ... لا يدفعه ، ولا يلتفت لتلك اللفظة أيضا ، ويتم عمائره فى أسرع وقت ، لعسفه وقوة مراسه على أرباب الأشغال والموانة ، ولا يطلق للفعلة الرواح ، بل يجسهم على الدوام الى باكر النهار ، ويوقظونهم من آخر الليل بالضرب ،

ويبتدئون فى العمل من وقت صلاة الشافعى الى قبيل الغروب ... حتى فى شدة الحر فى رمضان ، واذا ضجوا من الحر والعطش أمرهم مشد العماره بالشرب ، وأحضر لهم السقاء ليسقيهم ! وظن أكثر الناس أن هذه العماره انما هى لمخدومه ، لأنه لا يسمع لشكوى أحد فيه .

واشتد فى هذا التاريخ أمر المساكن بالمدينة ، وضاعت بأهلها لشمول الخراب وكثرة الأغراب وخصوصا المخالفين للملة ، فهم الآن أعيان الناس : يتقلدون المناصب ويلبسون ثياب الأكابر ، ويركبون البغال والخيول المسومة والرهوانات ، وأمامهم وخلفهم العبيد والخدم ، وبأيديهم العصي يطردون الناس ويفرجون لهم الطرق ، ويشترون بالجوارى بيضا وجبوشا ، ويسكنون المساكن العالية الجليلة يشترونها بأعلى الأثمان ، ومنهم من له دار بالمدينة ، ودار مطلة على البحر للنزاهة ، ومنهم من عمر له دارا وصرف عليها ألوفا من الأكياس . وكذلك أكابر الدولة لاستيلاء كل من كان فى خطة على جميع دورها ، وأخذها من أربابها بأى وجه .

وتوصلوا بتقليدهم مناصب البدع الى اذلال المسلمين لأنهم يحتاجون الى كتبة وخدم وأعوان ، والتحكم فى أهل الحرفة بالضرب والشتم والحبس من غير انكار ، ويقف الشريف والعامى بين يدي الكافر ذليلا . فضاعت بالناس المساكن ، وزادت قيمتها أضعاف الأضعاف ، وأبدل لفظ الريال ، الذى كان يذكر فى قيم الأشياء ، بالكيس وكذلك الأجر . والأمر فى كل شئ فى الازدياد ، والله لطيف بالعباد . ولو أردنا استيفاء بعض الكليات فضلا عن الجزئيات لطال المقال وامتد الحال .

وعشنا ومتنا ما لرى غير مانرى
تشابهت العجما وزاد انعجامها
نسأل الله حسن اليقين وسلامة الدين .

المحترم

في أوائله (النصف الأول من أكتوبر ١٨٢٠ م) :
حضر الباشا من الاسكندرية .

وفيه من الحوادث : أن الشيخ ابراهيم — الشهير بباشا — المالكى بالاسكندرية ، قرر في درس الفقه أن ذبيحة أهل الكتاب في حكم الميتة لا يجوز أكلها ، وما ورد من اطلاق الآية فانه قبل أن يغيروا ويبدلوا في كتبهم . فلما سمع فقهاء الشغل ذلك أنكروه واستغربوه ، ثم تكلموا مع الشيخ ابراهيم المذكور وعارضوه . فقال : « أنا لم أذكر ذلك بفهمى وعلمى ، وانما تلقيت ذلك عن الشيخ على الميلى المغربى ، وهو رجل عالم متورع موثوق يعلمه » .

ثم انه أرسل الى شيخه المذكور بمصر يعلمه بالواقع . فألف رسالة في خصوص ذلك ، وأطرب فيها : فذكر أقوال المشايخ والخلافات في المذاهب ، واعتمد قول الامام الطرطوشى في المنع وعدم الحل ، وحشا الرسالة بالحط على علماء الوقت وحكامه — وهى نحو الثلاث عشرة كراسة — وأرسلها الى الشيخ ابراهيم . فقرأها على أهل الشغل ، فكثر اللغظ والانكار ... خصوصا وأهل الوقت أكثرهم مخالفون للملة ، واتتهى الأمر الى الباشا ، فكتب مرسوما الى كتبخدا بليك بمصر ، وتقدم اليه بأن يجمع مشايخ الوقت لتحقيق المسألة ، وأرسل اليه بالرسالة أيضا المصنفة . فأحضر كتبخدا بليك المشايخ وعرض عليهم الأمر ،

فلطف الشيخ محمد العروسى العسارة ، وقال : « الشيخ على الميلى رجل من العلماء تلقى عن مشايخنا ومشايخهم ، لا ينكر علمه وفضله ، وهو منزول عن خلطة الناس ... الا أنه حاد المزاج ، وبمقله بعض خلل ، والأولى أن نجتمع به وتذاكر في غير مجلسكم ونهى بعد ذلك الأمر اليكم » . فاجتمعوا في ثانى يوم ، وأرسلوا الى الشيخ على يدعونه للمناظرة ، فأبى عن الحضور ، وأرسل الجواب مع شخصين من مجاورى المغاربة يقولان : « انه لا يحضر مع الغوغاء ، بل يكون في مجلس خاص يتناظر فيه مع الشيخ محمد بن الأمير ، بحضرة الشيخ حسن القوسنى والشيخ حسن العطار فقط ، لأن ابن الأمير يناقشه ويشن عليه الغارة » .

فلما قال ذلك القول ، تغير ابن الأمير وأرعد وأبرق ، وتشاتم بعض من بالمجلس مع الرسل . وعند ذلك أمروا بحبسهما في بيت الأغا ، وأمروا الأغا بالذهاب الى بيت الشيخ على واحضاره بالمجلس ... ولوقهرا عنه . فركب الأغا وذهب الى بيت المذكور فوجده قد تغيب ، فأخرج زوجته ومن معها من البيت ، وسمر البيت ! فذهبت الى بيت بعض الجيران . ثم كتبوا عرضا محضرا وذكروا فيه بأن الشيخ على على خلاف الحق ، وأبى عن حضور مجلس العلماء والمناظرة معهم في تحقيق المسألة ، وهرب واختفى لكونه على خلاف الحق ، ولو كان على الحق ما اختفى ولا هرب ... والرأى لحضرة الباشا فيه اذا ظهر ،

وكذلك في الشيخ ابراهيم باشا السكندري .
وتموا العرض ، وأمضوه بالختوم الكثيرة ،
وأرسلوه الى الباشا .

وبعد أيام أطلقوا الشخصين من حبس الأغا ،
ورفعوا الختم عن بيت الشيخ على ، ورجع أهله
اليه : وحضر الباشا الى مصر في أوائل الشهر
ورسم بنفى الشيخ ابراهيم باشا الى بنى غازى .
ولم يظهر الشيخ على من اختفائه .

صفر

في أوائله (النصف الأول من نوفمبر ١٨٢٠ م) :

حضر ابراهيم باشا من الجهة القبلية بعد مطاف
القيوم أيضا ، وأحضر معه جملة أشخاص قبض
عليهم من المفسدين من العربان ، وهم في الجنازير
الحديد ، وشقوا بهم البلد ثم حبسهم .

ربيع الأول

في أوائله (النصف الأول من ديسمبر ١٨٢٠ م) :

حضر نحو العشرة أشخاص من الأمراء المصرية
البواقى في حالة رثة وضعف وضيم واحتياج
واجتياح . وكانوا أرسلوا وطلبوا الأمان وأجيبوا
الى ذلك .

وفيه : أشهروا العربان الذين أحضرهم ابراهيم
باشا معه وقتلوهم وهم أربعة : اثنان بالرميلة ،
واثنان بباب زويلة .

ربيع الآخر

السبت غرته (٦ يناير ١٨٢١ م) :

أخرج الباشا عبد الله بيك الدرندلى منفيا .
وكان عبد الله بيك هذا يسكن بخطة الخرنفش ،
وهو رجل فيه سكون ، قليل الأذى ، وملك
بتلك الناحية دورا وأماكن ، وله عزوة وعساكر

وأتباع ، وكان يجلس بحضرة الباشا ويناديه
ويتوسع معه في الكلام والمسامرة .

وسبب تغير خاطر الباشا عليه ، أنه جرى ذكر
على باشا تبدلان الأرثوودى وحروبه ومخالفة
العناكر عليه ، فقال عبد الله المذكور : « ان
العساكر يرون محاربة السلطان معصية » أوكلاما
هذا معناه . فتغير وجه الباشا من ذلك القول ،
ويقال انه أمر بقتله ، فشفع فيه حسن باشا طاهر
من القتل وأن يخرج منفيا . هكذا أشيع واستفيض ،
وانضم الى ذلك أنه قال لشريف بيك أمين الخزانة
عند تأخر علوفته : « خدمة نصرانى أحسن من
خدمتكم » مع المشاجرة . فبلغها شريف بيك
للباشا أيضا ، وأوغر صدره عليه . ودفع له الباشا
علوفته وثمان ما حازه من الأماكن والأمالك ،
ووصله ذلك على عدة جمال محملة بالدراهم .
وسافر في ثامنه على طريق البر ، وأبقى حريمه
وأثقاله ليأتوه على سفن البحر .

الاحد ١٦ منه (٢١ يناير ١٨٢١ م) :

أمر الباشا بقراءة صحيح البخارى بالجامع
الأزهر . فاجتمعوا في يوم الاثنين سابع عشره ،
وقرأوا في الأجزاء على العادة ضحوة النهار أربعة
أيام ، آخرها الخميس ، وفرقوا على أولاد المكاتب
دراهم ، وكذلك على مجاورى الأزهر ، في نظير
قراءة البخارى .

جمادى الأولى

(٤ فبراير - ٥ مارس ١٨٢١ م)

فيه : حضر ابراهيم باشا ، ونزل بقصره الجديد
... بل قصوره ، لأنه ألشأ عدة قصور متصلة
وبساتين ومصانع متصلة متسعة مزخرفة : منها
قصر لديوانه ، وقصر لحريمه ، وقصر لخصوص
عباس باشا ابن أخيه ، وغير ذلك .

١٧ منه (٢٠ ابريل ١٨٢١ م) :

ارتحل محمد بيك الدفتردار مسافرا الى دارفور ببلاد السودان ، بعد أن تقدمه طوائف كثيرة ، عساكر أتراك ومغاربة .

٢٥ منه (٢٨ ابريل ١٨٢١ م) :

أمر الباشا بنفى محمد ، المعروف بالدرويش ، كتحدا محمود بيك ، الذى هو الآن كتحدا بيك ، والسيد أحمد الرشيدى كاتب الرزق ، وسليمان أفندى ناظر المدايغ والجلود ... ثلاثتهم الى قلعة أبى قير لمقتضيات واهية فى خدم مناصبهم . ومحمد كتحدا كان ناظرا على الجلود فى العام الماضى قبل سليمان أفندى المذكور .

اواخره (اوائل مايو ١٨٢١ م) :

حضر جماعة من الممالك المصرية الذين كانوا بدقطة ، قيمهم ثلاثة صناجق : أحدهم أحمد بيك الألفى ، وهو زوج عديلة هانم بنت ابراهيم بيك الكبير .

شعبان

الجمعة ٨ منه (١١ مايو ١٨٢١ م) :

عمل سليمان أغا السلحدار الجمعية بالجامع المعروف بالأخضر ، وكان قد تخرب ولم يبق به الا الجدران ، فتصدى لعمارة سليمان أغا المذكور وسقفه أيضا بأفلاق النخيل والجريد والبوص ، وأقام له عمدا من الحجارة ، وجدد منبره وبلاطه وميضاته ومراحضه ، وفرشه بالحصر وعمل به الجمعية فى ذلك اليوم . واجتمع به عالم كثيرون من الناس ، وخطب على منبره الشيخ محمد الأمير . وبعد انقضاء الصلاة قرأ درسا ، وأملئ فيه حديث « من بنى لله مسجدا ... » . وبعد انقضاء ذلك خلع عليه فروة وكذلك على الشيخ العرونى ، وعمل لهم شربات مسكر .

جمادى الآخرة

الثلاثاء غرته (٦ مارس ١٨٢١ م) :

عزم ابراهيم باشا على اعادة قياس أراضي قرى مصر ، وأحضر من بلاد الصعيد عدة كبيرة من القياسين نحو الستين شخصا .

السبت ٥ منه (١٠ مارس ١٨٢١ م) :

عدى الى الجيزة تجاه القصور ، وجمع القياسين والمهندسين وكذلك مهندسى الأفرنج ، وقاس كل قياسته وكيفية عمله . فعائد المعلم غالى وأحب تأييد أهل حرفته من قياسى القبط ، وقال كل منهم على الصحيح . وعلم ابراهيم باشا أن قياس المهندسين وأرباب المساحة أصح ولكن فيها بطل ، فقال : « أريد الصحيح ولكن مع السرعة » بعد أن عمل امتحانا ومثالا فى قطعة من الأرض يظهر بها برهان الصحة والتفاوت .

وأسمى الوقت فأمرهم بالذهاب والرجوع يوم الخميس الآتى ، فحضروا كذلك واشتغلوا يومهم بالعمل الى آخر النهار ، ثم اختار من مهندسى الأقباط طائفة وطرده الآخرين .

الاثنين ١٤ منه (١٩ مارس ١٨٢١ م) :

سافر الى ناحية شرق اطفيج ، وأخذ من المهندسخانة كبيرها وصحبته سبعة عشر شخصا ، وكذلك أشخاصا من الأفرنج المهندسين . وانتقصوا من القصبة فى هذه المرة مقدار قبضة .

رجب

فى غرته (٤ ابريل ١٨٢١ م) :

سافر بمالك الباشا الى جهة أسيوط مثل العام الماضى ليكرتوا هناك حذرا وخوفا عليهم من حدوث الطاعون بمصر .

السبت ٢٣ منه (٢٦ مايو ١٨٢١ م) :

حضر ابراهيم باشا من ناحية شرق اطفيح .

الثلاثاء ٢٦ منه (٢٩ مايو ١٨٢١ م) :

سافر بمن معه الى ناحية شرقية بلبس .

ربضان

في غرته (٢ يونية ١٨٢١ م) :

عنلت الرؤية في تلك الليلة كالعادة ، وركب فيها مشايخ الحرف والمحاسب . واثبتوا رؤية الهلال تلك الليلة بعد مضي أربع ساعات من الليل ، ولم يحصل فيه من الحوادث غير تغالي الألمان وتعاليلها بسوء فعل السوق ، واطهار ردىء المأكولات واخفاء جيدها . وقد انقضى بخير .

شمال

٣ منه (٤ يولية ١٨٢١ م) :

حضرت هجانة من أراضى نجد ، وبصحبتهم أشخاص من كبار الوهاية مقيدون على الجمال وهم : عمر بن عبدالعزيز وأولاده وأبناء عمه . وذلك أنهم لما رجعوا الى الدرعية بعد رحيل ابراهيم باشا وعساكره ، وكان معهم مشارى ابن سعود ، وقد كانوا هربوا في الدرعية بعد ما رحل عنها ابراهيم باشا ، وتركى بن عبد الله ابن أخى عبدالعزيز وولد عم سعود الأمشارى ، فانه هرب من العسكر الذين كانوا مع أولاد سعود وجماعتهم حين أرسلهم ابراهيم باشا الى مصر — فى الحمراء — وهى قرية بين الجديدة وينبع البحر — وذهب الى الدرعية ، واجتمع عليه من فرجين قدمت العساكر ، وأخذوا فى تعميرها ، ورجع أكثر أهلها ، وقدموا عليهم مشارى ، ودعا الناس الى طاعته فأجابه الكثير منهم ، فكادت تتسع دولته وتعظم شوكته . فلما بلغ الباشا ذلك ، جهز له عساكر ، رئيسها

حسين بيك ، فأوثقوا مشارى وأرسلوه الى مصر ، فمات فى الطريق . وأما عمر وأولاده وبنو عمه فتحصنوا فى قلعة الرياض ، المعروفة عند المتقدمين بحجر اليمامة ، وبينها وبين الدرعية أربع ساعات للقفلة . فنزل عليهم حسين بيك وحاربهم ثلاثة أيام أو أربعة ، وطلبوا الأمان لما علموا أنهم لا طاقة لهم به ، فأعطاهم الأمان على أنفسهم ، فخرجوا له ... الا تركى فانه خرج من القلعة ليلا وهرب . وأما حسين بيك فانه قيد الجماعة وأرسلهم الى مصر فى الشهر المذكور . وهم الآن مقيمون بمصر بخطه الحنفى قريبا من بيت جماعتهم الذين أتوا قبل هذا الوقت .

ذوالقعدة

فى غرته (٣١ يولية ١٨٢١ م) :

حضر ابراهيم باشا من ممرته بالشرقية بسبب قياس الأراضى والمساحة .

١٥ منه (١٤ اغسطس ١٨٢١ م) :

سافر الباشا الى الاسكندرية لداعى حركة الأروام وعصيانهم وخروجهم عن الذمة ، ووقوفهم بمراكب كثيرة المدد بالبحر ، وقطعهم الطريق على المسافرين ، واستئصالهم بالذبح والقتل ... حتى أنهم أخذوا المراكب الخارجة من اسلامبول وفيها قاضى العسكر المتولى قضاء مصر ومن بها أيضا من السفار والحجاج ، فقتلوهم ذبحا عن آخرهم ، ومعهم القاضى وحريبه وبناته وجواريه .. وغير ذلك . وشاع ذلك بالنواحى ، وانقطعت السبل . فنزل الباشا الى الاسكندرية ، وشرع فى تشهيل مراكب مساعدة للدونامة السلطانية — وسيأتى تنمة هذه الحادثة — وبعد سفر الباشا ، سافر أيضا ابراهيم باشا الى ناحية قبلى قاصدا بلاد النوبة .

ذو الحجة

في غرته (٣٠ أغسطس ١٨٢١ م) :

خرجت عساكر كثيرة ومعهم رؤسائهم ، وفيهم
محو بيك ومغاربة وآلات الحرب كالمدافع وجبخانات
البارود واللعجيه وجميع اللوازم ، قاصدين بلاد
النوبة وما جاورها من بلاد السودان .

وفيه : سافر أيضا محمد كتحدا لاط المنفصل
عن الكتخدائية الى اسنا ، ليتلقى القادمين ويشيع
الذاهبين .

وفيه : وصلت بشائر من جهة قبلى باستيلاء
اسماعيل باشا على سنار بغير حرب ، ودخول أهلها
تحت الطاعة . فضربت لتلك الأخبار مدافع من
القلعة .

وانقضت هذه السنة وما تجدد بها من الحوادث ،
انقضى بعضها والبعض باق الى الآن .
فمنها : توقف زيادة النيل . وذلك أنه لم يستتم

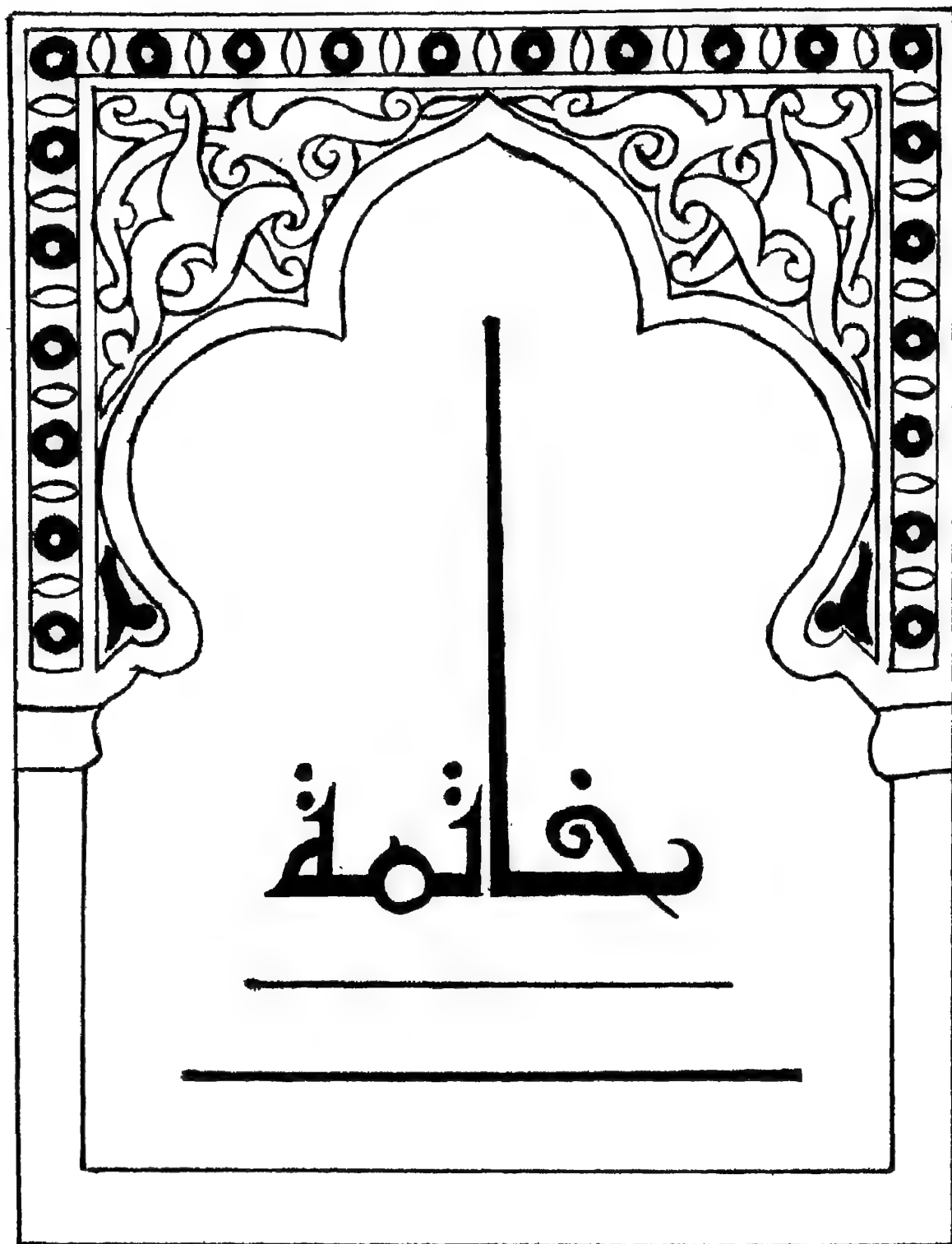
أذرع الوفاء الى ثامن عشر مسرى القبطى ، حتى
ضجر الناس ، وضج الفلاحون .

ومنها : أمر المعاملة التى زادت زيادة فاحشة ،
حتى بلغ البندقى ألفا ربائتى نصف ، والمجر
والفندقلى عشرين قرشا عنها ثمانمائة نصف ، وبلغ
صرف الريال الفرائسة أربعة عشر قرشا عنها
خمسائة نصف وستون نصفًا ... وقس على ذلك
باقى الأصناف .

ومنها : غلو الأثمان فى جميع المبيعات من
ملبوسات ومأكولات والغلال حتى وصل الأردب
الى ألف وخمسمائة نصف ، والرطل السمن الى
خمسین نصفًا والى ستين نصفًا ، وفس على ذلك
وأما حادثة الأروام التى هى باقية الى الآن
وما وقع منهم من الفساد وقطع الطريق على
المسافرين ، واستيلاؤهم على كل من صادفوه من
مراكب المسلمين ، وخروجهم عن الذمة وعصيانهم
وما وقع معهم من الوقائع وما سينتهى حالهم اليه
فسيأتى عليك ان شاء الله تعالى بكماله فى الجزء
الآتى بعد ذلك .

والله الموفق للصواب ، واليه المرجع والمآب .

الى هنا انتهى ما نقل من خط العلامة الشيخ عبد الرحمن بن
الشيخ حسن الجبرتى مؤرخ هذه المدة وما قبلها ، لغاية هذا التاريخ
سنة ١٢٣٦ هـ (١٨٢٠ - ١٨٢١ م) .
وبعد توفى الشيخ ، ولم يكتب شيئًا . رحمه الله .



تاريخ حياة الجبerty

بقلم الأستاذ محمود الشرقاوى

شيخا للأزهر ، كثير من الفضل فى تربية حسين الجبerty ، وكذلك لجده لأبيه أكبر الفضل فى تهية سبيله الى تلك المكانة المتأزة التى يلها ، فقد كانت سيدة ذات ثراء ، لها بيت يشرف على النيل بربع الخرئوب . أقام معها فيه حسن فترة من الزمن يغدو منه ويروح الى الجامع الأزهر ومعه خادم . ثم احترق هذا المنزل واحترقت معه « أشياء كثيرة من المتاع والصينى القديم » .

وانتقلت الجدة الى مصر ، وكان يذهب معها الى مكان لها بمصر العتيقة فى أيام النيل « بقصد النزهة » وهى التى أعانتها على طلب العلم ، وأنفقت عليه بسخاء . وكانت لها أملاك وعقارات ، ووقت عليه منها وكالة بالصناديق وما حولها من الحوانيت ، وأخرى بالفورية ومرجوش ، ومنزلا بجوار المدرسة الآقبغاوية . ووقت أيضا على وجوه البر .

وتزوجت جدته هذه ، بعد وفاة زوجها ، بالأمير على أغا الطورى ، وكان حاكما على قلاع الطور والسويس والمويلح ، وكذلك تزوج الشيخ حسن ابنة الأمير على أغا هذا .

ولما مات على أغا نصب الشيخ حسن مكانه فى حكم هذه القلاع . وكان هذا العمل غريبا عليه — وهو من العلماء — ولذلك لم يطل شغله له . فقد أرسل خادما له يسمى سليمانا الحصافى مشرفا على قلعة مويلح فقتل هناك ، فتكدر الشيخ وترك هذا العمل ، وأقبل على الاشتغال بالعلم والتفرغ له . وماتت زوجته ، بنت على أغا ، فتزوج بنت

ينتسب الجبerty وأسرته الى « جبرت » ، وهى اقليم الزيلع الاسلامى فى شمال بلاد الحبشة . وقد كتب الجبerty ، عند الكلام على وفاة والده ، فصلا عن وطنه وصفات أهله ، وما فيهم من الحنق والفتانة ، ولطافة الطباع ، وصفاء القلوب ، وما عند نساءهم من الصبابة والملاحة ، والفصاحة والسباحة ، وذكر فى نساء وطنه شعرا لطيفا .

نزع الجد السابع للجبerty ، واسمه عبد الرحمن ، من جبرت الى جدة فى أوائل القرن العاشر ، ثم الى مكة فجاور بها ، وحج مرارا ، ثم جاور بالمدينة سنتين ، ولقى من بالحرمين من كبار الشيوخ . ثم ارتحل الى مصر ، واستقر بها ، وتزوج وولد له وكبر شأنه ، واتصل بالعلماء حتى اختير شيخا لرواق الجبرت . وقد ظلت مشيخة الرواق ثلاثة قرون يتولاها أولاد الشيخ عبد الرحمن هذا حتى انتقلت عنهم بوفاة الجبerty . وتزوج الجد الخامس للجبerty ، الشيخ على ، زينب بنت الامام القاضى عبد الرحمن الجوينى ، فلما ماتت تركت لولدى الشيخ « أماكن جارية » وقتها عليهما .

ومات أبو حسن ، والد الجبerty ، وعمره ست عشرة سنة ، وعبر ولده شهر واحد ، فكفلته جدته أم آبيه ، وتولت أمه تربيته وجعل وصيا عليه الشيخ محمد النشerty الذى اختاره شيخا للرواق كأسلافه .

وكانت ولادة الشيخ حسن فى سنة ١١١٠ هـ (١٦٩٨ م) . وللشيخ محمد النشerty ، وكان

الجارية تنظر الى مولاتها وهي في غيبوبة ودعت الله أن تموت قبلها . واستيقظت السيدة في آخر الليل ووضعت يدها على جسد جارتها وضرتها النائمة بجوارها وأخذت تناديهما باسمها : زليخا زليخا ! فقالوا لها انها نائمة . فقالت : ان قلبي يحدثني انها ماتت .

فلما تحقق لها ذلك جلست تبكي بحر بكاء . ثم استلقت على فراشها ، وماتت بعد جارتها يوم واحد ! ويقول الجبرتي : « وهذا من أعجب ما شاهدته ورأيتُه ووعيته ، وكان سني اذ ذاك أربع عشرة سنة » .

والد الجبرتي

وكان الشيخ حسن الجبرتي عالما من أكبر علماء عصره في العلوم الشرعية والرياضة . تعلم الخط فأجاده ، والنقش على فصوص الخاتم فأحكمه ، وتعلم اللغة التركية — وهي لغة أهل السيادة والحكم — واللغة الفارسية فأجادهما ، « حتى أن كثيرا من الأعاجم والأتراك يعتقدون أن أصله من بلادهم ، لفصاحته في التكلم بلسانهم ولغتهم » ثم اشتغل بالعلوم الرياضية فأتقن منها الفلك ، والهندسة ، والحساب ، والجغرافيا ، والمساحة ، والأوقاف ، وحل الرموز ، وفتح الكنسوز ، و « انتهت اليه الرياسة في الصناعة ، وأذعنت له أهل المعرفة بالطاعة » .

ونزل القاهرة عالم متضلّع في الرياضة والحكمة والفلسفة — اسمه الشيخ حسام الدين الهندي — واستقر في مسجد بمصر القديمة ، فقصده الشيخ ، وأعجب كلاهما بصاحبه وأحبه . فلم يزل بالشيخ الهندي حتى نقله الى داره ، وأفرد له مكانا ، وأكرم نزله ، وأنفق عليه . وظل مقيما عنده حتى رحل الى بلاده .

وأخذ معارف الصوفية على الشيخ العارف عبد

رمضان جلبي بن يوسف المعروف بالخشاب ، « وهم بيت مجد وثروة ببلاق ، ولهم أملاك وعقارات وأوقاف » . وكان رمضان جلبي هذا مع ثروته ، « انسانا حسنا رقيق الحاشية » ، يقول الشعر ويقتنى الكتب .

ومات رمضان جلبي في سنة ١١٣٩ ، وبقيت ابنته في عصمة الشيخ حسن حتى ماتت سنة ١١٨٢ عن ستين سنة . وكانت بنت رمضان جلبي هذه زوجا بارة بوالد الجبرتي مطيعة له ، تشتري له الجوارى الحسان ، من مالها ، وتزينهن بالحناء والملابس ، وتقدمهن اليه ، وتمتدح أن في ذلك مشوبة لها . وكان يتزوج عليها كثيرا من الحرائر ، ويشترى الجوارى ، فلا تتأثر بذلك ، ولا تتحرك عندها الغيرة .

وقد روى الجبرتي عن زوج أبيه هذه قصة غريبة ، خلاصتها أن زوجها عندما حج في سنة ١١٥٦ ، اجتمع به في مكة شيخ اسمه عمر الحلبي ، وأوصاه بشراء جارية بيضاء دون البلوغ ، وذكر له أوصافا يرغبها . فلما جاء الشيخ حسن من الحج ظل يبحث عن طلب صديقه حتى لقيه ، فلما اشترى الجارية وأدخلها عند زوجه وحان موعد رحيلها للشيخ عمر الحلبي ، قالت زوج الشيخ له : اني أحببت هذه الجارية ولا أقدر على فراقها ، وليس لي أولاد ، وقد جعلتها مثل ابنتي ، وبكت الجارية أيضا . ثم دفعت الزوج ثمن الجارية ليشتري به أخرى للشيخ الحلبي ثم أعتقت الجارية وعقدت لزوجها عليها ، وجهازتها وفرشت لها مكانا مستقلا ... وكانت لا تقدر على فراقها ساعة . وولدت الجارية لزوجها أولادا فزاد حب سيدها لها . وبقيت هذه الجارية زوجا للشيخ حسن من سنة ١١٦٥ الى أن مرضت في سنة ١١٨٢ . فمرضت سسيدها لمرضها ، وثقل عليها المرض ، وقامت

الخالق بن وفاء ، وكانت له فيها قدم ، وسلك طريق السادة النقشبندية ، وحفظ القرآن في العاشرة . وقد تلقى الشيخ حسن عن كبار الشيوخ في عصره ، في مصر وغيرها . فمن شيوخه : الشيخ علي الصعيدي ، وعلي أفندي الداغستاني ، والشيخ عبد ربه سليمان بن أحمد القشستالي الفايي ، والشيخ عبد اللطيف الشامي ، والشيخ عمر الحلبي ، والشيخ حسين عبد الشكور المكي ، وحسن أفندي قطعة مسكين ، والشيخ مصطفى العيدروسي ، والشيخ محمد البنوفري ، وغيرهم كثير . وكان أول شيوخه — وهو في الثالثة عشرة — الشيخ حسن الشرنبلالي الصغير . وكذلك تلقى عن الشيخ كبار العلماء طبقة بعد طبقة . فمنهم الشيخ أحمد الراشدي ، والشيخ ابراهيم الحلبي ، والشيخ أحمد العروسي ، والشيخ محمد الصبان ، والشيخ محمد الأمير ، والشيخ محمد النفراوي . وتلقى عنه عدد كبير من أهل الروم والشام والمغرب والحجاز والداغستان . وتلقى عنه بعض أمراء الممالك أيضا علوم الأدب والفقه ، فقد ذكر الجبرتي في ترجمة عثمان بك ذي القصار أنه « قرأ على الشيخ الوالد تحفة الملوك في المذهب ، والمقامات الحربية ، وكتبها له بخطه الحسن في خمسين جزءا » .

وكان والد الجبرتي يدرس في الأزهر علوم الحكمة والهيئة والهندسة والتوقيت ، وهو آخر من درسها فيه . وكانت له ثلاثة بيوت ينتقل بينها : بيت في الإبرارية على شاطئ النيل ، وبيت في بولاق ، وآخر بالصنادقية بجوار الأزهر . فكان طلابه وتلاميذه يقصدون إليه في بيته لتلقى الدرس . وكان يفضل أن يكون ذلك بيت الصنادقية كي لا يشق عليهم . وكان بعض تلاميذه هؤلاء يقيم في بيته طاعما كاسيا ليتعلم ويراجع ما يشاء في مكتبة الشيخ العامرة ، التي جعلها مباحة ميسرة لمن يشاء

القراءة والمراجعة والاستفادة . وكان ألصق هؤلاء به الشيخ محمد النفراوي ، والشيخ محمد الصبان ... فقد كانا بمنزلة أولاده لا يفارقاله الا وقت لقاء دروسهما . وكان اذا آتاه طالب فرح به ، وأقبل عليه ، ورغبه في طلب العلم ، وأكرمه ، وخصوصا اذا كان غريبا ، وربما دعاه للإقامة عنده ، كما فعل مع الشيخ حسام الدين الهندي ، وكما فعل مع الشيخ محمد الغلاني الكشناوي الذي قدم الى مصر ثم الى الحجاز ، فلما عاد منه أنزله عنده هو وزوجه وعبيده وجواريه ، وبقي مقيما عنده حتى أتم غالب مؤلفاته ، ومات وهو ضيف عليه . ومن التلاميذ من أقام في بيت الشيخ الجبرتي عشرين عاما « لا يتكلف الى شيء من أمر معاشه ، حتى غسل ثيابه ، من غير ملل ولا ضجر » ، وصار من جملة عيال الشيخ .

وكان الشيخ كذلك كبير القدر ، جليل المكانة ، واسع الثراء ، طيب العيش . له في كل بيت من بيوته الثلاثة : المالك ، والعبيد ، والجواري البيض والسود ، وهو ينتقل بين هذه البيوت ، ومعه تلاميذه وأصحابه ... لياسط أخصاء منهم ويمارحهم . فلم يكن ، كععض العلماء ، متعنتا مترمنا . كان يروح عن جلسائه من هؤلاء الخاصة بالمناسبات والنواذر والأديبات والشعر والموالي والمجونيات والخطابات اللطيفة والنكات الطريفة ، ويذهب معهم الى مواطن النزهة ... يشتغلون بالعلم ومطارحة المسائل ، وأحيانا بالمباشطة والمفاكهة . وكان ، مع ذلك ، وقورا محتشما ، مهيبا محبوبا ، لا يعادى ولا يخاصم ، ولا يشتغل بأمور الدنيا ، متواضعا قنوعا ، مقبلا على الكبير والصغير على سجيته ، ولا يدعى علما ولا مشيخة ، ولا يرضى أن تقبل يده ، حتى من تلاميذه ، له منزلة كبيرة عند الأمراء والولاة والأعيان ، يزورهم ويؤثرونه ، ويشفع به اليهم الناس فتقضى حاجاتهم . وكان

من أصدقائه من ولاية مصر : على باشا الحكيم ، وراغب باشا ، وأحمد باشا كور — أى الأعور — ومن أمراء المماليك عثمان بك ذو الفقار ، حج معه ثلاث مرات من ماله الخاص ، ولم يقبل من عثمان بيك — وكان أميراً على الحج — سوى الهدايا . وأراد الأمير إبراهيم كئخدا أن يشتري له داراً واسعة أو يبنها ، بدلاً من داره التى بالصنادقية ، فلم يقبل ، وكذلك عبد الرحمن كئخدا . ولم يستطع أحدهما أن يجبره على ذلك لمكاته وفضله . وراسله سلطان تركيا ، السلطان مصطفى (١) وأرسل إليه الهدايا والصلوات والكتب ... وكانت لهذا السلطان معرفة وعناية بعلوم الرياضة والنجوم . وكذلك أهديت للشيخ الهدايا من ولاية تونس ، والجزائر ، وأكابر الدولة فى تركيا . يذكر الجبرتى ، فى حوادث شهر شوال من سنة ١١٨٢ ، أن على بيك الكبير أرسل هدية حافلة وخيولاً مصرية ، الى السلطان ورجال الدولة ، وكتب مع هدته رسائل ، « والتمس من الشيخ الوالد أن يكتب له أيضاً مكاتبات ، لما يعتقد من قبول كلامه وإشارته عندهم » . وقد طلب على بيك فى رسائله تلك عزل عثمان بيك العظم من ولاية الشام . وكان على بيك الكبير صديقاً للشيخ ، كبير الثقة فيه ، كثير المحبة له .

وفى ترجمة الأمير أحمد البارودى — وفيات سنة ١١٨٨ — أنه كان يزور الشيخ حسن الجبرتى فى بيته كل يوم جمعة ، وأنه التقى به مرة فى الطريق ، وهو راكب فى أبعته ، والشيخ راكب على بقلته ، فعندما رآه نزل عن جواده ، وقبل يده ، فأكبسر الشيخ ذلك ، واستحى منه واستعظمه . والتمس من الأمير أن يقيد به بعض الطلبة ليقرئه شيئاً من الفقه والدين ، فقيد به الشيخ عبد الرحمن

(١) تولى السلطنة سنة ١١٧١ ومات فى سنة ١١٨٧
(١٢٥٧ - ١٢٧٢ م) .

العرشى ، الذى تولى مشيخة الأزهر فيما بعد . وكان الشيخ حسن محباً للكتب جماعاً لها ، يبذل فى اقتنائها المال الكثير ، فكانت داره عامرة بالكتب النادرة وبعضها باللغة التركية والفارسية ، مثل الشاهنامة وتواريخ العجم (١) ، وفيها آلات فلكية وهندسية . وأفرد فى بيته مكاناً خاصاً جمع فيه الكتب المتداولة بين علماء عصره فى الفقه والحديث والتفسير والتوحيد والمنطق واللغة وغيرها ، فكان العلماء والطلاب يجيئون هذا المكان يأخذون ما يشاءون من الكتب بغير استئذان ، وكان منهم من يأخذ الكتاب ولا يردّه ، ومنهم من يأخذ كتاباً ويردّه غيره ... والشيخ سمح لا يمنع . وكانت عنده أيضاً « التشاوية والتصاوير البديعة الصنعة ، الغربية الشكل . وكذلك الآلات الفلكية من الكرات النحاس ، وآلات الارتفاع والميالات والأرصاء والأسطرلابات والأرباع والعدد الهندسية ، وأدوات غالب الصناعات ، مثل النجارين والخرافين والحديدادين والسمنكرية والمجلدّين والنقاشين والصاغة والرسامين » ، وكان يجمع الحاذقين من أهل هذه الصناعات عنده ليتعلم منهم ويعلمهم ، حتى تعلم خدمه بعض هذه الصناعات فصاروا « يقطعون البلاط بالناشير ويمسحونه بالماسح الحديد والمبارد ، ويهندسون اعتداله بالمسطر والقياسات بالياكير ، ويرسّنونه أيضاً » .

ولما كثر عنده الراغبون فى تعلم هذه الصناعات جعل لهم معلمين يعلمونهم . كان الطالب من أبناء العرب يتقيد بالشيخ محمد النفراوى ، وإن كان من الأعاجم تقيد بمحمود أفندى النيش . وانصرف هو بعد ذلك الى دراسة الفقه والفتوى ، وكان

(٢) كان فى خزانة كتبه كتاب زيج الرامد السمرقندى باللغة الفارسية ، وكان يقول أنه ليس فى الدنيا من هذا الزيج سوى ثلاث نسخ ، كونه مكتوب عليها بخط رستم شاه أنها جربت لدار سلطنة هراة باقى مئذتين الف دينار .

اماما في مذهب أبي حنيفة ، وقد رسم بنفسه كثيرا من المنحرفات والمزاويل على الرخام والبلاط ونصبها في مساجد كثيرة ... كالأزهر ، والامام الشافعي ، وقوصون ، والأشرفية ، والسادات .

وتجاوزت شهرة الجبرتي حدود مصر والبلاد الاسلامية ، فحضر اليه طلاب من الافرنج — في سنة ١١٥٩ — ليتعلموا عنده علم الهندسة ، واهدوا اليه من صنائعهم وآلاتهم أشياء نفيسة ، ثم « ذهبوا الى بلادهم ، ونشروا بها ذلك العلم ، وأخرجوه من القوة الى الفعل » . وصنعوا به طواحين الهواء ، وآلات جر الأثقال واستنباط المياه .

واشتغل الشيخ حسن الجبرتي أيضا بعلوم الطب ، وكان يضع خبرته في ذلك لخير الناس ونفعهم . كان الشيخ ابراهيم الصيحاني الغزي ، مفتي الحنفية في غزة ، من تلاميذه في الأزهر . فلما عاد الى بلده كان يرسل الى شيخه في كل سنة « جانبا من اللوز المر في غلق ، مقدار عشرين رطلا ، فنخرج منه دهنه ويرفعه في الزجاج لنفع الناس في الدهن معالجات بعض الأمراض والجروح » .

وفي سنة ١١٧٢ كان فساد الموازين قد أصبح مشكلة كبرى للناس وللحكام في مصر ، فاشتغل الشيخ باصلاحها ، وأحضر الصنائع لذلك من الحدادين والسباكين ، وحرر المئاقيل الصنج ، ورسمها على أصولها وهندستها .

وأنفق في ذلك أموالا من عنده ، ثم أحضر كبار البانية والوزانين وعرفهم طريق الصواب ، وأصلحوا آلتهم ، واستمر العمل في ذلك أشهرا ، ثم ألف لهم في ذلك كتابا سماه « الدر الثمين في علم الموازين » .

وكان الشيخ أيضا يقول الشعر . وقد أورد الجبرتي من شعر أبيه شيئا قليلا : بعضه في النحو ،

وبعضه في ذكر من يدخل الجنة من الحيوان ، كناية صالح ، وعجل ابراهيم ، والحيوت والبقرة وغيرها . ومنه شعر في نظم ساعات النهار ، وبعض نصائح طيبة . وكله شعر تافه ثقيل ، كسعر الفقهاء .

أما مؤلفاته — التي دولها ابنه عبد الرحمن — فهي تدل على ثقافته المتنوعة المختلفة . فمن ذلك كتبه : نزهة العين في زكاة المعدنين ، والأقوال المعربة عن أحوال الأشربة ، وكشف اللثام عن وجوه مخدرات النصف الأول من ذوى الأرحام ، وبلوغ الآمال في كيفية الاستقبال ، ومؤلفات أخرى في العروض ، وشرح الدر المختار ، ومناسك الحج ، وتقييدات على العصام والحفيد والمطول والمواقف والهداية ، وحاشية على شرح قاضى زاده على الجعيني ، وبراهين هندسية شتى ، وغير ذلك .

ومع هذه المكانة المرموقة ، التي بلغها حسن الجبرتي ، وما كان له من جاه ومجد وعلم ، فقد كان متواضعا ، « يجلس في آخر المجلس على أى هيئة كان ، بعمامة أو بدونها ، ويلبس أى لباس ، ويتحزم ولو بكنسار الجوخ ، أو خرقة أو شال كشميري ، ولا ينام على فراش منهد ، بل كيفما اتفق . وكان أكثر نومه وهو جالس » . وكان شجاعا لا يحب الرياء ، يصوم رجب وشعبان وزمضان ولا يقول انه صائم .

أراد الأمير يوسف الكبير أن يدخل مسجدا في عمارة بيته ، وسأل الشيخ أن يفتيه بهدمه وبناءه في مكان آخر ، فمنعه من ذلك .. فامتنع !

وكانت له في العلم والفتيا مكانة كبيرة . فانكب عليه الناس يستفتونه ، وتقرر في أذهانهم تحريه الحق ، حتى أن القضاة لا يفتون الا بفتواه . وكان كريما سمح النفس ، يكرم الضيف ، ويتلقف الوافد ، ويراعى الأقارب والأجانب ، بشوشا يخدم جلالة نفسه .

قدم مصر الشيخ ابراهيم بن أبي البركات

العباسي المشهور بالسويدي ، في سنة ١١٧٥ ،
فأنزله الشيخ في بيته ، وصار ينتقل معه ومع
تلاميذه الى بولاق وغيرها من المنتزهات ، ثم حل
بالسويدي مرض فأنزله بيته في بولاق على النيل ،
وقيد لخدمته جماعة من عبيده ، فكان كلما اختلى
بنفسه ، وهبت عليه نسبات النيل المنعشة ، أخذ
القلم ونقش على جدران البيت وأخشابه قصائد
المدح في مضيئه العالم الكريم ، وفي وصف النيل
ورياض وزهوره ، فكتب من ذلك عشرين قصيدة ،
ظلت منقوشة في أماكنها زمنا ثم اندرست .

وكان الشيخ محمد النفراوي قد بلغ النهاية في
العلوم الشرعية ، وأراد أن يتعلم الحكمة والرياضة ،
فأحضره والده للشيخ حسن في سنة ١١٧١ ، فرحب
به ، واغتبط بما رأى من حسن استعداده ، وأعطاه
مفتاح خزانة منزله ليضع فيها كتبه ومتاعه ،
واشتري له حمارا ، ورتب له مصروفا وكسوة .
وأرسل الشيخ أحمد الدمهوري خمسة أسئلة الى
على بيك الكبير وقال له : سل فيها العلماء الذين
يترددون عليك ان كانوا يزعمون أنهم علماء ،
فأعطاها على بيك للشيخ حسن . فكان لبقا حكيما
مترفعا حيث قال انها وان كانت من عويصات
المسائل يجيب عنها ولدنا الشيخ محمد النفراوي .
فمكن — مع لباقة وحكمته وترفعه — لتلميذه أن
ينال شهرة ومكانة بين العلماء ، وعند على بيك .

وكانت تقال في الشيخ المدائح ، فكان ، تواضعا
منه ، قبلها ويحيز قائلها ، ثم يمزقها . وكان ، مع
ثرائه العريض ، وما بلغ من مكانة في العلم ، وفي
الحياة ، يشتغل بالتجارة .

وهكذا عاش والد الجبرتي الى أن جاءت سنة
١١٧٨ فتوفي ابنه ، أبو الفلاح على ، أخو الجبرتي
لأبيه ، وكان عمره اثنتي عشرة سنة ، وكان الشيخ
قد أنجب من زوجاته وسرايه أكثر من أربعين

مولودا لم يعيش منهم سوى على هذا ، وعبد
الرحمن . فلما مات ابنه على ثقل عليه الحزن ،
وتوالت عليه الآلام والأمراض ، وترك بيوته على
النيل ، ولزم بيت الصنادقية ، وقلت حركته ، ولكنه
لم ينقطع عن الاملاء والافادة والتحقيق ، ولم يزل
كذلك حتى تعلق بالهضة الصفراوية اثني عشر
يوما ، ثم مات عن سبع وسبعين سنة في يوم الثلاثاء
غرة صفر من سنة ١١٨٨ (أبريل سنة ١٧٧٤) ،
وصلى عليه في الأزهر بمشهد حافل جدا ، ودفن
عند أملافه بترية الصحراء ، بجوار الشمس
البابلي ، والخطيب الشرييني ، وقيلت فيه المراثي
الكثيرة من كبار شعراء العصر .

ذلك هو ، أبو التمداني ، نور الدين حسن
الجبرتي ، أبو عبد الرحمن .

عبد الرحمن الجبرتي

أما ابنه ، أبو العزم عبد الرحمن ، صاحب
عجائب الآثار ، فقد ولدته لحدى السراي في سنة
١١٦٧ هـ (١٧٥٤ م) بالقاهرة . ولم أعرف أن
التاريخ ذكر لنا عن هذه الجارية شيئا : هل كانت
بيضاء أو سوداء ؟ ومن أي جنس أو بلد هي ؟
ولكني أعتقد أنها كانت بيضاء .

أرسله أبوه ، وهو طفل ، الى مدرسة السنائية ،
القريبة من منزلهم بالصنادقية ، ليحفظ فيها القرآن ،
فإذا عاد تلقى على أبيه وعلى بعض الشيوخ الذين
يترددون على بيته ، بعض العلوم . وأتم حفظ
القرآن الكريم في سن الحادية عشرة ، ثم رغب
الشيخ عبد الرحمن للعريشي الى أبيه في أن يلحقه
برواق الشوام ، ليلقنه مذهب الحنفية ، فسلمه
اليه .

وبادر أبوه فزوجه وهو في الرابعة عشرة ، في
سنة ١١٨٢ . ولم يذكر لنا التاريخ أيضا عن هذه
الزوج شيئا .

وقد سجل شاعر العصر الشيخ عبد الله الادكاوي

هذه الزيجة بقصيدة قدمها الى والد الجبرتي قال
في ختامها وبیت تاريخها :

هذا هناء مجبك الـ دعای لكم بسمو قدرك
والحال قد أرخته شمس البها زفت لبدرک

وظل عبد الرحمن يتردد على حلقات الشيوخ في
الأزهر بعد ذلك ، ثم يمضى الى بيته فيتلقاه أبوه
متحدثا اليه في التاريخ وأحداث عصره ، فقد كان
أبوه محبا للقصص ، والأغاني ، ودارسا معه
ما يشتغل به الشيخ من علوم الفلك والرياضة
والحكمة . وكذلك كان زوار الشيخ من كبار
العلماء والشعراء والأمراء يلقاهم الجبرتي الصغير
فيتحدثون اليه ويحدثهم ، ويفيد من علمهم وأدبهم
وحسن توجيههم ، وتتمكن العلاقات بينه وبين
الأمراء منهم خاصة .

وبقى حاله كذلك حتى مات أبوه ، وهو في سن
الثانية والعشرين ، وترك له ثروة ضخمة ، مادية
وأدبية . ترك له من الثروة المادية بيوته في بولاق
والصنادقية ومصر القديمة ، وأرضا له بالقرب من
كفر الزيات في بلدة « ايار » ، وأوقافا كبيرة على
مسجد بين رشيد والاسكندرية ، على بحيرة اذكو ،
تنظر عليها بعد أبيه ، كان أوقفها جده على في أيام
الملك الأشرف قايتباي ... وكان الملك الأشرف
يعتقد في هذا الجد اعتقادا كبيرا . وكذلك كان
الجبرتي شيخا على مقبرة الطحاوي بالقرافة .

وكان هذا الوقف « عدة أماكن وقيعان ،
وأنوال حياكة ، وبساتين ، ونخيل كثيرة » . وكان
يته على النيل يرتفع عن مستوى المساء عشرين
درجة ، وذكر الجبرتي أنه أجرى عمارة في بيت
الصنادقية ، بدأها في سنة ١١٩١ ، وأتمها في السنة
الثانية . وأنشأ الشيخ مصطفى الصاوي في ذلك
قصيدة نقشها الجبرتي في مجلسه من البيت .
وقد جعل الجبرتي من بيته ذاك ، بهذه العمارة ،

قصرا أيقا ، فيه حديقة صغيرة ، وبئر ، ومسكن
للخدم والمبيد ، وأخرى للضيوف ، وحجرة متسعة
للمذاكرة مع الطلبة ، والتدريس . وأقام فيه أعمدة
من الرخام المختلف الألوان ، ونقش جدرانها بالخشب
المحفور ، والقيطاني الملون ، ولتر في حجراته الآنية
الفاخرة ، والأرائك الثمينة ، وفرش أرضها
بالسجاجيد الغالية والطرايح الحريرية ، ولبس
أبوابه بالصدف والنحاس البراق ، وعلق الثريات
من البلور ، وجعل فيه حجرة رحبة للكتب ، وأتفق
في هذه العمارة مالا كثيرا .

وسكن الجبرتي ، فترة من الزمن ، في بيت يطل
على بركة الرطلى . وكانت ، كما يقول ، « يسكنها
أهل الرفاهية من أهل البلد ، لطيب هوائها
وانكشاف الريح البحرى ، وليس في برها الآخر
سوى الأشجار والمزارع ، وتعبها المراكب
والسفائن » .

أما الثروة الأدبية التي خلفها له أبوه ، فهي تلك
المكانة المرموقة ، والمحبة التي ربطت بينه وبين
علماء عصره وأهل الحكم والثراء فيه ، وذلك المجد
الأدبي والعلمى الذى صار اليه اسم الجبرتي ،
واسم آبائه وأجداده من قبل ، وتلك الكنوز
العظيمة النادرة من الكتب ، التي أفنى أبوه في
جمعها مالا كثيرا وجهدا عظيما .

بقى الجبرتي ، بعد وفاة أبيه ، متصلا بالأزهر
وشيوخه ، يحضر دروسهم فيه ، ويؤرونه في بيته
كما كانوا يؤرون أباه من قبل ، باحثين مدارسين .
فلما كبر الجبرتي وأجازته شيوخه أخذ يلقي دروسا
في الأزهر وفي بعض المساجد ، وفي بيته .

وقدم مصر ، في السنة التي ولد فيها الجبرتي ،
عالم كبير من اليمن ، هو السيد مرتضى الزبيدي ،
صاحب تاج العروس ، فلما تعرف اليه الجبرتي فيما
بعد ، أعجب به ولازمه وصادقه ، وأصبح من
المواظبين على دروسه مع طائفة كبيرة من اخوانه ،

الذين تبوأوا، فيما بعد، مكان الصدارة العلمية والأدبية في مصر، قد درس لهم الزبيدي فصيح ثعلب، ووقه اللغة للثعالبي، وأحب الكاتب لابن قتيبة، وسمعوا كثيرا من شرحه للقاموس، كما سمعوا في الأمالي والشمايل. ودرس الجبرتي علوم الفقه، ثم مال ميل أبيه لدراسة الفلك والحساب والهندسة. ومال إلى التصوف، وكان من مريدي الشيخ محمود الكردي.. يرافقه في ذلك الشيخ عبد الله الشرقاوي. ودرس الطب وألف فيه.

وفي أواخر سنة ١١٩٥ تزوج الجبرتي مرة أخرى، ولم يقل لنا أين ذهبت زوجته الأولى. تزوج ربيبة صديقه على عبد الله درويش الرومي، يرغبة منه. وكان الرومي هذا رجلا يعمل عند المماليك، «حسن السمعة، نظيف الثياب، وجه الطلعة، مهيب الشكل، سليم الطوية، مقبول الروحانية، نيف على التسعين ولم يسقط له سن، ويكسر اللوزة بأسنانه». وكان مثقفا غزير الاطلاع. وربيبة على الرومي هذه هي التي أنجبت للجبرتي ولده خليلا، ومات صهره هذا في سنة ١١٩٩ هـ.

وظل الجبرتي يفيد ويستفيد، ويباشر شئونهِ الخاصة، ويراجع في مكتبة أبيه الحافلة، حتى جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر، في صفر من سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م)، فترك القاهرة إلى مزرعته في «إيبار»، ثم عاد إليها بعد قليل، عندما أرسل العلماء، بإشارة نابليون، إليه وإلى غيره ممن هاجروا، ليعودوا.

ولما ألف الجنرال منو، قائد الجيش الفرنسي بعد نابليون، الديوان الثالث، لاختير الجبرتي عضوا فيه، وكان أعضاؤه تسعة.

ولما دخل العثمانيون القاهرة بقيادة يوسف باشا، لاختلاطها من الفرنسيين، وأخذ هؤلاء بعض كبار الشيوخ من أعضاء الديوان رهائن، بقي

الجبرتي، والبكري، والسرمي، والأمير.. أحرارا. وأمرهم الفرنسيون بأن «يكون نظرهم على البلد»، أي يكون لهم الاشراف على شئون القاهرة.

وبعد انتهاء الحملة الفرنسية على مصر، ودخولها مرة أخرى في حكم الدولة العثمانية، دون حوادث هذه الفترة في كتاب سباه «مظهر التقديس بذهاب دولة الفرنسيين». وكان له من مكاتبه اذ ذاك، وعضويته في الديوان، ومن علاقاته الخاصة، وصداقته الوطيدة للشيخ اسماعيل الخشاب، كاتم أسرار الديوان، ما يمكنه من معرفة دقائق الأسرار. وقد أهدى كتابه مظهر التقديس هذا إلى الوزير يوسف باشا، فلما عاد إلى اسطنبول عرضه على السلطان سليم الثالث، فأمر كبير أطبائه مصطفى بهجت بنقله إلى اللغة التركية، ففرغ من ذلك سنة ١٢٢٢ (١٨٠٧ م)، وترجمه بعد ذلك إلى هذه اللغة أحمد أفندي عاصم سنة ١٨١٥.

ويبدو مما كتبه الجبرتي في الفصول الأخيرة من كتابه، أنه كان يشكو الأسقام والمرض. يشير إلى ذلك في آخر حديثه عن سنة ١٢٢٥ حيث يذكر «تشوش البال، وهم العيال، وتكدر الحال، وكثرة الاشتغال، وضعف البدن، وضيق العطن». ويذكر كثير من المؤرخين أن الجبرتي اشتغل في أواخر حياته مؤقتا للصلاة وهلال رمضان وشوال في بلاط محمد علي، ولم يذكر هو شيئا من ذلك في تاريخه. وبعض المؤرخين يقول أن الذي تولى هذا العمل هو ابنه خليل.

وقد أصيب الجبرتي في آخر حياته ببحنة قاسية، ففى صباح الثامن والعشرين من رمضان سنة ١٢٢٧ (١٩ يونيو ١٨٢٢ م) كان خليل عائدا من قصر محمد علي في شبرا، بعد صلاة الفجر، فخرج عليه جماعة أخذوا يضربونه حتى قضوا عليه، وخنقوه. ثم ربطوه برجل حماره. فلما أصبح أصبح الصبح عموما

صفاته وأخلاقه

كان الجبرتي ، كما رأينا ، قد ورث عن أبيه وعن أسرته مالا ومجدا ، وهو مع ذلك متواضع . يذكر — فيما سجله من مناقشات أعضاء الديوان أيام نابليون — أشياء يقول ان «بعض الأعضاء» رد بها على الوكيل فورييه ، ولكنه لا ينسب ذلك لنفسه ، ويكتب عن وطنه بروح الاعتزاز والفخر ، وعن أسرته ، ولكنه يخشى أن ينساق الى التفاخر فيستدرك قائلا ، انه يذكر ذلك «بقصد التعريف بالنسبة» . وعندما ذكر أعضاء الديوان عمى في اسمه فقال « وكتابه » . ولعله فعل ذلك عامدا ليجتاط لنفسه من غضب المصريين أو العثمانيين بعد عودتهم للقاهرة . وهو الى ذلك رجل خير ، رقيق العاطفة ، نبيل الخلق ... ضاقت الحياة بصهره على درويش ، وتعطلت أسبابه ، فنقله وأسرته الى بيته ، وعاش معه حتى مات ، وتولى دفنه ، وأثنى عليه ثناء كبيرا ، وقال انه أفاد منه في التراجم التي ضمنها كتابه .

وكان عبد الرحمن رجلا سمحا ، يقدر الجمال ، متأنقا في حياته . وكان أصندقاؤه الخلف — كالشيخ حسن العطار والشيخ اسماعيل الخشاب — يدعونه الى مجالس الغناء حيث يقول ثانيهما :
يا سيدي وسندي وياعريق المحتسب
يا راحتي ، وراحتي وساعدي ، وعضدي
أدعوك تأتي مسرعا ويا لذاك من يد
ثوم قصرا جامعنا كل المعاني الشرد
نصغي الى مزهر من أضحي فريد البلد
وكان هو يدعوها أيضا الى منزله حيث يقطعان الليل في الحديث والسرور والمناذمة ، فيجولان في كل فن من الفنون ، « تارة يتشاكيان تغير الزمان ، وتكدر الاخوان ، وأخرى يترنمان بمحاسن الغزلان ، وما وقع لهما من صد وهجران ، ووصل واحسان » . ويلاحظ هنا أن الجبرتي يقول :

الناس ، ووجدوا على صدره دفاتر مكتوبة ، وأسطرلابا لرصد النجوم والكواكب .

وتناقل الناس ، والمؤرخون من بعدهم ، شائعات عن اشتراك سليمان أغا السلحدار ، ومحمد بيك الدفتردار ، صهر محمد علي ، في هذه المؤامرة ، وعن استئذان الدفتردار لمحمد علي في تدبيرها . وهي شائعات يذكرها المؤرخون ليفندوها . وقد وردت في دائرة المعارف الاسلامية على أنها صحيحة ، وأن الذي قتل هو الجبرتي نفسه (١) .

وقد أصيب الجبرتي بموت ابنه على هذه الصورة ، وهو بين المرض والكبر والضيق ، بنازلة شديدة حطمت حياته ، فترك الكتابة والتأليف ، وانقطع عن القراءة ، وألح عليه الحزن ، وأكثر من البكاء ، حتى ذهب بصره . وبقي في داره مريضا ، حزينا ، أعشى ، حتى مات في سنة ١٢٤١ هـ (١٨٢٥ م) (٢) . وأعقب بنتا ، عاشت مغمورة من بعده ، وولدا ، أو ولدين ، على خلاف بين المؤرخين .

وبعد وفاته احترق منزله بالصنادقية ، واحترقت المكتبة العظيمة الحافلة التي تركها له أبوه ، والتي زاد عليها هو زيادة كبيرة . ويذكر بعض المؤرخين أن جزءا من تاريخ الجبرتي ، احترق أيضا . وكان يتضمن حوادث ما بعد سنة ١٢٣٦ ، ودفن الجبرتي مع أبيه ، بستان العلماء .

(١) مادة « الجبرتي » ص ٢٧٩ من العدد الثامن ، المجلد السادس من الترجمة العربية . وفي مقدمة الترجمة الفرنسية لمعجائب الآثار أيضا ان الذي قتل هو الجبرتي نفسه .

(٢) اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ وفاته . وأكثرهم على انها كانت يوم ٢٨ رمضان سنة ١٢٣٧ هـ ، ولكن المرحوم جودجي زيدان اثبت — في الجزء الرابع من تاريخ ادب اللغة العربية — انه عاش الى نصف ربيع الاول من سنة ١٢٤٠ هـ ، كما حقق الاستاذ خليل شيبوب من طريق آخر — في كتابه « عبد الرحمن الجبرتي » — انه مات في هذا التاريخ الذي ذكرته . وذكر تلعيذه : البناني والغضراوي ، في نزهة الفكر ، انه عاش الى سنة ١٨٢٦ م .

« تارة يتشاكيان » ، « ويترنمان » ولا يقول :
تشاكى ، وترنم ... وكان هذان الصديقان كثيرا
ما يبيتان عنده .

وعرف الشباب فتى فرنسيا جميل الطلعة اسمه
ريج ، روى الجبرتي شيئا من غزله فيه .

ويذكر الجبرتي أنه لقي في طنطا شيخا اسمه
أحمد السناليجي الشافعي ، كانت له امرأة بارعة
الجمال ، وله منها ولد اسمه أحمد « كأننا أفرغ
في باب الجمال ، وأودع بعينه السحر الحلال » ،
ثم يذكره باعجاب فيقول انه « حضر الى ، وسلم
على ، وآسنى بحسن ألفاظه ، وجذبني بسحر
الحاظه » . ويقول الجبرتي في ترجمة بعض
أصدقائه انه « كان يحب الجمال » ، ثم يتبع ذلك
— وكأنه خشي التهمة — بأنه كان لا يترك الصلاة ،
أيما كان .

ومما يدل على رقة العاطفة أن الجبرتي يمدح
صديقه هذا بأنه كان يمر في الطريق يفرق الطعام
على الفقراء ، والأطفال ، و « الكلاب » .

وكانت فيه صفات العالم : كان يسهر الليل
يراعى مطالع النجوم ... ولما قامت ثورة القاهرة
على الفرنسيين ، أتلف العامة فيما أتلفوا أجهزة
علمية وفلكية ، فأبدى شديد أسفه على ذلك ،
وندد بجهل العامة ومنهمهم ، وحزن على فقد هذه
الأدوات التي لا تقدر بقيمة « عند من يعرف
صنعتها » . وعرض عليه رجل جزائري أن يشتري
كتاب زيج الراصد السبرقندي ، فأبى أن يبيعه
بأي ثمن . ولما علم أن الفرنسيين لديهم كتب ذات
قيمة ، زار الدار التي خصصوها لذلك ، وأبدى
اعجابه بها ، وذكر النظام الذي وضعوه للمطالعة
فيها ، وبعض الكتب التي رآها ، وأثنى على
نشاطهم العلمي ، ورغبتهم في البحث والمعرفة ،
واخلاصهم .

وكانت فيه شجاعة العالم أيضا ، فكبار الممالك
أصدقاؤه وأصدقاء آبيه ، وكذلك كثير من الولاة
والسادة الحاكمين ، وكبار الشيوخ اما أمساتذته
واما أصدقاؤه ، ومع ذلك لم يعف أحدهم منهم من
النقد والمؤاخذه ، اذا وجد في صفاته أو سلوكه
ما يوجب النقد . وقد ذكر في مقدمة كتابه أنه لم
« يقصد بجمعه خدمة ذي جاه كبير ، أو طاعة وزير
أو أمير ، ولم يداهن فيه دولة بنفاق ، أو مدح أو
ذم مبين للأخلاق ، لميل نفساني ، أو غرض
جسماني » . وقد لازمته هذه الشجاعة فعلا في
جميع مادون من حوادث التاريخ التي سمعها أو
شاهدها . كما التزم أيضا أدق شروط الأمانة
العلمية ... شأن العلماء . فهو يدون وثائق الحملة
الفرنسية ، والشروط التي وضعت بين رجالها
ورجال الدولة العلية للانسحاب من مصر ، ثم
يقول انه قل ذلك بحروفه « وما فيه من خطأ أو
تحريف ، فهو طبق الأصل المطبوع بالمطبعة
الفرنساوية باللغة العربية » .

وكذلك حديثه عن جماعة من علماء الآثار
الانجليز زاروا الهرم الأكبر وأبا الهول ، وآثار
الفراعنة في الصعيد ، ويسر لهم محمد علي أن
يأخذوا من آثار مضر أشياء ذات قيمة شروها بثمان
بخس ، وأخرجوها من مصر .
وللجبرتي ملاحظات تدل على سلامة الفطرة .
من ذلك اعجابه بنابليون لأنه سافر من القاهرة الى
السويس « فلم يكن معه طباح ، ولا فراش ، ولا
فرش ، ولا خيمة » ، وكان كل ما أخذه معه
« ثلاثة طيور حجاج محمرة ، ملفوفة في ورقة » .
وهي ملاحظة تدل على حبه للبساطة ، وهو
غنى مقتدر ، وبعده عن المظاهر ، ومعرفة لأقدار
الرجال من تصرفاتهم العادية التي قد يمر بها غيره
فلا يستنبط منها شيئا ، ولا تدله على فضيلة أو
خصيصة أو محمدة .

وفيه خلاصة دعوتهم ، ثم يعقب على ذلك بقوله : « ان كان كذلك فهذا ماندين الله به نحن أيضا ، وهو خلاصة لباب التوحيد » ، ثم يذكر بعض أمهات الكتب في مذهب السلف . وفي موضع آخر يقول : ان الوهابيين شرطوا على الركب الشامي ألا يجيء الى الحج بالمحمل والبطول ، فعاد الشاميون ولم يجبوا « ولم يتركوا مناكيرهم » . فالمحمل وطوله ، في نظره ، منكر . وهو يلقي زعماء الوهابيين الذين حلوا بمصر أسرى أو مهاجرين ، ويتعرف اليهم ، ويصادقهم ، ويشي على كبيرهم عبد العزيز ، ثناء خاصا . وتبدو فيما كتبه عن ذلك سلامة العقيدة والاخلاص . وقد يكون لموقفه العنيد من محمد على دخل في هذا الثناء .

وللجبرتي ، في إحدى صفحات الكتاب ، نقحة صادقة من الفهم السديد لروح الدين ومن الاشتراكية العاقلة معا . فهو يذكر ما أخذه الوهابيون من الحجرة النبوية الكريمة عند فرارهم ، من التحف الكريمة ، والجواهر النادرة القيمة الغالية الثمن ، وأن بعض الناس عد ذلك من الكبائر . ثم يقول : ان هذه التحف والجواهر « وضعها خساف العقول من الأغنياء ، والملوك والسلاطين الأعاجم وغيرهم ، اما حرصا على الدنيا وكراهة أن يأخذها من يأتي بعدهم ، أو لنوائب الزمان ، فتكون مدخرة ومحفظة لوقت الاحتياج اليها فيستعان بها على الجهاد ودفع الأعداء » . ثم يقول : ان أخذ هذه الذخائر ليس خروجا على الدين ، بل الخروج عليه هو كنز الأموال بحجرتها — أي حجرة النبي — وحرمان الفقراء والمساكين وأهل العلم وأبناء السبيل الذين يموتون جوعا . وفي هذه الصفحة ينتقد الجبرتي ، انتقادا مرا ، بعض الحكام الذين يسرفون في أموال المسلمين

وكذلك ثناؤه على الفرنسيين ، لأنهم لم يكونوا يتجاوزون الرسوم التي فرضوها على الأقضية ، أو رسوم التسجيل ، ولأنهم لم يبادروا بقتل سليمان الحلبي عندما اغتال الجنرال كليبر ، بل حاكموه وسألوه وناقشوه وناقشوا الشهود . وأثنى عليهم لأشياء أخرى كثيرة . وهذا كله دليل على رجحان عقله وسداد تفكيره ، وبعده عن التعصب الضيق . كذلك أثنى على الأنجليز ، عندما وصف صديقه الألفي بأنه عندما سافر الى بلادهم « تهذب أخلاقه ، بما اطلع عليه من عمارة بلادهم ، وحسن سياسة حكاهم ، وكثرة أموالهم ورفاهيتهم وصنائعهم ، وعدلهم في رعيته — مع كرمهم — بحيث لا يوجد فيهم فقير ، ولا مستجد ، ولا ذو فاقة ، ولا محتاج » .

وهو رقيق العاطفة . ذكر أن محمدا عليا زوج بعض أولاده ، فقدمت لأهمهم الهدايا من نساء الممالك والسادة ، وكان بعضهن في ضيق من العيش ، فاستدتن ليقدمن الهدية ، ولكن السيدة زوج محمد على لم يرق في عينها بعض الهدايا ، وعابت على صاحباتها ذلك في المجلس ، وردتها ليقدمن خيرا منها . وقد أفاض الجبرتي في ذكر ألمه لما أصاب هؤلاء النسوة من الكرب والحجل ، وكسر الخاطر ، وانكساف البال بعدما أصابهن وأصاب أزواجهن من قسوة محمد على وظلمه .

ويبدو مما كتبه الجبرتي في مواضع كثيرة متفرقة من كتابه ، أنه كان حر الفكر ، سلفي العقيدة . فهو كثير النقد للبدع ، وما يصاحب موالد الأولياء ، ومدعى الولاية من الفسق والفجور ، والمغالاة في مدحهم والتوسل بهم ، ويقول ان في ذلك خروجا على الدين ، واتباعا للشهوات ، وأن الفرنسيين لم يبيحوا اقامتها ويحرضوا عليها الا لهذا السبب . ويسجل منشورا أرسله الوهابيون الى مصر ، بعد دخولهم مكة ،

التي أوتمنوا عليها . وينفقون النفقات الباهظة في التفاخر والرفاهية ، ثم يتحلبون على تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس والمصادرات والاستيلاء على الأموال بغير حق ، حتى افتقر الرعايا .

وهذه النفقة الاشتراكية ، الانسانية ، هي التي جعلت الجبرتي ، في موضع آخر ، يشن على الفرنسيين لأنهم لم يسخروا العمال الذين كانوا يستخدمونهم لتمهيد الطرق في القاهرة ، وإقامة المنشآت العامة ، بل كانوا يزيدونهم عن أجورهم المعتاد ويرحونهم بعد الظهر ، ويستعينون بالآلات القريبة المأخذ ، السهلة التناول ، التي تريح العامل وتعينه ، وتقلل من مجهوده ... كمبريات نقل الأتربة . وكانت السخرة في أشق الأعمال شيئا مألوفاً في ذلك الوقت . وكان موت الفلاحين والعمال من الجهد والإرهاق شيئا مألوفاً أيضاً . وقد مر في موضع من هذا الكتاب أنهم كانوا يدفنون وفيهم رمق الحياة ، لأنهم عجزوا عن مواصلة العمل وسقطوا من الأعياء .

ويبدو الجبرتي ، في مواضع أخرى متفرقة من كتابه ، رجلاً ساذجاً ، مؤمناً بالكرامات والخرافات . فهو يذكر رجلاً كانت الجن تخدمه وتطيعه فيما يأمر ، ثم يقول : إن ذلك « لا يستبعد » . ويترجم لرجل أبله كان يزعم أنه يكشف ما في ضمائر الناس ، ولا يستبعد ذلك أيضاً . وعندما أمر مجعد على ، ووافق في ذلك القاضي التركي ، بإجراء الحجر الصحي ، وإقامة « الكرتينة » احتياطاً من الطاعون ، لأمهما الجبرتي على ذلك ، وقال : إن ذلك « من حبهم للعالم » . ويذكر من كرامات سيدي على البيومي أن يجالس إليه كان « يرى وجهه تارة كالوجش ، وتارة كالبجل ، وتارة كالغزال » . ولا غرابة في ذلك التناقض الظاهري .

فإن الجبرتي ألف كتابه على فترات متباعدة من الزمن . وكان في بعض ماسجل من هذه الروايات ، متأثراً بالبيئة ، والصحة ، واعتقاد الجماهير .

وللجبرتي في كتابه تعبيرات تدل على لباقة وحسن أدب وتلفظ ، من ذلك تعبيره الطريف عن قاض جديد قدم مصر من اسلامبول سنة ١٨١٦ بأنه « كان له مسيس من العلم » .

أما ذوقه الأدبي فنستطيع أن نعرفه من اختياره للشعر ، وثنائه على ما يختار . فهو يختار مثلاً لشاعر معاصر ، هو ابن الصلاحى هذه الأبيات ، ويشن عليها :

جزى الله أنفاس النسيم فانها
لتعلم سرا في النفوس لطيفاً
أسرت الى الأغصان ، عند قدومنا ،

جديثاً ، فمدت للسلام كهوفا
وهزت ، سرورا بالتداني ، معاطفا

وأهدت لنا منها شذا وقطوفاً
وهو يختار لهذا الشاعر نفسه قصيدة جيدة طويلة ، أولها :

بشا على النائي الغريب جبلاً من الخير العجيب
واستوقف الركبان ما بين الإراكية والكثيب
واستنشد القلب الذي قد ضاع من بين القلوب
سلبته ، يوم الدوجتية ن ، طليعة الرشا الربيب
والأبيات والقصيدة كلتاها شعر جيد ، إذا قارناها بشعر ذلك العصر خاصة ، وليس كل ما اختاره الجبرتي ، وخاصة من النثر ، جيداً ، يدل على تذوق للشعر والنثر ، بل فيه شيء غير قليل من التافه والثقل ، الذي كان ذوق العصر يسيغه ويألفه ويقبل عليه .

ومع احاطة الجبرتي بكثير من علوم عصره ، وإشغاله بغير ما كان الناس يشتغلون به ، من علوم الحكمة والرياضة ، ومبعدة مداركه ، فإنه يسمى البحر الأبيض المتوسط « البحر المحيط » .

واشتغل الجبرتي ، مثل أبيه ، بالأمور العامة ...
فأفاد الناس من علمه . فالمازني التي حررها أبوه ،
عندما فشا فسادها ، وألف فيها كتابا . اشتغل ابنه
باصلاحها مرة أخرى وتحريرها . ومعرفته بعلم
الفلك ، جعلته يستخرج الطالع وحساب النجوم .
وقد ذكر في بدء حديثه عن سنة ١٢٢١ - وهي
السنة الأولى من حكم محمد على - حسابا
للنجوم ، والاتقالات الشمس ، وأبراجها ،
ومقارناتها ، وحساب الأهلة . ثم قال « وفي ذلك
دليل على ثبات دولة القائم ، وتعب الرعية » . وقد
ثبتت فعلا دولة محمد على ، وتعبت الرعية ...
وصدق حساب الجبرتي وطالعه في الأمرين معا

ونستطيع ، بعد ذلك ، أن نعرف شيئا عن
صفات الجبرتي وأخلاقه ، من معرفتنا لخاصة
أصدقائه ، وهم الشيخ اسماعيل الخشاب ،
والشيخ حسن العطار ، والشيخ أحمد الطحطاوي ،
أما الأولان فقد ذكرنا طرفا من أخبارهما ،
وظرفهما ، ومجالسهما في بيت الجبرتي ... تلك
المجالس التي تمثل فيها بقول الشاعر :

في انقباض ، وحشمة ، فاذا

رأيت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسي على مجبتها

وقلت ما قلت ، غير محتشم

وقد توفي الخشاب في سنة ١٢٣٠ ، أي قبل وفاة
الجبرتي بأكثر من عشر سنين ، وعاش العطار بعده ،
ولكنه لم يشاركه في خصومة محمد على ، بل
صادقه ، وتقرب اليه ، وألف من أجله كتابا في
الرسائل أهداه اليه (١) . وتولى مشيخة الأزهر ،
وكان شاعرا ، رحالة ، خبيرا بالحياة .

أما ثالثهم : الطحطاوي ، فقد كان تركي الأصل ،

(١) رسائل العطار المطبوع في المطبعة المثمانية بالقاهرة سنة

شجاعا في الحق ، عندما تألب الأسياف على السيد
عمر مكرم ، وكتبوا فيه ما كتبوا ، امتنع عن
مسايرتهم والشهادة معهم ، وانفرد بذلك دونهم ،
ففضبوا منه ، وأكثروا من ذمه والكيده له حتى
فصل من مشيخة الحنفية ... ولكنه لم يتراجع ،
وأعاد محمد على مرة أخرى لمشيختها . وقد قبلها
في المرة الأولى على كره . وكان الطحطاوي هذا
من أحب صحبة الجبرتي له وأقربهم لقلبه .

عجائب الآثار

يقول الجبرتي في مقدمة كتابه : « اني قد سودت
أوراقا في حوادث آخر القرن الثاني عشر وما يليه ،
وأوائل الثالث عشر الذي نحن فيه ، جمعت فيها
بعض الوقائع اجمالية ، وأخرى محققة تفصيلية ،
وغالبها محن أدركناها ، وأمور شاهدناها ،
واستطردت في ضمن ذلك سوابق سمعتها ، ومن
أفواه الشيخة تلقيتها ، وبعض تراجم الأعيان
المشهورين ، من العلماء والأمراء المعتبرين ، وذكر
لمع من أخبارهم وأحوالهم ، وبعض تواريخ
مواليدهم ووفياتهم ... فأجبت جمع شملها وتقيد
شواردها في أوراق منسقة النظام ، مرتبة على
السنين والأعوام » .

ويقول في موضع آخر انه كان يدون الحوادث
في « طيارات » ، ثم يعود اليها بالتفصيل والشرح
والإفاضة . فهو يسجل في مذكراته الحوادث
اليومية ، ثم يتوسع فيها . وقد سجل حوادث
السنين الأولى رواية عن أبيه وعن شيوخه
وأصدقائه الذين شهدوها ، أو سمعوها ، ورجع في
ذلك أيضا الى سجلات الدولة من دفاتر الكتبة
وغيرها ، وما نقش على حجارة القبور ، وذلك من
أول القرن الى سبعين سنة منه ، ثم يقول ان « ما بعد
السبعين الى التسعين أمور شاهدناها ثم فسيناها
وتذكرناها ، ومنها الى وقتنا أمور تعقلناها وقيدناها
وسطرناها » .

سنة ١٢٢٢ يذكر حادثة شيخ من بنها يدعو الناس لمقاومة سلطة القاهرة ، ويفصل ما جرى له حتى قتل ، ثم يذكر خبر واقعة بين محمد على وشيخ دسوق ، ثم يجمع الى ذلك حادثة رجل من الدلتية (١) كان يرمى دجاجة بحجر لتقع من سطح دار الى أخرى ، ليستحوذ عليها ... ا

أما ترتيب الكتاب فقد أشار في مقدمته الى صفات الحاكم العادل . وذكر الحديث الذي رواه أبو هريرة « عدل ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، قيام ليلا وصيام نهارها » . وقال ان سبب هلاك الحاكم هو « اطراح ذوى الفضائل ، واصطناع ذوى الرذائل ، والاستخفاف بعظة الناصح ، والاعتزاز بتزكية المادح » . ثم ذكر تاريخا مختصرا للملوك والدول التي حكمت مصر ، بعد ضعف الخلافة العباسية ، حتى الفتح العثماني . وخصص في صفحتين حوادث السنين الخمس الأولى من القرن الثاني عشر . ثم أفرد حوادث كل سنة بعد ذلك ، مرتبة بترتيب وقوعها ، على الشهور والأيام . وفي الكتاب اشارة الى أنه كان يكتبه في سنة ١٢٢١ .

وقد جعل الجبرتي من كتابه « عجائب الآثار » سجلا حافلا ، جامعا ، دقيقا ، لحوادث السنين التي أرخ لها : لم يترك أمرا جليلا أو صغيرا رآه أو سمع به ، الا ذكره . يترجم للمماليك ، أمراء مصر ، ولشيوخ الأزهر والولاة والأشراف ، والعلماء ، والتجار ، وخفير باب زويلة ، والخطاطين ، والصناع ، والأولياء ، وخادم النعال بالمشهد الحسيني ، والشعراء ، والمجذوب الصاحي — وكان حمالا في دمياط — ومدعى النبوة ، والمجانين . ويذكر أسعار الغلال واللحم والسمن واللبن والذهب والتمر والبن والحطب والفحم . ووقوع الطواعين والأوبئة ، وعمارات المساجد والبيوت

(١) احدى طوائف الجند من اكراد الشام .

وظاهر هذا الكلام أنه شاهد بنفسه ، وسجل ما شاهد ، ابتداء مما بعد السبعين من حوادث القرن الثاني عشر ، وذلك ما اعتقده وأقره أكثر مؤرخيه ، مع أن سنة اذ ذاك كانت أربع سنين . واعتقد من الاضطراب الظاهر في العبارة أنه لا يقصد ذلك ، وربما أراد ما بعد التسعين ، لا السبعين .

وقد ذكر أن الذي دعاه لوضع هذا التاريخ هو السيد مرتضى الزبيدي ، صاحب تاج العروس ، حيث طلب مفتى دمشق ، السيد محمد خليل الراوى ، من الزبيدي وضع هذا التاريخ . فكلف به الجبرتي ، وكان يكتب ما يكتب ويقدمه للزبيدي . فلما مات هذا بالطاعون في سنة ١٢٠٥ استولت زوجته على جميع ما خلفه بما في ذلك كتبه ، وفيها ما قدمه له الجبرتي من تاريخه ، ثم تزوجت أرملته ، واستطاع الجبرتي أن يشتري منها ما خلفه السيد فوجد ضمنه أوراقه . وأرسل له مفتى دمشق بعد ذلك يستحثه على أن يتم كتابه فكان ذلك مشجعا جديدا له .

أما الطريقة التي اتبعها في تدوين الكتاب ، فانها مع استيعابها ووفائها ، أبعدت بينه وبين أن يكون تاريخا منسقا متتابعا ، بل جعلته أشبه شيء بجريدة يومية أو أسبوعية ، تسجل الحوادث الواقعة ، بلا ترابط ولا توحيد أو تأليف ، فترى الرجل أو الحادثة تذكر في مواضع متفرقة متباعدة من الكتاب حسبما تجيء به ، أو بها ، المناسبة ... لأمر وقع ، أو حادث جرى ، وذلك نتيجة طبيعية لسرد الجزئيات على الأيام . وهو يخلط بين الجليل والحقير من الحوادث خلطا ، قد يكون عجيبا ولكنه احدى نتائج الأمانة والحرص على الاستيعاب .

فهو ، مثلا ، في حوادث شهر جمادى الآخرة من

أصدقاء له ، وهو نفسه كان من أعيان العلماء اذ ذاك ، وكان عضواً في الديوان الثالث . ولكن أجود ما كتبه الجبرتي ، وأعظمه قيمة ، تلك الصفحات التي صور فيها حياة المجتمع المصري أصق صورة وأبرعها وأقواها ، وتراجم العلماء والأمراء وكبار الرجال في عصره ، وفي هذا وذالك لا نجد للجبرتي نظيراً ولا ضرباً بين المؤرخين في جميع العصور .

أما الفترة التي سجلها من عهد محمد علي ، فتتسم بالاختصار وعدم الاستيعاب ، لأنه لم يكن من رجال محمد علي ، ولا من المتصلين به أو برجاله . وهو نفسه يعتذر عن تفصيله في تسجيل حوادث القسم الأخير من كتابه « اذ لا يمكن استيفائها ، للتباعد عن مباشرة الأمور » . وهو في تسجيل عهد محمد علي يترك بعض الشهور دون أن يذكر حادثاً ما ، وبعضها يدون فيه سطوراً قليلة ، أو حادثاً فرداً . ويحتاط في الرواية بأن يقول : « على ما بلغنا » ، أو « على ما قيل » ، وأشباه ذلك .

أسلوب الكتاب

أما أسلوب الجبرتي في كتابه فليس على نسق واحد ، وهذا طبيعي ، ولكنه في عمومه يكاد أن يكون مصرياً عامياً ، كثير الأغلاط . والتعابير المصرية الشعبية التي لا يزال كثير منها متداولاً إلى الآن ، يجدها القارئ في كثير منه . فهو يصف حريقاً في « خطتنا بالصنادقية » فيقول : ان النار « رعت ووجت » ، ويقول : ان النيل « اتهبط » يعني انخفض مأؤه ، وأن سعر القمح « شطح » ، أي ارتفع ، و « ثارت كرشة » أي زحام وتدافع ، و « تحنجل في مشيه » ويذكر كلمة « قشسل » ، و « قشلان » بمعنى مفلس ، و « كثر العياط » ، و « زاد تنطيطهم » ، و « زرع له فوق السطوح » اذا مناه الأمانى الكاذبة ، و « رقرق » لذلك فلان أي مال اليه وتأثر به ، و « النفخة » بمعنى الغرور .

والقنوت والترع والسدود . ويسجل في حوادث سنة ١١٩٠ ، دخول فيل صغير القاهرة ، من الهند ، ويفصل حادث الشيخ ضادومة ، ولا يترك صغيرة ولا كبيرة . وقال في كل ذلك : « اني لم اخترع شيئاً من تلقاء نفسي ، والله المطلع على أمرى وحدمي » ، و « لا أكتب حادثة حتى أتأكد صحتها بالتواتر والاشتهار » .

وتبدو في النصف الأول من الكتاب العناية بتراجم الرجال وسير الممالك والعلماء وغيرهم ، وفي نصفه الأخير تبدو العناية أكثر بتسجيل الأحداث والوقائع .

وقد ذكر أنه سيعيد مراجعة كتابه . والظاهر أنه لم يتيسر له أن يفعل . لذلك جاء فيه ذكر بعض الحوادث مكرراً ، وجاء فيه ما يدل على عدم التحري . فهو يقول ، مثلاً ، في ترجمة الشيخ سليمان الجبرمي انه ولد في سنة ١١٣١ ، ثم يقول انه تجاوز المائة ، وهو في الوقت نفسه ، يحدد تاريخ وفاته بليلة الاثنين ١٣ رمضان من سنة ١٢٢١ فهو بذلك لم يتجاوز المائة ، وانما عمر الى التسعين . وفي الكتاب أشياء غير قليلة من ذلك . ولو أنه راجع ما كتب ومحضه ، لما وقع في ذلك ومثله . وليس ذلك تنقيصاً لقيمة الكتاب ، فقد أجمع المؤرخون على أنه مصدر من أوثق وأوفى وأهم المصادر التاريخية عن تلك الفترة . وخاصة فيما سجله عن حوادث عصره التي شاهدها بنفسه .

ومن أجود ما كتبه الجبرتي ، وأكثره أهمية ، اما سجل فيه حوادث الطبقة الأخيرة من الممالك ، وفترة احتلال الفرنسيين لمصر . وطبعي أن يكون ذلك : فكبار الممالك أصدقاء والده ، وكبار الشيوخ الذين كانوا أعضاء في ديوان نابليون ، وكذلك كاتم سر الديوان اسماعيل الخشاب ...

ونجد من التعابير المصرية ما لا نزال نسمعه الى اليوم مثل : « كل الوقائع زلاية » ، ومثل « قارب شيخة » ، فقد ذكر أنه نزل — في سنة ١١٧١ — مطر كثير ، سالت منه السيول ، وأعقبه الطاعون المسمى « بقارب شيخة الذى يأخذ المليح والمليحة » . ولجده يذكر « الكبة » وهو يريد الطاعون ، كما يفعل العامة الى الآن ، وأمثال ذلك . وهو لا يلتزم السجع ، ولكنه أحيانا يتفصح به في غير موضعه ... فيبدو ظريفا مضحكا ، كذلك السجع الذى التزمه في وصف قوم فجأهم المطر وهم يسيرون مكرهين في زفة عروس « فاختل نظامهم ، وابتلت ثيابهم ، وتكدرت طباعهم ، واتقضت أوضاعهم ، وزادت وساوسهم ، وتلفت ملابسهم ، وهطل الغيث على الابرسم والحرير ، والشالات الكرخانة والسليمى والكشمير ، وكثير من الناس من وقع بعد ما ترحلق ، وسار ثوبه من الوحل أبلق ، ومنهم من ترك الزفة ، وولى هاربا في عطفة ، يسبح يديه في الحيط ، مما تلتخ بها من الرطريط » .

وهى صورة كما ترى ، مع طرافتها ، صادقة حية .

وقد اعتذر هو عن ضعف أسلوبه ، وتقصيره ، وأخطائه بقوله : « هذا مع اعترافى بقصور الباع ، وفتور الطباع ، في قوانين المعاني العربية ، ودواوين المثانى الأدبية » . وغير بعيد أن يعتمد الجبرتى شيئا من الالتواء والغموض ، مراعاة لبعض الاعتبارات والظروف .

وهذا لا يمنع أن يجد القارئ صفحات جيدة الأسلوب بين ثنايا الكتاب .

التاريخ بلا عاطفة

والجبرتى يكتب تاريخه ، ويسجل فيه أحداث مصر العظيمة التى شهدتها أو سمعها ، ولكنه لا يظهر أية عاطفة فيما يكتب ، فهو يلم الشوارد ،

ويدون ويقيد ، ولكنه لا يلون بشعور ، ولا يصفى باحساس .

يسجل ، بأمانة وافاضة ، حوادث الحملة الفرنسية ، ومقاومة المصريين لجنود نابليون في صفحات طويلة . ولكن القارئ لا يستين فيها أى لون من ألوان العاطفة . فهو لا يكتب تاريخ هذه الفترة العصبية الحافلة من تاريخ مصر بروح الوطنى المصرى واحساسه ، ولا بروح الرجل المسلم ، حيث كانت العاطفة الغالبة المسيطرة . بل هو في مواضع كثيرة لا يخفى اللوم وانضج من عنف القاهريين وشططهم في مقاومة الفرنسيين ، ويجعل ذلك من سخف العقل . وهو كذلك ، في ترجمة الألفى ، يطنب في مدحه ، ويشيد بفضائله ، ويذكر أنه سافر الى بلاد الانجليز مع خمسة عشر من رجاله ، وبقي ضيفا عليهم زمنا ، يطلب حمايتهم ويمكن لهم من احتلال مصر ، وغاب في هذه الرحلة سنة وشهرا وبعض أيام ، وعاد من بلادهم يحمل الهدايا الكثيرة الغالية . ثم يقول ان الألفى أيضا أرسل الى الانجليز يستنجدهم أن يعينوه على حرب محمد على واخراجه من مصر . ومع هذا وذاك لا يجد الجبرتى ، فيما أقدم عليه الألفى ، أى مبرر للومه ، ولا يشعر القارئ أنه أحسن أى عاطفة من العواطف فيما أقدم عليه .

ويستطيع القارئ ، وهو يعجب ، أن يجد شيئا غير قليل من شذوذ العاطفة في تدوين الجبرتى لحوادث سنة ١٢٢٢ ودخول الانجليز الاسكندرية فيها (١) . فهو يكاد يتمنى لو أنهم استطاعوا أن يملكوا القطر كله ، ليساعدوا صديقهم وحليفهم ، الألفى ، ضد محمد على . وهو يذكر أميرا من المماليك اسمه عثمان بك حسن ، معى اليه الانجليز ليعينهم على بسط سلطانهم على مصر ليتمكنوا له واخوانه ، في زعمهم ، من حكمها دون

(١) في ليلة ٢١ مارس من سنة ١٨٠٧ م

« بالزعر » وأحيانا « بالحرافيش » ، ويصفهم بأنهم « حشرات الحسينية » ، وزعر الحارات البرانية « أى الذين يسكنون خارج أسوار القاهرة وأبوابها .

وقد يكون لطبيعته من الاعتدال ، والبعد عن العنف ، مدخل فى شعوره هذا وفى حديثه عن الثورة والتأثرين ، كما كان لها أثر فى رأيه وسلوكه مع الفرنسيين . وقد يكون حبه للعلم ، وتقديره لما شاهد عند علماء الحملة الفرنسية من الكتب والآلات الهندسية والفلكية ، وما رآه المصريون ، لأول مرة ، من مظاهر الحضارة العلمية ... قد يكون ذلك مما أوجد فى نفسه آصرة من التقدير والقربى -- ولا أقول المحبة -- بينه وبين الفرنسيين .

وقد ذكر الجبرتي أنه كان يكتب تاريخه فى سنة ١٢٢٠ ، ذكر ذلك مرة فى تدوينه لحوادث سنة ١١٨٦ ومرة أخرى فى حوادث سنة ١١٩٠ . وهو لم يكتبه كله فى ذلك الوقت طبعا ، بل كتبه على فترات طويلة متباعدة .

تداول الكتاب وطبعه وترجمته

كان تاريخ الجبرتي ، أو جزء منه على الأقل ، متداولاً ، أو معروفا لبعض الخاصة . فانه يذكر فى ترجمة الشيخ عبد الله الشرقاوى أنه ألف كتابا فى تراجم فقهاء الشافعية ، فنقل تراجم المتأخرين منهم « من تاريخنا هذا بالحرف الواحد » .

وقد بقى الكتاب محجوبا ، أو ممنوعا ، حتى أذن الخديو توفيق بطبعه ، فطبع أول مرة فى سنة ١٢٩٧ هـ ، بالمطبعة الأميرية . وطبع الجزءان الثالث والرابع ، وفيه بعض من تاريخ محمد على ، أولا ، ثم الأول والثانى .

وقد ذكر الجبرتي ، فى ختام كتابه ، أنه سيفصل بعض المسائل فيما « سيتلى عليك ان شاء الله تعالى بكماله فى الجزء الآتى بعد ذلك » . ولعل هذه الإشارة هى التى جعلت بعض المؤرخين يعتقد أنه

محمد على . ولكن عثمان بيك هذا أجاب الانجليز بأنه هاجر وجاهد الفرنسيين ، وأنه لا يقبل أن يختم حياته بمساعدة الافرنج على اخوانه المسلمين .

ولعل القارىء يعتقد أن الجبرتي أعجب باخلاص عثمان بيك لدينه ، أو لوطنه ، وشكر موقفه هذا ، أو على الأقل ، سجل الحوادث بلا عاطفة ، كما هو غالب شأنه ... ولكن العجيب أن الجبرتي يصف عثمان بيك فى موقفه المشرف هذا بأنه « يدعى الورع » ، ثم يقول بعد ذلك بقليل انه « كان ما أراداه المولى جل جلاله ، من تعسة الانجليز ، والقطر وأهله » .

فهو بذلك يشى بسريرته ، ويظهر حزنه المكثوم لحبوط الحملة الانجليزية على مصر .

ولا نستطيع ، على وجه القطع واليقين ، أن نتهم الجبرتي -- لهذا أو لغيره -- فى عاطفته الوطنية أو الدينية ، وهى العاطفة الغالبة التى كان يحسها الناس اذ ذاك ويمرفونها .

ولكننا نلاحظ ، الى جانب حديثه عن عثمان بيك حسن ، أن الجنرال منو اختاره عضوا فى الديوان الأخير الذى ألفه . وكان منو أشد القادة الفرنسيين قسوة ، وأبعدهم فى العنف والجبروت على أهل مصر ، ونلاحظ أيضا أن الفرنسيين قبضوا على أربعة من أعضاء هذا الديوان ، عندما قدمت الحملة الانجليزية التركية ، ولم يقبضوا على الباقين من هؤلاء الأعضاء ، بل تركوهم ليحكموا بهم أهل مصر . وكان الجبرتي من هؤلاء الذين تركوهم ، وخصصوا لكل واحد منهم خادما يقوم على خدمته ، كما نلاحظ أيضا أن الجبرتي ، وهو يتحدث عن الثورات التى قام بها أهل القاهرة ضد الفرنسيين ، كان كأنه يلوم زعماءها على عنادهم وصلابتهم ، ويتهم بعضهم بأنه من الأغرار الإفاكين . أما مسواد الناس من القائمين بالثورة ، فكان يسبيهم أحيانا

كتب جزءا خامسا ، أحرق أو أعدم ، لاشتماله على أشياء ضد محمد على وحكمه (١) . ولكن الأرجح أن الجبرتي لم يكتب بعد ذلك شيئا . ووجدت بعض النسخ بخطه وفيها « أن هذا هو آخر الجزء الرابع وبعده توفي الشيخ . ولم يكتب شيئا » . وتكرر طبع الكتاب بعد ذلك ، منفردا ، وعلى هامش التاريخ الكامل ، لابن الأثير . ونشر القسم الذي كتبه الجبرتي عن الحملة الفرنسية مستقلا بعنوان « تاريخ الفرنسيين في مصر » ، نشرته جريدة « مصر » بالاسكندرية في سنة ١٨٧٨ . وقام بنشره الأديب اللبناني أديب أسحق .

وترجم هذا القسم الى اللغة الفرنسية ، ترجمه مترجم القنصلية الفرنسية بمصر ، المسيو كاردان ، وطبع في سنة وفاته ١٨٣٨ م ، أى بعد موت الجبرتي بثلاث عشرة سنة . وقد رأينا من قبل أن هذا الجزء نفسه ترجم الى اللغة التركية ، بأمر السلطان سليم الثالث ، وجعل عنوانه « انقاذ مصر من الفرنسيين » . ومما لاشك فيه أن محمدا عليا عرف ما سجله الجبرتي عن سيئاته ومساوئ حكمه ، وأنه جزع لذلك واستاء منه أكثر استياءه . وقد أراد أن يرد على الجبرتي ، من طلبة غير مباشر ، فطلب الى شيخ الأزهر ، الشيخ محمد العروسي (١) ، أن يكلف أحد العلماء بتأليف كتاب عن تاريخه يعارض فيه الجبرتي . فكلف الشيخ خليل بن أحمد الرجبى الشافعى الذى وضع كتابا ملأه بمدح محمد على

(١) ذكر جورجى زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية - الجزء الرابع - انه « يقال ان عجائب الآثار ، بعد طبعه ، صدره حكومة الخديوى وحذفت منه ما كتبه ضد محمد على » . ولكنى لم أجد ما يؤيد هذه الرواية ، او يساعد عليها . ونحن نرى ان الجبرتي قد كتب عن محمد على في حرية واسعة ، وتناول شخصه ، وأخلاقه ، وتصرفاته بأشياء كثيرة . وان هذا الذى كتبه موجود في الطبعات المتداولة .

لذلك ، ولأسباب أخرى ، استبعد هذا الذى رواه جورجى زيدان بصيغة التضعيف .

وتقول دائرة المعارف الإسلامية ايضا ان نسخة سابقة على طبعة المطبعة الأميرية سنة ١٢٩٧ هـ ، « صردت واعدت » .

(١) تولى الشيخة سنة ١٢٣٣ بعد الشيخ الشنوائى .

والاشادة بذكره . وتوجد من هذا الكتاب نسخة خطية في دار الكتب المصرية تحت رقم ٥٨٥ تاريخ . وترجم « عجائب الآثار » الى اللغة الفرنسية ، ونشر في تسعة أجزاء ، تضمنتها ثلاثة مجلدات ، وطبع بالمطبعة الأميرية بين سنتي ١٨٨٨ و ١٨٩٦ م وفهم بعض المؤرخين أن هذا التراخى كان سببه ما كتبه الجبرتي عن محمد على . وقام بهذه الترجمة أربعة ، هم : شفيق بيك منصور يكن ، وعبد العزيز كحيل بيك ، وجبرائيل تقولا كحيل بيك ، واسكندر عمون أفندى .

وذكر هؤلاء في مقدمتهم لهذه الترجمة الفرنسية أن نوبار باشا هو الذى أوحى اليهم بفكرتها ، وأن يعقوب أرئين باشا كان معينا لهم في القيام بالمشروع . وترجم « عجائب الآثار » أيضا الى اللغة الروسية منذ سنين قريبة .

وللجبرتي كتب أخرى ، هى ، « مختصر تذكرة داود الأنطاكي » (١) ، فى الطب ، وكتاب عن ألف ليلة وليلة يرجح أنه فقد . وذكر بعض المؤرخين أنه ، عندما قتل ابنه خليل ، كان يشتغل بوضع كتاب عن الثورة اليونانية ، ولم يتمه .

وقد ذكر « بروكلمان » أن الجبرتي ترجم كتاب « سلك الدرر ، فى أعيان القرن الثانى عشر » للسيد محمد خليل المرادى . واعتقد أن هذا خطأ ، منشأه أن مصحح المطبعة الأميرية التى طبع فيها سلك الدرر (٢) قال فى ختام الجزء الثانى أنه قد تم بحمد الله تعالى طبع كتاب سلك الدرر لمحمد خليل المرادى ، « الذى ترجمه الجبرتي » . والواقع أنه قصد أن الجبرتي ترجم للسيد خليل المرادى ، لا أنه ترجم كتابه . وقد سبقنى الى تحقيق ذلك الأستاذ خليل شيبوب (٣)

(١) توجد منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ، تحت رقم ٤٠٤ ط .

(٢) طبع سلك الدرر فى مطبعة بولاق الأميرية سنة ١٢٩١ هـ .

(٣) هامش ص ٦٠ من كتابه « عبد الرحمن الجبرتي » .

مخطوطات «عجائب الآثار»

يوجد في دار الكتب المصرية من عجائب الآثار ثلاث عشرة نسخة مخطوطة ، منها أربع كاملة ، وباقيا أجزاء وكراسات ناقصة .

وأحدث هذه المخطوطات الكاملة كتب في سنة ١٢٨٩ بخط أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى الشاهد . وفي الصفحة الأخيرة من الجزء الرابع أنه نقل من خط المؤلف ، وأنه لم يكتب بعد ذلك شيئا . وينتهي بنهاية سنة ١٢٣٦ كما تنتهي النسخ المطبوعة .

وتلى هذه النسخة في القدم نسخة أخرى ، كتب الجزءان الأولان منها بخط محمد أحمد الشافعي ، والثالث بخط أحمد يونس ، أبو التيسير ، في سنة ١٢٨٧ ، والجزء الرابع كتب في نهايته أنه تم في ربيع الثاني سنة ١٢٨٩ ولم يذكر اسم الكاتب .

ثم نلى هذه نسخة أخرى كتبت في سنة ١٢٧٢ بخط الحاج محمد حسين أحمد مصباح الشافعي الأزهرى . وفي آخر الجزء الرابع منها فهرس بأسماء المتوفين من الأعلام . ولكنه لا ينتهي بنهاية ما سجله الجبرتي في تاريخه (سنة ١٢٣٦) بل يمتد بهذه الأسماء وتواريخ وفاة أصحابها إلى سنة ١٢٧٢ ، تاريخ كتابة المخطوط ، ويبدو أن الذى أكمل هذه التواريخ هو الشيخ مصباح ناسخ المخطوط .

وأقدم هذه النسخ المخطوطة تمت كتابتها في سنة ١٢٦٢ (١) — أى بعد وفاة الجبرتي بأحدى وعشرين سنة — ولم يذكر اسم كاتبها . وكان هذا المخطوط ملكا للمرحوم محمود سامى البارودى باشا . مكتوب في الصفحة الأولى لكل جزء منه ما يلى : « من كتب الفقير اليه تعالى محمود سامى الشهير بالبارودى » ، وتاريخ سنة ١٢٨٥ ، ثم ختم باسم « محمود سامى » .

(١) مخطوط رقم ٢٢٨٧ تاريخ .

والسطور الأخيرة من هذا المخطوط تنفق تمام الاتفاق مع النسخ المطبوعة ، ثم تنتهى بهذه الكلمات : « تم لسنة ست وثلاثين . ونقل هذا من نسخة بخط الجبرتي في ٢٥ ذى الحجة سنة ١٢٦٢ » .

وهناك جزء ثان فقط ، لم يذكر اسم كاتبه ، وفي نهايته أنه تمت كتابته في ٢٥ ربيع الأول سنة ١٢٦٢ أيضا . وعلى صفحته الأولى أن المرحوم على فهمى نجل رفاعة بيك رافع الطهطاوى طالعه كله سنة ١٢٧٨ .

وقد راجعت صفحات هذه المخطوطات الأربعة الكاملة ، وهذا الجزء الثانى الأخير ، وقابلت كثيرا من صفحاتها مع صفحات المطبعة الأميرية ، فلم أجد سوى قليل جدا من الخلافات اللفظية ، أو من تقديم أو تأخير لبعض كلمات مما لا يزيد معنى أو ينقصه أو يبدله . وعנית ، بصفة خاصة ، بالجزء الأخير من كل من المخطوطات الكاملة ، والصفحات الأخيرة منها بصفة أخص ، لعلى أجد ما يفيد وجود زيادة ليست في النسخ المطبوعة ، فلم أجد .

وفي المكتبة الأزهرية من «عجائب الآثار» مخطوطان : الأول بخط خليل إبراهيم المجوز ، انتهى من نسخه سنة ١٢٨٩ ، وهو في ثلاثة مجلدات . والثانى بخط محمد بن أحمد بن موسى الشاهد الحنفى الأزهرى ، ولم يذكر تاريخ الانتهاء من نسخه ، وهو في أربعة مجلدات . وكلا المخطوطين منقول عن نسخة بخط الجبرتي . وكلاهما أيضا ينتهى بنهاية واحدة هذا نصها : « وهذا آخر الجزء الثالث ، أو الرابع . وبعده توفي الشيخ ، ولم يكتب شيئا » . وهو ما ختمت به طبعة المطبعة الأميرية ، وطبعة المطبعة الشرفية . وتنتهى الحوادث التى أرخها الجبرتي في هذين المخطوطين بنهاية سنة ١٢٣٦ ، كما في النسخ

المطبوعة ، وكما هو الحال في جميع النسخ الخطية التي ذكرتها .

وقد راجعت وقابلت هذين المخطوطين ، كما فعلت بالمخطوطات الخمسة في دار الكتب ، فكانت النتيجة هنا مثلها هناك .

وهذا كله يؤيد ما ذهب إليه من عدم وجود قسم ، أو جزء ، لم ينشر ، أو نشر ثم صودر ، كما روى جورجى زيدان ، بصيغة التضعيف .

وفي دار الكتب المصرية فهرس مخطوط لعجائب الآثار من عمل المرحوم أحمد تيمور باشا . يشمل الحوادث ، وأسماء الأعلام ، والنقود . وفهرس آخر من عمل المرحوم توفيق اسكاروس يشمل أسماء العلماء المذكورين في الكتاب ، مرتبة على الحروف .

وفي المكتبة التيمورية مخطوط لعجائب الآثار كتب في سنة ١٢٨١ . ويوجد مخطوط آخر من هذا الكتاب في مكتبة السيد الكتانى بفاس ، لم أمتطع أن أعرف عنه شيئا . ولعل بعض الباحثين ، ممن يعنون بمثل هذا ، يعرفنا به .

مخطوطات « مظهر التقديس »

أما مظهر التقديس ففى دار الكتب المصرية منه مخطوطان : المخطوط الأول منهما كتب في سنة ١٢٢٤ (١) قبل وفاة الجبرتي بسبع عشرة سنة ، وبعد أن أتم تأليفه بسبع سنين وخمسة أشهر ، حيث ذكر أنه أتم تأليفه في شعبان سنة ١٢١٦ . وفي الصفحة الأولى من هذا المخطوط أسماء خليل رفعت باشا . وخسرو باشا ، وكان أحد ولاة مصر في فترة من هذا التاريخ (من ١٣ جمادى الأولى سنة ١٢١٦ الى ١٤ المحرم سنة ١٢١٨) . المخطوط في ١٤٥ ورقة ، أى ٢٩٠ صفحة كبيرة والمخطوط الثانى من مظهر التقديس كتب في سنة ١٢٩٣ .

(١) مخطوط رقم ١٠١ م تاريخ .

وقد طالعت ، بامعان ، المخطوط الأول ، الأقدم ، من مظهر التقديس ، وقابلته بما كتب الجبرتي في تاريخه عن دخول الفرنسيين مصر ، وأقامتهم فيها ، وخروجهم منها ، وتاريخه للسنوات الثلاث التى أقاموها بها ، فخرجت من هذه المقابلة بالملاحظات التى أخصها فيما يلي :

يذكر الجبرتي اسم الشيخ حسن العطار علي أنه شريك في تأليف الكتاب ، فهو يقول في أوله ، انه ألف كتابه وضم إليه ما كتبه الشيخ حسن العطار من النثر والشعر . ثم يقول عند اختصاره اسم الكتاب « وسميناه » مظهر التقديس . وهو عندما ذكر ذلك عن تاريخه قال « سميت » عجائب الآثار . وعندما يورد بعض الشعر يقول انه « لصاحبنا الآتى ذكره » أو لصاحبنا السابق ذكره ، بعد أن ذكر اسم الشيخ العطار .

ولحن نعرف أن الجبرتي لم يقل الشعر .

بدأ الكتاب ، بعد حمد الله ، بمدح الدولة العثمانية الخاقانية ، ثم ربط بين الظواهر السماوية ، كخسوف الشمس وحركات النجوم ، وبين الحوادث الأرضية ، وذكر بعد ذلك قدوم الفرنسيين مصر ودخولهم فيها . مع أن مصر لم يغلبها غالب ، حتى التار الذين هزموا جند الأرض كله ، كثيرا ما قهرهم جند مصر القاهرة ، حتى لم تقم لهم بعد ذلك قائمة

ثم يلوم المماليك على تهاولهم في تحسين الثغور ، والعناية بعدة الحرب ورجالها . ويورد شعرا ، أعني أنه للشيخ العطار هو :

انما هذه البلاد لأقوا

م حبسوها بالصغار المملوك

وأرى دولة المماليك ما

لت لضروب اللذات ، بالتحصيل

واغتنوا عن تجريد سيف ورمح

بقوام لدن ، وطرف كحيل

التشفي والسرور عند ذكر هزيتهم أمام مراد بيك في بعض المواقع ، ويسميه الملاعين .

ثم هو لا يذكر في مظهر التقديس ، ما ذكره في عجائب الآثار ، من أنهم كانوا يأجرون العمال على ما يقومون به من اصلاح أو انشاء . في طرقات القاهرة ومرافقها ، وأنهم كانوا يعطونهم أكثر من الأجر المعتاد .

وكذلك يطوى زيارته مقر علماء الحملة الفرنسية ، وإطلاع على ما كان فيه من الكتب والصور والرسوم ، ومشاهدته عندهم التجارب الطبيعية والكيميائية . وباحثهم لأهل مصر أن يزوروا مقر هؤلاء العلماء ، وأن يفيدوا منه . وهي قطعة كبيرة نجدها في عجائب الآثار وتفتقدها في مظهر التقديس .

ويسقط أيضا من مظهر التقديس — في ختام شهر شوال من سنة ١٢١٣ — قطعة ضمنها في العجائب ، بعض الأعمال والانشاءات التي قام بها الفرنسيون في القاهرة .

وحذف منه كذلك قطعة من رسالة نابليون التي وجهها الى أهل مصر يعلن فيها عدم استيلائه على عكا ، وأثبت قطعة كبيرة من قصيدة السيد على الصيرفي ، نزيل عكا في ذلك الوقت ، لم تذكر في العجائب .

وقد تضمنت هذه القطعة من القصيدة مطاعن كثيرة في الفرنسيين ، وفي نابليون .

ولجد في مظهر التقديس تعليقا على هذه القصيدة ، وتقدا لها ، لعله من وضع الشيخ العطار ، تحدث فيه عن العروض ، والترصيع ، والوتد ، والزحاف . الى غير ذلك من مصطلحات هذا الفن . ونجد ، بعد ذلك ، استدراكا على الشاعر لأنه مدح أحمد باشا الجزار ، حاكم عكا ، على بلائه في صد نابليون عنها ، ولم يمدح الوزير يوسف باشا على جهاده .

ويلومهم كذلك على سلوكهم مع أهل مصر ، ومصادرة أموالهم ، والقسوة عليهم . ثم يذكر السلطان سليما الثالث وتداركه مصر بتخليصها من الفرنسيين . ويذكر صدره الأعظم يوسف باشا بأوصاف لا تكاد تنتهي من المدح والتفخيم والاشادة والتعظيم .

وتجئ بعد ذلك مقدمة موجزة في التاريخ ، منذ بدء الخليقة ، ونزول أبي الأنبياء آدم ، وتوارد الرسل لهداية الناس ، والرسالة المحمدية الخالدة ، وملخص في غاية الإيجاز للخلفاء الراشدين ، والدول الاسلامية المختلفة التي أعقبتهم ، وفتوحاتها ، وما جرى بعد ذلك من وقائع حتى دخل العثمانيون مصر .

ثم يبدأ بسرد حوادث الحملة الفرنسية من اليوم العاشر من المحرم سنة ١٢١٣ ، ومن هنا يبدأ في الاتفاق مع ما كتبه في عجائب الآثار ، ماعدا خلافاً سيرة ، وتكرار لبعض الفقرات والجميل .

وبعد أن أورد الكتاب منشور نابليون الذي وجهه الى المصريين بعد دخوله الاسكندرية ، أخذ يناقش هذا المنشور ويعلق عليه ، ويفسره . وهذه أشياء لا توجد في عجائب الآثار .

وفي هذه المناقشة وهذا التفسير ، يحمل مظهر التقديس حملات قاسية على نابليون والفرنسيين . ولا تقتصر خصومة الجبرتي للفرنسيين في مظهر التقديس ، وعنفه عليهم ، على هذه المناقشة ، بل نجد الروح التي تسيطر عليه هنا مختلفة عن تلك التي كتب بها في عجائب الآثار . ونجد الطابع الذي يتميز به مظهر التقديس ، من هذه الناحية ، مغايرا الى حد بعيد لذلك الطابع الذي نجده في العجائب فهو ، في مظهر التقديس ، ينعتهم بأوصاف الجهل ، والنفاق ، والخداع ، والظلم ، والخروج على جميع الأديان . ويتمنى زوال دولتهم ، ويظهر

حرية وبراعة ، وعملا بقول من قال : الحرب خدعة ١

ومن الزيادات التي تلفت النظر ، ما ذكر في مظهر التقديس (١) من أن نابليون عندما دخل عليه الشيخ السادات باستدعاء منه « صار — أى نابليون — يقبل يده تارة ، وركبته أخرى » .

وقد أسقط الجبرتي من مظهر التقديس ، ما سجله في العجائب ، من عدوان الجند العثماني على أهل القاهرة ، بعد عودتهم إليها . مع أنه يقول في العجائب وهو يصف عدوانهم على الناس ، وهم في ثورتهم على الفرنسيين ، أن أهل البلاد « تمنوا زوالهم ورجوع الفرنسيين على حالتهم التي كانوا عليها » .

كما يسقط رسالة غيفة وجهها الشيخ السادات الى كتخدا الدولة ، يزجره فيها على عدوان جنده . كذلك نجد في العجائب كثيرا من الآيات القرآنية الكريمة التي تخوف من عاقبة الظلم ، ثم لا نجدها في مظهر التقديس ... كأننا خشي أن يفهم ذكرها على أنه تعريض بالعثمانيين . وكذلك لم يذكر الضرائب والمغارم التي فرضها الفرنسيون على علماء القاهرة وأعيانها ، جزاء اشتراكهم أو تحريضهم على الثورة ، ومناقشة كليبر لهم في ذلك وعند ذكره لمقتل الجنرال كليبر ، أسقط

السجل الذي أثبتته في العجائب عن مناقشة قاتله ، سليمان الحلبي ، ومحاكمته ، وأقوال الشهود ، والأحكام التي صدرت بأعدامه وإعدام شركائه الثلاثة ، وأمر القائد العام الجديد ، الجنرال منو ، بتنفيذ هذه الأحكام ، ووصف هذا التنفيذ .

ومن الملاحظات الجديرة بالناية ، أنه عندما ذكر انشاء الديوان الثالث ، الذي أمر منو بتشكيله من العلماء وحدهم ، أسقط أسماء أعضائه

(١) ورقة ٢٢ .

ثم يدافع عن العثمانيين عندما يذكر نابليون في منشور له ، أن دولتهم في مصر قد دالت . ويقدم عليه في ذلك أشد القسوة .

وتحارب العثمانيون والفرنسيون في الاسكندرية ، فهزم الأولون ، وأسر قائدهم مصطفى باشا ، وكبير منهم هو عثمان خوجا ... فيذكر ذلك في العجائب ، ولكنه ، في مظهر التقديس ، يزيد عليه عزاءه للعثمانيين ، وتهوين الأمر عليهم .

ثم يسقط من مظهر التقديس ما يدل على ضعف العثمانيين ، أو فساد تدبيرهم ، بعد عقد الصلح مع الفرنسيين .

ومن الملاحظات الخاصة بالصياغة ، ولكنها ذات دلالة ، أنه عندما يذكر نابليون في عجائب الآثار ، يصفه بأنه « سارى عسكر » الفرنسيين ، أى قائدهم العام . وعندما يذكره في مظهر التقديس ، يقول « كبير الفرنسيين » . وكذلك يقول في عجائب الآثار ، عن معسكر العثمانيين « عرضى الوزير » ، وفي مظهر التقديس « عرضى هميون » أى المعسكر السلطاني .

وفي نص واحد نجده يذكر نابليون في عجائب الآثار باسم « بونا برته » وفي مظهر التقديس بقوله « اللعين » .

ومن لطائف هذه الفروق ، بين « عجائب الآثار » و « مظهر التقديس » ، أنه يذكر خروج الجيش العثماني الى الصالحية ، بعد فشل الصلح ، وابتداء الحرب بينهم وبين الفرنسيين ... يذكر ذلك في العجائب ، فيقول ان سببه ضعف هذا الجيش ، واشتغال جنده بجمع المال من البلاد ، وظلم الناس ومصادرتهم .

ويذكر ذلك ، في مظهر التقديس ، فيقول ان سببه الحرص على شروط الصلح وأنه كان حكمة

التسعة . وقد ذكرهم في العجائب وأشار الى نفسه فيهم بقوله « وكاتبه » .

وكذلك أسقط من مظهر التقديس الوصف الذى أثبتته في العجائب جلسة هذا الديوان الأولى . وكان ديجنت كبير الأطباء الفرنسيين ، ألف رسالة في علاج الجدرى ، لعله أهداها الى الجبرتي . فوصفها في العجائب بأنها « لا بأس بها في بابها » . ولكنه في مظهر التقديس يسقط وصفه لها . وهو لا يذكر أيضا تخفيف الفرنسيين لبعض الاتاوات التى كان الوالى والمحتسب يفرضانها على أهل القاهرة . ولا يذكر خبر قدوم الانجليز الى أبى قير ، وحربهم الفرنسيين .

ونجد عند ذكره أنباء عودة العثمانيين للقاهرة شيئا غير قليل من الاختلاف والتغيير ، واسقاطا لحوادث اعتدى فيها جندهم على بعض البائعين من أهل القاهرة ... غصبوهم بضاعتهم ، فلما طولبوا بشئها ، قتلوهم وقتلوا غيرهم ، حتى رجال الأمن والشرطة .

ثم نجد — بعد وصفه موكب الصدر الأعظم حين دخل القاهرة — قطعة أعتقد أنها من انشاء الشيخ العطار ، فيها ذكر لكبار العثمانيين الذين قدموا معه ، وفيها قصيدة للشيخ أيضا أولها :

انما العز في متون الجياد

مع بيض الظبا ، وسمر الصعاد
وهى ثلاثة وثلاثون بيتا . وفي هذه القطعة من النثر ، نجد كل اسم من أسماء هؤلاء القادمين ، مسبوقا بطوفان من ألقاب التعظيم والمدح والتفخيم .

وعندما استقر الأمر للعثمانيين ، فرضوا على تجار القاهرة مغارم ، ذكرها في العجائب ، وطواها في مظهر التقديس . كما طوى أخبارا أخرى عن بعض المماليك ، وعزل القاضى التركى ، وقتل بنت

السيد خليل البكرى ، ومشاجرات وقعت من الجند العثمانى على أهل القاهرة . كما أسقط اشتغال هؤلاء الجند بالبيع والشراء وتستر قاداتهم عليهم ، بل دفاعهم عنهم ، لأنهم أقتلوا مصر من الفرنسيين ... ا

وفي الشهور الثلاثة الأخيرة من الكتاب ، نجد كثيرا من الأخبار قد حذف ، ونجد بدلا منها أنباء قدوم السادة من كبار العثمانيين ، مثل محمد أفندى شريف ، دفتر دار الدولة . ويذكر في قدومه شعرا ، وقدوم كتبخده — نائبه — عثمان أفندى ، وشمس الدين بيك ، أمير أخور (١) ، ومرجان آغا ، والقاضى مصطفى أفندى دباغ زاده . ولا يذكر ، بعد ذلك ، فى حوادث شهر ربيع الآخر سنة ١٢١٦ ، سوى عودة المحمل . ويسقط القرارات والأوامر التى أصدرتها الدولة بشأن الأموال والضرائب .

ونجد بعض حوادث هذه الشهور الثلاثة فى غير موضعها . ويذكر فى هذه الشهور بعض اعتداءات الجند العثمانى ، وكف الصدر الأعظم لهم عندما علم ذلك .

ثم يسجل كتابا ، نجده فى العجائب ، موجهها من السلطان الى عرب البحيرة ، بأن يكفوا عن قطع الطريق ، والعدوان على الناس . وجوابا كتبه الشيخ اسماعيل الخشاب ، على لسان هؤلاء العرب ، بأنهم سيلزمون الطاعة . وهو موجه الى « الصدر الأعظم يوسف باشا ، بلغه الله من المراتات ما شا » . وتاريخ هذا الجواب اليوم الثانى والعشرون من شعبان سنة ١٢١٦ ، وبه تنتهى حوادث مظهر التقديس .

ونجد فى « مظهر التقديس » شيئا قليلا من التغيير والاختلاف عن « عجائب الآثار » ، ولكنه تغيير واختلاف قليل القدر والأهمية . كما نجد بعض الزيادات القليلة أيضا ، غير ما سجلنا من

(١) أمير المداود ، الركل بملف الدوايح .

قبل ، كزيادته مدح قائد الجيش التركى ، مصطفى باشا ، الذى أسره الفرنسيون ، لمناسبة اخراجه من الأسر ، ثم سفره بعد ذلك الى دمياط وموته فيها . وزيادته تقبيح الفرنسيين ، وسبهم فى بعض المناسبات ، ووصفه بعض كبارهم بأنه « كلب » وزيادته قطعة من النثر والشعر للشيخ حسن العطار ، وصف فيها بركة الفيل ، وذكر ما أصابها من التخريب على يد الفرنسيين ، عند الثورة عليهم

ومع أنه أسقط من سنتى ١٢١٣ و ١٢١٤ التراجم التى سجلها فى ختام كل سنة من العجائب ، لمن ماتوا فيها . فقد ذكر ، فى حوادث الشهور ، بعض الوفيات ، ك وفاة ولدى الشيخ أحمد الجوهري — محمد ، وعبد الفتاح — والأمير مراد بيك ، والشيخ عبد القادر المغربى . وفى ختام سنة ١٢١٥ . بترجم لمن ماتوا فيها ، ولكنه يسقط تراجم العلماء ، ويسجل تراجم المماليك والأمراء .

ويجد كذلك قصيدة للشيخ حسن العطار فى مدح الشيخ عبد القادر المغربى .

وما عدا هذه الفروق ، نجد مظهر التقديس متفقا مع عجائب الآثار : فى الحوادث ، والصياغة ، والترتيب .

وفى بهامة مظهر التقديس خاتمة تتلخص فى أنه من الأوفق أن يجعل ختامه شهر رمضان ... تيمنا به ، وإشارة الى أن وجود الصدر الأعظم ، الذى ألف برسمه الكتاب ، فى الأيام ، كوجود شهر الصيام فى الأعوام ، يزيل الفساد ، ويكثر العبادة ، وتنجر به القلوب ، وتخلص النيات فى كل مرغوب . ولأن فيه ليلة القدر ، والصدر الأعظم شبيه بها فى أن الأمة المحمدية تترقب ظهوره من مدد متطاولة ، ولأن قدومه مصر كقدوم العيد فى نهاية شهر رمضان .

وبعد ذلك شعر فى مدحه ، لا بأس به ، وفى تهنته بشهر الصوم لا بأس به أيضا ، ويجىء ، بعد الدعاء الكثير ، بيتا التاريخ :

سعد تاريخنا باقبال صدر

بمعالي ثنائه مسطور

فلهذا يقول بشرى ، أزخ

باجتناء السرور جاء الوزير

وقد تم تأليفه فى نهاية شهر شعبان من سنة ١٢١٦ .

وكان الفراغ من تحرير هذه النسخة فى غرة المحرم من سنة ١٢٢٤ .

ونستطيع بعد ذلك أن نسجل أن الفروق التى نجدها فى مظهر التقديس ، عن العجائب ، مردها الى المناسبة التى ألف فيها الكتاب .

فهو عندما دون ما كتب عن الفرنسيين فى عجائب الآثار ، كانوا ما يزالون يقيمون فى مصر ، وهم أصحاب الحول فيها والسلطان . فهو ، فى هذه الحالة ، تتخذ سبيل السلامة ، ويأخذ بالمدارة والتقية ، فلا يتعرض لهم بدم أو ملامة .

وهو ، فى الوقت نفسه ، يترجم عما فى ضميره من تقدير لهم ، وعطف عليهم ، نلمسه فى غير موضع من العجائب ، ونذكره من صلاته بهم ، ولو أنه حرص على سترها شيئا ما .

وهو عندما كتب — مع صديقه العطار — « مظهر التقديس » ، كان الفرنسيون قد تركوا مصر ، ولم يبق لهم فيها حول ولا سلطان ، بل عاد السلطان فيها لخصومهم العثمانيين . ومظهر التقديس يؤلف لصدر من صدور الدولة . عند ذلك كتب الجبرتى والعطار ما كتبوا فى مذمة الفرنسيين و نابليون ، ووصفاهم بما وصفوا .

وما أسقطه من الكتاب أمور لا تهم الصدر الأعظم ولا تهم الدولة .

العصر الذى أرخه الجبرتي

- ١ - عصر المماليك البحرية ، أو التركية .
- ٢ - عصر المماليك البرجية ، أو الشراكسة .
- ٣ - عصر المماليك العثمانيين ، أو البكوات .

المماليك البحرية (التركية)

سمى المماليك البحرية بهذا الاسم لأنهم ، فى مدة حكم الملك الصالح أيوب (٦٣٧ - ٦٤٧ هـ ١٢٤٥ - ١٢٤٩ م) ، ابتنى لهم دورا كبيرة ، ومعقل متينة ، عند الروضة ، حيث يتفرع « بحر » النيل فرعين ، وحيث يسمى « البحر الكبير » . وليس الصالح أيوب أول من أوجد هذه الطائفة من المماليك ، ولا هو الذى أطلق عليها هذا الاسم . — مع ما أجمع عليه المؤرخون من نسبة ذلك اليه . ذلك أنه كان لدى السلطان الكامل — وهو أبو الصالح أيوب وسلفه فى الحكم بمصر — طائفة من الأجناد اسمها « البحرية العادلية » ، نسبة الى أبيه السلطان العادل ، كما أن الفرفة التى أنشأها الصالح أيوب نفسه كانت تعرف باسم « البحرية الصالحية » ١ .

وجعل الصالح أيوب تلك الطائفة من المماليك حرسه الخاص ، وأسكنها قلعة الروضة من دون طوائف المماليك الأخرى . واستعملهم فى دفع الحملة الصليبية التى قدمت مصر بقيادة لويس التاسع ملك فرنسا ٢ .

(١) الدكتور محمد مصطفى زيادة ، « بعض ملاحظات جديدة فى تاريخ دولة المماليك بمصر » - مجلة كلية الآداب ، المجلد الرابع ، الجزء الأول .
(٢) المصدر السابق »

بسم الله الرحمن الرحيم .

الحمد لله رب العالمين ، وبعد فما هو ذا الكتاب الأخير من طبعة كتاب الشعب « المختار من تاريخ الجبرتي » الذى أسماه مؤلفه الشيخ عبد الرحمن الجبرتي « عجائب الآثار ، فى التراجم والأخبار » ، وعرض فيه تاريخ مصر فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر للهجرة (معظم السابع عشر ، والثامن عشر جميعه ، وأوائل التاسع عشر للميلاد) ، مع المامه الماما عاجلا بالفترة السابقة .

ومع أننا — للأمانة العلمية — قد أطلقنا على طبعة كتاب الشعب « المختار من تاريخ الجبرتي » ، فإن هذا لا ينطبق انطباقا كاملا إلا على الكتاتين الأولى والثانى ، أما فى الكتب السبعة التالية ، فإن اغفالنا سطورا أو بعض سطر ، أو لفظا واحدا فى بعض الأحيان ، لم يكن الا لضرورة فرضها الاختلاف بين روح عصرنا وروح العصر الذى وضع فيه الكتاب . وما أغفل نشره منذ بدء الحملة الفرنسية حتى آخر الكتاب لا يبلغ فى مجموعه سطورا قليلة لم يكن من اغفالها مناص لما سبقت الإشارة اليه من دواع وضرورات .

لمحة تاريخية

حكم المماليك مصر منذ منتصف القرن الثالث عشر للميلاد ، الى أن عدا عليها بونايرت فى نهاية القرن الثامن عشر للميلاد . وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم عهد المماليك فى مصر الى ثلاثة عصور :

السلطان حسن (ثانية) ٧٥٥ هـ (١٣٥٤ م)
 المنصور بن المظفر حاجي ٧٦٢ هـ (١٣٦١ م)
 الأشرف شعبان ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م)
 المنصور علاء الدين ٧٧٨ هـ (١٣٧٧ م)
 زين الدين حاجي ٧٨٣ هـ (١٣٨١ م)

المماليك البرجية (الشراكسة)

بدأ قيام طائفة المماليك البرجية في أيام السلطان
 قلاوون ، ثامن سلاطين دولة المماليك البحرية
 (٦٧٨ — ٦٨٩ هـ / ١٢٧٩ — ١٢٩٠ م) .

وبدأت دولة المماليك البرجية — أو الشراكسة
 — بتولى السلطان الظاهر برقوق الشركسي
 (٧٨٤ — ٨٠١ هـ / ١٣٨٢ — ١٣٩٨ م) .

وانفردت هذه الطائفة من المماليك بالانتساب
 الى أمة من الأمم . أما من عداها — منذ نشأة
 طائفة المماليك في أواخر الدولة العباسية ، الى أن
 دالت دولتهم بعد مذبحة القلعة في عهد محمد على
 — فلم ينتسبوا الى جنس بعينه ، ولا انضموا الى
 أمة بذاتها ، بل كانوا خليطاً من بنى الأمم
 المختلفة يباعون ويشتررون ، ويجلبهم النخاسون
 والقراصنة من حيث يقعون عليهم : تارة من التتر
 والمغول والشراكسة ومن اليهم من الشعوب التي
 تسكن شواطئ بحر قزوين ، وتارة من جزر بحر
 ايجة وسائر جزر البحر الأبيض المتوسط ، وتارة
 أخرى من اليونان وغيرها من البلاد الأوربية التي
 تشرف على البحر المذكور .

ويتجاوز المؤرخون كثيراً حين يطلقون اسم
 « المماليك » على سلاطين الشراكسة . فكل من
 تولوا السلطنة بعد برقوق لم يكونوا « مماليك »
 في يوم من الأيام ، بل انهم شبوا — في العز
 والامارة — أولياء عهد للسلطنة ، يتولاها الخلف
 منهم عن السلف .

ولما مات الملك الصالح (٦٤٧ هـ — ١٢٩٤ م) ،
 أخفت زوجه شجرة الدر موته ، ودبرت الأمور
 حتى حضر ابنه توران شاه وولى السلطنة ، ثم
 دبت الوحشة بينه وبين مماليك أبيه ، فتعصبوا
 عليه وقتلوه بفارسكور ، وقلدوا في السلطنة
 شجرة الدر ثلاثة أشهر ثم خلعت . وشجرة الدر
 هي آخر الدولة الأيوبية .

وتولى السلطنة بعدها عز الدين أيبك التركماني ،
 وهو أول السلاطين من دولة المماليك البحرية أو
 التركية .

وسلاطين هذه الدولة هم :

عز الدين ايبك التركماني ٦٤٨ هـ (١٢٥٠ م)
 المنصور ٦٥٥ هـ (١٢٥٧ م)
 المظفر قطز ٦٥٧ هـ (١٢٥٩ م)
 الظاهر بيبرس ٦٥٨ هـ (١٢٦٠ م)
 السعيد ناصر الدين ٦٧٦ هـ (١٢٧٧ م)
 العادل سلامش ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م)
 المنصور قلاوون ٦٧٨ هـ (١٢٧٩ م)
 الأشرف خليل ٦٨٩ هـ (١٢٩٠ م)
 الناصر محمد ٦٩٣ هـ (١٢٩٣ م)
 كتبغا العادل ٦٩٤ هـ (١٢٩٤ م)
 المنصور لاجين ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ م)
 الناصر محمد (ثانية) ٦٩٨ هـ (١٢٩٩ م)
 المظفر ركن الدين الجاشنكير ٧٠٨ هـ (١٣٠٩ م)
 الناصر محمد (ثالثة) ٧٠٩ هـ (١٣١٠ م)
 المنصور الرابع ٧٤١ هـ (١٣٤١ م)
 الأشرف كوجك ٧٤٢ هـ (١٣٤١ م)
 الناصر شهاب الدين ٧٤٢ هـ (١٣٤٢ م)
 الصالح عماد الدين ٧٤٣ هـ (١٣٤٣ م)
 الكامل شعبان ٧٤٦ هـ (١٣٤٥ م)
 المظفر حاجي ٧٤٧ هـ (١٣٤٦ م)
 السلطان حسن ٧٤٨ هـ (١٣٤٦ م)
 الصالح صلاح الدين ٧٥٢ هـ (١٣٥١ م)

وملاطين الممالك الشراكسة هم :

الظاهر برقوق	٧٨٤ هـ (١٣٨٢ م)
الناصر فرج	٨٠١ هـ (١٣٩٩ م)
المنصور عبد العزيز	٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م)
الناصر فرج (ثانية)	٨٠٨ هـ (١٤٠٥ م)
المستعين بالله	٨١٥ هـ (١٤١٢ م)
الشيخ المحمودى (المؤيد)	٨١٥ هـ (١٤١٢ م)
المظفر أحمد بن المحمودى	٨٢٤ هـ (١٤٢١ م)
الأشرف برسبای	٨٢٥ هـ (١٤٢٢ م)
العزيز يوسف	٨٤١ هـ (١٤٣٨ م)
الظاهر جقمق	٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م)
المنصور عثمان	٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م)
الأشرف اينال	٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م)
المؤيد أحمد	٨٦٥ هـ (١٤٦١ م)
الظاهر خوشقدم	٨٦٥ هـ (١٤٦١ م)
الظاهر يلبای	٨٧٢ هـ (١٤٦٧ م)
تيمور بغا الظاهرى	٨٧٢ هـ (١٤٦٧ م)
الأشرف قايتباى	٨٧٢ هـ (١٤٦٨ م)
الناصر محمد بن قايتباى	٩٠١ هـ (١٤٩٦ م)
الظاهر قانصوه الأشرفى	٩٠٤ هـ (١٤٩٨ م)
الأشرف جنبلط	٩٠٥ هـ (١٥٠٠ م)
العادل طومان باى	٩٠٦ هـ (١٥٠٠ م)
قانصوه الغورى	٩٠٦ هـ (١٥٠١ م)
طوماى باى الثانى	٩٣٢ هـ (١٥١٦ م)

وكانت مصر طسوال أيام هاتين الدولتين

— الممالك البحرية والشراكسة — دولة مستقلة ، لا تدفع جزية ولا خراجا لدولة أجنبية . وكان بمصر ، أحيانا ، خليفة عباسى ، يعيش فى كنف السلطان المملوكى ، فيضفى على حكمه صبغة شرعية ، غير أن هذا كان أمرا شكليا لا وزن له من الناحية العملية .

وفى عهد السلطان قانصوه الغورى عدا السلطان

سليم على الشرق ، فخرج الغورى للقاءه عند مرج دابق قرب حلب . ولم يستطع العادى التركى انزال الهزيمة بالجيش المصرى الا بالغدر والخيانة ، ذلك أنه اتصل باثنين من أمراء الغورى الخونة — هما خير بك والغزالى — فخذلا مولاها ، وخانا بلادا أحسنت اليهما ، ومكنا سليما من أرض الشام ومصر .

وتولى بعد الغورى ، طومان باى ، فوقف لسليم يصد زحفه ، ولكنه تمكن منه بسلاح الغدر مرة أخرى ، وسلم الخونة طومان باى الى سليم ، فسجنه ، ثم أعدمه على باب زويلة .

العصر العثمانى ، والولاة الأتراك

وبموت طومان باى (٩٢٣ هـ — ١٥١٧ م) ، انتهت دولة الممالك الشراكسة . وباستسلام جيوشه ، أصبحت مصر ولاية عثمانية ، تؤدى الخراج لعاصمة امبراطورية آل عثمان — أو « الديار الرومية » كما يسميها الجبرتي ١ .

وكافأ السلطان سليم ، الخائن « خير بك » ، فأقامه نائبا عنه فى مصر ، أو « واليا » عليها ، أو « مندوبا ساميا » لتركيا . فكان أول « الولاة » أو « الباشوات » الذين تولى منهم فى ٢٨٨ عاما (بين ١٥١٧ و ١٨٠٥ م) مائة وأربعة وعشرون واليا ، متوسط بقاء الواحد منهم فى الولاية نحو العامين ، وكثيرا ما تولى منهم فى العام الواحد واليان ١ .

وهؤلاء الولاة العثمانيون هم ١ :

خير بك (ولقب بالباشا)	١٥١٧ م
مصطفى باشا	١٥٢٢ م
أحمد باشا	١٥٢٣ م
قاسم باشا	١٥٢٤ م

١ — رجعتا فى أسماء هؤلاء الولاة الى مصدرين عربيين ، أحدهما قديم ، والآخر حديث ، ومصدر أفرنجى . . . فلم نجدتها متفقة تمام الاتفاق ، فأنينا بارجمها .

م ١٦٢٢	ابراهيم باشا	م ١٥٢٥	ابراهيم باشا
م ١٦٢٣	مصطفى باشا (ثانية)	م ١٥٢٧	سليمان باشا الخادم
م ١٦٢٧	پيرام باشا	م ١٥٣٨	داود باشا
م ١٦٢٩	محمد باشا	م ١٥٤٩	على باشا
م ١٦٣٠	موسى باشا	م ١٥٥٤	محمد باشا زاده
م ١٦٣١	حسن بيك (مؤقتا)	م ١٥٥٦	اسكندر باشا
م ١٦٣١	خليل باشا البستانجى	م ١٥٦١	على باشا الخادم
م ١٦٣٣	أحمد باشا الكورجى	م ١٥٦١	مصطفى باشا الثانى
م ١٦٣٦	حسين باشا	م ١٥٦٣	على باشا الصوفى
م ١٦٣٨	محمد باشا أحمد	م ١٥٦٦	محمود باشا
م ١٦٣٩	مصطفى باشا البستانجى	م ١٥٦٧	سنان باشا
م ١٦٤٠	مقصود باشا	م ١٥٧٣	جسين باشا
م ١٦٤٥	سفيان بيك (مؤقتا)	م ١٥٧٥	حسين باشا مسيح
م ١٦٤٥	أيوب باشا	م ١٥٨٠	حسن باشا الخادم
م ١٦٤٧	محمد باشا حيدر	م ١٥٨٣	ابراهيم باشا
م ١٦٤٨	أحمد باشا	م ١٥٨٤	سنان باشا الثانى
م ١٦٥١	عبد الرحمن باشا	م ١٥٨٥	عويس باشا
م ١٦٥٢	محمد باشا السلحدار	م ١٥٩١	أحمد باشا الخادم
م ١٦٥٦	عمر باشا	م ١٥٩٥	قوروط باشا (أوكرد)
م ١٦٦٦	أحمد باشا	م ١٥٩٦	محمد باشا الشريف
م ١٦٦٧	ابراهيم باشا	م ١٥٩٨	خضر باشا
م ١٦٧٤	حسين باشا	م ١٦٠١	على باشا السلحدار
م ١٦٨٠	عثمان باشا	م ١٦٠٤	ابراهيم باشا
م ١٦٨٨	حسين باشا السلحدار	م ١٦٠٥	محمد باشا الكورجى (الخادم)
م ١٦٩٠	أحمد باشا	م ١٦٠٥	نحسن باشا
م ١٦٩١	على باشا قلعج	م ١٦٠٧	محمد باشا
م ١٦٩٦	اسماعيل باشا	م ١٦١٢	محمد باشا الصوفى
م ١٦٩٨	حسين باشا	م ١٦١٣	أحمد باشا الدفتردار
م ١٦٩٩	أحمد قره محمد باشا	م ١٦١٧	مصطفى باشا لفقلى
م ١٧٠٤	محمد رامى باشا	م ١٦١٨	جعفر باشا
م ١٧٠٦	على مسلم باشا	م ١٦١٩	مصطفى باشا
م ١٧٠٧	حسين باشا كتخدا	م ١٦٢٢	محمد باشا
م ١٧٠٩	ابراهيم باشا القبودان		

م ١٧٧٠	أحمد باشا	م ١٧١٠	خليل باشا
م ١٧٧٠	قره خليل باشا	م ١٧١١	ولى باشا
م ١٧٧٤	مصطفى باشا الثابلى	م ١٧١٥	عابدين باشا
م ١٧٧٥	ابراهيم باشا عرب كيرلى	م ١٧١٧	على باشا الأزميرلى
م ١٧٧٦	محمد باشا عزت	م ١٧١٨	رجب باشا
م ١٧٧٨	اسماعيل باشا	م ١٧٢٠	محمد باشا الباشيمى
	ابراهيم باشا (مات قبل أن يتولى ، فظل		على باشا (لمدة شهرين خلال مدة
م ١٧٧٩	اسماعيل باشا فى الولاية)	م ١٧٢٥	حكم محمد باشا (
م ١٧٨١	محمد باشا مالك	م ١٧٢٩	باكير باشا
م ١٧٨٢	على باشا القصاب	م ١٧٢٩	عبد الله باشا الكبورلى
م ١٧٨٣	محمد باشا السلحدار	م ١٧٣٢	محمد باشا السلحدار
م ١٧٨٥	محمد باشا يكن	م ١٧٣٣	عثمان باشا الحلبي
م ١٧٨٧	عابدين باشا الشريف	م ١٧٣٥	باكير باشا (ثانية)
م ١٧٨٩	اسماعيل باشا الثولسى	م ١٧٣٦	مصطفى باشا
م ١٧٩١	محمد باشا عزت	م ١٧٣٩	سليمان باشا ابن العظم
م ١٧٩٤	صالح باشا القيصرلى	م ١٧٤٠	على باشا حكيم اوغلى
م ١٧٩٦	أبو بكر باشا الطرابلى	م ١٧٤١	يحيى باشا
م ١٨٠١	خسرو باشا	م ١٧٤٣	محمد باشا اليدكشى
م ١٨٠٢	طاهر باشا	م ١٧٤٥	محمد راغب باشا
م ١٨٠٢	أحمد باشا	م ١٧٤٨	احمد باشا كور وزير
م ١٨٠٣	على باشا الجزايرلى	م ١٧٥٠	شريف عبد الله باشا
م ١٨٠٤	خورشيد باشا	م ١٧٥٣	محمد أمين باشا
م ١٨٠٥	محمد على باشا	م ١٧٥٣	مصطفى باشا
	وكانت تركيا تحرص على بقاء نفوذ المماليك ،	م ١٧٥٦	على باشا حكيم أوغلى (ثانيا)
	الى جانب نفوذ الولاة : خوفا من استقلال أحد	م ١٧٥٨	محمد سعيد باشا
	ولاياتها بمصر .	م ١٧٥٩	مصطفى باشا
	وحين جاشت المطامع فى صدر محمد على وأراد	م ١٧٦١	أحمد كامل باشا
	الاستبداد بالأمر فى مصر ، والاستقلال عن تركيا ،	م ١٧٦٢	باكير باشا
	لم يجد مناصا من التخلص من المماليك ، فدبر لهم	م ١٧٦٢	حسن باشا
	مذبحة القلعة التى أفنى فيها منهم من أفنى ، وشرذ	م ١٧٦٥	حمزة باشا
	الباقين فى البلاد ، فلم تقم لهم من بعد ذلك اليوم	م ١٧٦٧	محمد راقم باشا
	قائمة .	م ١٧٦٨	محمد باشا الأورفلى

شرح لبعض المصطلحات الواردة في تاريخ الجبرف

اشاير
الأعلام التي يحملها أصحاب الطرق الصوفية .
أغا بيت المال
صاحب بيت المال .
أغاسي
رتبة عسكرية تعادل « صاغ » .
أغا الطواشين
رئيس البوليس .
أغات تفكجية
له رئاسة الجند المسلحين .
أغات جمليان
جمليان : طائفة من الفرسان ، وأغات جمليان ،
رئيس الفرسان .
أغات مستحفظان
مدير السجلات .
أغات الانكشارية
أى قائد الجند الانكشارية ، وهم الطائفة من
الجند التى يطلق عليها أحيانا « الينكجيرية » .
أفندية
جمع أفندى فى التركية بمعنى صاحب ومالك
ومولى وسيد ، والرجل الرقيق الحاشية ، الدمث
الطباع ، والقارىء والكاتب بصفة عامة ، والعالم
ورب القلم ، وهو عنوان تعظيم فيقال : فلان باشا
أفندى أو فلان بيك أفندى وكانت تطلق على كتاب
ديوان الروزنامة . وكبير الأفندية هو الروزنامجى
والحاكم عليهم ، وخدمته تحصيل الأموال الأميرية
وصرفها فى مرتباتها المرتبة بموجب دفتر . وكان
الباشا يعينه بموافقة شيخ البلد والصناجق ورؤساء
الأوجاقات .

أبعاديات
هى الأراضى البور أو غير المزروعة .
أتك
ذيل الثوب . ويقبل أتكه : أى ذيل ثوبه .
أراضى الأثر
الأرض التى يتوارثها الأبناء عن الآباء ولصاحبها
حق التصرف فيها بالبيع والشراء .
أرباب الدرك
رجال البوليس .
أرباب العكاكيز
أصحاب الطرق الصوفية .
أرض الشراقى
الأرض التى ينحسر عنها الماء وتبقى بلا زراعة
أروام
يقصد بهم الأتراك .
أسباهية
الخيالة . أطلقت على الأوجاقات الثلاثة :
جمليان ، وتفكشيان ، وجراكسة . ومهمتها
فى القاهرة : الاشراف التام على الباشا ورجاله
بواسطة كبراء الأوجاقات المقيمين فيها ، وفى الأقاليم
بواسطة من يقيم فى الأقاليم من رجال هذه
الأوجاقات وبخاصة الجوريجية .
استادار
إليه أمر البيوت السلطانية كلها من المطابخ
والشراب خاناه والحاشية والغلمان وهو الذى كان
يمشى بطلب السلطان فى السرحات والأسفار ،
وله الحكم فى غلمان السلطان وباب داره واليه
أمور الجاشنكيرية .

* استعنا فى كثير مما ورد فى هذا الجزء بمقال نشر فى عدد
مايو ١٩٣٦ من مجلة كلية الآداب للمؤرخ الكبير الاستاذ شفيق
مربال ، ياذن كريم منه .

أكاديش

الخيول غير العربية .

الجى

مأخوذة من الفارسية « ايلجى » ومعناها سفير .
الضاشات

أتباع .

امراء شين اعالى

وأحدهم : رئيس بضعة من الأمراء الممالك
امير اخور

أمير المذاود الموكل بعلف الدواب .

امير الحج

وظيفته مرافقة الحجاج وتوزيع الصدقات
والهدايا التى ترسل سنويا الى الحرمين الشريفين .

امين الاحتساب

المستول الأول عن التموين والأسعار .

امين البحرين

المشرف على الرسوم المفروضة على الغلال
الواردة على ساحلى بولاق ومصر العتيقة وله
الاشراف على السفن التى تسير فى النيل
والبحيرات .

امين الخردة

هو المشرف على جميع الرسوم المفروضة على
الملاهى وما إليها .

امين الشون

وينتسب الى أوجاق الجاوشان . ويطلق عليه
أيضا « اسم أمين الأنبار » . يشرف على شون
الغلال الأميرية ، وقد كان الجزء الأكبر من أراضى
الصعيد يجبى ماله غلالا . وكانت له عوائد من
تهد وغلال على كل ملتزم يؤدى المال غلالا ، هذا
الى أنه كان مسموحا له بأن يستعمل عند صرف
الغلال من الشون لمستحقها كيلا أصغر من الكيل
الذى استعمله عند الاستلام من دافعى الضرائب ،
والفرق بين الكيلين له !

امين الصرة

هو مندوب الباب العالى لتسلم الأموال السنوية
المفروضة على البلد .

انختار افاسى

صاحب المفتاح .

انكشارية

هم الينكجيرية أى الجند الجديد . وأغاة
الينكجيرية ، أو رئيس وجاق الانكشارية ، هو
رئيس الجند فى مصر ، وهو بمثابة محافظ القاهرة
الآن .

اواسى

الأوسية ، أو « الوسية » ، هى ذلك الجزء من
حصة الالتزام الذى لا يوزع على الفلاحين ، بل
يزرعه الملتزم لحسابه . وكانت لا تدفع عنها
ضريبة بل يخصص ريعها للانفاق منه على
المسافرين والجند وموظفى الحكومة الذين ينزلون
ضيوبا على الملتزم .

أودة باشى

من ضباط الوجاقات ، وكانت تسميه العامة
(فى ذلك الوقت) « أبو طبق » لأنه كان يلبس
فوق رأسه لبادة سوداء كالقبعة ولها حافة تشبه
الطبق .

اوراق جامكية

مرتبات الجند وكانت تمنح لغيرهم كمرتبات
خيرية .

أوقاف الدشيشة

الدشيشة : طعام يتخذ من قمح مرضوض .
والدشيشة الكبرى ترجع الى عهد السلطان قايتباى .
والدشايش الأخرى ترجع الى العهد العثمانى .

باش

باش و « باشى » — التى ترد كثيرا فى بداية
بعض الألقاب المركبة أو نهايتها — لا علاقة لها
بلقب « باشا » . فهى لفظ تركى معناه رأس . وإذا
وردت فى الاستعمال العربى فى أول الكلمة ، كتبت
« باش » . وإذا وردت فى نهايتها ، كتبت « باشى »
وأحيانا تنطق « باشه » .

باشا

الباشا هو وكيل السلطان العثمانى فى مصر .

وكان مقره بالقلمة . وكان يعين لسنة واحدة قابلة للتجديد . ولكن بقاء بعض الباشوات مددا طويلة لتجديد مددهم ، وعزل بعضهم أو نقله قبل انقضاء العام ، جعل متوسط بقاء الواحد منهم في باشوية مصر نحو سنتين .

ويجب ألا يخلط بين لقب « باشا مصر » ولقب « الوالى » ، فان الوالى فى ذلك العهد كان يطلق عادة على رجل وظيفته صيانة الأمن فى المدينة ، وما يتعلق بذلك ، فهو شبيه بحكمदार البوليس فى أيامنا .

باشا جاجرت

رئيس محررى دفاتر الأراضى .

باشجاویش

رتبة عسكرية ، قائد فرقة حربية . مع ملاحظة أن فى عهد محمد على أصبحت تطلق على كل رئيس مدنى أو عسكري حتى كانت تطلق على أوائل الطلبة فى المدارس .

برائى

زيادة خارجة عن المال الميرى المطلوب للسلطان عن الأراضى الزراعية .

بشلى

ساعى ، رسول .

بصاصون

الحرس (الغفر) .

بطط

أوعية مصنوعة من الجلود لتسلل بالبارود .

بلانات

النساء اللاتى يقمن بخدمة النساء فى الحمامات العامة .

بلكات

الحاميات العثمانية وعددها ستة فى مصر .

بندفى جنزولى

كانت قيمته أكثر قليلا من مائة بارة والبارة ثلاثة مليئات .

تطريدة

تجريدة أو حملة من العساكر .

تفكجى

الجندى من حملة الأسلحة النارية .

تمكينات

من أهم اصطلاحات ذلك العصر ، فلا بد من « تمكين » قديم أو جديد ، واقعى أو وهمى ، لاكتساب حق أو الالتفاف بحق .

جاووجان

حامية مهمتها جمع الضرائب .

جراكسة

حامية من حاميات البكوات المماليك الجراكسة .

جزية

الجزية هى ضريبة كانت مفروضة على الذكور البالغين من أهل الذمة من نصارى ويهود .

جفالک

جمع جفلك ، اسم يطلق على مقدار جسيم من الأطنان التى كانت تعطى للعائلة الخديوية .

جماکى

جماکى جمع جمكية أو جامكية . وهى كلمة فارسية تعنى أصلا المرتب يصرف لشراء الملابس . ثم أصبحت فى الاصطلاح العثمانى المملوكى تعنى مرتب الجنود .

جمرك البهار

جمرك للبضائع الواردة الى السويس ، وهو فى الطريق بين القاهرة والسويس .

جوربجى

كان يطلق فى الاستعمال العثمانى على ضباط الانكشارية وعلى مختارى القرى المتقدمين فيها أو بعبارة أخرى على أعيان الجهات . وهى رتبة عسكرية تعادل اليوزباشى .

حرفوش

أحد أبناء البلد ، جمعها : حرافيش .

حق طريق

رسوم المرور .

حلوان

الحلوان هو الرسم الذى تتقاضاه الحكومة لنقل حق أو منفعة من شخص الى شخص آخر .

وقد تطلق « الخزنة » أيضا — أو « الصرة » — على المال الذى كان يرسل مع أمير الحج الى الحرمين . ولم تسلم هذه الخزنة أيضا من أيدي أمراء المماليك !

خشدش

أو خوشدش أو خجدش أو خوجدش ،
معرب اللفظ الفارسي خواجهتاش ومعناه الزميل فى
الخدمة أو الزميل فى الرق . وخوش أى السرور
والخشداشية فى اصطلاح عصر المماليك بمصر ، هم
المماليك الذين نشأوا عند أستاذ واحد .

دفتردار

كبير الشئون المالية . وكان عادة من الصنائج
من أمراء المماليك المصريين وعليه ضبط الحسابات
وحفظ الدفاتر والسجلات ولا ينفذ أمر بيع عقار
الا بعد توقيعه عليه اشارة الى تسجيله فى دفتاره .
وعليه الحضور فى كل ديوان لتحصيل الأموال
الميرية بموجب دفتر الروزنامجى . وله عوائد على
طرف الميرى وعلى طرف الباشا وعلى حلوان بلاد
الأموات عن كل كيس حلوان ألف فضة ، وله
فراوى على الباشا فى أربعة أوقات : حين قدومه
وحين عزله ، وفى وقت تحصيل مال الصرة الشريفة ،
وفى وقت تشييل الخزنة ، وفروة على أمير الحج
وقت التسليم (أى وقت تسليم أمير الحج الصرة)
ويساعده جماعة من الموظفين ، ويشد أزره
حرسه الخاص وأوجاق الانكشارية من الحامية
العثمانية فى مصر .

دلاة

أو دولاتية : جمع ديلى ، وهى كلمة تركية
معناها المجنون وأطلقت كلمة دلاة أو دلاتية (جند
من أكراد سوريا) على هذا الجيش لشهرة رجاله
بالتهور فى البسالة .

دونامة هايون

الأسطول العثماني .

فحلوان بلاد الأموات مثلا ، معناه أن حصص
الالتزام التى يموت ملتزموها — فتصبح بذلك
بلاد أموات — يستطيع ورثة هؤلاء الملتزمين
نقلها الى أنفسهم بشرط تأدية الحلوان — فهو ، فى
هذه الحالة ، بمثابة « رسم التسجيل » .

حمامجى اوغلى

الأغا المختص بالحمام .

خازندار

أمين الخزنة وظيفته حمل الخراج سنويا الى
الاستانة .

خاصكية

حرس الباشا .

خردة

رسوم مفروضة على الملاحى والنساء « العوالم »
والحواء ومن يماثلهم .

خزنة أو خزينة

الخزانة أو الخزينة ، فى اصطلاحهم ، هى مقدار
ما يبقى مما يجبى من مصر من ضرائب بعد اتفاق
كل ما قرر السلطان اتفاقه ، ويرسل هذا الباقي
لعاصمة الدولة .

ولم يكن ما تحويه « الخزنة » مبلغا ثابتا ، فان
الحكومة العثمانية كانت تأمر أحيانا بأن تخصم منه
نفقة اضافية . وأحيانا كان الباشا يخصم من الخزنة
لتسديد عجز فى بعض الأبواب المقررة ، أو لمواجهة
طلب استثنائى .

وكانت ترسل الى استانبول فى احتفال كبير .

وفى الأيام السابقة للفتح الفرنسى كانت أيدي
المماليك قد بدأت تمتد الى مال الخزنة . ثم
أصبحوا يرسلونها مرة ، ولا يرسلونها مرة أخرى ،
على حسب أهوائهم ، معتذرين بمختلف الأعذار .
وقال الجبرتى عن الخزنة التى أرسلت فى سنة
١١٨٠ هـ : « ... وهى آخر خزنة رأيناها سافرت
الى اسلامبول على الوضع القديم » .

ديوان

مجلس شورى الباشا . يتألف الديوان من ضباط الفرق (الوجاقلية) ، والدفتردار ، والخازندار والروزنامجي .

ولهذا الديوان سلطة كبيرة في ادارة الحكومة لأن الباشا (الوالى) لا يستطيع أن يبرم أمرا الا بموافقة أعضائه ، واذا وقع خلاف بينه وبينهم يؤجل البت فيه الى أن يرفع الى الأستانة . ولهم أن يطلبوا عزله . فكانت سلطة ديوان الفرق بمثابة رقابة واشراف على سلطة الوالى .

ديوان الهندى

وصحتها ديوان أفنديسى وهو سكرتير الديوان أو رئيس كتابه .

ديوان صغير

أو الديوان فقط ، ويتألف من كتخدا (نائب الباشا) والدفتردار والروزنامجي ومندوب عن كل وجاق والأغا (الرئيس) وكبار الضباط من وجاق المنقرقة ووجاق الشاوشية وينعقد كل يوم في قصر الوالى وينظر فيما تحتاج اليه البلاد . وكان الباشا يبلغ أمره للديوان الكبير بوساطة كتخدائه (نائبيه) وعليه تنفيذ قرارات الديوانين وكان يحضر جلساتها دون أن يشترك في مداولاتها .

وزق

جميع رزقة . وهى الأرض التى كان ينعم بها السلاطين على بعض الناس يتصرفون فيها كيف شاءوا ، وهذه الأراضى معفاة من الضرائب ولذلك تسمى « أرض رزقة بلا مال » . وكانت ادارة الروزنامة تعطى المنعم عليه بمثل هذه الأراضى « تقسيطا » أو سندا للتسليم يخوله ملكها ملكا مطلقا ، مع حقه في التصرف فيها .

رفع المظالم

استبعاد سبب الشكاوى .

رميلة

ميدان صلاح الدين بالقلعة ، والمعروف بالمنشية .

روزنامجي

وظيفته ادارة الخراج (ضرائب الإطيان أو أموال الميرى) وضبط حساباته .

روزنامة

فارسية الأصل معناها « الجرنال » أو التقويم . ويطلق اسم الروزنامة على مكتب الحسابات العامة لقيد الدخل والمنصرف ويعرف باسم « باش قلم » . أى المكتب الرئيسى و « ميزان » أو « ميزانية » . ويجرى به رسم الحالة المالية مرة في كل عام أو ستة شهور في « خلاصة اجمالية » مقدرة بالكيس .

دوك

(أو التاريج) أى مساحة الأراضى ومراجعة مكلفاتها القديمة وفحص حاصلات الأراضى وتوزيعها وربط زمامها .

سارى عسكر

قائد القوات .

سداندة

الرؤساء .

بيرجشم

بكباشى .

سزدار

نائب السلطنة : الذى في يده سر الدار ، الذى يحل محل الباشا أثناء غيابه .

سفاشية

جنود الخيالة .

سلحدار

حافظ السلاح .

سماط

الوليمة : (العزومة) .

شنك

صواريخ ، أو مدافع تطلق للابتهاج أو للتحية .

صرة

المال المرسل للحرمين أو الى الآستانة .

صناجق

الصنجق أو المنجق أو السنجاق كلمة تركية معناها العلم أو اللواء . وقد أصبحت تطلق على القسم من الولاية الكبيرة . ولا يزال مرادفها في

العربية — وهو « اللواء » — يطلق على المعنى نفسه في بعض الأقطار العربية .
والصنّجق أيضا هو الحاكم على هذا الجزء من الولاية .

وقد تكون « الصنّجقية » أيضا مجرد رتبة ، دون أن يكون حاملها حاكما لصنّجقية . فرتبة « صنّجق طبلخانة » مثلا ، كانت تكسب صاحبها الحق في أن يدق له الطبل وغيره من الآلات الموسيقية عند قدومه ...

وكان عدد صنّجق البلاد ، أول الأمر ، أربعة وعشرين . ثم احتفظت الدولة العثمانية لنفسها بالحق في إعطاء هذه الرتبة ، كما احتفظت بالحق في تعيين صنّجق الثغور الثلاثة المهمة : الاسكندرية ودمياط والسويس .

أما التعيين للصنّجقيات الباقية فكان يحدث في مصر نفسها تبعا لقوة المتنافسين عليها . فكان صاحب النفوذ يسعى لجعل الصنّجق من تابعيه أو مماليكه .

وكان على الصنّجق « مال ميرى » يؤدونه للحكومة نظير وظائفهم .

صنّجقية

اقليم : مديرية .

ضربخانه

دار الضرب التى تسك فيها النقود .

ططرى

ساع : « حضر ططرى من الدولة وعلى يده مثال »

بمعنى حضر رسول أو ساع ويده رسالة .

عرضى

مأخوذة من التركية « أوردو » ومعناها الجيش أو الفيلق وتؤدى معنى المعسكر .

عزبان

طائفة كانوا في الأصل من جند البحر من حملة البنادق .

عوائد

لم يكن من الضروري أن تدفع الحكومة في

ذلك العهد للموظف مرتبا ثابتا شاملا كما هو الحال الآن ، بل ترتب له « عوائد » على أبواب مختلفة من دخل وظيفته ، أو تعطيه حق فرض رسوم يجيبها لنفسه على أصحاب المصالح الذين ينجز لهم عملا ، وهكذا . أو قد تدفع له مرتبا ، وتبيح له أن يضيف اليه « عوائد » تقرر لها .

وكانت الحكومة إذ ذاك تفرض على بعض أصحاب المناصب أن يؤدوا لها مالا سنويا نظير تمتعهم بعوائد مناصبهم ، وهو ما كان يسمى « ميرى الوظائف » .

ولم تكن هذه « العوائد » مقصورة على صغار الموظفين ، بل إن « الباشا » نفسه كانت له عوائد ، منها مثلا : « أربعمائة فضة على كل فرق بن مستورد » . والفضة كانت مسكوكات دقيقة من الفضة أو النحاس يطلق على الواحدة منها « نصف » أو « نصف فضة » . و « الفرق » هو الزنبريل الذى يسع نحو ثلاثة قناطير ونصف قنطار من البن .

غز

يقصد بهم الممالك .

فائض الالتزام

هو الفرق بين ما يدفعه الفلاح للملتزم وبين ما يورده الملتزم لخزينة الروزنامة .

فردة

ضريبة استثنائية .

فرضة

ضريبة الرؤوس .

فرمان

الأمر العالى يصدر من السلطان .

قاضى

كان القاضى هو النائب عن السلطان في الأحكام الشرعية ، وكان يحضر كل عام من استانبول الى مضر . وكانت وظيفته أن يحكم بين الناس بالوجه الشرعى ، وله الختم والعلامة على جميع التوكيدات

البوليس» ويطلق على المخفر، أو ضابطه، أو أحد رجاله .

قليونجية

البحرية .

قناطيش

نوع من الملابس .

قنجة

مركب .

قواسة

الحرس .

قولانة

غطاء للرأس .

كاشف

هو بمثابة المدير اليوم اذا كان يحكم المديرية كلها وبمثابة وكيل المديرية أو مأمور المركز- اذا كان يحكم جزءا منها .

وكلمة كاشف مأخوذة من فعل كشف ، لأن الأصل في وظيفة الكشاف أن يكشفوا أحوال المديرية . ولما اتسعت سلطتهم وصار اليهم الحكم وأخذوا المديرية التزاما بقى الاسم القديم ملازما لهم وصار الكاشف يحكم المديرية أو جزءا منها باسم البيك .

كبكبة

جبل الخيل في المسير .

كتخدا

هو الوكيل عن الباشا ، ويعينه السلطان برتبة صنجق ويتغير بتغير الباشوات . وقد حرفة الاستعمال إلى « كخيا » .

كتخدا مستحفظان

وكيل محافظة .

كخيا

محرفة من كلمة كتخدا (انظر كلمة كتخدا)

كرنكة

الاختفاء خلف المتاريس .

كورنتيلة

حجر صحي .

— مثل الحجج والتقارير وما إليها . وله عوائد معلومة على جميع وقاف مصر ، وعلى جميع التمكنات التي يقع فيها البيع والشراء .

وكان من تحت يده محاكم في مختلف الجهات ، بها قضاة ، وكل محكمة فيها سجل للقيد ، ويعرض على القاضي التركي ما يقيد بالسجلات شهرا شهرا ، ويعلم عليه بالعلامة والختم . وكان لهؤلاء القضاة عوائد على الناس بحسب الوقائع والبيع والشراء ، والقاضي التركي له عوائد على القضاة المذكورين في كل شهر .

وبقى الأمر كذلك الى وقت الاحتلال الفرنسي حين عهد الفرنسيون الى عالم مصري — هو الشيخ العريشي — رئاسة القضاء . وبعد جلاء الفرنسيين عاد الأمر الى ما كان عليه ، واستمر كذلك الى أن انقطعت علاقة مصر بتركيا في سنة ١٩١٤ عند قيام الحرب العالمية الأولى .

قابجية

سعاة ..

قائمقام

لقب شيخ البلد . وهو الاستعمال الاصطلاحي . وتستعمل قائمقام أيضا في معناها الأصلي لكل من يقوم مقام أحد ما ، كقائمقام الباشا مثلا لمن يقوم مقام الباشا عندما تكون الباشوية خالية .

قبودان

قائد البحرية .

قربانة

البندقية .

قشلة

المستشفى أو المصححة .

قلبق

غطاء للرأس من الفرو أو القطيفة كان يلبسه أهل القوقاز .

قلق

مركز المسكر أو ما نسميه الآن « نقطة

فيس

بمساوى ٥٠٠ قرش من عملة ذلك العصر ، أو ٢٥ ألفه نصفاً فحمة .

لك

مائة ألف فرسا .

مال الحلوان

رسم تسجيل .

مال الكشوفية

هى ثقات الادارة المحلية .

مال حر

وهو مجموع ضريبة الخراج وضريبة الكشوفية والفائض ، وهو المقرر أصلاً على الأطيان أو الضرائب القانونية ، يدفعها الفلاحون للمتزمين وهؤلاء يدفعون الميرى والكشوفية ، وما بقى فهو لهم

مال ميرى

أو « الميرى » فقط : ضريبة الخراج وهى المخصصة أصلاً للسلطان . وضريبة الكشوفية وهى مخصصة للبيك أو الكاشف حاكم المديرية .

متفرقة

فى الأصل التركى القديم كانوا أصحاب نوع من الاقطاعات وخدمتهم حفظ القلاع الخارجة عن مضر من جهة الشرق مثل العرش وغيره . ومن جهة الشمال مثل الاسكندرية ودمياط وأبو قير ومن الوجه القبلى مثل أسوان وأبريم ..

محتسب

أو أمين الاحتساب : وظيفته مراقبة الأسواق والتفتيش على الباعة والتجار لمنع وقوع الغش فى المعاملات .

وكان المحتسب من الجاوشية — أى لم يكن من المتفهمين فى الدين كما هو الأصل فى الحسبة كما عرفها الصدر الأول من المسلمين .

محلول

من الاصطلاحات الهامة فى ذلك العهد ، تطلق على حصة الالتزام وعلى الوظيفة اذا مات صاحبها فيعاد منحها من جديد نظير الحلوان .

محملدارية

الادارة الحكومية المختصة بالمحصل (الآن دار الكسوة) .

مرابط

كثيرة الذبوع عند المغاربة ، وتطلق على الأولياء الصالحين والشيوخ المجاهدين وقد قامت لهم دولة بالغرب « دولة المرابطين » .

مزاريق

الرماح .

مشايخ البلد

العمد : وشيخ البلد لقب كان يعطى لكبير المماليك فى ذلك العصر فى ابان سطوتهم وهى بمثابة أمير قصر .

مشد

خدام (خفير) تحت يد قائمقام وهو الذى يحضر الفلاحين الى الديوان فى وقت طلب المال وعليه القيام فى سائر خدمة قائمقام .

مصالحات

دفع الناس بدل الشئ أموالاً .

مضاف

زيادة ثانية على المال الميرى . وكان تحصيله على موسمين : صيفى وشتوى .

مضرب النشاب

مكان الرماية . وفى حى « جاردن سيتى » بالقاهرة شارع لا يزال يحمل هذا الاسم .

مكتوبجى

الذى يحمل الرسالة .

مكوس

ضريبة الجمارك .

ملتزمون

هم الملاك الذين يأخذون القرى « التزاماً » ويتصرفون فيها تصرف المالك فى ملكه على أن يتكلفوا للحكومة بدفع لصنيها من الضرائب .

مملوك

اسم مفعول من ملك ، ومعناه المقتنى ملكاً ، أى الرقيق . على أنه يجب التمييز بين هذا النوع من

الممالك الذين يتخذهم « أساتذتهم » جنداً وبيئ
خدمة المنازل الذين يسمون عبيداً .

مهاترة

المهاترة جمع مهتر . و « المهتر » في اللغة التركية
هو رجل الموسيقى . ويضرب المهاترة العربة
— أى يعزفون على آلاتهم الموسيقية — فى أوقات
معينة : كضرب النوبة عند شروق الشمس أو
غروبها مثلاً .

مهر دار

حامل خاتم الباشا .

مهم

حفلة .

موسقو

أى الروس (موسكو) .

ميرى مال الكشوفية

هو ما يدفعه الكشاف للحكومة .

نجاب

حامل الخبر .

نقاير

طبيل .

نوبة

يقال يضربون النوبة : أى يعزفون على الآلات
الموسيقية فى وقت معين .

والى

كان « والى » أو « الباشا » هو نائب السلطان
فى حكم البلاد ، فكان يمثلها وينفذ أوامره لرجال
الحكومة ويراقب تنفيذها وله الرياسة على عيالاتها ،
على أن سلطته محدودة مقيدة ... ذلك أن السلطان
سليم خشى لبعده مصر عن مركز السلطنة أن يطمع
ولايتها الى الاستقلال بها والخروج على حكومة
الآستانة ، فجعل مدة والى سنة واحدة ، انتهى
ولايته بنهايتها ما لم يصدر فرمان بتجديدها .

أما اذا أطلق لفظ « والى » على حاكم أى جهة
من الجهات ، فكان يقصد به وظيفة قريبة من وظيفة
« الحكمدار » فى أيامنا . وقد كان بعاصمة القنار

حين دخول الفرنسيين ثلاثة « ولاية » : واحد
للقاهرة ، وآخر لبولاق ، وثالث لمصر العتيقة .
وكان الولاية الثلاثة تحت رياسة أغا الانكشارية .
ثم اصبحت لوالى القاهرة رياسة على زميليه ، وكان
له — دونهما — مرتب ثابت فى الميزانية ، وكان
يقوم أيضا بوظيفة حاجب الديوان ، وكان عليه
الاشراف على جرف الخليج الناصرى .

وجاقات

« الوجاق » فى الاستعمال العربى الدارج هو
الموقد . وقد كان يطلق « الوجاق » أو « الأوجاق »
على الطائفة من الجند . وكان يقال للجندى
« وجاقلى » ويجمع على « وجاقلية » .

وكانت طوائف الجند لذلك العهد مبعة
« وجاقات » ، هى : المنفرقة ، وجاوشان ،
وجمليان ، وتفكشيان ، وجراكة ، ومستحفطان ،
وعزبان (انظر كل لفظ فى موضعه من هذا
البيان) .

وكانت هذه الطوائف من الجند هى العنصر
الفعال فى حكومة مصر .

وقف

يشمل الأملاك المحبوسة أصلاً على المساجد
وأعمال البر والخير ، وقد انتشر الوقف فى العصر
العثمانى لأنه كان الوسيلة التى يأمن بها الملاك على
أملاكهم من عسف الممالك ، فعمدوا الى الوقف
يجبسونه على جهة من جهات البر والاحسان .
ويجعلون لأبنائهم أو من يوصون اليهم من ذوى
نسب أو صلة أو خدمة ، حق الاتفاع بالأرض
بعد وفاتهم فيجد الموقوف عليهم من ريعها غلة ثابتة
لا تمتد اليها مطاعم الممالك بالسلب والاعتصاب .

يسقى

مكان الاعتقال .

ينكجارية

هم طائفة من الجند تسمى أحياناً بالانكشارية
(انظر انكشارية) .

بسم الله الرحمن الرحيم

■ ■ يشرف قطاع النشر والتسويق بمؤسسة « دار الشعب » للطباعة والنشر - أعرق دور الطباعة والنشر في مصر والوطن العربي - أن تقدم للقراء اكرام نخبة مختارة من إصداراتها في مختلف مجالات الثقافة الإسلامية الرفيعة المتميزة والابداع الأدبي والثقافي والعلمي والتاريخ المصري القديم والمعاصر أمهات الكتب والتفاسير والأدب التربوي المصور للطفل وكل ما يهم القراء والأسرة المصرية والعربية والدارسين والمحققين والباحثين عن مصادر موثوقة تخدم الحياة التقدم بزاد ثقافي تربوي وحضارى لا ينفذ .



مع تحيات قطاع النشر والتسويق



- | | |
|----------------------|------------------------------------|
| ■ تفسير الجلالين . | ■ المصحف المفسر بالمقدمة .. |
| ■ تفسير الألوسى . | ■ تفسير القرآن العظيم لابن كثير .. |
| ■ التيسير [خلاصة | ■ تفسير القرطبى .. |
| ■ تفسير ابن كثير] . | ■ [الجامع لأحكام القرآن] |
| ■ صحيح البخارى . | ■ الموطأ |
| ■ صحيح مسلم . | ■ فتح المبدى .. |
| ■ [شرح النووى] . | ■ [شرح مختصر الزبيدى |

- رياض الصالحين ..
- [من كلام سيد المرسلين] .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
- من أنباء الرسل .
- دائرة المعارف الإسلامية
- أدب الدنيا والدين .
- الزواجر عن اقتراف الكبائر .
- مكاشفة القلوب .
- يوميات العقاد .
- دلائل النبوة .
- [ومعجزات الرسول ﷺ] .
- مقدمة ابن خلدون .
- صفة الجنة وأهلها .
- [فى الكتاب والسنة] .
- التراث العربى الإسلامى .
- الإسلام ورعايته للطفولة
- تبويب آى القرآن الكريم .
- [من الناحية الموضوعية
- فضائل وآداب وأحكام القرآن الكريم .
- عبقریات العقاد
- الموسوعة الثقافية
- إحياء علوم الدين .
- العبادة .
- [أحكام .. وأسرار
- الأغاني .
- [لأبى فرج الأصبهاني] .
- ألف ليلة وليلة .

■ مع أسماء المصطفى

■ شروق الإسلام .

■ نسمات إيمانية .

■ الحب والشعر في حياة ابن أبي ربيعة

■ العقاد ومعاركه في السياسة والأدب

■ الانتصارات العربية العظمى

■ في صدر الإسلام .

■ تخطيط الموارد السياحية .

■ جرائم تهريب النقد .

■ فن التفصيل والحياسة .

■ لك يا سيدتى ..

■ أركان الإسلام .

■ [في خمسة كتب للإطفال] .

■ عمرو في مصر .

■ روضة الأولاد والبنات .

■ إرسم..ولون .

■ الإسلام ورسوله في فكر هؤلاء ..

■ العربية في الإعلام

■ وأخطاؤها الشائعة .

■ من آخر كلمات العقاد .

■ التحديات التي تواجه العالم الإسلامي

■ مكافحة الإرهاب .

■ أبطال الكفاح الإسلامي المعاصر .

■ القصص الديني في مسرح الحكيم .

■ عودة الإبن الضال .

■ فن تربية الطفل .

■ الأساس في تفصيل ملابس السيدات .

■ راية الإسلام .

■ تعلو عمان .

■ حكايات الأصدقاء .

■ ضحكك .. ولعب .. وجد

عزيزى القارئ
نرحب بك قارئاً ومتابعاً للإصدار لنا
المندودة بكبرى مكتبات التوزيع بعولاهم
محافظة جمهورية مصر العربية .. والوطن
العزى وزاد المكتبة بالمرکز الرئيسى
لؤسسة دار الشعب .

٩٢ شارع قصر العينى بالقاهرة

مع تحيات

رئيس قطاع النشر والتوزيع

سلافندى